سيرة الأميرة ذات الهمة

رواها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
رتبها شيخ الضلال وشيخ مدرس المحال

تأليف
علي بن حسن القطان وأبي بكر الشنقي وصالح الجبيري ويزيد بن
عبد الرزاق وعبد الله بن وهب الأبال ومرف بن لؤلؤ
الحراني وسعد بن مالك الحبشي وأحمد السماكي
وجابر الرحيبي وسعد بن هشام الفارسي

المجلد السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ثم سارت السودان حول اللملمان ونهبت من الرستاق زاد وعلف وطلبت بلاد الروم وعلم الأمير عبدالوهاب بذلك فكاد فؤاده أن ينفطر وهم أن يتبعهم ويترضاهم فقالت الأميرة لاتفعل ياولدى واقعد بحزمتك وطلع إلى قلعة الكوكب وقد حمل من الهم والغم مالا يحمله جبل (وأما) الأمير عمرو بن عبيد الله فانه سار على حاله إلى العراق ولم يدخل إلى ملطيه ثم قال لبنى سليم اتبعونى إلى بغداد فما بقالنا مقام فى هذه البلاد بعد ماترك عبد الوهاب عبيده تفعل بنا هذه الفعال وهو واقف لاينهاهم عن القتال وأريد أسير إلى الخليفة وأعلمه بهذا الحال وأقول له اننا سرنا نطلب بنت عمنا عاقبة فجرت علينا هذه المصائب ثم ساروا تبعته بنى سليم وما تضاحا النهار حتى وصل الخبر إلى الأمير عبد الوهاب وكان الأمير قد أصبح متكسل مما قد جرى عليه من فقد السودان لأنه بات حزين الفؤاد ولم يأكل فى تلك الليلة زاد ولما سمع برحيل بنو سليم وخلوا ملطيه زادهمه وغمه وأقبل على الأميره ذات الهمة أمه وقال لها ماهذا يكون الذنب لغيرنا والمذمة لنا والساعة تقوم علينا القيامة فى العراق من الخليفة ويسمع القاضى عقبه أن أخته عاقبة فى الوثاق وتقوم الدنيا على ساق ويحوجوا الخليفة أن يخرج إلينا بالعساكر والاجناد وأريد منك أن تطاوعينى على الرحيل إلى بلاد الحجاز حتى نستريح من قتال المسلمين ونشتغل بخدمة رب العالمين فقالت له الأميره يابنى ونخلى بلاد الاسلام خالية ممن يحميها حتى يخرج ملك الروم يأخذها ويقيم فيها والصواب ان تكون فى ملطيه حتى نبصر على أى شىء ينفصل الحال ولعلنا أن نسمع بخبر البطال وإن أتانا من يطلب قتالنا مانعنا عن نفوسنا وان عساكرنا ماقتلوا بنى سليم وما

قاتلهم الا السودان وقدرحلوا بسلام من هذا المكان وما بقى أحدامنهم تحت طاعتنا وهذا يكون عذرنا لمن يأتى إلينا لاننا مادخلنا بينهم أبدا فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك الخطاب نزل الى ملطيه فى سائر بنى كلاب ومما جرى على قلبه من الهم انطرح على الفراش وقعدت أمه عند رأسه واشتغلت به وبالعبادة عن أهل الأرض هذا ماجرى هنا (وأما ماكان) من عمرو بن عبيد الله فانه ساروا معه قومه من بنو سليم وهم يقطعون الأرض ذات الطول والعرض إلى أن وصلوا إلى بغداد ودخلوا على تلك الحالة الشنيعة وقد علم بها الخليفة فارسل لهم أرباب دولته الى لقاهم وخرج القاضى عقبه فى الجمله وهو لايدرى ماحالهم حتى رآهم فى الذل والهوان فقال له الأمير عمرو بن عبيد الله ياقاضى هذا كله من أجلك جرى علينا وأنت مالقيت الا الخير ثم حدثه بحديث أخته عاقبة والململان وما لقيت أخته من العذاب والهوان وما قاسوا أيضاً من الضرب والطعان فلما سمع القاضى عقبه ذلك الكلام وقع فى قلبه الرجفان وخرق ثيابه ورما طيلسانه وعادوأخذ معه عمرو وجماعة من بنى سليم ودخل على الخليفة وهو يبكى ويقول إلهى بهذا قضيت وبهذا حكمت إلهى قد ابتليتنى عند الكبر بفقد الأولاد وقضيت على بالوحدة والتشتت فى البلاد وسلطت على هؤلاء المنافقين الظالمين والاضطداد فلا اعتراض عليك يارب العباد وكان عقبه الملعون من حين ذبح أبو محمد أولاده وزوجته يطلب فتنة يشفى بها فؤاده من عبد الوهاب فلم يقدر على ذلك حتى أتى له هــذا الأمر ووافق مراده ودخل على الخليفة فى تلك الحالة فسأله عن ماجرا فصاح وبكا وانتحب وأنشد يقول هفاه الأبيات

يا امام الورى وملجأ العبادى ✡ ارحم اليوم ذلتى وانفرادى
وأعنى عن العدا يطرقونى ✡ كل يوم بمحنة فى فؤادى
واستحلوا دماء قوم كرام ✡ لايخافون هول يوم المعادى
واستباحوا لحرمتى وسبوها ✡ وهى تدعا من جملة العبادى
كنت أرجو تكون لى باقى العمر ✡ لتشفى قلبى عن الأولادى
قد سبوها سبى الأما واستحلوا ✡ كل وجه وهتكها فى البلادى
فأعنى ولا تمكن منا ✡ عصبة البغى والخنا والفسادى

(قال الراوى) وما سكت الملعون عقبه حتى أبكا الحاضرين ورثوا اليه الخلق أجمعين وقال الخليفة دعك ياقاضى من النظام وحدثنا كيف جرت هذه الأخبار فاحكا له عقبه على ماسمع من الأمير عمرو وزاد على الكلام من عنده وحدثه أيضا بحديث أخته عاقبه وقال يامولاى أنا كنت أرسلت اليها حتى تجىء الى عندى لتؤنسنى فى وحدتى وتعيننى على

عبادتى لأن نيتها مثل نيتى وسريرتها مثل سريرتى وكانت كتبت إلى تقول ياأخى أنا فقدت زوجى وأولادى وقد علمت أن قلبك مقروح وسوف آتى إلى عندك وأكون بشرط أنك تحج بى إلى بيت الله الحرام ولا تغصبنى على أكل الطعام لانها تصوم النهار وتقوم الليل الى الفجر وانى يا أمير المؤمنين لما سمعت ذلك فرحت وكتبت اليها أن تأتى فى هذا العام وأوعدتها بالحج الى بيت الله الحرام فوافقها هذا الأسود وقد أخذها من القافلة وقد أتى بها الى هؤلاء الاقوام وتقرب اليهما بما قد شاع بيننا من العداوة فى سائر البلاد فعندها قال الخليفة لعمرو وكيف كان قتالك لهم فقال أنا يامولاى لما سمعت الأسود الذى أتابها اليهم ركبت وسرت اليهم ولما وصلت سلمت عليهم وطالبتهم بها وقلت لهم هذه بنت عمنا يلزمنا عارها وما نقدر نتخلا عنها بوجه من الوجوه فقال لى عبد الوهاب هذه نصرانية مثل أخيها عقبه فلما سمعت أنا ذلك قلت له يا أخى أنفذ الاثنين الا بين يدى الخليفة يرى فيهم برأيه وحكمه فصاح على هذا الأسود الذى أتى بها من مصر وهجم على ليضربنى بالسيف الذى معه فبعدت عنه بعد ماسبنى وأخرق بى ورأت بنو عمى ذلك فما صبروا بل صاحت عليه لتكشف شره عنى فصاح عبد الوهاب فى السودان فحملوا علينا بجمعهم وألقوا السيف فينا وكانوا أكثر رجال منا ورجالى غايبين فى الضياع والرستاق وأوقعوا فينا الضرب والمحاق وتشتتنا فى الآفاق على اننا لولا هذا الاسود الذى قدم عليهم ما كنا فكرنا بهم ولكن هو الذى أفنانا لانه ماروى فى هذا الزمان مثله لا فى طوله ولاعرضه صوته يشبه الرعد عند صيحته والاسد تفزع من صدمته والقلوب تخفق من النظر إلى صورته وقدوعده عبدالوهاب أن يترك له الحمل القسطنطونيه والاموال ثم الجواهر ويأمره على جميع السودان وهو يسعى اللملمان وهو ابليس الزمان وفى هذه السنة يمنع الحمل عن بغداد الذى يأتى من الروم ويصير يا أمير المؤمنين لهذا الشيطان قدروشان (قال) ولما أن سمع الخليفة من عمرو ذلك الكلام احمرت وجنتاه وانقلبت عيناه فى أم رأسه ثم قال هذا لايتم لعبدالوهاب إلا إذا صرت أنا تحت التراب فوحق قرابتى من العباس لاتركت على وجه الأرض من يقول أنا من بنى كلاب وكأن ماجرأ البطال على ذبح أولاد القاضى عقبه الا عبدالوهاب والا كان أقل وأحقر من أن يفعل هذه الفعال فقال عمرو صدقت يا أمير المؤمنين وربما أن يكون هو الذى احتال على أخت عقبه وأرسلها مع هذا الأسود والا من أين لهذه المسكينة معرفة بالبطال أوخبره بالاحتيال فقال الخليفة قد جرى ماجرى وهذا الرجل علينا قد انترى وقد قتلوا من بنى سليم من قتلوا وفعلوا بهذه العجوز الصالحة مافعلوا وأنتم تعرفون مافعلت معكم نوبة بيمندلما ان قتل سيف الحنيفية ولده وكيف أخذت له بالثأر من أبناء النصرانية فما نكافىء بالجميل

إلا من يرعاه وهذا قاضي المسلمين والساعة ما بقي الا قلعة من الثغور وإلا عظمت علينا الأمور ثم انه أمر النقباء ان تدور على سائر عساكر العراق ويأمروهم بالمسير إلى لقاء أهل النفاق فقال عمرو يامولاي أريد معي طائفة من الأتراك لعلنا بالسهام نأخذ الثار من هذا الأسود الذي يقال له اللملمان وسائر بني حام وسائر بني كلاب والا أن سار اليه كل من في بلاد العراق بالسيوف والرماح مايقدروا أن يقفوا بين يديه ساعة واحدة إذا زعق وصاح فلما ان سمع المعتصم إلى ذلك عجب غاية العجب ثم انه قال أيهما أشجع هو وإلا عبد الوهاب فقال عمرو يامولانا ومن هو عبد الوهاب عند هذا الأسود هذا إذا حمل على ألف مثل عبد الوهاب ساقهم بين يديه مثل الكلاب فقال المعتصم نحن نحفظ بغداد والا أخذها هذا الأسود من أيدينا ويصير خليفة (قال) وما تم الخليفة كلامه حتى قال العلائي وكان من أرباب دولة الخليفة وخيار أهل العراق أنا أدلك يامولانا على أسود آخر إذا حضر قدامه مثل اللملمان ألف في الميدان قبض أرواحهم بالسيف والسنان (قال) فأعجب الخليفة ذلك الكلام ثم قال وأين يكون هذا الأسود من البلدان ومن يقال له من السودان حتى اننا نغمره بالإحسان فقال له العلائي يامولاي انه ساكن في السواد واسمه السمحاق ويكنى بأبي ثور العريان وإقامته في الخراب منفرد بنفسه عن أبناء جنسه وأنا ما أردت أن أخبرك به حتى يحصل لك غم من جهته لأنني قد سيرت اليه جيش فكسره وماعاد منه إلا أيسره وجميع الخلق تأتي تشكى منه وفي هذه الأيام أردت ان أخبرك به فقال الخليفة ولأي شيء قد أخفيت عني خبر هذا الاسود وهذا أعجب مما نحن فيه (قال الراوي) وكان هذا الاسود أتى من بلاد الحابشة وقعد في سواد بغداد وسار يقطع الطريق على القوافل والتجار ويكبس الضياع ويصطاد بكفه السباع حتى انه أخرب بلاد واسط وأرض البصرة وقطع السفار عن بلاد العراق وكانوا أكثر الناس إذا رأوه لايطيقون الصبر على الوقوف قدامه كأنه من الجن المقرده ويقولون لاشك ان هذا شيطان من شياطين الأرض المارقين العاصين وكان من عظم خلقته لايحمله جواد ولا يخرج للناس إلا راجل وعيناه تقد مثل المشاعل وكان إذا رأى العدد عليه كثير ما يخرج لهم الا على نجيب عالي ويزعق عليهم فيولون من زعقته حيارى ولا يلتفت منهم أحد الى أحد وقد قطع الطريق عن الطراق ومنعهم من الوصول الى العراق وقد كثرت فيه الشكاوى إلى العلائي صاحب الخليفة بذكره فأنفذ اليه خيل نحوه ثلثمائة فارس وقال لهم إذا وصلتم إلى الدجله وقاربتموها اتركوا القافله بين أيديكم وسيروا أنتم خلفها حتى يطمع فيها هذا الشيطان وأخرجوا اليه من كل جانب وانهبوا جسده بالقواضب وأتوني برأسه حتى أتحف بها الخليفة فقالوا له سمعا وطاعة ثم انهم ساروا إلى ماقد ندبهم اليه الوزير حتى انهم جازوا

المكان وتأخرت الفرسان وتقدمت القافلة والتجار وكانت تلك القافلة أرسلها الوزير على صفة الفخ المنصوب وإذا هم بزعقة قد أخذتهم ارتجت لهولها البرية وقائل يقول الى أين يا أوباش العرب تسيرون بالاموال وتعبرون على السمحاق فلما ان رأوا الى ذلك التجار ساقوا وقد تبددوا فى القفار وقد نظروا إلى عبد فى قدر البعير القاعود وله كل ساعد فى قدر العامود وهو يهمهم مثل الاسود وله عينان مكورة وقوره مقورة وهو يقول اليوم قد طاب القتال لهذا الجمع الكثير ثم انه خطى خطوات خفاف وخرج فى الخيل فوقعت ترعد من شدة الخوف ثم جعل يكر عليهم بالحسام ويقتل الرجال الكرام فلما ان نظرته الفرسان قالوا والله ماهذا إلا شيطان ولم يزل ينكس الفرسان حتى شردها وسار من ورائها وجعل يحرك على الخيل وينزل بركابها وكان اذا طعن الفارس يرفعه على رأس الرمح بحديده الذى عليه ثم يضرب به الارض يخلط طوله فى العرض ولم يمض ساعة من النهار حتى تركهم كلهم مرميين فى لهوات القفار فولوا منه الباقين الادبار ورجع هو إلى مال التجار وعينيه يطير منها الشرار وما أخرج غيظه الا فى السفار أهلكهم عن آخرهم وأخذ مالهم وذخائرهم (قال) وان الخيل وصلت إلى بغداد وهم لا يصدقون من بين يديه بالنفاد ثم انهم دخلوا الى العلائى وأخبروه بالخبر ووصفوا له صفته وخلقته فكاد قلبه أن ينفطر ثم أنه عول أن يدخل إلى الخليفة ويشرح له الحديث فدخل عمرو بن عبيد الله والقاضى عقبة وقد جرى من الحديث ما جرى (قال) ولما أن سمع الخليفة بصفات السمحاق فرح بذلك الاتفاق ثم أنه قال كنا نريد من يأتينا بهذا الرجل حتى اننا نسير مع عساكر العراق إلى عبد الوهاب الذى قد تظاهر بالنفاق فإذا كسره وقتل سودانه أعطيته مكانه ويكون مع بنى سليم يحمى الثغور ونبقى فى راحة من هذه الأمور التى نحن من أجلها كل يوم فى محذور فقال عقبة من حرقته من عبد الوهاب يا مولاى أنا أسير إليه وأحسن معه التدبير وأضمن له عنك الأموال والخلع الكثير وأتعرف بهذا الشخص فعسى أن يكشف هذه الشدائد عنى أو يقبض علىّ ويقتلنى فأستريح من هؤلاء القوم الذين أتعب منهم فى كل يوم فقال له الخليفة افعل ما بدا لك فما لهذا الأمر غيرك (قال) فتجهز عقبه من يومه وأخذ معه عشرة من بنى سليم واثنين من المنهزمين الذين انهزموا من السمحاق حتى أنهم يوروه المكان وقد أعطاه الخليفة الخلع الحسان وأعطاه خاتم الأمان وقد أوصى عقبة العساكر قبل مسيره بالتجهيز إلى حين عودته وقدومه وسار يقطع الأرض وهو على غاية من الفرح حتى بقى بينه وبين دخلة السمحاق ليلة واحدة وإذا قد التقاهم قوم مجرحين عراة هاربين على وجوههم فسألهم القاضى عقبه عن حالهم فقالوا له ياشيخ نحن قوم من مدينة حماه نحو مائة فارس وكنا سائرين إلى الخليفة

فى حاجة له فوقع علينا آخر النهار عفريت مارد شـــديد من مردة هذه القفار وصاح فينا أذهلنا وأخذنا منه الانبهار من شدة ما فى صورته من الانذعار وفى الحال سار فى جمعنا وصار يصيح علينا ويلوح بسيفه ونحن نتساقط من السروج على وجه الأرض وقد خيل لنا أن تلك القفار كلها مواكب من الجن وما أتى علينا الليل إلا وقد بقى منا ما ترى والباقين منقطعين فى الفلا فبالله عليكم إن كان طريقكم إلى هذا المكان فارجعوا أو ريحوا أنفسكم فإنه شيطان لا يقابل ومارد لا يماثل لاسيما وأنتم فى قلة من الرجال وعليكم هذا الملبوس والجمال . فلما سمع عقبة هذا المقال قال لهم أنا أبلغكم هذه الآمال ثم قال فى نفسه لعل المسيح أن يشد دينه بهذا الأسود وسوف أخلو به فى الطريق وأحسن له الدين العتيق فإنى أعلم أنه ليس له دين على التحقيق ثم أن الملعون أخذ الرجال وسار بهم طالب والفارسين اللذين من المنهزمين بدلوا بهم إلى تلك الدخله إلى أن أشرفوا عليها طالع النهار فرأوها مشتبكة بالأشجار والأغصان ولا يقدر أن يسلكها شيطان فضلا عن الإنسان ورأوها وحشة الجنبات وحولها رؤوس آدميين مرميات ولها طريق ضيقة المسلك لا تكاد من ضيقها أن تدرك ، وتأملوا رأوا على بعد منهم أربع جمال بيجاويه والأسود السمحاق نائم تحت شجرة كبيرة من بعض الأشجار وشخيره أقلب تلك القفار وهو مثل الثور المعدود وتحت رأسه أسد من الأسود (قال) فلما أن رآه عقبة ومن معه وقع بينهم الكلام من أجل خوفهم منه فصار عقبة يهون عليهم الأمور (قال) فمن شدة هرجهم فاق الأسود السمحاق من نومه وقد صرخ صرخة تصدع الحجر وفى الحال تناول السيف والترس من تحت تلك الشجرة وطلب القوم وقد طار من عينيه النوم (قال) فلما أن نظر عقبه إلى ذلك ارتجف فؤاده وضاع منه حواسه ولوث فى لباسه وعلم أنه إن سكت أخذ تلك العبد رأسه وأخمد أنفاسه فما كان له إلا أنه ترجل عن ظهر الجواد وقد ثبت جنانه وأرخى أودانه وأطلق عنان لسانه ونادى تأنى علينا أيها الفارس ولا تعجل واستعمل فى أمرنا المهل فما طرقك عدو ولا من يريد لك سوء ولا من يطلب منك مال ولا من أتى إليك برجال بل قد أتاك رجل كبير وشيخ صاحب هيبة وتوقير وقد أتى بجنابك يستجير لتكون معينا له ونصير ولك منه كلما إليه تشير من مال ونوال وخلع غوال وضياع وأقطار وكلما يجوز على الأسماع ويسألك المعونة على أعداءه والنصر على من ناواه ثم أن عقبة نهض إليه وقبل صدره ويديه وقال له اعلم يا ولدى أننى صاحب خليفة هذه الأرض فى طولها والعرض وقد أنفذنى إليك على سبيل السؤال والحاجة لما بلغه من شجاعتك وشدتك وبراعتك وأنه يريد أن يجعلك سيفه القاطع ودرعه المانع ويوليك القلاع

والبلاد ويدعك تترك الاقامة فى القفار وفى الوهاد وقد أراد أن يحكمك فى الثغور ويسلم لك جميع الأمور وتذل الفرسان وتطيعك جميع الأقران وتأمن من الفزع ويأتوك بالأموال والخلع وقد قال بعض الحكماء من كانت معيشته على حذر فعيشه أبداً مكدر ثم أن عقبه أخرج الخلعة التى أتى بها وأفرغها عليه وقال له يا ولدى أشكر صاحب هذه وأثنى عليه وأجاب قوله بالسمع والطاعة وسير إليه فى هذه الساعة فقال له السمحاق وعلى من يستنجد بى من أهل العراق أو من جميع أهل الآفاق فقال له يا ولدى هذا عدوه ما هو ملك له أعوان ، ولا فارس له جنان ، وإنما هو غلام من بعض غلمانه الأعراب قد عصى عليه ومعه جماعة يقال لهم بنى كلاب ، والخليفة يريد أن يرسلك إليه ويتعاون بك عليه فاذا ظفرت به وبأعوانه تركك الخليفة فى منزله ومكانه فلما ان سمع السمحاق كلام عقبه قال له وحق بيت عصاتين وشرب الطبطاب ومص رجلين الفيردان فى الغيطان لولا أننى أريد أن أبين للخليفة سطوتى على الفرسان ما كنت بارحت من هذا المكان لأن عندى من الأموال مالا تأكله النيران فسير معى حتى أننى أطلعك على ما عندى من الفضة والذهب وتنظر ذلك بعينك ثم أنه أخذ عقبه وأصحابه ومضى بهم إلى مكان لاتهتدى الجن إليه ثم أنه فتح لهم باب سرداب عميق لايظهر له قرار ثم أنه قال لعقبه أنزل أيها الشيخ وانظر مافى هذا السرداب من الأموال ولاتظن أننى أحتاج إلى كسب مال وأنا ماأطلب إلا الافتخار عند طعن الأسمر الخطار فلما أن نظر عقبه من داخل السرداب رأى فيه الفضة والذهب سكب مثل الغله فقال والله لو كان عكث هذا مده لكان يبقا له مال مثل مال قارون قال ولما أن أرادوا الرجوع قال لهم تأنوا على قليل فربما أن تكونوا أتيتوا تخدعونى بهذا الكلام والمقال حتى أبقا فى يد الخليفة ويرمينى فى القيود والاغلال ويأخذ منى هذه الأموال وربما قتلنى بعد هذه الفعال فانابقيت رايح أتركم هنا فى هذا السرداب وأغلقه عليكم وأمضى أنا إلى الخليفة فان أحسن إلى أرسلت لكم من يخلصكم وان أهلكنى وأعدمنى السلامة بقيتم هنا إلى يوم القيامة من هنا تحشرون فقال له عقبه أحسنت والله ما كنت تقصر معنا ثم أنه يجعل مكاننا هنا ثم أن عقبه التفت إليه وجعل يخدعه بطيب الكلام وعظائم الأقسام ويقول له بلسان السودان أنا وزير الخليفة وسوف ترى ماأعطيك من الخلع والأموال ولم يزل يرق له فى الكلام حتى أنه أطلعهم من السرداب ثم أنه أطلعهم من السراب ثم أنه سده بحجر كبير وقال هذا المال يكون محفوظ لى فى هذا المكان إلى أن أنظر مايجرى لى مع السلطان وأسكن لى فى بلد وأرسل آخذه لأنه لو بقى فى هذا المكان إلى الأبد مايجسر أن يأتى إليه

أحد ثم أنه عاد إلى المرج وركب نجيب من هؤلاء النجب لوقوف ثم إنه أمر الذى مع عقبه يسحبوا الثلاثة الآخر وهم بجلال الديباج المدثر وأزمتها من الابريسم الأحمر والأصفر وما منهم نجيب إلا وقد هذبه فى المجال وعلمه على حركات القتال ثم إنه تدرع وتقلد بسيف صقيل واعتقل برمح طويل وسار قدام القوم وهو كأنه سد من حديد أو برج مشيد لأنه قد أمل بلوغ الآمال من الأمير عبد الوهاب وعقبه أمل فى نفسه أنه يدخله فى دين النصرانيه ويغطسه فى جرن ماء المعمودية وكان بطول الطريق يحادثه ويميل قلبه بالمحادثة والمؤانسه حتى أنهم قربوا من أرض بغداد أرسل عقبه يخبر أمير المؤمنين بقدوم السمحاق طايع مختار ويقول ياأمير المؤمنين أخرج بأرباب الدولة والتقيه وارفع قدره فانه أعجوبة هذا الزمان وفريد العصر والأوان ولما أن وصل الرسول إلى بين يدى الخليفة فرح بذلك غاية الفرح وقال حفظ الله لنا القاضى عقبه فانه ماسار فى أمر الاونجح ورجع منه بالسرور والفرح ثم أنه أخرج غلمان الدار وركب الأمير عمرو بن عبيد الله فى سادات بنى سليم وغيرهم وخرج كل من فى بغداد من العوام يتفرجون على خلقة السمحاق فلما ان عاينوا خلقته ونظروه وهو كأنه طود من الاطواد أو من بقايا قوم عاد فارتاعت من خلقته جميع أهل بغداد وصارت تتعوذ منه سائر العباد وقالوا والله مايسير هذا الجبار إلى قوم إلا ويحل بهم البوار ثم أن عقبه أخذه ثم ان عقبه أخذه ثم دخل به من باب القصر وأدخله قدام الخليفة وكان الخليفة قد جلس على سدة الخلافة وأرباب الدولة تحجبه فلما ان حضر السمحاق سأله عقبه فى الادب فصقع وقبل الأرض وخدم وسلم فرحب به الخليفة وأجلسه قدامه وأمر بالخلع فأفرغت عليه وقدار تعب كل من كان حاضر من اشتعال عينيه وكبر أنفه وسعة منخريه ثم أن الخليفة أقبل عليه وقال له يافتى اعلم أننى مااستنجدت بك لقلة عساكرى ولكن ماأردت أن أن يقال عنى قد أنفذت عساكرى إلى غلام من بعض غلمانى ولا كان فيهم فارس يلقاه وانهم ما أخذوه إلا بالمكاثره وهذا نقص فى حقى فقال له السمحاق بصوت مثل الرعد القاصف ياسلطان خلى أنت عساكرك ولاتخرجها من أقليمك وأنا أسير لكل من فى الثغور من الأبطال وآتيك بهم جميعا سودان وبيضان قال فشكره الخليفة على ذلك وأوعده بكل جميل ثم قال يافتى أناما أريد إلا أن تسير مع عساكرى حتى يكون الفعل لك والأمر لى أنا فقال له الأمر إليك وأنا فى غداة غد أسير ودبر أنت ماترى من التدبير أنه قام من حضرة الخليفه وعاد إلى المضارب والخيام ونقلت إليه ألوان الطعام ثم أقام فى غاية الاكترام وقد اعتد الأمير عمرو ابن عبيد الله هو وبنى سليم للمسير وهم فرحانين بهذه الأسباب ثم أن الخليفة جهز معهم عسكر من العراق مقدار خمسين ألف وأكثرهم ترك واكراد وديلم ولما

أن أقبل الصباح صاحت النقبا فى العساكر بالرحيل وتقـــدم عمرو فى المقدمة وتبعته عساكر العراق ومعهم عقبـــه والسمحاق والـكل غايصين فى الحديد منغمسين فى الزرد النضيد وقد نشرت البيارق والرايات وضربت الطبول ونعرت البوقات وسارت المواكب يتلو بعضها بعض وقد امتلأت بهم جنبات تلك الأرض وأما السمحاق فانه صار يتعجب ويقول لعقبه ياشيخ ماهؤلاء إلا خلق كثير وما هـذا الرجل الذى نحن سائرين اليه الا ملك عظيم فقال له عقبه ياولدى والله ماهو ملك كبير الا أنه فارس نحرير وبطل خطير ومعه كل شجاع بالحرب خبير وهو الذى ترك على الروم الجزية فى كل عام ولا بد لى اذا ملكته أدلك على أمور تبلغ بها الآمال وتعيش طول عمرك بالسعادة والاقبال قال ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا إلى آمد ثم رحلوا طالبين ماطيه ولما أن قربوا من خرت برت وصلت أخبارهم الى الأميرة ذات الهمه وكان الأمير عبد الوهاب مريض كما ذكرنا وما فى ملطيه من العساكر الا ثلاثين ألف من بنى كلاب إلا أن الجاسوس وصل إليهم وأخبرهم بوصول بنى سليم وعساكر العراق ووصف لهم عساكر الخليفة والسمحاق فقالت الأميرة نحن نستعين عليهم بالملك الخلاق رافع السبع الطباق ومقدر الآجال والأرزاق فهو يعلم انهم علينا معتدين وللحق ناكرين فقال الأمير عبدالوهاب لقدحسبت أنا هذا الحساب ولـكن الأمر الى مسبب الأسباب وأنا أعلم أن الخليفة ما بعث هذا الأسود الا يريد هلاكى وربما ضمن له أن يأتيه برأسى وانا فى هذه الحالة من المرض ولا بد لى ان أبذل معه المجهود وأتوكل على الملك المعبود فقالت الأميره والله ياولدى لاتركتك تحضر الحرب وانت على هذا الحال الا ان تلعب الخيل براسى وتبقا انت تفعل بعدى ماتريد هذا وقد شاع خبر تلك العساكر فتأهبت الناس للقتال ولما ان كان من الغدا شرفت الـكتائب وامتلات الأرض بالراجل والراكب وصهلت الخيل والجنائب ولم تزل المواكب واصله والجيوش نازلة من ضاحى نهار إلى ان قبل الليل بالاعتكار وكانت الأميره وبنى كلاب من فوق الأصوار ينظرون الى كثرة هذا الجيش الذى كانه البحر الزخار هذا وقد نزلت عساكر بنى سليم فى ناحية عن عساكر العراق ونظرت الأميره الى السمحاق عندوصوله وهو راكب على بعض الجمال وهو مثل النخيل الطوال فقالت الأميره سبحان من خلق هذا الهيكل هذا اطول اللملمان واعرض وأنا اسأل الله ان يكفينا شره ويصرف عنا مكره قال وقد باتوا الناس تلك الليلة على اصوار البلد وكان الأمير عبد الوهاب اراد ان يشرف على العساكر والأبطال فلم تمكنه الأميره من ذلك ولما ان اصبح الصباح ارادت الأميره ان تلزم الحصار وتحفظ البلد والعساكر من الاشرار فما اطاعوها بنى كلاب بل قالوا لا بدلتنا

من فتح الباب وخروجنا للطعان والضراب خيرا ممن ترمى ارواحنا من الأبراج ونخوض مع هؤلاء القوم بحر العجاج ونقتل عقبه شيخ البطارقة ولا علاج فلما ان سمعت الأميره منهم ذلك الخطاب فتحت لهم الباب ثم انها خرجت فى أوائل بنى كلاب وخرج الأمير ظالم وأخيه ضيغم وقحم كل ليث مقدم وصارت الأميره تقول اللهم بحرمة رسلك واحبابك من عبادك الصالحين احقن دما هؤلاء المسلمين ولا تتركنا يوم العرض بدماهم مطالبين فانت تعلم مافى قلوبنا وقلوب الخلق اجمعين يامن تعلم عدد الأنفاس واختلاف الحواس قال وما تكاملت بنى كلاب حتى زحفت اليهم المواكب من كل جانب والأرض قدارتجت من دق الكاسات ونعير البوقات وكان أول من تقدم الأتراك ورمت من قسيها الموت والهلاك هذا وقد انطبقت العساكر وقد لعب السمحاق برمحه ولما ان نظرت بنى كلاب الى ذلك حملت وارمت انفسها للحرب واستقتلت ونادت فى ذلك الوقت بانسابها وافتخرت باحسابها وجودت المضارب وما تصرت وحملت الأميره وهى تنادى وتقول يا قوم بحق دين الاسلام لا تبذلوا فيهم الحسام بل دافعوا عن انفسكم بالاصدام ثم انها جعلت تصدم الفرسان وتردهم بالهيبة وقوة الجنان وتعفو عنهم من مضارب السيف ومن طعن السنان وعقبه صار يصبح فى جميع العساكر ويقول ابذلوا السيف فى اهل البغى والنفاق واطيعوا الله ورسوله وامير المؤمنين وجاهدوا فيهم كما تجاهدون فى المشركين لأن الشيوخ قد احلوا دماء الخوارج والمنافقين هذا والسهام تنقض انقضاض النجوم والناس بين صادم ومصدوم ومرزوق فى الحرب ومحروم وقد انفطرت الجسوم وانعقد الغبار حتى انه بقى مثل الغيوم وقد نفذت الأسنة فى قلوب الكرام وقد انطبقت عقبان الجو على الاجسام وبانت سرائر القلوب وصاروا بين غالب ومغلوب وناكب ومنكوب وقتك السمحاق على ذلك النجيب وفعل فعل غريب وقد كثر على بنى كلاب العدد وتزايد المدد واثخنوا بالجراح من شفار الهندو التجؤا الى أصوار البلد وقد كثر عليهم الصياح والزعاق من بنى سليم ومن عساكر العراق وعولوا على الدخول من الابواب فلم يقدروا على ذلك لكثرة الخلائق ونظرت الاميره الى ذلك فاشتد حنقها واوزر حدقها وأرمت البيضه عن رأسها وفدت أصحابها بنفسها وصارت تصدم الكتائب وتكف عن بنى كلاب المواكب وهم داخلين من الأبواب حتى لم يبق منهم إلا الأقل وعولت على الدخول وإذا بالسمحاق قد صدمها وهو على ذلك النجيب ورأسه كأنها رأس الغول وهو يهدر مثل بعض الفحول ويغرق الأبطال عرضاً وطول وعن يمينه وشماله أكثر من مائة مقتول وهو يتسعى ويقول يا بنى كلاب أنا أبى ثور العبد الغيور أنظروا ما تتحدثوا به فى الأماكن والديور فلما أن رأته الأميرة عادت إليه وهى تقول إن كنت أنت أبى ثور فأنا أقتلك على الفور ولم تزل معه فى قتال

إلى أن دهم الليل بالانسدال ولولا أن ظالم وضيغم أحموها من الأعداء لكانوا أسقوها كاس الردا (قال) ثم إن العساكر عادت إلى الخيام وعقبة فرحان لبنى كلاب بالانهزام وما فعل بهم السمحاق من العذاب وهو يدعو له ثم يقول أيها السيد لك الهنا وبلوغ المنا فما أقول أنهم ما بقوا يخرجون من البلد أبداً إلا أن كانوا يسلموا أنفسهم إليك وينقادون قهراً بين يديك فقال له السمحاق يا شيخ لولا كثرة الخلائق واشتباك البوائق لما كنت تركت اليوم ينقضى إلا بالانفصال ولكن إذا ازدحمت الكتائب بطلت شجاعة الراكب وما كنت أريد إلا أنهم يخرجون غداً للحرب والقتال حتى كنت أوريتك ما أبين من الفعال ثم أنهم نزلوا فى الخيام وقد انسدل الظلام وهم فراحا بالنصر والظفر وكانوا بنى كلاب قد دخلوا ملطيه وأكثرهم جرحا من سهام الأتراك بعد ما قتل منهم خلق كثير ولما أن دخلوا إلى البلدخلعت الأميرة عنها الحديد وأتت إلى ولدها الأمير عبدالوهاب وهى تقول ما شاء الله كان والله لقد بلينا بقوم لا يخافون الله ولا يعرفون العرض ولا الحسب ثم إنها نظرت إلى ولدها وإذا هو بارك على ركبتيه وهو مشغول القلب وهو يدعو إلى الله تعالى ويقول اللهم يا رافع السماء وباسط الأرض على الماء يا من قد حكم على خلقه بالفناء أجرنا من هذا الظالم الذى اوقع بنا العنا ولما أن دخلت الأميرة قال لها يا اماه انامشغول من اجلكم لأننى فى اواخر النهار سمعت اصوات عساكر الخليفة قد ارتفعت واصواتكم قدخمدت فقالت الأميرة نعم لأن يا ولدى الخلق كثير والعالم غزير وأنا قد امرت بنى كلاب بالمدافعة والممانعةعن انفسهم وقداوصيتهم ان لا يبذلوا فيهم الحسام وأن ياولدى آخر النهار قدقتل مناخلق كثير وقد أرموا القوم انفسهم علينا وكم جهدمايحترز الانسان فقال الأمير ومافعل هذا الأسود الذىقد أتى مع عساكر العراق فقالت الأميرة يا ولدى ما هو إلا فارس لا يطاق ولا يوجد مثله فى جميع الآفاق وانه ماكسر بنى كلاب غيره لأنه قد حمل فى آخر النهار فرأيت منه فارس جبار وإن لم اخرج انا إليه واكف شره عن الفرسان وإلا ابادهم وكان سبب اخذ البلد (قال) ولما ان سمع الأمير ذلك تحسر وقال لولا هذا المرض الذى اوهى جسمى واذهب صبرى وجلدى وإلا كنت بذلت المجهود مع هذا الأسود الذى طغى وتنمرد على اننى لابد لى فى غدأن احضر القتال ثم اباشر الطعن والنزال وإن لم اقدرعلى التمكين فأنا اقوى قلوب المجاهدين فقالت له الأميرة يا بنى لا تزعج نفسك ودعك على ما انت عليه ودعنا نحن على هذا الأمر صابرين فعسى ان يستحى منا امير المؤمنين وإن قلبي يحدثنى إننا منصورين ولو بعد حين ثم انهم اقاموا ينتظروا قدوم النهار وقد تصايحت بنى كلاب على الأصوار وهم يحفظون البلد حتى ذهب الليل بالاعتكار وطلعت الشمس بالشعاع والأنوار ونادى المنادى فى عساكر

الخليفة بالانزعاج فركبت العساكر مثل البحر العجاج ثم زحفوا يطلبوا الأصوار والأبراج فما وصلوا حتى فتحت ابواب البلد وخرجت الأميرة ومن وراءها الأبطال والأقيال وهم القوم الكلابية والطائفة المغازية فى طاعة رب البرية ، ولما ان صاروا خارج البلد صاحت عليهم الأميرة لا تبعدوا من تحت الجدار والأصوار وقاتلوا إلى ان يذهب النهار لأننا لا نأمن ان يملكوا علينا طريق الباب وما ندرى ما تكون الأمور والأسباب ثم انها قامت تنتظر من يفتح باب الحرب وكانت العساكر قد عولت على الزحف وإذا هم رأوا إلى الأميرة قد خرجت من البلد فى بنى كلاب فعندها اصطفت الصفوف وتعدلت الألوف وكان عمرو بن عبيد الله واقف تحت الصناجق والأعلام وحوله بنى سليم قيام فقال عقبه يا قوم أتدرون فيما انا متفكر فقالوا له فيما انت مفكر فقال فى عبد الوهاب الذى ما ظهر له خبر ولا ظهر للسودان أثر فقال عمر وصدقت يا قاضى وانا ايضاً ما رأيت اللملمان الذى اتى بأختك وما اقول إلا ان عبد الوهاب قد أخذ الجيش وسار بهم إلى بلاد الروم فقال له صدقت ولكن نريد ان ننجز امر هذه البلد ونملك ذات الهمة قبل ان يأتى هذا الأسود (قال) فما تم كلامه حتى خرج من بنى كلاب فارس جسيم هائل الخلقة عظيم المنظر ومن تحته جواد كريم مثل لون الليل البهيم ومعه رمح طويل عليه سنان يضىء كأنه قنديل ، وهو متقلد بسيف صقيل حاد الشفار قاطع الأعمار ولما أن صار فى الميدان صال وجال ولعب فى المجال حتى حير النواظر وأدهش الخواطر وأذهب عقل من كان حاضر ثم انه طلب الحرب والقتال وقد كشف عن وجهه اللثام وإذا هو الأمير ضيغم بن الأمير عبد الوهاب وهو ينادى ويقول دونكم والحرب والنزال ابرزوا إلى فارسكم الوقاح وبطلكم الججاح الذى قد ضمن للخليفة قتل أبى حتى أوريه طعنى وضربى (قال) ولما أن سمع السمحاق ذلك عول على الخروج إلى الميدان وكان واقف إلى جانبه عقبة القرنان فلما ان رآه أراد الخروج منعه من ذلك ثم قال له اصبر أيها الأمير فما هو من أقرانك هذا ابن عبد الوهاب نعمى أن تخرج هذه الداهية الدهماء والمصيبة العظمى إلى الميدان وتبرز أنت اليها فانك ان اخذتها افتخرت على اهل الأرض فى الطول والعرض فصبر السمحاق وقد سمع من شيخ النفاق هذا وضيغم يجول فى الميدان ويطلب براز الفرسان فبرز اليه فارس من بنى سليم وكان هذا الرجل مايكره من الدنيا غير ذكر الأمير عبد الوهاب او من يذكر بنى كلاب فما هو إلا ان برز إلى الميدان وجال مع الأمير ضيغم واذا به قد هجم عليه وطعنه بالسنان فى صدره خرج من ظهره ثم خرج اليه بعده رجل من عساكر العراق على جواد براق وفى يده حسام له لميع واشراق بشفرتين رقاق وأخذ مع ضيغم فى الجولان حتى اتعبه ضيغم فى الميدان واخذ معه فى الكر والفر والأخذ والرد والهزل والجد

ثم انه طعنه فى جانبه اقلبه عن مركبه فلما ان نظر السمحاق إلى ذلك لم يصبر بل حمل كانه قلة من القلل او قطعة من جبل ثم التفت لعقبه وقال له انا ما صدقت ان تصطف الفوف حتى اخرج ابين فعالى بين الفرسان الوقوف وأنت تمنعنى عن الحمل ثم صاح فى ذلك النجيب فركض من تحته مثل البرق الخاطف ثم انه جال وتلفح مثل ريح الشمال وقد نظرت الناس من فعاله الاهوال وكيف صار يتقلب على ظهر ذلك النجيب وقد اظهر كل امر عجيب وقد صاحت بنى كلاب على الأمير ضيغم ان يرجع فما رجع ثم انه قد اخذه الطمع وقد ظن ان الأمور كلها يكون فيها متسع وقد علم انه فى مقام الخطر مع هذا الشيطان الاغبر ثم ان ضيغم طعنه فما هو إلا ان وصل إليه الرمح حتى ضربه بالحسام الذى فى يده براه برى القلم ثم صاح صيحة ازعج بها كل من سمعه ورآه ومد يده إلى ضيغم ونشله ثم دحاه إلى وراه كادان يعدمه الحياة ولما ان نظر العسكر ان إلى ذلك قالوا هذه هى الفروسية المعلومه ومن هو عبد الوهاب او ذات الهمه هذا والسمحاق قد قارب عسكر بنى كلاب فنكس فرسانها الانجاب وشوش صفوفها التى كانت قد اعتدلت للضراب وقد بهتت اليه الابصار وقد خرجت اليه الاميره وعولت ان تحمل عليه وإذا بفارس قد خرج وسبقها اليه فنظرت إلى شمائله واذا به الامير ظالم وقد خرجت من شدة ماقد جرى عليه من فقد أخيه وقد ساوى السمحاق فى الميدان واخذا فى الضرب والطعان وبان الرابح من الخسران وبان الشجاع من الجبان وظهرت الزياده والنقصان إلا ان ظالم راى خصمه اظهر منه واعلا مكان فصوب الرمح اليه فما هو إلا ان حصل السنان صدر البعير حتى صاح وانفرك وسحب الرمح من الامير ظالم ثم انه رفسه رفسة جبار شديد او شيطان مريد فألقاه عن ظهر الجواد فمع ثقل الحديد ما لحق يتور حتى انه نزل إليه ومسكنه ونادى بالرجال فتقدموا واخذوه منه وقد نظر عقبه إلى ذلك فحار من هذه الفراسة وقال وحق المسيح هذه هى الشجاعة بعينها وان انا لقيت بعقل هذا ونصرته ملكت جميع الآفاق هذا وقد ضجت عساكر الخليفة هذا والأميرة قد ضاقت عليها الأرض بما رحبت وفاضت دموعها من الآماق وكاد قلبها أن يطير من الاحتراق فصاحت بجوادها وكان مثل البرق الخاطف وصارت تنادى يارباه اهلك اهل البغى والنفاق ثم انها قربت من السمحاق وصارت بين يديه ولما ان رآها علم انها بخلاف من لاقى من الفرسان وهى هاجمة عليه والشجاعة لائحة على اعطافها وهى تنشد وتقول

إلهى انت تعلم ماألاقى ... وتعلم بالمقيم على النفاق
وما يخفى عليك السريا من ... بقدرته بنا السبع الطباق
بحق محمد خير البرايا ... ومن اركانه فوق البراقى
أعن ما كان مظلوما ونادى ... على اهل البغى يبلوا بالمحاق

وها انا خرجت اليوم ارجوا   على السمحاق عونا فى التلاقى
لأنى قد كبرت وشاب راسى   وعزمى ثابت فى الحرب باقى
وقد خلفت ابنى وهو ملق   له روح تردد فى السباق
وهذا اليوم ابذل فيه جسمى   إذا جديت فى جيش العراق
وقدامى من الفرسان طود   ابت عن حمله الخيل العتاق
فاما ان افوز به واما   يجرعنى بكاسات المحاق

(قال الراوى) ثم ان الأميرة أطبقت عليه بعد شعرها وتلقته بصدرها وجاولته ولم تخشاه فكانت قدامه مثل البيدق قدام الشاة ونظر اللعين عقبة إلى الأميرة ولها من تحت الغبار صياح فقال يامسيح هذا وقتك انصر السمحاق عليها بقتل أو بأسر لأجل مانملك ملطيه ثم انه تقدم ينظر مايجرى فى الحرب والقتال وهما قد أخذا فى الطعن والضرب حتى زاد الغبار والكرب وجرى لهما عجائب وفنون وقد امتدت اليهما الأعناق وشخصت نحوهما الأحداق وقام الحرب على قدم وساق هذا وقد نظر السمحاق من الأميرة ذات الهمة مالم ينظره من غيرها وقد عمل بينهما الحسام هذا وقد أظهرا بين الصفين العجائب ولم يزالا كذلك إلى أن مضى أكثر النهار وقد تعلقت قلوب الناس بما تحت الغبار ووقع على الفارس الضجر والانبهار واختلف بينهما طعنتان واصلتان وقد نفذ فيهما قضاء الرحمن فأما طعنة الأميرة فانها وقعت فى صدر البعير فدخلت فيه وانزعج من ذلك السمحاق وأما رمح السمحاق فانه حكم فى كتف الأميرة أرماها عن ظهر الجواد فلما ان صارت فى الميدان أراد ان يهجم عليها ويأخذها فلم تصبر بنى كلاب بل حملت تروم خلاصها هذا وقد حملت العساكر واندفقت اندفاق البحار الزواخر وحملت الأكابر وعملت البواتر وخيم الغبار على الأقطار حتى بقى مثل الستاير وكانت ساعة تفطر المراير بان فيها الرابح والخاسر والجبان من الشاطر وكانوا بنى كلاب أسبق إلى الأميرة ذات الهمة أخرجوها من الميدان ونزعوا الرمح من كتفها وسيروها مع عشرين فارس إلى ملطيه ووقفوا الباقين للقتال وملاقاة الأهوال وأما العشرين فارس الذى مضوا بالأميرة فان السمحاق قد سبقهم إلى الباب قبل أن يصلوا اليه وصاح فيهم إلى اين يا كلاب تمضون وانا لكم فى الطلب ثم انه حمل على العشرين فقتل منهم ستة وهرب الباقين واحتوى على الأميرة وهى لاتشعر بما جرى عليها ولا تقدر تفتح فى الضوء عينيها فلما ان رآها وهى على تلك الحالة لاتعلم لفظ ولا مقالة عول على حملها وتقييدها وغلها وقدها بته الرجال ولم تجسر ان تدنو اليه الأبطال فبينما هو كذلك وإذا بفارس قد خرج من الباب وهو مثل الأسد الغلاب ثم فى الحال انقض عليه انقضاض العقاب وهو يقول انا الأسد الوثاب انا النمر الطلاب انا الأمير

المهاب انا ترس قبر النبي الأواب انا عبد الوهاب ولا بقى يمكن القعود والتخلف عن الأميرة فاطمة بنة مظلوم امة الحى القيوم ولو ان الصفاح تحب فى الأذمة ثم انه حمل على السمحاق وكان قد اندهل لما سمع بذكر عبد الوهاب وظن انه كان واقف فى الباب ونظر إلى هذه الأمور والأسباب وكان قد سأل عقبة عنه فقال له ماهو حاضر وإلا كان برز فى أول العسكر قال ولما ان رآه عاد إلى لقاه قال وكانت بنى كلاب قد انكسرت فى تلك الساعة واندقت قدام عساكر العراق وعادت طالبة الباب وقد وقع فيها المحاق وارتفع من خلفها الصياح والزعاق وعاد بعد ذلك السمحاق وهو طالب النجاه وصارت الخلق قدامه ووراه ثم انه شق المواكب وقد أيس من الحياة وصار مثل المجنون وما زال حتى أدركته عساكر الخليفة وقوت منه الهمة التى صارت ضعيفة وكان الأمير عبد الوهاب لما عاد السمحاق عول على أتباعه إلا أنه أعاقته أوجاعه وما كان حمله على الخروج إلا لما بلغه من خبر أمه وما جرى عليها فخرج من شوقه اليها وكان خروجه سببا لنجاتها هذا وقد دامت الرجال على القتال إلى أن ولى النهار ورجعت بنى كلاب إلى البلد وقد أحمت أنفسها من كل أحد وأعانوهم الذين على الصور إلى أن رجعوا فى هنا وسرور وعادت عساكر العراق وهى متعجبة من فعال السمحاق فلما ان نزلوا فى الخيام قام عقبة وأحضر أولاد الأمير عبدالوهاب وكانوا فى سرادق الأمير عمرو بن عبيد الله وفى الحال أمر بالقيود فوضعت فى أرجلهم ثم أمر بتكتيفهم فكتفوهم وقال لهم ياويلكم أنتم تتجبروا على عباد الله الصالحين وتنافقوا على أمير المؤمنين ولا ترعون حرمته على المسلمين وكلما جرى عليكم فى هذه النوبة من والوبال فهو بما فعلتم فى الست الماصونة والجوهرة المكنونة السيدة عاقبة لما ان رميتموها بالزور والمحال واتهمتموها بدين الضلال فقال له ظالم والله ياملعون انها أكثر منك وأشد لعنة فى دين النصرانية وأكثر اشتراك منك برب البرية وبشؤمك وبشؤمها غضبوا علينا السودان ودخلوا إلى ديار أهل الكفر والطغيان ولولا فقدهم ومرض الأمير المفضال وإلا كان طال عليكم فيما تريدون المطال على أن جميع الأمور لها أول وآخر ولا بد أن الله يهتك سترك ولو بعد حين ويصدق فيك الوعد من خاتم النبيين فقال عقبة أنتم إذا أردتم النفاق على الخليفة ماتجدوا لكم حجة إلا قولكم ان عقبة نصرانى وبهذا الأمر يصب الله عليكم العذاب ويعجل لكم العقاب ويضاعف لى كثير الثواب ثم انه أمر عمرو برفعهم فرفعهم ووكل بهم جماعة من أصحابه ثم انه ادعا بالسمحاق ثم شكره على فعاله وأخذه معه إلى خيمته وقال له ابشر بما تريد فأنا ما أقنع لك بخدمة الخليفة ولا أرضى أن تكون لهم غلام بل إنى أسيرك إلى بلاد يكون لك فيها ملك كبير وتكون

بعساكر وقلاع وغلمان وضياع فشكره السمحاق على ذلك ثم أنه قال له وأنا الآخر فى غداة غد انجز لك أمر من بقا فى هذه البلد واقود إليك فرسانهم والأبطال إن خرجوا إلى القتال وأسير بعدها معك إلى اى مكان شئت اتبعك (قال الراوى) فهذا ماجرى لهؤلاء وأماما كان من حديث أهل ملطيه فان الأمير عبد الوهاب قد ادخل أمه وهى على آخر نفس لما ان تركها السمحاق وهرب ولما ان بقوا من داخل البلد شدوا لها الجراح ثم سقوها الشراب ففتحت عينها وكلمت الأمير عبد الوهاب وسألته عن حاله فأخبرها بما تم له وجرى له وكيف أنه ركب وخلصها من الأعداء فشق ذلك عليها وقالت له ياولدى قد اتبعت نفسك وانت فى هذا الحال وقد خرجت إلى هذا الجبار فوالله ياولدى لقد رايت من قتاله مالم اراه طول عمرى من مخلوق وقد خانى عند ملاقاته صبرى وجلدى على انى ماخرجت إلا من حرقة قلبى ولما ان تلاقينا لولا ان وصل رمحه كتفى لما كان قدر على والساعة فما بقا فى خروجنا إليهم من فائده وما بقى فى الأمر إلا ان نحفظ الأصوار ونلزم الحصار إلى ان يفرج الله عنا الملك الجبار الحليم الستار لأننا إن خرجنا إليهم كنا خاسرين وهم رابحين فقالوا بنى كلاب والله ايتها الأميرة ما بقى فينا من يقاتل هذه العساكر ولا يخرج إلى قتال هذا البطل الجلاحل ولولا وقوعك اليوم فى القتال وطلبنا خلاصك من الأهوال لما كان احدا منا خرج لأن العدد كثير والجمع غزير ثم إنهم طلعوا إلى الأصوار وباتوا يحرسون البلد إلى ان طلع النهار فعندها ركبت العساكر من كل جانب وترتبت المواكب وانتظروا من يخرج فما احد خرج ولا فتحوا ابواب بل إنهم تصايحوا من على الأصوار وقد نظر الأمير عمرو إلى ذلك فقدم الاتراك بالسهام وقال لهم دوروا بالبلد داير ماداروا كشفوا الأصوار فما بقا يشدلهم حزام وفى هذا اليوم اوفى غد نهدم الأصوار ثم ننال منهم ما نختار هنا لك دارت الاتراك بالقسى والسهام وقد بان الضعيف من الهمام وطلع الأمير عبد الوهاب إلى برج الباب وامر برمى الأحجار والصخور الكبار واشهروا السلاح والعدد واظهروا المناجيق واختلف الرمى على الهوى واشتدت البلوى ودام القتال والعنا حتى ولى النهار بالضيا ورجعت عساكر العراق خاسره إلا انها مثل البحار الزاخره رجعوا إلى الخيام واجتمعوا بالقاضى عقبه ووجوه بنى سليم وأخذوا فى المشورة والتدبير فقال عمرو ومادام أن القوم قد لزموا الحصار فلابد ماتطول علينا الأيام ولاننال غرض وربما استعجلنا واستبطأنا الخليفة ثم يرسل من عنده عساكر وأجناد فقال لهم السمحاق لوكانوا خرجوا الى القتال كنت تركته يوم الانفصال لانى كنت أملك عليهم الباب وأترك العساكر تقبض على بنى كلاب لأنى لما أن ملكته فى النوبة الأولى كنت راجل والا ما كان وصل اليه منهم واصل فقال عقبه يا أمير ان كان ما غرضك الا خروجهم من البلد فانا أدبر لك تدبير ماسبقنى اليه أحد وادع

لك القوم يخرجون عن آخرهم وان شئت خرجوا بأموالهم وذخايرهم فقال عمر وكيف تقدر على ذلك أيها الشيخ الصالح فقال عقبه أقدر إن كنت تطاوعنى على ما أريد من المصالح فقال عمر وأنا أطاوعك على ماتريد ولا يكون لنا عن رأيك محيد فقال له ارسل الساعة من بنى سليم عشرين ألف فارس وقول لهم يقصدون رؤس الضروب من غير جلببه ولا حس فاذا أصبح الصباح يركبون وإلى ملطيه يقصدون وتكونوا أنتم قددرتم حول البلد فلما أن يأتى اليكم الغبار تظهرون الفزع وأنت يا أمير عمرو تزعق فى العساكر حتى ترجع وينظرون اليكم من على الأصوار وينظرون إلى الغبار الذى طلع فيظنون أنه سودانهم قد أقبلت ورجعت إلى ما كانوا عليه من العهد القديم هنا لك يفتحون الأبواب ويخرجون فى طلب الطعان والضراب وما يبقى أحدا فى البلد الا ويخرج طمعا فى نهب الأموال وربما خرجت معهم العيال ويكون يوم الانفصال وبلوغ الآمال قال ولما أن سمع الأمير عمر ومن عقبه ذلك الكلام أظهر الفرح والابتسام وقال أحق للخليفة أن يسميك ناصح الدين ووالله أن صح هذا التدبير وخرجت بنى كلاب الى القفار لاتركنا منهم ديار ولانافخ نار فقال له السمحاق يالك من شيخ ماأحيلك وماأحكم حيلك قال وفى الحال أدعى عمرو بابن عم له يقال له محمد بن أبان السلمى وضم اليه عشرين ألف من بنى سليم وأوصاه بما يفعل وأخبره بما أحكم عقبه من الحيل قال ففرح بذلك وسار بالأبطال ومعهم رايات وأعلام مع رايات السودان وأعلامهم وطلب رؤس الضرب وهم جرائد على ظهور الخيل وكان عمرو بن عبيد الله قد أوصاهم أنهم لا يأتوا الا اذا تضاحا النهار واشتد الحصار ثم أنهم أقاموا إلى أن أصبح الصباح وثارت الرجال تطلب القتال وهم فراحا بما دبر عقبه من الاحتيال هذا وقد انتخب بنى كلاب وخرجب الأميره ذات الهمه والأمير عبد الوهاب وكانت الأميره قد وجدت فى نفسها راحة من الألم فخرجت لتقوى قلوب بنى كلاب قال ثم أنهم تصادموا وقد اشتد بينهم القتال ودام النزال وتقاتلوا بالأحجار الخفاف والثقال وعظمت الأهوال وظلت الرجال تزحف والأرواح تخطف حتى تضاحا النهار وإذا قد أشرف من رأس الدروب غبار وقتام وكان أول من رآه بنى كلاب الذين فوق الأصوار فضجوا بالصلاة على النبى المختار وصاحوا على بنى سليم حاكم البلا والبوار يا أوباش العرب يا أهل البغى والاغترار اليوم يفنوكم السودان ولا يرجع منكم إلى العراق إنسان قال ولما أن سمع عقبة ذلك قال لعمرو قد بلغت الآن المراد والآمال فصيح على العساكر ودعها ترجع عن القتال وتمتنع عن البلد وتظهر الانخذال وانظر الساعة كيف يخرج كل من فى ملطيه بسبب نهب الأموال فعندها نادى الأمير عمرو فى النقباء وأمرهم بذلك فرجعت العساكر وبعدت عنهم وتركوا الخيام

على حالها وهربت الكتائب وتركت رحالها هذا والأمير عبد الوهاب يقول للأميرة يا ترى رجعوا إلينا السودان فقالت له الأميرة يا ولدى وايش الذى عملناه مع السودان من القبيح حتى أنهم يتركوا نساءهم وأولادهم ويطلبون المقام فى بلاد الروم وإنما اللملمان قد فعل ولعب بهم ففعلوا مافعلوا والآن فقد عادوا فى وقت الحاجة إليهم وهذه إن شاء الله تكون وقعة الانفصال فدع المطال واخرج بنا إليهم نساعدهم على القتال فلعلنا نبلغ منهم الآمال ويعول هذا العسكر على الارتحال فعندها نادى الأمير عبد الوهاب فى أبطال بنى كلاب فخرجوا يطلبون الطعان والضراب والأمير يقول لا أحد منكم يشتغل بنهب مال ويترك الحرب والقتال لأننا لا ندرى كيف يكون الحال (قال) ولما أن صاروا ظاهر البلد وبعدوا عن الأصوار تأهب فى ذلك الوقت السمحاق وعساكر العراق وقال لهم اشغلوا بالحرب بنى كلاب حتى أننى أملك أنا عليهم الباب فبينما هم عولوا على ذلك وإذا بغبار قد ظهر وانكشف وبان على أعين النظار عن خيل متبددة متفرقة فى أقطار الأرض ودروعهم قد غرقت بالدماء وأكثر خيلهم شاردة فى البيداء فلما أن عاين الأمير عمرو إلى أول القادمين فسأل عن حقيقة الحال وإذهم من بنى سليم الذين قد أنقذوهم بتدبير عقبة فقال لهم عمرو يا ويلكم ما حالكم وأين باقى رجالكم فقالوا لا تسأل عن الحال فما بقى لنا رجال أما رجالنا فقد هلكت ودماؤهم قد سفكت ونحن إلى الآن ما نقول أنا سالمين من هذا البلاء الذى قد دهانا والأمر الذى قد همنا وهذا كله من قاضينا عقبة الناصح هو الذى أحل بنا هذه القبائح والأمور والفضائح فقال لهم عمرو كيف ذلك فقالوا يا أمير أنت لما أن أرسلتنا وأمرتنا بالمسير إلى رؤوس الدروب سرنا وقد نزلنا وقت السحر لنأخذ لنا راحة ونعود نركب فما حسينا إلا والسودان قد داروا بنا من كل جانب ومكان وضربوا فينا بالسيف والسنان لأنهم قد سألونا عن أنفسنا فأخبرناهم أننا من بنى سليم وما أمكننا أن ننكر منهم فما هم إلا أن سمعوا منا ذلك المقال حتى أنهم بذلوا فينا الصوارم الصقال وقالوا لنا يا كلاب العرب أنتم الذين أحوجتمونا على الأمير عبد الوهاب نغضب ثم أنهم حملوا علينا ونحن نازلين للراحة فما لحقنا أن نركب الخيل إلا وقد لحقنا الذل والويل وقد أبادنا اللملمان وصاحوا فينا أبطال السودان وما سلم منا إلا ما ترى وما تدرى بعدها ما جرى (قال الراوى) فبينما هم مع عمرو فى هذا الشأن وإذا بالسودان قد وصلوا وهم مثل العقبان وقدامهم غنما تملأ الصحصحان وكثير من أسارة عبدة الصلبان فلما أن أقبلت السودان ورأوا إلى ملطية وهى محاصرة صرخوا صرخة عظيمة منكرة ثم أنها حملت وللسيوف والأسنة بذلت وقد تركوا الغنائم فى أوساطهم وداروا بها من كل جانب ومكان واختلفت

الضرب والطعان فعندها صاح السمحاق فى عساكر العراق يا ويلكم دونكم والبلد حتى أننا نملكه من دون كل أحد قبل ان يكثر علينا العدد ويتزايد المدد ثم ان السمحاق نبه النجيب فسار من تحته مثل الثعبان او الذئب وسار يطعن على ظهره فى البعيد والقريب وقد أجرى دماهم حتى صارت خارجة من نحورهم كالأنابيب فقاتل قتال اظهر فيه الأعاجيب ولم يبق حبيب مع حبيب ولا قريب مع قريب فما كنت تسمع الأصياح ودمدمه وزمجره وهمهمه والأقطار من شدة القتام والقتار مقتمة وكانت الأميرة من شدة ما بها من ألم الجراح لا تستطيع أمر من الأمور والعظام فصارت تدعو لولدها بالنصر والإعانة من الله وكان الأمير قد غاص فى الوغى على ما به من شدة البلوى فبينما الأمير يجول فى عساكر العراق وإذا هو قد التقى بالسمحاق وهو ينثر رؤوس الرجال ويلعب بمهج الأبطال وينادى أنا السمحاق أنا مورث المحاق ، وقد انقض بعدها على الأمير عبد الوهاب انقضاض الباز أو العقاب وبقى وإياه فى مقام الضراب فلما أن نظر الأمير إلى ذلك حب أن يركب معه مركب الخطر ويدافع عن نفسه على ما به من الضرر ، وقاتله ساعة من ساعات النهار وقد وقع بالأمير الضجر وأراد أن يخاطر معه إلى أن يموت أو يظفر به وإذا بالضجات فى عساكر العراق قد ارتفعت حتى كادت أن تصم منها الأسماع وذلك أن السودان فيها قد حطمت بعد أن قتلت من بنى سليم عالم عظيم وأقبلت تهز رماحها والزبد خارج من أشداقها واللملمان يصيح ويدمدم ويزعق ولنار الحرب يعزم فلما أن نظر السمحاق إلى ذلك خلى عن الأمير عبدالوهاب وطلب لنفسه النجاه وقد زال عن الأمير مايخشاه وبعدها عملت الصفاح وراحت الأرواح وما زالوا إلى أن ولى النهار بضياه وأقبل الليل بظلماه وانفصلت الطائفتان ورجعت السودان واللملمان واجتمع على الأمير وسلم عليه واعتذر عما جرى إليه وأما أبو الموت فانه قال لعن الله الحياة بعدك أيها الأمير فقال الأمير هذا كله من الله الذى هو بأحوال عباده خبير وهو نعم المولى ونعم النصير فقال اللملمان لا تضيق صدرك ولا تشغل فكرك فلنا فى رضاكم ودعاكم مايقينا من كل أذى ولا تشعت بنا الأعداد ولانبالى بهم ولو كانوا فى عدد رمل البيداء وأما هذا الاسود الذى يقاتل على الجمل لا بد ما أعصرلك خصاه وأقوده قود الراعى للشاة وان لم أفعل ذلك لا قربنى الجد الكبير أبوا الغراطيس ولادانانى وصار جلدى فى لون اسنانى قال ففرح الأمير من مقاله وفرح بعودته وعودة رجاله ورأى مامعهم من الغنائم فصار متعجب فأدخلها كلها إلى ملطية وقال خلها محفوظة لكم فى البلد هذا وقد باتت الناس يتحدثون لأجل مالقوا من القتال وقد سألوا السودان عن الأمير فأخبرهم الأمير بما هى فيه من المرض وأما السمحاق وبنى سليم فانهم

باتوا ضيقين الصدر من كثرة ماقتلوا منهم السودان فقال الأمير عمرو والله أيها القاضى أن ماأهلك الناس إلا هذا الشيطان الذى أتى باختك من أبعد مكان فقال عقبه أقسم قسما صادقا ما كان تدبيرى الانعم التدبير ولولا قدوم هؤلاء لكنتم أخذتم ملطية فقال له عمر ونحن ما نريد منك إلا أنك تحرص لنا السمحاق وتدعه يكفينا مؤنة الللبان وأبو الموت وقد فات، فى الجميع الفوت فقال لهم السمحاق دعوا هذا الكلام إلى أن يصبح الصباح وأنا ابين لكم ماأفضل ببنى كلاب وهؤلاء السودان الانجاب ولو كانوا هم من جنسى ونفسهم من نفسى ولا اتركهم ينسبونى بالعجز والخسران ويحتقروا الناس مقامى فى كل مكان ولما أن بان النهار ثم أشرقت الشمس بالأنوار عمدت الرجال إلى دروعها ونصالها وركبت الخيول الصوافن وترتبت فى جميع الاماكن وتحرك فى ذلك الوقت كل ساكن وجردت السيوف التى من المعادن وقد اصطفت بنى كلاب وكانت قد قويت قلوبها بالسودان وقد ركب أبو الموت والللمان وأعتدلت الصفان واشتاقت إلى اللقاء قلوب الشجعان وكان أول من برز السمحاق على نجيبه المعد للحرب والطلاق وقد غاص فى الزرد الاشهب وأكثر من السلاح خوفا من العطب وكان فى يده عامود من الحديد وخشتين لأجل الحرب الشديد ثم انه جال وصال على ظهر هذا الجمل وهو ابذلك القدر والهيكل فحاروا من رؤيته وذهلوا من صورته ثم قالوا والله أن هذا لايبارز ولايناجز (قال) فلما أن عاين الللمان ذلك انقلب حاله وهز رأسه وتقدم إلى الأمير عبد الوهاب وقال له ائتنى بجمل أركبه وأخرج إلى هذا الملعون أعجل عطبه وأجمع بين رأسه وذنبه وأقوده اليك واسحبه وأدس رأسه فى است من جلبه (قال الراوى) فضحك الأمير من كلام الللمان ثم انه قال له أعلم أن ماعندى أكثر من الجمال ثم أمر الأمير ان يأتوه بجمل مليح فأتوه به فوثب وركبه ووشحه بالسوط وصاح عليه فطار به حتى صار قدام السمحاق مثل البرق البراق ثم انهما عملا مع بعضهما عجائب وأهوال وقد ضاق بهما المجال حتى وقفت من تحتهما الجمال وهم يميلون على ظهورها مثل النخيل الطوال وقد تصادما مصادمة الجبال وتطاعنا بالرماح الطوال ولم يزالا فى قتال حتى تقصفت منهم الرماح وتخدشت أبدانهم من الجراح وقد ضرب كل واحد يده فى الحسام وأخذا فى الصدام والنقض والإبرام فى الحرب وصار الحرب دائم وكل منهم من دماء جراحه عائم وقد ظن انه لنفسه عادم فلما ان تعبا من الكفاح فى الضراب عادا إلى الرشيق بالحراب فكان الواحد منهم يضرب رفيقه بالحربة ويقول انها تأتى صائبة ولما ان اتصل إلى خصمه يلتوى منها فى جنب الجمل ويتركها تمر خائبة ثم يعود إلى مكانه ويجول فى ميدانه والصفوف تتعجب منهم كل العجب وتتعوذ من فعالهم الترك والعرب والغبار عليهم قد طنب ولا منهم إلا من زاد به الغضب

فلما ان خليا من السلاح عادا إلى الضرب بالأعمدة وقد هزوها في أيديهم حتى كادوا أن يطيروا منها الخلق وبعدها صاح كل واحد منهم وزعق وتصادما بالجملين فكانا كأنهما طودين ثم خرج من الإثنين ضربتين بالعامودين فكان السابق بالضربة اللملمان وصاح في عقبها أنا سيد السودان فنزل العامود على رقبة جمل السمحاق فطيرها فلما ان رأى إلى ذلك السمحاق فزع من اللملمان فزع شديد إلا انه اجتمع ووثب صار على وجه الأرض مثل السلهب وتقدم إلى جمل اللملمان وقد زاد على جملة أسفه ومسك بعرقوب جمل اللملمان أوقفه ثم ضرب بالعامود جنبه نخسفه وعجل له هلاكه وتلفه وكان اللملمان قد وثب من على الجمل إلى الأرض من حين مسك الجمل ثم قال يا كلب السودان خلى عنك قتال الحديد ودعنا نتصارع على وجه الصعيد ليبان منا الفارس الجليد من الجبان البليد

(قال) ففي الحال أرميا العامودين إلى الأرض ورجعا من صنعة الحرب والقراع إلى قوة الزند والباع وعزما على الصراع وأقبلا على بعضهما مثل السباع الجياع هذا والناس اليهم ناظره وعقبة صار يتضرع ويقول يامسيح أنظر السمحاق بعين الرضا على اللملمان لأجل ما يكون ناصر لدين الصلبان والناس بقوالهم منتظرين وعلهم متفرحين (قال) ولم يزالوا كذلك إلى أن بقي نصف النهار وقد حمى البر وتوقدت الأحجار وقد علما أن جميع الناس لهما في الانتظار فعند ذلك هجم اللملمان على السمحاق وجذبه جذبة الأسد الغضبان فمع هذا اعتر اللملمان في حجر ثابت في الأرض فوقع على قفاه فركب السمحاق على صدره مثل الأسد الأدرع فمد اللملمان يده يدافع عن نفسه فوقعت يده على عدة السمحاق وكان السمحاق في أمله واسعة وغنا من هذا الحال فقبض اللملمان على هذا المعلاق المجوز مع بيوضه وعصر عليه كادت أن تخرج روح السمحاق وغاب عن الدنيا ولم بقي يعرف ما بين يديه وانقلب اللملمان عليه وفي الحال صار من فوقه بعد ان كان من تحته وقد أداره كتاف وهو لاينظر ولا يسمع ونظر الملعون عقبة إلى ذلك فصار يمسح في عينيه ويتطلع وعينه من الغيظ تدمع وصار يقول أنا أعلم ان هذه العساكر بعد ما أخذ هذا الرجل وأسره ما بقيت تنفع ولا بد ما يعمل السيف فيها إلى أبواب العراق ويحل بها الفنا والمحاق (قال) فبينما عقبة يحسب هذا الحساب وإذا قد حمل الأمير عبد الوهاب وحملت بعده بني كلاب وكان قد أخذ السمحاق من اللملمان وأرسله إلى ملطيه مع الغلمان وحمل أبو الموت وحملت معه السودان وفي مقدمتهم اللملمان والتفت الجيشان وعمل السيف والسنان ودام الضرب والطعان ولم يزالوا كذلك إلى أن أمسى المساء وخندست الظلماء فعند ذلك حطت الحرب أوزارها وخمدت لهيب نارها فلما ان رجعوا إلى الخيام وانفصلوا من الصدام أمر الأمير عبد الوهاب أن يحضروا بين

يديه السمحاق فأحضروه اليه وهو مكتوف اليدين فلما ان حضر ووقعت عينه على عين الأمير عبد الوهاب ألقى الله سبحانه وتعالى محبة الأمير فى قلبه وكذلك نزلت محبته فى قلب الأمير فأشار الأمير إلى اللملمان أن يحل كتافه فقال اللملمان أيها الأمير لاتحله من كتافه فانه ولد زنا ولا بد ان أمه ما لقطت فيه من واحد أبيض والا ما كان ضرب فى وجوهنا بالسيف ونحن أولاد عمه من لحمه ودمه ثم ان اللملمان سل سيفه وهجم على السمحاق أن يضربه فصاح عليه يا ابن الخالة لا تفعل فما أنا فيما فعلت إلا معذور فلا تقتلنى فتطالب بدمى يوم العرض والنشور لأننى كنت مقيم فى الجبال لأجل أكل الأموال وكنت خالى البال من النساء والرجال إلى أن جاءنى رجل محتال حلو الحديث والمقال فلعب بعقلى وقال لى أنا أتركك صاحب مدن وقلاع فرمانى الطمع وما علمت اننى فى أيديكم أقع ولكن الساعة أثنى على ذلك الشيخ الذى كان هو سبب اجتماعى بكم لأن لولاه ما كنت عرفتكم ولا شفتكم والآن من فضلكم ومن إحسانكم تقبلونى عبداً لكم من بعض خدمكم وأقاتل عدوكم وان كنتم غنيين عنى ولم ترضوا بى خدام بيعونى نفسى بالمال ولا تقتلونى فان قتلى لا يجيكم منه منفعة فقال له الأمير عبد الوهاب نحن ما نستغنى عنك وأما المال الذى قد ذكرت فليس لنا به حاجة وما أموالنا إلا الجهاد فى القوم الكافرين ونصرة الدين القويم المتين ان كنت صادق فقال أيها الأمير خذ على عهود ومواثيق فقال الأمير اللملمان حلوا يديه وأمر بخلعة له فأغرقت عليه ثم انه أصلح فى الحال بينه وبين اللملمان فصاروا عباد الله إخوان وأمر الأمير باتيان الطعام فأكلوا حتى اكتفوا وباتوا يتحادثون هذا والأمير عبد الوهاب يقول للأميرة إنى لاعجب أيتها الأميرة من عقبة كيف لعب بعقل هذا الرجل الجاهل وحسن له الكفر ونصره فلما ان سمع السمحاق من الامير هذا الكلام قال له والله أيها الامير انه دائما يقول لى أنا لابد لى ياولدى ما أرسلك إلى مكان تكون فيه دائما أبدا معظم القدر محتشم ولك عبيد وخدم وأهديك إلى الدين القويم والصراط المستقيم وأنا ما كنت آخذ كلامه فى بالى ولا كنت أعهد أن هذا الشيخ الكلب اللعين نصرانى ولا كنت أعرف ما اليه دعانى فقال الأمير اعلم يا فتى انه يعبد الصليب ويشد الزنار ويكفر بالرحمن الحليم الستار وأنا ما حسرتى إلا أن يقع فى يدى لأجل ما أشتفى منه بعذابه وكنت أضيفه إلى هذه الماكرة عاقبة أخته فقال السمحاق يا مولاى اننى جاهل بهذه الديار كنت تبعته أين سار وقدته قود الحمار فقال الأمير وأين هو الآن فقال يا مولاى لابد ما سار إلى بلاد الروم لانه دائما أبدا كان يقول لى يا ولدى ان ظفرت بهذه العساكر كان والا أخذتك وسرت إلى بلاد الروم وأفرجك على ملة النصرانية ونجلب منها العساكر القوية وأظنه أيها الأمير لما أن رآنى أخذت طلب

طلب النجاه لنفسه وأن الذى يعرف الطريق يقدر يلحقه ويأتى به فقال اللملمان أنا أمضى من ساعتى هذه وألحقه فقال أبو الموت وأنا رفيقك فقال السمحاق وأنا ثالثكما لعلى أن أقع به وألطمه على خده فقال الأمير اغعلوا ما بدالكم ثم أن الأمير أمرهم بالمسير فركبوا ثلاث جمال وسار أبو الموت أمامهم لأنه أخبر ببلاد الروم (قال) وكان اللعين عقبه من حين أخذ اللملمان السمحاق وحملت بنى كلاب على عساكر العراق وأبصر بنى سليم قد وقع بهم المحاق فعلم الملعون انهم ما بقوا يفلحوا أبدا فعندها ركب الملعون جوادا كان يسمى السحاب فشد عليه ثم أنه قبل ما بين عينيه وقال يامصاب المطلوب منك أنك تنجو بى إلى بلاد الروم وتخلصنى من هذا الأمر المذموم حتى أننى أزيد لك فى العليق وأقبلك بين عينيك فى النهار عشرين طريق ثم أنه ركبه وسار طالب بلاد الكفار الى أن تضاحا عليه النهار وأمن على نفسه من الاخطار ونزل فى مرج واسع وفيه منابع وترك الجواد يرعى وقعد يحسب حساب الأعداء وصار يقول أنا ما أعلم أن ما ينكسر الا عساكر العراق ربما سار الخليفة بنفسه واشتدت الفتن وهلكوا بعضهم بسيوف بعض وان شاء السيد المسيح يقتل هذا الأسود الزنيم وأنا غائب فى بلاد الروم وأنا أحوج الملك ارمانوس الى الركوب ليهلك ما يتبقى منهم ويحتوى على البلاد (قال الراوى) فبينما هو ويتحدث بهذا الكلام وإذا هو قد رأى ثلاثة أشباح وعنهم الغبار قد ارتفع ولاح فقال عقبه ياترى هذا الثواب الذى عمله معى المسيح وايش هذا السواد المقبل ثم أنه صبر الى أن قرب وانكشف وقد حقق ماتحته وعرف فوجدهم ثلاث أشخاص منهم اللملمان والثانى السمحاق والثالث أبو الموت وهم قد أقبلوا تلك الأرض بالصياح والزعاق والجمال التى تحتهم كانها فى سيرها البرق فلما أن رأى إلى ذلك عقبه تار على حيله وكان فى فمه لقمة فأنفض بها وصار يقول كريا ليسون يا بركة دير الناقوس ثم أنه أتى إلى الجواد وأراد أن يركب فانزعج منه الجواد وهو قادم عليه بالسرعة فقام الجواد يجرى فخرج وراء عقبه مثل السهم فالتفت الجواد رآه وراءه فشال رجليه الجوز وحكمهم لصدر عقبه وأعطـــاه ألقاه على قفاه وولى وخلاه فثار عقبه وجرى وراءه وصار يقول هذا جزايا منك يامال الحرام أقبل غرتك تجازينى برفصتك فما يكون لعقبه عند الجواد جواب الا منازلته بالجوز ولكن كل طاب أحسن من سته وما زال يرقعه اجواز ويقع ويعود يقوم ويتبعه إلى أن أدركته السودان وقالوا له إلى أين تذهب يا قرنان ونحن وراءك مثل العقبان فلما أن رأى عقبه إلى ذلك حل با الخيل وكان بالقرب منه جبل فصعد على ذلك الجبل وصار يلهث ويرتعد من الفزع فلما أن رأى اللملمان منه ذلك ترجل وصعد وراءه إلى الجبل وترجلوا بعدها أصحابه وطلعوا الجبل فصار

عقبه يدحرج عليهم الصخور والأحجار ويصرخ من خوفه منهم مثل صريخ الجمال وما زال يعدو وراءه إلى أن تعب وارتخت جميع أعضاءه فعندها قفز فى ذلك الوقت السمحاق ومد يده مسك الملعون من عرقوبه وجذبه وقع على وجهه وما زال يجره هكذا من عرقوبه والأحجار تكركب فى قواعة مخ قرعته من فوق الجبل إلى أسفل ثم انه لما بقى به تحت الجبل قال ابو الموت هاته يا اخى عنك فأخذه منه ثم أنه مسكه من أذرعته وشاله من فوق رأسه وضرب به الأرض ثم أنه ناولة للملمان فأخذه وحدفه فى الهوى وكان قد حدفه باليمين ولقفه باليد اليسرى (قال) وما كان للملعون دأب الاقراءة القرآن وذكر محمد سيد ولد عدنان فقال اللملمان لأبو الموت يا أخى ان الأمير أبو محمد قد ذكر ان هذا الرجل النصرانى يعبد الأصنام وها أنا أراه الساعه يقرأ القرآن فقال أبو الموت هذا كله محال ويعلم انكم بحالة جهال فيقول أخدعهم بالضلال عسى أنهم يرحمونى ويطلقونى فقال لهم السمحاق يا اخوان إن كان مسلم أو نصرانى مالنا به حاجة نحن ماسرنا الا فى حاجة الأمير نقضيها ولا بد لنا ان نوصل حاجته اليه يفعل بها مايشاء فقال عقبه ياولدى انت نسيت العهد الذى بينى وبينك ونحن فى داخل الدخله مع انى كنت السبب فى مجيئك الى ههنا فقال له السمحاق ياشيخ اعلم ان ما بقى لى فى نفسى حكم لأنى قد صرت عند اخوتى وبنى عمى وهم هؤلاء السودان أبناء جنسى وان خرجت عن طاعتهم فما أكون ولد حلال ثم انهم ركبوا الجمال وعولوا على العوده إلى مطيه وقد ركبوا عقبه على جمل أبو الموت على جوادعقبه ودارو ا بعقبه وساروا إلى أن أمسى المساء ونزلوا للراحة والمبيت وعقبه لا يفتر عن قراءة القرآن ولا ساعة واحدة ولما أن نزلوا واستقر بهم المقام قدموا بينهم الزاد وقدموا منه إلى عقبه ثم إنهم أطعموه وهو يقول والله يا قوم ما كان فى نيتى أن أفطر لعل الله ان يخلصنى من هذه الشدة فقال له اللملمان أنت تقول انك مسلم فمالك لما رأيتنا انهزمت منا فقال له عقبه والله ياولدى أنا ما انهزمت منكم إلا لما علمت انكم أتيتم من عند الأمير عبد الوهاب وهو عدوى من أيام الصبا وما وقعت به قط إلا وأضربه وأعذبه وما وقع بى هوالا وشرط بالعقوبة ويكسر نفسى وقلبى وكذلك الله سبحانه وتعالى كل قليل يجازيه بذنبى فقال أبو الموت يا ملعون أنت لمن تقول هذا المقال فهؤلاء ما يعرفوك وأنا الآخر أجهلك فقال اللملمان وأنا الآخر صرت أعرفه لأننى قد حملت أخته الملعونة من ديار مصر إلى غزه على أكتافى وأنا فى طول الطريق أعبث بها وما زالوا يتحادثون إلى أن هجم الظلام وصار السمحاق يحكى لهم على ما كان يقول له عقبه وهو واياه فى تلك الدخله ويخبرهم بما ترك فى ذلك البر من المال وما قتل فى تلك المغاور من الرجال وكيف كان يأخذ القوافل وحده هذا واللملمان يتعجب

وما قتل فى تلك المغاور من الرجال وكيف كان يأخذ القوافل وحده هذا واللملمان يتعجب من ذلك ثم قال له ياويلك وهذا الوصف الذى وصفته فى نفسك فأنا ما رأيت منه شىء فى الحرب لما ان بارزتك ولولا انى عثرت بالحجر لكنت بقوة زندى أخذتك فقال له السمحاق لا والله يا ابن الخاله أنا الذى كنت أظهر منك فى الصراع ولولا انك مسكت بيوضى ما كنت خلصت من يدى لأنى مثلك كثير قد لاقيت وافنيت ولا ابقيت ولا فيهم من رمانى قط على وجه الأرض فلما ان سمع اللملمان من السمحاق ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وقامت عيناه فى ام راسه ثم انه قال له اراك تقول انك اقوى منى وافرس وانا قد قهرت سائر فرسان مصر وبيت المقدس وان كان مالك حجه إلا مسك معلاقك فقوم بنا الساعة نتصارع انا وانت حتى اننى الساعه افصل عظامك واوريك مقامى من مقامك (قال) فلما ان سمع عقبه من اللملمان ذلك الكلام بطل القراءة وعاد إلى المكر والرقاعة وقال للملمان والله انى كما ترى شيخ كبير وقد شاب راسى فى هذه المقادير حتى اننى صرت بها خبير واعلم اننى ما اقول هذا الكلام احتقار بك وانك لا تقوم مقامه ولا انت من رجالة وإنما انت رزقت عليـــه هذه السعادة ونفذت فيه المشيئة والارادة فان كنت فى شك من ذلك فقوم إليه الساعة عند خلو المكان حتى يبان من هو اقوى من صاحبه جنان (قال الراوى) ولما ان سمع اللملمان من عقبه ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وزاد غضبة وصاح فى عقبه أرعبه وقال له يا كلب إيش عرفك أنت بمكانة الشجعان فقال له السمحاق انى تغضب من كلام الحق والبيان فقم حتى اوريك حالك الآن (قال فقاما الاثنين عن الزاد وقلعوا ثيابهم وهدم كل واحد منهم صاحبه وهما مثل الأطواد كل هذا يجرى منهما وعقبه يحرضهما بالكلام ويقول الساعة يبان منكم البطل الهمام فى هذا الظلام ولا يبقى لأحد منكم حجة فى هذا المقام هذا يجرى وأبو الموت يتعوذ بالله عز وجل ويقول والله ماينفصل هذا الأمر الا بهلاك أحدهما فقال عقبه ماعليهما خوف أبداعهما حتى ننظر من هو أقوى

(قال) فلطمه أبو الموت لطمة على رأسه كاد أن يطير منه أضراسه وقال له ياملعون أنت الذى كنت السيب فى هذا البلاء (قال) فضربت اصداغ عقبه عليه وقال هذا جزاء من يقول الحق فى هذه الدنيا تصير الأصدقاء له اعداء (قال) ولم يزالوا هكذا حتى ظهر على اشداقهما الزبد وقد فاح صنانهما وعقد ومليا غيظا وحرد وعقبه صار يستغيث فى سره ويقول يامسيح انى أريد منك فى هذه النوبة الإجابة فى الدعاء وبك استنجد أهلكلى أحد الإثنين حتى تهون على الأمور ولعل ان أجد الخلاص من هذا المحذور ثم انه جعل يقول لأبو الموت انظر

ياولدى كيف انك تصلح بين هولاء الإثنين وإلا هلك أحدهم وكان أبو الموت لايجسران يدنو منهم وهم على تلك الحالة لأنه قد عاين منهم الأهوال ولم يزالا على تلك الحالة حتى صار وقت السحر وما فيهما من قدر على الآخر وما رجعا حتى استرخت منهما المفاصل والركب وقد انفصلا بعد ما أيقنا بالعطب ودخل أبو الموت بينهما وشهد كل واحد منهما لصاحبه بالفروسية وبعد ذلك جلسوا يأكلون بقية زادهم وكان ذلك آخر الليل وبعد ذلك انطرح كل منهم مثل القتيل وذلك من شدة التعب والسهر وما حصلت رؤسهما الأرض حتى شخروا ونفخوا وقد نظر عقبه إلى ذلك فأيقن بالظفر وكان مطلوق اليدين والرجلين لأن هؤلاء الثلاثة يريدون لأنفسهم اقليمين وما فيهم من نام إلا وهو متكل على رفيقه فى الحرس لما ان غرقوا فى بحر المنام قام عقبة مثل الشيطان ثم انه سل سيف اللملمان ودنا من أبو الموت من خرقة قلبه ومال عليه ذبحه من أذنه إلى أذنه ثم أنه أقبل على السمحاق ففعل به كذلك فوجده قد انقلب إلى الجنب الآخر لما يريده الله تعالى من سلامته وتأخير أجله فلما نظر عقبة إلى ذلك فلم يبق له جنان ان يدنو منه ولا من اللملمان لأنه قال ما بعد الربح إلا الخسران وهذه نوبة ما كانت فى الحساب والصواب ان انجو بنفسى وإلا ان رجعت فى الهلاك ثم انه قطع رأس ابو الموت وتركها فى مخلاة الفرس وأتى إلى جواد ركبه وقال هذه الرأس أتحف بها الصالحه عاقبه إذا اجتمعت بها وتكون تتسلى بها ثم أنه سار طالب العراق وقد علم ان اللملمان والسمحاق اذا فاقوا من نومهم ورأوا الى أبو الموت مايقصدوا إلا إلى بلاد الروم على تلك الطريق التى قابلوه فيها (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من السمحاق واللملمان فانهما ما أفاقا وانتبها حتى صار وقت الظهر ولما أن جلسا طلبا عقبة فلم يجدوه ونظر اللملمان الى أبو الموت فرآه بدن بلا رأس فقال والله لقد ذبح النصيخ النحس أخانا أبو الموت وهرب فقوم بنا يا أخى حتى نركب ونجد خلفه فى الطلب والأجر علينا والأمير عبد الوهاب وغضب فقال السمحاق والى اين ياأخى نقصد وأنا والله أجهل هذه الأرض فقال له نقصد إلى بلاد الروم فوالله ماله ملجأ الااليها ثم أنهما ركبا وسارا يقلبان الأرض فى الطول والعرض ومازالوا الى أن بقى وقت العصر ثم رجعا من غير فائدة واللملمان كان مراده لو وقع بعقبه حتى أنه كان يأكل من لحمه ويشرب من دمه وهو يقول السمحاق والله ياأخى لقد سلمنا من هذا الملعون سلامة ماأحد سلم مثلها لانه لو كان معه جسارة لكان فعل بنا مثل مافعل بصاحبنا ونحن نيام فقال السمحاق والله ياأخى أنا ماصح عندى أنه نصرانى الا فى هذه الساعة وأنا ما كنت أشتهى إلا أن أقع به حتى انى كنت أريح منه المسلمون ثم أنهما عادا يطلبان ملطيه وهم على غاية من الحيا وذلك لأجل الأمير عبد الوهاب وكان وصولهم

عند الأمير وقت الصباح فوجدوه فى الميدان مع جماعة من الفرسان فلما أن رآهما لأمير عبد الوهاب هرول إلى نحوهما وقد التقا بهما وسلم عليهما ثم أنه سألهما عن حالهما فأخبره الثلمان بجميع ماجرى ثم أنه قص عليه قصة اللعين عقبه فدق الأمير يد على يد من عظم ماقد جرى عليه عند سماع هذا الحديث وقد ترحم على أبو الموت وقد سمعوا بذلك السودان فبكوا عليه ثم إنهم قالوا مايرجع هذا الشيخ النحس يقع فى أيدينا إلا ونأكل لحمه ونشرب دمه ان كان عبد الوهاب يغضب علينا أو يرضى (قال الراوى) ومن شدة غضب الأمير عبد الوهاب بعث جماعة من السودان وعلى رأسهم السمحاق والثلمان وأرسلهم إلى بلاد الروم فساروا وما غابو إلا قليل وعادوا ولم يقعوا لعقبة على خبر (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر ملطيه وأما ماكان من العساكر فانهم تموا يقطعون الأرض حتى وصل أولهم إلى بغداد وقد استأذن الأمير عمرو بن عبيد الله على الخليفة فى الدخول فأذن له فدخل عليه فانزعج الخليفة منه لما ان قبل الأرض بين يديه وقد شكى له جميع ماجرى عليه من أول الأمر إلى آخره وكيف قد أشرفوا على أخذ ملطية وقتل عبد الوهاب وكيف قدمت السودان وماجرى للسمحاق والثلمان من القتال والنزال قال ولما أن سمع المعتصم ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وزاد قلقه وقوى من شدة الغيظ أرقه ثم أنه قال والله مابقى يتم لى أمر ولاخلافة ومثل هذا الرجل لى معاند ثم أنه قال لعمرو وأين الشيخ عقبه حتى نستشيره فى أمورنا فقال عمرو والله يامولاى ليس لى به علم غير أننا من حيث انكسر نا همنا على وجوهنا سائرين إلى هنا وما أظنه الا قد قتل أو يكون فى بعض الأماكن الخراب يتعبد فيها ويدعى على من ظلمه فقال المعتصم وحق أجدادى من بنى العباس لآخذ له حقه ممن ظلمه وأقابل عدوه بما يستحقة ثم أنه أمر الوزير أن يكتب إلى جميع البلاد ويجمع العساكر والأجناد وينفذ أيضا إلى أرض الحجاز ويطلب العساكر من العرب والفرسان قال ولما أن كان فى اليوم الثانى وإذا باللعين عقبه داخل عليه فلما أن رآه فرح وسأله الخليفة عمالاقاه فقال يا أمير المؤمنين فى هذه الدنيا راحة فوالله لو اننى علمت أن يجرى المسلمين هذا الأمر من المنافقين ما كنت تركتك ترسل العساكر لأنه قد مرق من دين الاسلام ومابقى لأحد عنده قدر ولا مقام فقال الخليفة وأين كانت غيبتك لما أن انكسرت العساكر حتى أنك قد أتيت من بعدهم فقال عقبه وكانى أنا أحضر وقت قتال أو انى أقدر ان أنظر إلى المسلمين وهم فى هذا الحال بل كنت جاعل إقامتى كلها فى جامع الرسول الذى على رأس الدروب وأنا يامولاى أصلى فيه وأدعو الله عزّ وجل أن يصلح شأن المسلمين

وأن يحقن دما المجاهدين فلما أن انكسروا هؤلاء بلغنى أنا الخبر بعد انكسارهم بيوم خففت أنا على نفسى فسرت فى أعقابهم وأنا حزين باكى على ماجرى وعلى أختى المرأة الصالحة الدينه فلما أن سمع الخليفة منه ذلك الخبر قال له لاتحزن فسوف أقطع منهم الأثر ولو كانت تضيع حرمتى أو أعزل من خلافتى واعلم انى من أمس قد كتبت إلى سائر البلاد وفى هذه الأيام ترد عليك العساكر والأجناد قال فبينما الخليفة مع الملعون عقبة فى ذلك الكلام وإذا بالحاجب قد دخل عليه وقال له يامولانا اعلم ان قد وصل الينا رسول من مدينة القسطنطونية من عند الملك أرمانوس ويريد الدخول إلى بين يديك قال فامر الخليفة باحضاره فاحضروا بطريق عظيم الخلقه ومعه عشره من القسوس والرهبان وقد أزالوها عليهم من الزنانير والصلبان قبل أن يدخلوا بهم الى الديوان ولما أن صاروا بحضرة الخليفة قبلوا الأرض بين يديه ثم تقدم البطريق المقدم وقال يامولانا ان الملك أرمانوس قد أنفذنى اليك على سبيل الشكوى ويسلم عليك ويقول لك أنه مايحمل الأموال ويرسلها إلى حضرة السلطان الا بشرط أن يكون جميع بلاده فى أمان على أن فى هذه الأيام قد دخلت الى بلادنا السودان وأخربوا الرستاق والعمران وقد سبوا أولادنا والنسوان وذبحوا القسوس والرهبان ونهبوا الأموال من عباد الصلبان وان الملك أرمانوس يقول لك ان كنتم مقيمين على الهدنه والعهد فخذ للروم حقهم وان كنتم قد نقضتم العهد فاعلموه حتى أنه يحفظ بلاده قال فلما سمع الخليفة من البطريق ذلك الكلام صار الضيائى وجهه ظلام وزاد به الغضب ثم أنه قال والله ماترك لنا عبد الوهاب رأس ننشال فكيف يكون العمل فيه فقال له الملعون عتبه يامولانا ان أردت أن نبلغ الآمال وتجازى ملك الروم على جميع الأحوال فاكتب اليه فى الكتاب أن الذى فعل هذه الفعال ماهو تحت طاعتى ولا هو من داخل حوزتى حتى أنك يامولانا تكون عنده معذور ثم أنك تقول له فى الكتاب يا أرمانوس ان أردت أن تأخذ حقك فاخرج الساعة وساعدنى على قلع أثر هؤلاء القوم فاذا قلعناهم من الثغور أخلفت عليكم كلما أخذوا من بلادك وبعد ذلك لك منى الآمان على سائر بلادك وعلى جميع عساكرك وأجنادك فانما كان يرمى بينى وبينك إلا هذا الأسود الحجام وهذا الأمر يا أمير المؤمنين من تمام السعاده لأن ملك الروم اذا خرج يكون فى جميع عسكره وجنوده الرومية وانت الآخر تخرج بسائر الجيوش الاسلامية وقد انقطعت بنى كلاب بالكلية وتسلم إلى عمرو بن عبيد الله ملطيه وتضيف اليه من الأتراك طائفة قويه وقد أمنت أن يرجع أحد ينافق على الدولة العباسيه (قال

الراوى) ولما أن سمع الخليفة من عقبه ذلك الكلام رآه صواب ثم أنه كتب الى ملك الروم كتاب جواب الكتاب أو كتب له فيه أن ساعة وقوفك على مافيه تبرز الى الثغور فانني ملاقيك بالعساكر الاسلامية من جميع البلاد وآخذ لك حقك ممن أتو فى أرضك شيئاً من الفساد ولا أرجع الى العراق حتى أخذ هذا الذى قد بارزنى بالنقاق وأنى أريد أن تلتمس أخبار مسيرى حتى يكون قدومنا الى ملطيه فى يوم واحد ثم أنه خلع على الرسول وعاد الرسول طالب بلاد الروم وبقى الخليفة قاعد منتظر قدوم العساكر فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير عبد الوهاب فانه قد بعث الجاسوس الى بغداد ليكشف الأخبار قال فوصل اليه الجاسوس من بغداد وقد أعلمه بكل ما جرى قال فلما أن سمع الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب من الجاسوس ذلك الكلام وحققوه وقد عرفوا ما فيه من الخطاب اطلعوا عليه السودان وبقية بنى كلاب ثم ان الأمير قال انا قد عولت ان ارسل بلاد الحجاز واجمع سائر العرب لأجل ما نلقا بها الروم لأنى ارى النوبة قد عظمت فقال له اللملمان انت ما تحتاج الى ذلك ابدا فنحن نكفيك مؤنة كل من فى بلاد الروم فقال السمحاق ايها الأمير خلى عنك بذل المال وجمع الرجال فنحن كل من سبق الينا من العسكرين برزنا اليهم بجميع السودان ولا نبقى منهم انسان و نقوم بهم انا واخى اللملمان قال فطاب قلب الأمير عبد الوهاب بهذا الخطاب وامر الجواسيس ان تأتيه بكل ما يقعوا عليه من الأخبار (قال الراوى) واما ما كان من كتاب الخليفة فانه وصل الى ملك الروم وتناوله بيده وفرده وقراه وتبنيه وتمعناه وفرح بمناه ثم قال وحق المسيح ما بقى على الخليفة ملام مادام انه سائر يقطع شاقة هذا الأسود الحجام وان هلك ملكنا جميع بلاد الاسلام ولا نبالى بعدها بعساكر الشام ولا العراق ونملك سائر البلاد والآكام ثم انه نادى فى العساكر بالرحيل ولم يكاتب أحد من الملوك ولم يسير فى عسكر ثقيل وقد برز فى عساكره لاغير لأنه قوى القلب بالخليفة ثم انه رحل من القسطنطينية فى مائه الف من عساكر الروم وسار يقطع الأرض طالب ملطيه ثم انه نزل بالعساكر فى مرج يقال له مرج الشعير وقد وصل خبره للامير واما الخليفة فانه بعد عودة الرسول الى ملك الروم اقام شهر كامل الى ان اجتمعت اليه سائر الجحافل ورحل فى اول الشهر الثانى وثم سار يقطع الأقطار وملك الروم يشطلع الى الأخبار ويحسب له المراحل فى القفار وما زال الخليفة حتى انه يقدم عليه قال وكان الخليفة وصل إلى آمد فى مائتين الف من الترك والعجم والاكراد والديلم وسار حتى انه وصل الى صحوات خرط برت وبلغه ان ملك الروم فى انتظاره ففرح بذلك

(قال الراوى) وكان الملعون عقبه معه يحسه على المسير لأنه قد صار هو المدير والمشير وانه لما ان سمع بقدوم ملك الروم فرح وايقن بخلاص عاقبه اخيه ثم انه قال مابقا لى الا أن آخذ بثار أولادى (قال الراوى) واغرب من ذلك ان اللعين عقبه أرى مناما وهو كانه قائم ببغداد وأولاده الذين ذبحهم لبطال قيام بين يديه وهم يقولون يا أبانا مالك قد نمت عن أخذ تارنا وقد نسيتنا وغلت عنا ولم تذكرنا وإنه قال لهم وحق مارى حنا ما أغفل عنكم يا أولادى ها أنا أرمى الفتن بين الموحدين إلى أن أهلكهم بتدبيرى فان عشت أفنيت الاسلام ثم أملأ الأرض من دين المسيح عليه السلام ولا أقر ولا أهدى حتى أننى أشرب بعدكم كاس الردا ولكن يا أولادى ماالذى قد لقيتم من المسيح صاحب الأحكام فقالوا ياأبانا راضى عنك وقد جعل منزلتك غالية فى الجنان مثل منزلة زراره العريان واننا نبشرك ياأبانا بشارة من السيد المسيح وهو انه يقول لك امضى الى عساكر الملك أرمانوس فانك تجد خصمك الذى ذبح أولادك الشهدا المسما بالبطال فى جملة القسوس وهو يريد أن يعمل على ابطال دين الناقوس فسير اليه واقبض عليه فقد دنا خروج روحه التى بين جنبيه (قال الراوى) ولما ان رأى الملعون فى منامه هذا الهذيان انتبه وهو فرحان ثم انه أقام طول نهاره فى وسواس وقد زاد يقينه فى دين النصرانيه وما علم انها تخيلات شيطانيه وماصدق ان النهار يأتى والليل يمضى حتى انه خرج هائم على وجهه من عسكر المسلمين قاصد عسكر الروم وقد ايقن فى نفسه شيخ الضلال على هلاك أبو محمد البطال وهو يحدث نفسه بالمحال ويقول مابقى عندى شك فى وصف المسيح ولا فى محبته لى من دون عباده وأنا الآخر مابقيت أظفر بأحد من المسلمين إلا وآقتله لعلى ان أظفر عند المسيح بما ظفروا به أولادى أو أنال مانالوا من درج المعالى ومن فى الدنيا يحصل مرتبة زراره

(قال الراوى) ثم ان عقبة لم يزل سائر إلى ان عبر على ملطيه وكان عبوره عليها ليلا ثم انه حاد عنها وسار إلى مرج الشعير وكان قد اطمأنت نفسه واشرف على المرج وقد فرح بوصوله وصحة المنام ومن شدة ماحصل عنده من الفرح انشد وقال:

نلت المنا وبلغت كل مرادى ... من فضل مولانا المسيح الهادى
قد كنت مقروح الفؤاد محسراً ... حتى رايت جماعة الأولادى
نالوا من المجد الرفيع لأجل ما ... عبدوا الصليب وجاهدوا كجهادى
وغداير البطال أفعالى به ... ويصلبه ويشفى غليل فؤادى

وأقول ياشيطان هاأنا عقبة ومن المسيح أتيت بالإرشادى

(قال الراوى) ولما ان فرغ عقبة من شعره والنظام وتذكر ذلك المنام وجعل يتكلم بكلام كل شيطان مريد وينوى لكل مؤمن على التنكيد وإذا قد قبض على حبال رقبته كف شديد كأنه خرط من حديد أو نحت من بعض الجلاميد وكبس على رقبته حتى خرجت مقل عينيه على كراسى خديه وقد كاد ان يقضى عليه ثم انه لين يده عليه قليل فصاح بصوت ضعيف ثم ان الذى قبض عليه بعدما نفس له قال له إلى أين يازنديق سائر فى هذه الطريق فالتفت عقبة اليه وهو لهفان وتبينه وإذا هو السمحاق وبصحبته اللملمان فنشف ريق عقبة وتعلقت منه الخصيان وقال آه ومصيبتاه من هذا الاتفاق المشئوم والله لقد كان طلوعى من عسكر الخليفة فى طالع مذموم وما أقعد حتى إنى أنصح وأتحودق وأنشد أبيات وأطرب يانا والله ضربة دم سخنه فقال له اللملمان ويلك ياقرنان وأين أخينا أبو الموت الذى قد ذبحته وطلبت النجاة ابشر الآن يالعين بالموت ثم ان اللملمان أخذ بيده وحدفه فى الهوى وأراد ان يلقاه فتقدم له السمحاق ولقفه من الهوى وحدفه فى الهوى فتقدم اليه اللملمان لقفه ولم يزالوا يلعبوا به إلى أن غابت روحه وكاد ان يسكن ضريحه وصار يقول فى لعنكم المسيح ياأولادى كما أتيتمونى فى المنام وأرميتمونى فى هذه الأمور العظام ومن أنتم ياملاعين ياولاد الكلب حتى يكون لكم عند المسيح هذا المقام وما دام ان هذه من بشارتكم فما أنتم إلا فى العذاب الشديد والمقت والتنكيد وأنا اعلم ان ماأتاكم وخلاكم جئتونى فى المنام الا شيطان مريد حتى انه ساقنى إلى هؤلاء السودان العبيد وتركهم يصفونى الصفع الشديد

(قال الراوى) وكان السبب فى مجىء السمحاق واللملمان وذاك انها لما ان قدمت العساكر الرومية ونزلوا بالقرب من ملطيه ثم وصل الخبر الى الأمير عبد الوهاب فجمع الأمراء وشاورهم فيما يفعل فقال اللملمان الرأى عندى أن أسير انا والسمحاق وجميع السودان ويكون معنا بعض بنى كلاب الفرسان الأنجاب ثم أننا نكمن لعبدة الصلبان عند رأس الدروب قريب من وادى الأقحوان فاذا وصلوا الينا خرجنا اليهم مثل العقبان وطلبنا النصر من الكريم الديان وتكون أنت فى ملطيه تحفظها إذا قدمت عليك عساكر السلطان ونحن بإذن الله تعالى نكفيك مؤنة الروم وعبدة الصلبان ولا نترك منهم بعون الله تعالى إنسان فقال لهم الأمير افعلوا ما بدا لكم أنجح الله أعمالكم ويصلح أحوالكم فعند ذلك أخذت السودان أهبتها إلى الليل وسارت فى أوائلها السمحاق واللملمان وكل منهم مثل الأسد الغضبان ومعهم خمسة آلاف من بنى كلاب الشجعان واثنى عشر الف من أبناء السودان

وساروا ولم يزالوا سائرين وفى سيرهم مجدين إلى وقت السحر وإذا هم قريب من مرج الأتحوان فلما ان صاروا فيه أكمنوا فى ناحية من نواحيه ثم انهم أقاموا مكمنين مقدار ثلاثة أيام فما سمعوا خبر عن عساكر اللئام فقال لهم الململان اعلموا يا إخوان اننا لم نرى أحدا من عساكر الروم وما نعلم ما الذى قد أقامهم وأبطالهم فى مرج الشعير وما أقول الا انهم منتظرين عساكر الخليفة ونزولها إلى ملطيه فقال السمحاق قم بنا يا أخى يا ململان حتى أسير أنا وأنت ونشرف على العساكر وننظر ما حالهم فان كان لنا فى كبستهم طمع فدعنا نكبسهم الليلة غد فقال له الململان افعل ما بدا لك ثم انهم شدوا وساروا ولم يزالوا سائرين إلى أن قربوا من الروم وما بقى إلا أشرافهم على العسكر قال وإذا هم بعقبه قد لاح فى خندس الظلام وهو سائر إلى عسكر الروم وهو ينشد ويطرب فقبضوا عليه كما ذكرنا ولما ان بقى فى ايديهم قال لهم ما الذى عولتم ان تفعلوه قالوا له نأخذك ونسير إلى الأمير عبد الوهاب فانه اليك مشتاق ولا يصدق انه يراك فقال عقبه يا أولادى وانتم إيش يفيدكم من هذا اطلقونى انتم وازرعوا جميل وانا اعطى كل واحد منكم عشرة آلاف دينار واجعلوا انكم ما رايتونى ولا رأيتكم فقال الململان يا ملعون يا قرنان وانت مين بقى ينطلى عليه نفاقك بعد فعلك هذه الفعال وقتلك ابو الموت الفتى الريبال ثم انه سار به عاجلا إلى السودان بعد ما اشرفوا على عساكر الروم ونظروها نازلة على حالها وما عليها همة وحيل ولما ان اقبل عقبة على السودان كان ذلك اليوم عليهم عيد ومهرجان وأخذتك يا شيخ عقبة ضيانة الصفع من كل جانب ومكان وبعد ذلك لما اشرف على الدمار سلموه إلى اسود يقال له دينار وقالوا له سير بهذا اللعين إلى ملطيه وسلمه إلى الأمير عبد الوهاب ثم انه بعد ذلك حدث جماعة السودان بأمر عساكر الروم وما هم عليه من الكثرة وانا نريد الليلة نكبسهم إذا انسدل الظلام فلعل الله سبحانه وتعالى ان ينصرنا عليهم وان يظفرنا بهم فقالوا السودان وبنى كلاب لما ان سمعوا من الململان ذلك الكلام قالوا له ها نحن بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك فافعل ما تشتهى وتريد تجدنا لك أطوع من العبيد قال وكانوا السودان اثنى عشر الف وبنى كلاب خمسة آلاف قال فأقام بهم الململان إلى وقت المغيب ثم انه خرج بهم من الكمين وساروا فما تنصف الليل عليهم إلا وهم على عساكر الكفار ثم نظروا وإذا بالنيران تضرم على أبواب خيام الروم وهم غارقين فى لذة ما هم فيه من السكر والإنس والمقام وتميز الململان فرأى النيران عاليه فقال فى نفسه لاشك هذه النيران للملك أرمانوس ولاشك انها على باب السرادق الذى له فاحملوا ولا يكون لكم قصد الا هى ثم انه أخذ السمحاق إلى جانبه ورتب جماعة السودان فى كل جانب ومكان ثم انهم حملوا حملة رجل واحد وصرخوا وقصدوا الخيام وهم ينادوا الله

أكبر إلى أين تذهبون يا كلاب الروم من حزب الحى القيوم ثم انهم تجاوبوا وقد ذكروا فى ذلك الوقت أنسابهم ونادوا يا آل كلاب يا آل حام يالون الظلام فعندها انتبهت النيام واتبهت النيام وذلك الوقت زاد القتام من الغبار وغابت النجوم وطارت الرءوس من على الجسوم ثم ان السودان هجمت إلى الخيام والبطارقة فيها نيام فما كان البطريق منهم يلحق يتور من منامه هذا وقد عمل فيهم الحسام وهم نيام وقد ثار الملك ارمانوس من منامه وقد انجزع من شدة الفزع وخفق فؤاده وانصدع وطار رقاده من كثرة ماقد عاين من تلك الصرخات والزعقات ورنين السيوف المشرفيات والسودان على ظهور الخيول مثل الغربان وكان الرومى منهم يكون قاعد سكران أو نايم نعسان مايشعر إلا وقطعة سواد قدر الجبل اللطيف قدامه وصرخة مزعجة تقع ثم ان الأسود منهم يضربه بالسيف تارة يقسمه نصفين وتارة يرمى رأسه وتارة يقطعه كل قطعة قدر فص العدسة ويخليه كوم لحم اغرض الكفته ويتركه ويمضى إلى غيره هذا وقد أسبل عليهم الليل ذيل الدجا ولم يزالوا هكذا إلى وقت السحر وقد وقعت اللعنة على من طغى وكفر ثم انهم خرجوا من الخيام وطلبوا طريق القسطنطونية والسودان والعرب يصيحون فى أعقابهم ويضربون بالسيف فى رقابهم وأما اللملمان فانه وصل إلى الملك ارمانوس وهو فى ظلام الليل الغلموس وهم ان يضربه بالحسام وهو يظنه بطريق من جملة البطارقة اللئام فصاح عليه لاتفعل أيها البطل وتأنى فى أمرك ولا تعجل أنا ملك الروم فلما ان عرفه اللملمان منع عنه ضربة الحسام اليمان ومال عليه أخذه أسير منهان وقاده ذليل حيران وما أصبح الصباح حتى صارت جميع أموالهم وأثقالهم وخيامهم فى أيدى السودان وأما فرسانهم فان أكثرها صار ممدد فى عرضات القيعان

(قال الراوى) وبعدها أقام اللملمان والسودان وجماعة العربان ذلك اليوم حتى أخذوا لهم راحة وبعدها ساقوا جميع الغنائم وطلبوا ملطيه ولما أن قربوا منها كان الأمير عبد الوهاب سمع الخبر فخرج إلى لقاهم وقد رأى إلى ما معهم من الأموال ورؤوس البطارقه على رماح السودان فشكرهم وأثنى عليهم وحمد الله الواحد المنان على ما أنعم به من جزيل الاحسان والفضل والامتنان ثم انه سألهم كيف كان الحال فأخبره اللملمان بما جرى وما كان ثم أنه بعد ذلك قال للأمير عبد الوهاب بالله أيها الأمير مافعلت بعقبه المرتاب فقال الأمير أنه عندى فى أرقى طبقات العذاب ثم أنهم دخلوا إلى ملطيه بتلك الأموال والغنائم التى لاتحصى وقد أقاموا بعدها على غاية من الفرح والحظ الزائد إلى أن كان وقت الظهر وإذا قد أشرفت عساكر العراق وقد ملأت بكثرتها جميع الآفاق وضاق بها الرستاق وأقبلت

جنبات الأرض من كثرة الصياح والزعاق وقد انفرشت تلك المواكب والجيوش حتى نفرت من كثرتها الوحوش وصار الناظر من هو لها مدهوش والجبان أرتعب وصار مرعوش ثم أنها نزلت من حول البلد وقد طبقت جميع الجوانب من كثرة العدد وتتابع المدد هذا وبعدها أقبل الموكب الأكبر الذى للمعتصم وهو بالاعلام والرايات العباسية والقراء والوزراء وأرباب الدولة وغلمان الدار وعليهم السكينه والوقار ولم يزل الخليفة سائر إلى أن نزل فى السرداق ودخلت إليه أرباب الدوله واستقربهم الجلوس ووصل اليهم خبر كسرة الملك ارمانوس فحار الخليفه من ذلك ثم قال يا قوم وكيف كانت هذه القضية ومن هو الذى قد كسر عسكر الروم فقالوا له قد كسره اللملان لأنه قد سار إليه فى عشرين ألف من بنى كلاب والسودان الانجاب وقد كبسهم فى مرج الشعير فى دياجى خندس الظلام وما ترك منهم لاشيخ ولا غلام (قال الراوى) ولما ان سمع المعتصم ذلك الكلام انكسرت همته ثم قال والله ما عبد الوهاب إلا رجل مسعود وكل من التجأ إليه نال من سعادته المقصود فقال جوهر الخادم يامولانا ألم أقل لك ألف مره أنه رجل خالص النيه حسن الطويه وان من حسن نيته لايقدر أحدا على أذيته ولامضرته ويأمير المؤمنين من الرأى الصواب إنك ترسل إليه وتطيب قلبه فانه لايضيع معه الإحسان (قال) فلم يلتفت الخليفه إلى مقاله بل أعرض عنه وقال والله اننا ماعملنا مع الملك ارمانوس خير لاننا ما أخرجناه من بلاده إلا لفضيحته وأسره وهلاك عساكره وأجناده وأنا قدعولت على حصار ملطيه وأريد منكم الرأى والتدبير فى مثل هذا الأمر العسير ولكن على بعقبه فانه ثابت الرأى ولنا أيام مارأيناه ولا نظرناه لأنه قد صار ممتحن بالعباده فاشغلته عنا ولا بقى يلتفت الينا إذا لم نطلبه ونفتش عليه (قال) ثم ان الغلمان مضوا ودوروا عليه فى جميع المضارب والخيام فما وقعوا له على خبر ولاجلية أثر فعادوا إلى الخليفه وقالوا ماوجدناه فعظم ذلك عليه وكبر لديه وقال لقد سرقوه هؤلاء القوم فياترى كيف أخذوه وسط هذه العساكر وكيف أنه قد حصل فى أيديهم (قال) فبينما هو فى هذا الكلام وإذا بالجاسوس قد دخل وقبل الأرض وقال يامولانا ياأمير المؤمنين اعلم ان عقبه فى ملطيه وقد قبضوا عليه وأقرنوه إلى أخته عاقبه وهم يعاقبوا الاثنين فى كل صباح ومساء (قال الراوى) ولما ان سمع الخليفة ذلك الكلام زاد به الحنق وقال والله إن سرقتهم لعقبه من أكبر العجب بعد فقد البطال وقد كنا نحن نظلم البطال ونقول ان كلما يجرى علينا منه وها هو الآن غائب وقد جرت علينا هذه المصائب فقالوا أرباب الدوله يامولانا أعلم ان

كل من كان عند عبد الوهاب مثل البطال وأعظم منه احتيال (قال) فبقى الخليفه حائر لايدرى مايفعل ثم انه أمر أصحابه ان يرجعوا ولا يقاتلوا ثم انه أرسل إلى عبدالوهاب رسول يقول له أريد أن تسلموا إلينا الشيخ عقبهالذى قد سرقتوه ثم تسلموا إلينا أخته الصالحه عاقبه وبعد ذلك يخرجوا من هذه البلد فمالى بخدمتكم من حاجة وان لم تفعلوا ذلك وإلا فها أنا مقيم عليكم إلى ان آخذكم عن بكرة أبيكم ثم أصلبكم على البلد ولا أبقى منكم أحد (قال) فلما ان وصل رسول الخليفة بهذه الرسالة إلى ملطيه (قال الراوى) وكان الأمير عبدالوهاب قد أحضر فى ذلك الوقت عقبهثم انه مدهما وضربهما حتى انهما أشرفا على الهلاك والعماء ثم أنه قال للسودان دونكم وهذا الملعون خذوا منه بثأركم وثار أخوكم أبو الموت واضربوه وعذبوه (قال الراوى) وفى ذلك الوقت وصل رسول الخليفة وبلغه هذه الرسالة وأعاد عليه ما حمله من المقالة فقال الأمير عبد الوهاب والله ما بقى الخليفة يراه أبدا لانى أريد ان أنجز فيه الوعد الذى أوعدنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أدركنى بعدها الحمام فيكون قد تفسر المنام وقد صدق قولى عند جميع الانام وأما قوله اننا قد سرقناه من عسكر الاسلام فهذا محال وحق الملك المتعال ما أخذه اللمنمان إلا وهو قاصد عساكر الصلبان فقال له رسول الخليفة أيها الأمير الآن قد كان ماكانوالرأى ان تسلمهإلى الخليفة ولا تقصد معه اللجاج ولا العناد فقد أقسم انهلايرجع حتى انه يأخذكم عن بكرة أبيكم (قال) فلما ان سمع ذلك الكلام السمحاق وثب اليه وقطب فى وجهه وهم ان يقتله فمنعه الأمير عبد الوهاب من ذلك وقال امضى إلى من أرسلك قبل ان تعدم وتهلك (قال) فمضى الرسول من عند الأمير ولم يعلم ان كانت رقبته على حالها أو وقعت قال وقد طلب النجاه من بين أيديهم قال وعند ذهابه حانت منه التفاته فنظر إلى عقبه وأخته عاقبه وهما فى حالة شنيعة لايستطيع الإنسان أن ينظر إليهما من كثرة ما عليهم من الخزى والعذاب (قال) فتركهم وسار إلى أن وصل إلى الخليفة وأخبره بتلك الحالة فاستولى عليه الغضب وحل به الصخب وقد حار فى أمره وكيف يصنع (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير عبد الوهاب فانه لما ان أظلم الظلام جمع جميع أصحابه ثم أنه ذكر لهم غيبة البطال وأظهر الندم على فقده ثم أنه قال والله إننا قد عدمناه وعدمنا رأيه وتدبيره فلو أنه كان حاضر فى هذه النوبه لكان دبرها بمعرفته ورأيه ولاكان أحوجنا اننا نضرب فى وجه الخليفة بالسيف فقال له واحد من جملة السودان والله أيها الأمير ما أظن ان البطال ما طرح نفسه فى اللصوصية إلا وهو جبان (قال) وكان الذى تكلم بهذا الكلام اللملمان ثم

أنه قال أنا اصبر منه على ملاقاة الأهوال وعلى كل حال لانني أنا لص وإن وقعت على ألفين أحميت روحي منهم فان كنت أنت تكره قتال المسلمين فأنا الليله أوريك ماأفعل بأمير المؤمنين فقال الأمير عبد الوهاب إن كنت تقدر على شيء فافعله لعل أن تكون لنا معين فقال السمحاق يا أخي يا لملمان قال نعم قال له انت اذ مضيت إلى أمر تحتاج فيه إلى معين فخذني معك لأجل ماتبقى انت تسرق وأنا احمل وان وقعت فى رجال فدعنى أنالهم فقال له اللملمان شد عليك يا اخى ثم انهما تأهبا وخرجا وقصدا إلى سرادق الخليفه وإذا من حوله خمسمائة تركى بالقسى والنبال فقال السمحاق يا اخى لاتخاطر بنفسك وارجع بنا إلى البلد من قبل أن يفطن بنا أحد فقال له اللملمان أقف أنت يا أخي ههنا حتى انني اسير اناوأفعل مااريد ثم انه تركه وسار وماغاب غير ساعة وعاد ومعه شيء محمول فى دراج من الديباج ملفوف فيه (قال) وكان هذا الخليفة المعتصم لأن اللملمان لماان سار تخطا الاتراك واتى وراء السرادق ثم انه قطع بعض الاطناب وخطا دخل فراى الخليفة نائم وحده فجلس عند راسه وقبض على يديه والقمه الاكره وشده كتاف ثم انه لفه فى ذلك الدراج الذى من الديباج وخرج به ومازال إلى ان اتى به إلى السمحاق وقد ستر عليه الملك الخلاق ثم قال له سير فقد اخذت لك المعتصم فقال هاته عنك وسير انت قدامى فناوله إياه وسار قدامه فى غسق الظلام وفى يد كل واحد منهم حسام فلما أن صاروا فى اطراف الخيام وقعوا بأقوام غرباء من ارض الحجاز فنظره واحد منهم فصاح ادركوا اللصوص الحراميه فضربه اللملمان على كتفه هدله وصاح آخر فضربه طير معلقة بمه فثاروا العرب وصاحوا عفاريت عفاريت وصاروا ايجروا خوفا منهم فمازال السمحاق واللملمان وراهم وكل من ادركوه اخذوا روحه إلى ان اهلكوا منهم جماعة وساروا بعد ذلك إلى ان وصلوا إلى الأمير عبد الوهاب قال لهم مامعكم فحطوا ذلك الدراج ثم انهم فتحوه واخرجوا منه الخليفة وقالوا هذا الذى اتينا به (قال) فلما ان نظر الأمير عبد الوهاب إلى الخليفة ووقعت عينيه عليه قام قائما على قدميه وقال السلام عليكم ورحمة الله يا امير المؤمنين ثم انه قبل الأرض بين يديه وقال له اعلم اننا مادبرنا هذا التدبير إلا حتى نزيل عن قلبك ما فيه من كلام العدا المبغضين ولا يدخل عليك كلام المنافقين ونحن لك فى جميع الأمور طائعين ثم انه اخلى له دار ونقل اليه كلما يحتاج من الفرش المناسب وغيره من آلة الزاد ثم انه حل كتافه واطلق اطرافه واقام عليه التوكل من السودان وباتوا تلك الليلة وهم افرح الخلق (قال) ولما ان اصبح الصباح فلم يروا الناس للخليفة أثر ولا احد وقع له على خبر فماجوا واضطربوا وارادوا الهروب خوفا من العطب وكان الأمير لما ان اصبح الصباح جمع اصحابه وقال لهم على ماذا عولتم قالوا على الخروج إلى الاعداء ونرمى أرواحنا

عليهم بعد عدم الخليفه فقال الامير عبد الوهاب ماهذا راى صواب لانهم على كل حال مسلمين والخروج إليهم ماهو من المصلحة فقالوا وما يكون الراى اننا نأمرهم بالرحيل فان رحلوا كان بها والا قلدناهم البغى ثم ندافع عن انفسنا ثم خرجوا بنى كلاب وقدقدم الملمان ومعه السمحاق على المقدمه فلما ان صاروا برا الصور نادوا إلى عسكر الخليفة وقالوا لهم يا قوم عمن تقاتلون وهذا الخليفة عندنا هو وعقبه وملك الروم والصواب انكم ترحلوا والا قلدناكم البغى وأطلقنا فيكم السيوف ولا نبقى منكم كبير ولا صغير (قال) فلما ان سمعت عساكر العراق عولت على الهرب والانطلاق وإذاقدخرج من بينهم فارس طويل الساعدين بسيط الكفين ضارب لثام مضيق نقاب كانه قطعة حديد او شيطان مريد متدرع بالزرد النضيد وهو كالبرج المشيد فلما أن صار بين الصفين واشتهر بين الفريقين نادى ياويلكم كيف نهرب ونترك الإمام معكم أسير ولا نخلصه من أيديكم دونكم والبرازحتى أنكم تروا أفعال أهل الحجاز (قال الراوى) وكان هذا الشيطان من أطراف بلاد اليمن وقد شتت العرب عن المناهل والمنازل وكان لمجيئه إلى هذه الديار سبب عجيب وأمر غريب وكان قد عشق جارية من أصحاب المنازل والرتب وكانت ذات عقل وأدب وهى جميلة من دون أولاد العرب خطبها من أبيها وكانت البنت مشغوفه بابن عمها وكان ابن عمها جميل الوجه والذات حسن العقل والصفات فلما أن خطبها هذا الرجل وكان يقال له عاصف ابن رعد وكانت أوقدت ابن عمها لهيب النار فدخل على أبيها باكيا فقال له يا ولدى لا تبكى فوالله لا اخترت غيرك أحد إلا أنى غلبت عن ذلك لأن هذا الشيطان قد تعرض بابنتى ومالنا إلى الخلاص من سبيل إلا إن كان بأحد الأمرين أما أن أسلمها اليه اعمل على هلاكه فقال الغلام ياعم أنا من هذا فزعان ثم إنه عاد إلى ابنة عمه فدخل عليها ودموعه تجرى على خديه فقالت له ما الذى قد أبكاك يا ابن العم فأعاد عليها القصة وذكر لها ما جرى فقالت له الامر أقرب من ذلك ولا بد أن أبى يشاورنى فى امر الزواج فما اختار عليك احد فقال لها ياابنة العم هذا الذى بلينا به لايندفع وإننا نغلب فيه فقالت له ومن هو الذى يغلب علينا فقال لها هذا الملعون عاصف ابن رعد فقالت له وفى كم يكون هذا من الفرسان حتى انه يأخذنى بالقهر والغلبة فقال لها وما هو إلا وحده ولكنه فارس لايطاق وعلقم مر المزاق فقالت له وما فيك ان تلقاه فقال لها لاوذمة العرب ولا عشرة مثلى ولكننى إذا رأيته قد صمم على اخذكى لابد ان اخرج اليه واخاطر معه بروحى من اجلكى ولا اتركه يظفر بكى إلا وانا من جملة الأموات (قال) فلما ان سمعت منه ذلك الكلام قالت له ياابن عمى لاتقتل انت نفسك فاذا جد الطلب وعلمت انا ان مابقى لى من يديه خلاص ضربت روحى

بسيف قاطع وقد انقطعت منى المطالب وانا وانت نجتمع فى عرصات القيامة (قال) فبكى الغلام من قولها وبلغ هذا الكلام الى أمها فزاد همها وغمها وقد اج عاصف فى طلبها وصاروا يدافعوه من وقت إلى وقت آخر الى ان زاد الأمر وجد الطلب ووصل اليهم منه الشر فصاروا هاربين منه فى البرارى والقفار وقد هلك أكثرهم وأخذ اموالهم فقالت العرب لابيها ان جميله كانت علينا غير مباركه ذهبت اموالنا وهلكت رجالنا وساءت أحوالنا وان لم تزوجها لعاصف وإلا مايترك لنا سارحه ولا رايحه ومافى الأمر إلا أن نأخذها منك غصبا ونسلمها اليه (قال) ولما أن سمع ذلك أبيها صبر إلى أن أظلم الظلام وأخذها ومضى بها فى الليل هو وغلمانه وعبيده يقطعون الأرض إلى أن وصلوا إلى الكوفه وأما عاصف بن رعد فانه قد وقعت فى قلبه النار عند ماسمع برحيل القوم إلا أنه قال وأين يكون لهم مذهب وأنا وراهم فى الطلب ثم انه أخذ أخبارهم من بادية العرب فأخبروه إنهم فى الكوفه وان الغلام تزوج بالجاريه ودخل عليها فعظم ذلك عليه ثم إنه قال لا بد لى منها ولو غاصت تحت الثرى ثم إنه سار فى فيافى القفار وقد قوى قلبه سلطان الهوى وما زال إلى أن وصل إلى أرض الكوفه فوصل الخبر الى بغداد وطرح نفسه على وزير الخليفة وشكى اليه حاله وأخبره كيف أنهم ارتحلوا عن ديارهم وخلفوا أكثر أموالهم وقد طلبوا ستر عورتهم وصيانة نفوسهم فقال لهم الوزير لكم الأمان (قال) ثم اتفق فى تلك المدة مسير الخليفه الى الأمير عبد الوهاب وجرت هذه الأمور والأسباب وقد وصل عاصف الى بغداد وفى نيته أخذ الجاريه إلا أنه رأى إلى الناس سائرين مع الخليفة إلى لقاء الأمير عبد الوهاب وبلغه الخبر انه عصى على الخليفة فقال عاصف كيف ما يكون سلطان الدنيا وله غلام يعصى عليه حتى سار اليه فى هذه العساكر ومن هو عبد الوهاب حتى علت عليه المرتبه فقالوا له العرب اعلم أيها الأمير أن هذا الرجل قد أباد الفرسان وأهلك عبدة الصلبان فقال عاصف وقد أخذته الحميه أنا أضمن إلى أمير المؤمنين تسليم هذا الرجل اليه ويكون هو وكل من معه أتركهم أسارى بين يديه وما أريد منه إلا أن يسلم إلى مكانه (قال) وقد اشتغل عاصف بهذا الامر عن حب الجاريه وذلك من شدة حسده للأمير عبد الوهاب على شجاعته وبراعته لأن الشجاع إذا سمع بالشجاع يحب أن يبرز اليه ويجرب روحه معه ولاجل هذا قد التهب فؤاد عاصف بالنار وذلك لما أن سمع عن عبد الوهاب هذه الاخبار لأنه كان يظن أن مافى الأرض من يقاومه (قال) ثم انه لحق عسكر الخليفة وكان دخوله عليه فى الليله التى سرق فيها المعتصم وكان قد ضمن له أخذ جميع الفرسان الذى للامير عبد الوهاب فلما أن سمع منه الخليفة ذلك أخلع عليه وأعطاه أجزل عطيه ثم أوعده بالجميل وفى تلك الليله قال الأمير عبد الوهاب

ما قال وفعل اللملمان ما فعل من سرقة الخليفة ثم انهم أصبحوا كما ذكرنا وخرجوا من ملطيه ونادى اللملمان بذلك النداء وعولت الناس على الهروب وخرج عاصف وثبت الخلق ونادى يا أسود قد تعديت طورك وتجاوزت قدرك اليوم تذوق طعم الحمام فى هذا المقام بتجريئك على الإمام يا ابن العبيد اللئام ثم أنه صاح بجواده فخرج من تحته أسرع من البرق وكان من أفخر الخيل الملاح يسبق فى سيره هبوب الرياح له غرة كأنها مصباح تضيق عنه البطاح ويقطع الأماكن الفساح وعلى بدنه درع قوى اللجام طويل الأكمام حسن النظام لا تعمل فيه المرهفات ولا تنفذ فيه سهام الآفات صاحبه فى حصن حصين أو فى مكان أمين وفى يده حسام حاد الشفار قوى المسمار ويطير من حديه شرار النار وهو على الجواد كأنه من بقايا قوم عاد وقد جال وصال وأنشد وقال

أنا عاصف فى الحرب كالريح عاصف ... ترانى لأرواح الضراغم خاطف
فدونك يا نسل الزنا تلتقى فارسا ... شجاعا كميا ليس فى الحرب خائف
له صولة يوم الهياج ونخوة ... يظل لها القرن الغضنفر راجف
يرد سيوف الهند فى حومة الوغا ... مفللة فى حدها الدم واكف
أنا ناصر السلطان راغم عبده ... واقتل من أضحى عليه مخالف

(قال الراوى) ولما فرغ من شعره أراد اللملمان أن يخرج اليه وقد اشتد غضبه عليه وإذا بفارس قد سبق اليه وكان ذلك الفارس من بنى كلاب فما لحق ان يتاربه حتى ان عاصف طعنه فى صدره أخرج رأس السنان يلمع من خرزة ظهره فخرج اليه ثانى فقتله وثالث جندله وأراد اللملمان ان يخرج اليه وإذا بفارس قد ظهر كأنه جبل من بعض الجبال ومن تحته جمل من بزل الجمال فتأمله اللملمان وإذا هو السمحاق فارس العراق خرج وهو ينشد ويقول:

أنا السمحاق كالأسد الهضورى ... وطعنى فى الصدور وفى النحورى
أجول على الأسود ولا أبالى ... وأحمل فى الصفوف على بعيرى
وأنصر للأمير بغير رعب ... ولا أخشى من الجمع الكثيرى

(قال الراوى) ولما ان رآه عاصف حمل وكان قد نظره بعين معرفته فعلم انه فارس شديد البأس قوى المراس فصاح بجواده ورجع إلى وراءه وقد أظهر الفزع من القتال فتبعه السمحاق وصار له طالب وما زال وراءه إلى أن قرب من عسكر الخليفة فلما ان رآه عاصف عاد اليه أسرع من البرق الخاطف فرآه السمحاق وقد أدركه وفاجأه بالسنان فعلم انه يريد ان يطعنه فأراد ان يحترز على نفسه منه فسبقه عاصف بالطعنة فجاءت فى نحره خرج

السنان من نقرة قفاه فوقع عند ذلك السمحاق من على ظهر البعير صريع عفيرا كأنه طود من الأطواد وقد ماجت العساكر الذين للأمير عبد الوهاب هذا وعاصف أعجبه ماقد فعله وكل أحد من فروسيته قد انذهل وصار عاصف يجول ويصول ويسأل البراز فخرج اليه اللملمان وقد عاد لونه أبيض هو يقول ماكان هذا لنا فى حساب فسبحان مسبب الأسباب والله لآخذن لك ياسمحاق بالثار ولأكشفن عن السودان العار ثم انه حمل على عاصف بقلب غير خواف والتقيا الإثنين فسمع لهما جلجلة عظيمة ارتجت لها أرض ذلك المكان وكان الأمير عبد الوهاب قد ورد عليه من قتل صاحبه أمر عظيم فأخذ ينظر إلى المعمعة والزعقات منهما مرتفعة والصوارم لامعة والأبصار ممتدة والدنيا عليهما مسودة وهما فى المواثبة والمكافحة والملاحقة الى أن كلت المناكب وتفللت المضارب وأبصر عاصف من اللملمان العجائب فأرمى الرمح من يده وكذلك فعل بالسيف ونزل عن ظهر الجواد إلى الميدان ونادى الأمان الأمان يافارس الزمان فقدكان الذى كان وأنا أعلم اننى قد أسأت الأدب بقتل صاحبكم على اننى والله ماطعنته ومرادى قتله وإنما كان الأجل قد حضر والماضى فات وان كنت قد أسأت فى الفعال فان معى بشارة قد أتيت بها من بلاد العراق تمحو عنى قتلة السمحاق فقال له اللملمان وقد انكسر غيظه ويلك لاتطيل فلا بد من قتلك فلا تخدعنى بالمحال فانك قد أفجعتنى فى ذلك الأخ الشفيق الذى أنا من فراقه لا أفيق وان كنت تريد السلامة أدركتك حتى اننى أسير بك إلى الأمير عبد الوهاب وتبقى تتحدث عنده بما تريد فلما ان سمع عاصف كلامه أدار يديه وقال له شد وثاقى فتقرب اللملمان اليه فلما ان قرب منه همز عليه وضربه بخنجر كان معه فجاءت للضربة تحت ثديه فوقع الى الأرض وأيقن بالارتحال والعرض فكانت رزية الناس به أشد رزيه وبليتهم أعظم بلية ولما إن نظرت عساكر الخليفة إلى هذه الحالة عطعطت من شدة الفرح والسرور ووقع فى عساكر الأمير الحزن والثبور وقال الأمير هذا شىء مارأينا مثله ولا شاهدنا شكله لأن هذا الشيطان قد أباد الشجعان بلا تعب ولا نصب وما هو إلا عفريت من عفاريت الزمان ولقد قصم منى ظهرى لانى كنت أدل بهذين البطلين على سائر رجال الروم ولكن لا اعتراض على الحى القيوم فياليتنى كنت لهما الفداء وان بعدهما لاحاجة لى فى الدنيا أبدا ثم أنه قال لبنى كلاب خذوا فى أصلاح شأنكم حتى اخرج إلى هذا الشيطان فان قدرت عليه فهو الذى أريد وان كانت الأخرى فما انا بأول من غلب لأنى أرى منه شدة لم أرها من أحد من البشر فوالله لو كنت خرجت أنا واللملمان لكان صعب على أخذه فى يومين أو ثلاثة وربما أنى لم أقدر عليه ثم أن الأمير عبد الوهاب ركب جواده ولكزه بالمهاميز فخرج مثل البرق فلما أن نظروا عساكر العراق اليه عرفوه وصاحوا على عاصف خذ حذرك فهذا الأمير عبد الوهاب المعروف فى مواقف

الصفوف فان أسرته أوقتلته خلص الخليفة من الذل والهوان وبلغت أنت ماتريد على طول الزمان وربما جعلك صاحب هذا المكان مع بنى سليم الشجعان (قال) وكان عاصف لما أن ضرب اللملمان تلك الضربة الهائلة كانت غير قاتلة لأنها جاءت مائلة فأمر عاصف برفعه وشد جرحه وأمر اليه بالإحسان وقال مثل هذا يفعل معه كل جميل لأنه فارس الزمان ومالك قصب الرهان وما قدرت عليه الا بالخداع والا ما كنت أصل اليه ثم أنه عاد إلى الأمير عبد الوهاب وقال له أنت أمير بنى كلاب ومقدم السودان الانجاب فقال له الأمير نعم أنا الذى ذكرت ما الذى تريد فقال عاصف أنا ما أريد أن يبرزلى الا من يكون من أقرانى والا ما أكون له مقاوم ولا مدانى فهل أنت ابن الحارث الموصوف فقال الأمير نعم فمن أين تعرفنى فقال عاصف هل يخفى القمر عند ابتداره والليل عند انحداره فدونك والقتال حتى أنى أريك كيف تكون الأبطال وأسقيك بعدها كأس الحمام والوبال وذلك لأجل نفاقك على أمير المؤمنين ولم تخاف من رب العالمين وما رقبت الملك الجبار كأنك قد أخذت توقيعاً من النار (قال) فلما أن سمع الأمير عبد الوهاب غضب وقطب وحمل عليه حملة يكل عنها اللسان واستقبل عاصف كأنه البرق اليمان ثم أنه أنشد يقول.

أمير كلاب دونك اليـــوم واعلما ☆ بأنى همام لا أمل مـــن الحرب
أنا عاصف المعروف فى كل معرك ☆ إذا انفرت نفس الجبان من الضرب
قتلت أبا ثور وكان مقدما ☆ همام جسور فى الهياج على الخطب
هجوم إذا حل الصميدع فى الوغا ☆ صبور إذا إشتد الوغا وعلا الكرب
ومن بعده ليثا يقول بأنه ☆ همام هو الموصوف فى الشرق والغرب
فقاتلتـــه حتى تبينت اسمـــه ☆ وخفلته فى البر يلهث كالكلب
وأنت ستلقى بابن مرزوق بعده ☆ من الموت كاسا طعمه المر فى الشرب

(قال الراوى) ثم أنه جال مع الأمير وضايقه ولاصقه وما فيهما إلا من زام وبربر ودمدم وزمجر ورأى الأمير منه فارسا لايطاق وعلقم مر المذاق بعيد المرام صبور عند الصدام لايمل من ضرب الحسام كامل الأوصاف مليح الانعطاف فتعجب من طول مجاله وجودة قتاله وقال لو كان هذا فى ملطيه يقاتل معنا عساكر القوم النصرانية ما كان له نظير ثم انه قال ياعاصف ماالذى أعطاك الخليفة حتى فعلت هذه الفعال وأعنت عسكره وهم أهل النفاق والضلال وقتلت أصحابنا طغيان فقال عاصف انه قد وعدنى ان يعطينى ارادتى ويبلغنى أمنيتى وان أنا بلغت غرضه منك أرضانى على ان قتالكم فرض لأنكم قد عصيتم

أمير المؤمنين ومرقتم من المسلمين وأنت لاتزال تكذب على هذا الرجل عقبة حتى انك تهلكه وان بنو عمه قد ضمنو إلى المال على هلاكك وأنا أعلم انني منذ نشأت ما أهلكت جبان ولا أكلت لقمة حلال الامارضعت من لبن أمى وأريد ان أقاتل اليوم فى طاعة الله تعالى حتى يكون ذلك كفارة لما مضى قال فلما ان سمع الأمير عبد الوهاب كلامه طمع فى مصاحبته وقد كان الأمير قد أيقن ان كل واحد منهما لايصل الى صاحبه إلا أن يكون مقتول فجعل يتلاطف به لعل ان يكون ركنا من أركان الدين وحامية للمسلمين فلله در الأمير ما كان أشفقه ثم انه قال ياعاصف اعلم انني ما أكلمك إلا بلين الكلام وإنى أريد ان تكون ركنا للاسلام وتخلص من عذاب النار وإلا فما أنا عنك جبان ولا أنا ممن يحب فى الدنيا بقا وأما أمير المؤمنين فلى معه وقفه فى اليوم العظيم وأما عقبة فانه نصرانى موافقا لأهل الكفر والطغيان وان الخليفة يشد منه بغير علم فقال عاصف والله ياعبد الوهاب لقد أخذ كلامك بمجامع قلبى لأنك صاحب العطا الجزيل والأصل الأصيل واعلم انني لما ان قصدت إلى العراق وسمعت هذا الخبر فسرت اليكم وإلا فما بينى وبينكم إلا الخير وقد وقعت الآن فى أمرين عظيمين ان أناقاتلتك فلا بد ان يكون واحد منا مقتول وهو أنت بلا محاله وأما أنا فما أشتهى ان أقطع شجرة الكرم وان أنا صرت فى حزبك وتركت الخليفة فما آمن منك أبدا لأنني سمعت عنك انك بعيد المنال وإنى أيضاً أخاف ان تطالبنى بدم أبى ثور ولا يزول من قلبك طول الدهور ولا تنسا طول الزمان ما فعلت بالملمان فان كنت تحلف لى بطهارة مولدك انني لاينالني منك سوء ولا مكروه فانا أرجع اليك وإذا صرت من جندك تنظر ما أفعل بين يديك فلما أن سمع الامير عبد الوهاب من عاصف هذا الخطاب قال هذه يدى على ماتريد ثم مد عاصف يده وقبض على يد الامير عبد الوهاب فظن انه مثل من لاقاه فى القتال من الابطال نهزه واذا به مثل الشجرة الثابتة فى الأرض أو مثل الصخرة فعلم الامير انه قد خدعه فعاركه الامير وقد زاد الامر بينهما حتى طلع عليهم الغبار فوقع جواد الامير عبد الوهاب فانقض عليه عاصف كالبرق الخاطف واذا به قد وقع واقنى وقد صار والاثنين راجلين بعد ان كانوا فارسين ونظروا عساكر المعتصم الى ذلك فزعقوا على بعضهم البعض ياويلكم مانحن الا بهذا الفارس الذى فعل ماعاينتموه وهذا عبد الوهاب قد صار فى قبضته فادركوه حتى انكم تعينوه على أخذه فما هو الا أن يصير عبد الوهاب عندكم وقد خلص المعتصم فعند ذلك حملت الخيل واندفقت مثل السيل وحامت عقبان الويل ولما ان نظر عاصف والامير الى الخيل وقد أدركتهم خافوا ان تطبق عليهما فتطحنهما فافترقا وكان كل واحد من الاثنين قد ركب على جواده وحمل على صاحبه وزحفت الطوائف وأمن قلب الشجاع وارتاع الخائف

وبان المؤمن من المخالف وقطعت المعاطف وظل الدم واكف ولحقت القتلا بمن مضى من الزمان السالف وجرت الجنائب مثل الرياح العواصف وصار لمعان السيوف مثل البروق الخواطف وأصواتهم تحكى الرعود القواصف ولم تزل المواكب تخبط والفرسان تسقط والرماح تتكسر والخيل بالجماجم تتعثر حتى ذهب النهار وأدبر وأقبل الليل واعتكر وافترقت بنى كلاب من القتال وقالوا للامير عبد الوهاب لله درك لو كان غيرك ووقع به الجواد تلك الوقعة ما كان له إلى أصحابه رجعه فقال الامير والله ما رأيت مثل هذا الجبار ولا أفرس ولا أقوى منه فى المعاركه ولا أكثر مكر ولا خديعة قال ولم يكن للناس تلك الليله حديث الا فى هذا الفارس عاصف وهم يقولون هذا أوفا من اللملمان ومن عبد الوهاب ومن سائر أبطال الاسلام والروم فقالت الاميرة أناقد عوات ان أجرب روحى معه فاما ان يزوجنى بصعيد الارض من غير أكفان واما ان أزوجه أنا بعروس ترابها وأرجوان ثيابها فقال الامير لا والله ما خلى خصمى ولا أقعد عنه ولا عن قتاله ثم باتوا الناس على ذالك واما عساكر الخليفة فانهم لما ان نزلوا طلبوا الى عاصف فلم يقعوا له على خبر ولا ادركوا له اثرفانقلب من اجله العسكر وقالوا لاشك انه قد قتل او اسر وماغاب عنا الا وله خبر (قال الراوى) وكان لغيبة عاصف سبب ياله من سبب (قال) وكان اللملمان لما أن أخذوه عساكر الخليفه من الميدان شدواله جرحه ثم دصبوا له جنبه ثم انهم رموه فى بعض الخيام فلما ان أفاق مما كان فيه من الآلام وأتى عليه الليل فوجد فى نفسه قوه وكان غير مكتوف لأنهم كانوا قد يأسوا من حياته وقد ناموا الموكلين به فقام قائما على قدميه وأخذ سيف من بعض النائمين وخرج من الخيمه وطلب النجاه فلما ان صار فى جانب العسكر قال كيف أمضى بالخيبه والله ماأروح الاومعى شىء ولا بدلى من هذا الشيطان الذى قد خدعنى بخديعته وماقدر على بشجاعته ومن احتقر بالرجال ذل وانا قلت هذا على كل حال رجل من أهل الحجاز مايعرف الخداع وكل من وثق من نفسه خجل ولا بدلى منه ثم انه أراد ان يجد فى طلب عاصف فسمع انه قد فقد من العسكر وقد طلبه الوزير فما وجده ورأى الناس يقولون ذهب والله عاصف اما انه قتل أوأسر فقال لهم الفضل ابن مروان الوزير معلوم اننا كنا اليوم من الراجحين وأنا فى غداة غدأتولى القتال والحرب والنزال بحيلة أعملها مع بنى كلاب والسودان الانجاب ولو انهم بعدد التراب (قال الراوى) فلما ان سمع اللملمان هذا المقال قال مابقيت اعمل شغلى فى هذه الليله الا هذا الوزير ثم انه صبر الى ان نامت الناس وهجم الى خيمة الوزير وقد انكب عليه وسد فمه وكتفه وحمله على اكتافه وسار به طالب ملطيه فهذا ما كان من اللملمان (واما ما كان) من حديث عاصف

فانه لما انفصل من القتال وافترقت الجيشان من النزال صعب على عاصف خلاص الامير عبد الوهاب بيده وكان عاصف إذا غضب سال الدم من منخريه ومن شدة حنقه ارما ثيابه ثم اخذ ثياب بعض القتلا من عسكر عبد الوهاب ودخل الى ملطيه وهو ملثم حتى لايعرفه احد ولما ان دخل كشف وجهه وصار مع الناس وقد عول انه يغتال الأمير عبد الوهاب فهو كذلك وإذا بعشر حمالين يحملون طعام وفاكهة وغير ذلك فقال عاصف لواحد من الحمالين إلى اين يااخى تحملون هذا الطعام فقال له الحمال إلى الدار التى فيها الخليفة لأن الناس قد اشتغلوا عنـــه اليوم بالقتال وما حمل احد اليه طعام فعندها سار عاصف فى جملة الحمالين وقـــد فرح وايقن انه يخلص الخليفة وينال عنده المنزلة العالية ولم يزل حتى انه وصل إلى الدار ودخل معهم فرأى إلى دار كاملة الأوصاف والمعتصم جالس على سرير وعنده عقبة الشرير وعنده اثنين من الخدم والخليفة يتحدث مع عقبة لأنه كان ارسل إلى الأميرة ذات الهمة وطلبه منها يكون عنده ما دام فى الاعتقال فاجابته الأميرة إلى ذلك قال ولما أن خرجوا الحمالين استتر عاصف فى بعض البيوت ولم يخرج إلى الليل وناموا السودان الموكلين بالخليفة ففى ذلك الوقت وثب عاصف وقصد إلى المعتصم فلما أن نظره المعتصم فزع وقال له من أنت فقال لاتخاف أنا خادمك عاصف ففرح به فقال لله درك إيش جرى من الاحوال فأعاد عليه مافعل وما دبر من الحيل حتى وصل إلى ذلك الامر ثم انه قال وأريدان أدبر فى خلاصكم فقال له عقبه يا ابنى عندى رأى أقوله لك انأنت فعلته خلصنا فقال عاصف وما هو أيها الشيخ فقال له عقبه تمضى وتنزل على عبد الوهاب وتقتله وتقتل أمه لانهما فى موضع واحد فاذا قتلوا خلصنا نحن وما يبقى أحدا يعصى على أمير المؤمنين فقال الخليفه ما هذا صواب لأنهم عماد دين الاسلام المجاهدين فى سبيل الملك العلام فقال عقبه انا الذى افتيك فى قتلهم لأن من سل فى وجهك سيف وخالف امرك فقد مرق من دين الإسلام فقال المعتصم هذا شيء لااريده وما اريد إلا الخلاص فقط فقال عاصف السمع والطاعه يامولاى قم ولا تخف ثم انه اخذ بيده وصار عقبه يقول يامولاى لاتخالفنى فانكم ببركاتى تنجون فقال عاصف وذمة العرب قد ضمنوا لى بنى عمك الف دينار على خلاصك فان انت تكفلت بها اخذتك معى فقال عقبه معلوم انا اتكفل لك بها وبأضعافها فقال عاصف قوم الساعه فلو طلبوك اهل الأرض قاتلتهم عنك فقال عقبه وكيف نفعل بهؤلاء السودان الموكلين بنا فقال عاصف قد ذبحتهم قبل ان اعرفكم بنفسى (قال) ففرح عقبه وقال لله درك ثم قال عقبه فى نفسه ان كان يتنصر ويرتد عن دين الإسلام فهو يكون

سيف المسيح لأنه ماقتل السمحاق واللملمان إلا وهو فارس الزمان هذا وعاصف قد سار بهم إلى الصور واخرج من وسطه حبال ودلاهم من فوق البرج وربط الخليفه ودلاه ثم دلى عقبه ونزل الآخر بعد ذلك وحمل الخليفه على اكتافه وسار به قليل فراى عقبه اللعين قد قصر فى مشيه واشتكى فأنزل الخليفه وحمل عقبه وسار به قليل وإذا بشىء سخن نزل على قفا عاصف فالتفت إلى عقبه وهو من فوق قفاه وقال له ماهذا ياشيخ فقال له عقبه ياولدى هذا عرق قد سال من جسدى من كثرة ما حصل لى من التعب فمد عاصف يده وشم من ذلك البلل وإذا هو رائحة تعطس المذكوم فقال له انت شخيت ياشيخ السوء فقال له عقبه مافى ضرر ياولدى امسح وجهك فان فيه البركه فقال له عاصف انزل ياقرنان لئلا يدركك شىء آخر فقال له ياولدى انى ليس لى قدره على المشى فقال عاصف أخاف ان تخرأ فقال عقبه تكون الخيره فلما ان سمع منه عاصف ذلك ضرب به الأرض فبينما هو وعقبه كذلك وإذا بشخص حامل شىء على كتفيه وفى يده سيف مسلول وهو يجرى مثل الهلول (قال) وكان هذا الشخص اللملمان وقد فعل ما ذكرنا فانظروا يا اخوان ياحذاق كيف هذا الاتفاق (قال) وكان الخليفة قد تقدم طالب إلى العسكر فرجع إلى عاصف وقال له على مهلك أيها الأمير فانى أرى إلى شبح مقبل وأنا أعلم أن عبد الوهاب له رجال يدورون حول البلد فى الليل وفى النهار ومعهم آلة الحرب من العدد وعلى ابدانهم الزرد وأنا أعلم انهم ان علوا بنا ماأبقوا علينا فقال عاصف يا أمير المؤمنين طب نفسا وقر عينا فطال ما اننا تخلصنا وملكنا الطريق ما بقينا نخشى على أنفسنا من عائق يعيق ولو اجتمعت علينا سائر قطاع الطريق من كل جبار وثيق ودع تجتمع علينا الانس والجن ويوقدوا لنا نار فلما ان سمع عقبه ذلك الكلام قال ياولدى ما بقى فى الأمر إلا ان تأخذنى على أكتافك وتطلب بنا البرودع يجرى مايجرى فقال عاصف وذمة العرب ماأخاطبه إلا وأنت على ظهرى لأجل ما أعملك مكان الدرقه وأتلاقا فيك كل ضربة وزرقه لأجل مايحل بك البلاء والهلاك وأجازيك يا ملعون على خراك ثم انه دنامنه واحتمله على كاهله وتقرب به من ذلك الشخص وقال له من أنت أيها الشيخ المقبل فقال له أنا اللملمان فما تكون أنت ياشيطان فقال أنا عاصف المذكور بكل لسان وهذا الذى على ظهرى الشيخ عقبه العرقان وهذا الذى تراه خلفى هو الخليفة السلطان (قال) ولما ان سمع عقبه كلامهما وهو على أكتاف عاصف حصل عنده ريح فى جوفه عاصف ثم قال والله ياعاصف ان كنت قتلت السمحاق قتلة مثل قتلة اللملمان ما أنت إلا فارس الزمان وشجيع الميدان وثابت الجنان وصادق اللسان (قال) فلما ان سمع عاصف

منه هذا التوبيخ والهذيان قال له تكذبني ياقرنان وهو كان مرمى فى خيمتى مشرف على الهلاك والتلاف والقلعان ولعله قد وجد بعض الراحة فى بدنه وهرب وها أنا الساعه أهجم عليه وتنظر ما يجرى بينى وبينه وتتفرج علينا وعليه فقال عقبه حيث أن الأمر كذلك نزلنى بقى عن أكتافك لأجل ما تتفرغ للقاء خصمك خير منى أن يأتينى ضربه صائبه فتكون لعمرى ناهية فقال عاصف وحق ذمة العرب وحرمة شهر رجب ماأطرحك عن أكتافى ولو أدركنى تلافى وكل شىء جرى على يجرى عليك ان اصابنى خير اصابك وإلا شر اصابك فقال عقبة ياولدى قد لحقنى البول فقال عاصف والله ياقرنان وإن خريت حتى ماامكنك من النزول (قال) ياساده فزادت من عقبة حسرته وايقن ابتلاف مهجته والتفت إلى الخليفة وقال بالله عليك ياامير المؤمنين خذنى من هذا الشيطان بحرمة المبعوث من عدنان وامضى بنافى القيعان ودعنا نترك هؤلاء العفريتان فوالله مامر على ايشم منها ليلة لأن ان ظفر اللملمان بعاصف مايبقى يستوفى فدية جرحه إلا من قفايا فضحك الخليفة من قوله ثم انه تشفع عند عاصف ان ينزله فأنزله لأجل شفاعة الخليفة وكان اللملمان ايضاً قد انزل الوزير من على اكتافه والتقياهما الإثنان مثل جنيان وجرى بينهما مالم يصفه لسان ولا يحصيه كاتب ولا يحويه ديوان وقدارتفع صياحهما تحت ظلام الاعتكار وقد مسك كل واحد منهما على صاحبه طريق الفرار وبنوا على ذهاب الأعمار (قال) فبينما هما كذلك وإذا هم بأشباح قد اقبلت نحوهما

(قال) وكانوا هؤلاء الذين قد اقبلوا ملابط البغال ومعه عشرة من خيار السودان قال وكان سبب مجيئه انه كان يحب اللملمان حباً شديداً ويألفه وكان قد بلغه الخبر من الجاسوس ان اللملمان فى حال الصحة وانه طاب من جرحه فأخذ ملابط البغال عشرة من أبطال السودان ونزل بهم وطاف عسكر الخليفة وهو يدور على اللملمان فما وجده ولا سمع له خبر فلما ان أيس منه رجع إلى أصحابه وأخذهم وسار بهم فى جنبات العسكر وإذا هم قد سمعوا الصياح (قال) فاسرعوا فى سيرهم إلى أن وصلوا اليهم وسألوهم عن حالهم فأعلمه اللملمان بحاله ثم سأله عن حاله فقال أنا اخيك ملابط البغال وقد خرجت أنا وهولاء العشرة أصحابى نجد فى طلبك وما أتينا إلا بسببك فقال له اتعرف من هذا فقال ملابط البغال كان مرادى ان أسألك أيضا فقال هذا غريمى عاصف ومعه الخليفة وعقبة فدونكم وإياه وإلا أعطونى طارقة لأن الطارقة قد ذابت من شدة المضارب فعندها اطبقوا الجميع على عاصف فى ظلمة الليل العاكف فقل من كان هناك حاضران قد وقع لهم مع عاصف حرب شديد تذوب من وقع مضاربه الجلاميد ويقرب الأجل البعيد ويشيب من هول منظره الوليد وعاصف

قد فتك فى الكل مثل الشيطان المريد وكلما ازدحموا عليه صاح فيهم مزقهم وضرب فيهم فرقهم ولما ان رأى عقبة إلى ذاك التفت إلى الخليفة وقال له ونحن ماوقوفنا يامولانا ماتمضى بنا مادام ان هؤلاء عنا مشغولين فقال الخليفة انت الك قدره على المسير قال نعم فقال سير بنا فسار الخليفة وعقبة قاصدين العساكر ولما ان بعدوا نصب عقبة قامته ووسع خطوته حتى ان الخليفة قصر فى مسايرته ثم ان الخليفة قال له انت ماقلت انك ماتقدر على المشى من شدة الضرب الذى ضربوه لك الأمراء والآن اراك مثل ابو الحصين الشارد. فقال عقبة يامولاى أعيذك بكلمات الله من الدماء إذا ساح وعم على البطاح وجميع النواحى (قال) وكان عقبة أسبق من الخليفة إلى العسكر ولما ان دخل بشرهم ان الخليفة قدوصل، ثم انه أخبرهم بما جرى فصاروا يطلبون ذلك المكان لأجل اعانة عاصف

(قال) وكان عاصف وقف فى وجوه السودان الذين مع ملابط البغال ولولا ان اللملمان وقف فى وجهه وإلا كان أهلكهم لأن اللملمان كان يشغله عنهم ثم انه يزعق فى السودان وينخيهم فيحملوا على عاصف فيصرخ فيهم يفرقهم ذات اليمين وذات الشمال ويرجع على خصمه ويحمل عليه (قال) ولم يزالوا كذلك إلى أن أدركتهم الرجال من عسكر الخليفة فهنا لك التجأ اللملمان إلى أصحابه السودان وصار ينثر الرجال على وجه التراب إلى أن أفنى منهم جماعة وبعدها تخلص هو وأصحابه منهم وطلبوا طريق ملطية وما زالوا إلى ان صاروا تحت أصوارها ثم انهم صاحوا على الحراس فعلم بهم بعض الحراس من فوق الأصوار فأخبروه بحالهم فرجع الحارس أخبر الأمير عبد الوهاب بهذه الأسباب فوثب وفتح لهم الباب فدخلوا فلما ان صاروا فى البلد وقد اجتمعوا بالأمير عبد الوهاب أخبروه بما قد جرى ثم ان اللملمان قال مرادى جرايحى أيها الأمير يداوينى ولولا هذا الجرح الذى بى لكنت فى هذه الليلة شفيت غليلى من عاصف لأنى لما كنت أجىء إنى أحرك يدى ينقض على الجرح ويتسع وما فى هذه العناية التى قد أتتنى من الله تعالى فى هذه الليلة وإلا كنت من الهالكين فقال الأمير وذمة العرب ان الجن إذا بليت بعاصف طلبت منه الاقالة ولقد رأيت منه مالم أره قط من غيره فقال اللملمان والله ماوصل إلى بخديعته إلا لى فقال الأمير اعلم يا أخى ان الخديعة هى عين نتيجة الحرب فاشكر الله تعالى يا أخى على السلامة لأنهم لو انهم علموا انك فى قلة لكانوا اتبعوك ولكن أين كان ملتقاك بعاصف فقال يامولاى لقيته فى الطريق وقد خلص الخليفة وعقبة وهو طالب بهم العسكر فجرى لى معه ماجرى وما أسفى إلا على الوزير الذى كنت قد أخذته وتخلص وقت القتال (قال) فلما ان سمع الأمير عبد الوهاب بخلاص عقبه والخليفة قامت عليه القيامة وفى الحال بعث إلى الدار فما وجد فيها ديار ورأى إلى

السودان الموكلين مقتولين فالتفت إلى الأميره وكانت حاضره وقد خدمت تخرجه فى هذه
النوبة الصعبة فقالت ياولدى لايعسر عليك هذا الأمر فما الذى كنت تريد تنعم فيه
فى الخليفة أو ايش كانت الفائدة فى قبضه وإن كان يا ولدى عقبه خلص اليوم فثم
يا ولدى ان له يوم لايقدر فيه على الخلاص إذا أوثقه القضاء بسلاسله وهذه يا ولدى
أمور مقدره وأحكام مدبره (قال) فتعجب الأمير من هذه القضية ومن دخول عاصف
إلى ملطيه وتم له ماتم وأموره مخفيه (قال) ثم انهم أخذوا يتحادثوا ان أصبح الصباح
ولم يخرج الأمير للحرب ولا فتح الأبواب من شدة ما قد جرى عليه قال وأما عسكر
الخليفة فانها عادت فرحانه (قال الراوى) ثم أن الأمير عبد الوهاب أقام إلى ان جن
الظلام وافتقد الملمان فوجده مشغول بجرحه يغير عليه المراهم فقال له الأمير سبحان من
سلبك من عاصف وأعانك عليه ولكن الحمد لله الذى جرحك سالم والله انك سررتنى
حيث إنك سالم وخلصت من يد هذا الظالم لأنه آفة من الآفات وبلية من البليات حوى
اللصوصية والشجاعة فقال واحد أنا عارف بهذا من بلاد الحجاز وانه كان سلال خيل
فى بلاد اليمن وما ترك فيها حصان موصوف إلا وأخذه وبعد ذلك تفرس وقوى لايغلب
حتى اختفت منه العرب فى الحصون وتركوا المناهل والعيون وكان يتسلق عليها ويأخذ
ماوقعت عينه عليه وما هو كبير السن فهو ابن ثلاثين سنة لاغير فقال الأمير عبد الوهاب
أن عقبة يفتح له أبواب اللعنة والمكر وربما انه أعدمه دينه ويكون ذلك وبالا على جميع
المسلمين فياليت عقبه ما تخلص من عندنا ولكن هذا كله من الأميرة لأن عقبة كان مثل
الكلب وهو محبوس عند ارمانوس فهى التى حملته إلى عند الخليفة فقالت له الأميرة اعلم
يا ولدى انى انخدعت لأمير المؤمنين لأنه أقسم على بحبيبى محمد صلى الله عليه وسلم فخفت
أنا إن ابقى أطالب بذلك إذا لم أبر قسمه وفزعت ان أعاتب بذلك من رسول الله فقال
الأمير أنتى تبرى القسم وعقبه يدبر فى قطع القمم ثم أن الأمير عبد الوهاب أقبل على
الرجل الذى كان يصف عاصف وقال له يا أخا العرب أنت تعرف عاصف فقال يامولاى
أنا الهارب من سيفه أنا الخائف من حيفه أنا ابن عم جميله الذى وطىء عاصف أرض
العراق لاجلها ثم انه أعاد عليه قصته فقال له الأمير عبد الوهاب هكذا ذكر لى عنه وقد
كانت جميله علينا غير جميله ولكن فى هلاكه كيف تكون الحيلة فقالت الاميرة والله لقد
عظمت قدر هذا الكلب الدنىء والله لاتركنه غدا مجندل فى القاع باذن من شق الابصار
والاسماع وأترك لحمه طعاما للسباع والضباع ومن هو هذا الكلب حتى ظهر أمره وشاع
(قال) فتبسم من قولها الأمير وقال لها لاتحملنى فأنا لاأريد سفك دم مسلم وإن كان قد

اعتدى علينا وحل قتله لأجل فساده ولكن حتى نبصر ما يكون من المعتصم ان كان يطلب القتال وإلا الراحة ثم انه عاد إلى ابن عم جميله وقال له وأين أهلك وابنة عمك فقال له يا مولاى فى الرقه وإنما أنا قد جئت إليك لآخذ من جنابك الأمان من هذا الشيطان لئلا يأخذ ابنة عمى ويعاونه الخليفة على ذلك لأجل فعاله معه فقال له الأمير لك الأمان وسوف نكفيك ان شاء الله تعالى فى غداة غد شره وأدفع عنك مكره وأرد لك كيده فى نحره (قال) وكان المتكلم مع الأمير عبد الوهاب هو عاصف المرتاب وكان السبب فى ذلك عقبة المنافق الكذاب لأنه أعطاه ثلاث آلاف دينار وقال له يا ولدى أنت عملت معى جميل وهذا المال الذى ضمنته لك وسوف آخذ لك من الخليفة الخلع وأسلم إليك البلد وأقدمك على جيوشه وعساكره وأدعك تقتل هذا الأسود الذميم وكل اثم كان عليك فى قتله فأنا المطالب به إذا أتيت عريان عطشان لأن قتله هو وأمه ما فيه خطيئة ولا عدوان لأجل ما نافقوا على خليفة الزمان فقال له عاصف ياشيخ أنا مالى حاجة بالخطا ولا أعرف إلا العطا فانظر ان كان لك حاجة غير هذه عرفنى بها فقال له يا ولدى لى إليك حاجة ولك فيها المنفعة الكبرى فقال له عاصف ما هى فقال عقبة ما قولك فى ثلاثين ألف دينار ومائة ثوب ديباج فقال عاصف قل وأوجز فقال عقبة اعلم ان ارمانوس رجل فيه دين ومروءة لكل شجاع مقدام وما خرج من بلاده فى هذا العالم الا لنصرة الإمام وها هو قد أسر وتفرقت عساكره وأنا أريد منك ان تعمل على خلاصه من دار السلاح التى فى ملطيه وهذا النهار قد أتى وإن دخلت تطلب خلاصه أخاف عليك ان تعرف فقال عاصف أنا ما أجعل دخولى إلا ليلا ولا أترك أحدا يعرفنى لأنى أنا أضرب لثامى وأضيق نقابى فلا يعرفنى أحد لا من الأقارب ولا من الاغارب وان تكلمت أتكلم بلغة أهل اليمن لأن كلام أهل اليمن خفيف وأنا الليلة أدخل وأخلص الملك ارمانوس مما هو فيه من الضر والبؤس قال ولما ان جن الليل أعطاه عقبه آلة اللصوصية وكتب له كتاب إلى الملك ارمانوس وأعطاه له فأخذه عاصف وسار طالب الصور حتى وصل إليه وعلق الكلاليب إلى البرج فتعلقت ودق الرياحات التحتانية بالسكك الحديد وتسلق صار على الأصوار وهز الرياحات انقلعت السكك ودور السلم من داخل وانحدف مقلوب صار فى البلد ثم أنه أتى إلى باب الأمير ودخل مع جملة العرب فوجد الأمير والأميرة يعالجوا جرح اللملمان وهم يتحدثون فى حديثه فتكلم مع الأمير بما ذكرنا وخاطبه بما وصفنا وقال له الأمير لا تنزل إلا فى بيت الضيافة فقال له السمع والطاعة أيها الأمير والسيد الخطير قال وكانت دار الضيافة التى للأمير عبد الوهاب للفقراء والمساكين وعبار الطريق ولا يمنع منها أحداً أبداً

(قال) وما تم هذا الأمر على الأمير إلا بغيبة البطال هذا وعاصف قد طلب الدار التى فيها الملك ارمانوس وإذا بالحراس على بابها فرجع إلى خلفه وعلق السلم مثل البرق وسار على سطح الدار وانخرط بقى من أسفل فسمع ارمانوس حسه فخاف وقال ما هو إلا عبد الوهاب أتى يطلب قتلى وإذا بعاصف قد وصل إليه وقال له لا تخف ثم دفع إليه الكتاب الذى من عقبه ففضه فعرفه بخطه فقرأه فى ضوء السراج فطابت منه نفسه وقال يا أخى أنا أقوم معك وأطلب النجاه فاذا خلصنا أعطيتك من المال ما تريد إلا أننى ما أقدر أخوج من الباب لأننى لا أستطيع أن أنزل من السلم الذى صعدت أنت عليه فقال عاصف لا أخرج إلا من الباب ولا يعرفك أحد من هؤلاء الموكلين الكلاب فهل يعرفك أحد منهم فقال ارمانوس نعم هذا المستيقظ هو الذى يمضى لى فى الرسائل إلى الأمير عبد الوهاب فقال عاصف أدعوه إليك فاذا فتح الباب ودخل وقال لك ماحاجتك فقل له يا ولدى أريد أنك تمضى إلى الأمير عبد الوهاب وتذكر له حالى وطول مقامى ودعه يقطع على من المال ما أراد فأنا أقوم له بما يطلب ثم أنك تطاوله فى الحديث وتقول له إعلم أن الأمير عبد الوهاب فى النهار يكون مشتغل وما تقدر تجتمع به إلا فى هذا الوقت حتى أنك تقضى حاجتى فاذا دخل أكون أنا واقف بالباب فاضربه أعجل له الذهاب وذلك عند اشتغاله وأعجل إلى المقابر ارتحاله ثم أخرج إلى باقى النيام أقتلهم ونخرج من الديار ونطلب العسكر ثم قام الملك ارمانوس وصاح على البواب ووقفه عاصف خلف الباب (قال) ولما سمع البواب صياح ارمانوس أتى إليه وقال له ما الذى تريد أيها الملك قال فاعلمه ارمانوس بالذى علمه له عاصف ثم جعل يطول معه فى الحديث ويجره إلى داخل الدار وإذا بضوء شمعة مقبلة مع بعض الخدام قاصده إلى الباب ومن خلفها الأميره ذات الهمة وهى طالبة الدار التى فيها ارمانوس قال وكانت الأميرة قد أتت فى ذلك الوقت تريد ذرديه من دار السلاح لأنها قد عولت أن تلتقى عاصف بها وقد وصلت وهم فى المحاورة فقال له البواب هذه الأميرة قد أقبلت خاطبها أنت بما تريد وابذل لها المال ثم عاد البواب إلى لقاء الأميرة وخدمها وتمت الأميرة داخلة الدار فاختفى عاصفه منها فى الدهليز والسيف مشهور فى يده وهو معول على ما قد ذكرنا فلما أن دخلت الأميرة ونظرها ارمانوس صفع لها ثم أنه قال يا أميرة قد طال حبسى وأنا هنا فى أسوء حال وقد خربت بلادى والأطلال فقالت الأميرة يكون خيراً إن شاء الله تعالى حتى أننا ننظر ما يكون من أمر هذا العسكر ثم أن الأميرة أخرجت ذردية وكلما احتاجت إليه وعاصفه يراها وهو مختفى وهو يقول مالى لا أن أغتنم الفرصة وأقتلها وأخلص الملك أرمانوس

وأفتخر بهذه الفعلة على أهل الأرض لأن هذه الشيطانة هى التى كانت تقول أنا غداً أخرج إلى عاصف وأقتله وما علمت أن رأسها عند الصياح تقطع (قال) هذا والأميرة عادت راجعة طالبة الباب فرفع عاصف يده إلى أن بان سراد أبطه وضربها ضربة من يريد القتل فوقع السيف على مؤخر رأسها قده نص شبر ووقعت الأميرة كأن السماء قد وقعت عليها فلما أن رآها عاصف على ذلك الحال أيقن بقتلها فقال لأرمانوس كأنها قتلت قال فهو يكلم الملك وإذا بغلام الأميرة قد صرخ فضربه طير رأسه وأخمد أنفاسه وفى ذلك الوقت دخل البواب وقد سمع الصياح فضربه عاصف أرماه قطعتين هذا والملك ارمانوس ينظر إلى الأميرة وقد ظن انها ماتت فقال لعاصف ما أفرسك من بين الرجال وما اقدمك على الأهوال لأنك قد قتلت هذه الأميرة التى قد اذلت الأمم من العرب والعجم ولقد كان الشيخ النجيح يدعوا عليها ثم يرمى سهام المنايا إليها ولكن ما جعل المسيح هلاكها إلا على يدك فقال عاصف وايش كان بين الشيخ النجيح وبينها . فقال ارمانوس هى التى كانت تعذبه وتعاقبه ، ولا تخاف من ربها ولا تراقبه ، وان هذه نوبة قد احتكمت وما بقى إلا سلامة انفسنا ، فقال له عاصف ابشر انت بالسلامة ما دام إنى باقى وسيفى فى يدى ثم ان عاصف خرج إلى الجماعة الموكلين وذبحهم ثم عاد إلى الملك وقال له قوم اخرج بنا فقال له ارمانوس خذ معك رأس هذه الشيطانة لأجل ما تقدمها إلى الشيخ النجيح ويعطيك وزنها ذهباً فقال عاصف انا آخذها كلها أحسن من أخذ رأسها (قال) فضحك ارمانوس من قوله ثم انه حملها إلى الصور والملك ارمانوس خلفه فنظر عاصف إلى بعض الأبراج وعليه حارسين نيام وهم تعبانين من السهر طول الليل فطلع اليهم مثل النمس وذبح الإثنين ثم نصب السلم للملك ونزله ثم نزل الأميرة ونزل الآخر وساروا إلى أن وصلوا إلى العسكر وقصد خيمة عقبه وإذا هو جالس والمصحف فى حجره ثم انه يقرأ القرآن وكانوا الناس إذا سمعوا صوته وتلاوته يقولون سبحان من أعطاه هذا العلم والعمل وكان الملعون إذا قرأ شيئا من القرآن يقول ما أفصحك من كلام إلا انك أبغض الأشياء إلى عقبه فهو كذلك وإذا بعاصف دخل عليه وهو حامل الأميرة على أكتافه والملك أرمانوس من وراه ان نظرهم عقبه قام قائما على قدميه وقال مرحبا بالأمير والسيد الخطير ثم أقبل على ارمانوس وباس يده وهناه بالسلامة ثم أعلمه انه هو الذى دبر هذا التدبير فشكره الملك على ذلك ثم نظر عقبة إلى ما على أكتاف عاصف فقال له إيش هذا الذى معك أيها الأمير فقال ابشر انها ذات الهمة قد قتلتها وأسقيتها كأس الحمام فلما ان سمع عقبة ذلك كادت روحه أن تخرج من شدة الفرح ثم انه أعطاه ألف دينار

وقال له هذه حق بشارتك بقتلك هذه العاهرة ثم انه فتح عينه ونظر اليها فوأى النفس يتردد فيها فقال ماكنت أشتهى الا أنها تفتح عينها وتنظر إلى وتعلم اننى أنا الذى فعلت بها هذه الفعال ثم عصب لها رأسها وقال هذه لها سبعة أرواح ولو كانت وصلت إلى وهى هالكة لكان ذلك غاية المراد وإلا مادام ان فيها نفس يتردد لا بد لى ماأداويها واجتهد لعل ان تفيق وتعلم عملى بها فقال ارمانوس ياقاضى ماكنا إلا على نية قتلها ولكن أنا الذي قلت له احملها حتى يصدق الشيخ عقبة ويعطيك وزن رأسها ذهبا فحملتها كما ترى وأنت تعلم طمع العرب والنفس جبلت على طلب الأكثر فقال عاصف وما عسى ان يكفانى وزن رأسها إذا رأيت وزنها كلها هذا وعقبة قد أقبل على الملك ارمانوس وقال له ما الذى أنت منتظر اعلم ان الخليفة ان وقع بك مايتركك إلا بالمال العظيم والخلع والتحف وان سمع بقتل ذات الهمة يقول ماقتلها إلا الذى خلصكم فاذهب الساعة واطلب لنفسك النجاة فقال عاصف وأنا أسير معك ولو لقانا رجال بعدد الرمال أشبعتها حرب وقتال ثم انه قام وتأهب وتحزم وعقبة ينظر اليه ويقول آه ياخساره فقال عاصف مالك أيها الشيخ فقال عقبة أنت ياولدى صعبان على كون انك من أهل النار فقال له عاصف لابشرك الله بخير يا شيخ الفجار كيف تجعلنى من أهل النار قال عقبة ياولدى اعلم ان دينك على غير الدين القديم وان يابنى لادين الا دين المسيح فهو الدين الصحيح فلو انك تنصرت لكنت تنجا من عذاب النار وكان هذا الملك يزوجك ابنته أو بعض بنات الملوك وتبقى أنت سيف الدين وترسه ونابه ودرسه فقال عاصف ياشيخ أنا لا أعرف دين ولا مذهب ولا يقين فقال عقبة ياولدى أنا أعلمك وعلم انه لايعلم فى الأديان لاقليل ولا كثير ثم انه لج عليه وجعل يصف له أحوال ليس لها أصل ولا فصل ولا أنزل الله بها من سلطان ولم يزل به حتى انه شد الزنار وكفر بالملك الجبار ثم جحد دين أهل التقى الأبرار هذا وعاصف قد دنا من الأميرة ذات الهمة واحتملها وشدها على جواد وسار هو وارمانوس مع عاصف يطلب ناحية القسطنطونية

(قال الراوى) فهذا ماجرى لهؤلاء وأما ماكان من أخبار ملطية فان الأمير عبد الوهاب كان إذا صلى صلاة الصبح يأتى إلى الأميرة ذات الهمة بأخذ رأيها فيما يفعل وانه انتظرها ذلك اليوم فلم يراها فمضى لمحرابها فوجده خالى منها فقال لجوارها أين مولاتكن فقالوا له انها قد صلت إلى الثلث الأول من الليل ومضت إلى دار السلاح لتأخذ من العدة مايصلح لها ويعينها على قتال عاصف وإلى الآن مارجعت فقال الأمير لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أنا نفسى حدثتنى انه قدتم عليها أمر من الأمور ثم ان الأمير أتى إلى دار السلاح

وإذا هو يرى الغلمان مقتولين وارمانوس قد فقد وخادم الأميرة مرمى فى الدهليز جثة بلا رأس وقد خمدت منهم الأنفاس فقامت على الأمير القيامة وقال الآن قد حس قلبي أن الأميرة على قيد الحياة فلو كانت قتلت لكانت هنا مرمية مثل غيرها وأنا أقول انه ما سرقها إلا عاصف وكل هذا برأى عقبة وما دام ان الأميرة قد أخذت فما بقالى صبر ولا جلد واليوم أفنى من عساكر العراق العدد ثم أمر النقبا ان ينادون فى العسكر بالركوب فركبوا وخرجوا إلى ظاهر الأصوار والأبواب وفى أوائلهم الأمير عبد الوهاب وقد تأهب للطعان والضراب ألا انه لم يحرك ساكن حتى انه أرسل إلى المعتصم رسول يقول والله العظيم والبيت والحطيم لئن لم ترسل إلى الأميرة ذات الهمة لأتركن الخياء والحشمة وأترك بنى كلاب والسودان الأنجاب تنهب العساكر ولو انهم بعدد التراب فما بقى لنا صبر على هذا البلاء فلما ان بلغ الخليفة ذلك أرسل يقول والله لا أعلم للأميرة خبر ثم انه طلب ارمانوس وعاصف فلم يرى لهما أثر فعظم عليه وقال ياليت شعرى من دبر هذا الأمر ثم انه ادعى بالقاضى عقبة ولما ان حضر قال له ياقاضى هل عندك علم من عاصف وأرمانوس فقال عقبه لا والله ياأمير المؤمنين وان من وقت خلصت أنا وأنت مارجعت رأيت عاصف لانى مادرت الخيام ولا سألت عن الأحوال لانى مشتغل بعبادة الملك المتعال لأن عمرى قد انقضى ولا بقى فيه قدر مامضى وقد نادانى منادى الرحيل وأنا قادم على الملك الجليل وان ظهرى من الذنوب ثقيل وأريد أن أختم مابقى من عمرى بصيام النهار وقيام الليل لعلى إذا صرت فى حفرتى ونزلت بيت وحدتى يغفر الله لى خطيئتى بالكلمة التى أحيها فى خلوتى الخفيفة على اللسان الثقيله فى فى الميزان وهى قول لا إله إلا الله محمد رسول الله فالويل كل الويل لمن يحرمها لسانه وياسعادة من يرزقها جنانه ثم انه جعل يبكى ويقول ياأمير المؤمنين خذلى الأمان من الأمير عبد الوهاب والأميره ذات الهمة حتى أمضى اليهما واتحلل منهما لأن الإنسان لايخلو من عثرات اللسان وربما عثر لسانى بين يديك وتكلمت فى حقهما وكان ذلك من أشفاقى عليهما فقال الخليفه ياقاضى ماأسلم نيتك وما أكرم نفسك اعلم أن الأميره ذات الهمه قد فقدت وقد أتهموك انت بها وأنا قد حلفت ان ماعندى خبر منها وهاهو رسول عبد الوهاب مقيم وقد أرسل يقول لى احقن دماء المسلمين ولا تعجل على أهل الدين ونريد بأخذ عقبه حتى نأخذ منه خبر أم المجاهدين فلما أن طلبت أنت الرواح اليهم تعجبت من اخلاص نيتك وما هذا إلا من حسن إيمانك فضحك عقبه وقال ما كذب الذى قال

أتانى همك أدادى وانت فى قلع أوتادى

وحق القرآن وشهر رمضان ماسمعت خبر ذات الهمه إلا فى هذا الوقت وقد ورد على من أجلها مالو ورد على جبال تهامه ماحملته وهذا كله لأمرين الأول أننى متهوم والثانى أن الأمير عبد الوهاب متوزر بذنبي ولا شك أن عاصف قدخلص أرمانوس وأخذه وطلب بلاد الروم وذلك طمعا منه فى المال فعندها أحضر الخليفه رسول الأمير عبدالوهاب وأسمعه ما نطق به عقبه من الخطاب فعاد الرسول إلى الامير عبد الوهاب وأخبره بما قاله الخليفه من رد الجواب فقال لهم الأمير ائتونى بفلان ورجاله ولما أن حضروا المطلوبين أحضر ولده ضيغم وقال له ياولدى خذ هؤلاء وأمضى بهم إلى بلاد الروم فى طلب ستك وفرقهم فى الطرقات لعل أن تقع بها وبعاصف وبالملك أرمانوس فقال ضيغم السمع والطاعه ثم انه أخذ الرجال وسار وكان الليل قددهم بالإعتكار (قال) فسار والعساكر وطلبوا بلاد الروم خبب وتقريب وكل واحد منهم معه الفرس والنجيب (قال) ولما أصبح الصباح نادى الأمير عبد الوهاب فى بنى كلاب والسودان الانجاب فأخذوا أهبة الحرب والكفاح وزعق الغلمان فى السودان وصاح وما تضاحا النهار حتى تعدلت الصفوف وجردت السيوف وكان أول من حمل الأمير عبد الوهاب وتبعته بنى كلاب واضطربت الكتائب واختلطت المواكب وأظهرت السودان العجائب وبذلوا المضارب ونكسوا الفرسان عن الجنائب وفقد الحبيب الحبايب وتعتعوا جيش العراق ووقعت الأسنه فى الاحداق وعاد عسكر الخليفه وقد انمحق ووقع فيه الخذلان وتمزق ولولا خوفهم من الخليفه كان الجيش قد تفرق (قال) وانظر عقبه إلى ذلك فقال لغلمانه أنا أعلم أن عسكر الخليفه ينكسر ويتقهقر وربما إنى أقع فى يد عبدالوهاب فيصلبنى فى هذه النبوه وما بقى فى الأمر إلا اننى أظهر للخليفه إنى سائر إلى بيت المقدس وأدعى لهم هناك وأدخل إلى بلاد الروم خلف عاصف لأننى قد أوصيته أن ينتظرنى فى مجمع المروج إلى أن أصل اليه ثم أن عقبه تقدم إلى الخليفه وقال له يامولانا اعلم إنى مابقيت أشتهى أن أقيم فى مكان يكون فيه قتال ولا موضع تسفك فيه دماء المسلمين ولا أقدر أن أرى ذلك بعينى وإنى أريد المسير إلى بيت المقدس أتعبد هناك وأدعى لك فى ذلك المكان المبارك (قال) فلما أن سمع الخليفه ذلك الكلام قال له توحشنا أيها القاضى ولكن سير فى دعة الله تعالى (قال) فودعه عقبه وسار إلى أن تم له يوم وليله وهاج به الوجد وعرج طالب بلام الروم فى طلب عاصف وارمانوس وذات الهمه (قال) فهذا ماجرى لهؤلاء وأما ما كان من الخليفه والأمير عبدالوهاب وذلك أن الأمير قال لاصحابه أعلموا أننا أن لم نعمل عملا نفرق به هذا العسكر والأبطال والإطال علينا المطال وبعد ذلك أريد أن أجد فى طلب الأميره ذات الهمه

فقالوا بنى كلاب والسودان الانجاب أيها الأمير اعلم انك لو أوقدت لنا نار لولجناها أو أمرتنا بخوض البحار لخضناها فجزاهم الأمير خيرا وفى الحال أخرج اللملمان ومعه خمسة آلاف فارس من السودان وأعطاهم شيء من قوارير النفط والكتان وقال لهم اختلطوا بعساكر الخليفه وارموا النار فى الخيام وتوكلوا على الملك العلام ونحن نكون بالقرب منكم فاذا ثاروا من مراقدهم بذلنا نحن السيف فيهم فقالوا سمعا وطاعه أيها الأمير ثم انهم خرجوا وتفرقوا فى الخيام وارموا فيها النار ثم نادوا ياعبد الوهاب يامنصور فأجابتهم بنى كلاب على نداهم فما كان أحد فى ذلك الوقت يبقى على أحد ولا بقى الوالد يلتفت إلى الولد وقد طلبوا الفرار وقد انهزم الخليفه قاصد آمد والعساكر خلفه وتركوا الأموال والخيام والأثقال وأصبحت الأرض منهم قفراً خراب وقد فرح بذلك الأمير عبد الوهاب (قال) ولما أن خلى قلبه من هذا الباب جمع فى الحال بنى كلاب والسودان الأنجاب وقال لهم الآن مابقى إلا المسير خلف ملك الروم لأجل مانخلص الأميرة من يده فقالوا سمعاً وطاعه ثم أنهم خرجوا من ملطية طالبين مدينة القسطنطونيه فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ماكان) من الملك أرمانوس فانه تم على حاله ومعه عاصف إلى أن وصلوا إلى مرج العيون واجتمعت اليه العساكر حتى صار فى عالم عظيم ثم انه أحضر الأميره ذات الهمه وقال لها هذا عاقبة مافعلتى فى حقى ولولا الشيخ النجيح أوصانى أن لاأقتلك إلا ان كان حاضر لكنت الساعه قضيت عليكى فقالت الأميره ياويلك ياملعون أنت ماتقدر ذلك الا أن يشاء الله تعالى وإن قتلتنى فلى من يأخذ بثارى وهو ولدى الأمير عبد الوهاب قال فهم فى الكلام وإذا ببطريق قد دخل على الملك أرمانوس وقال له يامولاى لك البشارة بسلامة الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح قال ففرح الملك بذلك وإذا بعقبه قد دخل عليه وقبل الأرض بين يديه فلما أن رآه الملك قام اليه وترحب به وسلم عليه وكذلك عاصف ثم قال عقبه لعاصف ابشر ياولدى ببلوغ الآمال ثم أدار عقبه عينه فى المجلس فرأى الأميره ذات الهمه قدامه فى المجلس فقال للملك أيها الملك ما انتظارك فى هذه العجوز الشمطاء والحية الرقطاء فقال الملك حتى نصل إلى القسطنطونية لأجل ما نخرجها ونقتلها وتحضر الروم قتلها لأن مافيهم إلا من أحرقت قلبه فقال عقبه نعم مارأيت أيها الملك ثم أنهم باتوا تلك الليله بأسر مبيت فلما أن كان الصباح وعولوا على الرحيل وإذا بغبار قد علا وقتام قد نمى ساعه وانكشف عن أعلام إسلاميه وعصائب محمدية يقدمهم الأمير عبد الوهاب المجاهد عن دين الملك التواب ترس قبر النبى الأواب فلما أن وقعت العين على العين لم تصبر الطائفتين دون أن حملت بعضها على بعض وقال اللملمان أنا أريد أن أعمل عمل البطال ومايصنع من الاحتيال ثم انه نادى بغلمان البطال

وهم أبو الليل والخداع وأبوا كراع فلما أن حضروا أعلمهم اللملمان بما قد عزم عليه فكانوا اليه له أسبق ثم تقدم أبو الليل وكان قد تعلم حركات مولاه أبو محمد لأنه كان إذا حملت الطوائف بعضها على بعض يقوم ويجعل قصده سرادق الملك ويأخذ غلمانه معه وقد تزيوا بزى الرهبان (قال) وإن اللملمان والغلمال لما ان فعلوا ذلك وتزيوا قصدوا إلى خيمة الملك فى ذلك الوقت ثم انهم دخلوها فوجدوا الأميره ذات الهمه مثقلة بالحديد فحملوها وخرجوا بها وعادوا إلى عسكر الأمير عبد الوهاب ولم ينفصلوا حتى طلعت الشمس وعادت كل طائفة إلى مكانها ورجع الآمير عبد الوهاب فبشروه بخلاص الأميره ففرح بذلك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وأما أرمانوس فانه لما رجع جلس على سريره وعقبه إلى جانبه وقال له يا ملك اشتهى فى هذه الساعه ان أعذب ذات الهمه وأباكتها فقال له افعل ما بدالك فقال للبطارقه على بهذه العجوز الشمطاء والحية الرقطاء فغابوا ساعة وعادوا اليه ثم قالوا أيها الشيخ ما وجدنا لها خبر ولا ذكر يذكر فقامت عليه القيامة وعض على كفيه ندامه وعاد على نفسه بالملامه فقال له عاصف أيها الشيخ لا يهمك ذلك انا غدا آتيك بها وبعبد الوهاب وبجميع فرسان بنى كلاب والسودان والأنجاب (قال) ففرح الملك وعقبه من قوله وخلع عليه ولقبه بسيف النصرانية وحامى ماء المعمودية (قال الراوى) ولما ان كان من الغد وقد اصطفت الصفوف وترتبت الألوف أول من خرج إلى الميدان كان عاصف واذا قد ادعى الأمير عبد الوهاب إلى الطعان والضراب فلما أن سمع منه الأمير عبد الوهاب ذلك الخطاب خرج اليه وجميع الناس خائفين عليه من عاصف (قال) وقد وقفت الأميره ذات الهمه تنظر إلى الحرب وقد استفاقت لنفسها قليل هذا وقد التقيا الفارسان وتصادما بالأبدان وكل قوم أخذوا فى الدعاء إلى صاحبهم (قال الراوى) ولم يزالا الفارسان فى عراك وصدام وشباك ولزام وقد انعقد عليهما الغبار وقد غابا عن الأبصار فما كان يسمع إلى همهمة البطلين وزمجرة الفارسين والناس متطلعين وقد ضاق عليهم المجال وساءت بهم الأحوال (قال الراوى) وأن الأمير لما أضجره عاصف قام فى الركابين وتمطى فى البدادين وضرب عاصف ضربة شاذه فتلقى عاصف ضربة الأمير بالدرقة فقطعها السيف نصفين ونزل على عاصف جرحه جرح غير قاتل فلما ان نظرت الطوائف إلى ذلك حملت بعضها على بعض وتم عاصف يدخل من موكب ويخرج من موكب والأمير عبد الوهاب خلفه من مكان إلى مكان :

(قال الراوى) والناس مشغولين عن الأمير عبد الوهاب وعاصف إلى أن خرجوا من عسكر الروم وتم عاصف فى الهزب والأمير له فى الطلب وما عند أحد منهما خبر

والطوائف فى صدام ولزام وشرب كأس الحمام إلى آخر النهار هنالك ولت عساكر الروم وتبعتهم المسلمون الأخيار وما رجعوا إلى الخيام حتى مسكوا عقبه وهو منهزم طالب القسطنطونية ولما نزلوا الطوائف افتقدوا من فقد منهم فلم يفقد منهم غير القتلا وطلبوا الأمير فما وجدوا له خبر فصعب ذلك على المسلمين فقالت الأميرة ذات الهمة ما هو إلا قد طلب عاصف لأن عاصف قد هرب والأمير خلفه فى الطلب وما يعود إن شاء الله تعالى إلا به وما يغيب أكثر من هذا اليوم وعند الصباح يكون عندنا وإن كان ما يلحقه فهو يعود عنه وما أقول أنه يبطىء أكثر من هذا لأن عاصف موثوق بالجراح ثم انها قالت لضيغم سير بنا إلى صوب ملطية فسار ضيغم وعقبه معهم وأقاموا أصحاب الأمير يوم وليلة فما سمعوا له خبر ولا وقعوا له على أثر فحملوا هم غيبته وعسفوا البر ثلاثة أيام فما رأوا بشراً ولا من يسألوه عن خبر فرجعوا إلى الأميرة ذات الهمة وأخبروها بما فعلوا وأنهم ما أطلعوا له على خبر فصعب عليها وكبر لديها وقالت لهم ما هو إلا قد دخل بلاد الروم خلف خصمه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وأنا أعلم أن خصمه لا يمل من الهرب والأمير لا يمل خلفه من الطلب والخيل إذا جرت فى طلب ما تقف إلا عن عيا وتعب ولا بد لهما من بعد وربما فجعنى عاصف فى ولدى وأقرح عليه كبدى ثم أنها أقبلت على السودان وقد انتخبت منهم خمسة آلاف فارس ومن العرب مثلهم وقدمت عليهم ضيغم وقالت له ياولدى سير فى طلب أبيك واقتفى أثره الى بلاد الروم وابذلوا فى أهلها السيوف واسقوهم شراب الحتوف واقتلوا وانهبوا واسبوا واخربوا وان طلب الملك أرمانوس الصلح فلا تصالحوه حتى ينفذ لكم ولدى وحشاشة كبدى فقال ضيغم السمع والطاعة ثم ساروا فى تلك الساعة ومعهم الفرسان الموصوفين بالشجاعة والقوة والبراعة وسار ضيغم ومن معه يقطعون الأرض الى أن وصلوا الى بلاد الروم وألقوا النهب فى الضياع والأديرة وجميع الأماكن وسفكوا الدماء وقتلوا الفرسان وذبحوا الشيوخ والشبان وألقوا الخوف فى قلوب عباد الصلبان وقد أخذوا خلق كثير أسارى وسألوهم عن الأمير عبد الوهاب وعن عاصف فقالوا ما عندنا من هذا خبر ولا عهدنا منكم أنكم تأخذوا من لا يؤذيكم فقال الأمير ضيغم نحن نريد نأخذ تارنا ثم أن السودان بذلوا السيف فى البلاد حتى تركوها دكا وبلغ إلى الملك ارمانوس فقال ما أحوجهم الى ذلك إلا قتل ذات الهمة وربما يكون سيف المسيح عاصف قد قتل ولدها عبد الوهاب

﴿ تم الجزء الستون ويليه الجزء الحادى والستون ﴾

سيرة
الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الحادى والستون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) وقد خلوا هؤلاء القوم وألقوا فى البلاد الخراب لأجل ما هربت منهم وجرت تلك الأسباب ثم أنه أرسل اليهم رسول يقول لهم ما الذى تطلبون منى أنا اخترت النجاه وهربت والذى قتل أميركم وأمير تكم هو عربى مثلكم فارجعوا عنا واتركوا الأذية وصالحونا حتى نحمل لكم الأموال إلى ملطية ولا نرجع نطيع خليفتكم بل نعينكم عليه إن عاد الى قتالكم وحربكم ونزالكم ونكون لكم أوفى مما كنا لخليفتكم وان أبيتم ذلك وبغيتم علينا فانا أرسل إلى سائر الجزائر ونكتب الى القلاع والحصون أن يمسكوا عليكم الطرقات والدروب فلا يرجع منكم الى بلاد الإسلام من يخبر بخبر فلما وصل الرسول الى ضيغم وقد أدى الرسالة وبلغه المقالة فقال له ضيغم نحن ما دخلنا الا فى طلب الأمير عبد الوهاب ولا نرجع الا به وإلا تركنا بلادكم بلاقع وحدثه بحديث أبيه وحديث عاصف فعاد الرسول وقد أنفذ ضيغم جماعة من عنده فلما ان حصلوا فى القسطنطونيه أعاد الرسول على ارمانوس ما سمع من حديث ضيغم فاغتم على عاصف غم شديد ما عليـــه من مزيد وفرح لغيبة الأمير عبد الوهاب وقال هذه ذات المهمة وعبد الوهاب قد هلكوا وما بقى لنا عدو ثم قال لاصحاب ضيغم وحق المسيح لقد عز على قتل الأميرة ذات الهمة لأنها كانت نعم الذخيرة فقالوا ارسل ضيغم والله ما هى إلا بالحياء وهى التى أرسلتنا لما ان فقد ولدها فقال ارمانوس أنا رأيت عاصف وقد ضربها ضربة وما أظن أنها تعيش منها أبدا فقالوا جرى بعدها من الأمر كذا وكذا فقال ارمانوس فى نفسه هيهات هيهات أن يموتوا هؤلاء القوم أبدا وحق المسيح ما يموت إلا نحن وأولادنا وهؤلاء فى الحياه ولا بقى لنا معهم مقام ثم سأل

عن عسكر الخليفة تأخبروه بالذى جرى والكسره فقالوا وقاضيكم قالوا فى أسوإ حال فى الذل والويل ويصفع قفاه بالنعال فى الغدو والإصال وقد حلفت الأميرة لابدلها من صلبه فى هذه السنة على باب الذهب فكن على أهبة من ذلك فنحن قوم إذا مضى مناواحد كان غينا مائة فقال ارمانوس أقيموا عندى حتى أوريكم ما أفعل فى حقكم وكيف أجتهد فى طلب صاحبكم ثم كتب الى سائر الأقاليم يطلب عبد الوهاب ثم أنه علم على الكتب وأنفذها على أجنحة الطيور وأنزل أصحاب ضيغم فى دار الضيافة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أتت الجوابات من سائر الملوك إن ما عندهم خبر من ذلك وكان قصد الملك أن يعلم قصد عاصف لأنه قد فرح به وأوعده أن يبقى يعطيه بلاد ويترك له عساكر وأجناد حتى أنه يكون سيفه على المسلمين فلما اطلعوا رسل ضيغم على هذه القصة عادوا بالخيبة وأعلموا ضيغم بفعال الملك فقال ضيغم أنا ما أرجع خائب وكلما عمله الملك محال ثم تم على ما هو عليه من خراب البلاد وقتل العباد وسبى الذرارى والأولاد (قال) فكثرت الشكاوى الى الملك فجمع ستين ألف من العرب المتنصرة وبرزها فى عساكر القسطنطونية وبعث الا الأقاليم يأمرهم بالقدوم ورحل هو فى مائة الف وقد قال لأصحابه ما هم الا فى قلة وما فيهم لا عبد الوهاب ولا ذات الهمة (قال) فاجتمعت الروم بقلوب صافية ومسكوا الدروب على ضيغم ولحقهم أرمانوس فى تلك العساكر ونادى فى وجوههم كل كافر ولما حققوا المسلمين اللقاء طلبوا منازل العلا والارتقاء والتقوا عسكر ملك الروم بالصوارم وضربوا بها الجماجم واختلطت العوالم بالعوالم وهدرت السودان بأصوات ودمادم وتفاخرت بانسابها العرب وعم الويل والحرب ودام الطعن والضرب وحكم الصارم العضب وارتفعت أصوات اهــــل الإيمان بقول لا إله الا الله الملك الديان فاجابتهم الطيور فى اوكارها والوحوش فى اجامها والسباع فى غاباتها وقد اسودت الأقطار فى عيون أهل الضــــلال وانهزمت الروم تطلب القسطنطونية وتركت أموالها للمسلمين وأبطال الموحدين (قال الراوى) ولما ملك ضيغم تلك الأموال والأسلاب قال لبنى كلاب والسودان الأنجاب الرأى عندى أن نرجع إلى بلادنا معاً لئلا يحصل بعد الربح خسران وإلا جمع الملك علينا جمع واتبعنا فاطلبوا بنا بلاد أهل الإيمان وكأنكم بعساكر الأقاليم نطلب إلى القسطنطونية وتصل ملوك الافرنجية وتفج علينا الدنيا بملوك النصرانية والصــــواب أن نعود ونعلم الأميرة ذات الهمة بما جرى حتى تدخل معنا فى مائة ألف من المجاهدين ويقوى منابهم اليقين فاذا صارت فى هذه البلاد نفادى عقبه بالأمير عبد الوهاب وإلا صلبناه فقالوا بنى كلاب هذا هو الصواب ثم رجعوا طالبين

الدروب وأما الملك ارمانوس فانه جمع بعد الكسرة كل من فى القسطنطونية من الخاص والعام وقال ويلكم الدروب مضبوطة على المسلمين والأرض أرضنا والبلاد بلادنا فكيف نتركهم يرجعوا سالمين بأموالنا والرأى أن نطلب آثارهم ونخلص ما أخذوا من الأموال والرجال ونهلك أبطالهم والاقيال فقالوا الروم ايها الملك افعل ما بدالك فما نحن تبعاً لفعالك ، ثم اجتمعوا وساروا فى عقب عساكر المسلمين وكان ضيغم قد سار برجاله خمسة ايام حتى وصل إلى مجمع المروج فنظروا وإذا بالدنيا ملآنة بالبطارقة والعلوج وهى فى وجوههم مثل يأجوج ومأجوج والدروب عليهم قد ملكت وسائر المذاهب قد مسكت وما هم إلا ان اشرفوا حتى اخذهم الصياح من كل جانب وتبادرت إليهم الروم مثل السلاهب من المشارق والمغارب فأخذهم الاندهال من كثرة الأبطال فنزلوا فى تلك الأرض وأيقنوا بالهلاك والفناء هذا وضيغم يحثهم على الجهاد ونيل المنا ويقول يا بنى عمى ما بقى يخلصنا إلا قوائم السيوف ونحن على كل حال رابحين إن كنا غالبين او مغلوبين لأن لنا جنات النعيم إذا هلكنا بسيوف الكفار وإن هلكناهم فلنا الغنائم والخير والاستبشار (قال الراوى) وباتوا فى ذلك المكان وما منهم من نام إلا ويده على الحسام وهم يحرسون انفسهم ويسبحون ربهم إلى أن اصبح الصباح ثم عولوا ان يحملوا صوب الدروب ويبذلوا المجهود فى الخلاص وإذا بأعلام ارمانوس قد طلعت وراياته قد ارتفعت فلما اشرفوا كشف ضيغم رأسه ، وقال لأصحابه : يا بنى عمى اليوم يوم الاستبشار وما بقى الاضرب البتار ولقاء الواحد القهار ، فبيعوا فى هذه الساعة النفوس للملك القدوس ولا تبكون فيها على فراق الدنيا فتنالوا المنى وما وعد الرحمن جل وعلا ولا يطلب أحد النجاة ويطلب الحياة فما هو مخلد فى دنياه ولم يزل يعظهم حتى قالوا ياضيغم احمل بنا كيف شئت فانا علمنا أن القنطاريات نحونا قد امتدت وابواب الجنة قد فتحت ومن لم يكن اليوم مقتول فهو عند الله غير مقبول فقالوا السودان وقد سمعوا هذا المقال والله لابد ما نلقاهم ونحن عراه مكشفين الرؤوس حفاة الأقدام ثم انهم رموا الدروع والزرد وبذلوا النفوس والمهج وقد بصبصت جلودهم مثل السيج وحملوا على الروم مكبرين للواحد القهار ورؤسهم تبرق من تحت الغبار وأطبقت عليهم أطباق البحار وقد قال بعضهم حيث يقول :

وإذا الرجال تكاثرت فى قسطل ... ذل الشجاع وكلت الأبطال

(قال الراوى) وألقت المجاهدين انفسها للهلاك وقد علموا ان ما بقى لهم خلاص ولا فكاك وصاح ابليس فى طوائف الصلبان وأسعدهم بكل مارد وشيطان وصبرت طائفة

الرحمن وأسعدوهم بالتكبير والصلاة على البشير النذير ونقلت ارواح المجاهدين للحور والولدان ودام القتل فى العرب والسودان وتكاثروا عليهم عبدة الصلبان من كل جانب ومكان وبان فيهم المحاق والنقصان فضجوا إلى علام الغيوب واجروا الدمع المسكوب وكادت الأكباد منهم ان تذوب وخفتت الأصوات من كثرة الضجات وأيس من لقاء محبة كل محبوب (قال الراوى) بينما هم فى تلك المضايق والكروب وإذا بالروم قد تنافرت من نحو الدروب ووقعت فيهم الدقة من ورائهم فهجوا على وجوههم والسيف يعمل فى فى ظهورهم والتكبير من خلفهم قد علا ولم تكن إلا ساعة حتى ظهر الجيش وبان ولمع الحديد على الأبواب وهم زهاء من مائة ألف عنان بيض وسودان وهم ينادون جاءكم الفرج يا معشر الاخوان (قال الراوى) وكانوا هؤلاء القادمين بنو كلاب والسودان الأنجاب وكان السبب فى ذلك أن الأميرة ذات الهمة لما أبطأ عليها خبر ضيغم وأصحابه ، فقالت لا يكون قد تم عليهم امر فى بلد الروم لأنهم فى قلة دون العشرة آلاف فيهلكون ومالى من يكشف خبر ولدى إلا عقبه شيخ الضلال (قال الراوى) ثم حملته على جمل عريان ، وقد ألبسته السودان فروة مقلوبة ، وعملوا على رأسه طرطور من اذناب الثعالب ، وداروا به من كل جانب ، وسارت الأميرة ذات الهمة تقطع الأرض ، ذات الطول والعرض ، حتى اشرفت على هؤلاء الكفار فسبحان من يأتى الفرج ويجعل بعد الضيق مخرج هذا وضيغم وأصحابه قد انكشفت عنهم الغمة وفرحوا بالقادمين وأبعدت عنهم المشركين ودارت طاحون الحرب واشتعلت نار الطعن والضرب فلله در الأميره ذات الهمه على ماهى فيه من الكبر والجراح فانها كانت مثل غلام ابن عشرين سنه فى نصالها وقتالها فما بقى من الروم إلا من ولى الادبار وركن إلى الفرار وكان أول من انهزم أرمانوس وقد علم انه على النصرانيه يوم منحوس (قال) ولم تزل الأميره فى أعقابهم حتى انها أطالت عذابهم وقد أسرت من ملوكهم أربعة وعادت وهى فرحانه مستبشره ووصلت الأميره إلى ضيغم وأصحابه وهنتهم بالسلامه وقالت لهم ابشروا بالثواب من رب الارباب فقال لها ضيغم هذا كله ببركاتك ياستاه فوالله لقد جئتينا فى وقت الحاجه اليكى أطال الله عمرك وأهلك عدوك فقالت الأميره أقسم قسما ياولدى لقد حسبت حسابكم ودخلت أيضا لأجل الأمير عبد الوهاب وقد عولت أن أصلب عقبه أن لم يظهر خبر أبيك ثم سارت تخرب وتقتل وتأسر إلى أن وصلت إلى القسطنطونيه فلما أن وصلت إلى أبواب القسطنطونيه أرسل الملك أرمانوس يقول لها ياأميره ايش هذا اللجاج وهذه الفعال فى هذه السنة وقد قتل بيننا رجال وان

كان من أجل ولدك عبد الوهاب فوحق المسيح ماعندى منه خبر إلا منكم وإلا فما يكون بيننا إلا السيف ولا يكون بيننا صلح أبدا ثم أن الأميره أحضرت عقبه امام الرسول وقالت أنا فى غداة غد أصلب هذا ان لم يخلص ولدى أو يطفى بخبره نار كبدى ومابقى إلا هذا اليوم وهذا آخر أيامه فقال عقبة ماهذا منكى مليح يافاطمة أليس قد وعدتم الناس انى أصلب فى يوم مشهود وبحضرة عبد الوهاب والبطال فاذا فعلتى هذا وقد استعجلتى فما تكونى قد بلغتى منا ولا شفيتى مرض ولا أزلتى عنا فقالت الأميرة ذات الهمة ياملعون قد قيل من الكلام

تلجى الضرورات فى الأمور إلى سلوك مالا يليق بالأدب
ماحاملا نفسه على سبب إلا لأمر مناسب السبب

ولكن ياعقبة ان كنت تريد منى الامهال فانى أمهلك أيام بشرط ان تكتب إلى الملك مع هذا الرسول كتاب وتطلب منه ان يفيدك بعبد الوهاب وإلا فمابقى لك فى الحياة مطمع لأنى أخاف أيضاً ان يدركنى الأجل ولا أكون قد بلغت منك أمل فقال عقبة وقد علم ان أجله قد اقترب انا ابعث إلى ملك الروم بما تريدى لعله ينخدع ويلين ثم أنه كتب إلى ملك الروم كتاب يحذره ويقول له لا تتوانا عن خبر الأمير عبد الوهاب فاهلك. وأنت تعلم إنى كنت السبب فى خلاصك تخلصنى أنا أيضا من هذه القضيه والبليه ولا يكون عندك أفضل منى على اننى إذا عدت عملت لك عليه وقدته اليك بيديه ورجليه وهذه نوبه عظيمه وماوقعت قط فى نوبه أعظم منها فاطلب خبر عبد الوهاب وعاصف أن كانا قد عدمافى حال العرب المنتصره وفتش عليه فى الصوامع والاديره فالعجل العجل وإلاسقونى كاس الاجل ثم انه أعطى الكتاب إلى رسول الملك أرمانوس وقدسيرت معه الأميره أقوام وأقامت تنتظر الجواب (قال) ولما وصل الكتاب إلى الملك جمع خواص بطارقته من القسوس والرهبان وغيرهم وقال ماالذى عندكم من الرأى فى هذه المحنه الذى طرقتنا ومابقى لنا عليها طاقه لأن ملوك الاقاليم مابقوا يساعدونا وإلا كنت أنفذت خلفهم وكنا كتبنا لهم والشيخ النجيج أشرف على الهلاك ومابقى له منهم فكاك وان تهاونت فى أمره طالبنى به المسيح وأنا قد حرت فى هذه النوبة وخربت بلادى وهلكت أجنادى ووحق المسيح لو عرفت موضع عبد الوهاب لفديته بملكى جميعه ثم انه قال لرسول الأميرة ذات الهمة اننى أشتهى ان تمهلنا الأميرة ثلاثة أيام حتى اننا نبذل المجهود فى خلاص ولدها وأنفذ الطيور إلى جميع البلاد وجميع الجزائر حتى يظهر له خبر ثم انه أنفذ البترك مع رسل الأميرة ومعه عشر

قسوس ليطلب منها الامهال فلما وصلوا إليها وحصلوا بين يديها قالت لهم ما الخبر
فأعادوا عليها ماجرى وقبل البترك يديها وقال لها أيتها الأميرة اعلمى أن بلاد الروم
ماهى صغيرة وهى فى البحر أكثر من البر ونريد منك الامهال والصبر لعل يطلع
لولدك خبر ونعينك على خلاصه ويكون ذلك سبب صلحنا معكى ومعه ولا يكون
بيننا خلاف فلما سمعت الأميرة ذات الهمة ذلك الكلام أحضرت قومها وقالت لها
كيف ترون هذا الأمر أسعدونى فى المشورة فقالوا لها الصواب الصبر فلو كان
عند الملك ارمانوس خبر لكان ظهر فهم فى الكلام وإذا هى بجواب مارس ودارس
وصل اليهم يقولون فيه أجبنى يا أم المجاهدين الملك إلى الامهال فما عند الملك ارمانوس
خبر من ولدك الأمير عبد الوهاب وما تسألى ماعلى قلوبنا من أجل فقده والملك فقد
هان عليه صلب عقبة بعد ان كان يقاتلكم هو وأهل البلد القتال الشديد ونحن
ماندرى تكون الغلبة لمن لعل يظهر خبر الأمير عبد الوهاب فهو أحب الينا من كل
كافر على وجه الأرض فلما قرأت الأميره ذلك الكتاب اختلت بغلامها سرا من البترك
وقالت له كيف وصل هذا الكتاب فقال لها وقع من الصور فى سهم نشاب وأتى به بعض
أصحابنا فلما صح عندها القول أجابت إلى الإمهال عشرة أيام وقالت للبترك أنا مافعلت
هذا الأمر إلا لأجل مشيك إلى فقبل البترك يديها وعاد وأخبر الملك بما جرى فأخرج
الملك لها الإقامات والعلوفات وأرسل إلى سائر الجهات والحلل والأديره وقد انقلبت
بلاد الروم فلاخبر ولاأثر وقد عادت الرسل من كل جانب وأخبروا انهم لم يسمعوا له
خبر فقامت على الملك أرمانوس القيامة وقال إنى أرى روائح الغلب وحق المسيح مارأينا
قط عام أيشم من هذا العام خصوصا على الشيخ النجيح (قال) ووصل الخبر إلى الأميره
ذات الهمه فأيست من ولدها الأمير عبد الوهاب وصارت تعلل نفسها وتقول ولعله يكون
قدرجع إلى بلاد الاسلام (قال الراوى) فبينما هم فى هذا الكلام وإذا بالغبار من ناحية
بلاد الاسلام قد ثار حتى عاد النهار مثل الاعتكار فقلقت الأميرة ذات الهمه وجعلت ترقب
الغبار حتى انقشع وبان من تحته لمع الخود وبريق انقشع عن جيش ملأ المتسع وعلى
المقدمة فارس كانه الأسد الادرع وهو غائص فى الحديد وتدرع وأما صوته فقد
أرتفع بالتكبير فقالت الاميره ذات الهمة لعل الفرج يكون أقبل ويكون ولدى مع هؤلاء
العرب حتى ينظر عقبة كيف يصلب ويكون أجل الملعون قد اقترب (قال الراوى) ولم
يكن الأمر كذلك وإنما كان ذلك الفارس الململان وكان قد وصل إليهم فيما كان قد بقى
فى ملطيه من العرب والسودان لأنه قد طال عليك غياب الأميرة ذات الهمة فخشى عليها

ودخل خلفها ووصل إليها فلما رأته الاميرة ركبت إلى لقاه وفرحت بسلامته من الجرح الذى كان قد أعاقه عنها فقالت له الحمد لله الذى قد أولاك العافية لأن قدومك مثل قدوم ولدى فباس الململان رأسها وقال لها يا ستاه هل سمعتى عن مولانا الأمير عبد الوهاب خبر فقالت له لا والله ياولدى ما كان الأرض الا ابتلعته وكذلك عاصف ولاشك ان ولدى قدقتلوه الروم فعاصف ما أراه طلع له خبر ثم ان الأميرة ذات الهمة بكت وبكوا الناس لبكائها من كل جانب هذا وقد تأوهت من شدة فراق ولدها واحترقها ثم انها أنشدت تقول

يعز على الشكلى يغيب حبيبها ... زمان ولم يأتى لها عنه خبر
وحق إله البيت والركن والصفا ... وزمزم والبطحاء والركن والحجر
لقدهدنى فقد الأمير وفى الحشا ... لهيب لظى يحكى جهنم أو سقر
ألا مخبر يأتى بخبر أمه ... بحال أبنها إن كان بخير أو بشر
بأى بلاد الله اضحى مجندلا ... وأى أناس فى بلادهم قد عبر
لقد كان كشافا لكل ملمة ... وقد كان قتالا لمن كان قد نضر
سأبكيه دهرى ثم تبكيه دائما ... خيول اللقا والرمح والصارم الذكر
لقد كان للاسلام ركنا مشددا ... وكان يرد القوم يوما إذا بدر
ألا يا أمير المسلمين وهكذا ... تميت عجوزا هدها بعدك الكبر
وكنت لها فى آخر العمر عمدة ... وكنت لها سمعا وكنت لها بصر
ألا ياحمامات الاراك بحق من ... براكى إذا ما نحت فى عالى الشجر
ومر عليكى الطير بالله تسألى ... عليه من الأطيار هل عندها خبر
ألا يانسيم الريح بالله بلغى ... إليه سلامى عند مسراك فى السحر
ألا ياغراب البين إن كنت سالما ... فبين لنا تلقى الثواب مع الظفر
وياصلصات الرعد هل تخبرينى ... بليث هصور كان صيال ان هدر
عليه سلام الله حيا وميتا ... ما لاح فى آفاقها الشمس والقمر
وصلوا على خير الأنام محمد ... نبى الهدى المبعوث من أخر البشر

(قال الراوى) ولم تزل الأميرة تندب على ولدها الأمير عبد الوهاب ليل ونهار حتى أقلقت القلوب وأدمتها وأجرت العيون وأبكتها وبكى الململان وقال على ماذا عولتى قالت أزحف على القسطنطونية وأضرب كل من كان فيها بالسيف وأنصب الخشبة على باب الذهب ونصلب عقبة فما كان سببا لهلاك ولدى الأمير عبد الوهاب غيره وهو الذى قد عمل هذا العمل وإذا أنا صلبته فأكون قد أخذت بعض التار وأدفع

عن بنى كلاب العار وأما ملطيه فاننى لا أرجع إليها أبدا لاننى لا يطاوعنى قلبى ان أرى آثار ولدى ولا أراه على هذه البلية وما فى الأمر إلا أننى إذا رجعت أخذت الأموال والرجال وطلبت الحجاز فأكون قريبة من البيت الحرام وأبقى أزوره فى كل عام إلى أن يدركنى الحمام فما بقى فى العمر أكثر مما مضى فقال اللملمان لابلغت إلا عدا منكى مراد وإن كان ولدك قد غاب فها نحن عبيدك وبين يديكى نضرب أعداكى بالسيوف والرماح ونقيم فى ديارهم البكا والنواح ونسلت منهم الأرواح فعندها عادت الأميرة ذات الهمة وزحفت إلى القططنطونية وتتابعت الطائفة المحمدية وقامت الدنيا على ساق واضطربت سائر الآفاق وطلعت الروم على الأبراج وزادحمت البطارقة والاعلاج وأحموا البلد وقاتلوا عن الحريم والولد وقد اشتد رمى الأحجار من الأصوار وقاتلوا ذلك اليوم أجمع وقد صبروا الابرار على قتال الكفار وصاحت الأميرة ذات الهمة فى بنى كلاب وأمرت ان ترفع الأخشاب وأخرجت السودان عقبة وقد حلت به جميع الأوصاب من السودان وبنى كلاب وركبوه على جمل وخم صياح وجلببه وزجل وعليه تلك الفروه المقلوبة وذلك الطرطور الطويل وقد أحاطوا به [illegible] من كل جانب وبأيديهم السيوف والقواضب وهم ينادون اليوم نصلبك يامعون على هذا البرج الرفيع والأميرة ذات الهمة تقول اين عينين ولدى الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال ليروا هذا اليوم والله اننا قد دخلت علينا العين وقد ناح فينا غراب البين هذا وعقبة ينادى معاشر المسلمين الحمد للسيد المسيح الذى لم يرانى عبد الوهاب ولا أبو محمد البطال وماتم على هذا الأمر حتى هلكت بتدبيرى الابنين وقد فرقت بينهم بعد ان كانوا أخوين حتى انهم لايصدقون فيما قالوه ولا يروا ما أطلبوه فعلمت الأميرة ذات الهمة فى تلك الساعة أنه يريد الأمهال إلى غير ذلك الوقت فقالت له يامعون [illegible] نوبة [illegible] نوبة قال ولما نظرت الروم إلى ماحل بعقبه من الانتقام حنت عليه وجدوا فى [illegible] وعقبة يشير إليهم ويقول لهم هذا كله فى طاعة المسيح ما هو كثير فعند ذلك زعقت [illegible] وقالت للملك ارمانوس وحق المسيح نحن ما نصبر على هذا الأمر فقال [illegible] افعلوا انتم الصواب فقالوا له افتح لنا الباب حتى نخرج ونرمى أرواحنا [illegible] فعند ذلك فتح لهم الملك ارمانوس الباب فخرجت منه أمم فى عدد التراب وقصدوا [illegible] لحريق الأخشاب فلما رأوا ذلك السودان وبنى كلاب صاحوا مثل صياح [illegible] حملة رجل واحد ودسوا الروم بسنابك الدواب وحشروهم فى [illegible] كثير بغير حساب فقالوا فى ذلك الوقت مالنا فى هلاك أنفسنا [illegible]

ونصبوا الاخشاب وألصقوها إلى جانب الصور وشدوا عقبة بالحبال وعروا رأسه وحطوا على رأسه طوطور وهو ينادى ياعباد الصليب الرجعة الرجعة قبل مايفرط الأمر فى الشيخ النجيح واثبتوا فى هذه الحملة فما أجابه أحدا من الروم ولا التفتوا إليه وطلع اللليان وهو يقول أنا أول من يتولى صلب هذا الملعون لأن أخته عاقبة لها على الفضل ثم أنه تقدم والحبل فى يديه وعول ان يصلب عقبة وإذا بغبار قد علا فرمقته الناس وأما أهل القسطنطونية فانهم قد أندهشوا وقالوا ياترى هل يكون لهذا الشيخ فرج هذا الغبار ويكون المسيح قد غضب من أجل الشيخ النجيح وسبب له فرج من الضيق والحرج فقال لهم الملك ارمانوس هذا مالا يكون وكيف يكون ذلك وجميع ملوك الروم قد كسروا وما ربحوا وخسروا فى خروجهم إلينا ومامنهم من رجع علينا وهم كلهم معذورون فى ذلك ولانفعنا إلا ملك الافرنج وهم فى بلاء عظيم ماعندهم خبر منا هذا الأميرة ذات الهمة قد قالت لأصحابها لعل ان يكون لنا فى الغبار فرج أو يكون مع أصحابه عن ولدى الأمير عبد الوهاب علم أو خبر ولم يبق أحد من الفريقين إلا وهو طالب من هذا الغبار فرج (قال) وكان السبب أن ملك من ملوك الافرنج اسمه ميلاص ابن منفلوص وهو أجل ملوكهم ولم يخرج قط من بلده أبدا والملوك الذين يخرجون من بلاده أخوة هذا الملك وكان هذا الملعون من المعمرين وقيل انه قد بلغ مائة وستة وعشرين وشعر رأسه على حالة أشقر مثل الذهب وكان جبار من جبابرة الكبار وكان السبب فى خروجه فى تلك الأيام انه رأى خيال أتى إليه فى النوم وهو يقول له أخرج إلى بلاد الروم واخرج منها إلى قمامة وخلص بلاد المسلمين من أيديهم وأجلس على سرير القسطنطونية واظهر الدين الصحيح فلما رأى ذلك المنام جمع خواصه وقال لهم رأيت كذا وكذا وانى معول على الخروج إلى بلاد الروم وأخلص قمامة وبيت المقدس من أيدى المسلمين حيث أن المسيح قد غضب من أجل هذا الدين ثم انه كتب إلى سائر الاقاليم والاعمال والجزائر التى فى البحر وجميع جزائر الافرنج وقد خرج معه من لم يخرج لأنهم قد سمعوا أن هذا بعد مائة وعشرين سنة قد خرج بطلب الغزو وان المسيح قال له أخرج واملك البلاد ففرحت الافرنج بذلك فقال له هذا شىء بأمر المسيح وما بقى الا فتح البلاد والجد فى الطلب ثم أعرض عسكره فكانوا فى ستمائة ألف وعشرة آلاف وقد خرج بهم الملك ميلاص وسار طالب البلاد حتى قرب من القسطنطونية وأخبر بما جرى على الملك ارمانوس وكيف فعلوا به المسلمين تلك الفعال وكيف أحدقوا بالشيخ النجيح ويريدون صلبه فقال ميلاص ما أراد المسيح خروجى إلا من اجل حجته ثم انهم ساروا بعساكر تملأ الخافقين ووصل الخبر إلى ارمانوس من

الجاسوس ففرح بذلك فرح شديد ماعليه من مزيد وقال هؤلاء ارسلهم المسيح لخلاص الشيخ النجيح ودع يأخذ القسطنطونية منى ولا اجد لذلك ألم ثم قال الجاسوس نظن ان الشيخ النجيح قد خلص من الصلب والهوان وتفنى العرب والسودان ومع هذا ما سمعناه لعبد الوهاب خبر فقال الجاسوس يا مولاى انى ارى اقرب الناس إلى هذا الملك راهب النصرانية شومدرس الذى كان عليكم غضبان وقال بين يديه كلام اشغل قلبى فقال له ارمانوس وما هو قال سمعت شومدرس يقول ان هذا الملك ما خرج من بلاده إلا بأمر المسيح لأنه قال له انا املكك بلاد الروم والمسلمين وقال لى سلم لى على الملك ارمانوس وقول له لا تفزع فانى ادفع شر هذا الملك عنك ودعهم يشدوا من بعضهم ويتعاونوا على المسلمين فلما سمع ارمانوس بذلك فرح وارسل الاقامات والمال والخلع من باب البحر إلى هذا الملك (قال الراوى) ونظرت الأميرة ذات الهمة هى واصحابها مانزل بهم من البلاء فقال الملمان للاميرة ذات الهمة واصحابها ما هذه الفترة اعلموا ان ما بقينا ننجو إلا ان يأتينا فرج من من عند الله عز وجل والا بقوائم سيوفنا او يفتح لنا طريق ونطلب بلاد الاسلام او ينصرنا الله تعالى على هؤلاء اللئام فقالت الأميرة إن شاء الله تعالى يكون ذلك لأن هذا العسكر يكون ثقيل ولما اختلط الظلام واشعلت النيران وتحارست الفريقان ورجعت الروم يطعطوا مع الرهبان وفرح بذلك عقبة الشيطان وايقن بالفرج بعد الصلب والهوان (قال الراوى) وكانوا المسلمين قد اعادوه إلى الخيام واصبح الله بالاصباح واضاء بنوره ولاح وركبت الافرنج وخرجت الروم عن آخرهم وقد قويت قلوبهم وأيقنت بهلاك المسلمين وأنتم مارس وأخيه دارس وقد ساروا يدعون الله تعالى أن ينصر المسلمين على القوم الكافرين ويسألونه بحق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وركبت الأميرة ذات الهمة فى سائر أصحابها وقالت لهم أعلموا أن الجنة هى دار الفلاح ولا ينالها إلا من ترك الدنيا وطلب الابدية والعيشة السرمدية وما فينا من هو مغبون فلقد قال من لا تراه العيون ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وصاحت رهبان الروم وقسوسها ودقت نواقيسها وأطبقت الأمم على الأمم ودار السيف بينهم وحكم وطمعوا الروم فى هلاك المسلمين وان المسلمين مكتفين بقتالهم أجمعين ونظروا من كثرة الخلق ماكان لهم فى حساب وماكان لهم غير الصبر والجلد والضرب بالسيف والعمد والاتكال على الواحد الأحد الفرد الصمد وكثرت عليهم العدد وولى النهار وانصرم وافترقت الجيوش والأمم وامتلأت الأرض من القتلى حتى ما صار فيها موضع خالى إلا وفيه القتيل أو الاثنين (قال الراوى) ولما افترقت الناس ونزلت الجيوش سار الملك ارمانوس فى خواصه ودخل على الملك الافرنج فلم يعبأ به ولا قام له لأنه جبـــار عنيد

وشيطان مريد الا أنه طاعن فى السن (قال الراوى) فلما وقف الملك ارمانوس بين يديه ساعةزمانية فأمر بالجلوس وقال له بعدما صلب على وجهه أنت عندى وحق المسيح مثل ولدى ولا تحمل قلبك هم من خروجى إلى هذه البلاد فأنا ما خرجت من تلقاء نفسى فأنا رأيت فى منامى السيد المسيح وقد أمرنى بذلك وقال لى أخرج وأنا أفتح لك الأرض كلها وإذا ملكتها سلمتها إليك وتكون فيها من قبلى فدعا له الملك ارمانوس بالنصر وقال له لك البلاد كلها وإذا ملكتها سلمتها إليك وفرحت بما أعطاك المسيح وكل هذا بدعاء الشيخ النجيح لأنه لولا وصولك فى هذا اليوم إلى هذا المكان كانوا صلبوه المسلمين ولقد أهلكت اليوم بفعالك خلق كثير فقال له الملك ميلص وحق المسيح إذا كانوا المسلمين كلهم هكذا فما هم الابلاء عظيم وأنهم قد قتلوا من عسكرى أمم لاتحصى ولا تعد ولولا أنى أحمل على مواكبهم موكب بعد موكب أغرقه وإلا كانوا يلتقوامنا ما أملوه فقال له الملك ارمانوس اعلم ان هؤلاء حماة المسلمين فان أنت أهلكتهم تملك بلاد المسلمين جميعا فقال له ميلص طب نفسا وقر عينا فينماهم فى الكلام وإذا بشومدرس دخل عليهم فى تلك الساعة الملك ارمانوس ياراهب قد اطلت الغيبة فقال شومدرس أنا ماغبت إلا من أجل ذلك الشيطان أبو محمد البطال لأنه قد لج فى طلبى هو وولده مذبحون وما أمنت على روحى منهما وأنا الذى قويت عزم الملك ميلص على الخروج بعد أمر المسيح حتى أنا ما أريد إلا آخذ تار ولدى دهرشوم وزوجتى شوما ثم ان شومدرس لما رأى الملك ارمانوس خائف من الملك ميلص ملك الافرنج فطيب قلبه وقال له لاتخف فأنا أترك هذه العساكر كلها بحكمك فشكره الملك ارمانوس وحدثه بحديث عقبة وما يقاسيه من المسلمين وقال أنا أخلصه ثم قال أيها الملك والأسود عبد الوهاب هو المقدم على هؤلاء فقال له الملك ارمانوس يا أبونا اعلم أن الأمير عبد الوهاب قد عدم ثم حدثه بحديث عاصف وما جرى لهما فتعجب شومدرس وقال كيف ابتلعتهم الأرض وحق المسيح لقد شوقتنى إلى عاصف هذا ولا بد لى ان اخرج لكما بخبرهما أينما كانوا ثم أن الملك أخبره أيضا بخبر البطال وكيف ذبح أولاد عقبة وكيف طلبه الخليفة ليقتله وكيف هرب الآخر وما طلع له خبر فقال له شومدرس بشرك المسيح بالخير فانى كنت فى هذا الجيش الكثير وأنا خائف منه وقد طيبت الآن قلبى وما دام انه غائب فسوف أدخل إلى عسكر المسلمين وأخلص هذا الشيخ النحس فهذا جرى من هؤلاء

(وأما ما كان) من الأميرة ذات الهمة فانها لما نزلت تلك الليلة واجتمعت الرجال من حولها فأقبلت عليهم وقالت لهم والله لقد لقيتم أمر عظيم ولكن الله تعالى يعينكم على

هذا البلاء ويعطيكم أفضل العطاء لأن الصبر طريق الى الجنة فقالوا لها يا أميرة نحن قد علمنا ان مالنا إلى النجاة من سبيل وقد رضينا ان نموت كرام ولا نعيش لئام وما نطلب منكى إلا شيء واحد نقضى شهوتنا به حتى لايبقى فى قلوبنا حسرة أبداً فقالت لهم وما هو ذلك اعلمونى به فقالوا لها مافى قلوبنا أيتها الأميرة من الأمر العظيم إلا من هذا الملعون ونحن نخاف ان نقتل كلنا وهو فى الحياة ويبلغ الغرض منا فقالت ماتريدون ان تفعلوا به قالوا تسلميه الينا نضرب عنقه بين الصفين حتى تقر أعيننا فوالله العظيم أننا بعد موت عتبة مانحمل إلا حملة الموت ودع يكون ما كان فيها فما بقى لنا فى هذه الدنيا غرض فقالت لهم الأميرة افعلوا مابدالكم والذى خطر ببالى فقد خطر ببالكم وكان قصدى ان أشاوركم عليه فى هذه الساعة لأننى أناوانتم قد صرنا بين الاعداء وما بقى لنا خلاص الا ان نكشف رؤسنا ونرمى الى ضرب الصوارم نفوسنا حتى لايبقى منا قاعد ولا قائم لأننى والله قدكرهت الحياة بعد ولدى لأنه مضى كأنه ماكان فى هذه الدنيا لأنه مايطيب العيش إلا بالأحباب والا لاخير فى عيش يكون آخره فرقة واغتراب ثم انها بكت وقالت ماأمر فرقة الولد فبكوا لها سائر الأصحاب ثم انها نشدت تقول هذه الأبيات .

سلام على الدنيا فما أستطيبها ... وهل طاب عيش الأم بعد حبيبها
تذكرت أياما مضت ولياليا ... تحن اليها الآن كما يشيبها
فوالله لا أخشى من الموت ان دنا ... لنفسى لأنى قد أخذت نصيبها
ولكننى لم أدر كيف تغيرت ... على ولدى أخباره ما أصيبها
سألت نسيم الريح من فرط لوعتى ... لعل حديثا منه عند هبوبها
غريب بأرض الروم لايرتجى له ... رجوعا سلام الله يعبا غريبها
إذا خطرت ريح الصبا بشمالها ... يسائلها قلبى كذاك جنوبها
ألا ياغراب البين لاطرت بعدها ... ولا صت فى أرض الفلاة حبيبها
ألا مالعربان العراق تروعنا ... إذا رددت بين الربوع نصيبها
لقد مرضت أكبادنا لفراقه ... ولو عادنا يوما لكان طبيبها
ألا ياحمامات اللوا هل توصلى ... سلام عجوز قد أتاها مشيبها
ألا ياسيوف الهند هل تسعدوننى ... على سيد قد كان يحمى حروبها
ألا يارماح السمر هل تسعدوننى ... على طاعن الأكباد وهو مصيبها
ألا ياوحوش البر كم من مواقفا ... لكم فى الوغا إذارآكم من شجونها
ألا يا غراب البين هل أنت مخبرا ... لذات اغتراب زاد منها نحيبها

ألا ياغراب البين كيف أميرنا ... دع السلم لكن قدنعانى غريبها
ألا ياغراب البين لو كنت منصفا ... لبلغت منى قصة ما أجيبها
ألا ياحمام بات فى الايك جازع ... على الفه قد طال عنها مغيبها
لعل الذى أحياك بالجمع قادر ... يرد على أم الأمير حبيبها

ثم ان الأميرة قامت تفتقد المجروحين وهى باكية على الناس وعلى فقد ولدها وكلما افتكرت ازدادت على قلبها الهموم والأحزان وهى تتمثل بهذه الأبيات

إذا الحادثات بلغن النهى ٭ وكادت تذوب لهن المهج
وحل البلاء وقل العزا ٭ فعند التناهى يكون الفرج

ولم تزل كذلك حتى برق الضيا ونادى المنادى حى على الفلاح فثارت الفرسان إلى الجنائب وتقدمت المواكب واعتدلت الكتائب وتقدم اللملمان يشاور الأميرة ذات الهمة فى قبل الحملة على الروم وقال نريد اليوم نصبح عقبة المذموم صباح ميشوم فقالت له الأميرة أقسم بالله لامنعتكم عنه فتبادرت السودان إلى ذلك المكان فما وجدوا لعقبة خبر ولاوقعوا له على جلية أثر فكادت مرائرهم ان تنفطر وأعلموا الأميرة بذلك فقامت عليها القيامة وقالت ياليتنا كنا البارحة بطشنا بهذا الملعون ولكن ما كان لنا فى حساب وهيهات أن يرجع عقبة يقع فى أيدينا ونشتفى بنا فى هذه الليلة الا ان يرحمنا ربنا

وكان السبب فى خلاص عقبة شومدرس لأنه لما شكى اليه الملك ارمانوس ماجرى على عقبة وأخبره بخبره وأوعده بخلاصه ومن ليلته صبغ نفسه أسود كما له بالعادة ولبس زى السودان ودخل العسكر فوجد الناس جرحا من القتال وهم مشتغلين ببعضهم البعض وهم آمنين ان ماله من يسرقه فدخل اليه الملعون وحمله على أكتافه وكان قد رأى مكانه فى النهار فى خيمة الاميره ذات الهمة فحمله ولم يزل به سائر إلى ان وصل إلى عسكر الافرنج ولما صار فيه شومدرس أمن على نفسه وعرفه بروحه وكان لم يعرفه بل يعتقد أنه من السودان قد أخذه يقتله فلما أن صار أخذه بكى من شدة الفرح فقال له شومدرس ابشر أيها الشيخ النجيح فقد خلصتك وكان فى قلبى من أجلك النار ومن حيث سمعت أنك مأسور أردت أجتمع بك وأتحلل منك فما بقى فى العمر إلا القليل فنريد نقضيه بالانفراد وقراءة الانجيــــل فقال له عقبه اسمع منى وامضى وائتنا بدواب نركبها فهذه أمور ماتنجينا فأتاه شومدرس بما طلب فركبا وهربا ولم يدخـــلا إلى القسطنطونيه (يجىء ذكرهم بعد) وأصبح الصباح كما وصفنا وقال ملك الافرنج مرادى أن تعرفونى بذات الهمه وترونى بهـــا حتى آخذها إذا رأيتها وينفصل الحال فقال له ارمانوس هى فى عسكر المسلمين فاذا خرجت إلى الميـــدان

أحضرتها اليك فعند ذلك خرج إلى الميدان وردت النتباء الفرسان والشجعان عن الضرب والطعان وطلب البراز وقد صرخ بين يديه الترجمان وقال أنه يريد الاميره ذات الهمة فلما سمعت الأميرة النداء خرجت على جواد أشقر يسبق لمح البصر يسوى عشر بدركانه الذهب المسبوك سريع الحـــراك يسابق الافلاك لوهم نال السماك وعليها درع من الزرد كانه عين الجرد ولا يحصى لهـا عدد من عهد داود عليه السلام فى قديم الزمان ما يقدر على مثله انسان على صدره مكتوب قل هو الله أحد وعلى رأسها بيضة تتوقد وفى يدهـا رمح مسدد وذكرت ما جرى عليهـا من شوقها إلى الولد وأنشدت تقول

لولا الفراق لما وجدت نحولا ۞ أبدا ولا أضحى الفؤاد عليلا
ولقد حبست الدمع فى أجفانه ۞ فجرى وأثر فى الخدود مسيلا
أسفا على ما نالنى لفـــراقه ۞ حزنا طويلا ما أراه يزولا
كم دمعة لى فى الظـلام وانها ۞ تبدى غراما فى الفؤاد نحيلا
ويحق لى أجرى الدموع على الذى ۞ قد كان حصنا للانام ظليـــلا
ويحق لى أغنى الرقاد ولم أرد ۞ يوما عليـــه ولا أبيت حبيلا
حزنا على من كان ليثا فى الوغا ۞ يوم الحروب وصارما مسلولا
صوام فى حر النهار لربه ۞ قوام أبدا فى الظـــلام بليلا
يقرأ القـــرآن لربه وبجنة ۞ عنـد السجود مرتلا ترتيلا
ويذب عن دين النبى محمـد ۞ يوم الحروب ويستقر خيولا
ياليت شعرى هل ألم بقرية ۞ أوفى الفلاة مجندلا مقتولا
أم هل غدا مأسورفى أيدى العدا ۞ متسيرا فى قيده مكـبولا
يعلوه منى ما حييت تحيـة ۞ تبقى عليه بكرة وأصيلا

ولمـــا فرغت الأميرة من شعرها حملت على ملك الافرنج وقالت له ياميلص اليوم تروح منهـا حليص مليص وقد التقته كالأسد الدعيس وكل واحد منهما على قتـــال صاحبه حريص واشتبكا حتى ظن كل واحـد منهما أن ماله تخليص وثار بينهما العجاج وأخذا فى الهياج ودرت من الخنق الاوداج وصاحت من كثرة قيامها الافرنج والاعـــلاج واستغاثت المسلمين إلى صاحب المعراج والاله الذى أحيا الأنفس بالمـاء العجاج وخلق الخلق أفراد وأزواج وأرسل محمـــد صلى الله عليه وســـلم فكانت هدايته أنور من السراج ولم تزل الاميرة مع ملك الافرنج حتى تقضى النهـــار

ورأت الاميرة ذات الهمه منه على كبر سقه ماحير الافكار فلما نظرت الاميرة إلى النهار وقد استحال صممت عليه بالطعنة فبطلها الملعون عليها وتلقاها بقلب غير فزعان ثم انها جاولته بعزم وجنان ثابت عند لقاء الشجعان واختلف بينهما ضربتان فكان السابق بالضربة الاميره ذات الهمه فوقعت فى عنقه قطعت رأسه وقد أخمدت أنفاسه فعند ذلك حملت الافرنج حملة واحدة وقد حملت المسلمين عليهم وزاد التكبير من بنى كلاب والسودان الانجاب وقد كشفت رؤسها وتبعت أعقاب طائفة الطغيان من ذلك المكان وقد امتلات من قتلاهم القيعان وعادوا لنهب الاموال وقد شكروا الله على دفع الأهوال وباتت الاميره تنتظر الصباح وقد عولت انها تزحف إلى القسطنطونية فبينما هى على تلك النية وإذا قد وصل اليها رسول من عند الملك ارمانوس يقول لها وحق المسيح يا اميرة لقد فرجتى عنى كربه من كرب الدنيا لأن ملك الافرنج ماخرج من بلاده إلا أنه يريد أن يملك بلدى وما علم أن المسيح قد أخرجكى له وأقعدك فى هذه الأرض حتى تقلعين شأفته والساعة فقد انفصل الحال على الصلح والهدنة وأعطيكى الأموال التى كنت أحملها فى كل سنة إلى خليفتكم وأضاعفها لكم وأحلف انى أجهد فى كشف خبر الامير ثم انى أعاونك على خلاصه أينما كان (قال الراوى) فلما ان سمعت الاميره من الرسول ذلك قالت لاصحابها ما بقى فى الامر الا هذا والصلح أخير واصلح وانى أحلف ملك الروم على ماذكر ونرحل ونعود إلى أرضنا وبلادنا والذى كنا نريد طلبه قد هرب وهو كان غرضنا وغريمنا وهو عقبه بن مصعب وأنا ماأريد البغى على من أراد قلة حربنا ولعل ولدى يظهر له خبر ثم انها أجابت الرسول ورجع الرسول إلى عند الملك أرمانوس ومعه جماعة من أمراء بنى كلاب لأجل حلفان الملك ثم دخل عليه وأعلمه بذلك ففرح وقد أخرج لها الهدايا والتحف عن بلد القسطنطونية وحلف الملك أرمانوس بأيمان صعبه عندهم بأنه لايخفى عنها خبر الأمير عبد الوهاب ويرسل ما يكشف خبره أينما كان وانه يساعدها على خلاصه وعادت بنى كلاب من عنده بالأموال والخلع والثياب الغوال ورحلت الأميره بعد هذه الأحوال وسارت طالبه إلى ملطيه وهى حزينه على ولدها الذى ماسمعت له خبر ولانالت من صلب عقبه أرب وقد أصابتها مصائب عظيمه فقالت ياملمان ترى يعود ولدى إلى الأوطان وأراه قبل الموت بين الفرسان فقال لها الململمان لوسمعنا له خبر لما خرجنا من بلاد الروم حتى خلصناه ولكن مايعلم الغيب إلا الله تعالى (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى ملطيه وقد خرجوا لها أهل البلد

والتقوها وسلموا عليها وقالوا لها ماهذه الأمور المخبيه فقالت لهم الأمر إلى الله رب البرية وفرحت الناس بسلامتها وقد زينت البلد كل هذا والأميره ماعندها خبر بل هى مشغولة القلب من أجل فقد الأمير وهى تكابد نار السعير (قال الراوى) فبينما هى على ذلك الحال إذ وصل اليها رجل ومعه كتاب فلما أن رأته الأميره رجف فؤادها لأنها كانت قد أنفذت من قبل رحيلها من على القسطنطينية أربعة جواسيس وقالت لهم ياأولادى لاغيكم من يرجع إلا بخبر شافى فقالوا لها السمع والطاعة ثم سار كل واحد منهم فى طريق من الأرض وانها لما أن أتاها ذلك الرجل ومعه كتاب فرحت وقالت لاشك ان هذا الكتاب فيه خبر ولدى افتحوه واقروه ففتحوه وقروه وإذا هو من عند يانس المتعزب وهو يقول فيه أما بعد أيتها الأميره أتى تعلمى وكل الناس أن لكل أجل كتاب وماأتى بأول من أصيب فى ولدها فالله تعالى يحمل عن قلبكى ويحسن عزاكى فى الأمير العابد الزاهد المجاهد وان ذلك قد بلغنى ممن أثق به أنه تطير الأمير رحمة الله عليه ومعه عاصف فى البر الأقفر قريب من بلد المغلبيط فأخذوهما وقد عرفوا الأمير ولم يعرفوا عاصف بل انهم قالوا هذا من بعض العرب المنتصره ورفعوهما كى يشتفوا بموتهما وقد صلبوهما فأحسن الله عزاكى وجدد لكى الصبر الجميل وقواكى على ما أبلاكى وأنا أيضا فى عزاء من أخى وصاحبى (قال الراوى) هذا ولما سمعت الأميره مافى الكتاب صاحت صوتا هائلا وغشى عليها وقد أيست من ولدها ولما أن أفاقت من غشوتها خرجت من دارها وجلست بين القبور وعملت لها بيت وجلست فيه وقد عدمت عقلها وعيل صبرها وكسرت الرماح والنصول وهلبت الخيول وقامت المآتم ومن الغد قعدت للعزاء هذا وقد وصلها كتاب ثانى من مارس واخيه دارس بمثل ما قد ذكرنا فبكت وناحت وتجددت الأحزان وقد بلغ ذلك إلى المعتصم فقامت عليه القيامة وقد ندم لما ان حققت الحقائق وقال والله يعز على فقد ذلك الأمير الزاهد ولقد كان سيف دولة بنى العباس فانا لله وإنا اليه راجعون

(قال الراوى) هذا وقد دامت الأميرة فى العزاء شهرا كاملا وقد هجرت المنام ولم تأوى إلى العمران هذا وقد بلغ الامر الى الأمير عمرو بن عبيد الله بما هى فيه فقال لقومه لقد هد قلبى فقد امير لانه كان كهفا لنا ولغيرنا فقالوا له بنى سليم لقد استرحنا من تكبره وتجبره علينا وماكان لنا معه رأس تنشال فقال لهم عمروا قصر عن هذا الكلام فوالله لابد ماتذكره وتتذكر أيامه وتتحسر عليه ثم انه قطع شعره وسار إلى الاميرة ذات الهمة راحلا ولما ان صار عندها عزاها فى ولدها الأمير عبد الوهاب هذا ولما ان دخل على الاميرقامت له وأكرمته

وقالت له والله يا أمير انك عندى مثل ولدى عبد الوهاب وان لم نر الك ما نرى إلى أحد فقال لها الأمير عمرو والله يعز على فقد ذلك اليد الذى كنا كلنا تحت كنفه وحمايته طول الابد فشكر الاميرة على ذلك وقالت له أأمر بنى سليم ان يعودوا إلى منازلهم فالبلد لكم وأنا أكون فى جانبه ملازمة الاحزان فعندها عاد الامير عمرو ومعه سادات بنى سليم إلى منازلهم ومن الغد عاد الامير عمرو اليها وقال لها أيتها الاميرة الزاهدة العابدة لو كنتى تسيرى إلى عند الملك المعتصم وتجعليه فى حل من دم الامير عبد الوهاب أخى لكان هو الصواب فقالت له أيها الامير هذا قول مثلك وأنا الذى لا أعود إلى خدمة الخليفة أبداً ولا بقيت أركب جواد ولا أحضر جلاد بعد ولدى الامير عبد الوهاب فوا أسفاه على ذلك الامير رحمه الله وانا أريد أواضب فى بعض المغارات وأعتكف فيها وأعبد رب العالمين حتى يأتينى اليقين ولا أرجع إلى خدمة أحد من المخلوقين واعلم ان ما سبب مجىء عاصف الى ولدى وهلاكه غير الخليفة (قال الراوى) فلما ان سمع عمرو منها ذلك الكلام عذرها وخرج من عندها وكتب كتاب إلى الخليفة المعتصم وهو يقول له فيه يا أمير المؤمنين اعلم ان الأميرة ذات الهمة مطالبة لك بدم ولدها وقد أعفت نفسها من الركوب ودخلت فى بيت العبادة ولما ان فرغ من الكتابة علق الكتاب على جناح الطائر وأطلقه فما بات الخبر الا فى بغداد هذا ولما ان صار الطائر فى بغداد أخذه البراج وحل الكتاب من تحت جناح الطائر وأخذه وسار به الى المعتصم وسلمه اليه فأخذه المعتصم منه وفضه وقراه وعرف مضمونه ومعناه (قال الراوى) هذا ولما ان وصل كتاب عمرو الى عند الخليفة وقراه قال والله ما سرنى فقد الأمير عبد الوهاب وما كان سيفى غيره وأنا اعلم ان أمه تدعو على وقت خلوتها فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والله انه مضا وكنت أنا سبب (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم واما ما كان من حديث الأمير عبد الوهاب فانه لما ان تبع عاصف لج عاصف فى الهرب والأمير خلفه فى الطلب وما زالوا فى كد إلى ان أمسا المسا وهما فى الجد والكد طول الليل حتى أصبح الصباح وقد وقعا فى ارض يقال لها الخشنا وهى ارض مقفرة موعرة موحشة محجرة إذا طلعت الشمس عليها صارت مثل جهنم المسعره ما فيها مورد ولا منهل من الماء ولا مسلك ولا مدخل ولا آكام ولا جبل يظلل فيه الطير فى جوانبها مرتاعه وفيها يظهر الغول ساعه بعد ساعه لأنه خلق من السموم ولا يسكن فى العمران إلا فى البوادى الخوال الخالية من الأنس العامرة بالجان كانت تلك الأرض طامسه عابسة موحشة غير مؤنسة واسعة الأقطار دارسة سكانها الجان وجنود إبليس (قال الراوى) فلما ان وقعا فيها مات جواد عاصف من شدة الكد

والعطش والفزع والدهش هذا وقد انطرح عاصف إلى جانب الجواد وهو لا يعقل على نفسه فلما ان وصل الأمير إليه رآه على ذلك الحالة فما قدر يمد يده عليه من التعب فوقف ساعة على رأسه فأصابه هو والجواد مثل ما اصابه وقد وقع هو والجواد ولا فيهما من يتحرك ولا يقدر على القيام على الاقدام ولا على الحركة ولا على كلام فبقيا على حالتهما فى ذلك المكان لا يقدر احد منهما ان يأمر فى نفسه ولا ينهى من شدة الحر والعطش وباتوا تلك الليلة فى تلك الأرض ولما ان كان من الغد كوت الشمس وجوههما فبينما هم على تلك الحاله وقد أيسا عن نفوسهما وايقن بالهلاك وسوء الارتباك وإذا هم بعشر فوارس قد اقبلوا نحوهما من صدر تلك البرية ولم يزالوا سائرين حتى اشرفوا عليهما وهم على حالة الموت هذا ولما ان نظروهما وهم على تلك الحالة نزلوا إليهما ووقفوا عندهما وجسوا جسدهما فرأوا فيهما الانفاس تتردد فاتوهم بالماء وسقوهم ورشوا على وجوههم فاستفاقوا وأرادوا ان يسألوهم عن حالهم فما قدر احد منهم على الكلام وقد عرفوا انهم من العرب فقالوا لاشك ان هؤلاء مسلمين ثم بعد ذلك حملوهما على البغال وساروا بهم إلى نحو بلادهم

(قال الراوى) ان كانوا هؤلاء من الفلاسفة وهم من حكماء الروم وقد قرأوا الكتب فاطلعوا على كتاب يذكر فيه ان فى ذلك المكان مطلب فقصدوا الى ذلك المكان قبل ذلك اليوم فرأوا المطلب وقد أخذوا منه الذهب وترددوا عليه عدة أيام فرأوا فيه المال والجواهر فاخذوا منه شىء كثير وعادوا إلى بلادهم وأنفقوا ماأخذوه على أحوالهم ولما ان كان فى الاوان رجعوا ليأخذوا من ذلك المال فوجدوا الامير عبد الوهاب وعاصف هناك مرميين فأخذوهما وعادوا راجعين بعدما أخذوا من المال ماأرادوا وما زالوا سائرين حتى وصلوا إلى مدينة فى زوايا بلاد البنجاك يقال لها كندغره ولها ملك يقال له دقيادورى وكان جبار عنيد وشيطان مريد وهو يعبد النار من الملك الجبار

(قال الراوى) فلما ان دخلوا هؤلاء الحكماء إلى تلك المدينة ساروا إلى عند الملك وسلموا عليه وقدموا له الامير عبد الوهاب وعاصف وقالوا له أيها الملك اعلم ان هؤلاء قد وجدناهم عند المطلب فلما ان رآهم الملك أمر بضرب رقابهم فقال عاصف لماذا تقتلنا أيها الملك ولم تعلم من نحن فقال له نعم انا أنكم مسلمين فقال عاصف أيها السيد أما انا فمن عباد المسيح فلما ان سمع الملك منه ذلك صاح عليه وقال له ويلك لابد من ضرب رقبتك والا تترك عبادة المسيح وتعبد النار المحرقة التى هى على الاشياء مسلطه فقال عاصف أيها الملك اعلم انه كان رجل مسلم ونصره عالم النصرانية وهو يقال له عقبة الا انى اشتهيت أعبد

النار ولكن صفها لى واذكر لى بعض خصائلها حتى اعرف ما اقول فقال له الملك ياويلك ايش جهد ما اصف لك اعلم ان فيها منافع كثيرة تحل الجماد وتشرق بالنور فى الظلام واى من ألقى فيها احرقته وأى جسد قرب منها مزقته واى طعام صنع عليها احسنته واكله الإنسان وتجفف الوصب ويصعد منها الدخان (قال الراوى) ولم يزل الملك يصف لعاصف النار ويكثر له من الهذيان وما تفعل من الافعال الحسان الذى خصها الله تعالى حتى لان ودخل هذا الشيطان فى دينه وترك عبادة الصلبان وبعد ذلك رجع الملك إلى الامير عبد الوهاب وسيد بنى كلاب وقال له ماتقول انت الآخر أيها الشيخ تدخل فى ديننا وتتيقن بيقيننا وتدخل فيما دخل فيه صاحبك فقال له الأمير عبد الوهاب كيف أعبد النار وأترك عبادة الملك الجبار الذى خلق النور والنار والليل والنهار ويلك يا أعما البصيرة النار إذا انفخت قويت وإذا تركت خمدت وبردت والماء يطفيها والكلاب تبول عليها والقذر يرما فيها وإذا صارت رماد تدور عليها (قال الراوى) ولم يزل الأمير عبد الوهاب يسب النار حتى أغضب الملك واحمرت أحداقه وقد صاح صيحة الغضب وسل سيفه وكان مثل الصاعقة ورفع يده إلى أن بان بياض أبطيه وهم ان يضربه ويعجل عطبه وإذا بشخص قد قام اليه ومسك يديه من عند مرفقيه وقال له أيها الملك لاتفعل فالتفت الملك إلى المتكلم وإذا به ولده وكان اسمه أبو النور وكان من الشجاعة والقوة بمكان عظيم وقال له أيها الملك اعلم أن هذا رجل غريب وماهو من أرضنا ولا من بلادنا وهو عندك أسير ولا يحل لك قتله هكذا فقال له الملك فكيف يكون العمل يا ولدى فقال له تختبره فى الحرب واعلم أن فى الناس من يصلح للبقاء ولو كان ممن يصلح للقتل ولو كان من الأصدقاء فدعنا نجربه فى الحرب فان كان ممن يصلح للقتل فهو لاينفع الحرب وان كان من أهل الشجاعة استبقينا عليه ونمهله وهو مسجون عندنا ونحسن إليه فلعله يتغير مما هو عليه ولعله يكون ركنا لنا ولا تسمع الملوك عنك بأنك قتلت أسير قتل الغبن بغير خبره (قال الراوى) فلما ان سمع الملك من ولده هذا الكلام سكن غضبه وكان غضبه وكان يحب هذا الولد لأنه بطل همام وكان يفضله على كل أحد من سائر الانام فقال له ياولدى هذا هو الكلام وكان ابن الملك قد سمع بحديث المسلمين وشجاعتهم لأن الشجاع يحب الشجاع ولا يسأل إلا عن من هو شكله وكان قد سأل من السفار فاخبروه بالأمير عبد الوهاب وقد ذكر فى حضرته مرار ثم ان ذلك الولد تقدم إلى الأمير عبد الوهاب وقال له من تكون يا شيخ من أبطال المسلمين لانى أرى عليك زى الاجناد وسيمة أهل الجلاد فقال له ياهذا أنا أسمى الأمير عبد الوهاب فقال من تكون ياشيخ من الأبطال فقال أنا أمير ثغور المجاهدين والحامى عن المسلمين وقاتل أهل الكفر والطغيان فقال له

أبو النور وقد قرب منه وحق النار المحرقة ياأخى لقد سمعت بخبرك وكنت اسأل النار أن تجمع بينى وبينك من قبل الممات لانظر اين انت مما وصفوك الواصفون وما قالوا فيك من الفروسية وقد دارت الافلاك بما أريد وقد قرب لى البعيد فقال له الأمير عبداوهاب هاقد بلغت ماأملت واجتمعت انا وانت فافعل ماتريد من الأمر المزيدومهما شئت انالك موافق فيه فقال له ابو النوران كان الأمر كما ذكرت فانا اتركك انت وصاحبك فى دار الضيافة الخاص إلى غدو نخرج انا وانت إلى الميدان فان انت اسرتنى خلصت نفسك وحت دمقنك وان انا اسرتك تعود إلى عبادة النار والاقتلك ابى وانت تعلم ماكان يريد ان يصنع بك لولا أنا فقال الأمير عبد الوهاب رضيت بهذه الأسباب (قال الراوى) أنزلهما فى دار حسنه وقد أتاهما بالطعام الفاخر فاكلا منه ولما ان شبع الأمير منه حمد الله تعالىوقد عاشت أرواحهما وطابا من الضعف الذى كانوا فيه من الجوع والعطش فالتفت الأمير لعاصف وقال له لعنك الله ياويلك تركت عبادة الرحمن ورغبت فى عبادة الصلبان وبعد ذلك انقلبت إلى عبادة النيران فالويل لك من الواحد المنان فقال له عاصف أيها الأمير والله أنا فى هذا متفكر وقد طاب قلبى إلى العودة إلى عبادة الحق وحدثنى عقلى بذلك فامدد يديك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده روسوله فلما ان سمع الأمير عبد الوهاب ذلك المقال طار قلبه فرحا وظن أن ذلك حقا فقال له الأمير من حيث عدت إلى دينك الأصلى فعفا الله عنك لأنه قال وهو أصدق القائلين إلا من تاب وآمن الآية ولعلنا ان نعود إلى أوطاننا ثم نتخاص من هذا المكان ويحصل لك منى كل خير يا عاصف وأنعم عليك بخيل وجمال ومال (قال الراوى) ثم أن الأمير عبد الوهاب بعد ذلك قام وتوضأ وصف أقدامه واستقبل القبلة ووقف يصلى وكذلك عاصف توضأ وصلى شىء قليل ونام هذا وقد أقام الأمير عبد الوهاب ثلثى الليل وهو يصلى ويقرأ القرآن وبعد ذلك انضجع ونام فتركه عاصف حتى خط فى نومه ووثب إليه وترك يده فى حلق الأمير عبد الوهاب واتكا عليه حتى بظت عينيه وغمى عليه وبرد ولما ان علم عاصف ان ما بقا فيه نفس قام عنه وتركه على حاله وقال أنه ميت ووثب وصار فى وسط الدار وصار يستغيث فقال الموكل بهم ياويلكم ما حالك وما وراك ومن بشره رماك فقال له اعلم أن الملك قد تركنا فى هذه الدار الميشومه الكثيرة الديب وقد طلع علينا منها دييب كبير فلسع صاحبى وخلاه ميت وقد أعدمه الحياه لوقته وساعته وأنا فقد فزعت ان يصيبنى ما أصابه فخرجت صارخ خوفا على نفسى (قال الراوى) فلما ان سمع من عاصف ذلك سار وقد أوصل الخبر إلى الملك فسار الملك وأتا إليه ودخل على الأمير

وطل فى وجهه فنظر الأمير فرأى عيناه قد خرجت فايس منه وقال وحق النار لقد كنت أشتهى أن أنظر إلى هذا الفارس وأبصر شجاعته ولكن عجلت النار عليه بموته فقال له ولده أيها الملك أعلم أن هذا الوجه ما هو وجه ملسوع وانما هو وجه مخنوق وأنا أقول أن ما خنقه وغدر به إلا رنيه هذا الشيطان الغدار المكار لأنه لو كان فيه خير كان لنفسه وقد وجب عليه الصلب فى دين المسيح والحرق فى دين الملك عابد النار وفى دين المسلمين أيضا يجب عليه القتل من تغيره من دين إلى دين ولم يثبت له على دين ولا يحاجج عنه قليل بل كلما قيل له شىء يتبعه ولا يمتنع عنه وهذا استهزاء بالاديان وغرورا منه وذلك يدل على أن الرجل ليس هو مربوط على دين ولا على ملة (قال الراوى) فلما أن سمع الملك من ولده ذلك حمل همه وعاد إلى عند الامير وطل فى وجه ورآه مرة ثانية وثالثه وهو يتأمله وبعد أن تحقق وعرف حاله قال له ياولدى قد وجب صلبه ثم أن الملك أمر أن ينصب لعاصف خشبة على جانب الجزيره وعلقوه من ابطيه عليها حتى يطول عذابه هذا وقد سبوه عباد النار وقالوا هذا ما فيه خير لاحد ثم أنهم أخذوا الامير عبد الوهاب وأرموه تحته ورشوا الماء على وجهه (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء وما جرى لهم وما كان منهم (وأما ما كان) من الاميره ذات الهمة فانها فى تلك الليلة وهى ليلة خنق ولدها من عاصف فانها رأت فى المنام أن عقاب قد انقض على ولدها وانقلب صار أفعى سودا وقد لسعت الامير ومات وقد قتلت الأفعى من بعد فانتبهت الأميرة من المنام مرعوبة وجمعت أصحابها وقالت لهم ياقوم اعلموا أن ولدى ما هلك إلا فى هذه الأيام وما كان كتاب يانس الا محال لأنه سمع غير الصحيح وربما يكون عقبة قد نشح عليهم وفى هذه الساعة قد أيست منه وعلمت أنه مات فى هذه الأيام من صحيح فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم أن الأميره داومت الأحزان (قال) فهذا ما كان من الاميره ذات الهمه (وأماما كان) من الأمير عبد الوهاب فانه قام ذلك اليوم وتلك الليله تحت الخشبه ملقح وعاصف فوقها مصلوب ولم يزل الأمير عبد الوهاب غائب عن الوجود إلى وقت السحر وتحرك وفتح عينيه ومدرجليه ووجد الراحه والصحة فى جسده وتنفس ونطق وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله سبحان محي العظام وهى رميم فقال عاصف وهو فى شدة شديدة من شد الصلب أيها الأمير وأنت فى قيد الحياه فقال الأمير نعم والحمد لله فصاح عاصف وقال بشروا الملك وابن الملك بسلامة من أراد صلبي من أجله فها هو فى الحياة فعند ذلك أقبلت بعض الصيادين إلى الملك وقالوا

له أيها الملك أعلم أن الميت الذى أرميته تحت المصلوب قد ردت فيه الروح وقد تكلم وعاش بعد الموت (قال الراوى) ان كانت هذه الجزيرة لم فيها غير هؤلاء الصيادين يرمون اليها كل من غضب عليه الملك بعد قتله ويقولون أن النار راضية عنه فهى تقبله وتأتى اليه وتأخذه اليها من غير كفن وان لم تقبله فدعه مرمى مكانه فكانت الوحوش تمر به وتأكله ولا يبقون لا لحم ولا عظم وفيهم من يبتلع الانسان ولم تمر به هايشة ولا وحش ويصبح مكانه فيقولون أن النار لم تقبله فيأتون إلى الملك ويعلموه فيقول لهم الملك ألقوه فى البحر فيأكله السمك وهذا دأبهم (قال الراوى) ولما أن أتت الصيادين وأعلموا الملك بحال الامير ولما سمع كلام الصيادين فرح بسلامته وقد ركب من وقته وساعته وقال أن النار أرادته وأحيته وما يعلموا أن الله هو الذى يحى ويميت هذا وقد ركب معه ولده وجماعة من خواصه وسار حتى وصل إلى الجزيره فرأى الامير جالس فقال له الملك يهنيك السلامه فصاح عاطف أيها الملك أنا أستاهل الخلع فانى أنا الذى قد بشرت بسلامته فأمر الملك أن ينزلوا عاصف من على الخشبه ففعلوا ذاك وقد أخذوا الامير عبد الوهاب بفرحة وعادوا إلى البلد وأنزلوه فى غير تلك الدار وواضبه أبو النور ابن الملك بالأكل والشرب الطيب شهر كامل وأبعدوا عاصف عنه وما زال الامير يأكل ويشرب إلى أن عادت اليه العافيه وتعافا باذن الله وصار أحسن ما كان عليه فى الأول ولما أن تكامل بالعافية أمر الملك بأن الامير عبد الوهاب يخرج برا البلد فأخذوه الغلمان وخرجوا به إلى الميدان الأكبر وقد ركب الملك فى أجناده وخرج بعده ولما أن أتى الملك أوقفوا الأمير بين يديه فقال له الملك اختار ما شئت من السلاح والخيل فقال الأمير اعلم أيها الملك اننى أريد جواد سابق ورمح خارق وسيف بارق واخرج الىّ من شئت وانظر العجب مما أفعل بعون الله تعالى فقال الملك ائتوه بما طلب فأتوا بدرع خفيف صغير الزرد كثير العدد وأعطوه سيف من سيوف الملك مجوهر يأخذ بالبصر وأعطوه قنطارية خلنجية كبيرة افرنجيه لها سنان انقى من الفضة المجلية تلوح منها اسباب المنيه واتوه بجواد من خيار الخيل الجياد (قال الراوى) فهذا ما كان من الامير وما جرى له من الاحكام (واما ما كان) من الأميره ذات الهمة العابدة الزاهده فانها قد رات فى هذه الأيام منام وكانت قد صلت وانضجعت ونامت فسبحان من لا ينام فرات كان طائر فى السماء قد انقض على ولدها وأخذه فى مخاليبه وهم به من ذلك المقام فانقض عليه باز من السماء

أخذه منه فانتبهت من المنام وهى فزعانه وادعت بأمراء بنى كلاب ولما ان حضروا قالت لهم ألم أقل لكم أن ولدى فى هذه الأيام قد نفذت فيه الأحكام وان هذا المنام يدل على انه قد تخلص من مخاليب الحمام وما هو إلا حى يرزق من جملة الانام فقالوا لها امراء بنى كلاب يا أميره فان كان الأمير على هذه الأحكام فاركبي جوادك وسيرى حتى نسير بين يديكى كلنا إلى أى مكان أردتى وأحببتى فقالت لهم ياقوم وأى مكان أقصد وما أعلم لولدى مكان ولو كان البطال حاضر كان يكشف لى عن ولدى أينما كان وما حل فيه ثم أن الأميرة زاد بها الوسواس فجمعت عشرة من أبطال بنى كلاب الموصوفة مثل ظالم والللمان وملابط البغال وتمام العشرة من الأقيال وأخذت معها أموال وأثقال وتجارة وقد تزيت بزى تجار العجم وسارت تطلب بلاد الروم ومعها ثلاثة من غلمان البطال وهم أبو الليل وخداع ومكتوم وكانوا قد ساروا فى طلب سيدهم لما ان وصل الللمان دخلوا إلى مصر والاسكندرية وعادوا ولم سمعوا له خبر ولا وقعوا له على أثر ورجعوا إلى ملطية فرأوا الأميرة سائرة فساروا معها وقد ركبت على وجه الللمان لحية وعملت له حواجب مثل ذلك وكان عظيم الخلقة وسواده بصاص يفزع من رآه وساروا طالبين بلاد الروم (قال الراوى) فهذا ماكان من الأميرة ذات الهمه وماكان من أمرها (وأماماكان) من الأمير عبد الوهاب فانه لما ان حضروا له ما ذكرنا لبس الدرع وتقلد بالحسام وركب الجواد وأخذ القنطاريه وبرز إلى الميدان الأخضر وكان واســع الجنبات كثير الزهر والنبات قد نقشته القدرة وسقته من الغيم قطره بألوان مختلفات حمره وخضره قضبان مثل البساط المنقوش أو ثوب خمرى حرير فيه من سائر النقش له أنفاس عطره وكان الملك قد جلس على سرير مشتغل بالذهب وهو مثل الكلب السعران وقد ادعى بولده أبو النور ولما ان حضر بين يديه قال له ابرز إلى هذا المسلم وانظر شجاعته حتى نرى ما قد سمعنا عنه فقال ابو النور وانا إلى ذلك أشوق (قال الراوى) ثم ان الملك خرج على جواد ادهم اغر معلم بغرة مثل الدرهم يطرب إذا صهل وحمحم ويسبى العقول إذا خطر بقده المعلم صنعه بارئ النسم حسن النخمة قوى الصدمة له عينان كأنهما جوهرتان والريح لا يدرك وركبه وعلى جسده درع يلمع بالنور صغير الحدق والعيون كثير الفنون يرد عن لابسه ريب المنون وهو متقلد بسيف مجوهر يأخذ بالبصر وعلى رأسه بيضه مجلية مضية وفى يده قنطار به خلنخيه وحمل على الأمير عبد الوهاب وانقض عليه مثل العقاب فتلقاه الأمير بجنان جرى وقلب قوى معود بهذه الأمور وعزم على النائبات جسور

(قال الراوى) هذا وقد جرى بينهما ما يشيب الطفل المولود ويلين له الحديد والنار وقد بنى عليهما الغبار حتى غيبهما عن الأبصار وقد أعجب فعلهما الحضار هذا وقد رأى أبو النور إلى صبر الأمير عبد الوهاب وإلى معرفته بالطعان والضراب فانغبن من طول مكثه معه وقد استحى من أبيه لأنه فارس هذه الديار فمن حمقه عليه استنجاده بطعنة شاذة وقد طلب بها صدره هذا ولما ان وصلت القنطارية إليه ضربها بالحسام كما يبرى البارى القلم فأرماها أبو النور من يده وقد زاد غيظه وحمقه فضايق الأمير عبد الوهاب وقرب منه وهز الحسام وضربه ضربة أراد بها تلفه فتلقى الأمير الضربة بالحجفة فبراها الحسام نصفين فرماها عند ذلك الأمير هجم على ابن الملك وضايقه وطابقه وله هدير وزمجره وتقابضا وتشابكا واعتركا على ظهور الخيل وتماسكا باليدين فأراد أبو النور أن يقهر الأمير بالقوة فهزه فوجده كأنه عامود من الرصاص لايحول ولا يزول فعجز عن إدراكه فعند ذلك ألقى الأمير نفسه عليه وقبضه بيــــده وهزه اقتلعه من سرجه ومشى به إلى قدام الملك ووضعه إلى الأرض وضعا خفيفا وقد قال فى نفسه أنا عند القوم غريب وأسير ويجب ان استعمل معهم الأدب والثانى أنه ابن الملك (قال الراوى) هـذا وأبو النور قام من على الأرض وركب جواده وهو خجلان وتـكارش هو والأمير وعانقه وهناه بما نال من السعادة وسار به إلى عند أبيه وقال له أيها الملك ما على وجه الأرض أفرس من هذا العربى وحق النار ماكنت أقول ان على وجه الأرض مثلى إلا أن تـكون أختى نور النار ووجه النهار وان هذا يزيد عليها فى الميدان فلما إن سمع الملك من ولده هذا المقال ضحك وقال له يابنى لاتقول هـذا المقال فما على وجه الأرض مثـل أختك نور النار إلا أن يكون أنا ولابد لى مما أنفذ خلفها تأتى إلى هذا المسلم وتقتله أشر قتـله ولا يبلغ الخبر عنا بهذا العار تنقص منزلتنا عند أهل الجزائر والامصار (قال الراوى) إن كان لهذا الملك بنت يقال لهـا نور النار ولقبها وجه النهار وهى أفرس من أهل الجزائر وأشجع من كل من كان فى هذه الديار وقد انعزلت عن أهل هذه المدينة وقد أنشأت لها بستان فيه من سائر الثمـار وعملت فى وسطه بركة ممتدة الأركان وجعلت على كل ركن شادر وان يقلب منه الماء بالاتفاق وجعلت فيها أربعة وعشرين فواره وبنت لها قصر بجانب البركه واقتصرت فى ذلك المـكان وأخذت عندها عشر جوار نهد أبكار كأنهن الأقمار تلعب معهن ليل ونهار وقد اقتصرت فى ذلك المـكان على أكل وشرب مع تلك الجوار وكانوا يضربوا على الآلات بسائر الألحان ولما أن كان فى هذه الأيام (قال الراوى) فأرسل أبوها خلفها من غلمانه علام فسار إليها واعلمها بما قال أبوها من

الكلام فجمعت جوارها وسارت الى ان حصلت بين يدى الملك وبدرت بالسلام فترحب بها أبيها وقام لها على الأقدام وقد تبسم فى وجهها وزاد لها فى الكلام وأجلسها الى جانبه وقص عليها قصة الأمير عبد الوهاب البطل الهمام وما جرى لأخيها معه فى الصدام فتعجبت من ذلك وقالت له أريد ان أنظر الى هذا الرجل فى ذلك المقام فعندها أمر الملك باحضاره فلما ان حضروا به أوقع الله الملك العلام هيبته فى قلبها وذكرت النار وقالت ان هذا الرجل يشبه الذى وصفوه لى الحكماء فقال لها أبوها وكيف ذلك فقالت له ياأبى حكيمنا الاكبر الذى هو متولى بيت النار قد حدثنى عن شىء كثير وقال لى من بعض الأقوال انه خرج إلى بلاد الروم ورأى رجل أسمر يقال له عبد الوهاب وهو من عرب يقال لهم بنى كلاب أفرس أهل الدنيا (قال الراوى) ان كانت هذه الجارية تتكلم بالعربى مثل الماء الجارى كأنها تربت فى بلاد العرب وكانت تلعب بسائر الملاهى وتقول الشعر وتحاكى العرب فى الفصاحة والمقال ولما ان تكلمت بهذا المقال قال لها أبوها هوذاك الرجل فلما ان صح عندها انه الأمير عبد الوهاب وسمعت ماجرى لاخيها معه فى الطعان والضراب وثبت الى جوادها ركبته وقد لبست جوشن مكوكب مغموس فى الذهب يأخذ بالابصار ويغلب شعاعه على ضوء النهار وقد تقلدت بسيف مخدوم قليل المثال معدوم اللمع من برق الغيوم وأقطع من القضاء المبروم وما اقتنت مثله ملوك الروم واعتقلت برمح معتدل القد جيد السنان وأمرت عند ذلك للأمير هبد الوهاب بحصان غير الحصان الذى كان تحته وأعطته عدة مثل عدتها وأغلا فى الأثمان وسارا كلاهما إلى الميدان هذا وقد نظر الأمير إلى الجارية أحسن من الغزال العطشان ولها قوام ألين من قضيت البان نخفق فؤاده خفقان عنيف فنادى يالطيف يامقلب القلوب ثبت عبدك الضعيف (قال الراوى) وأن الأمير عبد الوهاب أرخى رأسه إلى الأرض وقد دق قلبه من المخيف ولما نظر إلى وجهها من التكليف هذا والجارية لما ان رأت من الامير ذلك علمت منه التعفيف فقالت له ياعبد الوهاب لم لاترفع رأسك وتنظر إلى هذا الوجه النظيف الذى ما خلقت النار مثله فى التأليف فقال لها اعلمى ان ما يجوز لى ان انظر إلى مالا أملك من غير تكليف ولا اننى لى بزوجة وهو حرام فى دين نبينا محمد الشريف فقالت له ياشيخ اننى قد سمعت ان الك ام وهى تقاتل كل فارس ثقيل العيار خفيف فكيف تعمل إذا خرجت بوجهها من غير تلفيف وما يراها احد من غير تكليف فقال لها الامير انها تخرج إلى الحرب ملثمة مضيقة اللثام وهى امرأة عجوز فقالت له اعلم ان هذا يجوز فى الحرب وفى غيره عندنا ولكن دعنا الساعة من هذه المحاورة ودونك والمجاوله والحرب والطعان ثم انها حملت

عليه وحمل عليها وقد اخذا فى الحوب واختلاف الطعن والضرب وزاد عليهما الكرب وعمل فى القلوب الحنق والغيظ والغضب ودام القلق وكان الامير كلما فتح لها بابا فى الحرب وجدها إليه اسبق فوزن نفسه معها بعد ساعة من النهار وإذا هى خبيرة بطعن الرمح الخطار وكثيرة الاحتراز تحت الغبار فخشى على نفسه من التلف وقال مالى الا ان اضرب رمحها الذى معها بالسيف اعطلها من الطعن لاننى اراها ماهرة فى الطعن والضرب هذا والجارية قد مدت إليه الرمح وهو قد حار فى امره فما كان له إلا ان ضرب رمحها براه فضحكت الجارية وقالت له ياعبد الوهاب وحق النار ذات اللهب ماضربت الرمح بالحسام الا عجزا منك عن الطعان ولكن إذا مضى السنان عدنا إلى ضرب اليمان (قال الراوى) ثم ان الجارية جردت سيفها فى الميدان وحملت عليه وضاربته فى ذلك المكان وما زالا كذلك وقد وزن الامير نفسه معها فى الضرب فاذا هى اثقل أوزان فصار يدافع عن نفسه مدافعة ويمانع ممانعه باحسان وهى قد طمعت فيه وزادت اغبان وقالت له يا عبدالوهاب هذه شجاعتك المذكورة بين العربان وقوتك الموصوفة عند الفرسان فاننى قد سمعت عنك بالشجاعة والبراعة بين الشجعان فما رايت منها شىء فى هذه الساعة إلا باللسان (قال الراوى) فلما ان سمع الامير منها ذلك الكلام وصارت الدنيا فى عينيه ظلام وقد اظهر الجلد واخفى الكمد وجرد الحسام وألقى نفسه عليها فى ذلك المقام وضايقها ولاصقها حتى قرب منها واظهر الاهتمام وقد تعانقا على الجوادين وتعاركا كمعركة بالتزام وما زالا الى ان سقطا عن الجوادين إلى الارض على الاقدام ثم انهما تماسكا وتقاربا وتعانقا والتما إلى بعضهما التمام فوقعت يد الامير على أكتاف طريات وأعكان مطويات وأرداف رابيات ورمق إلى السماء بطرفه وقال اللهم ارحم عبدك الضعيف الفقير وارزقه على هذه النصر وارزقه منها الخير الكثير ولا تعدمه هذه البدر المنير إلهى أنا عبدك الشريد الوحيد سألك بحرمة عبادك الصالحين وملائكتك المقربين وأنبيائك المرسلين ومحمد خاتم النبيين لا تخذلنى وجدد لى القوة ولا تخجلنى يا ارحم الراحمين (قال الراوى) فما استتم الامير دعاءه حتى زادت قوته والحيل واراد الله بنصره على القوم الكافرين وقد صاح فى الجاريه لما ان اشتدت اعضاءه وزاد قواه وقد دخل فيها ورفعها بيديه وقد ثبت فى الأرض قدميه وسار بها إلى ان رآها كل من كان حاضر فى ذلك المكان ثم انه وضعها على الأرض وضعا لطيفا بيداه وقال لها قومى فما يمكن ان أأسى عليكى وانا عندكم فخجلت وقامت وهى تقول له ياشيخ انا كنت مستظهره عليك حتى رأيتك حركت شفتيك فما أدرى ما قلت فقال الأمير دعوت ربى حتى نصرنى عليكى وأعاننى فقالت

تقدر تدعو ربك حتى ينصرك عليّ وتصارعنى مرة ثانية قال نعم ثم تقـدم اليها وقد طمع فيها ودعا إلى الله وتقابضا وتماسكا وتعانقا وتلاصقا فصرعها مرة ثانية فقالت له ياعربى ان دعاءك مايقبل إلا فى الصراع فهل تقدر تطعن بالرمح وتضرب بالحسام فقال لها اعلمى انى اسير عندكم وما فعلتم معى قبيح بل احسنتم إلىّ لانكم اكرمتمونى وما آذيتمونى وفعلتم فى حقى ما فعلتم من الجميل واعلمى ما بقيت اعود الى قتال ابدا فقالت وقد اعجبها كلامه هذه فعال الرجال الاماجد (قال الراوى) ثم انها تركته وانصرفت عنه فنظر الامير إليها وهى تترجرج فتخيل عقله وتحير فى امره واما الجارية لما وصلت الى ابيها واخيها وقد تعجبوا والحاضرين من شجاعة الامير وقالوا ما فى زمانه مثله فلما سمع الملك ذلك قام على حيله وركب جواده وامتشق حسامه وهجم على الامير وصمم عليه وأرادقتله فقال الأمير فى نفسه إن قتلت هذا الملعون ما يبقوا على ساعة واحدة وما فى الامر الا انى إذا قدرت عليه أبقى عليه ثم انه استقبله وأخذ منه وأعطاه وجاوله ساعة فرآه شيطان فى صورة إنسان فجرى بينهما ما يحير النظار هذا وقد اختبر الملك الأمير فرأى منه فارس شديد وبطل صنديد فقال للأمير ويلك سلم نفسك إلى حتى يقال انى أسرتك حتى لا أنفضح بين قومى فقال الأمير هذا ما هو انصاف واعلم أن الإنصاف من فعال الاشراف وما هذا فعال من يفزع من العار ولكن أنا أسيرك على كل حال وما أفعل مالا يليق بمثلى ثم انه ترجل وأدار يديه إلى وراه فمسكه الملك وقد سار به إلى أصحابه ولما ان وصل به إلى عند قومه امتضى السيف من غمده وأراد ان يبطش بالأمير فقال له ولده أبو النور على ماذا عولت ياأبتاه قال ضرب رقبة هذا الشيخ فقال ولده ولما ذلك قال لأنه عدو النار والدين وانه يعتقد اعتقاد المسلمين فقال له لاتفعل ولا تجعل فى قتل الرجل حجة فمثله مثل عبدك الذى هو مع غلمانك أو أمثل لك مثل قد مثلوه بعض الناس وهو أن امرأة تحركت فخرج منها ريح فخجلت من زوجها فأخذت الكوز من جانبها ودقت به الأرض فكسرته فقال لها زوجها لاتردى حجلكى إلا على الكوز واعلمى أن الذى خرج منكى ما بقى يدخل ولو كسرتى ألف كوز وان هذا المثل يشبه هذا الذى تريد أن تفعله لأنك جعلت لك حجة وقلت أنه عدو الدين لأجل أنك ما قدرت عليه فى الميدان ومقام الشجعان فقال الملك لابد من قتله ومن عاندنى فيه قتلته ولو كان أنت قتلتك فى هذه الساعة (قال الراوى) فلما ان سمع أبو النور كلام أبوه قال وحق النار ما أمكنك من قتله فى ذلك اليوم واتركه حتى نأخذه بذنب غير هذا فقامت عينين الملك فى أم رأسه وقال لولده ويلك تحامى لمن يعبد غير معبودك ثم أنه صاح على من حوله خذوه مع المسلم فأخذوه الغلمان وأوثقوه

مع الأمير عبد الوهاب وقال الملك لابد من قتل الاثنين سوا اسجنوهم حتى أسأل عنهما
وكان قصد الملك بذلك ان يؤاذن ولده فساروا بهم الغلمان وجعلوهم فى مطموره وتركوهم
ولما حصلوا فى المطمورة وفيها جلسوا قال الأمير يا أبو النور والله لقد أوليتنى جميل
ما أقدر على حمله ولولا أن الله سبحانه وتعالى أغاثنى بك وإلا كان أبوك قتلنى ومع هذا
قدأنسيتنى ما أنا فيه وسليتنى عن أهلى فقال أبو النور أيها الأمير إنى أبشرك بشيء أعظم
من ذلك فقال الأمير وما هو فقال له أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول
الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فلماسمع الأميرذلك منأبوالنور باس الارض شكرا لله
تعالى وقد فرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح ثم أنهم أقاموا فى المطمورة مدة وقد
نسيهم الملك ثمانية أشهر وكان الامير يقرىء أبو النور القرآن العظيم حتى حفظ ربع
القرآن وعلمه فرائض الوضوء وشيئا كثيرا من الواجب (قال الراوى) وبعد تلك المدة
افتكر الملك ولده فأمر باحضاره فسارت الغلمان اليه وأخرجوه من المطمورة فلما
ان صار قدام أبيه قال له مابقيت من اليوم تعود إلى معارضتى وترجع عن محاماة من
هم على غير الدين فقال لايا أبتاه ولو علمت أن هذا يصعب عليك ماكنت تكلمت
به وإنما قلت هذا الكلام خوفا عليك من العار لأنك شرطت انك ماتقتله بل انك
تنظر مافيه من القوة والشجاعه فان رأيت منه ما ذكر عنه تطلقه وان رأيت غير ماوصف
تقتله وقد حلفت له أنا بذلك ولما أن رأيت منه مارأيت حاميت له (قال الراوى) فبينما
هم فى الكلام وإذا برجال دخلوا عليه من رجاله وهم فى اهتمام وقالوا أيها الملك بينما نحن
فى المراكب قيام إذا أشرفت علينا مراكب وقلوع من البحر وهم ضالين عن مقصودهم
فسرنا اليهم وأخذنا منهم مركبين وهاهم فى الساحل مركب كبيره وأخرى صغيره كانها لها
فاركب إلى الساحل وانظر ما فيها وافعل ما أردت فقام الملك وهو فرحان ووصل إلى
الساحل تأمل إلى المركب وأمر بأخراج كلما فيها من الأموال والمتاع وطلعوا بعد
ذلك برجلين الواحد شيخ كبير والآخر شاب صغير وعليهما ملابس الرهبان فقال
لهما الملك من أين أنتما ومن أى البلاد تكونوا فقال له الشيخ أنا بترك من بتاركة
القسطنطينيه وهذا الشاب من بعض تلامذتى فقال الملك نحن لانقول لا برهبان ولا بقسوس
ولا بعبادة المسيح والصلبان احملوهم إلى المطموره التى فيها المسلم فحملوهم إلى تلك المطموره
وتركوهم فيها وعادوا عنهم (قال الراوى) أن هذا الشيخ البطال والشاب ولده مذبحون
ولما أن صاروا فى أسفل المطموره واستقر بهم القرار قال الأمير أبو محمد البطال لا إله إلا
الله محمد رسول الله أين عينين الأمير عبد الوهاب ينظرنا ونحن مهججين فى
البلاد ويحكموا فينا الأعادى والحساد وبعد ذلك كانت هذه الخاتمه فلما سمع الأمير

عبدالوهاب الكلام عرفه فقال ياأبو محمدهاعين عبدالوهاب تنظرك وتشاهدك فى هذه الساعه. فلما سمع أبو محمد ذلك طاش عقله وطار لبه واخذه الانبهار من ذلك الأمر وقال ياترى هذا فى المنام ام فى اليقظه وإلا فى السرداب جن ينادونى باسمى وإسم عبد الوهاب فقال الأمير لا ياابو محمد ماانت فى منام افتح عينك وانظر من قدامك فتأمل المتكلم ولما نظر اليه ترما عليه وجعل يقول ما الذى اوقعك فى هذا المكان فقال ماالذى اتى بك انت فى صورة الرهبان حتى اجتمعت انا وانت فى الذل والهوان فتعجب البطال من هذا الحال فقال البطال حدثنى بما جرى لك وقص على قصتك فجعل الأمير يحدثه بما جرى له مع المعتصم وما تم له مع عاصف الخائن هذا والبطال يسمع ويتعجب ولما فرغ من الحديث قال له وانت ما الذى جر لك وما سبب وقوعك مع هؤلاء القوم فقال البطال اما انا بعد اجتماعى باالملمان فى ارض مصر وانفاذه اليك ومعه عاقبه وبعده سرت إلى الاسكندريه ومن هناك نزلت فى مركب وطلبت بلاد الغرب وطلبت نفسى ان امضى إلى هشام المؤيد وكان معنا عشر مراكب ولم تزل المراكب سائره فى ريح طيب ستة ايام وبعد ذلك تغيرت الرياح باذن الملك الفتاح وهبت عليها ريح سوداء فبقينا بحكمنا فصارت تنسفنا عشرة ايام ولم نعلم إلى اين سائرين وفى الآخر التقتنا هذه المراكب التى من هذه الجزيره فخرجوا علينا واخذونا وقد تشتت باقى المراكب وهذا ماتم لى والسلام ثم ان البطال قال للأمير وأين هو عاصف فقال هاهو معى فى هذه المطموره فنظر اليه البطال وقال سبحان الله لقد احتوى الشيطان على قلب هذا المسكين حتى اضله واغواه ورده عن دين الإسلام فقال عاصف لما ان سمع مقاله ياترى يقبلنى ربى ويهدينى بعد ذلتى فقال البطال نعم لأن باب التوبة مفتوح وخير الله إلى عبده ممنوح وإن الاسلام يمحوا ماقد سلف وإن الله يسامح العبد إذا تاب واعترف فقال الأمير لاتسمع منه هذا الهذيان واعلم ان كلما قاله زور وبهتان فانه قد اسلم قبل هذه المره وصبر على حتى نمت وقام إلى وخنقنى إلى ان كادت روحى ان تخرج ثم حدثه بما جرى وكيف صلبه الملك (قال الراوى) فلما سمع البطال كلام الأمير لم يلتفت إلى عاصف ولا الوى عليه (قال الراوى) فبينما هم على ذلك الحال وإذا بباب المطموره قد فتح ونزل اليهم شخص فتبينه الأمير عبدالوهاب وإذا به ابو النور ابن الملك فلما نظره البطال قام اليه على الاقدام لان الامير عبدالوهاب اخبره بحديثه ولما دخل فى تلك الساعه قام اليه البطال وبجله فلم يلتفت اليه ولاعن عليه بل انه أتى إلى الامير عبد الوهاب وسلم عليه وقال له ايها الأمير ان ابى فى تلك الساعه قد شرب المدام وسكر وقال لى أتينى بالمسلم حتى اقتله فضايعت الكلام فنهرنى فتقدمت اليه وكلمته بلين الكلام

فهم بقتلى وقد اتيت اليك وانا حائر فى امرى فدبر ماترى فيه الصواب فقال الأمير وكان قد كاد عقله ان يطير والساعه ما نعمل ياأبو النور فقال والله ما ادرى وما فى الأمر إلى اننى افديك باحدى هؤلاء الرهبان واقدمهم اليه وادعه يضرب رقابهم ويكونوا افداك فلما سمع البطال ذلك قال يا امير ماهذا الا راى جيد وما جئنا إلى هذه الديار إلا حتى نكون لك الفدا ماهذا إلا حديث يسمع ويعمل به فقال الامير يا ابو النور هؤلاء الرهبان هم دين الإسلام (قال الراوى) فقال أبو النور فمن يكونوا هؤلاء الرهبان بين الأنام فقال له الأمير هذا يسمى أبو محمد البطال وهذا ولده مذبحون فتعجب أبو النور من هذا الاتفاق وقال فما قوالكم فيمن يفديكم بذلك الشيطان عاصف فقال البطال لاتعدل عنه فانه رأى جيد فقال عاصف لاتفعل فانى قد عدت إلى دين الإسلام فقال له أبو محمد لاتطيل الخطاب فما أحد غيرك ثم ان أبو النور بعد ذلك عاد إلى البطال وباس رأسه وسلم عليه فعرفه وقال أبو محمد انى قد سمعت عنك من هذا الأمير انك حسن التدبير بين الرجال فكيف يكون الساعة العمل حتى تخاصكم وأخاص أنا معكم فقال البطال أول كل شىء تفك قيودنا والأغلال وتفتح لنا الباب ونخرج ونسير ونتوكل على اللطيف الخبير فقال أبو النور إعلم ان هذه البلد رجالها كثير وأخاف أن يخرجون خلفنا فنهلك فقال الأمير عبد الوهاب ياولدى اعلم أن الذى أتى بنا إلى ههنا قادر على خلاصنا فقال أبو النور هذا هو الاعتقاد (قال الراوى) ثم ان أبو النور بعد ذلك دنا من البطال وفك قيودهم وطلعوا من المطموره وهموا بالمسير فقال البطال فين الملك جالس يشرب الخمر فقال أبو النور فى الدار التى فيها الحريم وقد أمرنى باحضار بعضكم فقال أنا قادر أصعد اليه وآتيك برأسه فقال أبو النور انى أخاف أن لاتنال مقصودك وينفسد الحال ونهلك عن آخرنا ولكن دع عنك معارضتك له وسيروا بنا حتى اننى أسير بكم فى بلاد أعرفها وأسير بكم سير الجد فى هذه الليلة فقال الأمير عبد الوهاب للبطال ايها الأمير ان لهذا اخت احسن من البدر نورا ووجها فقال ابو النور لاتكون ايها الأمير قد وقع قلبك فى محبة اختى فقال البطال لاشك فى ذلك لأن كلامه يدل على عشقه وهيامه فقال عبد الوهاب يا ابو محمد اقسم قسما صادقا اننى ان رايتها اغيب عن الدنيا ولو رايتها يابطال كنت عذرتنى فى محبتها لأنها والله احلى من الماء الذلال على كبد العطشان فقال البطال والله انك غارق فى بحر هواها الى الأودان ولكن ايها الأمير هذا الوقت ماهو وقت عشق ولابد لنا من المسير وإلاهلكنا فقال الأمير عبد الوهاب سيروا انتم واتركونى انا ههنا فانى ماسير إلا بها (قال الراوى) وصار عبد الوهاب يخلط فى الكلام ولايعرف مايقول وقد احب من اجلها المقام فقال له أبو محمد طب نفسا وقر عينا فأنا اعمل لك

عملا تشكرنى به على طول الليالى والأيام ويكون لى فيه الثواب واجمع الأحباب بالأحباب ثم التفت إلى الغلام الذى هو ابو النور وقال له يامالك اعلم ان هذا الآمير عبد الوهاب له من الأموال الجه والنعم الضخمه وله اقاليم وبلاد وعساكر واجناد وهو من ابيك واقوى شوكه وانفذكلام ولو زوجت اختك اليه لكان صواب ولو انها تحت الكفر وعبادة النار فلابد لنا مانخلصها ونملكها والله يهديها فقال أبو النور يامولاى ماهى فى يدى ولاتحت حكمى فقال البطال والله لو تزوج بها هذا الأمير لتصيرن أنت وهى مالكين الثغور فقال الغلام وحق من هدانى بعد الضلالة إنى إلى ذلك أشوق ولكن أين هى فقال البطال تسير اليها وتعلمها بهذا فقال أبو النور أنا أعلم انها ماتطاوعنى الى ذلك الأمر فقال البطال إذا كانت ماتطاوعك فخذ هذا الدوا واوضعه لها فى الشراب يذوب لجهامع عظمها فارتعب الامير عبد الوهاب وقال لابالله عليك خلينا من هذا الامر المتلف لانها والله ما تستاهل (قال الراوى) فضحك البطال وقال يا أبو النور ان كان الامير مايشتهى قتلها فخذ معك هذا الدوا وأوضعه لها فى مشروبها فانها تنام وما تقول لجعه أبو النور إذا نحن أخذناها كيف يكون الحال لانها أشجع من أبى ومنى فقال اسقيها أنت هذا الدواء فانها إذانزل فى جوفهافانها ماتفيق إلا ونحن قد قطعنا بلاد بعيدة وتكون معنا مكتفه مقيدة ونحن نطعمها ونسقيها حتى تصل إلى بلاد الإسلام ولعل الله تعالى أن يهديها وتسلم فقال أبو النور هات الدواء فناوله البطال وهو شىء قليل من البنج من شمه رقد جمعه (قال الراوى) فأخذ الغلام الدواء وسار إلى ان وصل الى المكان الذى فيه أخته فما رآها فسأل عنها الجوار فقالوا أنها مضت الى بستانها واخذت معها جوارها وما نظن تعود من البستان فى هذه الليلة فعاد الغلام إلى البطال وأعلمه بالخبر وقال له انها ما هى حاضره فى دارها فقال البطال فقوموا بنا ما دام الليل قد أقبل والملك قد اشتغل ودعونا من هذا العمل فما تدرى لمن يكون الظفر فقال عبد الوهاب أنا ما اسير معكم ولا خطوة واحدة وما زال مقيم ها هنا فسيروا انتم وافعلوا ما بدالكم فضحك البطال وقال نحن ما نسير ونتركك بل نقيم عندك حتى تبلغ قصدك ونأخذ لك الجارية ونسير كلنا سواء إن شاء الله تعالى وما اكون مثل ما فعلت انت معى فى نورى فضحك وقات هكذا تكون المحبة وعجب من اهتمامه وقد دعاله (قال الراوى) هذا وان ابو محمد البطال قال ترى يا امير يكون فى الغيب انك تفتح قلعة وتتزوج بأخرى فقال الامير دعنا الساعة (قان الراوى) ووعدهم اخو الجارية بكل جميل وعاصف يقول أيها الأمير ثق بالله وثق بقولى فقد ذكرت أمرى وأمر ابن الملك وكيف كان

يعبد النار وهو فى هذه الديار وعاد إلى عبادة الملك الجبار وأنا مسلم ابن مسلم وصلى الملك القهار وتفكرت ورجعت إلى التوحيد فرق له الامير عبد الوهاب فقال يا أبا محمد لعل الله تعالى يكون هداه ويكتبه من المؤمنين فقال البطال امسك عليك أيها الأمير فلو حلف هذا الشيطان ألف يمين فهو يكذب وما أصدقه مما وقع فى أذنى من محاله وعقبه قد خلف خلف لنا هذا الملعون ولا بدلى أن أقتله أشرها قتله إذا عولنا على الرحيل وقام اليه البطال وما زال يضربه إلى أن قطع النفس منه وغاب عن الدنيا وتركه وقال ليس لنا حاجه بهذا المرتد عن دين الإسلام (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ماكان من ابن الملك أبو النور البطل الهمام فانه لما أن سار من عندهم وعاد إلى أبيه فرآه فى انتظاره ورآه قد غلب عليه السكر من شرب المدام فقال له ياولد ما ابطأك على وما اتيت بالمسلم حتى نقتله ونسقيه كاس الحوف فقال له ابو النور ايها الملك هذا قدامك مايفوتك والصواب نقتله وانت صاحى وانا لما نزلت إلى المطموره آتى بالمسلم فرايته قد عرف هؤلاء الرهبان الدين قد اخذناهم من المركب ورايته وهو يتحدث معهم ويسألهم عن دياره واولاده ووطنه ويبكى فقلت ما آخذه وهو على تلك الحاله واخاف من عاقبة النار وربما يكون ابى فى غير عقله وامضى به فيقتله ويندم على مافعل واريد أن أتركه يتلذذ بالكلام إلى الصباح ثم شاغل ابيه حتى نام فلما كان عند الصباح قال الملك اخرجوا خيمتى وانصبوها فى فى الميدان واتونى بذلك المسلم ومن عنده من الرهبان حتى اضرب رقابهم ان لم يعودوا إلى عبادة النار ويتركوا ما عليهم من عبادة الصلبان (قال الراوى) فبينما هو مع اصحابه فى ذلك الكلام وإذا ببطريق دخل على الملك وهو يقول ايها الملك ان ابنتك نور النار دخل عليها شيخان من عباد النار وأظنهم غير كرام وهم يزعمون إنهم خزانها وإنهم يعلمون من علمها مالا يعلمه أحدا غيرهم من الأنام وقد أنفذتنى إليك الملكة لتمضى اليها وتتبرك بهم وتبصرهم فى ذلك المقام (قال الراوى) فلما سمع الملك من من البطريق ذلك الكلام ترك الكلام ترك ماكان فيه ونهض من وقته وساعته قائما على الاقدام وأمر بتقديم الجواد فتقدم اليه وركب وسار وهو فرحان وما زال سائر إلى أن وصل إلى البستان الذى لابنته ودخل عليها فلما نظرته نهضت قائمه وقبلت يديه وبادرته بالكلام وقالت له من مثلك أجل قدرا عند النار وقد أرسلت اليك رسلها وخزانها وعلمائها وشيوخها وأهل برهانها فى هذه الأيام فالتفت الملك فرأى إلى شيخين أعورين تجسين وعليهما ثياب خضر تلمع نورهم يأخذ بالأبصار ووجوههما تشرق باللمعان

والأنوار من الدهانات التي دهنوها حتى لمعت ذلك اللمعان (قال الراوى) إن كان هؤلاء الشيخين الواحد عقبه والآخر شومدرس وكان السبب فى ومهما إلى هذه الجزيره سبب عجيب وحال غريب وذلك انهم لما انهزموا من القسطنطونيه أخذ عقبه شومدرس وقال له اعلم ياراهب انني قد ضجرت من بلاد المسلمين وسماعى الاذان وقراءة القرآن وانى أريد أن أسير إلى مكان ما فيه أذان ولا فيه قراءة قرآن وأبعد إلى بعيد فقال له شومدرس وأنا معك وأوافقك أردب فسير إلى أى موضع شئت ثم انهم ساروا ولم يزالوا سائرين فى البحر لانهم لما وصلوا إلى السويدية لم يطلعوها لم يطلعوها ولم يزالوا سائرين من مكان إلى مكان إلى أن رماهم الريح إلى تلك الجزيرة فقال شومدرس ما تكون هذه الجزيرة أيها القاضى فقال له عقبه اعلم أن أهل هذه الجزيرة يعبدون النار ونحن لنا مده ماعملنا عملا نرضى به المسيح فلهذا رمانا المسيح إلى هؤلاء القوم فلعل أن نردهم إلى عبادة المسيح ليقوى بهم دينه ويكون لنا بذلك الثواب ونكون لانخلو من العمل الصالح لافى السفر ولا فى الحضر فقال شومدرس نعم ماقلت ثم ساروا إلى أن وصلا إلى ساحل تلك الجزيرة وقد لبسوا تلك الثياب الخضر وأخرج شومدرس دهن وصبغ وجوههما وثيابهما حتى كل من نظر اليهما لايستطيع اليهم النظر ولما صاروا على الساحل رأوا إلى شختور فنزلوا فيه وأتوا إلى الجزيرة وما زالوا سائرين فى تلك الجزيرة إلى أن وصلوا إلى البستان الذى فيه بنت الملك نور النار فدخلوا اليه فلم تشعر بنت الملك إلا وهما عندها وبين يديها بين تلك الأشجار فلما نظرت اليهم تعجبت من لمعان وجوههم ومن ثيابهم وذلك المكان الذى أتوا منه ماله مسلك الامن البحر وكيف انهما بخلاف ألوان الناس فقالت لهما وقد هابتها من أين أنتم ومن أين أتيتم وكيف وصلتم من ذلك الجانب ومن البحر الذى مالا لأحد اليه طريق وما أظنكما الأمن الجن لامن الانس فقال لها عقبه اعلمى أيتها الملكة انهما من عباد النار ومشايخها وخزانها وعلمائها وما تربت لحاهم إلا فيها لأن قدرتها مسلطة على جميع الخلق وبها تنجلى جميع الظلمة ويعوذ الضيا ولا يجوز السجود إلا لها ولا يعبد عندهم غيرهم وهم علمائها فى طول زمانهم (قال الراوى) فلما سمعت من عقبه ذلك قامت لهما وقد أكرمتهما وأجلستهما فى أعز مكان وأنفذت خلف أبوها فاتى اليها ودخل عليها كما ذكرنا ونظرهم على تلك الحاله كما شرحنا فدنا منهما وقبل يديهما وجاس عندهما وسألها عن حالها فقالا أيها الملك انهما من الذين قد صفت قلوبهما لعبادة النار ولنا الكرامات التى ما نالها أحد الاهما لان النار دنت منهما وقالت لهما سيروا الى عند الملك ورغبوه فى عبادتى حتى يزيدلى

فى القربان ولا يشتغل بشىء عن عباد النيران فقال لهم الملك وقد فزع من قولها أو صفو الى المعجزات التى للنيران فقال عقبه اعلم أيها الملك أن الحكماء قد أجمعوا قولهم ان النار ذات اللهب اذا وقدت وظهر لها دوائب حدثت فى السماء هذه الكواكب وبها يصنع كل شىء واذا أظلم الظلام وأوقدت أظهرت نورها ولمعانها وأذهبت الظلام بقوة سلطانها وهذا شىء لايقدر عليه أحد غيرها وهم متكلين فى أمورهم عليها وعلى خبرها لانها تصنع لنا ما نأكل من سائر الطعامات والحلاوات وأطيب المأكولات وكل الناس يعرفون منها تلك الكرامات الطاهرات وانها اذا غضبت على حى وألقى فيها أحرقته وأى جماد وضع عليها ذوبته حتى الحديد وبيان ذلك انك اذا وضعت الحديد سنه مالان وان وضع فيها ساعه واحده لان وان تركته ذاب وأكلته (قال الراوى) هذا ولم يزل عقبه يصف النار بالقوه مثل مايصف للروم دينهم هذا والملك أعجبه فصاحته والحجاب قد بهتوا من هذيانه وشقشقة لسانه ويتعجبون من لمعان وجهه ثم ان الملك بعد ذلك نهض وطلب الركوب بعد ان سجد للنار وطول السجود وهذا وعقبه وشومدرس لماركب الملك أمرهما ان يسيران معه فقالت بنت الملك دعهما عندى يانى ما أفارقهما فى تلك الليله وانى أريد ان أسمع كلامهما وأتلذذ بقربهما وفى غداة غد أسيرها اليك فسار الملك وتركهما عندها وأما عقبه فانه لما أن نظر الى حسنها وجمالها وقدها واعتدالها قال لشومدرس وحق المسيح ماتصلح هذه الجاريه الا للعناق (قال الراوى) هذا وقد أقامت الجاريه ذلك اليوم تحادثهم وعقبه يرمقها وشومدرس يلتذ بمصاحبتها ثم قالت لهما بحق النار كيف قدرتما على المجىء الينا وما علينا طريق الا من باب البر فقال لها عقبه اعلمى اننا قد قطعنا سبع بحار ومشينا على وجه الماء حتى وصلنا اليكم لانهما مشايخ النار فصدقتها الجاريه وما زالت معهما فى الكلام من شىء الى شىء وهم يقولان لها اننا درنا الدنيا ولم خلينا أرض فقالت لهم هل تعرفان أحدا فى بلاد المسلمين أوجاءت طريق بكما عليها قالوا لها نعم فعن من تسألينا حتى نخبرك قالت أسألك عن رجلان واحد يقال له عبد الوهاب وآخر يقال له عاصف فقال لها عقبه وقد فتح أذنه للكلام وخفق قلبه من أين لكى معرفة بهؤلاء الاثنين فقالت لهما انهما وصلا الينا من مدة أيام (قال) فلما سمع عقبة منها ذلك قال وأين هم قالت فى المطمورة وقد أتانا راهبين أنزلناهم عندهم وصارلهم أيام وأن الملك قد عول على ضرب رقابهم الجميع فلما سمع منها ذلك انفتحت عينه الصحيحة وطار قلبه من شدة الفرح وقال لشومدرس وحق المسيح ماسمعت أعجب من هذا الاتفاق نهرب من قوم يوقعهم المسيح فى أيدينا هذه عناية عظيمة من المسيح وأنه عنا بنا فقال

شومدرس أن هذا العجب ويجوز أن يكتب بماء الذهب هذا وقد باتوا طول ليلتهم يتعجبون ولم يناموا إلى الصباح فارسل الملك اليهم فحضروا عنده والجارية معهم ولما قام لهم وهو يتعجب من لمعان وجوههم وأجلسهم إلى جانبه وما استقر بهم المكان حتى قال عقبه للملك اعلم أيها الملك نحن ما جئنا اليك باختيارنا وإنما النار أرسلتنا اليك وقالت لنا ان عندك رجال من المسلمين وهم رجلين الواحد يسمى عبد الوهاب والآخر يسمى عاصف والاثنان فيهما ظالم ومظلوم فاحضر الاثنين وانظر المظلوم وخذ حقه من الظالم فقال أن الرجلين عندى وقد صدقت النار فيما أخبرتكم عنهما والساعة أحضرهم وأنتم تنظرون فى حالهما (قال الراوى) ثم أن الملك أمر باحضارهم فمضت الغلمان إلى المطمورة وكانوا فى تلك الليلة يريدون الخروج فلم يمكنهم الأمير عبد الوهاب من أجل غرضه بالجارية والبطال يقول له لو أقمنا شهرا ماخرجنا من الجزيرة إلا بها فقال أبو النور أنا أقدر أخرجكم فى ذلك الوقت ولكن الجسر الذى نطلع عليه مقطوع والمكان ماؤه غميق لأن البحر الآن زايد ثم انهم اتفقوا على الخروج إذا نقص الماء وقد اوعدهم انه يدبر على اخته ويسقيها الدواء فى ذلك اليوم ومضى إلى شغله (قال الراوى) وفى ذلك اليوم أتت البطارقه اليهم وأخذوهم من المطموره وأحضروهم عند الملك هذا وعقبه يبحلق بعينه الصحيحة ويرمق الى الباب فهو كذلك واذا بهم داخلين وعبد الوهاب قدامهم ومن خلفه عاصف والبطال ومذبحون فلما رآهم عقبه قام ووقع الا الارض مغشيا عليه ولما أفاق قال وحق المسيح ان هذه نوبه عظيمه بجمع اعدانا كلهم هذا وقد تعجب الملك مما حصل لعقبه وقال له لما ان افاق ياشيخ النار ما الذى جرى عليك فقال ياملك فرحا بهؤلاء الذين أخربوا بيوت النيران وشدوا من المسلمين وقد أظهروا دين الاسلام ويتكلمون بكلام يسموه القرآن فلما سمع ذلك سجد للنار بعد أن أوقدها بين يديه بالعود القمارى وتقدم اليها شومدرس وطرح فيها سندروس وزنجفر وزنجار عراقى فظهر للنار ألوان عدة مختلفة من حمره وخضرة وصفرة وزرقة فتعجب الملك لما رأى شىء مارآه وعقبه يقول ما هذا عجب بل أصدقوا فى عبادة النار (قال الراوى) ثم أن عقبه بعد مارغبهم فى عبادة النار قال أيها الملك ما الذى عولت عليه أن تفعل بهؤلاء القوم قال ياشيخ أنا ما ضرمت هذه النار الا أطرحهم فيها فقال عقبه عجل أيها الملك هذا وقد سحبوا الامير عبد الوهاب والبطال ومذبحون وعاصف إلى النار والامير المجاهد يقول إلهى ومولاى هؤلاء أعداءك وقد سجدوا إلى النار وجحدوك فلا تسلطهم على

عبادك الساجدين الراكعين قوام الليل وأنت قلت فى كلامك العزيز أدعونى أستجب لكم فها قد دعوناك كما أمرتنا فاستجب منا كما وعدتنا إلهى لا تجعل لهم الينا وصول ولا اعتراض لك فى حكمك ياموجود وأنا عبدك وان كان فى أم الكتاب ان تكون موتى بحريق النار فانا صابر على قضاك وأقول مرحبا بلقاك وأشار يقول

لك الحمد يارب عشيا وباكر ☆ لأنك يامولاى للكسر جابر
أجرنى من الكفار يا رافع السما ☆ بحق محمد النبى الطاهر
بحق الانبيا والاصفيا وبجاههم ☆ ترد سهام الكفرانك قادر
بحق الذى قد قال يارب أمتى ☆ محمد المختار نسل الاكابر
بحق ابراهيم الخليل وابنه ☆ يساره واسماعيل والام هاجر
بحق النبى يعقوب كن ناظرا لنا ☆ واجمع شملى بالعجوز وناصر
وخلصنا من الضيق يارب كلنا ☆ وفرج لنا من هؤلاء الفواجر

(قال الراوى) فلما ان نظر عقبه اليهم وهم على تلك الحالة قال فى نفسه ان احترقوا هؤلاء بالنار استراحوا من العذاب وأنا أريد أن أوافقهم على ما عملوا معى وأعرفهم بنفسى حتى يعلمون أنى قد ظفرت بهم وقدرت عليهم ثم ان الملعون تقدم إلى عند الملك وقال انى أريد أن تمن على بهؤلاء الليله حتى أبيت عندهم وأريحهم على فعالهم وأظهر لهم دين النار وفضائلها عساهم يميلون اليها مادام ان أبصروا الحريق بأعينهم لأنهم يقولون انها لا تضر ولا تنفع وأريد الليله أقيم لهم الدليل والبرهان وأعرفهم انهم يكذبون فقال الملك افعل ما بدالك ياشيخ النار ثم أمران يحملون إلى دار كبيرة واسعة ثم قال عقبه أيها الملك اطلق سبيل عاصف فانه من عباد النار والنور واتركه يكون عندى من بعض تلامذتى لأجل ما قد بان لى فيه من الاصلاح للنار إلا انه لما حصل عندكم ما جسرأن يترجم عن نفسه (قال الراوى) ياساده ياكرام فأمر الملك باطلاق عاصف من الوثاق وخلع عليه وأكرمه وأخذه عقبه وقام الى الدار التى أفردها له الملك ولما ان استقر به القرار أحضر الامراء بين يديه وقال لهم ياشياطين إلى كم يمهلكم المسيح وها هو قد ساقنى اليكم لاطيل عذابكم وبعد ذلك أضرب رقابكم لأنى ما أتيت إلى هذه الديار وهربت إلى هذه الامصار الا فزعا منكم وفزعا من ذات الهمة ولكن قد قتلت أولاد هذا الاسود وأما السودان فما أبقيت منهم انسان لا كبير ولا صغير (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الامير عبد الوهاب من عقبه ذلك بكا وقال يا أبا محمد ما وصل هذا الملعون إلى هذه

الديار إلا وقد عمل عملا فضحك البطال وقال أيها الامير لا تسمع من كلامه فهو زور ومحال واعلم انه ما أتاها هنا الا هارب فقال عقبه يابطال أنا ما أتيت ها هنا إلا لفروغ آجالكم فقال البطال تكذب ياملعون ولا تقدر تفعل فيناشيء الا باذن الله تعالى فضحك الراهب شومدرس وقال ياشيطان ما أخبرك فقال البطال ياشومدرس بحق المسيح قولى ما هو الصحيح ما أتيتم منهزمين فقال أى وحق المسيح فقال عقبه يا بطال ان نورى قد جابت ولد وهو بشارتى اليك وقد سميته الحصين وقد انقلبت به ملطبه والقلاع والحصون وسمعتهم يقولوا ما رزق البطال أحسن منه وقد أحبوه الناس جميعا وهو أشبه الخلق بك (قال الراوى) ففرح البطال وقال ان مت بعد سماعى بذلك ما باليت بأى موتة أموت فقال عقبه للبطال حدثنى بعد قتلك لزوجتى وأولادى أين بلغت من الأرض فقص عليه البطال القصه ومقامه فى أرض مصر وديار الغرب وما زال يحدثه بما جرى وفى الآخر وصلت إلى هذه الديار فحدثنى أنت الآخر بما جرى لك فابتدأ عقبه وحدثه بحديثه وما عمل وكلام الاميره وما جرى لها الى حين وصوله إلى تلك الديار وبعد ذلك هذه نوبة مابقيتم تبصرون بلاد الاسلام أبدا وغدا أحرقك بالنار وولدك وعبد الوهاب فقال ياويلك ياملعون ان كان قضى علينا رب السماء بقدر فلا راد له فيما حكم ثم قال اسمع ما أقول لك عليه نحن فى بلاد بعيده وغرباء فدعوا ما قد مضى وتعالوا بنا نصطلح ولا يعود أحدا منا يضمر للآخر سواء أبدا واعمل ياعقبه معنا جميل حتى نكافئك به يوما من الدهر فقال عقبة وحق المسيح ما بقى لكم نجاة من تلك المره وهذا كلام ما أسمعه وما النوبة مثل النوب وما قصدى قتلكم الا تكذيبا لعبد الوهاب وقوله انه رأى فى المنام انكم تصلبونى على باب الذهب وأنا اريد ان أحرقكم بالنار وأعجل عليكم حتى يبطل قولكم فقال الأمير مرحبا بقضاء الله واعلم ياملعون إنى ما أيست من رحمة الله ومصدق لقول رسول الله ولابد من صلبك إذا آن الأوان واعلم أن هذا منام ما يخيب ولا بد ما يجرى عن قريب (قال الراوى) فقال عقبة أنا لأجل ذلك المقال والكلام والاحلام ان أحرقكم بالنار وأبطل لكم دلائلكم والبراهين فقال له الأمير نار المخلوق ولا نار الخالق فقال عقبة صدقتم هذا من قوة يقينكم ولكن سوف تنظرون على من تدور الدوائر (قال الراوى) أن عقبة قعد عندهم ثم جعل بين يديه خمر ولحم خنزير وجعل يأكل ويشرب إلى أن سكر ثم قال ياشومدرس أريد أن اوسم هؤلاء المسلمين فى وجوههم بالنار فقال له شومدرس لاتفعل ذلك فقال عقبة وحق المديح والذبيح لابد من ذلك

وأول ما أفعل بعبد الوهاب فقال البطال ان كان ولا بد فافعل بى وبولدى وخلى الأمير فقال الملعون أول ما أفعل بعبد الوهاب قبلكم وأنتم من بعده ثم أن الملعون وثب وأتى إلى عند الأمير وقال يا شومدرس تعالى ساعدنى واطرحه على الأرض واقبض على لحيته فأتاه شومدرس وقد فعل ما أمره وأتاه عقبة وأخذ المكاوى من النار وتقدم إلى الأمير وهم أن يكوى وجهه وهو مطروح وإذا بزعقة أخذته من ورائه وقائل يقول خلى ياعدو الله عن ولى الله ياويلكم تجمعتم على هؤلاء المجاهدين لاتفعل وكان المتكلم هجم عليه فالتفت ليتبينه من المتكلم وإذا به صفعه على أذنه بزغ الدم من أذنه الثانية فالتفت شومدرس ينظر ما الخبر وإذا به أبو النور ابن الملك وهو يقول ياويلكم تفعلوا هذه الفعال بولى الله المجاهد فى سبيل الله فقام عقبة والدم من أذنه قد نزل على لحيته وغرق أثوابه وقال ان هؤلاء كفروا بالنار وهو لايعلم أنه أسلم فقال أبو النور تكذب ياملعون أنت الذى كفرت (قال الراوى) ثم ان ابن الملك أخذ المكاوى من عندهم ورماهم إلى بعيد وقال وحق من هدانى إلى دين الاسلام لئن عدت إلى هؤلاء الأقوان أو اضمرت لهم سوء ضربت رقبتك ثم تقدم إلى عند الأمير عبد الوهاب وقال له ايش بينك وبين هؤلاء الملاعين حتى انهم يريدون يفعلون بك هذه الفعال فقال له الأمير ما كنت أنا أحدثك بحديث إنسان وقد قلت لك انه أكفر خلق الله تعالى بالرحمن فقال نعم هذا عقبة وهذا الآخر رفيقه واسمه شومدرس ثم قال أبو النور أى شىء تشيرون على ان أصنع أبى قد مال قلبه إلى هؤلاء الملاعين وسلب لبه من حديثهما فقال البطال أنا أعلمك بشىء تفضحهما به عند أبيك ولا يرجع سمع لهما قولا فقال أبو النور وما ذاك قال تمضى الساعة إلى عند أبيك وتقول له ان هذين الشخصين دخلت عليهما لأتبرك بهما فسمعتهما يقولان للمسلمين الذين هم عندنا نحن مادخلنا هذه الديار إلا من أجلكما وان المال الذى عندكم لنا ابصروا ايش تعطونا منه فسمعت المسلمين يقولون أنتم تعلمون ان ما معنا ههنا شىء ونحن فى هذه الديار بل إذا خرجنا من هذه الديار إلى بلاد الاسلام نوفيكم ما علينا ثم سمعت الشيخ الواحد يقول للآخر كيف رأيت ما فعلنا بالملك وقد انطلى عليه ما قلنا من المقال فاذا سمع الملك منك ذلك القول فيقول كيف يكون التدبير فى إبطال ما ادعوه حتى أعلم انهم من أهل المحال فقل له ياأبتاه أمرهم ان يمشون على الماء كما قالوا فاذا قال لك عن هذه الأنوار التى على وجوههم فقل أنا أزيلها وخذ الماء الحار واوضع فيه الجير واغسل به وجوههم وقد زال ماعلى وجوههم ويبقوا كانهم القرود او الممسوخين من

اليهود ويبان للملك ماهم عليه من الزور والمحال (قال الراوى) فلما سمع ابو النور من البطال ذلك الكلام بات طول ليلته وهو فرحان ما صدق الصباح يصبح فسار إلى ان دخل على ابيه باهتمام ولما صار عنده قال ايها الملك اعلم ان القوم الذين وردوا علينا فى هذه الأيام سرت إليهم اتبرك بهم فى هذه الليلة و انظر ماهم عليه من العبادة فوجدتهما يحاسبان المسلمين ثم قص عليه القصة (ياسادة) فقال كيف يكون التدبير فى فضيحتهم فقال ابو النور إن كنت تريد ان يبان لك الحق من المحال اطلبهم الساعة وامرهم ان يمشون على وجه الماء مثل ماقالوا بحضرة هؤلاء الاقوام فقال واللمعان الذى على وجوههم يا بنى الذى يلمع فى الظلام فقال ابو النور انا ازيله بحضرتك وقد زال وبان كل ماهم عليه من المحال فقال الملك ان كان الامر على ذلك فأنا اضرب رقابهم بعدما اطيل عذابهم (قال الراوى) ثم ان الملك قال لغلمانه انطلقوا وأتونى بهؤلاء اللئام وهما الشخصين المنحسين حتى انظر ماهم عليه من المحال فمضت إليهما البطارقة وقالا لهما إن الملك يطلبكما فى هذه الساعة فلما سمعوا ذلك قال عقبة لشومدرس ياهل ترى ما يريد الملك منا حتى انه يطلبنا على عجل فقال اظن ولده اعلمه بتعلمك البطال وربما انه يفضحنا ويقول امشوا على الماء واليوم نصفع حتى نعمى ونصير لا نفرق بين النور والظلما ويكون هذا كله ببركتك ياقاضى لأنك قلت للملك أمس نحن نمشى على الماء فايش كان لك بهذه الفضول وحق المسيح إن تم لهم هذا وزاد على الأمر أقول لهم أنك أنت مسلم وقاضى وأنك ما أتيت إلى ههنا خلفهم إلا للمطالبة التى بينك وبينهم وخلى أنا دين النصرانية ويدخل فى دين المجوسية ولا يصفع بالكلية فقال عقبه دع عنك هذا المقال يا ندل يا جبان وامشى وانت ساكت ولا تكون خرفان وأنا أترجم عنى وعنك يا قرنان (قال الراوى) ثم أنهم ساروا إلى أن وصلوا إلى بين يدى الملك فترحب بهم وتزعزع لهم وأجلسهم بين يديه وقال لعقبه أيها الشيخ قد وصفت لأرباب دولتى أنكما مشايخ النار وأنكما تمشيان على الماء وقد اشتهوا أن ينظروا ذلك منكما حتى يزداد يقينهم فى عبادة النار فقال عقبه أيها الملك أن لنا فى السنة ثلاث مرات نمشى على الماء فيها وهى فى كل أربعة أشهر مرة واحدة ولا نرجع نفعل شىء حتى تعبر علينا الأربعة أشهر الأخر وتعلم النار أنهم ما قصدوا عبادتهم إلا باجتهاد فجعلت لنا هذا البرهان وما هو فى كل الأوقات فقال الملك وقد انطلى عليه محالهم فاذا كان الأمر على ذلك فأقيما عندى حتى تعبر عليكم الأيام ويأتى الوقت المعلوم وانظر ما تقولون عنه (قال الراوى) يا سادة يا كرام فقال أبو النور فاذا كان الأمر على ذلك فنحن نصبر على هؤلاء المأسورين بلا قتل حتى يصح قول مشايخ النار فقال الملك ولعلهم إذا رأوا هذه

الكرامة يرجعون عن ما هم عليه ويدخلون في ديننا ويعبدون يقيننا (قال) ثم إن الملك أمر لعقبه بدار غير الدار التى كان فيها وقد وكل به جماعة من البطارقة ولما ساروا إلى الدار وجن عليهم الليل فقال عقبه لشومدرس إيش تعمل بنا الساعة فقال شومدرس وحق المسيح لا أعلم فقال عقبه سوف ترى ما أعمل بإبن الملك أبو النور فى غداة غد وكيف أعمل على ضرب رقابهم أجمعين ثم أقاما إلى أن أصبح الله بالصباح فساروا إلى عند الملك ولما أن حضروا وتقدم عقبه وقال أيها الملك وحق النار والنور البارحة قد نزل عليّ النجم الثاقب وأخبرنى أن ولدك أبو النور قد صبا إلى دين الاسلام وقد صار من هؤلاء القوم الذين عندك (قال الراوى) فلما سمع الملك من عقبه ذلك ازورت عينيه وقال للبطارقة ائتونى بالغلام فساروا إليه وأتوا به إلى عند أبيه فلما مثل بين يديه قال له يا أبو النور أنت صبوت إلى الاسلام وتركت عبادة ربتك النيرة فى غلس الظلام فقال يا أبتاه لا تقل عنى هذا الكلام فمن قال عنى هذا فقال ما قال عنك غير هؤلاء الشيخين النحسين الأعورين قد قالا عنك ذلك فقال عقبه يا ملك إن كان ماله بذلك علم فأحضر المسلمين وأمره أن يضرب رقابهم فقال الملك هذا هو التدبير ثم إنه أمر بإحضار البطال وولده والأمير عبد الوهاب ولما حضروا قالوا لأبو النور قم واضرب رقابهم إن كنت ما أنت مثل ما قالوا عليك هؤلاء الأقوام (قال الراوى) فلما سمع ابو النور من ابوه ذلك قال له يا ملك أنت تسمع فى كلام هؤلاء القوم العور اللئام ولكن انا اغيظهم وأغيظك ايضاً وأقول اشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمداً رسول خير الأنام فقال عقبه صدق النجم الثاقب فيما قال من الكلام ووحق النار ذات الدوائب أن ما يكذب النجم الثاقب قط بطول الأيام وها قد بان لك ايها الملك الأمور والأحكام فزاد الغيظ على الملك وامر ان ينصبوا الخشب ففعلوا ذلك وقال لولده ارجع عن هذا الدين ايها الغلام وإلا اعدمتك نفسك واصلبك مع هؤلاء الأقوام الذى من تصبح بهم اتاه السقام وانهم يلعبون بعقول الأنام (قال الراوى) إن كان الملك يحب ولده محبة عظيمة لأجل ما فيه من الفروسية فقال انصبوا الخشب حتى اصلب عليها هؤلاء الأقوام الذين افسدوا ولدى على واصلبه معهم ولا ابقى عليه بعد ما سمعت منه هذا الكلام فعندها نصبت الأخشاب فقال الملك اصلبوهم من تحت أبطهم حتى يشاهدون العذاب وبعد ذلك نرميهم بالنبال فعلقوا الأمير عبد الوهاب والبطال ومذبحون وابو النور من تحت آباطهم ثم إن الملك قد اقام عندهم إلى أن ولى النهار واقبل الظلام وقد وكل بهم من البطارقة والخدام وسار إلى منزله وكان قال خلوهم على حالهم إلى ثانى يوم نرميهم بالنبال (قال الراوى) لهذه الأقوال واما ما كان

من عقبه شيخ الضلال وشومدرس راهب الزور والمحال لما انقضى النهار ومضى الملك إلى منزله قال عقبه لشومدرس قم بنا يا راهب إلى عند البطال وعبد الوهاب فى جنح الظلام ونأخذ معنا قنطاريتين غوال ونطعنهم بها وهم على الخشب ونستريح منهم ومن صداعهم فقال شومدرس لا نفعل ياقاضى ولا تخاطر بأرواحنا فى هذه الليلة فقال عقبه لابد من ذلك ونطعنهم وهم على الخشب فطاوعه شومدرس فخرجوا وقد اخذ كل واحد منهم حربة طويلة وساروا فى سواد الليل إلى ان وصلوا إلى عند الخشب فرءوا الموكلين مذبوحون وفى دمائهم عائمين وما على الخشب احدا فقال شومدرس اطلب بنا النجاة يا قرنان فما اقل عقل من يسمع منك مقال او يتبعك فى افعال ، فقال عقبه لا بأس عليك يا كشحان فما الذى بان لك من الأعمال فقال ياديوث سر بنا واعلم ان القوم قريبين منا وما لحقوا أن يبعدوا عنا والساعة يبصرونا ويقبضون علينا وما نرى ليلة أيشم منها (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك أرمى القنطاريه وعاد مهرولا وما يعرف أين يمضى وما زال الى ان وصل الى اصطبل الخيل ودخلا فيه وقد سترهما الظلام واستخبوا فى المعالف وباتت الخيل تضرب بيدها ورجلها وتصهل عليهم وعقبة يقول اسكتوا يامال حرام لاتهتكونا يانسل الحرام فما مر عليهم ليلة أيشم من هذه الليلة ولم يزالا كذلك فى غم الى الصباح ولما كان عند الصباح وقع الصوت فى البلد بأن المسلمين قد هربوا والموكلين بهم ذبحوا وشربوا كاس الحمام فوصل الخبر إلى الملك فقال وأين مشايخ النار فبينما هم على ذلك وإذا بعقبة وشومدرس داخلين عليه فقال كيف كان هذا يامشايخ النار فقال عقبة اننا خرجنا فى الليل أيها الملك ننظر الى المسلمين وهم مصلوبين فلم نجدهم والرجال مقتولين فهربنا فى معالف الخيل الى الصباح أتيناك فهناهم الملك بالسلامة وقال لهم اعلموا ان مالهم طريق يخرجون من عندنا لأجل زيادة البحر وما هم الا فى البلد لأن الجسر مقطوع والماء قد غطاه فاطلبوهم فى البلد (قال الراوى) فتفرقت البطارقة فى البلد ورأوا أن يهجمون الأماكن ويدورون يمين وشمال فلم خلوا مكان (قال) ياساده وكان السبب فى خلاص الأمراء وأبو النور بنت الملك نور النار لأنها لما علمت بصلب أخيها قالت ان توانيت عن أخى هلك فخرجت من دارها فى ظلام الليل وأتت الى عند المصلوبين فسمعت الأمير عبد الوهاب يقرأ قوله تعالى وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وأبو محمد يقرأ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وكان أبو النور قد حفظ أكثر من ربع القرآن وقد هان عليه الصلب والعذاب فى الله رب الأرباب وهو يقرأ مجاوبا للأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال فلما أقبلت الجارية عليهم وهم يقرءون

كلام محيي العظام وهى رميم فدخل الايمان فى قلبها وارتعدت فرائصها وسائر جسدها وقالت ان هذا الكلام عزيز لا يشا كل كلام الآدميين فقالت يا أبو النور قال ماحالك يا أختاه فقالت انى أتيت الى خلاصك ثم تقدمت فرأت البطال مطلوق اليدين لأنه قد حل روحه من على الخشبة ونزل وذبح الموكلين وعول على خلاص أصحابه وإذا بابنة الملك أتت تخشى منها وتعلق فى الخشبة كأنه مصلوب فلما كلمتهم بلين الكلام نزل البطال وحل أصحابه من على الخشب فقالت الجارية ان هذا من الجن فقال أبو النور ان هذا من المجاهدين فقالت لهم الجارية سيروا خلفي من قبل ان يفطن بكم أحدا ثم علمونى ما أفعل فقال البطال أنتى تعلمى ان الجسر مقطوع وما نريد غير مكان نختفى فيه الى ان يقل عنا الطلب فقالت الجارية أنا آخذكم فى دارى ولو أقمتم عندى شهر كامل ما أحد يفطن بكم ثم سارت بهم الى دارها وأخفتهم فى مكان وقدمت لهم الطعام فقال الأمير عبد الوهاب والله لا نأكل شيء حتى نقضى ماعلينا من الصلاة ثم توضؤا الجميع وقضوا ماكان عليهم من الصلاة وبعد ذلك جلسوا وأكلوا ولم يزالوا على ذلك الرواح الى أن أصبح الله الصباح وجرى من القصة ماقدمنا وانقسام الصباح وعقبه يقول لاتبقوا ولا دار فى البلد حتى تفتشوه ولو كانت دار محتشم أو وزير ودار الملك ففعلوا ذلك فما وجدوا أحدا فقال عقبة ماأقول الا أنهم عند الجارية لأنى أعلم انها خشيت على أخيها من القتل ثم ان الملعون تقدم الى عند الملك وقال أيها الملك أريد ان أهجم دار ابنتك ونفتشها فقال الملك اعلم ياشيخ النار ان ابنتى أبغض ماعليها المسلمين وما أقول انها تخامر علىّ فقال عقبة اركب معى أيها الملك وخذ معك جماعة وانظر من شيخ النار ومايزيدك فيه رغبة واعتقاد (قال الراوى) فعند ذلك ركب الملك وأخذ معه بطارقته الخاص الى أن وصل إلى بيت ابنته وهجم الدار على غفلة منها وكانت الجارية إلى عند الأمراء فما حسوا الا والرجال قد هجموا عليهم فقال الأمير كلمة لايخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله ان هذا أمر صعب ماأصابنا قط مثله من الضيق والغلبة كلما نخلص نرجع نقع (قال الراوى) هذا ولما دخلوا الرجال على غفلة منهم قبضوهم قبضا بالكف فقال عقبة كيف رأيت مشورتى وهو شيخ النار فتعجب الملك وحار والتفت الى ابنته وقال لها ماحملكى يانور النار على تلك الفعال فقالت ياأبتاه حملنى الرحمة والشفقة على أخى لأن مالى أخ غيره فخيلته مما كان فيه ولما حليته أقسم على بالنار ان أحل المسلمين ففعلت ذلك وما أخالف لأجل القسم فقال الملك لاتعودى الى مثلها أبدا فقالت لو أقسم على بالنار ان أقتل روحى لفعلت ثم ان الملك أخذ الأمراء من دار ابنته وأنزلهم فى مطموره ووكل بهم عشرين بطريق وقال لعقبة ماعندك

من الرأى ياشيخ النار قال عقبة نحرقهم واعلم ايها الملك ان ابنتك قد صبت إلى دينهم فقال الملك لاتقول هذا المقال على ابنتى ياشيخ النار فما اقول ان ابنتى تترك عبادة النار فقال عقبة ايها الملك ان هؤلاء القوم يلعبون بعقول الرجال فكيف يكون النساء فقال الملك لابنته يانور النار أنتى صبوتى إلى دين الإسلام فقالت ياأبتاه هذا المقال بعقلك تقوله كيف أترك دين ربيت فيه وهو دين آبائى وأجدادى وادخل فى دين لاأعرفه ولا أدرى ماهو فقال عقبة للجاريه أن كنتى صادقة فى مقالك فقولى إنى كافره بدين الإسلام وبريئة منه فقالت الجارية ياأبتاه أتظن ذلك الظن فى فقال عقبه لاتطيلى الخطاب قولى الذى أقوله لكى فقال الملك دعنا من هـذا وخذ فيما هو أهم من هذا وقول لنا مانصنع فى هؤلاء المسلمين فقال عقبه أيها الملك لاتبقى منهم فى يومنا هذا أحد فأمر الملك بجمع الاحطاب وان يطرحوها ويوقدوا النار ويلقوا الأمراء فيها ففعلوا ذلك وأوقدوا النار ذلك اليوم وتلك الليله وزادوا فى وقيدها حتى مابقى أحدا يستطيع الدنو منها (قال) ولما انتهى أمرها أمر الملك باحضار الأمراء فلما أن رآهم أشار بيدأن القوهم فى النار فقربوهم لها ونزعوا ماعليها من الثياب وألبسوهم ثياب خضر فكان أول من ألبسوه كان أبو النور والأمير عبدالوهاب يشاهد ذلك وقد أيقن بالهلاك وسوء الأرتباك وهو ينظر إلى ذلك ويتعجب من ذلك الذى يهلك وعقبه على قيد الحياه وهو يقول خاب منامى وما رأيته فى أحلامى وما بقى بعد هـذا شىء فبينما الأمير على ذلك الحال وهو محتار فى أمره وإذا ببطريق تقدم كانه طود أو بعير حل من قود طويل من الرجال كانه من بقايا قوم عاد وأخذ بيد الأمير عبد الوهاب وقال قم ياابن الحزينه وكان كلامه بالعربى وهو يقول أما آن أوان الاجتماع ياابن الواهة الثكلا اليوم تحرق بالنار وتشرب شراب البوار فلما سمع الأمير كلام ذلك البطريق رفع رأسه اليه وإذا بها الأميره ذات الهمه وهى تقول له انهض (قال الراوى) فلما تحقق فيها المعرفه قال لها أتى وحدك قالت معى النلمان وملابط البغال وغلمان البطال وتمام العشرة من الرجال الأجواد فطار قلب الأمير فرحان بتلك الأمور والحركات والاسباب (قال الراوى) إلى ذاك الكتاب إن كان السبب إلى مجىء الأميره كلام عجيب وأمر مطرب غريب يحير فيه عقل كل عاقل لبيب وذلك لما أن خرجت من ملطيه فى زى التجار ومعها غلمان البطال كما وصفنا ولم تزل سائره من اقليم إلى اقليم وما تركت فى بلاد الروم اقليم الاودارته ودخلته فلم تجد احدا ولم تزل دائرة فى البلاد إلى أن وصلت إلى بلاد البنادقه فرأت كل قريه قدر المدينه فنزلت فى بعض القرى فنظر اليها مقدم تلك القريه وكان

اسمه سقراطوس ومعها تلك التجاره فنزلها فى دار كبيرة هى ومن معها ونقل اليها كلما تحتاج من مأكل ومشرب وكان من عادته إذا نزل فى قريته تجار فيأخذهم وينزلهم عنده ويكرمهم غاية الأكرام ويصبر عليهم إلى الليل ويهجم عليهم ويقتلهم ويأخذ أموالهم فلما دخلت الأميره إلى تلك القرية أخذها فى داره وصبر عليها إلى الليل قام عليها وجمع رجاله وقال لهم تجمعوا حتى نكبس هؤلاء التجار ونضرب فيهم بالبتار ونأخذ مامعهم من الأموال فأخذهم وسار بهم وكانوا عشرين بطريق ومازالوا حتى وصلوا الدار التى فيها الأميره وهجموا عليها فوجدوا الأميره جالسة وهى فى آخر ركعه وقد جلست للتحيات وسلمت وأخذت فى الدعاء إلى رب الأرض والسماء أن يكشف لها خبر ولدها (قال الراوى) فبينما هى على ذلك الحال وهى مستيقظه على نفسها وإذا بالبطريق هجم عليها ومن خلفه الرجال فلما نظرتهم قامت على قدميها وسلت حسامها وصاحت عليهم وطلبتهم وتلقتهم وضربت فيهم بالحسام فلم يلبثوا إلا ساعه حتى قتل منهم عشرة فوثب الللمان وملابط البغال وباقى الأخوان فحلقوا على الجميع وقد قتلوهم أجمعين ولم يسلم منهم غير البطريق المقدم عليهم ففر هارب وطلب الباب وصار يصرخ على باقى أصحابه فاجتمعوا من حاله أعوانه فشكى لهم ماجرى هذا والاميره قالت لهم أخرجوا بنا من هذا الدار واركبوا وسيروا تحت ستور الظلام من قبل ان ينفر علينا هذا الملعون الروم كبير وصغير ثم يجتمعون علينا من كل فج عميق ففعلوا ذلك من ساعتهم وركبوا وقد شالوا قماشهم على دوابهم وخرجوا من الباب هذا والبطارقه لما اجتمعوا على الطريق قالوا ماحالك قال ان هؤلاء التجار الذين نزلوا عندنا الليله قتلوا أصحاب سقراطوس فقالوا سيروا بنا إلى صاحب القريه وأعلموه بالخبر فساروا ودخلوا على صاحب البلد وأخبروه وقالوا أن رجالك قد قتلوهم التجار (قال الراوى) فلما سمع صاحب البلد صاح على من عنده وقال ائتونى بهم وان مانعوا قطعوهم بالحسام وخذوا منهم بالتار وقطعوهم بالبتار فتجمعوا البطارقه وساروا مع سقراطوس فى جنح الظلام ومازلوا سائرين إلى أن دخلوا الدار وهجموها وبعضهم يقول لاتقتلوهم والبعض يقول اقتلوهم واسقطوهم كاس البوار ولما هجموا الدار فما رأوا فيها ديار ولا نافخ نار ولا فيها منهم آثار والقتلى فيها كانهم أعجاز نخل خاويه فأعلموا صاحب البلد فقال ياويلكم سيروا خلفهم واقتفوا منهم الآثار (قال الراوى) ثم انهم صبروا إلى الصباح وخرجوا من البلد وكشفوا على آثارهم وساروا خلفهم وكانت الأميرة جدت فى المسير الى وقت الظهر ونزلت لأكل الطعام وراحة الدواب فما استقر بهم المقام حتى تار عليهم الغبار من نحو

القرية فتوائبوا إلى خيولهم ركبوها وإلى سيوفهم امتشقوها وكانوا الذين قد تبعوهم الف فارس ولما وقعت العين على العين صاحوا عليهم وداروا بهم من كل جانب فلله درالأميرة واصحابها فيما فعلوا بهم فحمحوا البطارقة ونزلوا عليهم نزول الصاعقة ومحقوهم واطالوا اعدابهم وردوهم على اعقابهم فلما راى البطريق ذلك قال ياويلكم لاتفزعوا منهم واحملوا عليهم فالساعة نأخذهم كلهم فقالوا أيها البطريق أنت تتحدث حديث مستريح لاتعلم ان كان مليح أو قبيح تقدم اليهم حتى تنظر العجب والضرب والصحيح فقال ياويلكم هل هم الاهؤلاء التجار قالوا نعم وهل نحن خائفين الا من التجار وذلك كله من أذية السفار ونحن ما نريد نؤذى سفار تقدم اليهم وانظر حالك معهم وان هـــذه الفعال مما يقطع عنا السفار والتجار (قال الراوى) فلما سمع الملعون ذلك الكلام وصاح وهدر وزمجر وحمل وقد جرد فى كفه صارم ذكر فالتقته الأميره وهى كأنها الأسد إذا أزور بقلب أقوى من الحديد وساعد شديد وطعنته فى صدره طلع السنان من خرزة ظهره ونفضته على وجه الأرض كأنه فتيق ممدد والذى كان فى جوفه تبدد فلما رأوا باقى أصحابه صاحوا يامعاشر التجار البلد بلدكم وان عدتم الينا حط عنكم المكوس ثم عادوا الباقى منهزمين والى النجاة طالبين وسارت الأميرة الى ان أبعدت عن محل المعركة ونزلت بأصحابها عند اقبال الظلام ولما استراحوا وأكلوا شيئا من الطعام جلست للشوره والكلام وقالت والله لقد حرت فى أمرى ولم أدرى الى أين أقصد فقالوا لها أصحابها نعود الى بلاد الاسلام لأن قد طالت غيبتنا وما ظفرنا بشىء فبكت الاميرة وقالت والله مضى الأمير فى هذه النوبة وها أنا راجعة الى ملطيه آخذ منها ما أحتاج وأسير الى أرض الحجاز وأتعبد هناك إلى ان يأتينى الحمام وأموت وأقبر هناك (قال) ثم ان الأميرة رحلت عند الصباح وسارت ساعة من النهار فأشرفت على دير عالى البنيان مشيد الأركان فوصلت الأميرة اليه ووقفت عليه وطرقت بابه فطل لها راهب من أعلاه وقال من تكونوا من الروم فقالت له تجار ونحن سائرين نريد المكس وقد جزنا على هذا الدير فنزلنا عليه بقصد الزيارة لعل نبيع شيئا مما معنا من تلك التجاره فنزل الراهب وفتح الباب وقد ترحب بهم وهو يظن ان الأميرة رجل وسألها عن حالها والى أين هم بهذا المتجر سائرين فأتته الأميرة بهدية وأعطته اياها ثم سألته عن أحوال بلاد الروم وقالت له اعلم أيها الراهب انى أنا رجل تأجر ومعى بضاعة وقد ردت بلاد الروم جميعها مثل بلاد الزغاورة والبنجاك والملافطة والبنادقة والانجار والدوقس والأرمن واللان واليونان والدوس والهنكر والبرغل والمغابيط والصقالبه والافرنج والصقارقة وغيرهم من البلاد وما تركت موضع إلا ودخلته وما انباع معى من هذا المتاع شىء فقال الراهب قد بقى

من أقاليم الروم إقليم مادخلتوه وهو اقليم أخدود ولكن ماهم على دين المسلح لأن القوم يعبدون النار ولهم ملك يقال له دقيادروس وهم فى عالم لايحصى وقد بلغنى ان عندهم أسير يقال له عبد الوهاب وهو فى أسوأ حال ولهم أموال لاتأكلها النيران فاذا أردت الربح فسير اليهم لعلهم ان يبيعوك هذا الأسير وتعود به إلى بلده فهو يكون سبب غناك لأنى قد سمعت عنه انه رجل محتشم كبير القدر (قال الراوى) فلما سمعت الأميرة ذلك حمدت الله تعالى وقالت لأصحابها هذا ماكان لنا فى حساب ولقد أحسن من قال:

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ٭ ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ثم قالت الأميرة ياراهب وكم بينى وبين هذا المكان فقال خمسة وثلاثين يوما فلما سمعت ذلك خافت أن يجرى على الأمير أمر من الأمور وسارت تقطع الأرض وكل بلد تدخل تبيع فيه مما معها حتى أشرفت على البلد (قال الراوى) فكان عقبة لما فقد الأمير وأصحابه قد أمر الملك ان ينصب الجسر وقال أنا أقف على رأسه ومعى خمسمائة فارس وآخذلك المسلمين قبضاً بالكف فنصبوا الجسر ووجدوا القوم عند الجارية وبقا الجسر على حاله حتى أتت الأميرة وعبرت عليه هى وأصحابها وقد دلموا أهل البلد أنهم تجار وكان وصولها فى يوم أخرجوا الأمير وأصحابه من عند الجارية نور النار وسمعت الأميرة بما تم فحملت الى الملك هدية مقدارها عشرة آلاف دينار مثل فصوص وياقوت وبلخش وزمرد وطيب ولما وصلت الهدية إلى الملك قبلها منها وقالوا له الذى أتوه بالهدية ان التاجر الذى أتاك بالهدية يقول لك ان له على هؤلاء المسلمين دم قديم لأنهم أخذوه فى بلادهم وقتلوا من أصحابه جماعة وما أتى بهذه الهدية الا حتى يشتفى منهم فقال الملك وحق النار لا تركت يضرب رقابهم غير التاجر فقولوا انه يطيب قلبه فلما وصل الرسول الى الأميرة ذات الهمة وأخبرها فصبرت الى الليل وخرجت هى وغلمان البطال يطوفون البلد على انهم يقعون بموضع فما وجدوا له خبر وكانت الاميرة تظن أن الامير وحده ولما كان من الغد ركبت وخرجت فوجدت الناس مجتمعين وهم محدقون بالامـير فحركت بجوادها حتى وصلت إلى الامير وهو مكتوف فسالت الدمعه من عينيها وترجلت وأخذت بيد عبد الوهاب وفرقت الناس من حواليه وقالت له ماذكرنا (فلما) سمع الامير كلامها كاد ان يطير قلبه فرحا برؤيتها وقد عرفها كما وصفنا وقالت له يابنى انت وحدك فقال لها أن معى أخى البطال وولده مذبحون ومعنا ابن الملك فالتفتت الاميرة إلى خلفها وإذا بالبطال مكتوب فدنت منه وكلمته فعرف صوتها فقالت له ياأبا محمد كيف وقوعك هاهنا فقال لها اتى ياعجوز خرفانه هذا وقت سؤال وأنا رايح إلى

إلى الحريق فضحكت الاميره وقالت له طيب قلبك الساعة يفرج الله عنا (قال الراوى) فقال البطال الساعة يطرحونا ياعجوز فى النار وانتى تنظرى فقالت لا تخاف ما تم الا الخير هذا والملك وقف على تل عالى وساروا بهم إلى قريب من النار ووقفوا ينتظرون أمر الملك فيهم ويلقوهم فى النار فقال الامير ما انتظارك فينا حلى كتافنا وأنا وأنتى نلتى القوم فقال البطال ما تزالون فى كلام يا أسود أنت وهذه العجوز حتى يلقونا فى النار وهى تنظر الينا فضحكت الاميره وقد سمع أبو النور فقال ما حالكم كل هذا فزعا من الموت فقال له الامير أبو محمد ياعبد الله ان هذا البطريق الذى يتكلم معنا هى الاميره ذات الهمه فالتفت إلى عبد الوهاب وقال ما يكون هذا منك فقال له انها والدتى الذى كنت أحدثك عنها فقال أبو النور وايش انتظارها بنا وقد وصفت لنا عنها من الشجاعة غير قليل لا تكون أتت وحدها فقال الامير بل وصل معها عشر رجال يريد كل واحد لنفسه عشرة آلاف فما سمع الكلام حتى صاح أيتها الاميرة اقطعى كتافى حتى أريكى كيف أصنع فتقدمت الاميرة اليه وقطعت كتافه وكذلك الامير والبطال وولده الجميع وأعطتهم السيوف (قال الراوى) فحان من الملعون شومدرس التفاتة فنظر إلى الامير وقد حل من وثاقه وفى يده سيف مشهور فقال لعقبه ويلك ياقرنان جاءتك الدوا هى من كل مكان فقال له ولما ذلك بس تبشرنى بكل سوء فقال التفت وانظر ما أبصر فقال ويلك ما بتبصر فقال افتح عينك الصحيحة وابصر بها ترى العجب فقال قول ياويلك أزعجتنى قال عبد الوهاب قد حل من وثاقه ومعه سيف مسلول فقال عقبه هذا كله من الفزع الذى فى قلبك من المسلمين من قديم ما تدرى ما به تتحدث فقال ياويلك افتح عينك الصحيحه وانظر ما قدامك من الدواهى فسمع الملك كلامهم فقال ما شأنكم يامشايخ النار فقال عقبه ان رفيقى أيها الملك يقول ان المسلمين مطلوقين فضحك الملك وقال لا تقول الا انهم مطلوقين فما عسى ان يقدروا يفعلوا (قال الراوى) فالتفت عقبه فنظر الى الاميره وقد تميز شمائلها فصار يبحلق عينيه الصحيحة فوثب شومدرس ورفص عقبه برجله أقلبه على جنبه فقال عقبه ياويلك أقول للملك يضرب رقبتك ياقرنان لما تفعل هذه الفعال بى فقال كم لك غائب عن الصفع ياقاضى فقال له من يوم خرجت من بلاد الروم فقال اليوم وحق المسيح تصفع صفع كثير وتصيح صياح ميسوم وترى يوم ما رأيت أيشم منه فى الدهور وها هنا يكون قبرك ياقرنان هذه الاميره المقطوعة النخاع قد أتت وما أدرى إلى هذا المكان كيف اهتدت

فقال عقبه وقد تغير لونه هذا كله من فزعك تقول هذا المقال فقال وحق المسيح لولا هيبة الملك لقمت الساعة وصفعتك فقال أنا ما حسبت هذا الحساب وما قلت ان هذه الشيطانه تصل إلى ذلك المكان فقال خذ الآن لنفسك فى النجاة فقال عقبه ايش الذى جرى علينا حتى اننا نهرب قف وانظر ما يكون وبعد ذلك ان رأينا الغلبه هربنا وتركنا هذه الديار والرسوم فقال شومدرس لو هجينا إلى آخر الدنيا ليأتو خلفنا (قال الراوى) فلما سمع الملك نقار عقبه وشومدرس قال ما حال مشايخ النار فقال عقبه أيها الملك أفق من غفلتك فى هذه الساعة تهلك عباد النار ورأسك تنظره قد طار عن جسدك من هؤلاء الاشرار وانت واقف كانك تتفرج على مزمار وما عندك من هؤلاء أخبار فقال الملك ياويلك عن من تعنى بهذا الكلام ومن هو الذى يفعل هذه الفعال ولوكان من الجبابره الكبار فقال له التاجر الذى أهدى اليك الهديه وحق النار ما يأخذ عوض لهديته إلا رأسك بعد ما يلطمك حتى تقع أضراسك وتخمد أنفاسك فقال الملك التاجر ما يجسر ان يفعل هذه الفعال فقال عقبه ان كنت نائم استفيق من رقدتك وان كنت سكران اصحا من سكرتك واعلم ان هذا التاجر ماهو تاجر وما يتجر إلا فى رأس مثلك وأمثال وما هو رجل بل هى امرأه وهى أم عبد الوهاب هذه مخربة الدور هذه مهدمة القصور هذه قاتلة الملوك هذه التى لا تبقى لا على غنى ولا صعلوك هذه جبار الاسلام جميعه هذه خيارهم هذه هى ومن عندك فى الاسر حامية ديارهم هؤلاء لولاهم لخربت بلادهم أجمعين وان قلت هؤلاء ملكت بلاد المسلمين ولا يبقا أحدا يحامى فيها من بعدهم (قال الراوى) فلما سمع من عقبة ذلك انزعج وكأنه نائم وانتبه وصاح على البطارقة وقال لهم ياويلكم لمثلى يقال ذلك الكلام دونكم وهؤلاء المسلمين قطعوهم باسيافكم فمالت البطارقة إلى نحوهم وحملوا عليهم وكانت الأميرة لما ان خلصت الأمراء ركبت وركبت الأمير وأصحابه الخيل السوابق وسلمت إليهم السيوف والقنطاريات الخوارق وكان السلاح من أشغاله غلمان البطال ولما حملت عليهم تلقوهم والأميرة والأمير فى أوائلهم وهى تقول دونكم وعباد النار واياكم أن يهرب عقبة وشومدرس المكار فقال الملمان أيتها الأميرة انتى وولدك لنصف القوم وأنا وملابط البغال للنصف الآخر والبطال وولده وغلمانه لعقبة وشومدرس رؤس الفجار فقال ابن الملك أبو النور وحق من هدانى إلى دين الإسلام لى قوة وجنان ان ألقاهم وحدى (قال الراوى) ماسمعت باعجب من هذا الاتفاق كيف اجتمع مثل هؤلاء فى مكان واحد فى هذه الديار البعيدة وكان عاصف قد خلع عليه الملك بمعرفة عقبة كما قدمنا ولما ان جرى هذا الأمر والشان ركب

جواد وحمل على المسلمين فصادف فى حملته إلى الأميرة ذات الهمة فصاحت فيه بحرقه وقد عطف عليها أيضا فتطاعنا طعنا أمر من الصبر وأحر من الجمر ساعة فجدت الأميرة معه ومالت عليه وطعنته طعنة تهد الجبال وتقصر الآجال وإذا به عن جواده قد مال ونفضته كأنه الجزع المدد وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار وأما الأمير عبد الوهاب فانه رأى الملك وهو على رابية عالية وهو يحرض البطارقة فمال إلى نحوه وفتك فى جنده . فقفز اليه الملك بالجواد فحالت بينهم البطارقة وكان العدد كثير فقتل من المشركين خلق كثير هذا وعقبة يصيح على شومدرس وهو يقول اليوم تقطع منا الآذان ويصفعوهم حتى ينسوا دين المجوس والصلبان وكل ذلك من أجل ماسمينا أرواحنا شيوخ النيران بالزور والكذب والبهتان فاطلب ياويلك بنا الهرب من هذا المكان فقال شومدرس يا ملعون نهرب إلى أى مكان وحق المسيح لقد ضاقت علينا المسالك وقد علمت إنى اليوم هالك ونقع فى ذلك (قال الراوى) هذا ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولت عساكر الضيا وأقبل الليل مندرجا فقال الأمير عبد الوهاب لابد مانرمى أنفسنا للهلاك لأنهم لما دخل عليهم جاعوا وعطشوا لأنهم ما تمكنوا لايأكلوا ولا يشربوا وقد لحقهم الجوع العظم إلا أنهم توكلوا على السميع العليم فصاح الملك بقومه عند اقبال الظلام ونادى دوروا من حولهم من كل جانب ومكان وخذوا عليهم الطرق والمذاهب ففعلوا ذلك وقد ضايقوهم ولاصقوهم فسندوا المسلمين ظهورهم إلى الصور وتوكلوا على مدبر الأمور ولما ان تهود الليل قال الملك انى قد انفتح لى باب آخذ به هؤلاء القوم قبل الصباح فقال بعض خواصه وما هو أيها الملك قال تصعدون إلى الأصوار بعد أن تسدوا باب الجسر وافتحوا باب البحر الحديد حتى يدخل الماء إلى البلد فأما ان يغرقوا أو يسلموا أنفسهم من غير قتال ولاتعب (قال الراوى) فلما سمعوا من الملك ذلك مالوا إلى الجسر فشالوا ما كان عليه من الأخشاب وكان لهم من جانب الصور باب من الحديد من ناحية البحر وكان أكثره نازل فى الماء وله فى أعلا الصور لوالب يرفع بها إذا أرادوا فتحه وكان البلد جميعه أرضه مبلطة بالرخام فاذا فتحوا ذلك الباب فاضت المياه منه على البلد وتدخل وتغرق بالمياه هذا وانهم لما صعدوا من على الصور دوروا اللوالب وفتحوا الباب فجرت المياه واندفقت مثل البرق وصار البحر يجرى ويدخل إلى داخل البلد فبينما الأمراء واقفين وهم على ظهور الخيل وإذا هم وقد اندفقت عليهم المياه مثل الغمام وقد بقا الأمير وأصحابه فى وسط الماء وهو مندفق عليهم وكلما له يزيد ويكثر عليهم والروم والاعلاج يضحكون عليهم من فوق الأصوار هذا والماء كلما له

يزيد فقال الأمير هذا أمر ما كان لنا فى حساب فقال أبو النور والله أيها الأمير أنا كنت عارف بهذا الباب ولكن الأمر لله من قبل وبعد فبينما هم فى الكلام وإذا بالماء قد عم عليهم ووصل إلى سروج الخيل وكثرت عليهم الأمواج وتلاطمة بالأنزعاج وصار عليهم عجاج وسحبتهم الأمواج وتفرقوا عن بعضهم بعض وصاحت عليهم عبدة النار من فوق الأصوار وقد ألتصقوا الأمراء إل الصور وطلبوا لحياتهم نجاة وقد تعلقوا من حلاوة الروح بالحيطان ورفعتهم المياه إلى أعلا الصور وأعلا الدور فاخذوهم البطارقة وقد تصيدوهم من الماء كانهم السمك واحد بعد واحد وما أصبح الصباح إلا والجميع مقبوض عليهم وهم مكتفين (قال الراوى) ولما ان قبضوا عليهم أتوا بهم إلى عند الملك فقال لهم يا شياطين ألا ترون إلى النار وما عملت فيكم ثم ان الملك أنفذ جماعة إلى الدار التى كانت نازله فيها الأميرة ونهب كل ما كان فيها واحتوى على ما كان معها من المتاع والمتجر والجوهر والحبوب واللؤلؤ والعقود وكان شىء يحير العقول وكان شى. يساوى قيمته مائتين ألف دينار ولما أن احتوى على الأمراء ونهب أموال الأميرة أمر بزينة البلد والأسواق وقال وحق النار ما بقى لهم حياه إلا بمقدار ما ينشف البلد من الماء ونحوه قال ثم أمرهم بان يسد باب البحر فسدوه وانقطع الماء ووضعوا القيود فى أرجل الأمراء وأقبل الملك على ولده أبو النور وقال له يا كلب النار كيف رأيت قدرة النار فيك وما عملت بكم ارجع عن ما أنت عليه وعود إلى دينك وفارق هؤلاء المنافقين وإن لم ترجع وإلا حرقتك بالنار مع هؤلاء السودان فقال أبو النور أسكت سكت حسك وبطل نصك لا كان ذلك أبداً وكيف أترك دين الهدى وأعود إلى دين بوردنى مورد البوار والردى فقال عقبه أيها الملك لا تضيع كلامك مع ولدك فان دين الإسلام من عرقه لا يحول ولا يزول عنه ولا يظهر بعد ذلك إلا بالنار وبعد ذلك أشكرا لربه التى ردت هؤلاء إلى الإسرا والعذاب فكم نهبوا من أموال الروم وكم أسروا نساء وكم قتلوا رجال وكم أهلكوا عباد هؤلاء الذين يأخذون جزية سبعة عشر اقليم حتى صاروا ملوك الأرض تخاف منهم وتزن لهم الصنيعة فقال الملك يا شيخ النار إذا كان الأمر على ما ذكرت فأنا أبيعهم نفوسهم بوزنهم مال وآخذ منهم الجواهر ماداموا هم ملوك البلاد فقال عقبه فى نفسه ما هو كثير أن يبيعهم ولكن الفضول منى كان ثم أن الملعون قال يا ملك حرقهم أفضل من المال وإن كنت تريد مال فأنا أرسل إلى الملك ارمانوس وإلى ملوك الأقاليم آتيك منهم بالمال الذى كانوا يحملوه إلى هؤلاء فى كل عام وهو مال جزيل ففرح الملك وقال الملوك يقبلون منك يا شيخ النار قال نعم ولا يخالفونى فى قول واسأل رفيقى هذا شيخ النار فهو يعرف قولى

فضحكت الأميرة من قوله على ما بها من الغيظ وقالت له يا ملعون أسمع اسمك فى دار الدنيا فقال لها يا عجوز بعدما أكون سبب إلى حرقك وحرق من عندك ما أبالى بالعقبا ثم التفت إلى الملك وقال أيها الملك احتفظ بهم الليلة جهدك وطاقتك إلى غد فضحك الملك وقال وحق النار ما يخرجون من قصرى إلا لإحراقهم ثم أنه أمر بفتح مطموره فى داره ينزل إليها بثمانية عشر درجة إلى أسفل ففتحوها وأنزلوا الأمراء فيها ثم أطبقوا عليهم بطابق مكين ولا أطعموهم ولا سقوهم (قال الراوى) ولما نظر عقبه وشومدرس إلى ذلك مضوا مسرورين وأما الأمراء فانهم أيقنوا بالهلاك وقالوا والله ما جرى علينا قط مثل هذه النوبة قال البطال أنا ما أقعدها هنا إلى غد حتى يأتون ويحكمون فى فقالت له الأميرة وإلا كيف تفعل فقال لها انظرى العجب ثم أنه أخرج رجله من القيد وقام يمشى ثم دار على الجميع وفتح قيودهم عن بكرة أبيهم فتحير أبو النور من ذلك وقال ما هذه إلا صنعة جيدة هذا والبطال صعد إلى باب المطمورة وكان الليل قد تنصف وهم أن يكشف الطابق أو يقلعه فلم يجد فيه حيلة إلى محتال فقال مالى ألا أنقب من حول الباب وأقلعه فبينماهو معول على ذلك وإذا باب المطمورة فتح ودخلت منه جارية لها وجه مثل لون الشمس نورا فتوارى البطال منها فى مكان وقال لابد لها من سبب من الأسباب ثم وقف البطال (قال الراوى) إن كانت هذه الجارية بنت الملك نور النار هذا ولما دخلت إلى المطمورة نادت يا أبا النور فقال لها أهلا وسهلا يا وجه النهار إيش الخبر فقالت أنا ما فتحت عليكم ونزلت إليكم إلا بعد أن حصلت لكم الخيل والبغال والسلاح وكلما تحتاجون إليه واعلموا أن الخشب قد نصبوه لكم فقوموا الساعة وعولوا على الهرب فقال البطال لله درك ثم نادى بأصحابه فصعدوا بأجمعهم وساروا فقال الأمير اللهم لك الحمد على هذا الفرج سيروا واعلموا أن الخيل أحضرتها وأسرجتها والجمتها لكم ولكن تكونوا بلا عدة فما تساووا حبه وهذه خزانة السلاح من يقدر فيكم بفتح بابها فقال البطال هذه شغلى انا وفى عاجل الحال فتحوها ودخلوا فيها وغانوا ساعه وعادوا وقالوا يا ابو محمد إنا وجدنا باباً ثانياً فعالجناه فما وجدنا فيه حيلة لمحتال فضحك مذبحون وتقدم إلى الباب وعالج فيه فتحه كان المفتاح معه (قال الراوى) ولما أن دخلوا اخذوا كلما يحتاجون إليه من السيوف والدرك والزرد والعدد فقال ابن الملك ابو النور والله ما رحنا وخلينا هذا فى قيد الحياه الذى هو الملك ورآنا لأنه إن اصبح الصباح ولم يجدنا طلبنا وسار خلفنا بالعساكر ولو مسيرة شهر وانى عولت ان امضى واذبحه وآتى برأسه واكون فعلت فعال ما فعله غيرى مع ابوه فى طاعة الله تعالى فقال البطال وانا لى حاجة ما ابرح من ههنا إلا بها وهى عقبه وشومدرس ثم انه اخذ

ولده مذبحون وغلمانه وساروا إلى قضاء حاجتهم وسار ابن الملك فى طلب ابيه ولما ساروا قالت ابنة الملك إنى خائفة على البطال وولده مذبحون من عقبه لأنه هو وشومدرس فى دار صعبة المراس وعليها قفل من حديد لا يقدر احد يقلعه من مكانه وأخاف أن البطال يعالجه فيسمعان حسه فيقوموا البطارقه وننفضح كلنا فى هذه الليله ولولا أخى مضى بسبب قتل أبيه كنا سرنا فى هذا الوقت فما يصبح الصباح إلا ونحن قدام وقد أمنا على نفوسنا من عدونا ولكن قلبى مايصبر عن أخى ولا بد لى من اتباعه ثم انها سارت خلفه (قال الراوى) فهذا ما كان منها (وأما ما كان) من ابن الملك ابو النور فانه مازال سائر إلى أن وصل إلى الدار التى فيها أبيه ففتحها ودخل عليه وأرمى روحه عليه وهم أن يذبحه فقال والله لا بد أن أعلمه انى عبد الله ثم عول أن ينبهه وينهيه عما هو عليه من الضلال وإذا به قد أحس بثقله عليه ففتح عينيه فى ضوء الشمع فرأى ولده راكب على صدره فقال أبو النور قال أنا عبد الملك الغفور فقال ما الذى تريد فى هذا الوقت قال ماأتيت إلا آخذ رأسك وأخمد أنفاسك (قال الراوى) فلما سمع عدو الله من ولده ذلك الكلام انقلبت عيناه فى أم رأسه وكان جبار من الجبابره فهمز على ولده وقبض على زنديه وجذبه أرماه من على صدره وقام وبرك عليه بركبتيه كاد أن يخسف ضلعيه وأخذ السكين من يده وهم أن ينحر وريديه وإذا بلكمة وقعت فى عقصته قصفت رقبته ومات من ساعته فقام عبد الله من تحته يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وقد رجعت اليه روحه والتفت الى الذى فرج عنه وإذا به اللملمان ففرح بذلك وكان عند الملك جارية نائمة عنده فانتبهت فبادر اليها أبو النور وقتلها خوفا لا تصرخ (قال الراوى) وكان السبب فى مجىء اللملمان ان الجارية لما احترقت على أخيها بعد مضيه وخافت عليه من أبيها فجعلت تبكى فقال لها الأمير عبد الوهاب ياهذه كفى عن البكاء خصوصا المحب إذا رأى حبيبه يبكى كيف يكون حاله وسارت الجاريه كما ذكرنا خلف أخيها فساروا الأمراء بأجمعهم خلفها لأجل قلبها وخوفا على أخيها وعليها ومازالت سائره وهم خلفها إلى أن وصلوا إلى الدار الذى فيها الملك فوجدها مفتوحه فقال الأمير للملمان ادخل وانظر ماالخبر فدخل وقتل الملك وخرج وأعلم الأمير فدخلوا إلى القصر وأخذوا من الأموال والجواهر الحسان مالا يصفه لسان فقال الأمير أنا أقسم قسما صادقا إنا فتحنا القسطنطونيه ماحصل لنا مثل ماحصل لنا من هذا المال (قال الراوى) ولما أن اكتفوا من المال عادوا إلى مكانهم وأقاموا ينظرون قدوم البطال فما عاد وكان من حديث البطال أن القاضى عقبه كان جالسا يتحدث مع شومدرس ويقول ياشيخ أعلم أن مابقى من أعمار الأعداء غير الليله والصواب اننا نحترز على أنفسنا ونخفى أرواحنا فقال شو مدرس

وبنت الملك تقول وحق من هدانى لدين الاسلام لقد قلبى الصحيح وها أنا أرى باب السرداب مفتوح مقلوع ولا بدلنا من النزول وخلاص أصحابنا ولكن أخاف أن يكون لنا أعداء ينتظرونا حتى ننزل ويقطعون السلم ولربما غلق باب الممرق ولا ينفتح لنا الباب (قال) فعندها قالت لها ومن هو العدو الذى يفعل بنا هذه الفعال فقالت الأميره قلبى يحدثنى على أن عقبه وشومدرس فوق السطح فوالله العظيم ان صاح منهم واحد صيحة واحدة ضربته أنا بسيفى هذا ضربة واحدة أحرمته نسيم الهوى ثم قصدت نحوهما وعقبه قد مات فى جلده وذهل من كلامها وقال شومدرس وحق المسيح هذه الليلة آخر ليالينا من الدنيا فقال عقبه يا ملعون ماتزال تقرأ علينا كتب الآفات ولعل المسيح أن يعمى بصرها عنا (قال الراوى) هذا والأميرة قد قصدت إلى مكانهما كانها قد أخبأنهما فيه ثم قبضت عليهما وأوثقتهما كتاف وقالت لبنت الملك قفى على رؤوسهما ومن تكلم منهما أو صاح طيرى رأسه فقالت السمع والطاعة ففى قلبى من هذا الشيخ النحس النار فقال عقبه من يوم سميتمونى شيخ النار علمت أن قفايا يتقطع فى هذه الديار هذا والأميرة قد نزلت إلى السرداب فوجدت مذبحون وهو قد تسلق وصعد وعول أن يرفع أبوه وأصحابه فعاونته على ذلك إلى أن رفعوا الجميع وقالت يا أبو محمد ايش الذى أوقعك وأنت أخبث الطير قال ماهذا موضع عتاب ولا حديث وما اظن ان يخفى عليكى كيف كان وقوعنا فان كنتى شلتى السلم قبل نزولك وإلا يكون قد هرب عقبة وشومدرس فقالت له قد قبضت على الاثنين ووكلت بهما نور النار ففرح البطال وصعد هو وأصحابه وقد زاد بهم الفرح وزاد بهم السرور وزال عنهم الترح المحذور (قال الراوى) ولما صعدوا على السطح وجدوا عبد الوهاب والململان وعبد الله ابن الملك وباقى الاخوان قد صعدوا فى الجبال وداروا بعقبة عن اليمين والشمال لأنهم وجدوا الجارية موكله بهم (قال) فسألوها عن الأميرة ذات الهمه فحدثتهم بما جرى لهم جميعا ففرح الأمير عبد الوهاب بذلك وقد دنا الململان من عقبه وشاله على يديه وجلد به الأرض وهو يقول أناما أدرى إلى يعيش هذا القرنان ولولا أن يكون السطح واسع كان عقبه قد وقع الى الارض لانه فبقى بينه وبين طرف السطوح باع أوذراع فأدركه البطال وقال للململان والله لقد أخطيت لان هذا الملعون التقى له راحة ونحن نريد اننا نعذبه حتى يصل الى بلاد الاسلام ونصلبه فى موضع أمرنا سيدنا محمد عليه أفضل السلام (قال الراوى) ثم انهم نزلوا وقد انزلوا عقبه وشومدرس معهم وساروا الى عند دوابهم وقد نزلوا عقبه وشومدرس فى صندوقين كانوا غلمان البطال قد اتوا بهما من مطبخ الملك وساروا حتى عبروا الجسر وعادوا نزلوا وانتقدوا الخيل

وشدوا عليها كما يحبون وغرقوا فى السلاح وركب الأمير واصحابه وهو ينادى واشوقاه الى بلاد الاسلام والله لو اتبعتنا اهل الارض كسونا اسيافنا من دماء الأعداء اغماد حمر هيا بنا سيروا يا اخوانى على اسم الله تعالى (قال الراوى) فعندها ضربوا الخيل بالمقارع وقطعوا من تلك الارض المطامع وساروا حتى ذهبت جيوش الظلام واقبل الصباح بعساكر الابتسام هذا والقوم سائرين حتى تضاحا النهار واذا قد لاح لهم جبل عالى وفى رأسه دير نامى مثل الحصن الحصين وما لاحد اليه طريق ولا عليه تسليق وتحته مرج افيح وماء يسرح (قال الراوى) فلما رأوا ذلك عولوا على النزول هنالك ليأخذون الراحه ويأكلون شيئاً من الزاد واذا بغبار من خلفهم قد طلع وقتام قد ارتفع وفيه صياح قد علا وضجيج قد نما حتى أنه أقلب الدنيا (قال الراوى) فلما نظروا المسلمين إلى ذلك علموا أن العساكر قد لحقتهم وأنها سلكت آثارهم فى طلبهم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن أهل الجزيرة نزلوا إلى ملكهم وقت السحر ليستأذنوه فى ايقاد النار لحريق المجاهدين فوجدوا باب الدار مفتوح فدخلوا إلى الملك فوجدوه مطروح وهو جسد بلا روح وماله قد نهب ودمه منسكب فعظم ذلك عليهم وطلبوا الأمراء فما وجدوهم فعلموا انهم قد قتلوا الملك وهربوا فقال اطلبوا مشايخ النار فوصلوا إلى الدار التى كانوا فيها فما وجدوهم فوقع الصوت فى الجزيرة وركبت العساكر وساروا فى سبعين ألف ما فيهم إلا من معه الفرسين والجنيب والجنيبين وقد لحقوا الأمراء قبل الظهر فلما رآهم أبو محمد قال لأصحابه لا فيكم من يقاتل وانظروا فى العواقب هـذا العسكران صدقنى حذرى فهو فى سبعين ألف أو يزيدون وان عولتم على القتال فنحن هالكون لا محالة ولكن اتبعوا قول من لا يخشى ريب المنون ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة فقال مذحون يا أبتاه وإن لم نقاتل نسلم نفوسنا اليهم حتى يحرقونا بالنار فدعونا نقاتل حتى نموت كرام ولا نموت لئام فقال أبو محمد لما يا ابنى القتال مع هذا العسكر من قلة الرأى فاقبلوا منى واطلعوا الى رأس هذا الجبل الذى عليه الدير حتى اننا نسند ظهورنا اليه ومن طلع الينا أرمينا عليه بالحجاره فقال مذحون وأهل مدير ماينزلون من ورائنا ويشغلونا حتى يأخذونا قال مايقدرون لاننا نلتجىء الى الجانب الذى ليس علينا فيه طريق وان وقفنا داسونا بحوافر الخيل فقال الامير عبد الوهاب هذا هو الصواب الذى قلته يا أبا محمد لان هذا عالم ما عليه احصا بعدد الرمل والحصا (قال الراوى) وكان بالقرب منهم فى جانب الدير مغاره وهى لاهل الدير يحبسون فيها الاغنام والدواب فى أيام الشتاء (قال) فطلعوا فى لحف الجبل وعبد الوهاب قد أخرج عقبه وشو مدرس من الصناديق وقال اطلعوا قبل ان تلحقنا العساكر على اننى

أقول اننا ما بقينا نلحق الطلوع الا اننا نقاتل الى الليل (قال الراوى) ولما نظر عقبه الى كثرة العساكر التى أقبلت فقال لشو مدرس ويلك ابشر بالفرج من المسيح وانظر الى هذه الخلائق التى ملأت الفسيح فقال الامير عبد الوهاب يا ملاعين لا تفرحوا فما بقى لكم خلاص وها نحن نقاتل حتى نموت ولا يبقى فينا عين تطرف وان نصرنا الله تعالى وخلصنا فهو الذى نريد وان كانت الاخرى والامر الى الله تعالى ونقتل فى سبيل الله عز وجل وننال بذلك الاجر فى الآخره ولا بد من ضرب رقابكما فى هذا الموضع فطيبا قلوبكما (قال الراوى) ياساده يا كرام فعندها قال عقبه لا كتب الله عليك سلامه ولا ستر عليك يا مقطوع النخاع فلما سمع الامير عبد الوهاب الى ذلك سكت وقد علم انه ما هو موضع المحاوره وعاد هو وأصحابه وهموا بالطلوع فرأوا العساكر قد أدركتهم ودارت الخيل بهم من كل جانب وعادت البطارقه مثل السلاهب فقالت الاميره يا بنى ادركتنا الخيل فاصطفوا للقتال وتاهبوا للطعن والنزال لعلنا نحظى بالشهاده ويختم الله لنا بالسعاده فكونوا ميمنه وميسره مثل ما تكون العساكر فقال الملمان ان العساكر اذا اصطفت ما يكون ميمنتها الا ألف أو ألفين فانتى وولدكى الامير عبد الوهاب فى ميمنتها وميسرتها كل واحد منكم فى جانب وأنا وباقى أصحابنا نقوم صفا واحد فى القلب فقالت الاميره ذات الهمه صدقت يا أمير

وبالله المستعان وعليه التكلان وهو شديد الاركان وما شاء الله كان

﴿ تم الجزء الحادى والستون ويليه الجزء الثانى والستون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثانى والستون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ت ٤٠٦ ...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) وما ترتبوا الأمراء على هذه الحالة حتى أطبقت عليهم العساكر من كل جانب من عبادالنار الذين هم مثل الجبال وقد أشهروا السيوف الصقال وقد زعزعت بأصواتها الروابى والتلال ونادى مناديهم يا كلاب العرب أين تأخذون فى الهرب ونحن بعون النار لكم فى الطلب لكن استسلموا الينا وعيدوا علينا ما أخذتم من الجواهر والذهب واعطونا مشايخ النار والا أسقيناكم كاسات البوار (قال الراوى) ياسادة فعندها زعق اللملمان يا كلاب النار ويا عبدة النار سوف تنظرون ما يحل بكم من حملة القرآن وصوام شهر رمضان الذى يقولون الله واحد أحد فرد صمد (قال الراوى) ولما نظرت العساكر إلى هذا النفر القليل قد تأهبوا للقتال وحملوا يطلبون النزال قالوا وحق النار هذا غاية العار أن نكون فى هذا الجيش الكرار والبحر الذخار ونحمل على نفر قليل لا لهم قيمة ولا مقدار ونخاف أن يضيعوا فينا فليحمل منا مائة فارس شداد يأتون بهم فى الأصفاد (قال) فلما سمعوا ذلك حمل منهم مائة فتلقوهم المسلمين وتركوهم آية فحملوا ثلاث ماية فسقوهم شراب المنايه وحملت بعدهم ألف فارس آخر فمزقوهم بالرماح فصاحوا بعضهم على بعض احملوا كلكم فعندها حملوا كلهم فى ما ينوف عن عشرين ألف فارس فالتقوهم الأمراء المجاهدين وسمع للسيف فيهم طنين من أيدى المسلمين فى مفارق الكافرين فلله درهم ما انصحهم لربهم وما أشدهم فى طاعه الله تعالى فى طعنهم وضربهم (قال الراوى) وما سمعوا الناس بمثل هذه القصة فسبحان من يعين المستضعفين ويطرح النصر على عباده المؤمنين ولم يزال

السيف يعمل والدم ينزل من أوداج عبدة النار حتى ذهب النهار بضياه ثم أقبل الليل بظلماه وما أصيب من أصحاب الأمير عبد الوهاب أحد بل انهم قتلوا خلق كثير ومن عليهم اللطيف الخبير وأسندوا إلى لحف الجبل ظهورهم إلا أنهم لا يقدرون يصلون إلى الطريق الذى يطلعون منها للجبل وقد أضرمت النيران وسجدوا لها أهل الكفر والطغيان ولم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر وظهر الصبح ووثب كل بطل إلى السيف والرمح وحملوا الكفار على الأبرار وعمل بينهم البتار والمسلمين يقاتلون بنية صادقة وأسرار موافقة ورماح خارقه وصاروا وهم يطلبون أصحاب الأعلام وعبد الوهاب يخترق المعمعة مثل الشهاب حتى أتى إلى صاحب العلم وطعنه فى صدره أطلع السنان من ظهره فمال العلم ووقع وشاش عسكر الكفار وتضعضع وحملت الأميرة ذات الهمة على مقدم العسكر وكان بطريق مثل الفتيق وهو شديد فى عبادة النار كثير الكفر بالملك الجبار عظيم التكبر والتجبر اسمه قوقيس ابن سومطيس وهو الذى كان يحدث نفسه بالملك من بعد صاحب الجزيرة فلما جرت هذه النوبة وقد هربوا لأنه تبعهم فى هذه العساكر طلبا أن يأخذهم ويرتفع قدره عند الروم ويقع له الهيبة فى قلوبهم (قال الراوى) وان الأميرة ذات الهمة لما حملت عليه جعلت تذق الرجال قدامها وتهبر الأبطال بحسامها حتى وصلت اليه وقد تفرقت الرجال من حواليه وضربته بالسيف فى صدره وإذا به قد خرج من خرزة ظهره ولم يبقا أحداً من الأمراء إلا وقد قتل فى ذلك اليوم مقدم من المقدمين أو من البطارقة وارتفع الصياح وعملت الرماح وقد بذلوا الموحدين الأرواح فى طاعه الملك الفتاح إلا أن العدد كثير والجم غفير (قال الراوى) وسمعوا أهل الدير الصياح ونظروا إلى بريق الصفاح فنزلوا من الدير كلهم وكانوا أربعين راهب وراهبة فكشفوا عن القضية وعلموا أن هذه الفرقة مسلمين فجعلوا يرمون عليهم بالحجارة والصخور الكبار وكانوا مستندين إلى الجبل بظهورهم فلما كثر عليهم العدد حملوا وقاتلوا وإذا بعدوا عنهم الأعداء يعودون إلى الجبل فيأخذون به راحة إلى أن نزلوا الرهبان وقد رموهم بالحجارة فأهلكوا خيلهم وما معهم من الدواب فلم يزالوا المسلمين يمانعون عن أنفسهم حتى أظلم الليل وقد أعانهم الملك العلام ولم يفقد منهم أحداً لأن فيهم الجراح الواحد منهم والاثنين والثلاثة والخمسة فقال الأمير عبد الوهاب الأمير أبو محمد البطال يا أبى محمد هذا والله هو الهلاك بعينه لأنه ما بقى فينا من هو سالم من الجراح إلا الأميرة ذات الهمة (قال) وكان سبب الأميرة ذات الهمة أنها ماسلمت من الجراح لأنها كانت اذا حملت على الكفار لا يثبت أحداً بين يديها لأجل ما يرون من شجاعتها وان الطوائف لما انفصلت كما ذكرنا وقال الأمير عبد الوهاب للبطال

ماوصفنا قام الأمير أبو محمد ياأمير انني متحير فى هذا الأمر وكثرة هذا الجمع ولو أسلموا الينا أنفسهم حتى نقتلهم مافرغنا منهم فى شهرين وهذا والليل قد أقبل ونحن فى محل معطش وما ندرى ما يكون وما فى الأمر إلا أننى أطلع أنا ومن أراد منكم إلى هذا الدير الذى هو مثل الحصن الحصين ونقتل الرهبان ونملكه وإلا فنحن لاشك هالكين فقال الأمير عبد الوهاب ومن تريد يصعد معك فقال ان أخذت بعضكم خفت على الباقين من هذه العساكر ومن كثرتها وما أريد أن يصعد معى إلا ولدى مذبحون فان كان علينا خير فنحن نعود اليكم عند الصباح وان كانت الأخرى فعليكم منى السلام ومالى عندكم وصية إلا قتل هؤلاء الشيخين الملعونين ان رأيتم الغلبة حتى لايعيشا بعدنا ثم أخذ ولده وطلع الجبل هذا والليل قد انسدل وبقى الأمير هو ومن معه فى قلق عظيم من فزعهم على أرواحهم وعلى البطال وولده مذبحون إلى أن مضى أكثر الليل وما سمعوا له خبر وطلع الصباح وانفجر وثار اليهم كل من كفر وتصايحت الأكارم وقد اشتهرت الصوارم وعملت فى الجماجم وصبروا المسلمين لما قضاه الله عليهم وقد قتل من خيلهم اثنا عشر حصان وترجل من أمراء بنى كلاب جماعة وتعبت السواعد وقل المساعد وقد قلت المناكب وكثرت المضارب ولم يزالوا يدفعون عن أنفسهم إلى أن اظلمت الأقطار ومضت جواهر النهار وأقبل الليل بالاعتكار وكاد العقل يروم إلى الفرار وعادت المسلمين إلى الجبل واستندوا عليه ودارت بهم الطوائف من كل جانب هذا والأمير عبد الوهاب قد حملهم نفسه وهم الأمير أبو محمد البطال وكذلك ولده مذبحون ولا يدرون ماكان منهم فقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فهو كذلك وإذا هو بمذبحون قد أقبل وقال للأمير لك البشارة وقال بماذا فقال ذبحنا الأربعين راهب وما تركنا فى الدير إلا النسوان الكواعب وهم مثل الأقمار فى دجى الغياهب وفيه مال وجواهر وكلما يكفيكم ولو أقمنا فيه مائة سنة لأن الموضع حصين ومالكم عائق فاطلعوا بارك الله فيكم وأما عقبة وشومدرس فاصلبوهما على أعلى هذا الدير (قال الراوى) وكان السبب فى قتل الرهبان أبو محمد البطال لأنه مضى هو وولده مذبحون إلى الدير فى زى بطريقين حتى وصلا تحت حيطان الدير وقد نادى أبو محمد بالرهبان فأطلعوا عليه وقد قالوا له ماحالك ومن أنت من عباد المسيح ومن دون أهل هذه الجزيرة كلها جئتنا فى هذه الليلة فقال أبو محمد يا أبونا حتى لايفطن بنا أحد (قال) فلما سمعوا الرهبان كلامه نزلوا وفتحوا الباب الذى للدير ودخل أبو محمد وولده مذبحون ورفعوا أصواتهما بقراءة الإنجيل بتلك الأصوات الحنونة فهيجوا القلوب الحزينة وبكوا سائر الرهبان وخرجن النسوان وقلن وحق المسيح مايصلحا إلا أن يكونا مشايخ البترك فقال

أبو محمد أنا كنت بترك وإنما لما ملك جزيرتنا هذا الملك عابد النار قال لنا كل من سجد للمسيح طحنت عظمه وصلبته فكتمنا ديننا حتى لانقتل وقد خرجنا فى العساكر فى طلب المسلمين فرأينا يطول الحال علينا فقلنا نفوز نحن بزيارة هذا الدير حتى لاترجع بلافائدة فقال الرهبان وحق المسيح ما بقينا نخليكم ترجعوا من عندنا وهذا الدير مسلم اليكم ونحن والنسوان تحت أيديكم (قال الراوى) فعندها شكرهم البطال وصلى بهم وقرأ لهم فصل من الانجيل حتى مضى أكثر الليل فعلم أنهم قد تعبوا فقال لهم تفرقوا إلى مراقدكم بارك المسيح فيكم (قال) فتفرقوا الرهبان ونام كل واحد منهم مثل السكران ورقدوا النسوان فعندها قال البطال لولده مذبحون أريدك الليلة ياولدى تكون مثل اسمك فقال سمعاً وطاعة ان كنت مذبحون وأنا أريك فى هذه الليلة إلى هؤلاء الرهبان كيف يصبحون قم معى وانظر العجب فقال البطال وجب وقام وجعلوا يدورون على الرهبان فى قلاليهم مثل مايدور المسحر فى شهر رمضان ثم انهم بعد أن فرغوا من الرهبان طلعوا إلى النسوان والخناجر فى أيديهم تقطر دما وصاحوا فيهم إن تكلمت واحدة منكن لحقناها بالرهبان (قال) فانخدع النسوان ورضين بالمقام من غير كلام وكان قد أدركهم الصباح فأرسل أبو محمد ولده ليأتى بالأمراء فوجدهم مذبحون قد غاصوا فى الكفار فصاروا معهم تحت الغبار وهم فى القتال الشديد فوقف مذبحون عند عقبه وشومدرس يحفظهما حتى يأتى الليل وقد انفصلت الطوائف كما ذكرنا وحدث مذبحون الأمراء كما وصفنا وأعلمهم بما جرى فشكروا الله سبحانه وتعالى وجعلوا يكبرون ويبتهلون إلى الله تعالى بالدعاء ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا إلى الدير فوجدوا أبو محمد البطال على الباب فى انتظارهم فلما رآهم فرح بهم واستبشر وقد دخلوا إلى مكان فرأوه موضع لايقدر عليه إنسان وفيه مايكفيهم طول الزمان فشكروا الله المنان (قال الراوى) هذا جرى هنا (وأما عقبه وشومدرس) فانهما انفطرت مرارتهما من فعل البطال ومن حسن توصله وذبحه للرهبان وكان الأمير أبو محمد البطال قد جرد سيفه وصاح فى النساء المترهبات ويلكن من تكلمت فى مالا يعنيها سمعت مالا يرضيها وأخذت هذا الحسام روحها من بين جنبيها (قال الراوى) فلم يجسرون أن يتكلمون بكلام ولاعتب ولا ملام وحبسهن الجميع فى بيت وأغلق عليهن الباب وباتوا تلك الليلة فى توحيد وفى تهليل للملك الجليل وأقاموا إلى الصباح هذا وقد عولت الروم على الرحيل والرواح وقال بعضهم لبعض ما كان هذا لنا فى حساب وما عاد يفيدنا فائدة ولا يعود علينا عائدة باقامتنا فى هذه الأرض وما بقى مقامنا فى هذا المحل الحصين صواب ومانحن إلا فى غاية الذهاب وكل يوم نقتحم الحميم والعجاج ويقتل كل يوم منا المائة والمائتين ويبان الربح

والشجاعة والخسارة فى الطائفتين فما نرى الربح إلا لهؤلاء القوم والخسارة علينا فى كل يوم وهؤلاء لايقتل منهم أحد لا أبيض ولا أسود ومالنا إلا الرحيل إلى بلدنا قبل أن يفنونا ويقلوا عددنا (قال الراوى) فهم معولين على ذلك الايراد وإذا بالأمير قد قال لأصحابه مافيكم من يعترض اليوم قتال ولا نزال ولا جلاد ودع القوم يصنعون مايريدون ويفعلون مايشتهون لأنى أريد اليوم أضرب عقبه وأشفى غليل فؤادى فى هذه الركبه فقالوا هذا الصواب والأمر الذى لايعاب والرأى السديد المهاب ثم أنه أمر باحضار عقبه السفيه فقصدوا إلى المكان الذى كان فيه فلم يجدوه ولا شومدرس فعادوا إلى الأمير وقد أخبروه فقامت عليه القيامة ورجع على نفسه بالملامة وقال فرطنا فى أمره غاية التفريط ليته كان وقع حتى كنا نذيقه الضرب والتقريط (قال الراوى) وكان السبب فى هروب عقبه وشومدرس اللعينين من ذلك المجلس زوجة القس الذى كانت فى الحصن وكانوا حبسوها ثم حبسوا عقبه وشومدرس عندها فاقاموا عندها فى البيت يرتقبون فرصة من الفرصات وهربة من الهربات وهم ينتظرون لهم ميقات فقالت زوجة القس من أنت أيها الشيخ ومايكون رفيقك هذا فأصدقنى فى الأقوال ولا تتبع الزور والمحال فقال لها أما أنا فالشيخ النجيح وحجة السيد المسيح عقبة بن مصعب السلبى المسيحى وهذا الشيخ الراهب شومدرس رفيقى ونصيحى فقالت له زوجة القس وحق المسيح لقد كنت أسمع بك من قديم الزمان ولك عندنا حس وايش الذى طرحك حتى انك قاسيت بعد عزك ترحك وايش الذى أرماك فى يد هؤلاء القوم حتى انهم ساموك بهذا السوم ورجعوا عليك بعد حبسك بالعتب واللوم وخلوا دموعك عوم وأنت تنتظر الخلاص من ضيق الأقفاص كل يوم عند ذلك قص عليه القصة من أولها إلى آخرها وشرح لها باطنها وظاهرها فقالت له لابأس عليك ولا وصول لهم اليك وفى هذا البيت الذى نحن فيه بنيان صنعه أدلك عليه وتنزل منه إلى تحت القلعة وتخرج إلى الفضاء وتقابل الأقدار بالرضا ثم حلته من كتافه وكذلك فعلت بشومدرس وقصدت أسعانه وأنزلتهم من السرادب وجاءهم مالم يكن لهم فى حساب وكان ذلك المكان من عهد الجبابرة الأول وفيه صناعة قد أحكموها بحسن العمل وكانوا إذا نزل عليهم أحدا من الاعداء فى ذلك المكان وحاصرهم بالجيوش والأعوان من ملوك ذلك الزمان لايضرهم الحصار أبدا ويجدوا عليه قوة واقتدار لأن السرادب الذى من عهد بناية الحصن المذكور قد استحكموه بدرج يتصل منه إلى عين الماء التى تحت ذروة الجبل وينقلون الماء كما استحكمت الأول وداموا على ذلك الحال وساروا إذا حاصرهم ملك من الملوك ينزلون ويأخذون الماء ولم يشعر بهم أحدا ولا يبالون

لا بأبيض ولا بأسود فلما هرب عقبه وشومدرس وزوجة القس وابنته لم يشعرون بهم الروم الا وهم قد خرجوا من ذلك المكان المعلوم فلما نظروا إلى عقبه وقد خرج هو ورفقاؤه من ذلك المكان هنوه الجميع بالسلامة مما كان فيه من الهموم والأحزان فقال لهم على ماذا عولتم يا أبناء الكرستيان قالوا عولنا على الرحيل ولا نقيم تحت هذا العذاب الوبيل فقال ياقوم كيف ترحلون ويسمعون بكم الروم أنكم هربتم من عشرين فارس من المسلمين وأوردوكم موارد الهموم ودخلوا إلى بلادكم وقتلوا أبطالكم ونهبوا أموالكم وخرجوا سالمين وهم غانمين وملكوا كل ماكان فى ديركم وحصنكم العالى الحصين فتضرب بكم الأمثال ويزداد فيكم القيل والقال ويغضب عليكم المسيح وتسبكم الرهبان عن صحيح فلما سمعوا منه ذلك الكلام قالوا هذا أقل مايكون وتسىء بنا الظنون فالرأى ياأبونا عرفنا التدبير ولاتخفى علينا لاقليل ولا كثير فقال لهم عقبة الرأى انكم تكاتبون الملك ارمانوس وتقيموا لكم بمكاتبته ناموس وأى ناموس وتقيموا هنا بعدان ترسلون الكتاب وأنتم محاصرين بنى كلاب الى أن يصل اليكم الجواب فقالوا هذا هو الرأى السديد والأمر الذى يقرب به البعيد (قال الراوى) وهذا كان هو سبب سلامة عقبه والذى فرج عنه الكربة (وأما الأميرة ذات الهمة) فانها قامت عليها القيامة وأقسمت على نفها قسامه وقالت والله لاجلب الينا عقبه خير أبدا ولا اصطلا الشر الا بنفسه لاغير وأن عقبه قال لهم ياقوم لابد لى أن أسلم اليكم الحصن إذا مضى هذا اليوم وأدبر حيلة وأملكه اليكم فى هذه الليلة من المكان الذى نزلت منه وأوريكم من لاغناء لكم عنه ثم أنه صبر الى نصف الليل ثم اعتد فى الف فارس من أصحاب القوة والحيل وقصد بهم نحو السرداب ومال الى نحوه كل الميل وكان ذلك السرداب طوله من أعلا الحصن أربعمائة درجة وسار عقبه ونفسه مبتهجة فقال شومدرس ياعقبه على ماذا عولت فقال على مابه تحدثت معهم وقد تقولت قال ماهو فقال أكون مع القوم لأنى صرت خبير بالمكان فقال شومدرس لاتفعل أيها الشيخ الصالح فتقع بعد الربح بالخسران ولا تغر بنفسك فتحظى بالحرمان وماذا يحصل لك من الأمر والفائدة من الامراء والشان وهل تقع إذا طلبت الزائد إلا فى كفة النقصان فقال له عقبه اعلم ياخليلى أن مرادى بذلك أشفى غليلى فقال شومدرس ان كان ولابد من هذا فاترك القوم يمضون فان أصابوا خير وصل الينا وان أصابهم شر يكون حوالينا ولا علينا ونكون على غاية السلامة أخير مما نقع ونرجع على أنفسنا بالعتب والملامة وتقول مثل ماتقول الناس يوم القيامة يارب روحى بلا ندامة فقول ماعندك غير هذه الكرامة فقال له عقبه ويلك ماتخلى خوفك ولا تخلى جبنك ولا نزعك فوحق المسيح والدين الصحيح

ما أبالى بعد أن أنظر إلى مسلم وقد أهرق دمه قتلت أو أسلمت ولا أحمل همه فلما سمع منه شومدرس كلامه فهم مقصده ومرامه وقد سار مع القوم إلى أن دخلوا إلى ذلك السرداب وتعلقوا فيه مثل تعلق الحرب وساروا كلهم فى الدرج هذا والمسلمين ماعندهم خبر لا بمن نزل ولا بمن عرج فهذا ما كان من هؤلاء وأما كان من أمورهم والأسباب (وأما ما كان) من الأمير عبد الوهاب فانه أخذ النساء وعاقبهن وكن كلهن هاربين من أولاد الملوك كما ذكرنا وقال لهن كيف كان هروب عقبه وشومدرس فقالوا انه كان السبب فى هروبهم زوجة القس وابنته ونزلوا من السرادب مثل السلاهب (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب بذكر السرداب ونظر اليه وأتى له وأشرف عليه علم صحة الخبر والمقال (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير أبو محمد البطال فانه أقبل على الأمير عبد الوهاب بعد خلاص عقبه وشومدرس وقال له قم بنا حتى نبصر هذا السرداب الذى خلصوا منه هؤلاء الكلاب فانى خائف أن يطلع علينا منه الرجال فقام عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وساروا حتى وصلوا إلى تلك الدار وأبصروا السرداب وإذا به نازل من بر الدير فقال أبو محمد وحق المنتخب من أفضل العرب مايقعد عنا عقبه ولا بد له أن يطلع علينا بعبدة النار من هذا المكان وان صدقنى حذرى فما يبيت عقبه فى هذه الليلة إلا فى السرداب والبطارقة معه وينتظرون الصباح وخروجنا إلى الحرب والكفاح ويطلع ويملك الحصن منا ويحوجنا العنا ويخرج من أيدينا (قال) ياسادة فلما سمع الأمير عبد الوهاب هذا الخطاب رجف فؤاده وقال يا أبا محمد وإيش يكون الرأى وما ترى من الرأى إما تسد عنا هذا السرداب وتستريح من التعب والنصب فقال لا لأنى أريد منه أخذ عقبة وكل من يطلع منه وننظر العجب فقال وكيف ذلك قال إذا أصبح الصباح أخرجوا أنتم إلى برا الحصن واجتهدوا فى نزول بعضكم إلى العين كأنكم تريدون القتال وقفوا وأمسكوا باب النقب من أسفله وأبقى أنا وانت وأمك ذات الهمة ههنا عند رأسه وكل من طلع الينا خطفنا انفاسه وان أردتم شمس النهار بنت الملك خذوها معكم فهى تعاونكم على قتال الكفار فقالت الاميرة ذات الهمة انزلوا أنتم واتركونى أكون وحدى فى الدير فما تحتاجون معى معاون وأنا أكفيكم مؤنة كل من يطلع (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب هذا الخطاب فرح وأقاموا إلى أن أصبح الصباح وقدم بهم الأمير أبو محمد البطال كما وصفنا ثم استخلف فى الحصن من استخلفه وخرج هو وباقى الرجال وبعد مارتب لباب الحصن اثنين من الغلمان فلما نظروا الروم اليهم قد نزلوا فرحوا وظنوا أنهم يملكون الحصن بما فيه وأنهم يملكون الامراء اذا

لم يكن لهم ماجأ (قال الراوى) وكان عقبة لما دخل إلى السرداب ومعه البطارقة وهو ينتظر الصباح وشومدرس يقول ياشيخ السوء لو كان لك معقول كنت تركت عنك الفضول لأننا قد خلصنا من العطب والأصلح كان لنا الهرب لنحو القسطنطونية وكنا نفرنا عليهم عساكر النصرانية وكنا ربحنا هذه الليلة فقال عقبة ياشيخ مالك عقل ايش يخلص المسلمين من هذا الدير وكلما نحن فيه الليلة ربح لأننا نملك الحصن وكلما فيه ونشتفى من قتل الأعداء وكان عقبه الملعون العلامة بينه وبين العسكران يضربون له البوق حتى يعلمون أن المكان فارغ وما نظر عقبة مكان النظر من الرجال إلا لقضاء غلب عليه فى طلب الأمير له فى الليلة التى هربوا فيها ودبر الأمير أبو محمد مادبر وإلا ما كان أحد اعلم بما دبر عقبة وكان يملك كلما فيه من المجاهدين (قال الراوى) ولما نزل الأمير أبو محمد والأمير عبد الوهاب ومن معهما من الأصحاب والابطال ضرب بوق الكفرة أهل الطغيان والضلال لعلم عقبة بنزولهم ولكنهم ما علموا بما قدر الله سبحانه وتعالى فى باطن القصة من العجب إلا أن عقبة لما سمع ضرب البوق أمر البطارقة بالطلوع فطلعوا حتى وصلوا إلى باب السرداب والأميرة ذات الهمة واقفة هذا والسيف فى يدها مشهور فأمهلتهم حتى صار عندها منهم جماعة وصاحت فى ولدها عبد الوهاب يابنى دونك وهؤلاء الكلاب (قال) فعندها بذل الأمير فيهم السيف وقد أمن بعد الفزع والخوف وحملت الأميرة ذات الهمة وصارت الرجال تطلع ورؤسهم تقطع والسيوف فى نواعم أبدانهم تلدع حتى قتل منهم أكثر من مائة بطل صميدع ووقع عليهم الصياح وعلمت الروم بما جرى على أصحابهم من ضرب الصفاح فانقطعوا عن الطلوع وقد علموا ان كل من طلع ماله رجوع ونظرت الأميرة هى وولدها فى اتباعهم وكان الأمـــير أبو محمد البطال والململمان ضيغم ومذبحون وباقى الرجال قد دخلوا لهم من أسفل السرداب وضربوا فيهم بالصارم القرصان وهم يصيحون يالكلاب يالكلاب (قال الراوى) فلما نظر عقبة إلى ذلك وسمع من المسلمين الصياح علم انه عليهم أيشم صباح وطلب باب السرداب يريد الخروج وهو يصيح فى البطارقة والعلوج والروم قد اشتغلوا عنــــه بما هم فيه وأبصروا السيف يعمل من رأس السرداب ومن أسفل لان الأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب قد نزلوا إليهم كما ذكرنا وبذلوا السيف فيهم كما وصفنـــا وزاد الصياح وكثر الكفاح (قال الراوى) وكان شومدرس قد خرج من السرداب من وقت خاطب عقبة بذلك الخطاب فلما سمع الصياح عند الصباح فعلم ان عقبـــة قد وقع فصاح فى الروم ياويلكم دونكم وخلاص أصحابكم فان المسلمين قد عرفوا حالكم

وان غفلتم عنهم هلكت أبطالكم فدونكم والقوم والا غضبت عليكم النار فيها وخلصوا شيخ النار من أيدى هؤلاء الاشرار وما بى الا أنكم تعايرون بذا فى سائر الأقطار ولا يبقى لكم عند أحد قيمة ولا مقدار وتكون المسلمين قد قتلوا منكم خلق كثير وبلغوا مرادهم ورجعوا سالمين إلى بلادهم (قال الراوى) فلما سمعوا القوم ذلك الكلام من الشيخ أبى الشرشومدرس عمل فى قلوبهم عملا عظيما وحملوا بالقنطاريات الخلنجيه والسيوف الأفرنجيه وطلبوا باب ذلك السرداب وقد كثر بينهم الزعاق وقامت الدنيا على قدم وساق وأشهرت السيوف الرقاق ثم التقت الرجال بالرجال وبادرت الموت بصدورها وحارت الاندال فى أمورها وكثر المدد وزاد على المسلمين العدد وتوكلوا على الرب الذى يعبد ووقف الامير ضيغم ومعه ثلاثة من بنى كلاب على باب السرداب ومنعوا باقى الروم من الدخول وقد صدوهم عن النزول وصبروا على ضرب البتار وحملت الاخيار واتكلوا على الملك الجبار الذى يعلم خفيات الاسرار ولم تكن الا ساعــــة حتى ملكوا الروم باب السرداب وقتل واحد من أصحاب ضيغم وهجمت البطارقه ورأوا المسلمين فلما رأوا ذلك الموحدين بذلوا نفوسهم فى سبيل الله وطلبوا الخروج وقد علموا أن الروم قد ملكوا عليهم باب السرداب وانهم ان ملكوهم أهلكوهم فالتقوهم بالصدور وصاحوا فيهم باسم الملك الغفور وقصدوا بالسيوف إلى المقاتل والنحور وظلت الدماء من الأوداج تفور فلله در اللملمان لقد فتكت مضاربه فى عبدة النيران وتحامت معه الفرسان من بنى كلاب حتى تحاموا وكشفوا الباب وأخرجوا الروم من السرداب فرأوا العدد كثيرا جعلوا يقاتلون والى نحو الحصن يطلبون ورأى عقبة ومن معه من البطارقة العذاب قد خف عنهم فصاحوا ياريلكم أخرجوا بنا نطلب أصحابنا فهذا خلاص لم يكن لنا الحساب وما كنا إلا أشرفنا على الذهاب فلما سمعوا الروم منه ذلك خرجوا يطلبون باب السرداب ومن ورائهم ذات الهمة والأمير عبد الوهاب يرمون الجماجم وينثرون الرقاب والدماء تقطر من سيوفهم كقطر السحاب حتى أخرجوا الروم بعد ماقتل منهم جماعة عند ازدحامهم فى الباب وقد خرج الملعــــون عقبة وهو لايصدق بالنجاة وعادت الأميرة والأمير عبد الوهاب إلى الحصن فلما صاروا فيه قالت يابنى الزم أنت هذا المكان حتى نأمن لايعود يطلع علينا منه أحد لامن الانس لى لامن الجن فانى أريد أخرج إلى معاونة الاخوان فقال الامير افعلى ما بدالك فالله تعالى يبلغك آمالك (قال الراوى) فعند ذلك خرجت الاميره ذات الهمه واذا باللملمان وأبو محمد البطال ومذبحون قد نزلوا من باب الحصن وقد قتل من أبطالهم بطلين وكان أحدهم نور النور الذى أسلم وهو

ابن الملك فمات شهيدا ووصل إلى ربه سعيدا وحملت أخته وعملت فى ذلك اليوم عملا ترضى الجبار ويعجز عنه الجبابره الفجار وذكر عنها انها ما حملت فى جمع الا فرقته ولا على عدو الا وتحققته وان الاميره لما خرجت من الحصن ورأتهم فى ذلك الحال وقد دارت بهم الابطال ومنعوهم من الوصول إلى باب الحصن وهم فى الهـــول المهول فحملت على الروم محسامها فعند ذلك كردستهم بهمتها وهمراتها وقد جعلت تجزر الابطال جزرا وتنهب الاعمـــار وتقتل الاقيال خمسا خمسا وعشرا عشرا حتى كشف الكفرة عن اللملمان وأصحابه قوة وقهرا وردتهم على أعقابهم وهم فى أمورهم خسرا (قال الراوى) وقد عادوا إلى الحصن باكين على نور النور وعلى أصحابهم الذين فقدوا فى ذلك اليوم هذا وبنت الملك تقول معلوم ان هذا سبيل ولا بد منه ولا محيد عنه ومامات أخى الا فى طاعة الله الذى هدانا إلى الإيمان ونجانا من عبادة النيران وقد عوضه الله طيبات الجنان ومجاورة محمد سيد ولد عدنان فقال الأمير أبو محمد لله درك فهذا هو الاعتقاد ولا شك اننا كلنا به لاحقون واليه صائرون فقال له عبد الوهاب أقول والله أعلم ان آجالنا هاهنا قد حضرت وعلينا فى هذا المكان قد قضيت وان كان ذلك فما نموت إلا كرام فى طاعة الملك العلام الذى قضى على الخلق بالحمام (قال الراوى) فهذا جرى ها هنا وأما ماكان من عقبة فانه لما رجع إلى الروم شكرهم على فعلهم كيف خلصوه من السرداب فقال شومدرس أنا أعلم انك ما تبرح حتى انك تلقى الروم فى المهالك وشر الارتباك وفى أضيق المسالك ولكن أقبل منى واطلب بنا الهرب قبل ان يحل لنا العطب (قال) فضحك عقبة حتى ظهرت أنيابه وقال هذا قولك ياشيخ النصرانية ولكن أناأرجوامن المسيح انى ماأموت وقد بقى نعدى أحداً من المسلمين لأننى قد قرأت ذلك فى الكتب القديمة فقال شومدرس أنا أعلم انك لاتزال فى لجاجك حتى تضرب رقبتك وانى لولا جاءت الروم وصحت فيهم لما كنت خلصت من السرداب وكنت قد أكلتك الكلاب ولولا لطف المسيح مانجا أحدا من الاصحاب فقالوا البطارقه الذين كانوا قد دخلوا مع عقبه وسلموا وحق النار أن هؤلاء القوم المسلمين بعد ماملكوا هذاالحصن مابقوا يبالون بكل من على وجه الأرض وما لنا أصوب من الرحيـــل إلى أوطاننا فقد قتلت ملوكنا وفرساننا (قال) عقبه ياقوم اعلموا ان عند أرباب العقول والبصائر يقولون النار ولا العار وكيف تسمع الناس انكم فى هذا الجمع العظيم وقد عجزتم عن عشرة أنفس من المسلمين ورجعتم عنهم خاسرين بعد أن قتلوا رجالكم وأفنوا أبطالكم ولكنى أكتب إلى سائر الاقاليم وأجلب الروم من أقصى البلاد ولا أبرح حتى أبلغ منهم ماأريد وأكتب

إلى الملك أرمانوس وأعلمه أن أبطال المسلمين قد حصلوا عندنا وهم محاصرين فهو يأتى بالعساكر من جميع البلاد ومن القسطنطونيه ويبلغنا منهم غاية الأمنيه ولابدما ننفذ اليه رسول حتى ابلغ غاية المأمول فقال له شومدرس أنا أسير بالكتب وأرسل اليكم كل من فى القسطنطونيه حتى انك تبلغ منهم الامنيه قال فشكره عقبه على ذلك وقال له وحق المسيح أن فعلت ذلك لم أجد اك على طول الدهر مكافأه فقال شومدرس اكتب انت الكتب وانظر العجب (قال الراوى) فعندذلك كتب الملعون عقبه كتاب إلى الملك ارمانوس يشرح فيه جميع ما جرى ويعلمه باخبار الامـــراء وبالمسير من كل بد وسبب وقد سلم الكتب الى شومدرس فاخذها وسار من وقته وساعته وهو يقول لاكتب المسيح عليك سلامه ياعقبه ولا كتب علىّ سلامه إن رجعت اليك فلا رحمك المسيح فمن وقت رأيتك ما رأيت خير ثم انه سار طالب القسطنطونية فهذا ماجرى هاهنا وأماما كان من الامير عبد الوهاب فانه بات ضيق الصدر متفكر فى نفسه كيف يكون حاله وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله والله لقد حرنا فى أمرنا لا ندرى كيف يكون حالنا وأنا نخاف من عقبه لا ينفر الينا الأمم ونخشا على أنفسنا ونحن فى وسط هذا المكان الذى نحن فيه محصورين (قال الراوى) ثم انه التفت إلى المسلمين وقال لهم قد اشتهيت أن أنفذ رسول إلىّ يأنس المتعزب لعله أن يطير من عنده طير إلى ملطيه وينفذ إلى عساكر المسلمين وجيوش الموحدين فقالت الاميرة ذات الهمة والله يا بنى مالهذا الامر الا الامير أبو محمد البطال لأنه فيه القدره أن يخوض عساكر المشركين والكفار ولا يشعر به أحد لاليل ولا نهـــار فقال أبو محمد افعلوا ما بدالكم فانى أخاطر بروحى فى رضاكم وأتسبب فى الخلاص ففرح الامـير عبد الوهاب بكلامه وعلم أنه كفوًا لما قال فكتب بخط يده إلى بنى كلاب والامراء والاصحاب والسودان الانجاب وطوى الكتب وناول الكتب لابو محمد البطال فأخذها وركب على رهوان من الخيل يتدفق مثل السيل وسار حتى عبر عسكر الكفار وجعل يجد فى السير حتى أصبح عند مرج نياح نزل الامير أبو محمد البطال هنالك وكان الملعون شومدرس قد فاته بلحظه فتوضأ وصلى صلاة الصبح وقد أكل من الزاد وأخذ معه قليلا من الماء وركب وسار طول النهار حتى هجم علية الليل وهو سائر لاينزل إلا وقت الصلاة فلما كان نصف الليل نظر إلى شيخ يلوح قدامه وقد لعلع من فرحه بصوته وأمامه وهو ينشد ويقول

يانفس سيرى واظهرى التجلد ☼ واتركى الاسود كيما تسعدى
وذلهمة لا تقربيهــا ترشدي ☼ ويعدها القواد أبو محمـــد

وباعدى عن أرضهم وابعدى ٭ وثورى الجيرش ثم احشدى

(قال الراوى) فلما سمع الامير أبو محمد هذا المقال تبين الشخص فى الظلام وأذابه شومدرس والنغمه نغمته والصوره صورته فتقدم اليه حتى أنه قاربه والليل قد ستره بغياهبه ورفع البطال صوته وشرع فى كلامه وأنشد يقول

يانفس جدى فى المسير واجهدى ٭ واندرى الاسلام جمعا واحشدى
وان لقيتى فى الطريق الفدفدى ٭ شومدرس القرد فلا تفندى
واقطعى قفاه ثم جودى ٭ بالصفع والعرك عساكى تسعدى
انى أنا البطال عنبر منكدى ٭ اسمى بين الخلق أبو محمدى

(قال الراوى) وهمز فرسه حتى قاربه ولا صفقه وتعلق برقبته وجزبه أنزله من على ظهر برذونه وقبض بيده الشمال على لحيته وجعل ينزل باليد اليمين على قمته فمات شومدس فى جلده وقال ياشيطان ممن جئت من السماء نزلت أو من الارض طلعت فقال أبو محمد البطال اسكت فما عليك باس أكثر من الصفع بالمداس وأحملك الى بلاد الاسلام بالكليه ثم انى أصلبك على باب ملطيه أرنى الآن الكتب تى معك من عقبه فانا أعلم أنك ماضى برسالته إلى القسطنطينية لتنفذ الملك ارمانوس فقال شومدرس صدقت وهذا الكتاب فلا ستر المسيح عليك ولا على عقبه ولا على ارمانوس ولا على زمان قد رأينا فيه طلعتك وطلعة الشيخ النجيح ثم أخذ أبو محمد منه الكتب وشده على جواده شدا وثيقا حتى وصل إلى حصن يانس المتعرب واستأذن عليه وحضر بين يديه فلما نظر إليه يانس وثب اليه وجعل يعانقه ويبوس عارضيه ويقول ياأبو محمد وانت فى عدد الاحياء والله لقد ضاقت على بفقدكم الدنيا فشكره أبو محمد على ذلك وقال له أنت تعلم انى كنت مطلوب لأجل قتلى لأولاد عقبة وكتب الخليفة الكتب من أجلى فسبقنى الخبر إلى سائر الامصار وجعلت أخفى أمرى بركوبى فى البحر حتى سرت أنا وولدى فى جزيرة النار فاجتمعت بالأمير عبد الوهاب فى تلك الديار وجرى علينا من الشدائد مالا يصفه لسان حتى أن وصلت إلينا الأميرة ذات الهمة والللمان ومعها جماعة من الفرسان والشجعان وأسلمت أبنة الملك وابنه ثم جعل يحدثه بما جرى عليهم من الشدائد والأهوال وكيف لحقتهم العساكر وضيقوا عليهم فى الدير ثم قال وقد سرت إليك بهذه الكتب من الأمير عبد الوهاب حتى إنك توصلهم إلى ملطيه على أجنحة الطيور لاجل ما تنفر السودان وبنى كلاب ويجتمعون إلى هنا ويسيرون إلى لقاء الأحباب وقد وقعت فى طريق بهذا الشيخ المرتاب الملعون الكذاب ومعه من عقبة هذا هذا الكتاب ثم أنه أعرض عليه الكتاب ففرح يانس

بذلك فرحا شديدا وقال والله يا أبا محمد لقد جرى بعدكم حديث ما سمع بمثله أحد لأن الأمير عبد الوهاب وعاصف بن رعد انقطع خبرهما ولا تسأل ما جرى على الأميرة ذات الهمة وعلى قلبها من فقد الأمير حتى أبصرته فى المنام ولحقته بالرجال الكرام فقال أبو محمد دعنى من هذا الكلام فقد علقت قلبى بالحديث الذى جرى من بعدنا وأريدك أن تحدثنى به فقال له يا نس اعلم يا أبا محمد أن العجوز اللعينة الكافرة المهينة عاقبة أخت عقبة كانت مقيمة فى السرداب فارسل الامير عمرو بن عبيد الله إلى الخليفة ان يامر الامير ظالم أن يخرجها من السرداب ففعل ذلك وتوصل إلى ملطية وسكنت عند عمرو بن عبيد الله ولم تزل تجتهد فى الخبث والمكر وتوصل الكلاب وترمى بين السودان حتى أوقعت بينهم لانهم بقوا بلا مقدم فتفرقوا وأخذ منهم ميمون الجماس خمسة آلاف أسود ومضى إلى آمد وبعد مضيه فقد الامير ظالم ابن الامير عبد الوهاب وقالوا بنى كلاب ما غيبه إلا الأمير عمرو بن عبيد الله وبنى سليم ولم يزالوا فى ملاحه حتى وقع السيف بينهم وسكبت الدما وكتب صاحب الخبر كتاب إلى الخليفة هذا والشر ثائر بينهم فعاد الجواب من الخليفة بوعد بالتهديد والوعيد للطائفتين وقد أمرهم أن يصطلحوا (قال) فاصطلحوا على فساد قال ورحلت بنو كلاب إلى قلعة المنجنيق وتركوا أموالهم فى القلاع وكتبت عاقبة إلى ملك الروم تخبره بما جرى من الوقائع ثم أعلمته على أن ملطية ما فيها من يدافع ولا يمانع ثم أمرته ان يخرج إلى بلاد الاسلام فلما أن وصل إلى كتابها إلى ملك الروم قال ان كان الشيخ النجيح قد مضى فهذه أخته عاقبة قد أرسلها المسيح إلينا وقد أخلفت أخاها (قال الراوى) ثم أنه جمع العساكر كلها والجحافل فى أيام قلائل وسار يطلب ملطية فى ألف ألف بطريق هذا والأمير عمرو بن عبيد الله غافل عن ذلك فلم يشعر إلا والصلبان قد هتفت والعساكر قد وصلت مثل البحار إذا اندفعت فعظم الأمر على الأمير عمرو بن عبيد الله وخرج فى بنى سليم يحامى عن الثغور ما كاتب الخليفة يعلمه بما جرى فقامت النار فى بغداد (قال) وشرع الخليفة فى جمع العساكر والاجناد وأما عمرو بن عبيد الله فانه أول ماقاتل عساكر الروم هو هو بنى سليم إلى وقت العصر وانكسر والأجل كثرة العدد هذا وقد ازدحموا فى الأبواب فهلك منهم خلق كثير (قال الراوى) هذا وقد نصب ملك الروم الفرادات والمناجيق ودام القتال فى ألف ألف بطريق وكتب الأمير عمرو إلى القلاع يستنجد ببنى كلاب على هذه البليه (قال) فما أجابوه بل قالوا له نحن ما ننصرك حتى ترد علينا الأمير ظالم قال فعندها أيس الأمير عمرو من الحياه ثم أن الروم أطبقت عليه من كل جانب ودام القتال عليهم ثلاثة أيام فى اليوم الرابع هدمت حجارة المناجيق

الصور والابرج واندفقت قبائل الروم من كل جانب كانها البحر العجاج وعظم الصياح والأنزعاج وصار النهار مثل الليل الداج وهتكت البغاة هتكا وسفكت الدماء سفكا ولما دخل الملك إلى ملطية أحضر عاقبة وأكرمها ورفع قدرها وعظمها فقالت أنا ماأريد منك أيها الملك هذا التعظيم لأنى أريد أعيش بالناموس عند المسلمين ولا بدما أوريك أشياء ما يحسن أخى يعملها فقال الملك على كل حال نحن ننتظر أخاك فان ظهر له خبر وإلا أن تكونى انتى عوضه عند المسيح وعوضا عن الشيخ النجيح فقالت إذا كان الأمر على ذلك فامر الساعة بعض البطارقة ان يركبنى على جمل ويدور بى فى الاسواق وفى جميع الحارات حتى يبلغ خبرى إلى الخليفة وقل للبطريق يصفعنى صفعا رفيقا حتى ان الذى يرانى من المسلمين يرق لحالى ويبلغ المعتصم ذلك فيرتفع قدرى عنده وأعمل على هلاكه وأسلم إليك آمد وكلما فيها وبعد ذلك أسلم إليك ابن عبد الوهاب لأنه عندى فى مطموره تحت الارض وقد أخذته بحيلة عليه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان هذه الملعونة مضت إلى ظالم لما ان أطلقها وبكت بين يديه وقالت له يا ولدى لقد كنت أظنكم تظلمون أخى عقبة حتى رأيت الليلة حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم وهو يقول لى ان أخاكى نصرانى كافر وأخبرنى الى الأمير أبو محمد البطال وأبوك الأمير عبد الوهاب وستك الأميرة ذات الهمة ناصرين دين الإسلام ومقيمين شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وان أخى عقبة عمل عليهم وحصلهم فى مكان فى مطموره فى بيته وان كنت تريد تعلم ذلك فتعالى معى الى البيت وتحلف لى بالمصحف انك لا تمكن أحدا يؤذينى ولا يتحرش بى وأنا أدلك عليهم (قال الراوى) فمن حرقة ظالم على أبيه مضى معها إلى ماذكرت له وكان الوقت نصف الليل وليس معه أحد من الناس فلما دخل إلى دارها أجلسته على فرش فلما استقر به الجلوس انخسف به المكان وخرجت عليه عشرة من النصارى من أهل البلد وفى أيديهم السيوف فجرحوه فى ثلاثة مواضع ثم انهم كتفوه وتركوه فى مطموره (قال الراوى) فلما أخذا ملك الروم البلد سلمته اليه فأخذه فى جملة الأمراء المأسورين ونهب كلما كان فى البلد من الأموال وربط الرجال بالحبال وحرث ملطيه بالمحاريث حتى ماكانها كانت يوما قط بل بقيت قفرا خراب بلا صور ولا باب ورجع إلى القسطنطونية وقد بلغ الخبر الى الخليفة فبكى على ماحل بالإسلام ثم انه قال لعن الله عقبة فهو كان السبب فى هلاك الأمير عبد الوهاب والسودان الأنجاب وبنى كلاب فلو كانوا حاضرين كان الله تعالى قد أزال بهم غمى (قال الراوى) وكان ملك الروم أخذ عاقبة معه أسيرة (قال الراوى) وان الأمير أبو محمد البطال لما سمع هذا الكلام من يانس المتعزب أيس من أهله ثم فاضت عيناه بالدموع وبكى على ماحل بالمسلمين

وصار مفجوع وأمر يانس فكتب الكتب من يومه وعلقها على أجنحة الطيور إلى القلاع والثغور يأمر السودان وبنى كلاب بالحضور ويبشرهم بخبر ظهور الأمير عبد الوهاب ومن معـــه من الأصحاب وأقام البطال ينتظر قدوم العساكر وإذا بالخبر قد وصل اليه ان ملك الروم قد خرج من القسطنطونية فى سائر عساكره وجنوده وما ندرى إلى أين أقصد (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان عقبة الملعون بعد مسير شومدرس اللعين إلى القسطنطونية جعل يحرض الروم وعبدة النار على القتال ويحثهم على هلاك الأمراء والأبطال ويقول لهم الساعة يأتيكم الملك وأنا أريد ان يكون لكم الفتح والنصر دون غيركم حتى تشكرونى على ذلك ولم يزال على مثل هذا حتى أصبح الصباح وزحفت الروم إلى الحصن وخرجت الأمراء من الدير إلى قتالهم قريبا من الباب وجعل عقبه ينظر الى الامراء ويتفقدهم فلم ينظر الى الأمير أبو محمد البطال معهم فقال مالى لا أرى الى الداهية العظمى فقالوا انه الروم لعله يكون قتل فقال لا وحق المسيح لا قتل ولا جندل لأنى أعلم ان الموت يهرب منه ولا يدنو اليه وانه ما غاب الا وقد مضى يأتينا بعساكر المسلمين فقالت البطارقة ياشيخ النار نحن عندنا عشرة قد أفنونا فكيف يكون حالنا إذا أتت عساكر المسلمين الينا ثم يدهمنا أبطال الموحدين وقصدوا إلى قتالنا وحربنا ونزالنا فقال عقبة أيها القوم لا تفزعون فكأنكم بالأمم وقد نزلت بكم والعساكر وقد قدمت عليكم وان صدقنى حذرى وكان أبو محمد مضى فما يفوته شومدرس ولا بد مايلحقه ثم يأخذه لأنى اعلم انه مايحترز لنفسه والكتب التى كتبناها معه ضاعت ثم انه كتب غيرها الى ملك الروم فى أثر شومدرس وأرسلها مع بعض البطارقة فلما ان وصلت إلى مدينة ملك الروم التى هى القسطنطونيه وسمع الملك ارمانوس مافى الكتب رحل فى ألف ألف كما ذكرنا وسار يطلب عقبه وسمع البطال الى ذلك فأقام ينتظر عساكر الإسلام وقد أنفذ الجواسيس فى أثر عساكر الكفار كى يأتونه بالأخبار إلى أين يقصد الملك من الديار هذا وارمانوس قد صار يقطع القفار ويوصل سير الليل بسير النهار إلى أن أشرف على الجبل الذى فيه الأمراء الأبرار فوجدهم مع عقبة فى النار الموقدة من الحصار وكان عقبة ضبط القوم المحوس وجعل يمنيهم بقدوم ارمانوس والا كانوا رجعوا إلى بلادهم ولما أشرف ملك الروم كان عقبة على مقالى النار حتى نظر الى العسكر والعلم الأخضر والصليب الجوهر ففرح بذلك الفرح الشديد وقال لأصحابه هذا وحق المسيح هو الملك ارمانوس واليوم ترون مايحل بهؤلاء المسلمين (قال الراوى) فلما ان سمعت عبدة النار كلامه قالوا وحق النار ماهذا الشيخ الا عظيم القدر عند ملك الروم ولم تكن الاساعة

حتى وصل ارمانوس والتقى بعقبة فى وجوه البطارقة الذين عنده وضربت له الخيام ونصبت الأعلام ونزل الملك فى السرادق الأعظم وجاس عقبة بين يديه وجعل يقص حديث المسلمين عليه وقال ماجرى لأحد مثل ماجرى علينا فى هذه السفرة من العجائب والغرائب التى تصلح أن تسمعها أرباب العقول والألباب ويسطر فى دفتر وكتاب ثم جعل يحدث ارمانوس وهو يتعجب ويصلب على وجهه فلما فرغ عقبه من حديثه حدثه الملك بما جرى على ملطيه وكيف أنه أخربها وسبى كل من فيها وتركهم فى مدينة القسطنطونية ثم أنه قال وجميع ذلك من تدبير أختك عاقبه وهى التى عملت على ظالم وسلمته الى فلما سمع عقبه ذلك باس الأرض وقال الشكر للسيح على ذلك وعلى ما أولانى وشد ظهرى بهذه الاخت الصالحه فى آخر زمانى (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الامراء فانهم لما أشرفت عليهم هذه العساكر ورأوا ما قد نزل عليهم من هذه المواكب والعساكر صعب ذلك عليهم وقال الامير عبد الوهاب لقد صدق الامير أبو محمد فى قوله أن عقبه يكتب إلى ملك الروم يأتينا فى عساكره وينزل علينا فى عشائره وهذا والله هو الهلاك بعينه فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وما أتى ملك الروم الا لأجلنا فى هذه العساكر العظيمه وترك بلاده خالية إلا وهو آمن من المسلمين وقد حدث بعدنا أمور لا ندرى ما هى وان كان الأمر على ذلك فيكون قد تشتتوا بنى كلاب والسودان والاصحاب ولكن الامر إلى الله تعالى يفعل ما يريد فقالت الاميره على كل حال لا اعتراض عليه فى أحكامه (قال الراوى) وأقام الملك بقية يومه يسمع الحديث من عقبه وما جرى له مع الامير وهو يصلب على وجهه ثم يتعجب من ذلك ثم قال له أيها الملك ما فعل الدهر بالراهب شومدرس فقال أيها الشيخ النجيح ليس لى علم به من سنين عدة فعلم عقبة أن البطال أخذه من الطريق ثم بات الملك وهو فرحان مسرور حتى أصبح الصباح وأمر نقباء عساكره أن تدعى بالنقابين الذين فى عسكره وكان فى ديوانه ثمانية آلاف نقاب فلما أن حضروا بين يديه قال لهم أريد أن تنقبوا إلى هذا الحصن وترموه حتى يبقى لى بذلك الذكر المفتخر كما بقى للملك الاسكندر ولا يبقى أحدا فى زمانى يتحصن فى حصن ولا جبل فقال له واحد منهم يقال له منكلان ويلقب بخراب وتحت يده ألف نقاب أيها الملك أنا أرمى لك الحصن والجبل فى ثلاثة أيام وأسلم اليك المسلمين فى أسوأ حال فعندها خلع الملك عليه ووعده بكل جميل وهم أن يزحف فقال له عقبة أيها الملك ارسل اليهم قبل ذلك رسول لعلهم أن يسلمون أنفسهم مادام رأوا كثرة العساكر فقال الملك ارسل أنت اليهم أيها الشيخ النجيح بما جرى (قال الراوى) فعندها كتب عقبه فى الكتاب كلمة

الكفر ونحن نقول لا إله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول اعلموا يامعاشر الامراء اننى أنا الذى كتبت إلى الملك وجلبته إلى هذا الاقليم والساعة فما بقى لكم من هذا المكان خلاص وقد سمعت من الملك أيمان عظيمة انه اذا أخذكم لا بد له ما يسلخ جلودكم ويحشوها تبن وأنا فقد رق قلبي عليكم فسلموا أنفسكم من غير قتال حتى آمر الملك أن يبقيكم وأجعل بينى وبينكم يدا بيضاء والسلام ثم انه أرسل الكتاب إلى الامير عبد الوهاب فسار به الرسول حتى وصل إليهم فرآهم وقرأه عليهم فسمعوه عن آخره فقال الامير عبد الوهاب والله ما فعل بنا هذه الفعال وطلب منا أن نسلم أنفسنا من غير قتال الا حتى لا يقتل من الروم أحدا ولا يخرب مثل هذا الدير فى هذه البلد وما هى شفقه منه علينا والله ان من دون تسليم نفوسنا ضربا يشيب الاطفال ومن دون خراب الحصن طعنا يقمع الرجال (قال الراوى) وما استتم الامير هذا الكلام حتى وثب اللملمان وخطف الحسام وضرب رأس الرسول فطيرها أوفى من سبعة أذرع فقال الامير لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قتلت الرسول وما عليه قتل (قال) فتبسم اللملمان وأخذ الرأس وحذفها إلى عسكر الروم فقامت على الملك القيامة وكادت أن تنفطر مرارته وأيضا مرارة عقبه وولولت طوائف الروم وقال الملك ارمانوس ما أراهم يحترمون الرسول وهذا يدل أن ما عندهم منا فزع ولكن وحق المسيح لاقطعنهم قطع ولا خليت منهم من يسلم ولا من يرجع فقال عقبه يامالك أنا مافعلت ذلك الا قلت اننا نأخذهم بلا تعب ولا نهلك أحدا من أمة عيسى ومادام انهم فعلوا هذه الفعال ما بقى غير القتال فازحف أيها الملك عليهم حتى يشتفى فؤادى منهم فعند ذلك أمر الملك النقباء فنادت فى العساكر بالقتال ودقت النواقيس وصاح كل راهب وقسيس ورفعت الاعلام وجعلوا يزحفون إلى قدام وطلعوا الى الجبل من كل جانب وقد دبوا دبيب النمل والعقارب إلى أن حصلوا من حول القلعة والدير وقالوا ان كانوا قد قالوا انهم ما يسلمون أنفسهم فها نحن ما نأخذهم الا بالسيف ثم صاحت الأبطال وزمجرت الاقيال ونادى الأمير عبد الوهاب فى أصحابه لا تخرجوا فى هذه الساعة اليهم بل قاتلوهم من فوق الجدران واحموا موضعكم حتى تنكسر حدتهم ثم افعلوا بعد ذلك ما بدالكم واعلموا ان الله اليكم ناظر وعلى خلاصكم أن يشاء قادر لأننا كيف ما انقلبنا كنا رابحين ان خلصنا فلله المنه والفضل وان قتلنا فى سبيل الله عوضنا بالجنة ولكن اصبروا للقتال هذه الساعة ففيها تبان الشجاعة (قال الراوى) فقال اللملمان أيها الأمير كلما تأمرنا به نجيب أمرك

بالسمع والطاعة إلا فى هذه الساعة فاننا لانقعد محصورين ولا بد من الخروج والجهاد فى طاعة رب العباد ثم نزل مسروراً مسرعا مثل البرق وفتح الباب وخرج يطلب الضراب وتبادرت خلفه الرجال الانجاب وكانوا رجال وأى رجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما خدام فى طاعة الملك العلام تقدمهم امرأة عامرية صابرة على الاحكام ضربوية بالحسام وأرموا أنفسهم على الرجال (قال الراوى) فوالله ما كانت إلا ساعة حتى رأيت الرؤس طائرة وأسنة الرماح إلى القوم متبادرة والدماء من الاوداج فايرة والخيل بركابها غايرة وكان يوما كأنه من أيام الآخرة وجدعت فيه الانوف وطير فيه القحوف وتثلمت السيوف هذا وقد رأيت الرمح العالى مقصوف والرجال الشجعان كل واحد منهم ملهوف والمسلمين يحملون على الالوف ويسقوهم شراب الحتوف حتى تزلزل الجبل واشتد الوجل وقد زاد العمل وقل المهل وطارت القمم وهلكت الامم وأسود الاكم وجار السيف لما حكم وزعق ضيغم وهجم مثل الاسد فولت الروم راجعين منهزمين نازلين من الجبل خائبون منادون الامان الفرار الفرار من هذه الاسود الجياع وحق المسيح ما ضربوا أحدا مناقط الا وأنقلب فلا جعل المسيح فيهم بركة فلقد سقونا شراب الهلكة (قال) فعظم ذلك على الملك ارمانوس وصلب على وجهه وقال ياويلكم فما هم غير اثنى عشر فارس وهذه فعالهم بكم فقالوا أيها الملك استكفى من المسيح البلاء ولا تتجرأ على القضاء فما عند المعافى ما عند المبتلى وأسد واحد فى الغابة يحميها ويهيج على عساكر ولو كانوا ألف ألف وكل واحد من هؤلاء القوم يقول أنه عشرين أسد وأنت تعلم أنهم كذلك وأنهم أشد من السباع احتلاسا وأثبت أساسا لاسيما هؤلاء السودان وهذا القرنان الململمان والامير عبد الوهاب وأنت أعرف به على طول الزمان ولا تنسى ضيغم الذى هو فى صورة شيطان وأخاه قشعم الذى يقتنص السباع من الصحصحان وسته ذات الهمة التى توصف أفعالها بكل لسان ولا توزن أعمالها بميزان فاعذرنا على ما لقينا منهم اليوم من القتال وان كنت تحقر أمرهم فتولاهم أنت بنفسك ساعة من النهار حتى أنه يتبين لك الربح من الخسران قال فغضب الملك من كلامه وقال ياويلكم صحيح أنهم أبطال أقيال انجاد شداد ولكن نحن قوم قدملينا الفضاء وسدينا المستوى فكيف نترك الاعداء على قلتهم يخلصون منا فقالوا صدقت أيها الملك وذلك مالا يكون أبدا إلا أنهم ماهم معنا على الارض ولكنهم على الجبل هذا ماينزلون الينا وان صعدنا نحن اليهم فيوقعون الذل فينا ويسقونا شراب الاجل ويبلغون منا الامل فقال لهم الملك إذا كان الامر على ذلك فأنا آمر النقابين فى غداة غد أن ينقبون وخمسة آلاف من الارمن

بالنشاب يرمون و نأخذهم أخذا بالكف ولا أحوجكم الى قتال فقالوا اما أمر النقابين فهذا هو الصواب ثم أمرهم بذلك فقالوا ان أمرت أيها الملك فنحن نغتنم غفلتهم الليلة و ننقب من أول الليل حتى لا تمضى الليلة والنهار إلا وقد صرنا معهم فى داخل الاصوار فقال الملك افعلوا ما بدالكم و تأهبوا الى عمل أشغالهم إنه ثم نزل فى سرادقه وقد دارت به خواصه وبطارقته وطلعت النقابين وفى يد كل واحد منهم منقب ومعول وقد تسلموا الارمن الجبل فلما أصبح الصباح كانوا قد قاربوا الحصن ولاصقوا الاصوار وأنفذوا أعلموا الملك بذلك ففرح بأفعالهم وقال وحق المسيح ما تبا تون الليلة إلا داخل الاصوار ولكن لابد لنا نحن اليوم من القتال حتى لا يقولوا اننا فزعنا مما جرى فى اليوم الاول ثم نادى فى العساكر فزحفت وطلبت الحصن وقد أصطفت الرماة من كل جانب فما قدر أحد من المسلمين أن يشرف لأنهم تعابا من ضرب الحسام لأنهم مجرحين وما عندهم من أمر النقابين خبر لأن الاقدار تجرى والأحكام تنطرى والمدبر يدبر (قال) ياساده يا كرام وكان الملك قد أوصى سائر الملوك وسائر البطارقة أن لا يشدون على المسلمين قتال بل قال لهم دوروا بهم بالنشاب ولا تتركوهم يطلون حتى لا يفطنون بالنقب وإذا كان فى غداة غد شدوا عليهم فى القتال لعلهم أن يخرجون اليكم ويبقى الحصن خالى منهم ويكون النقب قد بلغ حده فتدخلون اليهم وتملكونه منهم وأنا أعلم انهم إذا استراحوا اليوم يخرجوا فى غداة غد إلى قتالنا فأجابوا بالسمع والطاعة وقاتلوا ذلك اليوم الى آخر النهار وقد خرجوا الامراء يطلبون الفرج من شدة الحصار ولم يزالوا حتى دفعوا الروم عن الباب وصبروا على الطعان والضراب واستغاثوا الى الملك الوهاب مسبب الاسباب ومن إذا دعى أجاب وعادوا إلى الحصن عند المساء وقد قل منهم الجلد وباتت الروم لهم محاصرين وهم لله تعالى شاكرين وعلى قضائه صابرين ومنهم من بات وهو مجروح ومنهم من هو على الارض مطروح هذا وعقبة يقول للملك إذا كان فى غداة غد أؤمر العساكر أن تزحف اليهم فان خرجوا إلى القتال دخلت البطارقة من النقب وملكوا منهم المكان وان لم يخرجوا للقتال فانصب السلالم على الابراج لانها خمسة وعشرون برج وان المسلمين دون العشرين رجل وأكثر الابراج تبقى خالية بلا من يحميها ولا سيما وقد باتوا الليله وأكثرهم لا يقدرون على القيام من شدة الجراح (ياساده) هذا جرى ههنا وأما الأمير عبد الوهاب فانه صلى العشاء الآخرة وأقبل على أصحابه وقال لهم معلوم ان الامر قد ضاق علينا ونحن هالكون لا محاله والله ما فى قلبى حسرة إلا خلاص عقبه وكيف انفلت من أيدينا وما اشتفينا منه قبل هلاكنا وما بنا إلا يشتفى هو منا ويقول هاقد أخذتكم وبطلت قول نبيكم فقال مذبحون أن

أنت أذنت لى فأنا آتيك به الليله وحق شيبه قبلها المصطفى فقال له الأمير لله درك يابنى أخلف أباك عند غيبته ورأينا ماقد اقترحت من حيلته فقام مذبحون على قدميه وأخذ لؤلؤ معه ولبس هو واياه من ثياب الرهبان التى كانوا فى الحصن وقال لعل أن يتم لنا مانريد من الأمور ثم انهم خرجوا طالبوا العسكر وقد اختلطوا بهم وخرج بعدهم الغلمان ووقف قريب من الصور لعل أن يتم لهم الأمور ثم انهما خرجا واختلط بعساكر عبدة الصلبان وكان قد أوصاهم الأمير عبدالوهاب وقال اجعلوا بالكم من أحوال الصور لا يكون هؤلاء الملاعين أن ينقبوا علينا وما عندنا خبر هذا ولؤلؤ ومذبحون قد اخترقا عساكر الروم حتى وصلوا إلى السرداق الأعظم فوجد الملك جالس على سريره والشمع يقيد بين يديه وعقبه الى جانبه وهو يقول له ابشر أيها الملك بأن النقب قد وصل وفى غداة غد تأخذهم أن أصبحوا القوم سالمين لأننى قد سمعت من مقدم النقابين أن برج الزاوية قبل الصباح يقع عليهم فقال الملك وحق المسيح أننى أشتهى أن اتصبر حتى يتم الأمر وأقوم أبصر الجبل وهو ينقلب عليهم فقال عقبه لامانك المسيح بهذه الحصره قوم بنا الساعة اليهم ونحن متنكرين حتى نصعد ونشتفى عند النقب من غير أن يعلم بنا أحد من العسكر ولا يفطنون بما نريد أن يجرى عليهم العذاب فقال الملك هذا هو الصواب ثم أوصى من عنده من الخواص والحجاب لا يعلمون أحدا بحالهم ثم تنكر وخرج هو وعقبه وساروا طالبين الجبل ولؤلؤ ومذبحون قد سمعوا حديثهم ورأوا فعالهم وساروا فى أثرهم طالبين لحف الجبل وعقبة يقول أيها الملك ما اشتهيت إلا أن يكون معهم أبو محمد البطال فقال الملك وإلا أين هو أبو محمد ماهو فى الحصن فقال له لا ياملك قد افتقدناه فما وجدناه ولا له بينهم خبر ولا شك أن القوم أنفذوه يأتيهم بعساكر المسلمين فلا كتب المسيح عليه سلامه فقال الملك وقد قرب من الحصن وحق المسيح لقد خاطرنا بأرواحنا كيف خرجنا وحدنا ولكن ماتم لنا هذا الا لغيبة أبى محمد البطال وإلا لو كان حاضر ما كنا نقدر نخاطر بنفوسنا ولا خرجنا من عسكرنا ووصلنا إلى هذا المكان الخطر إلا وكنا نقاد فى الحبال ونساق سوق الاذلال فقال عقبه أعلم أيها الملك أننى قد أعطانى المسيح البركه فى رأيى لأجل جهادى وإخلاص نيتى وشدة اعتقادى وما صحبنى أحد إلا ونال من بركتى ولا يقدر عليه عدو ما دام فى صحبتى (قال الراوى) فما تم عقبه كلامه إلا وقد وقعت بين أكتافه لطمة أرمته على وجهه فالتفت الملك ينظر ماالخبر وإذا قد انحط عليه واحد آخر مثل القضاء المقدر وعلق برقبته مثل الأسد الغضنفر هذا وقد هم عقبة أن يقوم أدركوه لؤلؤ ومذبحون وهو يقول ياشيخ النار ويارأس الفجار إلى

أين ونحن لك فى الانتظار ثم أنه قبض عليه وقبض اللملمان على ارمانوس وساقوهم إلى الحصن سوق التيوس وكان الأمير عبد الوهاب لهم فى الانتظار وكذلك بقية الأمراء على مقابلى النار وأصحابهم مقبله إلى نحو الاصوار فقال مذبحون أبشر الأمير فأنامذبحون ابن البطال العيار وقد جئت لك بشيخ النار وارماندس ملك الكفار فزاد فرح الأمير عبد الوهاب وتواثبوا الأمراء إلى الباب وفتحوه فدخل مذبحون ولؤلؤ يسوقوا عقبه واللملمان يسوق ارمانوس فلما حصلوا فى الحصن أحضر وهما بين يدى الأمير عبدالوهاب فقال ارمانوس لعقبه أليس قد قلت لك أن البركة فى صحبتك فلا رحم المسيح طلعتك فما تقع قط مصيبة إلا من سبب مشورتك فقال عقبه أيها الملك بهذا قضا السيد المسيح فقال ارمانوس وحق الصليب الساعة تنظر مايقع فى قرعتك من الصفع المليح (قال الراوى) هذا والأميرة قد صاحت بالملك ارمانوس وقالت له يامن مأواه النار أليس كانت الهدنة بينى وبينك وقد حلفت لى على انك تطلق ولدى إذ علمت أين هو مأسور وطلبت خلاصه أين ظهر ولكن غدرك أوقعك فى هذا الهوان بعد قضاء الرحمن فقال ارمانوس ياأميره وحق المسيح أنا أبذل روحى لولدك وأنقذه من هذه الاقفاص وما كان عندى منكى خبر أنكى هنا وما أحوجنى أن أنقض الايمان إلا وشيخ القرنان لأنه قال لى أنت تفزع من ذات الهمة وما تقدر تؤذى ولدها من أجلها والآن فقد أوقعهما المسيح حتى يهلكهما جميعا ونستريح ولم يزال بى حتى انى نقضت الهدنة ومن يده وقعت فى هذه المحنة فقال مذبحون دعونا الساعة من هـذا الكلام فاننى سمعت هذا الملعون يقول لارمانوس عن برج الزاويه انه نقب ووصل النقب إلى عندنا وكان نيتهم ان ينصبوا علينا عند الصباح السلالم ويأخذونا قبضا بالكف فاعلموا الآن ثم اعملوا على خلاص مهجكم ودعونا من الملاججة (قال الراوى) فلما سمع الأمير إلى ذلك خفق فؤاده وقال للملك ازعق الآن فى قومك وقل لهم يرحلون عنا والا أرميناهم برأسك ورأس عقبة هذا الملعون الشيخ السوء وإذا لم تفعل وإلا فالقتل لك أجل فقال اصعدوا بى إلى السطح عند الصباح حتى أرحلهم عنك فعند ذلك أقاموا محتفظين به حتى أصبح الصباح وقد أطلعوه إلى البرج وقد صار صدره من الهم أضيق من عين الخرج وصاح فوقع صوته إلى العسكر ثم أنهم افتقدوه فلم يجدوه وطلبوا عقبة فعدموه فعظم ذلك على الروم ووقعت فيهم الصيحة وقالوا وحق المسيح ان عبدة النار هم الذين أخذوهما مما فى قلوبهم من الحسد إلينا (قال) ثم أنهم استووا فى أن يضعون السيف فيهم (قال الراوى) وكان الملك لما أطلعوه الأمراء إلى البرج وقد قالوا له صيح على عساكرك وأمرهم بالرحيل قبل

ان يحيط بهم الفناء قال الملك ما يحيط الفناء إلا بكم ولكننى أناما أمكن بطارقتى من النقب لانى أخاف على نفسى ان تهلكونى وأهلك معكم إذا وقع البرج ولكننى أريد ان اعمل معكم ما تذكرونى عليه أبد الدهر وما دمتم فى الحياه فقال الملمان ياملعون اعلم انك فى قبضتنا انت وشيخ النار عقبة الغدار والآن فقد رضينا ان نهلككم ونموت من بعدكم فنكون قد بلغنا المنا وبلغنا الشهادة وبلغنا دار السعادة ولا نبالى بما يجرى بعدنا لاننا ما كان فى قلوبنا حسرة إلا منك ومن خلاص هذا الشيخ السوء من أيدينا وبعدما حصلتم فى أيدينا فما بقينا نفكر فى عاقبه لاننا إذا رأينا الغلبة قتلناكم ودع نقتل من بعدكم فقال الملك مالنا والقتل أنا أردكم إلى بلادكم على الخيل من عندنا وتمضون غانمين سالمين فقالت الأميرة دعونا الساعة من هذا الحديث أليس قلتم بعد ساعة ينفذ النقب الينا وتملكون الحصن منا فأنا أقسم بالبيت ومن حج وبالتلبية ومن ضج لئن صعد من أصحابكم إلى الحصن أحد لاطيرن رقابكم وبعد ذلك نضرب بسيوفنا فى طاعة الله تعالى حتى لا تبقى فينا عين تطرف إن تصيح الساعة إلى قومك فيرحلون عنا وتقول لهم معاشر الروم أعلموا اننا وقعنا فى أيدى الأعداء ويريدون أن يسقونا شراب الرداء فان قصدتم إلى النقب فقد استعدوا لكم النفط والنار ليضربوا فى وجوهكم ولا آمن من ذلك أن يضربوا رقابنا فاتركوا القتال والنقب فقد وقع الصلح وان تفعل ذلك والا رميناهم برأسك الساعة من هذا المكان (قال الراوى) وكانوا حجابه الذى أمرهم بكتمان السر لما مضى هو وعقبة وقد مضوا إلى العسكر وأعلموهم ان الملك قد مضى يتفرج على النقب وما رجع فقال البترك وحق المسيح ما أفلحنا من وقت ما رأينا الشيخ النجيح ولا يطيب لنا عيش ولا قرار مادام الملك قد أخذ ثم صار هو والبطارقة إلى أن قربوا من باب الحصن ليكشفوا خبر الملك وان مذبحون ابن البطال قد صاح ياملاعين إلى أين ارجعوا عنا والا أرميت عليكم طاحون تقتل منكم عشرة وهذا ملككم عندنا فى أسوأ حال هو وعقبة الغدار ونحن معولين على ضرب رقبته إلا أن يرحلكم عنا فنحن عليه بنفسه وأما الشيخ النحس فوحق الذى زرأو برأ وأرسل محمد المصطفى لابد ان أنتف لحيته وألطم قمته فناده البترك أيها السيد لأجل الرفيع المحل اسمع كلامى وحق المسيح ان الملك ما جاء فى هذه النوبة إلا لاجل خلاصكم لأن الخليفة بعث اليه وهدده وقال ماأعرف عبد الوهاب إلا منك على انكم لاتظنون ان قبض الملك ينفعكم شيئا لأنكم فى أيدينا ولو أردنا الساعة أخذناكم فقال الملمان وحرمة سيد ولد عدنان مايزحف منكم إنسان إلا ونرمى برأس الملك من هذا المكان (قال الراوى) فعندها نادى الملك بالبترك

وقال ياقوم أرجعوا عن القوم فقد حلفوا ان صعد واحد منكم قتلونا فراقبوا المسيح فينا وفى أمرنا وأرجعوا وإلا نحن هالكون ومن النجاة آيسون وها أنتم ترون ما حل بنا من البلاء فقالوا البطارقة والبترك السمع والطاعة ثم أدعوا بالنقابة وأمروهم أن يرجعوا بعدما كانوا قد أشرفوا على رمى البرج ونادى البترك بالأمراء وأخذ منهم الأمان ودخل إليهم فقالت له الاميرة على ماذا عولت وفيما ذا أتيت فقال أحلف اربعين يمين اننا نسير معكم إلى حيث تأمنون وتمضون إلى حال سبيلكم فلقد كان فى أسركم للملك سبب خلاصكم فقالت الاميرة نحن ما نثق بقولكم ولا نغتر بفعلكم ولكن أأمر العساكر بالرحيل عنا حتى نأخذ الملك معنا ونرحل بعدكم إلى أن نصل بالقرب من القسطنطونية ونطلق سبيله وسبيل هذا الشيخ النحس عقبة لاننا ما نأمن منه ان يحسن لكم الغدر فقال الملك ما هذا صواب بل أحلف أنا لكم وتطلقونى وأنزل إلى عسكرى وأرحل عنكم فقال الامير عبد الوهاب هذا مالا أسمعه إلا أن تفعلوا ما قلنا لكم عليه (قال الراوى) وهم يتحدثون واللملمان وثب وقبض على أذان الملك بأسنانه وقطع شحمة أذنه صارت فى فمه وقال ويلك وذمة العرب ان لم تخلى عنك هذا الخداع والا انا آكل رأسك كله هكذا فقال الملك وقد صرخ ويلك لا تفعل ولا تكدمنى كدمه أخرى أموت وحق المسيح فقال اللملمان تسير معنا وترحل عسكرك عنا أم لا فقال له بلى أنا أأمرهم أن يرحلوا وأسير معكم ولو أردتم إلى ملطيه فلا ستر المسيح عليك فما أحد أسنانك وأطول اسانك ثم قال للبترك يا أبونا لا أعرف رحيل العسكر الا منك لأنه لا يقدر أحد من الروم أن يخالفك وأن أنت توانيت عنى أكل هذا الميشوم أذنى ويبقى رأس ابن ارمانوس شهره بين الرؤوس ويضحك على كل انسان اذا رآنى بلا آذن فاحذر بحق المسيح أن تدع العسكر ساعة واحدة الا وترحله عنا فقال مذبحون وحق النبى العربى لئن لم ترحل العسكر عنا والا فانا الليله أنزل اليك وأسرقك ولو تتخبا فى الأجفان وأقودك إلى هذا اللملمان يأكل منك الرأس والاذنان فقال البترك وايماه وحق المسيح أنا نحيف لا بحق دينك لا تفعل لأننى وحق المسيح لو عض على أذنى سنور صغير لمت من وقتى فكيف أسنان هذا الحمار ثم انه نزل الى العسكر وجمع وجوه البطارقة والروم والقسوس والرهبان وقال لهم اعلموا أن الملك قد وقع مع هؤلاء المسلمين فى العذاب الأليم والمسيح قد أمركم وأمن كل من عبده بطاعته وأمركم وأمر بعده بطاعتى لأننى خليفة المسيح فيكم وقد تم على الملك فى هذه النوبة ما تم ولا نقدر له على خلاص الا أن ترحلوا لأن هؤلاء المسلمين كانوا قد أيسوا من

الحياة وما صدقوا أن يقع فى أيديهم من يكون سببا لنجاتهم وخلاصهم فارحلوا كما أمركم والا هلك الملك فقال له قس من بعض القسوس الحاضرين ايها البترك العظيم أنت تعلم أن الاسلام كله قد وقع فى أيدينا فكيف نخليهم وننصرف فقال البترك اسكت ياقرنان ولا تكون شيخ كشحان فما تعرف كدام الآذان الا ما كنت تأمرنا بالمقام (قال الروى) ياسادة فلما سمعوا عبدة النار برحيل الروم قالوا نحن ما نرحل من ههنا حتى نأخذ من هؤلاء القوم بثارنا لأنهم قتلوا ملكنا وأهلكوا رجالنا وأبادوا أبطالنا وخربوا ديارنا ونحن ما كنا معكم ولاجئنا لاجلكم ولا كاتبناكم وانما شيخ النار هو الذى كتب اليكم وأتى بكم فان رحلتم فنحن ما نرحل فلما سمع البترك كلامهم قال لهم نحن ما نخلى ملكنا يقتل والشيخ النجيح يصلب لاجلكم وتقطع آذانى أنا الليله لا وحق المسيح ثم ان البترك صاح فى الروم ويروى عليهم باغاندره على هؤلاء الاشرار عباد النار المخالفين لدين المسيح والمنكرين على عباد المسيح والصليب والزنار عند ذلك حملت البطارقه على عبدة النار وارتفع الصياح من كل جانب ومكان وطلع الغبار وقاتلت أيضا عبدة النار وقد أحموا نفوسهم واختلطوا الجميع وعمل السيف فى الرفيع منهم والوضيع وتخضبت الأرض بالنجيع ولم يأت آخر النهار الا وجرت الدماء كجرى الانهار وفنيت عباد النار وما سلم منهم ديار الا انهم ما قتل منهم فارس حتى قتل خصمه وكان قتل أيضا من الروم عالم عظيم مثل أضعاف عبدة النار حتى تمكنوا من اتلافهم ونهبوا أموالهم ورجالهم وخيولهم وأسلابهم وأرسل البترك بعد ذلك إلى الامير عبد الوهاب عند المساء يقول هذا جرى اليوم من أجلكم لأن عباد النار أبو الرحيل وقالوا ما نرحل ففعلنا بهم هذه الفعال وقد أهلكوا من عسكرنا أضعافهم من البطارقه من أهل الشجاعة وقد أمسينا الليله تعابا من القتال ونريد أن نستريح إلى غداة غد ونعول على الارتحال ولا تظن أننا مقيمين وتمكن ذلك الشيطان مذبحون ان ينزل إلى ويسرقنى ويسلمنى الى ذلك الأسود المجنون الختان أكال الآذان فانى نائم وقلبى منه فزعان وقد وكلت بروحى عشرة رهبان وستون قس ومائة مطران (قال الراوى) فلما سمع الامير ذلك ضحك عليه وكذلك كل من كان حاضر من الرجال وقال الأمير صدق البترك فيما قال لأن بهذا حدثنا الجاسوس (ياسادة) ثم رجع الرسول إلى البترك وأخبره أن الخبر كان عنده من غلمان البطال فقال البترك صدق وما هم فى أقل من ألف فارس كلهم لصوص يسرقون ما يشتهون وإذا وقع فى أيديهم أحدا ودوه إلى واحد أسود أجوع من الكلب الفرحان وما صناعته إلا يأكل الآذان فلا رحم المسيح من ينام الليلة الى الصباح لأنه أكل أذن الملك

قدامى وأراد أن يأكل رأسه كلها لولا شفاعة الامير عبد الوهاب ثم جعل يحـــرس نفسه إلى أن أصبح الصباح ولما كان وقت السحر نادت النقباء فى البلد فرحلوا يطلبون القسطنطونية وأصبحت الديار منهم خالية قفار وهنأت الاميرة ولدها عبد الوهاب فرحا برحيل الروم الأشرار وقالت له ابشر يابنى برحيل الروم عنا بعد ما فنى منهم خلق كثير من أجلنا فقال الامير الحمد لله على هذا الحال وعلى كل حال ثم أقبل على عقبه وقال له ويلك ياملعون انظر إلى قدرة الله تعالى الحى القيوم كيف نصرنا على هذه الجيوش والأمم المكاثرة ونحن فى الجمع اليسير فهذا أكبر دليـــل على صحة دين الإسلام وأوقعك فى أيدينا ذليل حقير مهان أنت وملك الروم ولكن ماتزال ياملعون بكفرك ولجاجك وتخرب بلاد الروم أجمين وتجعلها كسبا للمؤمنين فقال الملعون افرحوا بذلك ولولا عقبه لم كانت لكم هذه الاموال ولا هذه المماليك والجوار الحسان وأنتم فى كل يوم فى سعادة جديده من عقبة وتلعنوه كمان (قال الراوى) ياسعاده ياكرام فعندها تنفس عقبه صعدا وأبدا تلهفا وكمدا وقال اننى أسعى فى قطع الكلمه الاسلاميه وربما يريد الله اظهارها ومالى حيله فى ذلك فحق دينكم وما تعتقدوه من نبيكم أن طلبت منكم حاجه تقضوهالى وتبلغون آمالى ولا تخيبوا سؤالى الاميران كان قولك شىء من الصواب قبلناه فقال بالله عليكم اقتلونى لعلكم تستريحون منى ولعلى أستريح منكم ومن عذابكم فقال اللملمان أنا وحق الصادق المصدوق أقضى حاجتك وابلغك شهوتك ثم انه تاركانه أسد وامتشق سيفه بيده وسله من غمده ووثب اليه (قال الراوى) فعندها تبسم الأمير عبد الوهاب وقال هكذا يكون ان شاء الله تعالى ثم نهض إلى اللملمان وأخذ السيف من يده وقال له أيها الأمير لقد حلفنا للبترك اننا نطلقه أيضا مع الملك فلا تكن سببا لتكذيبنا ثم قال لعقبه ياخبيث ياشيخ النار ان قلت لك لاى شىء تطلب القتل تصدقنى قال نعم وحق المسيح فقال انك تقول انى قد كبرت وقلت دعهم يقتلونى النوبه خير مما يقعون بى مرة أخرى يصلبونى فقـال عقبه وقد انفطرت مرارته ودامت حسرته صـــدقت يا ابن مرزوق ويا ابن من كان فرجها مسروق ولو كنت علمت أن يكون منك هذا الأمر كنت عصرت على بطنها حتى طرحتك ولا كان خرج علينا منك هذا البلاء العظيم فقال الأمير ياكلب الفاجره أما تعلم انك ماتسبنى بهذا الكلام الا حتى نعجل لك الحمام وتبقى فى قلوبنا حسره مما وعدنا به سيد الانام ثم قال ابطحوه واضربوه ولا تزيدوا عليه تقتلوه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين قال عليه السلام من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا لأن الشياطين لاتتمثل بى فوثب اليه اللملمان

وقال والله لأتعبن هذا الشيطان حتى أقلع من قلبه عبادة الصلبان فقالت الاميره لاتحلف فما أمكن أحد من ضربه لاننا ان ضربناه الساعه هلك ويكون من أجل كلامه وما نطق به لسانه وحاشا الله أن نعمل شيئاً لغير الله(قال) فتعجب الجماعه من كلامها وحسن اعتقادها فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من عسكر الروم فانها صارت حتى أمسى عليهم المساء ونزلوا للبيت وإذا قد وصل اليهم بطريق وقال لهم تأهبوا للقاء الفالوغص ابن الملك أرمانوس فقد أرسلنا نبشر الملك بما فعل ولده وماقد أسر من المسلمين وقتل وكانكم به عند الصباح وقد أشرف عليكم (قال الراوى) ياساده وكان هذا ابن الملك الذى نحن فى ذكره أفرس من على وجه الأرض ممن شد الزنار وعبد الصلبان وأحيلهم وأمكرهم وأشجعهم وأشطرهم والسبب فى ذلك أن الملك أرمانوس كان قد تزوج بابنة ملك الكرج وكان اسمها منسية فرزق منها هذا الولد الشجاع وكان مثل القمر فى جماله واسمه الفالوغص فلما أتى أبوه إلى هذا الحصن فى طلب الأمراء كان هذا محبوس وكان السبب فى حبسه انه كان قد تعلم الفروسية وله من العمر عشرين سنة فصار متبعا الصراع والقراع وتعلم بلغة العربية وتدرع فيها حتى قال الأشعار وكتب الرسائل وصار معه معرفة من أهل الأدب بخلاف طبع الروم فلما كبر واشتد عظمه واستوى فدخل على أبيه فى بعض الأيام فوجده يزن مالا عظيما فقال له ياأبتاه ماهذا المال وماتريد أن تصنع به فقال له ياولدى هذا المال نريد نسيره إلى الخليفة بتاع المسلمين لأن له علينا فى كل سنة مثل هذا نرسله للعراق حتى نكتفى شره وشر عساكره وجنده فقال ياأبتاه ماأظن المسيح قد شاخ فقال له وكيف ذلك فقال له ويلك لولم يكن قد شاخ لماسلم المملكه اليك وإنما الملك يريد أن يكون قوى القلب شجاع جيد العزم فوحق المسيح لقد أذللت دين النصرانية باعطاك الجزية والخراج إلى الملة الحنيفية فقال ويلك ياولد الزنا وتربيه الخنا كيف أعمل بالمسلمين وفيهم أبطال يلاقون وأبطال لايطاقون وقد ملكوا أكثر البلاد فقال الفالوغص وحق المسيح لو أنى أنا ملك لكنت أترك فى سنة واحده بلاد الاسلام دكا وكلمة التوحيد شركا وأسفك الدماء سفكاً (قال) فغضب الملك أرمانوس من كلامه وعلم أنه مايخرج عليه منه خير فغضب عليه وألقاه فى الحبس وقال ان كان أحد سألنى فيه ضربت رقبته وسلبت ماله ونعمته وكانت أمه منسيه ثكلت عليه الليل والنهار ولاتقدر أن تسأل أباه لانها كلما ازدادت له حبارأت أباه ازداد عليه قسوة (قال) فعولت أنها تخليه نائم على فراشه وتقتله وتشيع أن بعض الخدم قتلوه وتولى ولدها مكانه وبقيت فى تدبير ذلك حتى صار أرمانوس يطلب الأمراء كما ذكرنا ولولا مسـيره كانت عملت على قتله وبعد مضيه بقليل جاءت

الجواسيس تخبر أن عساكر المسلمين سائره خلف أرمانوس نخافت منسيه على عسكر الروم انهم يهلكوا فقالت ان لم يخلص ولدى فى هذه النوبة مابقى يخلص أبدا ولا بدلى مما أدبر أمرا وأتركه يهلك هذا العسكر لعل أباه يرضى عنه ويوصى له بالملك من بعده ثم انها قامت من وقتها ودخلت على ولدها الفالوغص وقالت له تدبر يا ولدى عسكر أبوك والمملكة فقال أى وحق المسيح فأخرجته من السجن وهو مثل الطود العظيم وكان أكرم أهل زمانه نفسا وأقواهم مروءة وقلبا فأجلسته على سرير الملك بعدما أعلمته بمسير المسلمين فقال وحق المسيح ماتركت أحدا منهم ينجو بنفسه ثم انه فتح الخزائن وجعل يخلع على البطارقة ويبذل لهم الأموال حتى استمال قلوبهم اليه وأعرضهم فاذا هم مائة وعشرين الف من العرب المتنصرة ففرح بذلك وأتى اليه الجاسوس وقال له يا ملك كن على حذر فان العساكر قد أقبلت فقال له فى كم يكونوا فى العدد فقال له فى ستين الف قال فمن هو الذى يقدمهم قال أبى محمد البطال لص المسلمين الذى يتم الأطفال وقتل الرجال فقال الملك الفالوغص أنا فى هذه النوبة أهدم عمره وأكفى النصرانية شره وأوريه من الحيل وطريقتها مالا يعرفها ولا يقدر أن يصفها ثم أمر النقباء فنادت فى العسكر بالنزول وخرج من يومه يطلب عسكر المسلمين وكان الأمير أبو محمد البطال فى حصن يانس المتعزب مقيم وكاتب السودان وبنى كلاب وأمرهم بالاجتماع على حصن يانس المتعزب والسودان واجتمعوا فى تسعين الف عنان وساروا حتى وصلوا الى الأمير أبو محمد البطال وسألوه عن الأمير عبد الوهاب وعن الأميرة ذات الهمة وباقى الأصحاب فأخبرهم انهم سالمين ولكنهم محصورين وجعل يحدثهم بالقصة من أولها الى آخرها فلما سمعوا ذلك قالوا مابقى لنا صبر عن أميرنا أرحل بنا اليهم من يومنا لعلنا ندركهم ونكشف الشدة عنهم فقال الأمير أبو محمد هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب ثم رحل من يومه يطلب الأمراء والعرب به متلاحقة وسبقهم الجاسوس إلى القسطنطينية كما ذكرنا وجرى للفالوغص ماقدمنا وسير الجاسوس أمامه يأخذ له الأخبار حتى قرب من عساكر المسلمين الأبرار وقال وحق المسيح لا أخذتهم إلا بغتة ثم دعا بالعرب المتنصرة وضمن لهم المال والاقطاع وقال لهم أعلموا ان تخلعوا ماعليكم من لباس الروم وارموا هذه الصلبان والزنانير واطلبوا عسكر المسلمين فى زى أهل مصر فان الجاسوس أخبرنى انهم يكونوا اليوم على عيون الدير نزلوا فاذا أشرفتم عليهم تقولوا قد جئنا نطلب الجهاد فى الروم ونخلص الأمير عبد الوهاب فقد سمعنا أنه محصور ثم اختلطوا بهم فى الليل حتى نأتى من ورائهم ونأخذهم قبضا بالكف ولكن نريد ان يكونوا على يقظة وإذا سمعتم الصياح فاقصدوا مقدمين العساكر وأنا

أجتهد ان لاينفلت منهم المحتال المسمى بالبطال فقالت العرب المتنصرة السمع والطاعة ثم انهم لبسوا ثياب مثل زى مصر وساروا من تلك الساعة (قال الراوى) وكان الأمير أبو محمد البطال من حرصه وعجلته على المسير الى الأمير عبد الوهاب قد قال لبنى كلاب اعلموا انى لا أدرى ماكان من الأمير وأريد ان أسير قدامكم وآخذ لكم الخبر فان اشتد على الوصول على الأمير عبد الوهاب بشرته بقدومكم ثم انه لبس فى زى راهب وقدم على بنى كلاب رجلا يقال له عوف ابن شمخ وكان رجلا شجاعا وفيه دين وصلاح فأوصاه بالعرب وسار وكان مسيره فى اليوم الذى أرسل فيه الفالوغص العرب المتنصرة ليدبروا الحيله على عسكر المسلمين (قال الراوى) وسار الأمير عوف بالعرب خلف البطال حتى صار إلى آخر النهار وإذا بغبار العرب المتنصرة قد صار ثم انكشف وظهرت الفرسان فى زى أهل الإيمان فلما رآهم عوف قال الحمد لله على قدوم المجاهدين من البلاد ثم سار إلى لقاهم وأكرمهم على فعالهم عند مالقاهم وحدثوه على ماعمل الفالوغص فشكرهم عوف على وجوه بنى كلاب وقال لهم يا بنى عمى اعلموا انى رأيت البارحة منام وقلبى منه فزعان كأنى رأيت طيور وقد نزلت علينا وجعلت تأخذ رجالنا بمناقيرها ثم يطيروا وأرجوان يكون خير على ان هؤلاء القوم الذين وصلوا الينا هذا اليوم وقد شد الله بهم أزرنا لأن كل واحد منهم يلتى عشرة من الروم اللئام ثم ان القوم أقاموا على الحرس وناموا وقلوبهم طيبة بهذه العشرة آلاف الذين انضافوا اليهم فما حسوا الا والخيل قد كبستهم والفالوغص على المقدمة وله همزة ودمدمة فعندها ثارت العرب المتنصرة وما أخذت العرب أهبتها حتى ردت أكثر خيرلهم وأخذتهم الصيحة من أوساطهم وصار كل واحد منهم ينظر إلى رفيقه ويضربه والآخر يضرب أخاه وصديقه وجرت الدماء وعاد وجوهم عدما وكثير الوسواس وطال الليل على الناس وتفرقت الرجال بالأطناب وشاب من هول تلك الليلة الشباب وزلت الأقدام وزاد الظلام ورجفت القلوب وكادت الأكباد ان تذوب وكثر الصياح وضجت الرجال من الجراح وانهزمت بنى كلاب وقد طلبت الرواح والذهاب وعمل السيف فى بقيتهم إلى الصباح فما طلعت الشمس إلا والأرض ملآنه بالاشباح مخضبة بالدماء من الارواح وقد أسروا من المسلمين سبعة آلاف وقتل اثنى عشر ألف وانهزموا الباقين فى ظلام الليل وطلب الفالوغص أبى محمد فلم يجده فصعب عليه وأمر أن يمدوا بعض الاسارى فقدموهم وضربوهم حتى طير لحومهم وهم يستغيثون إلى الله تعالى والفالوغص يقول ماأخليكم حتى تعلمونى أين مضى البطال والا تموتون تحت الضرب وبضرب واحد بعد واحد حتى إلى

آخرهم فقال واحد منهم وهو آخرهم من الاسارى ياملك ماحاجه إلى هذا كله البطال مضى إلى درب الجوز يتنسم الاخبار قال على أى زى قد مضى فقال انا آتى به ثم شد على نفسه وكان مليح الوجه وتزيا بزى شماس وحلق وسط رأسه ولبس ثياب سود ومضى يطلب درب الجوز وكان هنالك بعد الظهر وإذا بالبطال مشرف على رءوس الجبال فأسرع اليه وادركه واخذ يده فقبلها وقال له ياأبونا من أين قد وصلت قال يابنى انا رجل سائح وعلى ذنوبى نائح فقال له هنيئا لك وهنيئا لمن يصحبك وأريد أن أبشرك ببشارة فقال أبو محمد وما تلك البشاره بشرك المسيح بكل خير فقال أن عسكر المسلمين قد كان داخل إلى هذه البلاد فوقع بهم الملك الفالوغص واحتال عليهم بالعرب المتنصره وكبسهم فى الليل وأخذ منهم سبعة آلاف أسير مع المقدم عليهم ولم يسلم منهم أحد الاالبطال الذى هو لص المسلمين المحتال وقد أنفذ الخيل فى طلبه فان كنت أنت أياه فخذ حذرك وأطلب لنفسك النجاه فقد نصحتك فقال أبو محمد وقد تغير لونه وايش بينى وبين العسكر وأنا رجل عابر سبيل وإذا نصر المسيح أولياه على يد احباه أزددت أناسرورا وكثرت للمسيح شكورا فضحك الملك الفالوغص من كلامه وقال لله درك ياشيطان وياعفريت فى صورة انسان ولكن قد انقرض عمرك ووقع بك مكرك وقد جاءك البلاء فخذ لنفسك الحذر ثم وثب اليه وثبة الأسد ولطمه بكف أقوى من الجلمد فألقاه على الأرض وحمله على أكتافه وسار راجعا والبطال يقول ياترى من اين وقع بى هذا الشيطان والله ماكانى الا فى منام ولم يزل سائر به الى أن وصل إلى المعسكر فنظر أبو محمد إلى ما كان من أصحابه ورأى أجسادهم على الأرض وكل من رآهم يفزع والابدان مجروعه والاكباد مجروحه والطيور عليهم نازله والوحوش للحومهم آكله وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ثم تبين الذى حمله وإذا به الفالوغص فعظم فى عينه وقال مثل هذا يخاف من جانبه لأنه شجاع ومحتال ونظر إلى عوف ابن شمخ وإذا به من جملة الأسارى فزاد جواه وعظم بكاه وسأله كيف كان هذا الحال حتى نزل بهم هذا الوبال فحدثه بما جرى من حيلة العرب المتنصرة وكبسة الروم فى الليل فتحير البطال وقال هذا كله لغيبتى عنكم والا لو كنت معكم كنت ضربت رقاب العرب المتنصرة العشرة آلاف الذين أتوا اليكم والملك الفالوغص قد جمع الأموال والرجال والأسارى وأنفذهم إلى القسطنطينية مع البطارقة وأنفذ معهم البطال مقيدا وأمرهم أن يشيلوا رءوس القتلى على الرماح ففعلوا ذلك وأخذ ألف من وجوه البطارقة والباقين ردهم مع الاسارى

إلى القسطنطينية وقال أنا أريد ألحق بارمانوس وأخبره بما فعلت فان هو طاب قلبه لى كنت عونا له على أعدائه وأملكه رقاب الأمم من العرب والعجم وان أبى وحق المسيح قتلته وأكون الملك من بعده وترون ما أقتل فى اعزاز الدين وكيف أملك بلاد المسلمين فقالوا البطارقة نحن ما نرى ملك سواك ولا نطيع الا اياك فشكرهم على ذلك فقال شيلوا باقى الشعاف على قنطارياتكم واعملوا رءوس المسلمين على الرماح وسيروا قدامى ففعلوا ذلك وسار مع البطارقة يطوى الأرض حتى وصل إلى عسكر أبيه ارمانوس عقيب الرسول الذى أنفذه يبشر أباه بقدومه كما ذكرنا والتقا بالبترك كما شرحنا وما كان للفالوغص همه الا سأله عن أبيه ارمانوس فحدثه البترك بكل ماجرى له مع الامراء الذين للمسلمين قال له واعلم ان أباك وعقبة عندهم أسارى وقد جرى من الشرط كذا وكذا على انهم يرحلون من الحصن بعد رحيلنا فاذا وصلوا أماكنهم أطلقوه والشيخ النجيح فلما سمع الفالوغص ذلك الكلام انقلبت عيناه فى أم رأسه وقال وكم عدد الذين هم فى الحصن فقال البترك انهم ما يلحقون عشرون نفر ولكن قتلوا منا رجال وأهلكوا ابطال بعد ما كنا أشرفنا على أخذهم من النقيب ولكن أتاهم شىء ما لم يكن فى الحساب باخذ أبيك والشيخ النجيح واستقر الصلح على أننا نرحل إلى القسطنطينيه ويرحلون خلفنا ومعهم أبيك والشيخ النجيح إلى أن يقربوا من بلادهم ويطلقون أباك فلما سمع الفالوغص كلام البترك فصاح صيحة كاد أن تقضى على الحاضرين ودهش منه كل من كان حاضر ورفص البترك فى صدره كاد أن يهلك فما فيهم الا من صعب عليه ولكنهم ماجسروا يتكلمون من هيبة هذا الجبار الا انه من بعد رفصه البترك نادى ياويلكم ذليتم إلى هذا الحد للمسلمين ولولاى لكانت العسكر قد دهمتكم واهلكت أقصاكم وأدناكم ولكننى كسرتهم وأهلكت أبطالهم وأسرت سبعة آلاف من رجالهم ثم جعل يحدثهم بما فعل والبطارقه يتعجبون من هيبته فقال البترك ايها الملك وحق المسيح ما طلبت الصلح مع المسلمين الا خوفى من واحد منهم يقال له اللملمان يكدم الانسان ويأكل الآذان وقد أكل أذن أبيك الواحده وهو معهم تحت الذل والهوان فان أردت أن تعمل على خلاصه فلا تتعرض للقتال فان كان ولا بد لك من ذلك فالمسيح يحفظك ويعينك ويثبت عليك دينك فقال الفالوغص لا بد لى بما أبذل المجهود فى خلاص أبى حتى اننى لا أخليه مع المسلمين وأريد أتسبب فى خلاصه وأقول له يولينى موضعه فان فعل والا قتلته فقال البترك وايش فى نيتك أن تعمل فقال ارحلوا أنتم فى غداة غد وتموا على ما أنتم عليه وامضوا طالبين القسطنطينيه كما اتفق الامر بينكم فاذا وصلتم عند المساء إلى مرج المعمد ان انزلوا هناك حتى أجىء

أنا اليكم فانى أقيم أنا ههنا وحدى ولا يكون أحد معى حتى يخفى أمرى ولا أزال مكمن حتى يأتوا المسلمين ويعبروا على الموحدين ومعهم المأسورين فأخرج أنا عليهم من الكمين وآخذهم بالسيف قهرا واتركهم كلهم أسارى فقال البترك أيها الملك الرأى عندى الآن تقر بهم لأن كل واحد منهم يلتى ألف فلا تخاطر بنفسك لأن المخاطر بنفسه مذموم ولكن أترك العسكر الليلة يتقدم إلى مفرق الطرق والمروج دعهم يكمنون أربع مواضع فى كل كمين خمسة وعشرين الف ونقيم نحن حتى يأتون المسلمين ويحصلون فى الوسط ونطبق عليهم من كل جانب ويكون باقى العسكر على أهبة فاذا رأونا خرجنا عليهم يسبقون ويمسكون الطريق الذى جاؤا فيها فان ملكناهم وبلغنا المراد فقد ملكنا سائر البلاد وأهلكنا بعدهم العباد فقال الفالوغص ويحك هذه العسكر كلها تريد تتأهب للقاء عشرين فارس وحق المسيح أنا وحدى ما أرضى القاهم فقال البترك وقد أعجبه قوله يا بنى اعلم أنك قد تجريت على ومددت يدك إلى بغير ما يجب وفعلت بى مالا يقدر احد يفعله من أهـــل الأرض ولكن أنا أغفر لك واسأل المسيح أن لا يؤاخذك واريدك تفعل ما أقول لك ولا تخالفنى فى هذا التدبير وان كان ماغرضك الا تورهم شجاعتك فاذا صاروا بين يدك بارزهم وذلهم كما تشتهى فلما سمع الفالوغص ذاك قال وحق المسيح لولا أنى فعلت فى حقك مافعلت ما كنت صبرت على هذا الامر ولكن أنا أصبر لأجل ذاك وافعل ما أمرت به ففرح البترك بذلك وباتوا على هذه النيه إلى الصباح وصاح صايحهم وضرب بوق الرحيل ورحلوا طالبين القسطنطونيه ولم يزالوا سائرين إلى مرج المعمدان وأكمنوا فى أربع مواضع من جوانبه فى كل كمين عشرة آلاف وتقطعت العساكر إلى موضع كان بقرب المكامن فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب فان ماعندهم مما دبروا عليهم خبر ولا يعلمون بما دبروا وهؤلاء الملاعين من المنكر لأن المقادير تجرى باذن الله سبحانه وتعالى الا أن الملمان لما علم أن العساكر قد رحلوا عنهم وأبعدت فقال انزلوا بنا نطلب بلاد الاسلام فنزلوا الامراء بعدما أخرجوا كل ما كان فى الدير من الأموال والرجال ولما استقاموا على الطريق قال الامير عبد الوهاب ياقوم امهلوا فى المسير فاننى خائف من الروم أن تغدر بنا ويكمنوا لنا فقال الملك ارمانوس طيبوا قلبا ونفوسا وقروا عينا فان البترك ما يقول الا الحق ولا يحلف الا ويصدق فقالت الاميرة ذات الهمة ماعرفنا من البترك الا الحق والوفاء ثم ساروا إلى أمسى المساء ونزلوا من أجل المبيت وما لهم معتمد الا على الله ولا يعلمون ما قدر عليهم والشاعر يقول

المرء ليس له علم بخبرته ☆ وليس ينجو من الأشياء بفطنته
يسق إلى حتفه رغما وليس له ☆ فى نفسه حيلة من كون فطنته
لأنه قدر الأشياء وكونها ☆ وعلمه مستقر فى مشيئته

ولما أصبح الصباح ساروا حتى قاربوا إلى العسكر وساروا قريب من الكمنا وهم سائرين وإذا بشخص قد لقيتم فى الطريق وهو قاصد اليهم يطوى الأرض كانه مجنون وقد أشرف من شدة السير على الهلاك فلما عاينهم وقع إلى الأرض ساجدا وقال اصبروا ياقوم وإلا هلكتم عن آخركم فان الله قد نظر إليكم بمجيئ اليكم وهذه الكمنا بين أيديكم ثم قال لهم تعالوا حتى آخذ لكم على غير الطريق ولا يعلم بكم أحد ولا يبصركم إلا الملك الصمد فقال ارمانوس تكذب ياشيطان كيف يحلف البترك ويخون ياملعون فقال له الشخص ما يكذب إلا أنت ياملعون وها أنا أبو محمد البطال أبو مذبحون وقد خلصت من الاعتقال ثم دنا من الأمير وحث التراب على رأسه واشتكى وأعاد عليه قصة ملطية وكيف دبرت عليها عاقبة الملعونة أخت النحيس التعيس خليفة ابليس اللعين عقبه ثم أعاد عليه ماجرى على المسلمين من العرب المتنصره وقال له وقد أسر منهم سبعة آلاف مع عوف ابن شمخ وقتل منهم اثنى عشر فبكى الأمير عبد الوهاب وبكت سائر الأمراء ووقع بهم الانتحاب فقال أبو محمد وانى ما خلصت إلا من بعدما قاسيت البلاء ولولا أننى فكيت قيدى فى الليل وهربت وإلا كنت من الهالكين مع جملة المسلمين والساعة أنتم سائرين إلى الموت الأحمر والبلاء الأكبر ثم حدثهم بحديث الفالوغص وحديث الكمنا فقال الأمير عبد الوهاب والله لولا وصولك مع قدرة الله تعالى لكنا من الهالكين فقال ابو محمد والله لاسيرن بكم على طريق لاتعرفها جن سليمان ولا أهل الأرض فى طولها والعرض ثم ترك الطريق الذى كانوا عليها وسار بهم عن يمين الطريق طول النهار إلى أن علم أنه قد ترك الكمنا من وراء ظهره وقال لهم أعلموا أن الكمنا قد عبرناهم ولكن الفالوغص بين أيدينا على أنه وحده فيه الكفاية مما قد رأيت منه فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك قال يا أبو محمد فما لنا طريق الا عليهم فقال أى والله لكننا نكمن إلى الليل هنا لأن الكمنا يظنون إننا بعد ما خرجنا من الحصن ونحن عبرنا العسكر فى الليل ولا يعلم بنا أحد إلا الملك القادر فهم فى الكلام وإذا براهب قد أشرف عليهم عند المساء وهو قاصد إليهم يشق الأرض شقا حتى قدم عليهم فتبينوه وإذا هو صابر المرعشى ففرحوا به وسألوه عن حاله فقال ابشروا بالفرج من عند صاحب الفرج فان خلفى ميمون الجاس فى عشرين ألف من الاكراد

وعشرين ألف من السودان وثلاثين ألف من بنى كلاب وقد بقى بينهم وبين عسكر الروم يوم وليلة وقد لقى الاسارى الذين أخذهم الفالوغص وخلص الجميع فلما سمعوا المسلمين كلام الجاسوس انكبوا على الأرض يقبلونها شكر الله تعالى ثم قال الأمير عبد الوهاب مولاى وسيدى ماعتمادى إلا عليك ولا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك (وكان السبب فى ذلك) ان ميمون الجماس ولما وصل إليه الخبر من حصن يانس المتعزب وسمع ما جرى على الأمراء الشدائد وانهم محصورين فى بلاد الروم وان عساكر القسطنطونية قد سارت إليهم وان أبو محمد قد أرسل يطلب بنى كلاب والسودان الانجاب إلى حصن يانس ليدخل بهم إلى بلاد الروم فجمع ميمون الجماس السودان الذين كانوا عنده والذين قصدوه من ملطية وساروا على طريق خالى وكان فيها أمير من الأمراء الكرام يقال له مازن ابن مندوه وكان شجاع مغوار وليث كرار وآفة من الآفات وبلية من البليات يركب معه عشرين ألف من الاكراد وكلهم أجلاد أنجاد فلما نزل عليه ميمون الجماس رغبة فى الأموال من بلاد الروم فسار معه فى رجاله واتبعته أبطاله وساروا بقلوب صادقة ونيات موافقة حتى وصلوا إلى حصن يانس فالتقاهم بالأفراح والأكرام والاعظام وسأله ميمون الجماس عن العسكر الذين ساروا مع أبو محمد البطال فحدثه بما جرى عليهم وانهم كبسوا فساروا من يومه ولم يمكنه المقام ولم يزل يجد المسير حتى التقوه المنهزمين الذين انهزموا من وقعة الفالوغص فرآهم فى أسوأ حال وقد هلك منهم الابطال فقال كيف كانت هذه المصيبة فحدثوه بما تم عليهم من العرب المتنصره فبكى ميمون الجماس حتى أبكى الناس وساروا بقلوب قد ملئت حنق وزادت قلق فالتقوا بعساكر الروم قريب من القسطنطونية الذين أرسلهم الفالوغص ومعهم الاسارى فى الحبال والشعاف على رءوس الرجال ورءوس المقتولين على الرماح الطوال وهم سائرين على مهل (قال الراوى) ونظروا الروم إلى عسكر السودان فقالوا وحق المسيح لقد كنا استرحنا من هذه الألوان فلا رحمهم المسيح هذا وميمون الجماس قد نظر إليهم ووقعت عينه عليهم فصاح يا آل حام يا آل حام خلصوا اخوانكم الكرام من أيدى هؤلاء الملاعين اللئام وازحفوا عليهم إلى قدام فعندها صلبت الروم على وجوهها وقالوا لنا زمام ما رأينا هذه الألوان الكريهة فلا كانت ساعتها ولا بارك فيها ولا بد لنا اليوم ما نقرنهم إلى أصحابهم فى الحبال ونقودهم قود الجمال ثم التقوا حملتهم بصدورهم وقربوا منهم قنطارياتهم وقصدوا بها إلى نحو صدورهم ونحورهم وانطبقت عليهم السودان وحملت عليهم بنى كلاب بسيوفها الحداد وعملت فى الأبدان الناعمة وحامت عليهم الطيور الآجال

ولم يزل الصارم يعمل فى المفاصل والسيوف تقطع السواعد والرماح تعمل فى الكواهل وكانوا بين مقتول وقاتل وحمل ميمون الجماس على مقدمة المتنصرة ليث بن سهل وكان أشجعهم قلبا وأكثرهم كفرا وضدا فضربه ميمون الجماس بالعامود على صدره قصف خرزة ظهره وذهبت روحه إلى النار ولم يبق أحد من السودان إلا وضرب واحد من العرب المتنصرة وأهلكه ولم تكن الا ساعة حتى أهلك الله عشرة آلاف من عبدة الصلبان وأما الاكراد فانهم حملوا على الروم وصبحوهم صباح ميشوم وكذلك بنى كلاب أنزلت عليهم العذاب فلم ينجى منهم إلا من كان فرسه سابق وجمعوا الاسلاب والاثقال فأنفذوها إلى حصن يانس المتعزب وخلصوا الأسارى وسار يطلب الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وصابر المرعشى بين يديه يأخذ الأخبار وقد قتل من الروم ومن المتنصرة خمسة وعشرين ألف وصار صابر المرعشى حتى وصل إلى عسكر الروم الذين صحبه البترك وسأل عن القصة فأخبروه أنهم رحلوا وأخدعوا الأمير عبد الوهاب وقد أكمنوا الكمائن فلما سمع ذلك خشى على الأمير عبد الوهاب وعلى أصحابه وسار لعله يلحق الأمراء ويحذرهم منهم فلقى الأمير كما ذكرنا وبشره بقدوم ميمون الجماس كما وصفنا وبخلاص الأسارى وأخذ الغنائم وكيف قتلوا الاعداء وغلوا منهم الأيادى ففرح الأمير عبد الوهاب فرحا شديداً وسجد شكراً لله تعالى على هذه المنة التى قد من الله تعالى بها عليهم فقالت الأميرة ذات الهمة الآن ماهو وقت القعود فقال لها وكيف التدبير بارك الله فيكى فقالت ندخل إلى العسكر ونحن برا الروم ثم يرجع صابر المرعشى إلى ميمون الجماس ويقول له العجل العجل فاذا أشرفت عساكر الروم عند الصباح لابد لهم مايركبون لاسيما هذا الملعون الفالوغص فاذا ركب ورفع على رأسه العلم الأكبر نقاربه نحن إذا رأيناه وندور من حوله فاذا وقعت الحملة صحنا نحن الله اكبر وطلبنا الملك ولا يبقى واحدنا إلا ويطلب بطريق ومقدم من قواد عسكره فما أقول انهم تقوم لهم بعدها قائمة فقال اللملمان لو دخلنا للعسكر وعلينا لبس الروم فما كان ينكر علينا فقال أبو محمد البطال إذا وصلتم إلى العسكر أنا أدخل اليه وآخذ لكم كلما تريدوه من لبس الروم وتخفون أمركم إلى أن يصلوا أصحابكم وما يكون إلا مايريد الله ولكن عقبة وأرمانوس شيلوهم فى الصناديق على البغال وسلموهم إلى صابر المرعشى يسير بهم فى الليل كما أتى الينا إلى أن يصل إلى حصن يانس المتعزب فليفعل مايتصور برأيه وسلموا عقبة وأرمانوس إلى صابر وساروا هؤلاء حتى قربوا من عساكر الفالوغص فقال لهم الأمير أبو محمد كونوا ههنا حتى آتيكم بما أوعدتكم به ثم تركهم ودخل عسكر الروم وكان يعيب

ساعة بعد ساعة ويأتيهم بشيء حتى كان يأتى بالفرس وعليه عدته وجميع آلته وما يحتازه الفارس إلى أن أكفاهم وزاد منهم فقال الأمير عبد الوهاب بالله عليك يا أخى من أين هذه العدة وأين أصحابها فقال أيها الأمير والله ما أتيتك بشيء منها حتى قتلت صاحبها فقال له الأمير درك (قال الراوى) ولبسوا زى الروم ودخلوا العسكر فاختلطوا فيه بين الخيام وجعلوا يتسمعون الحديث والروم يقولون وحق المسيح لقد أبطأت علينا أخبار المسلمين وما نظنهم إلا فرغوا وما نزلوا من الدير وقد حسبوا ماقد عولنا عليه وأن الملك الفالوغص قال للبترك يا أبونا ما نرى للمسلمين خبر ولا الكمنا ماعرفنا لهم أثر فقال البترك وحق المسيح إنى أخاف على أصحابنا لايكون المسلمين وقعوا بهم وقتلوهم جميعاً فقال له ويلك فلو انهم يطرحوا عليهم شبكة ماقدروا عليهم فقال البترك أيها الملك ان معهم واحد أجوع من كلب يأكل الآذان مثل ماتأكل أنت السمكة ولو أنه قعد على الطريق ماعبر عليه ملك ولا بطريق فضحك الفالوغص وعلم أن القوم أذاقوه الخوف وحصل فى قلب الملك مثل ماحصل فى قلب البترك فلم يعتب عليه بل انه أرسل خيله إلى الكمنا وقال لهم إن لم يكن عبر عليكم أحد فسيروا أنتم إلى الحصن واكشفوا الخبر فقالوا سمعاً وطاعه وساروا من تلك الساعة هذا والأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب قد نزلوا قريباً من سرادق الملك إلى أن أصبح الصباح والملك قلق غاية القلق وطلعت الشمس ومضى من النهار مقدار ثلاث ساعات وإذا بغبرة من ورائهم قد طلعت وانكشفت وظهر من تحتها خمس فوارس من المنهزمين الذين كانوا انهزموا من قدام ميمون الجماس ولم يزالوا قاصدين إلى الملك حتى صاروا بين يديه وأخبروه بالوقعة وما جرت عليهم من الفجعة فاغتاظ من ذلك وضرب رقابهم فبينما هو كذلك وإذا بالكمنا أتوا وأخبروا انهم ساروا إلى الحصن فلم يجدوا للمسلمين من خبر فعظم ذلك عليه وكبر لديه وقال وحق المسيح لئن لم يظهر خبرهم والا ضرب رقابكم ثم أدعى بالشيوخ من أهل تلك الأرض وسألهم عن الطريق إلى بلاد الإسلام فقالوا وحق المسيح ماعرفنا لهم طريق إلا فى لحف الجبل ولا تسلكه الخيل ولا الدواب ونحن مانعرف لهم طريق إلا من عليكم فقال إذا كان الأمر كذلك فما يكونوا إلا فى عسكرنا واختلطوا بنا والصباح أدركهم وما قدروا يعبروا علينا ثم قال لجميع الملوك والبطارقة كل واحد منكم يفتقد رجاله وجنده وأعوانه ويعرضهم عليه فقالوا جميعاً سمعاً وطاعة هذا وأبى محمد يرى ذلك كله فقال مارأيت مثل هذا الملعون والله ان الجن ماتهتدى لفعاله فبينما هو كذلك وإذا بغبار لاح وثار وظهر له عجاج ثم ارتفع وبعد ساعة تمزق وانقشع فلما شاهد الفالوغص لذلك عظم عليه وكبر لديه وقال لأصحابه اكشفوا لنا الأخبار فعندها تجارت البطارقه كأنها

قطع الليل ساعة وعادت تخبر أن عساكر الاسلام قد وصلت لخلاص أصحابها من بعد ماخلصوا الغنائم والأسارى الذين كنا أخذناهم وأهلكوا العرب المتنصرة وعبدة الانجيل وما سلم من طائفتهم واحد فقامت على الفالوغص القيامة وعاد على نفسه بالملامة ونادى فى عسكر الروم فركبوا البطارقة ثم ترتبت وقد ظن أن العساكر الاسلامية قد جاءت اليه كلهم ولما قرب الجيش منه ورأى قلته قال وحق المسيح لوخرجت اليهم وحدى لأبيدهم جميعا ثم أنه أمر ملك البشناق بالحملة فخرج اليهم بعساكره وقاتلهم ساعة من النهار ثم عادوا وهم يطلبون الهزيمة لأن اللملمان هرس فيهم وحمل على ملك البشناق فاورثه الهلاك ونظرت الروم إلى العلم قد مال والملوك اسروا وبعضهم قتلوا فارتفع منهم الصياح والزعاق ورموا أنفسهم على المجاهدين ووقع فى عسكر الروم المحاق وبليت الروم من السودان بما لاتطاق وكبرت الأميرة ذات الهمة وأكبت رأسها فى مربوص سرجها وجعلت تخترق الصفوف وتسقى الروم شراب الحتوف حتى وصلت لعسكر ميمون ونادت ياميمون أنا فاطمه بنت مظلوم المجاهد فى طاعة الحى القيوم وقد خلصت أنا وولدى من كل نائبة وشدة فلما سمعوا السودان وبنى كلاب ذلك النداء طابت قلوبهم وجاهدوا فى سبيل الله الملك الديان هذا والأمير عبد الوهاب واللملمان يحملوا على طوائف الصلبان ويقصدوا الروم بطعان حتى أبادوا الطوائف والفرسان ونظرت الطوائف إلى ملوكها قد قتلت والصوارم فى رقابها قد عملت وهجمت فيهم السودان وقد ترجات ورمت دروعها وبقوا عراة الأجساد فتبدل ضياء النهار من أجسادهم بسواد وجعلوا يضربوا قوائم الخيل حتى قطعوها وأرموا الأبطال وصرعوها فصلبت الروم على وجوهها وقالوا هذه وحق المسيح قضية مارأينا مثلها اطلبوا ياويلكم بنا الهرب فهذا المنادى ينادى ان الفالوغص أسر وكل ملك لنا قتل ومابقى لنا غير النجاة والا موتنا موت الفجاه ولم يقدر أحد على الثبات ولم يزل السيف يعمل إلى أن أقبل الليل بالاعتكار وقد ولت عساكر الكفار الأدبار وركنوا إلى الفرار وقد ملكت المؤمنين الغنائم والأموال واجتمع الأمير بعساكره وأقاموا باقى ليلتهم إلى الصباح وقد دارت به سودانه وأصحابه من بنى كلاب حتى صاركانه مافارقهم قط وأصبح وركبه فى زهاء عن سبعين الف فارس بعد ماكان مأسور مقهور وعاد إلى جيشه العرمرم وقد نشر على رأسه كل راية وعلم وسارت بين يديه الأبطال والخدم وهذه قدرة بارىء النسم ولما أصبح الصباح أحضر الملك الفالوغص وقال له أنت الفالوغص قال لا وإنما أنا من خواصه ألبسنى ثيابه وتركنى تحت العلم وهذا آخر العهد به فقال الأمير عبد الوهاب ماهذا إلا شيطان والله تعالى يكفينا شره ويصرف عنا مكرمه فقال الأمير

عبد الوهاب الرأى عندى اننا ننفذ بين أيدينا ألف فارس يقتفوا أثره فقال أبو محمد هذا مالا يفيد لانه ملعون وهو من الشجاعة بمكان عظيم ثم سأل عن عقبه وارمانوس فقال الأمير عبد الوهاب انى قد أرسلتهم مع عشرة من أصحابى إلى حصن يانس المتعزب فقال أبو محمد ماأخوفنى أن يلحقهم هذا الملعون فعند ذلك ادعى الأمير بموسى ابن صالح الكردى وضم اليه مائة فارس من الأبطال المنتخبة وقال له امض فى أثره عساك أن تظفر به وبعقبه وارمانوس وتسير بهم لئلا يقع بهم هذا الملعون واستعمل العجل ولا يأخذك فى المسير مهل وأين ماسرت فنحن لاحقون بك ان شاء الله تعالى لأننا معنا هـذه الغنائم والأموال ولا نقدر نسير الا على رفق فقال موسى السمع والطاعة وقال الأمير خذوا أنتم الراحة حتى نسير فى غداة غد فهذا ماجرى لهؤلاء (وأما ما كان) من الفالوغص فانه مضى مع غلامه بولص وأخذ كل منهما فرس ونجيب وكان بولص هو الآخر بطلا من الأبطال فلهذا اختاره الفالوغص دون غيره وانهما لم يزالا يركضان حتى وصلا إلى قاع الدروب وإذا بالغنائم هناك نازله وبنى كلاب حولهما بالخيام والأعلام والدنيا ملآنه بهم لانها غنائم الروم والعرب المتنصرة وغنائم بنى كلاب وان الفالوغص لما شاهد ذلك ضحك وطاب عيشه ونزل عن جواده وركب الجنيب وكان جواد سابق من الخيل شديد القوى والحيل اسود من الليل مليح التحجيل بغرة كالقنديل معتدل القوائم كانها دعائم يسبق الرياح وقد غذى بلبن اللقاح وان الملعون لما ركب هذا الجواد لبس ثوب زرد خفيف ظريف ضيق وثيق كانه عيون الجراد لايعمل فيها السيوف الحداد من عمل عاد ثم تقلد بسيف طويل عريض ثم صاح يا كلاب العرب وأخس من ضرب عليها وتد أو طنب أنا صاحبكم الذى قد قتلت رجالكم أنا الفالوغص ابن ارمانوس واليوم أصبحكم بصباح المنحوس فخلوا مافى أيديكم من الغنائم وانجو سالمين والا تركتكم على الأرض مطروحين فاطلبوا الهرب والا وحق ست عواميد فى كنيسة صوفياء لى كل عامود صليب جوهر وراهب مصور ماأدع أحداً منكم يرجع إلى أهله (قال الراوى) فلما نظروا القوم إلى شخصه وسمعوا كلامه وثب كل واحد منهم إلى جواده وامتشق رمحه وحسامه وبادروا ليحملوا عليه فجعل يستقبل الواصلين ويطعن صدورهم ويقصد بالسنان نحورهم وهو ينكس فارس بعد فارس وهم يصيحون عليه وهو خانس والغبار عليه قد ارتفع ودما عصابة الايمان تكدع وملك الموت فى صارم الفالوغص قد لمع وكلما اجتمعوا عليه وقاربوه يصرخ فى وجوه القوم فترجع من عظم صرخته حتى قتل منهم ستين فارس صنديد ولم يبق منهم فارس يذكر ولا بطل إلا وهو مجروح أو مجندل ثم اتسع عليه المجال فجال وصال وصار إذا حمل عليهم اندقوا بين

يديه وما فيهم إلا من يقول أنه سبع وهو فريسته فهرب وقد انقطع نفسه وذابت مهجته (قال الراوى) وكان تحته ذلك الجواد الذى ذكرناه ووصفناه وكانوا إذا اندقوا بين يديه يلحقهم ويطعن منهم بصناعته ويخطف أرواحهم بقوته وبراعته فاذا انتخوا وعادوا إليه يطلبوه صاح بالجواد فلا يلحقوه حتى يبعد عن خيلهم فيعود صارخا ويكر راجعا فيصرع الأبطال ويطرح الاقيال ثم أنه زاد فى فعاله وأعجب بنفسه فانشد وجعل يقول هذه الأبيات .

انى أنا الفالوغص الحلاحل لو كنتم مائة ألف راجل
بادرتكم بالسيف فى المحافل وأنا الشجاع البطل المناصل

(قال الراوى) فلما سمعت وجوه العرب زجره وشعره قالوا ماهذا إلا شيطان وروى مايقول الشعر وما هو إلا من أولاد العرب المتنصره وكان قصة هذا الملعون عجيبة وذلك أن أرمانوس لما تزوج أمه منسية الكرجية كانت موصوفة بالجمال فأحبها محبة عظيمة وصار مايبيت إلا عندها ولم يبق فى قصر ارمانوس امرأه ولا سرية إلا وقد غارت منها وأقامت عنده سنة لم تحمل منه فقالت لها النسوان نحن مانبالى إن كان الملك يحبك أو يكرهك لأنك لم ترزقى ولدا يشارك أولادنا فى الملك فلما سمعت ذلك حملت على قلبها هما عظيما وعملت كل دواء فى الدنيا فلم ينفعها فلما أيست من الحبل قالت لبعض العجائز الذين يختصون بها ذلك وشكت اليها حالها فقالت لها أحداهن اعلمى أن أرمانوس قد عقد عنكى حتى لاترزقى منه ولدا فابذلى نفسك فى السر لغيره لعل أن تحملين منه ولا يعلم أحد إلا أنه من الملك فقالت ياعجوز أخاف أن لاينكتم هذا الأمر فقالت يابنتى ومن يعلم بذلك سيرى انتى الليلة معى ولا تعرفى هذا الأمر إلا منى فقالت لها ويحك فمن هذا الذى يكون واقف ينتظرنا لأننا نحن مانريد نعرف بنفوسنا وما كانتا إلا من بعض نساء البطارقة فقالت لها ماتحتاجين إلى من ينظرك لأن الحسن قوى وإذا رآنا أحد أو عرضنا كى عليه أخذك بالقبول فلما سمعت منسية ذلك فمن عظم ماحملها من الكياد على أخذ الملك فعلت ذلك وكان ارمانوس غائب فى بلاد الكرج فى زفاف ابن ملكهم فخرجت هذه العجوز بها وجعلوا يطوفون شوارع القسطنطينية يطلبون من يربح فيهم الثواب وقد أيسوا من ذلك فبينما هم قيام والملكة لها وجه يشرق مثل القمر وهى تقول للقهرمانة أين الذى قلتى فانا الذى على حال ماأرجع إلا ببغيتى وإذا برجل له همهمة وهدير (قال الراوى) وكان فى القسطنطينية رجل مجنون يدور فيها وهو من العرب المتنصرة واسمه فرعون وكان عظيم الخلقة وكان لايفيق ابدا فلما كبر خرج هائما على وجهه وكان إذا لكم الجواد يقصف أضلاعه

وإذا قبض على قرن الجاموس قلعه من مكانه ولا يجسر أحد يقف بين يديه ولا قدامه وكان داير فى حلل العرب المتنصرة وله ستة أشهر ماداخل إلى القسطنطينية والروم يتعجبون منه وهو مع ذلك ينظم الشعر وينطق بالفصاحة فلما رأى الملكة منسية أقبل إليها كأنه الفتيق فقالت العجوز يامولاتى هذا فرعون المجنون قد أقبل وهو لا يعلم مايراد به ولا يدرى من نحن ولا يخرج هذا الحديث منه إلى احد وهذا من نيتك الصادقة فقالت هذا جبار وأخاف أن يقتلنى فقالت لاتخافى ثم صاحت به القهرمانة وأوقفته فذهب جنونه وانفتحت عيونه وأرمى نفسه عليها وانصرفت عنه وقد طار قلبها وهى ضاحكة فقالت للعجوز ويحك فى غد ابعثى له ثياب نظاف وطيبها بالبخور فقالت العجوز وما قصدك بهذا فقالت قد عملت شيئا وأريد أن أتمه وأجيبه إلى عندى وأقول قد رأيت فى النوم من يقول لى إذا أردتى أن ترزقى ولدا ذكر فاحسنى إلى فرعون وبه ترين من ارمانوس مايقر عيناكى فقالت القهرمانه سمعا وطاعة وعادت منسية إلى قصرها فلما كان من الغد أدخلت فرعون الحمام وألبسوه الأطلس وأطعموه لطيف الطعام وتركته فى القصر فأقام عندها ثلاثة أشهر فتبين حملها فى جوفها فقالت العجوز هذا الولد قد صح أمره وما بقى لنا حاجة بهذا المجنون فأقام عندها فرعون المجنون حتى وضعت هـــذا الولد وقالت للملك أنا قد استبركت به وما رزقنى المسيح هذا الولد إلا بما قد فعلت فى حقه وأنا أريد لايبرح فى القصر عندى حتى يعيش ولدى فقال لها الملك أرمانوس الأمر اليكى وما كان يقدر على مخالفتها لشدة محبتها وكان فرعون جميل الصورة ضخم الخلقـــ كأنه الجمل الهايج نصار يركب الخيل فى القصر فحدثتها نفسها بقتل ارمانوس لما حبس ولدها الفالوغص كما قدمنا وقد عولت أن تترك الفالوغص مكان ارمانوس وتتزوج بهذا المجنون (قال الراوى) وسنرجع الى سياقة حديثنا الأول وما وقع لفالوغص مع بنى كلاب فى خلاص الغنائم والأموال وبنى كلاب انهزم منهم من انهزم وسلم الغنائم وعاد راجع فرحان وإذا بغبار قد ثار حتى سد منافس الأقطار وانكشف وبان من بين يديه فوقف ينظر اليه ويتحققه بعينه وكان ارمانوس وعقبه مع ملابط البغال ومعه عشرة فوارس من السودان الأنجاب وقد لحقهم موسى الكردى الذى أنفذه الأمير عبد الوهاب فى مائة فارس وكان هذا موسى من الأبطال المعدودة المعروفة والاقبال الموصوفة ولما لاحوا الفالوغص من تحت الغبار قال لغلامه بولص ويلك سوق الاسارى والغنائم حتى أكشف أنا خبر هؤلاء القوم وكان الملعون لما عاد بالغنائم وأخذ الأسارى قد ترك منهم عشرين مطلوقين يسوقوا الخيل والدواب فأوصى غلامه بهم وطرد الجراد حتى لحق القوم وصاح بالعربية من أنتم فعرفه ارمانوس

بصوته فناداه ياولدى أنا أبيك ارمانوس ومعى الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح وهؤلاء القوم مسلمين سائرين بنا الى حصن يانس المتعزب فلما سمع الفالوغص كلام أبيه ضحك وقال لقد أحسن المسيح خلاصكم فقال عقبة ياولدى وفيك ان تلقى الاكراد والعشرة السودان فقال نعم ياشيخ والساعة خلصت الغنائم من الف فارس من بنى كلاب فطاب قلب عقبة بذلك وسمع موسى الكردى هذا الكلام فقال لقومه كونوا على ما أنتم عليه حتى أبرز الى هذا الملعون ثم خرج على جواد أبلق مليح الحدق مؤدب مطرق إذا سابق الريح سبق لايدرك ولا يلحق ومعه رمح أسمر وفى رأسه سنان أزرق وزعق على الفالوغص وقال دونك والقتال فضحك الفالوغص وقال دونك يا ابن الأكراد اللصوص ثم حمل على الفالوغص وحمل الكردى وجالا وصالا وتعاركا وتشابكا ثم ان الفالوغص زعق بخصمه زعقة مدهشة وحمل عليه حملة منكرة وطعن الكردى فى صدره أنفذ السنان من ظهره وعجل الله بروحه إلى الجنة ثم جال الملك على شلوه ونادى ياويلكم ماهذا يوم براز احملوا كلكم حملة واحدة فنحن من أمرنا على عجل فلما سمعت السودان كلامه حملت بأجمعها واتبعتها الاكراد من حرقتها وحرقت قلوبهم على الأمير موسى فجعل الملعون يلتقط الفرسان كما يلتقط الحب الحمام وما كانت إلا ساعة حتى قتل من القوم أربعين فارس وتقدم اليه مقدم السودان وهو يلعب بالأدهم وكان فارس لايطاق وعلقم مر المذاق وكان أخو ملابط البغال فى قوته وشجاعته فطال بينه وبين الفالوغص القتال ودام المجال ثم استجاده بطعنه فى صدره أخرج السنان من ظهره ولم يزل يحمل عليهم حتى أنه قتل العشرة السودان وثلاثة وخمسين من الاكراد وانهزموا الباقين وأخذ عقبة وأباه وطلب الغنيمة التى مع غلامه بولص وقال جدوابنا الساعه الى مدينة القسطنطونية فساروا وهم فرحانين بالخلاص ومتعجبين من قصة الفالوغص وعقبه ينظر اليه ويتعجب من شجاعته وما زالوا كذلك الى أن قرب المساء وأتتهم الكتائب متواترة والبطارقة هائجة على وجوهها فسألهم عن حالهم فأخبروه ان عساكر المسلمين كسرتهم (قال الراوى) فلما سمع ذلك لم يضعب عليه ولا كبر لديه بل أنه قال لو كنت أنا حاضر لم كان جرى هذا ولا تم ولكن مابقيت أبالى بعدما استرجعت الغنائم وما وصل إلى القسطنطونيه حتى اجتمع معه أوفا من خمسين ألف من المنهزمين وباقى القوم أتفرقوا فى الأقاليم وساروا إلى بلادهم راجعين (قال الراوى) ثم ان الفالوغص أحضر باه فى القصر بين يديه وقد وقفت البطارقة فى خدمته وقد صار له فى قلوبهم هيبة عظيمة فقال لأبوه ماذا تقول الساعة فقال له الأمر لك يابنى وكلما تعمله فهو الصواب فقال له فاذا

كان الأمر لى فأنا آمر الساعة العساكر أن تجتمع وأسير بها إلى حصن يانس المتعزيب وآخذ معى النقابين وأتركه دكا فما آفة الروم إلا منه وإن سمعت بعد أن المسلمين وقفت على رأس الدروب فأنا أبيدهم عن آخرهم ولا أترك أحدا منهم يرجع إلى بلادهم فقال له ارمانوس ماهذا صواب والرأى عندى مصالحتهم لأنهم كانوا عشرين وما لحقناهم وهم اليوم سبعين ألف عرب وأكراد وسودان وأخاف أن ينكسر باقى عسكرنا ولا يبقى لنا بعدهم باقية ولا تقوم لنا راية ونحن نحمل الجزية على ماجرت به العادة (قال الراوى) فلما سمع الفالوغص ذلك المقال غضب غضبا شديدا وأخرق بأبيه بين البطارقة وقام إلى أمه وقد قال لها ياأماه قد عولت على أننى أقتل أبى وأستريح منه لأنى لا أجد له فى قلبى حلاوة فقالت له أمه نعم مارأيت ياولدى أقتله فقد أذل دين النصرانية وأنا مارزقت بك إلا ببركة هذا الرجل فرعون وقد داويته حتى انه قد برىء من الجنون وبعد ليالى رأيت كأنه السيد المسيح قدم عليه فأشرقت أنواره وأزهرت دلائله وفخاره وكأننى فى النوم حملت بك وكانت ذكرت من قبل ذلك للروم فصار المجنون عندهم أعظم شىء لأنهم كانوا يقولون هذا قدم عليه السيد المسيح وأبرأ جنونه ورجع الفالوغص إلى سرير ملكه وجلس عليه وقبض على أبيه ارمانوس واختار له من أولاد البطارقة أربعة آلاف غلام فى سن واحد وألبسهم المناطق وأوقفهم على نائبه يحجبونه وقال أنا أريد أعمل مثل ما عمل الملك الاسكندر وأفتح الأرض كلها وماتم له ما أراد إلا بالأربعة آلاف الذين انتخبهم وكانوا أولاد ليلة وأقام الأربع آلاف الذين اختارهم على رأسه ثم جمع القسوس والرهبان وعلماء النصرانية وأكابر أهل ماء المعمودية وقال لهم أنتم تعلمون أن أرمانوس قد أذل أهل هذا الدين وجعلهم عبيد للمسلمين بأخذه الجزية منهم ودفعها للمسلمين وأريدكم تفتونى بقتله فقالوا ماأمرنا المسيح بهذا قال فهل أمره المسيح يحمل الجزية ويترك الجهاد فقالوا الا فقال وحق المسيح ومريم القديسة الطاهرة النفيسة لابد من قتل ارمانوس وان لم تحله لى الرهبان والقسوس فقال عقبة لاتفعل فهذا مما يغضب عليك المسيح ويحرمك من أجله الشيخ النجيح وأبوك معذور لأنه بلى برجال لايطاقون (قال) فلما سمع الفالوغص هذا الكلام من عقبة قامت عيناه فى أم رأسه وجذب سيفه وضرب ارمانوس صفحا وقال قدموا لى هذا الشيخ الأعور الذى يشبه إبليس حتى أفعل به مثل ما فعلت بارمانوس فانى ما أحب أن يكون فى دولتى أعور فتبادرت إليه الفتيان يسحبوه إليه فطار عقله وصاح لاتفعل أيها الملك فأنا عين المسيح على المسلمين وحجته على عبادة أجمعين فقام البترك وقبل صدر الفالوغص وجعل يسكن غضبه ويذكر له فضل عقبة وفعاله مع

الروم وتعصيبه لهم على المسلمين فقال الفالوغص وهذا عين النفاق فأما أن يقيم عندهم أو يكون عندنا ويظهر أمره فقال البترك الأصح لنا إقامته عند المسلمين كما يطالعنا أخبارهم فقال الفالوغص اما أن تمكنى من قتله والا من خصيه حتى لايعود هو ولا بغيره يتجرأ بالكلام فى مجلسى بخلاف مالا أريد فقال عقبة فى نفسه الخصى أسهل ولكن هو على أشد من القتل فقال البترك فهذا مما يغضب عليك المسيح فضحك الفالوغص حتى استلقى على قفاه وقال لابد لى من خصيه (قال الراوى) فقام جماعة من القسوس والرهبان والخواص وسألوا الملك فيه فقبل سؤالهم وعفاه من القتل والخصى وحلف أنه لابد له من حلق دقنه فما عاد أحد قدر على مراجعته فيه واستسلم عقبة للقضاء والقدر وقال الدقن تنبت والرأس لاتنبت فحلق العالوغص لحيته قدام البترك واشترط عليه أن لايعود إلى بلاد المسلمين فقال عقبة ياملك الامر إليك وما بى إلا البيعة التى تحت دارى أخاف عليها تخرب فقال الملك لاتخاف ولابد لى مما أملك بلدك وبلد غيرك ثم فتح الخزائن وأخرج الأموال التى جمعت من أيام الهراقلة وأخرج الكنوز وأعطى الجند وأكثر اقطاعهم وأوسع أرزاقهم واستجلب قلوب الناس إليه ففرحوا به وداروا إليه من كل جانب ومكان وأطاعته سائر البلدان وكان يقول عن فرعون المجنون هذا عمى وحكمه كحكمى وهو الملك إذا غبت عنكم فقالوا الروم من رد المسيح عليه عقله كيف ننسى فضله ثم أن الفالوغص صبر إلى الليل وادعى بثلاثة من البطارقة وأمرهم أن يمضوا إلى أرمانوس ويخنقوه إلى أن يموت ويدفنوه ففعلوا ما أمرهم وخنقوه ودفنوه فى السجن فى مكانه فلما فعلوا ذلك وعلم أنه قد خلى وجهه منه كتب الى سائر الأقاليم ونادى فيها بالغزو وقال من تأخر قلعت شأفته وأريد يكون الاجتماع عند حصن يانس المتعزب ثم ضرب خيامه وأخرج أعلامه وكان قد صنع خمسون علم كلها على صفة واحدة وأرسل إلى العرب المتنصره وهم أربعون ألف وقال لهم خذوا أهبتكم للرحيل إلى بلاد الاسلام فقد أتانى الجاسوس وأخبرنى أن عسكرهم طالب حصن يانس وقد أمرت الملوك أن تلحقنى إلى هناك لأنى أريد أن أملك سائر البلاد ولا أترك فيها ملكا سواى ثم تجهز فى جميع عساكر القسطنطونية وسار يطلب حصن يانس وقد خرجت القسوس والرهبان ورفعت الرايات والأعلام وعقبة سائر فى أوائل الناس رافعا صوته بقراءة الإنجيل وهو أعور مقطوع الدقن إلا أنه يطرب بصوته الحجارة فبكى الفالوغص من طيب نغمته ودعابه وخلع عليه خلعة سنية لايجعلها إلا على بترك البتاركه وقال له أجعلنى فى حل حتى إذا رجعت أعطيك خزانة هرقل فقال أنت فى حل (قال الراوى) ثم سار حتى بقى بينه وبين الحصن ليلة

واحدة فقال عقبة معلوم أن عبد الوهاب قد أخذ الغنائم والأموال وكسر عسكر الروم وأهلك الرجال والساعة هو سائر على مهل وما يقول أنه قد بقى قدامه من يخافه وربما يلتقون بكم عند الحصن فيكون الحصن ظهر الهم ولكن أكمن فى هذه الطريق الكمنا لعلك تلتى عساكر المسلمين قبل أن يصلون إلى الحصن فضحك الفالوغص وقال ياشيخ وحق المسيح لا أتركك تقعد إلا فى الحصن فقال عقبة أيها الملك ما أقدر أرد عليك كلام لأن ما بقى لى ذقن أخرى ولكن هذا الحصن قد عجزت عنه سائر الملوك لأنه حصن حصين وقد أعجز الهراقله فقال له سوف ترى ما أصنع ثم ادعى فى الحال بالعرب المتنصرة وهم أربعون ألف فاختار منهم خمسة آلاف وأخذ من البطارقة من الروم أربعة آلاف وكتفهم وأمر العرب المتنصرة فدارت بهم وادعى بفرعون وقد سماه الفارغياض وقال له أريد تكون أنت ياعماه على هذه العساكر من بعدى ثم تسير بها من خلفى على مهل وان لحقتك عساكر المسلمين فالقاهم وان لم تاحقك فسير من خلفى على مهل إلى الحصن فأنا أسير قدامك على عجل وأملك الحصن إلى أن تأتى فقال الفار غياض السمع والطاعة أنا وحق المسيح أقيم على الطريق حتى يأتون المسلمين وأرمى روحى عليهم وأغنيهم (ياسادة ياكرام) وقد ذكرنا ان هذا مجنون من الأصل وهو جبار من الجبابرة وولد مثل هذا الجبار وافترقا على هذا الوجه وسار الفالوغص إلى وقت السحر وقد ضربت بوقات عسكره السلطانية وضربت الكاسات الخليفتية ونادت العرب لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عقبه إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر وسمع يانس ضجة العسكر فقال الأمير ورب الكعبة قد وصل وفتح باب الحصن ونزل فى وجوه بطارقته وقد أصبح الصباح فرأى أربعة آلاف بطريق مشدودة وخمسة آلاف من العرب المتنصرة دائرة بها فقال هذا عسكر الأمير ولكنى ماأرى من السودان أحد فقالت له العرب اعلم ان الأمير معه هذه المرة الغنائم والأموال وأسارى مالم يقع عليه أحصا بعدد الرمل والحصى وقد ضبط السودان منه خوفا من التبع ثم سرنا نحن بهذه الأسارى لنخفف عنه فلما سمع الأمير يانس ذلك انطلى عليه وأدخلهم فى حصنه وأنزلهم عنده وفى داره وفى دور أصحابه ونقل اليهم الطعام والعلوفات وأقاموا هؤلاء حتى جن الليل وغلقت الأبواب وتوانبوا مثل الدياب وفى أوائلهم الفالوغص وزعق عيسى ومريم فعندها قلق القائم واستيقظ النائم وخرجت بطارقة يانس وكانوا ثلاثة آلاف بطريق فقاتلوا قتال عن الحريم وصبروا صبر الرجل الكريم وبسطت السيوف الحداد وزاد الليل سواد وأنكر كل واحد أخاه ولم يعرف أعدائه من أصدقاءه وبطارقة يانس

قد جعلوا الأشعار بينهم توحيد الواحد فى أرضه وسمائه تعالى ربنا وتقدست أسمائه وهاج الفالوغص كما يهيج الجمل وجعل يصدم الرجال صدم الجبل والذى لايقدر على أسره يجزره بالسيف فلما أصبح الصباح ملك الحصن وملك كلما فيه ورأى عقبة ذلك فقال يابردها على كبدى ثم أتى على يانس وهو فى الشد قبل أصحابه لأن أول من أسره الفالوغص فقال له عقبة كيف رأيت يا كافر يامن يعتقد ان المسيح مخلوق فقال يانس ياملعون أعطانى كما يشاء ويريد ويحكم على الموالى والعبيد فلا اعتراض عليه ولا منجا منه الا اليه فقال له أين شومدرس الذى حبسه البطال عندك فقال فى الجب فى حاله فمضى عقبة يدور عليه حتى وقع عليه وأخرجه وقد بقى مثل الخلال أو كشبح الخيال فلما رأى عقبة ونظر اليه عادت روحه إلى بين جنبيه وجعل يقبل صدره ويديه ويسأله عن الحال فقال ويلك هذا ملك جديد قد ظهر واسمه الفالوغص يعمل عمل الجبابرة ويجاهد على المسلمين بنية صادقة وقدقتل أباه ارمانوس وملك من المسلمين خلقا لايحصى فقال شومدرس وحق المسيح مادام أنت معه لايبصر قط خير فقال عقبة ويلك ياكلب أبا لك فى شيء وأنت لى فى شيء فقال لا وحق المسيح إلا من أجلك وقعت فى هذا المكان أجلد الليل والنهار فقال الساعة استوفى من يانس ثم سار اليه وبطحه قدامه وجعلوا الملاعين يضربوه حتى غاب رشده ثم سحبوه إلى السجن ثم عادوا إلى الملك يهنوه بالفتح والنصر فقال عقبة له سعد جدك وهلك معاندك وضدك ودام المسيح تأييدك ونصرك فأنت صاحب الفتوح فلا زالت بركات المسيح تغد وعليك وتروح (قال الراوى) ولما تضاحا النهار أشرف على الحصن غبار قد علا وثار فتحير الفالوغص وفزع على عساكره الذين خلفه مع أبيه الفارغياض وقال ياقوم هذا غبار فابصروا ما هو ثم بعث بطريقا من خواصه فغاب ساعة وعاد يركض وقال ابشر يامولاى هذه الأموال التى أخذها عبد الوهاب من الكسره ردها المسيح علينا ومعها الف فارس من الأكراد سائرين إلى آجالهم ففرح الملعون فرحا شديداً وجد فى قتال الروم (قال الروى) وكان الأمير عبد الوهاب لما نظر إلى العساكر الذين قدامه بتاع الفالوغص سير هذه الغنائم إلى حصن يانس حتى يستريح من صداعها وخف ظهره منها فلما نظر عقبه ذلك قال اعلم أيها الملك ان يانس كانت عادته إذا نزل عنده أحد من العسكر من المسلمين أو ممن يتعلق بهم ينزل اليهم الاقامات والعلوفات والطعامات فافعل أنت كذلك حتى لاينكر أحدا من أمرك شيئا فاذا أتى الليل وناموا وربحوا خيولهم انزل وخذهم قبضا بالكف فلما سمع الفالوغص هذا الكلام أعجبه رأى عقبة وقال وحق المسيح ما أنت إلا رحمة ولكنى ما عرفت قدرك وأما الأكراد

فانهم لما قربوا للحصن أنفذوا كلما كان معهم مع عشرة فوارس ثم نزلوا الباقين فى مرج العين تحت الربض فلما وصلت الأموال وطلعت الحصن تسلمها الملعون بلا طعنة ولا ضربة وقبض على العشرة الذين أتوا مع السبي وأمر العرب المتنصرة فانزلت الاقامات إلى سائر الأفراد فأكلوا وعلقوا على خيلهم وهم لايعلمون ماخبى لهم فى الغيب حتى إذا جن الليل ركب الملك فى ألفين ونزل اليهم وقبض عليهم عن بكرة أبيهم وعاد بهم إلى الحصن وهم لايعلمون ما الخبر فلما أصبح الصباح قال الملك لعقبه أيها الشيخ قد رأيت على رأيك البركة وقد نذرت أننى لاأخالفك فما الذى ترى تعمل فى هذه الاكراد فقال عقبه اعلم أننى ماأشير عليك بشور إلا وفيه رضى المسيح والصواب عندى قتلهم وقتل كل من وقع فى يدك حتى تقع الهيبة فى قلوب الخلفاء والسلاطين وأمر بضرب رقاب الكل فضرب رقابهم ورميت إلى بر الحصن وعقبه يقول هذه معاندة للسلمين فعند ذلك جلس الملك فى طيارة فى أعلا الحصن وكانت ليانس يتفرج فيها وهى نزهة الدنيا ثم نقلت اليه الموائد وعليها الخنازير المشوية وجلسوا البطارقة والعرب المتنصرة للأكل وأحضروا بعد ذلك المدام وعقبه إلى جانبه يحدثه بفنون الكلام والحكم وكان الفالوغص قد قرأ شيئا من الأدب وتعلم الخط وحفظ أشعار العرب وجعل عقبه يحدثه وأخذ بمجامع قلبه وقد أعجبه الحصن وعول على المقام فيه وأن يستخلف فى القسطنطونيه غيره (قال الراوى) فبينماهم كذلك وإذا بغبار قد علا وارتفع وتقطع ساعة وظهر من تحته خمسون فارس مثل الأبالس فركبت البطارقة حتى وصلت إلى الخيـــل المقدمة وسألوهم عن حالهم فقالوا نحن من عسكر الفارغياض وقد التقا مع الأمير عبد الوهاب وحل بنا العذاب وقطعت من أصحابنا الرقاب وأبادوهم بنى كلاب وقد بعث الفارغياض إلى الملك الفالوغص ينظر ما كان منه ومن حديثه لأن قلبه مشغول بسببه فقالوا البطارقة لهم قولوا للفارغياض ان الملك الفالوغص قد ملك الحصن وأخذ الغنائم وقتل الاكراد ففرحوا وصعدوا إلى الحصن وعرفوا الملك الفالوغص بما جرى فصعب عليه وأنفذ اليه خمسة آلاف من العرب المتنصرة التى كانت عنده وقال لهم قولوا له أن يطاول المسلمين بالبراز حتى تقدم العساكر الذين كاتبتهم من القسطنطونيه وأسير بها اليه لأننى قد وافقت الملوك أن تجتمع إلى هذا الحصن وقولوا له قوى عزمك على اللقاء فليس الجلوس على أسرة الملوك رخيص ويكون بينك المال والجوهر النفيس ثم التفت إلى عقبه وقال أيها الشيخ النجيح أريد أن تخلفنى فى الحصن حتى أذهب إلى العساكر وأدبرها لأنى أعلم أن عساكرنا بلا مدبر وما لها إلا أنت فقال أيها الملك مالى بخت فى العساكر إلا أن تكون فى الدور والقصور فقال ولم ذلك فقال لأنى ماأريد الصلح

بالمسلمين ولا أبصر وجوه الموحدين فقال الفالوغص ان هذا دين عظيم وزاد قدره عنده (قال الراوى) وبعث العسكر إلى أبيه وأقام ينتظر الملوك والعساكر ان تجتمع من الأقاليم فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأمير عبد الوهاب فانه لما أشرفت غبائر عساكر الفالوغص بعث الغنائم والثقل إلى حصن يانس كما ذكرنا مع الف فارس من الاكراد وتأهب للقاء الروم وقد وقعت العين على العين وزعق الفارغياض وحمل واتبعته عساكر الروم وارتفع الصياح فعندما مدت بنى كلاب الرماح واشتهرت بالصفاح وزعق الأمير وحمل وهو من أمره على عجل وحملت الأميرة ذات الهمة واشتبك الضرب والطعان وقبلت الروم الصلبان واستغاثوا بالمسيح ومريحنا المعمدان وضجت المسلمون بتلاوة القرآن وبذلوا نفوسهم فى طاعة الرحمن ورمت الحرب شرار النيران وحجبت الشمس من شدة الغبار فلم تدرك بالعيان وكشرت الشجعان عن أنيابها وخاطرت برؤسها ورقابها وشربت الأرواح كاس عذابها ووقعت من شدة الصدام على أجنابها ونفذت الرماح فى صدور رحماتها ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل من مبلج الأسحار إلى وقت الاصفرار ودام الحرب حتى انسدل الظلام بالاعتكار وولت جوهرة النهار وانفصلت العسكران وقد ضربت لهما الخيام (ياسادة) وهمت الروم أن تنزل فى الخيام فصاح فيهم الفارعياض وقال ياويلكم لاتنزلوا عن الخيل ولا تدعوهم يأخذوا راحة فى ظلام الليل وعودوا اليهم حتى ينزل بهم الويل (قال الراوى) وكان الملعون قد عمل فى ذلك اليوم مالا يعمله غيره وقتل من المسلمين خلق كثير لأنه لما صاح بالبطارقة وأمرهم بالقتال فى ظلام الليل قالوا وحق المسيح ياملك مافينا إلا من قد تعب اليوم من ضرب الحسام وهلك أكثرنا من ضرب هؤلاء العرب اللئام فقال ياويلكم انتم أضعافهم وتشتكون منهم احملوا والا غضب عليكم المسيح فقالوا ادع يغضب أيها الملك أو يرضى فمافينا من يقدر فى الليل على قتال السودان والعرب الشجعان فلما سمع الفارغياض هذا الكلام انقلبت عيناه وظهر جنونه وضرب من خيارهم عشر رقاب وقال لهم وحياة منسيه التى أبرت جنونى وقرت بها عيونى ائن لم تقاتلون غير الليلة لأضربن رقاب مقدميكم (ياساده) فلما سمعوا ذلك خافوا من سطوته وحملوا وعلى القتال عولوا وكانوا المسلمين قد نزلوا ولم يبق راكب إلا الأمير عبد الوهاب وعشرة من الأمراء الأنجاب وكانوا عزموا أن يرتبوا الحرس ولما رأوا الروم وقد عادوا إلى القتال صاحوا بالرجال فثاروا على ما بهم من التعب والكلال وكشف الأمير رأسه واشتد بأسه وقد زعق يا آل حام يا آل حام فأجابوه عند غياهب الظلام وركبوا الخيل وطاروا فى ظلام الليل واختلطوا بعساكر الروم وطارت الرؤوس من على الجسوم ونادت الروم ويماه من هؤلاء السودان الذين

هم فى لون الظلام الأسود يقاتلون ولا نرى منهم أحداً فلا غفر المسيح لهذا الأسود اللملمات ولا لهذا المجنون الفارغياض الذى أبلانا بقتال من لا نراه هذا والسودان تزعق وتضرب فى الرقاب ضرب الجنق وقد انقلبت منهم الحدق وفاح صنانهم وعبق وعرقبوا الخيل فى الطول والعرض وملئوا بالقتلى فسيح الأرض ولم يزل القتال يعمل إلى وقت السحر وفاض الدم وانهمر (قال الراوى) وأشد ما كان على الناس فى تلك الليلة الملك الفارغياض لأنه لم يقف تلك الليلة تحت الأعلام مثل ماتقف الملوك كان فى أوائل عساكر الروم مثل الأسد الهجوم ولولاه فى وجه عسكر الاسلام كانت الروم عولوا على الانهزام ولما كان وقت السحر وقع به الأمير عبدالوهاب فى معترك الضراب وانطبقا مثل الجبال ودام بينهما النزال وما فيهما من عرف صاحبه بل يطاعنه ويضاربه حتى انفجر الفجر وبدت غرة الصباح ومالت الأبطال من شدة القتال كما يميل شارب الراح وأكثرهم قد اثخنوا بالجراح وافترقوا عند طلوع الشمس بعضهم عن بعض وقد امتلأت بالقتلى جنبات الأرض ورجع الأمير عبد الوهاب من قتال الفارغياض وهو مجروح لأن الملعون ضرب الأمير ضربة مشبعة فما وصل اليه غير ذباب السيف فجرحه فى عاتقه وعاد كل واحد منهما عن صاحبه وقد قتل من الطائفتين خلق كثير والأكثر من الروم إلا أنه لا يبان فيهم لكثرتهم لأنه فى خمسمائة ألف غير الأتباع لأن كل واحد من العسكر له خادم والخادمين والعشرة والمائه وهم أصحاب الرايات وقواد العسكر فانظر الى هذا الخلق كم كانوا فسبحان خالقهم ورازقهم أين ما كانوا وبان النقص فى المسلمين لأجل القلة (قال الراوى) ونزل الناس فى الخيام واستراحوا حتى برد الهوى فصاح الفارغياض بالعساكر فركبوا وتأهبوا للقتال ونظرت الأميرة والأمير عبد الوهاب فقالوا ماهذا إلا شيطان لا يمل من القتال ولا يشبع من النزال ثم صاحوا فى الناس بالركوب واستغاثوا إلى علام الغيوب وركبت عساكر الإسلام مقابلة عساكر الروم اللئام ووقفوا ينظرون من يفتح باب الحرب وإذا بالروم قد ترجلت إلى الأرض من على ظهور الخيل وكذلك الرهبان والشمامسه والمطارنة والأساقفة وتقدموا الكل إلى الميدان وبينهم فارس يعظمونه ويرفعوا قدره ويبجلونه وهو راكب على جواد أبيض قرطاسى صادق البياض يسبق مرامى النقط ويفوت البرق إذا برق من الشرق عليه تخافيف حرير والفارس من فوقه مثل البعير وعليه تنور من الذهب قد اشتعل والتهب وهو متقلد بسيف قد سقى بماء الغضب يقطع الحديد واللبب وفى يده قنطارية كأنها صارى مركب وفيها سنان عريض مكعب وعلى رأسه بيضة مطلية بالذهب تمنع من كل سبب (ياسادة) وكان هذا الفارس هو الفارغياض وقد خرج لينجز

أمر الحرب بنفسه ويفتخر على أبناء جنسه فلما صار فى وسط الميدان أمر بالبطارقة أن تعود إلى ظهور الخيل وبعث رسول يقول معاشر المسلمين سلموا نفوسكم وأريحوا أرواحكم واعلموا أن هذا الملك قريب العهد من المسيح وهو الذى أبراه من الجنون ووعده بملك البلاد وعن قريب يكون وقال له أنت ملك الأرض والفلك إلى عندى وتقر منك العيون وقد بعثنى اليكم لأجل مافى قلبى من الرحمة عليكم لأنه قد عول على هلاككم ودماركم بعد اعذاركم وانذاركم على أن الفالوغص قد خلص أبيه أرمانوس ولم يرضى به ملك فقتله فقال الأمير عبد الوهاب للرسول ويلك وأين هو أبيه أرمانوس فقال قد أصبح سرير عزه منكوس وقد ذبح فقال الأمير عبد الوهاب ومن قتله فقال ولده الفالوغص الذى هذا الملك المسمى الفارغياض من قبله فاستسلموا بين يديه فلما سمع الأمير ذلك قال ما أعجبنى مافعل مع أبيه ثم رد الرسول بالذلة والخيبة بعد ماصاحت عليه السودان ثم قال الأمير من يبرز إلى هذا الشيطان فقال اللملمان أنا لأنى سمعت أنه كان مجنون وأنا الآخر مجنون ماهديت من الجنون ثم صاح بجواده فخرج مثل البرق وكان جواد مطلاق بقوائم دقاق مليح الأحداق فلما رآه الفارغياض قال هـــذا من عندهم قد أخرجوه إلى حفوة بى وأظنهم يحسبوننى مثل من لاقوا من الروم (قال) فعندها حمل الفارغياض عليه وهو كأنه برج مشـــيد فالتقاه اللملمان كانه سد من حديد فكانوا كانهم برجين تلاطما أو جبلين تصادما ودام بينهما الضراب وأظهرا عجائب الحرب وحجبهما الغبار عن أعين الفريقين وامتدت لهما العين ولم يزالا فى القتال حتى نودى فى القبائل بالارتحال وانفصلا عن المجال وتعاهدا أنهما يعودان الصباح للحرب والكفاح هذا والأمير عبد الوهاب لايصدق يلتى اللملمان لما رآه فى الميدان وقال له كيف رأيت خصمك فقال له ياأمير ماهو إلا عزيز الطلب بعيد المطلب ولقد خفت على نفسى منه فى آخر النهار (قال الراوى) وأما ماكان من الفارغياض فانه لما عاد من الميدان تلقته القسوس والرهبان إلى أن وصل إلا سرادقه وأوقدت النيران وتحارس الفريقان وخرج الأمير عبد الوهاب إلى الحرس بعد أن قال لاتكونوا إلا على يقظة مخافة ان يكبسكم هذا الملعون ثم قسم العسكر فرقتين فرقة تحرس وفرقة تنام وأما ملك الروم فانه قال للبطارقة اعلموا أن العرب ماينامون عن أخذ ثارهم وربما يهجمون عليكم فتكون واحدة بواحدة (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولم يظفر أحد منهما بصاحبه فهما كذلك وإذا قد خرج فارس من العرب المتنصرة وعليه فروة مقلوبة وهو على حجرة عربية منسوبة حافى الاقدام على جسده ثوب من الخام وعلى رأسه قلنسوة حمراء من قلانس العرب وفى يده رمح مكعب وفى ذلك الرمح خمسة أوصال مشددة بالعصب وأن الفارس لم يزل

حتى وصل إلى اللملمان وصار معه فى وسط الميدان ثم قال للفارغياض هكذا تكون الملوك أعطيني أقطاع كثير حتى أكون عونا على أعداك ثم جرد سيفه وهو متعلم من غمده خلق وحمل على اللملمان وهو يقول ياابن السودان أرحل إلى رعيك الجمال فى البيداء ولا تقاتل الملوك العظماء ثم أطبق عليه ولو أراد قتله لفعل وإنما طعنه بعقب الرمح وإذا به مجندل والبدوى يقول نحن لانرضى أن نلطخ سيوفنا ولا نسقيها بدم السودان وإنما نبارز الاقران الذين نفتخر بهم على طول الزمان ثم نادى يامعشر المسلمين اخرجوا لنا السادات ودعوا عنكم الرزالات فخرج منه الطائفتين وقالت العرب المتنصرة المسيح يجعل لنا الفخر بهذا الغلام (قال الراوى) فخوحوا اليه الأمير توريز ابن اشبادرون الكردى وكان فارسا لايطاق وعلقما من المذاق وهو أمير من أمراء الاكراد وشجاع مذكور فى أقطار البلاد فخرج على جواد أشهب عالى شديد العصب فى بياض الثلج إذا انتثر يشبه جريان البحر إذا زخر (قال الراوى) وبيده رمح أتم من الرماح وعليه سنان مثل المصباح مشتاق إلى شرب دما الأرواح (ياسادة) ولما وسط الكردى إلى وسط الميدان نادى دونك ياشلح العرب والطعان فاليوم تفقدك الصلبان وتذوق طعم غضب الرحمن فلما رآه البدوى المتنصر وسمع مقاله ناداه سوف تعلم من الثلج الذى يعرف والبطل الذى يوصف وأنا ماأقتلك حتى أواعقك على هذه الكلمة ثم حمل عليه وجاوله وقاربه وداناه وطعنه بعقب الرمح أرداه وعن جواده رماه وعفى عنه بعد القدرة عليه وقال له قم فقد وهبت لك نفسك حتى تعلم أننى ماأنا شلح من الشلوح وغدا تعرفونى من أنا إذا أخذت عبد الوهاب وكسرت العسكر ولا بد أن تشهدون لى بذلك عند الفالوغص ليعطينى ماأصلح به حالى وأعود إلى أهلى فقالوا السمع والطاعة ياوجه العرب هذا جرى وأما عسكر بنى كلاب فان ميمون الجماس قال لعبد الوهاب أعلم ياأمير أننا فى بلاد العدو وكل يوم تزداد الروم علينا وتقصد إلينا والصواب اننا نتفرق من جوانب الروم ونكبسهم وأكون أنا وسودانى من ورائهم ولا تعرفون هزيمتهم إلا منى فقالوا بنى كلاب نحن نكون عن أيمانهم وشمالهم فقالت السودان هذا هو الصواب فقالت الأميرة والأمراء افعلوا مابدالكم وقدموا بين أيديكم النية الصادقة واجعلوا قلوبكم متوافقة ثم تقسموا على هذا الترتيب وركبوا الفرس والنجيب وما أحسوا الروم إلا والصياح قد أخذهم من كل جانب وعملت فى أطواقهم القواضب وقام القاعد وانتبه الراقد وبذلت السودان صفاحها وأعلنت بصياحها وكان الرجل يضرب أخاه وأباه وولده وأقرباه لأنه يتخيل فى ظلام الليل من شدة الغبار والغيم ونزلت السيوف فى القمم وتعترت البطارقة باطناب الخيم ورأت الروم

البلاء من كل جانب وقد نزل فيها وخيم فولوا منهزمين وإلى حصن يانس طالبين لأنهم علموا أن الملك فيه ولم تطلع غرة الصباح وضاء النهار ولاح وقد بقى من الكافرين ديار ولا نافخ نار وحازوا المسلمين غنائم الكفار والأموال والاسلاب والرجال وقال الأمير ماطلبت الروم حصن يانس الاسعادة لناحتى يكون يانس المتعزب من بين أيديهم ونحن من خلفهم فلم ينفلت منهم أحدا ونضيف الغنائم بعضها إلى بعض ثم ساروا فى أثرهم وأما المنهزمين فانهم لم يزالوا فى الجد والكد حتى وصلوا إلى البلد وكان أول من التقاهم عقبه وسألهم عن حالهم فاخبروه بما جرى من الكبسة وما تم عليهم من الكسرة فقال لهم والملك الفالوغص هل ثم عليه أمر فقالوا ما رأيناه فقال بل قد مضى من عندى من الحصن وقد لبس فروه مقلوبه ومعه سيف خلق الغمد ورمح مشدود بالعصب فقالوا صدقت وحق المسيح أيها الشيخ النجيح ولقد فعل فعال حير بها الأبطال ولولا المساء أدركه كان أخذ عبد الوهاب وانما نحن أهملنا أمرهم وأطرحناهم وقلنا انهم ضعاف ونمنا عن طمأنينة منا فنزل البلاء منهم علينا وهجموا فى الظلماء علينا وأبادونا السودان بسيوف الفناء فقال لهم شومدرس وكان معهم اللملمان فقالوا وحق المسيح لقد قدر عليه الملك وهو فى زى البدوى ولكن جاد عليه بنفسه وأطلقه (قال الراوى) وهم فى الكلام وإذا بغبار قد تار وطلع عليهم وظهر من تحته فارس وهو للدماء لابس فتبينوه وإذا به الملك الفالوغص فتقدم اليه عقبه ودعا له وقبل يده فقال الفالوغص لأبيه الفارغياض كيف توانيت عن حرس العسكر وحفظه حتى كبسوه المسلمين فقال هذا جزاء من أطرح حقير ولو كان طفل صغير وهم كذلك وإذا بغبار قد علا وقتام قد نما وصياح قد ملأ الدنيا من ضجيج أمة محمد المصطفى فقال الملك الفالوغص هذا عسكر المسلمين قد وصل فخذوا أهبتكم وأشهروا عدتكم ولا فيكم من يعول على الهرب اضرب رقبته وأعجل منيته (قال الراوى) وكان الامير عبد الوهاب لما رحل بعسكره بعد الوقعه وصار يطلب الحصن وقد التقى فى طريقه براهب من الرهبان الذين للقسطنطونية فلما أبصره البطال وهو يمشى على عجل قبض عليه وقال له من أنت ومن أين أقبلت (قال) أما قدومى فمن حصن يانس وأنا ماضى إلى دير الصليب فقال البطال أصدقنى فى أمرك والا ضربت رقبتك فاعلمه الراهب أن الحصن قد ملكه الفالوغص وقتل رجاله وأسر أصحابه وكيف قدمت الاكراد بالغنيمة وأخذها الملك منهم وأهلكهم جميعهم برأى عقبه والراهب والبطريق يانس يقاسى العذاب وعقبه يصحبه كل يوم بالعقاب (قال الراوى) فلما سمع الأمير ذلك قامت عليه القيامة وقال والله العظيم لقد كان حصن يانس معقلا لأهل الإيمان والله

لا برحت من هذه الأرض حتى أخلصه وأعيده اليه ان شاء الله تعالى فقال له الأمير أبو محمد افعل ماشئت وفقك الله تعالى والله لا كان خلاصه الا على يدى وعلى الله الكريم معتمدى ثم لبس ثياب الراهب الذى التقاه فى الطريق وعلق على وجهه لحيه كلحيته وكان اللملمان قد ضربه طير رقبته وسار بين يدى عسكر المسلمين وهو يقول والله لقد بلغ الملعون عقبه من يانس وحصنه ما أراد ولم يزل سائر حتى أشرف على عساكر الروم وقد أظهر الخوف والفزع والجذع فلما رآه عقبه لم يعرفه بل قال له ياعبد المسيح أراك قد عدت من قريب وقد كنت قلت لك تمضى إلى دير الصليب وتدعى للملك الفالوغص بالنصر وتزور الدين هناك من الرهبان فقال أبو محمد أيها الشيخ النجيح بارك فى عمرك المسيح التقونى فى الطريق عساكر المسلمين وأرادوا قتلى ولو أننى هربت منهم فى الليل وهم خلفى وما عدت الا حتى أشتفى من صاحبهم يانس وأعذبه كما عذبونى فضحك عقبه من كلامه ثم قال له ادخل إلى الحصن وافعل به ما تريد فعندها طلع أبو محمد إلى الحصن ونزل إلى يانس كانه يعاقبه وقال له ابشر بالفرج فانا أبو محمد البطال وقد توصلت حتى صرت عندك لاعمل على هلاك الروم وخلاصك وخلاص أصحابك (قال الراوى) فلما سمع يانس كلامه فرح وقال اعلم ياأبو محمد انه لا يكمل ايمان المؤمن حتى يرى لأخيه المؤمن ما يرى لنفسه وأنا ما يطيب لى الخلاص وأصحابى فى الاسر على ما ترك عقبة منهم الا تسعين نفس لاغير والباقين قتلهم وأشار على الملك بهلاكهم فبكى الأمير أبو محمد وقال يفعل الله ما يشاء ولعل بهؤلاء التسعين افتح الحصن ان شاء الله تعالى ثم فك قيودهم وجعل ينقل اليهم العدد ذلك اليوم وتلك الليلة حتى أصبح الصباح وقد حصل عندهم جميع ما يحتاجون اليه (قال الراوى) وكان عقبه لعنه الله قد عاد إلى الحصن وهو فرحان بخراب يانس وملك حصنه وهو يقول هذا الذى كان السبب لهلاك الروم وفسادما كنت أعمل من الحيل ولا بدلى مما أقتله ولو قتلت بعده حتى أبصر ما يكون فى غداة غد من عساكر الاسلام وهى كما أرى قد وصلت وحول الحصن قد نزلت فقال الملك هذا أمر ما نبالى به لأن الحصن منيع رفيع ونحن فى عسكر كثير وفى هذا القرب تصل إلى عساكر الروم من سائر الآفاق والأقطار لأنها ما بقيت تبطىء أكثر من هذا وربما وصلت غدا ففرح عقبه بذلك وبات فرحان إلى الصباح وعول الملك على النزول وإذا بالغبائر من سائر الجوانب قد طلعت والضجات قد ارتفعت وجساكر الأقاليم قد وصلت وأقبلت تركض بخيلها حتى ظن الناظر أن الأرض قد تزلزلت وأقبلت الملوك على رؤسها الصلبان من كل جانب ومكان فلما نظر الامير عبد الوهاب إلى ذلك ركب وركبت سائر بنى كلاب

والسودان الانجاب ونظر الفالوغص إلى ذلك ففرح بطاعة الملوك له ووصولهم إلى خدمته ودعا بعقبه وقال له اطرح يدك على رأسى لتعود بركتك على فاننى قد عولت اليوم أظهر لهؤلاء القادمين شيء من شجاعتى حتى تقع فى قلوبهم هيبتى وأبارز الأمير عبد الوهاب وسائر الأصحاب من السودان وبنى كلاب وحق المسيح لا فعلن فعال تتحدث به أهل الأمصار فجعل عقبه يمسح بيده على رأسه، ويقول حصنتك بالأربع أناجيل وتركت عن يمينك وشمالك مركوكيس وحزقيل ثم قال اخرج أيها الملك والتى أهل الأرض ولكن اترك عندى فى الحصن ألف فارس من البطارقة لأنى ما آمن غوائل المسلمين وأن يكون أحدهم عندنا فى الحصن لاسيما البطال لأنه لا يغفل عن يانس ولا يقعد إذا سمع أنه فى العذاب فترك عنده الف فارس وأوصى عقبه أنه لا يفتح باب الحصن ولا يخرج وخرج إلى العساكر فاستقبلها وتركها كلها من وجه واحد وجعل يرتبهم للقتال وعقبه قد غلق باب الحصن ثم طلع إلى الصور ينظر ما يجرى هذا وأبو محمد قد رأى ذلك فقال ليانس وأصحابه اعلموا أننى كنت معولا أن أترك الروم حتى يخرجوا للقتال ويخرج الملك فى البطارقة والأبطال ويخلوا الحصن من الرجال وأخرجكم تملكون الباب وتمكنون السيوف من الرقاب والآن فقد فعل عقبه لعنة الله ما فعل وما كان فى حسابنا الذى فعله هذا الكلب وقد أصعد اليه ألف بطريق فكيف ترون هذا الحال وما أظن فيكم لهؤلاء الرجال فقال يانس الرأى عندى أن تصبر إلى أن يشتبك القتال ولابد لهؤلاء الملاعين أن يطلعون من الحصن إلى الأسوار لينظرون الغالب من المغلوب ويبقى وسط الحصن خالى فنزعق نحن ونملك الباب ونتوكل على رب الأرباب فقال أبو محمد ماهذا صواب لأننا لو زعقنا ينزلون الينا ويتكاثرون علينا ويزحفون إلى عساكر الروم فنأخذ من ساعتنا فقال يانس فكيف الرأى فقال أبو محمد ندع القوم إلى الليل ونسرق المفاتيح وإذا جن الليل لابد لعقبه مايخرج أو يرسل أحداً إلى عند الملك أو يجيء من عند الملك أحداً إلى الحصن ونكون نحن قد خلصنا جميع مانحتاج ثم بعد ذلك نرسل واحداً إلى الأمير عبد الوهاب يأتينا بعشرة من الأمراء المذكورين الذى كل واحد منهم يعد بألف فارس وتكونوا أنتم واقفين وأيديكم على قوائم سيوفكم فتملك الحصن ان شاء الله تعالى ونأخذ عقبه لعنه الله (ياسادة ياكرام) هذا والملك مع المسلمين فى الحرب الشديد وقد نزلت السيوف فى المقاتل حتى لانت من تحت حوافر الخيل الجنادل وكانوا بين مقتول وقاتل ومشغول وشاغل ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى الظهر وافترق الناس بعضهم من بعض وقد امتلأت بالقتلى وجه الأرض ورجع الأمير إلى مكانه ولكن

القوم فى قلوبهم هيبة عظيمة من ملكهم وإذا كان السلطان شجاع مناع كانت الأصحاب مثله ولقدرأيت فارس من الروم على أصفر وعليه كار غندر قد انغمس فى الذهب الأحمر والروم به محدقون وعليه مشفقون وقد اتكأ فى الأبطال وما أظنه إلا الملك فقالت الأميرة وأنا رأيته وصادمته فى الحرب ورجوت أن أصل اليه فما وجدت إلى ذلك من سبيل وطلبت الخلاص منه فقال الأمير فالله يعيننا عليه وعلى غيره ومع هذا فان قلبى مشغول بالأمير أبو محمد وما أدرى ماكان منه ومن يانس فوالله لو ذهبت أنفسنا وأموالنا فى خلاص يانس ماكان كثير لانه له علينا حقوق لانقدر عليها فقالت الأميرة ما أبطأ خبر أبو محمد الا وهو منتظر أمر من الأمور فالله ينجح مسعاه ويبلغه مناه فهذا ماجرى هاهنا (وأما ماكان) من البطال فانه أقام إلى الليل ينتظر خلسه وكان عقبه أمر بفتح باب الحصن وخرج إلى عند الملك ليلا وهناه بالسلامة وقال له أيها الملك إنى وزنت اليوم العسكرين من فوق الصور فوجدت عسكرك أوفى عدد وأكثر مدد وأصبر جلد وأنت فمافى الملوك مثلك أحد فالمسيح ينصرك على أمة محمد فقال الفالوغص ففى أى شىء خرجت أنت من الحصن مع علمك أن المسلمين لصوص تعرفهم وسراقين تخافهم فقال من شدة فرحى لك ما قدرت أفضل إلا أننى أعجبنى صبر عسكرك اليوم لأنهم وقفوا بين عسكر الأسود الذى ما وقف بين أيديهم أحد لاملك من ملوك الجاهية ولا هرقل من الهراقلة وان رأيت أن تكبس عسكرهم الليلة وفى هذا الوقت فافعل فقال الملك ما هذا ارجع أنت إلى موضعك فما بقى لك عقل ولا تدبير ولا وصل حديث الملوك إلى مثلك فاشتغل أنت بالدعاء للناس فى الكنائس فوحق المسيح لايفعل هذه الفعال من له دين وإنما بينك وبين هؤلاء العرب من الكياد فتطلب هلاكهم ولاشك إنك لادين لك ولا مذهب وإذا بلغت غرضك لاتبالى بمن هلك من أهل دين النصرانية أو من أهل دين الحنيفية فارجع إلى الحصن وإلا ضربت رقبتك فرجع عقبة وهو يرتعد ويدعى عليه بالقصف حتى دخل إلى الحصن وغلق الباب (قال الراوى) وكان أبو محمد البطال كما ذكرنا قد فرغ من شغله وحصل كل ما يحتاج إليه واوقف يانس واصحابه على قوائم سيوفهم وقد عولوا على لقاء الالف الذين فى الحصن وهذه قلوب المسلمين الصابرين ويانس يقول اللهم بلغنى مقصودى حتى أشتفى فيه بما فعل بى وبالمسلمين ولما دخل عقبة تلك الساعة فادعى الرجال وقال لهم أعلموا أن الملك غضب على خروجى من الحصن وأوعانى بالاحتفاظ وهو معذور فى ذلك الآن لأن المسلمين لاينامون عنا فكونوا على اليقظة فى هذه الليلة ففى غداة غد ينفصل الملك من عدوكم ثم قسمهم نصفين

فترك خمسمائة فى الحصن وخمسمائة على الأصوار وقد اطمأن ودخل على مجلسه وقال لغلمانه افرشوا لى فاننى الليلة متنـكس من صباح الملك علىَّ ولى هذه السنتين ما مرضت وأخاف أن يكون هذا مرض الموت (قال الراوى) ثم نام عقبة وهو آمن ولم يعلم أن أبامحمد البطال إليه كامن وكان يانس هو وأبو محمد قد صمموا على قتل عقبة حالا وقالوا ان الأمير ان وجده فى الحياة ما يقتله ويرجع الملعون يخلص من أيدينا (قال الراوى) فلما تنصف الليل ونامت العيون خرج يانس والتسعين رجل من أصحابه ووقفهم وسط الحصن والبطارقة نيام وهجم أبو محمد على عقبه قبل كل شىء فأوثقه كتاف وسدفه بأكره وحمله على قفاه وكان يانس قد لحقه من فزعه عليه فقال له إلى أين تذهب بهذا الملعون فقال نرميه فى الحبس الذى كنت فيه يعنى يانس وإذا تفرغنا من الأعداء وفتح الله على أيدينا الحصن قتلناه ولا يعلم بنا أحد فقال يانس صدقت أيها الأمير إلا قبل ما نصيح خذ المفاتيح وافتح باب الحصن حتى أخرج من أصحابى واحد يمضى إلى عبد الوهاب ويخبره بالقصة لعله يرسل إلينا من الأمراء المذكورين ولو عشرة رجال ابطال يكونوا لنا عدة ويكفونا مؤنة هؤلاء الالف الذين فى الحصن ثم أرسل واحد من أصحابه إلى الامير عبد الوهاب يخبره بالقصة ويقول له اغتنم الفرصة فسار الرجل حتى وصل إلى الأمير وأعاد عليه جميع ما جرى وبشره بسلامة يانس فبكى الأمير والأميرة وسائر الأصحاب وقالوا والله يعز علينا والله ما جرى على يانس وأصحابه وحصنه ولكن الليلة نأخذ الحصن إن شاء الله تعالى وكل من فيه ويكون ذلك سببا لانكسار ملك الروم ثم قال لأصحابه اعتدوا عشر رجال أجلاد وكل واحد يريد لرأسه ألف وأنا أولهم ثم قال للأميرة كونى أنتِ الليلة مستيقظة وإياكِ أن تبطلين الحرس فان هذا الملعون الفالوغض ما ينام وله عادة يكبس الجيوش فى الظلام فقالت السمع والطاعة فقال ضيغم يا أباه وأنا أكون الثانى من العشرة فقال سعيد وأنا الثالث فقال ميمون وأنا الرابع ولم يزالوا كذلك حتى عدوا عشرة من المجاهدين والأمراء وخرجوا من العسكر ومعهم السيوف والعدد والخناجر والعمد وداروا من وراء عسكر الروم ولم يعلم بهم إلا الله تعالى الحى القيوم ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى الباب وإذا به مفتوح فتحا يسيرا كما خلاه الذى سار إليهم فدخلوا إلى الحصن وحصلوا داخله وأغلقوا بابه وفرح الأمير عبد الوهاب وقال هذه الليلة نتوكل على الله تعالى ثم أقبل على صاحب يانس وقال له اسرع إلى أبو محمد وقل له يلاقينا هو ويانس معه ولا يكلف أصحابه القتال فحسبهم ما قد لقيوه فى هذه النوبة ولكن يتسلموا الساكين ويذبحوا النيام إذا قاموا من نومهم وضعنا نحن

السيوف فيهم (قال الراوى) وبينما الامراء فى الكلام وإذا بأشباح قد أقبلت مثل الغمام وفى أيديهم العمد الثقال وهم قاصدين إلى القوم بغير ضجة ولا صعاق وإذا قد وقعت من فوق رؤسهم أوهاق والاحبال فى الرقاب وأتت لهم الرجال ساقوهم فى الحال، فقال الأمير لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هلكنا لامحاله ولم يزالوا سايرين بهم إلى المطمورة حتى وصلوا فمد الأمير عبد الوهاب عينه وإذا بأصحابه يانس المتغرب كلهم أسرى فادار نظره فيهم على أبو محمد البطال فما رآه فقال والله ما هذه إلا قصة عجيبة. قد تمت ومصيبة قد أحكمت ولكن هذا بقضاء الله تعالى ولا مراد لما قضى ولا دافع لما أمضى ثم قال لصاحب يانس الذى أتى خلفهم ويلك أكفر بعد إيمان عملت علينا حتى سلمتنا إلى عبدة الصلبان فقال البطريق أيها الأمير وحق البشير النذير ما كفرت منذ آمنت ولا أشركت منذ وحدت ولا أدرى كيف جرى هذا الأمر (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك حديث عجيب وكان من القضاء والقدر والأمر المدبر أن الملك الفالوغص لما زعق على عقبة وقال له من خلفت فى الحصن وصعد وهو ضيق الصدر كما ذكرنا لأجل غيظ الفالوغص قد أبهته ولم يعلم أيضا أنه كله ذلك الكلام إلا وقد عرف خبر من عسكر المسلمين (قال الراوى) وكان جاسوس قد وصل إلى الملك من قبل وصول عقبة وقال له أيها الملك كنت الليلة فى عساكر المسلمين وسمعت عبد الوهاب يقول لأمه قد اشتغل قلبى على الامير أبو محمد ولعل الله تعالى يفتح لنا الحصن ونخاص يانس ومن معه فو الله ان قلبى منه عليه النار (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك كمن حتى يظهر خبر البطال وقصد إلى الحصن وطلع إليه وهو متنكر قبل وصول عقبة وتسلل عليه فوجد البطال ويانس قد قبضوا على عقبة وهما سائرين به إلى المطمورة فامهلهم حتى عادوا وسمع حديثهم وكيف أرسلوا الى الأمير عبد الوهاب ليأتوا به والعشرة معه ففرح بذلك وأمهلهم حتى فتحوا الباب وأرسلوا البطريق من أصحاب يانس وقبض على الاثنين من عند الباب لأنه كان رجل جبار وعاد بهم إلى المطمورة وأصحابهم فى وسط الحصن ماعلموا بذلك ثم خلص عقبه من المطمورة وحل عنه الكتاف وقد أشرف على التلاف وقال له ألم أقل لك أيها الشيخ انك لاتصلح لتدبير الدول لأنك شيخ نحس الامور وماكان يكسر عساكر منويل وميخائيل وابى أرمانوس إلا من رأيك المنحوس فقال عقبه أيها الملك لازلت أبدا منصور ودع أكون أنا خرفت ولقد رأيت لك منام يسرك وذلك أن المسيح أخبرنى أنك تملك الأرض فى الطول والعرض فقال الفالوغص دعنى من هذيانك فقد بلغنى أن كل منام أريته للملوك ما أفلحوا فالزم أمرك ولا تتعرض لى فما ينطلى علىّ محالك (قال الراوى)

فعلم عقبه أنه شيطان لا يرام فسكت عقبه ومضى الفالوغص إلى البطارقه فأنزلهم عن الاسوار واتى بهم إلى أصحاب يانس فداروا بهم من كل جانب ونادى الفالوغص سلموا أنفسكم إلى فوحق المسيح ان طلب أحد منكم القتال وصاح طيرت رأسه قبل الصباح فأميركم قد مسكناه وعياركم قد أخذناه فلما سلموا أصحاب يانس ذلك من الفالوغص وعاينوا ماحل بهم أرموا الأسياف والعددوسلموا أنفسهم إلى البطارقة فقبضوهم قبضاً بالكف وسيرهم الملك إلى المطمورة وعاد وهو يقول للبطارقة اعلموا انه قد جرى الليله كذا وكذا ولابد لى من عبد الوهاب ومن معه من العشرة الذين يريدون أن يطلعون معه ولكن أخاف أن يكونوا أكثرهم من ذلك فيؤخذ الحصن منا ثم أنفذ إلى عسكره فأتى بخمسة آلاف أخرى وأعطاهم السيوف والعمد والأوهاق وهى حبال تعمل فى الأعناق ولم يزل حتى قبض عليهم كما ذكرنا (قال الروى) ولما حصلوا الكل فى المطامير قال الملك الفالوغص للبطارقة أريد أن أحصل ههنا من المسلمين ألف آخر مادام الليل فيه رمق فقالوا له البطارقة افعل مابدا لك ولكن كيف تعمل أيها الملك فقال انفذ بعض العرب المنتصرة الى عند الأميرة ذات الهمة على لسان الأمير عبد الوهاب يقول لها يا أميره اننا لما طلعنا الى الحصن وجدناهم مستيقظين لأنفسهم محترزين وخفنا على أنفسنا منهم فلعل أن تنتقى لنا ألف نفس أو أكثر من ذلك ولا يكونوا إلا من الرجال الأبطال الذين تعتمدى عليهم فى الامور العظام وقد جربتيهم فى العواقب والدهور والأعوام لعل هذه الليلة ان شاء الملك المتعال نخلص الحصن منهم فان أمكنك المسير معهم فسيرى إننى أيضاً فانهم إذا فعلوا ذلك وطلعوا أخذناهم بالأوهاق كما أخذنا أصحابهم من قبل فلما سمعوا البطارقة ذلك من الملك قالوا افعل مابدا لك فالمسيح يبلغك منهم آمالك ومن مثلك أيها الملك وقد وقع فى يدك مثل هؤلاء الأمراء الذين ماوقعوا فى يد أحد من الملوك قبلك وما بقى عسكر المسلمين تقف بين يديك بعد هؤلاء الأسرى ساعة واحدة لأن معك الأمير عبد الوهاب وولده ضيغم وأخيه قشعم وعشرة من خيار عسكره ففرح الملك الفالوغص بذلك وقال الشكر للمسيح الذى قد ظفرنا بمرادنا وما بقى لنا من نخاف فهو فى الكلام (ياسادة يا كرام) وإذا بعقبه قد أقبل عليه وقبل يديه وهناه بالسلامة والنصر وقال له ياملك كم تقول لى أسكت عن الكلام فأنت مشوش الهندام وأنا ما أقدر على السكوت إذا وجدت عندى نصيحة وأنا أعلم أنك تقول فى نفسك قد هلكت رقاب المسلمين بأخذ عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وما تعلم أن خلفهم الأميرة ذات الهمة لاتقاس بالملوك ولا يشبهها غنى ولا صعلوك تعد بألوف وراغمة الأنوف وخارقة الصفوف وتقاتل بالرماح والسيوف وهى

التى جعلت بلاد الروم دائرة بعد ما كانت عامرة وطول الزمان عبد الوهاب فى الأسر والحبس والقبض والقهر وهى التى تقوم بأمر الكتائب وتظهر العجائب فخذ الآن حذرك فان الأسد لاتقاتلها حتى تعقر وهذا عقر يؤلم قلبها لأن الولد هو الكبد لاسيما ومعه ضيغم وكأنك بها قد أكلت الدنيا أكل ولكن اغتنم الفرصة واحكم القصة وارسل اليها كما أقول لك وأنك تأخذ خاتم ولدها عبد الوهاب من أصبعه وانفذه مع بعض هؤلاء العرب المتنصرة ويكون لابس بزى البطارقة الذين فى الحصن من أصحاب يانس ويقول لها هذا خاتم الأمير عبد الوهاب وهو يقول لك أنه وجد فى الحصن قوماً لاطاقة لهم بهم لكثرتهم ويريد منكى مائة من أمراء السودان وخمسين من العربان الشجعان وأنتى فى الجملة وتكونوا على أهبة من أمركم عند طلوعكم لأن هذا الملك الفالوغص ربما عول على كبستكم إذا سمع الصيحة فى الحصن فلعل يتم هذه الحيلة عليها وتأخذها وتأخذ كل من يطلع معها

﴿ تم الجزء الثانى والستون ويليه الجزء الثالث والستون ﴾

سيرة
الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثالث والستون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
باكنر نفش ٤٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فقال الفالوغص معلوم أن الحرب خداع وقد كنت حدثتنى نفسى بها وقد وافق قولك ماأنا عليه معول الا أننى ما اشتهيت أن آخذ خصماى الا فى مقام الحرب، ولكن إذا ملكتهم ابارزهم بعد ذلك حتى أعرفهم قدر أنفسهم واعلمهم اننى ما كنت عاجز عنهم فى ميدان الحرب ثم ان الملك قال للعرب المتنصره أريد منكم رجل مجهول لا يعرف فثار اليه رجل يقال له أبو الحال ابن مخادع وكان رجل مجهول لا يعرف وكان حيولا سلالا فقال أيها الملك لا تعرف تمام هذا الأمر الا منى فقال له عقبه ولك على ألف دينار وخلعة ان تم هذا الأمر على يديك لأننى أريد أن أوقع فاطمة بنت مظلوم فى الهلاك والشوم فابصر كيف تكون فقال أبو المحال لو أضرمت لى نارا وأمرتنى لخضت فيها وعبرت إلى وسطها فشكره عقبه على ذلك وقال له اذهب إلى عسكرها وعرفها بما قال الملك فقال المتنصر السمع والطاعة ثم انهم قلعوا خاتم الأمير عبد الوهاب من أصبعه وهو لا يقدر أن يمنعهم من ذلك لأنه مكتوف اليدين وأعطى الخاتم الى ذلك المتنصر وسار إلى أن وصل الى عسكر الأميرة فلما رأوه الحرس تواثبوا اليه وسألوه من تكون فقال لا بأس عليكم أنا رسول الى عند الأميرة ذات الهمه فحملوه إلى عند الأميره فلما مثل بين بين يديها قالت له ما تريد فقال يامولاتى ان الأمير عبد الوهاب قد دخل إلى الحصن فوجد الجمع كثير من أصحاب الفالوغص وقد أرسلنى اليك وهو يقول لكى تأخذى من العسكر ألف فارس أمجاد أنجاد بسواعد شداد وتكونى صحبتهم لأنهم كثير ونخشى من الملك أن يسمع الصياح فيدركهم بعساكره إلى برا الباب ويفتحون الروم لهم الباب فيهلك

الأمير ومن معه وهذا خاتمه وقد أرسله اليكى ليطمئن بذلك قلبكى فلما سمعت الأميرة ذلك الكلام قالت لأصحابها ما تقولون فى هذا الأمر فقال مذبحون أيتها الأميرة لا تسمعى هذا الكلام فانا أقول أن الأمير ومن معه قد قبض عليه الملك الفالوغص وهذا الرسول ما أتى الا بتدبير عقبه حتى يقبض عليك وعلى من يطلع معك فلما سمعت ذلك رجف قلبها وقالت كيف يقدر الفالوغص يقبض على ابنى ومعه عشرة أبطال من بنى كلاب فقال مذبحون ما يخلوا ان بعض الجواسيس كان فى عسكرنا وأنتم تذكرون البطال وتتنافسون على غيبته فاخبروا الملك بذلك فطلع الى الحصن وأخذ معه الأبطال وأوقفهم إلى أن عبروا أصحابنا وأخذوهم بالارهاق وشدهم اللعين فى الوثاق وعقبه قد تولى هذا التدبير حتى تطلعون ويضيفكم اليهم والرأى عندى القبض على هذا الرسول والصعود فى خمسمائة من السودان وخمسمائة من بنى كلاب الشجعان وأول ما تدخلون من الباب تبذلون السيوف فى كل من فى الحصن فقالت ويلك يامذبحون أخاف أن يكون هذا القول علم غيب فيكون قد أسأنا إلى الرسول وقتلناه وهو من أصحاب يانس فقال مذبحون فاصبروا حتى أبين لكم القصة ثم دعا بالسودان وقال لهم دونكم وهذا الرسول عذبوه بكلما تقدرون عليه وأنتم فى حل من دمه فعندها دارت به السودان وبربرت فى وجه أبو المحال الجيشان فجزع مما رأى وخاف على نفسه من القتل فقال ياقوم اعطونى الأمان حتى أحدثكم بما جرى فقالت الأميرة هذا خاتم الأمان اخبرنا بالحق ودع المحال فقال وحق القرابة التى تجمعنا فى النسب وان كانت الأديان قد خرقت فانى ما أكذبكم شيئا ولا حرفا واحدا اعلموا أن عقبه قد ظفر بعبد الوهاب وكل من معه من الرجال الأنجاب وأخذوهم بالأوهاق وهم فى أضيق الخناق وانى ما جئت الا بتدبير عقبه القرنان وهو الذى أعطانى هذا الخاتم فلا كانت ساعته (قال الراوى) فلما سمعت الأميرة هذا الكلام وصح عندها ذلك قالت لمذبحون اعلم أن الذى ذكرت قد صح والذى دبرت من طلوعنا إلى الحصن هو الصواب ولكن قد بقى من الأمر شىء قال ماهو قالت لعن الله من لا تريد لرأسها خمسة آلاف قبل أن تشرب كاس الاتلاف وهذا عقبه طلب أن نصعد اليه فى مائة فارس وأنا أصعد اليه فى خمسمائة فارس من بنى كلاب وثلثمائة من السودان الأنجاب مثل شمشم وطمطم وضمضم وغيلم وخشعم ودمدم وكردم وأبو الروس والمدانع وأبو الزعازع وأبو الجمرات وملابط البغال وهذه الثلثمائة بلا تطويل وأصل بهم إلى باب الحصن فاذا وصلنا الباب نلنا ما نريد من رب الأرباب وألقى برجالى أنا الخمسة آلاف الذين فى الحصن ويعطى الله النصر لمن يشاء وإذا سمعت أنت يامذبحون الأصوات فى الليل قد علت والصرخات

قد نمت فاكبس عسكر الروم لأن أكثرهم يطلب الحصن اذا سمعوا الصياح يكشفون الخبر فاهجم أنت على من بقى فى الخيام واضربهم بالحسام فقال مذبحون السمع والطاعة ولكنى والله أخاف عليكم من هذا الأمر العظيم الذى قدمتى عليه لأنك تأخذين أبطال بنى كلاب وليوث السودان الأنجاب وأقل مافى حصن يانس خمسة آلاف فارس لابسه وفيهم أيضا ذلك الشيطان العرمرم والبطل المقدم الملك الفالوغص وهو وحده يعد بجيش كامل وما أدرى كيف تكون هذه النوبة لأن الحرب سجال فان رأيتى أن تتركى هذا الأمر فافعلى وخلينا نكبس هذا العسكر مادام الملك عندهم ونأخذهم ان شاء الله تعالى وهم أسارى ونفرق هذه الكتائب والمواكب بين أيدينا ونعيدها إلى بلادها خاسرة ونحدق بعد ذلك بالحصن ونحاصر الملك ومن معه وكل محصور مأخوذ وإذا انفصل الحال اتفقنا على الصلح ويسلم الينا الفالوغص الحصن والأمير ومن معه والأمير أبو محمد وباقى الأسارى ونطلق له سبيله إلى القسطنطونيه مع الهدنة والصلح حتى نبصر كيف يكون أمرنا مع الخليفة فاما حرب واما صلح واما ان نخلى هذه الأرض وندخل إلى بلاد الحجاز فقالت الأميرة هذا هو المراد وهذا أمر ما أفعله ولا آمن من الفالوغص أن يحدفنى برأس ولدى إذا حاصرته ولا بد مما أعطى الحرب حقها ولو أفنيت خلقها ولا حاجة لنا فى الحياة وأى شيء يكون أطيب من الموت بسيوف الأعداء فى طاعة رب السماء ثم دعت بابطال بنى كلاب وانتخبت الرجال والأقيال وكانوا رجال أجلاد أنجاد وسواعد شداد ونفوس قد طاب لهـا الحرب فى طاعة الملك الجواد وأبطال لاتمل من الجلاد مثل راشد وحامدوغالم ومالك بن واقد وجعفر بن خالد وعامر ابن طارق وهارون ابن شاكر وعبد الحميد بن جابر ومخزقوم ابن ناصر والأزهر بن بشر وجميل الحجازى وهامان الاهوازى وكل واحد من هؤلاء الجماعة إذا كان قبيلة أحماها وإذا حاضر الحرب أضرم نارها واصطلاها فقالت لهم الأميرة اعلموا أننى قد عولت على أمر وهو كذا وكذا وأريد أن أهجم على هذا الحصن الليلة والقوم ماهم عنا غافلين بل هم لنا منتظرين وقد أرسلوا الينا ليدبروا علينا كما دبروا على عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب فان كانت أنفسكم تطيب على الهجم معى فافعلوا والا فعلى القعاد عولوا فان الله تعالى لايكلف نفسا إلا وسعها فقالوا صدقتى أيها الأميرة والله لو أضرمتى ناراً لولجناها أو قلتى لنا خوضوا البحار لخضناها لأن الحياة قد رميناها فلما سمعت الأميرة ذلك جزتهم خيرا وأوسعتهم شكراً وقالت سيروا بارك الله فيكم فاخذت الرجال والسيوف المجردة والدرق المكوكبه وأخذت مائة أسود فى ثياب الزرد من الأسماء التى ذكرناهم وهم كردم

وأبو الليل وطمطم وخواص الليل وسابق الريح والقيل ابن أبو الفيل وضراب ودينار وشهاب وجميع الأسماء الذى ذكرناهم فى هذا الكتاب وأبو المحال يقول لهم إذا حصلتم فى بالحصن فدونكم واياهم حتى لا ينفلت منهم أحد يكون خلاصه راحة للنصرانية ووهنا للحنيفيه ولا يكون لكم وكدالا الباب فاذا دخلتموه فارفعوا أصواتكم بالصياح ولا تبقون على الأشباح فاذا التفت الكباش فى وقت النطاح مضيت أنا وفكيت الأمير الجحجاح عبد الوهاب وأطلقه من القيد وأطلق ضيغم وأبو محمد ويانس والاسارى كلهم فيصيرون مقدار مائة أخرى مثل عبد الوهاب وضيغم والأمراء المذكورين وحق من فلق الحبة وبر النسمة وتردى بالعظمة مابقى فى قلبى من الكفر لا كثير ولا قليل ولعل الله تعالى قد جعل مذا سبب لخلاصى من الكفر وخلاص من فى الحصن (ياسادة) ياكرام فعلمت الأميرة صدقه وقالت ان كان مايسلم فما الذى يقدر أن يعمل ونحن على الله نتوكل (قال الراوى) ثم ساروا إلى حصن يانس وقد بذلوا أنفسهم لله تعالى لا يريدون إلا رضام ولا يعتمدون إلا على لقاه وأبو المحال بين أيديهم وفد تعطف الله عليه بالهداية والامان وجاد عليه عز وجل بالاكرام والاحسان ولم يزالوا سائرين حتى قطعوا من وراء عسكر أهل الصلبان وصاروا من جانب البلد مقابل الباب وقد بقى من الليل ساعة وقد غمضت عين كل حارس ساهر وأما مذبحون فانه لما انفصلت الأميرة عنه دعا بالرجال والابطال من جند الرحمن وقال لسائر العساكر اركبوا على ظهور الخيل واحفظوا الاصوات ثم تأهبوا للضرب بالمشرفيات ثم قسم الناس أربعة أقسام وأمرهم أن يفترقون من أربع جهات الروم وقد ترك على السودان ميمون الجماس وعلى بنى كلاب الصامت بن مره وعلى الاكراد موسى ابن يوسف وبقى هو فى جماعة من الناس وقال لا فيكم من يحرك ساكن حتى يسمع الصياح فى الحصن هنالك احملوا واضربوا الراقد والقائم واطلقوا فى الروم الضرب القائم ويكون نداءكم يا آل كلاب يا آل كلاب ويلكم ها كلاب الروم عن من تقاتلون والحصن قد ملك والفالوغص اللعين قد هلك حتى تنحل عزائمهم فقالوا سمعا وطاعة ثم تفرقوا من سائر الجهات بحيث أنهم أبعدوا عن العساكر من أجل صهيل الخيل حتى أخذت كل طائفة مكانها قاموا فى الانتظار هذا ماجرى هاهنا (وأما ماكان) ياسادة من الاميرة ذات الهمة فانها لما وصلت إلى باب الحصن وجدته مغلوق فدق أبو المحال الباب ونادى بالحراس فلما عرفوه نزلوا وفتحوا الباب وقالوا ماذا عملت فقال قد جئتكم بأكثر من ثلثمائة من الرجال ولكنهم بلا عدة لانهم طمعوا أن يأخذوا من عدد الحصن وكل هذا من تدبيرى لانى أطمعتهم فعجلوا على بالمال والا نفرتهم فانجزوا إلى وعدى حتى أدخلهم

فضحك الملك وعقبه وأعطوه فى الحال كيس فيه الف دينار ارما توسيه وخلعوا عليه خلعة سنية فرجع فى الوقت إلى الاميرة وقال لها قد جرى كذا وكذا وأول غنيمتى الف دينار أخذتها وهاهى معى تصدق بها على صعاليك مكة ان شاء الله تعالى أن يسامحنى بما قد مضى ويجرد على بالعفو والرضا وإن الليلة شهيد فهو الذى أريد لانه لايقبل إلا كل عبد سعيد (قال الراوى) ففرحت الأميرة بقوله وعلمت أنه قد أسلم حقا (ياسادة) وكان أول من هجم الحصن الاميرة ذات الهمة بنفسها وجعلوا الرجال يتبعوها وأما عقبه فانه قال للملك الفالوغص اعلم أيها الملك ان هذه الليلة ماظفر بها أحدا من الملوك الا أنت وكنت أشتهى أن يأخذون القوم كلهم قبضا بالكف ولا يقتلون إلا بعد الموافقة فى غداة غد فلعل أن يكون قد بلغنى المسيح غرضى فقال الملك هذه الشهوة فى يدك لان القوم مامعهم عدة ولابد لنا من قبضهم ثم أمر الرجال أن تقف صفوفا كما وقفوا فى النوبة الاولى والارهاق فى أيديهم (قال الراوى) هذا وقد هجموا بنى كلاب وصاروا داخل الباب وهجموا بعدهم السودان وصاح الصالح والطالح وباغض رأسه الشيصبان وصاحوا صيحة اضطربت منها الجبال وخفقت الصدور وصار عقبه يدور وقد طار قلبه وهو يقول ماهذه علامة خير وحق المسيح (ياسادة) هذا والفالوغص قد صاح فى البطارقة خذوهم فردوا أيديهم إلى السيوف واختلطت الصفوف وجدعت الأنوف وتطايرت القحوف وصار الغطاء مكشوف فيالها من ساعة كشف الحق فيها قناعه ومنح من حولها أصحاب الشجاعة وبليوا بما لايطاق دفاعه فقال أبو المحال ايش هذا الوقوف ثم مضى يطلب الأمير عبد الوهاب ومن معه من السودان الأنجاب وهم موثوقون بالكتاف وقد أشرفوا على التلاف فدنا منهم وقطع كتافهم وقال لهم قوموا ياأولياء الله وجاهدوا فى أعداء الله وذبوا عن ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الأمير عبد الوهاب ماكنا نعرفك الاعدو لنا فمن أين هذه النصيحة فقال صدقت أنا كنت نصرانى عدو والآن قد صرت صديق وهدانى الله تعالى الى التوفيق ثم حدثهم بما جرى ففرحوا بذلك الأمر وحمل اليهم العدو فلبس الأمير عبد الوهاب وحمل كأنه أسد غاب ونادى أنا سيد الجيش وبالجهاد فى أعداء الله يطيب العيش فلا فزع بنا ولا طيش وصاح ضيغم واغرحاه الليل الليل يارجال الخيل ولما نظر أبو المحال الى هذا الحال واختلاط الرجال بالرجال قال لنفسه ايش قعادى ومالى ما أجعل جهادى فى هذه الليله جهادى ولابد لى من الشيخ النجيح عقبه وأجعلها عليه نكبه (ياسادة) هذا وقد أشعلت الحروب نيرانها ولم يلوى الولد على أبوه ولا الأخ على أخوه ووقعت مضارب السيوف فى الوجوه وصاح الملك الفالوغص ياويلكم يامعشر البطارقة ماكانت

إلا حيلة عليكم فلا تشتموا العدو فيكم وقد عمل علينا أبو المحال وقاد الينا الاقيال والأبطال وما ترك فى عسكرهم غير الغلمان وأتى الينا وأخذ الأموال فاقطعوا منه القذال واجعلوه عبرة للبوار وأغلقوا الباب حتى تنقطع مادة المسلمين عنكم لأنهم قد دخلوا فى هذا الخلق العظيم هذا وقد سمعت الاميرة صوت الفالوغص فطلبته تريد أن تظفر به وحملت عليه حملة صادقه وحمل الملعون أيضا عليها بسيف مثل الصاعقة وتضاربا ضربات ماحقة وتصايحا صيحات مثل الرعود الخانقة وضايق كل واحد منهما على الآخر طرائقه ونظر الفالوغص من الأميرة ماحير البصر وأدهش النظر فقال لها بحق دينكى أنتى أميرة المسلمين وأم الموحدين الذى هو عندنا أسير فقالت لقد أقسمت على بعظيم أنا ذات الهمة وها أنا على قتلك مصممة وأترك أمك عليك مصخمة فقال لها الفالوغص سوف تعلمين من يكون على هذه الصفة أنا أم غيرى ثم حمل عليها حملة الحنق وكان شيطان لايطاق وعلقم مر المذاق فرأت منه مالم تراه من غيره وحملت الرجال الأصادق وعملت الصوارم فى المفارق ولبست الأرض حلة كاون الشقائق وأصبحت ذوات الخدور طوالق وأحاطت الرجال بين الفالوغص وبين الأميرة ذات الهمة فأسف على فراقها منه وعاد وأخذ له عدة حسنه غير العدة التى كانت عليه وعاد يخترق الصفوف فى المعامع فالتقى الأمير عبد الوهاب وهو ينشد ويقول :

أنا الأمير العامرى الأسودى ٭ المؤمن المصدق الموحدى
الله ربى والنبى أحمدى ٭ صلى عليه ربنا ومجدى
دونك فى يمينى صارم مهندى ٭ أقلع به الفالوغص المشردى
كيما يرى منى هزبرا أوحدى ٭ هل مرشد فى نحو ذلك يرشدى
٭ بأنه فى الحصن لايخلد ٭

(قال الراوى) فلما سمع الفالوغص كلامه عرفه وقد علم انه خلص وان النوبة قد تمت عليه من أبو المحال وهو الذى أطلق الأمير من الاعتقال ومن معه من الأبطال وكان جبار لايقاومه مقاوم وفيه طبع العرب كما ذكرنا من مبتدأ حديثه فحمل على الأمير وهو يقول .

دونك والليث الهزبر الأجودى ٭ غشمشم قوم شدوق مزبدى
تعود الحرب مهول موعدى ٭ لايعرف الإسلام وهو ملحدى
به يصاب فى الوغى المحمدى ٭ له المسيح فى الهياج مسعدى

وعقبه الشيخ النجيح يشهدى ☆ ان لى الأرض جميعا سرمدى
☆ ولا أدع يلوح فيها مسجدى ☆

(قال الراوى) ولما سمع الأمير شعره غضب وأخذته حمية الدين ونخوة العرب وقال هذا الملك لامحالة ولا شك انه هو الذى بارزنى ذلك اليوم وما هذا الا فصاحة عربى وما هو الا ولد زنا وما بينه وبين ارمانوس نسب فياليته كان مسلما حتى أكون له أبدا منعما مكرما هذا وقد حمل الفالوغص على الأمير مصمما وكان لرأسه بالسيف معمما وضربه على رأسه ولم يكن على رأسه شىء يمنع السيف لأنه بلا زرديه تمنع عنه الضرب فقطع السيف العمامة ونزل إلى رأس الأمير أصبعين فأرمى الامير نفسه إلى الارض وبطل الضربة والا قد كان هلك ورأته السودان وقد عرفوه فرفعوه من تحت الرجلين وشدوا جراحه وأفاق على نفسه ثم حمل ملك الروم على الناس ولم يزل السيف يعمل إلى أن برق ضياء الفجر وطلعت الشمس ووقعت العين على العين وقال الملك الفلوغص هذا ماهو علامة خير واستقبلت الروم المسلمين وطرحوا أنفسهم عليهم الملك الفلوغص ياويلكم افتحوا الباب ويخرج منكم من يمضى إلى العسكر ويأتينا بخمسة آلاف بطريق مستر بحين حتى لايطول مقامنا معهم فقد قتلت اسودهم وها أنا طالب أمه ذات الهمه ولولا انى لاقيتها فى هذه الليله المظلمه كنت تركتها بالسيف معممه واليوم وحق المسيح يبان الفارس الهزبر من الذى لايعرف الكر والفر ويطلب من صاحبه المفر (قال الروى) ياساده فلما أن سمعت البطارقه كلام الملك فتحوا باب الحصن وخرج بعضهم يطلب النجده ثم خرج منهم من يستنجد فلم يجد من العساكر أحد وكان الأمر عجيب والحال غريب وذلك أن الأمير مذبحون لما أن سمع الصوت عالى والصياح نامى وقد ثار القاعد ووثب من عسكر الروم الراقد وتبادرت الابطال وتصايحت الرجال وتزايدت الأهوال وشابت الأطفال ونادى مناديهم ياويلكم الصياح قد وقع فى الحصن ولا شك أن لصوص المسلمين قد طلعوا اليهم فقالوا أكثر الروم نطلع ونكشف الخبر هنالك صاح مذبحون وكبر ونادى برفيع من صوته عليكم بهؤلاء الأنجاس (قال الراوى) فاجابته سائر الطوائف من كل الجهات وارتجت الأرض من سائر الجنبات ونفرت الوحوش من الغابات وضاقت نفس الجبان من الممات وأطبقت على الروم طوائف الإسلام فى غسق الظلام واستغاثوا برب الانام فولت الانجبار هاربه واتبعتها البنجاك طالبه وولت البرغل واليونان وهى من هول مارأت شارده ولم تستطع محاربه وكلت الافرنج بعدم المضاربه لما عاينت السودان ورماحها فى الصدور صائبه ومذبحون قد أظهر قوته وعجائبه إلا أنه

لما طلع ضوء الفجر والتقى بكندروين بن شرشتاش ملك الافرنج ونظر إلى مذبحون أيضا ومن حوله الرجال فعلم انه هو الذى المشار اليه وكان فارسا لايطاق مافى طائفه الافرنج مثله ولم يكن مذبحون من رجاله ولا يعد من أبطاله فحمل عليه بشدته وفاجأه بطعنته وقبض على مناكبه وجذبه اقتلعه من سرجه وصار معه على جواده ونظر إلى الملوك فد ولوا فولى معهم ومذبحون معه فلما نظروا عساكر المسلمين إلى مذبحون أخذ لم يبق منهم إلا من حمل فانضافت عساكر الروم وكلها إلى جهة واحدة وصاروا يطلبون الهرب والمسلمين لهم فى الطلب والقتال يعمل والسيف يفصل ونار الحرب تشعل وهؤلاء سائرين خوفا لايعتب الأمير أبو محمد عليهم وصاروا يركضون طول النهار حتى أمسى المساء وهم فى أرض بعيدة وقد قتلوا من الكفرة زهاء أربعين ألف فى سوى ماهلك فى طول الليل وحال بينهم الظلام فنادوا بالنزول فنزلوا وصاروا يدورون فى خلاص مذبحون وخافوا من عتب أبو محمد عليهم وان يقول لهم أنتم توانيتم عن ولدى وحشاشة كبدى وبقوا حائرين خائفين ان يخاطروا بالعساكر الإسلامية ويدخلون بها خلف الروم فلا يدرون مايقضى عليهم وقلوبهم على الأميرة ذات الهمة وأصحابها لايدرون ماكان منها فقالوا الصواب اننا مانخلى من عليه المعول ونمضى فى طلب واحد ولاندرى ماكان منه وربما يكون خصمه قد قتله فى حال أخذه حيث علم اننا فى طلبه وما لنا الا ان نريح الى غداة غد ونطلب حصن يانس (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الملك الفالوغص فان أصحابه فتحوا باب الحصن وقد تضاحا النهار فوجدوا الدنيا من العسكرين بلاقع والأرض مفروشة من القتلى فتحيروا من ذلك وقالوا مانرى الا خيام قائمة وأموال سائبة فاذا كانوا أصحابنا قد جرت لهم كائنة فعسكر المسلمين مافعل الدهر به ماهذا الا أمر عجيب ثم عادوا الى الملك فأخبره بالقصة فعظم عليه وكبر لديه وقال ياويلكم أخاف ان يكونوا المسلمين البارحة دبروا الحيلة وكانوا أكبسوا عسكرنا ووقع بينهم القتال الى وقت الصباح وقد أخذوا أصحابنا فى الهرب والمسلمين لهم فى الطلب والآن وحق المسيح والإنجيل مابقى لنا خلاص الا بصدق المضارب والصبر على المصائب فأضعاف ماعندنا فى الحصن أكثر من تسعمائة فارس ونحن قد كنا فى ستة آلاف وهذا كله برأى الشيخ النحس الأعور عقبة فلا أحسن المسيح له عاقبة لأنه قال أريد آخذ ذات الهمة ومائتين رجل من الأمراء المجاهدين ودبر هذا التدبير ثم قال أريد أنفذ إليهم رسول من العرب المتنصرة والعرب لاتميل الا إلى بعضها بعض فوحق المسيح لآخذن بدم من هلك من النصرانية ثم زاد به انغيظ فصاح برفيع من صوته ويلكم مالنا

والتعب يامعاشر العرب ابرزوا إلى أميرتكم يعنى ذات الهمة حتى ألحقها بولدها وأما ان تأخذنى أسير فأكون فداء لكل الروم (ياسادة) فلما سمعت الأميرة ذلك قالت السمع والطاعة أنا أبرز اليه فلعل الله تعالى أن يظفرنى به فيكون فداء لكل من فى القسطنطونية من الأسارى الذين أخذهم ارمانوس من ملطية ثم صاحت بالرجال فانفصلوا عن القتال وقد أخذوا الراحة من الحرب طول الليل وانعزلوا إلى جانب الحصن وانضاف إليهم يانس وأصحابه والأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وكان الأمير قد خف عنه ألم الجرح فقالت الأميرة الحمد لله يابنى على سلامتك فقال والله ياأماه ما استظهر على هذا الملعون إلا حيث أنه كان سيفه قاطع وترسى غير مانع فالتقيت به الضربة فما أغنى عنى الترس ولكن الله تعالى دفع عنى أكثرها فقالت الأميرة الحمد لله يا ولدى وها أنا خارجة إليه فقال الأمير والله اننى خائف عليكى منه لأن الملعون ما هو شىء يقطع عليه قياس فقالت يا بنى ان كان أجله قد اقترب فسوف ترى العجب وان كانت الأخرى فلا بد من العطب وقد جعل الله لكل موتة سبب ثم أنها تقدمت إلى المجال ودعت خصمها إلى القتال فقالت البطارقة أن الملك قد عول أن يتناول قليلا من الطعام ويشرب الماء لأنه عطش من القتال طول الليل والنهار فيكون هذا بعد الراحة فأجابت إلى ذلك وجلسوا الناس فى الحصن فرقتين (قال الراوى) وكان الفالوغص لما جلس ذكر فعل عقبة ومشورته عليه وأراد أن يشتفى منه فطلبه فما وجده فضاق لذلك صدره وقال لايكون قد قتل فى الليل (ياساده) ومعه واحد من أصحاب يانس إلى الصور ورجع فاخبر ان الدنيا من العسكرين بلاقع وما ثم إلا الأموال سائبة وأخيام قائمة وأبدان بلا رءوس مطروحة وقد حلت بهم النائبة فعظم ذلك على الأميرة ثم قالت والله لقد أعقب فرحنا ترح إلا أن تكون قد انكسرت عساكر الروم وهذا فالوغص إن شاء الله تعالى فى أيدينا على أنه مافعل مذبحون صواب ان كان تبع العسكر ويخرق فى بلاد الروم إلا أنه لو كان الساعه ههنا كان قد دخل الينا فى ناس من العسكر على غفلة من هؤلاء فما كان قد ينفلت منهم أحد ونحن أيضا والله منهم على خطر لانهم فى كثرة ونحن فى قلة وما العساكر إلا بالمقدمين وهذا الفالوغص آفة من الآفات وبلية من البليات وأنا امرأة قد طعنت فى السن على كل حال وما بقيت أحدث روحى بملاقاة الأبطال ألا ان العزيمة والله قوية وفى بعض نخوة العربية وأقول ان فى قلبى من الإيمان ما يشيب الشباب ويحير الألباب فى الطعان والضراب ولا أعيا من الحرب وأقتنص بهمتى أسود الغاب واليوم ترون منى ومن الملك الفالوغص العجب لاننى مستعينة عليه بالملك الوهاب (ياساده ياكرام) وما

كانت الراحة سوى ساعة بمقدار ما أكلوا الناس وشربوا ووثبوا إلى القتال وثبة الاسد والاشبال وكان أول من برز وتقدم إلى الحرب الملك الفالوغص وهو مثل البرج المشيد المزيل بالحديد كأنه شيطان مريد جاحد للتوحيد ومنكر للوحدانية للملك المجيد وعليه زردية زرد مغموسة فى الذهب وقد سترته من رأسه إلى قدميه ومن أمن من غوائل الدهور ما يجرى عليه من الأمور وقد أشهر فى كفه حساما بتار يأخذ بالابصار ويلمع كأنه شرار ثم تقدم حتى قرب من عصابة الأسلام ونادى أخرجوا أميرتكم إلى الميدان إن كنتم تريدون بيننا الإنفصال فان قلبي قد تعلق بامر عسكر الروم وأريد أن أنجز أمركم وأكشف خبرهم (ياسادة) فلم يستتم كلامه حتى خرجت إليـــه الأميرة ذات الهمة وحصلت قدامه بعدما أوصت أصحابها وولدها وقالت والله ياولدى لو أننى على ظهر جواد لكان أمكن للجلاد وأخاف أن يطول بى مع هذا الملعون المقـــام وتخذل منى الاقدام وهذا على كل حال شاب وكلما زاد عليـــه القتال قويت منه الاوصال ولكن ما يكون إلا ما يريده الله الملك المتعال ثم أنها خففت عنها اللباس والزرد وخرجت تخطر خطرة الاسد وهى تنشد وتقول

انى أحب الله علام الخفـــا ثم أحب الهاشمى المصطفى
محمد خير الانام والذى هو المشفع ليس فى ذاك حق
أسرى به الرب تعالى اسمه إلى السموات فحـــاز الشرفا
والسيد المسيح قد كان به مبشرا وفضله قد وصفا
قال لكم اتبعوا محمد فهو الشفيع فى الورى وقد كفا
وان رب العرش ربا واحدا معظما بخلقه قـــد لطفا
وانكم والله شر أمة أهل الضلال والنفاق والجفا
دونك يالعين حربى اننى أبيدك اليوم بهز المرهفا
ينزل فى الدرع وهو قاطع يهشم الوجه ولا يبقى القفا

(قال الراوى) ثم حمل كل منهما على صاحبه وتعاركا وتماحكا وتشابكا وقد امتشقا السيفين وهما مثل المركبين ولم يزالا يتضاربان بالسيوف حتى أشرفا على الحتوف وخدرت المناكب من شدة الوقوف وبهتت اليهمـــا أعين الصفوف ولم يبق فى أيديهما غير مقابض السيوف وقد رأى كل واحد من صاحبـــه ما لم يكن فى حسابه وأخذا حذرهما خوفا من هلاكه وذهابه واغتاظ الفالوغص مما رأى منها وزعق وصاح صيحة مهولة وجذب الاميره فرفعها من الارض على رأسه وقد تعجبوا المسلمين من شدته

وبأسه وعظم أساسه وقطع الامير من أمه اياسه وإذا بالاميرة قد صاحت صيحة أرجفت القلوب لهولها ورمقوها النظار وما فهم الامن تأهب لضرب البتار وإذا بها قد شبكت يديها على رأس الفالوغص وعصرت عليه كادت ان تخرج عينيه وغيبت صوابه وخلصت من يديه وصارت على وجه الارض وهجمت بعد ذلك عليه وقد أيقنت بأخذه فرأته وقد ثبت جنانه وخلع على رأسه البيضة ورما أكثر لباسه وعاد إلى الأميرة عودة الأسد وقد اشتد غيظه والحرد ولم يزل فى عراك وصدام حتى ارتفع عليهما القتام وانعقد على رءوسهما الغبار وطال القتال وضجت عصابة الاسلام إلى الملك العلام وقالوا ماهذا إلا شيطان لا يرام ولا يوجد مثله فى الأنام فهد قوته يامهد الجبارين بالدوام ومقصم المتكبرين بالقدرة والأعظام (قال الراوى) ولم يزالا يتعاركان تحت الغبار حتى صار وقت الاصفرار وإذا بضجيج عسكر الأبرار قد عادوا يقبلون إلى نحو الحصن طالبين وهم يكبرون باسم الملك الجبار ويصلون على محمد المختار فأجابتهم المسلمين من أعلى الحصن بالتكبير والصلاة على البشير النذير فاشتد قلب الأميرة ذات الهمة عند سماع ذكر الجبار ووقع بالملك الفالوغص الانبهار ودهش وحار فزعقت الأميرة ذات الهمة فيه زعقة الأسد الهدار ونادت ياستار ياجبار وجذبته جذبة بطل مغوار ومحقته محقة ليث كرار فوقع إلى الأرض وعقله قد طار واحتوت الأميرة ذات الهمة عليه وملكته وخرجا من تحت الغبار وقد انصرم النهار وأقبل الليل بالاعتكار ووقعت بعده الخذلة على الكفار وأرادوا يطلبون القتال فرأوا الليل قد هجم والجو قد أقتم فنادوا بعضهم بعض ياويلكم احفظوا الباب ولا تمكنوا أحداً من الدخول الينا حتى يصبح الله تعالى بالصباح ونحمل على من عندنا من المسلمين ونفنيهم أجمعين بالصفاح ونخلص ملكنا من أيديهم ونحتوى على الحصن ولا نبالى بكل من فى الأرض هذا وقد وصلت الأميرة ذات الهمة إلى أصحابها والملك الفالوغص فى قبضتها وهو أسير حقير فما منهم إلا من سل سيفه وقام اليه يريد أن يقضى عليه لما فى قلوبهم من الغيظ فتقدم الملمان ومنع الناس عنه وكذلك ضيغم فانه قال والله لانترك أحداً يدنو منه بسوء لأنه لما أسرنا أطلقنا من غير معرفة ولا وزن مال وهذه عفة الأبطال الكرام من الرجال فقال الأمير عبد الوهاب والله انه يستاهل الصنيعة لأنه لما جرحنى تركنى وعبر وأنا مرمى ولو أراد قتلى لكان قد فعل فقال الفالوغص يامعاشر المسلمين وحق المسيح ماتدعونى نفسى قط أن أعين جريح ولا يميل طبعى إلى الكذب ولا أستحسن أقول مالا أفعله وأنا الساعة فى أيديكم فان كنتم تثقون بقولى وترضوا عندكم دينى فأنا وحق المسيح أطلق لكم كل أسير فى مدينة القسطنطونية الذين أخذهم أبى أرمانوس من ملطية لما

خربها وأريحوا حقن الدماء وتسلموا حصن صاحبكم وأنا مجرد ما أصل إلى القسطنطونية لم أستقر فيها حتى أسلم اليكم ماعندى من المسلمين لأننى أنا أعلم أن أصحابى لايسلمون أنفسهم حتى يهلكوا لأنهم استقتلوا وهم على كل حال مالكين الباب وما يتركون أحداً من المسلمين يقربه وفيهم عين تطرف وان كنتم لاتثقون بقولى فأنا أقيم عندكم فى الاعتقال حتى تأتيكم النساء والرجال فلما سمعت الأميرة ذات الهمة مقاله علمت أنه حقاً وقالت لأصحابها قد كنت عولت أن أطلع بعضكم على الأسوار يسحبون الرجال بالحبال وقد نويت فى غداة غد على القتال ومابنفعنا من ذلك شيء لأننا ماغرضنا إلا خلاص الأسارى الذين فى القسطنطونية وقد تكلم الملك الفالوغص الساعة كلام فيه الصلاح من سائر الوجوه وما بقى فى الأمر إلا إطلاقه ان كنتم تثقون بقوله فقال أبو محمد أنا قد بان لى من هذا الملك الصدق فى المقال وشوقى إلى ولدى الحصين والله وإلى زوجتى نورى وابنتى عذيبة وقد كان شومدرس حدثنى فى جزيرة عباد النار إن زوجتى وضعت ولد ذكر وسمته الحصين باسم أبى فقال الأمير عبد الوهاب وأنا والله مشتاق إلى زوجتى القناصة وولدى وكانت عاقبه لما ألقت الفتنة بين بنى كلاب وبين بنى سليم وخرجت بنى كلاب إلى القلاع كما ذكرنا تخلفت نورى زوجة البطال والقناصة زوجة عبد الوهاب وجماعة من نساء الامراء الغياب فى ملطيه لأنهم ماعرض لهم أحد ولما أدخلت البلد من الحماة وكتبت عاقبة إلى أرمانوس وأخرج نساء هؤلاء فى جملة السبى وكان للبطال بنت من نورى يقال لها عذيبه أحسن أهل زمانها وأنصحهم وأخبرهم بالأمور (ياسادة) ولها ذكر فى موضعها لو أن للطيور عقول لو وقفت لسماع خبرها وكذلك هذا الولد الذى بعدها وسمته الحصين وأما عبد الوهاب فانه كان له من القناصة ولد ذكر واسمه على اسم أبيه وقد أسروه أيضا وكانت عاقبه لما ألقت الفتنة بين بنى كلاب وبنى سليم وخرجت بنى كلاب من ملطيه كما ذكرنا تخلفت نورى والقناصه وانهم ما تعرض لهم أحد ولما علمت عاقبه أن البلد خلت من بنى كلاب فارسلت إلى ارمانوس كتاب تعلمه بهذه الأسباب فاتى إلى ملطية وأقام الحصار عليها الى أن ملكها وأسر الرجال وسبى النساء والعيال وأقاموا عنده الى أن كانت هذه الأيام وجرى لهم مع الفالوغص ما جرى واستحلفوه على اطلاق الأسراء ولما أن عادوا الى القسطنطونية أطلق الأسراء وساروا الى أهلهم وكان يقدمهم عمرو بن عبيد الله والأمير ظالم وجماعة من بنى سليم ووصلت بقية السودان وبنى كلاب والقناصة ونورى والتقاهم الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وسائر بنى كلاب وأنزلوهم حول الحصن وقد ضربت الخيام ونقل اليهم الطعامات والعلوفات وسألت نورى عن الأمير أبو محمد فحدثوها بحديثه وأنه قد سار فى طلب ولدها مذبحون فبكت نورى وقالت

سبحان من قضى علينا بالفراق والهجاج فى الآفاق فقال لها الأمير يانورى كنا سمعنا انكى قد رزقتى ولد وسميته الحصين فاين هو فازداد بنورى البكاء وقالت والله يا أمير ماكان للملوك مثله ولا حسنه ولكن عاندنى فيه الزمان وافتقدنى فيه الرحمن فقال الأمير وكيف ذلك فقالت لما دبرت عاقبة الحيلة على أخذ البلد وملكها ارمانوس وسبانا فى جملة من سبى أخذت عاقبه الطفل من يدى وهو ابن سنتين ولا أعلم ما جرى له فقال الأمير لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ما بلى أحد بمثل ما بلينا نحن به من هؤلاء الملاعين (قال الراوى) وكانت عاقبة لما أخذت الحصين قد عولت على ذبحه ثم نظرت اليه فرأته أشبه الخلق بأبيه البطال فى زرقة عينيه فقالت وحق المسيح لاذبحته ولا بد أن أربيه وأدعى أنه مملوك ويطلع على دينى وعلى دين النصرانيه من صغره ولعله يطلع مثل أبيه فى حال كبره ثم طلبت من ارمانوس الانحدار إلى بغداد بعد خراب ملطيه فارسلها مع قوم نصارى من تجار بغداد فسارت عاقبه معهم حتى عبرت الموصل وإذا قد خرج عليهم قوم حرامية من بلاد العجم فاخذوا القافلة ونهبوا الأموال ولم يتركوا معهم شيئا يساوى عقال واحد وأخذوا الحصين من عاقبة وقد ظنوه مملوك واقتسموا الغنيمه وافترقوا فى بلاد العجم وجرى من القصة ماجرى إلى أن سمع الأمير حديث نورى ثم ادعى بالأمير عمرو بن عبيد الله وقال له أيها الأمير خذ معك هؤلاء النسوان وسر بهم إلى بغداد وان شئت أن تقيم فى بلاد الثغور والقلاع وتكاتب الخليفة وتبصر مايشير به عليك فافعل فنحن ما بقى لنا فى هذه الديار قرار ولا لنا رغبة لأننا ما بقى يصفو لنا فيها عيش فلما سمع الأمير عمرو ذلك أظهر البكاء وقال والله يعز على فراقكم ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ثم أخذ معه سبايا المسلمين وسار مع بنى سليم يطلب قلاع الثغور وارض ملطية وسلم الأمير الحصن إلى صاحبه يانس المتعزب وأوصاه بأن يراعى أخبار البطال ورحـــل فى بنى كلاب والسودان الانجاب وساروا يطلبون الحجاز وقد قطعوا آمالهم من بلاد الثغور فهذا جرى هاهنا (وأماما كان) من أبو محمد البطال فانه سار مع غلمانه كما ذكر فى زى الرهبان حتى وصلوا الى القرب من بلد افرنجيه وقلبه قد احترق على ولده مذبوح ولا يعلم ماكان منه ولما وصل سأل عن الملك الذى أسر ولده فقالوا له يا أبونا من يوم سار العسكر إلى خدمة الملك الفالوغص وكسرت العساكر كان ملكنا قد وصل إلى دير الأنوار وهو مقيم فيه حتى يبصر ما يكون من ملك الروم وان كان يسلم من المسلمين أولا (قال الراوى) فلما سمع الأمير أبو محمد ذلك سار فى غلمانه يطلب دير الأنوار ولا فيهم الا من معه العدة وكلما يحتاج اليه من المناقب والمبارد والبنج واللحا والسلالم الأبريسم وغير

ذاك (قال الراوى) وكان ملك الأفرنج قد وصل إلى الدير المسمى بدير الأنوار ومعه مذبحون والكلب عقبه لأنه لما طلعت الأميرة ذات الهمة إلى الحصن ومعها السودان وبنو كلاب ودخل بهم أبو المحال كما وصفنا وصاروا الكل فى حصن يانس رأى عقبه ذاك فأيقن بالعطب والتدمير وعلم أن الحيلة التى دبرها عليه قد انعكست فقال وحق المسيح الليله يملك الحصن ويهلك الفالوغص وما للنصرانيه مثله ثم ترك الناس إلى أن انتشبوا فى الحرب ونزل من الحصن إلى الروم ليطلع البطارقه ومن يعين الملك على القتال وفى تلك الساعة كبسهم مذبحون بعساكر الاسلام كما وصفنا فما بقى الأخ يعقل على أخيه ولا الأب على ولده ونظر عقبه إلى ذاك فقال وحق المسيح جانا البلاء من كل جانب وان لم أنجو الليلة بنفسه والا صلبونى صلب العقارب ثم انه التجأ الى ملك الافرنج وقد علم أن طائفته أقوى الطوائف الذين للروم وعقبه الذى عرفه عند الصباح بمذبحون حتى أسره وقال سر بنا أيها الملك الساعه واطلب بلدك فما بقا تقوم للروم قائمه ولا يبقى منهم باقية فى هذه النوبه ولا بد للملك الفالوغص أن سلم ما يضرب رقاب سائر الملوك وأنا أشهد لك أنك أنت آخر من انهزم وانك ماوليت حتى أسرت مقدم العسكر وهو هذا الشيطان ابن الشيطان الذى فى هذه النوبة أريد أن أشفى غليل فؤادى منه ولكن أنت لما تحضره قدام الملك فتبرأ ساحتك وتقوى حجتك فلما سمع الملك كلام عقبه رآه صواب وصار حتى وصل بالقرب من بلاده ووصل إلى دير الأنوار وأمن على نفسه وقال لعقبه أيها الشيخ نحن نقيم هنا حتى ننظر مايكون من أخبار الملك الفالوغص فان سلم وأرسل خلفنا نكون بالقرب من القسطنطونيه وان هلك وقام الروم ملك غيره مضيت اليه وجددت مملكتى بين يديه فقال عقبه هذا هو الصواب ولكن أريد بتديرى تحفظ هذا الشيطان الأسير الذى معك حتى لا يهرب لأنه آفة من الآفات وبلية من البليات وأقبلت منى ومن رأى فدعنى آخذه وأطلع إلى هذا الدير الذى مالاحد عليه حيلة فيكون يبيت خلف باب واقفال وفى النهار تتوكل به الرجال فقال له الملك افعل مابدالك فهو مسلم اليك (قال الراوى) وكان دير الأنوار مذكور فى سائر الأقطار لان الرهبان الذين فيه كانوا يقولون للناس نحن كل ليلة أحد نرى المسيح ونسمع تلاوة الحواريون بالانجيل فتحمل اليهم الصلبان والقناديل والآلات والتماثيل (قال الراوى) وكان فيه صليب من الياقوت الأحمر وقنديل من الجوهر يسوى ملك الارض لأن بعض ملوك الجزائر قد وجد مطلب فيه أموال وجواهر تجل عن الوصف وفى جملتها هذا القنديل والصليب فأراد أن يرسلهما إلى بيت المقدس فاشار عليه بعض الرهبان أن ينفذهما إلى دير الأنوار ثم

وضعه بين يديه وذكر أن أنوار المسيح تظهر كل ليلة أحد ويسمعون الرهبان تلاوة الحواريون للانجيل فلما سمع ذلك حملوا الصليب والقنديل إلى ذلك الدير وأوصى عليهما الرهبان وكانوا خمسة وعشرين راهب ولهم قس مقدم عليهم يقال له بورك وأن عقبه لما أمره ملك الافرنج أن يأخذ مذبحون ويصعد به إلى الدير ففعل ذلك وصعد وهو معه وجعل يتحدث مع القس الكبير ومع الرهبان يتلو لهم الانجيل بكل لسان حتى حاروا من علمه واندهشوا من حسن معرفته ولما احتوى على قلوبهم قال أريد مكان أحتفظ فيه على هذا المسلم فانه شيطان وآفة على الأمم المسيحية فقال بورك ياأبونا ماسمعنا أن للخليفة شيطان إلا رجل محتال يقال له أبو محمد البطال وحق المسيح نحن من أجله قد حرمنا أن نضيف أحدا من أمة عيسى لأننا سمعنا عنه أنه يتزيا بكل زى تلبسه أمة عيسى المسيح والصليب والناقوس ويعمل على ذبح الرهبان وعلى ذبح القسوس فضحك عقبه من كلامه وقال هذا ولده وهو ألعن منه وأوعر وأيشم وأمكر فلما سمعوا الرهبان كلام عقبه جعلوا ينظرون إلى مذبحون وعلى وجوههم يصلبون وما فيهم إلا من قام اليه ولطمه على وجهه وقالوا لعقبه ياأبونا مانجد له أحفظ من بيت المذبح لأنه داخل الدير ونحن من حوله فى قلالينا ليلا ونهاراً ولكن قد سمعنا عن أبيه أنه يطير فى الفضاء مابين الارض والسماء فان كان هذا مثله فما نجيبه عندنا لأننا نخاف أن يقوم الينا ويذبحنا ويطير من عندنا فكشر عقبه عن أنيابه وضحك وقال لأنه مادام أنا عندكم فماله فى الخلاص من سبيل ولا إلى الانفلات لامسلك ولا مقيل (قال الراوى) ثم أمر اللعين فحمل الى بيت المذبح فحمله إلى بيت المذبح ودخل فأبصر الصليب الياقوت والقنديل الجوهر فحار من ذلك وانبهر وقال وحق المسيح مافى بيت المقدس ولا فى القسطنطونيه ولا رأت الملوك مثل هذا القنديل وهذا الصليب ولابد من آخذهما ولو قتلت كل من فى الدير من الرهبان فما آخذ للملك هدية أحسن من هذا القنديل والصليب أو أعلقه فى البيعه التى فى دارى ولكن ماأحرك ساكن حتى أبصر مايتجدد من أخبار الملك وأقتل أنا مذبحون وأفوز بقتله حتى لا أكون قد مضيت وخليت خلفى شيء أتأسف عليه ثم جعل يعذب مذبحون صباحا ومساء ويطلب يظهر للرهبان العلم والعبادة ويدبر فى أخذ القنديل والصليب واذا قد وصلت الأخبار من القسطنطونيه أن الملك الفالوغص سلم وأنه قد أفدى روحه من المسلمين بكل من فى القسطنطونية ووصل كتابه إلى ملك الافرنج يأمره أن يسير إلى القسطنطونيه ويعلمه أن سائر ملوك النصرانية قد أنفذ خلفهم يستدعى بهم اليه فلما سمع عقبه بذلك انفطرت مرارته واستدعى به ملك الافرنج وقال أيها الشيخ النجيح سر بنا إلى الملك الفالوغص حتى ننظر ما الذى قد عول

عليه فقال الملعون ماهذا صواب أن نمضى اليه على غره ولكن امضى أنت فيمن شئت من عسكرك وانظر ماالذى يريد واتركنى أنا فى هذا الدير احفظ هذا المسلم فان أنت رأيت الملك قد جمع العساكر وهو معول على الخروج إلى بلاد الاسلام انفذ إعلمنى حتى أسير هذا الأسير إلى بلدك وأمرهم أن يحتفظون به حتى إذا عدت من سفرتك تبيعه نفسه بماشئت من الأموال وان جرى عليك أمر من الامور فى بلاد الاسلام أو وقعت فى أيديهم كان هذا فداك لان قدره عندهم رفيع وان أنت حدثت الملك بحديثه وأمر باحضاره فانفذ الى حتى أسير به اليك فيمن يبقى عندى من عساكرك وأريد أيضا تحدث الملك بحديثى وتقدم عنده عذرى ولا يكون علىَّ عتبان لأجل الحيلة التى دبرت فى الحصن وانعكست علينا فقال الملك ما أخرج عن رأيك ولا أدبر الا ما تشير به علىَّ مادمت عندى ثم تحضر من يومه وسار فى ألف فارس وترك باقى العساكر عند وأمرهم بطاعة عقبة الملعون (قال الراوى) وكان غرض عقبة فى التخلف حتى يقتل يقتل مذبحون ويسرق القنديل والصليب ويعود الى بلاد الإسلام ولما مضى الملك عاد عقبة إلى الدير وجمع الرهبان اليه وقال لهم اعلموا أن قلبى تعلق بقولكم ان المسيح كل ليله أحد يظهر أنواره وأريد تقولون لى فى أى وقت حتى أشفى فؤادى من الأعادى (قال الراوى) فقالوا الرهبان ياأبانا ماتقول للأنوار وقت معلوم من الليل كان المسيح أى وقت اشتهى نزل وان كنت تشتهى ذلك فاسهر الليلة كلها إلى الصباح وقد رأيت القدرة المسيحية فقال عقبة إذا كان الامر على ذلك فاحضروا شيئا من الخمر وديروها بيننا حتى نتشاغل بها إلى الصباح فقالوا السمع والطاعة ولم تسكن إلا ساعة حتى قدموا الاوانى والاقداح وسكبوا الخمور فى بيت المذبح وقعدوا يشربون حتى مضى جزء من الليل وقد غلقوا باب الدير واستوثقوا منه بالاقفال وصار عقبة يشرب ومذبحون بين يديه وهو يعذبه ويقول للرهبان تقربوا الى المسيح يضرب هذا الملعون فانه أكبر عدو له (قال الراوى) ولم يزالوا كذلك إلى ان مضى ثلث الليل وعلم عقبة ان الخمر دارت فى رءوسهم فأخرج من تحت أذنه قطنة بنج ورماها فى باطية الشراب وجعل يدير عليهم الاقداح وكان أول من انطرح على وجه الارض قسيسهم الاكبر بوريك وانطرحت بعده الرهبان يمينا وشمال ونظر اللعين عقبة إلى ذلك فقال كان هذا غرضى فقال مذبحون ويلك ياشيخ السوء أراك قد بنجت الرهبان ايش فى نيتك تعمل فقال سوف أريك ياشيطان ماأفعل وحق المسيح لاعدت أبقيت على أحد منكم إذا وقع فى يدى لان الايام قد تقضت والسنين قد مضت وأريد أشفى فؤادى منكم قبل الممات ثم رفصه ألقاه على ظهره وجلس على صدره وجذب السكين فى يده وعول على نحره وإذا بصيحة قد أخذته من خلفه وقائل يقول

ياعدو الله لاتمد يدك إلى أولياء الله فلما سمع عقبة ذلك ارتعدت أعضاءه وارتعشت يداه والتفت ينظر من ناداه وإذا بثلاث أشخاص فى زى الرهبان عليهم المسوح وفى يد كل واحد منهم خنجر يلوح فقال ويلكم من أنتم ومن أين دخلتم فقال واحد منهم لاتخف أيها الشيخ النحس فنحن رفقاك وأصدقاءك الذين لايأخذنا فى خدمتك توانى ولا اهمال أنا أبو محمد البطال وهؤلاء غلمانى ثم انهم هجموا عليه ولطموه حتى أنزلوا الماء الأصفر من عينيه وحلوا مذبحون وشدوا عقبه يديه ورجليه فبقى حائر كيف وصلوا اليه وكان أبو محمد أخبر أنه فى دير الانوار فسار هو وغلمانه فى طلبه وكان وصولهم اليه فى اليوم الذى رحل فيه ملك الافرنج وعلم أبو محمد بهذا الحال فصبر إلى الليل وأتى هو وغلمانه من وراء الدير ونصب أبو محمد السلم الابريسم وصعد هو ولؤلؤ وبديع وتركوا باقى الغلمان يحفظون السلم وقد قال لهم ان قدرتم على شىء من الدواب أو العده فحصلوا لنا من العسكر إلى أن نعود ولما أن صاروا فوق السطح سمعوا ضجة الرهبان وصوت عقبه بينهم ومذبحون بين أيديهم وهو بان عليه بالضرب والعذاب فقال أبو محمد واولداه واكبداه انزلوا بنا إلى سور الدير حتى صعد الرهبان وكل من صعد الينا فى حاجة بادرناه بالخناجر قتلناه حتى يقلوا ونهجم عليهم وكأنى أسمع ضجيجهم كثير قال لؤلؤ يامولاى فنخاف أن نقتل منهم واحد أو اثنين يمنع الصائح فقال البطال ماتم خوف انزلوا على اسم الله تعالى (ياسادة) فنزلوا واختفوا ساعة من الليل وإذا بحس الرهبان قد انقطع عنهم فى كرة واحدة فأطلع أبو محمد اليهم واذاهم مطروحين وعقبه قدقام إلى مذبحون يريد أن يذبحه فعند ذلك قال أبو محمد لغلمانه والله ماينج هؤلاء الرهبان إلا حتى يقتل ولدى انجموا بنا عليه قبل مايفوت الأمر فهجموا كما ذكرنا وخلصوا مذبحون وربطوا عقبه وقد تركوا دماؤهم يفيض فى المذبح وعقبه ينظر إلى ذلك ويقول وحق المسيح ماقصرت مع البطال بنجت له الرهبان حتى هندمت له المكان حتى جاء وأصاب الأمر كما اشتهى هذا وأبو محمد قد نظر إلى القنديل الجوهر والصليب الياقوت فبقى حائر مبهوت وقال وحق محمد هذا شىء ماله قيمة على وجه الأرض ولا يصلح أن يكون هذا إلا فى كعبة الله المعظمة ثم أخذ الجميع ودار هو وغلمانه فى الدير وأخذوا من الصلبان والجوهر مايساوى ملكا عظيما ووجد فى بيت المذبح صندوقين فيهما كتب قديمة وأناجيل عتيقة فقال أبو محمد فرغوا هؤلاء الصناديق واحملوا عقبه فى أحدهما والمال فى الصندوق الآخر وسيروا بنا مادام فى الليل رمق فانى أريد أحمل عقبه إلى الأمير عبدالوهاب إلى الحجاز ليشتفى منه ولا يبقى فى قلبى حسرة من الحسرات نفعلوا غلمانه ما أمرهم به وحمل كل واحد منهم صندوق وفتحوا الباب وخرجوا فوجدوا باقى

الغلمان فى انتظارهم وقد حصلوا لهم من العسكر خيل وفى تلك الساعة شالوا الصناديق على بغل وركبوا الخيل وتقلدوا بالسيوف بعد ما خلعوا عنهم ثياب الرهبان ولبسوا زى تجار الروم وقال لهم الأمير أبو محمد اتبعونى حتى نسير فى البر ولا يقع أحد لنا على أثر فقال له لؤلؤ على أى طريق تريد تأخذ بنا فقال على طريق الناسوت وبندق الأشقف ويكون على نوبيديانس وهو على يميننا حتى نقع فى نوايلاذ ونطلب الشام ونسير الى الرقه ونقيم إلى الغداة حتى نحاذى الأنبار ونعرج إلى الكوفه وندخل برية الحجاز فقالوا هذا هو الصواب افعل ما بدالك فعندها ساروا عسفا وقد أخذوا معهم من الدير كلما يحتاجون اليه من زاد وماء وغير ذلك وجدوا فى السير ليلا ونهار وغد وابتكار ولا يركنون الى راحة ولا الى قرار حتى مضت عليهم تسعة أيام وعشر ليال وادركهم مطر عظيم حتى وقفت الدواب التى تحتهم وما بقيت تندفع من التعب الا أنهم قد كان وصلوا فى اليوم العاشر الى أوائل بلاد الاسلام ونزلوا فى دير فى ضيعة كبيرة لها مسجد كبير عامر فنزلوا قريب منه ونشروا ما أنبل منهم من المطر وقعدوا للراحة حتى اصفرت الشمس وفتح الأمير أبو محمد الصندوق الذى فيه الجوهر وجعل يمسحهم من الندا والبلبل ويلفهم فى القطن ويحترص عليهم وإذا برجل شيخ وعليه ثياب سود وعمامة كبيرة وقد وقف عليهم وقال لابو محمد مسلمين أنتم فقال أى شىء معكم من التجارة ما أظنكم جلبتم غير هذا الزجاج الملون فضحك أبو محمد وقال ياشيخ ما نحن تجار وإنما دخلنا البلاد التى لاهل الروم لحاجة عرضت لنا ونحن عائدين إلى بلاد الإسلام فانصرف الشيخ عنهم ورد أبو محمد الجميع فى القطن ثم جعلهم فى الصندوق ولما أمسى المساء نام الامير أبو محمد وقلبه مطمئن بالوصول إلى بلاد الإسلام فلم ينتبه إلا والليل قد تهور وافتقد الصناديق فوجد الصندوق الذى فيه عقبه قد سرق فذهب عقله ولبه واندهشت أصحابه فقال مذبحون ماأخذ الصندوق الا من ظن أنه صندوق الجوهر قوموا بنا نرحل لئلا ينفر الخطب علينا عند الصباح وربما قال للناس اننا نصارى وأنه القاضى عقبه وما ندرى كيف يكون أمرنا فقوموا بنا نرحل فعندها قاموا الغلمان على الخيول وشدوا صندوق الجوهر على بغل وساروا يقطعون الأرض وما منهم إلا من تأسف على عقبه وخلاصه وهم خائفين أن يعلم بهم الخليفة فيمسك عليهم الطرقات إلى الحجاز ويأخذهم (قال الراوى) فوصلوا المراحل وقطعوا المناهل إلى أن وصلوا إلى الرقة ونزلوا على بابها وقد عولوا على الراحة والسير بعد ثلاثة أيام إلى الرحبة ولما تقضت الثلاثة أيام أخذوا فى امر الرحيل فقال أبو محمد لبعض غلمانه ادخل إلى البلد واشترى لنا سفطا نجعل فيه هذا الجوهر ونجعله فى بعض

الاخراج و نستريح من هذا الصندوق ثم فتح الصندوق ليخرج الجوهر فوجد فيه قنديل وصلبان من القرع وتماثيل من القرع فبهت أبو محمد وأخذ الضحك من شدة الغيظ وعرف ولده وغلمانه بذلك فما فى القوم الا من انذهل فقال مذبحون وحق المصطفى مافعل هذه الفعال إلا الذى خلص عقبه وهو الذى أعلمه بحالنا فقال البطال نفيت عن ظهر الحصيين ان تركت هذا يتم على ومعلوم أن عقبه ماخلص من أيدينا إلا و يطلب بغداد وان صدقنى حذرى فما اتبعنا إلا من القرية التى سرق اللعين منها فسيروا بنا وراءه إلى بغداد حتى أريكم ماأفعل به ثم أنه ركب هو وركبوا غلمانه وصار بهم يطلب طريق الموصل وترك طريق الحجاز من شدة مالقى من الغيظ ومذبحون يقول له الصواب أن نمضى إلى أهلنا ونترك معارضة هذا الملعون فما ندرى مايكون فى دخولنا إلى بغداد والخليفة علينا غضبان ولا نعلم مانلقى فقال البطال ما أقدر أغفل عمن أخذ منى هذه الأموال ونحن مانذكر أمراولا ندخل بغداد إلا فى الليل ومانقصد إلا دار عقبه ومنها ننال المقصود ثم ساروا يطلبون العراق (قال) وكان السبب فى ذلك أن رجل من عيارين بغداد اسمه لاحق ابن المختلس كان قد وقع فى حبس الخليفة مراراً ويفلت من الحبس ويخرج ويرجع إلى أخذ الأموال التى للناس ثم استتابه بعض نواب الخليفة وطالع المعتصم بذلك فقبل توبته وأجرى له فى كل شهر عشرة دنانير وصار يخدم فى الباب وكان لاحق لايصبر عن معاشرة الشباب والشرب مع الأصحاب فصار يحتاج إلى تدبير على العشرة دنانير فى كل شهر منها ولم يكن إلا مدة يسيرة حتى صار عليه دين عظيم لتجار بغداد رأى نفسه فى مضايقة عظيمة فقال لابد أن أقصد بلاد الروم عسى أن أكسب شيئا وإلا فهذا شىء لايقوم بى ثم ركب وسار حتى وصل إلى القرية التى بات فيها الآمير أبو محمد البطال وأدركه المطر فأقام ثلاثة أيام وقد ضاق صدره وقال هذه الأيام قد تقضت وشىء ماوقع فى يدك وما يمكننى أن أعود بلاشىء بعد هذا التعب وأنا فقد حلفت أننى لا عدت آكل حرام فى بلد العراق وأما هذه البلاد فلا ثم نزل تلك الليلة إلى دار الخليفة وسرق ثيابه السود التى يخطب فيهـا وأصبح معول على الرحيل فوصل البلاد كما ذكرنا ومعه ولده وغلمانه ونزلوا فى القرية كما وصفنا فلما أبصرهم لاحق قال لاشك أن هؤلاء من تجار الروم وما يخلون إلا أن يكون معهم فى هذه الصناديق مال وأريد الليلة أبات ههنا لعلى آخذ منهم شيئاً ثم صبر إلى الليل وقام يتمشى وقد لبس ثياب الخطيب وجرى له مع أبو محمد ماجرى وأبصره وهو يمسح القنديل فعلم أنه جوهر وكذلك الصليب وليس لهم قيمة وهم يظنون أنه خطيب المكان فلما أبصرهم العيار وقد امتلأ قلبه فرح فخلع تلك الثياب ولبس ثياب الليل وصبر حتى علم أنهم قد

ثقلوا فى النوم لجاء إلى عندهم وحمل الصندوق الذى فيه عقبه فلم يزل حامله حتى أبعده عن القرية إلى دير هناك خراب فدخل فيه وقد أتعبه حمله وهو يقول والله ماهذا إلا ثقيل هذا سبب غناى إلى الأبد ففتحه ومد يده فوقعت على ذقن عقبه قال ويلك أنت إيش فما يتكلم فأخرجه من الصندوق وقال والله ماطرح هذا ههنا إلا لسر عجيب ثم تأمله وإذا هو بشخص أعور ومقطوع الآذان وعليه ثياب الرهبان وهو كأنه القرد فقال والله لقد تبدلت الجواهر بقالب منحوس لعن الله من يبقى هذا فما حط فى هذا المكان إلا وهو خبيث ملعون ثم شال الأكره من فمه وعول على ذبحه من شدة الغيظ فقال عقبه يا أخى تقتلنى وما عرفتنى ولا علمت من أنا فقال له لاحق العيار وايش تكون أنت كلب ملعون نحس وقد ضاعت ليلتى معك فى الهذيان فقال عقبه يا أخى لاتفعل واتق الله من هذا الكلام فأنا قاضى من قضاة الإسلام وان حملتنى ياهذا إلى بغداد فهو يكون سبب غناك إلى الأبد قال لاحق وايش تكون أنت من أهل بغداد قال لهأنا عقبه السلمى والليلة قد حقنت دمى لأن هذا الذى كنت معه البطال ومعهغلمانه الأندال وسبب مجيئه إلىههنا انهالأميرعبدالوهاب فى بلاد الروم وأخذ خبر أننى فى بيت المقدس فقال لعبد الوهاب أريد أروح إلى عقبه آخذه وأجيبه إلى هذه البلاد ولبسنى لبس الرهبان وإذا عدنا الى الخليفة أحضرناه بين يديه بذلك الزى ونقولهكذا وجدناه فى بلاد الروم حتى يسلمه الينا نحكم فيه بالذىنريد لأن بيننا ياولدى عداوة عظيمة وحسد لأجلمايروا من دينى ومن عظممنزلتى عندالخليفة فأخذهم الحسد لذلك وأن البطال أتى إلى وحملنى إلىأن قربت من القسطنطونية فسمع أن عبد الوهاب دخل برالحجاز فرجع يريد أن يسلمنى إلى عبد الوهاب فيعذبنى أشدالعذاب فلما وصلوا بى إلى هذه القرية سهل الله تعالى خلاصى على يديك فأريد أن تتم احسانكعلى وتسيرنى إلى أرض العراق ولك من المال مايغنيك فى عمرك فقال لاحق السمع والطاعة وفرح فرحا عظيما لأنه كان سمع بذكر الشيخ عقبه وأنه قريب من قلب الخليفة وأنهمتطلع إلى أخباره فقال أبشر ياقاضى بالسلامة فأنا أسيرك إلى بغداد وأبلغك غاية المراد ولولا أن لك عند الله منزلة عظيمة ماساقنى اليك حتى أخلصك ثم عرفه أنه ماخرج من بغداد إلا من ضيقة عظيمة وما سرقتك ألا ظننت أنك صندوق الجوهر لأنى رأيت البطال ومعه صليب ياقوت وقنديل جوهر وهو يلفهم فى القطن فعلمت أنهم يسووا مالا جزيلا وأعاد عليه ماجرى له مع أبو محمد البطال من الكلام فتحسر عقبه حتى كادت روحه أن تخرج وقال يالاحق وحق من أنشأ الخلائق ويحاسب النفوس على الدقائق والحقائق ان هذا القنديل لايوجد مثله فى المغارب والمشارق ولوكان معى حتى أهديه للخليفة وأعلقه على

البيت الحرام لكنت أنا وأنت نستغنى به بقية الأيام فقال لاحق إذا كان الأمر على هؤلاء فأنا أعود آتيك به ثم انطلق إلى المكان الذى كان فيه البطال فلم يره فعاد إلى عقبه وأخبره بذلك فجعل يأكل كفه ندما فقال لاحق وحق ذمام الفتوه لأدخلت إلى بغداد إلا بالصليب والقنديل ولو اتبعت البطال إلى آخر الدنيا فقال له عقبه أخشى عليك يا بنى من حيلته ومكره وخديعته فقال لاحق ياقاضى لاتخف على منه فأنا لو كنت تركت بلاد الإسلام وعبرت بلاد الروم ما كان للبطال ذكراً قط والساعة ياقاضى لابد مايبلغك مايجرى بينى وبينه من الأعمال التى تعجز عنها الأبطال البس أنت الساعة هذه الأثواب التى سرقتها من دار الخطيب واركب فرسى واطلب بغداد وانتظرنى بعد حضورك بثلاثة أيام أكون أنا عندك وقد أتيتك بالقنديل وقد توكل به عزرائيل فلما رأى عقبه ذلك رآه صواب وقال فى نفسه أنا كنت أشرفت على الهلاك وقد سهل المسيح خلاصى بشىء لم يكن فى الحساب ورزقنى هذا الفرس الذى تحتى وقربنى من بلادى وقد توفر على المال الذى أردت أعطيه لهذا الشيطان ثم قال للعيار لاحق يا أخى افعل مابدا لك بلغك الله آمالك وأما أنا أسير إلى بغداد وأبلغك من الخليفة مهما أردت من المرام ثم قال فى نفسه أنا أسير الى العراق وانظر مايكون من هذا العيار فما هو شىء يخفى فان أتى بالصليب والقنديل فأنا أدبر عليه وذلك انى أوهبه ماشاء من المال وأدبر عليه وأقتله وآخذ ماله ثم انه لبس ثياب الخطيب وركب وسار والفجر قد بدأ يطلع وسار لاحق بعد مسير عقبه وقد تضاحا النهار وجعل يقتفى الآثار (قال الراوى) وكان هذا العيار قوى العصب شديد السعى جسور على كل شىء لايأخذه تعب ولا يحل من النصب ثم جعل يقتفى خلف البطال الآثار وابو محمد وغلمانه يسير واسير الجد والتشمير الى أن وصل كما ذكرنا إلى القرية وقد سبق بيوم ونزلوا فى الخان كما ذكرنا وأقاموا للراحة ثلاثة أيام كما وصفنا ولاحق العيار من أول الليل وصل اتفق على انه بات عندهم فى الخان وهم لايعرفوه وكان له صناعة عظيمة فى فش الاقفال فتركهم ثانى يوم الى ان راحوا الحمام ليزيلوا عنهم تعب الطريق ففش القفل ودخل أخذ القنديل الجوهر وترك بداله قرع حتى يظهر صناعته على البطال وسار وقت السحر يطلب الموصل وأصبح الصباح وفتح البطال الصندوق وقد أراد يغير الشغل ويرحل فنظر الى ذلك القرع فعظم عليه كما ذكرنا وعلم انهم صنعة عيارين بغداد فترك طريق الحجاز وطلب بغداد وعدنا الى سياقة الحديث (قال الراوى) وسار البطال يقتفى أثر العيار وماكان بينهما تفاوت فى السير أكثر من يومه واحد فرحل لاحق بغداد بكره ودخلوا هؤلاء بعده بشىء يسير الا أنهم لم يجاوزون العمران وقال البطال لولده يابنى ادخل بغداد واقصد دار عقبة

وتسلق عليها وخذ لى خبر من داره فأنا أعلم أنا مادبر على هذا التدبير إلا هو فقال مذبحون السمع والطاعة انتظرنى فأناما أعود إلا بالخبر اليقين ان شاء الله تعالى ثم غير لباسه وسار طالب دار عقبة (قال الراوى) وكان عقبة قد دخل بغداد ودخل القصر وأقام خمسة أيام والخليفة أفرح الخلق به وكان لايفارقه أبدا حتى يصلى به العشاء الأخيرة وكان من أول قدومه سأله عن سبب غيبته فقال له يا أمير المؤمنين من ليلة خلصت أنا وأنت من ملطيه على يد عاصف نزلت وأنت فى قتال عبد الوهاب ومضيت إلى بيت المقدس لأنى قد تقضى زمانى فى ترك العبادة والغفلة عن طاعة الله تعالى وأقمت فى بيت المقدس إلى قريب وكان البطال يدور البلاد من خوفه منك لاتطلبه لتأخذ منه بثار أولادى وانه فى دورانه فسمع بى اننى فى بيت المقدس فقصد إلى وسرقنى وقصد بى الى بلاد الروم ليوصلنى إلى عبد الوهاب فوجده قد رحل ودخل أرض الحجاز فسبب الله من خلصنى منه بغير اختياره والذى خلصنى منه رجل من أهل الدين والإخلاص وأخ من إخوان المسلمين وطلب بذلك الثواب من رب العالمين فلما حصلت فى يده غلبنى الشوق إلى مشاهدتك السعيدة فقلت أسير اليه وأقضى باقى عمرى بين يديك وأربح مشاهدة الحضرة النبوية والسلالة المحمدية لما علمت ان الديار قد خلت من الأعداء الذين كان يفلتوا قلبك على فلما سمع الخليفة كلامه قال ياقاضى أقيم الساعة عندنا ولا ترجع تغيب عنا فأعداك قد أبعدناهم ولا بقى منهم من يطأ أرض العراق الا وأضرب رقبته بعد ما أشهره فى سائر الآفاق فنحن فى غناء عنهم وعن خدمتهم لنا وما بقينا نريد لنا عبيد الا الترك وأقام عقبه وفى قلبه النار من أجل لاحق العيار وهو بين المكذب والمصدق لأجل سلامته الى الليلة الثانية التى وصل فيها إلى بغداد ومعه القنديل والصليب وأقام لاحق فى انتظاره حتى صلى مع الخليفة العشاء الأخيرة وأتى عقبة ونزل إلى داره فما قر قراره الا ولاحق قد دخل عليه فلما رآه كاد أن يطير عقله من الفرح فقال ياولدى قل لى قلبى وحق محمد مشغولا لأجلك الساعة وأنت على بالى فما الذى تم لك مع البطال قال فضحك لاحق وقال ان كان هو البطال فأنا العيار الكثير الأشغال ثم انه أخرج الصليب الياقوت والقنديل الجوهر وقال خذ ياشيخ هذا ماشرحت عليه (ياسادة) فلما نظر عقبة إلى ذلك انخلع فؤاده وقال والله يالاحق لقد فعلت فعلا تعجز عنه الجن وحق محمد لتنفطرن مرارة البطال ياولدى أنت تعرف ان هؤلاء الجواهر ماتصلح إلا لمثل كسرى لأنها بيع ماتباع ولا تقوم بأموال الدنيا والذى فعلته معى ماأقدر لك فيه على جزاء وأنا أريدك ان تكون فى بغداد لى ذخيرة وكذلك أنا أبقى لك عند الخليفة غاية الوسيلة وما تلقى من صحبتى إلا كل خير وكل ماتحتاج لشىء من المال تعالى إلى وخذ منى ما أردت وان وقعت فى شدة خلصتك

بجاهى ولا أترك أحدا يصدر اليك بشىء من الأشرار (قال) ياسادة فشكره لاحق على ذلك وخرج من عنده طالب لداره وقد أعطاه عقبة ألف دينار فلما خرج لاحق من الدار استقل الألف دينار فى الجواهر وعقبة قد غلق بابه وأخرج سقطا ملآن من التحف والخيرات وحط فيها القنديل والصليب من بعد ماغطاهم بالقطن وحطهم فى خرستان وقال الى منامه وقد امتلأ فؤاده فرح وسرور (قال الراوى) هذا كله يجرى ومذبحون ينظر اليهم من شبابيك الدار وطلع إلى السطح وطلع فأصاب عقبة لما دخل داره وصعد من عند الخليفة ودخل اليه لاحق العيار وجرى ماجرى وعاد مذبحون ونزل من موضع طلع منه وعاد إليه وحدثه بما سمع ورأى وقال له مابرحت من على السطح حتى خرج لاحق من عنده وقام عقبة إلى منامه وما أظنه إلا يريد يرسل القنديل والصليب إلى القسطنطونية إلى ملك الروم (قال) فلما سمع الأمير أبو محمد البطال ذلك قال هذا هو الخبر الصحيح سربنا ياابنى إلى دار عقبه وباقى الغلمان يسيروا مع لؤلؤ إلى دار لاحق العيار عسى يظفروا به فان فى قلبى منه نار وأريد أحرمه يرجع يقول أنا عيار فقال لؤلؤ افعلوا مابدالكم واتركوا لنا أهل الأرض إلا عقبه فاننى ما أقع له على عوره ثم أنه أخذ معه بديع ويانس وأبو الليل وصندل وترك جوهر يحفظ الدواب وقد أخفى الجميع فى حمام خراب وسار كل قوم إلى جهة فأما البطال ومذبحون فانهم مضوا إلى دار عقبه والليل قد أظلم ولبس حلل السواد واعتم فلما صاروا تحت الدار قال الأمير أبو محمد لولده ياابنى اطلع أنت ودعنى أنا أنظر وإذا أخذت السفط الذى فيه الغرض دليه إلى وانزل ولا تتعرض لعقبه ولا لأحد ممن يلوذ به وريحنا من معارضته ولو انى أنا أعرف المكان الذى فيه القنديل والصليب لاصعد فيه أحدا غيرى لكن أنت أخبر منى بالصعود وأهدى إلى الموضع فاطلع وتوكل على الله تعالى فعندها التصق مذبحون بجنب الحائط وصعد مثل النمس حتى صار فوق السطح وطلع فرأى النور قد انطفأ وما سمع حس فقال هذا الذى أريد ثم فتح الباب بتاع المموق ونزل وهو يقول والله لابدلى من ذبح عقبه وما على من أبى لأننى أنا ما رجعت اليه هذه النوبة إلا لأشاوره فى قتله وإلا لو أردت لسرقت القنديل والصليب ثم أنه رجع إلى وسط الدار والخنجر فى يده مثل الصاعقة وهو حذر على نفسه من دواهى عقبه ولما صار فى وسط الدار جعل قصده الموضع الذى رأى عقبه نائم فيه فلم يجده فعظم عليه ذلك وما رأى أنه يقضى الليل فى البطال فأتى إلى الباب وفتحه أسرع من البرق ومديده وأخرج السفط ووقعت يده على خمسة أكياس فأخذها أيضا وكانت خمسة آلاف دينار وعاد وهو يأكل كفيه كيف لم يقع

بعقبه ولم يزل حتى عاد إلى السطح فوجد أبوه قائم فربط المال والصليب والقنديل فى الحبل ودلى الجميع إلى أبيه ونزل فما استقر على وجه الأرض حتى وقع فى رقبته لكمة مثل حافر بغل وانطبق عليه اثنان مثل الفتيق وفى يد كل واحد منهما سكين أمضى من من الحريق فأداروا من كل واحد كتاف وتركوا الاكر فى أفواههم وهم قد اندهشوا وحاروا ووقع بهم الانبهار ولم يقدروا ينطقون ولا يصيحون لأجل انهم مطلوبين للخليفة (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن لاحق العيار لما رجع من دار عقبه بالألف دينار فاستقلها ورأى أنه خاطر بنفسه من أجلها فحدثته نفسه أنه يرجع ويتسلق إلى عقبه ويقتله ويأخذ الجواهر منه فقال حتى أشاور صديقى وكبيرى أحمد العيارى وكان له صديق يقال له أحمد وهو كبيره فى الفتوة وكان هذا أحمد آفة من الآفات وبلية من البليات وهو الذى كان يجسره على كل شىء فلما وصل إلى داره وأنفذ غلامه فرآه فلم تكن إلا ساعه حتى وصل إليه وهنأه بالسلامة وقال ويلك يالاحق صرت تغيب هذه الغيابات ولا تعلمنى وأنت تعلم انى ما أقدر على فقدك فقال لاحق دعنى الساعة من العتب واسمع ماقد جرى لى فلو كتب بماء الذهب لكان عجيب لمن تعجب ثم قص عليه القصة من أولها إلى آخرها وحدثه بحديث الصليب والقنديل وكيف أعطاهم لعقبه وكيف أخذ منه الألف دينار ثم قال لى أنه يعوضنى وانى كلما احتجت إلى شىء أعطانى (قال) فضحك أحمد العيار وقال ويلك وكيف تم مثل هذا عليك وأنت تدعى العيارة والشطارة وحق الفتوة ماترجع تطلب من عقبه دينارا واحدا لا يعمل على ضرب رقبتك وانى أتعجب كيف أخذ منك هذا الصليب والقنديل وكيف أخذت منه الذهب وما أطعمك شىء قتلك لأننى أعرفه من سنين أنه مستهزىء بالدين كثير الشر والمكر على أنه لابد له من هلاكك ولا يغفل عنك فقال لاحق العيار وقد امتلأ قلبه عليه والساعة كيف يكون الأمر فقال قم بنا الساعة نمضى إلى داره فأنا أتسلق وأذبحه وآخذ الصليب والقنديل ونمضى من هذه البلاد إلى غيرها ونهديهما لبعض الملوك ونعيش فى غناه إلى الأبد وعز السرمد ولا نترك مثل هذا القرنان يأخذها بالهزيان فقال لاحق العيار افعل ما بدالك فانا ماأخالف فعالك فعندها لبس أحمد ثياب الليل وعمل فى رجليه نعلين من اللبد وفعل لاحق مثل فعاله وسلا سكاكينهم وساروا حتى وصلا إلى دار عقبه وهم أحمد بالصعود وأبو محمد قائم عند ركن الدار وعيناه إلى السطح وظهره إليهم وهو منتظر ولده مذبحون مشتعل القلب لأجله فقال لاحق اثبت ياأحمد هذا وحق الفتوة أبو محمد البطال ولما أتى إلى بغداد خلفى من حرقته على ما فعلت به وقد علم أن الصليب والقنديل مافاتونى وقد أتى

فى طلبهم وإن صدقنى حذرى ولم يخطىء نظرى فولده قد صعد أو بعض غلمانه وهو واقف فى انتظاره فقال ويلك إذا كان الأمر على ذلك فقد أراحنا من التعب والساعة نقبض عليه ويقف أحدنا مكانه حتى ينزل الذى قد طلع إلى الدار فنأخذ ما معه فقال لاحق هذا هو الصواب ثم أتى من ورا البطال وعينيه ترمق إلى السطح فلم يحس وقد لكمه بنصاب السكين أرماه وأدركه أحمد ودار كتافه ووضع الاكره فى فمه ووقف مكانه حتى طلع مذبحون ودلا السقط وأخذه واحد من هؤلاء الاثنين والآخر أخذ المال وساقوا بين أيديهم مذبحون وأبوه حتى وصلوا إلى دار لاحق وفتحوا الباب ودخلوا فما هم الا بمقدار ما صاروا خلف الباب حتى وثب على كل واحد منهم اثنين وفى أيديهم السكاكين فقبضوا على الاثنين فى الحال وخلصوا مذبحون وأبيه وأخذوا القنديل والصليب والمال (قال الراوى) وكانوا هؤلاء لؤلؤ وأصحابه الذين ساروا فى طلب لاحق لأنهم تسلقوا الى داره فلم يجدوا فيها غير الغلام فسألوه عن مولاه فقال انه راح إلى دار عقبه فقالوا الساعة والله يقع أبو محمد ومذبحون ويأتى بهم الينا والصواب أن نقيم حتى يأتون هؤلاء الشياطين فهم على مثل ذلك الكلام وإذا هم وقد دخلوا بهم عليه وهم يقولون قد ملكناهم وبعد أن حصلوا فى أيدينا ياما يشتروا أنفسهم منا بالمال وأما نسلمهم إلى الخليفة فهو ما يستبقيهم ونحن إذا كنا ههنا ما يعلم بفعلنا أحد ولما دخلوا بهم عليهم خلصوهم غلمان البطال كما وصفنا وعدنا إلى سياق الحديث (قال الراوى) وكانوا غلمان البطال قد أنفذوا بديع إلى دار عقبة ليكشف لهم الخبر فرآهم وهم راجعين بالأمير أبو محمد البطال ومذبحون ووجدوا الأمر قد فات وهم قد تعبوا من حملهم وحمل المال فتركهم بديع وعاد إلى لؤلؤ وأخبره بالخبر فعظم ذلك عليه وكبر لديه فرتب أصحابه خلف الباب وأقاموا حتى أتى لاحق ورفيقه وقبضوا عليهما وأداروهما كتاف ووضعوا الأكر فى أفواههم وخلصوا سيدهم البطال وولده مذبحون وأخذوا العيارين الاثنين والمال والجوهر وخرجوا وساروا وقد تركوا الدار على حالها مفتوحة الباب والغلام الذى كان فيها أطلقوه بعد أن وهبه أبو محمد شيئا من المال واستحلفه أنه لا يقر عليهم وساروا حتى انهم وصلوا إلى دارهم فقال مذبحون يا أبتاه ما الذى تنتظر به ههنا ما ترحل بنا ونلحق الأمير عبد الوهاب ونخلى عنا ما نحن فيه من الهزيان فقال له ويلك ياولدى أخاف من عقبه أن يبرطل علينا الأجناد ويرسلهم خلفنا إلى سائر الطرقات ويقول ما يقدر يفعل هذه الفعال الا البطال وغلمانه وان وقعنا سلمنا الى الخليفة يهلكنا ويقول يامولاى نزلوا إلى دارى وأرادوا قتلى والا فانا أعلم أنه ما يجسر يحدثه بحديث

القنديل والصليب لأنه يفزع أن يقول له فلم لاأعلمتنى بهم والصواب أننا نقيم ههنا مختفيين فى الخراب إلى أن نسمع ما جرى بعدنا وندبر على ما نسمع فقال مذبحون هذا هو الصواب ثم انهم أقاموا على حالهم وقد أخفوا ما معهم من الرجال (ياسادة) فلما أصبح الصباح أراد عقبه أن يحضر غلامه ويرسله الى القسطنطونية بالمال والصليب الياقوت والقنديل الجوهر هدية للملك ويأمره بالخروج إلى بلاد الاسلام فوجد الجميع قد فقدوا فدق يد على يد وجعل يعض كفوفه ندامة ويقول وحق المسيح اننى أخطأت على نفسى حيث أخرجت لاحق العيار من عندى سالم لأنى رأيته على فعاله نادم وما هو الا استقل المال الذى أعطيته ولم يثق بالوعد الذى وعدته وقد رجع أخذ الصليب والقنديل لأنه كان خارج من عندى وأنا أنظر الغدر من بين عينيه ولكن ما قلت أنه يجازيني سريع وكنت على قتله معول فما أسعده الا ما بقى له من الأجل ثم بقى مشكك فى ذلك وأراد أن يعرف حقيقة الحال فانفذ غلامه إلى دار لاحق وقال له ويلك امضى وأبصره فان كان فى الدار فما عنده من هذا خبر وان كان قد هرب فهو الذى أخذ الجوهر والذهب فمضى غلام عقبه ساعه وعاد وقال يامولاى وجدت باب الدار مفتوح فدخلت ودورت المكان فما وجدت هناك انسان فقال عقبه هو الذى فعل هذه الفعال ولا بد ما أحكم نوبته عند السلطان ثم أنه تعمم وجنح الطيلسان وركب إلى دار الخلافة ونظره يضرب الى كل مكان ولما وصل ترجل ودخل إلى مجلس المعتصم فرآه منغص بالخلق والوزراء والكتاب وهم بين قيام وقعود الا أن الكل سكوت خمود والخليفة مطرق برأسه إلى الأرض وبين يديه كتب كثيرة وهو تاره ينظر اليها وتارة يتفكر فيها وما هو فيه والناس ينظرون أن يتكلم وكذلك أرباب الدولة والخدم فلما نظر عقبه إلى ذلك سلم وأخذ موضعه من المجلس وقعد ورأى الخليفة مشتغل عنه وعن غيره فتعجب من ذلك وقال لبعض الخدام والحجاب يا أخى إيش حال أمير المؤمنين كثير الأفتكار وما هذه الكتب التى بين يديه وردت ومن أى الأقطار وصلت اليه وما الذى فيها فقال ياقاضى هذه الكتب التى به يديه وردت من بلاد خراسان وفيها أخبار خارجى قد خرج من الديلم وقد استولى على رقاب الأمم وهو سائر إلى بلاد العراق فى عساكر قد ملأت الفضا والكل معتدين والمقدم عليهم ليس له دين ولا وقع أحد له على حقيقة يقين والخليفة قد افتكر فى حاله وهو عازم على قتاله لأنه قد وصل إلى حلوان بعد أن ملك بلاد الترك وبلاد خراسان وسمرقند واصفهان والرى وهمدان وقد ادعى أنه صاحب العصر والأوان (قال الراوى) وكان هذا الخارجى اسمه باهلاك بن سارستان وكان أول

ظهوره من بلاد الديلم وقد تقوى على الترك والعجم وفتح البلاد فى تلك الأقطار حتى أطاعه ما وراء النهر وملك أيضا جزائر البحر وكان مجنون خبيث لايعد فى شريعة ولا مذهب ولا يضحك العجب بل مجبول بالسخط مخلوق من الغضب عظيم فى نفسه متكبر على أبناء جنسه وأنه لما رأى انقياد الخلق إليه وذلهم بين يديه وخوفهم منه عجب بروحه وقال أنا امام العصر وصاحب الدهر وأطاعته الأمم وصار له رعاة من الترك والعجم وقاد الجيوش والأمم وخرج طالب أن يملك سائر البلاد ويردهم كلهم إلى طاعته حتى وصل حلوان وقد تبعه من العسكر مالا يصفه إنسان ورأى ما ملك من البلدان فعزت نفسه وطلب علو المكان وصار يقول أنا أميت وأحيي وأمرض وأشفي وأفقر وأغنى وقد جاءنى بذلك رسول من السماء الرابعة وقال لى أنت صاحب الأرض كما أن نحن أصحاب السماء السابعة نحن نشاركك فى ملكنا ونظهر فيك القدرة إلى يوم الحساب وننزل على يديك والنعيم والعذاب وأعاد مقام فرعون فى أمته وأضله الله تعالى لما يريد من شقاوته والذى بقى من البلاد ماأطاعه قد كتب إلى الخليفة يعلموه باخباره ومافيهم إلامن شرح أمره وقال يامولانا ظهر الفساد وملك أكثر البلاد وأهلك كثيرا من العباد وقد نزل فى مرج حلوان بعد ماترك الولاة فى سائر البلاد وهو سائر إلى العراق طالب إقامة الشقاق ووصلت الكتب كما وصفنا واحضرت قدام الخليفة فى يوم واحد فلما قرأها بقى متفكر فى أمره وجمع أرباب الدولة يطلب منهم المشورة وكان معولا فى ذلك الوقت أن ينفذ خلف القاضى عقبة ليحضر التدبير والمشورة وإذا به وقد حضر اتفاق وسمع ما جرى وعلم أن هذا الأمر أهم من الأمر الذى دخل فيه فقام قائما على قدميه وطرح أصبعه فى أذنيه وقرأ (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) ثم قال يا أمير المؤمنين ما هذا الافتكار والمقام عن الجهاد فى الكفار واطلب سنة ابن عمك محمد المختار صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الأخيار صلاة دائمة ترضى الجبار واعلم ان الله تعالى لايخلى أمة نبيه من أنصارفا كتب إلى سائر الأقطار وسير بعساكرك وأعلامك المعودة بالنصر على الكفار ولم يزال (ياسادة) يتكلم بمثل هذا الكلام حتى حمى صدر الإمام وأخذته النخوة الإسلامية وأمر المنادين أن ينادى فى بغداد وبرز الخيام واعلم الناس أن المسير بعد ثلاثة أيام فانقلب العراق وقامت الدنيا على ساق هذا وعقبة لابس السواد وهو يدور فى أسواق بغداد وينادى فى الناس بالغزو والجهاد ويتلو القرآن والناس يتبادرون من كل جانب ومكان وفى ثلاثة أيام صاروا على ظهر بغداد بالعدد والبيض والزرد وخلع الخليفة على

عقبة خلعة عباسية وولاه خزائنه وأمواله بالكلية لما رأى من نصيحته وحرصه على نصرة الشريعة الإسلامية وتركه فى القصر مقدم ينفق على الجوار والخدم وقال له ياقاضى أنت خليفتى من بعدى وهذا خاتم الخلافة معك مثل عهدى حتى لايجد أحدا سبيل إلى التعدى ثم رحل من ساعته وساروا العساكر متلاحقة به من سائر الأقطار وهو طالب مرج حلوان ليلقى الخارجى وعساكر خراسان (قال الراوى) وكان عقبة من حيث سمع بهذا الخارجى وفساد دينه وكثرة شره وتكذيبه بالمذهب وعزمته وشدته فمال طبعه إليه وقال هذا نؤمل فيه الآمال ولا يحب عنه الأهمال لأننى قد عزمت أن أنصره ثم كتب إلى الخارجى كتابا يعلمه بمسير المعتصم إليه فى عساكره وجنده ويقول له أعلم اننى أنا أحب من عنده غير أننى ما أقول بامامته ولا أدرى من عقلى ان أجعله امام بل أنا أدعى من دعاة مذهب الحق فى الأنام وقد فنى عمرى فى انتظار هذه وقد سمعت عنك كلمة الحقيقة وعلمت إنك على الطريقة وأكبر شهوتى ان تكسر هذه العساكر الواصلة إليك وتسير فى أثرها إلى بغداد حتى ترى من تدبيرى ما تقربه عينيك لأن الخليفة سار إلى لقاك وقلبه طائر من الفزع لأجل ما سمع من ذكرك فان تعسر عليك كسره فاكبسه فى الليل وادهمه بالرجال والخيل مادام هيبتك واقعة فى قلبه وأعلم أنك الظافر به لأجل فزعه ورعبه وقد قرأت هذا فى الكتب القديمه فشد منك العزيمة ولا تغير الملة المستقيمة وسوف تصل إليك الخلعة التى جعلها على الخليفة والخاتم مع حامل هذا الكتاب لتعلم أننى عنده أحسن الاخلاء والأصحاب والسلام على الروح الروحانى والشبح النورانى ومعنى المعانى ثم بعث له من الهدايا والتحف من خزائن المعتصم ما يكل عن وصفه اللسان (ياسادة) وهذا الذى قد سار مع الهدايا غلامه قد رباه لمهماته وأطلعه على أسراره وخفاياه واستخاره من بين أولاده وخصيانه لأجل المنزلة التى له فى فؤاده ولما عول على المسير قال له أكتم سرك وأخفى أمرك وليكن أكثر سيرك فى الليل متجنبا عن الطريق ولا تخالط هذه العساكر الذين سائرة فى أثر الخليفة لأجل اختباط البلاد واختلاف الأجناد فقال له الغلام السمع والطاعة ثم تأهب للسير عند المساء فهذا جرى هاهنا (وأما ما كان) من الأمير أبو محمد البطال وولده وغلمانه فانهم أقاموا فى ذلك الحمام الخراب فزعا على أنفسهم كما ذكرنا يومين وليلتين وهم يسمعون ركض الخيل من اليمين والشمال فيظنون أنهم فى طلبهم إلى أن كان فى الليلة الثالثة وقد ضاقت صدورهم وقد انقطع الحس فقال أبو محمد لولده مذبحون ياولدى أخرج فى هذا الليل وابصر ماقد تجدد وإياك أن تخالط القوم وارجع إلى تجميع ماقد جرى حتى أدبر أنا بما أرى (قال) فتخفى مذبحون

وخرج وهو أحذر من الطير على وجه الأرض وتمشى على أطراف الدجله فرأى العساكر سائرة ومن كل الأقطار متبادرة والدنيا فى غاية الاختباط فسأل من واحد عن ذلك فاخبره بما قد جرى وكيف سار الخليفة إلى لقاء الخارجى وكل هذه الجيوش سائرة وراءه فعاد مذبحون (ياسادة) وقد سار وقت السحر وأخبر أبيه بالخبر فلما سمع البطال ذلك قال يا بنى ما بقى علينا خطر وفى غداة غد نرحل أول الليل ونسير إلى قرب الصباح ونكمن إلى الليلة الثانية ونرحل بمقدار ما نقطع أرض الكوفة وندخل برية الحجاز وقد أمنا على نفوسنا ثم أقاموا ذلك اليوم إلى أن دخل الليل ومضى بعضه وأطلق أبو محمد أحمد العيار ولاحق وحلفهم أنهم لا يعرضون بذكره لاحد ثم قال للاحق اذا أردت أن تحتال فلا تتعرض لابو محمد البطال ثم رحلوا من الخراب وأخذوا فى عرض البر مجنبين الطريق حتى جازوا المدائن وكلما أبصروا خيل سائرة حادوا عنها وخافوا منها فلما قرب الصباح سمعوا قدامهم حس حوافر الخيل وكلما سمع البطال حسهم ساق ثم قال لمذبحون ياولدى اتبع هذا الحس الذى قد قرب منا فما يخفى أنه مريب (قال) فحرك مذبحون حتى أدركه وصاح فيه فاوقفه وسأله عن حاله فقال له وقد خاف منه ارجع عنى وامضى إلى حال سبيلك فما أنا ممن تطمع فيه لان صاحبى صاحب العراق ولا يقدر أحد له على أخذ مال مادام الخليفة بالحياه فقال مذبحون ومن هو صاحبك وأراك سائر منفرد فقال أما صاحبى فهو فقيه بغداد وقاضى قضاة البلد وفقيه العجم والعرب عقبه بن مصعب ومعى حوائج للخليفة أقصد بها اليه فى السر لانها من الأشياء التى يجب كتمانها فلما سمع مذبحون كلامه قال له لا تفزع فان مولاك صديقنا وله علينا من الأيادى ما يجب أن نكافئه عليها ثم ضربه بالسيف صفحا أرماه إلى الأرض ونزل اليه وكتفه وسد فمه وأدركه أبوه والغلمان فاعلمهم بالحال فقال البطال والله ما هو سائر إلا فى مصيبة ثم ساقوا البغل وساروا فى البر وما بان الضوء إلا وقد نزلوا فى مكان يخبيهم وحلوا عن البغل وفتشوا الرحل فرأوا فيه هدية حسنة سنية من خزائن المعتصم ورأوا خاتم الخلافة والخلعة السوداء والكتاب وهو مختوم فلما نظر الكتاب أبو محمد البطال بخط عقبه والهدية والخاتم والخلعة كاد أن يطير من الفرح ثم أن البطال فتح الكتاب وقرأه وفهم ما فيه وما قال عقبه للخارجى فى كتابه فتعجب البطال من ذلك وحل فم الغلام وقال له أخبرنا أين كنت قاصد بهذا الكتاب والهدية والا ذبحناك فعندها أخبره بما وصاه عقبه إلى بأهلاك الخارجى وقال يامولاى وأنا عبد مأمور فان أطلقتنى ربحت ثوابى والا فافعل ما تشاء فقال له أبو محمد أنا أطلقك على شرط أنك تسير مع ولدى هذا إلى الخليفة وتعرفه بهذا الحال وتصدق بين يديه فى المقال وان تغير كلامك فلا تظن

أنك تسلم منا لأننا نذبحك ولو كنت فى حجر مولاك وأنت تعرفنا جيد المعرفة وما يحتاج نصف لك نفوسنا فقال يامولاى أنا أفعل ذلك فاستحلفه أبو محمد على ذلك بدين النصرانية وبدين الحنيفية وقال لولده مذبحون ياولدى الصواب أنك تسير إلى المعتصم بالجميع لأن الله تعالى قد هتك ستر عقبه وأقول أن عمره انتهى وما أقول أن مابقى فى ذلك خفى وما جرت هذه الأسباب إلا لهلاكه وصلحنا نحن مع الخليفة وانكشاف وجوهنا عنده وإذا وقف على هذا الكتاب والهدايا والثياب مايبقى عن صلبه عاقه وها أنا سائر معك أراعى أخبارك فان تم ماتريد ورأيت أمرك مستقيم ارسل إلى حتى أدخل على الخليفة وأتوصل إلى هلاك عقبه بكل مصيبة وان لم يسمع الخليفة فى هذا ولم يصدقه وأراد بتأخير الاجل عقبه وقبض عليك تسببت فى خلاصك بكل سبب فأجابه مذبحون إلى ذلك وأعاد الحمل على البغل مثل ما كان عليه وركب واركب غلام عقبه وهو مكتوف وأخذ الكتاب من أبيه من بعد ما أعاد الختم عليه وسار يقطع الأرض مع الناس المشاه طالب المعتصم وكان المعتصم قدسار حتى أشرف على قصر حلوان وأقام حتى تجتمع عليه العساكر من البلدان لأنه من الخارجى فزعان الا ان مذبحون جد فى السير حتى أشرف على ذلك المكان وقصد سرادق الخليفة واستأذن فى الدخول فخرج اليه جوهر ومسرور ينظروا من يريد الدخول على الخليفة والحضور وإذا به مذبحون ففرحوا به واستبشروا بقدومه وقالوا لا أخلى الله الاسلام منك ولا من أبيك من أين طريقك أدام الله توفيقك وأين أبوك فحدثه مذبحون بجلية الحال وقال استأذن الخليفة لعل يكون سبب رضاه عنا ونبلغ من عقبة ما نتمناه فعجب مسرور من هذه القصة والاتفاق وعاد إلى الخليفة وقال يامولاى خلد الله ملكك وأدام عزك خادمك الأصغر مذبحون ابن البطال على الباب يستأذنك فى الدخول عليك والحضور بين يديك وقد قال أن معه خبر يسرك ويفرح قلبك ويريد يبلغه اليك فلما سمع المعتصم ذلك قال احضره الى بين يدى فما قدم الا بخير فدخل مذبحون ولما توسط السرادق قبل الأرض ثلاثا وأسبل دموعه وبكى وقال ياأمير المؤمنين قد أتينا نشكو اليك الاغتراب والتشتت فى البلاد وفقد الأحباب وعدم الجهاد فى طاعة رب العباد وما جسرت أن أتقدم الا أن تكون معى قصة بالغة أقصها عليك حتى تعذرنا بأى شىء فعلينا بعقبة هذه الفعال وتعلم أننا على الوجه الصحيح فلا زالت السعادة أينما حلت عليك باركة وكواكب السعود بارادتك متداركة وسيوف نصرك لرقاب أعداءك فاتكة والأمر شرحه فى هذا الوقت يطول والاقتصار أحسن بين يدى ابن عم الرسول لأننا قد سمعنا بخبر هذا الخارجى الذى قد زعزع البلاد وشوش الأرض ودعى الناس إلى دين ما فيه لاسنة ولا فرض

فحملنا على أهوالها إما لنا واما علينا وسرنا خفية وحميه على دين الاسلام لعل الله تعالى أن يخصنا بالثواب فى ذلك المقام وتركنا فزعنا منك أيها الامام من بعد ما بقينا من خوفك نسكن النهار ونسير تحت غسق الظلام فلقينا لعقبة غلام ومعه بغل وعليه تحف وهدية تزهل الأنام فمسكناه وعن حاله سألناهفقال قد أنفذنى مولاى بحاجة سرا الا يطلع عليها أحد من الأنام فلم نصدق مقاله بل فتشنا رحاله فوجدنا خلعة الخلافة وخاتم أمير المؤمنين وهدية من الخزانة الشريفة ومن الجملة كتاب مختوم إلى هذا الخارجى باهلاك فلما اطلعنا على ذلك علمنا أن فيه تلاف للاسلام وها قد أتيتك بالكل إلى بين يديك حتى تعمل ما تقر به عينيك وتقرأ الكتاب وتسمع ما فيه من الخطاب ويبان لك ذلك الوقت من هو منا على الصواب (ياساده) فاندهش المعتصم من سماع الكلام وأمر مذبحون أن يحضر الرجل والغلام فأحضر الجميع إلى بين يديه فقال الخليفة لغلام عقبه ويلك اصدقنى وأنا أوهبك دمك وإلا ضربت رقبتك إلى أين كنت سائر بهذه الهديه فقال يامولاى إلى بهلاك الخارجى من عند مولاى عقبه فلما سمع مذبحون ذلك شد قلبه وفتح الرحل وأخرج الخاتم والخلعة والهدية وقدم الكتاب إلى بين يديه ففتحه وقرأه وفهم معناه وعرف أنه خط عقبة قاضى القضاه وفى آخره يقول للخارجى أكبس عساكر المعتصم فى الليل وسير إلى حتى أملكك البلاد والعباد بعد أن تأخذ بغداد لأن دينك غاية المراد وطريقك طريق السداد ومن تبعك كان على الرشاد فعندها قامت على المعتصم القيامة وعرف الخاتم والثياب والعمامة فقال ماهذا اللعين الا آفة من الأفات وبلية من البليات وقد اطلعنا على محاله ألف مرة ونكذب فيه وينطلى علينا ناموسه ودواهيه والساعه قد انتهى الينا الأمر بهذه الشهادة وقد زالت عنه السعاده ثم قال للوزير أكتب إلى العراق وأمر مشايخ بغداد ومؤنس الفحل أن يبعث عقبه أيضاً مع النجابين وأريد أن يكون عندى بعد خمسة أيامفعندها كتب الوزير كتاب وعلقه على جناح الطير وأرسله إلى بغداد فلما وصل أخذه البراج وأتى به إلى مؤنس الفحل فلما قرأه ركب فى الدراجة والغلمان وقصد دار عقبه وكان عقبه قد نزل إلى داره وهو يقول اليوم يكون غلامى قد وصل إلى المهدى باهلاك بالهدية والكتاب وأنا أتركه إذا خصرت معه أن يميل إلى دين الاشراك (ياساده) فبينما هو يقول هذا الكلام وإذا بالباب قد طرق عليه فقال بعض غلمانه من بالباب فقال له قل لسيدك عقبه أنه قد وصل الساعة من عند مولانا الخليفة كتاب إلى ولى عهده الواثق بالله وهو يريد بوقفه عليه فدخل الغلام وأخبر عقبه بما سمع فقال وهو يقول لعل عسكر الخليفة قد كسر ونصر عسكر الخارجى ثم خرج من الباب

فدارت به الأحباب وألقوا عمامته في رقبته وجذبوه ونزلوا في رأسه من بعدما كشفوا سلعته وسحبه مؤنس الفحل في ركابه وهو يقول له ياعدو الله تريد أن تهلك أمير المؤمنين وتتلف عساكر المسلمين وانك ما خفت من رب العالمين فبكى عقبه وتحير وماعلم ما الخبر وصاح فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ياقوم ما سبب هذا الاخراق الذي لا يرضاه لكم الملك الخلاق فوحق من فتق ورتق وصور البشر ورزق ما أعلم لي ذنب يخلق فارحموني واعلموني بالقصة وارحموا هذه الشيبه البيضاء ولا تخدعوا بالشريعة ومنصب القضاء فقالوا قد سمعنا أنك فعلت كذا وكذا وكتبت إلى باهلاك الخارجي وتأمره بالكبسة على عساكر المسلمين وهلاك أهل الدين وانك أهديت له خلعة الخلافة وخاتمها وبايعت عليه عدوه وظالمه والبطال هو الذي كشف هذا الحال وولده وغلمانه ولقيوا مع غلامك في الطريق الكتاب والأموال والخلع وقد أحضروا الجميع قدام المعتصم وقد عادوا إلى خدمته ويريد ان يرد عبد الوهاب ويسلمك أنت إليهم حتى يجرعوك غصص العذاب فلما سمع عقبة ذلك نشف ريقه وتغير لونه وخفق فؤاده وصار يقول حسب الظالمين رب العالمين لأنهم قد نزلوا إلى داري وأخذوا أموالي وضربوني ضرب تعجز عنه الجبال وقد عولوا على ذبحي فقلت لهم بيعوني نفسي فقالوا ما نبيعك روحك إلا أن تكتب لنا كتاب بخط يدك وتحلف على ذلك ماتكتبه لخلفتهم إذا كتبت لهم ذلك يطلقوني فخلفوا لي وكتبت الذي ملوني عليه وأنا فزعان من البطال وغلمانه وولده ان يقتلوني وأنا لا أعلم مايريدون بذلك وعلى انهم ماكانوا يجسروا يقتلوني في داري لأنهم كانوا منهزمين وانما هم هددوني بذلك المقال حتى يبلغوا مني الآمال ثم أخذوا الخلعة الذي خلعها على الخليفة وأخذوا أيضا الخاتم من أصبعي وكتفوا غلامي وأخذوه معهم من بعدماضربوني وضربوا غلامي حتى أشرفنا على الهلاك ولا شك انه من شدة الضرب والفزع من الهلاك قد وافقهم على ذلك مما يريدوا ويشتهوا ولو علمنا انهم سائرين الى الخليفة لكنت كتبت اليه أعرفه بما جرى علي وإنما قلت انهم داخلين برية الحجاز فامهلت أمرهم حتى انتهى إلى شرهم والآن فان لي معهم وقفة بين يدي الله تعالى الملك الديان الذي لا يشغله شأن عن شأن إذا انشقت السماء وكانت وردة كالدهان ونصبت الميزان وبانوا أهل الحقائق من أهل العصيان ولم يزل الملعون حتى أبكى مونس الفحل وأبكى من معه من الغلمان فرقوا لحاله وخشعت قلوبهم لمحالة وطلعوا إلى القصر وأعلموا السيدة زبيدة بعذره ومقاله ووعظه وأعماله فقالت السيدة زبيدة هذا المسكين الموت له راحة فياليته مات واستراح من هذه الآفات ولا يقاسي اللوعات والمصائب الطارقات ونحن نلومه إذا هج من بغداد

وتغرب فى البلاد وما نعلم مايقاسى من الأعداء والحساد ثم انها كتبت الى الخليفة كتاب، تشرح حاله على مقاله وان الذى قالوا عنه نزلوا إلى داره وأخذوا ماله من بعد ماعاقبوه وعاقبوا غلامه وأخذوه معهم فاقبل فيه سؤالى فقد ثبت انه مظلوم وان لم تقبل سؤالى فافعل فيه ماشئت فأنت تعلم من يسألك عن ظلمه يوم القيامة على انك فى مقام الخطر من جهة هذا الخارجى الذى قد ظهر فالظلم له ظلمات وقد قال الله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ثم سيرت الكتاب إلى المعتصم وسلمت عقبة إلى النجابين فساروا يقطعون الأرض وعقبة أى موضع نزلوا يبكى فى وجوههم طول الطريق ويقرأ القرآن وإذا جاء وقت الصلاة يقول ياقوم دعونى أقضى حق الله فان العمر قد مضى وأريد أواظب على الصلاة لعلى تكون الخاتمة إلى خير لأن المعول على الخاتمة ولا يمكننى أن أتهاون فى الصلاة لأن من تركها فقد كفر وان من تركها جاحداً والصلاة هى حبل الله المتين فياطربا لمن واظب عليها من المسلمين ثم قرأ بصوته ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا ففزعوا قلوب النجابين فلما احتوى على قلوبهم قالوا مثل هذا الشيخ ما نسلمه إلى من يقتله ظلما والله لافعلنا ذلك أبدا ثم انهم قالوا ياشيخ ان رحمتك قد وقعت فى قلوبنا وقد عرفنا انك مظلوم وما نشتهى ندخل النار بسببك ونحملك إلى من يقتلك فان شئت ان نطلقك أطلقناك فقال جزاكم الله خيرا فى الدار الأولى والآخرة والله ان كنتم تريدون ان تفعلوا فى حتى مايقدمكم إلى الله عز وجل فاحملونى إلى البصرة حتى أجازيكم بشىء من حطام الدنيا لأن لى هناك مال وأعطى كل واحد منكم ألف دينار تستعينون بها على زمانكم وتستروا بها أحوالكم ولا تحتاجوا إلى خدمة السلطان فلما سمعوا النجابين هذا المقال داخلهم فى المال فساروا به إلى البصرة فدخل إلى عامل له نصرانى وأخذ منه المال ودفعه إلى النجابين وقال لهم عودوا بهذا المال إلى أهلكم وأولادكم فقالوا والله ياشيخ اننا الساعة على غاية من الخوف والخطر لأننا فعلنا شىء وندمنا عليه والساعة بلا شك يطلبنا الخليفة وأينما أصابنا حملنا اليه لأنه صاحب الأرض جميعها قال فتبسم عقبة وقال ياأولادى لاتضيقوا صدوركم وسيروا إلى الخليفة وان وصلتوا اليه شقوا أثيابكم بين يديه واحثوا التراب على رؤوسكم وقولوا يامولانا أخذنا عقبة من بغداد وسرنا نريد بوصله اليك فلما قطعنا أرض المدائن التقانا نجاب آخر راكب على بيجاوى عمرنا مارأيناه إلا فى تلك الساعة قصير من الرجال أزرق العينين أعطر حلو اللسان والمقال فقال لنا ان أمير المؤمنين قد أرسلنى اليكم حتى ألتقيكم وأحسكم على المسير فقد صعب عليه قعودكم وهو منتظر قدومكم وحضوركم بهذا الشيخ الذى معكم يامولانا وكان

عقبة مريض لايحس بما جرى ولا يسمع ولا يرى وكنا قد سألناه عن سبب مرضه وما هو فيه فقال يا أولادى نزلوا إلى دارى لصوص وعاقبونى عقوبة مفرطة وأخذوا مالى وقد أورثنى ذلك الضرب هذا المرض العظيم يامولانا فسرنا نوطى تحته ونواريه وهو لايحتمل على نفسه ولا علينا وسرنا وذلك النجاب معنا لايفارقنا إلى أن أقبل الليل وقد زاد بعقبه المرض وقلنا أنه مايصبح إلا ميت فنزلنا نأخذ الراحة وقمنا ونحن تعابا حتى أصبح الصباح وقمنا فرأينا النجاب قد سرق القاضى عقبه وهرب ولا علمنا إلى أى أرض طلب وما قد وصلنا اليك حتى نقص قصتنا عليك (ياسادة) فلما سمعت النجابين ذلك الكلام من عقبه شكروه وقالوا جزاك الله عنا كل خير فلقد علمتنا مانتخلص به من نفوسنا ونربح المال فقال عقبه ياولدى لأن ماجزاء الإحسان إلا الإحسان فعندها ودعوه القوم وساروا يطلبون موضع الخليفة وبعد مضيهم قال عقبه لعامله النصرانى ابصرلى بعض العرب الجاهيل وأعطيه مائة دينار وقول له توصل لى هذا الشيخ إلى عسكر الخارجى باهلاك ففعل الرجل ما أمره به وأتاه ببدوى من أهل اليمن وأعطاه مائة دينار وقال له ياوجه العرب احمل لى هذا الشيخ إلى عساكر الخارجى الذى مقابل عسكر الخليفة فقال له سمعاً وطاعة وان أراد أوصلته إلى الهند فى ساعة واحدة ثم أنه أخذه وسار هذا جرى من هؤلاء (وأماما كان) من النجابين فانهم ساروا حتى وصلوا إلى عسكر المعتصم واستأذنوا عليه ودخلوا إلى بين يديه فلما نظرهم وعرفهم سألهم عن عقبة فبكوا النجابين ومزقوا الثياب وأعادوا عليه ما علمهم عقبة فضاق صدر الخليفة وقال هذا النجاب الذى وصفتم هو أبو محمد البطال ثم ادعى بمذبحون وأعاد عليه الحال وقال له ويلك تدبر أنت وأبوك علينا أحوال الفساد وتخفون عنى والله تعالى يطلعنى على فساد نياتكم ويكشفها للناس ثم أعاد عليه ما جرى وكان وصل كتاب زبيدة إليه فقرأه عليه وقال أنتم نزلتم إلى داره وأخذتم أمواله وضربتموه حتى كتب لكم ذلك الكتاب إلى الخارجى بغير اختياره وأبوك أيضا هو الذى التقى بهؤلاء المساكين واحتال عليهم حتى أخذ القاضى عقبة من أيديهم وهو من الضرب فى حال من العدم وهذه الأحوال قد زادت قلبي اشتغال من هذا الخارجى الذى قد أظهر فى البلاد الفساد وما أدرى الساعة من المحق حتى أجازيه ولا من هو على الباطل حتى انى أكافيه ثم أراد القبض على مذبحون حتى يحضر أبوه ويطالبه بعقبة ويسمع كلام الاثنين وإذا برجل قد هجم عليه وصار فى الحال بين يديه وقال السلام عليك يا ابن السيد المفضال أنا خادمك أبو محمد البطال وأنا أقسم بمن أرسى الجبال وأخرج من الصخر ماء زلال وتعالى عن الأشياء والأمثال إن كان عندى خبر من عقبة

شيخ الضلال ولا فما يقولوا هؤلاء النجابين من المقال بل انى أعلم أن الكل زور ومحال وان تركتنى حتى أضرب هؤلاء النجابين الاندال فهم يصدقوا فى المقال (قال الراوى) هذا ما يقوله ابو محمد البطال والمعتصم قد بهت إلى كلامه وتعجب من حضوره فى تلك الساعة وانفرجت عن مذبحون الكربة بحضور أبيه فى وقت الحاجة فقال المعتصم للحاجب اياس قرر هؤلاء النجايين حتى نبصر لا يكونوا كذابين فعندها أخذهم الحاجب إلى جانب السرادق وقال لهم اعلموا أن أمير المؤمنين قد عرف أن قولكم محال والساعة قد حضر البطال وما بقى ينجيكم إلا الصدق فى المقال وإلا حل بكم النكال لأن النفاق فى مجلس السلاطين محاق والريا ماله ضياء فاصدقوا حتى تنطلقوا ولا تكذبوا فتهلكوا لأن الخليفة قد قال ان صدقوا فاخلع عليهم وان كذبوا فاضرب رقابهم فاحقنوا دماكم ولا تخاطروا بنفوسكم (قال) فبكوا وقالوا أيها الحاجب والله ما تحدثنا إلا بما جرى علينا لأن البطال هو الذى أخذ الشيخ منا ونحن الساعة قدام الإمام أن ظلمنا طلبناه بظلمنا قدام الملك العلام وما عندنا خبر من هذا الكلام (قال الراوى) فلما سمع الحاجب هذا المقال عاد إلى الخليفة وأعلمه بما جرى فقال أضربوهم حتى لايبقى حجة ففعل الحاجب ذلك وبطحهم وضربهم حتى شمط لحومهم وهم لايرجعون عن القول الأول بل يصيحون الله بيننا وبينك يا أبو محمد لأنك سرقت عقبة منا وتركتنا نضرب هذا الضرب فهنالك قال أبو محمد للخليفة ياأمير المؤمنين هؤلاء قد برطلوا بالمال ولو ضربوا إلى يوم القيامة ماقروا فدعنى أخصهم وقدقروا فقال له الخليفة افعل ماتريد فلما أن سمعوا النجابين ذلك المقال قالوا ترفق يابطال فقال وأين المال الذى برطلكم به عقبة شيخ الضلال قولوا الصحيح وإلا أرميت الساعة خصواتكم (قال الراوى) فعندها تحدثوا بين يدى الخليفة بما جرى وصدقوا فى البعض وكتموا البعض خوفا لايؤخذ المال منهم وقالوا ياأمير المؤمنين اننا لما أرسل معنا القاضى عقبة ورأينا صلاته وعبادته رحمناه وقد أشرف على الهلاك والموت فخفرناه ونمنا وما حفظناه فلما أصبحنا طلبناه ما وجدناه ماندرى كيف هرب وهو فى ذلك السقم والعطب ولاله مايركب وهذا حديثنا قد قصصناه عليك وأنت بعد ذلك المحكم فينا وهانحن بين يديك. فلما سمع الخليفة ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال أبو محمد علمكم عند الله عز وجل وما أضمر العبد وما أظهر وهذا غيب لاأدرى من هو الصادق من الكاذب حتى أقابله بما يستحق، والساعة فها هم بين يديك مهما شئت افعل فلما سمع البطال ذلك الكلام ما قدر يرداد الامام ولا يزيد على قلبه بل علم أن عقبه قد لعب بعقولهم بالمال وقد حل لهم أخذه، وأنهم مايقروا على أنفسهم ولو قتلوا فقال يا أمير المؤمنين ومن هو أنا حتى أتحكم فى

حضرتك وأنا ماضر بتهم وهددتهم إلا حتى بويت ساحتى ثم أنه أطلق النجابين تخفيفاً عن قلب المعتصم فلما أطلقهم ســـاروا وهم مايصدقون بالنجاة وبعد ذلك أقبل الخليفة على أبو محمد وقال يا أبو محمد مافعل الله بالقنديل والصليب الذى بلغنى أنك أخذتهم من بلاد الروم فقال يامولانا بين يديك الساعة يحضرون ثم قال لولده مذبحون يابنى أئتينى بهم فخرج وامر غلمانه فجابوهم فأخذهم وأحضرهم قدام المعتصم فلما نظرهم أخذه الانبهار ودهش وحار وتعجب من ذلك الجوهر النفيس الذى لايوجد مثله فى الأقطار فقال والله ياملك ماقنى أحد من الملوك مثل هذا عنده فقال المعتصم يا أبو محمد أريد منك أن تهديه لى أو تبيعنى إياه فقال أبو محمد حاشا الله يا أمير المؤمنين ان اجعل روحى لك مبايعاً وكلما على وجه الأرض لك فيه حظ ونصيب يامولانا مايقاس السيد الأعلى بالعوام فكلما يصلح للمولى فهوعلى العبد حرام على اننى يامولانا كنت قبل أن آخذه نذرت على نفسى إن أخذته علقته على ضريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت أهدى منى إلى الصواب وأعرف بفصل الخطاب (قال) فشكره المعتصم على ذلك وهو قد بقى حائر بماذا يكافئه فقال للوزير اكتب لأبو محمد كتاب إلى مشارق الأرض ومغاربها وامر كل من فيها من قبلى أن يعملوا بما يأمرهم به البطال إذا وصل اليهم وأينما وقع بعقبه يسلم اليه ويعاونوه عليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله ووليه أبو اسحاق المعتصم بالله أمير المؤمنين ابراهيم إلى جميع البلاد والولاه والمقدمين من قبله على العباد أن يكونوا طوعا لأبو محمد البطال فى مهما أراد وايش ماطلب منهم يسلم اليه حتى قاضى قضاة المسلمين وقد أمره الخليفة بذلك وقدحكمه فى أعداه لأجل ماعرف من نصحه وخدمته التى مايقدر عليها أحد سواه والسلام على من أطاع أحكام الامام واللعنة على من خالف شريعة الاسلام ثم ناول الكتاب إلى الخليفة فعلم عليه بيده وناوله إلى البطال فطار قلبه بالفرح وقال يا أمير المؤمنين مابقى عليك ملام وما بقى لى إلا أن أقوى همتى وأشد عزمى وأطلب من الله عز وجل قضاء حاجتى وانجاز وعده فى الذى قد انفطرت بنفاقه مرارتى فقال المعتصم هذا الكتاب بيدك وقد أبحت دمه لك ولولدك ولكن لكل مقام مقال ونحن اليوم محتاجين لك لأجل هذا العدو وما أخليك تنصرف حتى ينفصل هذا الأمر فقال يا أمير المؤمنين ما أقدر أن أبرح حتى يهلك الله معاديك وينصرك على من يعاديك فأنت للضعفاء والمساكين وكنز المستغيثين ورحمة للمسلمين (قال) فشكره الخليفة على ذلك وقال نريد منك التدبير والحيل وأرينى ايش يعمل علينا القتال بالاسل وقد وصف لى عن هذا الملعون شيئا زائداً من الشجاعة والجلد والهيبة التى له على عسكر خراسان وأنا والله منه فزعان فقال البطال

يامولاى أنت كان لك سيف قاطع ودرع مانع إذا سمعت به الملوك خضعت أبعدته عن، جنابك وصرفته عن بابك وكان أنصح الناس لدولتك وأحبهم فى مملكتك وقد حالت، الساعة بيننا وبينه الرواحل وتباعدنا بالبرارى والمنازل فقال صدقت والله ياأبو محمد فى هذا الكلام وكل هذه الأسباب بحكم الماجد العلام ثم قاموا جميع العساكر والعشائر يفتكرون فى أمر العدو (قال الراوى) ياسادة هذا جرى ههنا (وأما ما كان) من عقبه فانه سار مع البدوى حتى أشرف على الخارجى باهلاك وهو نازل فى مرج حلوان فرأى عسكره وقد ملأ الفلا وسد المستوى وهم كالجراد المنتشر أو السيل المنحدر والكل منهمكين على المعاصى والفساد غافلين عن طاعة رب العباد فلما نظر عقبه إلى ذلك نزل عن نجيب البدوى وغير أثوابه وكبر عمامته وبلج طيلسانه ودعا وفتح حلقه وقرأ ونادى السلام عليك أيها القدرة الخفية الظنون والروح العلوية العالمة بما كان وما يكون ترى أين الملائكة تلقاك وأى النسيم رباك حتى تجوهرت عنا جميع أجزاك واجتمعت على علم الغيب أعضاك إلى مثلك كان الخلق محتاج حتى يستدلوا بنور ضياك وينجوا من ظلمة الضلال ولا يبقى عند هذه الظلمة انتقال ولا عن هذه الدعوة زوال وأنت قاتل الرجال وعالم بالآجال (قال الراوى) ولم يزال عقبه يتفوه بغرائب المقال وباهلاك يصغى لقوله حتى فرغ من دعاه فأمر أن يحضر بين يديه فخرجت الحجاب والمقدمين من الديلم ودخلوا بعقبه مبجل مكرم فلما صار قدام باهلاك سجد له طويلا ورفع رأسه وقد أظهر الرعد والرجفان وأسبل الدموع من الأجفان وقال السلام عليك ورحمة الله وأبرك التحيات أيها الدال على الخيرات الباقيات الصالحات الذى قد نشر للهدى رايات وأنهى الأفلاك الدائرات أنت البركه فى كل مكان تحل التوفيق مقودون بما تعتقد وتحل فلا زالت الألسنة تنظم لك ولا زالت الأفلاك تطلع لجلالك أهلة وشهود ثم جعل ينشد ويقول هذه الأبيات

أيا عالما بما تكن الصدور وعظيم على الأمور قدير
فاترك السيف فى أعاديك حتى يعلموا أنك العليم القدير
وابدأ بالمعتصم وقد سهل الأمر وعاد العسير سهل يسير
واكبس الجيش فى الظلام لئلا بالذى قد جرى هناك جدير
وافتح الأرض بعد هذا سريع فمعانى العلا بذاك تشير
وأنا العالم الذى بك بشرت ثم بى يستوى لك التدبير

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع الخارجى ذلك من كلام عقبه تعجب كل العجب وكبرت عنده نفسه وداخله الطرب وعلم أنه ينطق عن خاطر كبير وأنه بأمور الدنيا خبير

ثم ميزه فرآه أعور العين مقطوع الآذان والأصابع فقال ياشيخ وأنت بهذا الفضل والأدب وقد عرفت كل علم ومذهب ويعضك الدهر بالمصائب ويسلبك بالنوائب ولكن ابشر أنا أرد عليك عينك التى قلعت وأصابعك التى قطعت (قال) فبكى عقبه وقال يامولى الموالى المؤمن ملتى والكافر مرقى وأنت تعلم أن خالق السموات والأرض والافلاك الدائرات يبتلى بعذابه خالص عباده حتى يسمع نداءهم ويرحم شكواهم ويضاعف فى الآخرة عطاهم وأنا من جملة من ابتلاه الله بقوم مثل الدواب لاعقل لهم ولا رأى ولا معرفة بعلم الكتاب يقال لهم بنو كلاب ولهم مقدم يقال له عبد الوهاب وآخر لص محتال يقال له البطال وهم عند الخليفة ببال وأكرم حال لأنهم يشدون فى القتال وفى العظائم الثقال وضم الذين فعلوا بى هذه الفعال وما كان لى ذنب إلا أننى كنت إذا خلوت بهم أقول لهم ياقوم لاتقاتلوا بين يدى هذا الذى يزعم أنه خليفة وابصروا حتى تظهر أيام البيض الشريفة وتنظروا الدنيا من المنافقين نظيفة فكأنهم بشمس الهدى وقد طلعت من بلاد الديلم ودين الحق قد قام من العالمين علم ويظهر الشخص المؤيد من السماء بالنصر على العرب والعجم ويقيم التوحيد على ساق وقدم ويظهر البراهين والحكم وتذهب من أعين الصادقين حنادس الظلم وترون جنات النعيم وعذاب الجحيم فلما لجيت عليه بهذا الكلام مراراً رفعوه إلى الخليفة ففعل بى هذه الفعال التى ترى وأرادوا قتلى فخدعته وتبت على يده وكفت أحوالى حتى رأيت هذه الأيام فسعيت اليك على الأقدام حتى أموت فى هذا الظل الممدود وأحظى بأوقات السعود فقال باهلاك ومن يقال لك ياشيخ من العرب فقال أنا عقبه بن مصعب حكم الوقت وداعى الأنام إلى الحجة الباهرة بالحسام فلما سمع باهلاك هذا الكلام هذا يكون الواضح وداعى دولة الناصح لأنه يستميل سائر قلوب الناس ويقطع دولة بنى العباس بهذا اللسان الفصيح والقول البالغ الرجيح ثم استدعى من شدة فرحه بوجوه عساكره وأحضرهم عنده فى السرادق وذكر لهم ماقد سمع من عقبه ثم استنطقه فتكلم بسائر اللغات وفسر الأمور المقضيات وحل عقول المشكلات فقال باهلاك هذا نائب عليكم إذا غبت وحاجتى إذا حضرت وأنا بمنزلة المدينة وهذا الباب ولنا المعنى وهو الحجاب فاطيعوه ان كنتم طائعين وكونوا لقوله سامعين فرفعوا ملوك الروم مكانه وعظموا شأنه فلما نظر عقبه إلى طاعتهم له وانقيادهم اليه أراد أن ينجز الأمر فخطب خطبة بليغة شاملة بمدح باهلاك وذكر بينها الكفر والاشراك وحرض فى آخرها يكبس عساكر الخليفة وقال أنا أكتب لكل واحد منكم صحيفة وأضمن لكم النجاة من العذاب والدخول إلى جنات النعيم بلا حساب فاجتهدوا قدام هذه النسمة الطاهرة والروم الظاهرة والأنوار الباهرة ومن قتل

منكم رجلا من هذه العساكر المنافق شهد بفعاله حجة الخالق وكشف له عن خفيات الحقائق فشمروا ولا تقصروا واطلبوا النقلة إلى العالم الفوقانى والمقام الربانى ولا تقنعوا بهذا العيش الفانى فان أمكنكم فاهجموا الليلة إلى خيـــام هؤلاء المنافقين الخائنين المساكين واضربوهم بالخناجر والسكاكين وأطيعوا امامكم حتى تسيروا إلى الجنة وهو قدامكم ولكم أسوة بالذى قطعت أناملى وعدمت عينى اليمنى مع الشخص والحبل المتين ومن قاتل الليلة وصبر كانت له الجنة دار مستقر ولم يزال عقبه على ذلك حتى ضجوا القوم وأمراء الديلم وقالوا سمعنا وأطعنا أيها الحكيم العالم فدبرنا وأمرنا وجربنا فقال لهم كل من تحت يده رجال يعود اليهم ويعلمهم بهذا الحال ويأخذوا الاهبة للقتال حتى نجعلها ليلة الانفصال ولا يصبح الصباح إلا وقد بلغنا الآمال ففعلوا ذلك وقبلوا واعلموا الطوائف فتأهبت وللجنائب ركبت وركب أيضاً باهلاك وعقبه يهون عليه الهلاك (ياسادة) وفى تلك الليلة والساعة كان المعتصم مع أبو محمد البطال يدبروا فى أمر القتال هذا والليل قد طبق بسواده على الأرض والجبال وأسبل على الخائفين أزيال وإذا بالصباح قد ارتفع حتى كادت السماء أن تقع والأرض أن تصدع وخيول الديالم قد طبقت وفرسان خراسان قد تسارعت وسمع المعتصم ذلك فعظم عليه وكبر لديه وعلم أنها خيول أعاديهم لما سمع منادى الموت يناديهم وما كانت إلا ساعه حتى صارت الأعداء معهم فى الخيام وقد استيقظوا النيام وقد زلت بهم الأقدام ونزلت عليهم الأحكام وتخبل عقل الفارس الهمام ووثبوا الناس إلى الخيول وكان ليل مهول فعمل فيهم الحسام وغشيهم الظلام وتزاعقت أبطالها وزجرت أقيالها وجودت نصالها وبانت أهوالها فقال كسرنا والله هؤلاء الخوارج الأندال وما صبروا علينا حتى ندبر أمر القتال ثم صار ينادى فى الأبطال وينخى مقدمين الرجال يقول لهم يا أخوانى المسلمين دونكم وأعداء الدين من الخوارج المتمردين فهذه ليلة كسب الثواب وفيها تجازون من رب الأرباب وتحظون بعتق الرقاب فانصرفوا أمامكم واحفظوا أمامـــكم وها أنا ثابت غير فرار فالله تعالى نعم المعاون والجار وما خاب من به استجار وقد وعدنا بدار القرار وهى دار وأى دار وهى مفجرة الأنهار (قال الراوى) ياساده فهنالك حضرت الآجال وهمهمت الأقيال ولعبت الخيل بالجماجم فى المجال وتقطعت الأعمار الطوال وكان القضاء على النفوس دلال وزال من الفارس الا دلال وقاتل المعتصم أحسن قتال حتى تفللت عنه المواكب وبقى فى وسط المعمعه وحيد فريد وتفرقت عنه الغلمان والعبيد وتقطعت به المعامع فعاد إلى ورائه راجع قليل والناس بين طريح وقتيل وباهلاك الخارجى يدور فى ظلام الليل مثل الفيل وهو يسقى الأبطال كاس وبيل والفرسان

من على السروج تميل حتى طلع الصباح وأضاءت الآفاق وقد وقع المحاق فى عساكر العراق ومزقتهم السيوف الرقاق ونهب الأموال والرجال والخيول والاثقال واحتوى الخارجى على سرادق الخليفة بما فيه وقتل الفقهاء والعلماء وكل شخص صالح ووجيه وزاهد وفقيه ونزلت الخوارج فى خيام الاسلام وقال عقبه اعرضوا الأموال على مولانا الامام فأعرضت الأموال والرجال كلها على باهلاك فأخذ منها ما أعجبه وفرق الباقى على عساكره وأجناده وأما خزانة الخليفة فانها اختصها لنفسه وفتحها عقبة بين يديه فوجد القنديل الجوهر والصليب الياقوت الأحمر فى بعض الصناديق فلما رآه عقبه خفق فؤاده من شدة فؤاده من شدة الفرح (أما باهلاك) (ياسادة) ماعرف لهم قيمة بل قال لعقبه لما رآه وقد عزلهم ناحية أيها الشيخ الناصح الداعى إلى المصالح هذا قد أخذ لاشك من بعض أديرة الروم وحمل إلى الخليفة فخباه فى بعض خزائنه لأجل بجله وإلا فما هذا أمر خالص الزجاج كل ماعليه قيمة ولا أكون أبيعه لبعض القسوس بشىء يرجع منفعته على خزائن المال ثم أن عقبه تسلمه وهو لا يصدق بذلك وان باهلاك أراح واستراح ثلاثة أيام وهم بالمسير الى العراق فعارضه مرض شديد فما أجهد نفسه فى القتال فأقام مكانه وعقبه يطلبه وكلما سألوه الديالم عنه يقول مولانا قد احتجب فى علم غيبه وطلع الى السماء بروحه وترك عندنا جسمه وما ينزل ويقابل هذا العدو الا فى وقت يعلم أنه يبلغ فيه الهنا وكان الملعون عقبة قد قال للخارجى يامولانا أن يجب تكتم حالك ولا يطلع عليه أحد من رجالك حتى لاتنقص منزلتك عندهم ولربما سمع بذلك عدوك الخليفة فعاد اليك وطمع فى قتلك ففعل باهلاك ما أمره ومنع الناس من الدخول اليه (قال الراوى) وتسامعت الناس فى سائر البلدان بكسرة عساكر الخليفة وملكت عساكر الخارجى ما وقعت عينها عليه وما وصل اليه فأتى اليه كل قاطع طريق وكل كافر زنديق وعقبة يفرح قلوبهم بكل جميل وكان الملعون قد غير زيه بحيث لو رآه أى أحد ماعرفه وكان باهلاك يقول له لم تعمل بنفسك هذه الفعال فيقول له ياصاحب الزمان على لا أظهر لأهل العراق تملك أنت سائر الآفاق وهذا قد فعلته وأريد حتى لنفسى تغير القطع عنى ثم سار فى زى الديالم وقد عمل شعر اسود نازل على كتفيه ولبس قباء وجعل على رأسه شربوس مرصع بالدر والجوهر يأخذ بالبصر وصار فى زى لو أبصره أسواق بغداد ماعرفه أحد من العباد (قال الراوى) وكان أبو محمد من وقت وقعت الصرخة ليلة الكبسة فى الظلام ورأى الأعجام والديالم معهم فى الخيام نخرج من سرادق الخليفة وقال لغلمانه اعلموا أن هذه النوبة من تدبير عقبة وقد قال والله المنا وزال عنه العنا وانا أعلم أنه يأخذ

الصليب والقنديل ويكسر الاسلام ولا يترك لهم مقيل ومانى الأمر إذ أننا نختلط بعساكر هذا الخارجى ونختفى فى جوانبه والا هلكنا وان ظفرنا بعقبه بلغنا المنا ثم تركوا القتال فى الخيام ومضوا إلى عسكر الأعجام وصاروا بينهم بعد كسر عساكر الإسلام وطلبوا عقبه فلم يعرفوه وجعلوا يقصدوا عساكر الخارجى ولا يبصروه وأبو محمد يقول والله اننى قد تحيرت من هذا الملعون لأنى أعلم أنه ما كسر عسكر الخليفة غيره ولا دبر عليه سواه ولكن ما أدرى أين هو الملعون وما هو إلا قدره وأخفى نفسه منا فان لم نأخذ حذرنا منه والا عرفنا قبل أن نعرفه على أننى ما أبرح حتى نكشف خبره ان شاء الله تعالى (قال الراوى) هذا ما جرى هاهنا وأما المعتصم فانه لما وصل إلى العراق استقبلوه الناس بالبكاء والزعاق وسمعت بكسرته سائر الآفاق واجتمعوا العلماء والفقهاء والخطباء والفضلاء وطلعوا على المنابر يبتهلون الى الله تعالى بالدعاء على هلاك الخارجى ومن معه من الظالمين ويسألونه النصر لجيوش المسلمين فنادت المنادية فى سائر البلاد يدعوا الناس إلى الجهاد والقتال عن الدين ونصرة الموحدين وأقبلوا الناس يهرعون من كل جانب وفتح المعتصم خزائن المال الذى للآباء والأجداد وخلع على الأمراء وعلى العساكر والأجناد بعد الاجتماع وإذا هم ثلاث مائة ألف فارس ما بين رائح ولابس فلما رأى ذلك اشتد عزمه وقوى قلبه ونوى على لقاء الخارجى كرة أخرى وإذا بالأخبار قد وصلت بأنه سائر إلى بغداد وقد زادت عساكره أضعاف ما كانت ففزع الخليفة على الناس فى بغداد وقد درب الدروب وتزايدت الكروب واعتدوا الناس للحروب وتشققت المراير تأسفاً على هتك الحرائر وقامت القيامة فى بغداد وأخذوا أهبة الجهاد فى طاعة رب العباد وفرق الخليفة على الناس العدد بعد ما كان بها بخيل وأيقن بزوال ملكه عن قليل وحققت الحقائق وفى تلك الأيام وصل الأمير عمرو بن عبيد الله فى بنى سليم ومعه أمم كثيرة من سائر القبائل وكل من خلص من يد الملك الفالوغص ووصل إلى ملطية رآها خراب مهدمة القصور ومصرحة الأبواب يجرى دمعه الهتان وقد قيل

لاتعتب الدهر يضيق العتاب ··· لأنه من طبعه الانقلاب

(قال الراوى) ثم انه أقام فى القلاع حتى اجتمعت اليه العربان من الأودية والضياع وانحدر بعد ذلك إلى العراق لما جرى هذا الانفاق فلما صار بين يدى المعتصم قبل الأرض ودعا وأخبر بما جرى له وبشره بكثرة من جمعه من العساكر ففرح به الخليفة وهناه بالسلامة وخلع عليه وعلى وجوه قومه وقال له ابعث النجاب من بنى سليم إلى بلد الموصل والجزيرة واستنجاد الرحبة وديان وبلاد الشام حتى تجمع العساكر للعراق ويلتقى أهل الكوفة فقال

يامولانا لاتحمل على قلبك فان الله لايخلى دينه من أنصار وقد دعونا الله بالنصر على لسان نبيه المختار ثم قالوا له الحجاب مثل ذلك وهيبوا قلبه وقووا عزيمته وقالوا يامولانا الديالم ماينفعونا فى القتال بل كبسونا حيلة واغتيال وهذه فعال العاجزين من الحرب القليلين الخبرة بالطعن والضرب والآن غوحق نعمتك لابد لنا مما نرى نفوسنا عليهم ونوصل الأذية اليهم بضرب يشفى العليل ويرضى الملك الجليل ولا نقل يا أمير المؤمنين أصابنا ذلك المصاب إلا انتقام من الملك الوهاب حين صدقنا على عقبه كلام أبو محمد البطال أوعطيته أنت خطك بقتله أينما كان ولو كان الساعة عندنا انكشف عنا ببركاته العنا على أنك رأيت خطه فى ذلك الكتاب وصدقت عليه ونحن نعلم أن الكل من أبى محمد البطال وهو الذى زور عليه هذا الكتاب فقال المعتصم دعونا من هذا لأن القلب فيه شغل شاغل عن سماع هذا الكلام والأمير أبو محمد قد عدمناه وما ندرى ماجرى عليه بعدنا وعندنا شغل شاغل عن كل أحد فابعثوا النجب الذى ذكرت لكم ودعونا من عقبه ومن سواه فلا أعقبه الله خير فما أيشم طلعته غعندها .ركب الأمير عمرو بن عبيد الله وبعث عشرين نجاب إلى بلاد الموصل وأرض الجزائر وإلى بلاد الهكاريه وسنجار والخابور والرحبة وديار بكر وقال لهم أوعدوا الناس عن مولانا أمير المؤمنين بالجوائز السنية والاقطاعات بكل جميل فقالوا سمعاً وطاعة وساروا مجدين وإلى الجهاد طالبين وانقلبت فى تلك الأيام على الخليفة الأقطار وأتت العساكر مثل البحار وأما باهلاك فانه لما برىء من مرضه فرح عقبة بذلك ورحله إلى بغداد وقد ارتجت لرحيله البلاد إلا أنه ماوصل إلى بغداد إلا والخليفة قد برز وقد ازدادت عساكره مثل ما كانت أضعافاً مضاعفة فلما أشرفت عليهم رايات الخارجى تبادروا إلى الخيل الجياد واعتقلوا بالرماح المداد واصطفوا فى طلب الحرب والجهاد ورفعوا أعلام الخليفة السود وصاحت أيضاً الأعاجم والديالم عند اشرافها على أعلام الخليفة هذا وعقبة إلى جانب باهلاك يحثه على القتال ويقوى عزمه على النزال إلا أن الخليفة أرسل اليه من قبل أن يصف العساكر يقول له أيها الطاغى الباغى احذر الباغى وإياك أن تظهر ملة ثانية غير ملة الاسلام واعلم أن الله ختم الملك والشرائع بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ونحن خلفاء وعلى سائر الانام قائمين بسنته إلى يوم البعث ولقاء الملك العلام ومن أراد يعاندنا غلب وما أراد اخماد جيشنا إلا انكب لأن دولتنا لاتزول وأيامنا لاتحول لأجل مادعا لنا الرسول فارجع واترك الخلاف وإياك والبغى والاسراف فلما وصلت الرسالة إلى باهلاك غضب ودمدم وقطب وهمهم ورأى ذلك عقبه منه فسكنه من غيظه ومسح أعطافه حتى زال غضبه وكتب الجواب يقول أمادولة بنى العباس فقد

اضمحلت وأيامهم قد ولت وهذه أيام قد بدت جدد وأرقاب هذا الشخص السعيد تحمد لأنه من السماء مؤيد فان كنت أيها المدعى الخلافة تترك هذا الأمر من يدك وتدعنا نمهد الأرض ونقيم ما معنا من السنن والفرائض فنحن تترك من بعض رغاننا فى البلاد ونترك الشر والعناد والا فالسيف أمضى والموت أقضى ثم عاد الرسول إلى الخليفة بهذا الجواب فعندها زاد من المعتصم قلقه وعظم أرقه وأمر الناس بالاعتداد وحرضهم على الجهاد وكان قد مضى النهار وأقبل الليل ونزلوا فى الخيام وأركزوا الأعلام ونزل الخارجى بعساكره وقد طمع فى ملك العراق وبانت الأرض ترج من كثرة الزعاق وقد قامت الدنيا على ساق إلى أن طلع الصباح وركبت المواكب تطلب الكفاح وصاروا الناس على ظهور الخيل حتى حملت عليهم الديالم والاعاجم مثل السيل لأجل ما معهم من الطمع وبرق الحديد ولمع وثار النقع وارتفع وعمل السيف فى القمم وصارت الجسوم رمم ووثب الشجاع واقتحم وفر الجبان وانهزم وعميت الأبصار وقل الانتصار وتماسكوا باللحاء وتخضبوا بالدماء هذا وقد عددت القتلى وكانوا كما قيل

رؤوس تطير ودم يفور ☆ وخيل تكر وتقع يمور
فهذا قتيل بسيف صقيل ☆ وهذا جديل وهذا يخور
وهذا يجور وهذا ملون ☆ وكاس المنايا عليهم يدور
وهذا ينادى إلى خصمه ☆ تقدم فانى جليد صبور
وهذا يدالى الى أهله ☆ وقد عاين الموت حقا وزور
وكل الفرارين فى محنة ☆ وأسنها فى تراقى الصدور
وقدغابت الشمس من فوقهم ☆ وحام بذاك القتام الطيور
وقال الذى ندمن بينهم ☆ رأيت بعينى يوم النشور

(قال الراوى) ثم ترجلت الديالم إلى الأرض وقد صاح فيهم عقبه اليوم نريد منكم الصبر حتى يتضاعف لكم الأجر فعندها احمرت أحداقهم وأرغت أشداقهم وكثر صياحهم وزعاقهم وقالوا مابقى الا القتال والهلاك فى طاعة باهلاك ثم قصدوا الخيل بالصوارم فتركوها بلا قوائم ونثروا من ركابها الجماجم ودقوا بين أيديهم العوالم وطلب كل واحد منهم الهزيمة ليكون سالم ونظر المعتصم إلى ذلك فعاد وقد نكست راياته والأعلام وتفرقت المواكب تطلب الانهزام فجرت دموعه على الاسلام وطلب النجاة بمن معه إلى جدار البلد وقد تصايحت وفزعوا الصبيان وغلقت الدروب ونكست الرايات والبنود

وتم المعتصم إلى قصره والتقته الجوار بالبكاء وفى أوائلهم الست زبيده وهى تضج إلى الله بالدعاء وتقول يا أمير المؤمنين اندر إلى الله تعالى النذور فلعـــل أن يدفع عنا هذا البلاء فانا قد نذرت بعشرة آلاف دينار لصعاليك بيت الله الحرام وكذلك مثلها لأهل المدينه مدينة محمـد صلى الله عليه وسلم فقال المعتصم أنا على أضعاف ذلك نذر لله تعالى فقال حاتم بن ساحق مؤذن القصر يا أمير المؤمنين ما كان ضعفنا الا دعاء عقبه لأنى جربته فرأيته مستجاب وهو يصلح لهذه الأوقات الصعاب فقالت زبيده صدقت والله ياحاتم ولـكن أين ذلك المسكين فى تلك الساعة مهيج فى البلاد ان كان هو فى عداد الأحياء ولقد كان إذا نظر المسلمين وهم فى مثل هذه الحاله تتحادر دموعه على شيبته ويحترس حتى أقول أنه قد انفطرت مرارته فان أردت الفرج القريب فانذر انك لا تسلمه الى الأعداء إذا رأيته بل تعمل على خـلاصه (قال) ولم تزل زبيده بالخليفه حتى جعل عقبه من جملة النذور والخليفه لا يدرى ولا يعلم باطن الأمور وباتوا الناس تلك الليله فى شدة شديدة وهم مشرفين على السبى وكان باهلاك قد نزل فى جدران بغداد وعقبه يقول له هذا الذى كنت أنتظر من أيامك الظاهرة أيها الحجة الباهرة الساعه عرفت أنك صاحب المعجزات الظاهرة ونعمك على رعيتك متواترة وغدا تملك بغداد وتحتـــوى على الفصر وتطيعك بعدلك الخلائق من المغارب والمشاق وما ترجع ترسل إلى أحد كتاب الا ويبادر إلى طاعتك فلما سمع باهلاك ذلك أعجب بنفسه وقال قد عولت الليلة أن أهجم البلد ولا أترك الصباح يصبح الا وقد ملـكته فقال عقبه بشرط أن تذبح أولاد المسلمين وتبـــذل السيف فى المشايخ والشباب قبل أن يأتيك أبطال اليمن وفرسان الحجاز لأنى أعلم أن الخليفة قد أنفذ الطيور والنجابه إلى سائر البلاد وقد كتب إلى مكة وأهلها أن يدعوا له بالنصر عند البيت الحرام وزمزم والمقام وهذه عاداته وسوف يصل الخبر الى الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب وما تخليهم الأميرة يقعدون إذا سمعوا بأنك قد خرجت تدعوا الناس إلى قول لا يعرفوه ومذهب لا يعهدوه فقال له باهلاك أبشر ياشيخ فلو جاؤا أهل الأرض من المشرق والمغرب والسهل والوعر والبر والبحر وجن القلا ما باليت بهم بل كنت أصيح على كل واحـد منهم صيحة الغضب يقعون على وجوههم وقد حـــل بهم العطب أما رأيتنى ياشيخ لما كشفت رأسى وحملت كيف كسرت عسكر الخليفة تحت الظلام فقال عقبة دعنا من هذا الجنون ولا تحدث نفسك بشىء لايكون واعلم ان مع عبد الوهاب رجال سودان فى لون الغربان كأنهم الجواميس وان كنت أنت ما تـكشف رأسك إلا عند الغضب فهؤلاء طول الدهر مكشوفين الرؤس والزبد يطير من أشداقهم لاسيما إذا

السودان مثل السباع وقد فرحوا بذلك العطاء والاقطاع وتعلقوا فى الجبل وطلعوا فيه طلوع الحجل وغيلان فى أوائلهم يقول أريد أفتح الدير فى دون السبعة أيام الذى قد ألزمت نفسى لأنه مافيه ممانع ولامدافع والحصون والأديرة وكل من فيها من الرهبان هم معنا وعونا لنا وليس قدامنا أكثر من أربع خصوم وكم جهد ما يمانعونا ويدافعونا وإذا قاتلونا من مكان تسلقنا من الجانب الآخر وأوقعنا بهم الهوان (قال الراوى) وكان هذا الدير مبنى بالصخر على قرن جبل لا يرام ولا يقدر عليه أحد من الأنام (ياسادة) وكان هذا غيلان قد سرق فى أرض الحجاز واليمن من الأموال مالا عليه احصاء (قال الراوى) وقد بلغنى عن هذا الأسود أنه من حسن صنعته فى طول القلاع لأنه كان يجعل رأسه إلى أسفل ورجليه إلى فوق وهذا غاية العجب وأنه لما صاح فى السودان وطلع بهم الى الدير فقالوا له وحياة الشيخ الطيار لو أردت منا أكل الجبال أكلناه فقال خفوا على بركة المسيح وبركة الشيخ النجيح الطيار فوقع بالمسلمين البوار فعند ذلك صعدوا كما ذكرنا وتسلقوا كما وصفنا ونظر إلى ذلك الأمير أبو محمد البطال فنادى فى الأمراء خذوا أهبتكم فالقوم قد طلعوا فى طلبنا ولا نأمن كيد هؤلاء الرهبان الذين عندنا فشدوهم كتاف ومن أتى من القوم ألقوه إلى التلاف فقالت الأميرة هذا هو الصواب ثم أنهم دعوا بهم وأعلموهم بما جرى وقالوا من لم يدير اليوم يديه فعلنا به كما فعل الشيخ النجيح بروحه لأنه أرمى روحه وحمله الهوى فسلم من البلوى وجرى علينا ما جرى ونحن ما نرمى واحد منكم فقالوا لهم الرهبان ياقوم ما تحتاجون إلى هذا كله نحن كما تريدون وحق المسيح ما نشتهى نحن السودان أن يملكون هذا المكان لأنه معروف بالرهبان فلما سمع أبو محمد البطال ذلك عرف صحة قولهم وشد الثياب منهم ثم صعدهو والأمراء على الأبراج الذى قد زحفوا إليها السودان وصاحوا بتكبير الواحد المنان ورموا بالأحجار فهشموا منهما الوجوه والأبدان وأحموا نفوسهم ذلك اليوم من كل الآفات وماأمسى المساء حتى قتلوا ثلاثين اسود ورجعوا الباقين عنهم خاسرين وعادالأمراء مسرورين رابحين ولما أصبح الصباح عادت السودان طالبة الدير وزحفت إليه وقاتلت الأمراء قتال من قد ظن أنه هالك ولم يزالوا كذلك حتى أمسى المساء وعادوا وقد قتل منهم جماعة كثيرة وفى اليوم الثالث بان فى السودان النقص واشتد ذلك على الروم واستدعى بغيلان وقال له اعلم أن الموضع حصين ورفيع منيع ومع ذلك فهو ضيق حرج وإذا وقع الحجر ما يخطى وهذا كله خسارة فدع القوم حتى نطاولهم بالحصار وإلا فما نقدر عليهم فقال غيلان أيها الملك لا تضيق صدرك فأنا الليلة أريك العجب بعون المسيح ثم صبر الملعون

إلى أن انسدل الظلام وأخذ معه مائة من السودان الموصوفون بالشجاعة والقوة والبراعة وأمرهم أن يأخذوا معهم الأحبال وسار بهم إلى أن وصل الدير وأتى إلى سن خارج كان قد رآه من النهار فترك رأسه إلى أسفل ورجلاه إلى فوق وأخذ طرف الحبل فى فمه وصعد مثل صعود النموس حتى صار بأعلى الدير وربط الحبل وهزه فعلموا أصحابه أنه قد أوثقه فصعد آخر مثل البرق وصار عنده وتبعهما الثالث وجعلوا يسبقون أصحابهم حتى صاروا الكل فى الدير وفى أيديهم السيوف المشهورة فقال غيلان دونكم الآن والأعداء ولا تبقوا منهم على أحد (قال الراوى) فهذا جرى من أمر السودان (وأما ما كان) من حديث الأمراء المجاهدين فانهم كان لهم حديث لو كتب بما الذهب على آماق البصر لكان قليل وذلك أن الأميرة ذات الهمة كانت كل ليلة لاتنام حتى تقرأ وردها وأنها لما صلت ما عليها تلك الليلة فقرأت فى أول ركعة بسورة الكهف والثانية بسورة مريم ثم جلست تتشهد وإذا قد دخل عليها راهبة من رهبان الدير وهى تبكى فلما رأتها الأميرة سألتها عن حالها فجعلت تمرغ خديها ووجهها على قدميها وتقول ياسيدتى هذا الكلام الذى كنتى تتكلمين به فى صلاتك من قاله فقالت هذا كلام الله أنزله على نبيه وجعله هداية للأمم فقالت الراهبة والله ياستاه أننى من حيث سمعته منكى قد تقلقلت جميع جوارحى فكيف السبيل إلى الدخول فى دينكم والعبادة لصاحب هذا الكلام فانى منذ فهمته وعرفته قد كرهت ههنا المقام لأنى بنت ملك الانجار وما ترهبت وانقطعت فى هذا الدير الا خوفا من عذاب الآخرة وقمت بين هؤلاء الرهبان وأنا أظن أننى فى عبادة والآن فقد هدانى الله تعالى وعرفنى حقيقة الدين وختم لى بالسعادة وأريد أدبر فى خلاصكم من هذا المكان وأسير إلى بلاد أهل الايمان فقالت الأميرة وقد سر قلبها ابشرى ياجارية فان الله تعالى قد كفر عنكى ما مضى ونجاكى من الضلال والردى فبكت الجارية وقالت سبحان من هذا وعده وكلامه وهو الذى أنعم على بأنعامه فوافقونى الآن على النزول فى هذا السرداب فقال الأمير أبو محمد البطال وقد طار فؤاده فكيف ذلك ياجارية فقالت لأن الراهب أخبرنى أن السرداب ينزل إلى الدير السفلانى ومنه كان ينزل إلى الجارية ويعود يصعد وأنا فقد أخذتنى الشفقة عليكم لأن العدو من حولكم كثير والحجارة التى كانت تعينكم على القتال قد فرغت ولو طلبتم اليوم حجر بدينار لما قدر تم عليه وأنا أعلم أن الروم يعملون السلالم ويطلعون اليكم السودان فتهلكوا فى هذا المكان فاقبلوا منى وقوموا بنا حتى ننزل من هذا الموضع الذى قد ذكرته لكم إلى الدير السفلانى وأنا أخرج بكم من الدير فى باقى الليل إلى أسفل الوادى ونختلط بهذه الأمم التى قد اجتمعت من

الهلاك وتقدمت والتقت الصياح والهمير وقــد أوقدت فى قلوبها نار السعير وصاحت باختلاف لغاتها وفوقت من القسى السهام وبذلوا الأرواح بعدما كان بها شحاح وهجمت على الدروب وقد تحسرت على أهل بغداد القلوب واستغاثوا إلى علام الغيوب والديالم يطلبون أنهم يبلغون الغرض ويتركوا فى قلوب أهل بغداد المرض وبقيت بغداد فى وسط الأعاجم والديالم مثل الجزيرة فى وسط البحر العجاج وتقدمت الأعلاج وفرسان العجم قد ألقت الهمة بين يدى ملكها باهلاك حتى وصلوا إلى الجدران وضربوها بقوارير النفط من كل مكان وعلقت النار فى الأخشاب واشتدت الأمور الصعاب ونفذ فيهم ماسطر فى فى أم الكتاب وكان قد أنفذ فى الليل الديالم فسكت المعابر وكان ذلك بارادة الملك الديان وهربت طائفة الاسلام وأهل الفضل والانعام إلى دار الخليفة ودام هنالك القتال وضرب النصارى ورأى المعتصم ذلك فبكى ورفع طرفه إلى السماء وهو يقــول يا كاشف الضر والبلوى فبينما الناس على ذلك وإذا بنجاب قد أقبل وهو من أمره على عجل حتى قرب من المعتصم وقد لطم قفاه وزاد بكاه ورفع نحو السماء يداه وجعل يقول :

بادر الأمر قبل فوت البدر ... يا ابن عم المصطفى المختار
فبلاد الاسلام قد ملكتها ... وحوتها عساكر الكفار
فعسى الله أن يجيب دعانا ... ويثبتنا من عنده بانتصار

(قال الراوى) وكان النجاب ينشد والناس يبكون والخليفة قد هملت من عيونه الدموع ولما فرغ النجاب قال المعتصم لاحول ولا قوة إلا بالله يامن لايحول ملكه ولا يزول عجل لنا بما وعدتنا به فما للاسلام غيرك ولا نرجو النصر إلا من عندك ثم نادى لغلمان الدار كانوا سبعة آلاف فاجتمعوا بين يديه فخلع عن نفسه لباس الملك ولبس قباء وفوقه زردية وترك على رأسه بيضة عادية وكان من الشجعان الكبار ثم نزل راجلا يقاتل فى سبيل الله وعن شريعة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ونظرت المماليك إلى ذلك فارمت أنفسها إلى المهالك وفعلت الأتراك كذلك وحملت الزهاد والفقهاء وطلبوا أهل الصلاة والشهادة فى طاعة الرحمن فكشفوا الديالم عند ذلك عن البلد وردوهم على أعقابهم ووقعت عين المعتصم على باهلاك الخارجى والديلم حوله يعظموه فعلم أنه صاحب الفتنة فركب بعض الجنائب ورمى نفسه عليه وحملت معه مماليك الدار وكذلك باهلاك التقاه فى خواص قومه وعمل بينهما الحسام وطال الأمر حتى بصر الله شريعة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وأخرجوا العدو من المنازل والديار إلى أن أقبل الليل وانفصل كل واحــد عن غريمه وباتوا أهل بغداد وهم مستبشرين بالنصر وبات المعتصم يصلى ويدعو الله سبحانه

وتعالى ويسأله النصر على الأعداد (قال الراوى)وأما عقبه فانه قال للخارجى وقد عاد إلى سرادقه فقال له عقبه ياسيف العالم وياغياث الأمراء أريد أن أقول لك شيئا يكون فيه هلاك عدوك وأنت تعلم بذلك فقال هات ماعندك فانى لاأستغنى عن مشورتك إذا كنت بالأمر خبير فقال اعـــلم أنك ان قبلت منى أمنت وان خالفتنى ندمت ولو أنك النمرود بن كنعان وقع بك الخسران فقال الغلام شروه وايش يكون النمرود ياشيخ عند هذا الشخص الموجود الذى يقطع الرؤوس ويعيدها إلى الوجود فقال عقبه بالعربى أحسنت ذكره بقطع رأسى لا كتب المسيح عليك سلامه ثم قال الملك ماالذى تشير به على ياشيخ قل لى حتى أوريك معجزاتى فقال أشير عليك أن يكون لك كمين من خلف خراب بغداد ويكونوا عشرة آلاف فارس فاذا خرج المعتصم غدا إلى قتالك هو وأصحابه فانك تولى قدامه مقدار فرسخين ثم ترجع عليهم بنية صـــادقة فتردهم على أعقابهم ويخرج عليهم الكمين فلا ينفلت منهم أحد وأنت فى أعقابهم (قال الراوى) ياسادة فلا سمع الملك من عقبه ذلك الـــكلام قال وحق على بنى آدم وحق هذا الصبي الذى أوجدته من العدم مايخفى على أنك صاحب همم فقال عقبه وحقك انى طول عمرى بظهورك مائعات وبسعادتك مااشتهيت فانجز الأمر الذى أمرتك به حتى تبلغ المراد فعندها جمع باهلاك الأمراء والقواد فما منهم إلا من استصوب رأيه ثم قالوا أيها الملك نحن غرباء من هذه الأرض وما نعرف موضع الخراب ونخاف أن يعلم بنا أحد ويدوم القتال إلى الليل ونحن بين الدروب ومحل لانعرفه ولا ندرى كيف نذهب فنهلك (قال الراوى) فقال باهلاك صدقتم فقال عقبه أنا أكون دليلهم وأسير من وقتى هذا معهم وأقطع بهم فرسخين حتى أخرج من خلف الخراب ولا يعلم بهم أحد إلا إن كان وقت الحاجة فقال الملك الآن قد تم الأمر ثم انتخب عشرة آلاف ممن يعرف بالقوة والشجاعه وألبسهم الدروع المانعة والجواشن اللامعة ثم ساروا وعقبه معهم وهو مثل الشيطان وقالوا له اركب فأبى وقال أريد أخطى هذه الخطوات فى طاعة الملك ولم يزل بهم إلى الخراب وأكمن فيه وأقام ينظر الصباح حتى أشرفت الشمس وركب المعتصم وخرج يطلب الجهاد فى طاعة رب العباد وهو يقول لمن حوله اعلموا أن هذا اليوم نريد نبذل فيه النفوس ونطلب فيه الثواب من الملك القدوس فمن يصبر كانت له الجنة ومن ولى وانهزم كان مستقره النار لأن الدنيا كثيرة المصائب ومظهرة الأمور والعجائب فما أقبلت إلا وأدبرت وما أغرت إلا وأزلت (قال الراوى) ياسادة يا كرام ولم يزل المعتصم فى هذا المقال حتى طابت قلوب الناس للجهاد وكبر المجاهدين فأجابهم كل شىء فعندها أشار باهلاك إلى كتائبه فتقهقروا

إلى ورائهم وأعطت المجاهدين ظهورها وأظهروا عساكر باهلاك انهم مكسورين ولما عاين المعتصم ذلك زحف اليهم وطلبهم ورمتهم الاتراك بالنشاب وكلما لزوهم عساكر العراق أظهروا الانهزام حتى استبشروا بالنصر فلما أبعدوا ورأى المعتصم الديالم موليه أنكر ذلك ونادى فى جيوشه ارتقوا رحمكم الله فقد رابنى أمرهم وأقول ان لهم كمين ويكون ذلك سببا لهلاكنا (قال الراوى) فما استتم المعتصم كلامه حتى صاح باهلاك بأبطاله ونادى فى رجاله فرجعت أعلامه وكشف رأسه وأرعد وأبرق فعادت المسلمين منهزمين وللنجاة طالبين وثبت الخليفة وعمرو بن عبيد الله فى بنى سليم وقد اشتد عليهم البلاء وبريت المعاصم وفنيت الأكارم ووقع الفناء فى بنى سليم بسيوف الديالم وكان هذا التدبير من عقبة الخنزير حتى وصلوا بغداد وحيطان البلد وقد قل منهم الجند وكثر عليهم العدد وخرج عليهم كمين عقبة وأصحابه وكان قد صبر بهم حتى سمع صياح المسلمين ورآهم راجعين هنالك خرج بمن معه ثم أمرهم أن يبذلوا السيف فى المسلمين وأن يخربوا أبواب البلد والدروب حتى لايبقى لهم ممانع ولامدافع ففعلوا ذلك وأيقنوا المسلمين بالمهالك ونظر المعتصم إلى هذه الأحوال فاستسلم للقضاء وقال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم فقال له الفضل بن ماجد ياأمير المؤمنين اطلب البصره وسائر المسلمين فلعل الله تعالى يفرج عنا (قال الراوى) ياسادة وأعجب مافى هذه السيره أن السيده زبيده لما رأت هذا البلاء على الناس قد تجدد والصياح قد كثر فى البلد أخذت الأموال والتحف وكل شىء فاخر وأخذت معه من اختارته من الرجال وخرجت فى الليل وقد ركب معها أربعة آلاف غلام وسارت طالبه قلعة تكريت وكانت شديدة الرأى حازمة الأمر أكثر الناس معروفا وصدقة وذكر عنها ان بعض الصالحين سار الى مكة وعبر إلى مصانع زبيده وسرب وقال رضى الله عنها ثم مات فى الطريق فرآه بعض اخواته فى المنام بعد وفاته فقال له مافعل الله بك قال غفر لى كلما فعلت برضائى عن زبيده لماشربت من مصانعها وقلت رضى الله عنها ثم وقفت بين يدى الله عز وجل فقال لى قد رضيت عنها وانها لما خرجت من باب السر قال لها جوهر على ماذا عولت قالت توكلت على الله تعالى لأن من توكل عليه ماخاب وقد قال تعالى ومن توكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره ولو كان عقبه الساعه فى داره لدخلنا عليه وأخذناه معنا لعلنا نسلم ببركته ثم سارت وجادت ودارت بها الغلمان وقد جردوا سيوفهم من حولها من كل جانب ولما وصلت إلى الدور التقت نجاب وهو يبكى فسألته عن حاله فقال لها ياستاه الملك الفالوغص قد ملك الموصل هى وسائر البلاد وقد عول أن يجعل كرسى مملكته ببغداد فقالت الله تعالى يعين أمير المؤمنين على ما أصابه وينصره على هذه الكفره

وما لنا شكوى إلا إلى رب العالمين (قال الراوى) ودخل الخارجى إلى بغداد وملك البلد وصار عقبه يقول له أترك السيف فيمن بقى من أمة محمد فقال له باهلاك ماهذا صواب لأننى أريد أعيد الخلق كلها إلى طاعتى وأدلهم على معرفتى فلا تكلمنى بما لاأريد وإلا ضربت رقبتك فقال عقبه أحسنت يامنحوس ولكن ما يحصل لى إلا ما يسرنى (قال الراوى) وكان عقبه قد صبغ لحيته كما ذكرنا وحواجبه وعمل له شعر طويل على أكتافه وهو لابس قباء ديلمى من مائة سنة حتى ان أولاده لو نظروا إليه ما عرفوه وقد قامت حدبته من الفرح الذى قد دخل قلبه مما حل بالمسلمين ودخل الملعون إلى دار الخلافة وجلس على سرير الخليفة ورأى المسلمين قد وقع بهم الذل والبلاء فجعل يقول

كم تركت الديار قفرا وكم لى وقعة فى الحروب فى كل يوم
أناأخرب كل أرض ولكن سوف أفنى العباد جمعا بشومى

(قال الراوى) هذا وباهلاك قد عول ان يطلب تكريت والموصل ويملك باقى البلاد فقال له عقبه لاتفعل بل أطلب أبل كل شىء أثر المعتصم أبنما كان حتى لايبقى من ينفر عليك أهل البلاد فقال باهلاك لابد لى من تكريت والموصل وأخلى ههنا من يلتقى الخليفة فلا تكرر كلامك فى هذه النصيحة وأن رجعت إلى مثلها وأبقيت عليك قلعت عينك الصحيحة فقال عقبة ما أتفق أنا وهؤلاء القوم وان لم ألق هذا الملك المجنون فى يوم ميشوم وإلا قتلنى فى ساعة جنون ثم نزل إلى داره وقال لأخته عاقبة ياصالحة قد أخذت الأخبار ان الملك الفالوغص قد وصل إلى تكريت ولا بد لى من الوصول إليه وقدبلغنى أن السيدة زبيدة قد مضت منهزمه على تلك الطريق فلعل بطارقة الروم ان تلقاها وأريد إذا وصلت إلى ملك الروم أأمره أن يكمن عند المشهدين فيلقى باهلاك هناك وأنا أسلمه إياه برقبته وان أهلكه وأملكه البلاد كلها فقالت عاقبة هذا هو الصواب لأننى أنا كنت كاتبت الفالوغص وأخرجته وأريد أوفى ما وعدته لأننى قلت له لمتى أملكك البلاد ثم أن عقبة كتب كتاب إلى الفالوغص يشرح فيه ما قد جرى للملك الديلم وكيف دبر على الخليفة وملك مكانه ثم قال له وقد خلعت القنديل الجوهر والصليب الياقوت الذى أخذهم البطال ولابد أن أسلم هذا الخارجى إليك وأملكك البلاد وأذل بين يديك العباد والسلام ثم سلم الكتاب إلى بعض غلمانه وأمره أن يسير إلى لقاء الفالوغص فأخذه الغلام وسار حتى وصل إلى عسكر الروم فرأى خلائق لاتحصى فقصد سرادق الملك فرأى هيبته عظيمة أعظم من هيبة الملوك المتقدمين (قال الراوى) وكان الملك الفالوغص قد

خرج فى هذه النوبة لأنه لما كان صالح الأمير عبد الوهاب فى حصن يانس المتعزب عاد إلى القسطنطونية وقد تخلت الملوك عنه وجلس فى قصر كان بناه لنفسه وسماه القصر الأبيض وكان قد جمع ملوك الروم من سائر الأقاليم فلما تكاملوا عنده أحضر البترك والقسوس والرهبان وما ترك أحداً من عباد الصليب إلا أحضره وكان معهم شومدرس القرنان ولما انفض المجلس قال اعلموا يامعاشر العلماء إننى فى هذه السنة قد اجتهدت فى قتال المسلمين وحصلوا أمراءهم فى قبضتى أجمعين ولكن خانونى هؤلاء الملوك اللئام وانهزموا وسلمونى إلى عساكر المسلمين ولولا علم المسيح بنيتى ما كنت نجوت منهم وأريد الساعة تفتونى فى هؤلاء هل المسيح أمرهم بالجهاد أو بالهزيمة والفرار وأنا أعلم انهم قد تعودوا بالفرار من زمن الملوك المتقدمين وركبتهم الذلة والمسكنة بحملهم الجزية إلى بلاد المسلمين واستطابوا المقام فى الدور والقصور وركنوا إلى الدنيا وشهواتهـــا وزهدوا فى الدار الآخرة ومقامها الذى وصفها المسيح فى الإنجيل واحسن صفاتها وذكر الحور والولدان والنعيم والإحسان وهؤلاء قد آثروا الباقى بالفانى واستعملوا شرب الخمر وسماع الزمور مع الحور الغوانى وأريد أن أحفظ السياسة وأقيم حدود المملكة وإنما أعلم إنما يتم لى ذلك إلا أن قتلت الملوك وأقيم ملوك غيرهم (قال) فقال البترك افعل ما شئت فى دولتك فما من يرد كلامك وإن عفوت فالعفو حسن فقال الفالوغص يامولانا دعنا من هذا الشأن فانا أريد أضرب منهم الأعناق وإن كنتم ماتمكنونى من هذا فانا أعزلهم وأسلم الممالك إلى غيرهم لأن العزل أشد من القتل (قال الراوى) فقال البترك والقسوس هذا لك ان كنت تفعله لأجل إقامة الناموس فعند ذلك عزل سائر الملوك واقام غيرهم على كل طائفة ملك من جنسها ثم قال للملك الافرنج وانت ايش الذى جرى لك حتى هربت وأنت عين العسكر وعمدة الملوك فقال أيها الملك أنا ما انهزمت حتى قاتلت حسب ما قدرت عليه ووقعت فى صدور الأعداء وأسرت مقدمهم ابن البطال ولكن الملوك ما ساعدونى بل انهزموا وتركونى فلما بقيت وحدى وعاينت الهلاك وليت مع جملة من ولى (قال الراوى) وشهد له بذلك جماعة من الأبطال الذين ثبتوا فى القتال فلما سمع الملك ذلك أخلع عليه وقال أنا ما أعزلك من الديوان حتى أغير اسمك حتى تكون عندى اسم بلا جسم ثم رده إلى بلاد ولما وصل سأل عن مذبحون فأخبروه بالقصة التى جرت فحس أن القيامة قد قامت عليه وكتب إلى الملك وأعلمه بذلك فصعب عليه ثم ان الفالوغص بعث إلى سائر ملوك الروم وطلب منهم أهل الشجاعة فأتوه من كل جانب ومكان وكانوا مائة ألف حتى شاع خبرهم بالقوة والشجاعة والشدة واللصوصية فرفع

قدرهم وتركهم فى ركاب حاجبه وأقام على رأسه خمسة آلاف بطريق بمناطق الذهب وشباك اللؤلؤ ثم فتح الخزائن التى من عهد الهراقله وأفرغها وأعطى وأوهب وأغنى القوم بالفضة والذهب وبعث قناديل الذهب وستور الديباج إلى البيع والكنائس وأمرهم بالدعاء (قال الراوى) وفى تلك الأيام وصلت كتب عاقبة أخت عقبة بلاها الله بكل نكبه من بلاد الإسلام كما ذكرنا وهى تهنيه بالسلامة وتعلمه بالخارجى الذى ظهر على الخليفة وكيف قد ملك البلاد وأقل العباد فانهض أنت إلى نصرة المسيح مادام أرض المسلمين خالية والخليفة رحل من بغداد فقبل الفالوغص قولها وسار فى هذه النوبة بعساكر لاتحصى وقدموا الجنائب بالمواكب الذهب وتقلدوا بالسيوف الهندية وتركوا على رؤوسهم البيض العادية وخيلهم قد ارتجت بصهيلها البرية ووقف الملك الفالوغص وعلى رأسه راية عالية وحوله عشرة آلاف غلام ونصب بين يديه خمسين علم أخضر عليها خمسين صليب جوهر (قال الراوى) وكان الخارجى قد أمر بنشر بنوده وأعلامه وأشهر قوته وشدة عسكره والعمد فى أيدى الفتيان وكان أكثر أعلام الخارجى بيضاء ولما أشرف باهلاك أمر بضرب الخيام وقال لعقبة أيها الشيخ الداعى إلى طاعتى والمقدم على جندى تقدم برسالتى إلى ملك الروم وأخبره بما رأيت من قدرتى وخوفه من سطوتى وان لم يدخل تحت طاعتى يخرج إلى مبارزتى ولا تفنى بيننا الأمم بل نجعل السيف بيننا حكم فمن قهر خصمه انقادت له العساكر وصار حكمها بيده (قال الراوى) فقال عقبة أيها الملك أنا أسير وأحكم التدبير وأكون لك بشير ونذير فركب عقبة فى الزى الذى ذكرناه وسار مع جملة من الديلم وهم فى أحسن زى فلما قارب عسكر الروم لقاه البترك راكب ومعه طائفة من بطارقته وكان الملك قد رتبهم خوفا من غدر العجم وكان مقدمهم بطريق يقال سرجوان وكان من البنادقه لايصطلى له بنار فلما أقبل عقبة والديلم معه علموا انه رسول فأرسلوا إلى الفالوغص أخبروه فقال احضروهم بين يدى فأقبلوا بعقبة ولم يعرفوه وساروا به إلى سرادق الملك فدخلوا وأوقف أصحابه برا السرادق ولما صار بين يدى الفالوغص زعقت عليه الحجاب الأرض الأرض فلم يلتفت اليهم بل انحنى ودعى للملك وعرفه بنفسه قال فنهض له الملك وجميع أرباب الدولة وقد عجبوا من عظم همته وقوة عزيمته ثم نصب له كرسى فجلس عليه قدام الملك وقص عليه كلما جرى ثم قال أيها الملك وما صدقت ان أصل اليك حتى تعلم انى ما أريد لك فى الدنيا مشارك ولا معاند فقوى قلبك وعزيمتك حتى أدبر لك فى فتح البلاد وهلاك هؤلاء الديالم وأما بنى العباس فقد عملت على هلاكهم وأفنيت أكثر المسلمين وسوف أدبر على هلاك هذا المجنون وأريد الساعة

ان تأمر بضرب رقاب هؤلاء الرسل الذين قد وصلوا معى وتشرع بعد ذلك فى فناء هذا العسكر (قال الراوى) فعند ذلك أمر الفالوغص بضرب رقاب الرسل وكانوا مائة رجل فقبضت عليهم الحجاب وضربوا رقابهم فانهزم منهم عشرة فمسكوهم وحلقوا دقونهم وردوهم أقبح رد فعادوا إلى باهلاك فى ذلك الزى العجيب وأخبروه بما جرى فعظم ذلك عليه ذلك عليه وهم أن يركب على الروم وإذا بغلام من الديلم أقبل إلى بين يديه يقول له اعلم أيها الملك أن الأميرة ذات الهمة قد أقبلت فى ثمانين الف مقاتل من العربان وستين الف من السودان تريد أخذ بغداد وهم فى أشد مايكون من القتال (قال الراوى) فلما سمع بذلك زاد حنقه وقال ما بقى إلا القتال لهؤلاء القادمين (قال الراوى) وكان اشراف الأميرة بعد رحيله بعشرة أيام وقد كانت الأخبار وصلت اليها بما فعل الخارجى فى بلاد المسلمين فما رأت أنها تقعد عن نصرة الإسلام فجمعت هذه الجيوش وسارت وكان الأمير عبد الوهاب مريض وقدهم ان يسير معها فما مكنته الأميرة وكان صحبها فى السفرة عبد من الحبشان يقال له غيلان الشوك ولم تزل سائرة إلى أن وصلت إلى بغداد فأبصرتها خراب فانتحبت غاية الانتحاب وجرت دموعها ثم أنها أمرت من معها بالنزول فنزلوا وضربوا الخيام وأركزوا الأعلام فلما رأى مهان مقدم الديلم إلى ذلك أمر من كان عنده بالركوب فعند ذلك ركبوا وإلى قتال الأميرة طلبوا فلما رأت الأميرة إلى ذلك أخذت أهبتها الى القتال وأمرت من كان معها بالركوب وأرادت ان ترتب الصفوف فلم يلتفت اليها أحد بل حملت الرجال إلى بعضها بعض وأبطل فى ذلك الوقت السنن والفرض والعقاب حام على لحوم القتلا انقض وما زال الرمح عامل والسيف فاصل والشجاع صائل والذليل ذاهل والفارس يقاتل إلى أن أقبل الليل بسواده فعند ذلك رجعت الطوائف عند المساء وكل منهم لايدرى أحسن الدهر عليه أم أساء وكان الربح فى ذلك النهار للأميرة من معها لاسيما السودان الذين كأنهم فروخ الجان فلما استقرت فى الخيام شكرت الأميرة ومن معها فقال لها غيلان أيتها الأميرة فى غداة غد أريكى ما أفعل فى هذا العدو إذا ترتبت الصفوف ثم باتوا إلى أن أصبح الله بالصباح ركبت الفرسان فبرز غيلان الى الميدان وطلب مقدم الديلم فبرز اليه وجرى بينهم قتال عظيم فضربه مهان ضربه أبطلها أوراه أنه يضربه على رأسه فاستترمهان بالدرقه فعاجله غيلان وضربه على ساقيه قطعهما أسرع من البرق وهمز إليه قطع رأسه وله هدير مثل هدير الجمل الهائج ثم عاد إلى ميمون الجماس وقال له زوجنى السوداء حمراة العيون فقال تستحق يافارس الزمان قد زوجتك فقال غيلان وانا

قبلت هذا الزواج ولك على ألف دينار آخذها من هذه الغزاة (قال الراوى) ثم حملت السودان على الديالم ولم يزالوا فى قتال ونزال حتى قتل أكثرهم فولوا الادبار وركنوا إلى الفرار وغنموا السودان غنيمة عظيمة واما غيلان فانه جعل يدور بين القتلا حتى رأى بعض أمراء الديالم وفى وسطه منطقة ذهب وكيس فيه ألف دينار فأخذهم وأتى بهم إلى ميمون الجماس ودخلوا الناس بغداد وبلغت الأميرة المراد وشكرت السودان على تلك الفعال ودخلت إلى دار الخليفة فرأتها خالية من السكان فبكت من غير الزمان وتصاريف الحدثان وقالت هكذا والله الدنيـــا مستردة المواهب وتعقب النوائب قل ما أعطت إلا وأخذت ولا وهبت إلا واستردت ولا ضحكت إلا وابكت ثم امرت أن يغلق باب الدار واقامت فى كل يوم تقبل العتبة الشريفة (قال الراوى) وبعد أيام وصلتهم أخبار الخارجى مع ملك الروم فى المصاف على تكريت فقالت الأميرة اللهم ألق الفتنة بينهم وثبت القتال بين الطائفتين فأى من قتل منهم كان فتحا للسلمين ثم كتبت إلى المعتصم كتاب تعلمه بالقصة وتقول له يا أمير المؤمنين إننا قد قدمنا من الحجاز ولم يصحبنى ولدى عبد الوهاب لأجل مرض أعاقه عن السفر وإنى اقيت من كان فى بغداد من الديلم ونصرنى الله عليهم وقتلت ماهان مقدمهم وأنت ثبت الله سعادتك وبلغك فى الدنيا والآخرة ارادتك تعلم أننا سيوف هذه الدولة العباسية والخلافة الهاشمية وقد علم الله منا اخلاص النيات فلأجل ذلك ينجينا من الهلكات والمملوكة مقيمة ببغداد حتى تشرف راياتك عليها السعادة ثم ختمت الكتاب بهذه الأبيات

زد واعلوا فى العز والإقبال   وسموا ورفعة وجلال
وابتهج بالذى أتاك من النصر   وثق بالله المهيمن المتعال
وكفاك الإله من كل شر   وكفاك الحساد والجهال
أوقدوا نارهم فأطفأها الله   تعالى ذو المن والافضال
ثم كانت على جلالك بردا   وسلاما ونصرة من ذى الجلال

(قال الراوى) ثم أرسلت الكتاب مع الأمير مرهف ابن عائد فأخذه وسار به إلى البصرة وسلمه إلى جوهر فدخل به إلى المعتصم فلما قرأه خر ساجدا لله تعالى على ما وصل إليه من كسر أعداءه ورحل من ساعته طالب بغداد فلما وصل إلى النهر خرجت الأميرة إلى لقاه وقبلت الأرض بين يديه وساروا فى الخدمة حتى دخلوا إلى الدار العزيزة واجتمعت إليه الأمم وهنوه بالسلامة فلما استقر فى دار عزه مع أرباب دولته استدعى بالأميرة ذات الهمة وقربها إليه وقال ايش ترين فى أمر هذا العسكرين فقالت يا أمير

المؤمنين معلوم على أنهم مقصدهم القتال وانا أسال الله تعالى أن يبيد العسكرين ويفنى الجمعين ويهلك الملكين فان كان الملك الفالوغص غالب فلا بد لنا منه وان شئت سر بنا اليهم ونزيل ما بقلبك ونطلب النصر من الله تعالى وسوف ترى ما يحل بهم من سيوفنا ونقتل رجالهم وننهب أموالهم (قال الراوى) فعندها فرح المعتصم بكلامها وقال أعلمى أيتها الأميرة أن فى قلبي النار من هذا الخارجى فان قتله ملك الروم فما نلنا منه المقصود ويقال فى الأقطار أن ما قدر يقتله إلا الفالوغص فقالت الأميرة ذات الهمة إذا كان الأمر كذلك فنروح إليهم ونرمى نفوسنا عليهم (قال الراوى) فقال المعتصم هذا هو الصواب ثم فتح خزائن كانت عنده مخفية من زمان جده المهدى بالله وفرق منها المال والسلاح وأعرض على الاميرة ذات الهمة شيئاً من المال فقالت يا مولانا نحن ماجئنا فى طلب مال بل فى طالب الجهاد والثواب لأننا بذلنا أنفسنا فى مرضاة ربنا جل وعلا ومحبتنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال لها ارحلى وكونى متقدمة العساكر فقال الأمير عمرو بن عبيد الله معلوم أن التقدمة لنا من أيام بنى أمية ونحن بها أخبر ولقد قدمنا الأمام السفاح ونحن ملوك على كل من سكن البيداء والبطاح ولكن ما نعارضهم لأن الحاجة داعية إليهم (قال الراوى) فقال المعتصم ما هذا وقت المحاكة والتقدمة لاتكون إلا لمن يخلص البلاد ويفنى الاعادى والحساد فلما سمعوا السودان قالوا إذا كان الأمر على ذلك نحن أولى بالتقدمة من سائر الناس لأن ما كسر الديالم إلا نحن ولا قدرت بنى كلاب تعمل مثل ما عملنا فلم يتقدم علينا بنى سليم ولا غيرهم وإن من تقدم علينا قطعنا رأسه ونحن ننصر الدولة العباسية (قال الراوى) فقالوا بنى سليم نحن أحق بالتقدمة منكم ومن غيركم وما أنتم إلا من نسل حام وأنتم عبيد ولا يتقدم الا الأبطال الصناديد فقالت السودان اما والله لو كان لكم عقل ترجعون اليه لما رفعتم رؤوسكم بين الناس لأن ما برحت المذلة تلبسكم والعار يحل بكم وما قامت قط لكم راية وبالأمس أخذت منكم ملطيه وقتل أكثركم وأصبحت دياركم دراسة بعد ما كانت ببنى كلاب آنسة فعند ذلك غضب الأمير عمرو بن عبيد الله وحرد وأراد أن يضرب رأس المتكلم فمنعه من ذلك هيبة الخليفة وقال الأمر لله ولامير المؤمنين من قدمه قدمناه ومن أخره أخرناه وما نقدر نفعل شيء إلا باذن أمير المؤمنين فعند ذلك استحى المعتصم من بنى سليم لأنهم أصحاب حسب ونسب وهم سادات العرب فى كل مكان ولهم التقدمة على بنى كلاب فغضبت السودان وقالوا من هم بنوا سليم أخلا الله منهم الأوطان وما فيهم إلا من هو صاحب فتنة ولا سيا وفيهم ذلك الشيطان عقبه الذى اتخذ عبادة الأصنام وكفر بالملك

العلام وإنما الأمارة فى بنى كلاب الشجعان ونحن لاصبر لنا على ذلك الضيم والهوان ثم أن السودان قدموا عليهم ميمون الجماس ونافع وغيلان الشوك فلما نظرت الأميرة إلى ذلك غضبت وعاتبتهم على ذلك وقالت لهم يابنى حام ويا أصحاب الضرب بالحسام مالكم أسوة بى غترضوا بتقدمة الأمير عمرو فقال لها غيلان الشوك ياأميرة نحن لانعرف لاعمرو ولا بكر لأنكم تزعمون أننا كلنا أولاد زنا فدعى عنك هذا ماتدعونا أن نضرب رؤوس الديالم والروم وإلا أرض الله واسعة فقالت الأميرة ذات الهمة ويلك ياكلب السودان وما أنت حتى تجاوبنى عن سادات بنى حام وتتكلم بهذا الكلام فوالله لولا الزمام لفلقت رأسك بالحسام فلما سمع غيلان الشوك قول الأميرة قال لها أنا خير منكى ياهركولة ياأم الأهوال ولولا سيوف هؤلاء السودان ماكان طال عمرك إلى الآن بل كنت طعاما إلى الوحوش والغيلان والرخم والعقبان ونحن الآن لانسمع ولا نطيع لأحد من الأنام ولا بقت دولة فى الأرض إلا دولة السودان (قال) فعندها قال ميمون الجماس لغيلان الشوك ويلك ياكلب السودان تقابل الأميرة ذات الهمة بمثل هذا الكلام والله لازوجتك يابنى أبداً فقال له غيلان الشوك أبعد الله تعالى ابنتك ولعن الله مرضعتك ثم أنه بادر إلى ميمون الجماس بضربة طير بها رأسه عن جثته ثم أنه بعد ذلك قال للسودان ياأولاد حام ياأولاد الزنا تصبرون على هـــذا الذل والضيم والفعل الذميم وأنتم عندى لكم المنزلة الكريمة وما بلغتم من زمانكم منا وحصل لكم هنا ولا مضى عنكم اسم العبودية وأنا أجعلكم ملوك الأرض فى طولها والعرض ولا نخدم أحداً أبداً إلا أن يكتب لنا توقيع أننا لانضام وأننا سادات بنى حام السودان الانجاب الامجاد والمتقدمين على كل الأنام من سائر العباد فى سائر المراد ولكن إذا كان ربنا جلت قدرته وعلت كلمته سبحانه وتعالى قد سود أبداننا وجعلنا سود الأبدان فى الألوان لم تذلون أنفسكم لمن لا يشكركم على فعالكم (قا الراوى) فعند ذلك مالت السودان إلى قوله وقد ورد على قلب الأميرة ذات الهمة من قتل ميمون الجماس مالا يعلم به إلا الله تعالى وقالوا بنى كلاب والله مانصبر أنها الأميرة والسيدة الخطيرة على هذا بعد ماقابلوا بمثل هذا الكلام هؤلاء العبيد أولاد اللئام وسوف نحمل عليهم ونبذل السيف فيهم فقالت الأميرة ذات الهمة لاتفعلوا ذلك أبداً فهذا لايكون فما هو مصلحة أن تقاتلوا اخوانكم وتتركوا أعداءكم وتشمتوا الحاسدين بكم واعلموا أن هؤلاء السودان أسود ضاربة وليس لهم عقول ومامنهم إلا وهو أحمق جهول وقد قال القائل من العجائب أن يكون أسود عاقل وأنا والله لو ضربنى هذا غيلان الشوك بالسيف أسهل على من قتل ميمون الجماس ولاكان يهون على أن أراه مجندلا على الغبراء موهون

الأساس لانه قتل غبينه على الغبرا من دون الناس ومازالت بابنى كلاب حتى ردتهم عن ما كانوا قدعزموا عليه وعلموا أن قول الأميرة صواب (قال الراوى)وعقدوا الرايات على رأس غيلان الشوك وقالوا نحن مانريد ملكا سواك وساروا مجدين حتى قربوا من العسكرين يعنى عسكر الروم الملاعين وعسكر الديلم الذين مع باهلاك اللعين (ياسادة) ولما جن الليل قال غيلان الشوك للسودان من يكشف لنا خبر هذين العسكرين وينظر لنا الغالب من المغلوب حتى ندبر أمرنا ونسعى فى اصلاح شأننا فقالوا والله نحن مانعرف كلام الديلم ولا الروم ولا العجم ومانرى أحداً منهم إلا وينكر أمرنا لأن ألوانهم غير ألوانا فقال غيلان نفيت من جملة السودان ومسخنى الله أبيضا بين العباد وأكلت لحم الخروف بعد أكل لحم السباع ان أرسلت إلى كشف هذا الأمر منكم أحد ولا يسير اليه إلا أنا وأريحكم من هذا العناء ثم قام فشد على نفسه (قال الراوى) وكان هذا غيلان خفيف الركاب لأنه كان ساعيا سلال الخيل خواض الليل وما أمن أهل الحجاز على خيلهم ونفوسهم إلا من وقت رحل من عندهم .

﴿ تم الجزء الثالث والستون ويليه الجزء الرابع والستون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الرابع والستون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) وسار غيلان إلى عسكر الروم فرأى عسكر زائد فدار فيه جميعه ثم قصد عسكر الديلم فوجده كذلك فطانه حتى عرف خبر العسكرين فوجد عسكر الروم أكثر نشاطا وأعظم انبساطا فعاد غيلان إلى أصحابه السودان وأعلمهم بذلك (قال الراوى) وكان من أمر الروم حين وصل اليهم عقبه المذموم برسالة باهلاك وأمر النالوغص بقتل الديلم فقتلوا كما تقدم ثم قال له ياملك ارسل العباد تملك البلاد ولا ترفع السيف عن أحد فقال له الفالوغص أيها الشيخ النجيح انما أمر المسيح بالعدل فى الرعية والاحسان اليهم فقال عقبه اذا كان من أهل دينك وأما الأعداء فليس لهم إلا السيف (ياساده) ولما كان اليوم الثانى من نزول باهلاك فى مقابلة الفالوغص عند الصباح ركب العسكران فى طلب الكفاح فعندها ماج جيش الديالم كما يموج البحر إذا التطم وتقدم الأمراء وليس فيهم الا من هو مسربل بالحديد مشتمل بالزرد النضيد فترجلوا ومشوا بين يدى فارس مكين وبطل رزين لايبان منه غير حماليق الحدق أو تداوير الأمق وعليه ذرع زرد كثير العدد كانه عيون الجرد لا يعمل فيها الصارم المهند وهو مغموس فى الذهب وشعاعه يخطف البصر وعلى رأسه بيضا عاديه مليحة تأبى عنها الصوارم الهندية يفنى صقالها عن السراج فى الليل الداج وفى يده خشت أقطع من السيوف اليمانى وأمضى من القضاء الدانى وتحت فخذه سيف الركاب وهو حسام قرضاب وتحته جواد يصلح ليوم الطراد كانه البرق اذا سار والطير إذا طار كانه شهاب قد رجم به شيطان أو عقاب انقض على ورشان لو وطىء على البصر ماأذعر وعلى الرمل ماأثر (ياساده) وكان هذا الفارس

باهلاك فلما صار فى الميدان ومقام الحرب والطعان صاح صيحه بين يديه الترجمان معاشر الروم هذا صاحب الزمان ومالك قصب الرهان الداعى الى نفسه المفتخر على أبناء جنسه قد خرج إلى الميدان وغدى بنفسه رعيته الفرسان فلا يبرز اليه الا ملككم الفالوغص لأن هذا الملك سمع عن صاحبكم أنه يدعى الفروسية فدعوه يخرج اليه كما يزعم أنه من الفرسان (ياساده) فلما سمع الفالوغص هذا الكلام من الترجمان هم بالخروج الى الميدان فمنعه من ذلك عقبه القرنان فقال له هذا جبار لا يصطلا له بنار فدع غيرك يخرج اليه حتى تعرف ما هو عليه فقال له الفالوغص أيها الشيخ النجيح أيهما أشجع هو أم الأمير عبد الوهاب فقال له عقبه هذا يريد لرأسه مائة عند الضراب مثل عبد الوهاب لأنه لا يفزع من كثرة الفوارس ولا يهاب جميع الأشاوش ولا يقف بين يديه راجل ولا فارس فلما سمع الفالوغص كلام عقبه قال سوف ترى من هو منا أثبت جنانا وأوحد سنانا وأحسن بيانا وأجود طعانا وأوسع ميدانا فوحق العزارى من بنات النصارى ودير الصليب وكل حبيب لولا خدمتك ومحبة سبقت منك لى لحملتك من الاخراق مالا يطاق وكنت أجعلك مثلا فى الآفاق ثم تأهب للقتال وخرج للحرب والنزال وعليه درع كثير العدد لا يعمل فيه الصارم المهند ومن فوقه ثوب ديباج ملكى قسطنطينى وهو متقلد بسيف صاعق كالدرابه وفى يده قنطارية خلنجية من عمل الأفرنج كأنها صارى مركب وتحته مهرة عربيه تطرب بصهيلها آخذ بعنانها (ياساده) ولما صار فى الميدان وقارب باهـــلاك فى الجولان نظر اليهما الفريقان وقد حملا على بعضهما البعض وأخذا فى البسط والقبض وحام عقاب المنيه على رؤسهما وأيقن بتلاف نفوسهما ورأى كل واحد منهما من صاحبه وما رآه من غيره فى عمره وقد تقدم وصف شجاعتهما (ياساده) وعلا عليهما الغبار وحجبها عن أعين النظار وساءت فيهما الظنون والأفكار وما زال الضرب يقد حتى توسطت الشمس فى كبد السما فعندها مالت الديلم على ميسرة الروم وميمنة الروم على ميسرة الديلم واشتد الألم وحمل الرجال على الرجال والتقت الأبطال بالأبطال وعملت الصوارم الصقال وجرى الدم وسال كالغيث الهطال وكانت ساعة كثيرة الأهوال يشيب منها روس الأطفال وحامت فيها حمائم الحمام على الكرام واللئام وقطعت فيها قضبان الشباب بواسطة الطعان والضراب وانقضت عقبان القضاء والقدر وطارت الرؤوس مثل الاكر وقصر طول العمر وانبتر وقاتل الشجاع وصبر وماتقهقر عن الحرب وما تأخر وما زال السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتال ونار الحرب تشعل حتى مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وانفصل الجيشان وعاد كل فريق إلى مكانه وأضرمت النيران وتحارس الفريقان

وكان لما حمل الناس انترق الملكان وكانوا فى الحروب اكفاء وفى الشجاعة سواء وما استقر الناس فى الخيام وأكلوا الطعام حتى أقبل الفالوغص على عقبه رأس الشام وقال له كيف رأيتنى أنا وباهلاك فى الحرب والصدام فقال عقبه أنا ما بقيت أقدر على الكلام والسلام فقال له الفالوغص قل الحق وما عليك بأس فقال دعنا الساعه منذا واسمع الساعه ما أبشرك به فقال الفالوغص قل الحق وما هو فقال عقبه الساعه وصل إلى جاسوس من العراق وأخبرنى أن ذات الهمه دخلت بغداد وأهلكت ماهان الذى كان استخلفه باهلاك عليها ومانجا من أصحابه الا القليل وأرسلت إلى الخليفه فجاء اليها وهم قاصدين اليك وغدا يصلون آخر النهار إلى ههنا وقد وقع بين العرب والسودان خلف وقد سبقتهم السودان وهم نازلون بالقرب من هذا المكان الذى نحن نازلون فيه فقال الملك الفالوغص وأى بشارة هذه وما تحصل من الفائدة لنا فقال عقبه الفائده الحاصلة الساعه انك تكتب إلى غيلان الشوك أمير السودان وتوعده انك تعطيه الاقطاعات هو وأصحابه والبلدان وتزوجهم بنات البطارقه الكبار فان أجابوك بالطاعـــه فقد اشتدت منك الأركان ونلت كلما تريد من الاحسان فقال الفالوغص افعل ما بدالك فلعل أن توثق فى رأيك فكتب عقبه إلى غيلان الشوك جواب يقول له فيه من الملك الفالوغص ابن ارمانوس ملك ملوك النصرانية وسيد أهل ماء المعمودية الى الأمير غيلان وأولاد حام الضاربون بالحسام أما بعد فقد بلغنا ما كان من أمركم مع أصحابكم مع فعلكم معهم الجميل وكسركم الديلم وأنتم أولى فى التقدم فما أعرف لكم لأصحابكم الا الاحسان وأنتم أحق بالتقدمة من كل انسان لأنكم المعروفون بالصدام إذا اشتد الزحام عند الحرب والخصام فان رأيتم الكرامة والاقطاع بادروا من غير امتناع إلى طاعة الملك ليحصل لكم عنده النعيم ويزوجكم البنات الملاح أصحاب الوجوه الصباح من بنات البطارقة التى منهن كل بدرة فائقة ونقطعكم من القسطنطونية إلى أبواب ملطية وأنتم على دينكم لاتكرهون إلى غيره وطوى الكتاب ثم سلمه إلى مطران يقال له شليطا ابن شيحا وقال له انظر كيف تكون (ياساده) وكان هذا المطران شيطان فى صفة إنسان له طبقة عظيمة فى المكر والدهاء والخديعة وكان من تلاميذ عقبه (ياساده) وأحضر اليه عقبة مائة بطريق يسيرون فى خدمته إلى عسكر السودان وأعطاه مائة جنيب من الخيل الملاح عليها أجلة الحرير الملون وعشرة آلاف دينار لغيلان وألف خلعة لكبراء السودان وخلعة من الخاص من ملابس الملك الخاص الغيالية وأقبل على شليطا وقال له أنظر كيف تكون ولا تترك مكانكم واضمن لهم المال الكثير والاقطاع المليح والجوار الروميات الحسان

لعلهم يأتون الينا طائعين وللمسلمين من الأعداء وغيرهم معاندين فقال شليطا سوف ترى ما أفعل ويبان لك العمل (قال الراوى) وأخذ شليطا المال والهدية وساروا فى خدمته الرجال حتى وصلوا إلى عسكر السودان فاستقبلوه ورجلوه وعن حاله سألوه فأخبرهم أنه رسول ملك الروم إلى الأمير غيلان الشوك فاستوقفوه وأخبروا غيلان بقضيته وأطلعوه على حكايته وأخبروه بما أتى معه من الخيل المجنوبة ومن المال والثياب والديباج الملونة ففرح غيلان بذلك وقال للسودان أبشروا فهذه أول سعادتكم صارت ملوك الزمان تكاتبكم وتهدى اليكم وتطلب منكم النجدة ولابد لنا أن نملك الأرض ذات الطول والعرض فقيموا لنا ناموس نفوسكم وجودوا نفوسكم بالعدد والسلاح واللباس ومن لم يفعل ذلك منكم فعلت به الذى فعلته بميمون الجماس فقالوا له الجميع السمع والطاعة (قال الراوى) وأمر غيلان فى الحال لمائة من السودان أن يعتنقوا وأن يشبكوا أيديهم على أعناق بعضهم البعض ففعلوا الذى أمرهم به غيلان فصاروا كالقنطرة المنصوبة أو الخيمة المضروبة وركب غيلان على أعناق السودان وزاد فى التكبر والطغيان وأمر أن يدخل عليه رسول ملك الروم بعد أن أمر السودان أن يقفوا صفين ويشهروا العدد من السيوف والعمد وقبض هو فى يده عمود من الحديد لايقدر بنقله إلا كل ذو بأس شديد (ياساده) وجاء شليطا ومن معه من البطارقة فدخلوا على غيلان ونظروا اليه على أعناق الرجال والصفة الذى هو فيها والحالة الذى هو عليها فخافوا من سطوته وهابوا شدته ونظر شليطا إلى غيلان فرأى شيء ما رآه فى عمره من إنسان ولا من ملك ولا من سلطان وهو جالس على أعناق الرجال وأسره الأبطال فصعق اللعين وسلم وأطلق لسانه وتكلم وقال أيها الملك الفيداق الجالس على الأعناق الموصوف بشجاعته على الآفاق المقدم على عسكر مصر والشام والعراق أنا رسول ملك الروم اليك وقادم بهديته اليك فى أمر يكون سبباً لوصول السعادة اليكم (ياساده) ودفع الكتاب اليه وأعرض الجنائب والهدية اليه وأعطاه المال وقال له تصرف كيف شئت فى الجميع وخص بفضلك من أحببت (قال الراوى) وقد بلغنى عن غيلان الشوك بأنه كان يقرأ ويكتب بالسبعة أقلام وله فى النثر والنظام أعلى مقام وكان يتكلم بكلام الروم والعجم لأنه كان حبشى الأصل وكان لملك الحبشة الذى يقال له الديجوج ابن هجام صاحب العاج وأرض الزجاج وأنه بلغ سيده عنه شيء فهم بالقبض عليه فعرف غيلان ذلك فهرب منه وتوصل إلى أرض الحجاز وأباد العرب من فعاله شرا ورأوا منه نكراً من أخذ أموالهم قهراً ولما قدمته الأميرة المجاهدة ذات الهمة إلى العراق فى هذه المرة صحبها لأنه كان يتردد إلى حى بنى كلاب مدة اقامتهم فى أرض الحجاز ورأى بنت ميمون

الجاس فهو بها لما تقدم وجرى منه ماجرى من قتل ميمون الجاس فهابه الناس وانفسد معه من السودان سبعة آلاف أسود من سودان الأمير عبد الوهاب لأن الأمير كان يملك اثنى عشر ألف من السودان (ياساده) فلما قرأ غيلان الكتاب وفهم مافيه من الخطاب أقبل على شليطا وقال له قل للملك الهدية مقبولة وعلى الرأس والعين محمولة ولكننا نريد أن تكتب لنا أقطاع من حصن يابس إلى ملطية وتقدمنا على سائر النصرانية فقال شليطا لكم ذلك وعلىَّ الضمان فقال غيلان أيضاً أجبت الملك إلى المصادقة والمصافاة على أننى أكون عدواً لمن عاداه وصديقاً لمن صافاه فقال واحد من السودان الذين هم تحته وهو راكب عليهم أيها الأمير بعدقراءة القرآن وصيام شهر رمضان ترجع إلى مصادقة أهل الصلبان ومعك كل قس ومطران فلما سمع كلامه مد يده إلى أصداغه وعصر رأسه ففتشها وخرجت عيناه فوقع ميتاً فما جسر أحداً من السودان أن يتكلم بعدها ونظر شليطا ومن معه إلى ذلك فماتوا فى جلودهم (قال الراوى) وكتب غيلان إلى ملك الروم جواب من مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله خالق الصور المختلفات والألوان الذى خلق بيض وسود وجعل الدنيا دولا فى الزمان وقد مضى لأولاد حام سنين وأعوام وشهور وأيام يضربوا فيها بالحسام ويشدون عزائم الإسلام وكان لهم المدح على طول الزمان والآن فقدانتخت النفوس وطلعت الشموس ولنا النسب الشريف والقدر المنيف ومن اليوم مانعمل إلا مانريد فقد صرنا موالى بعدما كنا عبيد وقد قبلنا قول الملك الرحيم والسيد الكريم على أنه يعطينا مانختار ونحن نقاتل بين يديه العبيد والأحرار من العرب والعجم والترك والديلم وسائر الامم ورد الكتاب إلى شليطا وقال له هذا جواب الملك ودعه يرسل لى ولأصحابى ستة آلاف خلعة أخرى حتى نقدم عليه ونقاتل بين يديه ونفنى الديالم والأعاجم ولا نترك علينا ملام بشرط أن لايكره أحداً منا على الخروج من دينه ومن أحب أن يدخل فى دين الملك باختياره فلا اعتراض عليه ومن أقام على دينه فذلك اليه وان كان الملك ينفر منا فدعه يرسل الينا من يستحلفنا على ذلك ومهما أراد وان أذن لنا اليوم فى قتال الديلم قبل قدومنا عليه فعلنا (قال الراوى) ياسادة ياكرام فأخذ شليطا الكتاب من غيلان ورجع إلى الملك فوجد عقبه على مقالى النار وهو له فى الانتظار فلما صار شليطا فى حضرة الملك أخبره بجميع ماكان من أمر السودان وما رآه من خبر غيلان ودفع اليه الجواب وأعاد عليه ماحمل من الخطاب وقال وحق المسيح لقد حملت رسائل كثيرة إلى العرب والعجم وإلى خليفة المسلمين وإلى عبد الوهاب أمير الإسلام والمجاهدين وإلى أمه ذات الهمة وما رأيت أحداً منهم فيما فيه هذا غيلان من العظمة (قال الراوى) وقرأ عقبه

كتاب غيلان على الفالوغص فلما عرف مافيه وتدبر معانيه فرح فرحا شديد ماعليه من مزيد فقال عقبة وأرجو من المسيح أن يكونوا قد نظروا إلى دين النصرانية وأن يشد بهؤلاء السودان عضد أهل ماء العمودية وما لعبد الوهاب مثل هذا الأسود المهاب وقال للملك ارسل لغيلان ماطلب من الخلع والفضة والذهب وابتغي الثواب من السيد المسيح (ياساده) فبعث الملك لغيلان ماطلب وأرسل يقول له أبشر بكلما تريد ولك منا ماتزيد ولما وصل إلى غيلان الخلع والمال فرح بذلك وفرق الخلع على السودان وقال لهم أبشروا بكلما تريدون فى هذا الزمان ورحل فى الحال ونزل قريبا من عسكر الفالوغص وأخذ الملك أهبته لقدوم غيلان عليه ولبس تاجه والإكليل وطرح على بدنه بدلة جوهر وأقام الملك المماليك عن يمينه وشماله بالسيوف المجذبه والدرق المكوكبه والعمد المذهبة وأقام بين يديه عشرة آلاف غلام وهو جالس على كرسيه والغلمان كلها بالمناطق والقراطق المرصعة بالدر والجوهر وقطع البلخش والياقوت الأحمر وأوقف على باب السرادق عددا مثل ذلك وجعل بقية العسكر كتائب ومواكب وجلس حول الملك السبعة عشر ملك الذين هم ملوك الأقاليم على كراسى الذهب والفضة (قال الراوى) ولم تكن الا ساعة حتى جاء غيلان فى جماعة من السودان ووقع نظره على الملك الفالوغص فقبل الأرض ودعا للملك واطلق لسانه وتكلم فأعجب الفالوغص كلامه فقربه اليه وأدناه ورحب به وحياه وقال ابشر بالتقدمة على الأبطال الصناديد وأنت أيها السيد غيلان مقدم على الانس والجان وأنت سيف الملك وحما الدول وشجاعتك يضرب بها المثل وهذا العهد بيننا مضروب والأمر فى هذه السرادق منصوب ثم طلب الخلع الملاح لكى يخلع على غيلان وأصحابه والذين معه من السودان وإذا بالصياح قد أقلب الربا والبطاح فسأل الملك عن الخبر فقيل له ان ملك الديلم خرج وركب إلى الحرب واشتهر فانزعج الفالوغص وغيلان من ذلك وخرج من السرادق ونظر وإذا بالديلم راكبه والغبار قد مد على الآفاق من جهة العراق وحجب بين السماء والأرض وارتفع العجاج وسد الفجاج فركب غيلان وركبت طوائف الروم وارتجت الأرض من التخوم فوقفوا الناس ينظرون إلى ذلك الغبار الثائر والنقع السائر ساعة طويلة فمزقته الرياح وبان من تحته الليوث الوقاح أبطال بنى كلاب والسودان والأنجاب وبعدهم الأبطال تزدحم والمواكب تلتطم والأعلام العباسية والرايات الاسلامية وظهر الامام المعتصم ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ولما نظر باهلاك إلى ذلك أقبل على أصحابه وقد قال لهم قد وقعتم فى بحرين زاخرين وحجرين دامغين وهما عسكر المسلمين والروم الملاعين فكل منهم قاصد هلاككم وخراب دياركم ومحو آثاركم

فانظروا كيف تكونون فقالوا سوف ترى منا مايسرك فيهم قال فقسمهم نصفين فجعل نصفا لعسكر المعتصم ونصفا لعسكر الروم وقدم على النصف الذى قدمه لعسكر المعتصم شهريار ابن روزنة وعلى الذى يقاتل الروم سمنديار ابن بزار وحملت الكتائب على الكتائب والمواكب على المواكب وتقاتلت الرجال وتماسكوا بالأطواق الابطال وسالت الدماء من القمم وجاء الصارم وحكم وازدحم الأمم وقامت الحرب على ساق وتدم وقل الغداء وحجب الغبار بين الأرض والسماء وصار الديلم بين بحرين ذاخرين وحجرين دامغين من الروم والمسلمين ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى أقبل الليل وانسدل ولما نزلوا الناس بعث الخليفه إلى ملك الروم يقول له دع عنك القتال فى غد فلنا عند الديلم تار نريد نستوفيه ودين نحب أن نقضيه فأجابه الفالوغص إلى ذلك وقال فى نفسه كل من هلك منهم كان لنا راحة فيه ولما أصبح الصباح وظهر نوره ولاح ركب الخليفة وتقدم فى طلب الكفاح وركبت الأميره ومن بقى معها من السودان الأنجاب وكذا سائر المسلمين وأبطال الموحدين وامتشقوا السيوف الرقاق وقامت الحرب على ساق وأقبلت الديلم بصياحها الآفاق وتكفلت بقتالهم الأميره ومن معها من الرفاق وكذا تابعهم من عسكر العراق وسقوهم من الموت كاسا دهاق وأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق وكان ذلك اليوم كما قال سبحانه وتعالى والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق وكانت المعمعه كما قال فيها الشاعر :

ومعركة ترى فيها سياقا ☆ جياد الخيل بالاسل الدقاق
كذاك النبل والنشاب فيها ☆ يطير من الصدور بغير واق
فكم كف من الرمضاء أضحت ☆ وكم قطعت من الهيجاء ساق
وكم رمح له فرع وزجز ☆ اذا الأقران مالت للسباق
وللهندى فى الهامات ضربا ☆ كمثل النار تضرب باحتراق
وكم عاجز خــلا وولى ☆ وكم من سيد كره الفراق
وقد طارت طيور السعد عنهم ☆ وقد وقفوا جميعا فى السباق
ونادى الموت أين مفر منى ☆ اذ الآجال أورث للمحاق
وقد قام الأنام لهم حيارى ☆ وقد لفت بهم ساقا بساق
وللاسلام من ربى ثواب ☆ وللكفار نيران المحاق
وذالهمـــة تنادى فى لظاها ☆ أيا رباه ذا يوم التــلاق

(قال الراوى) فلله در الأميره المجاهده الصابره فلقد فعلت فعلا تعجز عنه الجبابره

وتركت الديلم خاسره وبذلت نفسها لله فى طلب الآخرة وخشعت لصوتها الأصوات وهدت عند حركتها الحركات وبذلت سيفها فى الموضع الوضيع والرفيع وقد خضبت الأرض بالنجيع وما أمسى المساء حتى فنى من الديلم ألوف وبذلت فيهم السودان وبنى كلاب السيوف وقتلوا منهم كثير وافترق الجمعان عن القتال ولما استقر القرار بالناس وهم نزول على الأرض والبطاح أرسل الفالوغص يقول للخليفة النوبة لنا غدا فى قتال الديلم فوجد الخليفة بذلك راحة عظيمة فأرسل يقول له افعل ما بدا لك فعاد الرسول إلى الفالوغص وأخبره بذلك وباتوا الناس إلى الصباح ولما بدا نوره ولاح ركبت ملوك الروم والبطارقة وخرجوا كأنهم البحور الزاخرة وركب الفالوغص ورفعت الأعلام وصاح القسوس والرهبان والتبرك والمطران ولما نظر باهلاك إلى ذلك أقبل على من حوله من خواصه وقال لهم اعلموا أن هذين الطائفتين قد اجتمعوا على قتالنا وكل منهم يريد أخذ مالنا وما فى الأمر الا أن أطلب البراز وآخذ فرسانهم وأبيد أقرانهم وبعد ذلك نحمل عليهم حملة واحدة فتصبح الدنيا خامدة لأن العسكر بالملك وإذا هلك الملك وقتل الشجاع ذهب منه الانتفاع وقل الامتناع فقال له أصحابه هذا هو الصواب (قال الراوى) فبرز باهلاك إلى الميدان على جواد كالسرحان ولما صار فى الميدان جال وصال حتى لين عريكة الحصان وطلب البراز وسأل الانجاز فخرج اليه الملك الفالوغص على جواد أبلق هذا وقد ركب المعتصم والمسلمون فى طلب الفرجة وتقدموا لينظروا ما يجرى بين الملكين وما يقع من القتال بين هذين الفارسين واصطفت بنى كلاب والسودان الانجاب عليهم من الحرير ألوان وفى أوساطهم المناطق المرصعة بالدر والعقيان (يا ساده) نوقف غيلان ومن معه من السودان فى عسكر الروم وعليهم الخلع التى أعطاها اياهم ولما نظرت الأميرة ذات الهمة الى ذلك عظم عليها وكبر لديها وكادت أن تقع من على ظهر جوادها مما جرى عليها من اجل ذلك واقبلت على عمرو بن عبيد الله وقالت له أنظر فنظر الى السودان فقالت له الأميرة هذا يرضيك قال نعم دعهم يروحوا الى لعنة الله يريدون أن يتقدمون علينا ونحن سادات العرب وأصحاب الفخر والنسب فقالت الأميرة والله ما السيد الا الذى يكشف الكرب ويجيد الطعن والضرب ويجاهد فى سبيل الله ويدفع الضر عن ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع المعتصم الأميرة ومجادلتها مع عمرو فسأل بعض الخدام عن ذلك فاعلمه بقصة السودان وكيف صاروا من حزب عبدة الصلبان فقال المعتصم لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم يا ليت شعرى هل كاتبهم ملك الروم وأمضوا اليه باختيارهم فقالت الأميرة لعن الله من كان السبب فى ذلك ولا نجاة من المهالك والله ما كاتب عليهم إلا عقبه

بلاء الله بالنكبة فقال المعتصم خافى الله أيتها الأميرة فما بقى من أجلك إلا القليل وتقدمين على الملك الجليل فاحذرى المطالبة يوم القيامة يوم يغرق الخلق فى بحر الندامة ويقول الله تعالى لكى يافاطمة كذبتى على شيخ من شيوخ المسلمين وإمام من أئمة الدين فما يكون جوابك إلى ذلك وهو ربما يكون اليوم فى بعض الأماكن المباركة يدعو لنا وللمسلمين بالنصر على هؤلاء الخوارج والروم الملاعين فلما سمعت الأميرة كلام المعتصم علمت أنه مانظر من عقبه كما نظرت هى عليه وله منه الظاهر والله متولى السرائر فسكتت عن جوابه (قال الراوي) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الفالوغص وباهلاك الخارجى فانهما حملا على بعضهما البعض وجالا على وجه الأرض وأطلقا أعنتهما وأشرعا أسنتهما وجالا طويلا واعتزلا مليا وتطاعنا طعنا أحد من الجمر وأمر من الصبر وبقيت الأعين لهما ناظرة وألباب الشجعان من فروسيتهما حائرة فاختلفت بينهما ضربتان واهلتان واصلتان فأما ضربة الفالوغص فانها وقعت على عاتق باهلاك فاوردته مورد الهلاك لأنها وقعت على عاتقه خرج السيف يلمع من علائقه وعجل الله بروحه إلى النار وبأس القرار وأما ضربة باهلاك فانها وقعت على كتف الفالوغص حلته وأخذلته لأنها كانت قصيرة وما وصل اليه إلا ذباب السيف ولولا ذلك لقضى عليه لكن كان فى أجله تأخير لما يريده الله اللطيف الخبير (قال الراوى) لقد ذكر لى بعض من أثق به أن سيف باهلاك الذى ضرب به الفالوغص سيف أخضر صافى الجوهر ليس له مثال لأنه كان من سيوف الأكاسره ويقال أنه كان سيف اسمنديار ابن رستم زاده رأس ملوك الفرس لكن إذا كان الأجل مديد لا يقطعه الحديد وإذا أراد الله تعالى أمرا فما يكون إلا ما يريده الله الحى القيوم (قال الراوى) وسقط الاثنان إلى الأرض فاما باهلاك فنفد فيه القضاء والقدر ومات كما تقدم وأما الفالوغص فانه لما سقط ورآه غيلان حمل عليه فيمن معه من السودان خوفا عليه أن تدوسه الخيل فكانوا اليه أسبق فشالوه وأوصلوه إلى سرادقه وأتواله بجرائحى فقطب جرحه وشده وهو لا يعقل على نفسه وصعب ذلك على عقبه وقال فى نفسه أن هلك هذا اللعين الفالوغص ما ينتج مثله فى هذا الزمان وكذا صعب على الملوك وأقبلوا على عقبه وقالوا أيها الشيخ البجبح لاشك أنه غضب علينا المسيح ولولا ذلك ما فعل ذلك هذا الفعال لأنه أراد أن لا يبقى لنا ملك مثل هذا الملك ليشد مراتب النصرانية وأهل ملة ماء المعمودية ونحن نخاف من هؤلاء السودان أن يتفقوا مع أصحابهم والملك على هذا الحال يحملوا علينا حملة واحدة فتصبح الدنيا خالية وخامدة فما يصل منا إلى بلادنا أحد فابصر كيف تعمل (ياسادة) فقال عقبه صدقتم فيما قلتم ولكن مالنا إلا نستميل

قلوبهم بالمال الكثير والعطاء الجزيل حتى يصيروا معنا فى بلاد الروم وإذا وقع بيننا وبين المسلمين قتال ينصحونا فيه لأن المال يلعب بعقول الرجال فقالوا صدقت (قال الراوى) ياسادة يا كرام فأخذ عقبه من خزانة الملك خمسين ألف دينار وطلب غيلان ووجوه أصحابه السودان فلما حضر عنده أقبل عقبه على غيلان ومن حضر معه من السودان وقال لهم اعلموا ياسادات بنى حام انكم من حين وصلتم الينا ماوصل إليكم من الملك إلا الخير وقد عرفتم ايش وصل إليكم من الخلع والمال والخيل الحسان ولكم أضعاف ذلك إذا وصلتم معنا إلى بلاد الروم وسوف ترون ذلك وهذا الملك قد أصيب وهو كما ترونه وهذا العسكر جميعه اعتماده عليكم مادام الملك على هذا الحال الذى هو فيه ولكن قالوا انهم يخافون منكم أن تغدروا بهم وتسلموهم إلى أصحابكم المسلمين فقد ضمنت لهم عنكم خلاف مافى ظنهم وها قد دعوناكم لننظر ماعندكم فماذا أنتم قائلون (قال الراوى) فلما سمع غيلان كلام عقبه عظم ذلك عليه وكبر لديه وقال أيها الشيخ العالم نحن ماأتينا إلى خدمة الملك حتى حلفنا له على ماأراد واننا نكون طوع يده نعادى من عاداه ونصفا لمن صافاه ولا نفعل إلا مايرضاه وندخل معه إلى بلاده ونكون من عدة أجناده ونحن مانقول قول ونرجع عنه وما هو من شيمنا الغدر ونحن إلى الآن مارجعنا عن الايمان فان شئت فالتق عسكر المسلمين وانظر ما يكون منا ومنهم فى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب (قال الراوى) فلما سمع عقبه هذا الكلام من غيلان فقال له أحسنت ياسيف الملتين وجمال الدولتين لقد أجدت بما نطقت وأنت توفى بما قلت ووعدت وحاشاك أن تنكث فى اليمين وتكون من قليلين الدين ثم أخلع عليه وعلى أصحابه الخلع السنية وأجزل لهم العطية فقال له غيلان أيها الشيخ الفاضل والوزير العاقل أمرنا بما تريد وانظر العجب منا وما نفعل بالعجم والديلم والسودان والعرب فقال له اعلم ياسيد بنى حام أنه مايجوز للانسان أن يلقى نفسه للهلاك ولا يجوز خوضها فى بحر الهلاك ونحن الآن غنم بلا راعى وكل أحد يطمع نفسه بأخذ مالنا والآن ملكنا على ما تعلمه من هـذا الجرح الذى فيه الصعب الذى أصابه ونحن فى غير بلادنا والديلم قد قتل ملكهم وهم خلق كثير وعمرهم تحت طاعة الخليفة وما أحوجهم على الخروج اليه الا باهلاك وقد ورد مورد الهلاك فتى تعرضنا اليهم ساعدهم الخليفة ومن معه ويصيرون علينا رجلا واحدا وكذا أن تعرضنا للخليفة مال الديلم والعجم اليه ويقولون نصلح حالنا عنده ويجتمع الجميع علينا وتصل أذيتهم الينا ولا يرجع إلى بلادنا الا كل عمر طويل وماتم أوفق لنا من رحيلنا بالليل وتتعقبونا أنتم ومن لحقنا اضربوه بالسيوف واسقوه شراب الحتوف واذا وصلنا إلى

بلادنا وأمنا على نفوسنا فان طاب ملكنا وسلم فهو يعرف لهم هذه الفعلة وان أصابه الموت وتولى غيره فما يخفى عليه ما فعلتموه والليلة نرحل مادام الخليفة ومن معه مشغول عنا بقتال الديلم والعجم (ياسادة) وكل هذا المقال من عقبه الى غيلان فقال له غيلان افعل ما بدا لك فنحن طوعا لك فقال له عقبه اخرج الى أصحابك وأخبرهم بما جرى لك واقض شغلك فخرج غيلان الى أصحابه السودان وأخبرهم بما كان بينه وبين عقبه الشيطان (قال الراوى) هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأماما كان) من أمر الديلم والعجم فانهم لما قتل باهلاك خافوا على نفوسهم من الهلاك لأنهم بين الطائفتين الروم والمسلمين فوقفوا صفا واحدا وأشهروا الصوارم وعزموا على لقاء العوالم وأيقظوا الهمم وأيقنوا بزوال النعم فهانت عليهم النفوس بعد أن علموا أن ذلك اليوم يوم عبوس وصاروا ينتظروا من يحمل عليهم من العسكرين أو يبدو لهم من الفريقين فنظروا عنهم الروم فاترين وبملكهم مشتغلين فاستقرت قلوبهم من تلك الجهات (وأماما كان) من المعتصم ومن معه لما حققوا أن الفالوغص قتل باهلاك وانجرح الفالوغص جرحا بالغا شنيعا مشرف منه على الموت فرحوا بذلك وسجد الخليفة شكراً لله تعالى وأمر الناس بالحملة على الديلم والعجم وقال اذا فرغنا من هؤلاء عدنا إلى الروم الملاعين فحملوا الناس واشتد الباس وعملت الصوارم وتلقت الجماجم وبان البطل المصادم وأظلمت الأقطار وحجبت الشمس بالنهار وحارت الالباب وقوى الطعن والضراب وقطعت الأيادى والرقاب وهاج السودان وبنى كلاب وفعلوا بالعجم والديلم فعل النار بالاحطاب ولم ينفكوا من القتال إلى وقت الغياب وحملت الأميره ذات الهمة على الوزير الذى لباهلاك وطعنته فى صدره أخرجت السنان يلمع من ظهره ومالت على حامـــل العلم فذبحته ذبح الغنم فنكس علمهم إلى الأرض ورضت أعظامهم رض فما وسعهم الا الفرار وولوا الأدبار فوجدوا عسكر العراق قد مسكوا عليهم الطريق ووقف فى المضيق خلق كثير وما سلم منهم حاجب ولا وزير فنادوا الأمان الأمان واستسلموا للاسر وغنموا المسلمين خيامهم وأموالهم ولما حضروا إلى بين يدي المعتصم لامهم على فعالهم فقالوا يا أمير المؤمنين ماقدرنا على الامتناع من باهلاك اللعين لأنه كان جبار من الجبابرة الأولين فقبل عذرهم وأخلع على المقدمين منهم وأضافهم وشكر ذات الهمة على فعالها وأثنى عليها وقال لها لا أخلى الله الاسلام منكى ولا من ولدكى ولا من أولاده ولا من جماعتكم ولعن الله من يرمى بينى وبينكم وأنتم حماة الاسلام وترس قبر النبى عليه أفضل الصلاة والسلام فقبلت الأرض ودعت للخليفة بطول البقاء وزوال الهم والشقاء فقال لها الخليفة أيتها الأميره ما بقى بين أيدينا الا

عسكر الروم الملاعين فقالت الأميرة ينصرنا عليهم رب العالمين ببركة سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام المتقين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين وكانت الأميرة ذات الهمة أسرت الغلام شروه الديلمى الذى كان باهلاك يقسم بحياته ويقول انه خلقته فلما نظرت اليه والى شتمرته وزرقة عيونه وحسن صورته وبديع خلقته فقالت سبحان الله الخالق المصور والله أنه أقرب شبها الى البطال فسبحان الذى ليس له مثال المنزه عن الاضداد والأشكال لا إله إلا هو الملك المتعال خالق الليل والنهار وجميع المخلوقات على غير مثال سبحانه لا إله إلا هو (قال الراوى) وكان الأمير أبو محمد مع الأميرة ذات الهمة فى العسكر إلا أنه كان مريضا إلا يعقل على أحد وكان ولده مذبحون معه وغلمانه يعللونه لأنه لما ملك باهلاك بغداد مع ماهان خليفة باهلاك عليها فلما قدمت الأميره وكسرت الديلم كما تقدم اجتمع بها وخرج معها فى العسكر فحصل له ذاك المرض ولما قتل باهلاك وكسر عسكره وقتل من قتل وكسر من كسر وأسر من أسر وانهزم من انهزم كما تقدم وأخذت الأميره الغلام شروه فى جملة الاسارى وأعجبها شكله وزيه وخلقته وشبهه بالبطال ورأته يتوقد بالفطنة والزكاء قالت ما لهذا الغلام من يربيه مثل البطال ثم أقبلت على غلامها وقالت له خذ هذا الغلام وأوصله إلى البطال وقل له أن الأميرة قد وجدت هذا الغلام وقد أعجبها شكله وما رأته منه من الحذق والزكاء ورأته قريب بك عاهدته إليك فاصطفيه لنفسك فعساه ينفعك (قال الراوى) فأخذه غلام الأميرة وسار به إلى خيمة الأمير أبو محمد البطال وكانت قريبة من خيمة الأميرة ذات الهمة فلما وصل غلام الأميرة إلى أبو محمد وجده جالسا وولده وغلمانه حوله وهم يتحدثون بما كان من أمر الفالوغص وباهلاك فقال غلام الأميرة بعد أن سلم عليهم وقال الأمير أبو محمد سيدتى تسلم عليك وتسألك عن حالك وقد أهدت لك هذا الغلام لما رأت فيه من الفطنة وقالت أنه لا يصلح إلا لخدمتك فخذه إليك وربيه فنظر إليه فوجده أقرب شبها به وبولده مذبحون فمال قلبه اليه وعطف بكليته اليه فقال له ما أسمك ياغلام فقال يامولاى أسمى شروه ولقبي فى بلد الديلم الدردون فتحرك البطال من كلامه وتحرك له سائر أعضائه وأقبل على ولده مذبحون وقال له خذ هذا الصبى وتوصى به فانه إن عاش حينا من الزمان يكون له شأن وأى شأن فانى أراه زكيا وزكاءه يفوق سائر الغلمان فعسى الله أن ينفعنا به وأن يجعل فيه بركة فلعن الله عقبة وعاقبه فهى التى أعدمتنى ولدى الحصين فلو كان سالما اليوم لكان فى سن هذا الغلام فقال له مذبحون صدقت والله ياأبتى وتحرك لهذا الغلام قالبى وقلبي وما عرفت

السبب فى ذلك ما هو وما يكون عندى إلا فى مقام أخى وولدى لأن قلبى مال إليه من حين وقعت عينى عليه فقال غنمان البطال كلهم مثل هـذا المقال يعنون أن قلوبهم مالت إليه فقال البطال وأنا والله كذلك قد مال قلبى إليه فالله يعطينا خيره (قال الراوى) فأخذه مذبحون وصار يسأله عن بلاد الديلم ومملكة العجم والغليم شروه يجيبه عن كل ما يسأله عنه والبطال يسمع كلامه ويعجبه حديثه وقد وجد بحديثه راحة وجوارحه اليه مرتاحه فصار البطال يعجب من ذلك غاية العجب وليس يدرى فى ذلك ما السبب (قال الراوى) هذا ما كان من أمر البطال والغليم شروة وسيأتى له حديث يذكر (وأما ما كان) من الأميرة ذات الهمة فانها ضيقة الصدر منقسمة الفكر بسبب غيلان ومن معه من السودان وقد عولت على أنها تتجرد لقتالهم ان لم يرجعوا عن فعالهم (ياسادة) ولما أصبح الصباح وظهر نوره ولاح تأهب الناس للكفاح وثارت بنو كلاب كأنهم أسود الغاب وإذا بحماد بن حازم الجاسوس قد دخل على الأميرة ذات الهمة وأخبرها ان عسكر الروم قد رحل من أول الليل طالب بلاده فقامت ودخلت على المعتصم وأعلمته بذلك ففرح فرحا شديداً وقال الحمد لله على ذلك فقالت له الأميرة يا أمير المؤمنين علينا منن لانحصيها ولا نقول ببعض الشكر عنها بالأمس هلك باهلاك ونصرنا على عسكر الديلم فانهدم عزهم وانصرم وخذلهم الله تعالى ومنهم انتقم والساعة فقد وصلنى حماد بن حازم الجاسوس وأخبرنى بما أخبرت به بين يديك من رحيل الروم من أول الليل وماأظنهم رحلوا إلا وقد مات ملكهم وخافوا على نفوسهم فى هذه البلاد فقال لها المعتصم فما ترين من الرأى أيتها الأميرة والسيدة الكبيرة فقالت ياأمير المؤمنين الرأى إننا نتبعهم ونسقيهم كأس الرد ولا نترك يصل إلى بلادهم أحد فقال لها المعتصم أفعلى ما تختارين وخذى معك من العسكر ما تريدين وعولى وعلى الله توكلى وأنا مقيم ههنا حتى يصل هذا العسكر الذى قد بلغنا خبره وأنا ألحقك ان شاء الله تعالى فعندها عادت الأميرة إلى سرادقها وجمعت اليها بنى كلاب ومن بقى معها من السودان وقالت لهم ما تقولون فى أتباع الروم الكلاب وكسب الاجر والثواب من الملك الوهاب ونغنم أموالهم والثياب ونرد السودان الينا وتهون القضية علينا فقالوا الذى تريه هو الصواب ثم ركبوا الخيل العربية وتوكلوا على رب البريه الذى يعلم السر والعلانيه وساروا طالبين عسكر الروم (قال الراوى) هذا ماكان من هؤلاء (واما ما كان) من عسكر الروم فانهم لما رحلوا من أول الليل كما تقدم أرسلوا الثقل التى لهم بين أيديهم وأمرهم اللعين عقبة باتبـاعه وقال للسودان سيروا أنتم على آ ثارنا وكونوا بعيدين منا وإذا لحقنا أحد من المسلمين

فابذلوا السيف فيهم وإياكم تأخذكم الشفقة عليهم فهم إن ظفروا بكم لايتركوا منكم أحد فقال له غيلان أبشر فسوف ترى ما أفعل وكيف أتقن العمل وادقق الحيل (قال الراوى) وتقدم الروم وجدوا السير وتأخر غيلان ومن معه من السودان حتى علم أن الروم ساروا قدر فرسخين ورحل (ياسادة) وأما الأميرة ومن معها فانهم ساروا ذلك اليوم ومن الغد أدركوا غيلان واصحابه السودان فلما وقعت العين على العين وعرفوا بعضهم الفريقين أقبل غيلان على من معه من السودان وقال لهم أعلموا أن هذه العجوزة الهركولة قد لحقتكم ولا بد لها منكم ومتى ظفرت بكم بعد أن تقاتلوها فلا تبقى على أحد منكم إلا وتتركم مثلا فى الآفاق إلى الأبد ما قام قائم وقعد وأنا أعلم أنها لابد أن ترسل إلينا رسولا لتسمع ما تقول فما أعددتم لها من الجواب فقالوا لاندرى فأنت أميرنا والحاكم على كبيرنا وصغيرنا (قال الراوى) فلما سمعوا السودان منه هذا الكلام دخل فى قلوبهم واستولى على عقولهم وقد تقدم وصف غيلان أنه كان شيطان فى صورة إنسان آفة من الآفات وبلية من البليات وقد هدر هذا الهدر والهذيانات على هؤلاء السودان الذين ليس لهم عقل ولا معقول وهو ولو هدر هذا الهدر على البيضان أصحاب العقول السليمة لتشعبت به قلوبهم وخامر معقولهم وقد قال القائل أسود عاقل مصيبة نازلة (قال الراوى) ولما سمع غيلان منهم الجواب قال لهم ما أعجبنى منكم هذا الكلام ولكن اذكروا لى شيئاً غير هذا حتى أسمعه فقالوا ما عندنا غير هذا إلا السيف إما لنا وإما علينا ومانعود إلى بنى كلاب لأننا عندهم كما قلت أنت أننا طول الدهر نخدمهم ونحامى بسيوفنا عنهم وقط ما زوجونا منهم بل نتزوج بنات بعضنا فيأتينا أولاد سود مثلنا بفراطيس كفراطيس الجواميس كأنهم الحلتين المحرق أو الزفت المنطلق وقد سئمت نفوسنا من ذلك وما قصدنا إلا الإقامة فى بلاد الروم وتتمتع ببناتهم الملاح أصحاب الوجوه الصباح ونرزق منهم الأولاد الملاح فى زينة الحياة الدنيا فاحمل بنا عليهم حتى نريك ما نفعل فيهم فقال لهم غيلان ليس هذا نصواب ولكن اصبروا على حتى أدبر لكم تدبير تحمدون عاقبته إن سمعتم قولى ورضيتم بفعلى فلا بد أن أدبر عليهم تدبير أهلكهم به كلهم من غير تعب ولا نصب وأوريهم من فعلى العجب لأنهم يقولون أن السودان ما لهم عقل وسوف يعرفون عقلى إذا هم شاهدوا فعلى واعلموا أننا متى حاربناهم طال الأمر بيننا وبينهم وربما أدركهم المعتصم ويكثر علينا العدد ويتزايد المدد ومعلوم أننا نقدر أن نخلص نفوسنا منهم ولكن لا نظفر بالمقصود والذى أدبره أنا أحسن وإذا أتانا رسولها يستعطفنا نظهر له الإجابه بعد التمنع حتى نخامر عقل الأميرة ثم نختلط بهم وننزل معهم

فإذا أظلم الظلام وهجعت العيون النيام نكون نحن على يقظة فنثور عليهم و نبذل السيف فيهم وأنا أتولى قتل ذات الهمة وأكف عنكم النار المضرمة فقالوا السودان هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب (قال الراوى) واتفقوا على هذا الحال ووصلت الأميرة إليهم وقربت منهم ونظرت إلى انفرادهم عن الروم وبعد الروم عنهم ففرحت بذلك وقالت لأصحابها الحمد لله هؤلاء أصحابنا ماهم مرافقين الروم الملاعين وما هم إلا على فعالهم نادمين ولكن أراهم لا يلتفتون إلينا ولا يقبلون بوجوههم علينا وما ذاك إلا أنهم غضابا فلا بد أن نترضاهم ونختبر قلوبهم بالإرسال إليهم ثم ادعت إليها مائة فارس من أبطال بنى كلاب وعقلائهم وقالت لهم يا بنى عمنا أنتم تعلمون ما بيننا وبين السودان من المودة والمصادقة وهم إخواننا على كل حال وقد فارقونا على وجه الغضب وأريد منكم أن تمضوا إليهم على وجه الرسالة من عندى وتتلطفوا بهم فى المقال لعلهم يرجعون إلينا بوجه الإقبال وتقولون لهم نحن وإياكم شىء واحد ونحن ما قلنا لكم أن بنى سليم يتقدمون علينا وعليكم إلا على سبيل الاستدلال عليكم والشفقة وإلا فأنتم تعرفون بنى سليم لا يدفعون عن نفوسهم الضيم فكيف يدفعون عن غيرهم ونحن ما نراعيهم إلا لأجل الجوار والأميرة تقول أن عبيد الله أبو الأمير عمـــرو كان له عليها وعلى الأمير عبد الوهاب حنونية وشفقة فهى تراعيه من أجل ذلك وعمرو وبنى سليم ما اطلعوا على ما اطلعنا نحن وأنتم عليه من كفر عقبة ولا الخليفة أيضاً ولو اطلعوا على ذلك لما شده أحداً منهم وكانوا يقتلونه قبلنا وعقبة شيطان صاحب ناموس ما يظهر للناس إلا الزهد والدين والعبادة وقراءة القرآن والعلم فبذلك يتقدم وينافق على من لا يعرفه وأما نحن وإياكم فما ينافق عندنا ونحن نعرفه ونحن وإياكم شىء واحد فعودوا إلى ما كنا نحن وإياكم عليه من المودة والصفاء ودعوا عنكم اللجاج وإذا صح الاعتقاد وبطل الاتفاق ودعوا عنكم مضى وعودوا إلى الصلح والرضا ففى ذلك رضا الرحمن الذى لا يشغله شان عن شان (قال الراوى) فسارت بنو كلاب بهذا الكلام إلى السودان وأدوا إليهم الرسالة وأعادوا عليهم هذه المقالة (يا ساده) ولما سمعوا السودان هذا الكلام أقبلوا على غيلان وقالوا له ما تقول أيها الأمير فقال معلوم أننى أكلت خبز الأميرة وملحها ولها على حق ولكن لا أطمئن إليها بعد قتلى ميمون الجاس وأما أنتم فهى مولاتكم قديماً فإن أجبتم بالرجوع إليها فأنا ما أمنعكم منها وأنا أمضى إلى حال سبيلى فقالوا السودان كلنا معك وأينما مضيت نتبعك فقال غيلان ما عليكم أنتم منى وامضوا إلى مولاتكم عنى فقالوا ما نفارقك وأين ما برحت ما نفارقك فقال غيلان إن كان ولابد لكم من ذلك فأنا

ما أفرط فى نفسى فقولوا للأميرة ذات الهمة تأتى بنفسها إلى ههنا وتحلف لنا يميناً مغلظاً أنها لا تؤذينى ولا تمكن من يؤذينى ولا تطالبنى بشىء من أمر ميمون الجماس وأنا أعود إليها وأضرب بالسيف بين يديها وأنها لا تختار أحداً علينا وتكون التقدمة لنا فى الحرب يوم ولبنى كلاب يوم وإن اختارت بنو سليم ان يكون لهم يوم فما نمنعهم وبعد ذلك يبان للناس الفارس من الجبان فقالت السودان لبنى كلاب ما قد سمعتم ما قال لكم الأمير غيلان فعيدوا للأميرة الجواب واسمعوا ما تقوله فى الخطاب فان رضيت بذلك سرنا إليها وقاتلنا بين يديها وان لم تقبل رحلنا حيث أردنا (قال الراوى) فعادت بنو كلاب إلى الأميرة بهذا الخطاب فلما سمعت هذا الكلام فرحت به وقالت هؤلاء هم المجاهدون الصابرون وهم عندى مثل ولدى عبد الوهاب وكلنا عبيد رب الأرباب وسارت بنفسها إلى السودان وحلفت لغيلان على ما أراد منها وقالت له أما ميمون الجماس فقد مضى وقد عز على والله قتله وكان ركنا من أركان المسلمين ومحامياً عن هذا الدين ولكل أجل كتاب وما قدر الله إلا أن يموت هذه الموتة وأنها تكون على يدك فلا تعود إلى مثلها فان الفتن تورث المحن فبيض وجهك عند رب العالمين بالجهاد فى الكافرين لعلى استوهبك من ميمون الجماس اذا اشتد الناس يوم القيامة يوم الحسرة والندامة يوم يقوم الاشهاد يوم يقضى الله بين العباد وأما أنا فلا أطالبك بشىء من جهة دمه فقد بؤت باثمه (قال الراوى) فبكى اللعين غيلان وقد زاد به الحقد والطغيان وأخذ يد الأميرة على ذلك واعتنق السودان والعرب وذهب ما كان فى الأميرة من غيلان وكذا من كان واتقه من السودان وأما غيلان وأصحابه فزاد حنقهم وكتموا أمرهم وأقبلت الأميرة على غيلان ومن معه من السودان وقالت لهم اسرعوا بنا حتى نلحق الروم الكلاب ونمكن منهم الصارم والقرضاب وننهب مالهم ورحالهم وخيلهم وجمالهم فقال غيلان اعلمى أيتها الأميرة والسيدة الكبيرة أن من شيم الكرام الصدق مليح والكذب قبيح وهؤلاء الروم الملاعين قد سبق منهم الجميل الينا وأعطونا هؤلاء الخلع التى ترينهم علينا وما فعلنا معهم شىء يوجب ذلك ولا سبق اليهم منا جميل ونحن ما تأخرنا خلفهم الا لكى نمنع ما يلحقهم وقد وصلتى الينا وكان بيننا وبينك الصلح ونستحى أن نلحقهم لأجل ما أحسنوا إلينا نهارا ونضع السيف فيهم جهاراً ولكن ننزل الساعة ها هنا ونستريح بقية هذا اليوم ونعلق على خيلنا ونبيت ها هنا وإذا كان فى غد نرحل ونسير إلى وقت العصر وننزل نعلق خيلنا ونستريح ساعة واذا قطعت الخيل العليق ركبنا فنلحقهم ثلث الليل فنمكن منهم الحسام فى جنح الظلام ولا يرونا ولا نراهم وما يصبح الصباح الا وقد فرغنا منهم

وزالت السعادة عنهم (قال الراوى) فلما سمعت الأميرة هذا الكلام عجبت من غيلان الشوك وقالت لله درك ما أبصرك بالأمور وأنت الليث الجسور فأين عين الأمير عبد الوهاب عنك حتى يراك فكنت تصل معه إلى هناك فهو يعجبه الرجل النجيب سوى كان من الأحرار أو العبيد فالله يجمع بيننا قريباً غير بعيد أنه على ما يشاء قدير فانى فارقته وتركته فى مكة المشرفة حرسها الله تعالى ورعاها وهو مريض فالله تعالى يعافيه ويشفيه ويجمع بيننا وبينه فى خير وسلامه (يا ساده) وأمرت الناس بالنزول فى ذلك المكان وأعادت اليهم ما قاله غيلان فاستصوبوا رأيه هذا ما كان من الأميره وأصحابها (وأما ما كان) من اللعين غيلان فانه كتب إلى عقبه كتاب يخبره فيه بما كان بينه وبين الأميره ذات الهمة وأنه عازم على قتلها فلا تبعدون عنا وتكونوا بالقرب منا وإذا سمعتم الصياح فلا تفزعون وأنا قلت لهم اننى أكبسكم فى الظلام فما تكون الكبسة إلا لهم وفيها هلاكهم وانفذ اليهم الكتاب صحبة واحد من السودان (قال الراوى) فلما وصل الكتاب إلى عقبة المرتاب فرح به فرحاً شديداً واطلع ملوك الروم عليه ففرحوا بما فيه واخلع عقبه على الرسول خلعه سنية واجزل له العطية لأنه الملعون كان قد صار الحاكم على الروم والمدبر لهم ومشيرهم والحاكم على صغيرهم وكبيرهم وما لأحد منهم معه كلمة وكلهم تحت أمره وطاعته فقال فى نفسه وحق المسيح تنصر غيلان ومن معه من السودان وقال للرسول ما نكون إلا بالقرب منكم وأنا انجدكم بخمسين ألف من البطارقة يقاتلون معكم وتأخذون أنتم جميع ما نفتحوه من ذات الهمة ومن معها لا يشاركم فيه أحدا من الروم ولا ينازعكم فيه منازع ولا يطمع فى شىء منه طامع وسوف ترون ما يحصل لكم من المال والخير والنوال وإذا وصلتم معنا إلى بلادنا نزوجكم ببنات البطارقة الحسان التى كل واحدة منهن أحسن من الشمس الضاحية فى السماء الصاحية ونوليكم الولايات الملاح من القلاع والحصون والاقطاعات الثمان وسلم على غيلان وقل له قال لك الشيخ النجيح ان أتيته بذات الهمة أسيره أو قتيله فلك عليه ألف دينـــار وكذلك ان أتيته بالبطال فعاد الرسول إلى غيلان وأخبره بما كان من أمره مع عقبه القرنان وما أرسل اليه من الهزيان وما قال له من أجل الأميرة والبطال فقال اللعين غيلان على كلما طلب ولا أريد منه شيئاً من الذهب وانما اجعل له هذه الخدمة فى مقابلة ما حصل منه من هذه النعمة فقال له الرسول والله حسن ما تقول (ياسادة) ولما أمسى المساء وان وقت العشاء أرسلت الأميرة ذات الهمة الى غيلان ودعته إليها ليتعشى معها وخليا لأكل الطعام وقد أظلم الظلام وكان غيلان اللعين قد أمر أصحابه السودان أن يتفرقوا فى العسكر حتى إذا سمعوا صوته صاحوا

فى جنباته فترج الأرض (قال الراوى) ولما فرغوا من أكل الطعام أخذ غيلان من الأميرة فى الكلام وادار عينيه إلى المضرب فرأى أبو محمد قد أصابته الحمى وهو فى جانب مضرب الأميرة ينتفض وإلى جانبه ولده مذبحون والغلم شروه الديلمى الذى كانت الأميرة قد أهدته إلى البطال (ياسادة) فقال للأميرة من هذا الذى تهزه البارده وهو عندك فى مضربك فقالت الأميرة هذا الأمير أبو محمد البطال وهذا ولده مذبحون وهذا الغلم شروه الذى تراه عندهما وجدته فى عسكر باهلاك الخارجى فأهديته لأبو محمد لأنه رأيته زكيا حاذقا يصلح لخدمته فوهبته إياه وهذا الأمير أبو محمد أخو ولدى عبد الوهاب وبينهما مودة ومحبة من زمن الصبا وذكرت له شيئاً مما يفعله أبو محمد وما يتصور فيه فعجب غيلان من ذلك وصار ينظر إلى أبو محمد ويكرر النظر فيه شزرا فارتاب أبو محمد منه (قال الراوى) وكان الأمير أبو محمد لم يشغله شيئاً مما هو فيه عن النظر فى مصالح المسلمين لأنه لما بلغه ما اتفق للأميرة مع غيلان وأصحابه السودان أنكر ذلك وأمر غلمانه أن يخرجوا إلى العسكر ويخالطوا السودان لعلهم أن يطلعوا على شىء من أمرهم فيطالعوه فخرج الغلمان كما أمرهم الأمير أبو محمد البطال واختلطوا بالسودان ولما جاء غيلان إلى الأميره وتعشى معها وجرى الكلام بينهما وصار غيلان يكرر النظر إلى البطال فلاح لابو محمد من عينيه الغدر والعارف لايعرف فدعى الأميرة إليه وقال لها سرا أعلمى أيتها الأميرة إننى قد ارتبت من هذا العبد وقد لاح فى عينيه الغدر وأنا قد حنكتنى التجارب وجرت على المصائب وقد قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه إذا كان الغدر طباعا فالثقة بكل أحد عجز فاحترزى لنفسك من هذا العبد وخذى حذرك منه فأنى أرى الغدر لائح بين عينيه وما رجع لنا إلا وقصده مكيدة يعملها معنا ويروح إلى الروم بما يبيض وجهه عندهم فخذى ماقلت لكى بالقبول وإلا سوف تقدمين وأقول لكى قد قلت لكى ماسمعتى منى ولا أطعتينى والله ما رأت عينى قط أسود أفهم منه والغدر يتقاطر من عينيه فالله يرد كيده عليه فقالت الأميرة استعذ بالله من الشيطان ياأبو محمد هذا الاسود الذى تراه خرج عن طمع السودان بأمور منها الحفظ والزكاء والعقل والكتابة وحسن الخط وجودة التدبير وهو يقرأ القرآن ويكتب بسبعة أقلام وكان للملك الديجور صاحب قبة العاج وقصر الزجاج وقد ربى مع أولاده فى المكتب وتعلم العلم والأدب ويعرف بلغة العرب ونفسه نفس الملوك وهمته عالية وما خدمنا قط مثله أبدا فقال لها الأمير أبو محمد هذا ما يريد ما قلته لكى فما أخرجه من أستاذه إلا نحسه وشؤمه ودبره والا فأى شىء كان يحتاج إليه وهو فى بيت سيده فقالت الأميرة ياأبو محمد زول هذا الخاطر

عنك فنحن ما لحقناه هو والسودان مع الروم وعادوا إلينا فلو كان ذلك لكان الأنكار
ولو أراد هو يفعل ما تقول لكان مانعوا غالب السودان ذلك عليه وما يوافقوه عليه
وأصحابنا السودان لهم فى صحبتنا مدة من الزمن وهم مجاهدون وفيهم من حج إلى بيت الله
الحرام وزار قبر النبي عليه الصلاة والسلام أتراهم يختارون الضلالة على الهدى وينافقون
علينا الأعداء بعد صحبتهم لنا هذا الزمان الطويل فهم مالهم عقل ولا دين يصدهم عن ذلك
فقال أبو محمد أما قولك عقل السودان ودينهم فما كان فى حسابى أليس المثل السائر أسود
عاقل مصيبة نازله والله مالهم عقل ولا دين والأسود متى جاع سرق وإذا شبع فسق
وأنا فقد نظرت موضع النظر ولكنى لاأقدر على دفع القضاء والقدر وأعلى أنت بنفسك
ما تختارين فما يكون إلا ما أراد الله رب العالمين فقالت الأميرة يفعل الله ما يشاء ويحكم
ما يريد وما أنا إلا قد احترزت غاية الاحتراز وقد أمرت ضيغم أن يتولى الحرس بنفسه
فى جماعة من أبطال بنى كلاب فلا تشوش على نفسك فلا أعدمنا الله نظرك وحسك
فقال الأمير أبو محمد البطال وأنا أيضا قد أمرت غلمانى بالخروج إلى العسكر
ومخالطة السودان لعلهم أن يقفوا منهم على خبر فيطالعونا عليه وما يكون إلا ما قضاه
الله رب العالمين (ياسادة) فقامت الأميرة من عند أبو محمد وهى متكله على الله عز وجل
ورجعت إلى غيلان وتحدثت معه ساعة وقامت إلى وردها وهو ينظر إليها وهى تصلى
وهو يظهر الأسف ويبكى (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان)
من السودان فانهم تفرقوا فى جوانب العسكر كما أمرهم غيلان وكانوا منتظرين
صرخته ليبطشوا بالناس كما قال لهم ومازال غيلان يراقب الأميرة حتى مضى الثلث
الأول من الليل وهجمت النوام وطلبت العين المنام هنالك وثب اللعين كأنه شيطان
وجرد حسامه وضرب به الأميرة فوقعت الضربة بين أكتافها لما أراد الله من
سلامتها فجرحها جرحا شنيعا فوقعت الأميرة على وجهها ما فى عينها قطرة وصرخ
اللعين صرخة أدوت منها الجبال وسمعها كل من كان فى تلك الأرض فثار مذبون ابن
البطال وقد حل به الاندهال فبادره غيلان بضربة فوقعت فى رأسه قسمها نصفين وفتحها
كما يفتح الانسان الكتاب فسقط إلى الأرض غائب عن الدنيا لايدرى هو فى الأرض أم
فى السماء وما ظن غيلان إلا أنه قضى عليه وسارع غيلان إلى البطال فشد يديه ورجليه
وهو لايعقل على نفسه من شدة ماجرى عليه من ألم الحمى وخرج اللعين غيلان إلى
ظاهر المضرب وصاح وجلبب وفى يده حسام مشطب وأحمى المضرب من جميع الأمم
وما ترك أحد يدنو منه هذا والسودان قد صاحت فى جوانب العسكر ونزلوا على الناس

نزول السيل أو القضاء والقدر وزاد ظلام الليل واعتكر وثارت بنى كلاب وقد عدمت عقولها وامتشقت نصولها وقاتلت رجالها لأجل فقد خيولها وسمع ضيغم الصياح وهو على الحرس فعاد فيمن معه يطلب العسكر لكى ينظر ما الخبر فوجد السيف يعمل فى العسكر من سائر الجهات والأخ لا يعقل على أخيه ولا الولد على أبيه وصوت غيلان الشوك عالى وهو ينادى على باب مضرب الأميرة ويلكم يا بنى كلاب عن من تقاتلون وأميرتكم قتلت ومن كاس المنية شربت ونهلت فلما سمع ضيغم هذا الكلام كان أمر عليه من الحمام وعلم أن هذا الغدر من السودان والأصل فيه غيلان فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله وأنا إليه راجعون ماشاء الله كان وقال لأصحابه اقصدوا بنا مضرب الأميرة عسى تخلصها إن كانت أسرت فتسارعت نحوها الرجال من اليمين والشمال وكانت ليلة كثيرة الأهوال عمل فيها الحسام وجرى الدم وسال كالغيث الهطال وتقطعت الأوصال وما وصل الأمير ضيغم وأصحابه إلى مضرب الأميرة حتى قلبت الأرض بالصياح ونادى من خارج العسكر خمسون ألف من الروم صوتا واحدا عيسى ومريم نخيل للناس أن السماء وقعت على الأرض وعلم ضيغم وأصحابه أن الروم عادت إليهم لتساعد السودان عليهم فطلب كل واحد من المسلمين لنفسه النجاة وأيقن بفناه ولما سمع ضيغم الصياح فضاقت عليه الدنيا وعاد هو وأصحابه إلى ورائه وانهزم بنو كلاب وكل من صاحبهم من السودان والاعراب وغيرهم من الناس لما رأوا شدة الباس وكانت الهزيمة لهم أوفى غنيمه واحتوى غيلان ومن معه من السودان على ختام بنى كلاب وما زال السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى طلع النهار وبان نوره للابصار (قال الراوى) ياسادة وما أصبح فى تلك الأرض من بنى كلاب ومن يتبعهم من الأصحاب ديار ولا نافخ نار إلا من كان أسيرا أو قتيلا وأخذ غيلان الأميرة وأبو محمد والغلام شروه لأنه أعجبته صورته وصفته وقال هذا يكون هدية للقاضى عقبه هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من غلمان الأمير أبو محمد البطال فانهم لما أمرهم مولاهم بالخروج إلى العسكر وأن يخالطوا السودان لعلهم أن يسمعوا منهم شيئاً فيأتوه بالخبر فخرجوا لما أمرهم به مولاهم وصاروا دابرين بين السودان وهم يسمعون الكلام فما اتضح لهم الحال إلا بعد صياح غيلان وثاروا السودان فعندها ساروا راجعين يطلبون سرادق الأميرة كيما يكشفوا الخبر فوجدوا الدنيا قد انقلبت بالصياح وذهبت من الناس الأرواح وفعل غيلان بالأميرة ذات الهمة وأبى محمد البطال مافعل فاكملوا إلى الصباح وعادوا بعد رحيل غيلان وأصحابه والروم اللئام إلى مكان الوقعة فوجدوا مذبحون ملقى على الأرض سطيح

والدم حوله يسيح وهو غرقان فى الدماء وهو فى عدد الأموات ورأسه نصفين كما تقدم (قال الراوى) فتقدم اليه الغلمان ليأخذوه وفى التراب يواروه فوجدوا الروح تتردد فيه فقالوا لعل الله تعالى يحييه فقطعوا جرحه وشدوه وحملوه وساروا به يطلبون النجاة (قال الراوى) فلما انفصلت الواقعة واحتوى غيلان وأصحابه السودان إلى خيام بنى كلاب أموالهم وأسلابهم اجتمع بالروم وسألهم عن سبب عودتهم اليه فاخبروه أن الشيخ النجيح أرسلهم إلى مساعدتهم لأنه خاف عليكم من بنى كلاب فقال غيلان ملا تخافون علينا منهم ولو كانوا أضعافهم فشكر الروم على فعلهم وقال لاعدمنا المسيح همة الشيخ النجيح (قال) وسار غيلان وأصحابه السودان قاصدون إلى عسكر الروم ومازالوا سائرين حتى وصلوا اليه والتقاهم الشيخ النجيح عقبه اللعين وهناهم بالسلامة وشكر غيلان وأصحابه وقال له أحسنت ياملك السودان وفارس العصر والأوان وأخلع عليه خلعة سنية وأجزل له فى العطيه وكذلك فعل بسائر السودان لأنه اللعين ملك بيده أمر الروم أجمعين وهو الحاكم عليهم والمتصرف فيهم وليس لأحد منهم له معه كلام وقد تقدم ذكر ذلك (قال الراوى) فعندها دفع غيلان إلى عقبه القرنان الأميرة ذات الهمة وأبا محمد البطال والغليم شروه الديلى فدفع له عقبه نظير ذلك خزانة مال فيها عشرة آلاف دينار وقطب عقبه جرح الأميرة ذات الهمة وحملها معه هى والبطال ليصلبها على باب الذهب كما يقولون عليه انهم يصلبوه على هذا الباب فمقصود الملعون ونيته افساد ماهم معولين عليه المجاهدين الأبرار وتكذيب رؤية سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ولا يعلم بأن الله لا يخلف الميعاد وان رسوله لصادق أواب فساروا الروم طالبين بلادها وهى تنهب رستاق بلاد الاسلام وما زالوا كذلك حتى قطعوا أرض نصيبين وساروا فى أرض دنيس القديمة واذا هم بغبار من خلفهم قد ثار وعج فى الأقطار حتى أظلم منه النهار فانكروا ذلك الملاعين غايه الانكار وقال عقبه ابن مصعب ألقاد الله بكل آفة وعطب لا شك أن الأمير عبد الوهاب قد قام من أرض الحجاز وهذا غبار عسكر بنى كلاب وسودانه الأنجاب واليوم ينزل بالقوم العذاب الاليم وهذا يكون على الروم أيشم الأمور فانظروا لأنفسكم كيف تكونون وماذا تفعلون واكشفوا لنا خبر هذا الغبار وأوقفونا على حقيقة الأخبار (قال الراوى) فعندها ضحك غيلان لما سمع من عقبه هذا الكلام وقال له الشيخ ما أراك الا فزعان من جمعه العربان أقف مكانك وانظر منى العجب العجاب ومن هؤلاء السودان الأنجاب فى حق هؤلاء القادمين ما يحير فيه الأنس والجن أجمعين ويتحدث به بعدنا جيلا بعد جيل فقال عقبه القرنان المسيح

يشد أزرك ويقوى ظهرك فانت سيف المسيح وعمدة الشيخ النجيح (قال الراوى) فتأهبوا الملاعين ووقفوا ينظرون إلى الغبراء ساعة من النهار حتى مزقته الرياح باذن الملك الفتاح وظهر من تحته بيارق وبنود وأعلام بيض وسود مكتوب على السود بالبياض وعلى البيض بالسواد الكلمة الخفيفة على اللسان الثقيلة فى الميزان الذى من قالها نجى من عذاب النار ومن زاغ عنها وتركها ضل وغوى وهى لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله وسلم وعلى آله وأصحابه الكرام وكتب على بعضها نصر من الله وفتح قريب (قال الراوى) وظهرت المسلمون مهللون مكبرون رافعون أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشر النذير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبانت الكتائب والمواكب للنظار ورأوهم الملاعين بالابصار وظهر أمير المؤمنين المعتصم بالأعلام الخليفيه والرايات العباسية وقد أضاف إلى عسكره المهزمين الذين انهزموا من عسكر بنى سليم ومن عسكر بنى كلاب والسودان الانجاب وغيرهم ممن كانوا مع الأميره ذات الهمه لأنهم وجدوا المعتصم سائر اليهم لكى يلحقهم لأنه كان قد أقام فى المكان الذى فارقته فيه الأميرة ذات الهمه بعد فراقها يوما كاملا وهو منتظر قدوم العساكر الوارده ومن الغد أوصل اليه العسكر الذى كان فى انتظاره فرحل به طالب الأميره ذات الهمه فلما وصل برقعيد لقيه غلمان الأمير أبو محمد البطال ومعهم مذبحون وأخبروه بجميع الذى جرى من القصه الذى جرت من غيلان الملعون المفتون وما فعل من الغدر والمكرهو والسودان الكلاب فضاق صدر الخليفة لذلك وعيل صبره وجد فى مسيره خوفا من تعويقه فالتقاه ضيغم بن الأمير الاجل عبد الوهاب سيد بنى كلاب فى جماعه من المنهزمين وشكى اليه ما أصاب المسلمين من غدر غيلان وأصحابه الملاعين الطغاه فاشتد الأمر على الخليفه المعتصم وسار يقطع البرارى والقفار ويوصل سير الليل بالنهار حتى لحق الروم الكفار فى هذا المكان المقدم ذكره هذا وضيغم فى أول الناس وقد اشتد به البأس وعول أن يلتقى غيلان ويأخذ منه تار من أهل الايمان ولما تقابل الجمعان من المسلمين أهل الايمان والروم أهل الطغيان فارتفعت أصوات المسلمين بتوحيد الملك الديان الذى لا يشغله شان عن شان وصاحت الروم الملاعين أهل الطغيان بكلمة كفرهم وتابعهم غيلان رماه الله بالوبال والعذاب والخذلان ومن معه من الأصحاب من الكلاب السودان (قال الراوى) فلما نظر عقبه إلى ذلك على الملك الفالوغص محفة وسيره فيها إلى القسطنطونيه وبعث معه ملك الأرمن فى عشرة آلاف فارس من عسكره فانه قال لهم ماندرى ما يكون منا ومن المسلمين والملك على هذا الحال فسيروا به إلى سرير ملكه واجمعوا له الأطباء ولاطفوه وأنا أدبر هذا

العسكر إلى حين وصوله إلى القسطنطونيه فاستصوبوا رأيه وأخذوا الفالوغص وساروا وركب عقبه ووقف تحت صليبهم الأصفر وعليهم الأخضر وصار اليـــه تدبير العسكر (قال الراوى) ونزل المعتصم وما تعرض للقتال ذلك اليوم ولما أصبح الصباح ركبت الطائفتين فى طلب الكفاح وشرعوا الرماح وأحبوا الحملة على بعضهم البعض فمنع ضيغهم المسلمين من ذلك واستأذن الخليفة فى الخروج إلى البراز فأذن له فخرج إلى الميدان لما فى قلبه من غيلان الشوك وهو على حصان معد للطعان وعليه درع زرد لا يعمل فيه الصارم المهند وجال ضيغم فى الميدان وانشد

أرجو من الخالق أسباب الرضا ✿ ولا يكون فى الميعاد معرضا
والتقى القرن بقلب صابر ✿ على القتال عند تحقيق القضا
لا أختشى الأبطال فى هياجها ✿ يوماً ولو كانوا كعقبان الفضا
إنى أحب الله جل اسمه ✿ والهاشمى ثم على المرتضا
دونكم الحرب فقد دعوتكم ✿ وخاب من كان لكم محرضا

(قال الراوى) وما فرغ ضيغم من شعره حتى برز إليه واحد من السودان كأنه شيطان مريد أو زبر الحديد وله عينان تتوقد كالجمر وفى يده سيف كأنه درابة باب لو وقع على جمل قده أو جبل هده وحمل على ضيغم فاستقبله ضيغم بقلب حنق وفؤاد محترق وجالا طويلا وعلا عليهما الغبار وغابا عن الأبصار هذا وضيغم قد همهم ودمدم وضرب خصمه بالسيف على عاتقه أخرجه يلمع من علائقه فلما نظر غيلان الشوك إلى ذلك انقلبت عيناه فى أم رأسه وزعق زعقة نفرت منها الخيل وانقض على ضيغم انقضاض السيل وأخذ فى الالتصاق والافتراق وامتدت نحوهما الأعناق وطلع عليهما الغبـــار وغابا عن الأبصار وعجب من شجاعتهما الحصار ومضى عليهما أكثر النهار وهما فى طعن يهدو ضرب يقد وحمى على أبدانهما الحديد وذل لفروسيتهما كل فارس صنديد وثقل على أبدانهما الزرد وهابهما كل أحد فعندها وقف غيلان عن قتال ضيغم سيد الفتيان وصار كل واحد منهمـا ينظر إلى صاحبه وأقبل غيلان على ضيغم وقال له ويلك ياضيغم عد عن قتالى فما أحب أن يكون قتلك على يدى لما لجدتك ذات الهمة على من الفضل ولولا خوفى منها من أجـــل ميمون الجماس ما فعلت بها ما فعلت لأنى ما وصلت إلى هذه الرتبة التى أنا فيها اليوم إلا من سبب ذلك لأنى لما هربت من مولاى مـــلك الحبشة ووصلت أرض الحجاز فصرت أقطع فيهـا الطريق وأحون السبيل وأقمت على ذلك مدة أيام فمرت بى جدتك فى جماعة من أصحابها نحو خمسين فارس وهم قاصدون الحج من أرض بنى كلاب

ومعهم جمال ودواب فلما رأيت ذلك خرجت عليهم وأنا عريان وفى وسطى تبان وأنا راكب حصان واعترضتهم لأجل ما معهم من المال وماكان لى بها معرفة فلما رأتنى أمرت بعض أصحابها بالخروج إلى والهجوم على وهى جاهلة بمكانى فما كانت إلا ساعةحتى أخذت من أصحابها جماعة فلما رأت جدتك ذلك حملت على ومدت يدها إلى فلما قاربتنى أقبلت على ووعظتنى وقالت لى يا هذا ما الذى حملك على تعرضك للمسلمين حجاج بيت الله الحرام وزوار قبر النبي عليه الصلاة والسلام فأنت الساعى فى تلاف نفسك وذهاب حسك فارجع إلى الله من قريب فهو السميع المجيب فقلت لها وأنا أحبها رجلا دع عنك هذا الكلام واتركوا ما بأيديكم من الحطام وانجوا بنفوسكم سالمين قبل أن تصبحوا على فعالكم نادمين فأنا ما مر بى فى هذه الأيام أحد وما أترك نوبتى هذه ترجع خائبة ولابد لى من أخذ ما معكم من المال فقالت لى ويلك والله أنت ما تعرفنى ولو عرفتنى ما قمت فى هذا المقام ولا وقفت فى موقف الخصام فقلت من أنت فقالت أنا فاطمة بنت مظلوم بن الصحصاح أمير ثغور المسلمين والسادة المجاهدين أم الأمير عبد الوهاب سيد بنى كلاب والسودان الأنجاب فاترك عنك قطع الطريق واصحبنا فى الجهاد وكن رفيقاً مع الرجال الأجواد فتكتب فى ديوان المجاهدين فى سبيل رب العالمين وما زالت تعظنى حتى لانت جوارحى وخشع قلبي ورجعت إلى الله من قريب ورافقتهم إلى الحج وأطلقت ما كنت أسرت من الرجال ولما فرغنا من الحج عدت معها إليكم لحى بنى كلاب وأقمت عندكم هذه المدة ولما تجهزت الأميرة فى هذه البلاد فجئت معها وفعلت بين يديها الديلم ما فعلت وما شوش على إلا قتل ميمون الجماس فلا كانت ساعة قتلته فيها وما كان سبب سعادتى ووصولى إلى ما أنا فيه إلا جدتك ذات الهمه فأنا اليوم ملك بنى حام شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً وسوف تظهر دولة السودان على كل إنسان فانصرف عنى وقد وهبتك نفسك وجدت عليك بروحك لأجل جدتك ولولا خوفى منها أن تطالبنى بميمون الجماس ما كنت فعلت معها ما فعلت ثم أنشد يقول :

أضيغم قد نصحتك باعتقادى * فدع هذا التغافل والتمادى
غدا لقيتهم عريان شيخا * بوادى القرع أكرم ذاك وادى
وصيرت الرماح بلا رؤوس * وعدت إذا إلى طلب الجهادى
وسوف ترى هماماً قسوريا * هزبراً من بقية قوم عادى
فقد سعدت بى السودان لما * علت فى الأرض رايات السوادى
وولت دولة البيضان لما * رأيتهمو كأغنام البوادى

سأملك سائر الأقطار حتى ترى السودان فى كل البلادى
ويكثر رسلنا حتى يرانا كأنا مثل عانات الجرادى
فعد يا ضيغم فالنصح أفضل ولا سيما على أهل السدادى
فذا الهمه قضت ومضت وزالت فلا تطمع فإن العمر عادى
أخذها راهب للقوم يدعى بشيخ نجيح فى هذى البلادى
وما أدرى هدت أم هى توفت ومعها أشقر خلف الفسادى
فان تك راجعا تلقى نجاحا وان تك واقفا تلقى الحدادى

(قال الراوى) فلما سمع ضيغم شعر غيلان علم أن الأميرة أسيرة وأنها مجروحة وان أبا محمد معها وان غيلان احتوى عليهما وأعطاهما لعقبة الرجس المهين ولا يدرى ما كان منهما لأن غيلان ذكر فى شعره ذلك فصاح ضيغم ياعدو الله وعدو نفسه دع عنك هذا الهذيان فما أنا ممن يطمع فى غدره فدونك والطعان ياعبد الخنا ويا ولد الزنا فلما سمع غيلان كلام ضيغم انقلبت عيناه فى أم رأسه وتغيرت جميع حواسه فخرج كالبرق الخاطف أو الريح العاصف وصاح وهدر وطغى وتجبر ثم أنشد يقول

أضيغم قد أتاك أبو الظلام همام سيد نسل الكرام
ولونى مثل لون الليل أدهم كذلك من يلى من نسل حام
أنا المعروف فى كل البرايا غداة النقع فى يوم الزحام
حلفت براهب القوم النصارى وشيخهم النجيح بلا ملام
وحق صليبهم وجميع ماقد يقول وهو صدق الكلام
لا يهبنكم بالسيف ضربا ولا أبالى من القوم اللئام
أنا غيلان قد فقت البرايا بضربى والخداع بكل عام
سأملك أرضهم جمعا إلى أن أرى قومى ونفسى ذى تمام
وأملك بعد ذلك مصر حقا إلى أرض الجزيرة والشام
ولا أبقى على أحد يضاهى لنا فى الدهر غير أبناء حام
ويكثر عسكرى ويزيد قومى وأمسى مالكا كل الانام

(قال الراوى) فما سمع أحد من المسلمين هذا الشعر إلا لعنه ودعا عليه وحمل على ضيغم بعد شعره فاستقبله ضيغم بصــدر رحب وقلب صلب وكان الأمير ضيغم قريب الشبه من والده الأمير عبد الوهاب وكان يقاربه فى العبادة والدين وكان كثيرا يتمنى الشهادة فى سبيل الله فحمل على غيلان بقلب صافى لا يريد إلا الله تعالى

فكانا يتهامران كأنهما أسدان فكانا تارة فى الميمنة وتارة فى الميسرة وعلا عليهما الغبار وغابا عن الأبصار ونظر غيلان من ضيغم مالا رآه من انسان فى طول دهره وكان الملعون خداعا مكارا كثير الشر والفساد فقال لضيغم أيها الأمير قف قليلا حتى أحدثك بما رأيته الساعة فقال ضيغم ماالذى رأيته فقال رأيت شخصا الساعة لم أرى أهول منه منظرا وقد نزل من السماء وقال لى ويلك أما تستحى من الله تعالى أن تقاتل الصوام القوام المجاهد فى سبيل الله الملك العلام الحاج إلى بيت الله الحرام الذاب عن ملة النبى عليه أفضل الصلاة والسلام فارجع عما أنت عليه وتب إلى الله تعالى مما وقع منك وإلا نزل بك العذاب وحل بك العقاب وأنا قد وقع فى قلبى هذا الكلام وأريد أرجع إلى الله من قريب وأتوب على يدك وأعوذ لدين الاسلام على شرط تأخذ لى الأمان وأنا أعمل الليلة على خلاص الأميرة ذات الهمة والبطل الضرغام أبو محمد البطال ونكيس الروم فى الظلام ولكن أريد منك تهرب بين يدى ليتم لى ماأريد أن أعمله مع الروم (قال الراوى) فلما سمع الأمير ضيغم مقالة غيلان علم أنه يريد يخدعه بهذا الكلام ومتى ولى عنه طعنه فى ظهره فقال له يا كلب السودان تريد تخدعنى بهذا الكلام وتنال منى المرام وأنا جرثومة الخداع فدع عنك الهذيان ودونك والطعان فقال ياأمير ضيغم أنا ماقلت الا حقا وان لم تصدقنى فالله تعالى يصدقنى فقال ضيغم امضى أنت قبلى إلى عسكر الروم وأنا أمضى بعدك إلى عسكرى فقال غيلان أنا أفعل مارسمت ولكن أعطينى يدك قبل مضيك أنك لا تغدر بى ولا تمكن أحدا منى وأنك تأخذ لى أمان الخليفة وأنا الليلة أخلص الأمير ذات الهمة وأبو محمد البطال وتكون أنت وقومك على يقظة فاذا سمعت الصياح تثور إلى مساعدتنا فانتم إذا عاهدتم لا تغدروا (قال الراوى) فلما سمع ضيغم هذا الكلام فقال لعل الذى خطر فى نفسى يكون باطلا فاحترز لنفسه (ياسادة) وتقدم إلى غيلان وقال هذه يدى لك على ما ذكرت ومد يده إلى غيلان فلما صارت يده فى يد غيلان وتمكن منها صاح غيلان صوتاً نفرت منه الخيل فى أماكنها والقلوب من مواضعها فصار من ضيغم يا سادة صوتا أعظم منه لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقابضا باليدين وتعاركا على الجوادين حتى خدرت الساعدين وتطاولت إليهما الفريقين وشخصت نحوهما الأحداق وتعلقا بالأطواق وكثر منهما الصياح والزعاق وبلى كل واحد منهما بما لا يطاق ولم يزالا يتعاركان حتى سقطا عن الجوادين إلى الأرض فاما جواد ضيغم فانه خرج من المعمعة يرعد حين وقع على الأرض وأما جواد غيلان وقع ميتاً وهذه غاية القوة ولما صاروا على وجه الأرض سعى بعضهما على بعض وتعاركا على الأديم وعجب منهما الناس

واشتد الناس فصاح غيلان بضيغم صيحة أعظم من الأول ودخل تحته ورفعه وجلد به الأرض كاد أن يدخل بعضه فى بعض فعندها صاح عقبه بالسودان وقال أدركوا صاحبكم غيلان قبل أن يحملوا عليه بنى كلاب ويصلون اليه ويخلصون ضيغم من يده فتبادرت اليه السودان كانهم جن سليمان وكانوا أسبق إلى غيلان وأخذوا ضيغم أسير واشتد القتال وعظمت الأهوال وصار عقبه ينادى ياأهل دين عيسى ومريم دونكم والقتال هذا اليوم تشهد لكم فيه الحواريون واعلموا ان تم على غيلان أمر فانتم بلا محاله هالكون ولا تقوم لكم بعدها قائمة (قال الراوى) وكان الروم اذا سمعوا هذا الكلام من عقبه يرمون أنفسهم على الهلاك ولا يبغون من ذلك لها فكاك وأرمت الروم والافرنج والزغاورة واللان والمغلبيط واليونان والروقسيس والصقلب والبلغار والأرمن والبنادقه وبقية فرقهم الطاغية المارقه ومازال الناس فى صدام وصياح وازدحام وقبض مهج وانتقام حتى أقبل الظلام وولى النهار بالابتسام وناد المنادى بالانفصال والرجوع عن القتال وبات المعتصم فى هم عظيم وفكر جسيم مالا تحمله الجبال وقال لقد كنت أتمنى أن أكون بعد فى البصرة والديلم قد ملكوا العراق ولا اشتفوا من الأميره المجاهده أهل النفاق لاحول ولا قوه الا بالله العلى العظيم ثم جمع أرباب دولته وقد قامت الدنيا وقال قد عولت على شىء أصنعه فقالت له أرباب الدولة وماهو يا أمير المؤمنين قال أريد أن أكبس العساكر فى هذه الليله وأبذل المجهود فى طاعة الملك المعبود فكونوا على يقظة حتى يهدى الليل ونتفرق ميمنه وميسرة ونطلب المعونه من الله فقالوا والله مافينا من بات هذه الليلة الا وهو من التعب فى أمر عظيم فقال ياقوم من أراد الآخرة وجنة المأوى صبر على ملاقاة الاعداء وطلب النور والغفران غدا أليس أعدائكم بهم من التعب مثل ما بكم وقد نالوا الذى نالكم وأنا أول من يحمل وعلى الله نعول فقالوا ياأمير المؤمنين افعل مابدالك فكلنا تابعين فعالك فعندها أوصى عمرو بن عبيدالله وبنى سليم أن يكونوا على أهبة وكذلك أوصى الاتراك والاكراد فما فى القوم إلا من قال السمع والطاعة لله ولك ياأمير المؤمنين ثم خرج كل أمير إلى أصحابه فأخذهم وصار إلى المكان الذى عين لهم (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عساكر الروم فان عقبه لما عاد أحضر غيلان وقال له ياولدى أن قلبى كان معلق بك لما كنت مبارز الأمير ضيغم وأنا الذى أمرتهم أن يحملوا لآجل خلاصك فضحك غيلان من كلامه وقال وحياتك أيها الشيخ النجيح لو كنت رأيت الغلبة لكنت رأيت خصمى تحت رجلى وقاتلت أهل الأرض وهم لا يقدرون يزولونى عنه فدعا له عقبه وفرح بمقاله كل الفرح وأمر الروم فحملوا ضيغم إلى الأمير أبو محمد البطال والاميره ذات الهمة فلما دخلوا به

عليهما و نظروه بكيا على الاسلام فقالوا لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم الساعة بقيت العساكر مثل الغنم بلا راعى ولكن الله يحفظهم وأمير المؤمنين راعيهم وما يقعد عنا ثم سألوا الأمير ضيغم عن الحال لحدثهم بما جرى على الناس فى الكرة الأولى وما جرى له مع غيلان الشوك فقال أبو محمد والله ان انكسر المعتصم فى هذه النوبة لا قام الاسلام بعدها قائمة لأننى قط ما رأيت للروم عسكر مثل هذا العسكر وقد انضاف غيلان إليه ومعه هؤلاء السودان الذى جمعهم الأمير عبد الوهاب طول الزمان وقتل ولدى أنا بلا تار حتى أن الأمير عمرو بن عبيد الله يرضى ويعمله أمير المؤمنين أمير الأمراء فلما سمعت الأميرة ذلك قالت يا أبو محمد كان ذلك فى الكتاب مسطوراً فدع عنك الملام فقد قضى الله بما أراد وكل مقدر كائن فاحزن أنت الساعة على نفسك وعلى الولد الذى فقدته ما رأيته وهو الحصين الذى أخذته عاقبه من زوجتك نورى وما عاد طلع له خبر (قال الراوى) فبكى أبو محمد البطال لما سمع هذا المقال ورجع بشكواه إلى الملك المتعال (يا سادة يا كرام) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عقبه فانه أخرج البدنة الجوهر التى كانت للملك الفالوغص من صندوقها وهى بشرائط الذهب والفضة محبوكة كلها باللؤلؤ الكبار وقطع الجوهر المثمنة وفى صدرها مرآة جوهر تأخذ بالبصر وكان الملك إذا لبسها يسطع نورها فى شعاع الشمس فتأخذ بالأبصار ويغلب ضوءها على النهار وتسوى ملك الأقطار فقالوا ملوك الروم لعقبة لما أخرجها على ماذا عولت قال أعطى هذه البدنة إلى غيلان الشوك على وجه العارية إلى أن يهدى الملك وأعود آخذها منه ولا تعرفوا هذا إلا منى وان مات الملك فهو أحق بها لأنه الضارب فى وجوه أعداكم بالحسام ومبيد عساكر الاسلام وماقصدى هذا إلا لعلى ألعب بعقله فيدخل فى دين النصرانية ثم دعا به اليه وألبسه اياها وعمل على رأسه عصابة جوهر فبقى كانه جاموس اسود وعليه جوهر يتلالأ فلما أبصر ذلك الجوهر كاد أن يطير عقله وقد طاش لبه وباس يد عقبه وقال له ماأدرى شىء نكافئك فقال عقبه ياولدى ما أريد منك مكافأة وإنما أريد لك الحياة والخلاص والنجاة ثم اعلم أننى إن عاش الملك جعلتك سيفه وخليفته على أنه أيضاً يقاربك فى الشجاعة وإن مات فأنت الملك وأنا أجعلك مكانه وأجعل السودان ملوك القسطنطونيه التى هى حسرة الخلفاء الإسلامية ومع ذلك فقد وقعت محبتك فى قلبى وأنا أريد أنصحك فقال غيلان يا مولاى فأنا ما أخالفك فقال أول ما أقول لك أنك لا ترجع تقول لى يا مولاى لأنى ما أعرف مولاى غيرك والبيض هم العبيد ولا بد لى أن أخرج نسب السودان وأقيم البينة والدلائل على أنهم ملوك البيضان وإنما البيض أخذوا الكتب القديمة وغسلوها حتى تخفى أنسابكم

وتذهب أحسابكم فقال غيلان نحن نعلم أننا أولاد زنا فضحك عقبة وقال أنتم عند المسلمين أولاد زنا وأما عندنا فلا لأن الحرام والحلال عندنا نكاح وهو شيء فى مذهبنا مباح والخلق قد تزوجوا فى القدم بعضهم ببعض فما تحتاجون إلى زواج ثانى ولا شهود ولا كتب وأنا أقول لكم أننى كنت قاضى المسلمين وأنا أحب الناس إلى الخلفاء لأجل علمى وأنا عندهم بمنزلة عظيمة يا ولدى أنا عقبة بن مصعب ولعلك قد سمعت بى وما رأيت مع علمى دين الحق إلا دين النصرانية ومذهب المسيحية على أننى أحفظ القرآن بكل رواية اختلفت أئمة المسلمين فيها ثم اقرأ الانجيل وجعل يقرأه ويفسره ويبكى حتى لعب بعقل غيلان وقال له أنا ما أختار دين غير دينكم وأنتم أوفر منى عقل وأخبر منى بكل علم فلما سمع عقبه كلامه فرح وخلع الزنار من وسطه وحطه فى وسط غيلان وقبله بين عينيه وسمعوا السودان كلهم هذا الكلام فقال بعضهم لبعض معلوم أننا ما نريد دين تكونوا فيه اولاد زنا ولا عبيد وكلنا نفعل مثل غيلان وما بقى لنا وجه إلا لهذه الجهة ثم اتوا كلهم إلى بين يدى عقبه وتنصروا وشدوا الزنانير وتبروا من دين الاسلام وكان أول من وثب اليه غيلان وبايعه على ذلك وكذلك سائر السودان فخلع عقبه على الجميع وقال للملوك من كان يريد مرضات المسيح يحسن لهؤلاء (قال) فحملوا إليهم البطارقة والملوك أكثر من عشرين ألف ثوب ديباج ومناطق وصلبان فلبسوا السودان زى الروم فقال غيلان هذا ما فعلناه وما أمرتنا به امتثلناه فقال عقبة ما أريد منكم إلا كسر هذا العسكر الذى بين أيدينا حتى نعود إلى بلادنا فقال غيلان يا مولاى هذا أمر هين وأنا أفعل لك فعل يكون أول بركة دخولنا فى دين المسيح فقال عقبه وقد امتلأ قلبه وطار فرحاً ومرغ وجهه على الأرض وقال وابردها على كبدى ما قلت قطان خواص ذواص ذات الهمة وعبد الوهاب أراهم قدامى مثل العبيد والغلمان وقد شدوا الزنانير فى أوساطهم وعلقوا على صدورهم الصلبان وصاروا من جملة الأعوان هذا وحق الصليب الذى وعدنى به المسيح ثم قال على ما ذا عولت فقال إذا كان نصف الليل أكشف رأسى أهجم على عسكر الخليفة أنا والسودان والأفرنج لا غير لأن الروم مالهم شجاعة وما أريدهم يكونوا معنا بل يكونوا على الخيام فقال عقبة الأمر لك من رأيت أنت أنه أهلا للمسير فأمره بأخذ الأهبة إلى نصف الليل حتى تنام العيون ثم جمع سائر الملوك وأوصاهم بما يفعلون وأراد الملعون يغيظ الاميرة ذات الهمة فأحضرها وأحضر أبو محمد وضيغم وجلى عليهم السودان فى الحلل والصلبان فورد على قلب الاميرة النار فقالت يا ملعون هذا مناك وقد نلته فى دنياك وهذه والله علامة هلاكك وقتلك لان ما بعد الاغراض والزيادة إلا النقصان فى

الارادة وسوف تندم يا ملعون إذا حققت الحقائق وسألك الرب الخالق فضحك عقبه من كلامها وردها ومن معها إلى مكانهم وكانوا قد سمعوا كيف يريدون يكبسوا عساكر المعتصم فقال الأمير أبو محمد قد عولوا على كبسة المسلمين فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقالت ذات الهمة فى الله كفاية وله بدين الاسلام عناية ولما تنصف الليل زحف المعتصم من جانب العسكر الذى للروم ميمنة وميسرة وزحف غيلان نحو القلب الذى للمعتصم وما عنده خبر أن عساكر المعتصم قد أخذت ميمنتهم وركبت أيضاً الروم تبعاً للسودان وقالوا ان هؤلاء القوم خرجوا وهربوا إلينا ودخلوا فى دين النصرانية لأجل ما تقدموا عليهم البيضان ومالنا إلا أتباعهم فقالت الأفرنج لملكهم أيها الملك نحن لا نرضى لأنفسنا بالهوان وتركنا نطيع هؤلاء السودان وأنت تعلم أن الفالوغص قد مضى وأشرف على الموت وما هو سليم فقم بنا حتى نسير إلى مدينة القسطنطونية ونملكها وان أطاعونا الروم وإلا ضربنا رقابهم بالسيوف وان جمعوا أمراء أقاليمهم وحاصرونا أنفذنا إلى المسلمين وسلمنا اليهم القسطنطونية النار ولا العار فقال الملك ياقوم فهنا شىء آخر وهو الصواب فقالوا وماذلك فقال اعلموا ان هذا كله ما كان إلا من الشيخ النجيح حتى يبلغ غرضه من المسلمين وما عمله نصرة للدين لأنه لا يبالى بمن تقدم أو تأخر ولا يريد إلا اهلاك أعدائه ودع يهلك كل من أراد من المسلمين أو من الروم أو غيرهم والصواب انكم تأخذون الأهبة ونصبر حتى نسمع صياح العسكريين واختلاطهم وإذا علمنا أن السودان والروم قد اختلطوا بالمسلمين حملنا نحن وأخذنا خزائن الملك ومافيها من الأموال لأننا أحق من غيرنا ونأخذ عقبه ونقتله أشر قتلة حتى لا يرجع أحدا من القسوس يتكلم فى حق الأفرنج كلمة رديئة فقالوا أصحابه هذا هو الصواب ونأخذ معنا أيضا أمراء المسلمين ذات الهمة والبطال وضيغم وإذا نجـــونا بهم بعناهم نفوسهم بالأموال العظيمة أو نضرب رقابهم حتى نكون قد أرضينا المسيح ويغفر لنا ما فعلنا من قلة الشيخ النجيح فقال الملك اعلموا ما بدا لكم وتأهبوا لقتالهم حتى تبلغوا آمالكم (قال الراوى) فعادت مقدمين الافرنج والخياله فأعلم كل واحد منهم أبطاله ورجاله فركبوا وتأهبوا ولبسوا الزرد واعتقلوا بالقنطاريات وتنكبوا وما استقروا على ظهور الخيل حتى سمعوا الصياح فى جوف الليل والجبال كادت أن تنقلع من نخومها والسماء قد احتجبت بنجومها والعساكر بعضها على بعض قد انطبقت والرجال على الرجال قد ترافعت والمواعيد قد حققت والسيوف على الدرق قد تحققت لأن الكل على أهبة القتال وما فيهم الا من يريد يكبس صاحبه فانظر (ياسادة) وكانت السودان قد قصدوا خيام الاسلام وتبعتهم الروم اللئام ونظر المعتصم إلى ذلك فكبر وحملت عساكره من الجانبين واختلطت الجيوش

مثل طرفة العين ووقع الاندهال والاندهاش فى عبدة الصلبان وقد عولت على الهرب ولولا ثبات السودان وقد صاح هم فى أوائلهم غيلان وفتك فى موا كب أهل الايمان فوقع الخطأ والصواب ولم يعرف الروم من الأعراب وتعثرت الخيل بأوتاد الخيام والاطناب وماجت الكتائب كما يموج البحر العجاج وشاب من هول تلك الليلة الشباب وكانت الاشارة من المسلمين توحيد رب العالمين وضجت المشركين بعيسى ابن مريم وكفرت بمن أنشأ الأمم وأوجد الخلق من العدم (قال الراوى) ولما نظرت الأفرنج إلى السيوف تلمع والرؤوس تقطع والصباح قد ارتفع وخرجت الافرنج على من تبقى فى الخيام من البطارقة وأخذوا خزائن الملك وعقبه شيخ الضلال وذات الهمة وأبو محمد البطال وضيفهم والغليم شروه الديلمى لأن عقبة قد أعرض عليه التنصر فأبى وقال ما يميل قلبى إلا إلى دين الاسلام فشده وتركه عند الأمراء وكان البطال كلما رآه حنت جوارحه اليه وهو لا يعلم باطن ذلك ولما أخذهم الملك الافرنج شد الكل على الخيول وعقبه يستغيث بالمسيح وهم يعاقبوه ويصفعوه على فعله معهم ويوافقوه على فعاله والملك ينادى فيهم ويلكم جدوا فى المسير حتى نقطع بلاد الاسلام مادام ان الروم مشتغلين عنا فتبادرت الافرنج تركض وكان قد تغيرت أحوالهم وغير كل واحد منهم جواده وركبوا الجميع ولم يزالوا كذلك حتى أصبح الصباح وقد صار بينهم وبين العسكر مدة بعيدة ولم يزالوا كذلك ولم يطلبوا راحة وعقبه قد انفطرت مرارته ودامت حسرته وجعل يقرأ طول الضرب الانجيل لعلهم يرحموه فلما سمعت الافرنج نفاقه جعلوا يلطموه والغليم شروه يضحك عليه ويقول له ياشيخ ما أرى علمك عند هؤلاء الا مقبول وان دمت على تلاوتك لهم الانجيل تركوا قفاك مثل الطبول فجعل عقبه ينظر اليه ويتحسر ندما عليه كيف ماقتلوه والأمراء يضحكوا على كلامه والبطال يقول كنت أشتهى من الله تعالى أن يسهل لنا الخلاص ويكون هذا الغليم معى حتى أتسلى به عمن ذهب لى من الأولاد هذا والافرنج سائرين يقطعون الأرض حتى خرجوا من أعمال بلاد المسلمين وصاروا فى أوائل أقاليمهم ورفقوا على أرواحهم بالمسير وصاروا يسيرون من النهار ساعة وينزلون لأن دوابهم اشرفت على العطب من شدة التعب فلما كان فى بعض الأيام قد نزلوا فى مرج كثير العيون والمنابع يعرف بمرج الوقاح وعنده تختلف الطرق إلى بلاد الروم وانهم لما نزلوا قال الملك لخيالة الافرنج قد عولت أصلب الشيخ النجيح فى هذا المكان لأجل أنه مفرق الطرق إلى سائر البلدان حتى يعتبر به كل انسان وكل بطريق ومطران ولا يرجع منهم أحد يدخل فيما لا يعنيه لأن هذا الشيخ أفنى أمة المسيح مما يسيرهم الى بلد الاسلام وان عاش قليل أخلا سائر

الاقاليم فقالوا أيها الملك ان فعلت ذلك أصلب معه شياطين المسلمين حتى تذكر بهذا فى كل حين ويرضى عنك المسيح والحواريين فقال الملك هذا هو الصواب اعملوا الأخشاب وأصلبوا الكل بالحبال واطعنوهم بالقنطاريات الطوال (قال الراوى) ولم تكن الاساعة حتى نصبت الأخشاب وقدم السيخ عقبه وهو يصيح ويقول واذلة ملة المسيح بعدى هذا والأمراء ضجوا بقراءة القرآن وقالوا أهلا وسهلا بلقاء الرحمن والافرنج قد عدلوا على رفعهم على الأخشاب وإذا بغبار تار وعلا وسد الأقطار وهو يقرب على عجل فلما رأى الملك ذلك انذل وقال لأصحابه توقفوا عن هؤلاء حتى ننظر ما الخبر وما سبب هذا الغبار الذى قد ظهر فلم تكن الا ساعة حتى انجلى الغبار وظهر للابصار وإذا بهم كلهم سودان على خيول مثل العقبان ويقدمهم غيلان كانه الأسد الغضبان وقد انعكفت على رأسه الرايات والصلبان (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن ملك الافرنج لما ملك خيام الروم وسار وترك القوم فى القتال مقابل المعتصم والكبسة التى ذكرناها وغيلان وسودانه معهم ودام القتال بين الطوائف حتى طلع الصباح وقد جرى الدم وساح وملوا من ضرب الصفاح ورجعت الروم إلى خيامها فوجدوها خالية من الرجال فارغة من الأموال فطلبوا عقبه فما وجدوه وملك الأفرنج فقدوه وقالوا وحق المسأح لقد غدرت بنا الأفرنج ونهبت أموالنا وقتلت رجالنا وإن أقمنا هلكنا وربما رجعت السودان إلى عساكر الإسلام ونفنى كلنا بالحسام فركب كل واحد هواه وطلب بلاده وأقرباه وهو لايصدق بالنجاة من الوفاة ونظر المعتصم إلى ذلك فقال لاصحابه وحق محمد المصطفى داهية قد نزلت على الروم وهذه عناية من الحى القيوم فاحملوا يامعشر المسلمين على أهل الكفر والضلال فهذه ساعة الإنفصال وتجلدوا ساعة على القتال وقد بلغتم الآمال ولعلنا نخلص ضيغم وذات الهمة والبطال وإن كانوا بعد فى الحياة فلما سمعوا المسلمين ذلك صاح كل منهم برجاله وحملوا حملة صادقة وقد أزعجوا الأرض بالتكبير والصلاة على محمد البشير النذير ونظر غيلان إلى ذلك فصاح بالمنتصرة وقال ويلكم أثبتوا للقتال ولاتحدثوا نفوسكم بالهرب والفرار فيأخذكم السيف من سائر الآفاق ولا يمسى المساء وقد بقى منكم ديار ثم حمل فى أوائلهم مثل الشيطان وحملت وراءه السودان ودام الضرب والطعان حتى صار وقت الاصفرار والتفت غيلان إلى الروم فما رأى منهم ومعه ديار فعلم أنه إن أقام هلك من السيوف الأبرار فصاحت السودان ياويلكم أطلبوا النجاة إلى بلد الروم ما دام الليل قد أقبل ومن لحقنا تركناه على التراب مجندل هنالك ولت السودان وأحلوا نفوسهم من الأمم وساروا تحت الظلام يطلبون بلاد الروم وهم لايعلمون

من أى طريق يسلكون فالقاهم الله سبحانه وتعالى على الطريق التى سار فيه ملك الافرنج وعقبة معه كما ذكرنا وما كان بينهم فى المسير أكثر من ليلة واحدة (قال الراوى) وان غيلان لما رأى العساكر وكثرتها أرسل رسولا يكشف له الخبر فغاب الرسول ساعة وعاد وأخبرهم بالحال وقال ان الشيخ النجيح الذى هدانا للدين الصحيح قد أشرف على الهلاك والصلب ومعه ذات الهمة وضيغم والبطال الذى أسرتهم وسلمتهم إلى عقبة وها هو تحت الخشبة يستغيث بالمسيح بن مريم وقد حل به البؤس والنقم ولولا اشرافنا فى هذه الساعة وإلا كان قد صلب فلما سمع غيلان انقلبت عيونه وزاد جنونه وقال وحق المسيح قد كنت أشتهى أكافىء الشيخ على مافعل بى من المليح وهذه أوفى مكافأة أكافئه بها ثم قال للسودان أحملوا على هؤلاء الأفرنج بارك المسيح فيكم (ياسادة ياكرام) وكانت الافرنج قد ركبت من حيث أشرف الغبار وكانوا خمسين ألف فارس والسودان فى سبعة آلاف وان ملك الافرنج لما ملك قيادة ونظر إلى حملة السودان عظم عليه وكبر لديه وقال لخيالته أحملوا فهذا أيشم الأحوال إلى السودان فعندها حملت الافرنج على الخيول العربية وظهرت الطوارق الافرنجية والقنطاريات الخلجنية واصطدمت الفرسان تصادم الجبال وعظمت الأهوال ودام القتال حتى وقعت الأبطال ونظرت الجميع السيوف بالدم الهطال ونفذت أسنة الرماح فى صدور الاقيال وحامت عقبات الموت على جميع وغرقت الأرض من جريان النجبع وكانوا بين قتيل وصريع إلى أن كان وقت العصر وربحت السودان على الافرنج إلا أنهم كانوا تعابا من شدة السير فطلبوا من غيلان الراحة والنزول فانفصل لهم من القتال وكان من أكبر أغراض الافرنج وقلب عقبة ملآن وكان قد تركه تحت الخشبة التى أراد أن يصلبه عليها فلما عاد طلبه فما وجده فجعل يبربر بالافرنجيه وقد زادت به البلية وسأل عنه الأمراء فقالوا والله إننا ما نعلم به فقال الغليم شروه الديلمى للافرنج بالعربية انا رأيته يزحف فى قيوده ويطلب الماء وإلى الساعة ما رجع ولا شك أنه بعد على العين (قال الراوى) وكان بالقرب منهم عين تخرج من تحت كهف طويل فمضيت الافرنج وعادت تخبر أنهم ما وجدوه (ياسادة) وكان الملعون لما رأى نفسه قد أشرف على الصلب والتلاف ونظر الافرنج وقد اشتغلت عنه بقتال السودان زحف فى قيوده والكتاف يطلب النجاة من التلاف ولم يزل يزحف حتى وصل إلى العين وأرمى نفسه فى العين من حلاوة الروح وزحف حتى صار فى صدر الكهف وأقام فى الماء وهو إلى حلقة ولما أتت الافرنج فى طلبه إلى العين وسمع حسهم غطس فى الماء ضم نفسه حتى طلعوا وعادوا وقالوا للملك أنهم مارأوا أحدا (قال الراوى) فقال لهم الغليم شروه

ياقوم خذونى معكم وأنا أخرجه لكم من الماء إلا أن يكون قد طار بقيوده إلى السماء فلما سمعوا الافرنج كلامه أخذوه معهم وساروا به إلى العين وجعل يدير عينيـــه على عقبة فما رأى له خبر فقال الافرنج اضربوا صدر المغارة بالأحجار فما هو إلا انه لما سمع حسكم غطس فى الماء فى بعض الزوايا فجعلوا يضربوا الماء بالاحجار الكبار وقد ضاق نفس عقبه وهو يسمع كلام الغلام شروه ويأكل كفية ندما كيف ماقتله فلما خفت حسه شال رأسه وصاح لاتفعلوا ياعباد المسيح فانا الشيخ النجيح فما تم كلامه حتى وقع فى قرنه حجر فشق رأسه نصفين فصاح ياقوم امهلونى حتى أخرج من المغارة فخلوه وقالوا اخرج ياشيخ الضلال فقد بان لنا انك شيخ محتال فزحف عقبه حتى خرج والدم قد سال على بدنه فقالوا له ويلك لأى شىء فعلت بروحك هذه الفعال وهربت من دون الرجال فقال وحق المسيح ماهربت إلا أننى جئت أشرب قليل من الماء لما غلبنى العطش فغلبنى رأسى فوقعت فى العين فقال له الغلام شروه ياشيخ السوء قلنا لك انك وقعت فى الماء فما الذى أدخلك إلى صدر المغار فنظر إليه بغيظ وحنق وقال ياولدى الماء حملنى فضحك الغلام وقال حتى تعملوا أنه شيخ محتال الماء يحمل الرجل إلى الداخل أو إلى الخارج فقال عقبه جود على يا ابن الألف قرنان وفطنهم إلى شىء ما يعرفوه ثم ساروا به وهو يقول فى نفسه وحق المسيح مايخلق قط أشقر أزرق العيون إلا يكون أشر الخليقة وأعندوأكثر خبث وأمكر وما أدرى من أين وقع لى هذا الشيطان الابن ألف قرنان حتى لانبقى بلا شغل قلب (قال الراوى) ولم يزالوا حتى أوقفوه بين يدى الملك وحدثوه بحديثه فقال وحق المسيح لاخلصك مخلص لأن كلما جرى على الروم وعلينا منك ومن تدبيرك السوء وبك اشتفت السودان منا وأنا فى غداة غد أخرج إلى غيلان وأحمل عليه فى مقام الطعان وأرفعه على رأس القنطاريه وأعود اليك أصلبك على هذه الأخشاب وأسقيك كاسات العذاب (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك قال اعلم أيها الملك قد ظلمتنى وأغضبت المسيح من أجلى وهذا الذى فعلته مافعله أحدا من ملوك النصرانية بل كانوا يقتربون بى إلى المسيح فان كان ولابد لك من ذلك فاشفى قلبى من هذا الأسود غيلان فاننى على غاية الخوف منه أن يعود على دين النصرانية يخرج عليكم خارجيا لأنه ما تنصر إلا بقولى وأظن أنى عندكم ببال كبير فاذا رآكم أنتم ماتدعونى وأنا عليكم فاذا سمعوا عنكم السودان فيقولوا لو كان فى هؤلاء خير ما فعلوا بعالمهم هكذا ويعودوا إلى دينهم ويصبروا سيف لدين الحنيفية فقال له ملك الافرنج الساعة وحق المسيح أردت صلبك لولا قولك هذا المقال فالساعة أنا أمهلك وآخذ الذى ذكرت عنه وأقتله حتى يعلم انى أفرس منه ويقول

أنه لايصلح أن يكون لى مملوك وأنت قد خيرته على الملوك (ياساده) وكان عقبه قد قال هذا المقال حيلة منه ولعنة لانه احتال على الملوك لعلمه بما فى عزيمته لما أحضره ورأى السيف مجرد فى يده والخشب منصوب للصلب فقال له ذلك حتى أخر قتله إلى ذلك الوقت وعلم أنه خرج إلى غيلان مايمر به أيشم من ذلك اليوم وبات طول الليل يقرأ الانجيل بصبيب صوته وحسن نغمته بلغة الافرنج وحلف له جماعة وقالوا إن أراد الملك أن يقتلك بذلنا نفوسنا دونك ولا نخسر ديننا ودنيانا وكان عقبه تلك الليلة قد جعله الملك فى الخيمة التى فيها هو وأبو محمد وذات الهمة وضيغم وشروه الديلى وكان كلما قرأ يقول له شروه خاطرك تقرأ أو لا تقرأ لابد لى ما أترك ملك الافرنج يضرب رقبتك فضحك البطال والأمراء من سماع ذلك الكلام وعجبوا من ذكائه (قال الراوى) ولما أصبح الصباح ركبت الأبطال والاقبال وتقدمت المواكب للمجال هنالك تقدم ملك الافرنج وطلب براز غيلان فلم يتم كلامه حتى برز إليه غيلان وكان شيطان وعليه صدرية زرد كأنها عيون الجرد لايعمل فيها الصارم المهند وحمل كل منهما على صاحبه وتطاعنا حتى أشرفا على الهلاك وبقى فى أيديهما أعقاب الرماح ولما طال بينهما الأمر وقل الصبر اخترط ملك الأفرنج حساما ماضيا وهجم على غيلان وضربه ضربة ماضية وقد أيقن أنها عليه قاضية فبطلها غيلان عليه وقامت فى أم رأسه مقل عينيه واعترضه وضربه بعامود كان معه من الحديد على صدره قطع أضلاعه فلما نظرت الأفرنج إلى ملكها قتيل نزل عليها الويل الطويل وكان له ولد اسمه جالوت جبار من الجبابرة وكان أفرس من أبيه فصاح بالصلبان وصاحت القساقسة والرهبان وصاح غيلان صيحة الأسد الغضبان واستقبل الكتائب والفرسان وحملت من ورائه الفتيان ودام الضرب والطعان وجردت الاسنة مثل الغدران وكان لهم وقعة تشيب فيها الولدان حتى انصرف النهار منصرفا وأقبل الليل بالدجا وقد امتلأت الأرض من القتلى وعادت كل طائفة عن الأخرى وظن عقبه أنه قد خلص من البلاء ومن الغضب نجا فأحضره جالوت بعد ما أمسى المساء وقال وحق المسيح لاضربن رقبتك غدا فلولاك ما كانوا السودان قتلوا أبى ولا تعرضوا بنا ثم وخزه وضربه حتى أشرف على الموت ورده إلى مكانه فبات الملعون يقرأ الانجيل ويصيح أكثر من كل ليلة وقد أيقن بالصلب والغليم شروه يقول ياشيخ السودان كنت قد سلمت فى المرة الأولى فما تسلم فى الثانية غدا تصلب وتموت ويخرب بيتك من دون البيوت ولو صحت بكل الحيل لابد لهم من هلاكك وتقطيع قفاك فضحك البطال من كلام الغليم وقال عقبة ويلك يا أبو محمد لاتضحك من منطقة وتسمع من كلام هذا الشيطان

الملعون وأبكى على فقد ولدك مذبحون فقال له البطال ويلك أما ولدى فقد وصل إلى دار الرضا والرضوان فى جوار الملك المنان وأنا فما أبكى للفراق لأن قلبي فى الآخرة أيقن بالتلاق فلما أصبح الصباح ركب جالوت ودعا بعقبة وأحضره بين الصفين وعول على ضرب رقبته والبراز لغيلان فانكر عليه بعض خيالة الافرنج وقال هذا ما يرضى المسيح بل يغضبه علينا إذا قتلنا الشيخ النجيح وقال قوم آخر بل يستاهل القتل لأنه هو الذى أوقع الفتن وأهلك النصرانية على طول الزمن وزاد الأمر بين الافرنج حتى أختلفوا ثم تضاربوا بالسيوف فلما رأى عقبة ذلك استغاث بالمسيح والسودان ونادى يا آل حام يا آل حام أنا شيخكم وطريقكم المبين ومعدلكم حقيقة الدين فصاح غيلان وحمل وحملت السودان وعمل الرمح والسنان وفارقت الأرواح الأبدان والتقى ملك الأفرنج بغيلان وقام الحرب بينهما على ساق وتضاربا بالسيوف الرقاق واختلف بينهما ضربتان وكان السابق غيلان لأنه ضرب جالوت على عاتقه أطلع السيف يلمع من علائقه وحملت السودان على الأفرنج فولت هاربه وللنجاة طالبة وهى بما أملت خائبة ونهبت السودان الرجال والأموال وكان شىء كثير وخلص غيلان عقبه وملك الأمراء المجاهدين وقال لعقبه ما الذى تشير به أنا أفعله فقال اعلم يا ولدى ان الملك الفالوغص أنفذناه إلى بلد القسطنطونية وهو على أسوء حال وما أظنه يعيش من الجرح فالحق بنا البلد حتى ننظره وما منه فان كان سالما جعلته لك خادماً وإن كانت الأخرى ووجدناه قد مات وليتك ملكه وحكمتك فى البلاد وتركتك هالك رقاب العباد (قال الراوى) فلما سمع غيلان كلامه ضمه إلى صدره وعانقه حتى كاد أن يقصف أضلاعه من شدة حيله فضحك عقبه وقال زادك المسيح نشاطا وقوة وانبساطا وبات القوم معولين على الرحيل والأمير أبو محمد يقول للأميرة ذات الهمة وضيغم بالله عليكم من سبقنى منكم إلى الآخرة فليسلم لى على ولدى مذبحون ويقول له قد خلينا أباك واصلا بعدنا فضحكت ذات الهمة وقالت لعمرى كذا يكون الأمر فلا تخرج فما عقبة ممن يقعد عنا وهذا الأسود غيلان قصده ان يتخلص منا من زمان فهم فى الكلام وعقبه قد دخل عليهم ومعه غيلان والسيف بيده فقال أبو محمد لا إله إلا الله محمد رسول الله إنا لله وإنا إليه راجعون فقال عقبه يا شيطان قد بلغنى أنك مشتاق إلى ولدك مذبحون وقد جئت لأجمع بينك وبينه فقال أبو محمد ياملعون افعل ما بدا لك فما بى من الموت لان لابد لنا منه وأنت تعلم أنك لاحق بنا بعد قليل ويصلبك الأمير عبد الوهاب على باب الذهب كما أمر النبى المنتخب وما نبالى نحن إذا حضرت آجالنا بعد ما قد علمنا أنك تصلب وفى سلاسل الفضاء تسحب (قال الراوى) فلما سمع عقبه ذلك غضب وقال

لغيلان ياولدى أنا أسألك أن تغمد سيفك وتمهل عليهم بالقتل إلى أن نصل للقسطنطونية ونصلبهم على باب الذهب وافعل بهم ما تريد وما أرادوا أن يفعلوه بى فقال غيلان افعل ما بدا لك فعندها شد عقبه الكل على الدواب وأمر العسكر بالرحيل فرحلوا السودان وتولى الملعون عذاب الامراء طول الطريق وكان أكثر ضربه للغليم شروه لأجل ما فى فؤاده منه وأبو محمد يرى ذلك ويقول للأميرة والله انى حملت هم هذا الغليم شروه أكثر من نفسى لأنى كلما رأيت عقبه يضربه ينقطع فؤادى كانه بعض أولادى هذا وعقبه يقدمهم إلى أن بقى بينهم وبين القسطنطونية ليلة واحدة ونزلوا فى مرج هناك يقال له مرج الزهر وعقبه فرحان بقربه من البلد حتى يصلب الأمراء وعاقبهم تلك الليلة وأخبرهم بنية صلبهم وقال لهم هذه الليلة ليلة الوداع وآخر لياليكم من الدنيا ثم ردهم إلى الخيمة المعروفة بهم ووكل بهم من يحفظهم فبكت الأميرة وقالت لضيغم يا بنى أراك أن تبات الليلة مناجيا إلى ربك فهذه ليلة الوداع ونريد نختم أعمالنا بعبادة الملك العلام فقال البطال أما أنا فلا والله ما بقى لى قلب ولا فؤاد وسرى منقسم على فراق أولادى ولاقيت عند الكبر ماأتلف منى السمع والبصر فعندها قامت الأميرة إلى الصلاة وضيغم إلى العبادة وما فيهم إلا من جعل يتضرع بالدعاء إلى الله تعالى ويبكى من شدة الضر والبلوى حتى تقضى بعض الليل وجلست الأميرة تتشهد وتقرأ التحيات وإذا بشخص قد طلع عليهم ونظر إلى بكائهم ودعائهم فعاد فك قيود الأميرة ذات الهمة وحملها إلى أن أخرجها إلى الفضاء من الخيام وعاد وفعل بالبطال كذلك ثم أخرج ضيغم والغليم شروه وصاروا الكل خارج الخيام وهم كأنهم فى منام ونظروا إلى الذى فعل بهم هذه الفعال وإذا به عبد أسود يقال له دينار وكان من أصحاب الأميرة قديما وكان حج معها إلى البيت الحرام وجاهد بين يديها زمانا طويلا ولها عليه جمائل لأنها وقعت به وهو مرمى فى بلاد الحجاز مجروح فأخذته وداوته حتى برىء من جرحه وصار من جملة خواص السودان إلى أن تنصروا فى هذه النوبه مع غيلان وتنصر هو معهم وندم على مافعل وذكر فعال الأميرة واصطناعها معه ورأى أنه مابقى له وجه يرجع الى دين الاسلام ولا له وجه يلتقى بهالأميرة ذات الهمة ولم يزل كذلك حتى أسرت وجرى لها من القصة ما جرى وصار يدبر فى خلاصها ولا يقدر لأجل احتراز عقبه شيخ الضلال عليها ومن معها ولم يزل يتوصل حتى صار تلك الليلة من جملة المتوكلين عليها وسقى أصحابه حشيشة كان يعرفها فناموا فقام وذبحهم وخلصهم كما وصفنا وبذل روحه فى طاعة الله تعالى لأنه علم أن عقبة لما يصل الى القسطنطونية يهلكهم فلما حصلوا فى ساحة الفضاء فقال العبد دينار ترى يغفرلى ربى ما كان

منى وما ارتكبت من العصيان وعبادة الصلبان فقال أبو محمد يا أخى أبشر بالسلامة واعلم أن الله يسامح أهل العصيان وعبادة الصلبان اذا تابوا واخلصوا للرحمن وندموا على مافعلوا من متابعة الشيطان وبكى دينار على ذنوبه ثم رجع الى عسكر السودان وعاد وقد أتى بجواده وقال للأميرة اركبى وسيروا بنا قبل أن يفطن بنا أحد فقال البطال اصبر علينا يا أخى فأنت فعلت ما يجب عليك ولا بد لنا من تحصيل شيء نركبه وشيء نأكله وإلا هلكنا لشدة بعد الطريق والتعب لا سيما ومعنا هذا الصبى الصغير لأنه قد صار أخ من اخواننا ثم التفت بطلب الغلام شروه فلم يجده فضاق صدره لذلك فقال لابد للغلام خبر وما أخوفنى أن يكون قد مضى ينذر بنا السودان لأنه على كل حال صبى وناقص العقل اثبتوا مكانكم حتى أدخل فى طلبه وأعود إليكم فنخاف أن يجرى علينا منه ما لم يكن فى الحساب (يا ساده) فبينما البطال فى الكلام وإذا بوقع حوافر خيل خارجة من العسكر طالبة نحوهم فقال أبو محمد هذا الحساب الذى حسبناه خذوا أهبتكم للصدام وإذا بالخيل قد أدركتهم من غير ركاب ويقدمهم شخص فتأمله البطال وإذا به الغلام شروه وقال له ياعم جئت لكم بخيول تركبوا عليها وعدة تكتسونها لأجل مخافة الطريق فقال له أبو محمد البطال هذه اللصوصية بعينها ثم انه قال ولعل الله سبحانه وتعالى أخلف على ولدى مذبحون ثم أنه بعدها قدم الخيل للأمراء فركبوا واعتدوا وتأهبوا فقالت الاميرة ذات الهمة أى طريق نطلب أيها الامير فقال الامير أبو محمد البطال أنا أسير بكم فى طريق نكون ان شاء الله تعالى بعد إحدى عشر يوما فى ملطيه فقالت أى طريق فقال لها طريق الجبل الطويل لأنه أكثر عمران وأمان ونكون فى كل يوم نأخذ منه الزاد ونصير ونقطع البلاد فقال الأمير نسير على توفيق الله ونقطع البلاد فقالت الأميرة سير على بركة الله ثم ساروا وأبو محمد البطال بين أيديهم وهو فرحان بشروه هذا والأميرة ذات الهمة العامرية جعلت تقول وحق محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم لو لحقنا ألف وألفين أو مثلهم أضعاف ما سلمنا نفوسنا إليهم (قال الراوى) فهذا ما كان منهم وأما ما كان من عقبة اللعين فانه لما أصبح الصباح من قبل أن يغسل وجهه افتقد الأمراء كلهم فوجد السودان الموكلين بهم مذبوحين وليس للأمراء خبر ولا جلية أثر فلطم على وجهه حتى نزل الدم من مناخيره وصاح وجلبب وحرب وترب وندم على ذلك حيث لا ينفعه الندم الذى ما خلا غيلان يقتلهم وقال لا شك أن لهم أجل محتوم ورزق مقسوم وربما يكون السيد يمد المسيح فى عمرهم حتى أنهم يصلبونى كما يزعمون كما أن الله تعالى سلطهم على فى كل وقت يضربونى ويعذبونى ما السيد المسيح بعد هذا إلا مسلم ثم أنه أقبل على غيلان الشوك وقال الرأى فى قتلهم هم الأول كان معك ولكن

أنا الذى منعتك عن قتلهم بفضولى والرأى عندى أننا نتبعهم ولا ندعهم يفوتونا (قال الراوى) فقال له غيلان أنا أسير معك وحدى فقال دع عنك هذا الكلام ولايغرنك أخذ الأميرة ذات الهمة تحت الظلام وأنا أعلم أنهم ما خلصوا إلا وهم فى جماعة وهى هذه النوبة ما هى من أبو محمد البطال اللص المحتال لانى ما تركت معه منقب ولا مبرد وقد كان مكتف اليدين ومقيد الرجلين وكذلك الاميره ذات الهمة العامرية وصيغم ولد الامير عبد الوهاب وما أقول إلا أن بعض السودان غدر بنا فاعتقاد أصحابك يبين لك وصدق قولى فعنط ذلك افتقد الشوك فوجد العبد دينار فقد هووجواده وعدته وجلاده وقد أتاه بعض غلمانه وقال له يامولاى اعلم أن الخيل المنسوبة للطعان التى هى لك سرقت الليلة ومعها آلة الحرب والسلاح (قال الراوى) فلما سمع غيلان الشوك ذلك الكلام فقامت عليه القيامة وزاغت فى أم رأسه عيناه وهمز كما يهمز الاسد الغضبان وصاح فى السودان وقد انتخب منهم ألف فارس من السودان الفتيان وهم أبطال شجعان وقال للباقى لا ترحلوا من مكانكم حتى أعود إليكم فقالوا له سمعا وطاعة ثم أنه سار وعقبه ركب على جواده وكل واحد منهم معه الفرس والجنيب ثم أنهم ساروا وما زالوا مجدين فى مسيرهم إلى أن وصلوا إلى دير سمعان وسألوا من فيه عن الامراء الاعيان فقالوا لهم اعلموا أنه مر بنا خمس فوارس وطلبوا منا قربة من الماء فأعطيناهم الماء والزاد فأخذوه ولاشك أنكم تلحقوا بهم غير بعيد فعند ذلك فرح بهم عقبة وقال أنا علمت أنهم ما يمضو إلا فى هذا الطريق لكثرة عمرانها وماؤها قال عقبـــة سيروا بنا على أثرهم فهذه النوبة تكون سيبا لانقطاع عمرهم فعندها سار غيلان الشوك وترا كضت خلفه السودان وما زالوا سائرين إلى آخر النهار فما وقعوا لهم على آثار فقال غيلان الشوك لاشك أنهم يكونوا عرجوا على جادة الطريق فقال عقبة الخنزير ما لهم طريق إلا من هنا ولا بد لهم من دير الفوارة وهو فى ضم هذا الجبل الطويل وهذا الذى هو دير الفواره على قلعة لا ترام وهى قلعة شاهقة فى العلو وفيه ثلثمائة راهب وراهبة وهم كانهم الاقمار (قال الراوى) فجد عقبة وغيلان الشوك فى المسير والخيل خلفهم تتجارى وهم طالبين ذلك الدير ويوعدون نفوسهم من الوصول بنيل المأمول وبلوغ المحصول وكانوا أهل ذلك الدير معتدين بالعدد والسيوف والنبال والورد ويقولون كل من يحتمل ذنباً عظيما ويرى أنه يتطهر يأتى إلى عندنا فى ديرنا ويخلع ثيابه ويغسل فى تلك الفواره التى هى فى تلك الدير فانه يطهر من سائر ذنوبه ويخرج منها كيوم ولدته أمه (قال الراوى) فهذا جرى لهولاء (وأما ما كان) من أبو محمد البطال فانهم أصبحوا قريبين من هذا الدير والأميرة ذات الهمة أم المجاهدين

تحثهم على المسير وتقول لهم اعلموا أن من تعب فى الدنيا قليلا نال فى الآخرة ثواباً جزيلا فقال البطال هذا هو الصحيح والقول الرجيح ولكن الله يا أميرة أننا نخاف أن أن يلحقنا عقبة وغيلان ومتنصرة السودان وما لنا مكان نتحصن فيه منهم إلا هذا الدير ثم حدثهم أبو محمد بحديث الدير السفلى والفوقانى وقال مالنا عبور إلا من ههنا إذا فتحوا هذا الباب فقالت الأميرة يا أبو محمد كيف سرت بنا على هذا الطريق وفيه التعويق فقال أنا طلبت بكم أقرب الطرق وعلمت أن هذا الطريق الضيق يلقانا وعلمت أن هذا الباب لا يفتح لنا حتى يطيح الديوان وينظر إلى كل مكان ونحن نقيم حتى يفتح الباب ونعبر فى طريقنا وأنا أكلمهم بكلام لا يتعرضون بنا وان تكلم الراهب الموكل بهم قتلناه وعبرنا ومن لحقنا منهم فانما يكون قد ساقه إلينا أجله وانقطع أمله وختم بالنحس أجله فقالت الأميرة مبارك ثم سارت ونزلوا عند الصباح وصلوا الفجر وتركوا خيلهم تستريح وإذا قد أشرف عليهم راهب من الدير الفوقانى وقال من أنتم ومن أين أقبلتم فقال له أبو محمد البطال نحن من أصحاب الملك الفالوغص وقد أرسلنا فى طلب حاجة فقال الراهب المسيح يحفظ الملك الفالوغص فقد كنا سمعنا أن المسلمين جرحوه فى هذه النوبة جرحاً شديدا فكيف حاله فقال له أبو محمد قد عافاه المسيح ونحن من أمورنا على عجل افتحوا لنا الباب كى ما ننصرف فى شغلنا فقال الراهب سمعاً وطاعة ولكن أريد أن أسألك عن شىء قبل فتح الباب اعلمونا به والا تركنا ديرنا مغلوقاً ولا نبالى بأهل هذه الأرض فقال البطال ما هو سؤالك فقال يا أخى أرى فى صدر الجبل عساكر كثيرة وكلهم معدون وهم من سيرهم على عجل وخيلهم قد انتشرت طالبين أو هاربين فهل تعلمون من هم فالتفت البطال وقال للأميرة أنا أعلم أن غيلان قد دله عقبه على الطريق ونخاف أن يدركنا قبل فتح الباب لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم أن البطال التفت إلى الراهب وقال له أيها العبد الصالح افتح لنا الباب حتى نحدثك بهذه الأسباب فنحن خواص الملك الفالوغص الذى تأتى إليكم صدقاته وتعمكم بركاته وقد نذر لكم هذه النوبة بخمسين ألف دينار ومائة جارية يتركهم فى الدير للعبادة وخمسمائة حمل شراب وعشرة آلاف رأس غنم ومائة خنزير وكل هذا نذر لأجل سلامته من هذا الجرح الذى أصابه فى هذه الغزاة وبعد يومين أو ثلاثة وإذا بالصياح قد علا إلى عنان السماء بحس السودان فقال أبو محمد البطال يا أبونا أنظر إليهم وقل لهم ما شأنكم ومن أنتم فاذا قالوا نحن من أصحاب الفالوغص نطلب قوماً صفتهم كذا وكذا هل عبروا لكم قل لهم نعم وصلوا إلينا وقد أهلكهم الجوع والعطش وقد مات منهم اثنان أسودان والثلاثة الآخرون فى الغشوة وهم عندنا وقد زعموا

أنهم من أصحاب الملك الفالوغص ونريد يصعد واحد منكم إلينا لعله يعرفنا بهم فقالت الأميرة ماهذا يا أبو محمد فقال لها أنا أعلم أن عقبه فضولى ما يتخلف عنا وربما طلع إلينا هو وغيلان وأنا وهذا العليم لعقبة وأنتم لغيلان ثم التفت إلى الراهب وقال له يا أخى افعل ما قلت لك حتى تعود المنفعة عليك فقال الراهب ايش مقصودك قال مقصودى حتى يطلع ملك السودان والشيخ المقدم على كل مطران الشيخ النجيح فيأكلون من هذا هذا الطعام والشراب ويمنعون بقية السودان من الصعود وإلا ما يقيمون بهم ساعة واحدة (قال) فلما سمع الراهب هذا الكلام رآه صواب ونزل إلى الباب وصاح مابالكم أيها القادمون ولماذا أنتم طالبون فتقدم إليه عقبه وقال يا راهب أنا الشيخ النجيح جوارى الزمان وهذا مقدم السودان وقد أتينا خلف قوم إلى هذا المكان فهل عندك خبر أو عبر إليك بسر فقال الراهب أى وحق المسيح عبر علينا قوم هالكون من الجوع والعطش وقد مات منهم إثنان اسودان فقال عقبة الإثنان دينار وضيغم فقال الراهب والباقون على الهلاك فقال عقبة هى ذات الهمه والبطال والغليم شروه والديلمى فقال الراهب فيهم واحد أشقر أزرق العينين قصير لكنه مغشى عليه لايعقل على نفسه وكذلك رفقته فقال عقبة ماتوا وحق المسيح ولا بد ما أصعد إليهم وأنزل بهم وأحرقهم بالنار فقال غيلان وأنا أصعد معك لا يكون فى الدير من يودعك فقال عقبة ما أحوجك إلى التعب وما يطلع إليهم إلا أنا وحدى فقال غيلان إن الأمر كما ذكرت فاصعد إليهم فى حفظ المسيح ودعته فعندها صعد عقبة وطلع إلى أعلى الدير فما صار فى أعلاه إلا والبلاء قد أتاه ونظر إلى ما فعلوه (قال الراوى) وتولى أبو محمد عذاب الملعون عقبة وجعل يضربه حتى غاب عن الوجود فقال ويلك يا أبا محمد استعمل الرفق والا اقتلنى حتى أستريح فقال والله يا ملعون لارحمتك بالقتل ولا تزال تحت العذاب حتى نصعد إلى أعلى هذا الدير وتصيح بغيلان الشوك وتأمره ان يرحل إلى القسطنطونية وإذا سألك عن حالك فقل أنا أبيت عن لحاق شياطين المسلمين وأريد أقيم ها هنا ثلاثة أيام وأغتسل من الفوارة وأسأل المسيح أن ينصر الملك الفالوغص على المسلمين ويمن عليه بالعافية حتى يكون عماد الدين (قال) فلما سمع عقبة ذلك أجابه إليه وقد أيقن بالهلاك وصعد إلى أعلى الدير والأمير أبو محمد يرقب إليه وينظره بعينه حتى ينفلت ويلعب بعقول الرهبان ويأمرهم بالقتال وأن الملعون لما صار فى أعلى الدير أشرف على الوادى وقال فى نفسه أنا ناديت السودان ورحلتهم من هذا المكان بقيت رهينة فى أيد الأعادى وسقونى شراب الردى إلا أنهم ملكوا الدير وأنا أعلم أنهم يشتفون منى ويعدمونى الحياة ومالى إلا أن

أرمى روحى ودعنى أموت بيدى ولا يتحكم أعدائى فى جسدى ثم أنه زج نفسه الملعون إلى أسفل الوادى وقد أيقن بالهلاك وأيس من الحياة فلما نظر أبو محمد إلى ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أهلك الملعون نفسه وما بلغنا منه غرض من صلبه وما بنا إلا يقولوا الناس كذبوا نبيهم ولعلنا إذا دخلوا السودان نأخذ رأسه وعظامه ونعلقها على باب الذهب حتى يصدق قول النبى المنتخب ثم عاد إلى الأميرة ذات الهمة وضيغم وأعلمهم بما جرى فعجبوا من ذلك وقاموا يشرفون على عقبة وإذا به قائم فى وسط الوادى على رجليه كأنه شيطان ينادى يا أهل الدير السفلانى ويلكم أنا الشيخ النجيح وحجة المسيح أنا الآية الكبرى افتحوا لى باب الوادى واقبلوا نصيحتى فقد نزل عليكم أبو محمد البطال العيار المحتال صاحب المكر والمحال شيطان المسلمين والأبطال القائلين الكلمة عندهم الثقيلة التى تجعل قلوب النصرانية عليلة وهى لا إله إلا الله محمد رسول الله (قال الراوى) فلما سمعوا الرهبان الذين فى الدير التحتانى ذلك خرجوا إليه وانطرحوا عليه يقبلون يديه ورجليه ثم سألوه عن القصة فأخبرهم بما جرى عليه من أهل الإيمان وكيف قتلوا ثلاثة من الرهبان فلما سمعوا ذلك نالهم منال عظيم وتبادروا إلى الدروب وفتحوه وعادوا السودان فدخلوا فيه وكانوا قد نظروا إلى عقبة وهو طائر فى الهوى وقد أرمى بنفسه الى البلاء فوقع فيهم البكاء ورفعوا أيديهم له بالدعاء ولما دخلوا ورأوه سالم صاحوا بأجمعهم عيسى ومريم هذا هو الدين الصحيح ولا شك أن هذا آية من المسيح وقد ظهرت فى هذا الشيخ النجيح فمن أراد التقرب إلى ربه فقد وضح له الطريق إلى الدين العتيق ثم جعلوا ينطرحوا على يديه ورجليه وقد أبصروا منه آية عظامة (قال الراوى) وكان السبب فى سلامة الملعون أن الله تعالى أخره إلى الوقت المعلوم والأجل المحتوم والرزق المقسوم لكى يصدق فيه قول رسول الله الحى القيوم وأنه لما أرمى نفسه من الدير كان المكان مرتفع كما ذكرنا والهوى شديد عاصف فدخل الهوى فى ثيابه ولعب فيها حتى تطيبت وهو الملعون فى نفسه نحيف وخفيف كانه الشن البالى فصار فى الهوى يدور وينزل كأنه قلع من البحر ولم يزل كذلك إلى أن وقع به فى وسط الوادى سالما كانه كان على كف انسان ولما رأى الملعون روحه قائما من غير ألم ازداد الملعون طغيان وقال لولا ان يكن لى عند المسيح كرامة عظيمه ما فعل بى هذه الفعال ومن شدة فرحه بهذه القصة ذهب عنه ألم الضرب وفرح بالحياة والسلامة وقال ماقال ودخل إلى الرجال وحصل فى وسط الدير السفلانى وقرأ الانجيل وجعل يبكى ويقول ما أستاهل من المسيح أن يفعل معى هذه الكرامة التى ما وصل إليها الحواريون ولا بلغها أحد من أرواح

الأشباح المقدمين وذلك لأننى إذا ما كنت وقعت فى شدة أقول ما المسيح الا مسلم والا ما كان يفعل هذا وينصر أعدائى وما علمت أنه نعل بى هذا حتى أعطانى هذه المنزلة والكرامة المبجلة ثم جعل يبكى وأما الرهبان والسودان فانهم جعلوا يقبلون يديه ورجليه ويقولون له أذكرنا عند المسيح فقد صح عندنا أن ما على وجـــه الأرض شيخ أكرم منك عليه ولا أعلى منزلة عنده (قال الراوى) وإن عقبه جمع الكل إلى بين يديه وجعل يحدثهم بما تم عليه فى الدير الفوقانى وقال شياطين المسلمين قد ملكوه وأنا أعلم أنكم ما تصلون إليه بعد القتال الشديد والممانعة وأريد الساعة أكتب كتاب إلى القسطنطونية وإلى سائر الملوك والأقاليم وآمر أهلها أن يأتوا إلى هاهنا وينظروا إلى ما أكرمنى به المسيح وأسير بهم وأمرهم أن يأخذوا هؤلاء الشياطين يصلبونهم حتى لا يعود واحد منهم يتجرأ على مثل هذا الأمر (قال) فلما سمعوا الرهبان ذلك قالوا افعل ما تريد فعندها كتب الملعون كتاب وكتب نسخته إلى سائر الملوك كتب عدة وأخذ شهادة الرهبان وأرسلها على أجنحة الطيور لسائر الأقاليم والبلدان وفيها قصته كما جرت ويحثهم على المجىء ويقول لهم قد قال المسيح من لم يجىء أنزلت عليه الهلاك وحشرته مع المسلمين بعد الممات ولما أن وصلت الكتب إلى سائر الأقاليم عجبوا من ذلك وتحيروا من كلام عقبه ووقع فيهم النفير وكان الملك الفالوغص قد وجـــد الراحة من تلك الضربة والجراح وركب فى القسطنطونية والبوقات تنفر بين يديه وقد زينوا البلد فرحا بسلامته لأنهم ما ملكهم مثله وفى تلك الأيام وصلت إليه الكتب من عقبه وفيها شهادات الرهبان بما جرى له والسودان والإفرنج فقال الملك وحق المسيح لأقسمن لغيلان الشوك بمملكتى ثم صاح فى كتابه ومواكبه يطلب الفرجة على صلب الأمراء المجاهدين والروم يفرحون بما قد ظهر من عقبه لأنهم سمعوا بأن المسيح قد أخذ بيده من أعلا الدير وطرحه فى وسط الوادى وشهدوا له الرهبان بذلك وأنه يبكى الليل والنهار شوقاً إليه لأنه من وقت رآه ما طاب له عيش وقد نزلت الأنوار على وجهه وخصومه فى أعلى الدير وعندهم كلما يحتاجون إليه وقد مسك عليهم سائر الطرقات وقد أمركم المسيح على لسانه لا تتخلفوا وأى من تأخر فقد برأ من دين النصرانية وصاروا مثل الحنيفية وكانوا الروم كلما سمعوا ذلك صلبوا على وجوههم وقالوا هذا الشيخ لو سافرنا إليه عشر سنين ما كان كثير وقال الملك الفالوغص لولا أن الشيخ النجيح عند المسيح بمنزلة عظيمة ما أعطى هذه الكرامة التى ما نالها أسود ولا أبيض وجدوا إليه فى الرحيل حتى تستحل منه ثم تقاتل بين يديه وكان قد جرى بينه وبينه كلام طويل وما عرفت أنه من المسيح بهذه المنزلة والتبجيل

وأنا أعلم أنه اليوم يضع يده على الجرح يبرأ وعلى المريض يهدى (يا سادة) وبلغ سائر الملوك أن الملك الفالوغص قد سار بنفسه إلى خدمة عقبه فأتت جميع البطارقة والرهبان والمطارنة والبتاركة والقساقسة ولم يتخلف صغير ولا كبير وطلبوا دير الغواره وأبو محمد يراهم كلهم يصلون وفى الوادى ينزلون وكل الملوك تترجل إذا رأت عقبة وتقبل يديه وتسأله عن القصة فيقول المسيح قد نزل معى وقبض بيدى وطرحنى على الأرض وقال لا تخف ولا تفزع قلنا معك سيرة جميلة وأنت تكون قائد الملة المسيحية وأهلها إلى باب الجنة ومن رضيت عنه رضينا عنه ومن غضبت عليه غضبنا عليه (قال الراوى) وكانوا الملوك إذا سمعوا ذلك منه يطلبون الرضا حتى صار على وجه الارض أمم لا تحصى ولا تعد بعدد الرمل والحصى وحملوا عقبه على الايدى ولا يبقى بترك ولا شماس إلا وضع رأسه بين يديه ويقول له ارحمنا يا صفوة المسيح من عباده هالكون وهو يقول قد رحمتكم وسألت المسيح من أجلكم قال وصار لعقبة عندهم منزلة عظيمة بهذا الامر ووصل أيضاً الملك الفالوغص وأتى بنفسه إلى زيارة عقبه وكشف رأسه بين يديه وقال لغيلان الشوك أنت شريكى فى ملكى وصاحب نهى وأمر وقد بقى لنا تعويق هذا الدير الذى فيه هؤلاء الشياطين والمكان كما نراه حصين ولا تقدر عليه ولا يؤخذ إلا بالحصار الطويل وهذه العالم التى قد اجتمعت فما يمكنها المقام ههنا لاجل قلة الماء وضيق المكان فقال غيلان الشوك أيها الملك الرفيع الشأن أعطنى اقطاعا لهؤلاء السودان هذا الدير وهذه الضياع التى فى الصحراء ولا تعرف فتح المكان إلا منى وأخذ المسلمين فى سبعة أيام فقال له السمع والطاعة وحق المسيح لو طلبت منى بلد القسطنطونية ما منعتك إياهم ثم كتب له توقيعاً يقول فى أوله كلمة كفرهم وبعدها هذا كتاب كتبه الملك الفالوغص لملك السودان باقطاع الجبل الطويل وما فى لحقه من القرى والاودية والاديرة وما خلفها وما بين يديه مسيرة عشرة أيام ثم حسبوا له الكل وكانوا سبعة آلاف قرية وسبعون دير وله من المنافع الاديرة أكثر من القرى لانها تفعل شيئاً كثير وفرح غيلان بذلك فرحا شديداً ثم قال للسودان ويلكم هذه الاديرة الذى إذا كنا فى إحداهم حمانا من كل من على وجه الارض وكنا على خير كثير سوا ما يصل إلينا من الملك الفالوغص من الخلع والدنانير فقالوا السودان هذا كله بسعادتك وعلو مجدك أيها الأمير فعندها قسم القرى وفرق فيها العمال وترك على كل قرية واحد من السودان حتى يعرفوا أهلها انه صاحبها ويحملون اليه مايجب عليهم ثم أقبل غيلان على أصحابه وقال لهم اعتدوا بالسيوف واطلبوا الدير لعلى نفتحه ببركة الشيخ النجيح (قال) فهنالك ضجت

السودان مثل السباع وقد فرحوا بذلك العطاء والاقطاع وتعلقوا فى الجبل وطلعوا فيه طلوع الحجل وغيلان فى أوائلهم يقول أريد أفتح الدير فى دون السبعة أيام الذى قد ألزمت نفسى لأنه مافيه ممانع ولامدافع والحصون والأديرة وكل من فيها من الرهبان هم معنا وعونا لنا وليس قدامنا أكثر من أربع خصوم وكم جهد مايمانعونا ويدافعونا وإذا قاتلونا من مكان تسلقنا من الجانب الآخر وأوقعنا بهم الهوان (قال الراوى) وكان هذا الدير مبنى بالصخر على قرن جبل لا يرام ولا يقدر عليه أحد من الأنام (ياسادة) وكان هذا غيلان قد سرق فى أرض الحجاز واليمن من الأموال مالا عليه احصاء (قال الراوى) وقد بلغنى عن هذا الأسود أنه من حسن صنعته فى طول القلاع لأنه كان يجعل رأسه إلى أسفل ورجليه إلى فوق وهذا غاية العجب وأنه لما صاح فى السودان وطلع بهم الى الدير فقالوا له وحياة الشيخ الطيار لو أردت منا أكل الجبل أكلناه فقال خفوا على بركة المسيح وبركة الشيخ النجيح الطيار فوقع بالمسلمين البوار فعند ذلك صعدوا كما ذكرنا وتسلقوا كما وصفنا ونظر إلى ذلك الأمير أبو محمد البطال فنادى فى الأمراء خذوا أهبتكم فالقوم قد طلعوا فى طلبنا ولا نأمن كيد هؤلاء الرهبان الذين عندنا فشدوهم كتاف ومن أتى من القوم ألقوه إلى التلاف فقالت الأميرة هذا هو الصواب ثم أنهم دعوا بهم وأعلوهم بما جرى وقالوا من لم يدبر اليوم يديه فعلمنا به كما فعل الشيخ النجيح بروحه لأنه أرمى روحه وحمله الهوى فسلم من البلوى وجرى علينا ما جرى ونحن ما نرمى واحد منكم فقالوا لهم الرهبان ياقوم ما تحتاجون إلى هذا كله نحن كما تريدون وحق المسيح ما نشتهى نحن السودان أن يملكون هذا المكان لأنه معروف بالرهبان فلما سمع أبو محمد البطال ذلك عرف صحة قولهم وشد الثياب منهم ثم صعدهو والأمراء على الأبراج الذى قد زحفوا إليها السودان وصاحوا بتكبير الواحد المنان ورموا بالأحجار فهشموا منهما الوجوه والأبدان وأحموا نفوسهم ذلك اليوم من كل الآفات ومآأمسى المساء حتى قتلوا ثلاثين اسود ورجعوا الباقين عنهم خاسرين وعاد الأمراء مسرورين رابحين ولما أصبح الصباح عادت السودان طالبة الدير وزحفت إليه وقاتلت الأمراء قتال من قد ظن أنه هالك ولم يزالوا كذلك حتى أمسى المساء وعادوا وقد قتل منهم جماعة كثيرة وفى اليوم الثالث بان فى السودان النقص واشتد ذلك على الروم واستدعى بغيلان وقال له اعلم أن الموضع حصين ورفيع منيع ومع ذلك فهو ضيق حرج وإذا وقع الحجر ما يخطى وهذا كله خسارة فدع القوم حتى نطاولهم بالحصار وإلا فما نقدر عليهم فقال غيلان أيها الملك لا تضيق صدرك فأنا الليلة أريك العجب بعون المسيح ثم صبر الملعون

إلى أن انسدل الظلام وأخذ معه مائة من السودان الموصوفون بالشجاعة والقوة والبراعة وأمرهم أن يأخذوا معهم الأحبال وسار بهم إلى أن وصل الدير وأتى إلى سن خارج كان قد رآه من النهار فترك رأسه إلى أسفل ورجلاه إلى فوق وأخذ طرف الحبل فى فمه وصعد مثل صعود النموس حتى صار بأعلى الدير وربط الحبل وهزه فعلموا أصحابه أنه قد أوثقه فصعد آخر مثل البرق وصار عنده وتبعهما الثالث وجعلوا يسبقون أصحابهم حتى صاروا الكل فى الدير وفى أيديهم السيوف المشهورة فقال غيلان دونكم الآن والأعداء ولا تبقوا منهم على أحد (قال الراوى) فهذا جرى من أمر السودان (وأما ما كان) من حديث الأمراء المجاهدين فانهم كان لهم حديث لو كتب بما الذهب على آماق البصر لكان قليل وذلك أن الأميرة ذات الهمة كانت كل ليلة لا تنام حتى تقرأ وردها وأنها لما صلت ما عليها تلك الليلة فقرأت فى أول ركعة بسورة الكهف والثانية بسورة مريم ثم جلست تتشهد وإذا قد دخل عليها راهبة من رهبان الدير وهى تبكى فلما رأتها الأميرة سألتها عن حالها فجعلت تمرغ خديها ووجهها على قدميها وتقول ياسيدتى هذا الكلام الذى كنتى تتكلمين به فى صلاتك من قاله فقالت هذا كلام الله أنزله على نبيه وجعله هداية للأمم فقالت الراهبة والله ياستاه أننى من حيث سمعته منكى قد تقلقلت جميع جوارحى فكيف السبيل إلى الدخول فى دينكم والعبادة لصاحب هذا الكلام فانى منذ فهمته وعرفته قد كرهت ههنا المقام لأنى بنت ملك الانجار وما ترهبت وانقطعت فى هذا الدير الا خوفا من عذاب الآخرة وقمت بين هؤلاء الرهبان وأنا أظن أننى فى عبادة والآن فقد هدانى الله تعالى وعرفنى حقيقة الدين وختم لى بالسعادة وأريد أدبر فى خلاصكم من هذا المكان وأسير إلى بلاد أهل الايمان فقالت الأميرة وقد سر قلبها ابشرى ياجارية فان الله تعالى قد كفر عنكى ما مضى ونجاكى من الضلال والردى فبكت الجارية وقالت سبحان من هذا وعده وكلامه وهو الذى أنعم على بأنعامه فوافقونى الآن على النزول فى هذا السرداب فقال الأمير أبو محمد البطال وقد طار فؤاده فكيف ذلك ياجارية فقالت لأن الراهب أخبرنى أن السرداب ينزل إلى الدير السفلانى ومنه كان ينزل إلى الجارية ويعود يصعد وأنا فقد أخذتنى الشفقة عليكم لأن العدو من حولكم كثير والحجارة التى كانت تعينكم على القتال قد فرغت ولو طلبتم اليوم حجر بدينار لما قدرتم عليه وأنا أعلم أن الروم يعملون السلالم ويطلعون اليكم السودان فتهلكوا فى هذا المكان فاقبلوا منى وقوموا بنا حتى ننزل من هذا الموضع الذى قد ذكرته لكم إلى الدير السفلانى وأنا أخرج بكم من الدير فى باقى الليل إلى أسفل الوادى ونختلط بهذه الأمم التى قد اجتمعت من

حولكم لعلنا نصبح من وراء العساكر ونخرج من المضيق وقد ذهب عنا التعويق فقال أبو محمد وأنا آتيكم بالخيل من أطراف عساكر الروم (قال الراوى) فهنالك وثبت الجارية وقالت إذا كان الأمر على ما ذكرت فشدوا قبل كل شىء الراهب الذى يجبنى كتافا واعملوا فى فمه أكره فقال أبو محمد وايش يلزمنا من هذا فقالت حتى لا يفتقدكم ويفتقدنى فلا يرى منا أحد فيعلم أننا قد نزلنا من هذا الموضع بعينه فيصيح بأهل الدير السفلانى فيمسك عنا باب المضيق فقال أبو محمد صدقتى جزاك الله خيرا فقال دينار الأسود وأنا أخرج أكتف الراهب وأعود ثم خرج من عندهم ونادى برفيع من صوته بالراهب فجاوبه حتى كانه كان فى انتظاره وقال ما حاجتك هل لكم من حاجة فقال ماهو الأخير تعال حتى نسألك عن أمر قد خطر لنا (قال الراوى) فلما سمع الراهب ذلك فأتى إليه فما هو إلا إن قاربه حتى ضربه دينار بسيفه البتار وإذا برأسه قد طار وعاد إلى الأمراء فقالت الجارية ايش قد عملت ياأخى فقال الذى أمرتينى به بارك الله فيكى فلما سمعت ذلك سارت بين أيديهم إلى المكان الذى وصفته وإذا فى وسطه باب من الرخام فيه أربع حلق صغار فقالت لهم اقلعوا هذا الباب فقلعوه وإذا بسلم من حجر منقور فى الجبل وكان واسع وسرداب نازل ففرحت الأميرة وأصحابها بذلك ونزلوا وقد أعطتهم الجارية كل واحد شمعة فى يده ليبصروا كيف ينزلوا ولما صاروا فى ثلث السرداب صاحت الأميرة انزلى انزلى خلفنا فقالت نزلت غير أنى قليلة الخبرة بهذا الدرج والمكان وأنا امرأة على كل حال وما نزلت هاهنا قط وعندى ياأميرة عصابة جوهر بقطع الياقوت الأحمر تسوى ملك بنى الأصفر وأريد تمهلين حتى آتى بها تكون معى فربما احتجت أو أصابنى نائبة من نوائب الزمان ثم عادت إلى رأس السرداب وبقيت الأميرة فى انتظارها وإذا بعشرين راهب وفى أيديهم العمد والسيوف والحراب وأطبقوا الطابق وجلسوا من فوقه واقفلوا عليه قفل وزنه خمسة أرطال ومضوا إلى الراهب الذى قتله دينار فحملوه وفى بعض النواريس دفنوه (قال الراوى) وكان هذا الراهب الذى قتله العبد دينار قد دبر هذه الحيلة على الأمراء إلا أنه وقع بعمله وخرج دينار ليكتفه. فقتله لأنه قال للرهبان اعلموا أن هذه عساكر الأرض قد اجتمعت من حولنا وقد صاروا هؤلاء الشياطين معنا وقد تغلبوا علينا لأنهم يعدوا بألوف وما لنا بهم طاقة فى الحرب ولا نقدر على الوقوف بين أيديهم وما لنا إلا أن ندبر على هلاكهم بالحيلة وإلا كانت قصتنا معهم طويله وإذا نحن أهلكناهم بالحيلة وإلى الملك سلمناهم هو يكون سبب صلحنا معه ويبقى ديرنا علينا ثم دعا بتلك الرهبان التى وصفناها ودبر مع الراهبة ماقد ذكرناه فقال إذا رأيتموهم وقد هموا بالنزول فانفذى

إلى من يكتفى حتى يكون أوكد للقصة ففعلت الجارية ذلك ولكنه عارضه فى الطريق عارض نحس فقطع رأسه وكان الراهب قد كن الرهبان بالسيوف واعلمهم بما يفعلون (قال) فصبروا حتى نزلوا الأمراء وأطبقوا عليهم الباب كما ذكرنا ونزلوا هؤلاء والشمع فى أيديهم فما وجدوا شيئا إلا مكان منقور فى الصخر وكان يتبرد فيه أيام الصيف فقالوا لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقال دينار ياقوم لايصعب عليكم فوالله مانجد قبرا أحسن من هذا ولا أطيب ولا أفسح يسترنا عن عيون الأعداء فقال أبو محمد البطال دعونا من هذا والله ما كنا إلا ملكنا الدير وقد وقعنا بحيلة امرأة يخلص عقبه وينزل من هذا المكان سالم ونقع نحن فى هذا الموضع ولكن إذا أراد الله أمرا بلغه وإذا أحب عبدا ابتلاه حتى يسمع دعاه فانظروا إلى قصة هؤلاء القوم كلما وقعوا فى أمر وخلصوا وقعوا فى آخر ثم خلصوا لأجل جهادهم عن الدين ومحاماتهم عن قبر محمد خاتم النبيين (قال الراوى) هذا جرى وأبو محمد ماأيس من الفرج بل قال ياقوم اصعدوا بنا لعل نجد إلى فتح الباب سبيل فصعدوا وذات الهمة فى أوائلهم وإذا بالصخرة معلقة بأربعة اقفال ومافيها حيلة المحتال فعادوا مكانهم واستسلموا للقضاء وأخذوا بالقبول والرضا فهذا جرى (وأما الرهبان) فقالوا ما نفتح عليهم إلا بعد ثلاثة أيام ونسلمهم إلى الملك يصلبهم على الدير ويحلف لنا انه لايعطى ديرنا لغيرنا من السودان وقد صاروا معهم فى المكان كما ذكرنا والسيوف فى أيديهم مشهرة كما وصفنا قال فتعجبوا الرهبان من ذلك وقالوا من أين طلعتم فقالوا من مكان نعرفه فأين شياطين المسلمين فقالوا وحق المسيح مانخبركم حتى تقولوا لنا من أين صعدتم الينا فقال غيلان تسلقنا بصنعة نعرفها وبعضنا سحبناه بالحبال فاعلمونا أين أعداءنا فقالوا وحق المسيح ما نعلم أين مضوا ولاعندنا منهم خبر لانهم قتلوا مقدمنا وهربوا ولاشك أنهم من موضع قد طلعتم نزلوا وماعندنا غير هذا (قال) فلما سمع غيلان ذلك قامت عيناه فى أم رأسه وابيضت شفتاه وأمر أصحابه فاوقدوا الشمع وجعلوا يفتشوا وينادوا عيسى ومريم فسمع عقبه صياحهم من العسكر فقال وهذه معجزة أخرى وقد ملكوا الدير وما هو إلا قد نظر إلى دين النصرانية بعين الرحمة والرضا وأنا أعلم أن غيلان وأصحابه ماأوقدوا الشمع إلا وقد ملكوا المكان والأعداء جميعهم قدصاروا أسارى فى أيديهم فان كانوا قد قاتلوهم فهذا الصياح عليهم فلا بد أن يقتلون بعضهم بعض ثم بقى الملعون يترقب الصياح والمكان وقال الملك قم بنا حتى نطلع نشتفى من الأعداء فقد وقعوا فى قبضة الرداء فعندها ركب الملك وقد قدمت له محفة ليصعد فيها لأجل أنه فيه بعض آثار المرض من الجراح ودارت عليهم القسوس والرهبان والشمامسة والمطارنه

ولم يزالوا سائرين حتى صاروا فى الدين واغتسلوا من ماء الفواره قبل كل شيء وجعل عقبة ينظر إلى ذلك المكان الذى أرمى روحه منه ويقول هذه آية من المسيح وما أظن أننى سلمت الا ببركة هذه الفواره ثم جعل يقلب عليه مائها ويغط رأسها فى جريانها وبعد ذلك استدعى بغيلان وقال له لاضيع المسيح أعمالك وبلغك غاية آمالك أين القوم وأين البطال حتى يرى كيف تسلقت ويقر لك بالصوصية وأين العبد دينار حتى نشتفى منه ومن صبيه مرزوق وأنزل عليهم عذاب ما نزل قبلهم على مخلوق واخبرنى من قتل منهم ومن سلم فقال غيلان وحق المسيح ماعندى منهم خبر ومن حين طلعت إلى ساعتى هذه وانا أفتش عليهم ما وقعت بهم والرهبان قد قالوا قتلوا مقدمهم وهربوا وتركوه وما أقول إلا أنهم فتحوا الباب ونزلوا فى الليل وساروا إلى بلادهم فقال عقبة وحق المسيح والجاثليق مالهم إلى بلادهم طريق وقد أقمنـــا أيضا ألف فارس على كل طريق ومضيق وما خلصهم المسيح إلا حتى أبلغ منهم غرضى فليتنى لم أرميت روحى من الدير وطار رأسى فى الوقعة وبقيت قطعا قطعا ولا كانوا خلصوا من هذه الوقعة والبقعه ثم ان الملعون أقبل على أهل الدير وقال لهم ويلكم فتشوا أنتم ديركم لعل تقعوا بهم فمالهم مكان يهربوا منه أبدا فقالوا الرهبان أيها الشيخ الطيار وحق المسيح وحق كل من شد الزنار ماتركنا فى الدير لأجلهم بقعة حتى اننا فتشناها فما رأينا أحدا ولا رأينا لا أبيض ولا أسود وما يعلم بهم أحد إلا المسيح فجعل عقبة يأكل كفيه ويعض راحته وقد أيس منهم الملك الفالوغص وأقبل على عقبة وقال أيها الشيخ النجيح أعلم أن هذا الأمر قد طال وأنا بعد ضعيف من ألم الجراح وأريد الرجوع إلى القسطنطونية وهذه المواضع فقد سلمتها إلى غيلان وأصحابه ولكن نخلى فى هذه الأرض ألف فارس يكونوا نائبين عن أصحابهم وآخذ معى غيلان و باقى السودان فما بقى لى صبر عنهم ولا عن مفارقتهم لأنهم حسام ملكى وسيوف دولتى وكفى بك من طلع إلى هذا الدير وصار فى أعلاه مثل الطير ونزل من هذا الارتفاع كما أراد وبلغنا بفعاله المراد (قال الراوى) فلما سمعوا الرهبان ذلك قالوا أيها الملك أوهب لنا هذا الدير فهو معروف بالرهبان ولا تسلمه إلى السودان فهذا يغضب عليك المسيح وأنت لك من الحصون والقلاع شيء كثير فأعطيهم عوضه وأربح الثواب العظيم فقال الملك معلوم انى قد كتبت لهم خطى ولا أقدر أن أفعل غير ذلك حتى لاتعايرنى الملوك فقالوا لاتمل أيها الملك ومن علينا به حتى نسلم إليكم أعداكم المسلمين (قال) فلما سمع الملك ذلك طار عقله فرحا وقال وهبتكم ديركم وكل ما حوله من القرى والقلاع وأكتب بذلك منشور فقالوا ماتطيب قلوبنا الآن حتى يقتلونا هؤلاء السودان الذين هم أصحاب القلاع والاقطاع فعندها قال الملك لغيلان ياسيف النصرانيه

وعماد دين ماء المعموديه أنعم لهم بهذا الدير وأنا أعطيكم عوضه قلعة الثريا ووادى الرياض وعشر حصون فى مسيرة شهر كامل وتكونوا قريبا من القسطنطونية حتى لا تغيبوا عنا فقال رجل شيخ من الرهبان ان انتم فعلتم هذا سلمنا اليكم المسلمين الذين هم مقصودكم ذات الهمة والبطال ومن معهم فعندها أقبل عقبة على غيلان وقال له ياحسام الدين وعمده المسيح والحواريين أنعم علينا بهذا الدير وقد أطلق لكم ما هو أفضل من ألف قرية وأنا أقول له يزيدك القلعة السوداء وهى مدينة قريبة من القسطنطونية ودورها سبع فراسخ وحصن لا يرام على البحر ولها مينا ومراكب التجار تقصد اليها من كل جانب وتحمل اليها طوائف التجار من البر والبحر فيكون كرسى ملكك فيها والقلاع والضياع تحمل إليك أموالها ولا تكون تركب إلى الملك إلا أن تكون زائر أو يوم عيد (قال) ياسادة فلما سمع غيلان ذلك من عقبه فرح وقال أنا وكل ما أملكه للملك ولو لم يعطنى شيئا والبلاد بلاده والحكم حكمه وقد رضيت ولو لم يكن فى الأمر إلا أخذ هذا الشيطان أبو محمد البطال ثم أقبل على الرهبان وقال قد أعطيتكم هذا وأنا أعطيكم جميع ماتريدوا إكراما للشيخ الطيار قالوا أكتب لنا بهذا منشور على ألسنتكم كلكم فكتب عقبه كتابا يقول فى أوله كلمة كفرهم ونحن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم كتب هذا الكتاب كتبه الملك الفالوغص ملك ملوك النصرانية وصاحب كرسى ماء المعمودية وملة الأمة المريمية وكذلك ملك السودان حسام الدين المسمى بغيلان ومن معه من الفرسان أصحاب العصر والزمان ملوك بنى حام الضاربون بالحسام المفضلون على سائر الأنام والمخلقون من غياهب الظلام والناصرون دين النصرانية على طول الأيام من إقطاع دير الرهبان وما حوله من القرى والمنافع على طول الزمان وهو وقف على الرهبان المتقدمين والرجال المتصدقين الذين هم فى طول الزمان مقيمين ويشهد بذلك الشيخ النجيح الطيار المخصوص من المسيح بالعبادة والافتخار ثم طوى الكتاب وسلمه اليهم وقالوا هذه الساعة هاتوا مقصودنا ومن قد بلغنا فيه مجهودنا ففرحوا الرهبان بذلك الكتاب وأخذوا الملك وغيلان وعقبه إلى باب السرداب فقال عقبة هذا شىء مايقدر عليه البطال العيار المحتال أبداً رحم المسيح الراهب الذى دبر هذا التدبير فقال غيلان للرهبان افتحوا هذا الطابق حتى ننزل اليهم ولا نصعد إلا برؤسهم فقال عقبة لا ياأمير ماهو صواب أن نفتح الباب ونخاطر مع هؤلاء الكلاب لأنهم قوم قد استقتلوا على كل حال وقد جعلوا هذا المكان لهم قبراً وهم مطاوقين ومعهم عدتهم لاسيما وفيهم هذه العاهرة ذات الهمة التى تبذل نفسهم للسيوف ولا تفزع من الحتوف وكذلك ضيغم ولد عبد الوهاب فى طبقة أبيه أيضاً

وان نزلنا نحن اليهم فى هذا الوقت لابد أن يدافعوا عن أنفسهم حتى يقاتلون ويبذلون المجهود وانا أعلم أنهم مايسلمون أنفسهم حتى يقاتلون ويفنون من السودان جماعة إلى ما ننال المقصود وما يسوى كل من فى الإسلام واحد من هؤلاء السودان لاسيا وقد صاروا جميعهم يعبدون الصلبان وما فى الأمر إلا أننا نخليهم يومين أو ثلاثة حتى يضعفوا من الجوع والعطش ولا يبقى بعد ذلك فيهم من يدفع ولا يمنع ونتزل ونكتفهم ونحملهم إلى القسطنطونية وأصلبهم على باب الذهب حتى أكون أنا الذى صلبتهم موضع ما أرادوا يصلبونى فقال الملك هذا هو الصواب لأنهم الساعة فى حبسنا ولا بد أن نوكل بهم قوم من خواصنا فقال غيلان وحق المسيح لو فتح لى الباب لنزلت اليهم وحدى وما كنت أطلع إلا وهم أسارى واما يقتلونى ولكن أخاف أن أخالف الشيخ الطيار هذا وعقبة لاتسعه الدنيا من الفرح ومن عظم ما لحقه من السرور جعل ينادى يا أبا محمد مابقى لكم من هذا المكان خلاص مالى إلا أنكم تفزعونى بقول نبيكم وتقولوا قد وعدنا فى هذا المنام بصلبك والساعة ترون من يصلب على باب الذهب ثم أنصت وإذا بالأميرة تقول والله ياملعون انى أموت وتبلى عظامى ولا أيأس من صلبك واعلم أنه لابد أن يكون ذلك لأنه قد صح عندى أن نبينا عليه الصلاة والسلام صادق فى اليقظة وفى المنام ولا بد أن ينهتك سترك بين الأنام ويصلب موضع الموعد والسلام فقال عقبة وحق المسيح ياشيطان لولا هذا الكلام لكنت لميت الخشب والأحطاب وخلفت فيه النفط والنار وأذقتكم طعم الحريق والبوار والآن فقل له الساعة يخاصكم من هذا المكان بعد ذلك اطلبوا اصلبي ثم انه صعد وصعد معه الملك غيلان وأخذوا مفاتيح المكان من الرهبان وعادوا يطلبون الخيام والملك يقول يا أمير أريد أقطع هذه الأنام وأخرج معك ومع الشيخ النجيح وأشهد على ان أزوجك ابنتى شمونه التى كأنها الدرة المصونة رغبة منى فى شجاعتك وبراعتك وشدتك لأننى راغب فى الأبطال أكثر من رغبتى فى أرباب الحسن والجمال وأصحاب الأقاليم والأموال وإذا رأتنى الروم والبطارقة أزوجك ابنتى لايبقى أحداً إلا ويزوج ابنته لواحد من أصحابك (قال الراوى) فلما سمع غيلان ذلك فرح وطرب ودعا للملك (ياساده) وكانت ابنة الملك الفالوغص لها من العمر أربعة عشر سنة وقد ركبت الخيل واصطادت الوحش والطير مع جوارها المختصين بخدمتها وكانت تقرأ الإنجيل بصوت تقف له الطيور فى طيرانها وتحرك القلوب بأشجانها (قال الراوى) فلما سمع غيلان ذلك الكلام شكر الملك على ذلك وفرح فرحا شديداً ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى الخيام وغيلان يقبل يد الملك ويقول انا ياملك عبدك والكريم

من أكرم عبده فشكره الملك وأمر بالطعامات فصفت والاشربه فروقت واحضر خواص البطارقة وعولوا أن يقضوا بالأقداح وشرب المدام يومهم هذا فهذا جرى منهم (واما ما كان) من أبو محمد وأصحابه فانهم أيقنوا أنهم من ذلك المكان يحشروا لأنهم مالهم سبيل إلى الخلاص وليس عندهم ما يأكلون وما يشربون (قال الراوى) ياسادة ولما كان اليوم الثانى بدأ الضعف يعمل فيهم وما فيهم إلا ومن ودع صاحبه وجعلوا يتشهدون وهم للموت ينتظرون والأميرة تبكى على الأمير عبد الوهاب وتقول ياأبا محمد أن المقام دنا ولم أنظر ولدى قبل الممات ولا يشيع أحدنا جنازة الآخر إلا أموت أنا فى هذا المكان ويموت هو فى موضع آخر على أننى أقول ما تكون حفرته إلا فى الحجاز لأنه خليته وهو مريض وما هو إلا ميت لامحاله وهذا كله بأمر الله تعالى ولااعتراض عليه فى حكمه لأن ماللعبد مفر من قضاه ثم أن الأميرة بكت بكاء شديدا أنشدت

ألا هل إلى تلك الديار سبيل ... وهل لى إلى تلك الطلول وصول
وهل مبلغ عنى الأمير بأننى ... مشوق وان الحادثات حلول
فيارب هذا آخر العهد بيننا ... فارزقنى صبرا عليـــه جميـل
فراق أتانى آخر العمر بغتة ... فاورثنى حزنا عليـــه طويل
وقد كان ظنى ان يوارى جثتى ... ونبقى حساما للجهاد صقيل
ففرقت الأيام بينى وبينه ... ولم يشتفى قلبى ببرد عليـــل
فراق وأسر واشتياق وغربة ... على كبدى إنى إذا لحمول
فيارب بالمختار أعنى محمداً ... نبى أتانا بالرشاد رسول
أعنا وخلصنا لعل لقاءنا ... يكون قريبا والفؤاد عليـل
وأن تكن الأخرى فانى صبورة ... صبور على مابه قضيت دليـل

(قال الراوى) ولما فرغت الأميرة من بكائها وانتصابها وبكوا جمع أصحابها فقال البطال أيتها الأميرة لك أسوة بى قد فقدت ولدى الذى كان ركنى وعضدى وفقدت أخاه الحصين الذى أخذته عاقبة ولم أعلم مافعلت به وأنا والله أحق أن أبكى إذا كانت هذه القصة قصتى وهذه المصيبـــة مصيبتى فقال الغلام شروه أيها الشيخ ولم ابنك قد ضاع فقال يا ابنى من مدة وما أقول أنه باقى إلى الآن وما أخده من يستبقيه فقال الصبى ابشر أيها الشيخ فانا ولدك لأنى أرى كل من يبصرنى يشبهنى بك وأنا فما كان لى فى بلاد الديالم لا أم ولا أب إلا كنت إذاسألت الذى ربانى وقلت لهمن أبى قال يابنى مالك أم ولا أب أنا اشتريتك من قوم حراميه من أرض العراق أبوابك إلى أرضنا

مع جملة قماش كانوا قد أخذوه من قافلة عند أرض ملطيه وحدثني الذى باعنى انه أخذني من امرأة عجوزة كانت سائرة إلى بلاد العراق ومع ذلك حملنى مع جملة هدية إلى الملك باهلاك الخارجى وكان يحضرنى ويتعجب من كلامى ووقع لى فى قلبه محبة عظيمة حتى كان لا يحلف إلا بحياتى وأمر بتعليمى الخط وكان معلمى مسلم يكتم ايمانه خوفا من الخارجى وأدعى الملك الالوهيه وأطاعوه الناس إلى أن خرج إلى بلادكم وجرى عليه ماجرى فصاحت الأميره الله أكبر والله يا أبا محمد هذا ولدك ولى فيه علامه ثم كشف عن فخذه وإذا فيه بقعة زرقاء فى طول الاصبع وقالت يا أبا محمد والله أن هذا المكان أنا حشيته بالكحل لأننى أنا أخذته من نورى حتى أبوسه فوقع من يدى على زجاجة فجرحته فحشيت الجرح بالكحل ففرح البطال وجعل يقبله ويبكى وكذلك بكى الغلام والاميره تقول سبحان جامع الشتات فهم كذلك وإذا بحس من جانب البير وقد انكشف رخامه وظهر من تحتها الضوء وقد أشرقت منها الشمس فقال البطال لو كان لنا من يطلع إلى هذه الطاقه ويرفعنا واحد بعد واحد فضحك الحصين وقال أنا لها وتسلق كانه الفار إلى أن وصل إلى الطاقه ونظر منها فقال البطال ياولدى أين ترى روحك فقال حتى أبصر ثم نظر فاذا قناة ماؤها خارجة إلى خارج الدير والبساتين والكروم ففرح وعاد إلى أبيه وأخبره بذلك فقال البطال فكيف الطلوع فقال حلو إلى فوطكم وعمائمكم حتى ألفها وأربطها وأطلعوا فيها كما تريدون لأنى ما أطيق أشيلكم لأنكم مثل الحمير فقالوا جزاك الله خيرا ثم رفعوا له الفوط فربطها وتعلق فيها البطال وبعده دينار وضيغم والاميره ثم صاروا فى القناة إلى خارج فقال البطال هان الامر ولكن أنا أعلم أن عقبه غدا يفتح باب المطموره فاذا لم يرانا ورأى هذا المكان مفتوحا حث الخيل فى طلبنا فقالت لو كان خيل مابلينا فقال البطال أنا أنزل إلى عسكر الروم ولا أعود إلا بالخيل لأن الليل قد أقبل فقال الحصين يا أباه أنا أنوب عنك فقال ياولدى اصبر حتى أشرف على العسكر وأعود اليك ثم غاب ساعة وعاد وهو فى زى بطريق عليه أقبية الديباج الحرير بمناطق الذهب والفضه فقالت ماهذا فقال إنى لما خرجت رأيت البطريق الخاص وهو نازل من باب الدير فسألته عن حاله فقال الملك قد طلب الخمر ليشرب مع الشيخ الطيار فقلت أنا غلام الطيار وها أنا احمل معك الخمر ثم مشيت معه حتى أبعدت عن الباب وقتلته ولبست قماشه وقد عولت أرجع إلى عسكر الروم ولا أعود إلا بما تريدون فقال الحصين والله مامضى غيرى فمانعه البطال فلم يقعد فقال إذا

أردت فافعل وأنا أعبر سرادق الملك لعلى آخذ عقبه واعذبه طول الطريق لأنه آمن من جانبي وهو يظن انني فى السرداب فقال العبد دينار بالله خذنى معك فما يضرك منى شىء فقال البطال ياأبى ما يمكننى أن أخاطر بكم الليله كلكم ونحن من أمرنا على عجل فقال زينى بأى زى أردت وخذنى معك حتى أتفرج على صنعتك وأن احتجت الينا أعناك وان سرقته أحمله معك وان فطن بك عدو قاتلته فأجابه الأمير إلى ذلك وأخرج من خريطة فى وسطه دواء وفركه فى راحته ومسح به وجهه وإذا به إلى البياض أقرب منه إلى السواد وزياه بزى الروم وأخذه معه وسار هذاوقد سار ولده الحصين قلبه بعدما لبس فروه مقلوبه وخب شعره وأخذ معه عدة السل فى مخلاه وسار فما غاب إلا ساعة عن الاميره ذات الهمه وبقيت قلقانه عليه فهى كذلك اذ سمعت حس وقع حوافر خيل فارتجف قلبها وقالت لضيغم يابنى ابصر ماهذا الحس فتأمل وإذا ببغل محمل وقدامه شخص يقوده وهولايكاد يبين من الارض فدنوا منه وإذا به الحصين ففرحت به الأميره غاية مايكون من الفرح وقالت والله لقد سبقت أباك فى شغله يابنى ايش هذا البغل وما حمله فقال لها صناديق فيها طعام لأنى لما دخلت إلى عسكر الروم وجدت الدنيا منقلبه لأن الملك كان قاعد على الشراب فخرجت من خلف العسكر واذا بقطار بغال طالب خيمة الملك وما معهم سوى رجل واحد وهو راكب على البغل الاول ففرحت بذاك ووقفت حتى عبرت البغال كلها على وحليت هذا البغل وأخذته ثم إنى أبعدت به عن العسكر وربطته فى أصل شجرة كانت هناك وعدت وظلام الليل قدسترنى فسلبت من كل جانب فرسا حتى لايفطن به أحد وسقت الكل من خلف الخيام وقدسترنى الملك العلام حتى وصلت اليكم فتعجبت الأميره من عظم جسارته وحسن هذا الاتفاق ثم فتحت الصندوق الواحد وإذا فيه شواء ودجاج وخبز وحلو فقالت والله لا أكلت شيئاً حتى يأتى أبوك فانه جائع وقد راح ناظر بنفسه ونحن هنا نأكل فقال الحصين فلاتقولى فان أبى إن لم يأتى الليله نموت بالجوع إلى أن يعود فانه لايفوته شيئاً يأكله وهو مايخلى نفسه وأنا والله لولا جوعى وطمعى فى الأكل ما كنت خرجت من العسكر إلا ومعى أكثر من عشر رؤس من الخيل فضحكت الأميرة وعلمت انه صغير السن لاصبر له على الجوع كصبرهم وله يومان ما أكل شيئا فعذرته الأميرة وقالت له دونك والزاد فأنا ما آكل حتى أبصر ما يكون من العبد دينار والبطال فانهما لما سارا يطلبان العسكر كما ذكرنا قال البطال لدينار ابصر كيف يكون فانى ماأخذتك معى إلا لأجل ما أقسمت على وقلت لى إذا أنت سرقت شيئا أحمله فقال دينار طب نفسا وقر عينا أيها الأمير فلو حملتنى عشرين

قنطارا حملت ذلك على رقبتى (ياسادة) ولم يزالا كذلك إلى أن وصلا إلى عسكر الروم واتصلا إلى سرادق الملك فوجدوه على الشراب كما قال الحصين وعنده وجوه البطارقة وخواص العمالقة وعقبه إلى جانبه وعليه عقارة ديباج رومى مرصعة بالدر والجوهر محبوكة الاذيال وعلى رأسه برنس أسود وهو كأنه شيطان بصورته وقد لبس ذلك كله وسلب عقل الملك بطيب محادثته وترددا أخبار الملوك المتقدمين وأشعار وأحاديث من قد سلف من الأوائل والملك يقول له أيها الشيخ النجيح لقد ضجرت من المقام ههنا وطال الأمر بيننا وبين هؤلاء الكلاب وما فى الأمر إلا اننا نفتح غدا عليهم باب السرداب ونأخذهم أخذا بالكف ونسيرهم إلى القسطنطونية فقال عقبة أيها الملك أما المسلمين الذين تفزع منهم أن يتم على القسطنطونية أمر فما هم عندك وما عداهم فلا شىء لأن الكلام كله هؤلاء الذين فى السرداب أخربوا البلاد ولصوصهم الذين يسلبون العقول وما أقول إلا أنهم يصحبوا إلا موتى لأنى دخلت إلى الدير الذى فيه السرداب ووقفت عليه وناديت القوم بأسمائهم فلم يجيبونى لأجل ماقد أصابهم من الضعف وغدا ينزل اليهم غيلان ويطلع بهم مشدودين فى الحبال ويسوقهم إلى القسطنطونية ان شئت فى غاية الذل والهوان وان أحببت ان تعذبهم ونتركهم عندنا فافعل (قال الراوى) وكان غيلان جالسا قدام الملك الفالوغص كأنه الجاموس وعلى رأسه جماعة من السودان فقال لعقبه أيها الشيخ النجيح وحق المسيح ماأردت أنزل اليهم إلا وحدى ولو كانوا أكثر من ذلك نزلت اليهم وما كان على منهم خوف وكنت أريد شيئا يهولك ولما قلت لى خلهم ماقدرت أرد عليك كلامك لأن من خالفك خالف المسيح (ياساده) هذا والبطال قائم يسمع وعقبة يقول لغيلان أيها المولى أما شجاعتك فأنا ما أشك فيها وأما نزولك فأنا وحق المسيح ما أمكنك منه لأنى أعرف أن معهم واحدة إذا ماتت وبقيت سنة كاملة فى قبرها ما يجسران يمر بقبرها أحد إلا أننا غدا نفتح عليهم وناديهم فأن صعدوا وراموا عدتهم والا رمينا عليهم النار والحطب والنفط ونسير فى أشغالنا ونكون قد بلغنا آمالنا ولا نخاطر معهم بأرواحنا ولا ننزل اليهم (قال الراوى) فقال البطال للعبد دينار والله لولا سهل الله عز وجل لنا الخلاص اليوم لكان هذا الملعون أحرقنا بالنار وهذا الليل قد انقضى أكثره وبقى أيسره وما بلغنا الغرض قف مكانك حتى أدخل وأدبر كيف أصنع ثم مدعينه فنظر إلى خيمة صغيرة إلى جانب سرادق الملك وفيها رجل شيخ شيبته إلى سرته وقد انحنا من طول السنين وهو يروق الخمر بالماء الورد والطيب والسقاء تدخل اليه وتأخذه منه الشراب المروق الذى فى الصلاحيات والقوارير الذهب والفضة مع البلور وهاهم ثلاث سقاه مثل الأقمار

ولوجوههم أنوار تغلب ضوء الشمس فلما رأى البطال ذلك قال سبحان من أعطى الحسن فى الروم ثم ادعى بدينار وأمره أن يتوارى عن السرادق الذى فيه الملك الفالوغص وهجم صار قدام الملك ووقف على رأسه فقال له الملك أين كنت من أول الليل والرهبان الذين أنفذتهم خلفك جاءوا بالإقامة واحمال الخمر من دق الناقوس الأول وأنت جئت هذا الوقت فقال البطال وقد قبل الأرض يامولاى أنفذتهم إليك ونزلت فى الدير السفلانى أطلعت الرهبان منه إلى الدير الفوقانى لأنى رأيته خاليا من الرجال ففزعت أن يكون أحدا من كلاب المسلمين معهم ويصير لنا معهم شغل فلما سمع الملك استصوب رأيه وأعجبه كلامه ودارت الكاسات وتفرقت جميع البطارقة وكذلك السودان وغيلان (قال الراوى) وأخذ الملك الكأس ونزل عند غيلان وقال له ابشر فاننا غدا يكون حيل إن شاء المسيح إلى القسطنطونية ومن أول يوم أصل أزف عليك ابنتى شمسونه سمك نعمتى فقبل غيلان الأرض بين يديه وجعل يدعى له ويثنى عليه وعقبه افرح ئ بهذا الأمر ويقول هذا غيلان قد نشألنا وجعل يصف للملك صفة حام بن نوح يف بذر السودان وكيف له الفضل على سام (قال الراوى) ومما وصف الملعون فى ود حار الملك الفالوغص وقال احفظ هذا معك أيها الشيخ النجيح إلى أن تصل إلى سطنطونية فانى أعلم أن ابنتى شمسونه تظهر الكراهة فى الزواج لأجل سواد غيلان وهى تعلم أنه أبيض الفعال فى يوم الجهاد فامدده أنت بين يديها فقال عقبة ما هى ممن تخالفنى فضب المسيح عليهم واغضب أنا أيضا فتطبق الأرض لغضبى (ياسادة) وفى هذه الفترة رب أبو محمد يده المباركة وأخرج قليل بنج عتيق وتقدم ليلقيه فى الإناء الذى يشربون وقد أخذ على ملغاة على صفة العنبرة التى يسموها الروم النقرقوره فتقدم إليهم وهو بالرومى هذه الأبيات

ايا تيا كذا ايتها سكرروسا   اتدرس سنا كط لسيا
من لعي لكان بشىء انانيا   كفون كرسى باسا
وكسليس اندرشيا امن   كيف وكيس اعوس

قال الراوى) فطاب الملك من هذا الشعر وطرب وشرب القدح وفرح عقبة اللعين نال الأمير أبو محمد ما طلب وعاد كل واحد منهما إلى موضعه وقعد (قال الراوى) ما استقر بهم المكان حتى تغيرت أحوالهم وانقلبت عيونهم ومالت رؤسهم وخمدت حركاتهم وتلجلجت ألسنتهم وقد اشتغلت عينى غيلان فى ام رأسه مثل النيران وخلط فى لامه وتغير أحواله وصاح فى الملك ويلك يا ألف قرنان تشتمنى ثم تلهونى وتقول ان

ابنتك ما تريدنى ايش رأيك الساعة فيمن ينتف لحيتك ويصفع فمك. فسمع الملك كلا-
وهو نافخ فشتمه ووثب أن ينهض إليه فما قدر فتماسكا باللحا وتلاطما حتى وقعا وأ
عقبة قام ومافى عينه قطره فلما نظر البطال إلى ذلك قعد عند رأى الملك يروح عليه بالمد
وينتظر قدوم السقاه وقد امل ان يبلغ مناه وإذا بالشيخ الذى كان موكلا بالشراب الذ
للملك قد صاح فى السقاه ويلكم يا كلاب أنتم ترون الشيخ النجيح قد غلبه السكر وه
على هذه الحالة ولا فيكم من يحمله إلى خيمته احملوه وارجعوا الأمير غيلان (قال الراوى
فعندها تقدموا السقاة إلى القاضى عقبة وحملوه وهو مثل القتيل فقال أبو محمد وا
أقول ان الملعون سكر إلى هذا الحد والساعة كان يتحدث هو والملك وغيلان وما أدرى
فيهم من عاد تحرك إلا كأنهم مبنجون وما هذه إلا غاية العجب وما شربوا من الباطي
شىء اترى هذا صحيح ثم وثب فى أثر السقاة إلى باب السرداق

وإذا بالدنيا همسا ثم أنه صفر لدينار باشارة بينه وبينه وإذ بدينار
قد أتى اليه وقال ما حالك وما الذى فعلت

﴿ تم الجزء الرابع والستون ويليه الجزء الخامس والستون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيره أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الخامس والستون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

المطبعه المنيرية بالازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فقال أبو محمد ويلك يادينار امضى خلف هؤلاء السقاه الذين خرجوا بعقبه وانظر الى اين يمضوا به وعدالى واعلمنى حتى ابصر أما يكون منى ومن الملك لعلى آخذه واذبح غيلان فانى قد انكرت امرهم فانى ماقول انهم مبنجين لأنى خبير بما يعمل البنج فقال دينار السمع والطاعه ثم انطلق خلف السقاه واراد البطال ان يدخل السرادق واذا هو بحرس السودان الذين كانوا متوكلين على الحرس فى هذه الليلة قد اقبلوا من اطراف العسكر وهم طالبين السرادق لينظروا ان كان الملك قد نام ام لا فلما رآهم البطال عاد مثل البرق وحمل باطية الشراب وقال لهم انزلوا لتنالوا الراحة فان الصباح قد اقترب والملك قد نام وهذا من الشراب الخاص فاشربوا أنتم من شراب الملك فانه سكر سكر زائدما أظنه سكر مثله فكملوا أنتم ليلتكم بالفرح وكلوا من هذه الخيرات التى وصلت ثم نزل الباطية بين أيديهم وقد حموها بتلك الخمره المباركة هذا وقد اعلمهم ان الملك قد زوج ابنته لغيلان ففرحوا بذلك وشكروه ونزلوا عن الخيل وهم يقولون هذا الذى كنا نؤمل وما نظن انه بقى أحد من الروم يقدر يتأنف منا ولابد لهم أن يزوجونا بناتهم ويحكمونا فى أموالهم ونملك سائر جهاتهم هذا والبطال قد تركهم وعاد فوجد الملك وغيلان على تلك الحالة وهما يتململان مثل الحيه على المقلا ولا يعلمان هل هما فى أرض أم فى سماء فقعد البطال على رأس الملك والمدية بيده ينتظر أن يناموا السودان وهو مقدم فى حمل الملك ومؤخر خائف أن يكون قد خانه ظنه وأن القوم

ماهم مبنجين (قال الراوى) فبينما هو كذلك واذا هو بامرأة عجوز قد دخلت من باب السرادق وقعدت الى جانب الملك وقد حطت من على رأسها قصعة ملآنه من لبن الجاموس وجعلت تحرك الملك وتعلمه وهو لا يعقل فملات من ذلك اللبن وجعلت تقلب فى حلقه وهو يفتح فمه ويشرب ولم تزل تسقيه حتى شرب نصف القصعة ولا يدرى ايش يشرب بل يتلذذ ببرودته من شدة مايجد من الحرارة التى فى قلبه وهى تسقيه حتى جاش فؤاده وتقيا كلما شرب وارما ثلاثة أقراص بنج كانها قوالب الشمع وفتح عينيه وقال للعجوز ويلك ايش أنت ومن فعل بنا هذه الفعال فقالت يامولاى فعل بكم هـــذه الفعال التى أحل بنا النكال وذبح النساء والرجال فقال ومامعنى هذا الكلام فقالت اعلم أيها الملك انى من هذا الدير الذى فيه المسلمين محبوسين ومافيه غيرى وغير ابنتى وحق المسيح لاننا أيها الملك أول الليل لما انفذت هذا الراهب وهو الذى على رأسك بالمدية فأمرنا باحضار الاقامة والشراب فنزلوا الرهبان الذين عندنا لخدمتك كما عرفت ولم يبقى فى الدير من له منفعه إلا بعد نزولهم ماحسينا بأربعة أشباح ونـ.. لوا علينا من السطح الذى للدير وفى أيديهم السيوف فقتلوا كل من بقى فى الدير ومابقى وحق المسيح غيرى وغير ابنتى لانى دبرت حيلة حتى تخلصت منهم وقلت انى لما رأيتهم وقد فعلوا تلك الفعال علمت أنهم مخالفين لديننا وانهم مسلمين فقيدت ابنتى وشديتها كتاف وفعلت أنا كذلك بروحى وانطرحت على جنبى فلما فرغوا من قتل الرهبان والنسوان وصلوا الينا فناديتهم ياقوم ان كنتم مسلمين فلا تقتلونا فما أصابنا نحن هذا كله الا على دين الاسلام لاننا دخلوا الينا قوم مسلمون من قبلكم وكانوا مطلوبين من الروم فأخفوا أنفسهم عندنا وسترنا عليهم فلما كان فى الليل انتبهت أنا وابنتى فرأيناهم وقد صفوا الاقدام ووقفوا فى طاعة الملك العلام فلما نظرنا حسن عبادتهم علمنا أنهم مسلمين فاسلمنا واقمنا عندهم مطلقين من دون أهل الدير فلما أتى عدوهم الملك الفالوغص ومعه هؤلاء السودان المتنصرة وتسلقوا اليهم وما أحسنوا حتى قبضوا عليهم وحبسوهم وسألونا نحن عن ديننا فأقروا الرهبان علينا بالاسلام فعول الملك أن يحبسنا معهم فقالت له نسوان الدير لا تفعل أيها الملك لعلهم يرجعون عن دين الاسلام خليهم عندنا مهانات ففعلوا بنا هذه الفعال ونحن لا نعود عن دين الاسلام بعد أن عرفناه ولا نعبد غيره بعد أن ألفناه (قال الراوى) فلما سمعوا منا هذا الكلام أيها الملك حلوا كتافى وكتاف ابنتى وقالوا نحن أيضا من المسلمين مثلكم وما نريد منكم الآن تعرفونا اين أصحابنا المحبوسين فعندها أيها الملك قمنا معهم واوريناهم الابطال الذين على باب السرداب فماهم الا أن قلنا لهم هاهنا حتى تقدم رجل شيخ له من العمر مائة سنه ولعب بها باصابعه ففتحها كانه هو الذى قفلها ونزل هو واصحابه وتركوا بعضهم عندنا احترازا على أنفسهم منكم ومنا

وفتشوا السرداب فما وجدوا فيه أحد فرأيتهم وقد صعب عليهم ذلك وقالوا ان أصحابنا قد خلصوا وطلبوا بلادهم وما فى الأمر الا اننا ندبر على القاضى عقبه ونأخذه ونلحقهم الى بلاد الاسلام فقلت لهم بالله هؤلاء الذين كانوا عندنا وخلصوا ايش يكونوا منكم فقالوا موالينا واحبابنا ونريد منك ياعجوز أن تكونى لنا الليله مشاركة فى الثواب اذا استودعناك وديعة تحفظيها فقلت لهم يا قوم لو قلتم لى ارمى روحك فى النار لفعلت ذلك ومضوا عندنا أول الليل ومارجعت رأيتهم الاالساعه ومعهم ذلك الشيخ الذى تسموه الشيخ النجيح وهو مثل القتيل فلما رأيته على تلك الحاله ضاق صدرى لأنى أعلم انه ركن من أركان النصرانيه لاسيما قدطار من الدير الى الوادى ولما حصل عندنا سألتهم عنه فقالوا هذا عدونا وقد بنجناه وكذلك فعلنا بالملك وبغيلان الشوك والساعة نمضى ونأتى بهما الى ههنا ونعود نسرق لنا خيل وبغال ونحملهم معنا الى بلاد الاسلام فلما سمعت ذلك منهم أيها الملك صعب على ولكن ماجسرت أن أكشف لهم عن حالى فيقتلونى ويتم لهم مايريدون وتذهب دولة النصرانيه فأظهرت لهم الفرح بذلك وأطمعتهم انى أخرج معهم الى بلاد الاسلام فتركوا الشيخ النجيح عندى وعادوا خرجوا من الدير فأوصيت أنا ابنتى ان تحفظ الشيخ النجيح ولا تعود تفتح لهم الباب فقالت لى الى أين تريدى تسيرين فقلت أنا أريد أمشى وأسبق القوم وأخلص الملك مما هو فيه وأعلمه بهذه القصة فما يعوزنى ثواب من المسيح فقالت ابنتى يا أماه افعلى ماتريدى فما خلصنا الشيخ من أيديهم الا حتى نكون سببا لهلاكهم كما كنت انا سببا لهلاك أصحابهم لان ابنتى أيها الملك هى التى احتالت على أبطال المسلمين أول مردوا نا أمها ولى من العمر مائة سنه أنا وهؤلاء الرهبان فى الدير على انتى أيها الملك من بنات الملوك واسمى فاشوره بنت غاشوره ابنة دامغ وابنتى طلعت أعلا منى (قال) فلما سمع الملك من الراهبه قامت عيناه فى ام رأسه وقال وحق المسيح لقد خلصوا القوم وعملوا علينا ولولاك أيتها العجوز الصالحه العابده لكانوا قد بلغوا منا ما أرادوا ثم قال لها تخلصى غيلان الشوك ماهو فيه كما فعلتى بى حتى يمضى ويأتى بالشيخ النجيح ونبصر كيف تمت علينا هذه القضيه (قال الراوى) ثم التفت الملك الى البطال وقال له ويلك يازالوه وانت حاضر وهذا كله يجرى وماعندنا منه خبر فقال البطال وحق المسيح يامولاى ما عندى خبر من هذا الامر لانى قد رأيتك نمت حسبت أنك قد غلب عليك السكر فقعدت عند رأسك وصرت أروح عليك بالمدبه لجرى العاده (قال) هذا جرى والعجوز قد تقدمت الى غيلان وفعلت به مثل مافعلت بالملك فتقيا البنج وأفاق على نفسه وفتح عينيه فرأى الملك ورأى العجوز بين يديه فقال أيها الملك ماهذه الغيبه وماهذه الاقراص فقال هى سبب الخلاص ثم أعاد عليه ماسمع من فاشوره وقال وحق المسيح يامقدم غيلان لولاها كنا أصبحنا رؤس

ولا أبدان فقال غيلان أيها الملك وخلصوا المسلمين فقال نعم فقال غيلان وحق المسيح ماعمل هذا كله الاهم وكل هذا برأى الشيخ النجيح الذى يريد يصلبهم على باب القسطنطونيه فلقاه المسيح ماهو فيه ثم قال أيها الملك على أى شىء قدعولت فقال مافى الأمر إلاأن نركب ونأتى بالشيخ النجيح من الدير وبعد هذا نشرع فى طلب المسلمين فقال غيلان هذا هو الصواب ثم ركب ونادى فى سودانه ليمضي بهم الى الدير واذا ببعضهم قد دخل وهو مثل المجنون فلما عرفوه ولا يدرى من الذى أخذ القاضى عقبه ولا يعرف أيضا مافعل العبد دينار ولا من الذى دخل الدير وقتل الرهبان ولا ماذا جرى للاميره ومن معها وقال هذه نوبه ماجرى على قط مثلها ثم ان الملك شد كتافه ونقله الى خيمة الدم ووكل به عشرة من البطارقه وجرد غيلان فى مائة فارس من أصحابه السودان بالعدد الكامل والسيوف القاتله والعمد الثقال والحراب الصقال وصعدوا الى الجبل رجاله وطلبوا الدير لخلاص عقبه هذا وغيلان يقول لانأمن ان يقعوا بنا المسلمين لانهم قد تخلصوا كلهم (ياساده) هذا جرى هاهنا (وأما) البطال فانهم لما تركوه فى خيمة الدم بقى منكر فى قبضه وقبض الاميره ذات الهمه وقال ان وقعوا بهم وحصلنا كلنا فى أيديهم أهلكونا ومكروا بنا وقد قتلنا بلاسبب فهو كذلك اذسمع معه أنين فى المضرب فتامله واذا به العبد دينار فقال دينار فقال نعم يامولاى فقال له ماالخبر فقال يامولاى لما أنفذتنى حتى أبصر أين يمضون القوم بعقبه لما أخذوه فما زلت فى الجبل ودخلوا فى الدير ورجعت أنا لاعلمك فوقعت فى السودان فهجموا على وقربوا منى ونظرونى فعرفونى وحملونى إلى الذى هو مستخلف عليهم من قبل غيلان واسمه طاعون الفلافلما رآنى قال وحق المسيح ياعبد السوء مادخلت العسكر إلا فى أمور تعملها ومصائب تدبرها وما أنتم إلا قد خلصتم من السرداب وإذا لم تقل لى كيف خلصتم وفى أى شىء دخلت وإلا ضربت رقبتك فقلت يامولاى ماخلاص غيرى وانى كرهت مقامى عند المسلمين وعدت لاخدم مولاى غيلان وأطلب منه الامان وأكون معه كما كنت فى جملة السودان فقال لى تكذب ياملعون كيف كان سبب خلاصكم وأى شىء جيت تعمل والاقتلتك تحت العقوبه فلمارأيت منه الجد شرعت احدثه بالذى جرى لنا وكيف دخلت أنا وأنت العسكر وبهذا اخذوك فقال البطال احسنت لاصح الله لك بدن والله ان وقعوا بالاميره ومن معها من الاصحاب أهلكوا ويكون ذلك من تحت رأسك وأنا ماأردت آخذك معى لولا أقسمت على وما فى الأمر إلاالرضاوالتسليم إلى رب العالمين (قال الراوى) فهم فى الكلام وإذا بالصياح من صوب الحصن قدعلاوزاد ونما وركبت السودان عن بكرة أبيها وعسكر الروم وكان ذلك عند الصباح وكان السبب فى ذلك الصباح ان غيلان ومن معه من السودان لما مضوا إلى الحصن ووصلوا اليه وجدوه

مفتوح وطلعوا فما وجد أحدا فيه إلا الرهبان مسلوخين والنسوان على وجه الأرض مذبحين وما للناس من عقبه خبر ولا أثر ولا للجارية بنت فاشوره وانما وجدوا الدم منها يجرى وهى طريه كما ذبحت فقالوا ان الذى فعل هذه الفعال وأخذ عقبه ما أبعد فدوروا بنا حول الدير وأوسعوا فى الدوران فوقعت فرقة منهم بالأميرة وضيغم والحصين والخيل وتلك الصناديق فلما رأوا ذلك فرحوا وصاحوا لاصحابهم من كل جانب ومكان وهذا أمر جرت به الاحكام وان الأميره لما رأت ذلك صاحت بضيغم وقالت يا بنى ان البطال لاشك قد اخذهو ودينار وقد اقروا علينا فما عندك من الرأى فقال ياستاه ماتريدى فقالت له يا بنى ما بقى فى الأمر إلا القتال والاتكال على الملك المتعال ولو عدنا دخلنا فى الفناه التى اخرجنا منها أحرقونا بالنار فيها ثم انها جردت حسامها وطلبت الرجال وفعل ضيغم ايضا مثل فعالها وصدم غيلان من دون السودان واعان باسم الملك الديان الذى لا يشغله شان عن شان ولم يزالوا كذلك حتى أصبح الصباح وقد قتل من السودان جماعة من الرجال الأبطال الاقيال فجرح ضيغم فى ثلاث مواضع ثم انهم أخذوه قبضا باليد ولم يبق إلا الأميرة ذات الهمة مع غيلان ولو بقيت هى والأمير ضيغم كانوا قد أفنوا السودان (قال الراوى) ياسادة بعد أن أخذوا ضيغم ووقع الصوت فى العسكر ووقعت الوقائع وظهرت الفجائع وظهرت المسلمين والبطارقة يطلبون الخيل رجاله هذا وان الأميرة لما رأت الرجال طلعوا من كل جانب ومكان تجات عن غيلان وطلبت الروم وغاصت فيهم ولم تزل تضرب فيهم حتى لم يبق فى يدها غير قائم السيف فصدموها بعد أن أوهنوها بالجراح وشدوها وضيغم كتاف وقادوهم والحصين بين أيديهم حتى وصلوا إلى الملك فلما مثلوا بين يديه أمر بضرب رقابهم فقال غيلان أيها الملك ماهذا صواب لأن الشيخ النجيح ما رأيناه فى الدير وما هم إلا قد تركوه فى بعض المواضع فقال الملك ابطحوهم وعاقبوهم حتى انهم يقروا بالشيخ النجيح الطيار اين ودوه وبعد ذلك نضرب رقابهم فعند ذلك بطحوا الأميرة ذات الهمة وضربوها حتى غابت عن الدنيا وهى تقول ياويلكم هذا الضرب لمن يفزع من مفارقة الدنيا ويخاف الموت ونحن كلما جانا أمر من الله نأخذه بالقبول وقد علمنا أنه يعطينا الجنة وغاية المأمول ويخاصنا بمجاورة الرسول فاقتلونا واشتفوا منا وأريحونا من هذا العناء فقال غيلان وحق المسيح لابرحت عليكم بالعقوبة حتى تقرون لنا بالشيخ النجيح وتعلمونا أين هو لأننا ما نقدر نتخلا عنه ولو دخلنا خلفه إلى بلاد الإسلام وقتل منا ألف ألف على السهام لأنه إذا غاب عنا عرفنا أن المسيح غضب علينا فقالت الأميرة وقد علمت أن عقبة قد عدم ويلك ياغيلان وحق من لا يشغله شان عن شان ما عندنا من عقبة خبر ولا سمعنا بحديثه إلا منك فان كنتم قد أخذتم البطال فاسألوه عنه فربما يعرف به فلما سمع

غيلان قسم الأميرة علم أنها صادقة فامر بها ان تحمل إلى الخيمة التى فيها البطال ودينار وضيغم والحصين وسار غيلان معهم ودخل على البطال وقال له ويلك ياشيطان اخبرنى أين الشيخ النجيح وإلا قتلتكم أجمعين فقال البطال والله الذى لا إله إلا هو ماعندى منه خبر إلا أنى رأيت رفقاءه قد حملوه وخرجوا به فبعثت وراءهم هذا العبد دينار فقبضتم عليه والساعة فقد ذكر لى انهم دخلوا به الدير وعند رجوعه قبضتموه وهذا جملة ماعندى والسلام فعندها قال غيلان ائتونى بالسقاه فوحق المسيح ماكان مصيبتنا إلا منهم وهاتوا العجوز الصالحة فاشوره التى خلصتنا من البنج حتى إذا أنكروا تشهد عليهم فقال الملك وحق المسيح ماأقول ان غلمانى يعملون على وأنا ربيتهم صغار وعندى ولدوا وأما الشيخ الكبير كركيس الذى برسم خيمة الشراب فله عندنا أوفى من ثلاثين سنة يخدم أبى وجدى وبعد أن وقع الشك لابد من احضارهم حتى نسمع كلامهم (قال الراوى) فمضت البطارقة ليحضروهم فطلبوهم فما وجدوهم فلما سمع الملك ذلك علم أن الأمر كان من تحت رؤسهم فصدق ذلك فيهم ثم قال اطلبوهم فوحق المسيح لأضربن رقابهم (قال) فركبت الخيل وتفرقت يمين وشمال فى طلب سقاة الملك وقد وكلوا بالمسلمين عشرة من البطارقة برسم حفظهم وقال ماتقتلهم حتى يظهر خبر الشيخ النجيح ونفعل بهم مايشاء فقال غيلان هذا هو الصواب ثم عادوا إلى الخيام وعادت الخيل تخبر أنها ماوجدتهم ولا وقعت لهم على خبر فقامت على الملك القيامة وقال وحق المسيح ما للمسلمين ذنب إلا لهؤلاء الملاعين ثم انه بات متفكرا فيما يفعل وقد ضاقت عليه أبواب الحيل وعول أنه إذا أصبح الصباح يرحل إلى القسطنطونية ويكشف عن خبر الشيخ النجيح وخبر غلمانه

(قال الراوى) فهذا ماجرى من هؤلاء (وأما ماكان) من امر المجاهدين فانهم بقوا متفكرين فيمن فعل هذه الفعال والبطال يقول للأميرة ذات الهمة لو كان ولدى مذبحون فى قيد الحياة لكنت أقول هو الذى فعل هذه الفعال وعمل هذه الأعمال فقالت الأميرة فلا تقول إلا أنه بالحياة من أين له ثلاث غلمان وكيف علم اننا محصورين فى هذا المكان وأنت تقول رأيت الشراب عند رجل شيخ وماأقول إلا أن هذا من بعض البطارقة قد كان بينه وبين عقبة عداوة قديمة وقد فعلوا به هذه الفعال (قال الراوى) فهم فى الكلام وإذا بأربعة بطارقة قد دخلوا عليهم من جملة المتوكلين بهم فلما رأوهم خافوا منهم وقالوا ياويلكم ايش أنتم وما الذى تريدون فقال الواحد منهم أنا يانس وقال الآخر أنا جوهر وقال الثالث أنا لؤلؤ وقال الرابع أنا مذبحون (قال الراوى) ياسادة فما فى المسلمين احد سمع هذا وعقل على روحه من الفرح لاسيما البطال فانه غاب عن الدنيا لما سمع بولده وحسن هذا الاتفاق فى مثل هذا الوقت الذى هو ضيق الخناق (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن مذبحون لما ضربه غيلان تلك

الضربةوالعسكر على نصيبين وأخذ البطال من الخيمة وهو محروم كما ذكرنا وكان لؤلؤ وأصحابه فى عسكر السودان يسمعون ماعندهم من الاخبار كما وصفنا وكان غيلان قدضرب الأميره وجرحها وضرب مذبحون فلق رأسه وتركه مرمى فى جانب الخيمه وهو يظنه قدمات ووقع الصايح فى العسكر وعاد لؤلؤ وأصحابه إلى سيدهم البطال ليعلموه بالحال فوجدامذبحون يخور فى دمه فحملوه وهربوا من أول الكبسه ولم يزالوا سائرين إلى ان لحقوا المعتصم وأعلموه بماجرى ونزلوا بالموصل ليداووامذبحون والتقى المعتصم بعسكر الروم وغدر ملك الافرنج بعقبه كما ذكرنا وقال غيلان لابد من أخذ تار عقبه ومال عليهم حتى هربوا ولم يقدر أحدا من المسلمين يلحقهم بل نهبوا الأموال والخيام وأنفذ المعتصم الأمير عمرو بن عبيد الله إلى ملطيه وأعطاه ثلاث خزائن مال برسم عمارة ملطيه لاننا قد ذكرنا ان ارمانوس أخربها وأنفذ معه الصناع من سائر البلاد وعاد إلى بغداد وقلبه على الاميره ذات الهمه وضيغم ولم يعلم ما كان منهم ولا ماتم عليهم وعول انه يطلبهم من ملك الروم ويكاتبه بسببهم إذا وصل إلى العراق (قال الراوى) وأقام لؤلؤ يداوى مذبحون حتى برئ من جراحه وقد انقطع خبر مولاهم البطال فقال مذبحون قوموا بنا نعبر بلد الروم وندور على أبى ونكشف خبره ثم جهزوا حالهم وساروا حتى وصلوا إلى مدينة القسطنطونيه وقالوا أينما كان خبرهم يأتى إلى ههنا ثم أقاموا ثلاثة أيام وهم فى زى البطارقه ومعهم عدتهم وكلما يحتاجون اليه وفى اليوم الرابع وصلت كتب عقبه إلى الملك يخبروه بما جرى له فى دير الفواره وانه أعطاه المسيح تلك المنزله وطار من أعلى الدير وهو فى الجهاد مع المسلمين وهم فى الدير محصورين وأريد منك أيها الملك ان تسيروا إلى وتنظروا ما قد أنعم المسيح به على فسار الملك كما ذكرنا حتى أشرف على الدير وكانوا غلمان أبو محمد البطال فى جملة العسكر (قال الراوى) ودبرت الراهبه فاشوره الحيلة على المسلمين وأنزلتهم إلى السرداب كما تقدم ذكره وان مذبحون صبر إلى الليله الثانية وأخذ أصحابه وطلع الدير بعد نزول الرهبان بالاقامه فبذل السيف فى كل من فيه وماسلم منهم الا فاشوره وبنتها بالحيله التى دبرتها وانهم لما رأوا أصحابهم ماهم فى الدير فظنوا انهم قدخلصوا وطلبوا بلاد الاسلام فقال مذبحون والله مانخلفهم بلا افاده ولا بدلنا ماندبر على عقبه ونأخذحتى نكون قد وقعنا بطائل ثم نزلوا من الدير وقد خلوا فيه فاشوره وبنتهاوهم يظنون انهم مسلمات ولم يزالوا إلى ان وصلوا إلى سرادق الملك فوجدوه يشرب وعقبه عنده كما ذكرنا فقصدوا إلى بيت الشراب فوجدوا صاحب الشراب شيخ كبير وهو مشتغل بترويق الشراب فقتلوه ولبس مذبحون عدته وثيابه وركب على وجهه لحية مثل لحيته وسحبوه الغلمان إلى بعض الكهوف فألقوه فيه وأقام غلمان البطال عند مذبحون فى خيمة الشراب وكلما جاء

من غلمان الملك واحد يطلب يملا القرابه مايحس بنفسه الاوهم قد هموا عليه وقلوه ويلبس أحدهم ثيابه ثم يدور مذبحون بحسن صنعته ويجعل وجهه ويرخى شعره ويعطيه القرابه فيدخل بها على الملك والناس قد خالطهم السكر ولم يزالوا كذلك حتى دخل الثلاث غلمان على أبو محمد البطال بزى الثلاث سقاه واقام هو والشرابى كما ذكرنا وانهم لما ينجوا القوم اخذوا القاضى عقبه واوصلوه إلى الدير وعادوا ليأخذوا الملك فوجدوا فاشوره قدسبقتهم إلى الملك واسقته اللبن وحدثته بما جرى فقال مذبحون لعنك الله ياعجوز السوء والله لولا كى الليلة كنا قد اخذنا الملك وغيلان الشوك ولكن تمت خديعتك علينا بسبب خلاص الملك من ايدينا ثم اخذ أصحابه ورجع إلى الدير وفتح واخرج عقبه إلى أصحابه وقال ايش نعمل وإلى اين نذهب بهذا الملعون والساعه لابد مما يطلبه الملك فقال لؤلؤ اعلموا اننا بعدما عرفنا عند الملك فارجعوا بنا نحطه فى بعض الصناديق فى بيت الشراب ونقف نحن من وراء الخيمه فان رأينا الملك قد طلبنا وقد عرفته هذه الملعونه بحالنا نجونا بانفسنا وخليناه مكانه إلى الليل وعدنا اخذناه لانهم مايفطنوا به الاان يفتحون الصندوق فقال هذا هو الصواب ثم انهم عادوا إلى خيمة الملك فوجدوه قد عرف الأمير أبو محمد البطال وقد قبض عليه غيلان الشوك وقد ساروا فى طلب عقبه وقد وقع بالأميره ذات الهمه والملك قد ركب على صياحهم وفى تلك الساعه دخل مذبحون إلى السرادق الذى للملك وقد خلى من الناس ولم يبق فيه غير فاشوره فذبحها وارماها برا السرادق وغطاها بالتراب وقصد إلى ابو محمد البطال ليخلصه فوجد الصياح قد ازداد وقد اخذت الأميره ذات الهمه والأمير ضيغم والحصين فعظم عليه ذلك وقال مذبحون الحمد لله الذى وافق مجيئنا والا كانوا قد هلكوا ثم انهم لبسوا ثياب البطارقة وخلعوا ثياب السقاه وركبوا على وجوههم لحاء ســود وجرى ماجرى وانفذ الملك يطلبهم وهو يظن أنهم غلمانه فكان أول من بادر للملك بالاسارى عشر بطارقة كما ذكرنا وكانوا هذه الاربعة من جملتهم فامهلوا لاصحابهم إلى ان أظلم الليل وقام مذبحون وطاف عليهم فذبح الستة ودخل هو وأصحابه على الأميرة كما وصفنا (وعدنا إلى سياقة الحديث) وان الأمير أبو محمد لما عرف ولده مذبحون كاد قلبه أن يطير فرحا وقال له يابنى وأنت فى الحياة والله ماظننت انك تسلم من تلك الضربة فقال والله ياأباه ماكنت إلا هالك ولكن لطف الله بى فقال يابنى وكيف كان وصولك إلى عندنا قال ماهذا موضع الحديث قوموا بنا مادام الليل من أوله حتى نقطع من الليل قطعة وإلا ان اصبحنا بالقرب منهم أخذونا ولا بد للخيل ماتركب فى أثرنا فقال البطال صدقت يابنى ولكن قلبى من الملعون عقبة فيه نار لاتطفى ولهيب لايخفى وايش عملتم به فقال عقبة حاصل اخلصوا أنتم من هذا البلاء وخلونا

من غيركم ثم ان مذبحون دنا منهم وحل كتافهم وفك القيود التى فى أرجلهم وسار بهم حتى أخرجهم من العسكر وقال الساعة قد علمت أنا قد نجونا فقالوا بقينا نريد خيل وعده فقال مذبحون أنا لا بد لى مما أعود إلى العسكر وأخرج عقبة إلى ما تخلصون انتم وتخلصوه لكم شيأ تركبوه فقال أبو محمد أنا أدخل فى طلب شىء نأكله فقالوا غلمانه ونحن ندخل فى طلب الخيل والعدة فقال الحصين لا والله مايدخل فى طلب الخيل غيرى لأنى تمرنت فى سلها فضحك البطال منه هذا وقد علم به ولده وغلمانه ففرحوا به وقال مذبحون والله ياأباه لقد رأيت من ليالى مناما وهو كان قد نبت لى ضرسا من حديد وبقيت متفكر فى ذلك فقال له البطال يابنى هذا والله تفسيره بأخيك الحصين وزاد فرحه بذلك ثم سار كل واحد منهم إلى ماعزم عليه وبقيت الأميرة ذات الهمة وضيغم والعبد دينار (قال الراوى) وما مضى من الليل ساعة حتى عاد أبو محمد ومعه برذونين فى علو الجمل وعلى كل واحد منهم صندوقين من الخيام ملآنين من الطعام فلما رأته الأميرة فرحت بسلامته وقالت الله تعالى يكتب على من بقى السلامة فقال الأمير أبو محمد والله مافزعى إلا على ولدى الحصين لأنه لو فطن به أحد ما كان له حجة يحتج بها فهو فى الكلام والحصين قد وصل وهو يقود خمسة رؤس من الخيل الجياد فضحكت الأميرة منه وقالت والله ياأبا محمد ان هذه صنعة مليحة ووصل الحصين وهو يضحك وسلم إليهم الخيل وأقاموا ينتظروا مايكون وإذا بلؤلؤ قد أقبل ومعه أربعة من الخيل الجياد وهو وحده يقودها فقلق الأمير أبو محمد والأميرة كذلك وقال لايكون أخذوا باقى أصحابه فقال لؤلؤ باقى أصحابى يحملون العدد ولم تكن إلا ساعة حتى أقبل جوهر وهو يتلهف من ثقل ماحمل من السيوف والدرق ومع الإثنين رمحين طوال تصلح للقتال فلما رأت الأميرة ذلك قالت أفرقتم الليلة وافقرتم الروم وكانوا الملاعين موتى لأنهم من العشاء مافيهم من يخرج من خيمته

(قال الراوى) وما بقى من الجماعة إلا مذبحون وبقيوا فى انتظاره وقد خافوا عليه وقالت الأميرة ذات الهمة والله لو جاءنا ما كنا نريد عقبة لأن له رب يستر عليه ولا بد مايوصلنا إليه فهم فى الكلام وإذا بركض فرس من بين أيديهم وفارس مقبل قاصد إليهم فقالت الأميرة لاشك قد أخذ مذبحون وقد أتوا فى طلبنا أو يكون هذا فارس واحد رايح فى شغله ثم ركبت الأميرة واشهرت سيفها وقصدته وإذا به مذبحون فهنته بالسلامة وقالت يابنى ايش أبطاك والله لقد ضاقت صدورنا لأجلك فقال والله ياأميرة انى لما سرت من عندكم قصدت الخيمة التى فيها عقبة فلقيت البطارقة الذين فيها لم يناموا فخفت ان يمضى الليل ونرجع نقع فى أيدى الروم ولا يسوى هذا كله شىء ولا يسوى عقبة الملعون فرجعت فى طريقى فوجدت هذا الفرس وقد انقطع مقودها وقد شردت فركبتها وأتيت إليكم قبل الصباح

فقالت مافعلت يا بنى الاجيد وما فى الأمر غير المسير مادام فى الليل رمق ثم رجعوا وأخبروا الجماعة بذلك فقال أبو محمد والله ماأردت أسير إلا بعقبة معنا ولكن الأمر لله تعالى يفعل مايشاء ويحكم مايريد ثم ان القوم ركبوا الخيل واستعدوا بالعدد وقال لهم الأمير أبو محمد اقطعوا بنا هذه الأرض البيضاء حتى نقطعها ونطلب حصن يانس المتعزب فهو أقرب من بلاد الإسلام فقالت الأميرة سير أنت ياأبو محمد بين أيدينا حتى نتبعك فسار البطال فى أماكن يعرفها والقوم على اثره فلما أبعدوا قال مذبحون ياأباه أيكم أسبق لما كنا فى عسكر الروم فقال أبو محمد يا بنى ماسبق الا أنا الا أن الله تعالى سهل لى أمورى وانى دخلت الى العسكر وتصدت خيمة الملك فوجدت الى جانبها خيمة صغيرة والبطارقة فيها يتحدثون مما يلى بابها فعدت الى خلفها وقلعت من أطنابها وتد وحملت من صناديق الطعام صندوقان وأبعدت بهما الى آخر الخيام وبقيت مفكر فى أى شىء أشد الاثنان واذا أنا بصاحب هذا البرذون داخل الى العسكر فلما رآنى قال من أنت ياهذا قلت أنا من سواد البلد وقد حملت للملك هديه وأنا من هذه البلد وقد وقف بغلى على وأنا أود أنقل الصناديق هذه لعل أصل بهم الى خيمة الملك فقال لى وحق المسيح أنا صعلوك مثلك أحملها على برذونى هـــذا وان أعطاك الملك شىء توهبنى نصفه قلت أى وحق المسيح ولو أعطانى الملك ألف دينار كان لك نصفها ولعل المسيح يسهل لنا شيئا فعند ذلك نزل عن البرذون وشد عليه غير الشد الأول وشال عليه الصناديق وهو يعاونى فى الواحد وهو أثقل من الآخر فقال يا هذا ماكان هذا الصندوق أخر الآخر فكيف كان بغلك يحملها فقلت يا أخى كنت أشيل فوق الخفيف حجر حتى يعادل الآخر فقال يا هذا أما كان الصندوق الاثقيل فعندها مسك الصندوق الخفيف بكلتا يديه وحملت أنا صخرة أكثر من عشرين رطل وجبته من ناحية جنبه وقلت له يا هـذا دير وجهك حتى لا يدخل فى عينك من هذا التراب والرمل شىء فما هو يا بنى إلا أن أعطانى قفاه حتى بطحته بالحجر فى قرنه مع رقبته أخرجت مخه من رقبته ومن أذنه وعدت عدلت الصناديق وسقت البرذون وأتيت فقال مذبحون وفى خيمة الشراب خبينا عقبه وهو كما هو فى الصندوق الى الآن ولابد أن يكون طالع معك فى أحد الصناديق فوالله ليكونن هذا من أعجب العجب ويحق لهذا الحديث أن يكتب بماء الذهب لحياتى عليك يا أبتاه افتح لنا الصندوق الخفيف فوالله ان قلبى حس أن عقبة فيه فقال البطال يا بنى كيف يكون ذلك قال يا أبتاه لما حطيته فى الصندوق واردت أن أحمله اليكم وأنا فرحان بأخذ عقبه واذا بالصياح من عسكر الروم ومرج السودان وقد وقعوا بالأميرة ذات الهمة فخليته فى الخيمة ونجيت بروحى وعملت على خلاصك وهذا حديثى قم الآن وافتح الصندوق. فقام الأمير أبو محمد وفتح الصندوق

واذا بعقبة يبصبص بعينه الصحيحة الا أنه كاد أن يهلك من الجوع فلما رآه الأمير أبو محمد البطال قال الله أكبر ما أبركه من صباح وما أبركها من ليلة والله إن هذا اتفاق مليح بالشيخ النجيح وأريد أشرح قفاه لنستريح واقطع رقبتك حتى تنفى دين المسيح ثم انه أخرجه وقال اجتمعوا حوله وخلص الاكره من فمه وقال له كيف الشيخ الطيار ففى قلوبنا منك النار فقال عقبة يا ابا محمد ما مر على فى عمرى أمر من هذه الحبسه فى الصندوق الميشوم فبحق ما تعتقده أنت أين أنا من هؤلاء الذين حولى وكيف خلصتم من ذلك السرداب ومن ذا الذى عمل على وبنجنى فما فقت من البنج الا الليلة فعندها حدثه أبو محمد كيف كان سبب خلاصهم واعلمه أن الصبى الديلمى قدخرج ولده الحسين وحدثه بما فعل مذبحون وكيف أتى الى بلاد الشام الى بلاد الروم ووصل مع الملك وكيف صاروا غلمانه سقاة وبنجوهم وحدثه بالقصة من أولها الى آخرها فلما سمع عقبة ذلك كادت مرارته تنفطر وقال وحق المسيح يا أبا محمد ما دين النصرانية الا على الباطل وما المسيح الا مسلم والا ما كان يمهلكم هذا الإمهال وقد عجبت أيضا من هذا ابن الزانية أن يكون الا منكم والساعه على أى شىء عولت فقال ما عولنا الا على الخير أريد أضربك مائة سوط وأرجع أردك الى الصندوق وأسير بك الى بلاد الاسلام وأتسبب فى صلبك فقال عقبه واى خير ها هنا ويلك يا شيطان ان كان من دين الاسلام ما تعتقده يا أبا محمد وان لابد من ضربى فاطعمنى قبل كل شىء فوحق المسيح ان ضربتنى وانا جائع لأجمع المسيح منى جائعة فقال ابو محمد ياملعون والله لااضربك الاوانت جائع فقالت الأميره ذات الهمة دع عنك يا ابامحمد هذا الأمر واطعمه ما يمسك رمقه ورده الى الصندوق وسر بنا قبل ان يلحقنا شىء يشغل قلوبنا فقال عقبة أيتها الأميرة الزاهدة هذا والله اعتقاد اهل الدين فاسمع ماقالت الاميرة ذات الهمة وخلى كل شىء الى وقته فاطعمه البطال ورده الى الصندوق ولم يضربه وساروا الى ان اصبح الصباح وقد امنوا على نفوسهم واذا بغبار من بين ايديهم قد ثار الى ان علا على الأفق ثم انقطع بعد ان اظلمت منه الطرق ولاح من تحته علم اصفر يروق المنظر عليه صليب من الجوهر وتحت ذلك العلم عشرة فوارس وهم خمسة من العرب المتنصرة وخمسة من البطارقة الا ان مقدمهم بطريق على الجزيرة الأقصى اسمه طنطليس ابن شميص ابن فليص وهو كانه من بعض الجواميس وكان قد ورد الى مدينة القسطنطونية وحضر بين يدى نائب الملك وقال له انا طنطليس ابن شميص وقد قيل لى ان الملك الفالوغص كثير الأعداء وقد كفاه المسيح مؤنة من يطلب البراز من الجن والانس على انه يعطينى الجزيرة التى انا فيها لأن فيها رجل ما يساوى ملو اذنه نخالة وهو ملكها وله الأموال الجزيلة الكاملة والنعمة الشاملة والجند ما يريدون إلا كثرة المال

ولايفرقون بين شجاعة الأبطال فقال له نائب الملك الفالوغص حبا وكرامة ابشر ايها البطريق فقد وصلت الى ما تريد لا سيما اذا بقيت قدام الملك او ما سمعت ايها الملك بغيلان الشوك وهو من جملة السودان الذين قصدوا اليه وتنصروا فى هذا الزمان الا ان الملك لما بين هذا العبد قدامه اعماله اقطع له البلدان واحسن اليه غاية الاحسان وانت اولى بهذا من كل انسان وقد وصل كتاب الملك يامرنى ان اجمع الصياغ وآمرهم ان يصوغوا له سرير من الذهب الأحمر ويرصعوه بالجوهر برسم الملكة وانه قد زوجها بالملك غيلان وهى من يوم سمعت بذلك قامت عليها القيامة وقالت وحق المسيح ان أغصبنى على زواجه قتلت روحى لأنه من ذلته ومن فزعه يريد أن يزوجنى شيطان وهذا ما كان ولا يكون اعمله أبدا (قال) فلما سمع البطريق ذلك طمع فيها وقال قد أباح لى المسيح إلى غيلان والى جميع السودان الى الميدان حتى أتركهم رؤس بلا أبدان (ياسادة) فهو فى الكلام مع نائب الملك وكتاب الطاير قد وصل بخبر أن الخليفة قد جمع عسكر خراسان وأجناد البلاد والقلاع والبلدان وقد سار فى عساكر عظيمة وقد حلف أنه لابد له مما يدخل الى بلاد الروم ويقتل وينهب ويهدم البيع والأديره والصوامع ويفعل ذلك فى بلاد الروم ولا يرجع حتى يقطع رقبة ملك النصرانية ويخلص كل أسير فى القسطنطونية فلما سمع نائب الملك ذلك قال ما بقى يحل كتمان هذا الأمر عن الملك ونريد من يسير بهذا الكتاب الى الملك ويخبره بهذا فقال طنطليس أنا أسير اليه ولاأعود حتى أقبل يديه فقال النائب هذا وحق المسيح وقت حاجة الملك اليك ثم جهزه وجمله بالبيارق والطوارق والأعلام وانفذ معه خمسة من العرب المتنصرة وهو معه خمسة من البطارقة وأهل جزيرته كأنهم الأبالس بالعدد الكاملة والقنطاريات الواصلة والسيوف الفاصلة ولم يزالوا سائرين لحصن يانس المتعزب وطلبوا أقرب الطرق فساروا فى الأرض البيضاء والعرب المتنصرة تدل بهم حتى التقوا بالأميرة ذات الهمة وهم عشر فوارس ففرحت بذلك وقالت الحمد لله على تلك النعمة التى لم يلقانا من نفكر فيه فقال لها ضيغم وقد عاين حسن عددهم وجودة خيلهم ياستاه ماكان أحوجنا الى هذه الخيول التى لهم والعدة التى معهم لأننا قوم مطلوبين ومعنا هذه البراذين ماتنقل بنا وهذه الرماح التى معنا لاقيمة لها وما كان ينجينا الا عدة هؤلاء القوم مع الله تعالى فقالت الأميرة ذات الهمة وكيف نتعرض بقوم لايتعرضون لنا دعهم ودعنا نداريهم ونمضى فى طريقنا فقال ضيغم لا والله لا أتركهم ولا بد لى من أخذ عددهم وأنا أتركهم يتعرضون لنا ثم أطلق عنان جواده حتى قارب القوم وسلم عليهم فردوا عليه السلام واستخبروه عن الملك وعن العسكر فقال منه جئنا فقالوا واين الملك نازل فقال على دير

الفواره فقال البطريق وكيف يطيق ويطيب قلب الملك أن يشتغل فى هذا المكان وخليفة المسلمين قد عول على الدخول الى بلاده وهلاكه وهلاك عبدة الأصنام فقال ضيغم ماخليناه الا على نية الرحيل الى القسطنطونية فكم من هنا الى حصن يانس المتعزب فقال البطريق يوما وليله فكأنكم أنتم غربا من هذه البلاد فقال لا وحق محمد ابن عبد الله وما نحن الا مسلمين وقد أخذنا الشيخ النجيح عقبة وأنا ضيغم وهذه الأميرة ذات الهمة وهذا أبو محمد البطال وغلمانه وأولاده (قال الراوى) فلما سمع البطريق ذلك قال لقد تنكرتم الى غير راحم مادام انكم مسلمين فقالت له العرب المتنصرة أيها المولى هؤلاء أصحاب بلاد الاسلام ومعهم الشيخ النجيح وهو روح الملك الفالوغص والملك ماسار الى هذه الأرض الا لأجلهم وما ندرى كيف خلصوا منه فقال لهم البطريق ياويلكم فان كان الأمر على هذا فدونكم واياهم حتى أنظر قتالهم وان كانوا يصلحون لخروجى خرجت اليهم فعند ذلك صاحت العرب المتنصرة والبطارقة وتقدمت الى القتال الا شيخ منهم فانه خلاهم ونزل يرعى فرسه فقالوا له رفقاءه ويلك لم لاتركب وتطلب القتال مع أصحابك فقال أنا بى خلط فى الركوب ويلكم قلوا عنكم قلة العقل وسوء الأدب ولا تكونوا مجانين من بين الروم والعرب واعرفوا من قدامكم واطلبوا الهرب والا حل بكم الويل والعطب فما التفوا الى كلامه وأطبقوا على الأمير ضيغم فالتقاهم بقلب ملان ايمان وأنه استعان بالملك الديان فقتل أول بطريق والثانى فلما رأى الشيخ ذلك من فعال الأمير ضيغم انتزع الكفر من قلبه وآمن بالله ورسوله ونطق بالشهادة وصار من أهل السعادة ففرحت الأميرة ذات الهمة باسلامه وأما البطريق طنطليس فانه رأى ماهاله من ضيغم فأمر جماعته بالجملة فحملوا وضجو بأصواتهم فاستقبلتهم الأميرة ذات الهمة بقلب قوى وجنان جرى وصرخت عليهم بقول الله أكبر فتح الله ونصر وأخذل من كفر (قال الراوى) فبينماهم كذلك واذا بغبرة عظيمة قد أقبلت وتحتها عسكر مثل الجراد فلما رأوهم التهوا عن القتال وافترقوا عن بعضهم بعض وكان هذا العسكر نائب الملك وكان جبار من الجبابرة يعد فى الميدان بألف من الشجعان فلما اقبل التقاه البطريق طنطليس احسن الملتقى وهناه بالسلامة وساله عن سبب مجيئه فأعلمه فقال له من تكون من البطارقة وما هؤلاء القوم الذين انت واياهم فى القتال والنزال فقال له انا طنطليس البطريق ابن شبيص المبارز البحرى وهؤلاء القوم الذين فى قتالى ذكرا انهم من المسلمين ومعهم قس اسمه الشيخ النجيح الطيار وانا فى قتالهم أرجو اهلاكهم لأنهم قد اهلكوا اصحابى وقتلوا غلمانى فلما سمع البطريق المقدم ذكره ذلك صلب على وجهه هو وقومه وقال هؤلاء

طلبة الملك وحق المسيح لاسيما ومعهم الشيخ النجيح (ياسادة) وكان البطال قال لضيغم وأصحابه اقبلوا منى والتجؤا الى وراء الجبل الذى بين أيديكم قبلهم لتستندوا عليه وتعتمدوا بالله عليه وتقاتلوا القوم من جهة واحدة بعد ما نرفع عقبة الى أعلا الجبل فان رأينا اننا هالكين قتلناه قبل هلاكنا حتى لايبقى سالم من بعدنا ولا يشتفى بالإسلام فقالت الأميرة هذا هو الصواب سوقوا الدواب واتكلوا على رب الأرباب ففعلوا ذلك وطلبوا الجبل وتعلقوا فى ذراه ورفعوا عقبة الى أعلاه ووقف الأمير ضيغم والأميرة ذات الهمة أسفل العقبة ومعهم العبد دينار والشيخ ثعلب ومذبحون والبطال واثنين من غلمانه والباقى حملوا الصندوق الذى فيه عقبة من فزعهم عليه (ياسادة) وطلبتهم البطارقة مثل السلاهب وقد ركبوا الجنائب وأشهروا القواضب وفى أوائلهم مائة من المقدمين وقد أملوا ان يأخذوا المسلمين وأمروا بقية الروم ان يصطفوا فاصطفوا خمس صفوف (ياسادة) وطلبت المائة مقدم الأميرة وأصحابها ونظر ضيغم الى تلك الخلائق واختلاف البيارق فقال للأميرة والله ياستاه ما هؤلاء الاخلق كثير وما ههنا من يقاتل إلا انا وأنتى وكم جهد مانقاتل وقد قال الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة فقالت الأميرة وما عسى أن نصنع يابنى ان طلعنا الى الجبل حاصرونا وربما طاولونا وأخذونا لأننا مقلين من الماء والزاد وان ولينا قدامهم الأدبار لحقونا لأجل بعد الديار ولا سيما وتحتهم الخيول السوابق وان سلمنا أنفسنا اليهم نموت موت اللئام وما بقى الأمر الا أننا نقاتل فى طاعة الملك العلام وان كان هذا اليوم يوم رحيلنا الى الآخرة خلصنا من هذه الدار الغادرة غير اننا مانرى الغلبة الا ونقتل عقبة قبل موتنا حتى نكون قد ارحنا امة محمد منه فقال ضيغم هذا هو الصواب والاعتماد بعد ذلك على الملك الوهاب ولما عولوا على القتال قالت الأميرة لثعلب ياثعلب ان هؤلاء القادمين ماعلموا انك معنا ولا انك اسلمت ورجعت الى الله تعالى فاكتم ايمانك عنهم واذهب اليهم وكن معهم الى ان تجد فرصة وترجع الى بلادك وتعمل فى خلاصهم الى بلاد الاسلام ومن رأيته من المسلمين فاقريه عنا السلام وقل لهم ان ذات الهمة الكبيرة البائسة الفقيرة التى مالها ذخيرة قد فدت المسلمين وماتت قتيلة فى محبة هذا الدين وان وفيت ما بيننا من حرمة وذمام ورايت ولدى فاقريه عنى السلام واوصيك انك اذا وصلت الى عبد الوهاب قل له ان العجوز مشتاقة اليك وهى تقريك السلام وتخلصك بالتحية والاكرام وهى فى ارض معطشة وبلاد غريبة لالها مجير ولا معين ولا صديق به تستعين وقد قتلها الشوق اليك ثم انها اخرجت من حقها ورقة واعطته من وسطها قلم ودواة وقالت له تحسن تكتب فقال لها نعم فقالت له اكتب وانا املى عليك ثم انه تقدم يكتب وهى تملى عليه وانشدت :

سلام على الندب الأمـــير　　من المفرد الصب بين الورا
ســـلام محب به شبـــدة　　يلاقى القتال وكيد العدا
ترى يجمع الدهر مابيننـا　　والقى الأمير قبيل العنا
فؤادى عليك وجسمى نحيل　　وصبرى قليل غداة الوغا
فشوقى جليل ووجدى مقيم　　وسيفى زعيم بسفك الدما
وانى غريب وامرى عجيب　　وبعد الطبيب حياض الردا
وقلبى إلى ولدى شائق　　وقد طال والله بعد المدا
واحدقت الروم من حولنا　　الوف وقوف ببيض القنا
ألا ياحمام بحق الامام　　ترى تعلمون بحالى هنا
ترى يصبـح الشمل مستجمع　　ويضحى البعيدبه قددنا
ذكرت زمانا مضى سالما　　ونحن نزول بربع الحما
كان لم نعيش سرورا به　　ولم اجنى فيه ثمار المنا
فسقيا ورعيا لعهد الرضا　　ولا قرب الله يوم الجفا

(قال الراوى) فلما فرغت الأميره من شعرها وبلغت بما فى صدرها بكى الأمير ضيغم والشيخ ثعلب وقال بالله ان وجدتم لهذه الرساله غيرى فانفذوه واما انا والله اول قتيل يقتل بين ايديكم وقد مضى زمانى ضائعا وهذا آخر عمرى وان لم يغلب خيرى شرى فالنار اولى بى لأن الأعمال بخواتيمها وما بقى لى فى الحياة حاجة ومابقى الا الجهاد فى طاعة رب العباد وانا فما املك الا نفسى واريد اليوم اطلب بها الشهاده (قال) وكانوا الروم لماحملوا قالوا للبطريق طنطايس قف انت والزم حشمتك ولا تكون بينك وبين هؤلاء القوم مفاصله فنحن نكفيك امرهم والملك خلفنا واصل وسوف تبلغ ماانت له آمل لأنه يحب الشجعان ويرى رأيه فى الفرسان (قال الراوى) وكان قصدهم بذلك ان يكون الذكر لهم وياخذون الخلع والثياب والأموال إذا اخذوا ذات الهمه والبطال وكان هذا البطريق غريب بهذا المقال وكانت الأميره قد اعجبته بعبادتها فانفرد عن الجيش ووقف ينظر اليهم واطبقت المائة مقدم الذين ذكرناهم على الأميره فالتقتهم بجنان اقوى من الصخر وقلب اقوى من البحر وحمل ضيغم وراها وساعدها على بلواها وصاح الشيخ ثعلب بقرب الكتائب يابنى اللئام جاءتكم طيور الحمام الا ان تقولوا الااله إلا الله محمد رسول الله صلى الله غليه وسلم فاليوم تسعد قوم وتشقى اقوام (ياساده) فعرفوه البطارقة وكان بينه وبين واحد منهم صداقه فقال له ويلك

ما كنت اعرفك إلا اذل العرب فلاى شىء طلبت القتال وتركت دينك وأسأت الأدب وما اعرفك فى الحرب إلا اذل من هرب فقال له ثعلب ان كنت تعرفنى هارب فانا اليوم للقتال طالب والساعه اجود فى القتال والصنيع وتعلم انى شيخكم وشيخ الجميع فافعل مثلى والا فانت رقيع (قال الراوى) فلما سمع البطريق كلامه ضحك من نظامه وغدل عن الحرب لاجله لانه كان صديقه وبينهما موده وحملوا الباقين على ذات الهمه وضيغم واشتدت النقم وعملت الصوارم فى القمم وبدل الوجود عدم واظلم النهار من رهب الجبل واغتم ونظر إلى وحدة هذين الاثنين الملك الاعظم واعانهم على لقاء المائة فارس وكثرت الوساوس ودام ضرب البتار إلى ان انتصف النهار وإذا بثلاثة قد خرجوا من المعمعه وهم يصيحون كريالسيون ياشيخ ارحمنا وانظر الينا بعين الرضا فالهؤلاء المسلمين من المفر وانكشفت الغبرة للنظار وإذا بالبطارقة آذان مجزعه ورؤس مقطعه وابدان مطرحه ورقاب مشرحه وأكتاف قد جرحت ودماء قد قطعت فلما رأت البطارقة أصحابهم وما حل بهم من عذابهم انتخت المتنصره وحمل منهم مائتين وطلبوا الأمراء مثل طرفة العين فقال ثعلب لاستر الله عليكم ماتخلونا نستريح إلى غد فقالت الأميره دعهم يفعلوا ماأرادوا فنحن قد وهبنا أنفسنا للملك الأعلا ومن تعب اليوم نال الراحة غدا فقال ثعلب للاميره بالله عليكى يامولاتى انعزلى أنتى ومولاى ضيغم واتركونى لهؤلاء الملاعين لانهم كلهم عرب مثلى ولى فيهم ثلاثة أخلاء والباقون بنى عمى وأقاربى فدعونى أدعوهم إلى الله تعالى ثم زعق بجواده وكان شيخا جوهرى الصوت فخرج الجواد من تحته كانه البرق الخاطف حتى قارب القوم وناداهم ويلكم إلى أين يا كلاب العرب اتبعونى تخلصوا من النار ذات اللهب وادخلوا فى دينى تنجوا من العطب فلما سمعو كلامه قالوا له ويلك ماأنت ابن عمنا ثعلب قال بلى أنا ثعلب وابو ثعلب وشيخ العرب وكل امرىء عجب وقد زال عنى الكفر وذهب ومابقى الا القتال عن دين سيد العرب والنبى المنتخب قالوا ويلك اسكت يامدلول عن هذا القول المجهول فقال والله ماالمدلول إلا من يرجع عن ملة الرسول فضحكت المتنصرة من قوله وقالوا له ويلك يامجنون ماأنت ثعلب الذى كنت تهرب من خيالك ولاتحمى عيالك قال بلى أنا ذلك وقد هدانى مالك الممالك وها قد برزت اليوم إلى قتالكم وأريد اليوم أقطع من هؤلاء الامراء آمالكم وأيديكم وأفنى رجالكم واسبى أولادكم وعيالكم قال فغضبت المتنصره من كلامه وحمل عليه منهم فارس وكان من بعض اخوته وهو جبار من الجبابرة فأطبق عليه ونزل البلاء حتى قاربه ولم يرد قتله بل قرع من الرمح قته وشوش عمامته ونادى ياثعلب وحق ذمة العرب لولا ما بيننا من النسب لاخذنا

مافى عيناك وأوقفتك بفعالك (ياساده) فهو فى خطابه وذات الهمه حملت عليه وصاحت به فارتعدت جثته وطعنته بالرمح من بين يديه وإذا بالسنان طلع من بين كتفيه فصاح ثعلب اليها ياسيدة العرب كل من شوش عمامتى شنى منه علتى فضحكت منه الأميره وحملت على باقى المايتين وتبعها ضيغم وغلمان البطال واشتد القتال وحمى النزال ولعبوا المجاهدين وطعنوا فيهم طعنات تقرب الآجال وضربوهم ضربا يهد الجبال ولم يزالوا معهم على هذا الحال حتى نودى فى قبائل النهار بالارتحال وفى قبائل الليل بالانسدال ورجعت المتنصرة عن القتال وقد هلك منهم رجال وتمددوا فى عرصة المجال واقبلوهم والروم يتلاومون ويقولون وحق المسيح ان هذا غاية العار أن نكون فى خمسة آلاف فارس ومالنا فى قتال فارس طاقه فكيف يكون عذرنا عند الملك إذا قدم علينا ومافى القصد إلا اننا نهمل أمر هؤلاء إلى غد إذا نزلوا من على الجبل ونحمل بأجمعنا عليهم والا بقينا فضيحة فى سائر الاقطار ومعيره عند كل من شد الزنار ثم أقاموا ينتظرون الصباح وقد عولوا على الحرب والكفاح (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمراء فانهم عند المساء طلبوا الجبل فلما وصلوا إلى البطال فوجدوه قد فتح الصندوق الذى فيه عقبه وهو قاعد عند رأسه بيده خنجر وهو ينظر إلى الحرب ويقول ان قضى على الأمراء بقضاء قتلت هذا المعون ولا أبالى بعده بما يكون فلما أمسى المساء وطلعت ذات الهمه وضيغم ومن معها من الأصحاب تلقاهم البطال وهناهم بالسلامه وأخرج لم الطعام وأقام هو وولده مذبحون والحصين يحرسوهم إلى الصباح فلما أصبح الصباح قامت الأميره إلى جوادها وفعل ضيغم مثل فعالها واتبعهم ثعلب وبعض غلمان البطال ونزلوا من ذروة الجبل وإذا بالدنيا ملآنه من المضارب والقباب وعساكر قد ملات الروابى والهضاب وصلبان قد سدت المشارق والمغارب وملات جميع الآفاق والجوانب فقالت الأميره لضيغم يا بنى قف مكانك حتى ننظر هذه القصة فانى أقول ان الفالوغص قد أقبل وأحدق بعساكره حول الجبل فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

(قال الراوى) وكان الأمر كما قالته الأميره لان البطارقة لما باتوا معولين على ماذكرناه من القتال وجعلوا يأخذون أهبة النزال إلى أن كان وقت السحر فنزل الملك فى عساكره وبطارقته ودساكره وقد ملا الارض فى الطول والعرض وسألهم عن المسلمين فاخبروه انهم فى قتالهم وحربهم ونزالهم وقالوا قد احتموا عنا فى هذا الجبل والا كنا بلغنا منهم الامل ثم أعلموه بقصة طنطليس البطريق وانه أوحد زمانه وقد أتى يبارز بين يديك الاقران وضمن انه يبلغنا إلى غيلان فتعجب أصحاب الملك والملك من ذلك ونزل وأمر كتائبه فدارت بالجبل وأصبح الصباح كما ذكرنا ونزلت الاميره ذات الهمه وضيغم كما وصفنا ونظر ثعلب

إلى ذلك فقال الاميره ماأرى أعدانا اليوم إلا أكثر من أمس فضحكت الاميره وقالت اعلم ان الرجل إذا ضربت رقبته لايحس إذا كان السيف هندى أو أفرنجى وكذلك من طلب الله لايفزع ولا تدركه المخافه ولا يجزع (قال الراوى) ودخل طنطايس إلى الملك وخدمه فاكرمه الملك وعظمه وأمره ان يظهر شيأمن شجاعته فعاد إلى ظهر جواده وجال وتقلب على ظهره حتى حير أعين العباد مما أظهر فى الطراد فاعجب الفالوغص فاخلع عليه واندهل مما أبصر من حسن تقلبه على الخيل وما صنع من الفروسيه واللعين قدام الروم فقال الفالوغص ماأظن يكون أحد مثل هذا فى الزمان إلا أنت ياسيد السودان فقال غيلان كل ماهو فيه صناعة لاشجاعة هذا والبطريق قد تقدم إلى الملك وقال أيها الملك المسيح أباح مبارزتى لاهل الشرق والغرب وغدا آتيك بهؤلاء الاعداء إذا نزلوا من الجبل وأسقى الكل شراب الاجل وقد بلغنى انك زوجت ابنتك شمسونه بهذا العبد المنجوس وقد سمعت فى مدينة القسطنطونيه انها ما رضيت بذلك لانك ان أغضبتها بزواجها قتلت روحها وأريدك ان تخرجه إلى فى الميدان حتى تشهد بينى وبينه الفرسان ومن نصره المسيح فقداستحق الجود والاحسان فعند ذلك التفت الملك إلى غيلان الشوك ليشاوره فى هذا الشان وإذا به قدانقلبت عيناه فى أم رأسه وهو كانه الفتيق وما بقى للملك ولا لاحد عنده قدر وركب على جواده وقد ابيضت شفتاه وسواده ونادى بالبطريق طنطايس وقال دونك ياابن الاعلاج لتنظر منى العجب تحت العجاج هذا والسودان قد عظم عليهم قول البطريق وقالوا من يكن احق منا بزواج الزنجيات الملاح ونحن الطاعنون بالرماح والضاربون بالصفاح ثم كثر منهم الزعاق وقامت الدنيا على ساق فقال ورمدون المجنون ان أفسد هذا الزواج انفسد حالنا كلنا فقال قيلمون الرأى عندى ان نكون غافلين عن اعدائنا والاصرنا مسلمين ولطمناهم بالدرق اجمعين (ياساده) هذا والبطريق وغيلان قد انطبقا فى الميدان واخذا فى الجولان والكر والفرحتى غابا عن العيان تحت الغبار وهما يتهامزان مثل الاسود قلوبهم اقوى من الجلمود ونظرت ذات الهمه إلى ذلك فقالت قد اوقع الله الفتنه بينهم واشغلهم اليوم عنا ليقضى الله امرا كان مفعولا فقال ضيغم ترا ايهما يغلب فقالت ذات الهمه اما البطريق فهو شجاع عند الاختبار واما غيلان فرجل لايصطلى له بنار فسوف يكون بينهما مايعلمه الواحد القهار على ان لهما آجال محتومه إذا جاءت لاتفرق بين القوى والضعيف

(قال الراوى) ودام القتال بين غيلان والبطريق حتى صار وقت العصر وقد تحير الناس منهما ومما جرى عليهما من الخداع والقراع فنشروا لهما دشة الانطباق والافتراق فلما ازداد الامر صاح البطريق وطعن غيلان طعنة هائلة وصلت القنطاريه فى الحديدوانحنا

غيلان عليها فرفعها بصدره وضرب البطريق بعامود بولاد وزنه عشرة أرطال فخسف البيضه ونزل إلى رأسه فطير مخه وأضراسه فوقع مثل قطعة الجبل فى الميدان ومقام الضرب والطعان

(قال الراوى) فعندها صاحت السودان وقبلت الصلبان وعظم غيلان فى عين الملك والبطارقة وشهدوا له بالفروسيه جميع العمالقة وغضبت الروم من ذلك الحال وقالوا لقد ترك الملك من فرسان الروم الأبطال وهم السادة الاقيال القليلة المثال وعادت عصبته مع هؤلاء السودان الانذال فقال ياقوم اعلموا ان هؤلاء الفرسان اليوم منكم واليكم وأشفق الناس عليكم لاسيما وقد اخلصتم فى قتال أعدائكم النيات وأظهروا فى دينكم العزمات حتى تنالون الغاية القصوى وترون النصر على الاعداء وقالوا أيها الملك من قدمته فهو المقدم ومن كرمته فهو المكرم فعندها أقبل الملك على غيلان وقال له أحسنت يافريد الزمان ويا ملك السودان ولكن اعمل قبل فى خلاص الشيخ النجيح وعمدة المسيح فصاح غيلان فى السودان وزعق فى الاقران فانفرد منهم خمسمائة عنان وطلبوا جند الرحمن ولما نظرت الاميره الى ذلك هزت رمحها الثقيل واشهرت حسامها وصارمها الصقيل وألوت عنانها وقومت سنانها بين آذان حصانها وفعل ضيغم مثل ذلك وانتخوا غلمان البطال وولده مذبحون وتأهبوا للحمله وأما الشيخ ثعلب فانه لما راى السوان معولين على الحملة قال ياقوم انا قاتلت معكم امس وقد اصبحت اليوم تعبان ومالى طالع الا فى الروم واما هذه الوجوه العابسه والاناف الفاطسه فمالى على نظرهم طاقه لان امى كانت فى صغرى تخوفنى بالسودان وقد بقى الخوف فى قلبى الى الآن فضحك الامير ضيغم من هذا المقال وقال ماقلت الا الصواب لانك امس اتبعت فرسك معنا فالله معينك فقال ثعلب فامهلوا انتم حتى اعود انا عند البطال واجلسه عند الصندوق الذى فيه عقبه القرنان واذا رايتكم قد هلكتما قبضت على دقنه وذبحته من اذنه الى اذنه وان كنت ما افعل ذلك بريت من دين الحنيفيه والذمة العربيه فقالت الاميرة ذات الهمه لله درك هذا والله كان فى نفوسنا ونريد منك اذا انت قتلته فاكتم قتله عن نفسك وقل للملك اذا اخذوك قل لهم انا كنت مأسور مع القوم وتحرص انك تأخذ اولادك وتخرج الى بلاد الاسلام والسلام اذا اردت زمزم والمقام وحججت الى بيت الله الحرام ثم بكت بكاء حرقة وجرت دموعها بقطرات وانتحبت انتحابا شديدا وانشدت

اضيغم هذا اليوم يوم سعادة فدونك يا ابن الاكرمين الا طايب
ولا تجزعن يا ابن الامير من الردا فان جنات الخلد تحت القواضب
ومن طلب الرحمن لاشىء غيرة فلا يلبسن الدهر حلة خائب
سأطعن فى احداقهم بمسقف طويل ثقيل مثل سم العقارب

وارجو من المولى امانا وجنة اذا ما قتلنا فى بلاد الكواذب
الا يا غراب البين بلغ رسالتى امير يفك الهام من كل كاذب
وقل انها ما فارقتك وانما قضى من الرحمن غير مغالب
فلا نظرت عيناك ضيغم واقف يحامى عنها بالسيوف التواضب
وقد احدقت من الروم خيل حولنا وسودان غيلان اللعين الموارب
وفالوغص فى الف الف مدرع يرمون قتلى عامدا غير واجب
ولو كان عندى يا بنى كتيبة بالف سنان لم اكن بالمغالب
ومع ذا وهذا سوف اطعن فيهم واضرب فى اعناقهم والترائب
سأحمى على نفسى واجهد طاقتى عن البطال مولاى وغاية مطالبى
وانى ومحبوبى عنيت مقالتى لضيغم نور العين ابن الاطايب

(قال الراوى) ولما ان فرغت الاميره ذات الهمه من شعرها حملت وعلى الله توكلت والى السودان وصلت وكبرت وهللت وحملت وحمل ضيغم وغلمان البطال وراءها ومامنهم الا من بكى لبكاءها ورق لشكواها وتصايحت السودان واختلطت اهل ملة الايمان باهل الشرك والطغيان واستغاثوا للملك المعبود وتصادموا فى المجال وجرى الدم وسال وكان يوم يشيب الاطفال وتزلزلت لهوله الجبال وصارت السودان تظهر من تحت الغبار فلم يزالوا بين هارب وعاطب والدماء تسيل مثل السحائب وأقبل الليل باجنحة الغياهب ونادى المنادى بينهم بالانفصال فرجعت وقد ملات الأرض من القتلى والسودان قد هلكت منهم الابطال وفنيت الاقيال فعظم ذلك على غيلان ونهم كما ينهم الأسد الجيعان وقال للروم كان بقى يقال خمسمائة من السودان قد أقاموا فى الحرب بفارسين يوم كامل وما كان منهم اليهما واصل وانتم كنتم خمسة آلاف وما قدرتم عليهم على انكم تعلمون انهم الموصوفان المعروفان الواحد منهم ذات الهمه التى أخربت البلاد وأيتمت الأولاد وفنيت الأكباد والثانى الأمير ضيغم الأسد الغشمشم والصلد الأرقم ووحق المسيح لقد لقيته فى الحرب وموقف الطعن والضرب فرأيت منه فارسا لايطاق وعلقما مر المذاق وغدا أخرج اليهم وأكفى الروم شرهم فشكره الملك على ذلك وقال وتربة أبى ارمانوس ان فى قلبى حسرة من هذه المرأة مما رأيت منها فى حصن يانس من الحيل والقوى ولولا الليل حال بينى وبينها لكانت سقتنى شراب الردى فقال غيلان الشوك غدا نرى مايكون وما تتحدث به القرون فدعى له الملك على فعاله وباتوا إلى أن أصبح الصباح بعد ماافتقد غيلان الخمسمائة من السودان فوجد قد عدم منهم ثلثمائة وعشرون وبقى مائة وثمانون والطعنات كلها فى المقاتل وما فيهم شىء حائل عن المحائل واكثرها

طعنات الأميرة ذات الهمة فبات وهو متفكر (ياسادة) وأما الأميرة ذات الهمة فانها عادت طالبة إلى عند البطال هى وولدها وهم موتى من شدة التعب وقد كلت سواعدهم ووقعت الخيل من تحتهم وكان الشيخ ثعلب قد حصل لهم غيرها من المعمعة خيول منسوبة تصلح للمجال ورماح طوال بعدما هناهم بالسلامة وقال والله لقد كنت لما حملتم على السودان أزعق من رأس الجبل على الفرسان وأشاركم فى التكبير وأنفش ذقنى حتى يعلمون أن خلفكم مثلى ولا يطعنون فيكم فضحك البطال والأميرة من هذا المقال فقالت الأميرة الله لايخلينا من طلعتك ياثعلب فما هذا وقت الضحك ثم انها قامت على قدميها تعبد ربها وتخدم مولاها وتجعله رجاها (قال الراوى) وأما مذبحون وباقى الغلمان فما كان منهم من صلى أكثر من الفرض وانطرح من شدة التعب إلى الأرض ووقفت الأميرة ذات الهمة تطيل بكاءها وتشكو إلى مولاها هذا وضيغم يقول لها ياجدتاه لاخوف عليك فأنا إن شاء الله غدا أصطلى الحرب بنفسى وما أخليكى تقاتلى حتى اننى أشرب كاس الحمام وعرقبنى الهوام فلما أن سمعت الأميرة ذات الهمة ذلك الكلام احترقت أحشاها ثم أرادت أن تشفى من عقبة غليل صدرها وجواها ثم أخرجته من الصندوق وقالت له ياملعون إلى متى هذه الحياة الطويلة مع هذه العداوة فسوف يحل بك الليلة البلا وقد طال المدا ولابد من قتلك فى هذه الليلة قبل غد ثم انها أخرجت حسامها حتى برق ولمع وبرق وسطع فطار قلب عقبة وعلم أنها تسقيه كاس الموت جرع فقال فى نفسه هؤلاء قوم قد استقتلوا ولا شك أنهم يقتلون الشيخ الطيار ويرحلوا من هذه الديار (قال الراوى) هذا وضيغم يقول له ياشيخ الضلالة ومعدن الجهالة لان متنا بموتك وقتلنا بقتلك فالحمد لله الذى حصل ذلك ولم يحكم علينا بالموت إلا وأنت معنا حتى نشتفى منك ونخلص المسلمين من فعلك القبيح ياالعين يامن ليس له اعتقاد صحيح ولا ميزان فى الحساب رجيح (قال الراوى) فوثب له الشيخ ثعلب وهو يقول له ياشيخ السوء ان الدليل بالدليل عارف فوحق ذمة العرب لاصفعنك الليلة صفع جزاف ولا ذبحنك ذبح الخراف ثم جعل يعطيه بقوته على قفاه ويقول له ما أطيب قفاك ياقرنان وياعابد الصلبان والاوثان ياضعفان يامقطوع الاذان ياملعون فى سائر الالوان والاديان يامن عليك اللعنة من الحنان المنان لانك ياهذا ألعن من إبليس بطبقات كثيرة وليس لك قاعدة فى ملة من الملل ولا دين من الاديان فعليك ياعقبة لعنة الله وغضبه إلى أن تسقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار

(قال الراوى) فعند ذلك قال له عقبة يانحس ويحك ما أرقعك من شيخ وما أسفه من لسانك وما أجرى بالقبيح جنانك فقال له والله أنت أنحس منى بطبقات ولا بد ما تتجرع الآفات ولا تتخلص منى حتى تعطينى مهر أمى ثم تجهز البنات ونسأل فيك الاميرة وإلا أضربك ضربة

خطيرة فقال له عقبة صدقت يا ابن ألف نحس متى تزوجت أنا بأمك فقال له تزوجت بها عند مكة والحطيم وهو إلى تاريخه وإلى هذا الاوان مكتوب عندى من قديم وهذه علامة صحيحة وحق الإله العظيم (قال الراوى) فقال لهعقبة ماأكذبك يانحس متىهذا كان فقال له ثعلب لما كنت فى الحجاز تلاعب الصبيان وتعرض على النسوان فقال له عقبة اعلم ياهذا وهذه العلامة لاأعرفها فكيف يحل لك أن تصفها فقال له ثعلب اعلم أننى حققتها معرفة وأنا أخبر منك بهذه الصفة ويلك لم تنكرعيالك وتحمى أعمالك والكلب يصفعقذالك وينتف سبالك فقال عقبة ماكملت الجماعة إلا بهذا التيس الرقيع الزائد السقاعة ثم إنه التفت بعد ذلك إلى الاميرة ذات الهمةوقال لها باللهعليكى ياأمَ المجاهدين أريحينى من هذا الكلبفما رأيت أسفه منه فقالت الاميرةذات الهمة ياقاضى كيف يجوز لكأن تمنعه أوكيف يجوز لنا أن نمنعه منك وهو يطالبك بمهر أمه فقال عقبة كذب والله إن كان أنا قط تزوجت بأم هذا أو أعرفها فقالله ثعلب والله يارقيع ماتبرح من يدى إلا بالمهر وإلا صفعتك طول الدهر ثم انه شال يده وأعطاه واحدة وزنها رطلين بالدمشقى فى قفاه فصار عقبة يستغيث فلا يغاث وضيغم يقول ياقاضى من يطالب مهر أمه ايش يقال له ياثعلب لاتخليه بماطلك فى مهر أمك وخذ حقك منه أحسن لك لأن الإنسان إذا ترك حقه لاحق له (قال) ولم يزل فى ذلك العذاب الشديد حتى ركبت الأميرة وأصحابها على الخيول العتاق وتحدروا من ذيل الجبل بالسيوف الرقاق وأيقنوا بالشهادةفى طاعة الملكالخلاق وركبتعساكر الروم منسائرالآفاق وصهلت الخيول وهمهمت وتبادرت المواكب وازدحمت وافتخرت السودان وتقدمت وركب الملك الفالوغص ووقف تحت الأعلام واصطفتالبطارقة من كل جانب ومكان ينظرون مبارزة غيلان إلى العساكر والأميرة ذات الهمة سيدة الفرسان لأنهم قد سمعوا ذلك من أول الليل ولما نظر غيلان إلى العساكر وقد تبادرت وإلى ذات الهمه وقد نزلت تقدم وسلم على الملك وصقع وقال له أيها الملك أوفى وعدى ولا تخلف عهدى فقال له قواك المسيح وجاد عليك بالنصر الصريح افعل ما بدالك وأرنى اليوم طرفا من أفعالك فعندها قفز غيلانالى بين الصفين وتوسط الميدان وأوسع فى الجولان وهدر كما يهدر الأسد الغضبانوقدتقدمت بين يديه السودان ورفعتالصلبان وصاحتالقسوس والرهبان وعولت الاميره أنتحمل على غيلان واذابجانب جيشالرومقداضطرب وشاش وكثرفيه الاندهاش وخرج منه أوفىمن عشرة آلافقارس بالقراطق والمناطق والرايات المختلفات وهميطلبون الاميره ذاتالهمهوالزاهدة العابده ويريدوننصرتهاويرومون نجدتها (قال الراوى) وكان السبب فىذلك أمرعجيب وحديث غريبنحب نذكره على الترتيب وذلكانفارسا منعظماء

الروم كان قد خطب ابنة الملك ارمانوس من قبل أن يقتله هذا الملك الفالوغص وكان ارمانوس قد زوجه بها فى حال حياته لانه خاف منه من أجل حشمته وعظم نجدته ان تعتقده الروم وكان اسمه فيتفورس واسم الجاريه ارمانوسه ولما قال الملك الفالوغص لغيلان أريد ان أزوجك ابنتى شمسونه وبلغ الخبر الى القسطنطونيه وسمعت بذلك شمسونه فبعثت الى أبيها تقول له وحق رأسى ان أنت زوجتنى بهذا الاسود لاقتلن روحى وكيف يجوز للملوك العظماء أن يزوجوا بناتهم لغير أشكالهم لاسيما وهذا عبد أسود ومرتد عن دينه (قال الراوى) فلما وصل اليه كتابها أخفاه عن غيلان خوفا أن تنفسد عنه السودان وترجع الى ملة الاسلام فاستشار مارس وأخيه دارس فى ذلك وقال لهما أنتما مشايخ الدوله وما بقى من عظماء الروم غيركما وقد جرى من الامر ما هو كذا وكذا وقد نفرت نفسى من هذا الاسود وقد رأيت من الرأى ان أفرق أختى أرمانوسه من فيتفورس وأزوجها لغيلان حتى لايخرج من يدى مثله فقد نصر دين النصرانيه فما قولكم فقال له مارس أيها الملك هذا هو الصواب (قال) وكان على رأس الملك خادم صغير يقال له قسطنطين كان قد هداه فيتفورس للملك ووصى الغلام وقال له يا بنى أريدك أن تطالعنى بأخبار الملك ومايظهر لك ولما سمع ماقاله الملك لمارس ودارس مضى الى سيده فيتفورس وأعلمه فقامت عليه القيامه ودخل على ارمانوسه بنت الملك أرمانوس وفى وجهه آثار الغضب وقال لها اعلمى أن أخاك يريد أن يطلقك منى ويزوجك بهذا العبد غيلان المجنون الاسود فلما سمعت ذلك تخبل عقلها وتغير لونها وقالت وحق المسيح لئن فعل ذلك لاقتلن روحى كيف يجوز لبنات الملوك أن يغصبن على أنفسهم ويتزوجن بما لايصلح لهن فقال لها فما الذى ترين من الرأى وقد دار حول رجاله فقالت له الموت أقرب من هذا وقد سمعت أن ذات الهمه قريب منا وقد دار حولها برجاله وهى وولد ولدها ضيغم فى مقابلتهم وهم صابرين شاكرين منتظرين الفرج فسير اليها وابصرها وكن من حزبها واذا فعلت ذلك خاف أخى من جانبك ويتمنى منك أن تعود الى ما كنت عليه وان لم يلين لك كانت تلك الأميره سند لك وعضدك كما كانت ليانس المتعزب وان انصلح مع أخى حالك والا أخرج معها الى بلاد الاسلام وانا أحتال حتى أتبعك وأكون معك فعند ذلك استوصب رأيها واعلم غلمانه وسار من القسطنطينيه حتى لحق بالفالوغص فى هذا المكان الذى نحن فى ذكره وجرى من القصه ماجرى ووجد الفرصه وعلم أن الاميره ومن معها هالكين فعندها صاح وحمل وتبعته غلمانه ومماليكه كما ذكرنا عشرة آلاف فارس ولما أن قربوا من الاميره أرموا سلاحهم وترجلوا لطفا من الله تعالى واعلمها فيتفورس بقصته وقال لها عليكى مطر السماء من كل من أكل الخبز وشرب الماء ففرحت الاميره بذلك الا أنها ما أطمانت لهم بل قالت لهم كونوا فى مقام واحد حتى نرى مايتجدد ولعل الفرج يكون

قريب ثم انها انعزلت هى ومن معها من أصحابها وأخذوا حذرهم (قال الراوى) ونظر الفالوغص الى الفيتفورس وقد التجأ الى الامير ذات الهمه بغلمانه وجنوده فصعب ذلك عليه وكبر لديه وعلم من أين دهى فقال لارباب دولته نحن ما كنا نقدر على هذه العجوزه الشمطا وحدها ومعها ابن ابنها فكيف وقد صار معها أبطال النصرانيه وعمدة ماء المعمودية ثم استشار مارس ودراس فيما يفعل فقال يا ملك كل من مضى من آبائك وأجدادك كانوا كلهم يشاورونا فى أمورهم لاجل البصيرة والعلم والفضل ونحن كنا حضور عند الملك منويل وقد أتاه رجل من أهل دولته وتحدث فى عدوله فقال له الملك منويل أتحب ان أقبل قولك فيه وقوله فيك فقال لا يا ملك بل أريد العدل فقال كف عن الشر يكف عنك وقد ضربت لك هذا المثل فتكون مستيقظا فى زمانك هذا الى غلمانك ولا تميل الى البغى وتفعل ما يغضب به عليك المسيح وترضى بلباس القبيح واذا همت بشىء فشاور فيه الحكماء والعلماء والاجناد من أرباب دولتك حتى يكونوا لك ولا يكونوا عليك عند شدتك وهذا الملك فيتفورس هو أقرب الناس اليك لاجل أن أختك معه وهو صاحب هذه الفعلة وجناح هذه الدولة وقد بلغه بلا شك أنك تريد أن تطلق أختك منه وتزوجها لغير أبناء جنسك فطلب إعزاز نفسه وإن هو شد مع الأميرة شغل سرك وأضعف أمرك وأطلع على المسلمين عورتك وكان سبب خراب دولتك وكيف كان يجوز لك أيها الملك أن تزوج أختك لهذا الأسود غيلان وهو من جنس العبودية والهوان وهذا عار عليك مدا الأزمان ومنقصة بين الملوك والفرسان أن يقولوا زوج الفالوغص أخته بنت أرمانوس بعبد أعود منحوس واعلم أيها الملك أن يانس المتعزب قريب منهم ولا يقعد عنهم وكأنك به وقد أقبل إلى نصرة القوم ويزداد الأمر ويعظم الشر (قال الراوى) فبينما مارس يحدث الملك وإذا قد أقبل إليه جاسوس من بلد العراق يخبره أن المعتصم قد جمع كل من فى بلاد الأمم وما عاقه إلا استنظاره الأمير عبد الوهاب يأتيه من الحجاز فى عساكر بنى كلاب والسودان الانجاب لأنه قد أنفذ إليه نجاب وأخبره أن الأميرة قد فقدت وأنه داخل إلى بلاد الروم يطلب كشف أخبارها وأقول انه اليوم قد قارب ملطيه فدبر أيها الملك أمرك وما تراه واحذر على بلادك من الأعداء (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك من الجاسوس تشوش خاطره وقال هذا شىء ما كان فى الحساب فقال مارس أيها الملك ما فى الأمر إلا أنك تغلق هذا الباب عنك وتصالح هذه الأميرة وتتلافا زوج أختك وترده وتأخذ عقبه من أعداءه وتدعهم يخرجون إلى بلادهم وترجع أنت إلى بلادك والا أخرب المعتصم الأقاليم وصار الأمر الحقير عظيم فعندها قال الملك وقد نجز فى أمره فكونوا أنتم الرسل فى سبب الصلح بينى وبين ذات الهمة وخلصوا منها الشيخ الطيار واضمنوا لها فتح الطريق حتى تعود

إلى بلادها سالمة فقالوا سمعا وطاعة أيها الملك وما نقدر نقع فى أيديهما لأننا نخاف أن يقبض علينا والصواب أن ترسل معنا البترك الكبير يستحلفهم ويستحلفك فقال الملك افعلوا ما بدا لكم ثم انه ادعى بالبترك وأوصاه بما أراد وسار البترك مع مارس ودارس يطلبون الأميرة فلما علمت أنهم رسل فاستقبلتهم هى وضيغم والبطال وترجل البترك ومارس ودارس إعظاما لقدر الأميرة ولما وصلوا إليها سلموا عليها وخاطبونا فى أمر الصلح وأن يحلف لهم على ذلك ويكون الصلح بينهم سنة كاملة وأنها لا تمكن الخليفة من الدخول إلى بلاد الروم وتسلم إليهم القاضي عقبة (قال) ففرحت الأميرة بذلك وأجابتهم عليه بعد ما أظهرت التمنع وأشرطت عليهم أن يعيدوا فيتفورس إلى ما كان عليه من عزته وحشمته وأنه لا يعارض فى زوجته فحلف لها البترك على ذلك وعادوا إلى الملك وأخبروه بما جرى وفرحوا كلهم بذلك واستقر الرأى وفرحوا بالفرج من وسط الحرج وأطلقوا عقبه وأعادوا فيتفورس إلى ما كان عليه عندها حلف لهم الملك الفالوغص على ذلك لأنه لا يفرق أخته منه ففرح بذلك ورحل الملك إلى القسطنطينية وهو خائف عليها غاية الخوف وسارت الأميرة إلى أن وصلت إلى حصن يانس المتعزب فالتقاها بالفرح والسرور والغبطة والحبور ثم حدثته بما جرى لها وأقامت عنده ثلاثة أيام وعولت على الرحيل إلى بلاد الإسلام وأرسل معها يانس ألف فارس إلى ملطيه فساروا معها ولم تزل تجد فى المسير حتى وصلت إلى بلاد الثغور وأشرفت على ملطيه وسمعت المسلمين بسلامتها ففرحوا بذلك وتعجبوا من نوبتها بعد طول غيبتها والتقوا الأميرة عند قلعة المنجنيق ورأوها فى ألف فارس والسعادة قد حفت والرايات على رأسها نشرت وجنود عزها على الأعداء منصورة ولما قرب الأمير عمرو منها هم أن يترجل فأقسمت عليه أن لا يفعل فسلم عليها وعلى البطال وضيغم وهناهم بالسلامة وكذلك وجوه بنى سليم وخواص أهل ملطيه وقد عادوا معها إلى البلد فأبصرت البلد وقد عمرت أصوارها وجرت أنهارها وغرست أشجارها وعادت أحسن ما كانت من العمارة والبنيان فشكرت ربها على بناية الثغور وسألها عمرو أن تنزل عنده فى ملطيه فقالت بعد فقد الأحباب وغيبة الأمير عبد الوهاب بل أنا أفتقد آثاره وبعد ذلك أطلبه وأبل شوقى منه وكان ياعمرو وقد وصل إلى الخبر وأنا فى بلاد الروم أن المعتصم يريد الدخول إلى بلاد الروم وما أرى لذلك عندك خبر فقال يا أمى سمعنا أنه برز من بغداد وقد أرسل خلف الأمير عبد الوهاب ولدك وكان قد سمع أنه تعافا من مرضه فأرسل إليه يعلمه بغيبتك ويأمره بالمسير حتى يدخل إلى كشف خبرك وسار عبد الوهاب يطلب العراق حتى وصل إلى قريب من بغداد وعدنا سمعنا أنه رجع إلى الحجاز وقد وقع بينه وبين الخليفة قبل وصوله وما ندرى ما سبب ذلك فلما سمعت الأميرة ذلك ضاق صدرها ولم تعلم كيف وقع بين الخليفة

وولدها إلا أنها ما طاب قلبها بسلامته من مرضه ومقامه بأرض الحجاز فسارت إلى قلعة المنجنيق ونزلت هناك وعاد الأمير عمرو إلى ملطيه وأرسل إليها الاقامة والضيافة وأقامت الأميرة عند نافع عشرة أيام ثم خلعت على أصحابها وأصحاب يانس وامرتهم بالرجوع وقالت للبطال كنا طمعنا ان نلتقي بالأحباب فوجدناهم غياب فوالله لقدضجرنامن خدمة السلطان والزمان الغدار وما هوكما كان ومازلنا كل يوم فى حزن وتهديد ووعد ووعيد وهم مشتتين فى البلاد ولقد لزمتنا شماتة الحساد والصواب خلاصنامن هؤلاء القوم حتى لا يبقى علينا لوم وقد عولت أن الحق بولدى عبد الوهاب وأنظر كيف وقع بينه وبين الخليفة وما الذى غير قلبه عليه حتى عاد إلى الحجاز وما لنا حاجة فى الصلح ولا فى الخدمة وانه ماعاد إلى الحجاز بعد مسيره إليه إلا من شيء كبير اتصل إليه وان قدرنا على الصلح فعلنا ذلك وإلا دخلنا كلنا إلى الحجاز لأننا بحمد الله شاكرين كثيرين المال وإذا أردنا الغزو إلى بلاد الرم سرنا بأنفسنا وبلغنا الآمال فقال البطال صدقتى ياأميرة ولكن فى رحيلنا شماتة الأعداء لأجل العز الذى قد بنيناه وبلد قد ألفناه فكيف يطيب لنا أن نتركه ونتغرب عنه وفيه نسانا وقد بلغنا من الثواب والجهاد ماأردنا وهذا أفضل لنا من اتباع الدنيا وقد بقى من العمر القليل ونموت ونلتقى بالرب الجليل ومقامنا فى هذه الديار هو الأفضل وإن مضينا إلى الحجاز نخمد حسنا ويبطل ذكرنا ويطلع الفخر لغيرنا ولكن سيرى بنا إلى أرض العراق ننظر ماكان من الأمير عبد الوهاب ونتوكل على الله الملك التواب فاستصوبت الأميرة رأيه وعولت على مقاله وتجهزوا من يومهم وانحدروا وقلب الأميرة طائر على ولدها وقد جعلت على الله معتمدها فأنشدت :

تعجبت من دهرى وما قد رمانيا ... وما نال ابنى من زمان معاديا
تخلصت من أرض الملاعين عنوة ... وزال عنائى واطرحت الأمانيا
وسارت إلينا الخيل من كل جانب ... يروموا رجوعى للهلاك المعانيا
وكان عدو الله عقبة حاضرا ... أسيرا حقيرا طائش العقل باكيا
وغالبنى فيه القضاء وصدنى ... وكان قضاء الله فى الخلق ماضيا
وقد وقع الصلح المقرر بيننا ... ولم أدر ان الأمر يأتى مؤاتيا
تخلصنا من ذلة الأسر ربنا ... وسرنا نريد الثغر والنصر باديا
فلما أتينا سرعة ملطية ... وجدنا بها ربعا من الأهل خاليا
ألا إن سيرى الآن نحو إمامنا ... بقصدى إلى بغداد والسوق غاليا
سأمضى إلى السلطان من غير خلعة ... إليه ولكن سائلا كيف حاليا

وما سبب الابعاد فى أرض غربة   لقد شمتت حسادنا والاعاديا
ألا قاتل الله النوى ما أمره   تكدر عيشى بعدما كان صافيا

(قال الراوى) ولم يزالوا سائرين إلى بغداد فقال البطال نحن جماعه ونخاف ان يعرف منا أحد وان الخليفة غضبان على عبد الوهاب ولا ندرى ما السبب والصواب ان تسيرى معى إلى دار صديق لى يقال له طوق بن ثابت الخزاعى لأنه مصادق لى ومراعى ونسأله عن هذه القصة ولاى حال قد غضب علينا الخليفة فان كان من أمر يسير طرحنا أنفسنا عليه ونتوكل على الله فى الوقوف بين يديه وإن كان الامر قد عرض وهو صعب فنكون قد أخذنا حذرنا فقالت الاميره قد رضينا بهذا التدبير والله الموفق المجير وهو نعم المولى النصير ثم أقاموا متنكرين إلى أن دخل الليل ونهضوا إلى دار الامير طوق بن ثابت وكان محبا للبطال كما ذكرنا فتسنطوا عليه من خلف الباب وإذا به ينشد ويقول :

ترانى أرى خلا وشخصا أحبه   وأمسى بعيد الدار بعد التقارب
وكان صديقا لى وخلا وصاحبا   فلما جفانى صار فى الحال غاضب
ولولا تقادير الزمان لزرته   ولكن هذا الامر خلف المصائب
ترى فى بلاد الروم أصبح ثاويا   فأندب ذاك الشخص بعد التناصب
ألا إنه البطال وهو حبيبنا   وما زال معروفا بصدق الاقارب
سألت بنى كلاب عنه فى كل محفل   وقد خبرونى عنه بتحسين خائب
وقالوا عدمناه ومعه أميرة   فيالك من دهر على الناس صائب

(قال الراوى) ولما فرغ الامير طوق بن ثابت من شعره ونظمه ونثره فدق البطال عليه الباب وقال له افتح فقد قدمت الاحباب الغياب فقام وهو يقول البطال ورب الكعبة ثم فتح الباب ثم تراما على قدميه يقبلها ثم سلم عليه وعلى الاميرة ومن معها ولما استقر بهم القرار وصاروا فى الدار فقال لهم كيف أنتم وأرى الطلب عليكم فى هذه الايام حثيث فقال له البطال وكيف ذلك فقال طوق اعلم أن عاقبة أخت القاضى عقبة استغاثت إلى الخليفة وقالت يامولانا قد جاء أخي العابد الزاهد عقبة وهو معجز الرأس منزعج الحواس ومتكسر الاضراس فقال لها وأين أخوكى ومن فعل به هذا الفعال فقالت يامولاى قد زعم أن الامراء أخذوه إلى سرداب وجعلوا يعذبوه بأنواع العذاب ولولا ان الله تعالى من عليه ببعض السودان وإلا ما كان وصل إلى هذا المكان فقال الخليفة وأين العبد الذى جاء به فجابت الملعونة عبد أسود كان من بقيه الجبابرة أو من نسل العمالقه فلما وقف قدام المعتصم فسأله عن القصة فقال يامولاى العفو عند المقدرة من فعال الكرام اعلم يا امير المؤمنين إنى كنت من سودان

الأمير عبد الوهاب الفاجر الكذاب وما زال البطال حتى أفسدنى وقد صرت من أصحابه وأعطانى كل شهر عشرة دنانير وقال لى تدخل معى إلى بلاد الروم فى طلب مطلب قد اطلعت عليه يامولانا وأنت تعلم أن النفس مجبولة على الطمع فمضيت معه وقد أخذنا صندوقين لم أعلم مافيهما ولما وصلوا إلى أطراف بلاد الترك نزل بى البطال فى بعض الاديرة الخراب فرأيت فيه سرداب فنزلنا فيه حتى انتهينا إلى آخره وفتح أحد الصندوقين وأخرج منه هذا الشيخ المسكين فقلت له يامولاى إيش هذا الشيخ وأين المطلب الذى ذكرته فقال مالنا مطلب غير هذا الفاجر الجاحد للملك الواحد وإن عندى لك فى كل شهر مائة دينار وهذه ألف دينار سلف عن عشرة شهور وهم يأتونى بالطعام وأمرنى أن أضربه فى كل يوم مائة صوت وكل قليل يأتونى ويفتقدونى إلى أن كان فى بعض الأيام وإذا بالبطال مع الأميرة ذات الهمة على فاحشة وهو نائم معها مثل نوم الرجل وزوجته فانكرت ذلك وسألتهما عن حالها فقال البطال أماعلمت أنى تزوجت بالأميرة وإنما نحن نكتم زواجها لتبقى هيبتها فى قلوب الرجال حتى لاتسقط حشمتها وحشمة الأمير عبد الوهاب وإنما يامولاى باتا يعاقبان هذا عقوبة الارتحال وعولا أن يسقياه شراب النكال وكنت أنا مع عقوبتى له لا أراه الاكل ليلة يصلى إلى الصباح ويطلب من الله تعالى الأجر والثواب والغفران ويقرأ القرآن وإنى أعجب من أمره وصرت متحير فى ذلك حتى مضى زمنا وأنا أزيد فى الهوان إلى أن كان بعض الليالى فرأيت فى نومى قائلا يقول ياخبيث لم تعذب شيخ الدين وزاهد المسلمين ولكن ان كنت تطلب الرضا من الله فخلص ولى الله العبد الصالح والشيخ الناصح عقبة المظلوم لأنه بحر العبادة والعلوم ولقد تعدو عليه بنى كلاب وقد غضب الله على أميرهم عبد الوهاب كما مضى بهذا العبد الصالح من العذاب فارجع إلى الله من قريب وأطلق هذا الشيخ من التعذيب واعلم أنه عند ربه يبال وإلا ماكان صابر على هذه الأحوال وإذا دخلت أنت وإياه الى بغداد فبلغ المعتصم السلام وقل له كما سمعت وأوصيه بهذه الوصية فقلت والله إنى خائف أن يمسك فى الطريق فقال لا والله إن الله تعالى قد أزال عنكم العنا والتعويق فلما انتبهت من منامى أطلقت القاضى عقبة وأعلمته بما رأيت فبكى بكاء شديد وقال لى ياولدى أنت فى حل من قبلى فانك عبد مأمور ولا تعلم بهذه الأمور فحملته إلى الباب وأنا أسنده لأجل ضعفه وما جرى عليه من الشدة وسرت به ثلاث ليال وفى الليلة الرابعة رأيت قدامى عمران وقصور ومنازل ودور فلما نظر إلى ذلك صرخ صرخة عظيمة فقلت له أيها الشيخ ما الذى أوجب هذا الصياح فقال والله هذا بلد أمير المؤمنين والساعة تشرف على بغداد وهذا تصديق منامك قد ظهر وقد طويت الأرض لنا ثم أخذه من ذلك خشوع وسماع

وخضوع ولم أزل به حتى أوصلته إلى داره وهو فى حال غشوته وما عاد بعد ذلك كلمنى وها هو مطروح وهو فى حالة الأموات وقد كنت أشتهى أن يكلمنى قبل موته حتى أتحلل من طيبة نفسه ولا أكون به شقيا ثم بكى الأسود مكر منه وخديعة كما هو معلمه اللعين عقبة وبكت الخبيثة عاقبة وبكى المعتصم لبكائهم وقال والله لقد قطعت الزمان بالغفلة وكنت أسمع من هؤلاء الظلمة مايقولوه من الكلام القبيح فى حق هذا الرجل الصالح والآن فوحق البيت ومن حج والتلبية ومن ضج لاتركت من بنى كلاب من يمشى على التراب وأول ما أبدى بعبد الوهاب (قال الراوى) وكان هذا شيطان مارد وكان جاحد واسمه طاعون الفلا وكان من غلمان غيلان الشوك وإن عقبة لما خلص من الأسر بعد الصلح ودخل على الملك الفالوغص ونظر حاله فقال له يعز على ماقد أصابك ولكن قد وصل الجاسوس يخبر أن خليفة المسلمين كان معولا على الدخول الينا فاختلف هو وعبد الوهاب لأجل بعض الأسباب وعاد وقعد عما كان عازم عليه من الطلب فلما سمع عقبة ذلك صلب على وجهه وقال الساعة وحق المسيح تسير ذات الهمة والبطال إلى بغداد وربما يتوصلوا إلى إصلاح الحال وعودتهم إلى أوطانهم ثم إنه أخذ من الملك جنائب وغلمان وأعطاه هذا العبد المنحوس من جملة السودان ومضى يجد السير ليلا ونهار بلا هدو ولا قرار فسبق الأمراء كما ذكرنا إلى بغداد وعلم العبد جميع ماتحدث به مع الخليفة المعتصم وجرى من القصة ماجرى (ولما) سمع المعتصم هذا الأمر ضاقت عليه الأرض بما رحبت وقال سوف ترى ما أصنع وعاد إلى صاحب الوظيفة وقال له خذ معك ألف مملوك وطوف على الأمراء خلف بغداد وانظر مايمر عليك من الجانبين فقد بلغنى عنهم ماخوفنى منهم وقد عزمت على صلبهم (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من طوق فانه قال يا أبا محمد قد حرت فى أمركم كيف نجوتم من عدوكم وما أدرى كيف دخلتم سالمين فقال البطال اعلم أن الله تعالى إذا ستر العبد لايقدر أحد أن يفضحه ثم أقبل على الأميره ذات الهمه وقال لها ما ترى فى هذه القصة وكيف سبقنا الملعون إلى هنا وأحكم أمرنا فقالت الأميرة ما أنا حائره إلا من هذا الأسود ومن أين كان له فقال البطال هذا من بعض السودان المتنصرة الذين مع غيلان الشوك وقد علمه فى الطريق هذا الكلام فوالله إنها حيلة عظيمة وان وقعنا فى يد المعتصم فما يبقى علينا فقالت الاميرة يا أبا محمد دبر فى خروجنا حتى نلحق بأصحابنا فقال البطال والله لاخرجت وتركت عقبه فى عافية وإن قدرت أيضا على المعتصم أخذته معنا إلى أرض الحجاز فتعجب طوق من قوة جنانه وفصاحة لسانه فقال له كيف تقدر عليه وهو إلى الآن فى غشوته وأن أخته وأولاده عند رأسه يبكون عليه فقال بالله استعين ولا بد لى

من هذا اللعين ثم خرج من وقته وساعته وسار إلى دار عقبة فتسابق إليها وقد اتكل على من أمره بين الكاف والنون فنظر من سماء الدار وإذا بعقبه جالس يشرب الخمر وإلى جانبه طاعون الفلاه وأخت عقبه وهو يقول لهم شيلوا هذا واقطعوا الرائحة وأطلقوا العود والند حتى لا تعلو روائح الخمر فى الدار لان أمير المؤمنين لا بد أن يأتى إلى زيارتى ويجدد العهد بمشاهدتى فقالت له أخته عاقبه و لى متى تريد تبقى هكذا طريح وكيف لك على هذا جلد وطوله روح فقال لا أزال هكذا إلى أن تقع ذات الهمة والبطال ومن معهما من الغلمان والاولاد وهذا الذى قد ظهر لهم الآخر الذى سموه الحصين فلما سمعت عاقبه ذلك قالت ومن هو هذا فحدثها بحديثه وكيف خرج مع باهلاك الخارجى وكيف عرفه البطال فقالت له عاقبه وقد تعجبت من ذلك يا أخى هذا الغلام أخذته من ملطيه لما سلمتها إلى ارمانوس ووحق المسيح لقد عوات على ذبحه عشرين مره وكان ماسكا يمسك يدى عنه حتى أخذ منى وأنا منحدرة إلى بغداد فقال عقبه وحق المسيح ماقد خرج إلا أيشم من أبيه البطال وأسرق للأموال وللرجال فلا ستر المسيح عليه ولا على أبيه ووحق المسيح لا برحت على هذا الحال حتى أضرب رقاب الكل وبعد ذلك أرى الصحة والسلامة (قال الراوى) ولما سمع البطال ذلك عاد ونزل واستعمل العجل ولم يزل حتى وصل إلى دار طوق وحدث الاميرة والجماعة بما سمع من عقبه وطلب من طوق قباء ومنطقه فأتاه بما طلب وقعد البطال وقد قرب الشمعة إليه وقصر من ذقنه وألصق أجفان عينيه بالصمغ إلاالقليل منهما فصارفى زى وشاقى وقد أخذ بيده شربوس وزيا الاميره بزى خادم وألبسها ثوب أسود وأخذ معه العبدديناز وولده الحصين ومذبحون وهما أيضا فى زى الوشاقيه جرد مرد بخدود مورده وسار بهم البطال إلى دار عقبة فدق عليه الباب فظن أنه الخليفة فتغاشا ومات وأمر أن يشال كلما كان حوله من الآلات وقال للعبد طاعون الفلاه أنظر من الباب فنظر وإذا بالبطال فى ذلك الزى هو وغلمانه وأولاده حوله فى زى الوشاقية والخدام فلما رأى العبد ذلك اندهل وسلم فقال البطال قل للقاضى عقبة إن مولانا أمير المؤمنين ما قدر الليلة يخرج من الدار مخافة من القوم الذين تعرفهم وقد أقسم لا يخرج من الدار إلا أن يشفى قلبه منهم وقال مالى صبرعن القاضى الامام فامضوا اليه وأتونى به على أى حالة كان وقد أتيناك كما ترى فاخرجه إلينا من كل يد فقال العبد أيها الحاجب الكريم اعلم أن القاضى لا يقدر على الركوب وقد تزايدت عليه الكروب فقال البطال فمولانا أمير المؤمنين أمر أن يحمل ولو فى محفة فلا يتخلف فعادالعبد إلى عقبة وحدثه بماسمع فقالت عاقبة كل شىء يفعله الانسان الامخالفة إمام الزمان ثم وثبت قائمة وأخرجت محفة عظيمة وفرشتها بفراش من الحرير وحملت هى من جانب والعبد من جانب ثم أجلسوا عقبة فيها وقد أظهر الضعف والأنين وقد نظر إلى البطال وهو فى زى

الحجاب فانطلاعليه و تغاشا فأظهر البطال البكاء وأمر ولده مذبحون والعبد دينار فحملا المحفة وسار بها من تحت الظلام ولما أبعدوا التفت إلى عاقبة وقد همت أن تدخل إلى الدار فقال لها اعلمي أن الله تعالى ما سمى الانسان إلا لنسيه وأنا نسيت وصية كانت بها أوصتني السيدة زبيده وقد أنفذت معي هذا الخادم الخاص منجيح وهو الغلام الوشاقي الذي هو عندها مثل ولدها وقالت لى خذ هؤلاء معك حتى تأتي إلى الحرة الـكريمة لتنال من بركاتها فصعقت عاقبه لما ذكر البطال السيده زبيدة وقالت السمع والطاعة امهل على حتى ألبس ثيابي ثم عادت إلى الدار ولبست أفخر ثيابها ثم عادت مع الاميرة ذات الهمه والحصين قدامهم يتوقد مثل النار ووجهه مثل البدر ولما احتكمت القصة تركهم أبي محمد البطال ولحق بعقبة ومذبحون وسار بهم حتى وصل إلى دار طوق فوجد الباب مفتوح ووجد صديقه طوق فى انتظاره فلم يتكلم البطال حتى حطت المحفة فى الدار وقال لعقبة افتح عينك الصحيحة يا قاضي عقبة وانظر إلى أمير المؤمنين فلم يتكلم وظن أن ذلك حق وإنه فى دار الخليفة فرفع البطال يده ولطمه فى رأسه وقال له لم لا تتكلم ياقرنان ياشيخ الصلبان هنالك فتح عقبة عينه الصحيحة وإذا بالبطال بين يديه كانه شيطان ومن حوله الغلمان فأنكر الملعون ذلك وقال ياأبا محمد قال له نعم فقال له ويلك ياشيطان من أين جئت وكيف بقيت حاجب للسلطان فقال له اعلم أن الذى طوى لك البعيد من بلاد الروم فهو الذى صيرنى فى زى حاجب السلطان ثم أدار كتافة ورفعه إلى بعض الخزائن فهو كذلك وإذا بالأميرة قد أقبلت وهي محاوطه الملعونة عاقبة على كتفها فقال البطال ولما حملتي هذه العاهرة الملعونة يا أميره فقالت مشت معي ساعة وأنكرت الطريق وأرادت أن ترجع فلطمتها على رأسها أرميتها على وجهها وحملتها كما ترى وماقدرت تتكلم فقال البطال مابقى إلا الاسود الزنيم اللئيم وقد تم لنا مانريد والا نفر علينا الخيل والطلب من عند المعتصم وكنا نهلك فقالت الأميرة صدقت يا أبا محمد وليس لهذا الأمر إلا أنت فقال مايمضي غيرى ثم إن أبا محمد وثب وسار إلى أن وصل إلى دار عقبة وطرق البـــاب فخرج اليه العبد طاعون الفلاة وقال له ما الخبر يامولاى فقال له اعلم أن الخليفة يدعوك اليه ليخلع عليك فخرج العبد حتى صار فى وسط الدروب هنالك أخرج البطال خنجراً وقال له ياكلب المتنصرة ومن خسر الدنيا والآخرة ابشر بالنكبة فقد أخذنا الملعون عقبه وأخته عاقبة ولا بد ما أحملك اليهم أدر كتافك قبل تلافك (قال الراوى) ثم إن العبد لما سمع هذا الكلام علم أنه قد تم عليه البلاء فقال للبطال ويلك أزل مابيدك عنى وإلا وحياة الشيخ النجيح لكمتك لكمة ماتريد غيرها فعلم البطال أنه صادق وندم كيف أتى وحده ثم جعل يلاطفه بالكلام وينظر كيف ينفلت منه والعبد يهمز عليه مثل الأسد

وأراد أن يقتل البطال وإذا بلكمة قد أخذته من أصول أذنه إلى قحفه فالتفت ينظر من الذى فعل تلك الفعال وإذا بها الاميرة ذات الهمة فأراد أن يصيح فسكت فمه وأدارت كتافه وسارت تقول يا أبا محمد لاتنظر فى العواقب لانك لما خرجت اتبعتك لعلمى انك ما أنت من رجاله ثم سارت الى دار طوق وأنزلوه إلى السرداب الذى فيه عقبة وعاقبة هذا وعقبة يقول والله ماتم على هذا الامر ياطعون إلا بقولك أجب حاجب الحجاب فقال طاعون الفلاة وأنا والله ما أخذت إلا بسببك وما أدرى كيف تم لهؤلاء القوم من الحيل (قال الراوى) فهذا جرى لهؤلاء (وأما ماكان) من الخليفة المعتصم فانه لما هدأ الليل وتفرقوا أرباب دولته قال لمسرور يامسرور لقد اشتهيت الليلة الشيخ عقبة أن يكون عندنا حتى يحدثنا بقصته على جليتها وإن كان قد برىء أتركه يسامرنا فى هذه الليلة لانى فى فكر عظيم ثم أنفذ حاجب من حجابه الخواص ومعه أربعة من مماليك الدار وقال ائتونى بالقاضى عقبة من كل بد على أى حال كان فقال السمع والطاعة يامولانا وساروا إلى دار عقبة ومعهم مشعل فطرق بعضهم الباب وإذا بقائل يقول من بالباب فقالوا نريد القاضى عقبة فنحن مماليك الخليفه ومعنا خادمه الخاص وقد أمرنا بحمل عقبة اليه فقالوا ياقوم القاضى عقبة قد مضى من ساعته إلى عند الخليفة ومعه أخته عاقبة مع الحاجب طمان الخاص وقد جاء أيضاً خلف العبد الأسود وأخذه إلى عندهم ليخلعون عليه فلما سمع الحاجب ذلك الكلام عاد إلى الخليفة وقد أعلمه بالقصة وقال أخذوا والله الشيخ العالم وحل به الانتقام وكذلك الزاهدة وما أخذهم إلا البطال العيار المحتال ومذبحون قتال الرجال وذات الهمة أم الأهوال ثم بعث من وقته إلى صاحب الشرطة وأمره أن يفرق خمسة آلاف فارس إلى سائر الطرقات ففعل ذلك وأدعا بالنوابين والنقباء والعيارين وأقسم الخليفة إن لم يأتى بهم الوالى وإلا قطع رأسه ورؤس رجاله ففزع صاحب الشرطة (قال الراوى) وكان من جملة العيارين عيار يقال له الغواص آفة من الآفات وبلية من البليات فقدمه على أصحابه وقال له ما أعرف هؤلاء إلا منك فقال الغواص السمع والطاعة أنا آتيك بهم فى هذه الساعة يا أمير المؤمنين ثم فرق فى كل درب جملة من الرجال يعنى كل درب خمسة رجال وستة رجال من الخراسانية وقد قامت القيامة وارتجت بغداد وقد أوقدوا المشاعل ووقع الصياح من كل جانب (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ما كان) من البطال فانه قال للأميرة يا أميرة ما انتظارنا فى المسير ولم لانجعل هؤلاء الملاعين فى صناديق ونسأل حسن التوفيق ونسير من قبل أن تقع علينا عين أو يسعى أحد بنا ونطلب

الطريق ونقصد الأمير المكرم ولكن نريد نحترز على نفوسنا لأنى أخاف أن يكون الخليفة قد طلب عقبة فما وجده لأنه ما يصبر عنه طرفة عين وربما أرسل الخيل فى طلبنا إلى كل مكان وإن الطلب علينا حثيث من الخليفة وإننا نخاف إن خرجنا وقعنا فى الشباك ولا فينا الا من يقتل فقال مذبحون نريد من يكشف لنا الخبر ويكون ممن لا ينكر عليه وما انا مثل أخى الحصين فقال الحصين كفيتم الردى كونوا مواضعكم حتى أعود إليكم ثم انه خرج فى زى الخراسانية وأولاد الديلم فأبعد عن الضرب قليل وإذا قد دنا إليه بعض الخراسانية ورآه فى ذلك الزى فصاح فيه بالعجمية ودنا منه ليقضى عليه فبادره الحصين بالكلام وقال له من أنتم فى هذا المكان وبربر بلغة الديلم المغلقة فانتبه الذى ثار إليه وناداه اخرج من صدر الدرب ويلك امض والا هلكت فنحن فى طلب البطال ومذبحون ونريد أن نسقيهم شراب المنون فقال الحصين يستاهلوا لأنهم لا يراقبون الله تعالى ولا يفزعون منه ولا يخافون ومولانا ثقة الملك تاج الدين رأس الوزراء أبو القاسم صاحب بيت المال قد فرق أيضا غلمانه فى طلبهم وأنا من جملتهم ثم انخلس منهم وطلب أباه وإذا بالغواص ومعه مائة رجل بالمشاعل بين يديه وهو يقول للرجال وحق من مرج البحرين وأنار القمرين لابدلى ماأظهرهم وأقتفى آثارهم فلما سمع الحصين ذلك اختلط بهم وجعل يمشى بينهم ويتصنت عليهم وهو متعجب من الغواص إلى أن قطع أربعة ضروب ووصل إلى الدرب الذى فيه طوق بن ثابت وقصد إلى داره وقال أقسم بالله قسما ان كان القوم إلا فى هذه الدار وقد انكشفت عنهم الأستار ببركة العبد الصالح وبسعادة مولانا الإمام فلما نظر الحصين إلى ذلك قال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذا شيطان فى صورة إنسان وما يخفى عنه شيء ثم انه شق الناس ودار من خلف الدار وتسلق من موضع خافى والليل قد ستره فصار فوق السطح ونزل إلى أبيه الأمير أبى محمد البطال فقال له البطال وقد رأى وجهه مثل الزعفران مابالك يابنى فقال خذوا لأنفسكم الحذر قبل حلو العطب فقال البطال ويلك وما الذى قد جرى لك فأعاد عليه القصة فلما سمعوا ذلك بقوا فى حسرة عظيمة وقالت الأميرة ذات الهمة يا أبى محمد تعرف هذا الذى يقال له الغواص قال نعم كفانا الله شره لأنه فاسق شرير منافق ظالم غاشم لو دبت نملة على وجه الأرض وسلكت وفى أى طريق أخذت عرف ذلك وبالله مايدخلون إلى هذه الدار إلا وتكون نوبة ماجرى علينا أشد منها فقالت الأميرة فكيف يكون العمل فقال البطال نتزيا بزى النساء ونخرج ولعل الله تعالى أن يسبل علينا ستره فقال مذبحون وكيف نخرج وهذا الملعون الغواص قد ملك والدرب بالرجال ومعه المشاعل وربما كشف وجوهنا وأخذنا نتزيا بزى الخدم نقف فى خدمة النساء وإذا طرقوا الباب وقالوا

أين طوق فنقول هو فى الضيعة فما يجسر أحدا يتقدم إلى حريمه ولعلنا ننجوا من هذ البلاء العظيم فقال له افعل مابدا لك (قال الراوى) وكان البطال وغلمانه إذا مشوا فى زى النساء كانوا أليق فى المشى والحركة فأعطاهم طوق النزر والاخفاف والنعالات يلبسوهم وتنكروا وخرجوا والله قد ستر عليهم بستره الجميل الشامل ثم خرجوا وقد أخذ البطال طشطاوحجر طفل ومشط كانهم طالعين إلى الحمام فما عارضهم معارض لأنهم اختلطوا بنساء الدرب وان الناس فتحوا الأبواب وان الدرب قد امتلأ نساء ورجالا وقصد الغواص إلى باب درب الحجاج طوق وهو يقول ماأخطؤا هذه الدار ولاشك أنهم فيها وإن كانوا ماهم فيها فأنا أعلم أنهم خرجوا فى زى النساء وأنا فرطت فى أمرهم وإلا لو كنت وكلت من ينقد النساء كنت أمنت من هذا الخاطر الذى خطر ببالى ثم تقدم إلى الباب وقلبه قد اشتغل فقال طوق من بالباب فقال له افتح فأنا غلام أمير المؤمنين وقد عدم القاضى عقبة وقد أمرنا بالتفتيش عليه فى هذه الدار لأنه يعلم أنه صديقه وصديق الامراء المجاهدين وهم فى هذه الدار وما عليك فى هذا شىء والناس يختفون عند أصحابهم فلما سمع طوق هذا الكلام قال ياقوم ماعندى من هذا خبر وكيف أخبىء عندى الامراء أعداء الدنيا وأخاطر برأسى وكيف يكون ذلك وأنا عند أمير المؤمنين الثقة الامين فكيف أخاطر عليه فقال الغواص أحسنت ياطوق هذا اشتغال جيد افتح لنا الباب حتى ننظر فى الدار وندور حتى لايبقى عليك شىء عند أمير المؤمنين وإذا لم نر أحدا خرجنا ولا يبقى فى قلوبنا شك فقال طوق أنا الذى لا أفعل ذلك وهذا اخراق بى وبحرمتى لانى خليل المؤمنين وثقة أمين فلما سمع الغواص ذلك أرسل خلق من الذين معه إلى المعتصم يقول ياأمير المؤمنين وصلت إلى دار الحجاج طوق بن ثابت الخزاعى فلم يمكنا أن نفتش داره وأنا أعلم أن البطال وذات الهمة ومن معهما عنده فى الدار وعقبة لاشك فى داره والامر لله ولك ياأمير المؤمنين (قال الراوى) فلما وصلت الرسالة الى المعتصم غضب غضبا شديدا وادعا بحاجب من حجابه يقال مؤنس وقال له خذ معك يامؤنس خمسمائة مملوك وانظر الى دار هذا الكلب طوق واهجم داره وانظر ان كان البطال وذات الهمة عنده فى داره واتينى بهم فقال سمعا وطاعة ثم نزل الى طوق والمماليك فى ركابه الى أن وصل الى الدرب وكان قد امتلأ من النساء والرجال (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الامراء فانهم لما اختلطوا بالنساء وخرجوا من الدرب أرموا البرز عنهم وامتشقوا السيوف وصاح البطال فى أوائلهم يقول ويلكم دوروا بنا على البطال واللص المحتال وذات الهمه أم الاهوال والحصين ومذبحون قتالين الرجال ثم طلب باب الدرب فوجد عنده خمسون رجلا من الخراسانيه بالسيوف المجذبة والتوت

المذهبه والدرق المكوكبه فتقدم اليهم وبربر بالتركيه المغلقه وقال لهم ويلكم أمير المؤمنين يقول لكم احفظوا الباب جيد ولا تمكنوا أحدا من الخروج بعدنا فان البطال يخرج فى أى صورة أراد وان توانيتكم ضرب رقابكم أمير المؤمنين فقالوا أيها الحاجب الاجل وماعسى أن يقدر البطال يعمل وقد حفظنا الباب ولو أتى فى صورة ابليس عرفناه فقال لهم ويلكم ماتعرفوا البطال فهو يتزيا بزى القطط والكلاب فاذا خرجت اغلقوا خلفى الباب فانى سائر انا وغلمانى فى حاجه لأمير المؤمنين فقال آخر هذا الحاجب طمان اعز ممن عند السلطان وماخرجوا ووجدوا الامان حتى وصل الحاجب ومعه المماليك ففتحوا له الباب وفتح الحاج طوق له باب داره فدخلوا وفتشوا اسفلها واعلاها ولم يتركوا موضع الا وقد فتشوه مرارا عديده فقال مؤنس ياغواص لقد اخرقت بالسلطان وبنا وما خفت الله تعالى وقد هتكت حرم الحاج طوق وما وجدنا فى داره احد وهو عزيز عند أمير المؤمنين فقال الغواص ماكانوا عنده إلا مختفيين ولا شك أنهم لما أن مسكنا رأس الدرب خرجوا فى زى النساء مع نساؤه وبناته ومعهم حوائج الحمام وقد هربوا ووجدوا الامان وانا الذى فرطت فى أمرهم هذا والحاجب مؤنس قد حار من كلامه وقال هذا محال وماأنت بعد هذا عاقل وأنت ظالم غاشم فلما سمع الحاج طوق هذا الكلام بكى وقال هذا قد جرى علينا هل جرى على احد قط من المسلمين مثل ماجرى على هتك حريمى وهجمت دارى وهتكت أستارى وأنا ثقة أمير المؤمنين. فقال له مؤنس ياحاج طوق الخليفه أمر بذلك وأما الغواص فانه خرج من دار طوق وقد حار فى أمره ووصل إلى الدرب وقال للخراسانيه ويلكم هل خرج أحد تنكروه فقالوا له ماخرج الاحاجب السلطان طمان واوصانا بغلق الباب فلما سمع الغواص ذلك قال انفلتوا القوم لامحاله بحيلة البطال ثم عاد إلى مؤنس الفحل وقال له يامولانا أنت بعثت حاجب السلطان طمان فقال لا والله لا بعثت لاطمان ولا طعان ثم أحضروا الخراسانيه وأول ماضرب الذى قال لرفيقه هذا طمان (قال) فهذا جرى ههنا (وأما ماكان) من البطال ومن معه من أصحابه فانهم لما خرجوا من الدرب قال لهم البطال لايتكلم منكم أحد وأنا أترجم عنكم فنالت الاميره ايش ماقلت قلنا مثله ولم يزالون يخترقون الدروب حتى خلصوا منهم وأما مؤنس الفحل فانه عاقب الخراسانيه وقال اطلبوا الهاربين أينما كانوا فما أظن الشيخ عقبه الاتركوه فى بعض الدروب فانهم لم أخذوه معهم وحق نعمة أمير المؤمنين فقال الغواص يامولاى ان ضرب طوق أريتك كيف يظهر الامر المكتوم فقال له مؤنس افعل مابدالك فصاح الغواص وأحضر طوق بن ثابت وضربه وهو يرمق إلى السماء بطرفه ويقول اللهم أنت تعلم انى مافعلت ذلك الا خوفا على عبادك المؤمنين (قال الراوى) فعندها قال الغواص هذا الامر لايتم لى.

إلا ان هجمت الدار ثم هجم فوجدا بنة طوق الخزاعى الصغيرة فزعق عليها والسيف فى يده وقال لها ويلك أين المحبوسين الذى عندكم اخرجوهم حتى نخلى السلطان يعفو عن أباكى من الضرب والعقوبه فقالت له هاهم فى السرداب يامولاى وأشارت إلى الموضع الذى هم فيه فصاح الغواص فدخل عليه عشرة من الغلمان فقال اقلعوا هذا الباب فقلعوه ونزلوا فى السرداب فوجدوا عقبه فى أسوأ حال وأخته إلى جانبه والإسود معهم مكتوف فرفعوهم على الاكتاف وحملوهم إلى بين أيادى حاجب الخليفه فلما نظروا الناس إلى ذلك وعقبة مائل على أكتاف الغلمان وهو يفتح فمه ويغلقه كانه يطالع فى الروح الخبيثه فتباكوا عليه الناس من كل جانب ورأوا أخته عاقبة وقد قطعت شعرها وهى تبكى عليه خيثماها ولعنة وتقول واسيداه واأخاه واعالماه وازهداه ماتت بعدك العلوم وذهبت وخابت الآمال وعطبت وتعطلت المساجد من صورتك والمحاريب من قراءتك واستوحشوا أصحابك وبكوا أحبابك كنت راحم الغربا من لاختك الغريبة ويلاه من هذه المصيبة يامسكين ياأمة محمد يكون أعظم من هذا البلاء يخلص أخى من يد الاعداء من البلاد ويلحقوه وهو من أثر الضرب قد أشرف على الموت ولحقوه وأخذوه من الدار على لسان أمير المؤمنين وأخذونى معه وأنزلونا فى سرداب مظلم فى دار الظالم الغاشم وضربوا أخى وأحضروا الخمر وجعلوا يشربون وعلى رؤسنا فضلة خمرهم يقلبون وهم بذلك الزى بين الناس يتظاهرون ونزل الينا هذا الحاج طوق الذى يزعم انه مضى إلى بيت الله الحرام وزار زمزم والمقام وعاقبنا ونزل بعده واحد يسموه مذبحون يعذبنا أشد العذاب وإلى الله نشكو هذا المصاب وانتهاك سترى بين المشايخ والشباب فيامعاشر المسلمين قولوا اللهم استر عوراتنا ولاتهتكهم كما هتكت عاقبه الزاهدة العابدة المسكينة وامصيبتاه فما بقى لى فى الحياة مطمع إلا بمقدار ما يموت أخى وأقتل بعده نفسى (قال الراوى) فلما سمعوا القوم ذلك شاشوا على العبد الصالح الحاج طوق وجردوا عليه الخناجر وضربوه سبعين ضربة وسبوا أهله وإخوته ورجع مؤنس الفحل إلى الخليفة وحدثه بماجرى وحملوا عقبة إلى منزله وحملوا طوق ونساءه وهن مسبيات مسبلات الشعور فقالوا العوام هذا الذى قلتم إنه حج اثنى عشر حجة وأنتم تشربون الخمر معه وتعاقبون الشيخ الزاهد تهتك أستاركن هذا والنساء لا يجاوبن أحدا بل قد اشتغلن بمصيبتهن وما قد نزل بشيخهن الصوام القوام إلى أن دخلوا به إلى المنزل وقلن له هذا كان عقب صداقتك لذات الهمة والبطال وعبد الوهاب ان ينزل بك هذا العذاب وكنت تؤمل من الله تعالى الثواب بذلك فرحمك الله كم قد تصدقت وصليت وأعطيت وركبت ثم جعلوا يفكرون كيف يدفنوه وقد فزعوا من الناس لا ينبشوه ويحرقوه فقالت أمهن ما انا إلا رأى واحد وهو أننا ندفنه فى الدار ويسمعوا عنا أنه قد مات ودفناه عندنا فى الدار فيسكتوا الناس عنا ولا يطالبنا به

أمير المؤمنين ثم أخذوا أهبتهم (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأميرة ذات الهمة ومن معها من الرجال والأمير أبو محمد البطال فانهم أرادوا العبور على جسر بغداد وإذا بألف مملوك بالسيوف والمناطق وهم لهم فى الطلب فلما رأوهم رجعوا إلى ورائهم يطلبون وسط البلد ما دام الطلب فى أطرافه ثم عادوا يطلبون درب يقال له درب الماعز وإذا بين أيديهم أصوات السيوف والرجال تزعق وتقول لبعضهم البعض قد فاتنا المرغوب ونيل المطلوب وما وقعنا بطائل وغدا يطردنا الوالى عن خدمته لأجل ما وصل هذا الوقت والصباح قد اقترب وما وقعنا بأحد ممن هرب فلما سمع البطال ذلك قال هلكنا لا محالة لأن الوشاقية من خلفنا وهؤلاء القوم من قدامنا ثم افتقد من معه فوجد قد فقيد ولديه مذبحون والحصين وغلامه يانس فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم هموا بالرجعة وإذا بصوت امرأة من خلفهم تنادى من باب الدار وتقول لا بأس عليكم ولا يقدر أحدا يصل إليكم إن شاء الله تعالى فعليكم مطر السماء إلى أن يدفع الله عنكم البلاء ولو كان علينا فى ذلك أعظم ضرر فلما سمعوا ذلك وجدوا به راحة عظيمة وإذا بالمرأة عليها ثوب سواد مشقوق وشعرها محلول وهى تقول يا أخى أنا أحب لمن تحب ولو أن على الأرض دمى ينسكب فأنكر البطال ذلك وقال لها يا أختاه من أتى يرحمك الله ومن مات لكى ارجعى إلى الله تعالى فانه وعد الصابرين خيرا وأن يعطيهم فى الآخرة أجرا على أن الصبر على المصائب طريق إلى الجنة فلما سمعت ذلك قالت له أيها الأمير أنا جاريتك زينب أخت طوق الخزاعى والساعة كان زوجى عندى فأخبرنى أن أخى قتلوه العوام مما استغاثت عليه عاقبه والله يا أميرة إن له سنين كثيرة ما أكل فيها قط بالنهار ولا ينام فى الليل إلا القليل الا يخدم ربه ويبكى على ذنبه وإنى قد لبست السواد وشققت ثوبى عليه وسألت زوجى أن يمضى لعله أن يقدر على حمله الى عندى من قبل أن تأكله الكلاب وقد مضى وأنا فى الباب منتظرة له والطلب عليكم والرجال من خلفكم ومن بين أيديكم ولما رأيتكم وأنتم حيارى عرفتكم وقلت هؤلاء الذين كان يحبهم ويعامل الله تعالى فى قضاء حوائجهم ونسيت مصيبتى وناديتكم ودخلت بكم قلت إن هلكوا هلكت معهم وأكون قد لحقت بأخى الى الآخرة فقال لها البطال اذا كان الأمر على ماذكرتى فأنا أمضى وأتسبب فى حمل أخيكى طوق الى عندكى فقالت الأميرة وأنا أخرج معك يا أبو محمد ثم خرجا من البلد وطلب الشيخ طوق وليس عندهم خبر ان تلك المرأة أرادت أن تلقيهم فى شبكة العذاب ثم تسلمهم للحجاب وكان تدبير الله خيرا من تدبير المخلوقين وبينما هم سائرين يطلبون وإذا بعصبة من المصالحة قد أقبلوا وهم بسيوف مجدبة وعمد مكتبة وحراب ودرق وقد أظهروا الحنق وقدامهم مقدمهم الغواص فلما وقعت العين على العين ونظرهم الغواص عرفهم وقال

لأصحابه أبشروا بالخلع الكثيرة ثم أوقف الرجال وتقدم الى الأميرة وقال يا سيدتى ماهذا صواب ان نخرق بكى ونمد أيدينا بسوء إليكى ولكن سلمى نفسك الينا حتى نسير بكى إلى أمير المؤمنين ونتسبب لكى فى الخلاص فلا تظنوا أنكم خلصتم مما دبرت عليكم أختى فقالت الأميرة وكيف ذلك فقال لأنى دبرت عليكم أمر وما تم والمرأة التى أخفتكم أختى ولا شك أنكم خرجتما بحجة الحاج طوق وما أسعفتكم السعادة ولا تمت لكم الإرادة

(قال الراوى) فلما سمعت الأميرة ذلك من قوله تمرمر مزاقها وتغيرت أخلاقها وقد أيقظت همتها العامرية وهمزت مثل اللبوة وزمجرت وضربت الغواص بالسيف وإذا به ملقى على الارض وثنت بآخر فضمته اليه وثالث جندلته إلى أن قتلت منهم جماعة فى ساعة واحدة واندقوا بين يديها يمين وشمال ودخلوا الى الدروب وقصد البطال والاميرة دار الحاج طوق وإذا هم قد سمعوا بكاء البنات وعديد النساء فطرقوا الباب فقالوا من بالباب فقال البطال بعض الأحباب افتحوا ففتحوا لهم ودخلوا فوجدوا الحاج طوق ملقى فقال البطال رحمك الله يا حاج طوق فلقد عشت سعيدا ومت شهيدا ثم إنه وضع يده على فؤاده فوجده يخفق فقال للنساء ابشروا فان الحاج طوق سالم وفيه الروح ثم إنه أخرج من وسطه درج وفيه مراهم الجراح وملا الجراحات بالمراهم وخيط مايحتاج إلى الخياطة وشدها وأعاد كل عضو إلى مكانه وعادوا يطلبون النجاة (قال الراوى) وكانت الدار التى دخلوا فيها لم تكن دار أخت طوق وإنما كانت دار أخت الغواص وكانت لبست السواد لعنة منها وأملت أن تلقيهم فى يد الخليفة فخرجوا فى طلب الحاج طوق كما ذكرنا وكان ذلك سبب خلاصهم ولما خرجوا من دار طوق ابن ثابت سمعوا أن ضيغم والحصين وغلمان البطال قد أخذوا وكان السبب فى أخذهم ان أخت الغواص طرحت الصوت وقصت هذه القصة على الوالى الذى بالقصر فأتى وأخذهم قبضا بالكف وسار بهم نحو المعتصم فقال لهم ويلكم أتظنون أنى غافل عنكم وعن مافعلتم بالقاضى عقبة الزاهد وأخته الزاهدة العابدة الصالحة وحق ابن عمى محمد المصطفى وحق آبائى وأجدادى لابد لى من ضرب أعناقكم ولكن بعد ما آخذ اللص المحتال والعاهرة ذات الهمة وأقتلكم جميع أشر قتله (قال الراوى) وكان البطال لما سمع أنهم قد قبضوا عليهم فقال للأميرة ها أنا أطالب ديار الخليفة لعلى أتسبب فى خلاصهم ثم سار طالب القصر ولم يزل حتى وقف مع جملة القيام وسمع المعتصم وما قال وكيف قد حلف وأقسم أن لابد من قتلهم ثم قال ردوهم إلى المطامير وأوصوا الخادم بحفظهم وقولوا له رأسك مرهونة بهم وأنت تدرى من خلفهم وهو البطال سراق الملوك والأبطال وما أقدر أن أقتلهم حتى يقع البطال وذات الهمة وأصلب الجميع

(قال الراوى) فأخذوهم الخراسانية وساروا بهم إلى المطمورة التى أمرهم المعتصم بحبسهم فيها وكان أول من تقدم البطال ومسك بأذن ولده الحصين وجذبه منها حتى كاد يخلع جلدة أذنه ويسلخها ومسكها بفمه فعول الحصين أن ينطحه برأسه فعوقه البطال بنفسه وكان الحصين قد التفت ينظر من فعل به ذلك الفعال حتى يجازيه يوما من الدهر ان سلم وإذا هو أبوه البطال فقال له لا شك إنك قد كليت وإلا ماهو خال آدمى ثم طابت نفسه بأبيه (قال الراوى) ولم يزالوا بهم حتى أنزلوهم إلى رأس المطمورة فوجدوا صندل وكان أدعر مجنون مغفل فقال له البطال ياصندل إن مولانا أمير المؤمنين يقول لك ياصندل اوضع هؤلاء فى المطمورة واحتفظ بهم لأنه قد أمرنى بضربهم مرتين فى النهار ويكون المفتاح معى وقد أمر مولانا الخليفة أن يعطينى مائة دينار وأنت مائة دينار لاجل حفظهم فقال صندل حفظ الله أمير المؤمنين وفتح المطموره وأنزل الحصين والغلامين ومذبحون ورد الطابق الحديد عليهم وانصرفوا الغلمان والبطال قائم حتى يأخذ المفاتيح من يد الخادم صندل ثم أخذ المفاتيح ورجع والأميره معه وقصدوا إلى دار مسرور الخادم واختفوا فيها والبطال يقول الاميره ذات الهمه قفى ههنا ساعة فى الدهليز حتى يأتى الليل وينام‌وا الناس وأعود أخلصهم باذن الله تعالى ثم وقف حتى أظلم الظلام وغرقوا الناس فى المنام ورجع إلى المطموره والخادم صندل هناك فقال له ياصندل الخليفه يقول لك احفظ هؤلاء الذى عندك فرأسك مرهونة بهم واعلم انهم يطيرون فى الهوا ويخرجون من مكان يريدون يطيرون فقال صندل وحق على بن أبى طالب ماأفتح أنا عليهم الباب لئلا يطيرون واقع أنافى أيديهم فقال البطال هذا الخادم مغفل وأنا الليله أعمل عليه حيله جيده ثم قال ياصندل أنا أعمل معك جميل ولا يعلم به أحدا مضى هات لى مقص قاطع حتى أنزل اليهم وأضربهم كما قال أمير المؤمنين وأقص الاجنحة التى يطيرون بها وبعد ذلك لو شيبتهم مافزعت عليهم فعندها انكب الخادم على يد البطال يقبلها وهو يقول وحق محمد بن عبد الله إذا أعطانى الخليفه مائة دينار فأنا أوهبك منها خمسة قراريط فقال له البطال جزاك الله خيرا اما أنا فما أريد الا منفعتك امضى أنت وهات المقص فعندها راح المنحوس وهو خائف أن يطيروا المحبوسين من قبل أن يأتى بالمقص (ياساده) فعندها فتح البطال الباب أسرع من البرق ونزل اليهم وفك قيودهم وأخرجهم وأخرج معهم جماعة كانوا محبوسين لهم سنين وشهور ولما خرجوا أخفاهم فى دار مسرور وتركهم وعاد وهم يقبلون يديه ورجليه ويقولون له لنا أسوة بكم ولكن لنا أهل وأقارب وأولاد مارأيناهم منذ عشر سنين فقال لهم قفوا مكانكم وأسأل الله أن يستر علينا وعليكم هذا والخادم عاد ومعه المقص وهو يقول وحق ألف سورة نزلت على صدر أبو عبد الله

لقد تعسر على طلب هذا المقص الميشوم حتى وقعت به بعدان كادت روحى أن تخرج فقال له البطال لاتشغل قلبك فانى قضيت الحاجه لماان رأيتك وقد أبطيت لجبت أنا مقص وقصيت به أجنحتهم والا كانوا قد طاروا من ساعة مضيت فاقفل أنت باب المطموره عليهم حتى يصبح الصباح وإذا حضرت عند الخليفه فاشكرنى عنده فقال له صندل وحق أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب لاذكرنك عند مولانا بأحسن خطاب فقول لى ايش اسمك حتى أشكرك عنده وأقول له لولا هذا لكانوا العيارين طاروا فقال له البطال قل له غلامك أبو الحصين فقال له صندل أبو الحصين وابن الحصين فضحك البطال وقال نعم ثم تركه وسار إلى عند الأميره ذات الهمه وأولاده وغلمانه وأخذ الكل ومضى بهم إلى باب القصر فوجد الغلمان نائمين لانهم سهروا إلى ذلك الوقت وانطرحوا مثل الموتى وعددهم إلى جانبهم فقال المحبوسين خذوا من عددهم وتقدم البطال وفتح الباب بلطف وخرجت الرجال ورده كما كان وخرج إلى الباب الثانى الذى عليه المعول فرأى البواب سهران والرجال نيام إلى جانبه فعند ذلك تقدم البطال وقال له افتح لنا الباب بالعجلة حتى نمضى فى طلب البطال فقد جاء صاحب الشرطة من تحت المنظره وأخبرنا انه قبض على البطال وذات الهمه وهم فى دار بعض المتعصبين لهم ولبنى كلاب فوثب الديلمى وفتح الباب فخرجوا مثل النشاب وقد بدا ضوء الصباح وخافوا من الافتضاح فقال البطال للمحبوسين اطلبوا لأنفسكم النجاة والذهاب وتفرقوا فى المقابر والخراب إلى الليلة الثانيه وامضوا إلى أهاليكم سالمين (قال الراوى) ولما ان أشرقت الشمس وطلعت وجلس المعتصم وقد أقبلت عليه أرباب الدوله للسلام عليه فقال ياهلترى هل وقع الغواص بالبطال البارحة فقال واحد من القيام يامولانا الخليفه أما الغواص فقد صار بدن بلا رأس فقال له ويلك من قتله فقال الذى طيروا منا العقل من البارحه فقال الخليفه أقسم بالله قسما لآخذن للغواص بالتار من مذبحون بن العيار لأن الغواص كان يحفظ أموال التجار هاتوا مذبحون حتى نضرب رقبته فبادروا الغلمان إلى صندل وقالوا له انزل إلى المطموره وأخرج لنا مذبحون حتى يضرب الخليفه رقبته فنزل الخادم المغفل عاجلا والغلمان يستعجلون له اسرع ياويلك لئلا يغضب الخليفه علينا ويضرب رقابنا فنزل وعاد قد صار سواده إلى بياض فقالوا له ويلك ماحالك فقال مذبحون ومن معه قد طاروا من البارحه وساروا فعندها عادوا الغلمان إلى الخليفه وأخبروه ان القوم قد هربوا فقامت عليه القيامه فقال هاتوا صندل فتسارعت الغلمان اليه وأحضروه بين يديه فقال له كيف غفلت عن هؤلاء العيارين حتى تخلصوا فقال صندل يامولاى وحق فاطمة بنت عمران ماطاروا الا وقت المغرب وما أقول الان أبو الحصين ماقص اجنحتهم جيد ولو صبر هو إلى ان أجىء بالمقص كنت انا قصيت أجنحتهم

طيب وما كانوا يرجعوا يطيروا إلى سنة فلما سمع المعتصم ذلك قال ايش يقول وما هذا الهذيان ويلك ايش المقص فقال له يامولانا ما أنت بعثت غلامك أبو الحصين الأزرق العينين وأخبرنى أنهم يطيروا وقال لى إن جبت لى مقص فأنا أقص أجنحتهم فأنا رحت لأجيب مقص فجئت فرأيت النحس قص أجنحتهم قص ميشوم فطاروا فقال المعتصم لقد تم فى دارى أمر عظيم ثم قال والذين كانوا عندك ايش جرى فيهم فقال يامولانا لاشك انهم تعلقوا منهم وطاروا معهم فضحك المعتصم من وسط الغيظ وقال أقسم بالله أن لو أرادنى عدو بسوء لوصل إلى ثم انه ادعى بالبوابين وسألهم عن القصة فقال أحدهم العفو يامولاى أنا نمت إلى وقت السحر وقمت فوجدت الباب مفتوح وعدتى قد سرقت فقال المعتصم ائتونى بالبواب فلما حضر قال له كيف كان هذا الأمر فقال يامولاى جاءنى واحد وخلفه جماعة وقال لى قم افتح الباب بالعجل لأن صاحب الشرطة قد جاء من تحت المنظرة وقبض على اللصوص فى بعض دور المتعصبين لهم فلما سمع المعتصم غضب وكاد ان ينقلب من على سريره وأمر بضرب رقابهم فشفع لهم الوزير ثم ضربوهم وعزلهم وأمر بالخيل أن تخرج فى طلبهم فقام إليه رجل من بنى سليم يقال له قره وقبل الأرض وقال ياأمير المؤمنين أنا آتيك بهم فعندها قام وأخذ فرسانه وقال ان القوم ماطلبوا إلا طريق الكوفة (قال) وان الخليفة جاءته بشارة ان عقبة تعافا من مرضه وغدا يدخل الحمام ويحضر بين يدى الإمام فلما سمع المعتصم قال لقد أعطى ذلك الشيخ منزلة عظيمة وأنا قلت انه مايعيش ولكن هذه عناية ربانية وانجلى عن الإمام مايجده من ضيق الصدر هذا جرى ههنا (وأما البطال) فانه لما خرج من دار الخليفه ومعه أصحابه قال للأميرة لابد لى الليلة أن أتسلق على دار عقبة وأنزل به البلاء وإن ظفرت به قتلته وإلا أخذته معنا إلى أرض الحجاز وعذبته العذاب الشديد فقد طال الأمر وعيل الصبر فقالت الأميرة اعلم ياأبو محمد ان الطلب علينا كثير وربما نرجع نقع فى يد الخليفة والصواب اننا نتفرق ويأخذ كل واحد منا طريق ويكون الملتقى عند تل الأرانب وقرية الأتراك ولعلنا نرى قومنا فى الحجاز فنسير فى صحبتهم إلى الأمير عبدالوهاب ونستريح من هذه الأسباب وان وجدنا من يقرضنا الدينار بعشرة أخذنا شيأ يساعدنا على طول الطريق فقال البطال أيها الأميرة اعلمى ان لى صديق يهودى ولى عنده ثلاثة آلاف دينار قرضة من سنين وما طالبته بها والآن فقد ألجأت الحاجة إليها نشترى بها جمال وخيل وكلما نحتاج إليه من الزاد ونتوكل على الملك الجواد ونعود إلى ديار الآباء والأجداد فقالت الأميرة ياأبو محمد ان كان الأمر على ذلك فلا بد لك من طلب الذهب ونحن محتاجين إليه فعول فى هذه الساعة فقال البطال والله ان فى قلبى النار كيف أترك عقبة فى هذه الديار فقال مذبحون أقسم قسما لاسار فى طلبه غيرى فسيروا أنتم إلى المواضع

الذى ذكرتم وأنا ألحق بكم إن شاء الله تعالى ومعى عقبة ثم ودعهم وسار وقد وقع لهم من قوله الانبهار وسار البطال وذات الهمة وولده الحصين وغلمانه يطلبون قرية الأتراك وتل الأرانب (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من حديث قرة بن حجاج السلمى فانه سار مع الفوارس كما ذكرنا بجد السير فى طلب الأميرة ومن معها إلى أن وصل إلى القرية التى هم طالبوها فلم ير لهم أثر فقال ماالقوم إلا فاتونا وطلبوا برية الحجاز وان نحن وصلنا خلفهم بلازاد ولا ماء هلكنا من الظمأ ثم دخلوا القرية وداروا فيها وخرجوا منها وقره يقول لهم ما بقى علينا إلا تل الأرانب سيروا بنا إليه لعل نجدهم هناك فساروا طالبينه فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من الاميرة فانها لما قربت من قرية الاتراك قالت للبطال ان أنت دخلت بنا إلى القرية كلنا عرفنا والصواب انى أنا وغلمانك وولدك نروح إلى تل الارانب وادخل أنت إلى اليهودى وخاص مالك من عنده ودبر بنا أمورنا وعد إلينا حتى ننجو من البلاء ونأمن شر الاعداء فقال البطال نعم ماقلتى ثم ودعها وسارت الاميرة إلى أن وصلت إلى التل وأوت إلى جهته وأقبلت تدعو إلى ربها وتسأله أن يوصلها إلى ولدها ويجمع بينه وبينها وقد أقامت لها من غلمان البطال ديدبان (قال الراوى) وما استقر بهم المكان حتى حتى نظروا إلى غبرة القوم وقد ملات الآفاق وأسبلت أذيالها على بلاد العراق فقال أحدهم يامولاتى أرى غبرة هائلة وعجاجة إلى نحونا مائلة وقد أقبلت من صوت الكوفة وأقول انها غبرة أصحابنا من بنى كلاب ومقدمها الامير عبد الوهاب فلما سمعت الاميرة ذات الهمة ذلك الكلام لم تلتفت إليه بل تمت صلاتها وأخذت فى مناجاة ربها وهى خاشعة بين يديه رافعة إليه قصتها وشكواها ولم تكن إلا ساعة حتى أقبلوا القوم وأحاطوا بها من كل جانب ومكان وصوبوا نحوها كل سنان وصاح مقدمهم وافرحتاه لقد بلغنا آمالنا وغدا نلبس خلع مولانا دونكم وهذه العاهرة قطعوها بالسيوف وبضعوها فقال رجل منهم إياكم والبغى فان مصرعه وخيم فدعوها حتى تتم دعائها وتضرعها على باب مولانا وإذا فرغت من صلاتها فدونكم وإيا فقالوا له اسكت ياأبو ضريد فلو ركبت جوادها وغاصت فى عدة جلادها لرأيت رؤسنا تطير وجماجمنا تتناثر ودماءنا تنسكب وخيولنا تنسرب ونحن بين قتيل وعفير

(قال الراوى) ثم حملوا عليها يريدونها والكل يخافونها وزعقوا بها وأكثروا من الزعاق وأخرقوا بها غاية الاخراق وقد بقيت بينهم فى أشد خناق بعدما سألوا غلمان الامير أبو محمد البطال وقالوا مافعل سيدكم الملعون وولده مذبحون المفتون فقالوا ما ندري ونحن قد افترقنا من خراب بغداد من البارحة ولم يعلم كل واحد منا ما كان من صاحبه وهذا آخر عهدنا من سيدنا (قال) فضحك قره وقال لاشك أنهم قالوا نتفرق حتى لايعلم بنا أحد وما

علموا أن القضاء يحكم عليهم بدعاء القاضى العابد الزاهد فقيه المسلمين وإمام المسلمين الذى لا يفلح من عاداه ونحن نأخذ الأميرة ذات الهمة ونقيم ههنا ليلتنا ويومنا فان البطال وولده مذبحون إلى ههنا يصلون ونحو هذا المكان يقصدون ونأخذ الكل ونسير أيضا بهم إلى أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ونأخذ الأقطاع التى لبنى كلاب وأكون أنا والأمير عمرو بن عبيد الله فى الثغور ولا يبقى لعبد الوهاب فى أرض ملطية مكان (قال الراوى) هذا والأميرة ذات الهمة قائمة فى التعظيم والتبجيل للملك الجليل ولما فرغت من تسبيحها التفتت إليهم وهيبتها قد وقعت عليهم وقالت لهم أذلكم الله بين العرب ورزقكم آفات العطب من أى الناس أنتم لا كنتم ولا استكنتم فقالوا لها نحن الغطارفة الكرام بنى سليم نسل كل همام ومنازلنا فى أرض الفلاه وبيننا وبين بنى كلاب حقود لا تنسى ولما بلغنا أن الخليفة غضب على بنى كلاب وعلى أميرهم عبدالوهاب وصار مأواه الحجاز كرهنا المقام فى جواره طمعا أن يعطينا مكانه واقطاعه ولما سمعنا أن القاضى عقبة الامام قدوة الاسلام جمال الانام وإمام هذا الزمان فعل فى حقه ماهو كذا وكذا فجئنا لأجله ونصرته وقتل أعدائه وحسدته ثم برز إليها مقدم القوم قرة بن حجاف السلمى وهو مع ذلك ينشد ويقول :

أذلهمة لم يبق من قتلكى بد ... ويرجع ذاك العز والفخر والمجد
وابنكى يبقى فى الفلاة مجندلا ... قتيلا بلا جندل وفى أسرنا عبد
ومن بعد ذا نصلب جميع خواصكم ... على خشب فى وسط دجلتنا عمـــد

(قال الراوى) فلما سمعت الأميرة شعره والنظام انقلبت عيناها فى أم رأسها وسحبت حسامها فى يدها وقالت له ويلك يا كلب العرب والله إن بينك وبين ماذكرت اسود الهياج وليوث العجاج ولا بد من صلب شيخكم على باب الذهب كما أمر النبى المنتخب وأما ماذكرت كونكم فى ملطية فلا بد أن يأخذوها منكم الافرنج وأيضاً يسيرون بكم إلى القسطنطونية وتعلم أنها ما كانت تخلص إلا بسيوفنا وأما ماذكرت من شجاعتك وقوتك فأنت أحقر وأقل وأذل ولكن سوف ننظر من يكون المقتول ومن نطحته بحوافرها الخيول ولو كنت كما ذكرت لما هجمت على امرأة قائمة بين يدى مولاها ولو طلبت الانصاف ما اتبعت طريق الإسراف ولكن اعطنى جواد ورمح وسلاح ثم ألبسه واحمل على بعد ذلك فارس لفارس وانظر منى العجب ومن يبقى منا أحدوثة بين العرب وإن أردت البغى والعدوان فأنا أتكل على الملك الديان وسوف أفعل ما يتحدث به الناس على طول الزمان (قال الراوى) فلما سمع كلامها قال اعطوها جواد وسلاح فعنـــد ذلك أعطوها ما قد طلبت فعندها لبست الأميرة ذلك السلاح وركبت الجواد وأخذت الرمح بيدها وطلبت البراز فبرز اليهـا فارس

وقال بالثارات القاضي عقبة فقالت له الأميرة ذات الهمة أنت مسلم وتأخذ ثار نصرانى كافر مشرك بالله تعالى فقال الملعون إن كان يهودى فهو يهودى وإن كان نصرانى فهو نصرانى فعندها قالت الأميرة الآن طاب قتلك ياهذا ثم انهما تجاذبا وتطاعنا وتقاربا وتباعدا وتدانيا ساعة من النهار حتى إنها أتبعته وضايقته ثم انها طعنته فى فاه أطلعت السنان من فقرة قفاه فلما نظر قره إلى ذلك قال لأصحابه ياقوم إننى أخشى العار أن يقال عنى قره خرج إلى امرأة لا قدر لها ولا مقدار فقال ثعلب الذى كان مع الأمير أبو محمد البطال ما العار عندك إلا أنها تقتل أصحابك وأنت واقف فوالله ما أنت من رجالها ولا تعد من أبطالها

(قال الراوى) فغضب قره من كلامه وضربه بالسيف على رأسه فنزل فى الحال إلى أضراسه فعند ذلك برز من القوم عشرة علوج وحملوا على الأميرة فما كانت إلا ساعة حتى رمتهم الأميرة عن الخيل وأنزلت بهم الذل والويل فعندها حملت عليها الأبطال والأقيال فلم تزل الأميرة تلتقطهم بضرب يقد وطعن يهد إلى أن أمسى المساء وخندست الظلماء وعاد قره بأصحابه وهو يقول والله ما نظرت العيون ولا شاهدت أفرس منها فقالوا له أيها الأمير ماهى التى كانت تحمل فى ألوف من فوارس الروم أما هى تخطف الملوك من بينهم ثم إنهم أقاموا إلى أن أصبح الصباح وتواثبوا إلى الجرد القداح وهمو بالحملة وإذا هم بغبار قد ملأ الأقطار ثم انقشع عن أربعة آلاف فارس وهم غائصين فى الحديد والزرد النضيد وكانوا هؤلاء أكراد من أجناد الخليفة مع أمير يقال له عياش بن خشتر بن الكردى وهو بطل من الأبطال وكان أيضا قد خرج فى طلب الأميرة ذات الهمة فوصل إلى قره وسأله عن حاله فأخبره بالقصة فقال ياويلكم كيف تكونوا ألف وهذه امرأة فريدة وحيدة وما فيكم من هو كفؤا وأنا فى غداة غد إن شاء الله تعالى آخذها فقال قره ما يأخذها الا أنا فقال عياش الكردى بل أنا آخذها ورأيك ما أفعل بها فقالوا العرب ماندعكم أنتم تحملون عليها فانها قتلت رجالنا وأبادت أبطالنا ونحن غرماها وهى غريمتنا وتريدون أن تأخذوها من أيدينا وتفوزون بالذكر فقال عياش الكردى يا ويلكم أنتم تأكلون خبز السلطان وهذه امرأة واحدة ما قدرتم عليها فكيف لو كانت عسكرها معها وسودانها فقالوا له لا تطيل الكلام فنحن ماندعكم تقربوها فقال الكردى يا ويلكم وبلغ من قدركم إنكم تجاوبونى بهذا الجواب فقال قره إذا لم تسكت وإلا ضربت رقبتك فعندها ثار عياش الكردى والاكراد وكذلك العرب فقالت الأميرة ذات الهمة اللهم رد بأسهم فى نحورهم إنهم على مثل ذلك وإذا بغبار قد طلع من نحو الحجاز وتهامه حتى سد الاقطار ثم انكشف عن نواصى الخيل وبان من تحته اختلاف الرايات والدنيا قد انقلبت من سائر الجهات وقد

تقلع من حوافر الخيل أصول الشجر والنبات (قال) فعندها تقدمت العرب تكشف الخبر ثم عادوا إلى قره يخبروه بلقاء عساكر السودان وكانت الأميرة ذات الهمة لما رأت الغبار ترجت منه الفرج وقد حن جنانها اليه و بقيت رامقة بالنظر اليه ثم أرادت أن تتقدم إلى ذلك الغبار وكذلك عياش الكردى بعث من يقفو له الآثار وسمعت الأميره ذات الهمة الصياح ونظرت إلى العجاج وذلك السواد الذى قد أقبل فقالت الأميره يا أبو محمد لعل هذا العسكر الوارد يخلصنا من الشدائد فامض اليهم وأتينى بأخبارهم (قال) فعند ذلك أطلق الأمير أبو محمد رأس الجواد حتى قرب من عسكر ذلك الجيش وإذا به كانه سد من حديد يلمع بالزرد النضيد لايبان منهم غير حماليق الحدق او تداوير الامق و بين أيديهم فارس مثل البرج المشيد منغمس فى الحديد (قال) فلم يجسروا الاكراد أن يقربوهم من هيبتهم ولا العرب أن يخاطبوهم من صرختهم وسطوتهم بل قالوا أصحاب قره لعلهم من بنى سليم حتى نسلك بهم البلاد وقالوا الاكراد لاشك أن هؤلاء قد أتوا قاصدين إلى أمير المؤمنين يطلبون أقطاع الأمير عبد الوهاب وقومه بنى كلاب وان كان الأمر كذلك فلا بدلنا عن هلاكهم (قال الراوى) ولم يكن فى الكل أثبت جنان من الأمير أبو محمد البطال لأنه حمل حتى صار فى مقابلة العسكر فرآهم مثل أمواج البحر فصاح يامعاشر الابطال والاقيال جئتما بالسلام ونلتم أكبر درجة فى الاكرام اخبرونا من أنتم ومن أين أقبلتم وأين تريدون فان من ورائنا أميره مجاهده ولربها عابده وقد أحدقت بها الاعداء من كل جانب يرومون قتلها ويريدوا يحملوها إلى من يريد هلاكها وقد وقفت وحدها فى مقابلة هؤلاء الالوف وقد جردوا من حولها السيوف ولولا قدومكم علينا لسقونا كاسات الحتوف ولو عرفتموها لاجرتموها وكنتم بأسيافكم تقصدوها لان وراءها من كان يرعى لكم ويجازيكم على أعمالكم لانها من بيت الفتوة فبالله من أنتم ومن مقدمكم فان مقدم بنى سليم خرج للاميره ذات الهمه العامريه وهى صابرة للاحكام ثم انحدرت من جفون الامير أبو محمد البطال الدموع وأنشد

جيش بدا عند الصباح المسفر والخيل ترفل من ثيا العنبر
والظل من فوق الشقيق كلؤلؤ هطل على رطب العقيق الاحمر
والارض تحكى جيدها بقلائد هاتيك من ذهب وذا من جوهر
وعساكر قد أقبلت فى جحفل مثل الدجا أكرم من به عسكر
متقلدين صوارم مصقولة تبدو لناظرها كبحر أخضر
والارض ترجف والجبال تزعزعت من خوفها من خيلها المتقنطر

والوحش قد نفرت مخافة بأسكم   والطير محجوب بها لم يظهر
فبحق من رفع السموات العلا   ودجا العجاج بوجد بحر مزجر
من صاحب الجيش العرمرم فيكمو   ان البشارة عند لفظ المخبر

(قال الراوى) فوالله ماوصل الأمير أبو محمد البطال إلى البيت الاخير حتى ترجلت عند ذلك الوقت جميع الفرسان والشجعان والسودان وثاروا كلهم إلى فارس بينهم راكب الطود الواثب فدنا منه الأمير أبو محمد البطال وأشار اليه يقول :

يامن هو الاسد الهمام القسور   هو البحر حقا فى قراره جوهر
انظر إلى من أصبحت فى غربة   مجروحة من يد ندل أفجر
قد قتلت ألفاً وكان أميرهم   عند البراز كانه متكركرى
حتى اتتنا الكرد فى أبطالها   فتواقعوا من أجلنا فى المقفر
من أنت من ولد الملوك فاننى   أشهد بأنك جوهرى العنصر
واعلم بأنى قد أتيتك قاصداً   لترد عنا موبقات الاصدر
انظر كريمة قومها فهى التى   أفعالها بيض كصبح مسفر
ولو أنهم قد أنصفوها فى الوغا   تركت رؤس القوم نثر الابتر
إن كنت ترغب فى الثواب فانها   فى موضع الاجر العظيم الاخطر
أو كنت تحتاج الوفاء من ابنها   فهو المقيم على الوفا لم يغدر
وعلى أن أجزيك يوما بالذى   تصنع فانى فى مقدم مخطر
فأنا الذى فى الناس يعرف اسمه   وإذا ذكرت فأى قلب يذعر
واسأل ملوك الروم عنى يخبروا   وجماعة الافرنج نسل الاصفر
واسأل لمن دار البلاد بأسرها   هل كنت يوما جازعا لم أصبر
يامشترى طيب الثناء بماله   أبشر فانك أنت نعم المشترى
واستنجد الخيل العتاق غوازيا   نحو العدو بعزمه الاسكندرى
واطرح رماح الخط فوق جسومهم   حتى يغيبوا فى الفناء المنكرى
أولا فادفعهم بقول ملاجج   دون القتال وقل مقال العنصرى

(قال الراوى) وان الامير أبو محمد البطال مافرغ من شعره والنظام حتى صاح المقدم على الخيل بصوت كانه الرعد القاصف وقال ويلك اكشف لنا عن وجهك اللثام وقل لنا على بيان الكلام ومن تكون هذه المرأة التى قد وصفتها والسيدة التى قد نعتها فقال الامير أبو محمد البطال إنها من بنى عامر أصحاب التقى والمفاخر ذات الجناب الباهر والحسام الباتر

والكوكب الزاهر الامير الطاهر طيب العناصر أمير بنى كلاب المسمى بعبدالوهاب فاكشف بلاها وأريح أزاها وأوجز أيضا فى لقاها فان البلا قد أتاها من هؤلاء القوم الاندال الذين حداها (قال الراوى) فما استتم الامير أبو محمد كلامه حتى عادت أربعة آلاف فارس إلى خيولها فركبوها ونصولها قد امتشقوها ونادوا عن لسان واحد وا أميرتاه واسيداه ونادى المقدم عليهم واجدتاه واستاه فعندها حار الأمير أبو محمد البطال واندهل مما سمع وهو يظن انه فى منام او اضغاث أحلام ثم انه نادى ياقوم افرجوا عن قلبى هذه الكربة وقولوا من اتم من قبل ان تخرج روحى من بين جنبى فنادى المقدم عليهم كيف أنت ياعماه فما أسرع مانسيتنا فقال له الأمير أبو محمد البطال من أنت قل واوجز فقال له أنا ابن أخيك ظالم ثم انه صاح فى السودان وقال لهم دونكم ونصرة سيدتكم على هؤلاء العربان ثم انه حمل هو وأصحابه إلى ان وصل إلى الأميره ذات الهمه هذا ولما ان اقبلت عليها الخيل تحققتهم ولما ان صح عندها معرفتهم ترجلت وترجلوا الآخرين اليها وقد تقدم إلى عندها الأمير ظالم فضمته إلى صدرها وقالت له يابنى كيف حال أبوك الأمير عبد الوهاب فقال لها بكل خير وانه مما ناله عليكى أرسلنى اليكى لاكشف أخباركى وقد قرب الله البعيد (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر ظالم والأميره (وأما ما كان) من الاكراد فانهم لما نظروا إلى ذلك الحال قالوا للعرب احملوا عليهم بأجمعنا فقالت العرب نحن مانفعل ذلك وما يقاتلهم غيرنا فغضبوا الاكراد وقدعولوا على بعضهم فدخلوا المشايخ بينهم وقالوا دعونا من هذه الفتن والقوا بينكم القرعه فمن وقعت عليه القرعه يخرج إلى القتال فعند ذلك تقارعوا فوقعت القرعه على العرب فلم يرضوا الاكراد بذلك فأعادوا القرعة ثانيا فوقعت على العرب فخرجوا إلى القتال وحملوا على الأمير ظالم وأصحابه ودام الطعن والضرب حتى تثلم العضب هنالك تعلقوا الرجال باللحا وكل سكران قد صحا وتار عليهما العجاج وكثر الانزعاج وقد احتاجوا فى المعمعة إلى ضوء السراج وطارت الجماجم وقطعت منهم المعاصم إلى أن قتل من بنى سليم خلق كثير وانهزم الباقين

(وأما ما كان) من الاكراد فانهم قالوا الآن دونكم وهؤلاء القوم فحمل عياش الكردى ومن معه من الاكراد وانطبقوا على ظالم ومن معه كانهم الجراد فصاح الأمير ظالم يا آل كلاب يا آل كلاب جودوا الطعن والضراب وقد بذلوا فى الاكراد السيوف والحراب عند سماع مناداة أميرهم ظالم واسعفتهم السودان الانجاب فما امسى المساء الا والاكراد فى أشد مايكون من العذاب مما لاقوا من الجرب والجلاد وعادت كل طائفة إلى مكانها واضرموا نيرانها وباتوا إلى الصباح (قال الراوى) ولما ان كان عند الصباح تاروا الفريقين إلى الحرب والكفاح فكان أول من برز إلى الصفين عياش الكردى ونادى وقال لايخرج لى إلا ظالم

فعند ذلك حمل عليه الأمير ظالم ثم انهما فى ساعة الحال تضاربا وتباعدا وتقاربا واختلف بينهما ضربتان واصلتان فكان السابق بالضربه عياش الكردى فوقعت فى قبة الحجفة ففى الحال ارمتها نصفين وقد وصلت الضربة إلى بدن الأمير ظالم فجرحته جرحا لطيفا فعندها ولا الأمير ظالم من بين يديه وقد عاد عياش الكردى وهو يقول وحق رأس مولانا السلطان ماابصرت قط أشجع منه فى الميدان فهو يقول ذلك الكلام والأمير ظالم رجع اليه اسرع من البرق الخاطف وهو يقول له خذ لنفسك الحذر فلما سمع عياش الكردى كلام الأمير ظالم رجع اليه هذا وظالم قد تمكن من الحسام وضربه بالسيف على عاتقه أطلع السيف يلمع من علائقه فلما رأت العساكر ولت طالبة أرض العراق هذا والأميره ذات الهمه والأمير ظالم فى أعقابهم حتى تشتتوا فى الآفاق (قال الراوى) ثم ان الأمير أبو محمد قصد قرية الاتراك فقال الأمير ظالم أنت ياعم مالك نية ان تسير إلى الحجاز معنا فقال له يابنى أنت تعود إلى أهلك وأنا اطلب ولدى وحشاشة كبدى مذبحون فقال له الأمير ظالم وابن ولدك ياعم فقال له الأمير من بغداد فارقته فسيروا أنتم إلى الحجاز فقال الأمير ظالم والله لابدلى من الغاره على قرى بغداد (قال الراوى) ثم ان الأمير أبو محمد البطال سار إلى القريه واتى إلى اليهودى وقال له عندك ثلاث آلاف دينار وقد جعلت لك منها ألف دينار وهو ان تدخل إلى بغداد وتكشف خبر ولدى مذبحون (ياساده) فعندها سار ذلك اليهودى إلى أن وصل إلى بغداد فوجد البلد قائمة على قدم وساق والخليفه خائف من الأمير ظالم وقد أرسل إلى بلاد العجم وبلاد الشام يطلب منهم العساكر (قال الراوى) هذا جرى هاهنا من الكلام (وأماما كان) من الأمير مذبحون فانه لما فارق أبوه وقال له يكون اجتماعنا عند تل الثعالب فسار مذبحون إلى ان بعد عن بغداد وإذا هو بصوت أنين يخرج من كبد حزين وقائل يقول لعنك الله ياعقبه لقد أحرقت فؤادى وأحرمتنى لذيذ رقادى فقصد مذبحون نحو ذلك الصوت وإذا هو بعجوز كبيرة السن فقال لها مذبحون ما بالك ياعجوز باكيه العين وايش بينك وبين عقبه [فقالت له يابنى انا حديثى عجيب اعلم ياولدى انى امرأة شريفه عفيفه ولى ولد يقال له بكار بن الفضل أحسن الناس شبابا واتقاهم عرضا وثيابا وكان تيسر على ماتتين ألف دينار الا أنه مارد سائلا قط خائب وكان عقبه يترصد له أكثر الاوقات فقال لها مذبحون انا والله أعرف الناس بولدك بكار وهو والله شجرة الكرم والدين والاصل الطيب ثم ماذا فقالت له العجوز ثم ان ولدى ذهب الى ديار مصر ورجع ومعه ثياب وبضائع من عمل تنيس ودمياط واشياء تلبسها الملوك وأنه لما استقر عندى وصار فى منزله وجعل البضائع فى مخازنه وقد قال

لعقبه اعلم أنه قدجاء معي بضائع وأنها ماتصلح الاللخليفه وارباب دولته وأنت لك التقرب والوصلة الى أرباب الدوله وأريد من فضلك أن تبيعها عليهم وأناأعطيك نصف الربح ثم ان ولدى عرض عليه البضائع فقال عقبه أيضا لولدى أما قولك ان قربك من السلطان فبعيد الامكان وربما انه احالك على احد من الغلمان وما يحصل لك رحلك الا بعد زمان ولكن ياولدى انا آخذهامنك بيع وشراء واربحك فيها الدرهم عشرة ثم انه اخذ البضائع وقال له ياولدى اشترى لى عشر غلمان ارمن حتى احمل المال اليك ثمن بضاعتك ويكون ذلك عندى مكتوبا من دولة الخليفه ولولا انك ياولدى من شجرة الرساله ومعدن النبوه من غير اطاله لما اطلعتك على خبر لان لى ياولدى مطلب وهوملآن ذهب وقداطلعنى الله تعالى عليه وكنوز الارض تفتح لعباد الله القوم الصالحين وانا ياولدى اقبض من المطلب مائتين الف دينار ذهب واعطيك منه ياولدى الف دينار اخرى ويكون ذلك محبة منى اليك لانك من اغصان شجرة النبوه ومن أهل بيت الفتوه ولكن أريد الغلمان الذين يكونوا معك أرمن لان الأرمن لايعرفون لساننا ولايفهمون ما نريد أن نفعل واذا قضوا حاجتنا وبلغوا مرادنا ولايبقى انا عاقة بوجه من الوجوه ضربنا رقاب الجميع عن آخرهم ولا يطلع للمطاب خبر وأنت بعد ذلك تأخذ مالك وفوقه اضعاف كثير وينصلح حالك وعلى انك ياولدى تحلف لى انك لاترجع تقرب ذلك الموضع حتى اموت اناواقبر ويكون ذلك كله لك من بعدى تنال به الثواب فى الدنيا لانى ياولدى اخاف من الاعوان والجند ان يحسوا بذلك الخبر ويعلموا الخليفه بهذا المال والحال وننال التعب الشديد والمشقه بسببك ففرح ولدى بذلك حين سمع منه ذلك المقال وابداله من مكتوم السؤال فعند ذلك حلف له ولدى الايمان المغلظه الشديدة فقال له ذلك اللعين ليس يكفينى ذلك الامر منك الاان تحضر لى كتاب الله وذلك توثقة باليمين (قال الراوى) ياساده ياكرام فعمد ولدى واحضر له ماقد طلبه وحلفه عليه وولدى غافل عن ذلك كله ولا يدرى مابين يديه ثم انه عقد الايمان انه لاعاد يرجع الى ذلك المكان ابدا على طول الدهر والزمان مادام ان الشيخ عقبه على قيد الحياه ثم ان ولدى نزل الى السوق يطلب الغلمان وتأملوا فى ذلك المكان فنظر عقبه اللعين فوجد عشر غلمان ارمن كانهم الشواهين أو العقبان فعند ذلك اشتراهم ووزن اثمانهم واخذهم من وقته وساعته وصبر الى الليل ثم انه قام وشد على البغال وقد حمل الاحمال والاثقال وخرج وهو لايبالى بقيل ولا قال (قال) فعندها تعلقت انا به وقلت له ياولدى هؤلاء مماليك ونصارى وليس هم من ابناء جنسك ولا دينهم دينك ولا آمن عليك منهم ان يغتالوك ويقتلوك فحدثنى الآن ياولدى بحديثك ولا تخفى عنى شيء يخفى عليك وان كنت تعرف حق التربيه ياولدى لان لى عليك حقوق كثيرة ولا

تخفي عني من الحديث ولا كلمة واحده لئلا يجرى عليك شيء فقالي جرى لي يا أمي شيء لا اقدر على حمله فقالت له ياولدى ماتحدثني بما حصل لك فقال لى اعلمي انه جرى لى من الامر ماهو كذا وكذا حتى انه لم يبق عنده شيء من الكلام حتى قاله لى ثم انه بعد ذلك قال يا امى ان هذا الرجل عالم وامام ومقدم على الخواص والعوام وان له قدرة على الاحكام وانه ربما أن يكون عنده من ذلك القول وصول ونبقى نحن فى العيش الهنى اللذيذ على طول الليالى والايام وذلك مما ينالنا من السعاده الجزيله من هذا المطلب الذى نحن له فى الطلب ففرحت أناله بالمال الكثير وبذلك المطلب وقلت له ياولدى امضى على بركة الله تعالى وعونه ولا تغفل عن نفسك وكن حذور وانظر انفسك فى تعاقيب الامور الا انه ياولدى لما خرج من عندى وابعد عنى تشوش لذلك خاطرى ولبي وتحرك لفراقه نار قلبي وحركتني الشفقه ووقع بي على شأنه سوء الظن فخرجت خلفه كما قال لى ولدي ووراءهم ولم يعلمون بي حتى انا خرجنا من الكمين ولم نزل نمشى الى أن قربنا الى محل خراب والخراب عنده كنيسة خربه فوجدنا عقبه نائم وعلى رأسه تخفيفه ومعه غلام واحد فاتى ولدى وسلم عليه فقبل رأسه ودخل الى جوا الكنيسه الخراب وهى مقدار اربعين ذراع وسبعة فى العرض والطول مثل ذلك فقصدالى حجرة المذبح الى موضع مغطيا بالتراب فأمر الغلمان فحفروا عليه حتى بان لهم بلاطه بحلقه كبيره فقاموها من مكانها ثم انه أشعل شمعه ونزل وصاح فى ولدى هو والارمن فنزلوا وما بقى الا انا فجعلت أميز الموضع وأعلم فيه علائم حتى اذا خفى عنى وعن ولدى عرفته لانه قط مايعرف ثم بعد ذلك نزلت وراءهم فى سلم مقدار عشرين ذراع فى درج واذاهم قد صاروا فى داخله وإذا هو موزر بالرخام فلما ان صاروا هناك أقبل عقبه على ولدى بكار ابن الفضل وقال له يا بكار بماذا تفتخر أنت على وعلى الناس فقال له ولدى بكار مجاوبا له أى أنا أفتخر عليك وعلى الناس لأن جدى رسول الله محمدا ﷺ فلما ان سمع عقبه كلام ولدى بكار أقبل عليه وقال له ياويلك البلاء قد أحاط بك من بين يديك ومن خلفك وحق المسيح لابدلى فى هذه الساعه ان أخرج لسانك من داخل قفاك وأقطعه من وراك حتى اننى أنظر من يخلصك منى بالغيظ ومن هؤلاء الارمن وانظر من يجيرك أو يأخذ بثارك فى هذا المكان الذى نحن فيه أو من يأتى إلى نصرتك ثم انه ياولدى نظر إلى الغلمان العشرة بعد ذلك القول والهزيان مالوا على ولدى بكار ابن الفضل وأرادوا انهم يسقوه كاس الحمام وينزلوا به البلاء والحرمان وولدى قد نظر منهم الذل والعدم فندم حيث لا ينفعه الندم لكنهم قد داروا حواليه وقد علا منهم الصياح وأثخنوه بالجراح وبعد ذلك كتفوه وأوثقوه كتاف وقووا منه السواعد الا ... وقد ضربوه إلى أن كادوا يهلكوه أو يقتلوه ويعدموه الحياة فلما رأيت أنا إلى

ذلك علمت ان ولدى قد وقع فى المهالك واحتال عليه عقبه فطلعت أنا ياأمير من السرداب خوفا ان يعلموا بى ويرونى ويفطنوا بى وما أنا الا قد أتيت إلى هذا المكان فرأيتك أيها الفتى وهذا الذى تم وجرى والذى لولدى وعقبه قد طرى (قال الراوى) فلما سمع مذبحون ذلك الكلام من تلك العجوز رحمها ورق قلبه لها وقال لها ياعجوز اورينى المكان حتى أراه فقالت له تعال معى حتى اننى أوريك اياه وأوقفك عليه عسى تأخذ بثارى وتكشف عنى عارى (قال) فمشيت قدامه وهو تابعها من مكان إلى مكان حتى انها وصلت إلى الخرابه والسرداب فنزل فيه مذبحون وسيفه بيده مسلول مسنون وهو يتدفق فى حد كاس المنون ولم يزل حتى انه وصل إلى آخر السرداب فمد عينه فرأى الشاب العلوى الذى ذكرت عنه العجوز وعقبه إلى جانبه يعذبه ويضربه والارمن العشره عنده وقد زادهمه وغمه ووجده فعندما رآه رق اليه قلبه ورحمه فصاح مذبحون لعقبه ويلك ياشيخ الضلاله ومعدن الكفر والجهاله ابشر بالموت وشرب المنون فانا صاحبك وصديقك الأمير مذبحون ثم انه حمل على واحد من الغلمان الارمن وضربه قتله وآخر جندله وثالث أهواه والرابع أعدمه الحياه ولم يزل على مثل ذلك حتى قتل خمسة رجال والباقين قد خافوا منه وهابوه ولم يجسر أحدا منهم يتقدم اليه

(قال الراوى) فلما ان نظر عقبه إلى ذلك خاف على نفسه وقام على حيله وأخذ صليبه كان فى يده وجعل يقبله ثم انه أنشد

ياأيها السيد المسيح انظر إلى عبدك النجيح
أما ترى عقبة ينادى من ألم الضرب قد يصيح
فانصره قبل ان تراه يبقى معفرا بالدما طريح
وأنت ان لم تجب دعاء فدين أحمد هو الصحيح

(قال الراوى) فلما سمع الأمير مذبحون شعر عقبه ضحك وقال والله انه هو الدين الصحيح ثم ان مذبحون اجابه على عروض شعره وجعل يقول

ياشيبة النار يانجيح لابد من صفعك المليح
ولطخ دقنك بكل جص يطلابه وجهك الكليح
وأصفع قفاك بكل جلد مقابل فعلك القبيح
وأبليك بالضنك كل وقت كى يشتفى قلبى القريح

(قال الراوى) ثم انه قتل مقدمهم توما وبقى منهم اثنين لاغير فلما رأى الملعون عقبه ذلك الحال صاح وقال ياويلاه واخجلتاه وفضيحتاه يوم القيامه يوم الحسرة والندامه ثم عمد إلى سيوف القتلا وأخذ منهم سيف وصاح ياولدى يامذبحون لاتخف منى ودونك خصمك

حتى انى أعاونك عليه ثم انه حمل على واحد من الارمن وضربه فقتله ونادى الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ﷺ وحمل مذبحون على الذى بقى فقتله ثم ان عقبه اتى إلى مذبحون وقال له ياولدى الحمد لله الذى أماتنى على الاسلام والإيمان وانت الذى كنت السبب إلى هدايتى إلى أوضح مقام وأزكى مرام فلوان أبوك الأمير أبو محمد البطال ههنا ليرى منى هذا الاذلال (قال الراوى) هذا ومذبحون قد بهت وداخله الشك والاوهام فى قوله وقال لولم يكن صادقا لما قتل الارمنى وفعل هذه الفعال هذا وعقبه قد علم ان الأمير مذبحون قد انخدع وانطلى عليه الكلام فبكى ثم تأوه وقد أشار ينشد ويقول

ندمت على ما كان منى فى سالف الدهر ... وعاندنى صبرى وقد خاننى أمرى
وقد كنت أعبد للصليب وغرنى ... ابليس ذا الملعون بالزور والمكرى
الى ان رأيت الحق بعينى تبعته ... وعاندنى صبرى وقد خاننى دهرى
وعاديت أقواما كراما وسادة ... أفاقوا على كل البرية بالفخرى
فياليت شعرى يجمع الله شملنا ... بصفو وداد بعد ماتقبلوا عذرى
فان قبلونى كان ذاك بفضلهم ... وان بعدونى قد بسط لهم عذرى
واترك عنى مامضى من عنادهم ... ويصفو لهم ودى مدا الدهر
لأنى قد جاهدت قبل منينى ... وقد كشف الرحمن ما كان من امرى

(قال الراوى) ثم ان عقبه ابهت مذبحون وسحره بهذه الفنون وقام إلى جرة نحاس كانت بالقرب منه وقد سكب منها الماء وتوضأ واغتسل ثم إنه استقبل القبله وعقد النيه واحرم للصلاة وصف أقدامه ووقف يصلى فلما رأى منه مذبحون ذلك استحى من الله وقال فى نفسه من هو واقف على هذه الحاله فى الصلاة والعباده والتطوع والزهاده وأتحمل بدمه وأطالب يوم القيامه بإثمه وأحترم أنا الأجر والثواب من رب الأرباب والله لافعلت ذلك ابدا ثم انه بقى بين المصدق والمكذب وكان قد خالطه الشك واليقين من أمر عقبه لما قتل الغلام الارمنى فقال فى نفسه هذا شىء مافعله قط أبدا ولا أقول انه قتل نصرانى الا ويكون قد سلم ومايعلم بأمره الابارىء النسم وخالق الخلق من العدم وباعث الامم ثم انه تركه ومضى إلى أم الشريف بكار وغدا اليها حتى وصل اليها وهناها بسلامة ولدها وخلاصه من الاعتقال وكانت قد حلت كتافه وهى قاعده عنده تبكى عليه وتندب عند راسه وهو غايب عن الوجود من شدة الضرب لايفيق وكان فى قلب أمه نار الحريق ولما رأت الأمير مذبحون وقد عاد اليها باهتمامه وقد دخل عليها وهناها بالسلامه فلما رأت تهنئته لها وكلامه قامت اليه وقبلته بين عينيه وفى صدره وأشارت اليه تمدحه

جفانی النوم مذ جفت عیونی　وكان بمهجتی داء دفین
إلی أن من مولانا علینا　إذا قد أتانا مذبحون
جسور فی المعامع والرزایا　كريم الاصل فیه تقا ودین
أباد الكافرین بحد سیف　وكان عریقه ماء معین
وخلص نارنا من كلب كافر　یرید لقتلنا من غیر دین
ألا یامذبحون اسمع كلامی　وكن اقطع لرأس هذا اللعین
ولا تخدع فهذا ابلیس حقا　لقد صدقت لنا فیه الظنون
لقد سب الشریف وقد تعدا　وهذا كافر مافیه دین
فان كان ادعی الاسلام دینا　فدلك نفاق شیطان مهین
فبادر نحوه بالسیف حتی　یبان الشك عندك والیقین

(قال الراوی) فلما سمع مذبحون من الشریفه العلویة هذا الكلام شكرها علی ذلك وقال لها ماأنا ممن ینطلی علی مقاله ولا بدلی مما أبین صدقه من محاله وما بقی له حیاة إلا بمقدار ماتفرغ من الصلاة وابدره بالسیف علی غیر المقاتل فان رأیته عند اشرافه علی الهلاك أكف عنه علمت أنه قدعاد عن دین الاشرك وان نطق بكلمة الكفر تممت قتله وفی ذلك الوقت یبان زوره ومحاله اذ قد تیقن بهلاكه وارتحاله والافی هذا الوقت ماا تقلد بدمه لانی أعلم أن المصلی یناجی ربه وانا أفزع أن أضربه وهو فی الصلاه والمناجاة فأطالب بدمه بین یدین الله

(قال الراوی) وكان الملعون عقبة قدعمل هذه الاعمال واظهر هذا النفاق والمحال حتی یخلص نفسه من مذبحون ابن البطال بالمكر والزور والمحال لانه كان قدرتب له الترتیب وكان أنفذ بعض غلمانه لیعلم صدیق له یقال له ماحق ابن الدهقان وكان نصرانی عنید وجبار شدید من فراعنة النصرانیه لایخاف من مالك الدنیا والآخره فأرسل الیه عقبه وهو یقول له یاماحق هات من رفقاءك عشره وتعالی إلی عندی ولاقینی فی المكان الفلانی حتی ألقیك الیوم علی رجل علوی شریف من آل بیت رسول الله ﷺ وأسقیك الخمر والمدام علی شبابه وأتركك تتقرب إلی السید المسیح بضربه وعذابه ونكاله ونأخذ منه ماله ومامعه من نواله ولكم علی ان اكفیكم من المال والنوال علی كل حال (قال الراوی) وكان هذا ماحق ابن الدهقان الذی نحن فی ذكره رجل جبار من نسل القوم الاشرار وقدمشی أیضا مع اللصوص والعیارین علی طول الایام والسنین وقد أهلك خلق كثیر من المسلمین ولاجل هذا كان صاحب الملعون عقبه قلیل الدین لأنه كان إذا خلامعه واجتمعوا الاثنین یقول عقبه یاماحق امحق أنت من جانب وأنا من جانب أنت بشجاعتك وانا بحیلی إلا ان عقبه لما أنفذ خلفه فی هذه النوبه اراد

ان يوريه مافعل بالشريف بكاروكم قد أخذ منه درهم ودينار فما جرى لولدى مع مذبحون ماجرى وفعل ذلك الفعال وقال ذلك المقال وقتلت المماليك الارمن حتى لم يبق منهم أحدا غيره وقد وقف ذلك الملعون يصلى وطول فى صلاته وبقى ينتظر الرجال الذين كان أوعدهم يأتوا إلى هذا المكان وهو لهم فى الانتظار وفى قلبه لهيب النار هذا والأمير مذبحون قام على حيله وأخذ سيفه بيده وجرده حتى دب الموت فى إفرنده وقد ظهر الحمام فى جنباته وقد وقف على رأسه ينتظره أن يسلم (قال الراوى) فبينما هو كذلك وإذا بالرجال قد أقبلت وإلى الخرابة دخلت وفى السرداب قد نزلت ونظروا من باب السرداب وإذاهم بعقبة وهو مستقبل القبلة وهو ينادى بصوت مجهر ومذبحون واقف على رأسه والسيف بيده مشتهر ليعلموا أنه هو فى هذا المكان وقد دافع عن نفسه بالنفاق فصاحوا به أبشر أيها الشيخ بالفرج القريب فقد أتوك عبدة الصليب وصاح ما حق ابن الدهقان قم يا مولاى وانظر مايحل بعدوك من الهوان فبادرعقبة ولم يتم صلاته بل قام وهو ينادى دونكم وهذا الشيطان ابن الشيطان الذى قد فتك اليوم بعبدة الصلبان وأراد قتلى لولا خدعته بمقال أهل الايمان فقال مذبحون وقد ندم حيث لا ينفعه الندم وقال كل هذا بسوء تدبيرى وحسن ظنى بك يا ألف قرنان (قال الراوى) ثم ان مذبحون عاد بسيفه نحو الرجال ونادى فى وجوههم وقال الله أكبر الله أكبر ياملاعين ثم ضرب بالسيف أول الواصلين على عنقه فبراه كما يبرى الكاتب قلمه والثانى جندله والثالث ضربه قتله والرابع أرداه فطلبه بعد ذلك ماحق ابن الدهقان وكان كما ذكرنا عنيد جبار شديد وشيطان مريد فارس من الفرسان شيطان فى صورة إنسان فأخذ مع مذبحون فى المحاربة والمجالسة والمضاربة وهما الاثنين تحت الأرض فى ذلك السرداب ومن فوقهما تلك الكنيسة الخراب فلا يسمع لأحد منهما صياح ولا كلام ولا خطاب ولا يفهم لهما جواب هذا وعقبة اللعين قد عمد إلى الشريفة وابنها الشريف بكاروكانا قد أخذهما الانذهال والاختبار فشدهما الملعون كتاف وقوى منهم الاطراف وقد أيقنوا بالهلاك والتلاف وان ليس بقى لهم خلاص ولا فكاك وما كان لهما حيلة إلا أنهم سلموا أنفسهم اليه وبقت أم الشريف تقبل صدر عقبة ويديه وتمرغ وجهها على رجليه وعلى أسافل قدميه وتدخل عليه وتتذلل بين يديه وتقول له ياقاضى الاسلام والمسلمين والحاكم الحق بين المسلمين والموحدين وقاضى حضرة الخليفة أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين بالله أقسم عليك بحق الملك المتعال لاتفعل بنا هذه الفعال وأكرمنا لأجل نبينا وجدنا النبى المفضال الذى سلمت عليه الغزال وسبح فى كفه الحصا والرمال بحق من كنت الساعة تناجيه وتصلى اليه وتدعوه بابتهال وهو الواحد الأحد إلا ماأوهبتنى هذا الولد الذى طول عمره ما رد من أتى اليه وسأله وهو فى خدمة رب

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف
على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء السادس والستون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) وما تم الأمير مذبحون تضرعه إلى الله سبحانه حتى قويت ركبه وثبتت أقدامه ورد الله الخيل على أعقابها وهو الذى يرد الأرواح فى الأجسام وقد هابوه كل اللئام ولم يقدروا يقربوا إليه فى مقام الصدام وخيل لهم أن فى سيفه الحمام والانتقام وقد عولوا على الهرب أيضا والانهزام (قال) ولما أحس الأمير مذبحون بذلك هلل وكبر إلى الملك العلام وتوسل بجاه سيد أنبياءه محمد عليه الصلاة والسلام الذى كل من توسل به مايضام ويحظى فى الجنه بأعلا مقام وفى الدنيا تزول عنه الأوجاع والآلام والأسقام وهز أيضا فى وجه ماحق الحسام والصمصام وضربه ضربة من يغار على دين الاسلام والايمان فوقعت الضربة على وريديه برت عنقه كما يبرى الكاتب القلم وتركه على الأرض قتيل وفى دمه جديل وأسقاه كاس الحمام وانطبق بعد ذلك على النصارى اللئام أولاد اللئام وقد زاد به الفرح والابتسام وفى ساعة الحال قتل ثلاثه آخرين وسقاهم كاس الحمام فلما نظر عقبة إلى ذلك خاف على نفسه من الهلاك والانتقام وقد عول على الهرب والانهزام واشتغل عن طلب الشريفة العلوية وأيقن بحلول المنيه وقد حرض باقى النصارى (قال الراوى) فبينما الأمير مذبحون يقاتل ويجادل وقد لاح له من النصر دلائل وهو فى النصارى يناصل وإذا به قد سمع أم الشريف العلوى وهى تبكى وتصيح على ولدها الشريف بكار وفى قلبها عليه النار والالتهاب وهى عند باب السرداب وترجو أن يجاوبها أحد من ذلك الجانب بجواب أو بخطاب وقد أدوى ذلك

السرداب فتحير الأمير مذبحون وقد ظن أنه قد أتى له قوم آخرون فالتفت ينظر ما الخبر وإذا به فى بعض القتلا قد عثر فزلقت رجلاه فوقع على وجهه وقد تخلا عن روحه وأيس عن نفسه وأيقن بقتله وسكونه أيضا فى رمسه فانكبوا عليه باقى النصارى والرجال وقد لحقه الملال والعطب والنكال فأخذوه أسير وقادوه ذليل حقير ولا يقدر أن يتحرك من مكانه ولا يتور وقد زاد بالنصارى الملاعين الفرح والسرور هذا وقد لحق الامير مذبحون الفتور وقد بكى على نفسه وانتحب وقال هذا كله بقضاء الرب الذى إذا قدر بشىء له سبب وإذا أراد غلب ولكن لولا حسن ظنى بذلك الشيخ النحس ولو كنت قتنه وأخذت تارى من قبل موتى أصوب وكنت قد ريحت منه العجم والعرب ثم أنه بكى وقال :

لا يكن ظنك إلا سيئا ... فان سوء الظن من حسن الفطن

مارمى الانسان فى مكروهة ... أحدا سوى الظن الحسن

(قال الراوى) هذا وقد بصره عقبة لما وقع فأمن على نفسه من الفزع ورمى ما كان عليه من اللباس وابتدع وقال للنصارى وكانوا قد كتفوا مذبحون وعقبه من شدة فرحه قد زال عنه الباس ورمى ما كان عليه من اللباس وغدا وهو مكشوف الرأس وفى يده المداس فقال للنصارى وكانوا قدموا مذبحون إليه وأرادوا أن يشاوروه على قتله فقال لهم ياويلكم خلوا هذا عنكم وألحقوا بالشريفة العلويه خوفا ان تأتينا بالبلية والا تضيع منا فى الخراب وربما رأت أحد من المسلمين أومن بنى كلاب الانجاب فتدله على هذا السرداب فيبلوكم بالبلاء والمصاب والهموم والعذاب ثم ان الملعون عقبة سحب الامير مذبحون وهو يقول أنا استغفرك يامسيح مما قتنه عند الغضب لاجل غيظى من هذا الكلب الاكلب والآن فقد عرضت عندى محبتى وعلمت أنك تحترم شيبتى وتعلى بفضلى ومنزلتى لاجل مجاهدتى (قال الراوى) وأما النصارى أصحابه فانهم كانوا تركوه وغدوا خلف الشريفة العلوية كما أمرهم عقبة الملعون ولم يزالوا خلفها إلى أن لحقوها وقبضوا عليها وهى لم تقدر تمانعهم عن نفسها ولم تكن الإساءة حتى عادوا إليه بها وهم يسحبوها على وجهها وقد ضربوها حتى كادوا يهلكوها ويعدموها وقد أدموها وبدمها خضبوها من كثرة ماعاقبوها وضربوها فقال لهم عقبة الملعون كتفوها وشدوها حتى أقول لكم أى قتلت تقتلوها لانى أريد الليلة أتركها هى وولدها فى هذا المكان وأطلع أدبر فى هلاك أعدائى وابلغ من الاعداء مناى لاننى أعلم أن مذبحون ماوقع فى هذا السرداب إلا ويكون قد ترك أبوه البطال قريبا منه على هذا الحال وأنا أوريكم ليلة غد ماأفعل بهم وببنات طوق الذى جرى لى أنا وأختى فى داره ماجرى وقد أتانى خبره أنه سلم من الجراح الذى جرت عليه والاهوال التى نزلت له وأنا وحق المسيح ما أصدق أنه عاش

بعد مافعلوا به تلك الفعال قدامى وأنا أرى بعينى فان كان بعد ذلك كله فى الحياة فأنا أقوده ليلة غد إلى هاهنا قال ثم انه جعل يضرب الامير مذبحون والشريفة وولدها بكار حتى فرغ النهار وأقبل الليل بالاعتكار وأمسى المساء وترك الكل هناك فى ذلك السراب وقد أوهبهم الملعون عقبة من مال الشريف بكار كل واحد منهم ألف دينار وكان مال له قدر وقيمة ومقدار وقال لهم ليلة غد أريدكم أن تكونوا هاهنا ولا تحزنوا على ما مضى فلولا أن المسيح قبلهم ما كان قتلهم ولا إليه قتلهم ونقلهم وقد مضوا فى طاعته وطاعتى وان أطال المسيح مدتى أخذت لهم بالثار وأكشف عنى وعنهم العار ثم سار الملعون ومن معه من القوم الأشرار حتى وصل إلى داره وقد قر فيها قراره ورأى أخته عاقبة قاعدة له فى انتظار وهى تتنسم أخباره فدخل عليها ووصل إليها وبما تم له اعلمها وما جرى له مع مذبحون بن البطال من الهم والنكال والضرب والاذلال وكيف انتصر عليه بعد ذلك وقبض عليه وأنزله فى السرداب هو والشريف بكار وأمه وهما فى العذاب الأليم فتبسمت الملعونة عاقبة من ذلك وهنأته بالسلامة ثم قالت هكذا دائم فى السرداب ولا تعلمنى حتى انى آتى معك وأجاهد كما تجاهد فقال الملعون عقبة أنا أدلك على شىء عظيم أعظم من هذا الأمر وأجل عند المسيح وأوفى قدر فقالت له وما هو فقال الحاج طوق الذى كنت أنا وانت فى داره وجرى ماجرى علينا منه وقد أتانى الخبر أنه مامات ولا همته همة الجراحات وأريد منك تنظرى كيف تحصليه فى السراب هو وبناته وامرأته حتى اننا نذبح الكل ونشتفى منهم ليلة غد ثم فتح لها الباب الذى تعمله فقالت له لا تخاف وحق السيد المسيح أنا لها ثم انها سارت من وقتها وساعتها وتنكرت فى صفة شيخة سواحة ولبست الزى وطلعت وهى تسبح وتذكر لسان بلا قلب حتى أتت إلى المكان الذى والحاج طوق وبناته وزوجته فيه (قال الراوى) وكانت هذه الكلبة أخت عقبة أكفر أهل زمانها وأمر من أخوها وأكفر وأمكر وأدهى وأحيل وكانت قد سمت نفسها بالشيخة كرانة مكرا منها وخيانة حتى تجوز على الناس حيلتها ثم انها سارت وهى ضامرة على هلاكهم أجمعين وكل من رآها يعتقد فيها فبينما هى سائرة على تلك الصفة وإذا هى بزوجة الحاج طوق ماشية فى الطريق وهى فى بكاء وتأسف وحريق فقالت لها ماخبرك وما الذى أصابك فعند ذلك قالت لها زوجة الحاج طوق ابن ثابت نحن قوم مقهورين أنا وزوجى الحاج طوق ولكنه ضعيف (قال) فعند ذلك تقدمت اليها وقبلت يدها ودعت لها ثم انها قد التفت اليها وقالت ومن لكن فى الشدة فقالت لها الحاج طوق صاحب الدار فى شدة لا يعلمها إلا الله تعالى ونحن بعده فى أسوإ الأحوال ثم حدثتها بحديثه وحديث عقبة وما جرى له وهى الملعونة تظهر العجب من ذلك إلى أن فرغت زوجة الحاج طوق من كلامها ثم انها

قد أخذت بيدها وقامت بها إلى الحاج طوق بن ثابت فوجدته يئن من ألم الجراح فطرحت يدها عليه وأخذت فى الدعاء ثم قالت لعنك الله ياعقبه وخزاك ولا لقاك خيرا ولا جزاك لأنك أكفر الخليقة وأفسدهم طريقه ثم قالت لبنات الحاج طوق يا بناتى هذا عقبة نصرانى يأكل لحم الخنزير وأنا سمعت هذا الحديث من أقوام ثقاة وما قلت لكم إلا حتى تقولون هذه امرأة صالحة كيف تلعن رجل مسلم والله ماهو مسلم لأن عباد الله الصالحين الذين اصطفاهم لايخفى عليهم نفاق المنافقين والله إنى أعلم قطعا يقين أن عقبة رجلا نصرانى يأكل لحم الخنزير ويكفر بالملك القدير والويل له من ربه يوم الفزع الأكبر إذا ضاق الخلائق بالمحشر واسود وجه المنافقين وتغير وشهدت عليه أعضاؤه بما قدم وما أخر

(قال الراوى) فلما سمعت ذلك الكلام نساء الحاج طوق قالوا لها ياشيخة لا تخليه من صالح الدعاء فانه مظلوم فقالت الملعونة عاقبة ها أنا خارجة من عندكن أعود إلى بعض أخواتى العابدات فى بيت المقدس وأرجع اليكن عند العشاء الأخيرة وأفرجكن على شيخكن باذن الله تعالى وكونوا على أهبة وحصلوه فى حمام حار واعطوا لصاحبه دينار وخذوا منه المفاتيح وودوا شيخكم اليها فى كساء فما يعود من الحمام إلا وهو يمشى باذن الله تعالى واجهدوا أن تكون حمام العيارين لأنها قديمة حارة تصلح للمريض لانها معتدلة الهوى (قال الراوى) فلما سمعت النسوان ذلك الكلام فرحن وكن ثلاث بنات وأمهن فجعلن يقبلن يديها ورجليها ويقلن لها ياولية الله لاتغفلى عنا لأن الوعد دين وهذا أبونا قد نظرتيه فى هذا الحال وقدأظلم والله محرابه واستوحشوا له أصحابه وفيه أكثر من أربعين جرح فأختمت وفيها شىء عملت وهو الآن يستغيث من شدة الوجع والضربان فلا تقعدى عنه الليلة فهذه المثوبة أفضل من حجه (قال الراوى) فعند ذلك خرجت عاقبة وعادت إلى عند أخوها عقبة وأعلمته بكلما فعلت وقالت هذه نوبة نأخذ فيها البنات والشيخ والأم الكبيرة وكل من كان فى الدار فصلب الملعون عقبة على وجهه وقال المسيح يزيد فى عمرك فما يكون العبد الصالح بالأخت الصالحة لاضيع لكى الجوارى تراكيس هذا الفعل النفيس (قال الراوى) وأقام عقبة يدبر أحواله إلى أن مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقال لأخته عاقبة يا أختى قومى الآن وسوقى القوم إلى الحمام فأنا قد فرغت من أشغالى وتممت أحوالى فعندها لبست غاقبة ماكان عليها وخرجت سائرة إلى دار الحاج طوق بن ثابت وقد اختلط الظلام فوجدت النسوان عند الباب لها فى الانتظار فدخلت وهن يقبلن رجلها وينطرحن عليها ويقلن فدينا رجلين تسعى عند الصباح إلى بيت المقدس وتعود عند العشاء الأخيرة (قال) وكانوا بنات الحاج طوق لا تراهن الشمس

وكانت أمهن خلصت مفاتيح الحمام من صاحبها ودانته أجرته وتركت الشيخ طوق فى محفة فلما وصلت عاقبة حملت كل واحدة من البنات من جانب المحفة وسارت الشيخة كارنة قدامهن إلى الحمام وكانت تعرف بحمام العيارين وهى منقطعة عن العمران فدخلوا اليها وجعلوا الحاج طوق من داخل الحمام وكان عقبة مكمنا قريباً منها ومعه الرجال وقد دخل أيضاً وفى قلبه من الفرح أمر عظيم (قال) وكان من القضاء والقدران اليهودى الذى أرسله الأمير أبو محمد البطال يأخذ له خبر ولده مذبحون قد دخل إلى بغداد وسأل عن عقبة فلم يجده فى داره لأنه كان مع الشريف بكار فى الكنيسة كما ذكرنا فخرج فى الليلة الثانية يطلب خبر الامير مذبحون فجاءت طريقه على الحمام فرأى المحفة والنساء يحملنها فقال لهن من هذا فقلن هذا رجل فيه جراح فسار اليهودى من ساعته وإذا بشيخ يلوح بين يديه فوقف وهو خائف حائر ووقف أيضا ذلك الشيخ وتأمل كل واحد منهما صاحبه وكان ذلك الشيخ هو الامير أبو محمد البطال فقال له إيش معك من الخبر فقال مامعى مما أنفذتنى اليه خبر ولكن صديقك الحاج طوق قد دخل الليلة الحمام بتاع العيارين وما معه إلا بناته فقال الأمير أبو محمد البطال هذه حيلة قد جرت عليه ولا شك الا انها من عقبه والليلة يهلك فارجع معى حتى تبصر ما يكون منه

(قال الراوى) وكان السبب فى مجىء الأمير أبو محمد البطال وقدومه فى هذه الساعة سبب عجيب وذلك أنه لما أبطأ عليه خبر اليهودى أقبل على الأميرة ذات الهمة وعلى الأمير ظالم وقال لهما قد أبطأ اليهودى وقلبى من أجله على النار وما تكون النايحة بكرامه مثل النايحة لبلواها والحزين أحق بالبكاء وقلبى يحس انى ما بقيت أجمع بولدى وأريد أدخل إلى بغداد وأكشف خبر ولدى وأسأل عن الحاج طوق ابن ثابت ثم سار حتى لحق اليهودى علد الخراب وأخذه وعاد طالب الحمام (قال الراوى) فهذا ما جرى هنا (وأماما كان) من الحاج طوق بن ثابت فانه لما وضعوه فى الحمام تقدمت بناته اليه وهموا ان يقلبوا عليه الماء واذا بعشرين رجلا قد دخلوا عليه بالسيوف المجذبه وأخذا البنات وشدوا الكل كتاف وظهر عقبه اليهم وقد كشف وجهه اليهم والامير طوق وقال له ويلك جاءك الدواء الذى لم يكن له أبدا شفاء ثم انه أخرج له الزجاج المصحون والقلى وجعل يحك له بدنه وهو يستغيث فلا يغاث حتى غشى عليه وغاب عن الدنيا فقال الملعون عقبة للرجال خذوا الآن هذه النسوة واذهبوا بنا كلنا إلى المطمورة فهذه سنة مانظرت أبرك منها ففعلوا ذلك وخرجوا من الحمام وقد أخذوا الحرائر العابدات وعقبة يقول للحاج طوق أنت من المقربين حتى يأتى اليك الصالحين وحق المسيح لابد لى أن أذيقك من العذاب ألوان قبل الموت والذهاب

(قال الراوى) والأمير طوق قد علم أنه قد تمت عليه الحيلة فقال كلمة لايخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العظيم ماشاء الله كان ثم أقبل على عقبة وقال لا تفعل فما بينى وبينك عداوة وإنما الأمير أبو محمد البطال نزل عندى كما ينزل الصديق عند صديقه وإن كان ولا بد لك من قتلى فلى معك سؤال لا تعذبنى واعلم أن الله تعالى يوقفك بين يديه اذا طارت الكواكب وبدلت الأرض وطويت السموات وسيرت الجبال والذوائب شابت والأبدان قد ذابت والرقاب خاضعة والأبصار خاشعه فاتق الله فى وفى دمى قبل هذا اليوم العظيم (قال) فلما سمع عقبة ذلك الكلام ضحك وقال والله ياحاج طوق أشهدك على أتى ألتى الله تعالى بدم كل حاج على وجه الأرض ثم جعل الملعون يلطم وجهه وهم يساقون إلى الكنيسة الكبيرة وبعد خروجهم من الحمام أتى الأمير أبو محمد البطال إلى الحمام وقد فاتوه بلحظة وإنه لما رأى الدنيا منهم خاليه فقال والله إننى أخاف أن يكون تم عليه الأمر ومالى إلا أن أقصد دار الحاج طوق بن ثابت فان كان فيها شكرت الله تعالى وان كان غير ذلك دبرت فى كشف خبره مع ولدى مذبحون لانه له على من الجميل مالا أوفية أبدا ثم انه سار إلى الدار الذى له فلم يجده فطلع إلى سطحها فرآها خالية من سكانها وإن الامير أبو محمد البطال لما نظر إلى ذلك بكى وقال هلك والله الشيخ طوق وبنابه وهذا والله بسببى ثم عاد إلى اليهودى وقال له اذهب إلى الامير ظالم والاميرة ذات الهمة وأخبرهما أن الخليفة قد استعد بجميع العساكر ويريد الخروج اليهم وربما كبسهم على غفله منهم فيكونوا على أهبة وإن أرادوا العودة إلى بلادهم فهو أصلح لهم حتى لايسفك دماهم ودما المسلمين بينهم وأما أنا فلا أعود حتى أكشف خبر ولدى مذبحون وخبر هذا الشيخ طوق الرجل الصالح الذى ماهلك الا من أجلنا وهاأنا ماضى إلى دار عقبة فما أكشف الخبر إلا منها وإذاوصلت اليهم فارسل إلى غلمانى وقول لهم يكون الملتقى بينى وبينهم حمام العيارين (قال) فلما سمع اليهودى ذلك الكلام انصرف طالب الاميرة ذات الهمه والامير ظالم وأما الامير أبو محمد البطال فانه قصد إلى دار عقبة ونصب سلمه وطلع على الدار ونصت يسمع فلم يجد لعقبة خبر ولكن رأى ابنته الكبيرة وهى تدور فى الدار وفى يدها المبخره وهى تقرأ شيأ من الإنجيل وكانت شديدة فى دين النصرانية وكان أبوها إذا ترك عندهم مسلم تعذبه وتحمى له مسمار وتدخله فى أذنه حتى يخرج من الاخرى فتقتله وكان إسمها عقيبة وكان أبو محمد البطال سمع بحديثها ويقول لابد لى من قتلها وآخذ منها تار من قتل من المسلمين وتصنت اليها وإذا بها سكتت من تلاوتها وجعلت تقول يامسيح خذ للصالح عقبة أبى بالحق من عدوه أبو محمد البطال وذات الهمة وعبد الوهاب وبنى كلاب وشد عضدى بهمتى

عاقبة وأطال عمرها حتى تجاهد فى الملة الإسلامية وهى تقول ذلك الكلام وإذا قد خرجت أختها الصغيرة واسمها عقبية وقالت لها ما نمتى يا أختاه فى هذه الليله وقد تعبتى من التلاوة والدعاء فعندها قالت لها ويلك ياعقبية كيف يأخذنى نوم وأبوكى وعمتكى وعشرين رجلا من عباد المسيح قد ذهبوا فى طلب الحاج طوق بن ثابت وبناته فلا رحم المسيح منهم أحد ويريدوا أن يجعلوهم فى الكنيسة الخراب عند الشريف وأمه ومذبحون ابن البطال المنجوس ويوريهم من العذاب أشد بؤس فقالت عقبية وكانت أصغر أولاده وكان الملعون مارزق قط أحسن منها لأنها كانت موصوفه بالملاحة وكان خطبها ابن بترك مدينة أريس وكان عقبه جهزها بمائتين ألف دينار من جوهر وذهب ولؤلؤ وفضة وأنعم لابن البترك بالزواج لان الواسطة بينهم ملك الروم وعقبه عول ان يزوجها بنية زيارة بيت المقدس ويكون معها أختها عقيبه وأخته عاقبه ويكونوا خيل زوجها مكمنة لهم فى الطريق فيأخذوها ويسيرون ويقولون للخليفه يامولانا قد انفذت بغالى بيت المقدس فاخذوهم الروم وسبوهم المشركين ثم يرجع يأخذ الواحده وأخته وتبقى عقبيه عند زوجها لأنه كان النيه فى هذه الايام وقد انفذ إلى ملك الروم يقول اريد اسير ابنتى إلى من كنت انت الواسطة فيه فانفذلى من العرب المتنصره عشرين رجلا يأخذون تجارة من بغداد حتى اشاور الخليفه وأنا اسيرانا وابنتى معى فى محفه إلى أطراف بلاد الروم ويخرج عليها زوجها ويأخذها واريدان تلقينا إلى أرض الخانوقه باربعة آلاف من بطارقة الروم فانى اخاف ان يلحقنا أحد من ملطيه أو من حرامية المسلمين ووصى العرب المتنصره انهم إذا وصلوا إلى بغداد يتفرقون حتى لايعرفون ولاياتون إلى دارى بالليل وكان الملعون لهم فى الانتظار (قال الراوى) وعدنا إلى سياق الحديث وكان الأمير ابو محمد البطال على سطح دار الملعون كما ذكرنا يسمع كلام البنات أولاد عقبه وان عقبيه لما سمعت أختها عقيبه تدعو على المسلمين فقالت لها بس ياأختاه من هذا الكلام فالحيطان لها آذان ولا نأمن أبو محمد البطال ان يسمع كلامنا أو يكون الليله من حول دارنا (قال) ولما سمع الأمير أبو محمد البطال ذلك الكلام لم يجد الصبر بل عاد ونزل وقلبه على ولده مذبحون وهو لايدرى اين الكنيسه التى سمع بها فاكمن حول الدار وقال لابد يأتى لعقبه خبر أو رسول او ينفذ أحدا يأخذ له طعام أو شراب واتبع انا من يأتى إلى ذلك السرداب فهذا والله شيأ ماكان لنا فى حساب وماهذا الملعون إلا آفة الزمان فياليت شعرى من اين اخذ هذا الشريف العلوى وامه الذى ذكرته ابنته يارب اجعل فرج القوم على يدى انك على كل شىء قدير (قال) ثم انه بقى متفكر فى بعد الأمير عبد الوهاب عن المصيبه وقلبه إلى زوجته نورى ومن شدة ماجرى عليه (قال الراوى) وأقام الأمير ابو محمد البطال باقى ليلته ولم يراحدا

فاصبح على مقالى النار ومن شدة ماجرى عليه خرج إلى ظاهر بغداد وجعل يتنسم الاخبار فلا خبر ولا أثر فرجع فى الليله الثانيه إلى دار عقبه وهو متحير فى امره ينتظر ان يسمع خبرا أو يقف على اثر وعلم ان عقبه اينما كان لابد ان يرسل رسولا إلى داره يطلب منها حاجه وكان الخليفه فى هذا اليوم قد ارسل خلف عقبه يطلبه فقالوا بناته ابونا خرج إلى المشاهد المهجوره يصلى فيها ويدعو للخليفه أمير المؤمنين (قال) وأما اليهودى فانه مضى إلى عسكر الأمير ظالم فعبر عليهم وطلب الاذن فى الدخول عليه فاذنوا له فدخل وسلم على الأمير ظالم وعلى الأميره ذات الهمه وحكى لهم على جميع ماجرى من عقبه واخته عاقبه واعلمهم بالحاج طوق بن ثابت وبناته وزوجته وكيف انمسك الأمير مذبحون ولد الامير ابو محمد البطال (قال الراوى) فلما سمع الأمير ظالم هذه الامور تعجب وشكر اليهودى واحسن اليه ثم انه استشار الاميره ذات الهمه وقال لها ياستاه كيف يكون العمل فعندذلك قالت الاميره ذات الهمه لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لاكان عقبه ولا أخته ثم انها ضربت مع غلمان الامير أبو محمد البطال وولده الحصين مشورة فقالوا لها نحن لك وبين يديك فعندذلك أخذت من العساكر جماعة وقالت لهم إننا قد وقعنا فى أمر عجيب وما بقى إلا الصدق فى الجهاد لان هذه شدة لاتنفصل إلا بالقتال العظيم (قال الراوى) وكانت الاميره قد أخذت من بنى كلاب رجلا يقال له نجد وكان فيه قوة وبراعة ولما تحدثت الاميره ذات الهمة مع غلمان الامير أبو محمد البطال بهذا المقال شكروها وساروا حتى وصلوا إلى قريب من بغداد حتى أقبل الليل واختفوا حتى أقبل النهار وقد وصلوا إلى ظاهر بغداد فقالت الاميره ذات الهمه اكمنوا بنا هاهنا فى هذا الخراب إلى الليل لان الامير أبو محمد البطال لا يظهر إلا بالليل ولو ظهر فى النهار وعرف لهلك وكذلك نحن كلنا مطلوبين من الخليفه وما يكون لنا ملتقى الليله إلا عند حمام العيارين كما وصانا اليهودى (قال) ثم انهم أكمنوا هناك إلى الليل وساروا إلى تلك الحمام ودخلوا معها غلمان البطال فما وجدوا هناك أحد فخافوا على سيدهم ان يتم عليه أمر من الامور فقالت الاميره لاتخافوا ماتم إلا الخير لانى أقول ان أبو محمد البطال الساعه قد توكل بدار عقبه لانه يعلم انه ان أخذه خلص به ولده الامير مذبحون لان مامصيبته الا هو وما عمل عليه غيره فاقصدوا بنا دار عقبه فقصدوها وداروا حولها وقد تفرقوا وكان الامير أبو محمد البطال فى تلك الساعه يرتقب الباب فلما رأى أشباحهم خاف منهم وقصد نحوهم فعرف غلمانه وولده الحصين ثم كلمهم فدنوا اليه وسلموا عليه فقال لهم من معكم فقالوا الاميرة ذات الهمه ونجد الكلابى فلما سمع الامير ابو محمد البطال ذلك المقال عدل

الى الاميره وشكرها على قدومها وقال لها أتعبتى نفسك ياأم المجاهدين فقالت له هذا من بعض ما يجب علي يا أبامحمد فما الذى فعلت فى حق عقبه وولدك مذبحون فقال لها والله ياأميره ما اطلعت لأحد منهم على خبر ولى يوم وليله وأنا أجيء الى دار الملعون واقول لعلى أرى أحد يأتى من عنده واتبعه وابصر ما أدبر فما رأيت أحدا لا أبيض ولا أسود ثم حدثها كيف تسلق الى أعلى الدار وماسمع من عقيبة وعقبية وحديث الشريف العنوى وماسمع من حديثه ثم قال والله أنا حرت فى أمرى ولا أدرى الى اين أمضى واطلب هذا الملعون لاننى قد سمعت أنه فى كنيسة خراب ولا أعلم اين يكون (قال الراوى) فهو معها فى الكلام واذا بباب دار الملعون يطرق طرقا خفيفا فقال جاءنا والله الفرج ولكن اختفوا بنا حتى أبصر ماجرى وانظر من قد ورد واذا بثلاث رجال والباب قد فتح لهم وابنته عقبيه تكلمهم وهم يقولون لها قال لكى أبوكى افتحى السرداب الصغير ثم اقصدى الدن الكبير واملى لنا هذا الظرف لانه خمر عتيق وهو يريد الليله يشرب من على وجوه بنات الحاج طوق واذا سكر وطاب عيشه ذبح لهم مذبحون ابن البطال وكذلك طوق بن ثابت وبناته (قال الراوى) فلما أن سمعت ابنة عقبة ذلك الكلام دخلت الدار وملات الظرف من ذلك العقار فأخذوه الرجال وساروا وعاد الامير أبو محمد البطال الى الاميرة ذات الهمه واعلمها بماسمع ففرحت بذلك وقالت سبحان من يسهل الامور انهتك والله ستر الملعون سر بنا وراءهم حتى اننا نتبعهم وننظر على أى شيء ينفصل الحال (قال الراوى) ثم انهم ساروا وقد تبعهم أبو محمد البطال ونجد الكلابى وتلك الغلمان الى أن أشرفوا على الكنيسة الخراب وقصدوا باب السرداب وهو طريق عظيم بهندام دقيق لايهتدى اليه أحد ولاعليه طريق ثم نزلوا والامير أبو محمد البطال يقول للاميرة والله ان هذا الموضع لايهتدى اليه انسان فى النهار فكيف فى الليل فالحمد لله على هذا الامر (قال) ثم انه تقدم الى المكان ودخل هو والاميرة ذات الهمه وسائر الاصحاب فى ذلك السرداب وكان من أسفل عشرين درجه فلما بلغوا منتهاه بانت لهم الكنيسه ورأوا عقبه وهو جالس وتحته مطرح ديباج رومى ومن وراءه مسند أطلس وبين يديه باطية من الخمر والكاسات تدور وهو يشرب وأخته عاقبه جالسه والقدح فى يدها وعنده أكثر من عشرين نصرانى من نصارى بغداد وعلى عقبة حلة سوداء كان أوهبها له الملك الفالوغص وهى كلها ذهب وفصوصها جوهر وهو قد تميل من ذلك الخمر وصاح وقد طرب وقال ائتونى بطوق ابن ثابت فأتوا به الى بين يديه فلما ان رآه لطم بيده وجهه وقال له ياويلك ماتذكر ماصنع بى فى دراك وأردت قتلى انظر الى المسيح كيف أوقعك ومانجاك حجك الى البيت الحرام فقال له الامير طوق ان كانت منيتى قد حضرت وعلى يدك قد قربت فمرحبا بلقاء الله تعالى

وان كان فى أجلى تأخير فسوف أريك ماأصنع بك من التدبير فلما أن سمع الملعون عقبة ذلك الكلام وثب له قائما على الاقدام وضربه حتى غاب عن الدنيا وقال ائتونى ببناته فأتوا بهن وقال للنصارى اقعدوا حتى نشرب عليهن و نتفرج على وجوههن الى أن يفيق أبوهن وأريكم ماأصنع بهن (قال الراوى) فعندها تقدمت الغلمان الى الجوريات ليكشفوا عن وجوههن فتصارخن و تضاربن بأنفسهن الى الأرض ورأى عقبه ذلك فقال اضربوهن حتى يطاوعوكم ثم جعل يقدم واحده بعد واحده ويضربها حتى يغشى عليها ويأمر بها حتى تحمل الى عند أبيها هذا والاميره ذات الهمه ترى ذلك وقد كادت أن يغشى عليها فقالت ياأبا محمد دعنى أهجم عليهم فما بقى لى صبر فقال لها لاتفعلى ياأميره فان ولدى ماظهر ولو هجمنا عليهم الساعة وخلصناهم هلك ولدى لانه قد خباه فى موضع لاتهتدى اليه الجن ولو ضربناه الى أن ينفخ فى الصور ولم يقربه وكان يموت موضعه ولكن لعله ان يظهر (قال الراوى) فهم فى الكلام وعقبه ناداهم هاتوا الشريف البصرى فأحضروه بين يديه وهو من الضرب لاتحمله رجليه فقال له الآن من ينجيك من صوتى فقال له ينجينى الذى أوقعنى فى يدك فصاح به الملعون اسكت ياويلك فأنا أبغض هذا الكلام الذى تذكره ثم ضربه حتى أيقن انه هالك ثم قال الملعون هاتوا أمه فأتوا بها الى عنده فضربها الضرب الوجيع ثم قال اخرجوا الى مذبحون فما تركته الى الآخر الا حتى أتفرغ له واشتفى منه (قال) فلما سمع الامير أبو محمد البطال بذكر ولده فرح ونظر واذا به قد خرج وأوقفوه بين يديه فقال له ويلك يابن الف ديوس ماجئت الافى طلب هلاكى وقتلى فى هذا السرداب فاطلب السعادة لنفسك والخلاص من البلاء والعذاب ثم انه جعل يضربه فقالت له الاميره ذات الهمه ياأبا محمد أنا قد انقطع قلبى على مذبحون فدعنى أنزل إلى هذا اللعين وإلا الزم هذا المكان حتى أمضى أنا إلى الخليفه السلطان وآتى به إلى ههنا ان قدرت حتى انه يراه وهو فى هذه الحاله وقد انهتك ستره عنده وبرئت ساحتنا نحن ونستريح من هذا الصداع فقال لها الأمير أبو محمد البطال ماهذا رأى سديد لانى أخاف ان ذلك الملعون يبطش بولدى وهؤلاء المسلمين ولكن الصواب عندى النزول اليه والقبض عليه (قال الراوى) هذا وقد طرح عقبه الأمير مذبحون على صدر الحاج طوق والشريف بكار على صدر الأمير مذبحون واخرج سكينا وقال الساعه أشرب قدحى واذبح هؤلاء الثلاثه الذين مابقى لهم رزق ينزل ولا عمل يصعد فأين عين البطال حتى ينظر ولده واين عين ذات الهمه تنظر إلى الشريفه وابنها وهو فى يدى لايقدر يمنع ولا يدفع وبعد هذا القدح راسه تقطع يامسيح بحق هذه الشيبه اجمع بينى وبينهم فى هذا الموضع حتى أشفى منهم فؤادى (قال الراوى) فعندها صاحت الأميره ذات الهمه ياملعون ان لك عند المسيح منزلة عظيمة الذى استجاب دعاءك واتى بنا إلى سلخ قفاك هذا وان عقبه

لما نظر اليهم جف لسانه ومن شدة ماجرى عليه وقع الكاس من يده وتلوث فى سرواله وقال هلكنا وحق المسيح فقالت له أخته أيها الشيخ الصالح قدقلت لك ألف مره لا تقسم على المسيح بشيبتك فان دعاك لا يرد وربما دعوة صادقتها اجابة لاسيما وانت حجة المسيح فقال لها عقبة وكيف استجاب المسيح دعائى من هذه الساعة وأنا طول عمرى أدعوه ان يهلك البطال وذات الهمة العاهره وولدها الاسود عبد الوهاب فما استجاب دعائى ولكن الساعه أراد ان يوريني منزلتى عنده وأتى بهؤلاء عندى لذلتى ومسرتى وخلوتى (قال الراوى) هذا والأميره قدمالت هى وأصحابها على النصارى وهم سكارى فما كان أحدهم يقوم إلا ورأسه قد طارت ورأى عقبه ذلك فانهزم ودخل إلى صدر الكنيسة وأخذ أخته عاقبة معه واشتغلت الأميره عنه بقتل النصارى ولم تلتفت إلى عقبة لأنها قالت نحن مالكون الباب آمنون ان يهرب بسبب من الاسباب (قال) فلما فرغت الأميره ذات الهمة من القوم ونهب أموالهم وقد دارت عليهم بكاسات المنايا ثم قالت للأمير ابو محمد البطال دور الساعة فى الكنيسه على عقبة أنت وغلمانك واقبض عليه فجعل الأمير أبو محمد البطال يدور على الملعون عقبة هو والأميره ذات الهمه معه والسيف فى يمينها مشهور ساعة زمانية فلم يقعوا للملعون عقبة على خبر ومابقى فيهم الامتحير فقالت الأميره ذات الهمة معلوم انه ماطار فدوروا عليه الساعة حتى احل انا هؤلاء المساكين من العذاب الاليم (قال الراوى) وكان الملعون عقبة لما انهزم وتبعته اخته عاقبه قدخل إلى المذبح وكان فيه بلاطة مزوقة على باب السرداب الذى يخبوا الرهبان فيه أموالهم واموال الكنيسة وصلبانها ومايخافون عليه فنزل الملعون عقبة وأخته عاقبة فيه وهما يرجفان واعادوا البلاطه على فم المكان وبقى الأمير أبو محمد البطال يدور وهو حيران حتى وصل إلى بيت المذبح ورأى إلى تلك البلاطه المزوقة فعند ذلك أنكرها لكثرة التجارب ودنا اليها ليقيمها وإذا بها سهلة القلع فشالها وإذا تحتها سرداب عميق فصاح للأميرة ذات الهمة وقال لها أيتها الأميره عقبة لاشك فى هذا المكان وهاانا نازل اليه اسحبه إلى الباب فقالت له الأميره ذات الهمة لا والله ياأبا محمد انا أفديك بروحى وانزل اليه لئلا يكون المكان واسعا من اسفل وقد نزل معه بعض النصارى فهلك (قال الراوى) ثم تقدمت ونزلت وكانت عاقبة واخيها عقبة فى ذلك السرداب كما ذكرنا وقد جرد فى يده خنجر ووقفت اخته عاقبة كذلك وقدجردت بيدها سكين مقابلته وهما منتظران من ينزل اليهما والمكان مظلم وإذا بالأميرة ذات الهمة قد اشرفت عليها فوثب الملعون عقبة وضربها بالخنجر فوقع فى اضلاعها خرج من احشائها فوقعت الأميره ذات الهمة على وجه الأرض مغشيا عليها ثم ضربتها الملعونه عاقبة فى كتفها وهى لا تعقل على نفسها (قال) وكانت لما ضربتها عاقبة صاحت وسمعها الأمير ابو محمد البطال

عند وقوعها فصاح بصوته الجهر وا أميرتاه هلكت الأميره ذات الهمة وحق محمد ابن عبدالله
وما كان نزولها فى مثل هذا الوقت بصواب ثم انه تقدم من حرقة قلبه عليها لينزل فمنعه من
ذلك ولده الأمير مذبحون فقال والله ماأمكنك من ذلك ولكن ان نزلت كنت هالك فقال
البطال ولا أنت أيضا تنزل لان قلبي ماصدق بالاجتماع بك فقال ومن ينزل إلى هذا الملعون
يكون على خطر عظيم ولكن اخرج يا بنى إلى خارج الكنيسة لعل ان تجد شيأ من الحطب والشوك حتى
حتى نصيح بهذا الملعون ونهدده بالحريق والا فما نجد لخلاص الأميره من سبيل فقال مذبحون هذا والله
هو الصواب ثم صعد من ذلك المكان وصار كلما لقى شوكا وحطبا القاه فى السرداب حتى صار عند
البطال شيء كثير فقدمه إلى بيت المذبح وأضرم فيه النار واوهجها وقوى لهيبها وقدمها إلى باب
السرداب حتى يدخل الى عقبة اللهب والدخان فعندها صاح عقبه الأمان الامان ياأبا محمد يا بطال
فعندها بطل ابو محمد الوقيد وقال والله لولا خوفى على الاميره لمافرجت عنه ولكن اذا خرجت
وخلصتها من يده قتلته قدامها ان كان فيها روح ثم صبر حتى خرج عقبه وقد انحرقت لحيته وشواربه
وكذلك أخته شاط وجهها وشعرها ولما صار ظاهر المكان أبصر عقبه أبا محمد ومذبحون
وبقية الغلمان قيام وكل واحد منهم بيده حسام فأرمى الخنجر من يده وتقدم البطال وكتفه
وكذلك مذبحون كتف عاقبه ثم نزل أبو محمد الى أسفل السرداب فرأى الاميره وهى على
آخر نفس فرفعها الى الكنيسه وهى لا تعقل على روحها ولما رآها على تلك الحاله ردأمعائها
وخيط جراحها وسقاها قليلا من الماء ففتحت عيناها واما أم الشريف بكار فانها مشتغلة بولدها
وهى تعلله وتبكى على حاله وقد أفاق من ضرب عقبه وعقل على نفسه وكذلك طوق وبناته
وقدهناهم أبو محمد بالسلامه وقال لهم دونكم وصاحبكم عقبة الذى فعل بكم هذه الفعال ولكن
لاتقتلوه حتى تفيق الاميره ذات الهمة ونريه ايامه (قال الراوى) فلما سمعوا القوم هذا
الكلام قاموا الى شيخ الضلال ومافيهم الا من ضربه حتى كل ساعده (ياساده) وعند العصر
افاقت الاميره وعقلت على نفسها وكلمها الأمير أبو محمد البطال ففرحت بكلامه وقالت له
سبحان من يحيى العظام وهى رميم والله ياأبو محمد ماكنت الا من الهالكين من ضربة هذا
الملعون لأنها فى اضلاعى وألمها فى قلبى وان عشت الى غد فهذا شيء كثير وهاأنا اوصيك ان
تقتل هذا الكلب الخنزير بين يدى حتى لاأموت ويبقى من بعدى يعاند أهل شريعة البشير
النذير واذا أنا مت فاتركوا هؤلاء النسوة يتولون حالى وامرى ولا تدفنونى ههنا ان قدرتم
على حملى الى عند الامير عبدالوهاب فمافى قلبى حسرة الا انى مااجتمعت به على موتى والنزاع
فوا أسفاه كيف قضيت منيتى على يد هذا الملعون وكان فى ظنى انى اموت فى القتال والجهاد
ويأكل من لحمى الوحش والطائر ولكن لااعتراض على الله الملك القادر ثم ان الاميره بكته

بكاء شديدا وذلك من شدة الاشتياق الى ولدها وجرت دموعها وقالت يا أبا محمد بالله عليك اذا اجتمعت بولدى فقبل لى عارضيه وجبينه ثم اخبره انى عند الموت والنزاع مشتاقة الى نظره ثم انها قد زاد هيامها وأنينها وبلواها فأشارت تنشد

أبو محمد سر فى الارض وانعانى ... فقد سمعت منادى الموت نادانى
وابلغ الى ولدى السلام فقد ... فارقته وفؤادى عنده عانى
أبو محمد قبل عارضيه وان ... سألك عنى فيوم الحشر يلقانى
ان كان قدغاب فى أرض الحجاز فما ... غابت شمائله عن نصف اجفانى
فى كل يوم خيال منه يطرقنى ... عند الهجوع وطيفا منه يغشانى
فارقته ويد الاقدار تلعب بى ... الى الحمام وتأمرنى وتنهانى
وكان ظنى عند الموت يحضرنى ... حتى يوارى تحت الارض جسمانى
وكلما خففت روحى يقبلنى ... فان تقبيله روحى وريحانى
أبو محمد احملنى اليه عسى ... يؤخر الله فى عمرى ويرعانى
فلو نظرت بعينى شخصه وأنا ... أعالج الموت أغنانى وأحيانى
ما كنت أحسب انى ألتقى أجلى ... من كف هذا اللعين الكافر العانى
ياحسرتى كيف لا أقضى وفى جسدى ... للكافرين جراحا تحت أكفانى
كم كنت أخترق الكفار عامدة ... وأقول يارب هذا يوم بحرانى
يارب كم قد دعانى يوم معترك ... فرسانها بين حراب وطعان
حتى ألاقى حمامى فى الجهاد وفى ... نصر النبى الذى فى الحشر يلقانى
فموت مرة غبن والقضاء أبدا ... يغالب العبد لايرعى لانسانى

(قال الراوى) وكانت الاميره تنشد وأبو محمد وولده مذبحون والحاج طوق وسائر النسوان يبكون ولم يزلوا على ذلك الى ان أقبل الليل وقد عولوا على الخروج من ذلك المكان فرأوا الاميره قد زاد بها الامر وهى تقول اقتلوا هذا الشيطان بين يدى حتى أنال ثواب العيان ولا أموت وفى قلبى من أجل بقائه لهيب النيران فعند ذلك سحبه أبو محمد حتى صار قدامها وهو فى أسوأ الأحوال وقد احتاطوا بها أيضا النساء والرجال وما فيهم الا من قد حنق عليه لاجل ماله من قبيح الفعال وأم الشريف بكار تلطمه وتلعنه والامير أبو محمد قد برك على صدره ويريد يذبحه واذا هو بخمسين رجلا نزلوا من ذلك السرداب وفى يد كل واحد منهم سيف قرضاب مجرد مثل الشهاب وهم يقولون خلوا عن الشيخ يا كلاب فقد أرسلنا المسيح لنخلصه من العداب (قال) وكانوا هؤلاء من العرب المتنصره وأيضا كانوا أتوا ليأخذوا

عقيبه ابنة الملعون عقبه يسيرونها الى زوجها كما قد ذكرنا (قال الراوى) وكان السبب فى معرفتهم بالسرداب انهم كانوا دخلوا أول النهار الى بغداد كما أمرهم عقبه وطرق أحدهم الباب فخرجت عقيبة وسألته عن حاله فعندها أخبرها بما أتوا فيه فقالت لنا ثلاثة أيام مارأيناه لانه فى الجهاد والقتال ليل ونهار والبارحة أنفذ الينا وأخبرنا أنه فى هذه الليله مقيم هناك يشرب مع بعض الأصحاب ثم ساروا معهم إلى ان أوصلوهم إلى السرداب وأطلعوا عليهم وإذاهم بأبيهم وقد أشرف على العدم والهلاك والذهاب والبطال قد برك على صدره وهو بين يديه يتجرع غصص العذاب فارتجفت أعضاءهم وأخبروا المتنصره بمادهاهم فنزلوا كما ذكرنا ورآهم أبو محمد بالسيوف المشهوره ولهم صياح وزمجره فأيقن بالهلاك هو ومن معه من الرجال والنساء وتعجب من هؤلاء الاوغاد ومن معرفة هؤلاء الشياطين بهذا المكان المنقطع (قال الراوى) ومافى القوم الامن سلم نفسه بلا ممانعة وأطلقوا عقبة من وثاقه بعد ماشدوا الكل كتاف هذا وان الأميرة ذات الهمة قد علمت بماجرى إلا أنها فى دنيا أخرى وعقبة من شدة فرحة يقول ماكان المسيح بالذى يغفل عنى حتى أذبح ويشمت فى أبو محمد البطال وهذه العاهرة ثم ان عقبة شكر العرب المتنصرة وقال الشكر للمسيح الذى أتى بكم فى وقت الحاجة فكيف كان القدوم المبارك وكيف خلفتم ملك الروم فقالوا أيها الشيخ وصل إلى الملك كتابك وسمع مافيه وأمرنا بالمسير إلى خدمتك والمبادره إلى مسيرا بنتك وأما البطارقة الكبار الذى قد أوصيته عليهم وقلت له أريد انهم يلتقونى إلى برية الخانوقة وكان أيضا قد عول على انه ينفذهم فقال الملعون عقبة مع مسيركم ساروا فقالوا له لا ولكن تركناهم على نية المسير معولين وقالوا لنا انهم يلتقونا على سحرات خرت برت لان طريقهم تجىء على قونية وما نلتقى معهم إلا ان كان وقت حاجتك اليهم ولان هذه البلاد كما تعلم ماعلينا فيها خوف مادام انك معنا ثم قال لهم عقبة صدقتم بارك المسيح فى أعماركم وأنا الليله أجهزا بنتى عقيبة العروس وأختها وعمتها وعند الصباح تسيروا وما قصرتم الذى قد وصلتم إلى فى هذا الوقت فكونوا فى هذه الساعة مكانكم إلى ان أخرج ادبر أشغالى واستأذن الخليفة فى المسير فى هذه الليله التى مارأيت طول عمرى أبرك منها بقدومكم ووقوع هؤلاء فى يدى إلا أننى أريد هؤلاء البنات أتركهن لابنتى خادمات والباقين مع البطال العيار المحتال أريد أحملهم إلى بلاد الروم معى وإذا زفيت ابنتى عقيبة قتلتهم فى صبحية عرسها وان قصدنا من بلاد الروم قاصد ووقعنا فى شدة أو عاندنا معاند كانوا هؤلاء سببا لخلاصنا على اننى أقول ان هذه الملعونة تصل إلى مكان نريد وفى بعض الاماكن نصلبها إذا رأيتها بعينى على هذه الحاله لا تفيق ثم خلا القوم يأكلون ويشربون وصعد الملعون من عظم همته وفرحته كانه ما وقع فى شدة قط ولا ضرب وسار

إلى داره وأمر غلمانه أن يخرجوا جهازا بنته عقيبة فى هدو الليل إلى ظاهر أرض بغداد ولا نام فى تلك الليلة حتى فرغ من كلما يحتاج اليه ثم ان الملعون قد تطيلس وتحنك ودخل على الخليفة الامام ففرح به وقدمه وأعلمه انه قد أنفذ الخادم فى طلبه فقال له صدقت يا أمير المؤمنين وأنا ممن ينكر همتك الشريفة ولكن كنت غائبا فى الخراب اقصد الاماكن المهجوره وأصلى فى الاماكن المنقطعة لأن العمر قد مضى وما أدرى على أى عمل أقدم وان عملى كما تعلم عمل المقصر وعلى أكتافى مكاره ثقيله لا أكاد أعبر بها يوم القيامة وما حضرت الآن الا أطلب من الحضرة العباسية الاذن فى المسير إلى كسب الأجر من الله والثواب ثم بكى حتى أبكى الخليفة وقال له إلى أين قد عولت ان تسير فقال له يامولاى لى بنية وقد أجهدت نفسها على صغر سنها بالعبادة على انها يامولاى ماتنام الليل وانها تعتب على فى بعض الاوقات إذا رأت تقصيرى وتقول لى يا أبتاه قد قرب وقت رحيلك من هذه الدنيا ثم انها تعظنى كما تعظ الوالده ولدها العاصى وانها فى هذه الليالى قد زاد بها الامر وما فيها ليلة من الليالى الا تقول لى فى صبحيتها ياأبتاه ليلة البارحة رأيت كانني فى بيت المقدس وأنا اقبل الصخره التى قد رقا منها رسول الله ﷺ وأنا فقد اشتهيت ان ترينى اياها فى اليقظة وانها قد آلمت فؤادى وقلبى بهذا الخطاب وقد هيمت منى أشواقى الى ذلك المقام وقد أتيت اليوم أطلب الاذن فى المسير الى ذلك المكان وأنال ثواب الزياره كما تعلم من قبل ان أدرج فى الاكفان لأن يامولاى خير العباد من قد استكثر معه من الزاد ليوم المعاد على انى علم الله تعالى انى ما أصلى ركعة إلا ولسانى يدعو لك للمسلمين أجمعين فعند ذلك قال المعتصم بالله يا قاضى هذا شىء منك عرفناه ولكن ما نشتهى ان تغيب عنا فى مثل هذه الايام الذى ما نستغنى عنك ولا عن رأيك فقال له عقبة وما الذى قد جرى يامولاى فقال الخليفه ان ظالم بن عبد الوهاب قدم من أرض الحجاز وانه قد كسر جيشنا الذى كان قد سار خلف الاميره ذات الهمه والامير أبو محمد البطال واصحابنا قد عادوا الينا فى أسوإ حال وأنا قد عولت أن أخرج اليهم بجميع عسكر العراق ثم أقبض عليهم وأشهرهم بعد ذلك فى الأرض والآفاق وبعد ذلك أضرب رقابهم لانهم قد تجبروا علينا وأكثروا من النفاق لدينا (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك الكلام أظهر ان ما عنده من هذا الحديث خبر فقال بالله عليك يامولاى دع القوم باعمالهم فلهم رب يجازيهم ان كانوا ظالمين وأحسب انك قبضت على الاميره ذات الهمة والامير أبو محمد البطال وظالم وقد حضروا قدامك فى القيود والاغلال ان كان يطيب على قلبك ان تفجع بهم الاسلام ما أتى الامير ظالم الا ليخلص ستة ويعود فلا تؤاخذهم بهذه الفعال لانهم مسلمين على كل حال ولكن يامولاى ان كانوا قد اعتدوا عليك فاصفح عنهم واعفو لأن العفو كما تعلم من شيم آبائك وأجدادك الكرام (قال الراوى)

ولم يزل عقبة بمثل هذا الكلام يردنية الخليفة الامام عن الامير ظالم وما كان قصده بهذا حقن دماء ولكن خاف ان يعلم الخليفة بفقد أبو محمد البطال والاميرة ذات الهمة ومذبحون ويطالب ظالم بهم عند القتال وربما طال الامر إلى أن يظهروا وربما انهتك ستر ذلك الملعون فقطعها من قريب حتى انه لايعوقه عن جميع أشغاله ويمنعه الخليفة عن ارتحاله وربح من أرباب الدولة بهذا الكلام المدح والثناء وبلغ هو غاية الهنا والمنا (قال) ثم انه ودع الخليفة وخرج وكان قد أنفذ إلى العرب المتنصرة فخرجوا إلى ظاهر بغداد وقد ركبوا على الطريق الواضحة والأمراء المسلمين معهم فى تلك الصناديق وهم فى زى تجار المسلمين (قال) ولما وصل عقبة اليهم أمر بعد ذلك بالمسير فساروا يقطعون الارض على انهم قاصدين بتجارتهم القسطنطونيه ويعودون إلى بلاد الاسلام هذا والاميرة معهم فى بعض الصناديق وهى مكتفة بغير قيود وعقبة قد جعلها على بغل هين السيران يؤمل انها تصل إلى بلاد عبدة الصلبان ثم انهم ساروا يقطعون الارض والاقطار ويوصلون سير الليل بسير النهار حتى انهم وصلوا فى مسيرهم إلى برية الخانوقه فترفقوا فى مسيرهم وصار عقبة ينتظر قدوم الروم كل صباح حتى قطع أرض السويديه بيوم وقد وقع بالملعون الاياس من وصول نجدة الروم ورأى الامراء فى ذلك اليوم (قال) وكان لها يومين قد قطعت أكل الزاد وقد أيقنت بالموت والحمام فعند ذلك قالت العرب المتنصرة هذه ماتصل معنا فاقيموا بنا ههنا مادام قد انقطعنا عن العمران وإلا كنا مخاطرين بانفسنا فى البرارى والقفار ونسير ليل ونهار ولكن الآن نريد منك أيها الشيخ النجيح ان تطلب هذه الميشومه الامير ذات الهمة ثم تتركنا نرميها من أيدينا بالحراب ونأخذ منها تار من أهلكت لنا من الاصحاب والاحباب وان أصحابنا فى هذا اليوم يصلون الينا ويقدمون علينا وإذا وصلت النجدة الينا فى غداة غد سرنا يومئذ على طريق بحر الروم ونبلغك من الامر جميع ماتريد فعندها قال عقبة افعلوا ماتريدون ثم أمر بنصب الخشبة وأقبلوا بذات الهمة وهى تئن وقد علمت ماهم عازمين عليه فدعت فى سرها لربها وهمرت دموعها من شوقها إلى ولدها وجعلت على خالقها معتمدها وعقبة يقول ارفعوها حتى أكون أول من يضرب رقبتها بعدما أوقعها وأعلمها من يقدر يخلصها (قال الراوى) فهم على ذلك الحال وإذا بغبرة قد طلعت وعجاجة قد ارتفعت وأسرعت واندفقت ساعة وانقطعت وتمزقت فى الآكام وبان من تحتها الصلبان والاعلام والروم وأهل الطغيان ونظر عقبة إلى ذلك فقال جاءت وحق المسيح البطارقة من عند ملك الروم فقال الملعون اصبروا يامعاشر العربان حتى ينظروا إلى فعالنا وجميع مايقع بيننا ويشاهدونها (قال الراوى) وما تم الملعون كلامه حتى رأى من الطريق التى أتوا منها غمامة سوداء أسود من الليل إذا انسدل فقال عقبة وقد فرح وماأظن الا أن الجيش الذى أرسله

الملك الينا افترق فرقتين خوفا ان يضيع تعبهم وحق المسيح لقد فعلوا فعلا مليح ثم أحدق بعينه إلى نحو الغبره وإذا بها قد انكشفت عن أعلام سود ورايات عليها اسم الملك المعبود وتحتها ابطال مثل الاسود بيض الالوان وفيهم فارس مثل العامود وهو ينادى واحرباه اين تاخذون ياكلاب فى الهرب ونحن لكم فى الطلب فقال عقبة هذا ظالم وحق المسيح وما أتى الا فى وقت ميشوم ولولا هذه النجده من الروم لكان يومنا مذموم فياليت شعرى ايش دل هذا الشيطان على طريقنا ومن الذى اخبره بحالنا حتى يكون سببا لتعويقنا (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك وقدوم ظالم ومعرفته بهذه الطريق سبب عجيب نسوقه على الترتيب وكان السبب فى ذلك ان البدوى الذى كان مع الاميرة ذات الهمة لما قدمت إلى خلاص مذبحون وذلك انه لما رأى العرب المتنصرة وقد نزلوا فى ذلك السرداب ودخلوا على البطال وكل من معهم من الاصحاب ورأى نجد انه هلك فاختلط بالعرب المتنصرة وسار فى جملتهم ولم يعرف فلما رأى القوم مشتغلين وبالقاضى عقبة فرحين فاغتنم الغفلة وبقى فى العذاب حتى ينظر مايتم على الامراء الانجاب وباتوا مكانهم فبات نجد حتى ينظر ينقلوهم فى أى مكان أو يذهبون بهم إلى أى البلدان ولما كان الصباح استأذن عقبة الخليفة فى السفر وخرجوا هؤلاء بالأمراء وساروا فرآهم نجد وأبصر الطريق الذى سلكوا فيها وعاد هو والحصين لأنه كان قد هرب فى البهجة واجتمع بنجد ثم صاروا الاثنين إلى ظالم وقالوا له الحق بجدتك الأميرة والأمير البطال وإلا اهلكهما عقبة ومن معهما من الرجال فقال وكيف ذلك فحدثوه بما وقع فركب ظالم من ساعته فى سائر العرب والسودان وسار نجد بين يديه والحصين وقد أركبه بعض جنائبه إلى أن وصل إلى الخراب ورأى الصياح قد دهمه فبقى مكمن إلى الليل خوفا من الخليفة لأنه قريب من بغداد فبقى خائف لا تعوقه عساكر العراق ان علموا به وربما لايكن له بهم طاقة فأقام هناك إلى أن دخل الليل وأقبل الظلام وأخذوا أثر عقبة وساروا وكان كلما عبر على بلد سأل عن عقبة فيقال له ان له يومين منذ عبر علينا وهو يجد خلفه حتى علم انه انقطع عن العمران وخرج من بلاد الإسلام هذا كان غرض ظالم انقطاعه عن البلاد حتى لايلقاه أحد ويبلغ من عقبة المراد ولما علم أن عقبة سار فى ذلك البر جد خلفه حتى لحقه كما وصفنا (قال الراوى) وكانت النجدة وصلت إلى عقبة خمسة آلاف فارس منتخبة من عساكر القسطنطونية وما لحقوا يسلموا على عقبة وعلى أصحابه حتى صاح ظالم وحمل فى السودان والعرب وهم على ماهم عليه من التعب وصاح عقبة فى الروم هاها ياعباد المسيح هذا الذى فزعت منه وكان قدومكم والحملة على الموحدين وتبيضوا وجوهكم عند المسيح والحواريين وأنا أضمن لكم الجنة والقصور والولدان والحور وأنتم تعلمون أنى ما كذبت قط فى الأمور

فعندها التقت الأبطال الصناديد وقد وقع الحديد على الحديد وتصارعت الفرسان على وجه الصعيد حتى جرى. بينهما القضاء المقدور وانكشف الغطاء المستور حتى أقبل جيش الظلام وعولت الروم على الانفصال فلم يفعل ظالم بل أنه طلب القتال وقد بان له الربح من الخسران وأراد الدخول إلى جدته ومن معها من الفرسان فصاح فى السودان يا بنى حام يئنوا فعالكم فى هذا الظلام ثم خوضوه فان لكم فيه كل الفوائد وأنتم الرابحين باذن الملك الماجد

(قال الراوى) وكان مع ظالم رجل أسود وقد صحبه من الحجاز يقال له أبو سكران وقد قدمه على كل من معه من الفرسان وهو كأنه من أفيلة خراسان برأس كبير وآذان كآذان الحمير وعيناه تتوقد مثل نار السعير ولما نادى ظالم بذلك النداء دمدم أبو سكران وانتخى ونادى اتبعنى يافرطوس الفيل واحمل من ورائى ياقرحة العليل هاها يامفر العين دونك ياقضيب العجين اضرب فيهم بالعامود المذهب اطحنهم ياأبو الركب وكذلك ظالم صاح فى العرب ورأت ذلك وصبرت على العطب وما وجدت لها سبيلا إلى الهرب فمدت الرجال أيديها إلى المضارب وأظهرت تحت الظلام العجائب وشردت الجنائب وغابت من شدة الغبار الكواكب وبال فى سرجه كل راكب وكثر فى السودان الانزعاج وسكر أبو سكران من غير مدام وأبصر سواده كالليل الداج وظهر الزبد على أشداقه كأنه العاج ولما مضى من الليل القليل ورأى ظالم الروم خاسره نخاف أن يقتلوا ويهرب عقبة ويأخذ الأمراء معه ولا ندرى بعد ذلك أين نتبعه ولما ان حسب هذا الحساب انتخب عشرة من بنى كلاب وقال احملوا فى هذه الخيمة لعل أنا وأنتم نسير خلف الروم واحتفظوا بعقبة الملعون لئلا يهرب بالأمراء ونحتال إلى التعب والمسير مرة أخرى ففعلوا ماأمرهم به وحملوا وجعلوا يصدمون ويقاتلون والسيف يعمل فى الأبطال والرجال تنتثر نثر الحرمل والموحدون يكبرون والدماء تنهمر والسيوف تلمع والرقاب تقطع والشجعان تصرع والارض بالنجيع تكرع حتى صار وقت السحر ونصر الله جيش الموحدين فظفروا بمن كفر ولم يجدوا لهم مفر لانهم فى بر أقفر فامتحق عددهم واندثر ودام الامر على ذلك حتى لاح الفجر وانفجر ورأوا الروم عددهم وقد بقى منهم القليل فأيقنوا بالبلاء الطويل وطلبوا عقبة فلم يجدوه ومقدمهم أيضا عدموه فعولوا أن يطلبوا الهرب ويخلصون من السودان والعرب فما قدروا على ذلك لان جيش ظالم أحاطوا بهم من كل جانب وأبذلوا فيهم القواضب وما تضاحا النهار على طوائف الكفار وما بقى منهم ديار إلا من كان من أول الليل طالب الفرار وملك ظالم الخيام والاموال وداروا على الاسرى ليفكوهم من الاغلال فما رأوا لهم خبر فحار ظالم وانبهر وقال هرب والله الملعون واغتنم سواد الليل ودجاه وطلب بالامراء النجاه وكنت أمرت عشرة من أصحابنا أن يحملوا ويصيروا من ورائه وما

أرى أحد من العشرة قد عاد فهو كذلك وفارس من العشرة قد عاد وأقبل أسرع من الريح وهو يصيح كانه عادم عقله حتى قرب من ظالم وتبينه وإذا هو من العشرة المذكورين إلا أنه موثق بالجراح ودرعـــه مخضب بالدماء من طعنات الرماح فقال ظالم ويلك ياخالد وأين باقى أصحابك ورجالك فقال له يامولاى قتلوا لاننا لما أمرتنا أن نخوض المعمعة ونصير من وراء عقبة ونحفظه ففعلنا ما أمرتنا به وشققنا المواكب وبذلنا غاية المجهود وضربنا فى الكفار حتى خذلت المناكب إلا أننا ماخلصنا من القتال وصرنا خلفهم حتى قتل منا ثلاثة رجال ونحن فى غاية التعب والنكال وقد أبعدنا عن المعمعة واستفقنا حتى رأينا الأمراء وقد أنفذهم عقبة فى خمسين فارس من المتنصرة الذين أتوا إلى بغداد وسار بهم وترك الروم فى القتال رأينا ذلك فامتدينا وراءهم وقلنا عسى يبعدوا عن عسكرهم فنتبعهم ونبلغ المراد وقد خلصنا الأمراء من الاصفاد وسرنا وساروا قدامنا حتى وصلنا إلى جبل ومضيق فسبقناهم وأخذناهم إلى رأس المضيق واستقبلناهم وضربناهم ضربات مثل الحريق وصحنا فى عقبة أين تهرب ونحن بين يديك نطلب خلاص الأمراء من الضيق ونتوكل على الله ونسأله الاعانة والتوفيق ثم قاتلناهم وعن المسير عوقناهم وصـــار عقبة يصيح ويقول هيا ياعباد المسيح دونكم وإياهم فما هم فى جمع كثير وما زلنا على ذلك إلى وقت السحر وأعاننا الله عليهم وقتلنا من العرب المتنصرة الأكثر وبقى عقبة ومن معه فى نفر قليل وعول على الهرب وإذا بالبطريق الذى أتى من مدينة القسطنطونية المقدم على الخمسة آلاف فارس قد أدركنا وهو منهزم من بين يديك فى مائة فارس وطلب لروحه النجاة فصادفنا ونحن أشرفنا على أخذ عقبة بعد هلاك الذين كانوا معه فلما رأى ذلك حمل وقد صاح به عقبة لما أن أشرف على شرب كاس الحمام ورأينا نحن البلاء علينا قد نزل فقاتلنا حتى شربنا كاس الفنا وما سلم من أصحابى إلا أنا لأننى أخذت فى البر عرضا وكان جوادى سابقا وسلمت وفى هذه الجراحات وأنا لاأصدق بالنجاة (قال الراوى) فلما أن سمع ظالم ذلك الكلام حار ولحقه الانبهار وقال لقد تعبنا وما بلغنا الله غرضنا وهذه بلاد الروم بحر عجاج وما أنا فى عسكر كبير حتى أخوضها وما يمكننى أن أعود وأدع هذا الملعون يشتفى من جدتى وأصحابها وأنا قد حرت والله فى أمرى ثم قال للرجل الذى أخبره بهذا الخبر يا أخى وتعرف الطريق الذى سلكها عقبة فقال والله ما أعرف إلا من ههنا إلى المضيق والجبل الذى سلكناه رأس الطريق وبعده فلا أدرى ما وراء ذلك ولا سلكت عمرى تلك الطريق فقال ظالم على كل حال فلا بد لنا أن نتبع الآثار ونخوض البرارى التى بين أيدينا والقفار وندخل خلف أصحابنا إلى بلاد الكفار ولنا أسوة بهم إما أن نخلصهم

وإما أن نهلك معهم فقالوا بنى كلاب هذا هو الصواب وإلا بأى وجه نعود إلى الأمير عبد الوهاب وقالوا السودان والله مانعود حتى نبذل المجهود ففرح ظالم بهذه النية الصادقة ثم انهم أخذوا عدد الروم ولباسهم وطوارق الروم وبيارقهم وساروا بنى كلاب بين يديه وكانوا عند العصر فى المضيق وهو الجبل الذى ذكرناه وهو يدخل منه الإنسان بلاد الروم ويقع فى قلاعهم فلما رأى ظالم ذلك عبر وبات قاطع الطرق التى للجبل وأقام إلى الصباح ورحل وهو لايدرى أين يسلك ولا إلى أى موضع يقصد وما تضاحا النهار حتى عارضهم طريق أخرى عن يمينه غير الطريق الذى هو سائر منها فتأملوها وإذا فيها أثر حوافر خيل وهو درب واسع فوقف بصحبه وقال ياقوم ما أقول ان عقبة يسلك إلا من هذا الطريق لأننى أنا أرى فيها أثريين على أن الأثر الذى نحن فيه وعليه انقطع ولكن ما أدرى أين انقطع وقد حرت فيما أصنع فقال له أبو سكران مقدم السودان يا أمير لاتتحير فأنا أقول لك كيف التدبير إن كنت ترضانى مشير فقال ظالم قل ياأمير حتى نسمع رأيك وتدبيرك. فقال له الرأى عندى أن آخذ أصحابى السودان وأسير على هذه الطريق الذى قد اعترضتنا وتسير أنت على طريق الأثر الذى بين يديك لعل أحداً منا يقع بعقبة ونخلص الأمراء منه ويكون موعدنا هذا الجبل وأى من انقطع عنه الأثر ولا يسمع لعقبة خبر عاد اليه ولا يرجع حتى يجتمع بالآخر فقال أصبت يا أخى ولكن الصواب أن نلبس نحن زى الروم وأنتم لبس الافرنج حتى لاينكر علينا ولايجتمع علينا عسكر ومن سألكم عن حالكم فقولوا نحن من سودان غيلان الشوك صاحب الفالوغص وإن سألنا أحد ووقع بنا مالا نطيقه نقول نحن من العرب المتنصرة فقال أبو سكران هذا هو الصواب فربما وقعنا فى إقليم لانكون فيه معروفين ثم لبسوا سائر السودان لبس الافرنج ورفعوا الصلبان على القنطاريات واستتروا بالطوارق حتى كانهم وصلوا من أفرنجية وودعوا ظالم وساروا على الطريق الأيمن. وسار ظالم على طريقه وقد تظاهروا بنى كلاب بزى الروم وعدد البطارقة وساروا يقطعون القفار (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من عقبة فانه لما أدركه البطريق دنكروش ليلة المضيق وخاصه من أصحاب ظالم وأهلكهم فقال له عقبة انجو بنا فهذا أمر ماكان لنا فى حساب وما أدرى أيها السيد هؤلاء الشياطين. كيف عرفوا هذا الطريق وتبعونا من بلاد الاسلام فقال البطريق أيها الشيخ النجيح إنها كانت نوبة ميشومة وحق مريم لاعاد من أصحابى مايخبر بخبر وما هربت وتركتهم فى الليل إلا لما عاينت الويل وقد عرفت أن مالنا بهم طاقة وكان هروبى سببا لخلاصك وإلا كانوا السبع فوارس قبضوا عليك وخلصوا الاسرى من يديك.

وقد حرت الساعة كيف يكون خطابى للملك ان سألنى عن هذا الأمر فقال له عقبة لايهمك أيها السيد فأنا أكتب معك كتاب وأخبره فيه بما تعبنا من بنى كلاب وأزيد من عندى فى هذا الحساب حتى لايقع عليك لوم ولا حساب ومع ذلك ان الملك لوهلك كل من عنده فى القسطنطونية وسمع بوقوع هؤلاء الكلاب فى يدى كان على قلبه طيب لما يعرف انى فى هذه النوبة أريد أعذبهم فى جزيرة ما يكون لهم منها خلاص واذا زفيت ابنتى عقيبة أهلكت الجميع وأصلبهم فى صبحية عرسها على ان هؤلاء الذين قتلوا فى هذه النوبه فى خدمتى وطاعتى وطاعة المسيح وأنا يوم القيامة أجعلهم أصحاب قصور وأسكنهم عند يوشع صاحب مدينة الزرزور وتخدمهم الولدان والحور (قال الراوى) ولم يزل الملعون يلعب بعقل البطريق حتى وصل الى مفرق الطريق وقال له اطلب النجاة فهى توصلك الى عمورية الكبرى وتخرجك الى بلد الروم فاذا أنت وصلت الى الملك فأقريه منى السلام ثم سار على طريق بحر الروم وهو يقول للعرب المتنصره اعلموا انى ماأخذتكم معى دون البطارقة الا حتى اغنيكم وعلى فعالكم أجازيكم لانكم أنتم أصحاب التقدمة الى خدمتى وقد هلكت منكم جماعة فى طاعتى ولابد ما آخذكم الى جزيرة اريس وأتركم تحضرون زفاف ابنتى عقيبة وآخذ لكم الخلع من العريس ثم انى أعيدكم الى أوطانكم ومافيكم صعلوك (قال الراوى) ثم ان الملعون سار يقطع القفار ليلا ونهار والامراء معه فى تلك الحالة القبيحة والاميره كما ذكرنا جريحة تتمنى الممات من شدة السير فى تلك الفلوات وتمتنع من الطعام فى سائر الاوقات وعقبه يداويها ويطلب أن تصل معه الى مكان يريد حتى ينال بها الاسم الكبير ولسانها لايفترق عن تسبيح الملك الجليل القدير ولم يزل عقبه على هذا السير أربعة عشر يوما بلياليها حتى قالوا الأمراء انهم خرجوا من الدنيا وبعد ذلك وصل بهم الى مراحل بلد الروم وأمن على نفسه وأصبح يوم الخامس عشر قريبا من قلعة تسمى قلعة السها فنزل هناك وقد شكروا اليه العرب المتنصره فقال لهم ابشروا فما بقى لكم شده هذه قلعة السها وبينهما فرسخ أودون ذلك فليمضى واحد منكم ويعلم صاحبها بقدرى حتى يخرج الى لقاءنا لان خبرى عنده من بغداد وأنا كنت أنفذت اليه وأعلمته انى فى هذه الساعة أزوره وأعبر بابنتى عليه الى زوجها ولا شك انه فى انتظارى وما يصدق بوصولى لان كلمتى عنده مسموعة ثم سير بعض العرب المتنصره اليه وقال له اذا حضرت بين يديه فقل له ان الشيخ النجيح قد وصل ومعه من أمراء المسلمين قوما يضرب بهم المثل وهم الذين كانوا يوعدك أن يهدى اليك بعضهم فاسرع الى لقاه (قال الراوى) وكانت هذه القلعة يضرب بها المثل لاجل علوها وامتناعها وهى برية بحرية قوية صنعتها الحكماء وتعبت عليها الملوك القدماء وكان لها بابان باب إلى البحر وباب إلى البر ولها نهر

دائر بنصفها ولها جسر موضوع للعبور فاذا طرقهم طارق أوعد وقطعوه وشالوا خشبة وبقيوا في وسط الماء فلا يقدر عليها أحد وصاحبها من الجبابرة يقال له طرطوش يركب فى عشرين ألف فارس سوى أهل السواد من أهل الحصون والقرى وكان عقبه عارفا به من سنين وبينهما مكاتبات ومراسلات ولما قربوا من قلعته أرسل اليه كما ذكرنا وأقام فى الانتظار والراحة وهو على غاية من الفرح بسلامته وبسلامة الأمراء معه (قال الراوى) وكانت الأميرة ذات الهمة قد وجدت الصحة وعاد اليها بعض قواها إلا ان عقبة كان قد كتفها حين رآها تأكل الطعام وتمشى على الأقدام ورأى جرحها قد أشرف على الاختتام فشد يديها خوفا منها وكان البطال أيضا وغلمانه معه مشدودين وقد آلمهم الشد والكتاف وكذلك طوق وبناته والشريف بكار وأمه وما فى القوم إلا من أيس من روحه (قال الراوى) وكان عقبة إذا نزل هو وصحبه لا يأكل الطعام حتى يحل بنت طوق الصغيرة تطعم أمها وأباها وسائر المأسورين وإذا رحل يعيدها فى الكتاف ولما كان فى ذلك اليوم نزلوا قريبا من قلعة السها فعل ما كان يفعل فى الطريق و حل بنت طوق وترك عندها شىء من الزاد تطعم أصحابها بعد ما افتقد الجميع (قال الراوى) وجلس عقبة والعرب المتنصره لأكل الطعام وكان قد بقى معه منهم ومن غلمانه ثلاثين نفر فجلسوا يأكلون ويتحدثون والأمراء فى ناحية عنهم نازلون والبطال يقول ترى يكون لنا فرج من هذا الملعون ليته كان قتلنا وأرحنا من هذا العذاب فقالت الأميرة والله إن القتل لنا راحة عظيمة ولكن الملعون ما يفعل بقتلنا فقال مذحون وكيف وقد توعدوا فى صبيحة عرس ابنته لاستر الله عليه ولا عليها (قال الراوى) وكان عقبه كلما قال له البطال ابلغ غرضك منا واقتلنا واصلبنا وأرحنا وأريح نفسك منا فيقول وحق المسيح لا أرحتكم من العذاب ولا بد أن أجعلكم عبرة لمن حضر وغاب حتى أكون أنا كلما ذكرت فى مجلس من مجالس الملوك يقولوا أمة عيسى رحم الشيخ النجيح ورحم ابنته عقيبه لأنها فى يوم عرسها انقطعت شجرة المسلمين وهلك البطال وأم الأسود الحجام العجوز الشمطة التى كانت تغزونا فى كل عام وكانوا الأمراء كلما سمعوا ذلك الكلام زاد بهم الغيظ والغرام

(قال الراوى) فلما كان ذلك اليوم الذى نزلوا فيه عند قلعه السها وصار بينهم المقام وتحدث مذحون وأباه البطال فقالت الأميرة يا أبو محمد لو كنت مطلوقة اليدين وفينا عافية مثل هذين اليومين لكنت أهلك هؤلاء الكلاب المتنصرة ولو كانوا ألفين وكنا نعود على أعقابنا وكنا تخلصنا وانتقينا بأصحابنا لأنى قد ذاب كبدى من فقد ولدى وكنت أريد من الله تعالى أن أجتمع به قبل الممات فقال أبو محمد يا أميرة إذا كنتى وجدتى فى نفسك القوة وعلمتى

أنكى تقدرى على لقاء الأعداء فقولى لبنت طوق تحل عنك الوثاق وقومى إلى هؤلاء الملاعين أهل الكفر والنفاق لعلكى تقدرين على فرج بمعونة الملك الخلاق لأننا لو كان فينا أحد يفعل فعالكى وفيه مافيكى من القوة والشجاعة مابقينا فى الأسر إلى هذه الساعه

(قال الراوى) فلما سمعت الاميرة هذا الكلام دبت فيها الحمية فى سائر جسدها وجعلت على الله معتمدها وتحسرت من عظم شوقها إلى ولدها وقالت لبنت طوق حلى يا بنتى يدى من كتافها لعل نخلص أنفسنا من قبل تلافها فعندها وثبت الجويرية إليها وحلتها (قال) فوثبت إلى عدد أصحاب عقبة وهى على الأرض مطروحة وأخذت سيفا ماضيا وهزته ودعست فى القوم وهم على الطعام وكبرت وذكرت الملك العلام ونادت وا شوقاه إلى زمزم والمقام والبيت الحرام ثم ضربت واحد طيرت رأسه ورأى عقبة ذلك فنادى وقد حار وصار يصيح مثل الحمار وهم على وجهه وما تارت العرب المتنصرة ومسكت العدد حتى قتلت تسع رجال وعادوا إليها وقد جردوا الصفاح وانقلبت الدنيا عليها بالصياح ورأى أبو محمد ذلك فطمع فى السلامة والفرج وقال لابنة طوق حلينا نحن أيضا حتى نعين الأميرة على أعداءها لأن جراحها بعدما ختمت تخاف أن تضعف قواها فحلتهم الجارية وحلت أمها وأخواتها وأباها فصاح مذبحون والبطال والنساء والرجال فوقع على النصرانية الانذهال وافترقوا عنها فوثبت إلى بعض الخيل فركبته من غير أن تضع رجلها فى الركاب وأخذت معهم فى الطعان والضراب ومددت أبطالهم على التراب ولم تكن إلا ساعة حتى محق الله الكفار وقد بقى منهم عشرة رجال والباقى هلكوا على يد الأميرة ذات الهمة وأصحابها ونظر عقبة إلى هذا الحال فأيقن بالارتحال وهرب يطلب القلعة من فزعه على نفسه وإذا بغبار قد تار من بين يديه وصاحب القلعة قد أشرف عليه وهو فى خمس آلاف فارس من كل بطل مداعس وحوله أكثر من خمسمائة راهب وشماس وجاتليق والكل قد خرجوا وقدموا إلى لقاء الشيخ النجيج فلما رآهم عقبة عاشت روحه وأسرع حتى صار بين يدى الملك وهو فى حالة لاتعرف وكل شعرة فى بدنه ترجف وهو يصيح أيها الملك ادركنى انجدنى أنا الشيخ النجيج وقد جرى على بعد انفاذ الرسول إليك كل أمر قبيح فانبهت الملك لما رأى حاله وفرح به وسأله عما ناله فقص عليه ماجرى وقال له أيها الملك وصلت إليك بأمراء المسلمين وأردت أن أهديهم إليك لأجل ما بيننا من المودة والصداقة وما زلنا إلى يومنا هذا وأصحابى من شرهم آمنين سالمين وهم معنا مكتفين وفى هذه الساعة انفلتوا من الكتاف وملكوا العدد والخيل فأدركهم كلهم وأقبض عليهم وأصلبهم فى أرضك حتى تفتخر على سائر الملوك (قال الراوى) فلما سمع الملك طرطوش مقالته عاد إلى جواده وقد أركب عقبة إلى جانبه ودقت مواكبه وقد أزعجوا بشدة صياحهم البرارى

حتى أشرفوا على الأمراء فالتقوهم وقد فرغوا من العرب المتنصرة وركبوا خيولهم وملكوا عددهم وبنات طوق وسائر النساء قد صاروا فى زى الفرسان (قال الراوى) وكانت الاميره قد عولت على العودة تطلب البلاد فرأت الدنيا قد أقبلت منقلبة بعساكر واجناد وعقبة يصيح أين تنحون ياشياطين فى هذه الاقاليم وأنا لكم عدو وغريم فلما رأت الأميرة ذلك قالت انا لله وانا اليه راجعون ياأبا محمد نخلص ونقع ونبلى كل يوم بعذاب وضرب والله لاعدت سلمت روحى لاحد من الاعداء حتى أشرب من أسنتهم شراب العطب ثم انها حملت تطلبهم وقد ملكت رمحا وحسام وجواد من الخيل الجياد وتذكرت الأمير عبدالوهاب عند بيت الله الحرام فجرت دموعها وحملت تطلب الشهاده وهى تنشد

ألا بلغوا عنى سلامى إلى أكفاف زمزم والمقامى
وهل من مخبر ولدى بانى من الاشواق قد ذابت عظامى
أحن اليه شوقا وارتياحا وتخفق حين أذكره عظامى
غراب البين خبر عن عجوز إذا ماطرت بالبيت الحرامى
وفى جسدى جراح قاتلات مفتحة طريات دوامى
وعزمى قد مضى وأنا عجوز أكلف مهجتى خوض القتامى
أحامى عن شريعة من أرجى شفاعته إلى دار السلامى
وهاأنا ألتقى الكفار حقا أروى اليوم رمحى مع حسامى
ويصبح فى مجال الخيل جسمى تخطفه الطيور مع الهوامى
فان أنتم سلمتم فاندبونى وقولوا جرعت كاس الحمامى

(قال الراوى) وحملت الاميرة ذات الهمة وقد أيقنت أنها فى ذلك اليوم تلقى الاجل وتصل إلى الله عز وجل وحمل الشيخ طوق يعينها وقد صفت نيته لله عز وجل مثل نيتها وحمل الأمير أبو محمد البطال وعلم أنه مابقى ينجيه إلا القتال فحمل هو وولده مذبحون وسائر الغلمان والشريف بكار ومابقى إلا الله مع بنات طوق الابكار يبكون ويتضرعون إلى الملك الجبار (قال الراوى) وصار الكل تحت الغبار وقد انطبقت عليهم مواكب الكفار مثل انطباق البحار واندهش البصر وحار وكثر منهم الانبهار وعمل الصارم البتار وغاصوا فى المشركين الرجال الابرار وضربوا فى البطارقة ضرب من أيقن بالفناء وقطع الاعمار وطارت الجماجم قدام الأميره وتساقطت من ضربها تساقط الأشجار ورأوا الروم من فعالها شيأ مارأوه فى طول الأعمار وكان البطال وولده وغلمانه يقتفون منها الآثار ويحمون ظهرها من أسنة الكفار

وأما الحاج طوق فانه قاتل حتى احمرت شيبته من دماء الكفار وضرب فيهم حتى اشتهر فى ذلك النهار وقتل فى سبيل الله ووصل إلى دار القرار وقاتلت معه البنات حتى قتلت فى سبيل الله الملك الغفار وأخذت الصغيره أسيره وكذلك أم الشريف بكار أخذها عقبة من أول ماوصلت الكفار وأن الأميرة قاتلت حتى كثر عليها العدد والجمع وخدرت مناكبها حتى ماقدرت على نفع ولا ضرر ولا على رفع ولا منع وهى فى أثر المرض الذى ذكرناه وانها كانت تقاتل بهمتها وقوتها ولم تزل كذلك حتى اندهر الجرح واتسع وآلمها الضربان والوجع واسودت الدنيا فى عينها من شدة ضربانها ووقعت عن سرجها بغير أمرها فأخذتها البطارقه وقد ترجلوا اليها وهى مما بها لاتحس بمن أقبل اليها وسمع البطال وولده مذبحون الصياح عندما أخذوها فأيسوا من الحياة وعلموا أن الاميره قد أسرت أو قتلت فجاء فعند ذلك صدمتهم البطارقه حتى كلوا من القتال وأخذوا الجميع أسارى وبطل القتال وصاروا الجميع قدام الملك وقد شدوهم كتاف عندها قال عقبة للملك ايش انتظارك فيهم أيها الملك أصلبهم وأريح النصرانية منهم وأربح الثواب فأنا قد أقسمت بالمسيح لاعدت ابقى على أحد منهم بعد هذه النوبه لانى كنت أؤمل بهم أمل والساعة فترجانى أملى فقال الملك اعلم أيها الشيخ النجيح ان بلادنا مارأينا فيها منذ خلقنا مسلم ولا فى أقليمنا موحد وقد وقعوا هؤلاء فى أيدينا ونريد نتقرب بدمائهم إلى كل من فيها ونبعث معهم هدية وقربان إلى ملكنا الاكبر صاحب جزيرة الحائط وحصن القمر شمخولص الذى نحن كلنا فى فضله ونواله ونهدى بعضهم إلى رهبان دير الزيت الذى ظهرت فيه قدرة المسيح ونصلب أيضا من بقى فى عيدنا الاكبر حتى يكون فى قلعتنا يوم يذكر فقال له عقبة أيها الملك فأنا أشتهيت أن آخذ منهم بالتار لانى قد تعبت وأيقنت أن أبلغ غرضى وأتيت إلى هذه الديار ومالى فيها مقام وأخاف أن تقضى على الايام ومعى هذه البنية قرة العين وأنا كما علمت سائر بها إلى البترك الكبير الذى هو بترك أريس وكان نيتى أن أصلب هؤلاء فى يوم عرسها وأبلغ المنا والساعة فقد أخذتهم أنت أسارى وأريد أن تفرقهم فى هذه المواضع وأعدم أنا ثواب المجاهده فدعنى اليوم أبلغ منهم الآمال وأزوجك ابنتى وأسوق إليك كلما معها من الاموال ثم إنه أحضرها بين يديه وهى مكشوفة الوجه فسلبت عقله لاننا ذكرنا إنها أحسن أهل زمانها فلما أن رأى الملك مافيها وأبصر ماقد أعد لها أبوها من الاموال قال له أيها الشيخ النجيح افعل باسراك ماتريد وأنت على كل حال أتيت بهم الى هذه الديار وقد رغبت فى مصاهرتى فزوجنى بابنتك وهذا الذى أريد فشكره عقبه على ذلك الكلام وقال اليوم نلت مناى والمرام وأمر غلمانك بنصب الخشب حتى أبر قسمى وأصلب هؤلاء شلوح العرب فلم تكن الاساعة حتى انصب الاخشاب وقدموا الامراء اليهم وهم على

غاية الازلال والعذاب وقال عقبة علقوهم باكتافهم حتى أتولى بيدى تلافهم وهم يرونى ويشاهدونى وأبين لهم صحة قولى ويصدقونى فهنالك رفعوا الامراء فى الحال وشدوهم على الخشب بالحبال وأخذ عقبه بيديه حربة ماضيه وتقدم الى تحت البطال وقال هـــذا يومك يا ابن الحصين مابقيت أماطل بكم طرفة عين فقد ضجرت مما أحتوى عليكم واليوم أنظركم واتم تتجرعون الى أن تنقضون ثم ان عقبه أشار يقول

اليوم يا بطال حقا أصلبك وأستريح فكم أقاسى تعبك
أقطع رأسك ثم أبتر مهجتك وأترك الوحش يجرجر عصبك

(قال الراوى) وتقدمت عاقبه الى تحت الاميره وفى يدها حربه مثل أخيها وتقدمت عقيبه الى مذبحون وباقى القسوس والرهبان تقدموا إلى الغلمان وإلى النسوان والكل ينتظرون عقبة ان يقتل البطال حتى يفعلوا هذه الفعال وأحاطت بهم الروم وبقيت بطارقة ذلك الاقليم وارتفع الضجيج العظيم وطلعوا الرهبان الى تلك الديوره وكانت ساعة عجيبه عظيمة مشهورة والامراء ينظرون الى بعضهم البعض نظرة الوداع ويرجون فى الآخره الاجتماع واذا بالصياح قد علا فى جانب الاقليم والبر قد انقلب وجفل جانب العسكر وأطرب واشتغلوا الكفار عما كانوا فيه وتقدم الملك بموكبه لينظر ما الخبر وما الذى حل بالناس من الضرر ومن تقدم عليه من الضياع والسواد والرساتيق وقد أقلبوا الدنيا بالصياح والزعاق والرهبان يتصايحون ويلطمون ومن خوفهم لا يعقلون فقال الملك ويلكم مادهاكم ومن بشره رماكم فقالوا أيها الملك قد دخل الى بلادنا عسكر كثيرة العدد مارأينا مثله فى البلد لأنه لا يبقى على أهل ولا على ولد بل يعمل عمل النار اذا وقعت فى الحطب اليابس لأن زيهم زى جند المسيح وفعلهم فعل القبيح وكلهم بالبيارق والصلبان والطوارق وانهم يوحدون الملك الخالق وهاهم خلفنا قادمين فلما سمع الملك كلام القوم حار وقال ياويلكم مافعلوا بكم هذه الفعال الاوهم مسلمين ولاشك انهم دخلوا خلف هؤلاء طالبين ثم صاح فى البطارقه فتبادروا اليه وتأهبوا فقال ائتونى بالشيخ النجيح حتى أسأل ان كان خلفه طالب أو عدوله غير هؤلاء الذين فى يده وأوصوه أن لا يملك أحد منهم حتى ننظر كيف حال هؤلاء القادمين (قال) فمضت الغلمان والبطارقة فأتوا بعقبه الى بين يديه وكان الملعون قد سمع بهذه الاخبار ولما حصل قدام الملك أخبره بالحال وسأله ان كان وراه طالب فقال له أيها السيد لا تخف فما أقول ان أحد يطأ الى هذه الدار من أمة محمد المختار وان كان قد وصل جيش كما يقولون فما يكون الكل أكثر من أربعة آلاف فارس أو دون ذلك لأن ولد ولد هذه الاميره لحقنى الى رأس المضيق وكان معى من عسكر القسطنطينيه خمسة آلاف بطريق وادركونى هؤلاء الأربعة آلاف فارس ووقع بيننا وبينه

الحرب والقتال والطعان ورأيت أصحابى معه فى خسران فنجوت بهؤلاء الى هذا المكان وماقلت ان يتبعنى منهم انسان وان كانوا اهتدوا الى الطريق ودخلوا الى ديارك فسعادتك ساقتهم اليك حتى تنال ماتختار وتفرقهم على الاماكن الشريفة التى فى هذه الديار لانهم جاهلون بهذه المواضع البعيده والمسيح قد ساقهم اليك حتى تنال الثواب وأنت فى مكانك آمن على فرسانك وأجنادك فقال الملك لما أن سمع هذا الحديث وحق المسيح ماأمر أربعة آلاف الا شىء قليل ولو كانوا عشرين ألف وانما خفت أن يكونوا سائر عسكر المسلمين قد دخلوا اليك طالبين لأننى قد سمعت من السفار والتجار انهم اذا دخلوا يطلبون اقليم يكونوا فى عالم عظيم يزيدون على عدد الرمل والقفار وموجات البحار وورق الاشجار فقلت حتى أسأله ان كان الأمر كذلك فأنا أكتب الى الملك الشمخولص وبطارقة الصناديد وأهلكناهم ولو كانوا كل من على وجه الأرض ومادام انهم كما ذكرت فاليوم نأخذهم ونطيل عذابهم ونصلبهم مع أصحابهم ففرح عقبه بذلك النداء وأيقن ببلوغ الأمل فهو مع الملك فى الكلام واذا قد أشرف الأمير ظالم فى عصابة الرحمن وأصحابه بالبيارق والصلبان وتسبيحهم قد علا الى العنان ونظروا البطارقة وعبدة الصلبان وهم يضجون بالتسبيح والتوحيد للملك الديان وعلموا انهم اقبلوا على اقليم كبير وخلق كثير وان مابقى لهم ناصر الا الملك القدير وندم الامير ظالم كيف سير السودان على الطريق الاخرى وقال ما علمت اننا نلحق عقبه فى هذه الارض ولا حسبت هذا الحساب ولكن لنا أسوة بالاميرة المجاهدة اما نؤخذ معها ونملك الجميع واما ينصرنا الله بعين عناية فنخلص سريع (قال الراوى) وكان الحصين قد زيا نفسه راهب وهو الذى كان يأتى بالاخبار ويقتفى على عقبه الآثار من الاديره والرهبان الذين هم سكان تلك الديار وهو كثير الاحزان على أبيه باكى الليل والنهار وعلى مذبحون أخيه ولولاه ما كان ظالم قدر يسلك هذه الارض والديار ونظرهم عقبه وقد انجلى عنهم الغبار فحققهم وقال للملك وحق المسيح ماهؤلاء أربعة آلاف ولاهم أكثر من ألفين وان صدقنى حذرى ماهم الا انقسموا نصفين لما وصل الى مفرق الطرق ومضوا السودان الى هناك وأتوا هؤلاء الى ههنا لأن الاثر استشكل عليهم وأنا أعلم أن الذين مضوا خلف البطريق يهلكون فى تلك الطريق وهؤلاء يهلكوا فى هذه الارض وهذا كله بسعادتك أيها الملك العالى القدر وبركة ابنتى التى أدخلها اليك فى تلك الأيام لانها جويريه مباركة وقد رأت المسيح فى المنام وهو يبشرها بالرضى والاكرام وقد قتلت مسلمين وأهلكت موحدين من أهل دين الاسلام فأمر الساعة البطارقة والروم ان يحملوا على هؤلاء القادمين حتى يسوقوهم بين يديك مقهورين لانهم ماعلموا انهم يلقون بين أيديهم مثل هذا الاقليم وإلا ما كانوا قدموا على هذا الأمر العظيم

فنادى فى رجالك يحملون عليهم فافيهم من تخشاه لأن أموالهم وشجعانهم معك أسرا وسودانهم وفرسانهم قد ضلوا فى تلك الطريق الاخرى (قال الراوى) فعند ذلك زعق الملك فى مواكبه ونادى فى بطارقته وكتائبه وكانوا قد صاحوا اليه أكثر من عشرة آلاف فارس ممن اجتمع عليه من أهل السواد وأتى يطلب الفرجة من صلب الامراء الاجواد فما منهم الا من صاح وجلب والى عسكر المسلمين قد طلب وكان ظالم ومن معه قد وصلوا على غاية من التعب الا انهم قد حملوا حملة رجل واحد وقد شمروا عن ساق واحد وأيقنوا بالعطب واختلط الروم بالعرب وعمل الصارم المنتخب وصوبت الروم القنطاريات وكذلك المسلمين واستغاثوا الى عالم الخفيات وابتهجت الارض بتوحيد رب السموات ونادت ما أحلى هذه النغمات الاسلاميات وما أطيب هذه الاصوات قد أنعمت علينا ان نسمع فى هذه الارض من يوحدك ويقر بربوبيتك ولا يجحدك اللهم أعن عبادك المجاهدين المخلصين هذا والرجال مشتغلة بقتالها ساحة بآجلها مزدحمة فى مجالها ولما أقبل الظلام قد أحاطت الروم بعساكر المسلمين ونزلوا من حولهم فى الخيام وقد قتل منهم مائتين فارس همام وقتل من الروم خلق كثير ورأى ظالم أصحابه هالكين وانه ماقدر على خلاص أحد من الامراء المجاهدين فندم على دخوله هذا الاقليم وقال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم والله ماحسبت هذا الحساب والا ما كنت قدمت على هذا الامر الصعب فقالوا بنى كلاب ماللعبد حيلة فى قضا بارىء النسم والله ما بنا الاشماتة الاعداء وسلامة عقبه ونال مناه مناومن الامراء والافالآجال لاتزيد ولا تنقص والموت لابد منه فقال ظالم والله ياقوم ما بى حسرة إلا أنى ما اجتمعت بالاميره ولا علمت بما جرى عليها وكيف رأيت عند قدومنا خشب منصوب والروم محدقين به وأنا خائف لايكون عقبه قد بطش بساداتنا (قال الراوى) وكان الملك قد أنزل الاميره من على هذا الخشب وقال لغلمانه احفظوهم حتى ننظر مايكون من هؤلاء القوم القادمين ولما أمسى المسا نزل فى سرادقه وأحضر عقبه عنده وكان قد ضرب خيمة كبيرة الى جانبه وترك فيها كلما يحتاج اليه وتركها برسم بناته واخوته ومن يلوذ به من غلمانه ولما أن اجتمع به قال له ياشيخ ماهؤلاء المسلمين الاشياطين وما كذبوا الذين كانوا يأتون بأخبارهم من ديارهم لأن ألفين منهم قاتلوا هذا القتال وصبروا هذا الصبر على هذه الاحوال وافنوا هذه البطارقة والرجال فكيف لو أنهم فى جمع كثير وعسكر كبير كانوا أفنونا فضحك عقبه وقال أيها الملك كم قد رأيت ياما لهم من الموقفات وكم فى فؤادى من الحسرات وإن مت وما بلغت مرادى فما يكون الامنهم لأنى أكون قدمت مدبول والساعة أيها الملك قد نلت المنا وظفرت بمن أهوى لأن امرائهم فى يدى وقد ساق المسيح طائفة أخرى وفى غد يهلكون ومن أسر معهم من أصحابهم ولكن قلبى فزعان ان رأوا الغلبه يهربون ويسلم

منهم بعضهم ويمضون الى أرضهم فاقبل أنت رأيي وأنفذ البطارقه تمسك عليهم رأس المضيق الذى جاؤا منها حتى لا يسلم منهم مخبر ولا يرجع الى بلادهم منهم منذر (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك ضحك من كلام عقبه وقال له ياشيخ وأين بقى لهم مهرب وها نحن دائرين بهم والبحر عن يسارهم وعساكرهم قد تلاحقت بى من كل جانب ومكان وقد ملكنا جميع الطرق والوديان (قال الراوى) وكان عسكر الروم قد امسى تلك الليلة فى أوفا من عشرين ألف فارس لانهم قد سمعوا أن المسلمين قد دخلوا الى أرضهم وان ملكهم فى قتالهم فساروا من جميع الجهات حتى يشاهدوا الحرب والقتال الا أن الملك سمع ما أشار عقبه به عليه وقبل رأيه وأرسل بطريق من خواصه يقال له تمليناً فى عشر آلاف فارس من بين الاقاليم وقال له سير فى هذه الساعة وكن من وراء المسلمين فاذا أصبح الصباح وسمعت الصياح فاحمل عند حملتنا حتى تنجز هذا الامر ونعود إلى قلعتنا وتتم بالشيخ النجيح فقال البطريق سمعاً وطاعه وان أمرتنى الساعة هجمت على هذه الامراء وآتى اليك بهم كلهم فقال له عقبه لا يا ولدى افعل ما ذكر لك الملك ولا تخالفه لأنهم الساعة كلهم مستيقظين وهم يحرسون أنفسهم ولا نأمن انك اذا حملت عليهم ان يحلون ويختلطون بكم وأنتم لا تعلمون ويقع السيف فى العسكر وانهم يقتلوا بعضهم بعضاً وهم لا يعرفون لانى أخبر الناس بهذا الزبون فعندها سار البطريق بالرجال وقبل هذا المقال (قال الراوى) وباتت المسلمين فى وسط عسكر المشركين والنواقيس تدق من حواليهم من كل جانب وأصبح الصباح وركبت عساكر الكفره وهى فرحانه مستبشرة ونادى ظالم فى بنى كلاب وقال تأهبوا يا أحباب الرحمن إلى الطعان والضراب ولا تتركوا عليكم لوم ولا عتاب فقالوا له يا أمير لا تقول تأهبوا للحرب بل قل تأهبوا للموت ولقاء الرب واقطعوا أملكم من الدنيا وعاملوا رب الآخرة والأولى وبهذه النية نقاتل ثم ودع بعضهم بعضاً وداع من قد أيس وقالوا بالله من سلم منكم إلى بلاد الاسلام فليقرى عنا أمير المؤمنين السلام ويوصيهم أنهم لا يتخلوا عن الأرامل والأيتام ثم ركبوا الخيل وتأهبوا واشتهروا وعقبة يصيح فيهم كأنه ابليس وقد فرح الملعون بالظفر وباح بما فى نفسه واشتهر (قال الراوى) ياسادة وتواصلت الرجاله ببعضهم وما وقع الحرب بينهم حتى سمعوا الناس صيحة عظيمة زلزلت الجبال وهى من وراء المسلمين فتأملوا لها الناس أجمعين وإذا بهم الروم الذى أرسلهم الملك بالليل مع البطريق مهلينا وقال لهم امسكوا على الموحدين الطريق من خلفهم حتى لا يهربون إلى بلادهم فتأملوهم وإذا بهم قد أقبلوا متفرقين ولأعنة خيولهم مطلقين ومن ورائهم السيف يلمع ويعمل فى أقفيتهم وصياح وزجل وهم مثل الوحوش إذا جفلوا فظن الملك أنهم عملوا مثل ما أوصاهم

به وإذا هم يلتفتون إلى رفقائهم ولا يسمعون لمن ناداهم وكان ظالم قد رآهم فانفرد إليهم فى طائفة من أصحابه يلتقى وجوه الكافرين وهو يقول ياقوم هذا كمين كان وراءنا وما أرادوا بذلك حتى لا يسلم منا أحد إلى بلاد الاسلام (قال الراوى) وما تم كلامه حتى سمع التكبير لرب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وقد رأى السودان قد ظهرت مثل الشواهين وهى تضرب أقفية المارقين ولهم صياح وجلبة تلتذ بها السامعين وفى أوائلهم أبو سكران فى قدر الفيل العظيم فلما رأى ظالم إلى ذلك عاشت روحه وأرواح أصحابه والتقى المنهزمين بطعانه وضرابه وهو يقول لبنى كلاب ابشروا يابنى عمى بقدم السلطان لأن الله تعالى دلهم على هذا المكان (قال الراوى) وكانوا السودان فارقوه عندمفرق الطرق وساروا على اليمين فانهم عند المساء وإذا بالبطارقة الذين فارقوا عقبة ومضوا إلى نحو القسطنطونية طالبين وكانوا السودان فى ألفين وهم يظنون أن عقبة معهم والأمراء معه ففرحوا بذلك وانكبوا عليهم فما لحقوا أن يتوروا حتى صاروا كلهم على أسنة الرماح وانطرحوا أشباح بلا أرواح ثم افتقد أبو سكران عقبة فما رأى له خبر ولا أحد من جند الرحمن فحار لذلك وافتكر وسأل بعض البطارقة الذين كانوا أسروهم وقال لهم ويلكم أين عقبة والأسارى فقال واحد منهم يامولاى سار بهم على الطريق الآخر ونحن طالبين مدينة القسطنطونية لأن هذه طريقنا إليها فلما سمع ذلك قال لأصحابه الآن وقع بهم ظالم وخاصهم من المعاطب وما نعود نحن غدا إلى المضيق إلا وينتظرونا على رأس المضيق كما كانت الموافقة بيننا ثم جمع هو وأصحابه أسلاب القتلى وباتوا فى ذلك المكان وهم فراحا بالنصر الذى كان وعند الصباح رحلوا طالبين المكان الذى فارقوا ظالم فيه فما رأوا أحدا منهم ولا رأوا لهم خبر فتم به أبو سكران يقتفى الأثر وكلما بعد به الطريق زاد به العجب وقال والله اننى خائف على ظالم ومن معه من العرب أن يكونوا قد اغتالهم الملعون عقبة ابن مصعب وكان فى أول ركوبه الطريق قد سار سير الرفق وهو يرجو أن يلقى ظالم عايد وقد خلص الأمراء من الشدائد ولما طال عليه الأمر جد فى السير ليل ونهار وهو يقتفى الآثار حتى وصل بالسودان إلى تلك الديار والتقى بين يديه موكب الكفار ورأى ظالم كما ذكرنا فوضع فيهم السيف وصاح فى السودان فكشف رؤسها وبربرت وأقلبت عيونها وزمجرت ورأتها الروم فاندعرت وطلبت ملكها وقد تحيروا والتقاهم الأمير ظالم وقد قويت قلوب بنى كلاب بالعزائم وحمل الملك وهو على ما فعل نادم وعملت الصوارم فى الجماجم وكانوا الذين عادوا منهزمين بما وقع فى قلوبهم من السودان ما فيهم من ضرب بحسام ولا طعن بسنان بل طلبوا رايات الملك والأعلام وقد عملت فيهم سيوف الاسلام ورأوا الغبار والقتام وتوقفت الأبطال من شدة الزحام والصدام ووصلت إلى ظالم بنى حام ودام

السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل حتى أقبل الظلام وقد امتلأت الأرض من أجساد البطارقة وبقيت بالدماء بارقة غارقة ورجعت كل طائفة عن الاخرى لماهجم الظلام إلا أن الروم التصقت إلى الخيام وباتت وقلوبها فزعانة من أبطال المسلمين (قال الراوى) والتقى ظالم وبنى كلاب بالسودان الانجاب وهنوهم بالسلامة وسأل ظالم أبو سكران عن الامراء فحدثه ظالم بجميع ماجرى وقال والله ماعندنا خبر ولا أثر ولكن سمعنا من قوم كانوا عندنا أسارى أنهم فى قبضة هذا الملك صاحب قلعة السها وعقبة يتولى عذابهم صباحا ومساء فلعلنا نكسر الروم غدا ونخلصهم من قبضة الاعداء أن يبقوا فى الخيام سالمين وإن سار بهم فى الليل عقبة وجعلهم فى الحصن الحصين فاننا مانبلغ مانحن له طالبين ولكن نريد من يكشف لنا خبرهم ويعلمنا بما هم فيه ثم سأل عن الحصين بن البطال فما رأوا له خبر وقالوا بنى كلاب والله من أمس مارأيناه وما هو إلا قتل فى بعض المواضع أو عاد إلى دار الإسلام فقال ظالم ماقتل لأنه كان فى زى الرهبان وما حضر معنا ضراب ولا طعان ولعله فى بعض الاديرة ينتظر مايكون منا حاضراً فى هذه الساعة حتى كنا أنفذناه فى كشف أخبار المأسورين ثم أقاموا الحرس وباتوا منتظرين فى ذهاب الغلس (وأما ماكان) من ملك الروم طرطوس فانه لما نزل أحضر الرجال الذين كانوا اقدأ نفذهم يمسكون الطريق على ظالم وانهزموا قدام أبو سكران والسودان وقال لهم ويلكم أنتم كيف كانت قصتكم وكم أتاكم من المسلمين وأنتم عشرة آلاف حتى انهزمتم هذه الهزيمة فقالوا أيها الملك مضينا مع البطريق ولما ملكنا على هؤلاء الطريق وأصبح علينا الصباح وتأهبنا على أن نحمل على هؤلاء العرب إذ أشرفت علينا غبرة وقاربتنا وانقشعت وبان لنا من تحتها رجال ماهم مثلنا ولا يشبهون الآدميين بل إنهم سود مثل الجواميس كل منهم يلقى من فى بلدنا من الأبطال وما لهم إلا أن رأونا فبقوا يبعبعوا مثل الجمال ولعبوا برؤسهم مثل ماتلعب البغال ودعسوا فينا مثل ماتدعس الجواميس وهم حمر الحدق كبار الفراطيس فلما رأيناهم فزعنا منهم وما جسرنا أن نمد أيدينا اليهم وخفنا أن يكونوا ظهروا علينا من تلك الأرض عمارها فعندها قال الملك ياشيخ وما قد قلت أن ماتبعك غير هؤلاء القوم وحق المسيح لقد دخلت إلى وادينا فى طالع ميشوم وأنا قد قلت لك خلينى أرسل الى الملك الكبير وأجيب من عنده قوما يهلكون هؤلاء الشياطين فما تركتنى بل قلت لى مايحتاج حتى هلكت بطارقتى والأعلاج فقال عقبة أيها الملك هؤلاء السودان الذين حدثتك أنهم مروا على الطريق الاخرى ولا شك أنهم كانوا سائرين إلى القسطنطونية فأهلكوهم وأخذوا الخبر منهم وهم وحق المسيح جن الفلا وشياطين البيداء وكل واحد منهم يلقى أهل الأرض فقال الملك لابشرك المسيح بخير

وأنا من أين كان لى بهؤلاء القوم معرفة لولاك وحق المسيح إن رأيت الغلبة منهم تركتهم يفتصلونهم وإياك ولاأريد ابنتك ولامالك ولا نعمتك فلما سمع عقبة ذلك انتقضوضوءه وكان قد سلم معه ثلاثة من أهل القسطنطونية من العرب المتنصرة الذين معه إلى هذه الديار فجعلوا يصفوه للملك ويقولون لاتتخلى عنه فانه الشيخ النجيح وقد أتحفك بابنته التى هى روحه التى بين جنبيه (قال الراوى) ولهذه الملعونة عقيبة بنت عقبة حديث عجيب مع بنت أبومحمد البطال وهى عذيبة وسوف يأتى حديثها فى موضعه إن شاء الله تعالى (قال) وبقى الملك حائر لايدرى مايعمل وأنفذ إلى القلعة بأتى بمن فيها من الرجال وإذا ببعض البطارقة قد دخل اليه وقال أيها الملك قد وصل الراهب شرشيطا من دير الزيت يطلب الدخول عليك وقال إن القـدرة عنده اليوم قد ظهرت وآيات المسيح فى الدير قد اشتهرت وقد أتاك بقربة من زيت القدرة وقال إن المسيح قد أنفذه اليك فى بشارة فلما سمع الملك ذلك وثب إلى لقاء الراهب شريف القدر وما قام الملك إلى لقاه إلا لأجل اعتقاده به فقال لولا إن هذا الراهب عظيم القدر عندهم ماقام له الملك ولا بد لى ما أراه لما يرد إلى هذا المكان (قال) وكان لهذا الدير المذكور حديث عجيب وهو قريب من هذه القلعة على ساحل البحر وما سمى دير الزيت إلا أنه كل سنة يظهر له معجزة تحير منها الروم وتزوره من سائر الأقاليم لأن فى وسط الدير صهريج يسع خمسين قربة من الزيت وكل سنة يكون له يوم يفور فيه الصهريج حتى يخوضوا فى الزيت وتقصده الروم من سائر الأقاليم والاقطار ويسافرون بهذا الزيت إلى البحار ويتركوه برسم المرضى والزمنى وأصحاب العاهات وكان سبب فورانه بالزيت الرهبان الذين فى الدير لأنهم مايتركون أحدا يأخذ من الزيت حتى يأتى أضعافه وإذا أتى الرومى ومعه عشرة أرطال زيت أو عشرين يعطوه رطل أو رطلين ويأخذون الزيت الذى يصل اليهم ويدخلون إلى صدر الدير ويقلبون الزيت فى جرن كبير يجرى فى مجارى إلى ذلك الصهريج ثم يقلبوا الزيت فيه فاذا أمتلا يسوى تلك المجارى النافذة إلى الصهريج فيفور حتى يملا الدير فيقولون الرهبان هذه معجزة ديرنا (قال الراوى) ورجعنا إلى سياق الحديث الأول من قيام الملك طرطوس وعقبة إلى لقاء الراهب شرشيطا الذى قدم من دير الزيت وإن الملك لما رأى الراهب وقربة الزيت فى يده تراما على قدميه وعادوا إلى السرادق والملك يقول للراهب أنا كنت منتظر قدومك لأجل ماتدعو لنا بالنصر على الأعداء (قال) فلما سمع الراهب ذلك الكلام قال ابشر بالنصر لأننا من الليلة بدا صهريجنا يفور وهذا أول زيت قد طلع منه والمسيح قد خاطبنى فى هذه الساعة فى سرى وقال لى ياشرشيطا قدم إلى الملك المجاهد فى أعدائى وبشره برضاى عنه وإن كان قد حمـل على قلبه هم من دخول

المسلمين إلى بلاده فاعلمهم أنا الذى أقدمتهم عليه حتى أخصه بثواب الجهاد واجعل دمهم قربانا فى هذه البلاد وما نصرتهم اليوم عليهم إلا حتى أبصر صبره والذين قتلوا تقربوا إلى ورضيت عنهم وفى غداة غدا أنصره ولا أقهره ولسائر أعدائه أظفره فقم اليه فى هذه الساعة وبشره وفرج عن قلبه ماقد اعتراه من الكرب واحمل اليه من القدرة حتى يخاف به رجاله عند الحرب واعلمه أن الشيخ النجيح قدم عليه وهو بركتى فى بلادى ونقمتى على عبادى فلا يقصر فى حقه مادام قد أتاه زائر يساعده على أعدائه فكأنه بهم ظافر وأما المسلمين الذين عندنا مأسورين قل له يقرب لى منهم قربان فقداشتهوا ذلك الرهبان (قال الراوى) فلما سمع ذلك عقبة خرج من عقله ثم باس الأرض شكراً للمسيح وقال ياراهب الحمد للمسيح الذى ذكرنى على لسانك عند الملك لأنه قد آلمنى بمجىء المسلمين إلى بلاده وأراد أن يسلمنى اليهم بعد مازوجته بابنتى وأدخلته فى نعمتى ثم ابتدأ وتلا شيأ من الانجيل حتى يرى الراهب فضله وينتشر عنده علمه وكان يقرأ وعينه تميز اليه فرأى إلى راهب وحش الخلقة مارأى أوحش منه فى الدنيا عينه اليمين عوره واليسار عليها مثل الفصد زرقا وأنفه كبير أحمر طويل ولحيته مقصصة وأجفانه مشحمة فقال عقبة فى نفسه وحق المسيح إن هذا الراهب موافق لى فى جميع أحوالى لأنه أعور وأنا أعور وما أقول إنه يتصبح به الملك الاويكيس ولو كانت عساكره مثل سد الاسكندر ولما سكت من تلاوة الانجيل صاح الراهب بصوت رفيق وقرأ أيضا من قلب رقيق لخير كل بطريق ودمعت عين عقبة وقال وحق المسيح إن هذا يتلوا الانجيل مليح ثم أخذ يقول شيأ من المزامير فسبقه واحد من التفسير وتكلم بكلمات لايعرفها البترك الكبير فعظم فى عين عقبة وقال وحق المسيح ماكنت أقول إن أحداً يعرف شىء من دين النصرانية إلا أن يكون أبو محمد البطال وهذا أعلم منه وأوفى فى المقال ولا شك إن كل من فى الدير هكذا لأجل مقامهم فى ذلك المكان المبارك ولولا انهم أعلم أهل الأرض مابين المسيح قدرتهم (قال الراوى) ولما فرغ الراهب من تفسيره وقال للملك وحق المسيح لقد اشتهيت أن أرى بعض المأسورين من المسلمين حتى أصفهم لمن فى دير الزيت من العباد والمترهبين فقال الملك أبصرهم وخذهم معك ونحن فى غداة غد تتبعك ثم أمر باحضار الأمير أبو محمد البطال والأميرة ذات الهمة ومن معهم من الأسارى فحملوا بين يديه وكانوا قد أيست أحوالهم وأيقنوا بفوت أعمارهم حتى سمعوا باستطار أرواحهم والنجاة ولما رآهم الراهب شرشيطا صار يتبسم ويضحك حتى عجبوا منه الحاضرين فقال له الملك لم تضحك ياأبونا فقال من ضعف قوتكم وقلة دينكم فقال وكيف ذلك قال لأن المسيح لايوقع فى البلاء إلا من غضب عليه وقرب أجله اليه

ولا يبقى له نجاة ولا ينفعه حيلة وأنتم من سوء ظنكم بالمسيح يشهدون أعدائه هكذا فى التلاف وينظرون لهم الخلاص من التلاف فقال عقبة كيف تعمل نخليهم مطلوقين حتى يتوروا علينا يفنونا فان هؤلاء الذين تراهم ياأبونا قد وقعوا ألف مره فى أيدى الملوك ويكتفوهم أشد الكتاف ثم يعملوا فى رقابهم الأغلال وفى أرجلهم القيود الثقال ويحبسوهم فى مطامير ماتقدر الجن تخلص منها فيخلصوا من كل البلاء والمصائب ويطيرون الرؤس من أعلى المناكب فقال الراهب نعم إذا رأى المسيح ضعف يقينكم فيه غضب عليكم وعاد خلصهم من أيديكم ومن تريد منهم الساعة أقوم أنا إليه وأحله من الكتاف وأسحبه باذنه إلى التلاف وهو لا يمنع عن نفسه ولا يدفع بل يبقى فى يدى على ضعفى وقوته مثل الطفل الرضيع فقال عقبة وحق المسيح ماتريد نطلق منهم أحدا وإن كان لا بدلك ماتريناشىء من معجزاتك فاطلق هذا العدو وأرجع رده فى الشدوالقيد وأشار بيده إلى أبو محمد البطال فقامَ الراهب إليه وهو يقرأ شىء من الانجيل ثم رفصه ألقاه على ظهره وانحنى عليه ليحل كتافه وهو يقول له ياشيطان الموحدين أنت وقعت فى عذاب المسيح وعدت خلصت بقوتك أهرب الساعة إن كنت تقدر على الهرب أو إلى الخلاص تقدر تنجو بمهجتك وكان أبو محمد لما رفصه أرماه أيقن بالوفاة فلما سمعه يقول له ياأباه فتح عينه ورآه فتعجب من خلقته وصبر على بليته هذا والحصين قد حل كتافه وسحبه من أذنه وهو يتمايل ووقع وأعضاؤه ترجف وقد أظهر الهيبة والفزع ورأى عقبة ذلك فطاش عقله وانخرع ثم قال فى نفسه وحق المسيح هؤلاء عبيد مخلصين فى العبادة والزيارة لهم واجبة ثم قال كيف ترى حالك يابطال فقال له البطال الحمد لله ياملعون أنا بكل خير على كل حال لأنى أعرف فعل هذا الشيطان سحر وزور ومحال فلمــا سمع الحصين ذلك أظهر الغضب ودفع أباه فعاد إلى مكانه يتكبكب والبطال يقول رماك الله وقاتلك على سحرك وفعلك ولا ستر الله عليك ولا على عقبة معك فضحك عقبة من كلام البطال وفرح بفعل البترك ومعجزاته وقال ياأبونا بادر إلى هـذا الشيطان بالكتاف حتى نأمن من مكره وشره فقال اسكت أيها الشيخ ودع عنك هذا الكلام الذى أنت قائله فاذا جاء الحق وزهق الباطــل وحق المسيح حتى آتيك لاسوق الكل إلا وهم مطلوقين إلى دير الزيت ولو انهم كل من فى عسكرهم سقتهم فى جملتهم قدامى (قال الراوى) ياساده هذا وبقية الأمراء قد تحيروا وعجبوا مما نظروا وان الأميره ذات الهمه تقول اللهم اكفناشره وادفع عنا مكر هذا الملعون لا يسلبنا عقولنا ثم ياأبو محمد ايش جرى عليك من محالة حتى سلبك حيلك وفؤادك وبقيت لاتقدر على الممانعه اما أنا والله لوكانت انطلقت يدى وعلقت الانجيل كله فى عنق ماكنت إلا أنزل الماء الاصفر من

عينيه فقال لها الأمير أبو محمد دعى عنكى هذا المقال ولا تحلفين فهذا ولدى الحصين وهو يريد بهذه الحيله أن يخلصنا ويسيرنا إلى عسكر المسلمين ولو لم يفعل هذا الفعان ماينطلى على اللعين عقبة هذا المحال ولولا انه قال لى أنا ولدك ما كنت عرفته فى هذا القالب لأنى ماعلمته ولا خرجت أناواياه أبدا إلى زى راهب ولا فى حيلة (قال الراوى) ياساده فلما سمعت الأميره ذات الهمه هذا الحديث تعجبت وعادت تكرر النظر فى الحصين وتقول ياترى من قلع عينه اليمين وأى مصيبة جرت عليه حتى صار انفه طويل كبير وامتد وورم وصار فى هذا القدر فقال البطال ياأميره ماذهبت عينه ولا تغيرت خلقته وانما قد فعل هذه الفعال حتى تتم على اللعين عقبة حيلته هذا والحصين قد عاد إلى الاميره ذات الهمه وسائر المأسورين وحل كتافهم بعد ماعلم انهم قد علموا به انه الحصين فأول ماحلهم الحصين فما منهم أحدا مانع ولاداغ وودع الملك وعول على المسير فقال عقبة وحق المسيح لاتركت أن يفوتنى هذا العجب ولا بدلى ماأسير معه وأبصر كيف يفوت هذا الراهب بهؤلاء الشياطين إلى دير الزيت ومافيهم من يقدر يؤذيه ولا يمانع عن نفسه وأنا أعلم ان ذات الهمه وحدها تدفع عسكر كامل وحق المسيح هذا شيء عجيب يكون هذا عارف بعزائم الحكماء شيأ لاأعرفه أنا لانى قد رأيت من علمه شيأ رائد وهو على حكمته دليل وشاهد (قال الراوى) ياساده ثم ان عقبة ودع الملك قال أيها الملك أريد ان أمضى مع هذا الراهب إلى زيارة دير الزيت وأتبرك بمن فيه من الرهبان لان حكمة هذا الراهب تدل على ان الكل قد أخلصوا فى عبادة الصلبان وأنا ان شاء الله عند الصباح أعود اليك لكن حتى أبصر من يهلك من المسلمين فقال الملك إذا كان الامر كذلك اركب أنت وأبونا الراهب شرشيطا وأنا أترك بعض البطارقة يسوقون بين أيديكم الاسارى هؤلاء الشياطين ثم أمرلهم ببغلين فركبا وسارا معهم اثنين يسوقوهما والاميرة ذات الهمة منكسة الراس تبكى حيلة منها ومذبحون وأبوه يظهران الضعف والعجز والشريف بكار وأمه لان ابو محمد البطال اعلمهم بالقضيه وبأن الراهب شرشيطا هو ولده الحصين حتى يلعب بعقل الملك وعقل عقبة الخبيث وهم على ذلك الحال ومافيهم من هو مصدق بالخلاص من أهل الكفر والضلال والبطال جعل يديه على صدره كانه مغلول والجماعة عملوا مثل فعاله وهم كانهم عادمين عقولهم (ياساده) والحصين راكب إلى جانب اللعين عقبة وهو يهمهم ولا يفهموا مايقول ولا تنطب الحيله الاعلى الشطار والاميره ذات الهمه طائرة الفؤاد ومن شدة الفرح تقول ياأبو محمد من أين ولدك الحصين عرف دير الزيت واهتدى إلى هذه الذى لايهتدى اليها جن سليمان فقال أبو محمد دعينا حتى نخلص وأساله عن كل ماعمله من هذه العمايل (قال الراوى) وكان السبب فى معرفة الحصين دير الزيت انه لما وصل مع الامير ظالم فى اليوم الاول وهو

فى زى الرهبان و نظر ماحل بالناس وما اجتمع عليهم من أهل ملة الصلبان فصبر حتى امسى المساء وانفصل عند ذلك القتال وابصر ماحل بالناس فاختلط بعساكر الروم وهو يقول لعلى الليلة أخلص الاسارى ولم يزل حتى توسط إلى عسكر الملك فابصر الاسارى بين يدى عقبة اللعين وهو محتفظ بهم والبطارقة بهم محدقين فخاف من عقبة لا يعرفه وعلم انه مايقدر على خلاصهم ماداموا على تلك الحاله فرجع خرج من العسكر وقلبه كادان ينفطر فقال فى نفسه مافى الامر إلا انى اقصد الى بعض الاديرة واقيم مع جملة الرهبان حتى ابصر كيف يكون الحال وعلى أى شىء يقع الانفصال والله لا برحت من هذه الديار حتى أعمل على خلاص المؤمنين الابرار ولو انى اهلك معهم على يد الكفار ثم استخبر بعض الرهبان عن دير القدره واظهر أنه يريد أن يزوره فدلوه على دير الزيت وكان فيه أربعين راهب فصار عند ذلك الحصين فى جملتهم وأقام فيه تلك الليله ومن الغدداره ورداه وعرف اسماء أكثر الرهبان الذين فيه وسمع بقدوم السودان ومافعلوا بعبدة الصلبان وكان فى تلك الليله قد بدأ يفور الصريج وقد جاء وقت فورانه فسرق قرعة ملآنه زيت وخرج يطلب العسكر من خوفه من عقبة لا يعرفه أخذ من حشائش البرعشية يعرف عملها من عهد كان فى بلاد الديلم ولطم بها وجهه وأنفه حتى احمر وورم وصار مثل الخياره وفعل بأجفان عينه كذلك حتى انهم تنفخوا والصق عينه بدم القراد فصار كانه أعور من مائة سنة ثم سار حتى دخل على الملك بهذه الصفه ورأى عقبة عنده وجرى له ماجرى حتى خرج بين يدى الاسارى والبطارقه يسوقوهم وهو على البغله راكب والى جانبه عقبه إلاأن الحصين يصيح فيهم وينهرهم ويضرب أكتافهم بالعصاه وعقبة يقول جود عليهم وزدهم لارحم المسيح منهم أحد (قال الراوى) والامراء منقادون حتى خارج العسكر وكان الحصين كلما ضرب أخيه مذبحون وأوجعه بالعكاز يقول قول لولدك يرفق بناوالاعدت ليه و نزلته من على هذه البغلة وخنقته حتى يبول دم أحمر والبطال يضحك من ذلك حتى أبعدوا عن الروم (ياساده) ثم تقدم الحصين الى البطارقة وقال لعقبه خلى البطارقه يسوقوهم واتبعونى الى الدير حتى أمضى أنا وأبشر الرهبان وساق بغلته وهرول وراح وخلاهم وأبعد عنهم فلما سمع عقبه كلام الحصين تقدم الى الاميره وتناول يده العكاز وضربها مثل ماكان يعمل الحصين فى الاول واذا بها التفتت اليه ثم قالت له ياقرنان وأنت تريد أن تكون مثل راهب دير الزيت ابشر الآن بخراب البيت ثم تعلقت به وجذبته ونكسته على رأسه ورأى البطال الى ذلك فوثب الى البطريق الذى كان وراءه فعجل فناه وقفز مذبحون الى البطريق الثانى وتعلق بخصاه فأسكنه فناه هذا وعقبه يغدو فى عماه ونزلوا فى قفاه فصار يصيح ويلك ياشرشيطا أدركنى والا اعمونى من الصك أنت اطلقت هؤلاء

الشياطين الحقنى بحق المسيح وارجع اتل عليهم الانجيل فلا يغيثه أحد والاسارى ينزلون على رأسه حتى انهم ارموه من على بغلته وكلما آلمه الصك يقول لاستر المسيح عليك يا راهب دير الزيت ولا كانت هذه الليلة التى جمعتنى بك والبطال يصفعه فى رأسه ويقول له ياصقيع الذقن وقليل العقل هو أنت حسبت ان أيدينا ما بقيت تمتد من قراءة الانجيل وانطلى عليك المحال من ولدى الحصين ياشيخ الضلال اشر بتقطيع القفار والعذاب الطويل (قال الراوى) ثم بعد ذلك رفعوه على البغلة وشدوه وقتلوا البطريقين اللذين كانا يسوقوهم وساروا يطلبون عسكر الأمير ظالم والسودان والحصين قد وقف اليهم فرحان بخلاصهم حتى وصلوا اليه وهناهم بالسلامه وعرف عقبة حقيقة الحال فانشقت مرارته وزاد كربه وبلاه وقال للحصين ياكلب يا ابن ألف كلب خدعتنى وادخلت على المحال وقد فرحت لك بهذا الوجه الذى مثل خلقة العفاريت فضحكوا الامراء من قوله وتموا سائرين الى أن وصلوا الى عسكر المسلمين وكان ظالم فى تلك الليلة قد نام وخرج أبو سكران للحرس ومعه جماعة من السودان ولما رأى أشباح الامراء حرك نحوهم الجواد وتجارت خلفه الفرسان وقد سلوا السيوف وقوموا الزماح فعندها تقدم أبو محمد البطال وصاح عليه امسك يدك ياأبو سكر ان فنحن اخوانك فى الاسلام وقد خلصنا ربنا من أهل الكفر والطغيان وأنا أبو محمد البطال وهؤلاء اولادى العقبان وهذه الاميرة ذات الهمه منكسة الصلبان فلما سمع ذلك أبو سكران تقدم وقلبه من السرور ملآن ورأى القوم فترجل هو ومن معه من السودان وقبلوا يد الاميره ذات الهمه وسلموا على أبو محمد البطال وعلى أولاده ومن معه من الفرسان وحدثهم أبو محمد بما جرى وبما كان ونظر الى عقبه وهو معهم مأسور فداروا به السودان من كل جانب ومكان ولطموه حتى واقعه العمى فى تلك الليله الظلما وساروا الجميع الى خيمة الأمير ظالم ودخلوا عليه وبهذا الخبر أخبروه فجلس وهو يقول ما أبرك هذه الساعة واتمها بخلاص هذه الجماعه بالله عليكم كيف كان من الذى خلصكم من المهالك فقال أبو محمد البطال ولدى الحصين الازرق العينين فقال ظالم ولهذا كان غائب من يومين والله لقد سافر وجلب قرة العين وارضى بفعاله سيد الكونين النبى المنتخب سيد العرب والعجم

(قال الراوى) فقالت الاميره ذات الهمة دعونا الساعة من هذا فأنا قد طال شوقى الى ولدى وما بقى لى صبر أكثر من هذا ونريد فى غداة غد نكون راجعين وما بقى يمكننا هذا الآن كسرنا هؤلاء الملاعين فاركبوا حتى نكبسهم مادامو آمنين فرحانين بما بشرهم به المسيح على لسان الحصين وهم بالنصر مسرورين (ياساده) فقال أبو محمد هذا هو الصواب لانهم ما يحسوا إلا وانتم معهم فى الخيام والا طناب فقال الامير ظالم افعلوا مابدا لكم فنحن

ماكان لناهم الا أسركم واعتقالكم والحمد لله على ذلك ثم ركب من وقته وساعته وارسل الغلمان الى بنى كلاب والسودان الانجاب وبعد ذلك قال للاميره ذات الهمه ياستاه اقعدى مكانكى حتى تستريحى ويستريح بدنك من الشد ويديك من الكتاف فقالت الاميره ذات الهمة لا وحق محمد بن عبد الله لا كنت الا فى أوائلكم لأن جسدى لايريد الراحة الا فى القتال وان كان قد ضرنى الوجع والضرب ولكن طلب الثواب يلهينى عن ألم العذاب ثم انها ركبت وشدت وعليها وتحزمت وتأهبت وتلثمت ولم تكن إلا ساعة حتى ركبت فرسان بنى كلاب والسودان الانجاب ومقدمهم أبا سكران وقال البطال امضوا الى القتال ودعونى أنا أشتفى من عقبة شيخ الضلال ومعدن الكفر والمحال فما يدرى الانسان كيف تكون الأحوال (قال الراوى) وكان ثلث الليل الاخير وملك الروم قد نام وكذلك البطارقة وهم فرحانين بوعد المسيح وقد اتكلوا على بركة البترك شرشيطا فما أحسوا إلا والصياح معهم فى الخيام وضجت بنى كلاب وبنى حام وكانوا انقسموا لما حملوا ثلاثة أقسام ووضعوا عندذلك السيف فى النيام والقيام فانذهلت الروم من صياح السودان ورجفت أرواحهم والأبدان وما منهم إلا من تار وعقله حيران وأما الملك فانه قد قام إلى جواده وقد انخلع من شدة الضجيج فؤاده وانقاد فى فؤاده النار والحريق واشتد الوهيج وهو يقول ما أمهلوا علينا هؤلاء الشياطين حتى يصبح الصباح علينا ونلطخ أصحابنا بزيت دير القدرة ويأتينا من عند السيد المسيح النصر والوعد ثم انه صاح فى خواصه فركبوا وتأهبوا للقتال وقد رنت السيوف من كل جانب ومكان واتفقت أنها كانت ليلة كثيرة العواصف واكتسى الليل ثوب الظلام وغابت عن الناظرين كواكب السماء وقد نزل على الكافرين البلاء من سيوف أمة محمد ولم يزالوا حتى طلع الفجر وبدا وأصبحت الاجساد مثل الضحايا وانهزم الملك ليتحصن فى قلعة السها وهلك من فرسانه مالا يقع عليه عدد واحتوت المسلمين على الاموال والخيام وكانت الخيام مضروبه على جانب الخليج قريب من القلعة فنزلوا فيها المسلمين وملكوا الجسر الذى ذكرناه للعبور وقد طلب الملك القلعة فما قدر لان المسلمين قد احتووا عليه قهرا وغصبا هذا وقد صارت الاميرة ذات الهمة تنظر إلى قلعة السها وتقول سبحان الله كم فى الاقطار من العجائب والغرائب والله إن هذه قلعة لاترام وما رأينا مثلها فى بلاد الروم ومانريد إلا أننا نفتحها حتى أننا نطهرها من هؤلاء الكفرة اللئام فقال عند ذلك ظالم ياستاه لولا أسرك ماكنا قربنا هذه الارض ولا شفناها والساعة فقد من الله تعالى علينا بخلاصك فدعينا الساعة من حساب القلعة حتى نأخذ الساعة فى الراحة هاهنا شوية أيام ونطلب الرجعة إلى الاهل والاحباب فهذه سلامة ما كانت لنا فى حساب فقالت الاميرة ذات الهمة بالله عليك

ياولدى دعنى أنفذ خاف الامير أبو محمد البطال وأشاوره فى هذا الامر فان قال انه يقدر ويتسبب فى فتحها أتينا إلى تحتها بالخيام وعولنا على القيام وإلا رحلنا عند الظلام وطلبنا بلاد الاسلام فقال لها عند ذلك ظالم افعلى ما بدا لك ياستاه فما أقدر أن أخالفك فعندها أنفذ عشرة من السودان وقال لهم أقيموا أنتم فى الخيام وارسلوا أنتم أبو محمد البطال حتى نرى كيف يكون الحال (قال الراوى) وكان البطال قد أوجع عقبة بالضرب والعذاب هو وأولاده وغلمانه وأم الشريف بكار وما فيهم إلا من حنق عليه وكان كلما ضربوه يقول هذا فى طاعة مطرون وطاعة كنيسة الزرزور ومريحنا المعمدان ويوشع الذى سن لنا الانجيل ولم يزل كذلك حتى غشى عليه وغاب عن الدنيا وقال البطال أتركوه لعلنا نحمله معنا إلى الحجاز نهديه إلى الامير عبد الوهاب حتى لا يبقى فى قلبه حسرة من كاب الكلاب فهو كذلك وإذا عند ذلك بالسودان قد أقبلوا عليه لاجل أخذ رأيه من قلعة السها إن كان يقدر يملكها والقتال أم لا فقال والله إنى أعرف الناس بها وما شىء يقدر عليه أحد يقاتل ولا فيها حيلة لمحتال فقال الحصين لا تقل هذا المقال وقم بنا إلى الاميرة ولو كان فيها كل عفريت يطير فى الهواء أو يغوص فى الماء لاننا كلنا قافلة لصوص فضحك البطال من كلامه ورجع ومعه جميع غلمانه وساروا حتى قدموا إلى الاميرة فرأوها تنتظر إلى القلعة وتتعجب وهى تلوح مثل الكوكب فلما قدم الامير أبو محمد البطال هو وغلمانه وأولاده فرحت بهم وأعلمتهم بما قد عولت عليه فقال البطال والله ما الموضع إلا حصين لا يرام ولا يلتفتوا القوم ولو كان معنا سائر عسكر الاسلام ومادام فى قلبك من هذه القلعة أمر فانا وحق من أطلع البدر وخلق الفجر ورزق الذر لابد ما أتركك فيها قبل الصباح وأملكها ولو كانت متعلقة بالرياح ثم انه التفت إلى ولده الحصين وقال له ياولدى غير حيلتك التى دخلت بها على الملك عند خلاصنا وافتح عينك واغسل وجهك حتى أقول لك ما تفعل وكان الليل قد أقبل فلبس أبو محمد البطال زى راهب وألبس غلمانه وولده الحصين كذلك وأما ولده مذحون فانه قال فليس لى قدرة على أننى أحتال لان آثار الضرب على أضلاعى وأخاف أرجع أقع فيصلبونى دعونى ههنا أبرد جرحاتى وابصر أنت وأخى ما تنتقى وقد أفلح ضيغم والله الذى تركنا ومضى إلى الحجاز وأراح نفسه من هذا العذاب الذى نحن فيه وكان ضيغم من حين خلص من دار طوق قد ودعهم وطلب أرض الحجاز وأما أبو محمد البطال فانه سار طالب القلعة وتعلق فى الجبل وسار هو وولده وغلمانه بالمسوح السود والعكاكيز الابنوس وكان الملعون طرطنوس لما تحصن فى القلعة أمن على نفسه لما صار فى القلعة إلا أنه متعجب من تلك الوقعة وجلس تلك الليلة يتحدث مع أصحابه وحجابه وهو يقول ياويلكم كيف جرت هذه النوبة الصعبة علينا

من أربعة آلاف فارس ونحن فى هذا الخلق الذى لا يعد فقالوا له أصحابه أيها الملك مادهينا الامن هذه السودان الذين كانهم يشبهوا جن سليمان الذى ما رأينا فى عمرنا ياملك مثلهم ولا أوحش من خلقتهم ولا أوعر من أصواتهم ولو كنا رأيناهم من وقت طلعنا القلعه ما كان جرى علينا هذه الفجعه فقال الملك ياقوم ماقدر يخرب بيوتنا الاراهب دير الزيت ووعده الذى كان سبب خراب بيوتنا فقال ياملك وحق المسيح ماله ذنب ولا عليه ملام لان المسلمين حملوا علينا قبل الميعاد وقبل ان نتلطخ بالزيت بتاع القدره وما قلبى الاعلى الشيخ النجيح وأرجوان يكون عليه خير لانى لاأقدر ان أدخل على ابنته إلا ان يكون حاضر (قال الراوى) وكان عقبة قد ترك ابنته عنده فى القلعة وعطاها الملك دار حسنه هى وأختها وعمتها لانه عند عزيمته أمر البطارقة أن يخدموها ففعلوا ذلك لأجل الملك (وأما ما كان) من أمر عاقبة أخت عقبة فانها غابت ولم يعلموا لها خبر ولا وقعوا لها على أثر وكان الملك قد سألهم عنها فقالوا عند ذلك ماعندنا بها علم أيها الملك إلا انها دخلت الكنيسه وقد تارت إلى بعض الخيل فركبت حصان ولا ندرى أين ذهبت فظن الملك انها هلكت فى الوقعة وصعب على الملك ذلك وقال الواجب كان نحفظها لان الشيخ النجيح يقول ماحفظتم حقى فبينما الملك فى الكلام وبعض الحراس قد دخل عليه وقال أيها الملك قد وصل الساعة إلى باب القلعة الراهب خادروس ومعه جماعة من الرهبان بتاع دير الزيت وهم يريدون الدخول عليك فقال الملك وقد سر بذلك يامسيح فرجك وقال عسى ان يكون معهم خبر بالشيخ النجيح ثم قال لهم افتحوا لهم فدخلوا وسار بهم البواب إلى بين يدى الملك فلما رآهم ماشك فيهم وحسب انهم رهبان فلما دخلوا عليه قالوا له ان أمراء المسلمين مقيدين فى القلعة وان الملك حفظه السيد المسيح فى هذه القلعة حتى تعم بركاتكم عليه وعلى كل من فى الحصن من أهله وأقاربه وعسكره فقدم حضورك إلى هذا المكان ولا تصحب معك غير الرهبان الذين تعرفهم بالعباده واصلاح الشان واياك ان تخلى الراهب الكبير دلهان فانه كثير العباده للصلبان ودعاء عند المسيح باعلامكان لاسيما إذا صاح بصوته المعروف يأمر يحنا المعمدان (قال الراوى) ياساده ولما هموا بالانصراف خاف الحاجب وقال أيها الملك أنا أخاف وأفزع من المسلمين لان عسكرهم من حولنا دائرين فقال الملك ويحك وأنت تخاف ومعك رهبان دير الزيت ثم التفت الملك إلى البطال وقال له ياخادروس قل لهم كيف جئتم فقال أيها الملك التطخنا بزيت الدير وعبرنا فى عسكر المسلمين فما وصلناهم الاوقد اختفينا عن أعينهم فان كان عندك شىء من بقية الزيت التى أتى به البترك شرشيطا ألطخ به حاجبك فقال الملك وحق المسيح عندى القرعة الذى أتانا بها أبونا الراهب شرشيطا كما هى

بتمامها وكمالها ثم انه أتى بها ولطخ منها حاجبه ومسح عليه أبو محمد وصلب بين عينيه وقال له اذهب الساعة وشق بين عسكر المسلمين فى الظلام ودوس رقابهم فى الخيام فما بقى يراك منهم أحد لاشيخ ولاغلام فعندها نزلوا من القلعه وقد فتح لهم الباب وأنفذالملك عشرة من البطارقه إلى أهل القرى واهل السواد يقول تحصنوا فى الجبال واحفظوا أموالكم والرجال والنسوان والشباب والاطفال (قال الراوى) ولما سار وعينان أبو محمد البطال على وجه الأرض ساروا طالبين عسكر المسلمين فانكر الحاجب ذلك وقال لهم إلى أين تمضون بى فى هذه الطريق تجنبوا بنا جيش هؤلاء الشياطين حتى لانكون بارواحنا مخاطرين فقال جوهر غلام البطال بلا كثرة كلام فما يراك أحد واجتماعك فى هذا الظلام وكان على الحرس فى تلك الليله أبو سكران فى عشرين من السودان فلما قربوا منه ونظر أيضا حاجب الملك إلى الخيل قال ياعبد المسيح هذاحرس المسلمين قدامنا وقد أتانا وعول نحونا ابصر كيف يكون فقال تبعنا ودع عنك الفضول ولا شك فى معجزات المسيح فنحن قددخلناههنا طريقين وماوقفت علينا عين فقال أدارس صحيح انكم انتم ترونهم وهم لاينظرونكم وانتم أيضا رجال المسيح وأنا مالى خفا وأخاف ان يأتيكم أو يأتينى الأمر بخلاف ذلك كالاأريدفيقطع قفا ياجيدفقالوا له سير خلفنا وانك ان وقعت خلصناك (قال) فسار الحاجب وهو يقصر خطوته من فزعه من الحرس وكان أبو سكران قدميل إلى نحوهم هو والسودان وقدقارب غلمان البطال وقال ياويلكم ايش انتم فى هذا الليل فقال لؤلؤ ياأبا سكران لابأس عليك نحن غلمان أبو محمد البطال وقد اتينا من عند سيدنا فى أمر نرجو من الله تعالى اتمامه فخذ هذا الذى وراءنا وقدكان فى زى الرهبان وأمر السودان ان يصفعوه ويشدوه كتاف ويطوفوا منه الاطراف وكلما رأيتموه يصيح علينا الطموه بايديكم الخفاف اللطاف ولا تعلموه انكم رأيتمونا ولا نظرتم منا أحد وتركوا الحاجب وانحرفوا يطلبون عسكر المسلمين وقصد أبو سكرأن الحاجب بتاع الملك ودارت به السودان فأخذوه وضربوه على رأسه حتى اعموه وهو يتعوذ بالمسيح وهم كلهم يسمعوه يتعوذ يقولوا لهم وهم نازلين عليه وهو يقول ماقصر معى الراهب جادروس الذى غرنى ولطخنى بزيت القدره واوقعنى فى هذا البلاء وهذه الليله الميشومه لاجزاه المسيح خيرا قال ياقوم خذوا رفاقى وسكوهم مثلى حتى انكم تقطعوا قفيتهم كما أنكم قطعتم قفاى فكم قلت لهم عرجوا عن هذه الطريق فما رجعوا فعند ذلك قال أبو سكران ياويلكم واين هم رفقاؤك انا لم ننظر أحد قدامنا غيرك فقال الحاجب أمرى الى المسيح انهم قدامى ياويلكم ماتنظروهم يقولوا له السودان وهم نازلين فى زقبته ماننظر سوى أنت وينزلون عليه حتى أغمى عليه فقال لهم دولا رهبان يحفظون الانجيل وانا جندى جاهل قليل الخبره بالانجيل

فيضحكوا عليه السودان فجعل يصيح يارهبان بحق المسيح لاتتخلوا عنى وعن أهل دين المسيح (قال الراوى) هذا وغلمان البطال قد تموا يخترقون الخيام حتى أتوالى الاميره ذات الهمه واعادوا عليها الحديث وماقال لهم مولاهم أبو محمد البطال وكيف استقر معهم الحال ففرحت ونهضت تجمع الابطال الموصوفين من بنى كلاب والسودان الانجاب واذاقد وصل أبو سكران ومعه أدراس حاجب الملك فقالوا اقتلوه وعولوا بنا على الصعود قبل أن يفوتنا المقصود ثم أعلمهم بما دبر البطال فتعجبوا من تلك الفعال واما مذبحون فانه فرح بما دبره أبوه وانتخب أبو سكران أربعين من السودان أصحاب الاحساب فالبستهم الاميره ذات الهمه البرانس السود لبس الرهبان ولبست هى ايضا وابو سكران مثلهم حتى بقوا كانهم الغربان ثم اخذوا السلاح وخلوه تحت ثيابهم واوصت الاميره ذات الهمه الامير ظالم وبقيه العسكر ان يركبوا بعدها فى ألف بطل ويقصدوا باب القلعه الى معونتهم ثم سارت الاميره ذات الهمه الى الجبل وطلع بعدها مذبحون وجوهر ولؤلؤ غلمان البطال ولم يزلوا سائرين الى أن وصلوا الى باب القلعه فرؤا بابها مفتوح وابو محمد واقف على الباب منتظر هذه الأسباب (قال الراوى) وكان لهذه القلعــــه صورين الصور البرانى مبنى بالحجر والصور الجوانى منقور فى الصخر وفوق كل برج باب وبين الصور والصور زهاء عن عشرة أزرع وهى عاليه مشيده ما فى بلاد الروم ولافى بلاد الاسلام مثلها ولاأعلا منها ولاأظرف منها هذا وقد التقوهم أصحاب الحرس فترحبوا بهم ومن معهم وهم يظنون انهم رهبان كما سمعوا من الملك والبطال وماهم الا أن حصلوا من داخل الباب ثم غلقوه من خلفهم وسبقوهم البوابين الى الباب الثانى فهمت الاميرة ان تدخل هى وأصحابها واذا بمشط من الحديد قد وقع مثل الجبل فسد الباب واحال بينهم وبين الدخول فبقت الاميره حائرة والذين معها محتارين لايدرون ما السبب فى ذلك (قال الراوى) وان البطال دخل على الملك وقال له قم بنا أيها الملك حتى تنزل تلقى الرهبان فانهم عند المسيح بمنزلة عظيمة وشان فقام الملك ومن معه من خواصه وقد عولوا على النزول فرأى الملك البوابين وهم طالعين لايعقلون وقد تكاثروا على لوالب المشط الحديد وقد أنزلوه إلى أسفل فسألهم الملك عن سبب ذلك فلم يجيبوه حتى انهم اطمأنوا وأمنوا مما يحذروه واقبلوا بعدها على ملكهم وساروه وقالوا له هذا البطال فأنكر عليهم الملك وبقى حائر لايدرى لأى شىء ارموا المشط واللوالب فهم كذلك واذا بالشيخ قد أقبل وهو منحنى الظهر من الكبر وهو يصيح أقف أيها الملك وانظر لنفسك قبل حلول رمسك قبل أن لاتقدر على النظر فقد سلمت سلامة لاتنكر قبل أن تدفن وتقبر ويفنى كل من فى قلعتك بالصارم المنهد (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك الخبر تميز الشيخ وقال له ويلك ما الخبر فصاح راهب

آخر بصوت منكر اقبض أيها الملك على هذا الراهب الاشقر الذى صح لك الخبر و تحاقدر ما فعلنا معك من الجميل الذى نستاهل عليه الجواهر والبدر فعندها تامل أبو محمد البطال وإذا هو شيخ أعور نحس الوجه محدر مثل الشيطان اذا بدر وهو القاضى عقبة وقد خلص مما كان فيه من العذاب ومن ورثه أخته عاقبة أم الفتن كانها عقاب اذا انقض لاعفى الله عنها (قال الراوى) وكان سبب خلاص الملعون عقبه حديث عجيب وأمر مطرب غريب وذلك انه لما تركه أبو محمد البطال عند السودان الذين أرسلتهم الاميره ذات الهمه وأمرتهم بحفظ الخيام وسار عندذلك البطال ليدبر فى أمر القلعه وكان قد لح على عقبه فى الضرب كما ذكرناوأم الشريف بكار وبنت طوق وأن عقبه قام فى ذلك المقام وهو يبكى وينوح على نفسه وعينه تدمع وقد خفق نفسه وحسه إلى أن أظلم الليل ودخل عليه الليل وقد أدار وجهه الى قبلة الاسلام وقد صار يقرأ بصوت ضعيف ويرخى يديه الى شقته ويمدها ويصعد أنفاسه ويرددها فقالوا له السودان ويلك ماحالك فقال ياولدى جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وهذه الليلة آخر ليالى من الدنيا وأول ليالى من ليالى الآخره ومقصودى أعمل شيأ اقدم به إلى المولى ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ﷺ ثم طبق عينيه وصار يحرك شفتيه ويمدها فلما رأوه السودان على هذه الحاله أيسوا منه وقالوا القد ضربه البطال ضرب عظيم وهذين المرأتين قتلوه ولكن ختم الله له بخير لانه تشهد عند موته وقد بقى مرتهنا بعمله

(قال الراوى) وكانوا هؤلاء السودان جاهلين بأمر عقبة اللعين لانهم من أرض الحجاز الذين قدموا مع الأمير ظالم فقالت لهم أم الشريف بكار ياقوم لا تسمعوا قول الملعون فقد مات عشرين مره زور وبهتان هكذا ورجع عاش وتم على الكفر والطغيان فداخل السودان الشك من قول العلويه أم الشريف بكار ثم تطلعوا فى وجهه فرأوا عليه آثار الموت وقد اشتكلت اسنانه وبردت أنفاسه وحواسه وبرق جبينه وغارت عيونه واسترخت أعضاءه وتمرت شفتاه فقالت السودان ماهو الاقدمات ثم ان السودان جعلوا يقلبوه وهو كانه خشبه ملقية يابسه فقالوا للعلويه أم الشريف بكار أيها السيده هذه النوبه ماهى مثل الاولى هذا قدمات قدمات على ملة الاسلام ونريد ننفذ للأمراء ونعلمهم بحاله فيأتون اليه ويغسلوه غسل المسلمين ثم انهم يدفنوه كما يفعلوا بالمسلمين لأنه على كل حال قاضى من قضاة المسلمين ولا يجوز لنا أننا نأتى فى حقه بشىء فعند ذلك صاروا السودان يغزوه بالمسله وهو لايتحرك فقالوا السودان مابعد هذا شىء ثم مضى منهم خمسة نحو قلعة السها يعلمون الأمراء بحاله وقالوا الاتدفنوه حتى نعود هذا وأم الشريف حارت وقالت اقسم قسما لا تركت هذا الملعون ولا بد أن أقوم اليه واقطع يده حتى يعلم السودان بذلك فقالوا لها السودان أيها السيده لا تفعلى فاننا نخاف من غضب

الأمير ظالم فقالت أنا أجاوب الامير ثم أتت إلى عقبه وقعدت إلى جانبه وشالت يده وهى مرخية وهمت تفصلها من زنده وإذا برجال قد هجمت إلى الخيمة وفى يد كل واحد حربه كانها المنيه وهم ينادون خلوا عن الشيخ النجيح ثم مالوا على السودان قتلوهم بالحراب وقبضوا على العلويه وقام عقبة كانه العقاب وتأمل القوم وإذاهم كلهم رهبان وعليهم المسوح السود مثل الغربان واخته عاقبة فى أوائلهم مثل الشيطانه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان الملعونه لما كبس عسكر الروم ورأت عساكر الاسلام صارت معهم فى الخيام علمت انها عسكر النصارى مايفلحون وعلمت ان لابد لهم مايكسرون فركبت بعض خيل الملك وطلبت الهروب مع الرجال حتى وصلت إلى دير الزيت وإذا هو مثل الحصن الحصين ولهذا طلبوه أكثر المنهزمين ولما علمت انها قد صارت فيه سألت الرهبان عن اخيها عقبة وعن الأمراء فقالوا ماعندنا من هذا خبر فقالت ولا وصل اليكم شرشيطا فقالوا لها شرشيطا ماخرج الليله من الدير فلما سمعت ذلك علمت ان أخيها وقع فقالت وحق المسيح مادبر على أخى إلا بعض شياطين المسلمين وأخذوه وخلصوا الأمراء المأسورين ثم انها قامت فى الدير إلى الصباح وقد خرجت من الدير ورأت الروم قد كسروا وتموا فى هزيمتهم وقد تلقتهم المجاهدين وخليت خيام المسلمين من الابطال أجمعين وقد نظرت إلى ذلك فلبست الملعونه زى العرب وتلثمت ودخلت الخيام وقد رأت أخوها والبطال يعذبه ويضربه فبقت مثل الحبة على المقله وقد بقت واقفة إلى أن أتت السودان للبطال من عند الأميره وأخبروه بما قد طلبت المشاوره من أمر فتح القلعه كما ذكرنا وقد عرفت الملعونه عاقبة ان المسلمين مايعودون تلك الليله وقد عادت الملعونه مثل البرق الخاطف إلى الدير وأعلمت الرهبان وقد أعلمتهم أيضا بخبرها وخبر أخيها وأطمعتهم فى النهب والمال وقداتوا معها وكبسوا السودان فوجدوا فى الخيام شيء مايقدروا على حمله ولم يمكنهم القعاد ولا المقام خوفا من عودة عسكر الاسلام والتقت عاقبة باخيها عقبة كما ذكرنا وكانت أم الشريف بكار أرادت قطع يده فلما هجموا الرهبان على العبيد وقتلوهم وجرى ماجرى وتحقق الملعون ذلك فأول مافعل الملعون ذبح بنت الأمير طوق التى كانت بقيت من أخوتها وهى سبب الفتنه التى جرت لانها كانت حلت الاميره من الكتاف حتى جرى ماجرى وتقدم إلى أم الشريف بكار وعرفت أخت عقبة بما فعلت أم الشريف بكار وكيف أحوجت السودان حتى غزغزوه بالمسله وكيف أرادت قطع يده فلما سمعت أخته ذلك قالت وحق نعمتك ياأخى ان القتل لهذه العجوز استر فقال عقبة فى خاطرى اقتلها فقالت اخته لاتقتلها فقال لها نظرى مافعل معها ثم انه تقدم الملعون اليها قورعينها وقطع انفها وشفتيها وقال لاخته أطلعى بنا إلى القلعه الساعه حتى ابصر من سلم فان قلبي عليها ثم انه ساز هو واخته وقد لبست زى

الرهبان وهو كذلك وقد جاز على ساحل البحر وسار هو واخته تحت القلعة فى زى الرهبان وهم طالعين فاختلطوا بهم وقال لاخته الحمد لله الذى خلصنا ومن علينا بالخلاص والا كانوا هؤلاء الشياطين اهلكوا هؤلاء المساكين الليلة وكانوا اخربوا بيوتهم واخذا عند ذلك قلعتهم وما هذا كله الافعال البطال النذل المحتال ولم يزالوا مع السودان حتى طلعوا وصعدوا الى الجبل ونادوا من الباب ورأوه مفتوح والبوابين لهم فى الانتظار فدنا عقبه من البوابين واعلمهم بالقصه وعرفهم بنفسة وقال للبوابين ويلكم اغلقوا من ورائهم الباب الثانى وارموا المشط والاملكوا القلعه وقتلوا كل من فيها وقطعوكم قطع وقد سلمتم الليلة من شرهم وبلاهم فاسبقوا إلى الباب الثانى وارموا عليهم المشط ففعلوا البوابين ماامرهم به عقبة اللعين وقد تارت البوابين من الفزع والجزع وجرى من الحديث ماجرى والحديث الذى ذكرناه والتق عقبه بالملك وحذره كما وصفنا ولما سمع الملك كلامه وعرفه فقال الملك أيها الشيخ النجيح وبما تحذرنى ولما اغلقتم الباب فى وجه رهبان دير القدرة فقال اللعين عقبه واين ياملك رهبان دير القدرة وماهم رهبان دير القدره هؤلاء شياطين الانس والجان الذين فتحوا بحيلتهم البلدان والمدن والقلاع ولولا خلاصى كان ملك المكان فى هذه الليلة فقال الملك أيها الشيخ على من تعنى فقال عقبه اعنى عن الاربعين راهب الذين يريدون ان يلقوكم فى المصائب والنوائب والعجائب والغرائب ويطيرون رؤسكم عن المناكب فقال الملك ياويلك ماهؤلاء الذين يدعون على المسلمين بالغرق والطوفان ويهلكوهم قبل نزولهم من هذا المكان فضحك الملعون عقبه من كلام الملك ضحكا عاليا وقال له أيها الملك ما هذا الهذيان فقد تم على وعليكم البارحة منهم شرشيطا الراهب راهب دير الزيت ولولا عناية السيد المسيح ما كنت ياملك رأيتنى وانى قد ضربت حتى اشرفت على الموت وهذا الراهب الذى بجنابك من هو فقال هذا خادروس راهب دير القدره فقال له وهل عرفته جيد المعرفه فقال الملك وحق المسيح اعرفه فقال الملعون عقبه واى معرفه عرفت ياابلم لولا أنا لكان ارماك فى الحفرة ويكون عليك وعلى اهلك ليلة ميشومه أيها الملك افتح عينك واصحى لروحك هذا آفة الزمان ومخرب البلدان وذابح القسوس والرهبان والمصور فى كل مكان والعامل فى تبطيل دين الصلبان الذى بحيله تخرب القلاع والحصون وتفزع منه الآباء والجدود واى مدينة يدخلها يصبح صاحبها مقهور الذى اخفى النصارى وذبحهم وهذا الغلام الصغير الذى هو ازرق العينين الاشقر الذى سمى روحه البارحه الراهب شرشيطا وفعل بنا ذلك الفعل المنكر ولده الحصين ابا ليس زمانهم فقال الملك وقد تحير من هذا الكلام وماهم الرهبان فقال عقبه هؤلاء كلهم سودان شجعان اقران فرسان ومعهم امرأة يقال لها الاميرة ذات الهمه قد هدمت بيوت الروم واسمها فاطمه بنت مظلوم التى هى مقدمة هذا العسكر وأما

هذا خادروس فهو البطال المحتال وقد صدقك ومن اسمه احذرك وهو الذى معه ولده الذى أتى البارحة وخلصه وأهدى اليكم قرعة الزيت والليله أتوا يأخذوا القلعه ويفجعوك بجعة وأى فجعه لولا قدومى اليك يا ملك فاقبض عليهم وأهلك من بقى بين الاصوار والا ملكوا هذه الديار هذا كله يجرى وأبو محمد البطال يتعجب من خلاصه ومجيئه فى هذا الوقت الضيق وقد بلغت اللقمة الفم وقد بقى حائر ولم يدرى ما يكون جوابه فقال له البطال يا شيخ لا تفعل ولا يحملك ما رأيت فى دير الزيت ولا تحسد الرهبان حيث ما قدرت تبلغ من منزلتهم فتحمل على هلاكهم حتى انك تتقدم وتصير صاحب الدير حسدا منك وتنال اكتساب الدنيا وتترك الآخره وأنا وحق المسيح ما بى روحى لأننى شيخ كبير وقد شبعت من الدنيا ولكن ما فى الا كيف تتقلد بدم اربعين راهب وتلقيهم فى المصائب لاجل التقدمة ونيل المطالب وطمعك فى حطام الدنيا فلما سمع الملك كلام البطال داخله الشك وصدق البطال وانطلى عليه المحال وأراد أن يقبض على الملعون عقبه شيخ الضلال ومعدن الكفر والفجور والمحال فصاح عند ذلك الملعون عقبة لا تفعل أيها الملك هذا الهذيان من هذا العيار الشيطان فتصبح ديارك فيها البوم والغربان فقال الملك ما الدليل على ذلك ان هذا الراهب ماهو خادروس ابن سمعان وان هؤلاء الرهبان كلهم سودان من عسكر الإسلام فقال اللعين عقبه الدليل على ذلك انك تصيح على الذين بين الصورين وتسألهم عن حاجبك ادارس الذى أرسلته معهم ومع غلمان هذا الشيطان فان أجابوك فاعلم انى كذاب وإن لم يجيبوك فاعلم انى على الصواب واقبض على هذا العيار المحتال الشيطان حتى تأمن على روحك وعلى أهلك وعلى قلعتك من الهلاك والبوار فعندها أمر الملك بعض غلمانه أن ينادى بحاجبة ادارس فأشرف الغلام من أعلى البرج ونادى يا ادارس فما أجابه أحد فأجابته الاميره ذات الهمه وهى ماعندها خبرة بما جرى من الملعون عقبه ولم سكتت لانها اذا كانت سكتت لكان أحسن لكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا اما حاجب الملك فانه مقبوض عليه وما نطلقه الا لما تفتحوا لنا الباب وتطلقوا سبيلنا (قال الراوى) فكان هذا الكلام من الأميرة لانها لم تعلم القصة التى جرت ولا المجادلة بين البطال وبين عقبه ولم تعلم باطن القصة بل ظنت انهم مافعلوا ذلك بهم الا وقد علموا بهم انهم مسلمين هذا (ياساده) فلو مغمغت فى الكلام وقالت افتحوا وادى الحاجب وتكلمت على لسان الحاجب لكان انطلى على الملك وكان قد قبض على عقبة شيخ الضلال وكان قد صدق قول أبو محمد البطال ولكن الاميره ذات الهمة عكست فى الكلام فعند ذلك عاد الرسول وأعلم الملك بما قالت الاميره فصدق الملك قول عقبة وذهب عنه المحال وتيقن حقيق ان خادروس هو أبو محمد البطال وان الراهب شر شيطا هو ولده الحصين بن البطال فأمر بالقبض عليهم الاثنين وهو متعجب من هذا الحديث كيفه

انهم يغيرون أحوالهم والملك حائر فى حالتهم (قال الراوى) ولما أمر الملك بالقبض على الذين بين الصورين وقال افتحوا عليهم الباب واخرجوهم إلى بين يدى حتى أضرب من هؤلاء الرقاب فزعق عقبة عليهم انت مغفل أيها الملك لاتفتح الباب فيفنوا بطارقتك والأصحاب ولوكانوا بعدد الحصى والتراب ويتركوهم رؤس بلا أبدان فضحك الملك وقال لا تقل ياشيخ هذا المقال ففى هذا الحصن بطارقه ماهم مثل من تقدم ولا رأيت لهم مثيل فى سائر الامم لانى قد ادخرتهم لشدائدى وأعددتهم لاوابدى ولوان واحد منهم قادر ان يلقى الاربعين لفعل فقال عقبة وحق المسيح ياملك ان أنت خالفت مشورتى ولم تقبل نصيحتى لندمت حيث لا ينفعك الندم وترى أصحابك يذبحون ذبح الغنم لانى أنا أخبر بالقوم من كل احد لاسيما وفيهم هذه العجوز العاهره ذات الهمة التى قد أخربت بيوت النصرانيه ان كان فى قومك من يلقى الاربعين فارس فى الميدان فهى وحدها تلقى ألوف ياملك لاتكون مغفل فقال الملك والرأى عندك أيها الشيخ النجيح فقال عقبة الرأى عندى ياملك أن تقعد أنت وجندك فوق الصور وتضربوا القوم بالاحجار من هذا الوقت إلى ان يتضاحا النهار فاذا قتل بعضهم بالاحجار وبقى ياملك البعض فتحنا بعد ذلك الباب ونكون قد بلغنا المراد وانا أعلم ان الذى يبقى منهم مهشم مكسر ولا يقدر يمنع عن نفسه ولا يدفع بمشورتى ياملك المباركه فقال الملك وحق المسيح ماأخالف لك قول ولا مشوره لانك انت أخبر بهؤلاء القوم الشياطين ثم صاح الملك بعد ذلك فى بطارقته وجميع من فى القلعة وصعدوا على الاصوار فقال لهم الملك ارموا على هؤلاء الاحجار فهنالك أرموا على المجاهدين الاحجار فلما نظرت الاميره ذات الهمه علمت ان كل من معها هالك لامحاله فقالت كلمة لا يخجل قائلها لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم فقال لها مذبحون الرأى عندى انك تفعلى أنت وأصحابك ماأقول لكم عليه والا مايصبح منكم أحد الا مقتول فقالت وماالذى نفعل يامذبحون وهذه الاحجار نازلة مثل الامطار فقال مذبحون مادام أنتم قيام مايبطلوا رمى الاحجار ومافى الامر ان كل واحد منكم يصيح ويقع تحت درقته ويسترها مهجته ويلم ركبته إلى عند رقبته فلعل إذا روأوامنا ذلك أن يقلوا عنكم ذلك البلاء ويظنوكم قتلى وأما أنا الساعه أطلع اليهم وأتسلق مثل الثعالب واختلط بهم وأبصر ايش أعمل وادبر قبل الصباح ان شاء الله تعالى (قال الراوى) فلما سمعت الاميره كلام مذبحون علمت ان مافى الامر غير هذا فأعلمت أصحابها بما يصنعون وأمرتهم بما قال مذبحون فكان الواحد يلتقى الحجر بدرقته ويصيح ويقع ولا يرجع يتور بعدها وعقبه (ياساده) يضحك ويقول وحق المسيح لقد عملت على قتلهم لانها قتلة ميشومه وقد انطلى عليه وما كنت أريد موتهم هكذا الا بعدما أصلبهم وأعاتبهم ولكن جاء الامر بخلاف

رحمهم المسيح (قال الراوى) ولم تسكن الاساعه حتى هدى حس الجماعة ومابقى فيهم من ينطق وقد تيقن عقبة انهم قد هلكوا فقال آه كان فى خاطرى وأشتهى حتى يعلموا انني أنا الذى دبرت عليهم هذا التدبير وبعد هذا غدا أصلبهم على القلعه وانكانت هذه العجوز السوء بالحياة فانها مثل القطط بسبعة أرواح وأقول لها أين الذى ذكرتى وولدك والبطال من صلبي ثم تقدم إلى الملك وقال أيها الملك بلغنا الساعه المقصود وهلكوا أعدائنا مثل هلاك عاد وثمود وان كان قد بقى منهم رمق فغدا نصلبهم وعلى أبراج القلعة نعلقهم قبال أصحابهم ثم ان الملك أمر أصحابه ان يقلوا عنهم رمى الاحجار وان يريحوا أرواحهم فسحوا أيديهم عن رمى الاحجار وريحوا أنفسهم من رمى الاحجار مادام المسلمين كذلك وقد هلك خمسة من السودان والباقى متوهنين من الاحجار إلا انهم سالمين من القتل ومافيهم الامن وقع فيه الحجر والحجرين وكذلك الاميره وقع فيها حجر وما بالت منه (قال الراوى) هذا جرى وأما الملك طرطوش فانه عاد إلى داره وعقبه معه وهو فرحان بما عمل وأكثر فرحه بأخذ البطال وولده الحصين وانه قال ان هذا الشيطان وولده أشد علينا من كل انسان وأريد ان أعذبهما وبعد ذلك نحتفظ بهما بعد الاستيفاء نرى لهما فما خلصت من هذه النوبة حتى خدعت أصحابهم وخلصنى المسيح وما فعلت هذا كله يامسيح إلا من أجلى وأريد أشتفى من ضربهم وأبلغ الآمال من عذاب البطال وولده الحصين فقال الملك وقد سمع المقال افعل ياشيخ ماتريد من الفعال ثم إنه قال للبطارقة احضروا إلى البطال وولده فأحضروهم إلى بين يديه فلما رآهم عقبة ضحك وقال وقعتما ياملاعين فى الانحصار وكنتما أيشم الأطيار ولكن صار لكم علينا تار وحق لانكما صرتما رهبان دير القدرة فلا بد من هلاككما الليلة فى كره وأتركها عليكم ليلة مرة فقال البطال ويلك لاكتب الله عليك سلامة كيف خلصت من السودان فقال له عقبه خلصت بحيلة لايهتدى اليها الجان لأنى ألقيت روحى إلى الأرض وتماوتت وأرادت العلويه إنها تقطع يدى فأتت أختى عاقبة وخلصتنى وقتلت أنا السودان وقمت ذلك الوقت إلى النسوان وتركتهم رؤس بلا أبدان وشوهت بأم الأبكار وتركتها عبرة للنظار وحدثه بما عمل ووصلت رأيت ذات الهمة ومعها السودان وهم فى زى الرهبان ففعلنا بهم ما رأيت من الهوان وأول مارأيت ذات الهمة وقعت إلى الأرض والصخرة فوقها قامة مثل قامة الإنسان وما بقى الليلة فى قلبى حسرة إلا بمقدار ماتلحق أنت بهم وهذا ولدك الابن ألف قرنان حتى أحرم أحداً منكم يدخل فى زى الرهبان ثم إن الملعون مد البطال وضربه وفعل بالحصين كذلك وقال للملك أبصر الساعة إلى من أسلمهم اليه وانظر من يحفظهم وإلا خلصا فقال الملك وقد عجب من هذه القصة ابشر أيها الشيخ النجيح فما لهم خلاص من

قلعتى ولو كانوا مطلوقين لأن المكان كما ترى حصين ثم صاح ببعض حجابه وقال له ياقلنباص تسلم هؤلاء فأجابه بطريق أشقر معطر مشعر نازل على أقدامه والنار تخرج من عينيه فقال يامولاى السمع والطاعة أين تشتهى أتركهما فقال فى مطمورة وخذ معك عشرة وتوكل بهما وإياك أن تتم عليك حيلة من هذا الشيطان فيأخذ رأسك من بين أكتافك لأننا جرى علينا الأهوال من عيارة البطال وقد سمعنا من هذا الشيخ عنه أشياء لايصفها لسان وهذا يدل على أنه شيطان فقال قلنباص طيب قلبك أيها الملك السعيد من هذا الوجه فبعد ما أستلمه أنا ما بقى يرى فرجا أبدا ثم ساقه بين يديه وهو فى تلك الحالة وساق ولده معه وهو فى شدة الضرب وقد أشرف على شرب كاس المنية وأخذ معه عشرة من بطارقة الملك وسار إلى المطمورة التى ذكرها الملك فأنزلهم فيها وفرح عقبة بذلك وبات قرير العين وهو يقول وحق المسيح مادام قد توكل بهما البطريق قلنباص لارجع أحدا منهما رأى بعينه الخلاص ولا كان له من هذه القلعة مناص ليوم العرض والقصاص (ياسادة ياكرام) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره الوضاح قال عقبة أيها الملك أنفذ الساعة بعض البطارقة ويكون معه رجال أنجاب حتى يأتون بالمسلمين من خلف الباب ولا تنفذ إلا رجال أنجاب لا يكون بعض المسلمين فيه رمتى فيكون الذى مضى اليهم غير موفق فضحك الملك من كلام عقبة وقال له ياأبونا إن فى قلبك من هؤلاء المسلمين فزع عظيم ووحق المسيح لو أنهم بعد مادخلوا ماقدروا يسلموا ولا يسلوا فى وجوه بطارقتى سيف خصوصا بطارقة هذه القلعة ولو كانوا معنا ليلة الكبسة ولأجل هذا تم علينا ماتم وبعد ذلك ما أرسل اليهم إلا أفرس بطريق عندى حتى أريك بعينك زى بطارقتى وجندى وتعلم أنى ما انكسرت الا لكونهم كانوا كلهم فى القلعة وما كان معى أحداً من الرجال الأجواد فقال عقبة أيها الملك افعل ما بدالك ولا تحمل همهم فانك مالك بهم معرفة فعندها ادعى الملك ببطريق كأنه الفتيق يقال له كركيوس وكان فى قدر الجاموس وله وجه عبوس وشعر نازل على أكتافه مثل العروس وكان أحظى من عنده فقال له يا كركيوس امضى أنت وخمسين بطريق وأمر البوابين بأن يفتحوا الباب ويشيلوا المشط الحديد واخرج وأتينى بالمسلمين ولا تأتينى إلا بمن فيه روح حتى يبلغ هذا الشيخ غرضه منهم لأنه هو الذى كان السبب فى اعلامنا بهذه القصة ولولاه ما كنا قبضنا عليهم ولكن ما يجب علينا مخالفته لأنه آية المسيح وحجته وقد أتحفنى بابنته وسألنى أن أقضى شهوته فقال كركيوس وحق المسيح لاأمضين إلا وحدى بغير سلاح ولا حسام ولو ان الكل فى الحياة قيام على الاقدام لأنى أقول ماهم أقوى من السباع الذى طول عمرى أصطادها بيدى وأفك افكاكها بكفى وسوف ترى الكل

قدامك بدرقهم والسيوف ولو تطلب السودان الذين بين الأصوار فصاح عقبة مثل الحمار ويلك لا تفعل يا كركيوس وتطلق علينا هؤلاء السودان يصبحونا صباح منحوس وتعود أنت بلا راس ولا فرطوس ويبقى كل من فى القلعة أبدان بلا رؤس ويقتلوا كل الرهبان والقسوس ويحل علينا منهم العكوس فقال البطريق وقد داخله الغضب وحق الصليب والناقوس ما أنت إلا شيخ معكوس عليك أنت بقراءة الإنجيل والدروس واترك الفضول فى القيام والجلوس فعند ذلك وثب عقبة إلى الملك وقبل يده وقال له بحق المسيح لا تترك هذا البطريق على رأيه لأنه رجل جاهل بالأمور وأنفد معه من يعينه حتى نأمن غوائل الدهر فقبل الملك هذا المقام وجهز معه خمسين بطريق من خيار الأبطال وخرج معهم كركيوس وهو يقول هذا الشيخ قد خرف وشقت رأسه ولولا هيبة الملك للطمته طيرت رأسه لأنى أرى وجهه علينا ميشوم وقدومه إلى بلادنا أنحس قدوم (قال الراوى) وسارت البطارقة وهى متلاحقة ووقع النفير فى القلعة من كل جانب وجردت الروم القواضب ولما وصلوا إلى الصور أمر البوابين بشيل المشط الحديد وتصايحوا وهجموا فى الباب وازدحموا وما هم إلا أن دنوا من السودان حتى تواثبوا من تحت الدرق وما منهم إلا من وثب وعزمهم أقوى من الأسد وكل منهم زعق وهز صارمه فلمع وبرق وصاحت الأميرة يا أبو سكران وقد تار مثل الأسد الغضبان فنادت دونك وهؤلاء الكلاب فهذا خلاص ما كان لنا فى حساب ونظرت الروم إلى ذلك فجردت السيوف الحداد وحملت تطلب الجلاد فصاح البطريق المقدم على أصحابه وقال ياويلكم ما كذب الشيخ وحق المسيح فى مقاله فما فيكم من يقصر فى قتاله وإلا أرملت عياله وتقطعت أوصاله (قال الراوى) ونظرت الأميرة إلى هذا البطريق فعلمت أنه هو المقدم عليهم فجعلت تطلبه بعزيمتها وهى تفرق البطارقة بقوة صدمتها هذا والصياح قد تار وسطح الصارم قد برق ولمع والقلب قد طار من الفزع وشدة الجزع وأهل القلعة يروا ذلك من فوق الأصوار ولا يقدروا على رمى الأحجار خوفا على أصحابهم لا يموتوا لأن الجمع قد اختلط وكان فى اجتماع أهل القلعة عقبة هو وبطريق يقال له صندروس وكان من مناجيس الروم وقد أتى بين البابين فنظر إلى السودان وهم يتورون من تحت الأحجار وقد علاهم القتام والغبار وهم بتلك الأصوات الموعرة ويضربون فى البطارقة ضربات منكره حتى صاروا فى وسط الحصين فعند ذلك جعل ينادى ويلكم يا معشر النصرانية دونكم والباب فقد عاشوا المسلمين وقاموا من تحت التراب وكانوا الروم كلما رأوا ذلك تكالبوا وتسابقوا إلى الدخول والسودان يضربون فيهم ضرب الفحول ويمددوهم مرضا وطول هذا والأميرة مالها قصد إلا البطريق المقدم على الجميع وقد نشرت بحسامها الجماجم

قلعتى ولو كانوا مطلوقين لأن المكان كما ترى حصين ثم صاح ببعض حجابه وقال له ياقلنباص تسلم هؤلاء فأجابه بطريق أشقر معطر مشعر نازل على أقدامه والنار تخرج من عينيه فقال يامولاى السمع والطاعة أين تشتهى أتركهما فقال فى مطمورة وخذ معك عشرة وتوكل بهما وإياك أن تتم عليك حيلة من هذا الشيطان فيأخذ رأسك من بين أكتافك لأننا جرى علينا الأهوال من عيارة البطال وقد سمعنا من هذا الشيخ عنه أشياء لايصفها لسان وهذا يدل على أنه شيطان فقال قلنباص طيب قلبك أيها الملك السعيد من هذا الوجه فبعد ما أستلمه أنا مابقى يرى فرجا أبدا ثم ساقه بين يديه وهو فى تلك الحالة وساق ولده معه وهو فى شدة الضرب وقد أشرف على شرب كاس المنية وأخذ معه عشرة من بطارقة الملك وسار إلى المطمورة التى ذكرها الملك فأنزلهم فيها وفرح عقبة بذلك وبات قرير العين وهو يقول وحق المسيح مادام قد توكل بهما البطريق قلنباص لارجع أحدا منهما رأى بعينه الخلاص ولا كان له من هذه القلعة مناص ليوم العرض والقصاص (ياسادة ياكرام) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره الوضاح قال عقبة أيها الملك أنفذ الساعة بعض البطارقة ويكون معه رجال أنجاب حتى يأتون بالمسلمين من خلف الباب ولا تنفذ إلا رجال أنجاب لا يكون بعض المسلمين فيه رمتى فيكون الذى مضى اليهم غير موفق فضحك الملك من كلام عقبة وقال له ياأبونا إن فى قلبك من هؤلاء المسلمين فزع عظيم ووحق المسيح لو أنهم بعد مادخلوا ماقدروا يسلموا ولايسلوا فى وجوه بطارقتى سيف خصوصا بطارقة هذه القلعة ولو كانوا معنا ليلة الكبسة ولأجل هذا تم علينا ماتم وبعد ذلك ما أرسل اليهم إلا أفرس بطريق عندى حتى أريك بعينك زى بطارقتى وجندى وتعلم أنى ما انكسرت الا لكونهم كانوا كلهم فى القلعة وما كان معى أحداً من الرجال الأجواد فقال عقبة أيها الملك افعل ما بدالك ولا تحمل همهم فانك مالك بهم معرفة فعندها ادعى الملك ببطريق كأنه الفتيق يقال له كركيوس وكان فى قدر الجاموس وله وجه عبوس وشعر نازل على أكتافه مثل العروس وكان أحظى من عنده فقال له ياكركيوس امضى أنت وخمسين بطريق وأمر البوابين بأن يفتحوا الباب ويشيلوا المشط الحديد واخرج وأتينى بالمسلمين ولا تأتينى إلا بمن فيه روح حتى يبلغ هذا الشيخ غرضه منهم لأنه هو الذى كان السبب فى اعلامنا بهذه القصة ولولاه ماكنا قبضنا عليهم ولكن ما يجب علينا مخالفته لأنه آية المسيح وحجته وقد أتحفنى بابنته وسألنى أن أقضى شهوته فقال كركيوس وحق المسيح لاأمضين إلا وحدى بغير سلاح ولا حسام ولو ان الكل فى الحياة قيام على الاقدام لأننى أقول ماهم أقوى من السباع الذى طول عمرى أصطادها بيدى وأفك افكاكها بكفى وسوف ترى الكل

قدامك بدرقهم والسيوف ولو تطلب السودان الذين بين الأصوار فصاح عقبة مثل الحمار ويلك لا تفعل يا كركيوس وتطلق علينا هؤلاء السودان يصبحونا صباح منحوس وتعود أنت بلا راس ولا فرطوس ويبقى كل من فى القلعة أبدان بلا رؤس ويقتلوا كل الرهبان والقسوس ويحل علينا منهم العكوس فقال البطريق وقد داخله الغضب وحق الصليب والناقوس ما أنت إلا شيخ معكوس عليك أنت بقراءة الإنجيل والدروس واترك الفضول فى القيام والجلوس فعند ذلك وثب عقبة إلى الملك وقبل يده وقال له بحق المسيح لا تترك هذا البطريق على رأيه لأنه رجل جاهل بالأمور وأنفذ معه من يعينه حتى نأمن غوائل الدهر فقبل الملك هذا المقام وجهز معه خمسين بطريق من خيار الأبطال وخرج معهم كركيوس وهو يقول هذا الشيخ قد خرف وشقت رأسه ولولا هيبة الملك للطمته طيرت رأسه لأنى أرى وجهه علينا ميشوم وقدومه إلى بلادنا أنحس قدوم (قال الراوى) وسارت البطارقة وهى متلاحقة ووقع النفير فى القلعة من كل جانب وجردت الروم القواضب ولما وصلوا إلى الصور أمر البوابين بشيل المشط الحديد وتصايحوا وهجموا فى الباب وازدحموا وما هم إلا أن دنوا من السودان حتى تواثبوا من تحت الدرق وما منهم إلا من وثب وعزمهم أقوى من الأسد وكل منهم زعق وهز صارمه فلمع وبرق وصاحت الأميرة يا أبو سكران وقد تار مثل الأسد الغضبان فنادت دونك وهؤلاء الكلاب فهذا خلاص ما كان لنا فى حساب ونظرت الروم إلى ذلك فجردت السيوف الحداد وحملت تطلب الجلاد فصاح البطريق المقدم على أصحابه وقال ياويلكم ما كذب الشيخ وحق المسيح فى مقاله فما فيكم من يقصر فى قتاله وإلا أرملت عياله وتقطعت أوصاله (قال الراوى) ونظرت الأميرة إلى هذا البطريق فعلمت أنه هو المقدم عليهم فجعلت تطلبه بعزيمتها وهى تفرق البطارقة بقوة صدمتها هذا والصياح قد تار وسطح الصارم قد برق ولمع والقلب قد طار من الفزع وشدة الجزع وأهل القلعة يروا ذلك من فوق الأصوار ولا يقدروا على رمى الأحجار خوفا على أصحابهم لا يموتوا لأن الجمع قد اختلط وكان فى اجتماع أهل القلعة عقبة هو وبطريق يقال له صندروس وكان من مناجيس الروم وقد أتى بين البابين فنظر إلى السودان وهم يتورون من تحت الأحجار وقد علاهم القتام والغبار وهم بتلك الأصوات الموعرة ويضربون فى البطارقة ضربات منكره حتى صاروا فى وسط الحصين فعند ذلك جعل ينادى ويلكم يامعشر النصرانية دونكم والباب فقد عاشوا المسلمين وقاموا من تحت التراب وكانوا الروم كلما رأوا ذلك تكالبوا وتسابقوا إلى الدخول والسودان يضربون فيهم ضرب الفحول ويمددوهم عرضا وطول هذا والأميرة مالها قصد إلا البطريق المقدم على الجميع وقد نثرت بحسامها الجماجم

والقمم حتى صارت معه وهاجمته فرأته شيطان مريد وجبار عنيد فثبتت قلبها وذكرت ربها وصاحت فيه فاندعر وضربته وإذا برأسه انتثر ولما وقع البطريق وقع الفناء فى عبدة الصلبان (قال) وقد سمع عقبة شدة الصياح والضجيج فقال للملك قم أيها الملك الساعة واركب فى جميع الفرسان وإلا ملك منك المكان فضحك الملك من كلام عقبة وقال له وحق المسيح كلما كبر الإنسان تشوش عقله وتغير هندامه ياشيخ دع عنك هذا المقال فهذه الضجة على من يفنى من تلك السودان وكركيوس قد ساقهم بلا شك بين يديه وهذه الضجة عليه فهو معه فى الكلام والبطريق صندروس قد وصل ونادى أيها الملك قم من مكانك اركب أنت وفرسانك وإلا الساعة يخرج مخك من أذانك فقال له الملك وقد انقلبت عيناه فى أم رأسه ويلك ما الخبر ياملعون وايش هذا الكلام الذى ماتتكلم به إلا كل مجنون فقال أيها الملك السودان قد عاشوا بعد ماعملنا بهم البارحة تلك الفعال فبادر إليهم قبل أن يخرجوا من الباب ويقطعون الرقاب فقال الملك وأين البطريق كركيوس فقال طارت رأسه مع جملة الرؤس فقام الملك وهو فزعان وصاح فى غلمانه وطلب الصياح وأقبل عقبة ينادى بين يديه يامعاشر النصرانية قوموا للجهاد وقاتلوا عن الحريم والأولاد (قال الراوى) وما وصل الملك إلى المسلمين إلا وقد ملكوا باب القلعة وأهلكوا المشركين وما قتل منهم إلا القليل وسمع الأميرة تنادى فى السودان إن ملكتم الباب فانصحوا فى القتال واقصدوا موضع الأبراج وقد بلغنا الآمال ونرفع أصحابنا بالحبال وكلما سمعوا السودان ذلك الكلام دعسوا فى الأبطال وحملت الرجال على الرجال ونظر الملك الاهوال وصدق عقبة فى المقال وقال لقد كان الرأى مع الشيخ النجيح ولو كنا قبلناه وفتحنا الباب والآن فقد قتل كركيوس الذى كان سيفى القاطع فقال عقبة احمل بمن معك فى هذه الساعة إن كنت إلى قلعتك محتاج فصاح عندها الملك فى رجاله. وقد اغتم على قتل البطريق فتلقتهم الأميرة بقلب ملآن تقوى وإيمان وأشعلت النار الحرب وقتل من السودان ستة أنفار وانتصف النهار وقتل من المشركين ثلاثين بطريق ونادوا بالانفصال وملكت الأميرة برج من الابراج الذى للصور الجوانى ونادت دونكم وهذا الباب أكسروه فكبرت الاميرة ذات الهمة ودخلت ومعها السودان وصاروا فى أعلاه ونصروا إلى ظاهر القلعة فنظروا اعسكر المسلمين حيارى قيام (قال الراوى) فعند ذلك لما سمعوا الاميره تكبر كبروا السودان كذلك فقال الامير ظالم أصحابنا سالمين بحمدالله فعندها رفعوا أصواتهم بأمر الأمير ظالم بالتكبير والصلاة على البشير النذير لتقوى بذلك قلوب أصحابهم فعندها كبرت بنى كلاب باسم الكريم الوهاب (قال الراوى) وكان الامير ظالم قد نظر ذلك اليوم عقبة على الصور وهو يصيح فى الروم ويحرضهم على القتال فقال للسودان الذى أتوه واخبروه انه مات أنتم تقولون رأيتموه فى

حالة الأموات فقالوا والله أيها الأمير ماتركناه إلامثل الخشبة اليابسة وماندرى كيف رجع عاش فقال ومن خلفتم عنده فقالوا خمسة من أصحابنا وبنت طوق وأم الشريف بكار ثم اضاف لهم جماعة من بنى كلاب وانفـــذه يكشف له الاخبار ويأتى بالخيام الأولى التى دخلت معهم إلى هذه الديار (قال الراوى) هذا والملك قدبات فى غاية الادبار مما جرى على أصحابه من المسلمين الابرار وعقبه يقول يامولاى قد عرفتك من الأول ان هؤلاء القوم هم أشر الخليقـة وأنت ماتسمع منى وما كنت أريد انكم تفتحون الباب والعجلة منكم كانت والالو بقيوا هؤلاء بين الصورين يومين أخر كانوا أذل وأحقر وكان الجوع قد اضعف منهم الأبدان والسمع والبصر وكنت أنت قد بلغت منهم مايسرك فقال الملك ياشيخ دعنا من هذا فوحق المسيح ما كانت طلعتك علينا إلا ميشومه ولاوصلت الينا الافى ساعة مذمومة ولولاك ماقتلت ابطالنا وقد اشرفنا الآن على الاخذ وأخذ قلعتنا وسبى حريمنا فقال عقبه لاتفعل أيها الملك فهذا كله بقضاء السيد المسيح وقدرته وان الخلاف شوم نخلى عنك هذا الكلام وارجع الى ماأقول ففيه صلاح مهجتك فقال الملك وكيف ذلك وقد ملكوا علينا باب البرج وشاركونا فى القلعه وهذا من حسن سعادتهم وعجيب الانفاق وكان الأمر علينا قد اقترب وانما لما يريد المسيح من سعادتهم وقعوا فى برج السلامه (قال الراوى) وكان لهذا الملعون فى القلعه على الباب برجان برج يقال برج السلامه وبرج يقال له برج الهلاك والعطب وهـذه القلعه كان قـد اصطنعها حـــكيم يقال له اقليدس المهندس احترازا على ذلك المكان من الاعداء وكانت الحكمة له فى برج اللوالب وهـو برج العطب لأنه ترك فى وسـطة جبال من الأحجـار وعمـل فى اعـلاه رخامة من المرمر الصـافى تخينـة الوسط خفيفة الأطراف وثيقـه وبوسطهـا سهمـا من الحـديد يدور لوالبهـا وركبها من أعـلا البرج بتركيب اعتدال وكان كل من يراها يظنها مثل سائر الأبراج وإذا طرح عليها شىء من الثقل ولو رطل واحـد لاتقر حتى تنقلب ويصير فوقها تحتها وتعود إلى مكانها وهى بهندام دقيق رقيق قد صنعت فى ساعة توفيق وكانوا أهل هذه القلعة إذا نزل عليهم عدو وجرى مثل ماجرى عليهم من المسلمين لزموا الحصار فى برج السلامة وتركوا ذلك البرج خاليا من الرجال حتى يقع العدو ويطلب أن يملكه فيهلك بحكمته وان الحـكيم الذى صنعه هو الذى صنع دير الزيت وتركه بعدة مكامن الرهبان (قال الراوى) وعدنا إلى سياقة الحديث وان المسلمين لما يريده الله من سلامتهم وسعادتهم طلعوا فى برج السلامة من غير معرفة ورأى الملك ذلك فتعجب وحدث عقبة بصفة الأبراج وقال الساعة قد شاركونا فى قلعتنا وأنا أعلم أنهم يأخذون من من عند أصحابهم مايشتهون من الطعام والشراب وربما رفعوا منهم قوماً آخرين يعاونونهم

على الطعان والضراب ونهلك نحن ويحل بنا العذاب والساعة ياشيخ أسألك عن المسلمين كلهم هكذا مثل هؤلاء الأربعين وإلا ماهم مثلهم فقال له عقبة اللعين اعلم وتيقن أيها الملك إن المسلمين الموحدين ماهم مثل هؤلاء بل أيشم وأشر وأدهى وأمر وأقوى وأظلم ولا سيما ابن هذه العجوز الأسود الأدهم الذى يقال له عبدالوهاب أسود بنى كلاب لأنه قد أذل بفروسيته أهل الأرض وتركهم مثل الكلاب ومعه سودان وعربان لا يصلحون هؤلاء الذين تراهم أن يكونوا لهم غلمان فلما سمع الملك كلام عقبة اصفرلونه وقال له وحق المسيح هكذا ملك هذه الأرض وصاحبها الذى هذه القلعة من بعض سواد بلاده وما فى الارض أشد منه ومن أولاده وهو الملك الاكبر شمخولص وهو صاحب البحر الاخضر وجزيرة الحائط وحصن القمر الذى قد حضر السيد المسيح أرضه بنبات شجرة الكافور وملكه صاحب العنبر وفى أرضه دير النذور الذى يريد المسيح عيسى ابن مريم فيه الظهور ويعيد الخلق الى عبادته فقال عقبة وقد اندهل من تلك الصفات أيها الملك كل هذا الامر عجيب وأريد منك أن تبين لى هذا القول الذى تقوله وتعرفنى إيش يكون المعانى فى قولك دير النذور فقال له اعلم أن المسيح أوعدنا أنه ينزل إلى هذا الدير والروم كلهم قد عرفوا هذه الامور وهم الذين أخبرونى بذلك الكلام وهم له فى الانتظار والذى أخبرهم بهذا القس الكبير مرقولا ابن مرتقولا وأما ملكنا الملك الاكبر شمخولص فانه كان معولا على الغزو والخروج إلى بلاد الإسلام ونحن كلنا كنا له فى الانتظار حتى انه يأتى إلينا ويعبر ونمضى معه إلى الجهاد والساعة فما أدرى ماهو الذى عاقه وأقول ان القس مرقولا قد عوقه حتى لا يهلك الطائفة النصرانية إذا أنه أهلك الملة الحنيفية فقال له عقبة وقد أعجبه ذلك الكلام وفى كم يكون هذا الملك مقدار عدد عسكره فقال له ياشيخ اعلم أن عدد عسكره مايقع له حساب لان له اثنا عشر ولد وكل ولد منهم مقدم على ماتنان ألف وانه لوخرج بعض أولاده لاخذ القسطنطينية من أهلها وفتح الارض وسهلها وأعاليها وجبالها فقال عقبة الساعة يجب علينا ان نحن سلمنا من هذا قصدنا إلى هذا الملك وأخرجته وكل من معه وتفتح له البلاد وأنا أملكه رقاب العباد بعلمى وتدبيرى وحيلى ولكن أدبر قبل كل شىء فى أمر هؤلاء الشياطين وارسل إليهم النفاطين والنقابين حتى يقورون البرج ويضربون النار ولا يصبح منهم ديار فلما سمع الملك منه ذلك الكلام قال وحق المسيح ماأنت إلا صاحب تدبير وما أظن أن أحدا يهتدى إلى هذا ثم ان الملك ادعى بألف بطريق وفتح لهم خزائن النفط واخرج لهم كلما يحتاجون إليه وادعى بالنقابين وقال أريد الساعة تدخلون تحت برج السلامة وتنقبون من أسفله ثم تضربوه بقوارير النفط حتى تلتهب الاخشاب والعتاليق ويهلكون هؤلاء الشياطين المسلمين بالنار والحريق فقالوا السمع

والطاعة ثم أخذوا المناقب والمعاويل والنفط والنار ودنوا من البرج ونقبوا من كل جانب ومكان والمسلمين يهللون ويكبرون وللصباح ينتظرون وهم بالنقب لا يعلمون إلى نصف الليل وقد نقبت أربع جوانب البرج وبقى معلق على الخشب والحطب وأنقب البرج واستمرت النار من كل جانب ورأت الأميرة إلى ذلك فأيقنت بالمهالك وقالت للسودان ياويلكم خوضوا النار وقفوا على الأحجار فكل هذا من تدبير عقبة الغدار فعند ذلك فعلوا أصحابها ذلك وارموا أنفسهم إلى المهالك والصياح عليهم قد ارتفع والدخان قد اعتكر وطلع ولم تكن إلا ساعة حتى ردم البرج على النار وقد احترق تسعة من السودان وأخذوا منهم اثنى عشر أسير وسلمت الأميرة وطلعت إلى وسط الحصن فى ثمانية أبطال ولما رات الأميرة إلى البطارقة حملت عليهم هى وأصحابها وكلهم يصيحون يامعشر الروم مابقى غير هذه المرأة التى يقال لها ذات الهمة وهى التى قتلت البطريق كركيوس وضربته تلك الضربة فدونكم وإياها حتى اننا نسقيها كاس فناها ولما رأت الاميرة ماحل بأصحابها قاتلت قتال من أيقن أنه يصيبه مثل ذلك المصاب وصارت كل من هجم عليها تضربه وتكبر الملك الوهاب والشيوخ يتعجبون منها والشباب وسيفها كل ماوقع على عاتق طلع من العلائق وكلما وقع على صدر قطع إلى خرزة الظهر وان ضربت يمين طلع من اليسار والظلام يسترها والاعتكار حتى انكشف الرجال قدامها وتراجعت من مضارب حسامها ورأى الملك ذلك فقال لهم ويلكم ماحالكم هذا فزعكم من امرأة وقد قال الشيخ النجيح انها عجوز كبير ضعيفة فلو كانت صبيه كيف كان يكون حالكم معها فقال له صندروس البطريق انزل أنت أيها الملك إلى هذه المرأة حتى انها تو ديك المقبرة ولا تحوجك إلى مرهم ولا إلى مزوره لأن لها ضربات موفره وما تقتل إلا خمسة وعشرة عشرة (قال الراوى) فلما سمع الملك كلامه اسودت الدنيا فى عينيه وسل حسامه وعول على الحملة على الأميرة فقال له عقبة وحق المسيح هذا أنا ما أمكنك منه أبدا فالزم سلطتك واترك غلمانك يخرجون قدامك وتأن فى أمورك وإلا وحق المسيح إن برزت لها فهذه هى تكون آخر ساعتك فى الدنيا وأول ساعتك من الآخرة ولكن أهلكها كما هلكت أصحابها وأمر أصحابك أن يضربوها بقوارير النفط وقد هلكت هى ومن معها (ياسادة ياكرام) فسمع الملك مقاله ودعا بطريق من أصحابه وقال لهم خذوا قوارير النفط بأيديكم واضربوا بها وجوه المسلمين عسى تهلكوهم كما أهلكتم أصحابهم الأولين ففعلوا البطارقة ذلك وكان أول من تقدم بطريق يقال له تمليخا وكان صانعا فى رمى النار وهو عظيم الخلقة جبار وأخذ فى يده قارورة وقصد الأميرة وهو يقول للملك إن أحرقتها

ايش تعطيني فقال له أعطيك وزنها ذهبا ففرح البطريق بذلك فرحا شديدا وصاح بالأميرة ورفع يده بالقارورة حتى بان سواد ابطه وضرب بالحبل والقوة فلهبت فى الهوى ورأت الاميرة ذلك قفزت إليه أسرع من المنجنيق إذا دنى وأخذتها بكفها وقد صلت على محمد المصطفى وضربت البطريق بها فاشتعلت فى ذقنه مع وجهه وصدره ومات لوقته فقال الملك ماقصر تمليخا وحق المسيح فانه قد طمع فى أخذ المال والذهب فاحترق والتهب وما هذه المرأة فى هذا الزمان إلا أعجوبة من عجائب الزمان .

﴿ تم الجزء السادس والستون ويليه الجزء السابع والستون ﴾

سيرة
الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

علي بن موسى المقانبي وابن بكر المازني وصالح الجعفري ويزيد بن
عمار المزني وعبد الله بن وهب اليماني وعوف بن فهد
الفزاري وسعد بن مالك التيمي وأحمد الشمشاطي
وصابر المرعشي ونجد بن هشام العامري

الجزء السابع والستون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفي
بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال) وقد تقدم بطريق إلى أبو سكران وضربه بقاروره نخطفها قبل ان تصل اليه وضرب بها خصمه فعملت فى جانبه فاحترق بقارورته واحرقوا الثمانيه الذين مع الاميره ثمانية من البطارقة وعقبه يقول جودوا عليهم ياعباد المسيح ومن مات فأنا أقبله وأعطيه قصر فى الجنة واليه أنقله (ياساده) وبطل تلك الليلة ضرب البتار وكان ضرب القوم بالنفط والنار وكلما وصلت قاروره المجاهدين يردوها فى وجوه المشركين فتشعل فيهم والملك يرى هذا الأمر ومرارته تنفطر وبطارقته تحرق فقال الملك ياقوم كفوا عن هذا القتال فما أنتم فيهم رابحين لأن هؤلاء الشياطين خطافين فلاستر عليهم المسيح ولارضى عن الشيخ النجيح كما قد أتانا بمن ليس لنا بهم طاقه ثم أتى اليه وقال له ياشيخ انظر ان كان عندك رأى آخر غير هذا نملك به أعداك فياليت انك ماأتيت الينا ولارأيناك فقال عقبه هل تعرفون عندكم الاوهاق فقال نعم نعرفها ولكن فى الميدان فقال عقبه مابقيت تقدر عليهم الابهذا ولالهم غيرها ارموا الساعه عليهم مائه وهق وقد بجبتموهم بها سحبا وأخذتموهم غصبا فقال الملك افعلوا ما قال فعسى ان نخلص من هـــذا الوبال ثم فتح خزانة أخرى وفرق عليهم الاوهاق وكان الصباح قد بدا بالاشراق والمسلمين يكبرون الملك الخلاق ويصلون على صاحب البراق وقد زحفوا هؤلاء اليهم وصاروا يلقون الاوهاق عليهم والمجاهدين قد قطعوها بالسيوف ومزقوها وصاروا يضربون رؤسهم ويحلقوها والملك وعقبه يحرضان الرجال ويصيحان فى الابطال وقدضج كل

من فى الحصن من النسوان والشيوخ والشبان ودام الأمر كذلك حتى تضاحا النهار وملوا المسلمين عن المدافعه وقد وقع بهم الانبهار وقتل منهم اثنان بالسيوف والأحجار واثنين بالاوهاق وبقيت الأميره وأبو سكران ورجلان آخران من السودان وعلت عليهم الاصوات من كل جانب ومكان وقد أتتهم الأحجار من أكف النساء والغلمان ورأوا الهلاك والقتل عيان فقالت الأميره لهم وقد أشرفوا على التلاف وتلمت فى أيديهم الاسياف ياويلكم دونكم وهذا البرج العالى حتى نصل اليه ونأخذ الراحة قليل ونعود إلى الجهاد حتى نلقى ما لقيوا أصحابنا من الصوارم الحداد ولا يعاتبونا فى اللقاء بعدهم يوم المعاد (قال الراوى) فعاد أبو سكران والرجلين الباقين معهم والأميره تضرب بحسامها فى عبدة الصلبان حتى انهم تكشفوا من خلفهم ووقعت الرقة فيهم من شدة الفزع وقد عاينوا فى ذلك اليوم هول الهلع وبان للمسلمين طريق المطلع وما صدقوا ان يروا الطريق وقالوا انهم خلصوا من العطب وكان ذلك البرج برج اللولب فلما حصلوا فى أعلاه فقال الملك بلغنا الساعة المنا كانكم بهم وقد وقعوا فى البلاء فما تم الملك كلامه حتى سمعوا ضجة عظيمة والأمراء قد انقلبت بهم الرخامه وحصلوا تحتها علو عشرين قامة فهنالك ارتفعت الضجات وضربت البوقات وسمع الامير ظالم ذلك هو وبنى كلاب فقالوا أخذت الاميره أو قتلت ثم بكوا على الهالكين وقد وقع النوح فى جيش الموحدين وهم لا يقدرون على نفع ولا ضرر وفرح عقبه بذلك فرحا شديدا وقال فى نفسه لو ضرب الساعه الملك رقبتى ما باليت بعدما بلغت المنا ثم انه صعد مع الملك إلى أعلا البرج ووقفوا البطارقة بالسيوف البارقة وقال الملك شيلوا الرخامه وابصروا من بقى من هؤلاء الشياطين فى السلامه ففعلوا ذلك ونادوهم فجاوبتهم الاميره وابو سكران ورجل من السودان فقال الملك وحق المسيح هؤلاء شياطين ما يموتون ولا يحسر ملك الموت ان يقربهم والامن لى هذا التعب ووقع من هذا اللولب وبقى سالم من العطب فما هذا الامن غاية العجب ثم دلى لهم الحبال وقال اصعدوا ياشياطين والا لطمناكم بالحجارة اجمعين فطلع أبو سكران ورفيقه وقد أرموا العدد وطلعت الاميرة المجاهدة وكانوا كل من طلع كتفوه وإلى أصحابهم سلموه واللطم يأخذهم من النساء والرجال وهم صابرين وعقبه يقول أيها الملك نلت المنا بهذا الجهاد وقد بقى هذا العسكر الذى ظاهر البلد ما يسوى حبة ولابد ان يولوا منهزمين لانهم ما كانوا إلا بهؤلاء الاربعين فاصلبهم حتى تنقطع ظهور أصحابهم واخرج اليهم باهل القلعة فلا تبقى منهم باقيه فقال الملك دعنى أيها الشيخ النجيح حتى اتأنى فى امرى ويخف من هذا البلاء ظهرى وانظر كيف يكون حالى فقد هلكت أبطالى وبطارقتى ورجالى وما طلع الينا الا نفر يسير وخارج القلعة من هؤلاء الشياطين خلق كثير ولابد ما أبصر الاخير وانظر فى عاقبة الامر وكيف يكون الحال فى هذا العسكر

النازل علينا ثم قال للبطارقه امضوا بهؤلاء إلى المطموره التى فيها البطال وولده المحتال حتى اننا ننظر كيف يكون الحال فساقوا الغلمان الامراء إلى ذلك المكان وإذا به خالى مافيه انسان فبقيوا من ذلك حائرين وعادوا إلى الملك راجعين فقال ياويلكم ماجالكم فقالوا له قد هرب المسلم المسمى بالبطال وذبح تسع رجال فوقع بالملك الانذهال وقال ياويلكم ما كان موكل به عشرة من البطارقة مع البطريق قليناص قالوا أى وحق المسيح لوكانوا تسعين كان ذبحهم (قال) فسار الملك بنفسه حتى رأى القتلى ونظر بعينه إلى ذلك البلاء فقال وحق المسيح أن خلاص البطال من حاجبى قليناص ومع ذلك فما رأيته فى جملة القتلى ولا له خبر فى هذا الملا فقال له عقبة ما أخوفنى أنه حاجبك قليناص كان مذبحون ابن البطال الذى يتسلق إلى القلاع والحصون ولوانها فى علو ديار قارون فقال الملك دع عنك ياشيخ هذا الجنون فان قليناص حاجبى وعندى نشأ وربى ومابرح من قلعتى منذ كان صبيا وان كان قد قتله البطال وهرب فليس له نجاة من هذا المكان لا بحجة ولا بسبب من الاسباب لان الباب كما علمت مطبق والبرج الاسود مايقدر فيه يتسلق ثم قال للبطارقة ويلكم دوروا فى القلعة والبيوت لا يكون قد خامر على أحد ويخرج المكان من يدى فهنا لك داروا سائر الاماكن فما وقعوا للبطال على خبر ولا جلية أثر ولا رأواه ولا لولده الحصين خبر فكانت مرارة عقبة كادت تنفطر وقال أيها الملك أين الكنيسه التى فى هذا المكان ومن سكنها من القسوس والرهبان فقال الملك الكنيسة هاهى قريب من دارى وفيها أبونا الكبير فيرقون وهو فيها من أيام أجدادى وقد ربانى وربا أولادى ومن حين دخل الى الكنيسة ماخرج منها فما الذى تسأل عنه فقال انى أخاف ان يكون البطال هو فيرقون كما كان خادوعس وقد أقام فى الكنيسة حتى يجد فرصة للخلاص فقال الملك هذا شيء مابقى يتم علينا ونحن نعرف هذا الراهب كما يعرف الوالد ولده وكل يوم أحد تنزل اليه ونعود نغلق الباب ولا نفتحه إلا يوم الأحد الثانى وهذا دير الزيت الذى هو فيه فى بيت مايراه انس ولا جان الا المسيح فى عهده ولا خرج من تعبده ولا يراه فى غير ليلة الأحد الامن قد اتى يزوره اويكون له حاجة اليه واليوم عند السحر نزلت اختى الى عنده تفسر اليه منام ولاشك انها الآن فى الكنيسة تتقرب الى المسيح

(قال الراوى) ياساده وكان لهذا الملك أخت يقال لها مرحومه وكانت احسن أهل زمانها واكثر البنات وفاء واتمهن عقلا وحياء وكانت قد نزلت فى ذلك اليوم الى البيعه كما ذكرنا وسوف نذكر ما جرى لها فى موضعه لأن عقبه لما سمع بصفة هذا الرجل الراهب فيرقون نفر منه قلبه وخاف ان يكون هو البطال وقد دخل فى قالبه فقال أيها الملك سر بنا الى هذه الكنيسة عسى نرى عند هذا الرهب خبر او نقطع للبطال على أثر فسار الملك فى خواصه وعقبه.

الى جانبة حتى وصلوا الى البيعة المقدم ذكرها ودخلوا وقد رأوها مفتوحة فقال الملك اختى فتحتها ولما ان حصلوا فى وسطها واذاهم بالخدم وكانوا اثنين برسم خدمتها فلما رأيا الملك تقدما اليه وقبلا يديه وسألاه عن حاله فقال ابن ابو نا الكبير فيرقون فقال فى بيت المذبح مع مرحوما يقربها ويستغفر لها فقال الملك قولا له ان الشيخ النجيح قدما الى زيارته فغابا ساعة وعادوا ومعهما فيرقون واذا به مجدر محدوب الظهر من طول السنين مرتعش اليدين وهو يتلو الانجيل بطريقة حزينه بخشوع تدخل حلاوتها فى الاحشاء والضلوع الا انه لسانه غريب معجم السنه الروم لايعرفه الا من كان يعرف افنان العلوم فتناثرت من اجفان الملك الدموع وطار قلب عقبه من الخشوع وتقدم الى الراهب وقبل يديه وصافحه وتراماعليه فقال الملك يا أبونا هذا الشيخ النجيح عقبة المجاهد فى بلاد المسلمين وقد أتانا زائر فى هذا العام ومعه عصابة من أهل دين الاسلام وجرى لنا معهم عجائب تسطر بالاقلام لأن أصحابهم لحقوهم وقد أرادوا خلاصهم واحتالوا علينا ودخلوا فى زى الرهبان الينا ومابقى الا أن يأخذوا المكان من أيدينا حتى نظر الشيخ الينا ولحقتنا بركاته فظفرنا بهم لأن المسيح ماضيع عهدك ولاخلف وعدك وأنت قلت لناهذا المكان محفوظ مادمت أنت معتكف على عبادتك وكذا كان والساعة فقدنا عيارهم المسمى بالبطال وهذا كان فى حبسنا تخلص من الاعتقال وان هذا الشيخ قال ندور عليه لايكون فى الكنيسة وقد أتينا اليك فى ذلك فقال الراهب وقد تبسم هذا شىء مالنا به خبره ولوكان اللص الذى وقع فى ايديكم تركتوه هاهنا ماكان وجد إلى الخلاص من سبيل ولو كان مطلوق ان كان القوم الذين على الصور آدميين فضحك الملك وقال يا أبونا ان القوم الذين تراهم على الصور كلهم آدميين الاأنهم كان فيهم قوم سود مثل الشياطين وقداخذنا منهم جماعة بعدماقتلوا نصف أهل قلعتى وأرادوا أن يسلبون نعمتى ولابد مما أنفذلك منهم قربان لأنك أنت مارأيت عمرك قطمسلم فى طول الزمان ثم عول على الخروج فقال عقبه أيها الملك اريد الليلة اقيم فى هذا المكان عند هذا الراهب حتى اشبع من نظره ومن حديثه واسمع حسن تلاوته وتعم على بركته واكون آمنا على نفسى من البطال شيطان المسلمين فانه ماخلص من القلعه إلا بسبب عجيب واخاف أن يكون ذلك فى القلعة فيأخذنى اينما كنت لأنه ماله غرض إلا أنا واذا كنت فى هذا المكان كنت آمنا على روحى ثم تشملنى بركة الراهب فيرقون وماأريد منك إلاأن تنفذلى الاسارى مع جماعة من بطارقتك حتى نضرب لهم هاهنا أوتاد ثم بعدذلك نعذبهم عذاب قوم عاد ونبيت أناوأنت فى جهاد (قال الراوى) وقدخرجت مرحوما أخت الملك من بيت المذبح وعليها ثوب أسود وقدظهرت فى وجهها خوف وانكسار وهى كالبدر فى غياهب الاعتكار فقبلت صدر أخيها الملك وجلست بين يديه وبكت فقال لها

ماحالك ياأختاه فى المنام الذى رأيتيه وماتفسيره الذى أخبرك به الراهب أبونا فقالت انى رأيت كان بيدى معول وأنا اخرب به حيطان تلك الكنيسة فانتبهت مرعوبة واتيت الى ابونا فيرقون وروحى مكروبة وفسرته عليه فقال لى ان قلبكى قد تشوش على الدين لاجل مارأيتى من فعال هؤلاء المسلمين فأقيمى هاهنا عشر أيام واخلصى فى العبادة فى الضياء والظلام لعل المسيح يغفر لك الذنوب والآثام فقال الملك اذا كان الامر على هذا الحال فأنا انفذ اليكم المأسورين حتى تبيتوا انتم ومن عندكم عباد ومجاهدين ولعل المسيح ببركة ابونا فيرقون والشيخ النجيح يغفر لك كل ذنب ثم خرج الملك من البيعة وأنفذهم السودان والاميره ذات الهمه وابو سكران مع عشرين من عبدة الصلبان وما وصلوا إلى الكنيسة حتى أشرفوا على الهلاك والوبال من ضرب الحجارة من النساء والرجال ولما أن دخلوا وغلقوا الباب تقدم إليهم الراهب فيرقون يتصفح فى وجوههم ويضحك عليهم وجعل يلطمهم وهو يقول لعقبة سبحان الملك الخالق الذى فرق بين أهل السعادة والشقاوة وخالف بين صورهم فى دار الدنيا هذه وحق المسيح صور المجرمين ووجوه أهل العذاب الوبيل الذى وصفهم لنا ابن مريم فى الانجيل فصاحت الأميرة ذات الهمة من عظم ماحل بها ولم ذلك يا كلب الرهبان ويامن خلقه الله فى صورة شيطان انكانوا هم سود الألوان فلهم فعال بيض ترضى الرحمن والله عليهم خلع الرضى والغفران وإذا كان يوم الميعاد تبدل هذه الألوان وتنال السؤال والآمال والعفو من النيران وتتلقاهم الحور والولدان لأن الذى وعدنا بذلك صادق اللسان وما نطق به إلا خيرا وقد نطق به فى القرآن (ياسادة) ولما سمع منها الراهب فيرقون ذلك لم يتركها تتم كلامها بل مد يده إلى شعرها وقال للبطارقة اسحبوها معى إلى بيت المذبح حتى أتركها الليلة أول القربان وألطخ بدمها سائر الحيطان والصور والصلبان فقال عقبة لاتفعل ذلك ياأبونا فان الملك يعتب علينا لأنه يريد يلتقى المسلمين وما يدرى مايكون منهم ومنه وإلا هذا الأمر أكبر مرادى وأعظم حسرة فى فؤادى ولكن هذا يكون إذا تفرغ قلب الملك وأمنا نحن أيضا على أنفسنا لأن لهم رجل عيار مكار واسمه قد شاع فى سائر الأقطار وقد هرب وما ندرى ماكان منه ولا إلى أى مكان قد طلب فقال له الراهب فيرقون وقد خلى يده عن الأميرة وهذا العيار ماهو خلقته مثل خلقة هؤلاء الأشرار فقال عقبة نعم ولكنه لو أراد وحق المسيح ان يصير فى صورتك ويسمى نفسه باسمك لفعل ذلك وأنتم لاتعلمون فالمسيح يكفينا شره ويدفع عنا مكره ويصرف عنا وعن القلعة فى هذه الليلة عظيم أمره (قال الراوى) ولما سمع فيرقون هز رأسه وسكت ولما أمسى المساء أتاهم من عند الملك الطعام واللحم والخمر فأكلوا وشربوا وقد تركوا الأمراء حداهم فى جانب الكنيسة وعقبة يقول إذا سكرت وطاب عيشى أقوم أعذبهم وكان يقول عسى الليلة

أسكر الراهب القس والبطارقة واترك مرحوما لى ضجيعة ومعانقه فقد ملكت فؤادى بهذا الجمال وتركتنى بأسوإ حال ولولا حياى من الراهب لقلت له يتركها تسقينا

(قال الراوى) فهو يحسب هذا الحساب والجارية قد خرجت وشمرت ذيلها وألقته على كتفها وقد بان درج طى اعكانها وفى يدها قرابة وقدح وأنوار وجهها تتلعب فى صفاء الزجاج وهى مثل القمر الوهاج فى الليل الداج فلما صارت بين يدى عقبة قالت له خذ هذه القرابة أيها الشيخ النجيح واتركها لنفسك خاصة لأنها من شراب أبونا فيرقون يأتيه كل سنة هدية من قرتميلا ابن قرمولاقس صاحب دير النذور الذى يعصره من دير الهيكل القديم فلما سمع عقبة ذلك المقال من مرحوما قام إليها وأخذ القرابة من يدها وقبلها وقد تركها قدامه ثم قال لها يا بنيه لم لا يخرج أبونا الليلة يحضر معنا وتكونى انتى تسقينا حتى يقبلك المسيح ويرضى عنكى ياصاحبة الوجه المليح فضحكت الجارية وقالت ياأبونا الليلة خلوة أبونا فيرقون فى بيت المذبح ويريد يستغفر لى وهو الذى قال لى اخرجى إلى ضيفنا واخدميه حتى اتفرغ من خدمتى وخلوتى واخرج إليه واقضى باقى الليلة بين يديه بالمشاهدة وها أنا قائمة للخدمة فقال عقبة لا وحق المسيح ياملكة الا تقعدى وكونى لى منادمه فما يكون مثلنا قعود وانتى قائمة فقالت بلى ياشيخ حتى يرى المسيح ذلى وانكسارى فيسامحنى بذنبى ثم جعلت تسق البطارقة الخمرة وطاب عيش عقبة وقال يا بنية اسقينا كلنا من هذه القرابة التى اتحفنا بها أبونا الأكبر لان الهدية لمن حضر فقالت مرحوما السمع والطاعة وهذا وقتها حتى تدور البركة ببركة القربان فى سائر الابدان ثم أدارت عليهم دور ثانى فوقعوا القوم صرعى وما فيهم من يسمع ولا يرى وصار عقبة يشخر مثل الثور وكان قد انقلب من أول دور ونظروا المأسورين إلى ذلك فتعجبوا وقالوا سبحان من أخذ عقولهم حتى انقلبوا وإلا كان عقبة الليلة اشتفى منا

(قال الراوى) فهم فى الحديث والكلام وإذا بالراهب فيرقون قد خرج من المذبح وهو يتوكأ على بعض غلمانه وقد زاد ضعفه ورجفانه ولما رأى القوم على تلك الحالة شكر مرحوما بالرومية وصار يبربر وينظر إلى الاميرة ذات الهمة وهى تقول اللهم اعزنا من شر هذا الكافر الملعون المسمى بفيرقون وألق عليه ما ألقيت على هؤلاء من السكر وخلصنا من يديه ثم جعلت تنظر إليه وقد أتى نحوهم وغلمانه وقد أخذوا من السودان اثنين وادخلوهم إلى بيت المذبح وعادوا وخرجوا وفى أيديهم راسين تشخب بالدماء وألقياها بين أيديهم وقال الراهب خذوا اثنين أخر وافعلوا بهما مثل هذا الفعال واغتنموا الفرصة مادام الشيخ النجيح قد نام لانه لو كان يقظان ما كان مكنا من ذلك وإذا فرغتم من المسلمين وعتب عليكم الملك فأنا أدرى بماذا أجيبه

(قال الراوى) هذا والأميره ذات الهمه قد نظرت إلى ذلك فهالها فعاله وقالت ماأقسى قلب

هذا الملعون يهلكنا كلنا الساعة فليت عقبه لا كان نام ودع يعذبنا بما أراد ولا يقتلنا هذا الشيطان ثم صاحت ويلك ايش هذا الفعال أيها الشيخ الضال واصحابنا برا باب القلعه ومثلنا اضعاف وإذا سمعوا بقتلنا سقوا كل من ههنا كاس التلاف والملك ماهو راضي بهذا التدبير ولا بد ما يهلكوك غدا ولو كنت القس الكبير فلما ان سمع الراهب هذا الكلام بربر وصاح على الأميره بصوت منكر وسل في يده خنجر كانه صاعقه ودنى من الأميره وقد ايقنت بالهلاك فقطع بالخنجر كتافها وقبل رأسها وقد ازال لحيته وحواجبه وإذا به محمد البطال بشخصه وقالبه فلما رأته الأميره عاشت روحها بعد الممات ثم قالت ياأبو محمد سبحان من يقلب صورتك فى سائر الالوان ياأبو محمد كيف دبرت هذا التدبير ومتى نبتت لك هذه الذقن الكبيره ولما قتلت اصحابنا السودان واين اولادك فما أراهم معك فى هذا المكان فضحك البطال من كلامها وكشف وجوه خدام الكنيسة وإذا بهم الحصين ومذبحون وقال هؤلاء أولادى وقد بلغنى الله من خلاصكم مرادى وأما اصحابكم فهاهم سالمين وهم عند مرحوما جالسين وقد جرى لنا حديث يطرب السامعين فقالت وماهو ياأبو محمد (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك مذبحون ابن البطال لانه لما كان مع الاميره والسودان وقد وقعوا بين الصورين ورميت عليهم الاحجار من الابراج كما ذكرنا وقال لهم ارموا أرواحكم إلى الأرض والاقتلوكم بالحجاره وهاأنا صاعد اليهم وانظر كيف يكون التدبير قبل ان يصبح الصباح ثم انه أتى إلى مكان خالى وصعد من قرية خالية فى آخر الصور وتسلق منها إلى ان صار إلى اعلاه فرأى بطريق طالب الأصوار وهو سكران ويغنى بالروميه فعارضه مذبحون وقال له إلى أين ياأخى وأنت سكران وطالب الابراج والملك قد نهانا عن رمى الاحجار على المسلمين والسودان وقد أمر أن لا يطلع أحد اليهم الامن يكون من عنده خوفا ان لا يختلط بنا أحد من لصوص المسلمين وربما شالوا المشط وادخلوهم الينا (قال الراوى) ياساده وكان مذبحون قد قال ذلك المقال خوفا على اصحابه أن يكثر عليهم رمى الاحجار فقال البطريق سير انت فى طريقك فانا لا بد لى ان آخذ قسمى فى الجهاد واما قولك لا يطلع للصور الامن هو معروف فاناصهر الملك قليناص وحاجبه الخاص ولو انه قدامى ونهانى ماقبلت منه ولا عملت الاما اريد ثم انه انحرف بعد ذلك طالب البرج فقال له مذبحون ياأخى بحق المسيح خذ هذه الثلاثة احجار وارمى بها عنى حتى أكون شريكك فى الثواب لانى قد منعت من ذلك وما انا ممن يقدر يقاوم الملك ولا غلمانه فقال البطريق هات الاحجار فوحق المسيح لارميت الثلاث احجار إلا فى روس ثلاثة من المسلمين ثم تقدم اليه وهو يتمايل من السكر فاستقبله مذبحون وضربه بالخنجر فى وريديه وإذا به قد وقع بين يديه وخرجت روحه من بين جنبيه فقلعه مذبحون ثيابه ولبسها

و نشر شعره على اكتافه حتى يشابهه وكانت عوارض البطريق خفاف فنتف مذبحون عارضيه
وسار إلى دار الملك فرأى اباه قد قدموه إلى العقوبه هو واخوه الحصين وعقبة يعذبهما كما
ذكرنا حتى أراد حبسهما صاح الملك وهو سكران ياقليناص فعلم مذبحون انه يريد حاجبه الذى
قتله فاجابه فسلمه أخاه وأباه وأعطاه الملك البطارقه وامرهم أن يقبلوا قوله ولا يخالفوه وساروا
إلى أن وصلوا إلى المطموره وتركوا أبو محمد البطال فيها هو وولده وما مضى من الليل غير
ساعة حتى ناموا البطارقة فعند ذلك نزل مذبحون وخلص أباه وأخاه وأعلمهما بما فعل ولما
صعدوا من المطموره وضعوا فى البطارقه سكاكين الرحمة فذبحوهم التسعة وخرجوا إلى الغفر
ومذبحون يقول كيف تخرجون الساعة وأين تمضون والاصوار محتفظين بها وما فى الروم
الملاعين من نام وعلى اننا لو صعدنا إلى الابراج ونزلت أنا إلى برا بقيتم انتم هاهنا معطلين
فقال البطال صدقت ياولدى لأن مافينا من يقدر على ما تقدر أنت عليه وما أقول ان لنا الى
اصحابنا سبيل لاجل ما عند المشط من البطارقة ولو مضينا انكرونا ولكن أطلب أنت
الكنيسة التى فى هذه القلعه لعلنا نعبر ونختفى فيها إلى أن نبصر مايجرى على الاميره ذات الهمه
لانهم لابد لهم غدا يفتحون الباب ويرفعون المشط ويقبضوا من سلم منهم ونحن فما نبرح
من القلعه حتى نرى ما يقع ونعمل على خلاصهم ان قـــدرنا وإلا ساويناهم بارواحنا ثم
مضوا إلى الكنيسة الكبرى وكان البطال رآها لما دخل مع الحصين وتبركا براهبها فيرقون
ولما أن جاؤا وجدوا بابها مغلوق فبقيوا حائرين فقال مذبحون انا افتح لكم الباب ولكن اذا
دخلتم اين تفعلوا او كيف تعملون حتى انكم تقيمون فيها ولا يعلم بكم احد فقال له أبو محمد البطال
نقتل الراهب واصير أنا موضعه فقال مذبحون هذا هو الصواب ثم اتى إلى قرنة الكنيسة وتسلق
حتى صار فوق سطحها وان الحصين صار ينظر اليه ويقول له فديت ياأخى من الاسواء ولا
بدلى ما أقول له يعلمنى هذه الصنعة حتى أكون إذا وقعت فى شدة نجوت فقال البطال ياولدى
هذا شىء قد خصه الله به وما أقول إنه يعلمه لأحد (قال الراوى) وإن مذبحون قد نزل من
على الدرج وفتح لهم الباب وقال ادخلوا فما عند الراهب أحد إلا غلمانه وهم راقدين فعند
ذلك دخلوا وأغلقوا خلفهم الباب وأوثقوه ودخلوا إلى بيت المذبح فرؤا الراهب فيرقون
قائما يصلى ويدعو على المسلمين لأنه قد سمع أنهم قد دخلوا إلى القلعة فما أحس إلا وهؤلاء
على رأسه والخناجر فى أيديهم وكان مذبحون قد أخـــذها لهم من وسط البطارقة الذى
ذبحهم عند المطمورة ولما رآهم الراهب صاح إيش أنتم ياشياطين ومن أين نزلتم إلى هــذا
المكان وأراد أن يصيح فبادروه بالخناجر وذبحوه فى الحال وكذلك فعلوا بغلمانه
وكانوا نائمين وصار مكانهما الحصين ومذبحون وأما أبو محمد البطال فانه صار فى زى القس

الكبير فيرقون وقال قد أمنا الساعة على نفوسنا وما نبرح حتى نبصر إيش يجرى على الأميرة ذات الهمة وعلى من معها من السودان ونحن مستورين فى هذا المكان والروم مشغولين عنا بما هم فيه وإن أتانا أحد منهم ودق الباب افتحوا له ودعونى أنا أكلمه

(قال الراوى) ولما كان وقت السحر سمعوا باب الكنيسة يدق فخرج الحصين وفتح لينظر من أتى وإذا بها مرحومة أخت الملك صاحب القلعة ومعها جاريتين من جوارها وهى تقول أين أبونا الكبير فيرقون فقال الحصين قد قام إلى قراءة الإنجيل فدخلت إلى داخل الكنيسة وصارت قدام البطال وهى تظنه الساعه فيرقون راهبهم القديم فترامت على أقدامه وبكت بكاء شديد وصارت ترعد مثل الزعفه فى يوم ريح عاصف وقد صار البطال يرفع رأسها ويبشرها برضاء المسيح عنها ويهدها من بكائها حتى قعدت بين يديه وقد رآها بذلك الجمال والحشم والكمال فقال هذه لاشك انها ابنة الملك أو أخته فجعل يستخبرها عن أمرها فقالت يا ابونا قد رأيت مناما وأنا خائفة منه وما أقول إلا أن نفسى بعد ذلك تالفة فقال يابنية وما الذى رأيتى فقالت كنت نائمة وقد كنت فزعانة من المسلمين وأنا خائفة منهم لايقتلون أخى ويسلبونا من منازلنا ويملكون قلعتنا فرأيت كأنى قائمة على باب الميناء الذى لنا فى البحر وقد عولت أن أرمى روحى فيه من شدة فزعى وإذا أنا بشخصان قد أقبلا يمشيان على وجه المـــاء يريدان يدخلا إلى الباب فقلت لهما إلى أين تدخلا إلى قلعتنا وهى محاصرة وقد أشرفت على الأخذ فقال الواحد منهما ويلكى ياجويرية دعى عنك هذا الكلام وابشرى بخلع السعادة من الملك العلام وعظمى إلى هذا الذى بجانبى فهو الذى مابعده نبى هذا سيد الأمم وأكرم من مشى على قدم وأفضل من دعى إلى بارىء النسم محمد صلى الله عليه وسلم فقلت يامولاى ومن هو محمد ونحن قد سمعنا أنه نبى المسلمين ونحن نجاهد فى أمته لنردهم عن ديننا القديم فقال لى يامرحومة فأنا هو المسيح بن مريم وها أنا تابع له وأنا الذى بشرت به قبل أن يظهر ولو أدركت زمانه كنت دعوت اليه البشرى لأنى أنا وأمى راضيين به ونتوسل به إلى الله يوم المحشر وكذا النصارى على الباطل والغرور لأجل عبادتهم للصلبان والصور وتركهم لهذا النبى المطهر ونحن الليلة قد أتينا لنصر من بقى من هؤلاء الأولياء لأجل ماقد طرقوا باب السماء بالدعاء وكأنه ياأبونا قد مسح بأباهيمه عيونى فانتبهت وأنا مرعوبة من ذلك وحيرانه ومن هذه الاشارات فزعانة وإن كان فى نيتى غير هذا فلا تنجينى وقد كنت نويت أن أنزل إلى هذا المسلم الذى هو لص المسلمين وأخلصه من المطمورة وأسلم على يديه وأقول له على ما قال المسيح بين يديه وأقص جميع ماجرى عليه وبعدها قعدت وقلت فى نفسى انزل قبل ذلك إلى

الراهب فيرقون وأفسر عليه منامى وأبصر ما يأمرنى به لا يكون ذلك من فزعى من المسلمين وما عاينت منهم (قال الراوى) فلما سمع أبو محمد البطال ذلك من مرحوما فرح الفرح الشديد وقال سبحان من إذا عنا بالعبد سبب لخلاصه من الشرك أسباب ثم إن البطال قال لها يابنية فأنا هو البطال الذى أردتى أن تنزلى إلى وتجددى إسلامكى على يدى وإن هذا المنام الذى رأيتيه هو الدين الصحيح حقا وصدقا المقدس المطهر الذى بمازلنا ببركاته ننصرولا نقهر فتحيرت مرحومة من ذلك وقالت وما كانك أنت القس الكبير فيرقون الذى ربانا وربا آباءنا وأجدادنا فقال لها يابنيه أنا الذى دخلت اليكم وسميت روحى خادوعس وأتى الملعون عقبه وقبض على وقد خلصت ثم صرت ههنا فيرقون ثم إن البطال كشف عن وجهه فعرفته مرحوما وقالت وحق المسيح وحق من أتانى فى المنام إن هذا هو الدين الصحيح المطهر ولولا أنه دين قيم ما كنتم تقدرون أن تخرجون فى هذه الصورة وتم لكم ماتريدون وتأخذون القلاع والحصون وتخلصون من كل خطر مذموم والآن فقد صح منامى وأبصرت ماقدامى وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق من هدانى لاعدت فارقتكم ولا خرجت من عندكم حتى يتم لكم ماتريدون واخرج معكم ان سلمتم ورجعتم من هذه الأرض والبلاد إلى دياركم وان متم متنا كلنا سواء فى رضا رب العباد فهو يتصرف فينا كيف أراد

(قال الراوى) ياساده ان كانت مرحومه فى تلك الليله معوله ان تحتال لهم فى فتح الباب على المسلمين ففتحته عاقبة الملعونة وجرى من القصة ماجرى من مجىء عقبه إلى الكنيسه بالأمراء وبنجهم البطال على يد الجارية مرحوما كما ذكرنا وعرف روحه إلى الأميره ذات الهمه كما وصفنا وكانت الرأسين اللذين أرميا بين أيديهم روس خدام الكنيسه ولما ان عرفهم بنفسه عاد وأخرج الرجلين وقد حدثهما بما جرى ففرحت الأميره بذلك وقالت ياأبا محمد وعلى ماذا عولت فقال لها مافى الأمر إلا ان نعطى لكى ولأصحابكى العدد الكامله وتفتح لنا الباب مرحوما وقد ملكنا القلعة ان شاء الله تعالى فقالت مرحوما هذا هو الصواب ولكن هؤلاء البطارقة وهذا الملعون عقبه ايش تريد ان تعمل بهم فقال لها البطال انظرى بعينك العجب ثم انه أخرج من وسطه خنجر وذبح الجميع وأتى إلى عقبه وقد نزل عليه بالضرب حتى أفاق بعدان تقايا البنج وأتى إلى الجاريتان اللتان دخلتا مع مرحوما فذبح الواحده وأتى إلى الأخرى فقالت له لاتفعل ياأبا محمد فانا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ﷺ فعند ذلك حل أبو محمد البطال كتافها وأطلقها وقال لمرحوما الساعة ما بقى علينا شىء غير انا معوقين وما عاقتنا الامنكى فقالت له وكيف ذلك فقال لها البطال اعلمى انا نريد منكى عدة لأصحابنا

ونريد منك بعد ذلك مفاتيح الباب فقالت له اعلم ان هذا كله هين وهو حاصل أما العده فاريد من يجيء معي بحملها وأما المفاتيح فانا أعلم أين يتركهم أخي فقال أبو محمد البطال لمذبحون ياولدي مالها غيرك فقال سمعا وطاعه ثم انه مضى مع الجارية فعند ذلك قصدت إلى خزانة السلاح وقد قالت لمتوليها دع هذا يأخذ من العده ومن السلاح وماأراد فان أخي يريد ان يأخذ الرجال بالكبس ثم انها قصدت إلى مكان المفاتيح فاخذتها وقد عادت إلى عند الامراء فوجدت مذبحون قد حصل لهم العدة وقد اعتدوا بها (قال الراوى) ولما ان تم أمرهم أخذتهم مرحوما وسارت بهم إلى وسط الحصن وقصدت إلى الباب الذى للقلعة ففتحته وتمت إلى الباب الكبير وفتحته فوجدت ظالم وبنى كلاب والسودان الانجاب ثم انها أرادت ان تسير اليهم فخافت ان يدوسوها بالخيل وإذا قد لحقها البطال وولده وقد وقف على الباب وصرخ وصاح ياظالم ياظالم هيا بالرجال فعندها هجم ظالم بالسودان وبنى كلاب الشجعان ودخلوا جميعهم من الباب وما نزلوا إلى ان توسطوا جميعهم الحصن وزعقوا الله أكبر فثار الراقد واستيقظ النايم والقاعد والمسلمين الذين فى القلعه فرأوهم وقد تخلصوا فاعتقدوا انهم وحدهم يفصلونهم بالسيوف تفصيل إلى ان افنوهم وقتلوا منهم الكثير وقد زعق من بقى منهم الأمان الأمان وقد دخلت اليهم سائر الفرسان وأتى البطال بعد ذلك إلى الكنيسة ودخلها ليأخذ عقبة ويصلبه على باب القلعة فلم يجده فعظم عليه وكبر لديه وكادت مرارته ان تنفطر ولم يفقد من القلعة سواه هو الملك طرسوس فاتوا إلى باب المينه فوجدوه مفتوح فعلموا انهم هربوا من هناك (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك جارية مرحوما التى أسلمت لأنها كانت قد أسلمت نفاق وخوف من القتل وضرب السيف وانها لما سمعت الصياح خلصت عقبة من الوثاق وصاروا إلى عند الملك وأخبروه بالخبر فخاف على نفسه من العطب فاتوا إلى باب المينا وركبوا فى ذلك المركب هو والجارية وقالوا اقصدوا بنا إلى الملك شمخولص فى حصن القمر ونرجوا منه الامان والسلامة لعل ان يرحمنا ونرزق منه سعادة وان كان له من يحثه على نصرتنا ونصر دين المسيح فهو يسير اليهم فى البحر فقال له عقبه هل له مراكب كثيره فقال له الملك نعم له مراكب كثيرة وهى ثلاثة آلاف مركب حربيه قد ملك بها أرض الاندلس إلى البحر الأخضر إلى حد مدينة القسطنطونيه وإذا أراد شيء أمر مراكبه بالاقلاع إلى هذه القلعة وطير الحمام أيضا إلى أصحاب القلاع وأمرهم بالمسير إلا هؤلاء الشياطين فوحق المسيح ان سار اليهم ما كان يتحصل منهم كل مسلم إلا فى يد عشرة آلاف بطريق فقال عقبه اطلب بنا هذه الجزيره وهذا الملك وأنا أكفيك فى الكلام واتركه يجهز العساكر إلى هؤلاء اللئام لأنى قد تركت أختى وبناتى فى هذه القلعة وما أدرى مايكون منهم (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر عقبه والملك (وأما ما كان)

من الأميره ذات الهمه فانها فتحت خزائن الحصن فوجدت فيها من الأموال مالا يصفه انسان ومن الحرير والثياب والاطلس والديباج شيء كثير فقالت ان هذا ان شاء الله تعالى ننفقه على المجاهدين ثم انها أمرت بجمعه وقالت لظالم آتنى بام الشريف بكار العلويه وولدها الذين أتوا معنا إلى هذه الديار فقال لها ظالم ياستاه يحسن الله عزاكى فى أمه وفى بنت طوق التى كانت قد بقيت فقالت له الاميره وما الذى جرى عليهما فاعاد عليها حديث عقبه وما فعل بهن عند خلاصه وكيف تماوت واحتال على السودان فضحكت عند ذلك الاميره من وسط الغيظ وقالت هذه قضية أخرى ما كان لى فى حساب لأن الملعون قد صار يموت إذا اشتهى ويعيش إذا أراد فلا ستر الله عليه بماذا يلاقى من العقوبة والاسا (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (واما ما كان) من أخت عقبة وبنته عقيبة فانها لما أن جرى ما جرى وملكت المسلمين القلعه فانهما اختلطا بالنساء ولما أن سبوهم اخذوا مع جملة من اخذوه واخذوا جميع مال عقبه وجهاز ابنته العروس وقد احتوت عليه الاميره وقالت للبطال ارسل خلف الشريف بكار حتى يأتى ويذبح أخت عقبه وبنته فى مقابلة مافعل عقبه ويبرد نار قلبه ونأخذ نحن بتار بنات طوق رحمة الله عليهم فقال البطال هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب.

(قال الراوى) ياساده ان الشريف بكار لما انفذه ظالم ومعه عشرة من بنى كلاب وقال له امضى وأتينى بالخيام وابصر ماقدتم لعقبه من الاحكام فسار هو ومن معه من الرجال فوجد أكثر الخيام الذى دخلت مع جيش الاسلام قد نهبت بعد خلاص عقبة منها وقتل ماذكرنا لأن رهبان دير الزيت فعلوا ذلك الفعال فلما نظر الشريف بكار إلى ذلك صعب عليه وقد طلب امه فما رآها فهام على وجهه بعد مالم ما كان هناك من الخام والخيام وانفذها مع بنى كلاب وقال لهم قولوا لظالم انى رأيت ابنة طوق مذبوحة وأنا ماضى فى طلب أمى فساروا وتركوه (قال) وكان عقبة ياساده لما قطع انف الشريفه وعور عينيها وهرب فهامت على وجهها من حرارة ماقد جرى عليها من البر وهى تبكى وسارت تطلب ولدها وهى لا تدرى إلى أين تمضى ولا تعلم أين تضع قدميها بل تسير تارة يمين وتارة يسار ولم تزل على مثل ذلك حتى ادركها ولدها وقد تاه خلفها ولما وقعت عينه عليها وهى تهيم فى البر على وجهها فعندها صاح واأماه واغربتاه تمكنت منكى الاعداء ليت كانت عيناى لعينا كى فداء ياأبنة الكرام النجباء لكن لكى اسوة بجسد كى الحسين سيد الغرباء تمكنوا منكى اللئام صبرا على هذا القضا وجذيه من ربك بالرضا حتى تنالين الفوز غدا (قال) وسمعت أمه كلامه فعرفته فنادت واولداه انظر يابنى الى أمك وهى على غير الاستوى ياولدى قد ذهبت منى المحاسن والبها وصرت قطعة لحم لا أسمع ولا أأوى فقال لها ياليتنى كنت لكى الفدا ثم انه أخذها وسار الى خلفه وقد عاد طالب

عساكر المسلمين فلما أن وصل اليهم فرأى المسلمين قدملكوا القلعه ففرح بذلك وقدم عليهم فسألوه عن حاله فقال لهم انى قد اصبت بالوالده هذا ولما أن رأت المسلمين إلى أمه وهى على تلك الحالة ما بقى منهم إلا امن التقاها و بكى وصاح الشريف بكار وقال انى أريد عقبه الملعون ان كان تحصل معكم حتى آخذ منه بثار والدتى فقالت له الاميره ذات الهمه ماهو معنا وقد فقدناه ولكن اخته وبناته معنا هاهنا وهاهم فى قبضتنا (قال الراوى) ثم ان الاميره احضرت الثلاثة إلى بين يدى بكار وقالت له خذ ثارك بيدك واعلم أن عاقبة أيشم من أخيها عقبه وهى اصل كل البلاء فعندها هجم عليها بقلب حنق لأنها كانت عاقبته فى الكنيسة التى فى ظاهر بغداد ولما أن نصب عليه أخوها عقبه هذا ولما أن تقدم اليها سحبها من شمط رأسها ومددها قدام أمه وقال لها يا أماه اقلعى أعينها بيدك حتى تبرد نار كبدك ويهدى قلبك قالت ياولدى قبل ذلك أعرض عليها الاسلام وادعوها إلى توحيد الملك العلام فان أجابت فاتركوها وان أبت فافعلوا بها ماشئتم فعند ذلك أعرضوا عليها الاسلام وماقالت أم الشريف بكار فلما أن سمعت منهم ذلك المقال ضحكت عاقبه وقالت هيهات هيهات ان يكون ذلك أبدا ولو شربت كأس الردا وان قلعتم عينى فالمسيح يردها وان أنتم قتلتمونى فريم تحيينى كما أحيا المسيح أخى لما أن مات وسلم وحرم عليكم الآفات واعلموا أن أبغض ماعليها البقاء فى الدنيا ويكون فيها مسلم فكيف تكون مسلمه فهذا محال ولا الى مثلى يقال (قال الراوى) فلما أن سمع منها البطال ذلك فلطمها على وجهها فقالت هذا فى طاعة المسيح وطاعة الراهب مطرون وقس دير الزيتون فلطمها الشريف بكار فقالت هذا فى طاعة برتوما ومريحنا المعمدان ويوشع وكرنا فلطمها ظالم فقالت هذا فى طاعة المسيح والشيخ النجيح فعندها أدارت الاميره كتافها وقدمت رأسها إلى عند الشريفه فقالت لها الاميره افدى روحك بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا وحق المسيح وبياض شيبة أخى عقبه ولو ان لى ألف حدقه وخيرت بين أن أقول هذه الكلمه ما قلتها فاقلعوا عينى وخذوا منى بثاركم لأنى قد كرهت أن أنظر المسلمين ولو رد المسيح نظرى وأنا فى بلاد الاسلام ما أردتها (قال الراوى) فلما أن سمعوا المسلمين قولها وحنقوا عليها وقورت العلوية عينيها بأصبعها وهى لا تتكلم بل تقول يامسيح خذلى بالثار من أعداءك وارمى عليهم سوط عذابك كما انهم جحدوك فعندها قام أبو سكران أمير السودان وكان فؤاده قد امتلا من الحنق وهاجت فى قلبه النيران وهو يقول ماأدرى ايش الفائده فى بقاء هذه الملعونه حتى انكم تتركوها وتسمعوا كلامها وتجاوبوها ثم انه ضربها بعامود من الحديد على ظهرها قصب أضلاعها وقال هذه الضربه أيضا فى طاعة الله وفى رضاء رسول الله ﷺ فاشتفت قلوب المسلمين ووقعت المصائب على

بنات عقبه اللعين وقد قالت عقيبه لالقاك المسيح خيرا يااسود ولا كنت أنت ولا البطال فلقد أهلكت وحق المسيح ركن الصليب وقصمت ظهرى وقطعت همتى بقتل هذه العابده عمتى فلما ان سمع أبا سكران كلامها عدل نحوها وقال لها وأنتى أيضا ياملعونه قولى لاإله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وإلا ألحقتك بعمتك فقالت له لابحق دينك الا ماأمهلت على حتى أقول لك ماعندى من المقال وبعد ذلك افعل ماشئت ثم انها بكت على عمتها وعددت عليها وأبو سكران واقف على رأسها بعاموده ثم قالت وحق ضياء بياض شيبة أبى الذى يتوسل بها كل قس وراهب لارجعت عن عبادة المسيح ولو ألقيت على المصائب اصنع ياأسود ماشئت فالمسيح يلقيك فى هذه النوبه فعندها ضربها أبو سكران حتى طير قحف دماغها عشرين ذراع وقدم عقيبه الصغيره الذى كانت عروس إلى بين يدى الأميره ذات الهمه فأعرضت عليها الإسلام ودعتها إلى الايمان فقالت أنا والله مسلمه ياستى مثل أخى الوليد لأنى ماكنت أألف من دون اخواتى الا اليه وهو الذى ألفنى إلى دين الاسلام وقال لى اكتميه والا قتلك أباكى واصبرى فأنا فى هذه الأيام أهتك ستره واقيكى شره واطلع المجاهدين على مكتوم سره وكنت منتظره هذا الوعد وجرى هذا الأمر واخرجنى أبى من بغداد وقال يابنتى ماأنا ماضى بكى الا لزيارة بيت المقدس وأعود بكى والالو علمت انه يزوجنى بكافر ماكنت أطاوعه فى هذه الفعال والساعة لولا يفعلون بعمتى هذه الفعال واياأختى واما كنت صبرت أن أقول هذا المقال لأن أى كلما جانا بمسلم تعذبه بين يديه ويقول هكذا افعل بمن أعلم أنه على دين الإسلام وكنت انا قلت لأخى الوليد هذا الحديث يقول لى ياأختاه اكتمى دينك عن كل من فى الدار وإلا قتلك هذا الشيخ الغدار والساعه قد خلالى المكان وأنا مقره بدين الإسلام وأنا أقول أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ﷺ وان سمح لى الزمان ورجعت معكم سالمه إلى ملطيه سوف ترون ماأصنع فى حق أبى ووالله لاكان هتك ستره إلا على يدى فقالت الأميره ولم ذلك قالت لأنى أعرف لهذا الملعون فى دارنا كنيسة فى صدر الحمام تحت الأرض ينزل اليها كل ليله أحد ويصلى فيها ويتعبد مع القسوس والرهبان وفيها الصور والصلبان وإذا وصلت معكم إلى بلاد الايمان أنا اطلع أمير المؤمنين على هذا المكان وأعيش معكم باقى الزمان فى أمان (قال الراوى) فلما سمع البطال من عقيبه ذلك الكلام لم ينطلى عليه المحال وقال أيتها الأميره لاينطلى عليكى كلام هذه اللعينه ولا نطلقها من الاعتقال فانى اخاف أن تكون مثل أباها وألعن فان ماساعة مارأيتها تبكى قد انكرت بكاها لما قتل أبو سكران أختها وعمتها فقالت الاميره ياأبا محمد قد قالت لى لاى شىء بكت وأطلعتنى على السبب الذى منه اشتكت ولابد ان شاء الله تعالى مما يقضى الله حاجتها ويبلغها

أمنيتها ثم أعتقها وأقرنت بينها وبين مرحوما أخت الملك صاحب القلعة (قال الراوى) وأقاموا بعد ذلك عشرة أيام حتى هدت جراحات المجروحين وأخرجوا الاموال والسبايا والرجال وتموا وهم معولين على الارتحال فلما أشرقت الشمس وإذا بأمواج البحر تصافقت وسمعوا منه ضجيج قد ارتفع حتى كادت الارض ان تتزعزع فرمقوا بالابصار وإذا فيه مراكب قد أقبلت بقلوع مثل أجنحة النسور وإذا رفرفت إذاهى قدملات البحر طولا وعرضا كأنها ثنايا الجبال وعلى صدرها البطارقة وصناديد الرجال بالعدد المشرفيه والملابس الموثقه والقنطاريات الخارقه والسيوف الماحقه فلما رأت المسلمين ذلك قالوا قد أشرفت وحق محمد المراكب وماكان عقبه يقعد عن هذا الامر المذموم فهم فى الكلام وغبائر البر قد تقسطلت وعجاجة القتام قد ارتفعت وأقبلت بزوابع وحسوا بالارض من تحتهم قد تزلزلت والقيامة قد قامت والجبال قد تزعزعت والارض من التخوم قد انقلعت ومازال الامر كذلك حتى تضاحا النهار وانكشف أول الغبار عن جيش جرار يأخذ بريقه بالابصار فاجتمعوا المجاهدين حول الاميره وقد وقع على قلوبهم من ذلك أمر عظيم وقالوا ياأميره هلكنا ورب الارباب وما كان مقامنا هذه العشرة أيام بصواب ولا حسبنا هذا الحساب فقالت الاميرلا بأس عليكم ولا تظنوا هذه العسكرات خلفنا فى هذا الخلق ولا هى غاربه فى بعض الاقطار وإلاما كانوا خرجوا فى هذا الجيش الذى قدملأ البرارى والقفار والاودية والاوعار (قال الراوى) وكان السبب فى هذه العساكر القادمة الملعون عقبة والملك طرطوس صاحب قلعة السهى بأنهم لما ساروا فى المركب المقدم ذكره وطلبوا جزيرة الحائط وحصن القمر وأخبروا الملك شمخولص الأكبر بعد أن سلم عليه وحضرا بين يديه وسألها عن حالها فقال الملك طرطوس أيها الملك نهب مالى وقتلت رجالى وسبيت عيالى وأخذت قلعة السهامى بغير اختيارى وخربت منازلى ودیاری وتم على أمر ماتم مثله على بشر وغاب على حكم القضاء والقدر فقال الملك شمخولص وقد توقدت عيناه وطار منها الشرار ويلك ومن أخذ القلعة من يدك وكيف حتى تم هذا الأمر عليك فحدثه بحديث عقبة وكيف أتاه بالأمراء المأسورين وكيف اتبعوهم المجاهدين والحيلة التى دبرها البطال وما قد تم فى القلعة من القتال فقال الملك شمخولص الأكبر وفى كم كانوا هؤلاء المسلمين فقال يامولاى كانوا أربعة آلاف بطل يريد كل واحد منهم اقليم (قال الراوى) فلما سمع الملك شمخولص ذلك ما أمكنه أن يتم شكواه بل وثب إليه ثم لطمه اعدمه الحياه وعاد وهو يقول بالرومية هذا الكاب تم عليه هذه المصائب من أربعة آلاف كاب من كلاب المسلمين وما استحى عند قدومه يقابلنى بمثل هذا الكلام وقد علم أننى كنت معول على الغزاة فى هذا العام والقس مرقولا فسح لى فى ذلك وأباح لى دماء المسلمين ودماء أهل القسطنطينية

الذين قد أضعفوا أهل بلاد الرومية وهم يحملون كل عام إلى المحمديين أموال النصرانية (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا والبطارقة قد انخرقوا الذين هم قيام على رأسه وما فيهم إلا من طار الدم من وجهه فزعا من سطوته وبأسه ورأى عقبة ذلك فقال فى نفسه هؤلاء وحق المسيح هم الملوك والسلاطين الذين يملكون الأرض فى طولها والعرض ثم فتح فمه وقرأ فصلا من الانجيل وترنم فيه حتى رأى نوع للملك يسهل عقله وبعد ذلك تكلم فى زهد المسيح واندر بما وصى به على الجهاد وذكر الملعون عقبة من عنده أخبار ما أنزل الله بها من سلطان وهى هذيان وفشار حتى رغب الملك فى دخوله إلى بلاد الاسلام ولم يزل على مثل ذلك حتى ملا قلب الملك من الغيظ الذى فيه وتعجب الملك الشمخولص من علمه وحديثه وأقبل عليه وقال له من أنت من عباد المسيح وكيف أتيت إلى تلك الديار فقال عقبة أيها الملك أنا الذى طول عمرى فى الاقطار غريب أنا المجاهد فى دين المسيح القريب أنا الذى لا أزال مقيما فى بلاد الاسلام وأجلب لهم البكاء والنحيب وما أتيت إلى هذه الديار الالما أعيتنى الحيل وقل منى العمل وما بقى لى ساعة ورأيت الاسلام كل يوم ينمو ويزيد فدبرت على أمراء هؤلاء المسلمين وحصلت فرسان أعداء هذا الدين وقصدت إليك وأنا مسافر وأردت ان أعبر عليك فى صفة زائر وأهدى أعدائى إليك وأتقرب بهم بين يديك وأسألك أن تخرج وتعيننى على الباقين وتقطع من الأرض آثار المحمديين لما بلغنى من كرم صفاتك وشدتك وسطوتك وكيف أن الشيخ يدعاك من دون العباد وماقد ملكت من الجزائر والبلاد وانى لما وصلت الى قلعة السها جرى على فيها ماجرى وماقدروا على الأعداء بسوء تدبير هذا المقتول الظالم لنفسه لأنه بقلة تدبيره افنى البطارقه والروم وأمرته أن يكتب اليك كتاب يعلمك بتلك الأسباب فما فعل إلا برأيه المنحوس والآن فقد بلغ الأمر إلى المنتهى والمسلمين قد ملكوا قلعة السهى التى مالها مثيل فى الدنيا وبناتى واختى معهم سبايا ومابقى لى معول الا عليك ولا ملجأ الا اليك ثم ان الملعون بكا وناح وعدد على النصرانيه حتى زاد على الملك وحاف وفى الايمان شدد أنه مايرجع حتى يملك الدنيا ويقطع أثر المسلمين من سائر الأرض ويشهر دين الصليب طول وعرض ثم قال وأنت ياشيخ من يقول لك من عباد المسيح لأنى ماسمعت بهذه الصفة التى ذكرتها إلا أن يكون الشيخ النجيح وراهب آخر فى بلاد القسطنطينية يقال له شومدرس وهم الذين ينزلون بالمسلمين المصائب وجاهدوا فى بلادهم واظهروا العجائب ومن أجل هذين الاثنين كنت خارج حتى أكون لهم عون على بلوغ المطالب وافتح لهم البلاد واتعلم منهم حقيقة الجهاد فقال عقبة أيها الملك فأنا أحد الشخصين الصالحين أنا هو الشيخ

النجيح الذى شاب رأسى وجوارحى وعظمت على المحمدين مصائبى بما اجاهد فيهم وأقاسى وقطعت أصابعى وقلعت عينى واضراسى (قال الراوى) فلما سمع شمخولص من عقبه هذا الكلام قربه إليه وادناه ورفع قدره وعلاه وقال ابشر أيها الشيخ النجيح فما قدمت إلينا إلا وأنت هدية من عند المسيح حتى تزيدونا فى ديننا يقين وتخرج معنا إلى بلاد المسلمين وفى هذه الإيام اجمع العساكر وأسر قلبك بما أفعل فقال عقبه أيها الملك آخاف أن هؤلاء الشياطين يرجعون ويخرجون من تلك الأرض وهم سالمين فكانت مرارتى تنفطر لأن فيهم العجوز التى أهلكت من أمة عيسى بعدد ورق الشجر وفيهم أيضا واحد أشقر الذى هو فى سائر البلاد مصورومعه أولاده الذين هم أعير منه وأمكر وأوفى وأشطر فقال الملك ياشيخ لاتخاف من عودتهم فى البر فانه بعيد ونحن نلحقهم ولو إلى مصر والصعيد فأقم عندنا حتى نفرجك على أرضنا ونريك ملكنا ونجمع عساكرنا ونسير فى كرة واحدة تملك البلاد ومن أبى ولم يدخل تحت طاعتى ولا فى ديننا ضربناه بالسيوف الحداد فقال عقبه ياملك مايهدى لى قرار ولا أريد أتفرج على هذه الديار الاعلى صلب أعدائى الذين قدألهبوا قلبى بالنار وانهم عادوا سالمين من هذه الديار قطعت من وسطى الزنار وكفرت بالصليب وعدت إلى التوحيد ودخلت النار (قال الراوى) هذا وقد صاح الملك على حجابه ان يجمع العساكر الذين فى جزيرة الحائط وينادون بأخذ الاهبة وأنفذ خلف أهل القلاع القريبه منه وأمرهم أن يجتمعوا إلى قلعة السها وكتب لهم فى الكتب أن يسيروا فى البحر ونكون نحن قد قطعنا هذه المسافة التى قدامنا فى البر ونشرف كلنا على الاعداء فى يوم واحد وأنا أعلم أننا نأخذهم فى ساعة مانراهم ونقيم هناك إلى ان تجمع العساكر ونسير إلى بلاد العرب وأخذ معه من أولاده ثلاثة وسيرهم فى التقدمه ومعهم عشرة آلاف فارس وراح هو والقاضى عقبه فى خمسين ألف فارس وقال لباقى أولاده يجمع العساكر ويتبعوهم إلى قلعة السها وسار يقطع الارض فى طولها والعرض حتى أشرف على الامراء وكانوا أصحاب القلاع قد اجتمعوا وساروا بعده بسبعة أيام فلحقوهم فى ذلك الوقت فى البحر كما ذكرنا وكان وصول هؤلاء وهؤلاء فى يوم واحد والامراء قد أخرجوا الاموال والرحال وعولوا على الارتحال فرأوا الدنيا قد انقلبت عليهم وهى تضج ضجيج نقضا ورفقا وحوافر الخيل فى الآذان وقعا وكادت الجبال تقلع قلعا من كثرة ركض الجنائب وضجيج المواكب وهم كلهم بالعدد والحرب والخيول العربيه والسيوف الافرنجيه وتروسهم من جلود دواب البحر المعموله المدهونه وعلى أجسادهم ثياب الحرير البهيه وفوق صدورهم الصلبان الجوهريه وفى أوساطهم الزنانير الابريسميه (وأما الاميره) لما نظرت إلى تلك العسكر والقضية قالت لاصحابها ياأهل دين الحنيفية يامعاشر الامة المحمدية

هذه الواقعة المرضيه فى طاعة رب البرية فقال البطال وماالذى تريدى ان نفعل أيتها الاميره العامريه قالت أريد أن أحمل على هذه الطليعه واترك لنا اليوم وقعة مسموعة يترضون بها عنا أهل الشريعه فقال البطال دعينا حتى نعود إلى القلعة ونشغل أهل المراكب وتلتجى اليها عندشدة المطالبة وتكون القلعة لناعدة حتى يأتينا الفرج من هذه الشدة فما هذا العسكر يقدرون لقاه وكان معهم من المرافقين أربعة آلاف أسود وعربان فقتل منهم فيما تقدم ثلثمائة والباقى ثلاثة آلاف ومائتين وان الاميره لما سمعت قول البطال علمت أنه صواب فأعطته مائتين من السودان ومائة من بنى كلاب وقالت لهم ردوا الاموال والرحال وبقيت الاميره فى باقى الرجال وقالت يا بنى عمى نريد نقصد إلى الطليعة التى للروم وننصر دين الحى القيوم ولا نعود إلى القلعه الا عن غلبه حتى لا نكون قد ولينا الادبار عند وصول الكفار فقالوا لها افعلى ماتريدى اليوم نقصد الطليعه بتاع الروم وننصر دين الحى القيوم ولا نعود إلى القلعة فقالوا لها افعلى مابدالكى فها نحن تابعين أفعالك وقد علمنا أننا كلنا فى هذه الديار نفنى ولا يسلم منا أحد ولا فينا إلا من قطع آماله من الدنيا وايقن أن أولاده قد صاروا يتامى ثم من بعد ذلك جردوا السيوف الثقال وندبوا المنازل والاطلال وحملوا يطلبون الطلائع ويكبرون وقد قطعوا من الحياة الآمال والظنون وكانت مقدمة الروم الاعلاج وتأهبت بطارقتها بعد الانزعاج من حيث رأوا عصابة الاسلام قليله وحملوا يطلبوهم فاختلط الجمع وطاب العطاء والمنع واختلط الصياح وبرقت الصفاح وخرجت الارواح من الانام وهبت الرياح وتقصفت الرماح ورفعت الروم أصواتها ومقالها بكلمة كفرها وصلاها ومدت قنطارياتها بأسنة قضبانها وبانت أحداقها بعد ماعملت صوارم أهل الجهاد فى أكبادها واجسادها واسودت المعمعة بعد البياض من كثرة الدم الفياض وطارت الجماجم فى الاعتراض وارتجت الأرض من تصادم الرعاد ونظروا من السودان غاية الامراض ونفذ السنان فى الحشى وخاض ودام القتال والانقراض ونظروا من السودان مالم يكن لهم فى الحساب ووقع فيهم الفناء والذهاب وأخذتهم الدهشه من التكبير ووقع بهم الفزع عند ذلك اللطيف الخبير لأنهم قد سمعوا الكل مالم يعهدوه وشاهدوا مالا شاهدوه فقالوا إلى أن تعالى النهار وولوا الادبار (قال الراوى) وكانوا المسلمين ثلاثة آلاف مامنهم الا من قتل الواحد والاثنين وفيهم من قتل خصمه وقتل وكانوا قتلى المجاهدين دون المائة رجل وقتل من الكفار ستة آلاف وانكسروا ورجعوا الباقين على أعقابهم والمسلمين من ورائهم فى الطلب وما هم إلا أن أبعدوا عن القلعة بشوط جواد حتى طلع الملك الاكبر وبانت أعلامه وقد بقيت عساكره من ورائه وقدامه وكان لما رحل من جزيرة الحائط رحل فى خمسين ألف فارس فتلاحقت به الروم من الرساتيق إلى أن

أشرف على قلعة السها وهو فى ماة ألف وجيوش له من ورائه متلاحقه والمواكب مثل البحار المتدفقه وما هو إلا أن طلع واستقبل الطليعة وهى منهزمة وفرسان عصابة الاسلام من ورائها فلما رأت عصابة الاسلام تلك المواكب المختلفة استغاثوا إلى عالم الخفيات وذكروا الربوع والاطلال والاولاد والعيال ففاضت الدموع وتلهفوا على الرجوع وزاد القياس وكثرت البطارقة والارجاس وقلت الشجاعة عند كثرة العدد وضعف القوى والجلد وصاروا يطلبون الخلاص فلم يجدون إليه سبيل فأيقن كل واحد منهم أنه قتيل هذا وعقبه يصيح ياعبدة الانجيل اشفوا بقتل الاعداء نار الغليل وكلما وصل موكب يقول لهم دونكم والحرب والجلاد قبل أن يفنونا المسلمين (قال الراوى) يا ساده يا كرام ودام القتال على هذا الوصف والعمل حتى وقع بالمسلمين الملل وقتل منهم دون الالف بطل وعادوا يطلبون القلعه واذا بالباب عليهم قدملك وعنده عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى والملك قد سبقهم إليه وحول خواص جزيرة الحائط والمواكب معتركه والاعلام مشتبكه وتاروا الامراء طالبين الباب فصاحوا عليهم من كل جانب وحمل عليهم خلق بعدد التراب فلما رأوا ذلك انقطعت بالمجاهدين الاسباب وسدت فى وجوههم الابواب ونادى أبو سكران ياويلكم قاتلوا عن نفوسكم واطلبوا الجسر الذى عبرنا منه إلى هذه الارض لعلنا نعبر عليه ونقطعه ونترك هذا العسكر برا الخليج ونبصر مانفعل والا مايبقى منا مخبر فلما سمعوا السودان ذلك الكلام رأوه صواب وجعلوا يدافعون ويتأخرون وبنى كلاب لهم تسع والاميره تصيح عليهم ولا فيهم من يرجع ولايسمع لأن ملك الموت فى وجوههم قد تطلع وسل صارم القضاء فلمع وطارت القلوب من الفزع وجرعت النفوس كاس الحمام جرع ولما وصلوا إلى الجسر وجدوه مقطوع والعبور عليه ممنوع (قال الراوى) ياساده وكان السبب فى ذلك الملعون عقبه لأنه رأى المسلمين قد عولوا على الهرب خاف أن يسلم منهم أحد من العطب أو يلتجوا الى القلعه ويحمون أنفسهم بالحصن والمنعة فأمر الملك أن يملك عليهم طريق الباب وصاح فى المراكب من على الساحل وأمر الركاب أن يدوروا حول القلعه وأن يقطعون الجسر ويزيلون الاخشاب حتى لا يكون للمسلمين سبب من الاسباب ففعلوا أهل المراكب ذلك ووصلوا المجاهدون فوجدوا الخبر على ذلك الحال فأيسوا من الحياة وايقنوا بالوفاة وعمل فيهم السيف وهم حيارى وتمنوا أن يأخذوا الكل أسارى فعندها نادت الاميره ياقوم والله ان العمر الطويل والقصير واحد إذا كان منغص اللذات والعاقل الذى لايندم على مفارقته هذه الاجساد والبشريات الذى يحضر أجله فى مثل هذة الوقعات ويرزق خاتمة الخير والسعاده عند نفاذ الانفاس المعدودات ويقابل القضاء بالصبر والرضا على النائبات ولا يعترض على عالم الخفيات فهو أشفق على

أولادكم منكم وارحم بالبنين والبنات فجاهدوا واغتنموا هذه الساعات وبيعوا النفوس لمن من بها عليكم وعاد يشتريها منكم بافضل الهبات والعطيات وتخدمكم الولدان والحوريات فشمروا عن ساق الاجتهاد مادام المولى مطلع عليكم ويراكم ويسمع نداكم ويرحم شكواكم (قال) ولم تزل الاميره فى وعظ الرجال حتى هانت عليهم الآجال وقطعوا المطامع والآمال وعادوا وهم يطلبون الحرب والقتال وقدوجدوا الراحة بهذا الكلام وهى فى أوائلهم تقول ياقوم اتبعونى واحموا ظهرى حتى التقى عنكم الرماح بصدرى ولم يكن قصدكم الا القلعه لعلنا نصير فيها ويقل غنا هذا البلاء والاهلكنا من الخلائق التى ملات الفلا ثم عادت تبرى بسيفها الرماح وتلعب بمهج الارواح وقد رمت البيضه عن رأسها ونزل شمطها الابيض على اكتافها وأبا سكران إلى جانبها وظالم قدامها يضرب بالسيف كل ماكلت مضاربها وقتالها وباقى الرجال تتبع والضجيج عليهم قدارتفع وحبل الحياة قد انقطع والصائح يصيح ولايسمع وجيش الكفر كلما جاء فى زيادة مثل الماء اذا نبع الا أن عودة المسلمين فى هذه الكره عودة من أيقن أنه اذاحمل لايرجع والاميره كلما سمعت أصواتهم قداشتد قلبها واتسع صدرها وضربت فى الروم وحتهم من شفقتها عليهم مثل ماتحمى اللبوة أشبالها الرضع وهى مع ذلك تنشد وتقول .

أيارب لاشك هذا الموت وارد وقعنا فكن للمسلمين مساعد
فقد قطعوا الآمال من كل لذة ومنك يرجى يا إلهى الفوائد
وباعوك أرواح عليهم عزيزة وقد أخلصوا النيات فيك وجاهدوا
وقد هجروا أوطانهم وتغيروا وأنت لما قد أظهروا اليوم شاهد
وأطفالهم قد أصبحوا من وراثهم ينادوا بذل مالنا اليوم والد
وهم بين قوم يشركوا فى مقالهم وما فيهم الا كفور وجاحد
وعقبه يغويهم بها ويحثهم علينا وقد خابت لدينا المقاصد
ومابى قتلى غير أن جوارحى تحن الى من شخصه متباعد
سيبلغه انى قلت غريبة فيغما ومن أجلى يلقى الشدائد

(قال الراوى) ولما قربوا من باب القلعه طمعوا فى الحياة وثبتوا آجالهم بأحبال النجاة وكان قد قتل منهم فى هذه النوبة ألف ومائتين فارس من المجاهدين وقد وقاتلوا حتى قتلوا وقد قتلوا امثل أضعافهم من المشركين وأما الباقين فانهم قاتلوا إلى وقت الاصفرار وقدوصلوا إلى باب القلعه ونظر الملك اليهم وقد قربوا منه فحمل الملك بنفسه فى الموكب الخاص وقاتلوا إلى العشاء وطلبوا المجاهدين إلى باب القلعه وقد رجعوا عنهم الكفار وصاحوا على البطال ومن معه من الابطال فما أجاب من القلعه ولامن الابراج انسان لامن العرب ولامن السودان

فقالت الأميرة إنا لله وإنا إليه راجعون ياقوم لا يكون البطال قد تم عليه أمر من الأمور من جانب المواكب فهى فى الكلام والباب قد انفتح وخرج منه البطال وولده مذبحون وغلامه لؤلؤ وهم ينادون الحقونا ياسيوف الإيمان ادركونا يا أهل الاحسان فقد تم علينا أمر فى هذا المكان (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك لما رجع البطال إلى القلعة يحفظها ومن معه من الرجال المائتين وبقيت الأميرة ومن معها مع عبدة الصلبان ولما صاروا فى الحصن واغلقوا الباب رأى البطال مراكب الروم قد داروا بالمكان من كل جانب وأقبلت من باب المينا تطلب الدخول فقال لأصحابه لافيكم من يطلب القتال حتى أوريكم ما أفعل من الاحتيال ثم أخذ أصحابه ونزل إلى وسط الحصن وقال لهم كونوا اشهروا سيوفكم وكونوا مستيقظين ومن رأيتموه قد دخل إليكم من هؤلاء الملاعين فدونكم وإياه بلا جلبه ولا صياح حتى تكونوا مثل الأميرة فى جهاد الأعداء ورضا رب العباد ولبس هو وولده وغلمانه فى زى الرهبان وتظاهروا فى زى زهاد الصلبان وتقدم بهم إلى البحر وفتح باب المينا ونادوا بمراكب الروم إلينا ياعبدة المسيح فنحن رهبان دير القدرة وقد كنا فى أسر المسلمين والساعة قد خرجوا عنا إلى عسكر الروم فدونكم أنتم والحصن واحتووا على القلعة عندنا والا يطول على الملك أخذها ونرجع نحن نقع فى أيديهم فلما سمعوا البطارقة ذلك ترامو إلى الباب وكان أول من دخل مقدم الروم وهو يسمى الدومران على المراكب وصعدت خلفه البطارقة من كل جانب وما هم إلا ان صاروا داخل الأصوار حتى تواثبت عليهم السودان وبنى كلاب وضربوا فيهم بكل حسام قرضاب وهم داخلون يزدحمون حتى صاروا وقت الغياب وكلت أيدى المجاهدين من القرصاب وتكاثروا عليهم الروم وصاحوا بأصوات منكرة لما علموا أنها حيلة من البطال وفتك الدومران فى السودان وأباد بسيفه عبدة الرحمن وكان مذكور فى ملة أهل الصلبان موصوف بالفروسية فى كل مكان شديد الكفر والطغيان متجريا على الواحد المنان (قال الراوى) وتم بينهم ضرب البتار حتى انسدلت غياهب الاعتكار ورأى البطال أن أصحابه قد ملوا وتعبوا وقتل منهم أوفى من سبعين فارس سودان وعربان فندم البطال على هذه الفعال ونظر إلى الحصن قد امتلأ من أهل الضلال فطلب الباب هو وغلامه وولده كما ذكرنا فوجدوا الأميرة هى وأصحابها قيام فى الانتظار وقد علاهم الاصفرار فنادى أيتها الأميرة ادخلى الحصن أنت والرجال وانظرى ماتم علينا من الأحوال ثم حدثها بما جرى له من الحيلة وكيف انقلبت عليه فعندها دخلوا الرجال وقفل البطال الباب فعندها صاحت الأميرة وكبرت ونادى ظالم تابعا لها واشهرت سيفها وقالت ياويلكم أيملك الحصن مناولم يبق لنا مكان نلتجىء إليه ولا موضع نعول عليه هذا ولما نظروا أصحاب

البطال عاشت منهم الأرواح وطمعوا فى الروم لما رأو أصحابهم الأبطال وحمل أبا سكران على الدومران وهو يهدر مثل المجنون وضربه بصارمه البتار وإذا برأسه قد طار وبعده وقع البلاء على الكفار ونشرت رؤسهم بسيوف الأبرار وغضب على المشركين الملك الجبار فعادوا يطلبون باب المينا وقع فيهم الفناء ولم يسلم منهم إلا من رمى روحه إلى البحر وتعلق ببعض المراكب والباقون تساقطوا فى الماء والذين تساقطت رؤسهم عن المناكب وأمرت الأميرة بغلق الباب وأوقدت الشموع والمشاعل وافتقدوا من قتل من المجاهدين فى القلعـــة فرؤهم أوفى من ثمانين قتيل من سودان وعربان فصعب ذلك على الأميرة وقالت ياأبا محمد قد خاطرت بنا وبالقلعة الذى أدخلت هذا الخلق الكثير وأنت فى مائتين فارس وبالله لولا أدركناهم لملكوا القلعة وكنا نحن بقينا طعاما لسيوف العدا عبدة الصلبان وان واحد من المسلمين أحب إلينا من طائفة من الروم فقال البطال ياأميرة ماحسبت هذا الحساب والا ماكنت فعلت هذه الفعال وإنما أنا قلت الساعه يدخل منهم طائفة قليلة وتغلق الأبواب عليهم ونبذل السيوف فيهم وكان الأمر بخلاف ذلك وغلبنا من غلق الباب حتى جرى هذا الحال الذى كان لا بدمنه والساعه فما بقى فى الأمر اننا نقطع رؤس هؤلاء الملاعين ونرمى بها عند الصباح إلى القوم الكافرين حتى نضعف قلوبهم ونحل عزائمهم فقالت الأميره والله ياأبا محمد لقد لقينا نحن اليوم مالقيناه طول أعمارنا ومارأينا القلعه حتى هلك أكثرنا من كثرة هذه الخلائق ولولا قدم الليل بالاعتكار ماكان سلم منادياروان لم يسهل الله لنا شيأ يكون فيه خلاصنا والا فنحن نهلك عن آخرنا ومالنا من يوصل إلى بلاد الإسلام خبرنا (قال الراوى) وكان الملك شمخولص قد نزل إلى الخيام وهو ضيق الصدر كيف لم ينال من المجاهدين غرض والبطارقة يعتذرون ويقولون قد منعنا عنهم الليل بسواده وإلا كنا أهلكناهم عن آخرهم وفى غداة غد ننجز أمرهم (قال الراوى) وما أصبح الصباح إلا والدنيا قد ملئت بالجيوش من كل جانب وقد قدموا فى الليل حتى ملكوا المشارق والمغارب وركب الملك وهو فرحان بكثرة الخلائق وبزيادة المدد وعقبه يقول أيها الملك لوكان الساعة معك نقابين ينقبوا هذه المدينه لاخذت المسلمين سرعه لأننى أعلم أنهم مابقوا ينزلون ولايخرجون إذ قد رأوا هذه العساكر العظيمة فقال الملك طب نفسا وقرعينا أيها الشيخ النجيح فمعنا خمسة عشر نقاب وهم فى المراكب واجهزتهم من الجزيرة وقدمت عليهم الدومران مقدم بطارقة البحر الساعة أنفذاليهم وآمرهم أن يطلعوا الينا (قال الراوى) فهم فى الكلام والرؤس قد تناثرت عليهم من الابراج كانها رؤس الشياطين ووقع رأس الدومران المقدم على بطارقة البحر إلى بين يدى الملك فلما رأى

الملك ذلك الحال قامت عليه القيامه وأمر أصحابه أن يقدموا باقى الرؤس فقدموها وتبينها فعرفها وكانت أربعمائة رأس من المراكب فعظمت على الملك المصائب واشتدت فى وجهه المذاهب ورجف قلب عقبه على أخته وبنته وقد عظم قتل البطارقة عليه وبقىُ متطاع إلى القلعة

(قال الراوى) ونظر البطال إلى فطرة الروم والخمده التى وقعت عليهم فقال ائتونى برأس أخت عقبه وبنته عقبيه حتى أرميها إلى الشيخ النجيح ويفرح بهما فؤاده ونعلمه أننا قد أخذنا بثار بنات طوق وبثار العلويه فأتوه غلمانه بشمط رأس عقبيه فرمى بها إلى صدر أبيها فوقعوا بين يدين عقبه مثل الاكره وبصرها الملعون فعرفها وكان راكب فترجل ولطم على وجهه وعينه حتى غشى عليه ولما أفاق وقعت رأس أخته عاقبه عليه فزاد حزنه وقطع سائر ذقنه وعارضيه وأخذ الرأسين فى يديه وجعل يدق بهما على فؤاده وينادى بالمسيح ماهذا مليح وأنا الشيخ النجيح تمكن الأعداء من هذه العجوز الصالحه الكالحه وهذا الوجه الاغبر الذى من تصبح به لم يرى خيرا فى عمره أبدا وتترك فؤادى بفقدهما قريح ثم قال ياعاقبه إلى جنات النعيم حشرك المسيح مع أخيكى الشيخ النجيح وحجة ابليس فى الأرض فلقد كنتى ركنا من أركان ابن مريم فهدموه الاعداء وسقوك النقم ثم زاد به الامر فعدد كما تعدد النسوان ثم عاد عقبه إلى الملك وقد اشتد غضبه وزاد التهابه وقال أيها الملك مابقى لى على هذا الامر صبر ولا احتمال حتى أشفى فؤادى اليوم والامت فى الحال وخرجت روحى من فعال هؤلاء الانذال الذين قد افجعونى فى أهلى وشتتوا شملى وقتلوا الصالحه أختى عجوزة الخير ومجملة كل بيعه ودير وأنهم تحصنوا بالقلعة ولا يخرجون فقل لسائر الروم يترجلون ويزحفون ويعرقبون الابراج وينقبون ويضربون هؤلاء الكلاب بقوارير النفط والنار لعلهم يحترقون وتبرد نار قلبى وقلبك إذا أخذت نار أصحابك فقال الملك مانحتاج إلى هذه الفعال اصبروا انظر حسن خبرتى بالقتال ثم قال للنقباء اؤمروا الجيوش أن تركب الجنائب وقولوا لهم أن يقربوا من القلعة ويركضوا بالخيل ركضا وخببا حتى أورى هذا الشيخ النجيح ماأفعل فتفرقت الجاويشيه والنقباء وداروا على عساكر النصرانية ولم تكن إلا ساعة من النهار حتى تجهزت عساكر الكفار وزحفت مثل البحار وداروا بالحصن من كل جانب وأخذوا فى الخب والركض حتى تزلزلت الأرض وماجت فى طولها والعرض وخيل لمن فى القلعة ان القيامة قد قامت والزلازل قد دامت من شدة الرجفات ساعة من النهار حتى تهدمت الاصوار وأيقنوا المسلمين بالبوار وطارت الشراريف من رؤس الابراج وأشرف الحصن على الوقوع وماجت أطلاله والربوع

(قال الراوى) وكان جانب القلعة البرى على الارض الرمله لانها على ساحل البحر فما هو إلا أن دام عليه الرجفان ساعة من النهار حتى تهدمت الاصوار وايقنوا المسلمين بالدمار وكثر

عليهم صياح الكفار ووقع بعقبه العجب والانبهار وقال وحق المسيح هذا شيء ما رأيته قبل اليوم وما هذا الاملك شديد الرأى والساعة وحق المسيح نهلك الاعداء وتبرد نار قلبي وتهدى (قال الراوى) هذا والاميره قد أبصرت ماهالها ورأت القلعه وقد أشرفت على الانقلاب من شدة زلزالها فقالت ياأبى محمد كيف ترى هذه المصائب الوارده هلكنا هذا البطريق مرة واحده والساعة ينقلب الحصن بنا ويبلغ عقبه منا غاية المنى فقال البطال دعى عنكى هذا المقال فهذا شيء مايهمنا ولو أن القلاع تقع من ركض الخيل وصاح ركابها لما بقيت قط قلعة لأصحابها فقالت هذا صحيح ولكن من أين يتفق لهذه الأرض هذا الاتفاق ان تجتمع مثل هذه الخلائق على مثل هذه القلعة الضعيفة التى بلا أساس وهى على ساحل رمل وتركض طوله مثل هذه المواكب وتدور بها من كل جانب وما أرى من الرأى غير النزول والخروج إلى الجهاد والموت فى كتائب أهل الكفر وعبدة الصلبان ولا نموت كذا موت الغبينة وتنقلب تجارتنا فى الحشر خاسرة مغبونة ثم صاحت ونزلت طالبة الباب وتبعوها السودان وبنى كلاب وهم موقنون بالهلاك والذهاب وبقى البطال وغلمانه وأبا سكران وجماعة من السودان خوفا على المكان من جهة المراكب وكان الذى اتبع الأمير ألف فارس مع الأمير ظالم وبقى فى الحصن مائتان وقلب البطال عليهم فزعان لأجل ما أبصر من كثرة الروم وعاين من ذلك الخلق العظيم (قال الراوى) ياسادة ياكرام وما هو إلا أن خرجت الأميره ذات الهمة من الباب وصارت ظاهرة هى وبنى كلاب والسودان الأنجاب حتى صاح شمخولص فى البطارقة والحجاب دونكم وإياهم الساعة فقد حسبت هذا الحساب وما قد خرجوا إلا من شرة الزلزال وخوفا على القلعة من الانقلاب فقودوهم إلى بين يدى حتى أشفى فؤادى وأقر عينى فعندها هاج إلى المسلمين التغير وأطلقت نحوهم الخيل وطلبوهم مثل الدبابير وارتفع الصياح نحوهم حتى خيل للناظرين أن الجبال بهم تسير وعلا من المجاهدين التكبير ورفعوا قصتهم إلى اللطيف الخبير وتباشرت بنعيم الجنان ومصاحبة البشير النذير وحملوا بما نعون عن أنفسهم وقد رأوا العدد عليهم كثير فهناك جرت الأحكام والمقادير وعمى عمل البصير ووقع بالسماع التحيير وسمع للروم فى الأوداج جرير وطلع الغبار فى الأجفان والمناخير وأرسل ملك الموت إلى الأرواح بشير ولم يزل الأمر على مثل هذا الحال حتى عبر وقت العصر وطلبت الشمس الزوال وكانت الألف من أهل الايمان قد ضاعت فى مواكب أهل الصلبان وقتل منهم فى ذلك الوقت ثلثمائة فارس كرار وعادوا الباقين يطلبون القلعة فى آخر النهار يرجون الخلاص من الكفار وقد صار وقت الاصفرار والارواح خائفة فى الابدان وعلا الصياح من كل جانب ومكان (قال) وكانت الاميرة من وقت ماخرجت جعلت قصدها إلى موكب الملك ترجو بذلك

ان تصل إليه تقتله وتكون قد أخذت لنفسها بالثار قبل هلاكها والبوار ولم تزل على مثل ذلك تشق المواكب والكفار قد تقهقروا قدامها حتى صار آخر النهار والكفار تلطمها من كل جانب ومكان كما يلطم الهواء موجات البحار فعز بها الاصطبار والتفتت إلى ورائها فلم ترى أحدا من أصحابها الأبرار ترجو منه الانتصار فعلمت أن عندهم ما أشغلهم عنها فأيست عن نفسها ولم تزل تمانع وتقاتل حتى خذلت منها المناكب وأتى الظلام بالغياهب وبين القلعة وبينها مواكب بعدد الكواكب وهى تضرب الأبطال وتنكسهم عن المراكب حتى تثلم حسامها من شدة المضارب وتطاير قطع ولم يبق به فى يدها غير القائم وحلت منها العزائم وزاد عليها الأمر حتى قتل جوادها من تحتها ووقعت إلى الأرض وهى تمانع عن نفسها والطوارق تصدها والبطارقة تقاحمها حتى وقعت إلى الأرض على وجهها من شدة التعب وثقل الحديد فأخذت أسيره من على وجه الأرض والصعيد وقد بلغنى أن ماوصل إلى باب القلعة سوى خمسمائة فارس مع الأمير ظالم وبقيوا قيام فى انتظار الأميرة وسمعوا حس الصياح عليها وصعب عليهم الوصول إليها فدخلوا إلى القلعة وهم حيارى ومن الحرب سكارى وأكثر ظنهم ان الأميرة قد قتلت ولما صاروا فى الحصن سأل الأميرة ظالم أبى محمد البطال وأبا سكران عما جرى لهم مع أهل المراكب فقالوا نحن فى راحة لأن جانب القلعة البحرى على جبل كما ترى مانبالى بالاعداء ولا لأحد عليه سبيل الامن الهوى فقال ظالم والله لقد لقينا نحن اليوم البلاء مما جرى علينا وهلك أو فامن نصفنا لأننا خرجنا إلى عالم كثير مثل البحر إذا طما لا يحد له عدد ولا يحصى له مدد ثم انه بعد شرح حاله زاد بكاه وذكر فقدسته ذات الهمة فعظم جواه ونادى واغربتاه واشماتة الأعداء واساه كيف تهلك فى هذه الأرض ولا يعلم بنا أحد ولا لنا من يوصل أخبارنا إلى بلاد الحجاز ويسمع الأمير عبد الوهاب ولكن هذا كله بحكم العلى الاعلى وزاد به البكا وذكر أباه فأقلقه الحزن ولم يزل الامير ظالم يندب بمثل هذا المقال حتى أبكى الرجال بالدموع الهطال وقد تقلقل لشواه قلب أبى محمد البطال وسمع أن الاميرة قد وقعت مع الأعداء ففزع عليها من عقبه الملعون شيخ الضلال فقال وهو يقول ان شاء الله تعالى آتيكم بخبر الأميره ان كانت قتيله أو أسيره ثم غير زيه وزى ولده وأخذ معه مخلاة حيلته وكلما يحتاج اليه من عمله وخرج يطلب عسكر الروم وقد تلاطمت فى قلبه أمواج الهموم لأجل الأميره ذات الهمه فاطمه بنت مظلوم (قال الراوى) فهذا جرى ههنا (وأما ما كان) من بطارقه الروم فانهم لما احتووا على الأميره حملوها إلى عند الملك شمخولص وقد انسدل الظلام وعادت عبدة الصلبان إلى الخيام ونزل الملك فى سرادقه والغيظ كاد يخنقه كيف خلصوا المسلمين من يديه فما هو إلا أن جلس حتى دخلوا عليه بالأميره وقالوا أيها الملك شيطانة المسلمين التى

لولاها كنا اليوم قد أهلكنا أصحابها أجمعين نخذ منها بثار أصحاب المراكب وأمرنا حتى تنهب جسدها بشفار القواضب.فقال لاوحق المسيح لاعجلت عليها بالقتل قبل العذاب لأن القتل لها راحة وان لم أشعل عظامها بالنار مايبرد قلبى ولا يقر لى قرار فهو فى الكلام وعقبه الغدار قد دخل عليه مثل الشيطان ورأى ذات الهمه فلم يسلم على الملك بل انكمش عليها بما فى قلبه منها وعضها فاخذ فى فمه من لحمها قطعة ولطم وجهها حتى جرت الدماء من خديها وجعل يرقص قدامها ويقول ماكان المسيح بالذى يغفل عن تلك العجوز الكالحه وقد كانت طول حياتها فى العباده غادية ورائحة ثم قال أيها الملك ايش تنظر بهذه العجوز السوء التى هى شمطة على عبدة الصلبان وآفة على الروم فى كل مكان أقرض لحمها بالمقاريض حتى آكله وأشرب دمها وانها كما قد أحرقت فؤادى بهلاك أختى وأولادى فقال الملك لاأيها الشيخ فما قتلها الليله بصواب وانما الصواب عذابها حتى نأخذ باقى أصحابها وتكون قلوبنا قد اشتفت منها لأن القتل له فرد غصه والعذاب له غصص كثيره وكروب وحريق هؤلاء القوم وصابهم وبعضهم يرى فيه شقاء للكروب فقال الملعون عقبه وهذا وحق المسيح هو الصواب وماأريدمنك إلاأن تنعم على وتولينى عذاب هذه الشيطانه إلى الصباح لأنك قد علمت ايش فى قلبى منها وأخاف ان بقيت عندك تكلمك بكل كلمة صعبة تقتلها وكانت تبقى فى قلبى حسرة فقال الملك صدقت وحق المسيح خذها عندك أنت واشف فؤادك منها ولا تقتلها حتى أريك ماأفعل بها وبقومها عند الصباح فعندها سحب الملعون عقبه شمط الأميره وقال لها قومى ياملعونه فالليله آخر لياليكى من الدنيا فقامت الأميره وهى مكتوفه شديدة الكتاف وقد أيقنت بالتلاف فقالت لعقبه ويلك ياملعون افعل ماشئت فما منا إلا من أيقن فى هذه الديار بالتلاف لاجل قتلنا أختك وابنتك وكل أصحاب الملك ورميناهم برؤسهم على أنك تعلم ياملعون ان أهون ماعلينا الموت وما يفزع من الموت إلا أنت لانك حطب جهنم ونحن فما هو عندنا إلا مثل خلع القميص وليس غيره لان أرواحنا إذا فارقت هذا الجسد وصلت إلى الواحد الاحد وهو عنها راض غير غضبان لاجل مابذلنا نفوسنا فى اعزازدينه فقال عقبه وحق المسيح ياصبية مرزوق لاذيقنك فى هذه الليله أنواع العذاب ثم سار بها ومعه عشرة من البطارقه بتوع جزيرة الحائط يسوقوها إلى خيمته ولما حصلوا فى الخيمة قال للبطارقه خذوا حقكم منها وانصرفوا إلى أشغالكم ودعونى أعذبها إلى الصباح فعندها تقدموا الملاعين ومافيهم الامن لطم الاميره على وجهها وضربها وعقبه يفرح بذلك ويقول جزاكم المسيح خيرا وأثابكم على ماتفعلون ثم تقدم بعدهم بطريق قصير ضعيف مريض وجعل يضرب الاميره على وجهها بسوط كان معه

(ياساده) فلما رآه عقبه أخذته البهتة اليه وقال له من أنت أيها البطريق من أصحاب الملك

فقال أنا معدكوس بن معقبان جلاد الملك وصاحب سيف عظمته والساعه دخلت عليه فقال لى كن الليله عند الشيخ النجيح احفظه من هذه المسلمه وأعنه على عذابها فقال عقبه المسيح يحفظ الملك كما انه يهتم بمشايخ الدين وينظر فى أحوال الصالحين افعل أيها السيد ما بدالك واشفى فؤادك بطرف من أفعالك فعندها تقدم البطريق إلى الاميره وجعل يلطم وجهها ويبصق عليها ويضربها بسوط كان معه حتى كاد يقضى عليها وعقبه يتلذذ بذلك ويقول وحق المسيح ان عذابها أفضل من قتلها وما أتى هذا البطريق الاسخطة عليها هذا والبطريق قد فتح مزود لطبق وأخرج منه حبل قطن رقيق وفيه كلاليب من الحديد وقد أضاءت ورؤس أحد من الشوك فجعل يرتبها وينظر إلى ذات الهمه ويشتمها بالروميه ويقول لعقبه ياشيخ انظر الليله العجب من عذاب هذه المسلمه واكتبه عندك فى كتاب الملحمه ثم أخرج سلسلة طويلة وتركها فى رقبة الاميره وأدارها على أكتافها وهى تبكى وتقول اللهم انى أسألك ياملك ياقدوس يامنزه عن القيام والجلوس يامن حكم بالفناء على النفوس نجنى من العذاب والبؤس واكفينى شر هذا الوجه العبوس واصرف عنى كيد هـــذا البطريق المنحوس (قال الراوى) وكانت الاميره كلما دعت يضحك الملعون عقبـه ويقول ياملعونه إلى من تصيحى بالدعاء والمسيح قد سلط عليكى هذا البلاء وبعث إليكى من يذيقكى غصص الموت قبل القتل (قال الراوى) والبطريق قد مكن السلسلة من رقبة الاميره ومد الحبل إلى نحو القاضى عقبة وقال له أيها الشيخ قم حتى أشركك فى الثواب وأريك صفة بلادنا كيف أشفى فؤادى من هذا الذى قد أتيت به إليك ثم قام عقبه وشد طرف الحبل إلى رقبته وأقامه على يديه ورجليه وأخرج الحبلين من بين فخذيه وترك القراصات والكلاليب على أكتافه وأضلاعه وجنبيه وقال له امشى معى الساعة أيها الشيخ النجيح إلى قدام وانظر مايحل بهذه المسلمه من الانتقام وتعلم شيأ تذكرنى به فى كل عام فتعجب عقبه من ذلك وقال ايش تنظرى وترى ياذات الهمه فى هذه الصنعه التى ما كانت لكى فى حساب هكذا وحق المسيح افعل بكل من وقع فى يدى من أصحابك وأول ما أبدأ بعدك بالبطال النذل الكذاب وان عشت ووقعت بولدك عبد الوهاب سقيته من هذا الشراب وعذبته مثل هذا العذاب ثم مشى يسحب الاميره فطنبت الحبال وضاقت على عنقه ووريديه وصارت رأسه بين يديه وقد حس أنه قد خرجت مقل عينيه ولذعت رؤس الكلاليب أكتافه فأيقن بتلافه وصاح بصوت رقيق إلى البطريق يامعدكوس ايش هذا التعذيب المنحوس ما أرى فى العذاب الا أنا لان هذا الحديد قد أكل لحمى وخرق أضلاعى ورأسى قد صار عند كراعى وما بقى من موتى الا انزاعى فقال له البطال بالعربيه ويلك لا بأس عليك تعلم هذه الصنعه الغريبه وقد آن وقوعك فى هذه المصيبه واعرفنى يانسل الكلاب الانذال ولا ترجع تعادى البطال

فلماحقق عقبه الحال أيقن بالوبال وقال ياديوث كل شيء حسبته إلا أنك تصير جلادالملك ونبت على وجهك هذا الشعر فى ليلة أو ليلتين ماحسبته وأما هذه الاحبال والقراصات فهى صفة جديده فلا كتب المسيح عليك سلامه ياألف قرنان ثم هم أن يصيح فجذب الحبال مرة أخرى فصارت ذقن الملعون عقبه عندشقه ودخلت يداه حتى صارت عند رجليه وغشى عليه من شدة الجذب عليه وصفر البطال بشفتيه واذا ببطريقين قددخلا عليه وهمامثل العقابين وكان أحدهما مذبحون والثانى الحصين فقال لهما لفوا هذا القرنان فى هذا الدراج واحملوه حتى نطلع القلعه ولقمه الاكره ودنا البطال من الاميره وحل أكتافها وهى قداندهلت مما رأت وقالت ياأبو محمد سبحان من ساقك الى فى هذا الصوره وان هذه اللحيه وتلك الحيله تؤرخ وتكون مسطوره وما أريد الا أن تعرفنى كيف صنعت بوجهك حتى نبت عليه هذا الشعر فانى أريد أعمل على خدودى من هذا الدواء ويصير لى لحية أدخل بها إلى عساكر الاعداء فقال لها دعينا الساعة منهذا المقال وسيرى بناالساعة مادام قد حصل لنا هذا الشيخ الضال فلو أردتى ألف ذقن أنبت لكى فىالحال فضحكوا من ذلك أولاده وخرجوا الجميع ومعهم الشيخ الرقيع وسارا حتى قربوا من القلعة وذات الهمه تقول يا أبومحمد ايش يفيد قدومنا ودخولنا اليهم انفذ عقبه مع ولديك وعدبنا إلى عسكر الروم لعلنا نقرب من الملك وندبر فى قتله أو سرقته والا مالنا من هذا البلاء خلاص فقال البطال هذا هو الرأى لأن حولنا خلق كثير ومالدخولنا إلىالقلعه تأثير ثم قال لولديه سيروا أنتما إلىظالم وأوصيه يامذبحون أن يحفظ على عقبه ويحذر من ابنته عقيبه فان قلبي خائف منها وان خرجنا غدا إلى االقتال فقل لهلايبعد عن الباب واعلمه اننا فىعسكر الروم لعل يكون لناخلاص من أهلالكفر والجحود ثم عاد هو والاميره يطلبان عساكر الكفار وهى تقول ياأبو محمد لو كنا فىزى البطارقه لكان أسترلنا وأتم لاشغالنا قال لها سيرى واتكلى على الله تعالى فأنا أحصل لكى فى الطريق كلما تريدى فعندها سارت الاميره متكلة على رب العباد (قال الراوى) هذا ماجرى ههنا (وما ماكان) من مذبحون والحصين فانهما وصلا إلى القلعه تحت الاستار والاعتكار وكان ظالم وأصحابه ما فيهم تلك الليله من نام ولا قر له قرار وكلهم على الابراج والاصوار خوفامن عساكر الكفار وهم للبطال وأصحابه فى الانتظار ولما قربوا وصاروا تحت البرج نادوا بأسماء بنى كلاب وعرفوهم بأنفسهم فنزلوا لهم والامير ظالم فى أوائلهم وفتحالباب وسلموا عقبه اليهوحدثوه بالاميره وعودتها مع البطال إلى عسكر أهل الكفر والضلال ففرح ظالم بذلكوسرفؤاده بخلاصسته وقالالحمدلله ماوقعنا حتى وقع هذاالملعون فىأيدينا حتى نشتفى منه قبل الموت ثم قدمه إلى بين يديه ليعاقبه ودارت بنى كلابوأخذه اللطم

من كل جانب واذا بابنته عقبيه قد دخلت عليه وتقدمت اليه ومسكت ذقنه وصارت تلطم فيه وتبصق عليه وتقول ياملعون من بين الكفار وياشيبة أهل النار وحق الواحد القهار الذى أدار الفلك وخلقنا لنعبده ونحمده لايتولى عذابك غيرى وان سمحوا لى بقتلك لاذبحنك من قفاك لانك لعبت بعقلى حتى مضى نصف عمرى فى الكفر والاشراك والساعة فقدمن على بالهداية والاسلام وأريدا جعل أول جهادى فيك لانى أخبر بقساوة قلبك من كل الانام وأنا أعلم أنى إذا عذبتك تمحى عنى الذنوب والآثام (قال الراوى) ولما سمع عقبة كلام ابنته ورآها قد تولت عذابه وعقوبته تضاعفت حسرته وفاضت عبرته وكادت تنفطر مرارته وقال ويلك يابنتى لعب الشيطان بعقلك ايش هذا الكلام ومن الذى غرك حتى اتبعتى دين الاسلام ويلك يابنتى لعب الشيطان بعقلك ليتك قد قتلتى مع أختك وعمتك عاقبه ولا كنت سمعت منك هذه المخاطبة وليتنى أنا كنت من قبل هذه المجاوبة ويلك يابنتى ما الذى بان لكى حتى تنزهى الرب القديم وتوحدى يابنتى بحق مافى قلبى عليك من الحنة ارجعى إلى دين المسيح وأنت الذى كنت أعتمد عليكى من دون أولادى فلا تغضبى المسيح والصلبان ويجور عليكى يوشع ويوحنا المعمدان وأباكى ومتابعة الدين المحدث ثم قال يابنتى اسقينى شربة من الماء ولوانها ملؤ كفك فقد ألهبتى كبدى باسلامك فقالت لاوحق من رفع السماء وأغسق الظلماء لاأذقتك قطرة من الماء ولو رأيت بعينى كبدك على جمر اللظى يتلهب لان الجهاد فيك أعظم جهاد ولا يحل اشراكك بالملك الجواد ياويلك أليس الساعة دخلت دين الاسلام وقلت عنهم انهم مختلفين فى المذاهب والاحكام ويلك ياشيخ النار ان كانوا اختلفوا فى الفروع فقد ثبت لنا الاصول والكل دلونا على تدبير الذى لايحول ملكه ولا يزول

(قال الراوى) ولم تزل عقبيه مع أبيها فى جدال وعتاب وضرب وعذاب حتى وقت السحر وقال ظالم للرجال قوموا بنا حتى نتأهب لامورنا ونحن ندافع عن نفوسنا واتركوا هذا اللعين عند ابنته عقبيه حتى نبصر كيف يكون أمرنا فقالت عقبيه لاوحق محمد بن عبد الله فما أتوكل أنا بهذا الملعون ولا أريد النظر فى وجهه إلا وهو مصلوب لانى أخاف انه إذا خلابى يلعب بعقلى ويبغض إلى دينى الذى قدمن الله على به فتعجبوا الناس من حسن عودتها وصفاء نيتها وتقربت من قلب ظالم بمقالها (قال الراوى) وكانت قد انفردت بنفسها فى برج من أبراج القلعة تتعبد فيه يقال له برج السلاح وهو مشرف على البحر ومرحوما تأتى كل ليلة إلى زيارتها وقد أخذت الاسلام أيضا بقبول وفتح الله فى وجهها باب الرضى والسول

(قال الراوى) ولما أصبح الصباح خرج الامير ظالم إلى برا الباب فى خمسمائة فارس وبقى أبو سكران فى مائتين من الفرسان هذا وعساكر الكفار قد ثارت فى سائر الاقطار

وماجت كموجات البحار وركب الملك شمخولص وأولاده ودارت به خواصه وأجناده ومن قبل أن يأمر العساكر بالقتال قال ابصروا ماجرى للشيخ النجيح مع المسلمة وقولوا له يحضر حتى يرى ماأفعل بأعدائه فمضوا الغلمان وعادوا يخبروا أنه قد سرق وخلصت المأسورة التى كانت عنده وما نقول ماأخذه غيرها لأنه خلى بها وحده وقد قام يعاقبها فقطعت كتافها وأخذته ورجعت إلى أصحابها والا يكون قد نزل لص المسلمين إليها وسرقها وأخذه معها فتغير لون الملك وقال ويلكم كيف يكون إنسان يسرق إنسان واحد فقال له رجل كان قد سكن القسطنطونية بلى يامك معهم واحد يقال له أبو محمد البطال يقال عنه أنه يسرق القلعة بما فيها من الآدميين وغيرهم ويطيرها فى الهواء وهو واحد الأرض وشيطان الزمان وعدوا ملة الصلبان وشيطان فى صورة إنسان (قال الراوى) ياسادة فلما سمع ذلك الملك تعجب وقال ابصرو اليوم كيف تنجزوا أمر هؤلاء القوم وتكفونا شرهم أنتم وأهل المراكب الذين انا لأنهم ماعملوا شىء ولا قتلوا من هؤلاء المسلمين رجل إلا من يوم تمت عليهم الحيلة على مقدمهم داخلهم الفزع وأقاموا فى البحر متكلين عليكم وأنتم أدبر منهم وأقل بركه (قال الراوى) ياسادة فهم فى الكلام والغلمان تقدموا إليه وقالوا ياسولانا قد وصل إلينا عشرة رهبان من القسطنظينية قاصدين إليك ولهم مقدم يقال له شومدرس ويريد الحضور بين يديك فقال الملك ائتونى به وبأصحابه فانى قد سمعت عن هذا الراهب وحدثت عنه العجائب وهو قرين الشيخ النجيح ويجاهد مثله فى طاعة المسيح (قال الراوى) ياسادة ولم تكن إلا ساعة حتى حضر الراهب شومدرس حكيم ملة الصلبان والكل بالمسوح السود والبرانيس والعكاكيز فلما رآهم الملك ترحب بهم ورفع شأنهم ومنازلهم وقرب شومدرس وأدناه وسأله عن أمور دينه ودنياه فقال أيها الملك ماجئت الا أحسك على الجهاد وأخرجك تطلب البلاد وتملكها لانها خالية من الانصار والمسيح قد فرق شمل الموحدين وأخلى منهم الثغور وبلاد الاسلام والملك صاحب القسطنطونية غافل عن الجهاد مشتغل عن الآخرة بالاكل والشرب والفساد وقد قلت عزيمته وانحلت طوائف الروم عن طاعته وبغضت أنا المقام عنده لاجل غفلته وسرت من غير علمه إليك لاقضى باقى عمرى بين يديك لأننى سمعت انك أكرم الملوك وأشرفهم وقيل ان فى أرضك نزلت قدرة المسيح وفى هذه الأيام سمعت انك خرجت من بلادك تجاهد فى أعدائك وأنك قد ظفرت فى أرضك بطائفة من المسلمين واهلكت أكثرهم وقيل انهم هم الذين خرجوا من أرضهم وخربوا بلاد الروم وقتلوا ملوك سائر الاقاليم وسمعت أن الذى كان سبب دخولهم إلى اقليمك الشيخ النجيح وحجة المسيح قرينى الصالح وأخى الناصح الذى قد قتلتنى اليه الأشواق وها انا قد

أتيت اليه زائراوفى حضرتك مجاهدا واخبرنى الآن من بقى من الاعداء وقص علينا ماجرى لان قلبى من هؤلاء قريح وفيه أعظم مما فى قلب الشيخ النجيح لأنهم قتلوا ولدى وزوجتى وتركونى أموت بحسرتى فرق له قلب الملك وطيب قلبه ووعده بفتح البلاد والخروج إلى هلاك العباد وقبول الرأى فى الجهاد ثم حدثه بما جرى وكيف فتحوا المسلمين قلعة السها وكيف وصلوا إلى جزيرة الحائط ثم قال وقد قتلنا ياشيخ أكثرهم والباقين مشرفين على التلاف والهلاك ومامنعنا منهم إلا هذه القلعة والبارحة كانت أميرتهم أسيره فى أيدينا فأردنا هلاكها ولكن منعنا الشيخ النجيح منعنا وأخذها اليه ليشتفى بعذابها لان أصحابه قتلوا بناته وأخته وأراد هوأن يأخذ بثاره من هذه المسلمسه فنزل معهم لص المسلمين يقال له أبا محمد البطال سرقها وسرق الشيخ النجيح معها ونحن فى حيرة من ذلك لان هذا شىء ماعهدناه فى بلادنا أن يسرق انسان انسان مثله فلما سمع شومدرس من الملك ذلك ضحك وقال أيها السيد لاتعجب من هذا الذى يفعل هذه الفعال فانه موصوف بهذه الاعمال ومامات أحد من أمة عيسى الا وفى قلبه منه شىء لاتحمله الجبال (قال الراوى) وكان البطال وذات الهمه فى تلك الساعه حضروا فى موكب الملك وهم فى زى بطارقته لان البطال لما أنفذ ولديه مع عقبه وعاد يطلب عسكر الروم والاميره تقول له اسرق لنا من ملابس أصحاب الملك ودعنا نركب فى موكبه ونعمل على عطبه لعل العساكر تختبط وننجوا نحن من هذه الارض فقال البطال هذا هو الرأى الصواب وكان قد صار وقت السحر فخاض البطال بين الخيام وصار كلما وجد من مضارب البطارقة فرصه يدعس ويأخذ مايحتاج حتى سرق وحصل له وللاميره مايحتاجون اليه فلما كان عند الصباح ركبا فى موكب الملك مع جملة الفرسان ووقفا تحت الصلبان يشاوران ويدبران إلى أن قدم شومدرس الفرنان الشيطان وجرى له ماذكرنا مع الملك فنظره البطال فقال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم انظرى ياأميره هذا العجب كلما قلنا ظفرنا بنحس جاءنا نحس آخر وهذاشىء مايكون فى الحساب (قال الراوى) ورجعنا إلى حديثنا الاول وان الملك لماسمع مايعمل البطال من الصفات نادى فى رجاله بالزحفه إلى القتال ثم قال ابصروا من يتقدم إلى المراكب أيضا ويزحفوا من جانب البحر فقال شومدرس مايحتاج أيها الملك تبصر أحدا قدمنى أنا على المراكب وولينى أمر من فيها راكب وانظر من العجائب وان كنت ماسمعت ذلك منى فاسأل الشيخ النجيح عن أبو الشر شومدرس فلما سمع الملك بذلك قال وحق المسيح لقد سمعت بصفاتك من سائر الناس وبلغنى أن أعمالك مايقع عليها قياس ثم أنفذ مع غلمانه إلى المراكب وقال قولوا لاهلها يكونوا تحت حكمه ثم عول بعد ذلك أن يزحف إلى طائفة أهل الايمان واذا بفارس قد قفز بين الصفين وجال على حصان حتى حير أولى الالباب ونادى يطلب البراز من عبدة الصلبان

فقفز اليه عشر فوارس فى مرة واحده لان الخلق كثير فصاحوا وطلبوه مثل الدبابير فهنالك صلى الفارس على البشير النذير والتقاهم بلقب مافيه غير اللطيف الخبير (قال الراوى) وكان هذا الفارس الامير ظالم ابن الامير عبد الوهاب وقد خرج يفدى أصحابه ولما رأى العشرة بطارقه قد تبادروا اليه حمل عليهم وجال فيهم حتى ارتفع الغبار ومضى ساعه من النهار وانكشف الفتار عن الابصار واذا بالعشره حول ظالم ممددين على الرمال ومطرحين يمين وشمال وهو يجول عليهم بالجواد ويذكر رب العباد وينادى دونكم والجلاد

(قال الراوى) ونظر الملك شمخولص إلى هذا الحال فزادت نيرانه اشتعال وأمر النقباء ان ترد العساكر إلى القتال وقال وحق المسيح ودير النذور وكل راهب مات من المسلمين مقتول والا لاغفر لى القس الكبير فرتمولا ولارضى عنى الحوارى نقولا ان رجع أحد منكم حمل أو قاتل وطلب الطعان لأضربن رقبته إلا أن تبرزوا إلى هذا المسلم فارس لفارس ياويلكم ماهذا عليكم أكبر عار أن يخرج منكم عشرة لفارس واحد ولا تنالوا منه مقصود ابصروا من يبرز إليه ويأتينى به أسير والا حلقت لحية كل ملك منكم وأمير على أننى أقول ان هذا الفارس هو المسلمة التى كانت عندنا البارحة أسيره وقد خلصت من أسرها وقد خرجت إلينا اليوم تطرح شرها عليكم دونكم واياها حتى لايقال عنى أن مافى عساكرى من يلقاها فلما سمعوا البطارقة ذلك صاروا يخرجوا واحد بعد واحدا شاكين فى سلاحهم وظالم يقبض أرواحهم حتى صار قريب الظهر وانقطع عنه البراز من البطارقة وهابته الروم والعمالقة وقد قتل منهم أزيد من مائة وعشرين بطريق وبقوا إليه ناظرين وهموا ان يأخذوه بالمكاثرة وهيبة الملك تمنعهم من المبادرة هذا وظالم قد غير جواده وعاد يجول هذا والملك حيران وقلبه يحترق وهو على أسر ظالم قلق وقد هم ان يأمر بعض أولاده بالخروج إليه وإذا بفارس من أعراض العسكر قد حمل عليه وهو على جواد أصفر يأكل الارض مليح الطول والعرض يرى الجولان عليه فرض وعلى راكبه صدريه زرد كأنها عيون الجرد وفى يد الفارس سيف للأعمار ماضى قاضى (قال الراوى) وكان هذا الفارس الاميرة ذات الهمة لانها لما رأت فعال ظالم بالرجال وصنعته بالابطال قالت للبطال ياأبا محمد أريد اليوم أحتال وأرمى روحى إلى الاهوال فقال لها بماذا اخبرينى ما الذى تريدى تفعلى قالت أنا أعلم الساعة مافى قلب الملك من ظالم واعلم أن الذى يخرج إليه ويأخذه يصير فى المنزلة العالية وأنا أريد افعل هذا العمل لعل الملك يقربنى ويرفع منزلتى إذا ظهرت له طرف من فروسيتى وأتوصل أنا بعد ذلك إلى أخذه فيكون ذلك سببا لخلاصنا وفداء أرواحنا لاننا ماكنا نطلقه حتى يحلف

لنا انه يخلى سبيلنا ونمضى إلى بلادنا سالمين فقال البطال ان هذا نعم الرأى وتكون الاشياء بخواتيمها إذا أنى أخذنى ظالم وحضرنى بين يديه وسألكى عن حالكى ايش تقولى له فقالت ما أدرى يا أبا محمد فقال قولى أنا شعشعونا ابن شيعون الهرقلى وقد أتيت أنا وغلامى فى طلب الغزاة بين يديك لاننى ياأميرة قد سمعت الروم يتحدثون بهذا الفارس وانه شجاع من هرقل (قال الراوى) فما تم كلامه حتى خرجت الاميرة إلى ظالم وحملت عليه وصاحت فيه فالتقاها بقلب قوى وقد هانت البطارقة فى عينه إلا أنه لما جال معها رآها بخلاف من تقدم فأخذ حذره منها وصار يطاولها وهو لا يعرفها فجرى بينهما ماحير المسلمين والروم وصار الغبار عليهم مثل الغيوم وتطاول الملك فى سرجه لما رأى ثبات ذات الهمة مع ظالم وقال وحق المسيح ان قتل صاحبنا هذا المسلم لانعمن عليه ولاجعلنه أنيسى وان أخذه أسيرو تنصر المسلم جعلت الاثنين اخصائى وأصحاب أسرارى (قال الراوى) فما تم كلامه حتى سمع ضجة عظيمة وجلبة جسيمة فمد بصره وإذا بالاميرة قد حملت على ظالم وصاحت فيه روعته ومدت كفها إليه واقتلعته من سرجه وصار معها أسير فأتت به إلى بين يدى الملك حقير ذليل ففرح به الملك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وقال له من أين أنت أيها السيد الهمام ومن أين قدمت إلى هذا المقام فقالت له أنا شعشعونا ابن شيعون بن شعونا الهرقلى خرجت خلفك فى طلب الجهاد ومعى غلمان وبطارقة وثقل وكل ركبى غدا يصل وأنا سبقت وغلامى هذا لأجل القتال ثم أشارت بيدها إلى البطال (قال الراوى) فلما سمع الملك هذا المقال قال وحق المسيح ياشعشعونا مايرجعون الأحباب يفترقون ولا بقيت أخليك تبرح من عندنا حتى نعود من عدونا المسلمين فصعقت له الأميرة ونظرت العساكر كلها على المجاهدين بعد أسر الأمير ظالم وقويت له العزائم والصياح قد انعقد من كل جانب حتى ملأت المشارق والمغارب فعادت الاميرة تطلب الحرب بعد ماسلمت ظالم إلى البطال وأوصته به وطلبت القتال وقلبها على من بقى من المسلمين حيران فصارت تطلب الغبار الشديد والقتام فتطعن فى صدور البطارقة وتحامى عن المسلمين لان العدو كثير وجيوش الكفار تندق مثل البحار وهم يجاهدون حتى قل منهم الاصطبار وعدم الانتصار وظهورهم ملتصقة إلى صورة القلعة وهم يكبرون الواحد القهار (قال الراوى) وبلغ الخبر إلى الحصن أن ظالم أسر فقامت القيامة على أبا سكران ورأى المسلمين فى نقصان فترك فى الحصن جماعة من السودان لانه رأى الحصن من جانب البحر فى أمان والمراكب تدور به من كل جانب ومكان ولا تقدر على أذيته ولا إليه سبيل ولا وصول فخرج مع السودان وغاص فى عساكر الكفار وتناخت الفرسان وقاتل أبا سكران قتالا يحير العيان وقد طلعت الغبائر إلى العنان وغابت الشمس

ولم تدرك الانسان هذا والملك قد أمر أن تنصب إلى شعشعونا خيمة إلى جانب سرادقه وقال سلموها إلى غلام شعشعونا وانقلوا اليه كلما يحتاج إليه ففعلوا ذلك وتسلمها البطال وربط ظالم فيها وهو لا يعرفه بل منكس الرأس كثير البكاء على نفسه وعلى المسلمين (قال الراوى) ودام القتال يعمل إلى أن أمسى المساء واختلط الظلام وقد وقع الفناء فى طائفة الاسلام ولم يدخل الحصن منهم إلا القليل والباقين بين جريح وقتيل هذا والروم قد عادت عن القتال وجلس الملك فى سرادقه وقال ائتونى بالبطريق الهرقلى فأحضروا الاميرة فقبلت الارض وهى تقول هذا لله عز وجل ولما رآها الملك ودرعها قد غرق فى دماء الكفار والمشركين ففرح بذلك وأيقن أنها قد قتلت فى المسلمين فخلع عليها واجلسها إلى جانبه واحضرت الغلمان الطعام فتقدم الملك وأولاده وخواص أصحابه واجناده يأكلون وكلهم إلى الأميرة ينظرون وقد وقعت هيبتها فى القلوب (قال) وكان البطال واقف فى جملة الغلمان فقال الملك شيلوا الغلام شعشعونا وقولوا له يطعم الأسير ولا يمنعه من الزاد إلى ان نقتله فان السيده مريم تقول لا تقتلوا أعداء ملة الصلبان وهم جياع (قال الراوى) ياساده وكان البطال قد ترك ظالم فى الخيمه وأتى إلى حضرة الملك خوفا على الأميره لا تسألها عن شىء يكون له حجة وانه لما رأى منزلتها عند الملك فرح بذلك وأخذ الزاد وعاد يطلب الخيمه وهو يقول ان كفيت الليله شر شومدرس اللعين فما نكون الاسالمين (قال الراوى) ياساده وكان الملك قد أنفذ من يشرف عليه وعلى المراكب ويبصر ماجرى له ويأتيه بشومدرس فرجع الجواب يقول أنا ما أعود حتى أدبر بذلك (ياساده) وعاد البطال إلى الخيمة فوجد ظالم يبكى على المسلمين وهو مطاطى الرأس حزين لأجل أسره لانه مايدرى بما جرى على المسلمين بعده ولا سيما فقد الاميره فقال له البطال مالى أراك مهموم حزين باكى لا ترقألك دمعة كل هذا الأجل أسرك اشرح صدرك ياظالم فما أسرك فارس دون ولا كنت فى قتالك مغبون ولا هو غريب منك وقد أسر من هو أجل منك قدرا وهو أبيك وان كنت ما تصدق بالعيان فانا البطال والذى أسرك الاميره ذات الهمه جدتك فدع عنك الرقاعه وكل الطعام فى هذه الساعه حتى أسير وأشرف على الاميره لعل نأخذ الليله الملك فلما سمع ظالم ذلك احمرت عيناه وطار الدم من وجنتاه وقال كأن العجوزه الخرفانه هى التى خرجت وفعلت هذه الفعال وهتكت سترى بين الابطال وذمة العرب لابد من قتلها ان نحن سلمنا وخلصنا فقال البطال لا يصعب عليك هذا الأمر ياولدى فما فعلت الاعين الصواب لأننا فى هذه الشده الشديده والبلاد بعيده وما نخلص إلا بالتدبير وما هذا وقت المباهاة (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان بعد تقريب الأميره وأكل الطعام قد قدم المدام وشرب فرحا بها ولما أن وصل القدح اليها أخذته بكفيها وباسته وعاودته

إلى الملك والساقى وقالت له بحق المسيح لا تنقض عهدى أيها الملك ولا تغير غيبتى فانى قد عاهدت المسيح من وقت خرجت من هرقله انى مابقيت أشرب من هذا القربان إلا الان أموجه من عين سلوان بعد الحج إلى بيت المقدس والجهاد والغزو الى بلاد المسلمين وهلاك أعداء الدين فقال الملك هذا وحق المسيح رجل نيته سليمة للجهاد ياشعشونا لوكان ربع عسكرى على هذه النيه فتحنا سائر البلاد الحنيفيه وشيأ قد تركته لوجه المسيح ماأغصبك عليه ثم جعل الملك يشرب مع خواصه وحجابه وبطارقته والأميره قاعده خائفة فعندها شرب الملك القدح وانطرح والسقاء والغلمان من شدة التعب والسهر نامت ولم يبق إلا البطارقة الذين بر السرادق بتوع الملك أصحاب النوبه ومن يعز على الملك إلا ان الكل سكارى متكاين على شعشعونا فلما رأى البطال ذلك انطرح عند رجلين الملك وخرجت الأميره والسيف فى يمينها مشهور ودارت حول السرادق حتى خمدت نيران العسكر ووقع النوم على الجميع وسكتت الحركات بأمر الجبار وعادت الأميره ودخلت إلى السرادق وقالت ياأبا محمد دبر حالك فما بقى من تخشاه فعندها وثب أبا محمد إلى شمخولص وشديديه وكذلك الأميره شدت رجايه وحمله البطال وخرج والأميره خلفه بالسيف حتى صارا عند ظالم وفكوا قيده وكتافه فقام وهو يقول ياأبا محمد من الذى معكم فقال البطال سير ولا تتكلم بما لايعنيك فهذا ملك الروم وهذه ستك فاطمه بنت مظلوم فاقيموا على ماأنتم عليه حتى ادخل وأعود اليكم بما تركبون ثم عاد إلى سرادق الملك فتسلم من الجنائب الخاص ستة جنائب وأتى بها إلى الأمراء فركب ظالم وذات الهمة وشدوا الملك على بعضها وركب البطال وساروا حتى خرجوا من الخيام وكانت القلعة بين أيديهم لأن سرادق الملك كان محازى باب الحصن (قال الراوى) ياساده ولما خرجوا من الخيام أمنوا على نفوسهم وتموا يطلبون الخليج وظالم يقول ياأبا محمد أنا ماأدخل معكم حتى أبارز هذه العجوز الهرمة التى قد خرجت إلى وأسرتنى على غرتى وأنا تعبان وقد قتلت من الكفار نحو المايه والعشرين من الفرسان ولولا ذلك كانت أحقر بان تمديدها إلى فقالت الأميره ويلك ياظالم أعجبتك نفسك حتى صرت تتجرأ على مثلى بمثل هذا الكلام وتحدد من شىء قد فعلته بابيك مره ماحدد ولا جرى عليه ماجرى عليك فانت فرخ فرخى فلما سمع ظالم ذلك قال ذاك ولدك من احشاكى تفعلين به وأنا على أى شىء تذلينى حتى تفعلى بى هذا الفعال وتهتكى سترى بين الأبطال فقال البطال بالله عليك ياظالم دعنا الساعه من هذا العقبان وخلص نيتك حتى تخلص من هذا البلاء الذى نحن فيه (قال الراوى) ياساده فهم فى الكلام وإذا بثمانين فارس قد اعترضهم من بطارقة الروم مع مقدم من حجاب الملك يقال له شومطيش وكانت تلك الليلة نوبته فى درك القلعه والدوران حولها فلما رآهم باداهم ياويلكم من أنتم والا كذلك.

طالبين القلعة التى فيها الاعداء فقال البطال وقد تقدم إليه ياأخى ماحالك أنا كورين من سقاة الملك وقد أتيت فى طلب أحصله لصاحبى قبل أن تخوض الخيل فيه وأعد فلما سمع القوم ضحك وقال وحق المسيح ما أنتم إلا مسلمين والاسقاة الملك كيف يكون منكم معه جنايب من الخيل الخاص فقال البطال يا أخى لاتفعل ودع عنك هذا المقال وان كنت أنكرتنا لأجل هذه الخيل فهذه جنائب الملك والسياس قد أعطونى اياه وقالوا لى ياكورين خذها معك واترك غلمانك يخوضوها فى الخليج لأنها البارحة ما أكلت عليقها فقال البطريق تكذب ياشيطان وحق المسيح ما أنت الا الذى سرقت الشيخ النجيح والا فقل انك برىء من دين محمد وخصمك القرآن وأنيسك فى لحد الصلبان فعندها التفت البطال إلى الاميره وقال لها كلمى هذا الشيطان فانا قد اشتكلت على قصته فعندها دنت الاميره منه وقالت له لو تبينت وجوهنا لعرفتنا ثم سلت حسامها مثل البرق وضربته اطاحت رأسه عن بدنه وقال أناماأحب أخاطب إلا كذلك ثم صاحت الاميره بظالم وحملت معه على باقى الفرسان وبقى البطال موكل ورأت البطارقة سيدها قتيل فسلت السيوف وحملوا على الامراء وكان ذلك المكان بعيد عن العسكر قدام بين هؤلاء الامراء والقتال تحت الظلام وعمل الحسام وقل الكلام ولعب ظالم وسته بارواح المشركين اللئام حتى طلع الصباح وخاف الفزعان من الافتضاح وولت البطارقة هاربة وقد قتل منهم أوفى من خمسين بطريق ورأوا ضربا أحر من نار الحريق وعادت الاميره وظالم إلى البطال وهو فى انتظارهما بالبعد قائم ولم يشتغلوا بالقيام لأنهم طالبين النجاة بكل الوجوه ولم يزالوا حتى وصلوا إلى القلعة وصاحوا ففتح لهم البواب ودخلوا ثم نزلوا من على الخيل والاميره تقول أين الامير أبا سكران ان بشروه بخلاصنا من عبدة الصلبان وأخذنا لهذا الملك الذى نريد نطلب منه لأنفسنا الامان والخلاص (قال الراوى) ياساده فهى تقول هذا المقال واذا كبس عليها الرجال وأرموا أرواحهم عليهم مثل الجبال وهم ينادون عيسى ومريم وعقبة فى أوائلهم ينادى خذوا هؤلاء الاندال واتركوا فى اعناقهم الاغلال حتى أبلغ بصلبهم الآمال أنا وهذا الشيخ شومدرس المحتال ولم تكن إلا ساعة حتى أخذوا ظالم والاميره والبطال وكتفوا الثلاثة بالحبال وتولاهم عقبه وشومدرس شيخ الضلال وظهرت عقيبه بنت عقبه وهى تضحك وتلطم وجوههم وتبصق عليهم وتقول ياشياطين كيف ترون هذه الفعال التى تعجز عنها الرجال ابشروا بالصلب وقطع الآجال (قال الروى) ياساده وكان لذلك سبب عجيب وهو أن الراهب شومدرس لما نزل إلى المراكب وتقدم على أهلها وأراد أن يظهر صنعته وحكمته وصار يصيح على أصحاب المراكب ويزحف بهم طالب الاصوار وأباسكران ومن معه من السودان يرموهم بالحجاره والصخور الكبار لما تنصف

النهار وحملت عساكر الكفار واسرت الاميره وظالم كما ذكرنا واشرفوا المسلمين على الهلاك وسمع أبا سكران بذلك فنزل ومن معه من الرجال وقلبه آمن من القلعة من صوب البحر لأنه رأى المكان أمين شاهق فى الهوى حصين ودام القتال مع عسكر الكفار ورأى شومدرس المكان قد خلا من الرجال فعلم أن الكل فى القتال وأن القلعة خالية من الأبطال فمال بمركبه إلى تحت برج السلاح وكان قد نظر فيه شباك حديد على طاقة واسعه فقال من هاهنا أنال المقصود ثم أخرج الكلاليب وربط فيها الحبال وصار يقول للبطارقة علقوها فى هذا الشباك حتى تتعلق وتتمكن وتصعدوا وقد تملكتم المكان وأنه قد بقى خالى من العرب السودان (قال الراوى) ففعلوا ذلك البطاقة وصاروا يرمون الكلاليب بقوتهم وهى لا تصل ولا تتعلق لأن المكان مرتفع فبقى شومدوس حائر لا يدرى ما يفعل ولما ضجروا عولوا على الانصراف واذا بكف قد خرق من عيون الشباك أنقى من البلور ابيض من الكافور ومنادى ينادى لا تنصرف ياراهب فأنا أبلغك ما أنت له طالب واقصد إلى باب البحر وانا افتحه لك وادخل كل من معك إلى المراكب (قال الراوى) فلما سمع شومدرس هذا المقال انفرج عن قلبه ذلك البلاء العظيم وعلم أنه كلام امرأة فناداها من أنتى يا بنتى من عباد المسيح اخبرينى حتى يخف مابى واستريح فقالت أناعقبيه بنت الشيخ النجيح كيف أنت ياعماه وحق الصليب لقد أتيت فى وقت الحاجه وأنا رأيتك اول مانزلت فى المراكب وماامكننى أن أكلمك لأن الحصين كان من المسلمين ملآن وأنا كنت خدعتهم واظهرت انى قد دخلت معهم فى دينهم وجرى لى معهم عجائب ماهذا وقت شرحها اقصد الساعة إلى الباب حتى أفتحه لكم وتملكون المكان قبل أن تعود السودان ثم نزلت الملعونه والمفاتيح معها تطلب باب البحر وشومدرس قد طار قلبه من الفرح وميل بالمراكب إلى نحو الباب وما كانت إلا ساعة حتى فتحت الملعونة الباب وأدخلت البطارقة وطلع شومدرس واعتنق عقبيه وقبلها بين عينيها وقال لها يا بنتى جزاكى المسيح خيرا لأنك لولم تفعلين هذه الفعال لما كنت تسمى بابنة هذا الشيخ المفضال ومع ذلك أين هو فما أرى له خبر وأنا قتلنى الشوق إلى طلعته حتى أشبع منه بالنظر فقالت هاهو فى برج الزاوية مأسور وأولاد البطال به متوكلين فدعه الساعة على ماهو عليه فخلاصه مايفوت ورتب قبل كل شىء البطارقة خلف باب البحر حتى يقبضون على من يعود من المسلمين والساعة ترى الكل وقد عادوا منهزمين تعابا مجروحين وكان كل من دخل من المسلمين يتمهلوا البطارقة عليه حتى يتوسط الحصن بتدبير شومدرس اللعين ثم يقبضون عليه ومن مانع عن نفسه قتلوه والباقين هلكوا برا الحصن وداخله وكان الليل قد مضى منه بعضه وبعد ذلك أخذ شومدرس جماعة من البطارقة وقصدوا إلى باب الدار التى فيها عقبة فقبض على مذبحون والحصين أولاد

البطال وقعد عند رأس القاضى وهو فى غمرات الموت من شدة الضرب والعذاب وفى قلبه من كلام ابنته النار التى لا تطفا فقال له شومدرس افتح عينك أيها الشيخ النجيح وانظرنى فأنا أخيك أبو الشرشومدرس قد أتيت أبل شوقى منك (قال الراوى) فلما سمع عقبة هذا الكلام رجعت روحه إليه ورجف قلبه من الفرح وفتح عينه وهى تدمع وقال ياترى هذا الأمر صحيح وقد جمع بيننا السيد المسيح كيف كنت وطاب قلبك أن تنسانى فى هذه المدة ولا تسأل عنى وقد كنت لى عمدة ياراهب فكم جرى على بعدك من المصائب وما قاسيت بعدك من النوائب وبعد هذا قتلت أختى عاقبة وابنتى عقيبة وأسلمت ابنتى عقيبه واسمعتنى غليظ الكلام ووحدت الرب الكبير وأريد تنتقم منها غاية الانتقام وتأخذلى بثارى من هؤلاء وقد أتيتنى فى هذا الوقت وخلصتنى من الأمراء وهذه الفعلة ما أنساها لك أبدا وعلم المسيح ما كان بقلبى من الشوق إليك فلما سمع شومدرس ذلك من عقبة ضحك وأخبره أن ابنته عقيبة على دينها ثم حدثه بما فعلت وكيف فتحت القلعة وان الذى عملته كان كله خديعة ومكر ومحال حتى تم لها هذا المقال ثم حل كتافه وهو لا يصدق بذلك وإذا بابنته عقيبة قد دخلت عليه وقبلت رأسه ولحيته وقالت ياأبتى لا تؤاخذنى بذلك المقال وما فعلت بك من الفعال فانى ماقابلتك إلا لحيلة منى على هؤلاء الكلاب الأندال فقم أبصر كيف فتحت هذه القلعة كما فتحها أبى محمد البطال وأهلكت فرسان المسلمين والأبطال وباقيهم فى الأسر والحبال فعندها بكى عقبة الملعون من الفرح وقال ياابنتى لولم تفعليها ما كنتى من ظهرى فالمسيح يرضى عنك ولا يؤاخذك والقسس ترحمك والحواريين تزورك فأنتى قد بقيتى العمدة ثم خرج هو وشومدرس قدامه وأولاد البطال معه فى الكتاف ولما صاروا فى وسط الحصن ورأى عقبة قتلا المسلمين زاد فرحه ثم افتقد المأسورين فما رأى البطال ولا ذات الهمة فقال مالى لا أرى الشيطان الرجيس وتلميذ ابليس أبى محمد البطال وكذلك العاهرة أم الأسود الزنيم فقال له شومدرس وحق المسيح مالى منهم علم وما أنا الاسألت المأسورين فقالوا لى انهم نزلوا إلى قتال الملك وما ندرى ماجرى فقال عقبة وحق المسيح لابد مما يعملون بائقة ويصدقون وان صدقنى حذرى فما يعودوا الا بالملك ولا بد لهم فى هذه الليلة مايعودون إلى القلعة وأنا أدرى كيف آخذهم ثم استدعى بمائتين بطريق ودلهم على مكان يكمنوا فيه وقال لا تمكنوا أرواحكم من النوم وما كانت الاساعة من الليل حتى أقبلوا الثلاثة ومعهم الملك فثارت إليهم البطارقة وملكوهم كما ذكرنا وطلعوا بهم إلى القلعة وخلصوا الملك من أيديهم وتقدم عقبة إلى الأميرة وبصق فى وجهها وقال لها ياعاهرة قد أمكن المسيح منكى ولطم البطال على وجهه وكذلك ظالم وقال للملك كيف أخذوك أيها الملك فحدثه بحديث الأميرة وأنها أتت إليه فى زى البطريق شعشعونا فقال أيها الملك

هاقد ظفرت بهم وأريد منك أن تصلبهم على أبواب القلعة وأصوارها حتى تشتفى منهم أمة عيسى وأنفذ إلى العسكر وأعلمهم بخلاصك وأمرهم ان يتقدموا إلى القلعة ويتفرجوا على صلبهم فلما سمع الملك كلام عقبة امتثله وأنفذ رسول إلى العسكر وأعلمهم بخلاصه وصلب المأسورين ففرحوا بذلك وضربوا الديادى والبوقات ونشروا الأعلام والريات وداروا بالقلعة من كل جانب يتفرجون على مايحل بالمسلمين من المصائب وعقبة قد صاح بالبطارقة وأمرهم فسحبوا المأسورين وهم فى الحبال مقرونين والأميرة والبطال وظالم وأبا سكران فى أوائلهم وعقبة يقول اعبروا بهم فى وسط الحصن حتى يروا باقى أصحابهم كيف هم مطروحين مثل الضحايا وقد حلت بهم الرزايا فقالت الأميرة ياويلك لاتغتر بما ترى من أشباحهم وربهم قد أنعم على أرواحهم وإن كنت أنت ترى هذافسادهم فهو صلاحهم لأنك أنت تنظر بعين البشريه فترى حالهم قد زال وما تعلم انهم قد انتقلوا إلى دار مافيها زوال فقال لها عقبة صدقتى فى هذا الوعد كما صدقتى فى صلبى ثم سار بهم وهم يرون أصحابهم مطروحين فى وسط الحصن والأرض ملآنه من دمهم فبكوا الاسارى على المنازل وتيتم الأولاد وبكوا على الأطفال والأطلال والبلاد وعددت الاميره وفاضت دموعها وساروا على هذه الحاله حتى وصلوا إلى الابراج وفرقوا كل أمير ببرج وكل رجلين يبدنه (قال الراوى) ودقت الروم النواقيس ورفعوا الصلبان والقساقسه وكشفوا الرؤس وارتفع الضجيج إلى العنان (قال الراوى) وعلى الحقيقة أشرفوا المسلمين على الهلاك لولا أن البطال قال للملك شمخولص يا ملك لاتفعل بنا هذه الفعال وتسمع كلام أعدائنا الجهال ونحن حماية الثغور وسيوف بنى العباس وأمراء العرب وسادات الناس خلينا عندك إلى ان تخرج إلى بلاد الاسلام كما قد زعمت وخذنا معك نسلم إليك البلاد ونملكك رقاب العباد ونفدى أرواحنا بأموال إذا رأيتها تبهرك وتحير بصرك وأن أسرك من يعز عليك كان الواحد منا لفداه ورجوعه اليك ولا تظن أن بلاد الإسلام هينه ولا عساكرها قليله فان فيها كل فارس همام وكل جيش مقدام ونحن دخلنا إلى هذه البلاد فى أربعة آلاف وهذه أعمالنا وشاهدت بعض أفعالنا ونحن سادات الناس والذى ترى عند خروجك أعظم أجرا واوفى باسا (قال الراوى) فلما سمع الملك هذا الكلام انتبه كانه كان فى منام وقال لبطارقته وحجابه القيام لقد صدق هذا الشيطان أحملهم معى إلى الجزيره واترك الامراء عندى فى القلعة والباقين أفرقهم على رهبان السواحل يتقربون بدمائهم فى الاديرة وأريد أيضا أنفذ منهم إلى دير النذور لان الراهب مرقولا قد أوصانا بهذا وقال لى ياملك أنت ماضى إلى قتال الموحدين وأريد ان وقع أحد منهم فى يدك أسير تتركه فى هذا الدير

قربان وكذلك زوجتى عاميل قد اشتهت أن تنظر كيف يكونوا المسلمين وهذا الامر لا بدمنه اجمعوا الاسارى حتى تأخذهم ونقسمهم ونأخذ معنا ونرسل باقيهم فى المراكب فعندها صاحت البطارقة بعضهم ببعض وجمعوا جميع المجاهدين سالمين مافرط فى واحد منهم فرط إلا الحصين ابن البطال فان عقبه قور عينه الشمال وكان عول أن يقور الاخرى لما فى قلبه منه فأتوا غلمان الملك وأخذوه من بين يديه واعلموه بما قد عول الملك عليه فلم يقدر عقبة على الملاججه بل نزل مع جملة الروم ونزل الملك من القلعة وولى عليها بطريق من أصحابه يقال له اكتفبيل النورانى وقال لشومدرس يا أبو نا خذ بعض الاسارى وعود فى المراكب واسبقونا إلى جزيرة الحائط حتى نسير نحن فى البر كما قد أتينا ويكون الاجتماع هاهنا بعد أربعين يوم ثم نادى فى العساكر وأوصاهم بذلك واخذوا فى أمر الرحيل هذا وقد أخذ شومدرس معه الاميره ذات الهمه والبطال وأنزلهم فى المراكب وكان برأى عقبة لأنه قال للملك ان أخذنا البطال معنا مانأمن من غوائله وكذلك ذات الهمه مانأمن شرها وفى المراكب احفظ لهم فأخذهم شومدرس وأفردلهم مركب كبير وأنزل الكل فيها مكتفين وأقلع بسائر المراكب وكانت ستمائة مركب فى كل مركب طائفة من النصارى فشرعوا الشراعات ورفعوا القلوع وساروا طالبين جزيرة الحائط ورحل الملك من الغد ومعه باقى السودان والعرب ومعه من الأمراء أبو سكران وظالم ومذبحون والحصين وأم بكار الذى قلع عقبة عينها وقد تولى عقبة عذابهم (قال الراوى) ياساده فهذا جرى ههنا (وأماما كان) من شومدرس فانه سار بالمراكب تلك الليله وذلك اليوم وفى الليلة الثانية تغير عليهم البحر وقام الهوى عند غروب الشمس لحطوا القلوع وسارو بالمقاديف إلى الليل وإذا بالارياح قد زادت ولعب البحر وتلاطمت أمواجه وتمخض وأزبد وعاد بعد ذلك أسود وأخذه القلق والحرد وكثر اعتكاره وطلع رمل قراره وسبحت دوابه والتطم عبابه وزجرته الملائكة الموكلة به وبسواحله وزادت أهواله وزلازله وأظهر الخالق لعبيده حق توحيده وتبددت المراكب ولعبت بوارق المصائب واسودت الجوانب واشتغل كل واحد عن صاحبه وبكى على أهله وأقاربه وسبح مركب المسلمين ووحدا رب العالمين ونظر البطال الهلاك بعينه قد حضر فوجد الذى أمر البحر فزخر وتأمل إلى جانبه وإذا بالمركب الذى هو فيه قد انفتح وانخرق والماء منه قد نبع وأشرفوا على الغرق فنادى شومدرس ويلك ياراهب مركبنا قد غاب والماء قد طلع الينا وهؤلاء الملاحين الذين عندى قليلين الخبرة بعمل البحر قل لهم يحلونا حتى نصلح المركب قبل الغرق ونحن نرجع نمكنهم من كتافنا لان مامعنا عدد ولا نطمع أن ندفع هذه المراكب كلها ان كان غرضكم سلامتنا وسلامتكم وان لم يكن ذلك فكلنا أشرفنا على الهلاك فلما سمع شومدرس

كلام البطال علم انه صادق فى المقال وانه خبير بهذه الأعمال فقال لمن معه حلوا هؤلاء المسلمين من الكتاف ودعوا هذا الشيطان يدبر المراكب فهو أخبر منكم بها فعندها تبادروا البطارقة وقد طلبوا الهناء لأنفسهم والخلاص وهم يرجون من المسلمين الخلاص فحلوا كتافهم وقام البطال إلى المراكب ودبره إلى الصباح وطلع شومدرس إلى أعلى المراكب واذا هى كلها مبدده فى أقطار البحر من كل جانب والموج بها لاعب فأراد يأمر أصحابه برمى المراسى واذا قد طلع من فوق رأسهم غمامة سوداء وغيام مغنم مظلم مكدر والتحم وامتدوصفقته الرياح وطارت منها الالواح والسالم منها غطته المياه وغاصت تطلب القرار فى ذلك البحر العجاج المتلاطم بالامواج ولم ينجوا من القوم ناجى وبقيت الاخشاب على وجه الماء تلعب وقد شرب من كان فيها شراب العطب وحكم الله عليهم بهذا الامر المقدور وكان لهم آجال قد تقاربت ولم يبق منهم بشر ولا نفر (قال الراوى) ياساده فهذا جرى لهؤلاء (واما ما كان) من الملك شمخواص فانه سار ومعه عقبه الغدار والمأسورين حتى وصلوا إلى الجزيرة المقدم ذكرها وسأل عن المراكب فقال المتخلف مكانه وحق المسيح أيها الملك ماوصل الينا ولامركب واحد ولارأينا فى البحر لاقائم ولاقاعد فلما سمع الملك ذلك رجف قلبه على أصحابه وقال واندماه واشتغل عن من خرج إلى لقاه وقال لعقبه ياشيخ ايش تقول جرى عليهم لايكون غرقوا الآن لأن فى هذه الأيام بان لى فى البركان الهواء قدتغير الجومنه تكدر وأنافزعان على المراكب فقال عقبه اذا كان الامر على ذلك فانفذ بعض الحراقات يكشف لك الخبر ان كان البحر هادى سليم من الخطر فعندها قبل الملك منه هذا الرأى وفرق المأسورين فى الابراج وسير مركب لطيف فيه عشر من الاعلاج وقال لهم لاتعودوا الا بالخبر اليقين ولو وصلتم إلى قلعة السها ونزل عقبه فى الكنيسة وقد فرح فى الباطن بهلاك الاميره ذات الهمه والبطال وقال فى نفسه ان كانت المراكب قد غرقت فما أهلكها الاالمسيح بمخالفة هذا الملك لأنى أمرته بهلاك المسلمين وصلبهم فما فعل وماغمنى الاهلاك الراهب شومدرس والالو هلك كل من فى هذه الجزيره وكان البطال معهم لاكنت غير خاسر (قال الراوى) ياساده وكان الملعون لما نزل فى الكنيسة قد أخذ العلويه أم بكار وطلب بذلك عذابها لأنه قال للملك مايطيب عيشى الا أن أداوم العباده على جهاد وأريد هذه العلويه تكون عندى أجاهد فيها بالعذاب حتى يفرح قلبى وقلبك أيها الملك وأشفى غليلى من باقى الاسارى (قال الراوى) وكان الملك قد اشتغل قلبه بغيبة المراكب لأن فيها خواص بطاقته وكبراء أهل قلعته وكان قدترك الامراء فى برج عالى مشرف على البحر وهم ظالم وأبوسكران ومذبحون والحصين والشريف بكار العلوى (قال) ولما جن الليل تحدثوا الامراء فيما قد أصابهم وبكى

مذبحون على أبيه البطال وكذلك أخيه الحصين وبكى ظالم على ستة وقال واحسرتاه على الاميره ليتها كانت معنا أسيره ولا غرقت فى هذه البحار وشمت بها الملعون راس الفجار فقال الشريف بكار والله ياظالم وكلنا هذا المصاب مصابنا وفى غداة غدا إلى الآخرة أصحابنا ومافى قلبى حسرة الامن عجوزى الكبيره التى قدتولاها هذا الملعون ليعذبها ثم أقاموا كذلك إلى أن مضى من الليل ربعه وقال مذبحون لأخيه الحصين ويلك يا أخى أقرض كتافى حتى تبصران كان لنافرج قبل الصباح والامايغفل عناعقبه حتى يسقينا كاس الردا فتقدم الحصين اليه وقرض كتافه بانيابه وأطلقه فى الحال وأطلق يديه وعاد هو حل باقى الامراء فصاروا الكل مطلوقين إلاأنهم فى ذلك البرج الذى وصفناه مالهم إلى الخلاص منه سبيل فقال ظالم ايش كان الفائدة فى اطلاقنا يامذبحون ونحن فى هذا المكان فقال مذبحون أما أنا فلى فى هذا أكبر الفوائدلأنى أقدر الساعه اصعد وانجو بروحى واقدرأقيم فى الجزيره سنة ولايعرفنى أحد حتى يسهل الله التوصل إلى بلاد الاسلام باى وجه كان ولو كنتم أنتم مثلى تقدرون على الصعود من هذا المكان لكنا كلنا ندبر فى الخلاص ولايشتفى منا عقبه القرنان فقال الحصين ويلك ياأخى ويطيب قلبك تخلص وتخلينى يتحكموا بى الاعداء فقال لاأنا أصعد وأدلى لك الحبال وألتقيك فقال أبا سكران لا وذمه العرب لانترك أحدا منكم يصعد حتى تحلفوا لنا انكم تأخذونا معكم والاتخلصون أنتم ونبقى نحن تطلع الحرارة كلها فى روسنا فقال الحصين أى قرن يقدر يستقيك أنت بحبل وأنت فى قدر الجمل فقال خونى أنا إلى الآخر حتى تطلعون كلكم وابصروا كيف تعملون معى وماأريد منكم إلاأن تستوثقون إلى الحبال وأناأصعد بروحى فقال مذبحون ان كان على ذلك فاصبروا على ثم التصق زاوية البرج وخلى رأسه إلى أسفل ورجليه إلى فوق وتسلق كما جرت له العاده (قال الراوى) ياساده وكان على البرج حارس وفى يده ناقوس وهو يغنى بالروميه فما أحس إلا برجلين مذبحون طالعه من بين أفخاذه فبطل دق الناقوس وأخذته إليه بهتة وقال وحق المسيح ماهذا إلا جنى قد نزل إلى هؤلاء المسلمين رسول وقد عاد صعد من عندهم لأن الروم قالوا الكل سودان خلاف خلق الآدميين ثم جف لسانه وقام من ذلك المكان وبقى باهت حتى بقيت رجلين مذبحون كلها فوق وهمز بنفسه صار قائم وبادر الحارس وقد أراد أن يصيح فلكمه أرماه إلى أسفل البرج فقال أبا سكران صح الله بدنك يامذبحون ليت أنا كنت أحسن هذه الصنعة وما أريد فروسيه ثم قال لظالم أن يرجع إلينا فهو مليح فقال الحصين طيب قلبك فأنا أعرف صفة أخرى أطلع بها فى هذا البرج وأصيح به وأعود فقال ظالم لاوحق محمد بن عبد الله مابقينا نخليك تبرح من ههنا حتى نبصر مايكون (قال الراوى) ياسادة وما لبثوا أكثر من ساعة حتى أطلع

عليهم مذبحون فقال يا أبا سكران هاأنا قد وقعت لكم بحبل تشتهون تفعلان أو تصعدون
فقال ظالم ويلك يامذبحون دلى الحبل ودع الجنون فأين قرنان يشتهى يرى هذا المكان فضحك
مذبحون ودلا لهم الحبل فصعد أول الكل الحصين ولما صار عنده قال سير بنا ياأخى ودع
هؤلاء لأنهم إذا صعدوا وكثروا أنكروا علينا إذا تفرقنا فى الجزيرة فقال الحصين إلى أين
تمضى قال ننزل فى هذه المركب الذى تراه تحت البرج ونقلع متابعة الهوى ويفعل الله بنا
مايشاء وأين ماوقعنا كان أصلح لنا فى المقام مع الأعداء فسمعه ظالم فقال لا بالله يا مذبحون
خذنا معك فضحك ثم دلى لهم الحبل واستقا الشريف بكار وبعده ظالم ولما صاروا الكل
فوق تعاونوا على أبا سكران حتى رفعوه وقد لاقوا منه مشقة عظيمة (قال الراوى) ياسادة
ولم تكن إلا ساعة حتى ساروا الكل على الساحل وتقدموا إلى المركب الذى ذكرنا وإذا
هى مركب الملك الخاص وهو ملان بالزاد والعدد والمقاديف ولما حصلوا فيه تولى مذبحون
أمره لأنه خبير بعمل البحر جيد المعرفة (قال الراوى) ياسادة وساروا حتى أصبح الصباح
واتسع البحر فى أعينهم وقد ابعدوا عن البر وهم سايرين لايرون إلا ألواح المركب التى
غرقت وأخشابهم تلعب بها الأمواج فبكوا على أصحابهم وكان أشدهم بكاء ظالم على سته الاميرة
ذات الهمة وعلى وطنه وبلده وبرية الحجاز مولده وتذكر أباه فبكى وكذلك انتخب مذبحون
والحصين على أبيهما أبو محمد البطال (قال الراوى) ياسادة وساروا الامراء وهم فى نوح
وبكاء واتكلوا على الله تعالى ذلك اليوم وتلك الليلة إلى أن أصبح الصباح بالضياء ولمعت
الشمس على الماء وقطعوا من البحر شيأ لايقع عليه احصاء وقد لاح لهم سواد بين أيديهم
لايكاد من تعاظم الامواج أن يرى فقال ظالم لمذبحون ميل بنا ياابن العم إلى هذا السواد
لعل أن يكون لنا فرج ولعلها تكون حديقة نطلع إليها ونستريح من هذه الامواج فميل
إلى السواد وادار القلع واتكل على رب العباد وسار حتى تنصف النهار وبان السواد للابصار
وتأمله وإذا بها مركب تجار وهى ستة مشرعة القلوع تسير وتدور لاتقدر على الطلوع فلما
رأى مذبحون ذلك حط القلوع وأرسى وخاف على نفسه وعلى مركبه ان يقع مع مراكب
القوم فى ذلك البلاء هذا وأهل المراكب قد صاحوا بأصوات مرتفعات وقالوا إلينا ياعباد
المسيح لعل يكون لنا على أيديكم فرج فقال لهم مذبحون بالرومية ماحالكم فقالوا نحن
قوم تجار خرجنا من بحر المجليه نطلب الجزيرة والحائط والبحر الاخضر وحصن القمر
وكنا ستة عشر مركب فوضعنا فى هذا الموضع وهو سيما بحر الصفا ودوار الرحى قد ارمانا
الريح إليها فى خمسة عشر يوم وقد بقينا بحكمه وحكم الماء ان حطينا القلوع غرقت المراكب
لاجل اختلاف الهوى وان أقلعنا كانت حالتنا كما ترى تدور الابراج من هذا الزقاق والصفا

وقد غرق من أصحابنا عشر مراكب وقد بقينا نحن ستة نقاسى البلاء وفى هـذا اليوم نهلك أو غدا فان سلمنا من الغرق قتلنا الجوع والعطش لان زادنا والماء الحلو قد فرغ من عندنا (قال الراوى) ياساده فلما سمع مذبحون قال لمن معه ابشروا بالفرج أنا أخلص هذه المراكب وأينما أقلعت أقلعنا وتوصلنا إلى بلادنا إن شاء الله تعالى ثم نادى التجار بلغتهم وقال كم تجعلوا لنا على كل سفينة حتى أدخل إليكم وأخلصكم فقالوا كلما تريد فرج عنا وخذ أموالنا (قال الراوى) ياسادة وكان فى المراكب أموال كلها حبوب وجواهر لانهم كانوا أقلعوا من الحلبة وهم فى خلق كثير يزيدون على خمسمائة رجل فقال مذبحون أريد على كل سفينة أخرجها ألف دينار وإن أردتم بعد ذلك أقلعت بكم قالوا رضينا بذلك ونحن نعطيك هذا الذى قدضمنا لك ونوصل إليك هدايا أوفا من هذا القدر فعند ذلك ميل بمركبه إليهم وكان مركب لطيف حربى فخط الدوار معهم (قال الراوى) وكان مذبحون أخبر أهل زمانه بتدبير المراكب لانه تربية الجزائر وخرج كما ذكرنا فصار ينزل إلى السفينة ويقول لملاحينها كنبوا القلوع فاذا طنبوا سف جانبه الواحد وأخذ فى الجانب الآخر ثم يميلها من الدوار أسرع من البرق على جانبها ولم يزل كذلك حتى أخرج الجميع وعاد إلى الامير ظالم وأصحابه فاخرج مركبهم وصاروا فى لجج البحار وقد فرحوا بخلاصهم وصار مذبحون عندهم اعز من أرواحهم فقالوا له ياحكيم ان اردت ماضمناه لك سلمناه اليك ههنا وان اردت ان تسير معنا إلى بلادنا فافعل فنحن مابقى لنا إلا العوده إلى جزائرنا لان الريح علينا وقدامنا هذا البحر الاخضر وهو كثير المهالك والخطر وقد رأينا أنفسنا تبقى أحب الينا من الدينار والدرهم فاتم أين قصدكم فقال مذبحون نحن اقلعنا من قلعة السها نطلب جزيز الحائط وحصن القمر فتغير علينا الهوى فما قدرنا نقاومه وإلا الساعة نحن بحكمه فقالوا له الروم إذا كان الامر على ما ذكر فسيروا معنا إلى ملتقى البحرين والفيض الاكبر وعدى فى الخليج إلى حصن القمر فانه صفر واقل خطر فقال مذبحون نحن مركبنا لطيف ماأقول انه يقوى على موج البحرين فقالوا الروم نحن إذا وصلنا إلى هناك رفعناكم الينا وجربنا مركبكم حتى تجوزا الفيض الاكبر وبعد ذلك نعطيك المال الذى ضمناه لك وتعود فى دعة المسيح فقال مذبحون أقلعوا وافعلوا مابدالكم ثم صار معهم ذلك اليوم وتلك الليله حتى اصبح الصباح وقد قربوا من ملتقى البحرين فرفعوا مذبحون والامراء إلى بعض السفن وشالوا مافى مركبهم من العده والإلاله الذين عندهم وجنبوه ثم ساروا إلى ان تضاحى النهار وأشرفوا على الفيض الاكبر وإذا بين أيديهم مركب صغير لطيف وعلى ظهره أربعة رجال اثنين معهم قيام واثنين مطروحين على جنوبهم فالقيام منهم يصيحون الينا لعلكم تفرجون عنا فمالت المراكب اليهم

الزاد ومابقي فيهم من يدري هو في أرض أم سماء ان كانوا قد شبهونا بالمسلمين فدع يسألونا عن علم التحليل والتحريم وربما كانوا هم المسلمين وقد خافوا أن نعرفهم وقد بدؤنا بالشر والا فأنا وإياهم نتناظر في دين النصرانيه والذي يكون اقل من صاحبه معرفة في الدين هو الذي يكون من المسلمين (قال الراوي) فلما سمعوا أهل المراكب هذا الكلام حاروا ووقفوا وعادوا وانعطفوا وابصروا البطارقة أنهم هالكين وأن الحجة عليهم فقال واحد منهم ياقوم لا يبهتكم هذا الشيطان ويحوجكم أن تقتلوا حملة الصلبان ونحن شيء يفصل بيننا في هذه المعاني ويبين لكم المسلم من النصراني ثم أن الملعون أخرج ثلاث ورقات وقالوا هذا من إنجيل المسلمين لأن أبونا شومدرس لما أشرفنا على الغرق أخذه من بعض المسلمين وفرقه علينا وقال لنا ان أردتم أن تنجوا من هذه الشدة والأمور الصعبة اكفروا على هذه السطور فهي كلام رب محمد نبي المسلمين ومن وقت مافعلنا ذلك ماافلحنا ولا أنجحنا والساعة فيها قد سلم معنا من الورق هذه الثلاثة فقالوا لهم يبصقوا عليها ويدوسوها بأرجلهم دوساحتى نعلم أنهم من أمة عيسى فقالوا الروم هذا هو الصواب ثم أخذوا ورق المصحف منهم وأتوا بهم إلى مذبحون وقالوا له ابصق على انجيل المسلمين ان كنت نصراني فأخذ مذبحون ذلك الورق من أيديهم وباسه وتركه على رأسه وقال ماأمرنا المسيح بهذا وبيننا وبينكم علماء الانجيل ثم التفت إلى ظالم وقال له أنت ياعبد المسيح ايش تقول امروك القسوس قط بهذا فقال ظالم أنا ماأمروني القسوس إلا بتطهير الرؤس وتبطيل دق الناقوس وقتل النصارى والمجوس وتوحيد الملك القدوس ثم وثب مثل السلهب وهز سيفه حتى التهب وضرب الخنزير الذي كان عرفهم على عاتقه طير رأسه إلى البحر وكبرت أهل السماء والأرض والسمك والبحر وطار أبو سكران وكشف عن وجهه مثل الغول أو أكثر وأكبر ووثب وثبة الأسد الغضبان وكشر عن أنيابه فطير عقل عبدة الصلبان وسل صارمه وانتضى وادرك أحدهم مثل القضى وضربه على صدره أخرج السيف يلمع من ظهره فتصايحت المراكب الكبار وعاد الامراء إلى الاشتهار وقام مذبحون وأخيه الحصين والشريف بكار وما فيهم الا من صلى على النبي المختار وحامى عن دين الملك الجبار ولم تكن إلا ساعة من النهار حتى ملكوا المسلمين المراكب الذين كانوا فيها وارموا أصحابهم إلى لجج البحار ورأت باقي المراكب إلى ذلك فداروا بهم من كل جانب وارموا الخاطيف في مركبهم ومروا إليهم الاسقالات ومشوا نحوهم وهجموا عليهم وكثر على الأمراء العدد وتزايد المدد إلا أن ظالم قد أحمى جانب المركب الواحد واحمى أبو سكران الجانب الآخر ومذبحون وأخيه كانا في المؤخره والشريف بكار في المقدمة إلا أنه قاتل هذا اليوم قتال حير العقول والأذهان إلا الأمير أبو سكران لأنه منع مركب فيها أكثر من خمسمائة روح ولم يقدروا يقربوا الى جانبه وكانوا كلما مروا اليه الاسقالات

وطلبوه وارموا على نفوسهم طير إلى البحر رؤسهم ونثر أجسادهم واشبع السمك ومنعهم بلوغ مرادهم (قال الراوى) ودام القتال حتى خزلت من المسلمين المناكب والقيت الكلاليب فى المراكب من كل جانب وجاءتهم الكفار مثل قبض السحاب ونادوا يامعشر المسلمين سلموا أنفسكم وإلا وحق المسيح مابقى بينكم وبين الغرق الا مقدار مايسحب الكلاليب التى هى عالقة بمركبكم وقد هلكتم عن آخركم ثم جذبوا الحبال فمال المركب وجرف من الماء فرأى مذبحون ذلك فعلم أنهم قد أشرفوا على المهالك وأنهم ان لم يسلموا أنفسهم غرقوا فقام مذبحون الى ظالم ومسك السيف من يده وقال له يا أخى بحياتى عليك لا تلزم القتال موضع الغلبة فانه من سوء التدبير ودعنا حتى نبصر الأخرى إلى أى شىء تنتهى ثم عدل إلى أبو سكران وأخذ سيفه أيضا ونادى الامان فأمسكوا عنهم الروم ومشوا إليهم وشدوهم كلهم كتاف وعولوا على المسير فوقع الخلف بينهم فقالوا اقوم منهم نريد نحملهم إلى الملك شمخولص الذى خاصوا من عنده لعله ان يعطينا من أموالنا التى هلكت منا وأرميناها فى البحر لما أشرفنا على الغرق وقوم قالوا مانفعل ولا نريد مال نحن نريد أخذهم معنا إلى بلادنا ونفرقهم على الاديرة والكنائس ونجعلهم لرهباننا قربان ونشكر المسيح الذى خلصنا أحب الينا من الاموال (قال الراوى) وذاد الامر بينهم حتى انهم سلوا السيوف واذا صاح بهم شيخ منهم أزرق العينين قصير أشقر أنمش الوجه صغير اللحيه طويل السبال يقال له خيلوص الجوهرى (قال الراوى) وكان هذا الشيخ من رهبان جزيرة هرقله وكان شيطان فى علم الاديان فيلسوف الزمان قد قرأ سائر كتب اليونان وهو آفة من الآفات وكان قد بقى زمان راهب وقرأ على قسوس علم النصرانيه والانجيل وهو عندهم فى غاية من التعظيم والتبجيل وكان سبب تركه الرهبانيه أنه دخل عليه ملك الجزيرة يوما إلى المذبح فوجد عنده زوجته تمرح فقال له ياراهب ويلك ايش هذا الفعال فقال ياملك هذا فعال الرهبان الذين ساحوا فى طاعة المسيح كل السياحه وعرفوا حكم الابارحه وهذه زوجتك قد خلوت بها لأن منزلتك عظيمة حتى أجوهرها واتركها مثل الجوهر الشفاف وان شاءت الماء سارت وان شاءت السماء طارت فلما سمع الملك منه منعه وعلم أنه محال مكار مفترى وسماه خيلوص الجوهرى وهتكه بهذا الاسم بين الرهبان فاراد خيلوص ان ينفى هذا الاسم عنه بين الرهبان بهذا المعنى فسار يسافر بالجوهر من مكان إلى مكان ويقصد الاقاليم والبلدان حتى اتفق فى هذه النوبه انه كان فى المراكب وأخذوا الأمراء جند الرحمن وجرى لهم من الامر ماجرى وأشرفوا الروم على القتال فنادى خيلوص لا تتقاتلوا وتثيروا الفتنة وبيعونى هؤلاء المسلمين كل واحد بألف دينار وأنا أسير بهم إلى أى موضع أختار وأخاطر بهم فى لجج البحر وان شئت أبيعهم أو أهديهم أو أحرقهم بالنار (قال الراوى) فلما سمعوا الرم ماقاله صفت منهم الضمائر وأخذوا

منه أثمان الامراء ذهبا وجواهر واقتسموا ماأصاب المراكب وصار كل مركب إلى اقليمه طالب وتسلم خيلوص الامراء وقال لغلمانه اقلعوا بنا إلى ساحل الديوره ناخذ أضعاف ماقد ذهب منافى هؤلاء المسلمين فقالوا الغلمان وكيف ذلك فقال انى أعلم ان هناك رهبان مارأوا قط مسلم وماسمعوا به وما عبرت بهم قط وقالوا ياخيلوص بحق المسيح ان أنت وقعت فى سفرك باحد من الموحدين الحقنا به ونحن نغنيك غناء لافقر بعده ونتقرب بدمه فى كل دير ومعبد وأريد أسير بهؤلاء الشياطين اليهم وأقدم بهم عليهم فاذا أخذت منهم أضعاف ماراح منى من ذهب ومتاع أمرتهم ان يصلبوهم على صوامعهم حتى يصير لاديرتهم عيد يسمى خيلوص ويزار فى كل سنة ثم أقلعوا سائرين والامراء قد سمعوا هذا الحديث وبقيوا من الخلاص آيسين وقال ظالم والله يامذبحون ماعملت معنا خير الذى منعتنا من القتال وتركتنا نسلم أنفسنا إلى من يفعل بنا هذا الفعال فقال أبو سكران عيدوا على الحديث بالعربية فاخبروه بالحال وكيف قد عولوا أن يصلبوهم على الصوامع صلب الكراع فقال يكون رجلاه أعلى ورأسه أسفل وهو معلق على الصومعه فقال أبو سكران ياغربتاه كيف يكون ارتفاعها يامذبحون فقال أقلى مايكون خمسين قائمه إلى فوق فقال أبو سكران يامصيبتاه واطول غربتاه فقال أى والله واعيناه من هذا اللعين خيلوص الذى مابقيت أقدر منه على التخليص فقال الشريف بكار أنا والله ماأبكى على نفسى ولكن أبكى على عجوزى الكبيره التى قد وقعت فى يد ذلك الظالم ويعذبها الليل والنهار (قال الراوى) وسار بهم خيلوص وهم يبكون ويندبون على أنفسهم تمام ذلك اليوم وتلك الليله ومماانشق لهم الفجر الاوهم قد أشرفوا على ساحل البحر وقد بانت القناديل من أديرة الرهبان مثل النجوم وسمعوا أصوات النواقيس قد أقلبت تلك الارض مع ضجيج الرهبان فأقبلت اليه من كل جانب ومكان وهم بالمسوح السود مثل الغربان فلما رأوه عرفوه وعظموا قدره وبجلوه وعن سبب قدومه سألوه فقال قد أنعمتكم بما كنتم تطلبوه وجئتكم بالغرض الذى كنتم ترجوه وهؤلاء الذين معى موحدين أعداء الدين والحواريين وأريد تبصروا لى حق تعبى وتخلفوا على ماخسرت من ذهبى وتغتنموا الثواب والجهاد وتجعلوا الاديرتكم عيد يدار فى كل البلاد (قال الراوى) ياساده فلما سمعوا الرهبان ذلك تباشروا وضحكوا وقالوا ابشر ياخيلوص بكل ماتريد فما أتيتنا إلا فى وقت الحاجه وفى وقت سعيد ثم تبادروا إلى وجوه الامراء وصاروا يلطموهم ويتصايحون وهم مثل الكلاب يتنابحون وزاد الامر عليهم حتى أخذوهم بأسنة العكاكيز فى أجنابهم فسالوا دماهم ورأى خيلوص إلى اسراه أن يهلكوا وشىء ماوقع فى يده فصاح على الرهبان وأبعدهم عنهم وقال ماأقل أدبكم كيف

تحكمون على مالا تملكون هاتوا المال وافعلوا بهم ما تشتهون فقالوا الرهبان ياهذا ابشر بما يسرك الساعه يأتى أبونا ومقدمناد هيلوس راهب الرهبان وقس القسوس ويجمع سائر الرهبان ويعطيك مال مالا تحمله البغال لانه يتولى هذه الديوره وهو يحمل صلبانها ونذورها وهو عالمها وخبيرها لانه أقبل على دين المسيح بن مريم بكليته وقد بانت عندنا آيته وكرامته وقد بشرنا ان فى هذا الزمان يريد المسيح يزورنا وهو يشتهى ان يرى مسلما من المسلمين حتى يقربه ليلة نزول المسيح فى هيكل الحواريين وقد وصلت اليوم ههنا بنية (قال الراوى) فلما سمع خيلوص ذلك فرح وقال قد أتيتكم بخيار أمة محمد العربى وأنا أرجو من المسيح أن لايضيع تعبى (قال الراوى) فعندها مضوا الرهبان ودخلوا إلى دير قريب منهم وأتوا بشيخ قصير بذقن بيضه كبيره طويله وعلى رأسه برنس مربع الجوانب وله صليب من كل جانب وعليه ثوب أخضر من الصوف الرفيع وفوق أكتافه ماشوحه سوداء وفى يده عكاز طويل وفوق رأسه صليب بلور وهو يمشى بين الرهبان ويتبختر وقد رفعوا أصواتهم بقراءة الانجيل إلى ان وصلوا إلى ساحل البحر وخيلوص خار من جلالة قدره فقام اليه وباس يده ثم أمر خيلوص الغلمان أن يقدموا المسلمين إلى بين يديه وهم فى أسوإ حال من ضرب الرهبان وماقد قاسوا من الذل والهوان (قال) فلما رآهم الراهب دهيلوس تقدم وميز اليهم طويلا وتكلم بكلمات من الانجيل وقال لخيلوص من أين هؤلاء ومن أين وقعوا فى أيديكم وهم بهذا الجفاء وعظم الأجسام ومن أتى بهؤلاء الشياطين إلى هذه البلاد قال خيلوص يابونا هؤلاء أمرهم غريب ثم حدثه بجميع ماجرى للروم معهم فى المراكب وماأظهروا من القتال والعجائب وكيف اشتراهم بالمال وأتى بهم يطلب الفائدة من الرهبان (قال الراوى) فلما سمع الراهب دهيلوس كلام الراهب خيلوص احمرت عيناه وصاح فى الرهبان ويلكم اقبضوا على هذا الشيطان وقدموه إلى حتى أحكم فيه بحكم المسيح وأمر مريحنا المعمدان وأبين لكم فى دينكم الصحيح (قال الراوى) ثم انه قال من جاب هدية إلى الرهبان وطلب المال وربح منهم فقد كفر فى شرع المعمدان وهذا كفره فبادروا الرهبان إلى خيلوص الجوهرى ولطموه على رأسه واكتافه حتى أشرف على الهلاك والهوان وشدوا يداه إلى ورائه كتاف وهو يقول هذا بقى رأس المال وايش كان لى فى هذا الفضول والهذيان ياخيلوص يازربون ايش كان لك إلى هذا المكان من حاجة وصار يسب فى روحه ويقول يامسيح اصرف عنى شر هذا الراهب دهيلوس الشيطان هذا والرهبان قد شدوا خيلوص وأصحابه كتاف وأحضروا الكل قدام الراهب دهيلوس وقالوا ماالذى تأمرنا فى هذا الخنزير قال اعلموا يامعاشر الرهبان ان الملعون خيلوص قد مرق من عبادة الصلبان لأجل انه أتى فى كسب المال وغشته الدنيا الغادره عن الدار الآخره

حتى انقلبت تجارته خاسره وأنا سمعت عن مرفارى عن مركوكيس سمعت من ماريحنا الذى سن ضرب النواقيس من سمعون الصفا صاحب التقديس انه قال المسيح من أتى إلى دير من الاديرة وطلب جعلا أو برطيل فقد مرق من دين الانجيل وهو مخالف للمسيح والانجيل والساعة قد خالف وكذب على دن المصلوب على العود والصواب ان يضرب إلى ان يعود (قال) فبادروا إلى خيلوص ولم يزالوا يضربوه إلى ان سال دماه وارادوا أن يحلوه فصاح فيهم الراهب دهيلوس وقال لهم من اتانى من ذقنه بشعرة ضمنت له من دار الآخرة حجرة (قال) فلما سمعوا الرهبان كلام دهيلوس بادروا إلى دقن خيلوص الجوهرى حتى تركوا ذقنه مثل خد الفرس أو خد العروس وقلعوا أسباله وشواربه وبعد ذلك نادى الراهب دهيلوس اسحبوا هؤلاء المحمديون إلى داخل الدير حتى أتركهم إلى ليلة نزول المسيح ونقربهم اليه ففعلوا الرهبان ذلك بعدما اشتفى من خيلوص فقالوا سبحان من سلط غليه من هو أظلم منه وبعد ساعة فاق خيلوص وجعل يقول قتلتنى يادهيلوس ياألف قرنان ولم تجاوبنى الابروايات وأخبار فلعنك المسيح يادهيلوس فضحك منه دهيلوس ثم قال أستغفر الله من هذا الضحك لانه قال من ضحك من غير سبب وعجب أتانى يوم القيامة وهو أعمى أصم فقالوا الرهبان واحرباه إذا كان يطالب العبد إذا تبسم فمن ذا يخلص من عذاب جهنم ثم قال اضربوا هذا الشيطان عشر عصى أخر فقد أمرنى المسيح بذلك حتى يرجع إلى حقيقة الدين فعندها رجعوا الرهبان إلى خيلوص وضربوه حتى كادوا أن يعطبوه وهو يقول جود ياألف قرنان لاتضربنى الابروايات وأخبار ماأكذبك عليه فقالوا غلمانه ياشيخ اصبر على حكم المسيح وليتك تراوس على الراهب الرئيس لأنه رجل عالم (قال الراوى) ولما فرغوا الرهبان من ضرب خيلوص الجوهرى قال لهم الراهب دهيلوس امضوا الآن إلى الديوره ونفروا أهلها حتى تقطع الليالى بالفرح والسرور (قال) وكان على الساحل تسع ديوره قريبة من بعضها وفيها خلق من الرهبان قال فما أمسى المساء إلا والكل حضروا نزول المسيح وقد ارتفع لهم ضجة عظيمة وكان خيلوص قد أفاق من ألم الضرب فرأى ذلك الخلق الكثير فانذهل وقال لأصحابه ياقوم انى لاأعجب من هذا المحالى الذى أمر الرهبان بنتف سبالى وقد أظهر الزهد والناموس وقد جمع هذه الرهبان والقسوس وقد أغراهم وقال ان المسيح ينزل عليه وهذا شىء لايقدر عليه ولا سمعناه فى الانجيل ولا فى مزمار حزقيل وما اخوفنى لاتكون هذه حيلة منه على أهل الديوره من هذا المنحوس دهيلوس ويقطع الليله رؤوسهم مثل روس التيوس فقالوا الغلمان والرهبان وحق المسيح كلما فعله فيك تستاهل يامنحوس لأنك مكذب بقدرة المسيح وبتكذيبك ونيتك اصابنا هذا المصاب وان سمع أبونا دهيلوس هذا المقال أنزل بنا العذاب والوبال فقال خيلوص

أنا ماسكت والساعة تبصرون مايجرى فى هذا المكان ويحل بناوبهؤلاء الرهبان من هذا القرنان الديال وان صدقنى حذرى فانهم قرائب لهؤلاء الذين كانوا معنا مأسورين من المسلمين هذا والرهبان قد أوهجوا البر وملؤا السواحل التى للبحر وفتحوا الدنان وتجاوبوا بالالحان وقالوا للراهب دهيلوس نريد الليله تحضر معنا حتى يتم سرورنا فقال ماأقدر على ذلك إلى وقت السحر لانى أنظر من السيد المسيح خبر والليل أخبر فى أى ليلة يظهر ولابدما آتيكم من عنده بقربان مخزونة لكم فى خمر هذه الدنان حتى تنكشف عن ابصاركم أوساخ هذه وترون ربكم عيان فاذا نزل فى ذلك الجمال والبها والكمال فلا تسكرون من الشراب واتركوا فيكم بقية للمكاشفة والحجاب وأذيقوا خيلوص ومن معه من العذاب لان لكم فى ذلك الأجر والثواب ثم انه تركهم وعاد إلى الدير وغلق خلفه الباب وقد اتى إلى عند المأسورين المجاهدين فوجدهم يندبون بالاشعار على المنازل والأحباب ويبكون على من فقدمنهم من القرائب والأصحاب حتى فاضت الدموع من عيون دهيلوس مثل السحاب وتقدم إلى بين أيديهم وقال يامعاشر المسلمين مالكم تبكون لايكون لكم من تشتاقون اليه وتذكروه وقد خفتم ان تهلكون وتبعدون

(قال الراوى) فلما سمع ظالم وأصحابه كلام الراهب بالعربيه فرحوا بذلك وقال ظالم أى والله ياراهب لنا قوم نشتاق اليهم ويجب ان نبكى عليهم وهم أسارى كانوا لنا سادات ودخلنا معهم إلى هذه الديار فضرب فيها بوق الشتات ومنهم أمير كان يقال له أبو محمد البطال وامرأة مجاهده عن ديننا تحامى وتتقى الابطال من دوننا (قال الراوى) ياساده فما تم ظالم كلامه حتى صاح مذبحون بس ياظالم من هذا الكلام فقد صح لى ولاح لى لائح الفرج من الملك العلام وحق الملك القدوس هو أبى البطال هذا الراهب دهيلوس (ياساده) ثم انه هم ان يقوم اليه فمنعه الشد الذى فى رجليه هذا والراهب الذى ذكرناه قد ترامى عليهم وصار يقبل عيناهم ويقول صدقت ياولدى فى هذا المقال وان أبيك أبى محمد البطال

(قال الراوى) ياساده لقد عجبت من هذا الاتفاق لما وصلت إلى هذا المكان وقلت سبحان الله الملك الخلاق الذى كان يسهل لهؤلاء القوم ويأتيهم بالفرج بعد الشدة وضيق الخناق هذا والبطال قد فك أطراف الأسارى من شدة الوثاق وبكوا الجميع من شدة الفراق فقال ظالم ياأبى محمد وماعندك من ستى ذات الهمة خبر فقال والله لقد كان أسرنا عبرة لمن اعتبر ومامعى لها خبر وانى مرتجى لها خبر وان الليله التى غرقنا فيها كانت سخط من الله تعالى وغضب وماقلت إلا ان البحر بنا قد انقلب ولما انكسر بنا المركب ماابصر منا احد صاحبه من شدة الغمام الذى غشينا فاما أنا تعلقت على لوح من الواح المركب وصار الموج يلعب بى حتى أشرفت على العطب وكنت كلما أيست من الحياه وأقول ان أخلى الخشبة من يدى تعود النفس تتعلق باذيال الطمع

ويعز على فبقيت سائر على كف الرحمن أسير فى يدى برهة من الزمان يومين وليله بعد ذلك أرمانى البحر إلى هذا الساحل وخذلت منى المناكب والمفاصل ولما ركبت البر أملت الحياه وتعلقت يدى باذيال النجاه ومن الخلاص رميت روحى إلى الأرض مثل القتيل وأنا من روائح البحر عليل وبقيت كذلك حتى عبر بى بعض الرهبان وقعد عند رأسى وسألنى عن حالى فقلت له أنا دهيلوس راهب جزيرة الصنم ثم وصفت لهم وصائف المسيح لحملنى إلى هذا الدير وألقى على ميشومه وثوب شعر ولما أفقت فسرت ما أعطيت من علم الانجيل وبينت للقوم شيء من التحريم والتحليل ورأيتهم قليلون المعرفة بالعباده فاظهرت لهم المعرفة والناموس حتى صرت عندهم بهذه المنزلة العظيمه والكلمة المستقيمة وكنت فى هذه الأيام عولت ان أخدعهم وأسير من عندهم وأبصر من هلك منكم ومن سلم فانتم قد سهل الله خلاصكم على يدى والساعه فانا شاكر ربى الذى جمع على ولدى فقال ظالم ياأبى محمد ولو أن الأميره سلمت كانت تكون الفرحة الكبرى ولكن لله فى هذا رضى ثم حدثوه كيف هربوا من جزيرة الحائط وكيف ألقتهم المراكب فى البحر ومافعل مذبحون واخبره ظالم بمن بقى من المسلمين مع عقبه اللعين فقال البطال (ياساده) هذا وولد العلويه الشريف بكار يبكى ويقول والله ماسرنى خلاص نفسى مادامت أمى مع اللعين عقبه فقال البطال ان لحقناها سالمه خلصناها ان شاء الله تعالى لأننا هاهنا نسير إلى حصن القمر وجزيرة الحائط وننظر كيف يكون التدبير ونتوكل فى أمورنا على اللطيف الخبير الذى هو نعم المولى ونعم النصير ولى هذه الأيام فى هذا المكان ماكان لى شغل إلا استخبار الرهبان عن طريق البر والبحر والجزائر والقلاع فقال مذبحون ونحن أيضا قد عرفنا طرقات البحر كلها ومابقينا نطلب إلا التوفيق من الله والخلاص من هذا الضيق فقال ظالم ماهذا ضيق ان شاء الله ومابقى إلا السعد والتوفيق هات لنا سيوف ودرق حتى نخرج من هؤلاء الملاعين ولو أنهم عدد أوراق الشجر فقال أبو محمد البطال السيوف عندى والعدد ولكن اصبروا على حتى نتقن هذا التدبير لأن هذه الأرض لها قرى وسواد وفيها أمم وعباد وخلائق كثيره ونخاف ان خرجنا إلى هؤلاء الجزائر ألقوا علينا النفير ولا ننال منهم مراد ولا نخلص من هذه البلاد ومافى الأمر إلا الحيله عليهم قبل الخروج اليهم ثم انه أخذ الأمراء معه إلى جانب الدير واخفاهم فى مكان لايفطن بهم أحد وسلم اليهم العدد وقال لهم اصبروا إلى حين رجوعى ثم انه خرج وفتح الباب الذى للدير ونظر (ياساده) إلى الرهبان الكبار منهم والصغار وإذا هم يتجاوبون بالحان وقد انتشطوا من خمر الدنان وهم يشربون ويفرحون ويلعبون ويمرحون فلما رأوا باب الدير قد فتح وخرج منه اليهم الراهب دهيلوس تواثبوا اليه قياما بعد ماكانوا جلوس وقالوا ياأبونا نحن

فى انتظارك وفى انتساب أخبارك واخبار المسيح (قال الروى) ثم قالوا ونريد منك المباشرة والرحمة والمكاشفة وكشف الحجاب بيننا وبين المسيح عيسى ابن مريم فقال لهم أبى محمد ابشروا فقد قرب الأوان وأتى وقت الجزاء على عباد الصلبان إلا أن يحل عن الاشتهار ولايجب أن يطلع عليه الاخبار ثم انه اختارمن الرهبان شيخا من علمائهم وأدخله إلى الدير واغلق عليه الباب دون الباقين وقال للذى دخل معه اعلم أن كل صاحب حق يختار منه عقال قومه من يثق بهم ويثقوا اليه حتى يحفظون ما يسمعون وان يقتفون الحقيقة ولاجل هذا موسى بن عمران ﷺ وأفضل الصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ اختار من قومه سبعين رجلا وترك الباقين ضالين وسيدنا المسيح اختار اثنى عشر رجلا من الحواريين فقال يا راهب هذا أوان ليالى نزول المسيح فى هذا الهيكل العظيم وهانحن نريد نجمع عبيده من سائر الاقاليم والليلة قرب جيرانه فى سائر الاقطار وفرقنا نحن وأمر بالنزول إلى كل الامصار حتى يختص بهديته رهبانه الاخيار لأنه لما طعنوه بنى اسرائيل وصلبوه دخل الريح فيه فتلق دمه بيده وترك فى الأرض قربان وفرقه فى سائر الاديرة والبلدان بعدان ضاف اليه قليل من ماء العنب حتى لايدخل عليه شىء يغيره من فصول الزمان ولايدخل عليه النقصان واراد بذلك حتى لا تخلو الأرض من بركته إلى أن يعود اليهم كما كان ويهدى الخلق إلى البيان وانت يا راهب من المخصوصين بالهدايا والقربان فاختار من قومك أربعين ويكونوا من عقلاء هؤلاء الرهبان اقصدوا إلى بيت المذبح ففى صدره حجر كبير من الصخر الاصم فيه ثلاث قطرات من الدم الممزوج بماء العنب فخذوه واخلطوه فى خمردنانكم حتى تصفوا من كدر الدنيا أبدانكم فاذا تقيتم من الاوساخ والذنوب رايتم ماخلف الحجاب محجوب ثم قال البطال وأنا اخترتك من دون من حضر وما بقى إن شاء الله الاصحة الخبر فعند ذلك خرج الراهب من الدير واختار من قومه أربعين راهبا وقص عليهم حديث دهيلوس واتى بهم إلى الدير فلما سمعوا هذا المقال سجدوا كلهم إلى الأرض وصلبوا على وجوههم وقالوا الحمد للمسيح يادهيلوس الذى اختارنا من دون هؤلاء الرهبان والقسوس ثم أخذوا فى أيديهم المعاول والفوس وقصدوا إلى بيت المذبح والبطال بين أيديهم حتى أتى بهم إلى صدر الحائط وقال اضربوا هاهنا ضربا وثيقا لايتبدد شىء من القربان فعند ذلك تقدم منهم اثنين وقالا باسم المسيح والمذبح الذبيح ثم ضرب الحجر وإذا به قد انفتح وخرج منه شراب أحمر له لمعان يأخذ بالابصار ورائحته أزكى من العنبر فما بقى من الرهبان الا من انبهر وطاش عقله وتحير وجعلوا يلتقونه بالقصع ويقولون هذا ينفع من المرض والاوجاع وكل هذا من بركة الراهب دهيلوس الذى عرفنا العباده ولقننا لرؤس ولما ملؤا آنيتهم فقال لهم البطال احتفظوا به ولا تقربوا منه إلا

لاعز الناس عليكم فهذا فيه ثلاث قطرات من دم المسيح ابن مريم ومن شرب منه أمن من الهرم وكفى كل بائقة وسلم ومايموت الاان يشاءهو ويطيب الانتقال إلى جنات النعيم فعندها خرج البطال والرهبان ومافيهم الامن هو فرحان يقول لصاحبه يا أخى الحمد للمسيح الذى ماامانتنا حتى اوضح لنا البرهان وخصنا بالقربان وفضلنا على سائر الاديان هذا والبطال قد عاد الى عند اولاده واصحابه فوجدهم حاماين العدد قيام فقال لهم ابشروا باهلاك الاعداء وبلوغ المنى فقال ظالم وما الذى فعلت يا أبا محمد قال قد ناولهم ما يكفى لهم باقى الزمان والساعة ترون هـذه الحركات قد سكنت والضجات قد قلت (قال الراوى) وكان هذا الخبر الذى دلهم عليه البطال من عمله وصنعته لأنه كان من خبرته بالاديرة والكنائس وكثرة مخالطة الرهبان قدعرف اين يكون مخابىء الذهب والصلبان واين يخبوا الرهبان الماء بتاع الديوره ولما دخل هذا الدير دخل بنفسه فى بيت المذبح فتشه وقال مايخلوا هذا المكان من مال ابلغ به من خلاص الآمال ولم يزل حتى وقع بهذه الصخره ورآها مثل الصندوق من داخلها وفى جنبها طاقة لاتسع أكثر من يد الانسان فقال فى هذا المكان كان يخبى مال الدير من قديم الزمان فما أقول ان أحـدا يعرف هذه الصخرة من هؤلاء الرهبان واريد عمل مكيده فى هذه الصخرة واجعلها زخيرة ليوم من الزمان

﴿ تم الجزء السابع والستون ويليه الجزء الثامن والستون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرغشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثامن والستون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ثم طاف أبو محمد على الدير فوجد فى لحف الجبل حشيشة كان يعرفها تنبت فى أرض القسطنطونية أحد من البنج وأخذ منها حاجته وملا تلك الصخرة من خمر الدير العتيق وطيبه وخمره بتلك الخميرةوفى هذه الأيام كان قد عول أن يبنج الرهبان ويمضى من شوقه إلى أولاده فقدموا الأمراء كما ذكرنا وجرى لهم من القصة ماجرى ولما سألوه عن حاله حدثهم بهذه القصة وقال لهم اصبروا على قليل وقد هان عليكم الخطب الجليل

(قال الراوى) وأعجب مافى هذه القصة أن خيلوص الجوهرى كان حله بعض الرهبان من وثاقه وحل أصحابه واعرض عليهم شيأ من الخمر فقالوا وحق المسيح عندنا شغل من الفرح وفى أضلاعنا ضرب يكفينا بقية أعمارنا ولم يزالوا كذلك يتفرجوا على الرهبان حتى خرج الأربعين من الدير بالقربان وفرقوه على الأصحاب والاخوان وما فيهم من شرب أكثر من قدح حتى مال وانبطح وقل ذلك الصياح والفرح ولم يبق منهم إلا من لم يصل إلى القربان لأن الخلق كثير ولما رأى خيلوص ذلك قال لأصحابه وحق المسيح ماأمر هؤلاء صحيح لأنهم قد انطرحوا الكل فى ساعة واحدة وان صدقنى حذرى إلا أنهم تبنجوا والساعة تروا المسلمين إليهم قد خرجوا ويلكم خذوا سيوفكم وقدموا بنا إلى الدير حتى نبصر مافعل دهيلوس إن كان قد تولى عذاب المسلمين نقول قد أتينا نتوب على يديك ونرجع إلى حقيقة الدين وان كان الأمر بخلاف ذلك هربنا ونجينا فقاموا أصحابه وأخذوا عدة الرهبان وساروا معه وهم

يلوموه ويقولون مانزل بنا هذا كله إلا بظنك السوء وتكذيبك ولا تبرح ترجع ترمينا فى المهالك والمعاصى ولم يزالوا سائرين إلى أن دخلوا إلى الدير فوجدوا الأمراء بعددهم خارجين مثل الشواهين وظالم فى أوائلهم مثل الأسد العرين (قال الراوى) ياسادة ولما رأى خيلوص ذلك قال لهم خيلوص علمتم الساعة ان هؤلاء كلهم لصوصا اهربوا والا طبخونا مصوصا وعاد اشتفى منا هذا الراهب المنحوسا دهيلوسا وعادوا القوم وهم هاربين يعترون بالنيام وهم مثل القتلى وخيلوص فى أوائلهم يرى ذلك البلاء ويقول ماقصر المسيح مع الرهبان الذى أنفذهم على يد دهيلوس هذا القرنان ثم طلب الصوامع وباقى الأديرة ينفر من بقى فيها

(قال الراوى) ياسادة هذا وقدخرجوا المسلمين ووقعوا فى القوم الذين بقيوا مستيقظين فضربوهم بالسيوف وسقوهم كاسات الحتوف ولم يصبح الصباح حتى نهبوا منهم الأرواح وداروا على الذين كانوا منطرحين فرأوهم على حالات نحسه هذا وقد تقايا على لحيتة وهذا على صدره وهذا قد هب عليه الهوى كشف عورته وهو ملقى على قفاه وهذا قد اختلط بوله وخراه وهذا عبرة لمن يراه وهذا قد نام وقدحه فى يده وهذا قد احترقت ثيابه من شدة اللهب الذى يحبس فى كبده فقال ظالم ويلك ياأبو محمد خذ معك من هذه الحشيشة ولاترجع تتعب فى عمل البنج فقد تركت هؤلاء المناجيس مثل رفعة الشطرنج فقال البطال أنا أخذت منها مايكفينى عشرة أعوام وقد بقيت وجوه هؤلاء الشياطين عبرة ثم دار على الرهبان وسلخ منهم عشرين لحية مختلفات الالوان بعد ماذبحوا أكثرهم فقال البطال اركبوا الساعة فى هذه المركب الذى أتيتم فيه واقلعوا قبل مايأتينا النفير ونرجع نقع فى أيدى هؤلاء الخنازير لان خيلوص قدعدم وما هو إلا قدعرف حالنا ومضى ينفر علينا من بقى فى الاديره فاسرعوا أنتم واركبوا فى نحو الجزيرة وهى جزيرة الحائط ففعلوا ماأشار به عليهم وساروا إلى المركب وأخذوا من الزاد والماء الحلو وطلع الامير أبو محمد البطال وأقلعوا صوب الناحية التى جاؤا منها (قال الراوى) وفى تلك الساعة وصلوا أصحاب الاديرة بالسكاكين والعكاكيز والسيوف وقد ألقى خيلوص النفير فوجدوا الدنيا عبرة والدماء طريه على وجه الارض والرهبان مطروحين طولا وعرض فخارت أبصارهم وارتعت أبدانهم وقالوا ياويلكم هذه أفعال خمسة أنفس كما قال لنا خيلوص وحق الصليب مافعل هذا إلا دون الالوف فالحمد للمسيح الذى مالحقناهم فقال واحد منهم ويلكم عودوا بنا سالمين قبل أن يسمعوا بنا هؤلاء الشياطين لانى أرى الذبائح طرية والساعة قد ذبحوا هؤلاء المناجيس وان نحن وقعنا حل بنا ماحل بهم ارجعوا بنا فلا بد لخيلوص مايقع بهم ويأخذ منهم تاره لانه سبقهم إلى جزيرة هرقله ينفر عليهم الملك قاشورش ويطلعه على حالهم حتى يخرج إليهم فى مراكبه وبطارقته

(قال الراوى) ثم عادوا هؤلاء وهم لايصدقون بالنجاة وبقى الساحل والدير عبرة لمن يراه فهذا جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من البطال فانه سار بأصحابه ذلك اليوم من ضحى النهار حتى أمسى المساء وأرسى وقال بحر كثير الاخطار ونحب لانسير به إلا بالنهار لاننا قليلين الخبرة بهذه الجهات فقال ظالم هذا هو الصواب ثم انهم قاموا وقد حطوا القلوع حتى انفجر الصباح فأقلعوا وأشرفوا وقت الظهر على مدينة هرقله فقال البطال هذه جزيرة والرأى أننا نجتنبها لاننا لانأمن من الملعون خيلوص انه قد سبقنا إليها وخبر بخبرنا لاهلها وان كان إلا كذلك فالساعة تروهم وقد طلعوا علينا (قال لراوى) ثم عول أنه يحول القلع ويلج فى البحر وإذا بين يديه أكثر من خمسين مركب ممدودة على وجه البحر وقد خرجت فى طلبهم وميلوا إليهم بالمراكب يطلبوهم من كل جانب وخيلوص فى أوائلهم ينادى أين تأخذون ياشياطين اللصوص وقد التقاكم الراهب خيلوص وحق المسيح لابد آخذ بثار نتف لحيتى وسبالى من الراهب دهيلوس المحالى (قال الراوى) وكان الملعون لما هرب من الامراء وقد علم بحالهم وسار إلى آخر الديورة ونفر أهلها إليهم وثب الى الخليج وعبر الى جزيرة هرقله وكانت المسافة بينهم قريبه فما أمسى المساء عليه الا وهو فيها فتم على حاله ودخل الى الملك قاشورش وصار يلطم على وجهه ويبكى بين يديه ويقول أيها الملك أنت غافل عن ماجرى بأرضك أنت نائم عن أعداء المسيح وأعدائك انهض بأصحابك وجاهد وانصر دين المسيح فالديوره والسواحل قد خربت وهدمت الاديرة والكنائس قال الملك ويلك من فعل هذا الفعال وعمل هذه الاعمال فقال يامولاى قوم مسلمون أكثرهم سودان ملل الشياطين فقال قاشورش ومن أين أتوا إلى تلك الارض مسلمين وقد دخلوا الى هنا الموحدين المحمديين من غير علمى فحدثه خيلوص الحديث الذى جرى له فى المراكب وكيف حمل الأمراء إلى الساحل واخبره أيضا بما فعل بهم دهيلوس وماجرى على الرهبان والقسوس ولم يزل كذلك حتى قال وخليتهم بعدى مقلعين وعلى خلاصهم إلى بلادهم معولين وفى غداة غداة ربما يعبروا على جزيرتك وربما يميلوا عن بلدك فاستعد لهم بالمراكب وخذ عليهم طرقات البحر من كل جانب (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك داخله الحنق واشتد به القلق وكان شيطان احمق لايفزع من الموت فقال ياراهب وحق المسيح لقد اشغلت قلبى لانى فى هذين اليومين كنت معول على الاقلاع إلى جزيرة الحائط لان الملك الأكبر شمخولص كان قد كتب إلى يأمرنى بالمسير اليه لاصحبه فى خروجه إلى بلاد المسلمين وذكر فى الكتاب ان عساكره قد اجتمعت ومابقى يعيقه إلا أنا والملك هرقل صاحب قلعة الشعاع وإذا كان هؤلاء فى أرضى فلا بدلى مما احرص على أخذهم واسيرهم إلى الملك شمخولص

يفعل مايشاء مع المسلمين الذى عنده فقال خيلوص انا وحق المسيح أسير معك لأننى قد سمعت انه قد وصل إلى الملك الأكبر شمخولص القس الذى يقال له الشيخ النجيح وحجة المسيح وسمعت انه أعلم أهل الأرض وأخبرهم بدين عيسى وأريد أسير معك إلى زيارته فقال الملك افعل مابدالك ثم أمر بطارقته انهم ينزلون إلى المراكب من ليلتهم ويتفرقون فى البحر ففعلوا ذلك ونزل خيلوص معهم من شدة فرحه وحرصه على هلاك الأمراء ولما صاروا على وجه الماء افترقوا كما ذكرنا إلى ان كان من الغد وأشرف مركب المسلمين وهم لنجاة أنفسهم طالبين ودارت بهم المراكب شمال ويمين وعلا منهم الصياح وأشهر ظالم سيفه وتقدم إلى وسط المركب مثل الاسد الغضبان وثار إلى مؤخر المركب أبوسكران ورأى الشريف بكار وأولاد البطال إلى ذلك الفعال فلزمهم المحاماة عن أنفسهم والقتال وأراد البطال أن يمنع ظالم من القتال فلم يسمع منه مقال بل قال دعنى يا أبو محمد أشفى صدرى من الكفار فقد كرهت الحياة ومللت من ركوب البحار وأريد ألتى ربى من بطون السمك والحيتان وأموت موتة ستى ذات الهمه والا أكون جبان مهان ثم التقى بصدره رجال المراكب وأظهر فيهم العجائب وتكاثروا عليهم البطارقة من كل جانب وتضاربوا بالسيوف الماحقه وتطاعنوا بالقنطاريات الخارقة وأيقنت النفوس بالغرق وهاج البحر واصطفق ولمع الصارم وبرق وكانت المراكب تلذ مركب المسلمين وتضيق عليهم وهم يقاتلون ويدفعون حتى أسندوا إلى الساحل ووقع الصياح فى الجزيرة فخرج كل من كان فيها ونزل الملك قاشورش فى طائفة اخرى وكثر على المجاهدين الاحجار وأخذهم الصياح من كل مكان فوقع بهم الانبهار وأصاب الامير ظالم حجرين فى أكتافه فأشرف منها على تلافه ووقع صدر المركب وطعن أيضا أبو سكران طعنة أشرف منهما على العطب وطلعت البطارقة اليهم وقد طمعوا فيهم فأخذوا البطال وأولاده وسائر الرجال وطلعوا بالكل إلى بين يدى الملك وخيلوص يلطم وجوههم وينتف ذقونهم وأكثر ما كان ينزل على البطال ويقول له يا شيطان كيف كنت فى الدير تروى الاخبار وتضربنى وأنا أستغيث وأصيح وأنت تقول للرهبان والقسوس انتفوا ذقنه وسباله وانهبوا رحله وأمواله اليوم آخذ منك بالحق وأشبع رفص ودق ثم قال للملك اشفى قلبى بصلب بعضهم وخلى باقيهم نسيرهم إلى الملك الاكبر فقال قاشورش ما هذا صواب إلا أننا نحمل الكل ونحضرهم بين يديه فى حال المهانة والذل ونحن فى غداة غدا مقلعين وإلى جزيرة الحائط طالبين لأن مراكبنا قد أنجزناها وهذه الفرصة قد انتهزناها فاتركوا هؤلاء فى هذه البيعه الصغيره التى على ساحل البحر ولاتتركوا لكم شيأ إلى الصباح فقال خيلوص ياملك إذا كان الامر على ذلك فاتركنى أنا أتوكل بهم وأبات عندهم إلى

الصباح لأننى أريد اوافقهم على مافعلوا فى حقى من الأمور القباح لاسيما هذا دهيلوس الشيطان الذى قد شاع ذكره فى سائر البلدان ولا يتوكل بهم الليلة غيرى فلو وكلت بهم المسيح خلاه وطار هذا وسرق الكنيسة معه وسار (قال الراوى) ياساده فلما سمع الملك ذلك حار وأخذه الانبهار وقال ويلك ايش هذا الجنون ياشيخ يامفتون إلا سمعت ان أحدا يسرق الكنائس بالحيطان وينقلها من مكان إلى مكان فقال خيلوص أيها الملك المسيح يكفيك البلاء المقدر ويصرف عنك القضاء المسطر ولا يسلط عليك هذا الازرق العينين الأشقر وأنا قدسمعت عنه مالا يسمعه أحد ورأيت فعاله مايشيب الأطفال الرضع فعندها قال الملك ياشيخ ان كنت تعرف منه هذه الفعال بأنه عيار محتال فكن عنده إلى غداة غدا ثم أضاف اليه خمسة من البطارقه وأمرهم بطاعته فساقوا الأمراء بين يديه إلى الكنيسه وكانت هذه الكنيسه على ساحل البحر فيها عشرة من الرهبان منقطعين عن العمران وعليهم الرواتب والجراية وهم مقيمين على العباده ولا يدخلون الجزيره إلا فى كل يوم واحد (قال الراوى) ولما حصلوا الأمراء فيها اغلق خيلوص عليهم الباب وانزل هو والبطارقة على الأمراء العذاب هذا وعساكر الجزيرة ينقلون إلى المراكب العدد والمتاع ويأهبون القلاع حتى مضى من الليل الثلث الأول وانقطع الحس والطارق وعسعس الليل الغاسق ونامت العيون وتبدلت الحركات بالسكون وكان خيلوص أيضا وأصحابه فى ذلك قد شبعوا من عذاب الأمراء وناموا وقد غلب عليهم الكرى وكذلك الرهبان وأصحاب البيعة قبلوا وانطرحوا على الثرى وبقيوا الأمراء مستيقظين وعلى أنفسهم معددون والبطال يقول أنا مابقى على قلبى هم لأجل اجتماعى باولادى وان أنا خلصت فقد بلغت مرادى فقال ظالم والله ان على قلبى هم وأى هم من فقد ستى الأميرة ذات الهمة ووالدى وشوقى إلى الحجاز الذى نشأ فيه جسدى فقال الشريف بكار والله ماهمى وغمى إلا خلاص أمى والا فالموت أهون لى لاسيما إذا كان من يد الأعداء فبينما هم كذلك وقد أخلوا مع بعض فى الظلام وتجلى الملك العلام وإذا براهب قد قام من جملة الرهبان النيام ودنى إلى البطارقة وسل حسام منهم وأول ماتقدم إلى الرهبان خيلوص وذبحه وثنى بالبطارقة اللئام ووقع بعدهم على الرهبان النيام وقوع الملك الذى فى يده أرواح الأنام وماكانت إلا ساعة حتى فرغ من الجماعة ودنا من الأمراء وقد حارت منهم الأبصار وطارت القلوب وكثرت الأفكار فحل كتافهم وعاد يقبل رؤسهم والبطال يقول ياراهب دع عنك البوس والتقبيل وقل لنا ممن بعثك المولى الجليل فقال الراهب بكلام له هيبة يا أبا محمد ان كنت ماتعرفنى فسبح خالقك ومولاك الذى نجانى ونجاك وجمعنا فى هذا المكان وإياك انا الاميرة ذات الهمة فاطمة بنت مظلوم أمة الحى القيوم سانى من البحر الذى أمره بين الكاف والنون بعد ما أهلك من جحد وكفر ونجى

من شاء وقدر (قال الراوى) فما فى القوم إلا من سمع كلامها إلا وهو فى دنيا أخرى من هول قدرة الله تعالى فلما أفاقوا قال لها أبو محمد البطال بالله يا أميرة كيف كانت سلامتك حدثينى حتى أحدثك أنا الآخر على ماقاسيت من الشدائد والاهوال فقالت الاميرة ذات الهمة ما أنا قد استلمت عدل قطن وركبت عليه ورمتنى الامواج بعد يوم وليلة إلى ههنافى هذا الساحل ورؤنى هؤلاء الرهبان فأخذونى إليهم وكان على زى الروم الذى فارقتك عليه كما عرفته ثم سألونى عن حالى فقلت أنا من رهبان دير الزيت الذين فى أعمال قلعة السيما كنت طالب جزيرة الحائط مع قوم منها فانكسر بنا المركب وسلمت أنا كما ترونى ثم أقمت أظهر العبادة والانفراد وبالليل أخلو بنفسى وأقوم إلى خدمة ربى وأدعو رب العباد ان يرينى منكم ولو شخص واحد حتى رأيتكم وقد وصلتم اليوم وجرى عليكم ماجرى من قتال العدا فصرت وحالى مكتوم وعلمت أنكم تفعلون فأردت أن أكون سببا لخلاصكم وهكذا كان والحمد لله الواحد المنان الذى نجانا وجمع بيننا فى هذا المكان فأنت ما كان خلاصك ونجاتك يا أبا محمد فأعاد عليها ما قد ذكرناه وكيف كان فى أديرة السواحل وصار مقدما عليهم حتى وصل ظالم وأولادى وجرى لهم ماقدمنا فعجبت الاميرة من ذلك وقالت يا أبا محمد أنت إذا وقعت فى أرض الروم تحسن أن تتكلم وتعيش بما أعطاك الله من علوم دينهم والحجج القوية فى مذاهبهم ونحن بخلاف ذلك وأنا لو أننى كنت قد صحبتك هذا الزمان الطويل وحفظت شيأ منك من علم الانجيل لكنت فى هذه النوبة من الهالكين فقال البطال دعينا الساعة من هذا المقال واخرجوا بنا حتى ندبر فى خلاصنا فما يكون فى الدنيا أسعد منا لاننا فى وسط الهلاك فقال مذبحون مالنا إلا نركب فى بعض هذه المراكب ونطلب البلد الذى كنا طالبينه لان المراكب الليلة كلها قد باتت ملآنة بالعدد والزاد والقنطاريات والسيوف الحداد وهى مستعدة للاقلاع عند الصباح فقال البطال ياولدى ان سرنا فى البحر لحقونا هؤلاء الملاعين وما كان فى هذه النوبة يبقوا علينا لاننا بكام يوم نقدر نسبقهم أو بأى شىء وقدامنا قلاعهم وجزائرهم وربما كتب هذا الكلب قاشورش كتاب إلى قلعة الشعشاع التى بين أيدينا على أجنحة الطير فيقتلونا ويقبضوا علينا فقال مذبحون والا كيف نريد نعمل فقال قوموا بنا حتى أقول لكم ما أفعل فعندها خرجوا من الكنيسة وقد أخذوا معهم عدد البطارقة الذين هم كانوا موكلين بهم ولما صاروا على الساحل وإذا بالمراكب تلعب على مراسيها مثل الخيول على مداودها وفيها كل ما يحتاج إليه وعلى كل مركب بطريق برسم حراستها فقال البطال مروا بنا إلى أول المراكب لانه يكون أكبرها وهو الذى يكون برسم الملك فقالت الاميرة ياأبو محمد فأنت قلت ما نريد نسير فى البحر وايش تعمل بأكبرها أو بأصغرها فقال وكأننى أريد أقلع

فيه قالت وإلا ايش تريد تعمل به قال ارفع قلعه وأزوده بالمقاديف والمدارى حتى يحصل فى اللجج ويملك هواه ويسير فى البحر ونسير نحن فى البر وأنا أعلم أن الروم اذا عدمونا وعدموا المركب يظنون أننا سرنا فيه وتتفرق المراكب فى طلبنا ونمضى نحن فى البر آمنين مطمئنين واتكالى بعد ذلك على رب العالمين فقال ظالم والله ياعماه ان هذا نعم الرأى فلا أعدمنا الله طلعتك ثم تموا إلى المركب الأول فتصدوا اليه وذبحوا البطريق الذى كان موكل به ورفع البطال قلعه وطنبه وعادوا ونزلوا منه وقد زودوه بالمدارى حتى خرج من الساحل ولعب الهوى فيه فسار مثل الطير والمركب سائر وساروا هؤلاء على ساحل البحر وقد زيا البطال الكل بزى الرهبان وترك فى أعناقهم الصلبان وتقدم فى أوائلهم هو واولاده وهم من ورائه (قال الراوى) وماكان فى الكل أحسن من الأمير ظالم لأنه كان أسمر بطرف أكحل أحور وقد لبس لحية قصيره سوداء وهو بذلك الهيكل العظيم يسبى النساء والرجال والبطال كلما رآه يقول ارجو أن تقع معك بعض بنات الملوك والجوار المتعبدات حتى تساعدنا على خلاصنا من هذه الديار القاصيات (قال الراوى) وقد أصبح الله عليهم بالصباح وقطعوا من الأرض مسافة وهم لايفارقون ساحل البحر بل كلما عبروا على دير وقريه وقد دخلوا اصحابها وهم يتلون عليهم الانجيل ويتزودوا من عندهم وساروا هكذا يومين وليلتين واشرفوا على قلعة الشماع فرؤها على ضرس جبل نابتا فى البحر وهى عالية شاهقة كانها شعاع الشمس لاحقه وحولها جزيرة كبيره وفيها خلق كثير وصوامع مرتفعه وبيع مشيده فعجبوا من علو القلعة وارتفاعها وكبر الجزيره واتساعها فقال ظالم الله تعالى يدفع عناشر أهلها وكيد من فيها الان قلبى خائف لايكون قد سبق فينا كتاب من الملك قاشورش إلى هذا المكان فقال البطال هذا شىء لاتفزع منه فانى قد حسبته من قبل الآن وحسبت هذا الحساب ولأجل ذلك قد فعلت بالمركب مافعلت واوهمتهم لأن الكتاب إذا وصل مايكون فيه إلا أننا قبضنا على قوم مسلمين وهربوا فى البحر فى بعض المراكب ونحن قد وصلنا فى البر فسيروا وتوكلوا على الله تعالى لأنه إذا أراد سلامتنا هو قادر بفضله يعمى أعينهم عنا ثم انهم قربوا الجزيرة وترنموا بالانجيل ودخلوا اليها والبطال فى أوائلهم يقرأ الانجيل وأولاده يجيبوه بتلك الأصوات والعالم خلفهم يدلونهم على الكنيسة وقد حاروا من قراءتهم وسكروا من طيب تلاوتهم وخرجوا اليهم والتقوهم وعادوا وهم بين أيديهم ومافيهم الامن صافح البطال وباس يده لاجل هيبته التى وقعت فى قلوبهم (قال الراوى) ولما حصلوا فى الكنيسة سألوهم الرهبان والقسوس عن حالهم ومن أين أقبلوا فقال البطال نحن من جزيرة الحضر التى هى آخر جزائر بحر الحلبه وقد خرجنا فى زيارة بيت المقدس ثم تكلم بشىء من فضائل المسيح وذكر زهده

وعبادته ورجع يتحدث فى الناسوت واللاهوت وهو أهل مذهب النصرانيه لحارت القسوس من ذلك وقالوا يا أبونا هذا شيء ما يعرفه أحد من أهل ملة الناقوس وما أنت عند المسيح الا بالمنزله الرفيعة والا ما كان اودعك علمه (قال الراوى) وشاع ذكرهم فى الجزيرة فما بقى شيخ ولاشاب ولاصبي ولاامرأة الاوأتوا يتفرجون على حسن تلاوتهم واجتهادهم فى عبادتهم الا ان البنات كلهم افتتن بظالم وما فيهن إلامن قالت وحق المسيح ان هذا الراهب الاسمر العريض الاكتاف شيء مليح وحق المسيح والصليب لو أقام عندنا هو وأصحابه كنا نصير مع الراهب وننزل عندهم إلى الكنيسة ونتفرج ونتقرب عندهم هذا وقد سمع الملك بصفات البطال وأصحابه وقصد الكنيسة وأول ما دخل وسمع ضجيجهم وطيب نغمتهم وحلاوة تلاوتهم كشف رأسه وتقدم اليهم فمسح عليه البطال وبشره برضاء المسيح عليه وعتقه من النار وقرأ حتى أبكاه (قال) وبعدما تقرب الملك قال للراهب ماهذا الراهب الا عالم عظيم لاراهبنا رأس الحكمة ولاغيره ومع ذلك لاأراه حاضر فقالوا له قسوس البيعه ياملك خرج إلى ظاهر الجزيرة يتمشى بين البساتين ويغتسل من المياه النابعه ويأتى يجاس بنفسه ولايرجع يخرج من هذا المكان والساعة يكون ههنا (قال الراوى) والرهبان مع الملك فى الكلام وإذا براهب القوم رأس الحكمه قد دخل يتمشى على عجل وهو لهفان كأنه شيطان فلما رؤه الرهبان تبادروا اليه من كل جانب ومكان وقالوا للبطال تخرج معنا إلى لقاء راهبنا فهو جليل القدر عند المسيح وعند الملك ولابد مما يمسكك فى ضيافته يوم وعشرة ويتوسط لك عند الملك حتى يعطيكم ويسيركم إلى المكان الذى تريدوه (قال الراوى) فلما سمع البطال ذلك خرج فى أوائل القوم وقد رفع صوته هو وأولاده بالتلاوة وبالغوا فى أصواتهم باللذاذه والحلاوة إلى ان وقعت أعينهم فى عين الراهب وتأملوه وإذا به أبو الشر شومدرس اللعين المنحوس الغدار فلما رآه البطال هو وأصحابه خفيت منهم الأصوات وهديت منهم الحركات وقد حاروا فى أمرهم وتفكروا فى تدبير القضاء والقدر ورأى بعضهم إلى بعض فرأوا العجب وكيف تصادف المقادير وهذا كله بارادة اللطيف الخبير وصنع رب العباد وأين المهرب من القضاء والقدر والمسطر لابد منه أن يكون وأيقنوا بحلول العطب هذا والراهب الملعون يضحك ويقول بالرومية زاه بازماة أحسنت يافلك الدوار فقال له الملك ايش مالك ياأبونا قال ايش يكون حالى وقد دبر المسيح أشغالى فى هذا الفلك الدوار ما بقى الليل والنهار وهؤلاء ياملك كانوا معى فى المركب وغرقوا لما غرقت أنا ولاشك أنهم سلموا كما سلمت واجتمعوا بهؤلاء الآخرين من أصحابهم اتفاق عجيب والكل مسلمين

شياطين أعداء لهذا الدين والكتب التى وصلت من الملك قاشورش إلى هؤلاء ولاجلهم فصيح الآن فى جزيرتك وبادر فى بطارقتك واقبض عليهم وإلا فلعوا عينك وفرقوا بين رأسك وبدنك (قال الراوى) فلما سمع الملك هذا الحديث قامت عينه وبدأ جنونه والتفت إلى الأمراء فرأى أن ألوانهم قد تغيرت وتلاوتهم قد فترت لما رأوا الراهب شومدرس فأنكر أمرهم وصاح فى بطارقته الذين حواليه وأنفذ غلمانه ينفذون أجناد القلعة وأهل الجزيرة الذين حواليه وجذبت السيوف من كل مكان وتصايحوا القسوس والرهبان ونادت الأميرة بظالم وأبو سكران ويلكم ايش هذا الوقوف موتوا كرام ولا تموتوا لئام ثم جردت حسامها ومافيهم إلا من كان معه تحت ثيابه حسام ماضى فجرده وحمل فى الروم وذكر خالقه الملك الحى القيوم وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وطلعت على أشداق أبو سكران ضرايب الزبد وفاح صنانه وانعقد هذا وقد انقلبت البيعة بالصياح وعاد الاكتتام إلى الافتضاح وضجت الجزيرة وارتجت من سائر جنباتها وقد انقلبت البطارقة تحامى عن نسوانها وهجم على الناس اعتكار الظلام ووقع فى أبواب البيعة الزحام ووقعت السيوف على الخطأ والصواب وكانت ساعة تشيب الشباب مما ضرب فيها من الرقاب وكان هذا الامر قد صعب على النسوان لاجل افتتانهم بظالم وما أعجبهم تجمع العالم على الامراء ورؤا الامر قد زاد فساد يتصايحن ويقولوا ياقوم وحق المسيح لاتفعلوا هذه الفعال فما يستاهلوا مثل هؤلاء القوم أن يقتلوا

(قال الراوى) وفى الاخير سمعوا الناس جاريه تنادى من على سطح البيعه يامعاشر أهل الجزيره وحق الصليب ان قتالكم لهؤلاء الرهبان الغرباء ليس بواجب وسمعتم فيهم قول رأس الحكمة وهو شيخ قليل العقل كاذب وكانوا هؤلاء يقربونا وهم أحب الينا من ذلك المحلوق الذقن والشوارب الاعور العين الانمش الوجه (قال الراوى) هذا كله يجرى من النساء والبنات والاخ لايعقل على أخيه والولد لا يعرف أبيه ومازالوا فى قتال ونزال إلى أن صار وقت السحر وقد وقع بالامراء الملل والضجر وقد كثرت عليهم رمى الاحجار وقد نزل كل من فى القلعة وتقدم الملك هرقل بين يدى جميع البطارقة وفى يده سيف وطارقه وقد دار أذياله فى دور المنطقة وزعق على المسلمين لينخى البطارقة وقد كان له صوت مثل الرعد وفى وفى يمينه سيف كأنه صاعقة فصدم لأبو سكران وكان قد ملت من الضرب مناكبه فضربه بالسيف صفحا فأقلبه وارمت البطارقة على الوبال لما أن رأت الملك قد فعل ذلك الفعال وقد أرموا على الامير ظالم وذات الهمة الاتراس والدرق وجرحوهم بالسيوف البوارق وما أصبح الصباح حتى أخذوا الكل أسرى وملكوهم قهرا هذا وقد رأى الملك إلى أرض الكنيسة وقد امتلات من جثة البطارقة المطرحه والرقاب المذبحه فزاد على المسلمين حنقه وقال للبطارقة اصلبوا

الجميع على شراريف البيعة وخاطوا الحيطان بدمائهم فقال له شومدرس لا تفعل أيها الملك واعلم أن هؤلاء فى اسر الملك الكبير كانوا ومن تحت قبضته هربوا وهو الساعة عليهم بجرعة الثكلا والصواب أن تحملهم اليه وتشتفى بهم بين يديه ويكون لك بذلك المنه عليه وكان مقصود شومدرس بذلك حتى يحضر عقبه قتلهم ويشتفى هو واياه منهم فقال له الملك اذا كان الامر على ذلك فاحبسوهم حتى نحملهم معنا جميعا فى وقت مسيرنا فما بقى يعقينا الا هذه المراكب ونزولها فى الماء (قال الراوى) وكان الملك قد صنع له عشرون مركب خفاف جرية حربيه وقد عول أن يسير فيها وفى مراكب الجزيرة إلى الملك شمخولص صاحب جزيرة الحائط وحصن القمر هذا ولما أن أمر بحبسهم أنزلوهم إلى مطمورة فى وسط داره ينزل إليها بسلالم درج وما للمحبوس فيها من فرج وهى كثيرة الطراوه من ماء البحر والوخم فيها والبرد والبلاء والسقم ولما أن أخذوهم البطارقة من قدام الملك ساروا بهم وانزلوهم فى تلك المطمورة ولما أن حصلوا فيها قام الراهب شومدرس عندهم يتولى عذابهم وهم مشغولين عنه بما هم فيه من التعب والجراح وقد خفقت منهم الارواح وهو يلطمهم ويقول لهم ياويلكم ياشياطين بعد أن غرقتم فى التيار ونجوتم من تلك البحار فما بقى للموت فيكم طمع بحق دينكم من خلصكم من تلاطم الامواج وازدحام ذلك البحر العجاج فقال له البطال ياملعون خلصنا الذى خلصك فقال لهم انا خلصنى المسيح الذى خلق من غير ذكر وتركوا آية لمن اعتبر وموعظة لسائر البشر الا من أراد الله بضلالته واستحق العذاب ونار سقر فقال له البطال وقد خلصنا رب المسيح فقال شومدرس أبدا تطلبون نجاتكم بالوعد والوعيد بنبيكم والتوحيد ونحن قد ثبت عندنا أن العبد لاينجو من الهلاك إلا بما فى صحيفته من الاشراك والدليل على ذلك أنكم تنجون من الشدائد بما يكون قد بقى من الأجل ثم تقعون فى أيدينا فنعذبكم العذاب الاليم الذى لايحتمل لأجله جحدانكم لعيسى ومريم المغذاه من النخيل الشاربه من عين السلسبيل الذى نزل على ولدها الانجيل (قال الراوى) ولم يزل الملعون معهم فى مثل ذلك حتى مضى النهار الضاحك واقبل الليل الحالك وعاد إلى داره التى أخلاها الملك برسمه وبقوا الأمراء فى ذلك المكان يقرؤن القرآن وقد أيسوا من الخلاص وقد علموا أن مابقى لهم من الهلاك مناص وظالم يقول والله ماجرى علينا فى طول أعمارنا مثل ماجرى علينا فى هذه السفره فكم نخلص ونقع ليت ان الله يريحنا بموت أو فرج قريب ننجو به من التعذيب فقالت له الامير ياولدى لاتعترض واعلم ان هذه الامور كلها لله وما للعبد فى نفسه حيله ولا يجب عليه ان يشكو اليه ماهو منه بعيد بل هو اقرب اليه من حبل الوريد فيجب أن لايعترض على من هو بفعله شهيد (قال الراوى) ولم يزالوا على مثل ذلك حتى نامت العيون وتبدلت الحركات بالسكون وقد هموا انهم يرقدون وإذا بباب المطموره قد فتح عليهم

وشخص قد نزل اليهم وقال لهم ابشروا قد جاءكم الفرج على يدى وأريد أن يكون فرجى على أيديكم دوروا إلى حتى أحل كتافكم وأخلصكم من تلك الشده والابرام (قال الراوى) فلما ان سمعوا الامراء ذلك الكلام حاروا فى نفوسهم وقد تأملوا ذلك الشخص فرؤه احسن من البدر التمام وقالوا له يافتى من أنت الذى قد من الله علينا بك ونحن فى هذا المقام وما حالك حتى تطلب منا الفرج فما عليك من الاحكام فقال لهم ذلك الشخص ما انا ذكر انا ست البيع انا ابنه الملك هرقل وان لى من البارحه إلى هذا الوقت وانا فى البكاء والسهر إلى الآن ما هدى فؤادى من الفكر لاجل صاحبكم هذا الراهب الاسمر صاحب الشعر الأجعد والطرف الاحور فانى أريد منكم ان تزوجونى به كيف اردتم وانا أكون معكم وطوع يديكم كيف اخترتم وأنا اعطيتكم من مالى ومال ابى كلما تريدون واعتقد كما تعتقدون واسير معكم إلى أى موضع تطلبون وان كان هذا الراهب رأس الحكمه عدوكم تريدوه سلمته اليكم.

(قال الراوى) فلما أن سمعوا الامراء ذلك منها انكبوا على الارض وقبلوا التراب تعظيما لله الواحد المنان وقال سبحان مسبب الاسباب والله ان هذا أحسن ما سطر فى الكتاب واظفر ماسمع من الاحاديث والعجائب ثم قالت الاميره للجارية والمكان قد اضاء واشرق من نور وجهها يابنيه ابشرى بما يسرك ويسر فؤادك واعلمى أنك قد نلت مرادك وهذه يدى لكى بكل ماتريدين فقال البطال هذه الساعة اتركى ظالم يتقدم إليها ويعاددها حتى يطمأن قلبها وتعلم أنه قد حصل لها فلما أن سمع ظالم من البطال ذلك القول ضحك وقال أحسنت يا بطال ما أخبرك بهذه الاحوال ثم تقدم إلى ست البيع وقال لها أنا أكون لك قرين كما ترتدين ان كنتى تقرين بتوحيد رب العالمين وتنزهيه عن البنات والوزير والبنين والشريك والمعين والقرين فقالت وقد سلب عقلها بكلامه ياسيدى وماتريد أن أقول فقال لها تقولى أشهد أن لا إله الا الله واشهد أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقرت بالشهاة وكتبت من أهل السعاده وقد قالت بعد ذلك ماتريدون فقالوا لها تجيى لنا عدد وتدبرى فى خلاصنا حتى نسير من هاهنا إلى جزيرة الحائط لأن لنا فيها أصحاب ولابد لنا من خلاصهم فقالت لهم والله ان عندى كل ما تريدون ثم أنها حلت كتافهم وصعدت من عندهم ماغابت الا ساعة وعادت ومعها كل مايشتهون (قال الراوى) فلما أن كملت عدتهم طلعوا من المطموره وهم مثل الصقوره وطلبوا ساحل البحر وست البيع معهم ومعها مفاتيح القصر فقال لها البطال بالله عليك قبل ماتفتحى سيرى بنا إلى شومدرس اللعين وأورينا أين داره حتى نأخذه منها فقالت الجارية السمع والطاعة سيروا بنا واتتم خلفى ثم انها مشت بين أيديهم إلى حجرة عالية الحيطان وثيقة الباب مالاحد عليها سبب من الاسباب فقالت صاحبكم هاهنا ولكن كيف السبيل اليه فقال البطال لنا اليه أافسبيله

ان شاء الملك الجليل تقدمى ودق على الباب فاذا هو كلـكى فقولى له أنا جارية ست البيع فقد تفضلت عليك بقليل من السمك الطرى وهو مقلى فى هذه الساعة بسيرج أتاها من عند أبيها وما طاب لهـا الأكل حتى أنفذت لك منـه شىء قليل بحسب البركة (قال الراوى) فلما سمعت الجارية ذلك المقـال عجبت من هـذا الخطاب وتقدمت إلى البـاب وطرقته كما تعرف وإذا بشومدرس يقول من الطارق فى هذا الليل الغاسق فقالت ست البيع ماعلمها البطال وقد شرحت له ذلك المقال فلما أن سمع الراهب شومدرس ذلك القول قام على حيـله وأتى إلى الباب والبطال واقف يسمع مايقول هذا وقد صار الملعون يقول حفظ المسيح ستك ست البيع بنت الملك ثم إنه أتى إلى الباب وهو يقول حفظ المسيح ذلك الخد المورود والجبين المشعشع على أنها لو أتت إلى رأس الحـكمة لـكان أجود وأبرك ثم إنه أتى إلى الباب فقال البطال والله لاطيرن هذه الحـكمة الليلة من رأسك وأقطع من الضرب أنفاسك ثم إنه صبر عليه حتى فتح الباب وخرج ومد رقبته وفتح عينه وقال هاتى يابنتى مامعكى فعند ذلك زوده البطال بلـكمه على قفاه فقال الملعون آه ما أرى إلا سمـك كله بلطى لأجل المسيح كله بركة فهو يقول هذا المقال وظالم لـكمه أرماه وقد غيبه عن دنياه ونزل عليـه كتف يديه على رجليه وحملوه وساروا وابنة الملك تقول ماتقفوا حتى آتيكم بشىء من المال الذى لأبى فقال ظالم مابقينـا نريد مال سيرى بنا من قبل الانـكار علينا ثم انهم ساروا إلى باب القصر وفتحوه وقد طلبوا الساحل فوجدوا فيه عشر مراكب غير الذى هى على الشط جانحة وهى الجدد التى ذكرناها (قال الراوى) ولمـا أن صاروا على السـاحل وهموا أن يطلقوا فى بعض المراكب ويقلعوا فقال البطال لولديه الحصين ومذبحون سيروا بنـا أتما ياولدى فى البر ولا تفارقا ساحل البحر ودعونا نقلع فى هذه المراكب ويـكون الميعاد بيننا وبينـكم جزيره الحائط حتى إذا وقع بعضنا سلم البعض ولا نقع كلنا فى مرة واحدة وأهل هذه البلاد مايعرفونا وأخاف أننا فى بعض الـكرات نهلك فقالت الأميرة لله درك يابطال فهذا هو الصواب حتى لانرجع نفرط فى أنفسنا ثم إنهم صعدوا إلى بعض المراكب بعد ماودعوا أولاد البطـال وأقلعوا وقد سـاروا على كف الرحمن لا يدرون مايقضى الله عليهم من نوائب الزمان وما يجرى عليهم من الأحكام (قال الراوى) فهـذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الأحكام (وأما ماكان) من الملك شمخولص الذين هم طالبين جزيرته فى هذه الأيام يؤملون خلاص باقى أصحـابهم من قبضته والسلام فانه لمـا أن غرقت مراكبه وهلـكت بطارقته عظمت عليه مصائبه وكان قد أنفذ مراكبه برسم كشف خبر المراكب كما ذكرنا ويبصر من سلم منهم ومن عطب فبقت المراكب ثلاثة

أيام وعادوا يخبروا أنه ما سلم من الستمائة مركب ولا لوح واحد فلما سمع الملك بذلك زادت أحزانه والتهب نيرانه وقال لهم يا ويلكم وإلى أين وصلتم فى سيركم فقالوا له إلى قلعة السها وما عدنا حتى إننا شارفناها فما رأينا سوى الأخشاب على وجه الماء تسبح والأمواج تلطمها فقال الملك وحق المسيح بطارقتى التى كنت معول بهم على الخروج إلى بلاد الاسلام ثم انه قص ذقنه وشعره ولبس السواد ولازم الأحزان أربعين يوما حتى قدمت عليه ملوك الجزائر وكثرت عنده العساكر فدخل عقبة عليه مع سائر الملوك وسألوه أن يخلع السواد وأيضا سلوه عن من مضى وما زالوا به حتى أركبوه ورجع اليه لبسه وجلس فى حصن القمر وأعرضت عليه العساكر فطاب قلبه وقال فى هذه الأيام أسير واطلب الغزاه ولكن ما أسير حتى أقتل كل من عندى من المسلمين حتى لا يبقى فى أرضى منهم أحد ثم انه أنفذ عشرة من البطارقة يجمعون السودان والعرب الذين كانوا وصلوا معه فى البر ويقولون للروم سيروا حتى تشاهدون قتلهم وتودعون الملك قبل رحيله لأنه قد عول أنه لا يرحل إلا على سفك دماء حتى تكون طريقه محمودة العاقبة

(قال الراوى) وكانوا الرهبان والقسوس وأصحاب الأديرة والصوامع الذى فرق عليهم الأسارى يوم وصوله قد عولوا على قتلهم حتى يتقربون بدمائهم إلى المسيح فبينماهم يريدون أن يفعلوا ذلك وإذا هم قد سمعوا أن الملك قد حزن ولبس السواد على من عدم له من البطارقة والأجناد فقالوا ما نقتل نحن هؤلاء إلا حتى يطيب قلب الملك مع أننا نفرح لفرحه ونحزن لحزنه فتركوا هذه الأيام وقد انتقموا منهم غاية الانتقام هذا وعقبة سمع بذلك فأراد أن يكون هلاكهم على يديه وكان الملعون قد انفرد هو وابنته عقيبة فى مكان يعذبان الشريفة العلوية أم بكار الذى قطع أنفها وقلع عينها وكان قد استوهبها من الملك وهى معه فى الدار الذى نزل فيها ومافيها ليلة إلا ويضربها ويسبها ويكفر لعنه الله (قال الراوى) ولم يزال يضربها إلى أن يغلبه النوم فاذا هى رأته قد نام تقوم تحت جنح الظلام وتعبد الملك العلام وهى لا تعرف كيف تستقبل القبلة إلى بيت الله الحرام بل تصلى إلى أى جهة توجهت وتطلب الفرج من الله تعالى وتقول إلهى وسيدى ومولاى اجمع بينى وبين ولدى فقد تقطعت عليه أحشائى وكبدى اللهم إن كنت قضيت بعدم عيناى الذى كنت بهما أهتدى وسلطت على هذا الظالم المعتدى يؤذينى بضربه جسدى وبعد هذا يامولاى أنا منتظره الفرج من عندك إما بلقاك أو بكشف بلاك (قال) وفى هذه الايام سمع عقبة بجمع الأسرى وكان مؤملا أنه يخرج العلوية ويشهرها بين الأنام مع طوائف الروم اللئام ثم أنه يقتلها بيده وهو فرحان بخروج الملك إلى بلاد الإسلام إلا أنه ترك العلوية يومين ماعاقبها وفى

اليوم الثالث دخل عليها فرآها مستقبلة القبلة ولها عينان مثل الجوهرتان وأنف وشفتان وهى تتلو القرآن بصوت مجهر وما على قلبها فزع ولا جزع ولا كانها فى مقام الهلع فبهت عقبة إليها وقد تحير ووقع به الزمع وانبهر وقال لها من رد عليكى عيناك فقالت له الذى يرد العين الفقعاء واليد الجدعاء جدى المرتضى وقد وعدنى أن يأتينى الفرج من الله تعالى واخاص من هذا البلاء وأكون آية لأهل الولاء (قال الراوى) فلما أن سمع عقبة منها ذلك المقال قال هذا مالا ينطلى على ولا أترك أنا الشيطان يلعب بعقلى وانى أريد أن أرجع أقور منكى عينك واقطع أنفك وشفتيك وابصر كيف بعد ذلك يردها ربك عليك ثم سحب الملعون سكينة وقال لابنته ويلك يا عقيبة أمسكيها حتى أرجع أفجعها فى عينها ونواظرها والا انهتك بها دين النصرانية ويعود أكثرها إلى دين الحنيفية هذا والعلوية تنادى يامولاى لاتترك هذا الملعون يرد برهانك ويمنع عطاءك وأنعامك سيدى أنت قادر أنك تمنعه عن أوليائك مولاى اصرف عنى بلاك ياعادل فى علاك (قال الراوى) فما استتم دعاها ونداها إلا والفرج قد أتاها من الله الذى ابتلاها وهو سيدها ومولاها وأتاها من يخلصها من أعداها وفتح باب الدار أسرع من طبق الأجفان ودخل خمس رجال فى زى الرهبان وهم يقولون خلى عنها ياقرنان عن أمة الرحمن وقد هز كل واحد منهم صارم يمان ونادى خلى ياملعون يا كلب ياشيطان قد دنا أجلك فى ذلك المكان ثم تبادروا إليه وإلى ابنته مثل العقبان وهو قد حار ووقع به الخذلان وقد تأمل هؤلاء وعجب كيف دخلوا عليها بلا استئذان وتبينهم وإذا بهم ظالم وأبو سكران وذات الهمة والشريف بكار بن العلوية التى نحن فى حديثها وخامسهم البطال وهم هؤلاء الشجعان الاقران (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أننا قد ذكرنا ماجرى لهم وخلاصهم من قلعة الشعاع على يد ست البيع وساروا فى المركب طالبين هذه الجزيرة وكان كل من لقيهم فى البحر وسأل عن حالهم يقول البطال هذه ست البيع بنت الملك هرقل سائرة إلى جزيرة الحائط تزور عمتها عاميل زوجة الملك الكبير شمخولص والذى معها خادمها ارمانوس يعنى عن الأميرة ذات الهمة لانه قد تركها فى زى خادم وكانت الروم كل من سمع هذه المقالة انصرف وتركهم وهم سائرين حتى وصلوا إلى آخر بحر الحبله والجزيرة المعروفة بالحائط وكان وصولهم إليها عند غروب الشمس فربطوا مركبهم فى موضع مختفى وتركوا فيه ست البيع والراهب شومدرس ونزلوا من المركب وظالم يقول استروا حالكم وسيروا خلفى فأنا أعرف دار عقبة وعنده خليت أم بكار واننا نريد أن نعمل على خلاصها ان كانت تعد فى الحياة ونأخذ الملعون عقبة ونطلب أرضنا وأنا أعلم أن مابقى فى أصحابنا فى هذه الديار أحد وان الملك قد فرقهم يوم وصولهم على الاديرة والصوامع والكنائس ولم يزل سائر بهم

إلى أن أوصلهم إلى الدار وأدخلهم على عقبة وهو يعاقب العلوية لما أن رأى عينها قد ردهما الله عليها فصاحوا عليه نح عنها ياملعون وصاح البطال وقال لهم خذوه فوصل إليه ظالم وقد لطم عقيبة على وجهها غيب صوابها وادار كتافها وتقدم أبو سكران إلى عقبة ودق فى خناقه ورفعه على يديه ولطم به الارض رض عظامه فى بعضها لبعض وقد نزل عليه بركب مثل الصوان وادار يديه كتاف ففتح الملعون فاه وأراد أن يصرخ لحشا فى فمه خرقة هذا وبكار قد وقع فى صدر أمه وغاب عن الدنيا لما أن رأى عينها قد عادت وهى تقول يابنى لا تعجب فان الذى أخذ هو الذى رد واعطى وهو المعطى الوهاب الذى إذا دعى أجاب

(قال الراوى) فتعجبت الأميرة وأبو محمد البطال من هذه الأسباب وقد فاضت دموعهم من قدرة الله تعالى ذو الجلال والاكرام وقالوا والله ان هذه قصتها مثل قصة حجاف رحمة الله تعالى عليه فقال البطال اخرجوا بنا الساعة نطلب المركب لايلعب شومدرس بعقل ست البيع ويطلب لنفسه الهرب وربما يصيح علينا ويجلب (قال الراوى) فعندها حملوا عقبة وبنته عقيبة وعولوا على الخروج وإذا بألف بطريق قد هجموا عليهم بالسيوف والطوارق وهم يقولون خذوا هؤلاء العيارين المكارين واللصوص المسلمين (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملك هرقل أبو ست البيع لما أصبح عليه الصباح طلب شومدرس يشاوره فى أمر المسلمين فما رآه فقال انه لاشك عند المسلمين يعاقبهم ثم أرسل خلفه فما رأى له خبر ولا للأمراء أثر فقلق لذلك وتحير وفى تلك الساعة أرسلت إليه زوجته تسأله عن ست البيع وتقول له البارحة خرجت من عندى من أول الليل إلى مقصورتها تنام واليوم طلبتها فما وجدتها

(قال الراوى) فلما أن سمع الملك ذلك قامت عليه القيامة وقال وحق المسيح قد لعب بعقل ابنتى حتى خلصت المسلمين المأسورين وقد تخلصوا وسرقوها وساروا ثم انه افتقد المراكب ففقد أكبرها فقال الملك قد اقلعوا فيه ومالهم قصد إلا جزيرة الحائط وحصن القمر ليخلصوا أصحابهم كما حدثنى رأس الحكمه والملك زوج أختى عاميل قد عول على الغزو إلى بلاد الاسلام وقد أرسل يأمرنى بأخذ الأهبة وأنا أريد أن أرسل اليه كتاب أعلمه بما قد تم على ثم إنه كتب كتاب وكتب فيه شرح ما جرى وأرسله على جناح الطائر إلى حصن القمر وكتب له فى آخره يقول خذ حذرك فان شياطين المسلمين اليك قاصدين وعليك واردين وابنتى معهم فابصر كيف تأخذهم أجمعين فلما أن وصل اليه الكتاب اغتاظ غيظا شديدا ثم إنه من وقته وساعته أوصى غلمانه ونوابه باليقظة والاحتراز فلما أن وصل مركب المسلمين واختفوا علموا بهم فسيروا بطارقة كثيرة وقد خرج خلفهم خلق كثير فلما أن وصلوا إلى المركب كانوا الأمراء قد دخلوا فى طلب عقبة فوجدوا ابنة الملك فى المركب

والراهب شومدرس فامرهم بالقبض على ست البيع ثم أعلمهم شومدرس باسلامها فقبضوها وطلبوا الجميع إلى عند الملك واعلموه بالحال ففرح بذلك واستبشر حتى كأنه قد قدم عليه بعض الحواريين (قال الراوى) ولما أن صار شومدرس قدام الملك قال أيها الملك ادرك الشيخ النجيح بالبطارقة والابطال وإلا هلك لأنهم صعدوا من عندى فى طلبه فعندها وثب الملك بنفسه فى الف فارس مدرعة بالسيوف المجذبة والدرق المكوكبة. وما زالوا إلى أن وصلوا إلى دار عقبة وابنته وعولوا على الدخول وكانوا الأمراء قد عولوا على الخروج فما أحسوا إلا وهؤلاء قد هجموا عليهم وصاحوا فيهم هذا ولما أن رأت الأميرة إلى ذلك الحال علمت أنهم قد فطنوا بهم وقصدتهم الرجال فصاحت وطلبت القتال وحملت على البطارقه بسيف يلمع مثل لمع الآل هذا وقد فعل ظالم مثل فعالها وكذلك أبو سكران والشريف بكار وأبو محمد البطال وما ولى النهار عنهم وراح حتى تركوا الأرض من القتلا مثل المسطاح هذا وقد قصدتهم أهل البلد عند إقبال الظلام وكذلك البطارقة الذين قد أتوا قصدوهم بكل حسام مهند وما مضى من الليل هجعة حتى ملكوا الروم المسلمين الجميع وخلصوا عقبة وابنته من قبضتهم وأخذوهم إلى دار الملك هذا وعقبة قد فرح بخلاصه وهو متعجب من سلامتهم بعد الغرق وقد فرح أيضا بشومدرس وقال إن هذا وقت سعيد موفق رشيد حدثنى ياراهب كيف كانت قصتك وما جرى لك فى سفرتك فأخبره شومدرس بكلما جرى له من أوله إلى آخره فقال عقبة أما ظالم ومذبحون وهذا الاسود وبكار والحصين من هاهنا خلصوا وكان فى قلبى منهم البلاء فقال شومدرس أما مذبحون ما أدرى أين يمضى وكذلك أخوه الحصين وما هما إلا غرقا (قال الراوى) هذا وان الملك قد نصب له سرير من الفضة البيضاء قوائمه من الذهب الأحمر فى ميدان الجزيرة وجلس عليه واقعد عقبة وشومدرس إلى جانبه الآخر والأمراء المأسورين بين يديه فقال عقبة أيها الملك تريد أن يغفر لك المسيح ماقد تقدم من ذنبك وما تأخر فقال له الملك نعم فقال له عقبة إن أردت ذلك فعجل لهؤلاء القوم بالحريق فقال له الملك اعلم إن أمرهم مسلم اليك فافعل بهم ماتريد من الأعمال (قال الراوى) هذا وقد كانت ست البيع قد أضافوها إلى مرجوما أخت صاحب قلعة السها الذى أسلمت على يد أبو محمد البطال وهما حضور مع جملة الاسرى فقال عقبه إن هذين الجاريتين أيها الملك يفسدان بنات الملوك ويميلوهم عن عبادة المسيح وأنا أريد الحرق للجميع فقال له الملك لا ياشيخ هذه ست البيع عمتها عاميل زوجتى وأنا أعلم أن هؤلاء الشياطين قد لعبوا بعقلها وما يطيب قلبى بقتلها فاخلو بها لعلك تردها إلى دين النصرانية فقال له عقبة لا تفعل أيها الملك ذلك واعلم انه لو كان فيها خير ماسلمت نفسها إلى

المسلمين وربما تكون قد حملت من بعضهم ودخل فيها الدين المحمدى ومابقى فى ابقائها فائدة. ثم وثب الملعون وفى يده صوت منقوع باللبن الحليب والخل والزيت وصار يضرب واحدا بعد واحد إلى آن يشرف على الموت ويدور على الآخر ومازال كذلك حتى وصل إلى الأميرة ذات الهمة وضربها على وجهها عشرين صوت وهى صابرة على القضاء فلما أن رأى الأمير ظالم إلى ذلك بكى عليها وعلى نفسه وأشار يقول :

أيا ست صبر فالنصير بغيتى ... لك الفوز فى العقبا بفعلة عقبة
لنا فى عند الإله كرامة ... بما يفعل الملعون من قبح فعلة
وما هى إلا موتة ثم نلتقى ... برب كريم فى مقامة رحمتى
يعز على أن أراك إطريحة ... بذلة أسر فى قيود مذلة
وعقبة قد أهوى اليك بسوطه ... فلا زال فى خزى وفى سوء لعنة
فياليته أعفاك من شوم ضربه ... وعذبنى حتى ألاقى منيتى

(قال الراوى) ياساده فضحك شومدرس من شعر ظالم حتى بدت أنيابه مثل أنياب الكلاب. وقال ويلك ياظالم تشفق عليها من الضرب والقتل فكم من قتيل وجريح من النصارى. وعباد المسيح وان اراد أن يعفو عنها الشيخ النجيح فذلك إليه (ياساده) هذا وقد كان. شومدرس يحكى هذا الكلام تحريضا لعقبه على هلاك الامراء فقال لاعفى المسيح عنى إن عفوت. عن مسلم لاسياهؤلاء الذين قد حصلوا معى فى آخر الدنيا وأنا أترك الملك يحرقهم أو يصلبهم على أبراج هذه المدينه وأخرج معه أسلم اليه بلاد الاسلام ولا أترك غير هذه الجزيرة لى مقام. فقد أعجبنى هذا حصن القمر ودير النذور وبحر الخلية وشجر الكافور وهذه الاراضى التى قد رضى عنها المسيح وانى أريد فى هذه الساعة ان أقطع أنف ذات الهمه وشفيتها قبل هلاكها ثم ان الملعون تقدم اليها وقام شومدرس أيضا وهو يصيح بالتارات شوما ودهر شوم الليله. آخذها من ظالم ومن هذا الزربون الميشوم فعندها صاح أبو محمد البطال على عقبه وقال له ويلك ياملعون ويا كلب النصرانيه وأخس من غمس فى جرن ماء المعموديه ارجع عن الاميره. ولا تصنع معها مكروه وان قتلتها سوف ترى مايحل بك من الضرر والبؤس فان فعلت معها. ما فعلت فما هى الا قتلة واحد وتروح الجنة وتشاهد رب العزة والمنه فى مقام الدوام ودار السلام وان افسدت عليها دنياها فما تقدر تفسد عليها عقباها لأنها ماتفزع من المنيه ولا تخشاها بل تفرح بها وتتمناها وسوف تجمعك القيامة أنت واياها وقد سمعت ياملعون الآيات التى تقرأها (كأنهم يوم يرونها لم يلبسوا إلا عشية أو ضحاها) وأنت تعرف ذلك كله وتعلمه وتحققه لكن تنكره ثم انه أنشد :

دع مهجتى تزداد فى خفقانها ليس التفرق فى الوغى من شانها
ان كان صرف الدهر غير قصده وبذل ذلهمة بدار هوانها
فلكم أبات فى الحروب غضنفرا وسطت يفوتها على فرسانها
ولكم تطايرت الرؤس بسيفها بالرغم فى الهجاء عن أبدانها
ولكم لها من غزوة وسرية سحرا وقد طالت على أقرانها
ولكم بأرض الروم ساقت جحفلا حتى رأيت الخيل فى بلدانها
ولكم أعزت كلمة التوحيد فى بلد العدا بالجهر فى اعلانها
وأذلت الكفار حتى انها وضعت قيود الذل فى صلبانها
ولكم لها فى قلعة مفتوحة صبحا وقد طلعت فى أركانها
ولطال ما طالت على ملا كها واستزلتهم من رفيع مكانها
ولكم تعفرت الجباه مخافة منها وتم الذل فى تيجانها
فالموت أشهى عندها من كل ما فى الأرض فاعلم لا انالك شأنها
بالقتل تبلغ ما تريد وفوزها فى جنة الفردوس مع ولدانها
ولها الرضا من ربها فى قربها من ساحة الرضوان مع رضوانها
عجل بقتلى قبلها وبقتلها فالقتل أسهل من تهتك شانها

(قال الراوى) ياساده يا كرام وكان الامير أبو محمد البطال كلما أنشد بكت الاميره حتى قال فى آخره عجل بقتلى قبلها وبقتلها فقال عقبه السمع والطاعة يا أبو محمد ثم انه عاد إلى الملك وقال له اعلم أن الساعات تغتنم فيها فرحه من يسعى اليها على قدم وأعلمك انى أريد أن آخذ من هؤلاء القوم بثار أمة عيسى ابن مريم فقال له الملك افعل مابدالك فما نرجع نرد مقالك فعند ذلك تقدم عقبه لعنه الله وجزاه وجعل النار متقلبه ومثواه إلى الاميره ذات الهمه وشومدرس إلى ظالم (قال الراوى) فبينماهم معولين على مايريدون ان يفعلون بالامراء من القبائح وإذا قد وثب من بين الحضار غلام أشقر أعطر طويل الشعر أحور يقدح من أجفانه الشرر وتقدم إلى بين يدى الملك شمخولص الأكبر صاحب جزيرة الحائط والبحر الاخضر وقال له ياملك ماقتل هؤلاء الشياطين فى هذه الساعة بصواب فقال عقبه وقداغتاظ من كلامه ولم لايكون ياويلك صواب وفيه للملك أفضل الاجر والثواب فقال له ذلك البطريق وقد صرخ فيه فأبهت الحاضرين وظلوا اليه الجميع ناظرين اعلم أيها الشيخ أن أهل هذه المدينه مافيهم الامن فى قلبه من هؤلاء المسلمين حسرة لاسيما أهل الاديرة والصوامع وسكان هذه البلاد وأهل السواد الذى فرق عليهم الملك المأسورين وعاد أنفذ طلبهم منهم وجمعهم وهاهم قدوصلوا وقدوصل معهم خلق كثير

فى طلب الجهاد والفرجة عليهم وهم منتظرين الصباح حتى يشفون قلوبهم من هؤلاء الشياطين وما فى الممكن ان تأخذ أنت نارك وتستريح وتترك ألف قلب قريح لا كان هذا ابدا وحق المسيح واول الناس أنا وان قلبى مقروح ودمع عينى مسفوح وقد أتيت آخذ تار أبى واشرب من دماؤهم حتى ارتوى (قال الراوى) ياساده فلما ان سمع عقبة مقاله بهت وقال له ومن هو أنت ومن هو أبوك فقال له أنا قرد نكلى بن نكلان صاحب جزيرة الحيوان وان هؤلاء قد قتلوا أبى وهو عائد من أديرة السواحل وصوامع الرهبان وقد أتيت أرتجى ازاحة تارى وأطفى لهيب نارى وما أريد أن يكون ذلك إلا بمشاهدة جميع الناس حتى يشهد لى كل قس وشماس فقال عقبة وحق المسيح لقد وفقت فى هذا الكلام ياغلام وأتيت بالصواب ونحن نتمثل على هؤلاء حتى تنجلى غياهب الظلام ثم انه شاور الملك فى ذلك الابرام فرآه الملك صواب وقال إذا كان فى غداة غدا نادينا فى البلد وجمعنا سائر الأنام والخلق الذين قد وردوا ولا نترك صغير ولا كبير إلا ونخرجه إلى الميدان ونفرجه على قتل هؤلاء العرب والسودان ويشاهدوا تلك البنات والصبيان ويكون هذا أشد فى العقوبة والهوان (قال الراوى) ثم ان الملك ادعى بقرد نكلى فتقدم إلى بين يديه فأخلع الملك عليه وقال له جزيرة الحيوان التى كانت لأبيك فهى لك بعده ثم انه أحضر الطعام والشراب وجمع الملوك وخواصه والحجاب وقد أنفذ إلى العساكر القادمة عليه فساروا الكل وأتوا إلى بين يديه هذا وعقبة وشومدرس إلى جانبه وقد جلس الجميع وأخذوا فى أكل الطعام وشرب المدام والراح هذا وقد دارت عليهم الأقداح وضجت الجزيرة بأصوات الأغانى ودخلوا فى اللهو لبلوغ الأمانى وكان قرد نكلى هو الساقى فى تلك الليلة ومرتب مجلس الملك هذا وقد أعجب الملك وأعجب عقبة شيخ الضلال وشومدرس راس الجهال ولم يعلموا أنه الحصين بن البطال الذى أخلف أباه فى التدبير والأشغال (قال الراوى) ولم يزل يسقيهم حتى خمدت منهم الحواس والحركات والأعمال ومزج لهم من تلك الحشيشة المباركة الذى جلبها أبوه من الأديرة وادار عليهم الأقداح فانبطح كل من فى المجلس عند الملك وكان أول من انخمد القاضى عقبة وشومدرس وقد صاح الحصين فى باقى الناس وناول الملك من يده ذلك الكاس وخرج من عنده وقد خمدت منه الحواس وصاحت من حول سرادقه الحراس ولم يزل سائر إلى أن وصل إلى عند الأمراء وكانوا فى خيمة منفرده وكانوا الموكلين بهم قد شربوا فى سرادق الملك وأتوا فانقلبوا فدخل الحصين وهو مطمئن القلب فقبل رأس أبيه وقال لهم قوموا واعلموا أنى قد مكنتكم من قفاء عدوكم وقد سقيتهم من تلك الحشيشة المباركة التى جبناها من الأديرة وقد خلعت عنهم ثياب النعمة ثم انه حل كتافهم وهم على غاية من الفرح هذا والبطال يقول

ياولدى وأين أخوك مذبحون فقال له انه قد مضى فى شغل آخر وأنا أرجوا تمامه سيروا حتى اننا نطلب النجاة لانفسنا فقال البطال ياولدى انى أريد ان تعلمنى أين عقبة وشومدرس والملك حتى ننظر مايكون منهم فقال الحصين أما عقبة وشومدرس فهاهم حاضرين فى الخيمة التى بالقرب منكم وهم لايعلمان أحسن الدهر إليهم أم أساء وأما الملك فلا تتعرضون له فانه خطر عظيم فقال له البطال وكيف ذلك ياولدى اما شرب مثل ماشربوا هؤلاء البطارقة فقال له يا أبتاه لانى ماأعطيته غير فرد قدح وخليته وخرجت فما أدرى ان كان شربه أم لا وان الحرس من حوله شديد فاتركونا من معارضته فلما سمع البطال من ولده ذلك الخطاب رآه صواب وقد ساروا طالبين خيمة عقبة هذا والبطال يقول لو كنت مع هذا كله حصلت لنا شىء نركبه كان أروج لنا فقال له الحصين سير وأنت ساكت فانى قد حصلت لكم خمس بغال وعشر رؤس من الخيل العوال بعدتها لانها من جنائب الملك لانى قد دخلت إلى سياسها وهم يشربون الخمر فى أول الليل ففعلت بهم كما فعلت بعقبة وشومدرس والخيل والبغال الساعة حاضره وهذه خيمة السلاح بين أيديكم فخذوا منها ماتريدون وركبوا ست البيع ومرحوما على البغال وسيروا على بركة الملك المتعال (قال الراوى) فلما أن سمعوا من الحصين ذلك المقال فما فى الجماعة إلا من عجب من حسن عمله وجودة توصله فقالت الاميرة يابنى من أشبه أباه ماظلم سبحان من جعل له فيك وفى أخيك البركة ثم دخل ظالم وأبو سكران وحملوا عقبة وشومدرس وعادوا إلى خيمة السلاح فأتوا منها ماأرادوا والناس فى أحلى ساعة من السكر والسكرا ولما ان تكامل عددهم ركبوا الخيل وقال ظالم دعهم الساعة يلحقونا ودع يكونوا بعدد ورق الشجر وقطر المطر ثم انهم ركبوا العلوية أم بكار ومرحوما وست البيع على البغال وجعلوا عقبة وشومدرس فى صندوقين كانا فى المطبخ قد أخذوهم وتركوهم على بعض البغال وجعلوا عقبة وشومدرس على بعض البغال وساروا يقطعون الارض إلى أن صار وقت السحر فبينما هم سائرين وإذا قد بان لهم من بين أيديهم أكثر من مائة وخمسين فارس والجميع بالسيوف والدرق وقدسدوا جميع الطرق فقال البطال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم سبحان من يخلصنا من البوائق فقال الحصين لاتخاف ياأبتاه واعلم ان هذا أخى مذبحون قد خلص المأسورين لانى أنا وإياه لما أن وصلنا إلى هذه الديار أقمنا ننتظركم إلى أن تأتوا ورأيناكم قد وقعتم وقبضوا عليكم فافترقنا كل واحد منا فى شغل وكان الملك قد جمع أصحابنا من الرستاق ليكون قتلكم جميع فأنفذت اليهم وأوعدته إلى هذا المكان يكون الاجتماع وقد جئت أنا اليكم وخلصتكم من الاعتقال (قال الراوى) فبينما هم فى هذا المكان وهم يتحدثون فى ذلك الكلام وإذا بمذبحون قد ناداهم من بين أيديهم إيش حالكم

يا كرام تقدموا ولا تفزعوا فنحن لكم فى الانتظار أيها الأقوام فلما أن سمعوا حس مذبحون عرفوا منه الصوت وقد فهموا الكلام فعند ذلك صاحوا وتبادروا اليه وتباشروا واختلطوا ببعضهم البعض وفسيح الآكام وقالوا الساعة لو تبعنا كل من فى هذه الأرض مانبالى بهم فى هذه الأيام ثم انهم ساروا وقد أصبح عليهم الصباح عند قرية من القرى وقد هيؤا ما احتاجوا اليه من الزاد والعلوفة وأخذوا الخيل الجياد جنائب وساروا مجدين إلى وقت الظهر فبينماهم سائرين وإذا بالغبار من خلفهم قد طار إلى أن سد الاقطار وقد علا وزاد ونما حتى سد أفق السما ساعة وانكشف عن صليب يبرق ومن تحته مائة ألف فارس وقد ظهرت غبرة أخرى من على أيمانهم وغبرة أخرى من على شمالهم وقد أخذهم الصياح من كل جانب وكثر الصراخ من البطارقة وامتلأت الدنيا بالمواكب المتلاحقة هذا ولما أن نظرت الأميرة إلى ذلك قالت لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملك شمخولص لما أن أصبح الصباح عليه وطلعت الشمس وهو فى سرادقه لم يخرج ولا رأى أحدا من البطارقة أن يدخل اليه إلا أولاده فانهم قد أنكروا ذلك فدخلوا الى السرادق فرأوه وهو يتقلب ولا يقدر أن يتور ولا تحمله رأسه ولا يعى على من يكلمه فلما رأوا ذلك قالوا وحق المسيح مصيبة بأبينا قد نزلت ثم أتوه بالماء البارد وقلعوه أثوابه وأقلبوا الماء عليه فصحا وبعد ساعة عقل على نفسه وقال لهم ويلكم إيش هذا السكر وهذا الخمار وحق المسيح ماهذا إلا من الساقى قردنكلى لانه قد سقانا من الخمر العتيق بلا ماء وهذا من قلة خبرته ياويلكم اطلبوه فى خيمة الشيخ النجيح والراهب شومدرس الميشوم رأس الحكمة فعندها خرجت البطارقة إلى خيمة عقبة فما وجدوا فيها أحدا فعادوا بالخيبة وأعلموا الملك بذلك فقال لهم ياويلكم وأين قردنكلى فقالوا وحق المسيح مارأينا فى الخيمة أحد وقد سمعنا أن كل أسير كان فى العسكر البارحة هرب والموكلين بهم قد أصبحوا مذبحين (قال الراوى) فلما أن سمع الملك بهذا الخبر اندهش وتحير وخرج إلى سائر السرادق وركب ودار فى العسكر ليكشف الخبر فرأى الامر صحيح فتنمرد الملعون وكفر وطغى وتجبر وقال وحق المسيح ماتم علينا هذا الامر إلا من هذا الشيطان الذى قال أنا قردنكلى وحق المسيح لقد سلمت ان اسرق من على سريرى أو أخنق وقد عدموا الاسارى وشومدرس وعقبة اللعين وفى تلك الساعة وصل الملك هرقل وتقدم بين يدى الملك شمخولص وأخبره بما جرى عليه من فقد ابنته قزاده ذلك حنق وقال ماهؤلاء المسلمين إلا شياطين ثم إنه أمر بالمناداه من ساعته فى العسكر بالرحيل ورحل وهو لايعقل على أحد فلا زال سائر بالعساكر وقد فرقهم مع أولاده

فأرسل واحد مع جماعة والآخر مع جماعة ولحق الامراء كما ذكرنا وكان معه من أولاده سبعة والملك هرقل أيضا من حرقته على ابنته ومعه مائة ألف فارس من رجاله

(قال الراوى) فعندها نبهت الاميرة أصحابها وقالت لهم اعلموا أن هذه الموتة ما كانت لنا على بال فقالوا لها والله لاسلمنا أنفسنا إلا بعد ضرب يهد وطعن يقد هذا وقد أحاطت بهم الكفار ورفعوا شومدرس وعقبة والعجوز العلويه أم بكار ومرحوما وست البيع إلى رأس شقيف عالى من شقوف الجبل وعولوا على النزول إلى القتال فقالت ست البيع والله لابد لى من النزول معكم إلى القتال فقالت لها الاميرة مايحتاج الى ذلك فقالت إن هذا لايمكن بل إننى أكون معكم وتلاقوا ما أنتم قادمين عليه هذا وقد أخرجت الاميره عقبة اللعين وشومدرس من الصناديق وقد وكلت بهم أربعة من بنى كلاب وقالت لهم إذا رأيتمونا قد هلكنا اضربوا رقاب هؤلاء الشياطين (قال ياسادة) هذا وعقبة قد فتح عينه ونظر الى كثرة العساكر ففرح وقال لشومدرس ياويلك أنا نايم أم يقظان فقال شومدرس ما أنت إلا مستنبه ياقرنان هذا وقد قالت لهم الاميرة ويلكما لاتفرحان بمجىء عساكر أهل ملة الصلبان وتطلبان الخلاص بهما من الذل والهوان فها أنا قد وكلت بكما أربعة من حزب الرحمن وقد أوصيتهم أن يقتلوكما إذارؤنا قد شربنا كاس الحمام حتى لايبقى من بعدنامن يشتفى بالاسلام فقال عقبة وحق المسيح ياعجوزالسوء اننى بعد ماأرى جسدك نهبا للصفاح ماأبالى بما كان منى على أننى أعلم على أن هؤلاء الذين قد وكلتيهم بنا أحقر من أن يمد أحدا يده منهم الينا إذارأى أمة الصليب يطلب جنده ولابدلى بعدكم من الحياة وأخرج مع هذا الملك الذى قد حفظه المسيح وكلاه وان أسلم إليه بلاد الثغور وأرض العراق وأتركه ملك الآفاق قريب وبعيد وأطلب ولدك عبد الوهاب فى أرض الحجاز وأشتفى منه كما اشتفيت منكم

(قال الراوى) فلما سمعت الأميرة من الملعون عقبة هذا المقال اشتعلت عيناها شرار النار وزاغت فى أم رأسها وصارت مثل الجمر وقالت ياملعون إذا كان هذا بغيتك أناوحق محمد سيد البشر فخر ربيعة ومضر لابد مما أثر فيك أيشم أثرمن قبل أن أحمل على هذا العسكر ثم انها جذبت حسامها من غمده ورفعت يدها وقد ضربته ضربة الحنق فلما ان رأى عقبة الضربة نازلةعليه فالتقاها بيده اليمين فنزلت الضربةعلى زنده طيرت يده من حد المرفق فصاح الملعون ثم وقع وبقيت يده تنزف دما وهو لايدرى ان كان فى أرض هو أم فى سما ولما ان رأى ظالم إلى ذلك اشتفى فؤاده وكذلك بنى كلاب وقالوا احملوا بنا الساعة بنيات خالصة فما بقى فى قلوبنا حسرة فما هذا الملعون من يسلم فى هذه الكرة فبكت الأميرة وقالت والله ماأردت إلا أن يكون ولدى حاضر وإليه ناظر حتى كان يحمله إلى بلد القسطنطونية ويصلبه

على باب الذهب وتشتق منه قلوب السادات من ذوى الرتب ولكن هذا الذى قد حكم به الملك الخلاق وكان قد سبق فى علمه أننا نبلى عند الكبر بالبعد والفراق ثم انها حملت على عساكر أهل النفاق وقلبها قد زاد به الاشتياق إلى ولدها أمير الآفاق وهى تنشد :

واجربا من حر نار الفراق   لقد دهانى منه مالا يطاق
ياولدى جاروا علينا العدا   وحرفوا القول وبان النفاق
ياولدى قد طار عنى الكرى   فالعين لاتقوى على الانطباق
فابكى على أمك إذا أصبحت   مقطوعة الظهر بسيف الفراق
أقسمت بالخالق سبحانه   ورافع السبع الشداد الطباق
لأروين السمر والبيض من   دمائهم بعد الحراب الرشاق
واضرب الأبطال رغما على   رؤسهم بالمرهفات الرقاق
واشرب الكاس الذى شربها   كريهة المطعم عند المذاق

(قال الراوى) ولما نظر ظالم إلى سته وقد فعلت ذلك الفعال فحمل من وراها وقد بكى مثل بكاها وأن واشتكى أعظم من شكواها ثم ارتجز وجعل يقول هذه الأبيات :

لست غريبا ماملكت صارما   جعلت أوطانى قوى العزائما
لست أخاف فى الورى العوالما   ولم أزل أشوش العمائما
من أجل هذا قد دعيت ظالما   وكم قتلت عرب مع أعاجما
ياليت شعرى هل أعود سالما   وأنظر الاطلال والمعالما
فاسأل الله ذوى العظائما   ينصرنا على الطغاة عالما

(قال الراوى) فعند ذلك حملت من بعدهم المائة وخمسين فارس من بنى كلاب فغاصوا تحت الغبار والضباب وقد باعوا نفوسهم لرب الأرباب وقطعوا الآمال من الاطلال والأحباب وقد اشتد الطعان والضراب وانطبقت عليهم عند ذلك المواكب من كل جانب انطباق البحر العباب هذا والملك هرقل أبو ست البيع قد ترك الناس فى القتال وطلع إلى الجبل يطاب خلاص ابنته فى ألف من الأبطال وهو يظنها عند عقبة لأنه قد رآهم أول ما أشرفوا ورآهم وهم طالعين إلى رأس الجبل فطلع وقلبه عليها ملآن

(قال الراوى) فلما أن صار فوق الجبل مارأى إلا شومدرس يبكى وعقبة بين يديه يئن ويشتكى ويده مقطوعة وهى إلى جانبه فلما أن نظر الملك هرقل إلى ذلك صعب عليه وسأل شومدرس عن ست البيع فقال له يامولاى إنها قد ركبت ونزلت تقاتل مع المسلمين وما هاهنا إلا أنا وهذا الشيخ عقبة المسكين فعندها أمر أن يحمل عقبة وشومدرس اللعين

وقبض على الأربعة الذين كانوا موكلين بهم وأخذوا العلوية ومرحوما وقال ارجعوا بنا حتى نحضر هؤلاء قدام الملك الكبير ولعلى أن ألحق ابنتى وآخذها من قبل أن تهلك ثم أخذهم وعاد بهم يشق المواكب ويخوض الكتائب ويطلب أعلام الملك شمخولص فما وصل إليه حتى خمدت نار الحرب وبطل الطعن والضرب وقتل من المسلمين مائة فارس وأخذ الباقين أسرى مع جملة الامراء وقد أحضروا الجميع بين يدى الملك ووصل الملك هرقل إليه ومعه عقبة هذا ولما رآه على تلك الحالة حار ووقع به الانبهار وقال لابو ست البيع ويلك من فعل بالشيخ النجيح هذا الفعل فقال له يامولاى هؤلاء المسلمين الاندال الذى قد لعبوا بعقل ابنتى وهتكونى فى جزيرتى هذا وقد كانت ابنته قاتلت فى ذلك اليوم حتى بيضت صحيفتها السوداء وقد قتلت مع جملة الشهداء إلا أن الملك لما أن سمع مافعلوا بعقبة قال للبطارقة اكووا يده فوحق المسيح لاضربن رقبة كل من بقى من المسلمين بين يديه وأدعه يشتفى منهم كيف شاء (قال الراوى) هذا وقد سمعت ابنته عقبية لذلك لجاءت إليه وقد رأت أباها فى تلك الحالة فبكت ولطمت على وجهها ورأسها ومزقت ما كان عليها من لباسها ونادت واحزناه لفقدك ياأبتاه هدمت لفقدك أركان البيع ومال الصليب بعدك ووقع وبكت عليك صور الكنايس بأعين تدمع وقد تهنوا بعدك المسلمين بصلاة الجمع فرضى عنك المسيح ويوشع ورهبان دير مربع والراهب الكبير مقلع ومن فى الكنيسة من البنات قد ركع ثم انها أنشدت تقول

قطعوا يمينك ياأبى واحسرتى   واعظم لهفاتى وشوم مصيبتى
لولم تكن أنت المسيح بعينه   ما كنت ترجالى لكل بليتى
قد اوحشت منك الكنايس بعدما   كانت بصورتك الكريمة شمعتى
ان أنت مت غدا الصليب منكسا   وبكاك كل مقرب فى البيعتى
ان كان قد قصوا جناحك عامدا   فقد تطير به فى قصور الجنتى
فاليوم أوفى غدا تفنى العدا   وننال ما نختاره بكرامتى

(قال الراوى) ثم ان البطارقة كووا يد عقبة وهو غائب عن الدنيا وحمل بعد ذلك إلى خيمة ابنته وقد أمر الملك لحكماء الروم أن يكونوا عنده ويداووه ففعلوا به ذلك وقد لطخوا له بالمراهم فلما ان كان الغد عند الصباح فتح عينيه وقال أين أنا فقالت له أنت عند الملك الاكبر صاحب جزيرة الحائط وعدوك قد هلك وباقيهم فى الاسر إلى أن تقوم وتفعل بهم ماتشاء (قال الراوى) فلما سمع الملعون ذلك فرح وقويت همته وصحا على نفسه ثم انه قال وأين ذات الهمه والبطال فقالت له اعلم ان الجميع فى القيود والاغلال فاطمأن قلبه وقد

أقام على ذلك الحال ثلاثة أيام والملك يأتى اليه يزوره فى كل يوم مرتين وفى اليوم الرابع نادى الملك بالرحيل ورحل وشال عقبه فى محفه وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى قلعة السها ونزل بها فقال عقبة لما ان أشرف على الصلاح أيها الملك وحق المسيح ما أرحل معك من هاهنا حتى تمكننى من أعدائى فقال له الملك هم مسلمين اليك افعل بهم ما بدالك هذا وقد سلمهم اليه فقال له عقبة انى أريد أقطع أيديهم وأرجلهم ثم أصلبهم بعد ذلك على أبراج هذه القلعة وأذيقهم كاس التلاف حتى يبرد مافى قلبى من الارجاف (قال الراوى) وان الملعون أخذ الأمراء وصعد بهم إلى الابراج وصفهم قدامه ثم انه سل سكين أمضى من القضاء وألمع من البرق إذا أضاء وقال لابنته عقبيه قدمى لى هذه العجوز العاهرة ذات الهمة التى قد قطعت يدى حتى اقطع اربعتها واقلع عينها واقطع ثديها وشفتيها وبعد ذلك اصلبها حتى يطول بلاها هذا والملك قد ركب وحوله اولاده وسائر خواصه واجناده وقد اصطفوا الجميع من حول القلعة يتفرجون على عقبة وما يفعل بالمسلمين (قال الراوى) هذا وقد قدموا الأميره ذات الهمة إلى عند الملعون عقبة ومدوها البطارقة بين يديه بالعذاب هذا ولما ان رأى ظالم إلى ذلك صار يبكى وبنى كلاب والبطال يقول لظالم والله ماكان قطع يد هذا الملعون بصواب فى مثل هذه الاوقات ولكن هذا الذى جرى وكان (قال الراوى) ومن الاتفاق العجيب والأمر المطرب الغريب ان عقبة اللعين أمر البطارقة ان يمدوا له ذات الهمة يفعل بها ماهو ناوى عليه من التعذيب والأمراء يبكون عليها وإذا هم بجانب العسكر ارتج واضطرب وماج وانقلب فقال الملك ايش الخبر فقالوا له ياملك ماندرى ولكن نرى كل راهب فى دير الزيت قد أقبلوا وهم يصيحون ويولولون وهم عراة حفاة فبينما هم مع الملك فى الكلام والرهبان قد شقوا المواكب ووصلوا إلى بين يدى الملك قد حصلوا وهم كلهم يتصايحون فقال الملك يا ويلكم أى مصاب أصابكم ومن عراكم ثيابكم فقالوا أيها الملك اعلم أن عسكر قد طرق دير الحمام كلهم سودان أسود من الظلام لايفقهون لهم وجوه ومناخر تنفطر عند النظر اليهم المرائر فبادرهم قبل أن يبادروك وسيروا اليهم من قبل أن يسيروا اليك ويفاجوك (قال الراوى) فلما أن سمع الملك ذلك المقال انذهل وحار واختبل وقال من يجسر من أهل الأرض يقصد إلى هذه الديار وذكرى فى الخافقين قد سار ائتونى بالشيخ النجيح حتى أنى أساله عن هذا الحال وقولوا له لايفرط فى واحد من هؤلاء الرجال حتى انظر من طرق ديارنا وخاض اقليمنا وأتى امصارنا (ياساده) فطلعت البطارقه إلى عقبة وهو قد مديده إلى الاميره ووضع السكين عل مفصلها وهى صابرة لقضاء الله تعالى فصاحوا عليه وخلصوها من يده وقالوا له أجب الملك قبل هذا ياشيخ قد أمرنا باحضارك فلما أن سمع عقبة منهم ذلك المقال اغتاظ ونزل

مع البطارقة إلى بين يدى الملك وقال ما الذى يريد الملك فقال له الملك شمخولص ياشيخ اعلم انه قد جاءنى خبران أرضنا قد طرقها عسكر وقد وصل إلى رهبان دير الزيت واخبرونا بان الذين أتوا إلى دير الزيت أخربه وسبى كل من فيه ونهبه وأنا أريد أن تترك اشتغالك بهؤلاء القوم المأسورين وتسير مع أصحابى وتكتشف لى خبر هؤلاء القادمين لانك أنت أخبر بملوك الامصار وبعساكر جميع الاقطار وتعرف سائر الاشار

(قال الراوى) فلما أن سمع عقبة من الملك تلك الاخبار انتقض وضوءه وتلوثت سراويله وأحدث على نفسه وظهر على وجهه الاصفرار وقال له ياملك ماتحتاج إلى من يكشف لك الأخبار وأنا أعرف الناس بهذا العسكر الجرار فهو عسكر الابرار وقد جاء فى خلاص هؤلاء الشياطين وقد دخلوا هذه الأرض على كثرة منهم وقطعوا المهامه والقفار وما هذا منهم إلا قلة يقين بما فى هذه الديار والصواب انك تنجز صلب أصحابهم وترحل بعد ذلك إلى طعانهم وضرابهم من غير توانى ولا تحمل هم منهم على قلبك فما هم من تخشاه وحق المسيح واعلم أن ماساقهم إليك إلا دنو آجالهم والمسيح قد أرادك ولولا ذلك ماساقهم إليك حتى يجعل على يديك هلاكهم فقال الملك إذا كان الامر على ذلك فالصواب ترك هذه الطائفة التى فى أيدينا حتى نملك رقاب من قدم علينا ويكون هلاكهم الكل فى يوم واحد ولا يبقى لنا عدو ولا معاند فقال له عقبه يامولاى إذا عزمت على ذلك وأردتنى أن أسير معك فسلم هذه القلعة إلى بتى عقبية حتى تحفظها وتحفظ المأسورين حتى نسير ونبصر مايكون من أمر هؤلاء القادمين فقبل الملك رأيه وقال له اعلم أن القلعة بحكمك وحكم ابنتك لانها هى التى ملكتها بالحيلة وهى التى تحفظها من كل مصيبة (قال الراوى) ثم لن الملك بعد ذلك سلمها إليه وأنزل منها نائبه وترك فيها ألف بطريق وقد حكم عقبية فيهم ففرح الملعون بذلك وأوصى ابنته عقبية بالمأسورين ثم أن عقبة قال للملك نادى فى عساكرك بالرحيل وبادر إلى هؤلاء الشياطين حتى يكون أهيب لك وأجود فعندذلك نادى الملك بالرحيل فى الكتائب والمواكب فتزعزعت المشارق والمغارب ونشرت الرايات والبيارق ورفعت الصلبان على رؤس القنطاريات الخوارق وتتابعت العساكر مثل البحار الزواخر (قال الراوى) وكان المقدم على هذا العسكر الذى طرق هذه الارض الامير عبد الوهاب ومعه مائة ألف من السودان ومن بنى كلاب وكان السبب فى ذلك لما أبطأ عليه خبر ولده ظالم لما أرسله من الحجاز وقد سمع أن أمه قد اختلفت عليها السودان وتنصر أكثرهم مع غيلان الشوك وأنفذ ولده ظالم يكشف له الخبر فجرت عليه هذه العبر ولما انقطعت عنه أخبار الجميع وقع به الحزن والاكتئاب وصار كل من أرض العراق يسأل عنهم فيسمع أخبار مختلفة فما زال على ذلك حتى طال عليه

الامر وأقلقته القناصة ببكائها على ولدها ظالم لانها كانت تجتمع بنورى زوجة البطال وما فيهم إلا من تبكى وإلى رفيقتها تشكى لان نورى قد فقدت ولديها مذبحون وأخيه الحصين فما كانت تجف لها دمعة وكان الله تعالى رزقها بنت وسمتها عذيبة فكانت تتسلى بها عن الغياب لانها كانت رزقتها من البطال وما رآها فاشتغلت بتربيتها فى بلاد الحجاز فى هذه المدة الطويلة وكانت لما ان كبرت وانتشت تسألها عن أبوها فتقول لها انه من حملك ما أتانى ولا رأيته ثم أنها تحدثها بما يفعل أبوها من الحيل وكيف يغير صورته ويسرق الرهبان وقد علمتها شيء من الحيل وشيء من الإنجيل وبعض ألسنة الروم وقد نظرتها حاذقة عارفة فتعجبت منها ومن فطانتها فصارت تعلمها لغات الروم المختلفات وفصول الانجيل المشكلات وهى تحفظ كلما سمعته وكانت نورى خبيره بكل هذه الاشياء لاننا قد ذكرنا أنها من الحصون وانها ابنة ملك من الملوك الذين للروم لاسيما من يوم اتصلت بالبطال (قال الراوى) ولما انتشت عذيبة وكبرت تعلمت هذه الاشياء وصارت تجمع البنات بالليل وتلعب معهم والجميع كأنهم الشموس والاقمار وقد عملت لها من أذناب الخيل دقون ملونات ومن الفنا صلبان مذهبات هذا والنساء والرجال يتعجبون منها وكان الامير عبد الوهاب يحبها حبا شديدا وكان فى أكثر الليالى يحضرها إلى عنده ويترحم على أبيها إذا نظرها ويبكى ويقول سبحان من خلق فى زماننا فرعون ثانى وسلطه علينا يفرقنا فى الاقطار وهو هذا الملعون عقبة الذى طول عمرنا فى مصائبه ونوائبه (قال الراوى) ولما أن زاد شغف نورى بعذيبة صارت تركب فى كل يوم معها إلى البرية وتعلمها ركض الخيل والفروسية وما زالت كذلك حتى اكتسبت الشجاعة من أمها اكتساب زائد وقد ورثت الحيل من ابيها وراثة صحيحة ولم تزل على ذلك الحال إلى أن زاد شوق الامير عبد الوهاب وكثر قلقه على الغياب فرحل فى بنى كلاب والسودان الانجاب وقد قدم عليهم اللملمان وأخذ معه سائر النسوان وسار معولا أن يملك بسيفه بعض أقاليم الكفار ويقيم هو وأمه وأصحابه فيها باقى الاعمار (قال الراوى) ولم يزل يجد السير حتى وصل إلى الكوفة فخاف من معارضة الخليفة له فسار إلى الانبار وكان صاحب الانبار أمير يقال له صالح بن عمر وكان من أصدقاء الامير عبد الوهاب فلما أن سمع بقدومه أخرج له الاقامات والضيافات والعلوفات ونزل إليه فاجتمع عليه وقد سلم على صاحبه وشكى له سدة اشتياقه إليه هذا ولما أن إجتمع به صالح سأله عن حاله فقال انى خرجت من الحجاز لا أعلم إلى أين أمضى فتوجع له الامير صالح وجاس عنده فسأله عن ذلك الامير عبد الوهاب وعن أخبار ظالم ولده وأمه ذات الهمة فقال له الامير صالح والله يا أمـــير ان ولدك قد عبر على فى السنة الماضية فى أربعة آلاف فارس وسألته عن حاله فقال أناماضى فى خلاص ستى من قبضة عقبه.

من أرض شيخان وما بات أكثر من ليلة واحده ورحل بعدذلك ماسمعت له خبر إلا من بعد مدة ثلاثة شهور قد سمعت انهم دخلوا إلى بحر الروم وقد وصلوا إلى قلعة يقال لها قلعة السما وأنهم قد هلكوا فيها ثم رجعت سمعت أنهم سالمين وما صح عندى إلى الآن منهم خبر عن يقين وهذا ماعندى من التبيين (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب من الامير صالح هذا الخطاب بكى بكاء شديدا وقال مضى والله ولدى وامى واشتفى عقبة الملعون منى وبلغ الارب ثم انه بات تلك الليلة ولما أن أصبح زاد به الاكتئاب فرحل وسار يقطع البلاد والامصار حتى وصل إلى أرض شيخان واخذت به الجواسيس على الطريق اليسار حتى أشرف على بحر الروم وبانت له الاعلام والرسوم وسمع من الرهبان بعض اخبار فسار إلى أن وصل إلى دير الزيت كما ذكرنا وبلغ خبره إلى الملك شمخولص كما وصفنا (ورجعنا إلى الحديث الأول) بعد الصلاة على سيدنا محمد المفضل سيد البشر وفخر ربيعه ومضر ومن أنزل على قلبه الكتاب المطهر فجلا به عن قلوب أمته الفكر ولها من الرجس طهر (قال الراوى) وكان الأمير عبد الوهاب قد سمع بخروج هذا الملك من اقليمه وبلغه أن معه عساكر عظيمة فأقام بأصحابه فى طلب الراحة ذلك اليوم وقد فعلوا الرهبان بدير الزيت ما فعلوا حتى أصبح الصباح وعولوا على الرحيل واذاهم بغبار قد ثار وعلا وزاد إلى أن سد الاقطار ساعة من النهار وقد أشرفت الاعلام والصلبان قد اختلفت والرايات والبيارق رفرفت والارض من دوى الخيل قد رجفت وبروق الصوارم قد خطفت والدنيا قد انقلبت هذا ولما أن رأى الأمير عبدالوهاب ذلك كبر وصاح فى بنى كلاب فثارت وركبت خيولها بصفاء نياتها وحسن يقينها هذا وقد صاح اللملمان أيضا فى سودانه فتواسبت شجعانها بنخوتها وقد تقلبت عيونها وضربت بوقاب قرونها وقد زحفت العسكران إلى الحرب والطعان واصطدموا صدمه زلزلت الأرض وماجت طولا وعرضا وصار عقبه يحرض الروم وينادى يا عباد الصليب فهذه أنوار سعادتكم قد تشعشعت وشموس نصركم قد طلعت وارواحكم بلقاء المسيح قد تباشرت فأبيدوا أعداء الدين واطلبوا النصر من عيسى بن مريم والحواريين (قال الراوى) وان الروم لما سمعت النداء من عقبه فأرمت أرواحها إلى البلاء والدماء تجرى والسيوف للرقاب تفرى والابطال تجرى وصارت الأرض حمراء والخيل سكرى ولما أن رأى الامير عبدالوهاب كثرة جيوش الكفار خاف على عسكره من الانكسار فكشف رأسه وخفف عن لباسه وقد بان بياض شعره وصاح فى بنى كلاب وقال يا بنى عمى حاموا عن شريعة نبيكم وانصروا دينه واعلموا أن الله سبحانه وتعالى اذا نظر إلى صبر العبد يعينه وما بينكم وبين الجنة إلا مسافه قريبة فاصبروا على كرب الجهاد حتى تقطعوها بلا زاد وتشكروا هذا المقام

اذاوصلتم إلى دارالسلام (قال الراوى) ثم انه جعل يحرضهم بمثل هذا الكلام ويحمل فى أوائلهم ويخترق القتام والرؤس تطايرت عن الاجسام والدماء ينهرق على الاقدام إلى أن مضى النهار بالابتسام واقبل الليل بجيوش الظلام فانفصلوا لما ان خفيت عنهم مواقع الاقدام وكان ذلك اليوم كما قال فيه الشاعر

لقد عظم الويل بين المسرات ... بضرب الحسام وطعن القناة
فهذا طريح وهـذا جريح ... وهـذا ذبيح على الراسيات
وهـذا يصول وهـذا يجول ... وهـذا مهول من النائبات
وهـذا تراه بلا ناصر ... وقد سلب الموت منه الحياة
وهـذا ذليلا بوسط الوغا ... وقد كسروا القوم بالمرهفات
وهـذا تراه جديل قتيل ... ممدد بالعرض وسط الفلاة
وقد ارعب الله جيش اللئام ... وهابوه أيضا خيوش السراة
فيارب انصر واحمى حما ... جميع الجيوش التقاة السراة

(قال الراوى) ولما أن افترقوا عن القتال نزلوا فى الخيام هذا ولما أقر بالناس القرار أكلوا شيأ من الطعام وقد دار الامير عبد الوهاب على بنى كلاب الكرام ورأى أكثرهم جرحا مخدشين من رؤس القنطاريات وضرب الحسام وهم تعابا مما لاقوا من الامور الهائلات العظام فقال الململمان ياأمير اعلم أن الروم فى خلق كثير وعسكر كبير ومع كثرتهم فانهم يقاتلون بلا معرفة ولا لنا فى قلوبهم هيبة لأنهم مالقيونا غير هـذه النوبة وما سمعوا بفعالنا ومافى الامر إلا أننا نتركهم حتى تهتدى نار الحرب ونطلب منهم البراز فانهم اذا روا فرساننا فى الميدان وقع لنا الهيبه فى قلوبهم عند القتال فاذا رايت هذا الامر صواب فأنا أبرز فى غداة غد إلى الطعان والضراب وأوريهم شىء يشيب الشباب وأقودهم إلى بين يديك قود الكلاب فضحك الامير عبد الوهاب وقد فرح بهذا الخطاب (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الروم الكلاب فان الملك لما ان عاد إلى سرادقه أمر الملوك ان يفتقدوا طوائفهم فافتقدوهم فوجدوا أكثرهم قد هلكوا فأعلموا الملك بذلك فزاد غيظا وحنقا وقال وحق المسيح ماقلت ان اليوم يمضى علينا بلا انفصال ولكن مايجب على الانسان انه يحتقر بالرجال فقالوا البطارقة أيها الملك وحق المسيح ماقدر يفنينا الاهؤلاء السودان الذين كانوا يدعسوا فينا مثل البغال ويبعبعوا مثل ماتبعبع الجمال فقال الملك انى قد رأيتهم وأنا تحت الاعلام وكلماهم فيه فرأيتهم فى شجاعة ولكن بلافروسيه ولا معهم من أبواب الحرب صناعة وهذا يدل على ان أحدهم إذا برز إلى الميدان كان طعاما لسيف خصمه إذا كان ثابت الجنان لانهم يرمون انفسهم رميا للحرب ومالهم صناعة فى الطعن والضرب (قال الراوى) وكان عقبه حاضر

فلما سمع من الملك ذلك المقال فضحك وكشر عن أنيابه فقال الملك ما حالك أيها الشيخ تضحك فقال له عقبه أيها الملك من أجل قولك هذا لانك ما تعرف هؤلاء القوم فوحق مريحنا ان هؤلاء السودان إذا برز واحد منهم إلى الميدان يريد ألف من عباد الصلبان فاقبل منى وداوم القتال مثل ما فعلت فى هذا اليوم والاتنتصف من هؤلاء القوم بالمبارزه أبدا فغضب الملك من مقاله وقال له أنت ياشيخ تقول هذا من أجل فزعك ولكن سوف ترى ماتصنع أصحابى بهم فى البراز وماهم إلا مثل غيرهم من الروم وحق المسيح ماتركتهم يقاتلون فى غداة غد إلا فارس لفارس فقال له عقبه افعل مابدا لك وسوف ترى أفعالك

(قال الراوى) ولم يزالوا على ذلك الرواح إلىان أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وقد ضجت المواكب بالصياح وركبوا الجرد القداح وقد جردوا الصفاح وكان الملك قدامه أكابر عساكره وقد أمرهم ان تمهل أصحابه بالحمله لما فى قلبه من كلام عقبه هذا ولما ان اعتدلت الصفوف وترتبت الالوف خرج من عساكر الامير عبد الوهاب فارس طويل من الرجال عريض المناكب كانه نحت من جبال وصور من الجمال بساعدين طوال وكفين عراض وهم ثقال وفى يده سيف صقيل ورمح طويل ودرع نبيل سابغ طويل وتحته جواد عالى يسبق الشمال فجال عند ذلك فى الميدان وطلب البراز والطعان وكان هذا الفارس اللملمان فقارب عسكر عبدة الصلبان بقلب غير فزعان وضرب بعاموده فى عساكر الروم عيان فقتل من أصحاب الملك شمخولص اثنان وجعل ينشد ويقول هذه الأبيات

أبذل نفسى فى الحروب بالرضا ... لا أرهب البوس ولا أخشى القضا
أرجو من الخالق أسباب الرضى ... ولا أكون فى المعاد معرضا
والتقى القوم بقلب صادق ... وأعلم أن الله هو لى معرضا
لا أرهب الأبطال فى هيجانها ... يوما ولو كانوا كاعداد الفضا
ان كان لونى أسود وقد غضى ... فانه يوم الميعاد أبيضا
إنى أحب الله جل اسمه ... والمصطفى ثم على المرتضا

(قال الراوى) ولما فرغ اللملمان من شعره وحمل على أحد المواكب فزعزعها وفرق جمعها وقتل من القوم أربعة وعاد إلى بين الصفين وطلب البراز هذا والملك ينظر إليه وقد بدا الغضب يلعب بين عينيه وإذا بفارس قد خرج من طائفة المجوس بشعر أشقر مرخى وراءه مثل العروس وعليه درع من الذهب مغموس وفى يده قنطارية بسنان ظمآن مشتاق إلى دم النفوس وتحته جواد مثل الطاووس وهو يتوقد فوق الجواد وله برق وارعاد ومازال يركض إلى أن صار مع اللملمان وجال معه فى الميدان ولم يأخذه صبر حتى صمم عليه بطعنة

وطلب بها فؤاده فأمهله اللملمان حتى وصلت إليه وسحبها على طارقته فعامت قنطاريته وقرب خصمه منه فمد اللملمان إليه يده وتعلق بمراق بطنه ومنكبيه وجذبه اقتلعه من سرجه وضرب به الأرض وتركه مطروح لايعرف طول من عرض وقد خرجت منه الروح وارتض فى بعضه البعض (قال الراوى) فلما نظر عقبة إلى ذلك صاح اعمل معهم مثل هذا العمل صح المسيح بدنك فهذا الرأى الذى أراده الملك فعندذلك خرج إلى اللملمان فارس ثانى فقتله إلى أن صار وقت الظهر له وقد قتل خمسين بطريق من جبابرة البطارقة (قال الراوى) فعندها وقفت عنه الفرسان لحمل على بعض الأعلام وكان علم عالى غليظ كانه صارى مركب فوق رأسه صليب ذهب مكوكب وكان تحته ولد الملك الأكبر فما زال اللملمان ينثر من الروم الرؤس حتى قرب منه وصاح بمن دونه فتكفكفوا لما نظروا إلى صولته وقد رجفوا من زعقته فانطبق على ابن الملك لما أن رآه وأراد أن يدافع عن نفسه بكل سبب وخرج من تحت العلم إلا واللملمان قد أدركه وطعنه فى صدره أهلكه وقد خرج السنان يلمع من خرزة ظهره فمال عند قتله العلم وتشوش الموكب وانهزم وعاد اللملمان إلى ورائه والصياح من كل قد أتاه فلما ان صار وسط الصفين أدركه فارس بجواد أبلق مليح الحدق وهو مثل الموج إذا اندفق ولما أن قارب اللملمان زعق وأرمى روحه عليه من شدة الحنق وكان هذا الفارس ابن الملك الثانى وقد عارض اللملمان وعليه انطبق يريد أن يأخذ بتار أخيه الذى درس وانمحق وما هو إلا أن أبعد عن مواكب أبيه وصاح حتى عاود عليه اللملمان وتطاعنا ساعة من النهار وقد تار عليهم الغبار ونبا عليهم القتار وقد خرج اللملمان من تحت الغبار وقد خلف خصمه معفرا فى القفار وجسده ملقى وروحه تساق إلى النار فلما أن علم الملك بهلاك أولاده فكاد أن يقع من على الجواد من شدة ما جرى عليه من الكياد (قال الراوى) فعند ذلك سل حسامه وأراد أن يحمل على اللملمان فتبادرت إليه المواكب والفرسان من كل جانب وقالوا له أيها الملك لاتفعل هذه الفعال فها نحن بين يديك الساعة نحمل عليه ونقوده إليك قود الكلاب فقال عقبة ان هذا مرادى من أول الزمان وإنما الملك أبى رأيى وقد فعل برأيه وما أصاب فعندها صاح الملك على عقبة وقد امتلأ غيظا عليه وقال لسائر الملوك لاتركت أحدا يحمل حتى أبلغ أنا من هذا الأسود مرادى وآخذ منه بتار أولادى واشفى بقتله فؤادى (قال الراوى) فبينما الملك فى ذلك المقال وإذا بالصياح قد ارتفع فنظر الملك إلى ذلك الصياح وإذا هو بخمس فوارس قد انطبقوا على اللملمان وقد انقضوا عليه انقضاض العقاب هذا والقسوس قد صاحت من خلفهم والرهبان ودقت النواقيس من كل جانب ومكان وكانوا هؤلاء بقية أولاد الملك وقد تسابقوا بأخذ تار

أخواتهم (قال الراوى) فلما نظر إلى ذلك الأمير عبد الوهاب نخاف على اللملمان وقدعول أن يحمل بنفسه وإذا قد نظر إلى اللملمان وقد ترجل من على الحصان وخطف عامود كان تحت نخذه والتقى أولاد الملك وصاح فى وجوههم وبربر وقد طلع الزبد على أشداقه وظهر وصار كلما وصل إليه قنطارية ضربها طيرها ثم يدرك صاحبها ويضربه بالعامود يخلط لحمه فى عظمه هذا وعقبه يرى ذلك ويقول لاتفعل أيها الملك بل أؤمر العساكر بالحملة فقد هلكوا أولادك على يد هذا العبد الأسود الذى لاقيمة له وأنا أخبر الناس به أنه يريد وحده هذا العسكر كله (قال الراوى) فلما سمع الملك كلامه اسودت الدنيا فى عينه وصاح فى غلمانه اقبضوا على هذا الشيخ السوء الذى فتت بكثرة قوله فؤادى ولولاطلعته الميشومة ماهلكوا أولادى ولا دخلوا هؤلاء الشياطين إلى بلادى فعندها تبادرت الغلمان إلى عقبة وقبضوا عليه ولطموه ونزلوا عليه إلى أن احمر قفاه وماتت أذنيه هذا وقد مد الملك عينيه ونظر إلى ما كان من أولاده فرآهم مطروحين يمينا وشمال واللملمان قد عاد إلى جواده وهو يهدر كانه الجمل الهائج هذا ولما أن رأى الملك إلى ذلك حار وأخذه الانبهار وبقى مايدرى ماالذى يعمل بل أنه التفت إلى غلمانه وقال لهم قدموا إلى هذا الشيخ الخرفان حتى أبرد قلبى بضرب رقبته فعند ذلك قدموا عقبة إليه ولما أن صار قدامه سل الملك فى عاجل الحال حسامه فلما أن رأى عقبة إلى ذلك خرجت روحه من بين جنبيه وقال مافى الدنيا أكثر منى فضول لأنى أنصح واشفق على من لايبالى بشفقتى عليه هذا وخواص الملك ينظرون إليه ولا يقدر أحد منهم على سؤاله فيه والملك زاغت مقل عينيه فى أم رأسه (قال الراوى) فبينما الملك على ذلك وإذا بشومدرس قد أقبل إليه وقبل الأرض بين يديه وقال له لاتفعل أيها الملك هذه الفعال فترجع تندم عليه فيما بعد أن يجرى ما يجرى عليه واعلم أن هذا الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح إذا قتلته طارت البركة من أمة عيسى وحرمت النظر إلى وجه المسيح واعلم أن أولادك الذين قتلوا فقد نقلوا إلى دار الرضوان وفى غداة غد يلتقون مع الحواريين ومريحنا المعمدان وأنت ترتع معهم فى رياض الجنان فلا تكدر عليك آخرتك بما تريد أن تفعل بهذا الشيخ فى دنياك ولاتحمل دمه فان عمله يلقاك (قال الراوى) ولم يزل شومدرس بالملك يخاطبه حتى لان جانبه وقال له ياراهب قد قبلت سؤالك فيه إلا أننى بعد أن حصل قدامى لابدأن أقطع منه شىء وحق المسيح مايهدى روعى ولاغضبى فقال شومدرس له أيها الملك ان الرجل لم يبق فيه شىء صحيح عينه مقلوعة ويده مقطوعة وآذانه مجزوعة وأضراسه منزوعة وأصابعه مخلوعة ومابقى له غير رجليه فان قطعت أحدهما تعديت عليه وان ولا بد لك من ذلك فاخصيه فقد فنى عمره وكبر سنه وما بقى يحتاج إلا الخصى ولا بقى له شىء إلى مجامعة النساء فقال عند ذلك الملك لغلمانه

اخصوه وافعلوا ماقال لكم الشيخ المصان شيخ القساقسة والرهبان وعمدة دين النصارى عباد الصلبان لأنه ماهو مثل غيره كثير الفضول والبهتان (قال الراوى) هذا كله يجرى وعقبة ينظر إلى شومدرس ويسمع ما يقول ذلك الهذيان فقال لامساك المسيح بخير ياألف قرنان ياأظرط الشمامسة والرهبان ايش هذه الواسطة الميشومة يانحس الرهبان ترى ياشيخ النحس أنت رأيتنى مع زوجتك شوما فى أضيق مكان حتى أشرت بهذا الرأى المذموم فقال له شومدرس اسكت يامنحوس فقال له عقبه فما كان يكون الاهذا ياديوس يانعسان فقال له شومدرس لولا ان الملك قد حلف ياخرفان ما كان جرى عليك هذا الامر والشان وأنا الااقدر أحنث الملك فى الايمان لأنه صادق فيما يقول من البيان فقال له عقبة حرضه يا كاب الرهبان لالقاك المسيح خير ياشيطان (قال الراوى) وقد دنوا من عقبه الغلمان وبطحوه على ظهره ومسكوه وسلوا منه الخصيان وقد كووا له موضع القطع على الجرح بالنيران وقد أخرجوه من السرادق إلى خيمته وتركوه فيها وهو غائب عن الدنيا هذا وقد باتت العساكر تلك الليلة وهم فى غاية الادبار مافيهم من اوقد نار هذا والملك لم يأخذه قرار بل انه يقول عند الصباح اخرج إلى حرب هؤلاء الفجار وآخذ لروحى بالثار (قال الراوى) هذا وقد نزلت عساكر المسلمين فى مضاربهم والامير عبدالوهاب فرحان بفعال اللملمان ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح عول الامير عبد الوهاب أن يركب فى بنى كلاب والسودان الانجاب واذاهم بعساكر الروم خامدة جامدة عن القتال وقد ضجت القسوس الذين هم والرهبان من حول سرادق الملك وكان دوارنهم انهم يعزوا الملك فى أولاده وفيما أصابه وما كانوا بطلوا ذلك اليوم الحرب إلا للراحة والعزاء فلما أن نظر الامير عبدالوهاب إلى ذلك قال لولا خوفنا من كثرة الرجال والعدد لكنا كبسناهم فى الخيام لأننى ما بقى لى صبر على المقاله ولا على الصدام ثم انهم أقاموا ذلك اليوم فى طلب الراحة هذا وعسكر الروم يموجون مثل موجات البحر الزخار إلى أن مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد أضرموا المسلمين النار وقد أخذوا فى التقديس للملك الديان (قال الراوى) وأعجب مافى هذا السير العجيبة أن عذيبة بنت الامير أبو محمد البطال قد قالت لأمها الملكة نورى فى تلك الليله والله ياأماه ماأنا فى الدنيا وقد قتلنى الشوق إلى أبى واخوتى وقد عولت ألبس زى لبس الروم واختلط بهم وآخذ منهم الاخبار وابصر كيف أخلصهم وان لم تسمحى لى بذلك والا اتركك حتى تنامى وأنسرق أنامنكى وأفعل ماأختار (قال الراوى) فلما أن سمعت أمها كلامها انذهلت وعلمت انها تفعل ماقالت عليه وان لم تأذن لها فى ذلك فقالت لها يابنيه انى أخاف عليكى ان تهلكى لأنكى مالكى خبرة بهذه الاشياء ولا لكى بها عاده وأن كان ولا بد من ذلك فما أخليكى تسيرى الافى جماعة ثم انها استدعت بعشرة

رجال ممن كانوا يراعو عهد أبو محمد البطال وقد أطلعتهم على هذا الحال فقالوا لها نعم نفعل هذا الفعال والله كلما تأمرينا به فعلناه لاجل ماللامير أبو محمد علينا من الحقوق والافعال الملاح والافضال ثم انهم لبسوا زى الروم وأرادت الملكة نورى أن تعلم الامير عبدالوهاب بهذا الامر فلم تمكنها عذيبة بنت البطال من ذلك وقالت لها ياأماه أخاف أنه مايطاوعنا على هذا الامر ولا يمكننا من المسير فى هذه الامور ولكن اكتميه عنه ثم ان عذيبه ركبت على وجهها لحية سوداء مدوره ولبست زى الروم من لبس القتلى وعلقت فى حلقها صليب وركبت على فرس من خيل الروم بسرج أفرنجى وأخذت فى يدها قنطارية وسارت والرجال العشرة حولها وهى زى البطارقة (قال الراوى) ياسادة ولما أن نظرت نورى إلى فعل ابنتها عذيبه احتاجت ان تتبع رأيها وتطاوعها على فعلها فرحا عليها فركبت وسارت معها وقد خرجوا من العسكر وهو عسكر الاسلام هذا وقد أبعدت بهم عذيبه فى البر وقد رأوا انهم يأتوامن أطراف خيام الروم حتى لايفطن بهم أحد من الناس (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملك شمخولص فانه فى تلك الليلة قد أوصى سائر البطارقة بأخذ الاهبه للحرب والقتال هذا وعقبه مطروح فى مضربه وقد أيقن بعطبه وهو يئن من شدة الالم هذا وقد سمعت ابنته عقبيه بخبره وماقد جرى له فنزلت من القلعة وأتت إليه ولما أن نظرت الى حاله جعلت تبكى بين يديه وقد أخذته فى حضنها وجعلت تقبله بين عينيه وتلطم عند رأسه وعند رجليه على ماجرى عليه (قال الراوى) هذا وقدسمع الملك بنزول عقبيه بنت عقبه من القلعة وأتت إلى عند أبيها وقد سمع بما فعلت وما جرى لها من الحزن وما نزل عليها فندم على مافعل به وقام فى جماعة من خواصه ودخل على عقبه وجعل يعتذر إليه ويقول يا أبونا اجعلنى فى حل مما فعلت معك واسأل المسيح ان لايؤاخذنى لأنى عند غيظى ما أرجع أبصر مابين يدى ولاما قدامى أبدا ولا أبصر شيء ولايبقى لى عقل فقالت له عقبيه وحق المسيح لالقيت خير ولاتشفع فيك راهب كنيسة ولادير لأنك قد بعت آخرتك بدنياك واتبعت فى هذا الشيخ نفسك وهواك واليوم لوكنت اناحاضرة هذا الامر لقد دبرت على هلاك المسلمين ولو أن أبى واختى ماهو راضى عليك لكان هذا فى هذه الليلة يكون كسر هذه العساكر كلها (قال الراوى) فماتمت كلامها حتى فتح عقبة عينه الصحيحة وقال لها يابنيه أنا أسألك بحق المسيح وبحق شيبتى عليكى ان أنامت فماعليكى وصية إلا أذية المسلمين والمجاهدة فيهم بكلما تقدرين عليه وأماهذا الملك فقدغفرت له ما كان لأنه من خيار عباد الصلبان ولوقطع من لحمى كل يوم قطعة وهبت له ذنبه وكلما كان منه وأما المسلمين فلو أنهم فعلوا معى من الجميل مافعلوا ماأرحم أحدا لا أبيض ولا اسود ولاغفرت لهم ولو قبلوا أسافل رجلى والساعة يا ابنتى بحياتى

عليكى ان كنتى تقدرى على ضررهم فافعلى وطيبى قلبى بذلك من قبل أن أشرب كاس المهالك وان قدرتى على البطال لاتبقى عليه أبدا وكذلك ذات الهمة فقالت له عقبية سوف ترى يا أبتاه ماأفعل بهم واعلم أن بك يتم لى عليهم العمل ثم قامت الملعونة من وقتها وساعتها شدت على بعض بغال الملك وشالت أبوها عليه وقد لبست فى زى مكارية الروم وأمرت الملك أن يرسل معها ألف فارس من خيار بطارقته وقالت له اعلم أيها الملك ان وقع فى يدى الليلة أحد من المسلمين حملته إلى قلعة السها ويكونوا عندى أسارى حتى يهدى أبى من مرضه ويفعل بهم مايريد وانى أريد منكم أن تكونوا على أهبة وان توصى مقدمين العساكر انهم لاينامو وإذا أتاك الخبر منى فاكبس عساكر المسلمين فانى أكون فى ذلك الوقت أخذت أمراءهم مثل ماأخذت الأميرة ذات الهمة وأمراءهم وملكت ساداتهم فتكبسهم انت على أثر ذلك فما أصبح الصباح ويبقى منهم ديار ولا نافخ نار فقال لها الملك وان قدرتى انت على هذا الرجل الأسود الذى قتل أولادى فاتينى به حتى أشفى منه فؤادى فقالت له السمع والطاعة أول ما آتيك به أسير (قال الراوى) ثم انها بعد ذلك سارت تطلب عسكر الأمير عبد الوهاب وقصدت إلى سرادقه وقد استدلت عليه بالنار بعد ماانفذت البطارقة إلى مكان تعرفه وأمرتهم أن يكونوا بعيدا من العسكرين وسارت الكافرة الملعونة مثل الشيطان والشيطانة بنت ابليس وكان الأمير عبد الوهاب فى تلك الليلة جالس فى مضربه والدلمان عنده فى جماعة من الفرسان وهم حواليه وهو يقول لهم والله انى مشتاق إلى أخبار أمى وولدى ظالم وكنت أشتهى أن أسمع ماجرى لهم (قال الراوى) فبينما هم مع بعضهم فى الكلام وعقبية قد وصلت إليهم وعلى الأمير دخلت وسلمت عليه ووضعت أبوها بين يديه وقد بهتوا منها عصابة الاسلام وقالت للأمير عبد الوهاب يامولاى تسلم هذا الشيخ الكافر الكذاب نسل الحرام ثم عاونى على خلاص الأحباب فقال الأمير عبد الوهاب فمن أنتى من الأنام فقالت أنا عقبية وهذا والدى عقبة واعلم أنه جرى لنا أمور عجيبة ياابن الكرام (قال الراوى) فلما أن سمع الأمير منها ذلك الكلام تعجب غاية العجب وقال لها أطلعينى على هذا الحال وجميع الأمور وفسرى على هذا الكلام فقالت له اعلم يامولاى أن ولدك الأمير ظالم دخل خلف الأميرة ذات الهمة إلى هذه الديار وكانت أمك فى قبضة هذا الشيخ الغدار فالتجأ بها إلى هذه القلعة وان ولدك الأمير ظالم أقام عليها وحاصرها وكان فيها قليل من الروم والملك قليل الرأى والتدبير ولم يزل الأمير ظالم حتى أخذ القلعة وخلص سته الاميرة ذات الهمة ووقعنا نحن فى يده أسارى أنا وأختى وعمتى وهرب أبى وصاحب القلعة من باب البحر وكان أبى عذب والدتك عذابا شديدا فأخرجوا غبتهم فينا ثم انهم قدموا عمتى عاقبة وذبحوها بعد أن أعرضوا عليها الاسلام

فأبت ذلك وكذلك أختى عقيبة فلما أن قدمونى أنا فتح الله لى باب الهدى وقد آمنت بالعلى الاعلى وكان سبب ذلك ولدك ظالم لانى نظرته نظرة صابت فؤادى وقد منعتنى رقادى. فأسلمت حتى انى أتزوج به وأمك الاميرة هى التى أوعدتنى بذلك يامولاى وما أقاموا الامراء بعد هروب والدى غير عشرة أيام فى القلعة بقدر ماأخذوا لهم راحة واخرجوا من القلعة الاموال والرحال وقد عولوا على الرحيل إلى بلاد الاسلام (قال الراوى) فبينما هم معولين على الارتحال وإذا بالبحر قد استد بالمراكب وهى موسوقة بالرجال والبر قد امتلأ بالمواكب وخلق لاتحصى بعدد الرمل والحصى وكان سبب ذلك أبى لانه دخل إلى الجزائر ونفر مافيها من العساكر وقد حث هذا الملك على الغزو إلى بلاد الاسلام وخرج فى هذه الخلائق العظيمة التى لاتحصى فوجدا أبى قد ملك عليهم باب القلعة فى خلق كثير من البطارقة والعلوج المارقة فلما أن نظروا الامراء إلى هذا العسكر الكثير فبذلوا المجهود وقاتلوا قتالا يشيب منه المولود وقد سلموا أمورهم للملك المعبود وهو الحى القيوم الموجود وأما الاميرة ذات الهمة والدتك فانها أدركت لابى هذا الكافر وقد اشتد منها عليه الحنق والغضب وضربته بسيفها طيرت يده من حد المرفق وهربوا الباقين الذين هم حجزوا بيننا وبين القلعة ودخلنا نحن إليها ولما أن حصلنا فى القلعة دام علينا الحصى وقد ضربوا الروم القلعة بالمنجنيقات ليلا ونهار وما زالوا على ذلك الحال حتى وقعت منها الابراج كلها والابدان وملكونا عبدة الصلبان وأخذ أبى بثاره من السودان الانجاب ووقعت أنا فى يده وكان علم باسلامى فواضب على بالعذاب. حتى انى أشرفت على الهلاك والذهاب فمن شدة ماجرى على تلافيت قلبه وضحكت على لحيته وقلت له ياأبتاه لاتؤاخذنى بما كان منى واعلم أن المسلمين قد لعبوا بعقلى حتى خرجت من دينى وهاأنا الآن بين يديك تائبة إلى المسيح مما كان منى إليك فلما أن سمع أبى منى هذا المقال فرح وما أخذ منى مقالى على بال ثم انه قال لى كلى لحم الخنزير وكان معه شومدرس اللعين فما فيهم إلا من سل سكينه على وهددونى بالقتل فأكلت منه وقد فعلت ماأمرنى به أبى وقلت فى قلبى قد علم الله نيتى والاعمال كلها بالنية وانى مافعلت هذا الامر إلا من غير اختيارى أيها الامير وانى لما فعلت ذلك عاد قلب أبى صفالى وقد كنت أنا وإياه فى دار مفرده وكان فى كل ليلة يعذب أصحابكم ويشرب الخمر حتى يقع من السكر مثل القتيل وأنا فؤادى يتقطع مما أرى وما يمضى ليلة إلا وأهم أن أذبحه وما زلت على ذلك الحال حتى وصلتم فى هذه الايام وسمعت بكم فلما ان علمت ذلك وأيقنت ببلوغ الآمال وقلت انى أهرب وأسير إلى عند اخوتى المسلمين وأقيم عندهم إلى أن ينكسروا هؤلاء العساكر الذين للكافرين وينالون المسلمين من الله الظفر والنصر إلا أنى قد خفت منكم انكم ماتصدقونى فى إسلامى لاجل مافى

قلوبكم من الحرارات ثم ان ابى قد شرب فى هذه الليلة حتى سكر فقمت إليه من حنقى عليه ثم مسكته من ذقنه وخنقته حتى حسيت بنفسه يتردد ورأيت الخمر وقد طلع من حلقه فقلت لنفسى مالى إلا أن أحمله إلى الامير عبد الوهاب وأعرفه بما جرى من الامور والاسباب نخفت أنه يفيق فى الطريق ويلقى على النفير فسليت هذا البغل وفتحت الباب وخرجت فى هذا الليل وقدمت على هذه الاهوال إلى أن وصلت إليك وحصلت بين يديك فدبر شيء يعود نفعه عليك واعلم يامولاى أن لو كان معى جسارة كنت خلصت جميع الاسارى من القلعة ولكن خفت أن يفطن بى أحد فأهلك والآن فباب القلعة مفتوح وهو مردود فليقوم الآن بعضكم وقد خلصوا الأسارى من القيود (قال الراوى) فلما أن سمع الأمير عبد الوهاب من عقبية هذا الخطاب ورأى عقبة وهو فى تلك الأحوال فقال لمن حوله هذا والله شيء لم يكن لنا فى حساب الذى فتح الله عن قلب هذه الجارية قفل الشرك وهداها للاسلام والساعة مابقى فى الأمر الا أننا نسير معها إلى القلعة ونخلص أصحابنا مادام أن باب القلعة مفتوح ونعود إن شاء الله تعالى قبل الصباح ثم ان بنت عقبة وثبت وأيضا وثب الأمير عبد الوهاب هو واللملمان وولده ضيغم وتمام العشرة من الفرسان وشدوا عليهم السلاح وعزموا على الرواح فقالت عقبية يامولاى لاتسيروا إلا رجاله فى زى مكاريه الروم وأنا آخذكم من الطريق الذى جئت منها حتى يكون ذلك أخفى لكم ولأموركم ونكتم سركم فقبلوا رأيها وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا هذا وعقبية بين أيديهم سائرة حتى خرجت بهم من العسكر وطلبت بهم الوادى الذى فيه الروم مكمنين وكانوا هناك الكمنا قاطنين وقد مضى عند ذلك أكثر الليل وهم سائرين وما أحسوا بنفوسهم إلا وهم فى وسط الأعداء كلهم واقعين فصاحت عقبية فى البطارقة وقالت لهم خذوهم فتبادروا عند ذلك إلى المسلمين من كل جانب ومكان وقد جردوا عليهم القواضب هذا ولما أن رأت الأمراء إلى ذلك فردوا أيديهم إلى قوائم السيوف فما لحقوا أن يسلوها حتى وقعوا عليهم البطارقة والعلوج المارقة وصاحوا على الأمير عبد الوهاب وعلى من معه من الاصحاب وتزاعقوا وقبضوهم قبضا باليد وقد وقعت بهم الدهشة وجرح بعضهم (قال الراوى) ولما أن تمكنت عقبية منهم صاحت عليهم وقالت لهم كيف رأيتم هذه الحيلة والمكيدة التى فعلتها بكم ياشياطين الارض وحق المسيح ابن مريم لاصلبنكم كلكم الا مع أصحابكم ثم انها أخذتهم وشدتهم على ظهور الخيل وسارت بهم عرضا وقد أخذت معها من البطارقة عشرة وأرسلت الباقين إلى الملك ثم انها قالت لهم عرفوا الملك بما قد جرى وقولوا له ان يكبس المسلمين الليلة والدنيا خامدة فما عندهم من يخشاه واخبروه بأن أبى مطروح فى سرادق الامير عبد الوهاب فلا يكون لكم قصد الا خلاص الشيخ

النجيح وها أنا ماضية بهؤلاء الاسارى إلى القلعة وأحبسهم فيها إلى أن تنفصلوا من هذا القتال ويخلص أبى ويتعافا من هذا الامر ثم نفعل مانريد كما جرى الشرط بيننا ثم سارت الملعونة وهى تضحك طالبة إلى القلعة من خلف عسكر الروم والافرنج والامراء حائرين من فعالها وقد خافوا على عسكر المسلمين هذا والامير عبد الوهاب يقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ويقولون والله ماسبق هذه الملعونة أحدا فى فعالها هذا وقد غلبت أبوها عقبة فى أفعالها (قال الراوى) هذا ماكان منها (وأما ما كان) من البطارقة الذين هم كانوا مكمنين لما أن فارقوها ساروا إلى الملك وأخبروه بما تم لهم من الاحوال وكيف قبضوا على الامير عبد الوهاب وذلك العبد الاسود الذى قتل أولاده المسمى باللملمان ومافعلت بنت الشيخ النجيح عقبه من الفعال وكيف قبضت على الاميرعبد الوهاب واللملمان فطار عقل الملك من الفرح وقد زال عن قلبه الترح وقال وحق الصليب ودير المحمه والقليب ماهذه الجاريه وابوها الارحمة فى الأرض من قبل المسيح وقد جعلهم لامته مساعدين ثم أنه أمر النقباء أن يدوروا على الملوك وان يأمروا ما تحت أيديهم من عساكر الروم كلها أن يركبوا ويكبسوا عساكر المسلمين وسارت النقباء وقد داروا على الملوك ومقدمين العساكر وامروهم بما قال الملك شمخولص من المقال فلما أن سمعوا العسكر بأمر الكبسة على عساكر المسلمين فركبوا الخيل فى ظلام الليل وقد ماجت عساكر الروم شرقا وغربا فلما سمعوا عساكر المسلمين الضجة فنادوا إلى بعضهم البعض لأن الامير عبدالوهاب كان قدأوصاهم قبل رواحه مع عقبيه أن يكونوا على أهبة منهم (قال الراوى) فلماأن سمعوا تلك الضجة قالوا لبعضهم البعض ياقوم تأهبوا الحرب ولاشك أن الروم يريدوا أن يكبسونا فى ظلام الليل وماأخوفنا أن هذه الفعلة التى قد فعلتها بنت عقبه تكون حيلة منها وقد تمت حيلتها على الأمير عبدالوهاب ومن معه من الاصحاب فصاح فيهم الامير على بن مبارك وكان أفرس بنى كلاب واكثرهم دين وخوف من رب العالمين وقال لهم يابنى الاعمام حاموا عن دينكم واحموا نفوسكم وقاتلوا فى طاعة ربكم واعلموا أنكم غربا فى هذه الديار ومالكم أنصار ولامعين سوى الملك الجبار الواحد القهار فهو الذى ينصركم على عصبة الكفار فلا تحدثوا أنفسكم بالهرب والفرار فتهلكوا كلكم ويقضى عليكم الملك الجبار فاثبتوا ولاتبيعوا الجنة باطباق النار واعلموا أن مالكم من الهرب والذهاب من سبيل ولا كل من هرب منكم يجد له من حياض الموت مقيل ولا ينفعه الفرار ولايسلم اذا طلب الديار لأن الديار بعيدة ولا أحدا معه علف ولازاد فالله فى الجهاد خالص مخلص (قال الراوى) ولم يزل الامير على الكلابى يوعظهم بهذا الوعظ حتى تواثبوا إلى ظهور الخيل بنيات صادقة

وقلوب إلى الجهاد شائقة وماهم الا أن ركبوا وخرجوا من الخيام حتى دهمتهم مواكب اللئام وانطبق عليهم من كل جانب ومكان وتدفقت عساكر الكفار مثل موجات البحر الذخار وطلع الغبار حتى زاد الليل سواد واعتكار وأخذوا الروم عليهم سائر الطرقات وارتفعت الضجات وعملت المرهفات وعظمت البليات وتباشرت المجاهدين بالجنات هذا وقد زادت الغبائر من شدة الظلمات المرتفعات وطال على الناس الليل وكثر البكاء والويل فكانوا كما قال فيهم بعض واصفيهم هذه الابيات

ليل يشيب من هوله الشباب   وشجاعه لايهتدى لضراب
وترى رؤس رجاله قد نثرت   فوق الثرى ودماءهم كسحاب
والسيف يعمل والرماح سوارع   والخيل تشكو شدة وعذاب
هذا وقد ضرب الغبار عليهم   من فوق رؤس الكل مثل ضباب
هذا يئن من الجراح ويشتكى   بعد الديار وفرقة الاحباب
ورفيقه يبكى على أولاده   ودماؤه سالت على الاثواب
ولهم صياح قد علا وتنافرت   ممن عظم صرختهم اسود الغاب
والمسلمون نفوسهم مسرورة   قد نالوا الحسنات بغير حساب
يدعون عند الحرب يال محمد   كى تعرف الاعحاب للاصحاب
والمشركون قسوسهم فى غفلة   تتلو من الانجيل غير صواب
يدعون مريم والمسيح ويكثروا   اشراكهم بالواحد الوهاب
والكل ينتظروا الصياح وبينهم   طعنا يشيب رأس كل شباب
والله ينصر من يشاء بفضله   من عصبة المختار والتواب

(قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى مضى الليل الحالك وأقبل الصبح الضاحك وقد حققت الحقائق وبانت العوائق من الطوارق فما أصبح الصبح إلا والمسلمين فى نزع لاجل مالاقوا من شدة الفزع وقد تقهقر البطل الشجاع لما انخذل منه الساعد والذراع وصارت الارواح فى سوق الهوان تباع وكان السيف شارى والرمح يباع فصار هذا للضراب وهذا للاندفاع وتكركبت فى ذلك البقاع وقتل كل بطل وضاع وكثر الجراح فى الشجاع ولا بقى به انتفاع هذا وقدموا الروم إلى المسلمين وارموهم إلى الخيام وقد قلت منهم الحركات وأيقنوا بالشتات وضاقت فى أعينهم الفوات ولاقوا الويل من الثبات وقد أرادوا الانفلات (قال الراوى) فبينما المسلمين فى أضيق الحالات واذا هم بأصوات من خاف عساكر الروم مختلفات

ومرتفعات وفرسان قد أقبلت مثل السباع الضاريات وكانوا لما أن وصلوا إلى موكب الملك شمخولص كبروا وحملوا وأشهروا السيوف ونزلوا بها على الكفار والوقوف وقد طعنوا برماحهم فى القلوب والصدور وكل طعن واحد منهم صاحب العلم الكبير فاقلبه وصاح آخر فى الملك شمخولص فأرعبه وقد فرقوا البطارقة من حول موكبه وضربه بلت حديد كان معه فكركبه عن موكبه وقد وقعت عند ذلك الدهشة فى الروم وانفرجت الغمة عن حزب الحى القيوم لان البطارقة قد لذوا المسلمين إلى الخيام ولما أن سمعوا الزعقات عادوا على الاعقاب وعاشت منهم الارواح الذى هم بنى كلاب والسودان الانجاب لما أن عادوا الروم عنهم وهم على مثل ذلك الحال وقد تبعوا الروم بضرب يقد وطعن يهد الاصلاب ذلك اليوم ويشيب من هوله الشباب وقد صاروا يضربون الروم ويصنتون للأصوات التى قدخرجت على الروم وزاحت عنهم هذه البليات وإذا بها مرتفعات بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وفى جملتها الامير عبد الوهاب سيدبنى كلاب وفى جملة الاصوات صوت الاميرة ذات الهمة والامير ظالم وأخوه ضيغم وأبوا محمد البطال ومن معهم من الاصحاب وقد نكسوا الاعلام والصلبان وشرعوافىقتل طوائف الطغيان الكافرين بالرحمن (قال الراوى) ياسادة وكان السبب فى ذلك الامر والشان وهوأن الاميرعبدالوهاب لما أن تم عليه وعلى أصحابه ماتم من حيلة عقبية بنت عقبة وأخذتهم وسارت طالبة القلعة بعد ما أرسلت إلى الملك شمخولص تعلمه أن يكبس المسلمين وسارت لما أن أشرفت على القلعة فرأت بين يديها أشباح وحس خيل سائرين فأسرعت عقبية إليهم وقد سألتهم عن حالهم بعد أن وصلت إليهم وقربت منهم فقال لها واحد منهم نحن أرسلنا الملك ندور من حول القلعة احترازا علىمنفيها من المسلمين لايهربوا لانهقدعرف أشغالهم وعاين أعمالهم فقالت له عقبية دع الملك يفرغ قلبه من هذا الوجه فقد وقعوا المسلمين مع من لايرحمهم ولايتوانا عنهم وهاأناقد أتيت بباقى أمراءهم وساداتهم فقال لها المتكلم ومن أتى فقالت له أنا عقبية بنت عقبة وقد احتلت على أمراء المسلمين وهم عبد الوهاب وولده وعشرةمن باقى أصحابه فاقصدوا معى إلى القلعة حتى ترون الليلة مايحل بهم من العذاب (قال الراوى) فلما سمعوا الفوارس منها ذلك الكلام تفرقوا ثلاث فرق وما فيهم من صاح ولا نطق بل طعن كل واحد منهم بطريق من الروم فارداه هذاوالمقدم عليهم قد طعن عقبية فى صدرها أخرج السنان يلمع من ظهرها ولما أن هلكوا البطارقة تقدموا إلى الأمراء وخلوهم من الحديد والكتاف (قال الراوى) وكان الذى فعلهذا الفعال كلهبنت الامير أبو محمد البطال

ومعها تمام العشرة أبطال كما ذكرنا وكانت لما أن خرجت من عساكر المسلمين أتت بهم حتى تتسبب فى خلاص أبيها فاتفق لها هذا الاتفاق وجرى لها ماجرى وحلت الامراء من الوثاق هذا كله يجرى والامير عبد الوهاب حائر من هذه الاسباب حتى دنت الملكة نورى من الامير وعرفته بالحال وقد أخبرته بفعال عذيبة بنت البطال فعندذلك شكر الملك المتعال على هذه الاحوال وقال من يكون أبوه البطال وأمه نورى بنت عين المسيح مايخيب فيما يفعله من الاشغال ثم ان الامير عبد الوهاب عول أن يعود إلى عسكر الروم حتى ينظر مايكون منهم لايكونوا قدعولوا على كبس المسلمين فقالت لاوحق محمد بن عبد الله لانعود حتى نطلع إلى القلعة ونخلص أبي الامير أبو محمد البطال ومن معه من الرجال فقال لها الامير عبد الوهاب وكيف تقدرين على هذا الحال وكيف تصعدين إلى هذه القلعة فقالت له سوف ترى العجب منى أيها الامير (قال الراوى) ياسادة ثم ان عذيبه أخذتهم وسارت بعد أن ألبستهم الثياب الذى كانوا على البطارقة ولبست هى الثياب التى كانت على عقبية ثم انها بعد ذلك سارت وخلفها عشرين فارس من أهل الايمان والجميع فى زى الروم وعليهم لبس ملة أهل دين الصلبان وقلوبهم ملآنه إيمان (قال الراوى) وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى القلعة ولما ان صاروا عند الباب نادت عذيبه بالحراس والبوابين وقد قالت لهم بالرومية ويلكم أمروا البوابين أن يفتحوا الباب فأنا عقبية بنت عقبة الشيخ النجيح ثم وقفت ساعة وإذا بالباب قدفتح وخرجوا أهل القلعة إلى استقبالهم فدخلت عذيبه وأدخلت الامراء من خلفها ولما أن صاروا من داخل الباب جذبت عذيبه عنان فرسها وقالت الروم ائتونى بهؤلاء المسلمين الذين هم عندكم محبوسين لأن الملك قد عول فى هذه الليلة على ضرب رقابهم وعند الصباح نرمى برؤسهم إلى أصحابهم وكل هذا برأى عقبة أبى حتى يهد ركن الموحدين أعداء الدين (قال) فلما أن سمعوا البطارقة ماقالت عذيبه فرحوا الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد وقد تبادروا إلى المطمورة من وقتهم وساعتهم وأخرجوا الامراء منها وقد ساقوا من تبقى من العرب والسودان وأتوا الجميع قدام عذيبة هذا والمشاعل تقد فنظروا الاحباب إلى الاحباب وقد تحرك ما فى القلوب من الاشتياق والاكتئاب فعند ذلك قامت عذيبة إلى أبيها البطال وجعلت تفرك أذنه وتقول له بالروميه ويلك ياقرد المسلمين كم تقدم إلى ضرب الرقبه والصلب وتخلص ويؤخر المسيح فى أجلك هاقددنا غوراتك وخراب ديارك هذه الذى كنت فيها وعند الصباح تنقطع آثارك وترمى رأسك مع جملة الرؤس إلى هذا العسكر الذى قد دخل يريد خلاصكم ثم انها لطمت رأسه فاغتاظ البطال من فعالها وقال لها والله ياخائنة يافضلة الرهبان وبنت ألف قرنان لئن أخر الله فى أجلى لاريكى ماأفعل بكى وكيف يكون العذاب فلما سمع الامير عبدالوهاب

من البطال هذا الخطاب ضحك من هذه الامور والاسباب وماجرى فى هـذا المكان ثم ان عذيبة قد صاحت عند ذلك فى البطارقة الذين فى القلعة وقالت لهم ياويلكم علقوا سيوفكم فى رقاب هؤلاء المسلمين ثم سوقوهم قدامكم بالعصى والحراب حتى يشتفى منهم عند الصباح قلب الملك شمخولص وهم فى العذاب ففعلوا البطارقة ماقالت لهم عذيبة عليه وقد شالوا السيوف من رقابهم ووضعوها فى رقاب المسلمين وقادوا بها المأسورين فعندها نادت عذيبة فى الامراء وقالت لهم دونكم وهؤلاء الملاعين الكفار وطيروا رؤسهم بالسيف البتار فعند ذلك تواثبوا الامراء كأنهم الاسود ووقعوا فى أهل الكفر والجحود وقد كبروا وذكروا اسم الملك المعبود الذى ليس له ولد ولا مولود خالق الخلق ومدبر الوجود الذى أنبع الماء من الحجر الجلمود (قال الراوى) هذا وعذيبة قد صارت تحل كتافات المأسورين واحد بعد واحد وتقول لمن تخلصه جرد سيفك الذى أنت مقلدبه فى رقبتك ودونك والروم الكفار ولم تزل تطلق المأسورين حتى أتت إلى آخرهم وكانت الاميرة ذات الهمه والامير ظالم وأبو سكران والعرب كلهم والسودان وأبوها الامير أبومحمد البطال واخوتها مذبحون والحصين وقد اجتمعت نورى بزوجها البطال وقد تشاكيا من ألم الفراق هـذا والامراء فى القتال كلهم إلا البطال ما قاتل لأنه صار مع نورى فى الكلام وما زالوا كذلك إلا ان كان وقت السحر فهديت حركات أهل الحصن وظهرت السخطه على روح من كفر بالله ولماأن فرغوا من هـذه الامور عادوا الامراء والمسلمين جميعهم مستبشرين بالنصر والظفر على من كفر هذا والاميره ذات الهمه تقبل ولدها عبد الوهاب وتقول له سبحان من جمعنا بعد طول البعاد وقد جرى علينا فى هذه النوبه مايشيب رؤس الشباب ثم انها عرفته بما جرى عليهم وعلى من قتل من بنى كلاب والسودان (قال) وما كان من الكل افرح من الامير أبومحمد البطال بابنته عذيبة فجعل يقبلها ويقول لها متى تعلمتى هذا الاحتيال ومن علمك بفرك آذان أبوكى البطال هذا ونورى تضحك من هذا الكلام وهو يقول انى وأمك تغلبى البطال هذا ونورى تحدثه بما كانت عذيبة ابنته تفعله فى بلاد الحجاز (قال الراوى) ولما أن تمت لهم هذه الأفراح قال لهم الامير عبد الوهاب سيروا بنا من قبل أن يحدث حادث على أصحابنا من الكفار لأنهم قد بقوا كالغنم بلا راعى ثم انهم ركبوا وركبت السودان والاميره ذات الهمه والامير ظالم وباقى العربان ونزلوا من القلعة على الخيول مثل العقبان وقد ساروا بقلوب قد امتلأت بالفرح وكان اشرافهم على العسكر وقت بداة غرة الصباح فرؤا مواكب الروم قد لزوا بنى كلاب إلى الخيام والاطناب والسيف يعمل فيمن دنا أجله ويعمل فيهم وهم يستغيثون إلى رب الارباب ومعتق الرقاب (قال الراوى) ولما أن نظر الامير عبدالوهاب ذلك كشف رأسه

ونادى الله أكبر وهللوا وراء المجاهدين وقالوا هلكوا والله المجاهدين وتحكموا فيهم الكافرين فدونكم أنتم وموا كب الملك نقتله ونكشف عن أصحابنا هذه الغمة ثم حمل الامير عبدالوهاب والاميرة ذات الهمة وحملوا كل المجاهدين فى طاعة رب العالمين وقتلوا الملك شمخولص واهلكوا صاحب العلم وانهزموا ولما أن نظرت الروم إلى ذلك خرجوا من الخيام وقد انفرجت الكربه وتبعوهم المسلمين إلى الخيام بالضرب هذا وقد أخذت الروم الدهشة وغلت ايديهم وانكسروا من كل جانب ومكان واعان الله أهل الايمان على الكفره أهل الطغيان (قال الراوى) وكان للملك شمخولص أخ يقال له فدعيلص وانه لما أن رأى إلى هزيمة العسكر خاف على مملكته من بعض الملوك ان يسبق ويملك عليه الجزيرة التى هى أعز هـــذا الاقليم فسار فى نصف العسكر يطلب حصن القمر وترك الخيام والمال والرجال والاثقال وكلما كان لأخيه وايضا خيامه وسار وترك السيف يعمل فيمن بقى من الروم ولم يزل القتال بعد هزيمة أخو الملك عمال إلى وقت الظلام هـــذا وقد ملكوا المسلمين الخيام والسرادقات كلها وقد خلت الأرض من الكفرة اللئام هذا وقلب الأمير عبد الوهاب على القاضى عقبة ملآن ولا يدرى ما كان منه وقد ذكرنا أنه كان فى خيمة الأمير عبد الوهاب وهو ملقى على ظهره وهو يئن من قطع خصاه فلما ان رأى ذلك الحال شد روحه وقام على حيله وحمل نفسه وعزم على الرواح والهرب خوفا على نفسه من العطب فرأى عساكر الروم قد هلكت ولا أحدا يعقل على أحد وقد طلب كل واحد هواه ولما أن رأى عقبة إلى ذلك قال فى نفسه أين تروح ان هربت ما أقدر على الهروب وربما يصدمنى بعض الخيل فيقتلنى ومالى قوة ان ادفع عن نفسى ومافى الأمر إلا أن أعود إلى المكان الذى كنت فيه واقعد موضعى فى المغرب وأقيم فيه حتى يملكون المسلمين هذه الأرض وأعود أتخلص بعد القتال على أعقاب النهار كما أحب وأختار ثم انه عاد إلى المضرب الذى كان فيه وقعد والناس مشتغلين عنه بالقتال والحرب والنزال ولما أن انصرفت العساكر وتم الحال عاد الأمير عبد الوهاب إلى المضرب فوجد القاضى عقبة قاعد مكانه وهو خائف من العطب ففرح وقال والله لقد حرت فى قصة هذا الملعون وان قتلناه فهذا مالا يكون وها نحن بلغنا المنى فقالت له الأميرة يا ولدى ولم لا تسير إلى بلد القسطنطونية فى طلب الجهاد ونبلغ من صلب هذا الملعون المراد فقال لهم أبو محمد البطال هذا هو المراد وهو رأى صواب ونصلبه ونعود إلى أرض الحجاز ونقيم حتى تفنى منا الأعمار ويدركنا الموت الذى حكم به الملك الجبار ويفعل الله مايشاء ويختار (قال الراوى) فلما أن سمع الامير عبد الوهاب من البطال ذلك المقال أمر العساكر بأخذ الاهبة للرحيل بعد ثلاثة أيام ولما ان لموا الاسلاب والعدد المبددة ولموا الخيل المشاردة وقد واروا القتلا الممددة

الراقدة وبعد انقضاء المدة أمر الامير بالرحيل وسارت وسار الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة وبنى كلاب والسودان الانجاب بعد أن حملوا جميع من كان هناك هذا وأبو محمد قد شد الملعون عقبة على بعض الخيل وقد تعاهده بالمأكول والمشروب ووطى تحته من اللبابيد حرصا عليه منهم ان يبلغوا منه المطلوب وتذهب عنهم البؤس والمضره والكروب

(قال الراوى) ولم يزل الامير عبد الوهاب يقطع المراحل ويطوى المنازل إلى أن بقى بينه وبين القسطنطونية يومين أو ثلاثة فجعلوا أهل الرساتيق والبلاد يجفلون من هذه العساكر القادمة عليهم إلى أن وصلوا إلى الملك الفالوغص وأخبروه بالخبر وقالوا له ان الامير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وعساكر الاسلام علينا قد ظهروا من أقليم قلعة السها وقد سمعنا ان الشيخ النجيح معهم مقطوع اليد والخصا وقد أتوا به إلى ههنا ليصلبوه على باب الذهب

(قال الراوى) فلما أن سمع منهم الملك الفالوغص قامت عليه القيامة على ماحل بعقبة شيخ الضلالة وقال وحق المسيح قتل الشيخ النجيح في هذه الايام ثم نادى فى جميع الروم بجميع العساكر فاجتمعوا وخرجوا فى عالم عظيم وقد ركبت سائر ملوك الاقاليم وركب غيلان الشوك المنحوس فى سودانه الذين تنصروا معه وقد تنعموا وكذلك غيلان الشوك قد سمن وغلظ إلى أن بقى فى قدره الاول ثلاثة أمثال وصار كانه فيل أسود قدر ثلاثة من السودان الكبار وعرضت أكتافه وقويت أطرافه بمداومته على أكل لحم الخنزير وشرب الخمر العصير هذا وقد اجتمعت جميع الملوك والعساكر فى ذلك اليوم من القاع القريبة ومن السودان ومتنصرة العربان (قال الراوى) ولما أن كان من الغد ضحى النهار أشرفت عساكر الامير عبد الوهاب وما فيهم الامن فتح فاه وكبر وقال الله أكبر واجل واعظم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وقد رفعوا أصواتهم بالصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد البشر صلى الله عليه وسلم هذا ولما أن نظروا الكفار من الروم إلى ذلك العساكر القادمة فطلبوا النصر من المسيح فكادت الارض فى تلك الساعة من كثرة الضجيج أن تميل وتتمهد من ضجيج الطائفتين وركض الخيل والجبال كادت أن تنقلب من الصياح ومن صراخ العسكرين هذا والمسلمين قد وصلوا إلى قريب البلد ونزلوا وضربوا الخيام ولما أن رأى الملك الفالوغص إلى هذا الحال ورأى نزولهم عليه قال هذا جيد لنا دع يأخذون القتال حتى تأتى عساكرنا والابطال وتأتى إلينا النجدة من كل مكان هذا وقد قامت عساكر الاسلام فى الخيام ذلك اليوم حتى أنهم نالوا الراحة من التعب واستراحت الخيل من النصب ولما أن كان من الغد تارت الابطال للحرب وقد اشتاقت إلى القتال وحنت الخيل للمجال هذا وقد رجف قلب الجبان الخائف لما أن اصطفت الفرسان ورفعت الاعلام وجالت الخيل فى الميدان وقدارتفع

القتام وقد حرضهم الامير عبد الوهاب على القتال وأحماهم بالكلام وجعل يقول هاها يابنى الاعمام جولوا فى هذه النوبة لله وجودوا الصدام فى سبيل الحى الذى لاينام لعلكم تبلغوا من صلب عقبة المرام ويصدق فيه قول سيد الانام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام هنالك حملوا بنى كلاب بنيات صادقة صحاح القلوب وتوكلوا على علام الغيوب وأكثروا فى تلك الساعة التكبير والصياح ونادى البترك أيضا فى طوائف الروم وقال لهم بارك المسيح فيكم احملوا وخلصوا الشيخ النجيح وحاموا عنه وعن دينكم فقد طال ما كشف عنكم الشدائد ونصر الولد والوالد وان مكنتم المسلمين من صلب عقبة على باب الذهب يكون قد صدق عبد الوهاب فى منامه الذى قاله فان المسيح عليكم يغضب ويحشركم يوم القيامة مع المسلمين والعرب

(قال الراوى) فلما سمعت الروم كلام البترك حملت الطائفتين واختلطت المواكب بالمواكب وقد تمايلت الأبطال فى السروج وصار العرق بالدماء ممزوج وعز على الجبان الخروج وقد خيل للناظرين أن الدنيا ترتج من كثرة المواكب ولمعت الأسنة فى الغبار وحكم الصارم البتار واستوت فى تلك الساعة العبيد الأحرار ولم بقت تعرف المسلمين من الكفار إلا بالصلاة والسلام على المختار (قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل حتى صار آخر النهار وتضعضع جيش الكفار ولولا غيلان الشوك وسودانه لكانوا قد ولوا وهربوا إلى البلد إلا أن غيلان اللعين قد فتك فى المجاهدين الأخيار وسطا على أمة محمد المختار فبينما هو كذلك وهو يلعب بمهج الرجال والابطال ويمدد الرجال على الرمال إذ التقت به الاميرة ذات الهمة وهو يقاتل فى المسلمين وقد أعجبته نفسه فأشار ينشد ويقول :

أنا غيلان الشوك زاد سعدى ... وقد علا بين الانام مجدى
لا أرهب الابطال يوم حرب ... والناس تعرف ساعدى وزندى
أضرب بالسيف لكل مسلم ... ولا أبقى على من هد مجدى
وعبدت المسيح أنا وجندى ... من أولاد حام كرام الجدى

(قال الراوى) ولما أن سمعت الاميرة من غيلان هذا الشعر والنظام قالت له لعنك الله وقد رأته منكس الابطال ويضربهم بالحسام فعند ذلك صدمته وجعلت تقول :

تقضت مدتى وابيض رأسى ... وزالت قوتى وقل ضربى
ودب الضعف فى جسدى ولكن ... أجود بمهجتى فى كل صعب
لعل الله يرحمنى إذا ما ... هدت يوم الحروب ولقيت ربى
ومت شهيدة فى يوم حرب ... أو ألاقيه وأنا أبكى لذنبى
فدونك ترى منى عجوزا ... تجاهد فى العداة بغير عجب

(قال الراوى) ولما ان فرغت الاميره من شعرها حملت عليه وهاجته وألهته عن الفرسان وصدمته فلما ان رأى غيلان منها تلك الحملة المنكرة المريعة مافزع منها ولا خاف بل حمل عليها ومال بكليته إليها وكان الوقت قد ضاق على الابطال وأقبل المساء فصدمته الاميرة بقوتها وقوة جوادها صدمة جبار وألقته على ظهره فى عرصات الميدان وذلك القفار هذا وقد أدركه أبو سكران بطل السودان ونزل إليه وكتفه وأخذه أسير وهو ذليل حقير غائب الصواب من شدة الوقعة هذا وقد وقع على الروم بعد أسره التعتير لما أن رؤا غيلان الشوك أخذ أسير وعمل السيف فى الكبير والصغير وقد سمع للأوداج طنين ومن الادمية خرير واندقوا الروم هاربين وطلبوا الابواب مكسورين هذا والسودان فى أعقابهم وبنو كلاب يطعنوا فى الروم وصار الدم منهم يفور وضربوا سودان غيلان الشوك بالسيوف وقد أفنوا منهم ألوف وهلك أكثرهم وولوا مع الروم هاربين هذا والاخ لايعى على أخيه ولا الولد على أبيه وما زالوا يضربوا فيهم إلى وقت العصر وكان الملك الفالوغص قد عاد منهم يطلب أبواب القسطنطونية لما ان رأى ماحل به وبعساكر النصرانية فأدركه الامير عبد الوهاب وهو حائر لايقدر على الدخول من شدة الزحام وكان الامير اللملمان قد طعن صاحب العلم جندله فصاح الامير عبد الوهاب عند ذلك فى الملك الفالوغص فأذهله وطعن جواده فقتله فوقع الملك من على ظهره إلى الارض فأدركه اللملمان مقدم السودان فأخذه أسير وبعده عمل السيف فى الروم وقد فرحوا المسلمين بالنصر والظفر وعادوا وقد ملكوا المضارب والخيام (قال الراوى) فلما ان سمع عقبة بذلك الحال فأيقن بشرب كاس الحمام هذا وقد كان له ثلاثة أيام ماأكل فيها طعام ولاشراب وقد بقى مثل الخلال وكان له صبر على الجوع إذا وقع مع عصبة الاسلام هذا وقد كان البطال يتردد عليه ويتلطف به ويسقيه السكر والشراب من خوفه أن يموت من قبل صلبه وتبقى حسرة فى قلوب المسلمين إلى الابد وكان البطال كلما سقاه شيأ تقاياه إلى أن كان فى هذه الليلة وقد دخل عليه البطال فرآه يتقاب ويتكرب فأيقن البطال بهلاكه وقال له ماحالك أيها الشيخ ومالك تتلوى وقد خفت حسك وضعف جسدك وبرد نفسك وقد قرب صلبك فابشر واعلم أن مابقى من عمرك غير هذه الساعة لان الملك الفالوغص قد أسرناه وغيلان الشوك قد ملكناه وقد هلك فى هذه الليلة من الروم بعدد النجوم وها أنا فى هذه الساعه أنصب لك الخشبه فما تصبح إلا معلق فقال له عقبه بصوت ضعيف لايكاد أن يسمع ويلك يا بطال هذا تقوله لى حتى تغيظنى به وأنا ماأغتاظ من هذا لانى أعلم ان مدتى قد قربت وأيامى قد فنيت وأنت تعلم ان الانسان إذا قتل خصمه وقتل من بعده مايكون مغبون وأنا فقد قتلت من المسلمين ومن غيرهم من الامم مالا يعلمه إلا الله تعالى يا بطال وتددرت

الاقاليم وفتحت الامصار وقد تركت لى فى كل مكان آثار وأخربت بلاد العراق ألف مره وألقيتكم فى الاسر والعذاب كم كره وقد تركت لى ولكم حديث يتعجبون منه الناس من بعدى إذا سمعه من فى رأسه حكمه فيتأسفوا على بعد فقدى ولا يعتقدوا انى أميل إلى النصارى وأشد منهم ومن دينهم بل انى كنت ألعب بالدول آكل أموالهم حتى صرت مثل والآن فقد صح عندى ان الاديان نواعيس وأنا فقد أخذت لذة عمرى فى الأمر والنهى وقضيت فى المسره دهرى والساعه فعينى قد قلعت وأصابعى ويدى قدقطعت وأذانى قدجزعت وأضراسى قد وقعت وقد بليت فى آخر عمرى بهذا الملعون الذى أخصانى عند الكبر وقد صار لى من بعد هذا كله الموت راحة فكيف ماأردتم الآن افعلوا بى لان الروم مايمكنوكم من ذلك وان فعلتم ذلك فان الروم تطلب تارى فلا يبقون منكم أحد ولا يقر لكم قرار لأجل مايكون فى قلوبهم من النار وكذلك المعتصم وسائر المسلمين ومن أجل هذا كنت أظهر لهم الناموس والدين والشرع حتى تلعنكم جميع المسلمين وتكون الفتن بعد مماتى بينكم وبين المعتصم وسائر المسلمين وبين الروم وتمتلى وجه الأرض عليكم من الروم والمسلمين (قال الراوى) ان كان هذا الكلام كله يجرى من عقبه والبطال يسمعه ويتجسر ولا يقدر أن يلطمه لطمه واحده خوفا أن يهلك فخرج من عنده حتى يدبر فى أمر الخشبه الذى يصلب عليها عقبه وكيف يضعها وينصبها على باب الذهب ومافى المسلمين تلك الليله من نام من شدة الفرح الا باتوا سهاره وهم فى تسبيح وتقديس وتهليل وصلاة وسلام على البشير النذير إلى ان أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فطلع البطال على البرج الذى عمله قدام باب الذهب وترك الخشبة فى أعلاه وتقدمت الرماه وتوائبت الكماه وارتجت الفلاه وركب الامير عبدالوهاب وهو فرحان ببلوغ الآمال وتصديق المنام وكانت الروم فى ذلك اليوم على الاصوار وهم لايقدرون أن يظهروا من ضرب النشاب لانه كان يأتيهم مثل المطر هذا والبطال فوق البرج والخشبة معه وقدقدموا الحبال وقال لغلمانه والسودان ائتونى بشيخ الضلال فاتوا السودان إلى مكانه ليأخذوه وكان ذلك الوقت وقت الغلس فما رأوه ورأوا المكان خالى مافيه انسان فعادوا وعليهم الانكسار وقد أعلموا الامير بهذه الاخبار فما منهم الامن التهب فؤاده بشعلة نار وتفرقوا فى سائر الاقطار وتفرقت بنى كلاب والسودان الانجاب وهى راكبة الخيل وقددار واعليه البر والقفار وصاروا يطلبوا عقبه شيخ الفجار فما وقعوا له على آثار ولا سمعوا له أخبار

(قال الراوى) هذا وقد نزل البطال من على البرج وهو خجلان وقال الامير عبدالوهاب لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أقسم بالله لاصلبت مكانه إلا الملك الفالوغص وغيلان الشوك ثم ان الامير أمر باحضارهم فى عاجل الحال أحضروهم فلما ان رأى الفالوغص إلى

هذه الاحوال وقع على قدمى البطال وجعل يستجير به ويوعده بالاموال ويسأله أن يسأل
فيه الامير عبد الوهاب لعله يقبل فيه سؤاله فقال له البطال على شرط انك تحلف لنا بالانجيل
الطاهر وما فيه من التحريم والتحليل نناميّ وقعنا بعقبه واتينا به تمكنا من صلبه على باب
الذهب ولا تقاتل ولا تمانع لا أنت ولا سائر جيوشك ولا حواشيك ولا جيوش النصرانيه
فقال الملك الفالوغص نعم أنا أحلف على ذلك (قال الراوى) فعند ذلك تقدم البطال إلى
عند الامير عبد الوهاب بلطف وأشار اليه بأخذ المال وقال له إذا أحضرت الملك الفالوغص
إلى بين يديك وسألتك فى الصلح فقول أنت ماأفعل إلا ان كان يبنى الجامع الذى بناه الامير
مسلمه على أيام جدى الصحصاح لانى ياأمير كلما دخلت القسطنطونيه فأراه يتهدم منه ركن
وقد انهدم وما بقى إلا الآثار وقد اندثر ومابقى إلا معالمه وقصدى أن أجدد الجامع واعيده
مثل ماكان حتى لا ينقطع ذكر الامير الصحصاح ويكون لنا نحن فى تجديده تذكار فقال الامير
عبد الوهاب وامه الاميره ذات الهمة هذا هو نعم الرأى الصواب ثم انهم اتفقوا على ذلك
المقال فعند ذلك أحضروا الملك الفالوغص ولما أن حضر وقع ماذكرنا واعلموه بتلك الحاله
فقال سمعا وطاعة وقد انتهى الامر فقال البطال ما بقى الساعة إلا أن تخرجوا لنا الرهبان حتى
يأتونا بالرهاين لاجل ما نطلق الملك وغيلان ونقيم إلى أن نعمر الجامع وتقوم لنا بالمونه
والعلوفات فعندها أنفذ الملك واحد من غلمانه مع جماعه من قسوسه ورهبانه إلى القسطنطونيه
فأتوا منها بأربع آلاف صبى من أولاد الملوك ووجوه البطارقة وخواص أهل البلد كلهم
بالمناطق الذهب والقراطق وهم مثل البدور الطوالع والشموس اللوامع هذا ولما أن حضروا
وحصلوا تحت قبضة البطال حلف الملك يمين ثانى على ذلك الحال ووزن المال وانه لا يخون
ولا يغدر بهم بعد هذه النوبه وأيضا حلفوا البترك وحلفوا غيلان الشوك الآخر ودخلوا
بعد ذلك إلى القسطنطونية وجمعوا جميع المعلمين والصناع وأخرج الملك الاموال وأمر
الصناع بالاستعجال (قال الراوى) هذا وقد دارت العماره وكان أول من عمل فى الجامع
الملك بنفسه يومين كاملين والبترك استحرض الروم على العمل هذا وقد قامت عساكر الامير
عبد الوهاب على باب القسطنطونيه شهرا كاملا والاقامات والعلوفات تخرج إليه حتى تعمر
الجامع والمكان الذى حواليه وارتفع وقد عمل فيه منارة للآذان وأحضر الملك مالا عظيما
له قدر وقيمة وفرقه على الصناع والمعلمين ولما انتجز الشغل وتم دخل البطال واشرف على
الجامع والمحراب فرآه قد تعمر من بعدما كان خراب وقد أعجبه فأراد البطال أن يخرج مع
الملك فقال له اعلم أن هـذه العماره ماتصلح لنا فقال الملك ايش مالها وما حالها وحق المسيح
ياأبا محمد انها عمارة مليحة ماعمر مثلها فقال له البطال اعلم ان كان الجامع مبنى بالفضة والحجر

والقبله مبنيه بالذهب وان هذا ما هو الشرط الذى كان بيننا وما اتفقنا إلا أن نجعله بالفضة والذهب فقال له الملك وحق المسيح ياأبا محمد ان هذا القول كله جنان وان هذا القول عمرنا ماسمعناه ولو أرادوا ذلك وجمعوا كل فضة فى ارض القسطنطونية ماتكفى ربع هذا الجامع ونحن مانعرف الجوامع والاديره والبيع يعمروا إلا بالحجارة والتراب فقال له أبو محمد صدقت ولكن نحن ماشارطناكم الاأن يكون مبنى بالفضة وأن تكون القبلة ذهب واعلم أننا مانطلق أحدا من عندنا إلا بهذا الشرط وإلا ضربنا رقاب الرهبان وافجعناكم فى الصبيان وتركنا تندب عليكم الآباء والامهات فقال له الملك لاوحق المسيح اضرب رقابنا ورقابهم الجميع ودعنا كلنا من هذا الامر نستريح ومن هذه العماره لأن مالنا بها من طاقة ولاغيرنا من سائر الملوك (قال الراوى) فبلغ الخبر إلى الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة وأمراء بنى كلاب فضحكوا من حديث البطال هذا وقد سمعوا أهل الصبيان الرهاين وآباءهم وامهاتهم ذلك فصلبوا على وجوههم وحملوا من الاموال على قدر اجتهادهم واقتدارهم واتوبه إلى عند البطال وقالواله هذا ماملكت يدينا نخذه ثم أطلق لنا أولادنا فقال لهم البطال سوف أفعل ذلك ان شاء الله تعالى هذا وقد اتفقوا على أن الجامع يبقى على ماهو عليه إلاأن القبلة تهد وتبنى غير ذلك البناء وتتزخرف بالذهب ففعل الملك ذلك وقد جمع الملك السباكين والصياغ وعملوا القبلة كما أراد البطال ودخل الامير عبد الوهاب والاميره وسائر الامراء من بنى كلاب والسودان الانجاب إلى البلد وجميعهم لابسين الحديد من تحت أثوابهم خوفا من غدر الكفار وصلوا فيه يوم الجمعة وأذنوا المؤذنون وكبروا المكبرون هذا والرهبان والروم على وجوههم يصلبون والمسلمون بقراءة القرآن يضجون إلى أن صار وقت العصر وخرجوا الامراء والناس فى الخيام واطلقوا أولاد الملوك والبطارقة فقدموا لهم من الاموال وحلفوهم أنهم لايتعرضوا للجامع بعد رحيلهم واقاموا حتى أصبح الله بالصباح ثم بعد ذلك رحلوا يطلبوا بلاد الاسلام هذا والامير عبدالوهاب يقول لامه والله ياأماه مابقى جسرة فى قلبى الاصلب الملعون عقبة وماأظن انفلاته فى هذه النوبة إلالأمر يريد الله اتمامه فقالت الأميرة والله يابنى مادام له فى الدنيا حياة فما يقدر أحد على وجه الأرض يؤذيه إلا أن الله تعالى فلا تكن يابنى من أهل الاعتراض واصبر على مايقضى الله تعالى ماهو قاض وأنا أقول أن عقبه ماخلص وفيه مايحمل إلاأن يكون فى بعض الاديره التى للرهبان ولايعلم الغيب إلاالله تعالى الواحد المنان ثم انهم سارو إلى أن أمسى المساء عليهم ونزلوا فى آخر مرج العيون وضربوا الخيام وهم معولين على الراحة والمنام وقدعلقوا على خيلهم وأكلوا شيأ من الطعام وأقاموا إلى خدمة الملك العلام حتى قضوا ماعليهم من الصلوات ومافيهم إلا من وجد الراحة وانضجع حتى برق ضياء الفجر ولمع

وصلت الأميرة ذات الهمه صلاة الصبح فلما انشق الفجر وتنفس قام الأمير عبد الوهاب ودخل على والدته ذات الهمه يستأذنها فى أمر الرحيل فرآها قد قضت فرضها وهى مستقبلة القبله وهى جاثية على ركبتيها وقد شخصت نحو السماء بعينيها وبسطت يديها ودموعها منحدره على خديها وهى تتضرع إلى الله عز وجل وتبتهل بالدعاء وهى تؤمل من دعاء إلى أن أحست بالأمير عبد الوهاب معها فى الخيمة فعندها أوجزت فى الدعاء وختمت دعاءها والتفتت إلى ولدها عبد الوهاب وجعلت تقبل رأسه وشيبته وعارضيه وتقول له ياولدى كل يوم لا أراك فيه لم يهنألى فيه حياة ولا أعد من الأحياء فقال لها ياأماه وكيف خطر بقلبك هذا المقال فقالت يابنى لأجل منام رأيته وأنا منه فزعانه وأحشائى قد أصبحت رجفانه فقال الأمير وقد بكى فما الذى رأيتى فى المنام فقالت يابنى لما نمت البارحه وأنا مشغولة القلب من قولك لى فى قلبى حسرة من عقبة وكيف يبقى بعدنا فى هذه البلاد وينال من المسلمين المراد فرأيت الملعون كأنه قاعد لنا على رأس الطريق وقد ملك علينا فم المضيق وهو يضرم بين يديه لنا نار وقد طلع لها لهيب وشرار فصحت من شدة اللهب والشرار وكأنك أنت يابنى والبطال قد أتيتم وألقيتم أرواحكم فيها وأنا قد صحت من شدة ماجرى على وأكلت من حذرى عليك لحم ثديى واردت ان ألقى روحى خلفك فى النار وإذا بصوت يكلمنى فالتفت وإذا به النبى ﷺ وهو يقول لى اصبرى ياأم المجاهدين على بلاك ولا تلقى روحك فى الهلاك فعلينا حفظ ولدك فى رواحه ومغداه وبهذا يصل إلى ماوعدناه ويشتفى بصلب أعداه وقد قرب الوقت والميعاد وفى هذه الأيام ينهتك ستره بين العباد كما هتك ستره فى الملا الاعلى وينجز فيه أمر من له المشيئة والمراد فعليك بالصبر وهو من سنن الأنبياء والاولياء والعلماء وبه تصلين إلا مقام الاصفياء فقلت يارسول الله كيف أجد الصبر وولدى فى هذه النار يذوق حرارتها والشرار فقال هذا عذاب يزول ويبلغ به فى الجنة غاية السول وأنا رسول الله المطهر انظر به فسوف يخلص من هذا اللهيب ويعود على أعدائه التعذيب فمددت ياولدى عينى إلى النار وإذا بك قد خرجت بوجه مثل البدر إذا استنار ثم بسطت يدى وشرعت فى الدعاء ثم طرت بين الجو والهوى إلى علو السماء فاستيقظت أنا وفى أجفانى أثر البكاء وزادنى الاشتكاء حتى دخلت على ورأيتك بعينى وأنا من بعد هذا المنام فزعانه وبوعد رسول الله ﷺ فرحانة فقال لها الأمير عبد الوهاب ياأماه الامر والحكم لله لامرد لقضائه ولا مفر ولا دافع لامره ثم انه أنفذ خلف البطال وحدثه بهذا الحال فقال لهم البطال أما اضرام النار من عقبة فانه مازال يشعل الفتن ويلقينا فى المحن واما وقوعنا فيها وعلينا الحرص أننا نحذر غاية الحذران لم يكن سبق القضاء والأمر لله تعالى يدبر فى خلقه مايشاء واما قول النبى ﷺ أن عقبه قد قرب تلافه فهو الصادق الأمين فى أوصافه

وأعماله والدليل على ذلك عذاب عقبة وقطع أطرافه وبعد هذا فسلموا الامر إلى الله تعالى وارحلوا بنا نطلب المنازل والديار لعلنا نخلص من عذاب هذه النارفقال الاميرعبدالوهاب هـذا هو الصواب ثم انه ركب وصاح فى بنى كلاب والسودان الانجاب بالرحيل وركبت الاميره وفؤادها ملآن خوفا على ولدها من هذا المنام وساروا ذلك اليوم حتى تقارب المساء ونزلوا وقد زاد بالاميرة المرض وحمى بدنها وتغير لونها وحالها وباتت تلك الليله وولدها عندها والبطال عند رأسها يحدثها ويسليها بامور الدنيا حتى أصبح الصباح ورحلوا ولم يزالوا يقطعون الارض والقفار ليلا ونهارا حتى وصلوا إلى أرض الدروب والاميره قد ضعفت عن الركوب وصارت تركب فى محفه وامرت ولدها أن يقصر المراحل والمنازل حتى خرجوا من دروب بلاد الروم وصاروا فى أوائل بلاد الإسلام وإذا براكب قد أقبل على ملطيه عظيمة الهيكل وجعل يشق المواكب حتى صار تحت أعلام المسلمين ووقف بين يدى الأمير عبد الوهاب وسلمه وناوله كتاب فتبينه الأمير وإذا به عامر النجاب الذى كان نجاب الخليفة فقال له الأمير من أين هذا الكتاب ياعامر فقال له يامولاى اقرأه وقد وقفت على معناه ففتحه الأمير عبد الوهاب بعد مااستدعى أبا محمد البطال وأيضا جماعة من الأمراء والاقيال وقرأ الكتاب وإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد أيها الأمير الأجل والكهف الأطل سيف المجاهدين وعمدة الإسلام والمسلمين حامى حوزة الدين ترس قبر النبى الأواب المسمى بالأمير عبد الوهاب اعلم أن أبا اسحق المعتصم بالله قد توفى إلى رحمة الله تعالى وانتقل من دار الفناء إلى دار البقاء وكان وما كان مرضه أكثر من ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع شرب كاس الحمام وقد جلس فى الخلافة ولده هارون الواثق بالله وقد تعصب لأخيه جعفر جماعة من الكتاب والعمال وأصحاب الديوان والحساب وقالوا اما نريد إلا جعفر المتوكل على الله وقد اختلطت الدنيا واختبطت بلاد العراق وقامت الدنيا على قدم وساق وانفصل الأمر على أن هارون الواثق يقيم فى الخلافة على وجه النيابة إلى أن تقدم أنت وتقدم من شئت وتشهد بما كنت تسمع من المعتصم رحمة الله عليه ومن هو ولى عهده من بعده ونريد ساعة وقوفك على هذه الأحرف لا تتوقف فى المسير ولو أنك تطير حتى تهتدى الفتن بعد ايقادها وتعود الولاة إلى بلادها فلما سمع الأمـــير عبد الوهاب مافى الكتاب بقى متحير ومتفكر وتبين الخط وإذا به خط ابن خاقان الوزير فقال البطال ايش ترى يا أمير فى هذا الكتاب وهذه النوبة فقال البطال والله هذه النار الذى كان يشعلها عقبة تفسرت وهى من بعض مناصبه ولا شك أنه سبقنا إلى عند الخليفة وقال له قد قتلوا أختى وأولادى وقطعوا يدى وعولوا على صلبى ولا شك أنه قد دبر علينا غير أننى متحير فى هذا الامر وحذرى أنه من تدبير عقبة لاجل القبض علينا ومتحير أيضا كيفـ

يتجاسر عقبة على مثل ذلك وعلى كتب هذا الكتاب وفيه موت الخليفة مع علمه أنه يقع فى أيدينا وهذه قصة قد عميت على أن الخط خط الوزير ابن خاقان وما أقول أن عقبة بعد أن قطعت يده اليمنى مابقى يقدر يزور على خط أحد فقال الامير عبد الوهاب والساعة كيف يكون الحال فقال مايكون فى الامر إلا أننا نسير إلى ملطيه ونبصر كيف يكون الحال ان كان الامير عمرو بن عبيد الله قد انحدر إلى بغداد فالامر صحيح فاذا كان الامر كذلك تركنا والدتك هنالك وسرنا أنا وأنت فى ألف فارس ونصبنا الخلافة لامير المؤمنين هارون الواثق بالله لانه أدين أهل الارض واتقاهم واعقلهم وبه أوصانا المعتصم ألف مرة وهو ممن يبغض عقبة ولا يشتهى أن يراه فلعل صلبه يكون فى أيامه إن شاء الله تعالى ويسقيه كاس حمامه ويهتك الله ستره فى هذه الايام وتقف الناس على كذبه ومحاله فقال الامير عبد الوهاب هذا هو الصواب ثم انهم ساروا على هذا الترتيب وهم متفكرين فى هذا الامر العجيب حتى أشرفوا على بلاد الثغور وأرض ملطيه وسبق البشير إلى البلد (قال الراوى) فعندها ركبوا الامراء الذين لبنى سليم وكذلك الاصحاب وخرجوا إلى لقاء الامير عبد الوهاب ولما وقعت أعينهم عليه ترجوا بين يديه ونعوا الخليفة إليه فقال ومتى وصلت إليكم الاخبار فقالوا من أيام قلائل وعلينا عبر النجاب عامر وهو سائر إليك بالكتاب وأميرنا عمرو يكون اليوم قارب بغداد فانه من يوم وصلت إليه هذه الاخبار تجهز وسار فلما سمع البطال والامير عبد الوهاب هذا المقال صح عندهم الحال والمقال ونزلوا الناس فى المقام وضربوا الخيام على ظهر البلد بجانب النهر وعملوا الأعلام وأقاموا حتى أصبح الله بالصباح ودخل الأمير عبد الوهاب على أمه فودعها واعلمها أنه سائر إلى أرض العراق ينصب الواثق خليفة وتأمن الناس بعد الخيفة فقالت له أمه يابنى افعل مابدا لك ولا تطيل الغيبة فما لى عنك صبر ولولا هذا المرض والا كنت سرت معك حتى لا يغيب شخصك عنى ودعت له وقالت له أنت فى حفظ الله الحى القيوم الذى لا ينام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فباس الأمير رأسها وودعها وانتخب معه ألف فارس من بنى كلاب وسودان أنجاب وركب هو والبطال يقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم كان قائد يقودنى إلى القضاء والقدر وتركوا الأميرة فى ملطيه وعندها باقى الأبطال من بنى كلاب والسودان الأنجاب وساروا يقطعون الأرض والبلاد ويستصحوا موت الخليفة وكلما قرب من أرض العراق ينكشف له الحال ويظهر حتى وصل إلى الموصل ونزل الأمير على بابها وسار منها إلى تكريت وعبر إلى الجانب الآخر ولاحت له المشاهد المباركة فأقام فيها يومين وسار حتى وصل إلى تل قومه وكان الأمير قد أخذ معه التحف والهدايا والخيل والظرف وشىء كثير من الذهب والفضة

والمناطق والجواهر والثياب الديباج ومن الأطالس الرومى وكل شيء حسن مليح وغير ذلك مما كان أخذه من بلاد الروم وانه لم يزل سائرحتى وصل إلى وأنا وعكبر وإذا هو بأرباب الدولة والوزراء والأمراء والاشراف قد التقوا به فلما وقعت العين على العين وترجل بعضهم لبعض وتعانقوا وتوادوا فقال عبدالوهاب وقد بكى وقال من هو الخليفة اليوم فقالوا الخليفه الواثق فى الظاهر الا أنه على وجه النيابة حتى تقدم أنت يا أمير وتنصب من تريد فقال الامير عبدالوهاب والله ياقوم ماولى العهد الا الواثق بالله وبهذا كان يوصينا المعتصم فى حياته ثم سار الامير فى موكب الخليفة حتى وصل إلى بغداد وتم فى سيره إلى الدار المعروفة العزيزة وأبو محمد البطال إلى جانبه يقول والله ما كان نيتى أدخل معك إلى بغداد لان قلبى خائف من منصب عقبة إلى أن صح لى الخبر وصح لى موت المعتصم واشتهر (قال الراوى) فلما صاروا الامراء على باب الخليفة دخلت الخدام على الواثق يطلبون الاذن فى الدخول فقال امهلوا بهم حتى أجلس لهم ثم وثب وجلس فى دست الخلافة وأقام الحجاب والوزراء والكتاب وأرباب الدولة فى خدمته وقال للخدم خلوهم يدخلوا فخرجوا الغلمان والخدام وقالوا بسم الله أجيبوا أمير المؤمنين فدخلوا الامراء وساروا إلى أن وصلوا المجلس الذى فيه الواثق فلما وقعت عين الامير عبد الوهاب على الواثق فعند ذلك تقدم الامير وقبل الارض وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين أدام الله لك العز والتمكين وحشرك مع ابن عمك خاتم النبيين وأسعد جدك وأعلا مجدك وقصم ضدك وأطال عمرك ونشر فى الخافقين ذكرك وهنيت بالخلافة ووقيت من كل آفة ويعز الله علينا ماجرى على قلبك من فقد مولانا أمير المؤمنين أبا اسحاق المعتصم بالله فوالله مايعود الزمان يسمع بمثله ولا يخلف مثله فانا لله وانا إليه ارجعوا (قال الراوى) وتقدم من بعده الامير أبو محمد البطال وخدم وعول أن يعزى الواثق ويهنيه بالخلافة وإذا قد ارتفع ستر دار الحرم وظهر شخص من ورائه وقد خرج معه أكثر من خمسمائة مملوك فتأمل البطال الشخص وإذا به المعتصم أمير المؤمنين فطار عقل الامير ووقع به التحيير وعلم أنها حيلة وقد تمت عليهم فقال الامير عبدالوهاب يا أبا محمد وقعنا ومانفعنا الحذر وهذا منام الأميرة قد تفسر فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هذا والمعتصم قد صاح بهم وقال يا كلاب العرب وقعتم بأعمالكم أتظنون أنى لم أعلم بما فعلتم بالقاضى عقبة من قطع يده وقتل أخته وبناته وتعذيبه وتهديده بالصلب فى بلاد الروم وقلتم ان الله يمهلكم بعد ماحل قتلكم باجماع سائر الفقهاء ولا بقى لكم نجاة ولا ملتجأ غير ضرب الرقاب وفقد الاحباب وصاح بالغلمان خذوهم فمالوا عليهم وقبضوهم وشدوا أيديهم وأرجلهم وقام الواثق وجلس المعتصم وقدموا الامراء بين يديه فقال لهم

المعتصم إلى كم تخرقون حرمتى ولا تراعون فى هذا الشيخ ذمتى ان كانت دولتى ما تقوم إلا بكم فما أريد دولة ثم قال للسياف اضرب رقابهم وأفجع فيهم أحبابهم وجميع أصحابهم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك القاضى عقبه وهذا التدبير هو الذى دبره وعمل هذا العمل لانهم ليلة عولوا على صلبه وأبصر الجد ورأى أن الروم قد كسرت حمل روحه لما أن رأى البطال قد خرج من عنده وهو معول على صلبه وقام إلى بغلة كانت للامير عبد الوهاب وكانت هنية السير فركبها الملعون بعد ما برطل سائسها بألف دينار ووعده من الخليفة بمثلها فساعده على هروبه وسار هو وعقبة يكمنان النهار ويسيران الليل إلى أن وصلا إلى العراق وعقبة يلقن السائس طول الطريق مايقول للخليفة ولما دخل عقبه إلى بغداد وصل إلى الخليفه خبره فقال المعتصم على به فقالوا ياأمير المؤمنين أنه مريض مايقدر على النهوض وماصدق أنه يصل اليك ويامن على نفسة لأنه وصل مقطوع اليد مجبوب حزين على قتل أخته وبناته فلما سمع المعتصم هذا الكلام قال أنا أسير اليه لأنه يجب السعى إلى مثله لاجل دينه وعلمه ولاجل هذا البلاء الذى قد حكم به عليه رب السماء ثم ان الخليفة ركب وسار إلى دار عقبه فلما سمع به الملعون تغاشا وتماوت فقعد المعتصم عند رأسه فرآه مقطوع اليد فبكى وقال له ياقاضى من فعل بك هذه الفعال فبكى وقال ياأمير المؤمنين أناماأشهد ولاأتكلم فى حق روحى ولكن اسأل هذا الرجل الصالح فانه يحدثك بما جرى على لانه من عبيد ذات الهمة وهو أدينهم وأزهدهم وإلاما كان تسبب فى خلاصى (قال الراوى) وكان عقبة قد علم العبد مايقول كما ذكرنا وان عقبة لما قال للمعتصم اسأل العبد التفت المعتصم إلى العبد وقد عظم عليه ماقد جرى عليه وقال له يامبارك من فعل بهذا الشيخ هذه الفعال فقال العبد يا أمير المؤمنين أقسم لقد رأيت لهذا الشيخ كرامات وصبر على البلاء مالا يصفه أحد وانا كنت اعتقد فى ستى ذات الهمة انها من الصالحات بما كنت أرى منها من العباده والجهاد حتى انكشف لى ذلك وبان انه ريا ونفاق حتى يشيع ذلك عنها فى الآفاق وأنا يامولاى كنت معها لما كانت فى العراق هى والبطال واتى ظالم من الحجاز ودبروا على هذا الشيخ واخذوه من داره واخذوا اخته وبناته معهم وساروا إلى حصن يانس وارسلت مولاتى ذات الهمة خلف ولدها عبد الوهاب تقول له انتى قد أخذت عقبة واخته وبناته وكل من يلوذ به فسر إلى حتى ندخل إلى القسطنطونية ونشتفى منه ونعود إلى بلادنا وان الرساله لما وصلت اليه سار اليها هو وسائر بنى كلاب والسودان الانجاب وأول يوم وصل الامير عبد الوهاب إلى حصن يانس قتلت الاميره أخت عقبة وبناته فرحا بقدوم ولدها عبد الوهاب ثم أخذوا هذا الشيخ المسكين ودخلوا طالبين القسطنطينيه وخرج ملك الروم إلى قتالهم فنصروا عليه وكسروه وباتوا تلك الليلة فرحا بالنصر والظفر يقولون هذه الليلة

نثال من عقبه مانريد وفى هـذه الأيام يـكون صلبه ولـكن قدموه حتى نعذبه قبل صلبه ثم قدموه وقطعوا ايده كما ترى واخصوه وهوصابر على البلاء وجعل يتوسل اليهم وهم يضحكون عليه ويضربوه ويقولوا لى عذبه فأول من ضربه أنا ياأمير المؤمنين وما علمت كيف القصة بل كنت أسمعه يقول لمولاتى ذات الهمه وهى تعاقبه بحرمة مولانا المعتصم لاتفعلى بى أكثر من هـذه الفعال فقد أعدمتينى اليمين وبقى الشمال وان كنتى تريد قتلى فى كرة واحدة فأنا وحق المصطفى أجعلك فى حل من دمى قبل موتى حتى لايـكون لمسلم منى أذية فى الدنيا ولا فى الآخرة فكانت ياأمير المؤمنين إذاسمعت منه هذا القول تقول له تـكذب ياملعون ماأنت إلا نصرانى وكان يدخـل فى عقولنـا ذلك إلى أن سلمته لى فى تلك الليـلة وهو مقطوع اليـد

﴿ تم الجزء الثامن والستون ويليه الجزء التاسع والستون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء التاسع والستون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(ثم قال العبد) فرأيت عقبة يا أمير المؤمنين كلما اشتد به البلاء يقول يا إلهى بحرمة القرآن لاتؤاخذهم فانهم مجاهدون فى سبيلك وأنا ما فى منفعة للناس إلا أن أعلمهم شيئا من القرآن وأمور دينهم وبقيت أنا متشكك فى ذلك مما سمعت من ستى ذات الهمة فى حقه فنمت فرأيت فى منامى كأن أبواب السماء قد فتحت ونزل منها أقوام كل واحد منهم لو اطلع بوجهه الى الدنيا امتلأت نوراً وكلهم بثياب خضر ودخلوا الى الخيمة وأحاطوا بهذا الشيخ وجعلوا يقبلون يده المقطوعة ويبكون عليه فتخيل لى يا أمير المؤمنين أنه فى اليقظة وأنهم قد أتو يخلصوه وكأنى هممت أن أتقدم الى سبقى واذا بأحدهم قد أخذ بقوائمى وأقعدونى وقال لى إقعد يا من خسر الدنيا والآخرة لأجل متاعك لهذه المرأة العاهرة ذات الهمة الغادرة ، فقلت أنا يا أمير المؤمنين وكيف ذلك وهى مجاهدة فقال صدقت هى مجاهدة فى الأولياء لا فى الأعداء فقلت وما معنى هذا الكلام ؟ فقال معناه هذا الشيخ المظلوم الذى قد غضب الله على المعتصم من أجل تغافله عنه فانه يعلم أعداءه ولا ينصره عليهم ، فقلت يامولاى كيف ينصره وهو نصرانى فقال يا نصرانى هم يقولون عنه أنه نصرانى فقلت أنا والذى يفعل معه جميل يدخل الجنة ؟ فقال نعم يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب فقلت أنا والله أطلقه إذا اشتغلوا بالقتال وأسير معه الى المعتصم وأقص عليه هذه القصة حتى يأخذ له حقه فقالوا إن أنت فعلت هذا فنحن نضمن لك على الله الجنة فقلت ومن أنتم فقالوا نحن ملائكة السماء وقد نزلنا الى زيارة هذا العبد الصالح لعظم صبره على البلاء

ثم انتبهت بعد ذلك يا أمير المؤمنين وأنا أقول هذه أضغاث أحلام حتى سمعت عبقة وهو يقول الحمد لله على هذه المنزلة والله ما ظفت أنى أهلا لهذا ولا أصل اليه فقلت يا هذا ما الذى تقول وما الذى رأيت ؟ فقال لى ياولدى الساعة كان عندى ملائكة ربى وقد أوعدونى أن يكون خلاصى على يديك فعندها صح عندى المنام يا أمير المؤمنين وعلمت أن هذا الرجل ركن من أركان المسلمين (قال الراوى) هذا والمعتصم يسمع ويبكى حتى بل ذوائبه وعقبة يقول إلهى ان كنت قد قتلتنى فقرب ما بعد مدتى ولا تضيق صدر مسلم مؤمن نك الن أجلى ولاشك أن هذا الصالح أراد يقول عنى هذا وإلا من هو عقبه حتى يكون له عند الله هذه المنزلة فعندها قال المعتصم بحق الله عليك ياقاضى اجعلنى فى حل لأجل قعودى وبعد هذا فلا نصرنى الله إن لم أنصرك فقال عقبه يا أمير المؤمنين ومن هو حتى تقول هذا المقال إلا أنى طامع فى جاهك يوم القيامة وحق من خفف الألم ما بى ماجرى على وما بى إلا أن يطعموا الأعداء فى هذه الدوله العباسية ويزيلون دعوتها بالكليه فقال المعتصم وحق آبائى وأجدادى لأقلعن من الدنيا آثارهم ولأخربن ديارهم ولأجمعن عليهم كل من فى خراسان من الأتراك والأعجام ولابد من قصدهم وأقلع أصولهم وفروعهم وأشتت جموعهم فقال عقبه وقد قعد وتسند يا أمير المؤمنين هذا أمل بعيد لانك ان دخلت اليهم الحجاز طال الأمر واجتمعت القربات وسفكت دماء المسلمين واذا رأوا الغلبه دخلوا الى بلاد اليمن ولاتنال منهم طائل والحيلة عليهم أحسن من الرواح اليهم فقال المعتصم وكيف تكون الحيلة فقال عقبه أنا أدبر هذا يا أمير المؤمنين لأجل شفقتى على المسلمين وهو أنك تخفى عن الناس شهرا من الزمان وتظهر أنك مريض وتترك الواثق بالله فى منصب الخلافة ولاتطلع على هذا الامر إلا من تثق اليه مثل الوزير الفتح بن خاقان وبوعمك العباسيين وغيرهم ممن يبغض الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب وأنا أملى على الوزير كتاب يكتبه بخطه الى عبد الوهاب قبل خروجه من بلاد الروم وتحصينه فى الحجاز وترى كيف يتساقون اليك ويحضروا بين يديك واذا حضروا تقبض عليم وتضرب رقابهم وبعد ذلك تشرع فى قلع دولة بنى كلاب والسودان الأنجاب وتأمر العساكر أن تطلبهم من كل جانب ومكان حتى لايرجع الى الحجز منهم انسان (قال الراوى) فلما سمع المعتصم ذلك من عقبه أخذه الفرج وعلم أن عقبه قد قال الصواب فأمر بحمله معه الى الدار والملعون فى غاية الفرح والاستبشار ولما أمن عقبه على نفسه أمر الوزير أن يكتب الى عبد الوهاب ذلك الكتاب الذى ذكرناه بعد ما ظهر أن

المعتصم قد مات وأقعد الواثق فى منصبه وكتب الى الامير عمر ووالى والى الولاة القريبة يأمرهم بالقدوم الى بغداد ولم اطلع أحد على هذا الحال بل كل أمير يقدم ويريد أن يبايع الواثق يقول الوزير اصبر حتى يأتى الامير عبد الوهاب فان المعتصم قد ذكر قبل موته أن له مع الامير عبدالوهاب وصيه وعبد الوهاب يعلم من هو الخليفة بعد المعتصم فصار الوزير يصبر الأمراء حتى قدم الامير عبد الوهاب كما ذكرنا وجرى من القصة ماشرحنا وعقبه يعتقد أن الاميره ذات الهمة تصدر مع ولدها الى بغداد فأعاقها ذلك المرض كما يشاء رب العباد وقبض المعتصم على الامير عبد الوهاب والبطال كما ذكرنا وعاقبهم بذلك العقاب (ياساده) ومن شدة ماجرى على البطال قال يا أمير المؤمنين لمن تهدد بهذا المقال فهل هى إلا موتة واحدة فاضرب رقابنا وخلصنا من هذه الدنيا الغادرة فقد علمنا ما نلاقى فى الآخرة ووالله ليطولن وقوفك معنا بين يدى رب العالمين اذا طويت السموات والأراضين وأخذ للمظلومين ثم أنشد يقول :

أما والله ان الظلم شؤم ومازال المسىء هو الظلوم
ويحكم بيننا فى يوم عدل إله عادل بين الخصوم
الى ديان يوم الدين نمضى وعند الله تجمع الخصوم

(قال الراوى) ياساده هذا وعقبه ينظر اليهم وهو الى جانب المعتصم يعصر عينه ويقول للبطال يا ولدى يا أبو محمد لقد كنت أخاف عليك من مثل هذه النوبه وأسأل الله تعالى أن يعطف قلب الامير عليكم ولايفجع المسلمين فيكم وأما أنا فأنتم فى حل من قبلى ولاطالبكم الله من قبلى ولاطالبكم الله بما فعلتم فى حق (ياساده) هذا والمعتصم قد زاد به الحنق وتحادر من جبينه العرق وقال لمسرور دونك ورأس هذا الاسود عبد الوهاب واضرب بعده رقبة البطال نسل الكلاب فعندها تقدم مسرور والسيف فى يده مشهور وقد احترق على الاميرين كبده وكان ذلك من أعظم الاشياء عليه وهو يتشاغل عنهما وينتظر من يقوم فيهما وينتظر من يقوم بشفع فيهما هنالك قام الوزير الى قدام الخليفه وقبل الارض وهو يرتعد من الخليفة وقال يا أمير المؤمنين تأنى فى أمورك والمخاطبة واعلم أن العجله غير محمودة العاقبة وما تركنى أمير المؤمنين وزيرا حتى أحمل أوزاره وأكتم أسراره وأخمد عند الغضب ناره وأنت تعلم أن خلف هؤلاء من يأخذ بثارهم مثل الاميره ذات الهمه وظالم بن عبدالوهاب والسودان وبنى كلاب وما يبلغ الخبر الى ذات الهمه وتقعد عن نار ولدها عبد الوهاب والبطال له

أيضا من يطلب تاره ويراعى أخباره وهم أولاده مذبحون والحصين وباقى غلمانه الذين شأنهم فى اللصوصية أعظم من شأنه والصواب أنك تترك هؤلاء فى السجن الى أن تجتمع العساكر من كل جانب وتقصد ذات الهمة ومن معها من بنى كلاب وإذا أهلكتها وأهلكت من معها من الشيوخ والشباب عند ذلك فتمكن من البطال وعبد الوهاب (قال الراوى) فلما سمعوا أرباب الدولة هذا الخطاب قالوا هذ هو الصواب وتكلموا المتعصبين للأمراء المجاهدين وشد منهم كل من له تقى ودين وانفطرت مرارة اللعين عقبه وماقدر أن يشاقق الحاضرين ورفعوا الأمراء الى السجن والمعتصم مطرق برأسه الى الارض لايرد على أحد جواب بل فكر فيما يدبر من الأمور والأسباب وهو متدم فى قتل الامراء ومؤخر وعقبه يحكى حكايات الملوك ومن قتلوا من الامراء والحجاب والكتاب ويعرض بذكر عبد الوهاب فى كل خطاب ويفتح الى قتله ألف باب حتى تقجى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وتفرقوا أرباب الدوله وختم المجلس ولم يبق إلا الخدام وهم فى الخدمة قيام وقد عول القاضى عقبه على الانصراف فلم يمكنه الخليفه من ذلك بل قال له أقم عندى فلى معك حديث فعاد عقبه الى مكانه وجلس وجعل تارة يقرأ القرآن وتارة ينزل منازل العلماء وأرباب الاديان وتارة يحكى أحاديث ملوك الزمان حتى صار ربع الليل وأقبل المعتصم على الوزير وقال له اعلم أن فى قلبى من هؤلاء القوم نارلاتطفى ولا أجد عليها اصطبار وما أطفى ما أجد من الاشتعال إلا بقتل عبد الوهاب والبطال وأنت الذى منعتنى اليوم أن أضرب منهم الرقاب وخوفتنى من ذات الهمة وبنى كلاب أتكون ذات الهمة أنفذ من أمرى فى البلاد وتقدر تجمع ما أجمعه أنا من العساكر والاجناد فقال الوزير يا أميرالمؤمنين ومن هى ذات الهمه فى الناس حتى تقاوم دولة بنى العباس وانما هو عفوك عنهم اذا وقعوا فى يديك هو الذى يقوى عزمهم حتى يتجرؤا عليك ولو انك اذا قدرت على أحد منهم أن تذل به الآخر انذلوا هم وغيرهم ولا يبق على وجه الأرض من يبذل فى وجهك سيف وذات الهمة اذا سمعت أن ولدها قد هلك انقطع اياسها وذلت وان هى أقامت فى هذه الارض والديار كانت نت فى شأنها أهل الأقطار وترسل لها عساكر الاسلام والكفارفيوقعوا بها الذل والدمار ولايبقوا من بنى كلاب ديار (قال الراوى) ولم يزل الوزير مع المعتصم حتى قال المعتصم لابد لى من قتلهم وأريد منك الساعة أن تقوم وتأخذ معك الخدم وتخرج البطال وعبد الوهاب من المطموره وتنزل بهم الى دجله وتركب بهم فى بعض الزوارق الى ان تصير فى وسط الشط وتربط فى رجل كل

واحدمنهما جرتين بعد أن تملأهما رصاص وترميهما فى وسط التيار ولاترميهما حتى تقلع عيونهما وتأتى بهما الى علامة فقال الوزير السمع والطاعة يا أمير المؤمنين ثم قام الوزير وقلبه قدامتلأ غضب على عقبه وعلى المعتصم كيف يسمع من عقبه وأرادوا الخدم أن يسيروا مع الوزير فقال الوزير مالى بكم حاجة غلمانى يكفونى وما ثم أمر يوجب مسيركم فقال عقبه أنا أسير معك ان كنت تحتاج الى من يعاونك فقال المعتصم لا يا قاضى أقعد أنَت عندى لأنى أخاف أن تراهم وهم سائرين الى التلاف فيرق قلبك عليهم وتسعى فى خلاصهم ولاترى فى ديتك هلاكهم ويعود يأتينا منهم مالا نريد فاقعد فقعد عقبه بغير اختياره وهو يقول فى نفسه وحق المسيح ما أردت هلاكهم إلاوعينى تنظر اليهم ثم جعل يحدث المعتصم ويشاغله حتى لايقع به ندامه (قال الراوى) وسار الوزير ومعه أربعة من غلمانه وأطلعوا الاميرين من المطموره وطلب بهما الدجله وأمر غلمانه فأتوا اليه ببعض الزوارق ورفعوا الاميرين اليه وطلع الوزير وأحدقوا به غلمانه حتى صار فى وسط التيار والاميران ينظران لى ذلك ولايعلمان مايرادبهما فأقبل البطال عليهما وقال ماالذى عولت ان تفعل بنا أيها الوزير فبكى الوزير وأخبرهم بالحال وقال والله لو قدرت أن أفديكما بروحى ومالى لفعلت ذلك ولقد توصلت الى خلاصكما بألف حيله فلم أقدر على ذلك وقد علمت انكما مظلومان وقد حرت فيماجرى فدبر أنت يا أبو محمد ماترى وما ينجيكما من الخطر والبلاء ولا ينالنى منه ضرر فانى فاعل ما أمرتنى فقال البطال عندى من الرأى أن تحضر اثنين من السجن يكونان قد قتلا واستحقا القتل ويكون الواحد أشقر والآخر أسمر وتقلع أعينهما وتغرقهما وتطلع بأعينهما الى أمير المؤمنين فتبرد قلبه وتبرأ أنت من التعب وتطلقنا وتربح ثوابنا ولايضيع ذلك عندنا فقال الوزير هذ هو الرأى الصواب ثم انه أرسل فى الحال الى السجن مع غلمانه واوصاهم ان يكون الواحد اشقر والآخر اسمر فاحضروا باثنين فى الحال فقال لهما الوزير ماحبسكما عند الخليفة ولأى سبب من الأسباب ؟ فقالوا أيها الوزير جرى منا الذنب ونستوفى ونجازى فيما فعلنا لاننا اخطأنا وقتلت انا فلان بسبب كذاوقتل الآخر رفيقى فلان بسبب كذا فقال الوزير على بذلك لكن استخبرتكما حتى شهدتما على انفسكما ثم ان الوزير أمر بقلع أعينهما فقلعت وأخذها الوزير ثم ثقلهما بالحديد والرصاص وأرماهما الى الدجلة فى التيار ثم أرسل الأميرين مع غلمانه يوصلوهما الى البصرة وينزلاهما فى مركب ويعودان ثم طلع فى الحال الى الخليفة واستأذن عليه فأذن له بالدخول وكان عقبه عنده فلما دخل الوزير بالاعين وكان الليل

قد تنصف فلما نظر الخليفة الى الأعين برد ما بقلبه وزال همه وغمه وقال هكذا عاقبة الظلم تعود على أربابها هذا وعقبه طار عقله من الفرح وقال يا امير المؤمنين وحق محمد ما تكلمت فى حقهما لأجل مافعلوا فى حق لان الدنيا مالها عندى قدر ولاقيمة حتى أبكى عليها وانما أبكى وآسف كيف يتحكمون فى هذه الدولة بعدى وينالوا مايشتهون والساعة فما بقى الا التدبير فى هلاك ذات الهمة وقد هديت الفتن فى الارض وتمهدت لك طولا وعرض فقال المعتصم اكتب الكتب الى سائر الاقطار واجلب العساكر الى العراق ولا أبقى احدا من أهل النفاق ثم دخل الى بيت الحريم وأقام عقبه مع الخدام وقلبه قد امتلأ فرح وسرور وغبطة وحبور (قال الراوى) وبعد ايام وصلت اجساد العيارين فى دير ريحان وكان الناس مشككين فى قتل الامراء وكانوا قدسمعوا بتغريقهم ولم يصدقوا ذلك فلما نظر اهل دير ريحان الى الجسدين وقد طلعوا عندهم ورأوا الواحد أسمر والآخر أشقر فحققوا القول بهلاك الامراء فبكوا عليهم (قال الراوى) وكان للبطال صديق فى دير ريحان يقال له محمد العيار فلما نظر الى الجسد جرى عليه مالا يجرى على أحد وأخذ الجسدين الى داره واقام الى الليل وستر الاثنين وحملهما وسار طالب مليطه الى عندالاميره ذات الهمه (قال الراوى) وكانت الاميره ذات الهمه قد قامت موضعا بعد مسير ولدها الى بغداد إلا أنها فزعانه من المنام وكانت متطلعة الى أخباره حتى وصلت الخيل التى كانت سارت معه وأخبروها بالحيلة التى تمت على الامير عبد الوهاب والبطال فوقع بها البلبال واضرم فى فؤادها نار الاشتعال وقالت ان سلم ولدى فى هذه النوبه فما يكون الا من العجائب لان قلبى قد ايقن بحلول المصائب فقالوا لها الواصين نحن بعدهروبنا سمعنا انالخليفه قد اهلك الاثنين وما عرف احد كيف كان هلاكهما وما امكنا نحن نتيم نصحح الخبر لاننا ما صدقنا بالنجاه (قال الراوى) فلما سمعت الاميره هذا الخطاب ايست من ولدها عبد لوهاب والبطال فوقع بها البلبال واشتعل فى قلبها نار الالتهاب وكذلك أولاد البطال ومافيهما إلامن بكى وناحواحترق فؤاده وصاح وعولوانينحدروا الىالعراق واذاقدم عليهم محمدالعيار ومعه الصناديقوفيهما الابدان ودخل على الاميره ذاتالهمه وهى فى بيت الاحزان وبكى فى وجهها وقال لها ماقد جرى وكانفعندها غابتالاميره عن الدنيا وقامت الى الصندوق الذى فيه جسد ولدها ونظرته فرأت السمك قد أكل وجوههما فضمته الىصدرها ونشرت شعرها وقطعت ذوائبها البيض لماعيل صبرها وتحادرتدموعهاعلى خدودهاونحرها وكشف التابوت وقالت الحمد لله اللهم لااعتراض

عليك يا ذا العزة والجبروت انت الذى تقضى وتمضى وتمرض وتشفى وتميت وتحيى وتفقر وتغنى وماأفعلهذا اعتراضا عليك ياذا العزة والجبروت ولامفرمنكإلااليك فبحرمة سيد البشر ونخر ربيعة ومضر الا مارزقتنى الصبر على القضاء والقدر وأن تعيننى على هـذه النازله التى طرقتنى عند الكبر (ياساده) وانهتكت عذينه بنت البطال لما نظرت الى جسد أبيها وغشى عليها من شدة البكاء والانتحاب وأصاب ولده الحصين أعظم مصاب وضجوا السودان وبنى كلاب وأرخوا العمائم فى الرقاب وقطعوا الشعور ودقوا الصدور ولطمت نورى على وجهها حتى غشى عليها وا كلت من شدة الحزن لحم يديها وفرحوا بنى سليم الفرح الشديد وكان ذلك اليوم عندهم مثل يوم العيد وقالوا لبعضهم بعض هذه النوبة كلها من تدبير عقبة بن عمنا الرجل الصالح وقد أنفذ الينا وأعلمنا بصفة الكائنة منذ وصل الى بغداد وأخبرنا انه كان يدبر على هلاك الأعادى والحساد ويدعو عليهم فى صلاته والاجتهاد وما كان الله تعالى بالذى يخيب دعاء تلك الشيبة التى ابيضت فىالطاعات وتعبدت فى الليالى المظلمات وسعت فىالمصالح والعبادات (قال الراوى) ولم يمسى المساء حتى بنت الأميرة على الجسدين قبرين ولبست السواد هى وجميع الأولاد وبنى كلاب والسودان والأنجاب وبقية النسوان والبنات والصبيان وجلسوا الناس للعزاء سبعة ايام وضعف بصر الأميره من البكاء لأنها كانت طول الليل قائمة وطول النها صائمة وهى للقبر ملازمه حتى نحل جسدها واندق عظما وانحنا ظهرها وهى ترثى الأمير عبد الوهاب بهذه الأبيات :

بكيتك لما طبق الشيب عارضى ... واعرض برق كالحسام لموع
فذكرنى أيام روض اجتماعنا ... أفيق وأرواح النسيم تضوع
وعاودقلبى الذكرأن يحن جبرة ... وأنت وقلبى والسرور هموع
جور أتاها عنـــد آخر عمرها ... مصاب امسى لاتحتويه ضلوع
فقدت اميرا كان انساً لوحشتى ... وكان لقولى سامعا ومطيع
وراياته قد فللت وسـيوفه ... مقاتلة والحاسدين هجـوع
ولا بد مما آخـذ التار بعده ... ولو أن أهـل الخافقين جموع
وأترك أطلال العراق خليـة ... قفارا ولايرجى لهن شفيع
سلمنا من الكفار فى كل محنة ... وكنا بأيدى المسلمين وقوع
فلو كان بين الروم أضحى مجندلا ... لكان لنا عذر هناك وسيع
ولـكن اضحى فى الميـاه مغرق ... تخطفه الحياة وهـو صريع

عليك سلام الله ماهبت الصبا　　وما عاد نبت يانع وربيع

(قال الراوى) وكانت نورى وبنتها عذيبة وجميع الأولاد كلما ندبت الأميرة ندبوا وبكوا وانتحبوا إلا أن أعظمهم اشجان وأشدهم مصاب عذيبه لأنها كانت كلما قامت وقعدت ترى قبر أبيها تندب وترثيه وتقول :

اياعين جودى بالدموع السواكب　　ولا تصبرى فالصبر ليس بموجب
لأن فؤادى ليس يطفى لهيبه　　اذا طربت روحى وحنت الى أبى
فيا ابتى لو يحضروا بك اخوتى　　بكل همام فى الأمور مجرب
يا أبتى اليوم أصبح عقبة　　بمقتلك فرحان اللعين بن مصعب
أيا أبتى نال المنى فيك عقبة　　وأصبحت تحت الأرض فى بطن سبسب
ايا ابت لا بد من صلب عقبة　　ولو علقت يدى المنون بمركب
أيا أخوتى قوموا لثار أبيكمو　　خذوه من الملعون والجاهل الغبى
وسيروا الى أرض العراق　　وقلبوا جوانبها ما بين شرق ومغرب
وجازوا أمير المؤمنين بفعله　　فيصبح ندمانا على فعله الغبى
ولا بد مما تقبل الروم نحوه　　وتقصده الصلبان من كل قمرب
فشفوا العدا من ترس قبر محمد　　ونكست الأعلام من فقدها أبى
فأبكوا بأجفان عليه قريحة　　ونوحوا على البطال فى جنح غيهب
وقولوا الرهبان الصوامع فتحوا　　صوامعكم وأسعوا الى كل مطلب
فقد مات من كنتم تخافوا جناحه　　ومن يحمى الحرب عين عترة النبى

(قال الراوى) ولما انفصلت أيام العزاء دخلت أولاد البطال وأولاد عبدالوهاب ومعهم جماعة من بنى كلاب والسودان والأنجاب الى عند الأميره وشاوروها فى أخذ التار والمسير الى بغداد فقالت الأميره ياقوم ما تحتاجون الى المسير الى بغداد ولكن اجمعوا ما قدرتم عليه من العباد فان الخليفة مافعل بالأميرين هذه الفعال الا وقدعول على حربنا والقتال ويقصدنا أين كنا وما يتركه عقبه يغفل عنا وما فى الأمر الا أن نخرج بنى سليم من عندنا ونقول لهم ارحلوا الى أميركم فى العراق وكونوا عنده فان الخليفة لابد أن يطلبنا ويرسل لنا عسكر من قبله فيثوروا هؤلاء الينا ثورة على غفلة منا وبعد هذا يا ظالم سر أنت الى الحجاز واجلب لنا من بنى أعمامنا وحلفائنا من يعيننا ويكون عندنا اذا طلبنا عدوا والا أقمنا مجاورين قبر أبيك ونحن نقيم فى وجوه الروم حتى ينفذ أمره فينا الحى القيوم فقال ظالم هذا هو الصواب ثم أمر من يومه

فنادت المنادية فى البلد أن لا يبقى أحد من بنى سليم الا ويأخذ ماله من الأولاد ويطلب بغداد ومن أقام بعد هذا النداء ثلاثة أيام أخذ ماله وحل به البوار (قال الراوى) فلما سمعوا بنى سليم النداء أخرجوا من ملطيه أموالهم ورحالهم ونساءهم وأطفالهم ولم تأتى ثلاثة أيام الا ومابقى فى البلد من بنى سليم أحد بل صاروا الكل ظاهر البلد ورحلوا يطلبون بغداد وقد نما الحسد فى قلوبهم وزاد وأصبحت منازلهم خاوية وأقام ظالم بعد ذلك ثلاثة أيام ورحل فى مائة فارس يطلب الحجاز ليجمع العرب ومعه من الأميرة الكتب بما جرى على ولدها عبد الوهاب من الأمور والأسباب وأنها تريد أخذ التار ليطفى ما فى قلبها من لهيب النار وسار ظالم على شط الفرات حتى قارب هيت وعرج طالب الحجاز (قال الراوى) فهذا جرى ها هنا (وأما بنى سليم) فانهم ساروا حتى وصلوا الى بغداد ودخلوا فى يوم مشهود وهم ينادون واشماتة الحسود أخرجنا من ديارنا وتشتتنا عن أمصارنا ومابقى لنا مجير ولا محامى ولا نصير وسمع الأمير عمر بذلك فخرج الى لقاهم وفرقهم فى الحارات والدور وأوعدهم بما تطيب به القلوب والصدور وقال لهم قلوا من هذا البكاء والانتحاب ففى هذه السنة تهلك بنى عامر وبنى كلاب ثم انه عاد الى حاله ودخل على المعتصم وأخبره بماجرى على قومه من البلية والضيم وكان عقبه بجانب المعتصم فقال يامولانا لقد خطر بقلبى أن ذات الهمه تفعل مثل هذا وأكثر ولكن ما أمكننى الكلام حتى لايقال أن لى فى هذا غرض وأننى أتكلم فى حق المسلمين الذين هم حماة الدين فقال المعتصم والساعة كيف يكون العمل فقال عقبه مابقى فى الأمر الا أن مولانا يكتب الى سائر الأقطار ويطلب العساكر من الرساتيق والأمصار حتى يهلك من بقى من هؤلاء الأشرار وتخبرهم بما فعلت حتى تنال ما أملت وان رأيت الأمر قد صعب عليك فكاتب ملك الروم وجميع ملوكهم حتى يأتون الى خدمتك ويعينوك على ارادتك لأن ذات الهمه لابد أن تنفذ لى الحجاز وتطلب النجده من العربان وتريد أن تأخذ بالتار وان صدقنى حذرى فيكون ظالم قد سار بجميع العساكر من الحجاز والصواب أنك تقدم فرسانه المشهورة الموصوفة وتكاتب الولاة المعروفة وتترك بعض العساكر تنتظر ظالم بأرض الكوفة وتسير أنت فى باقى الأمم الى ملطيه وتوقع بذات الهمة العذاب والبلية فقال المعتصم هذا هو الصواب ثم انه أمرا لوزير أن يكتب الكتب الى بلاد العجم والترك والديلم ويأمرهم بالمسير الى بغداد وكانت عديبه بنت البطال بعد أن سار ظالم الى الحجاز قد قالت للأميرة ياستاه ما لمقامنا هنا من حاجة فالصواب أن أخذ أخوتى وأسير الى بغداد

ونقيم فيها ونحن فى زى العوام ومهما جرى فى العراق من المقال طالعتك عليه فقالت الأميره افعلى ما ترين ودبرى ما تشتهين ها أنا مقيمة عند قبر ولدى وقبر أبيكى حتى أنظر ما يتجدد لنا فعندها أخذت عذيبه أخوتها وغلمان أبيها وسارت تطلب بغداد وكلهم فى زى العوام وعذيبه قد لبست السواد وبقيت كأنها من أولاد العجم التجار لأن وجهها كان أحسن من شمس النهار فهذا جرى ههنا (وأما ماكان من أمر الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال فان غلمان الوزير ساروا بهم الى البصرة وقد طاب الهواء للاقلاع لأنهم التجأوا مع قوم تجار سائرين الى الهند فنزلوا معهم فى المركب كما ذكرنا ولم يزالوا مقلعين مدة عشرين يوما وفى اليوم الحادى والعشرين لاحت لهم السواحل وأشرفوا على جزيرة كبش فهللوا وكبروا وأخذهم الفرح والسرور وقال لهم القبودان ياركاب كل من كان داخل السواحل فليتأهب ولا يخلى له شغل فى المركب فعند الصباح ان شاء الله تعالى يكون فى برها ان ساعدنا الريح وزقنا السلامة (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك الخطاب قال للبطال ماترى من الرأى ننزل فى هذه الجزائر وندخل فى بلاد الهند فقال البطال ايش لنا فى بلاد الهند نحن ننزل ههنا ونكون قريبا من بلادنا والديار ونستمع الأخبار أخير ما نخاطر بنفوسنا فى البحار ولايقر لنا قرار ولاصبر لنا على بلاد الشام ولا بد لنا من العودة ان شاء الملك العلام وما نعود حتى نسمع ما يسرنا من الأخبار حتى لايقع الوزير مع المعتصم فى العتب والتعب والاضرار فقال الأمير عبد الوهاب لقد قلت الصواب والله يا أبو محمد مالى صبر على العجوز الكبيره لأنى أعلم ما تلاقى بعدى من الفراق وما يجرى على قلبها ان هى سمعت بهلاكى من الاحراق فقال البطال لوصبرت أنت عن أمك فماصبرت أنا عن أولادى وزوجتى سيما ابنتى عذيبه لأنى يوما لا أراها أطول من سنة ولكن ما يقدر أحدا يرد القضاء والقدر (قال الراوى) ولم تزل المركب سائرة والريح يسوقها الى وقت السحر وهم سائرين فى قبضة القضاء والقدر واذا بالمركب يتمخض ويتقلقل فتأمله البطال واذا تحته دابة من دواب البحر فى قدر الجبل فقال المرباب ياقوم اغمضوا عيونكم ثم انه أراد أن يطوى القلع واذا بتلك الدابة قد نفخت نفخة وقرضت قرضة واذا بالمركب كل لوح منها فى مكان وقد شرب كل واحد منهم شراب العطب الا من كان فى أجله تأخير وقد أراد سلامته اللطيف الخبير وكان البطال قد عرف هذه الأمور ومعه منها أصول فلما انكسر المركب تعلق وطلب سلامة نفسه لأنه قد علم أن البر قريبا منه وكذلك عبد الوهاب ركب على لوح ولعب بهم الهوى فافترق

كل واحد من صاحبه وهو حزين على فقد حبائبه وقد سترهم الليل بغياهبه والبحر قد هاج وأظهر عجائبه (قال الراوى) ولما انفجر الصباح وأضاء بنوره ولاح مدالأمير عبد الوهاب عينه واذا باللوح الذى هو راكبه بقرب الساحل فأيقن بالفرج بعد ما كان أيس من الحياة وحل اللوح من يده واذا به واقف على حالته حتى سار على شط الجزيرة واذا هو بجماعة من الرجال يدورون بين الأشجار فسلم عليهم الأمير عبد الوهاب فردوا عليه السلام ثم نظروا اليه فرأوه عريان فقالوا له ياشيخ أنت غريق فقال نعم وقد من الله على بالسلامة فايش اسم هذه الجزيرة وأنتم ههنا ايش تعملون فقالوا هذه جزيرة تسمى جزيرة كيس صبح ونحن قوم طلبنا نجمع العقاقير ونداوى المساكين ثم خلع أحدهم ثوب وألبسه للأمير عبد الوهاب وغطى رأسه بمنديل وقال يا شيخ اطلب البلد واقصد دار الغرباء وهى دارالضيافه واقعد وكل ماطلبت يأتيك حتى يسهل الله لك العوده الى بلادك فقال لهم الأمير عبد الوهاب جزاكم الله خيرا فمن يقال لصاحب هذه الجزيرة فقالوا اسمه شطن وهو أكرم أهل الأرض وأدينهم (ياساده) فلما سمع الأمير عبد الوهاب كلامهم ودعهم وسارطالب البلد وهو متكل على الفرد الصمد وهو حزين على فراقه لأبو محمد البطال وهو يقول سبحان الله ماقضا أن نموت جميعا ولكن كان ذلك بقضاء الله وقدره ولم يزل سائر حتى أشرف على المدينة فرآها مثل الحمامه الراعبيه قصورها شاهقة وطيور زاعقه وأنهار متدفقه وخلق كثير وماء غزير فقال الأمير عبد الوهاب الحمد لله الذى فى هذا البلد من يوحد الله الواحد القهار ثم سار حتى توسط البلد وسأل عن دار الضيافة فأرشدوه اليها فوقف عليها واذا على بابها شيخ تقى الشيبة حسن الهيبة أسمر اللون مليح الكون عليه ثياب بيض وقدامه أربع غلمان حبش فعلم الأمير عبد الوهاب أن هذا الشيخ هو المطلوب فتقدم عليه حتى وقف بين يديه مثل بعض العوام والغربة مامعها عزة نفس وأنه لما سلم على الشيخ فرد عليه السلام وقال له مالك فقال له الأمير عبد الوهاب أنارجل غريب وغريق فقال له ومن أى البلاد تكون فقال له من أرض الحجاز فقال له وما اسمك فقال له اسمى عبد الوهاب فقال الشيخ ادخل الى الدار وابشر بالخير والايسار ثم قال الشيخ لبعض غلمانه افتح الحجرة الكبيرة وقدم بين يديه شيئا يأكل حتى أخاطب الملك فى شأنه ليجعل له كسوة وطعام فلا يخفى أنه من أرباب الانعام فقال السمع والطاعة يا مولاى ثم ان الغلام دخل قدام الأمير عبد الوهاب الى صدر الدار وفتح حجرة الطعام وهى حجرة لطيفة وغاب ساعة وعاد وعلى يده مائدة عليها الطعام وخبز

كثير وتركها قدام الأمير عبد الوهاب وكان جائع فأكل حتى اكتفى ورفع الغلام المائده وقام الأمير عبد الوهاب وجدد وضوءه ووقف يصلى ما فاته من الصلوات وأجفانه تفيض بالعبرات على فراق الأهل والسادات وعلى فراق والدته ذات الهمه وما تلاقى من الحسرات وعلى البطال كيف فارقه فى هذه الديار القاسيات وكان كلما جلس للتحيات يسبح الله تعالى ويصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم سيد السادات ويقول اللهم يا جامع الشتات ويامحيي الأموات وياعالم الأسرار الخفيات ويا كاشف البليات ويا باسط الأرض ورافع السموات ويامن تسبحه الجبال الراسيات وتقر بوحدانيته البحار مع الوحوش الشاردات ويسبح له سواد الظلمات ويحمده اصطفاق زواخر أمواج البحار الزاخرات وتخاف من سطوته الرعود والبروق اللامعات أسألك اللهم أن تجمع على عجوزى قبل الممات يامجيب الدعوات ويا قاضى الحاجات ولما كان الغد من أتته كسوة حسنة وأقام طول نهاره صائم وليله قائم وصار كل يوم يخرج الى ظاهر البلد ويسأل السفار ويلتمس الأخبار وفى قلبه لفقد أمه لهيب ونار (قال الراوى) ياساده فلما كان فى بعض الأيام خرج الوزير فأبصر الملك وقد انزعج ولبست أصحابه السلاح وخرجوا الأجناد الى ظاهر المدينة والملك شطن فى عساكره وسار الامير عبد الوهاب الى ظاهر البلد ينظر ما الخبر واذا بغبار قدر بدر مثل الليل اذا اعتكر وظهر من تحته عسكر مثل البحر اذا زخر كلهم سودان مثل القطران وتحتهم خيول مثل الغزلان وفى أيديهم الرماح السمر والبيارق الحمر والسيوف البتر وهم ينادون ياللنار والنور والظل الحرور وفى أوائلهم فارس أعظم من خلقة الجمل وهو بالحديد قد تسربل ويقول يا للنار أنا الأمير شطا الذى أصاب وما أخطا (قال الراوى) فلما نظر الامير عبد الوهاب الى ذلك العسكر الذى قد ورد علم أنه يريد البلد ونظر الى لمعان العدد وبريق البيض والزرد فتمرر مزاقه وانقلبت أحداقه وأخذته الغيرة لدين الملك الجبار ولما سمع بذكر النار والنور فاشتهى الحرب وعول أن يتقدم الى بعض الفرسان ويسأله عن الخبر ويطلب منه عدة يقاتل بها فى جانب العسكر اذا بالشيخ الذى أنزله فى دار الضيافه قد خرج راكب وخلفه الغلمان والخيول والجنائب فتقدم اليه الأمير عبد الوهاب وسأله عن الحال فقال له هذا عدو وقد ظهر علينا وهو أخو الملك شطن وهو ملك هذه الجزيرة والسبب فى ذلك الأمر أن هذا البلد كان له ملك ومات وخلف هذين الولدين شطن وأخيه شطى الذى قد أقبل وهو رجل جبار قاسى القلب على الأخيار يخالط الأشرار فتركوه الرعية ومالوا الى

أخيه شطن واطاعوه بعدأبيه وكانوا يشكوا من تجبر هذا الشيطان عليهم وظلمه لهم فطرده أخيه من هذه البلد فمضى من غيظه الى عباد النار واستمال قلوب هؤلاء السودان الاشرار الكفار وأباح لهم مال السفار والتجار وجمع هؤلاء الشياطين من سائر جزائر البحار وقدأتى فى هذا العسكر الجرار (قال الراوى) فلماسمع الأمير عبدالوهاب ذلك الخطاب زادت به الحميه وحركته النخوة العربيه وقال للشيخ ماتنعم على بجواد أركبه وسلاح ألبسه حتى أفرق هذا الجيش وأبدد مواكبه وأهزم صاحبه وان أراد ملككم هلاكه اهلكته وان أراد اسره أسرته فقال له الشيخ ياهذا ان النجابة من عينك لائحة وعليك شاهده ولكن نخاف عليك من هذه الكتائب لانك غريب ضعيف (ياساده) فقال الأمير عبد الوهاب ياأخى لاتخاف على من الحمام فمايقدرأحد على ردالقضاء اعطنى لامة حرب وجواد أركبه وانظرنى ومن هؤلاء العجب فعندها قال الشيخ لبعض العبيد اعطى هذا الرجل كلما يريدفماظنه إلا بطل صنديد (قال الراوى) هذا يجرى والسودان على أهل الجزيرة اطبقت وصاحت وزعقت وبكلمة كفرها نطقت والصوارم فى اكفها برقت وفاضت الدماء واندفقت والخصوم بخصومها قدتعلقت ولم تكن الاساعة حتى تكاثر العدد على أهل البلد ووقع فيهم النقصان فعادوا طالبين الجدران وقدقل منهم الانصار وانتصر موكب شطا عابدالنار على موكب أخاه وقدنظر اليه وحققه وضربه على عاتقة ضربة الحدد قطع ماعليه من الزرد ونزل السيف إلى جسده فجرحه جرحا مشبع وماعقل شطن حتى أخذه أسير وسلمه إلى سودانه ذليل حقير واذا بالصياح من جانب عسكره انعقد وعسكره قداندق عن البلد وفى أقفيتهم فارس أسود على حصان جرد وقدطلع على شدقيه الزبد وهو ينادى أناترس قبر النبى أحمد وناصر شريعة محمد وهو يضرب ضربات تهلك العدد وتقطع البيض والزرد حتى أدرك السودان الذى كان معهم أمير البلد وطعن منهم فارس فانقلب وآخر فتكبكب والثالث فمال عن المركب ورابع فشرب شراب العطب ونظروا السودان إلى ضربات تورث العطب لاتبقى ولاتذر فتخلوا عن الأمير شطن وولوا هاربين ومانع الأمير عبدالوهاب عنه حتى ركب وهو لايقدر على الثبات من ألما لجراح وعادت السودان لمانظرت إلى فعال الأمير عبدالوهاب وجرت من حوله مثل الذئاب وعاد مقدمهم شطا وقدزادبه الاشتعال وهو لايعلم من فعل هذه الفعال وتناخت ذلك الوقت الرجال وردت خيل الجزيره بقلوب مثل الجبال ودام القتال على هذا الحال حتى أقبل الليل بالانسدال واسبل على الخافقين سبل الدجا ونادوا الناس بالانفصال وعادوا عن الحرب والقتال

والأمير عبدالوهاب قدخلص الأمير شطن وأقبل به على البلد وهو من جراحه فى كمد الاأنه يقول لأهل الجزيره وعسكره ياقوم من كان لقولى سامع مطيع من قريب وبعيد يطيع للأمير عبد الوهاب الغريب فهو والله الذى جلا الظلمه وكشف الغمه وصان هذه البلده من عباد النار وحقن دماء الكبار والصغار ولم يزل كذلك حتى وصل إلىقصره وجلس على كرسى نهيه وامره وأتوه بالاطباء فشدوا جراحه وأسقوه الشراب المنعش فلما وجد الراحه أقبل على الامير عبدالوهاب وقال له ياشيخ جزاك الله عنى كل خير وعن المسلمين فقد شفيت الغليل وأرضيت الملك الجليل وأريدأسألك عن ماسمعت من فعالك الذى قلته وأنت غائص فى الحرب والقتال ونحن سمعنا أن ترس قبر النبى الماجد محمد صلى الله عليه وسلم الامير عبد الوهاب ابن الحارث بن ظالم بن الملك الصحصاح بن جندبه ابن الحارث الكلابى وان مقامهم فى الثغور فبحق محمد من أنت منهم فقال الامير عبد الوهاب أناسيدهم وأميرهم فقال شطن أنت ابن ذات الهمه أم المجاهدين فاطمة بنت مظلوم قال نعم (قال الراوى) فلماسمع الامير شطن منه هذا الكلام وعرفانه الامير عبد الوهاب وانه سيد بنى كلاب قام قائما على الأقدام ونزل عن سرير ملكه وقال ياأمير عبدالوهاب بحق البشير النذير ان تجلس مكانى على هذا السرير واعذرنى فيما فعلت فى حقك من التقصير لانى كنت بمعرفتك وبمكانك جاهل غير خبير والآن فبلدى هذه تحت يدك وتحت حكمك وان اناعشت كنت تحت يدك وان أنامت كنت أنت الأمير على هذا البلد والناهى فيها والآمر والأمر لك لأنك أحق واشفق منى على المسلمين وأنت أحق بهذا المكان منى ومن غيرى ثم أنه أوصى الاجناد والوزير والحجاب والامراء وأرباب الاقلام والعساكر والابطال كلهم جميعا بطاعته والقبول لمقالته فأجابوه جميعا بالسمع والطاعة لأجل ماأبصروا منه من القوة والبراعة والشجاعه (قال الراوى) فعندها قام الامير عبد الوهاب وجلس موضع الملك شطن على السرير مقدارساعة لأجل ماحلف عليه الملك شطن وأعاده إلى مكانه بعد مانزل من على السرير وقال له أيها الملك ماأنا إلاعبدك وعندك على سبيل الضيافة ولايجوزلى ان أحكم فى بلادك فانى لاأقدر على الاقامة فى هذه الديار الابمقدار ماأسمع عن بلاد الثغور من الاخبار وأعمل على قدر ماأسمع ثم أنه حدثه بماجرى من المعتصم وماعمل فى حقه فتعجب شطن من حال الأمير عبد الوهاب كرم نفسه فقال له لم لم ترسل الى أهلك ومن يتعلق بك يأتى الى هذه الديار وتملكون هذه البلاد والبحار ويقربكم القرار وتقيمون فى جوارمن يكافيكم وأول ماأسلم اليك هذه البلد وأحكمك فى نعمتى وان عشت

كنت معك من جملة الاجناد والركاب وأنتم الملوك والاصحاب فشكره والامير عبد الوهاب على هذا الخطاب (قال الراوى) وكان الامير عبد الوهاب مشتاق الى الحرب والكفاح غيرة منه على شرع سيدنا محمد المختار وغيظا منه على عبدة النيران (قال الراوى) وكان شطالما عاد عن قتال البلد ورأى الامير عبد الوهاب ولكن ماوصل اليه الا والظلام قدغشق والليل على الخافقين قدأطبق وشطايقول للسودان وحق النار ماكنا الا على غاية الاستظهار وكنا قداشرفنا على أخذ البلد لولا هذا الشيطان الذى لاأدرى من اين وصل الى هذه الديار وهذا المكان ولو كان بقى فى النهار اتساع ماكنت عدت عنه الا وهو مرمى فى البقاع فقالوا له السودان وحق النار لقدرأيناه من صناديد الرجال ورأينا منه مايذهل العقول والابصار على أنه شيخ كبير ولكنه نحرير وبالحرب خبير وما نريد منك عندالصباح الا تكفينا شره ونحن نكفيك شر أخيك شطن فقال على كل حال ماتريدون واناعند الصباح آمركم بالبراز فان خرج هذا الفارس المذكور وطلب البراز ورأيت فيه الشجاعة مايخرج اليه الا أنا فاذا خرجت اليه أخذت روحه من بين جنبيه وقطعت رأسه من بين كتفيه ثم أقام شطا فى هذه النيه حتى بدت غرة الصباح وقامت السودان تطلب الحرب والكفاح بعد ماأضرموا النار وسجدوا لها كلهم وطلبوا منها الانتصار على الامير عبد الوهاب وخرجت عساكر البلد وقدتقدم عليها الامير المهاب عبد الوهاب وهم فرحانين به لاجل قول الأمير شطن ولاجل مابان لهم منه الشجاعة والبراعة والمروءة وكان الامير شطن قدأصبح فى كرب عظيم من الجراح التى كانت فيه ومن عظمها أدعا بالامير عبدالوهاب وقدمه على جميع العساكر والاصحاب وقال له افعل مابدالك من أمر الملك الوهاب ولعلك أن تصون هذا المكان وتحميه من عباد النيران وتربح الاجر والثواب من الملك الديان الرحيم الرحمن فوعده الامير عبدالوهاب بخير يكون ان شاءالله باذن من يقل للشىءكن فيكون وأقام الامير حتى اصطفت الصفوف واعتدلت المئات والالوف عند ذلك خرج الامير عبدالوهاب الى الميدان وطلب البراز فى طاعة الرحيم الرحمن وأن يشفى قلبه من عباد النيران فخرج مثل الاسد الغضبان وتحته حصان مثل السرحان معود للطعان والضراب مدخر لوقت الجولان وفى يده رمح أسمر من عمل سمهر وعلى رأسه سنان يزهر مقلد بسيف ابتر رزين عريض أخضر صقيل مجوهر من ضرب الهند وسقاية السند ان أومأ به قطع وان هزه برق ولمع ثم ان الامير عبد الوهاب توسط الميدان وصال وجال حتى هدى شعث الحصان وتذكر أمه والديار وماتلاقى بعده من الاحزان ففاضت دموعه

من الاجفان وبكا على الاهل والاوطان وعلى بنى كلاب والسودان والانجاب وأخيه الامير أبي محمد البطال الذى قدخانه فيه الزمان ثم أنشد وقال .

رياح الصبا بالنسيم الذى يلاقيك من زمزم والمقامى
وإذا مررت بأرض العراق فاقرى ساكنيها سلامى
وهي على قلب تلك العجوز لتطفى نار الاسا والغرامى
فان سألتكى فقولى لها سالم ولكن غريب المقامى
يقلقه الشوق نحو الديار ويبكى بتعديد نوح الحمامى
ويستنشق الريح من أرضكم فتزداد نيرانه والغرام
وبعد فقد الاخ من بعدكم سلبه القضا منى فى بحر طامى
وكنت أرتجيه لى مؤنسا يؤنسنى بعد فقد الكرامى
فعاجلنى فيه ريب المنون ولم يبق لى من يرعى زمامى
وكذاك البلاء على عقبه فقابله الله دون الانامى
تشفى بنا واشتفى قلبه وقد نال منه بطيب الكلامى
وانى لارجو من خالقى تمام الذى أبصرته فى المنامى
نبينا الذى قاله صادقا محمد اعنى النبي التهامى

(قال الراوى) ولما انتهى الامير عبدالوهاب من كلامه قفزمن عسكر الكفار بعض السودان إلى قدامه وكان طويل عريض الاكتاف طويل بين السودان وتحته جواد نبيل ومعه صارم صقيل وفى كفه رمح طويل التعديل فجال مع الامير عبد الوهاب وقد سبقته المقادير وطرقته طوارق اللطيف الخبير وحكم عليه بنار السعير فلم يطل معه المجال حتى صاح به الامير المفضال وطعنه فى جنبه فوقع ومال وشرب كاس الوبال ومال عليه الامير عبد الوهاب وصال وجال وطلب البراز والنزال فخرج اليه فارس اعظم من الاول واقوى فى الشدة حيلة واطول واخشن رمحا واجل فلم يمهله الامير عبد الوهاب حتى تمهل حتى حمل عليه وطعنه طعنة الاجل فالقاه وطعنه فى صدره فخرج السنان فيه الى الرمح من الحشا وشتت الاوصال وتركه فوقع الى الارض قتيلا مثل قطعة جبل ثم طلب البراز فخرج اليه ثالث فقتله ورابع وخامس وسادس ونحو ذلك يقتل الفارس منهم بعد الفارس الى ان قتل من القوم ستة عشر فارسا من الصناديد فعند ذلك عجبت الكفار وتحيروا وتقاعسوا وقطعوا من الخروج اليه بالميدان وتوقفت الفرسان من ثقل الضرب والطعان وشكوا ذلك الى بطريقهم فقالوا له قد عظم الحال واعترفوا بالعجز عن براز هذا الامير عبد الوهاب المفضال فقالوا الله انك لتكثر من القتال

قدعرفت ذلك وماتوقفت عنه إلاحتى أبصران كان يصطلى براز الفرسان والآن فقد بان لى منه ماكان خافيا وتأملته تأملا شافيا وها أناخارج اليه فى حومة الميدان واقوده فى حبال الذل والهوان فقال بعض السودان وحق النار مادخل هذا الشيطان إلى هذا المكان إلاوهو آفة من الآفات وبلية من البليات ولايبرز اليه الامن فرغ أجله وقرب الى المقابر مرتحله هذا وشطا قد زعق عليه وقال له اسكت سكت حسك وعدموك أبناء جنسك ثم ان شطا خرج من غير بطا على جواد سريع الخطأ قدتجبر وسطا وكان الجواد الذى تحته من خيول اليمن وله خلق حسن يصلح للحرب والفتن وعلى صدره من الزرد مارأى مثله أحد ومتقلد بسيف مهند مثل مصباح إذاتوقد يقطع الجلمد وفى كفه رمح مسدد بسنان أجرد فجال قدام الامير عبد الوهاب وقدحير العقول والالباب ونادى وقال ويلك من أى البلاد أنت ياشيطان ومن يقال لك بين الفرسان فعند ذلك صاح عليه الأمير وقال له الويل لك أنت يا كافر بالرحمن ويامن ضل عن عبادة مكون الاكوان ومن عبادة النار والدخان وأماقولك من أنت فأنا الأمير عبد الوهاب سيدبنى كلاب ومقدم السودان الانجاب وترس قبر النبى الاواب وبلاد الثغور مولدى ومن أرض الحجاز والدى ورضاربى قصدى وعليه فى كل الأمور معتمدى وذخرى وسندى وهو معقدى ثم أنه أفشا وجعل يقول .

وان أكون عن جميع أهلى بعيد   قل فانى من الاله قريب
هو ذخرى فى شدتى ورجائى   واذا كان سيدى لاأخيب
وان بلانى بوحدتى فهو أنسى   أرقضا بالسقام فهو الطبيب

(قال الراوى) فلماسمع شطا شعر الامير عبدالوهاب صارت عينيه مثل الجمرالأحمر وقامت فى أم رأسه وشخر ونخر وتجبر ونقط الدم من مناخيره من كثرة الحدد وصرخ أشد من صراخ الأسد واومأ إلى الشمس وسجد وتلقاه الامير عبد الوهاب ولم يتزعزع من مكانه حتى علم أنه كل ومل من الاضرب والطعن هنالك حمل عليه حملة من خاص الاهوال والغار ودخلته الحميه لدين الملك الجبار وضربه بالسيف البتار وإذبراسه قدطار فعندها كبروا أهل المدينة تكبيرة الفرح والاستبشار لمارؤا شطا رأسه عن بدنه طار فعندها حملوا على السودان وقد انشرحت منهم الصدور وحمل عبد الوهاب فى أوائلهم كانه الأسد القسور وقاتلت السودان بعد شطا بكسل وفتور ساعة من النهار وقد طلبوا الهرب والفرار وقد عمل فيهم الصارم البتار ومنهم من استأمن وطلب الامان وعادوا أهل الجزيرة الى الامير عبد الوهاب ومعهم أكثر من خمسة

آلاف أسير ومن الاسلاب شيء كثير وكان قد ذهب من النهار أكثره وصار وقت الغياب فدخل الامير عبد الوهاب على شطن واذا هو فى غمرات الموت والنزاع فهناه بالسلامة الامير عبدالوهاب على ماجرى وهو لا يسمع ولا يرى فبكى الاميرعبدالوهاب وتلا شيئاً من القرآن العظيم الى أن صار وقت الاذان فقضى على شطن نحبه ولحق بربه وما اصبح الصباح الا وهو تحت اطباق الثرى وقد احتوى عبد الوهاب على الجزيره ومافيها واطاعته الأمراء والحجاب الكبار والصغار فأخلع عليهم واوهب من يستحق ومن لم يستحق وجعل يتقرب الى قلوب الناس بكل سبب قدم السودان المأسورين وأعرض عليهم الاسلام فأسلم منهم ثلاثة آلاف والباقى أبو عن الاسلام فأمر الأمير عبد الوهاب بضرب رقابهم فضربت الرقاب وسقاهم كاس البوار وأقام فى الجزيره يتنسم الاخبار ومايجرى فى الثغور ويبكى على الامير أبو محمد البطال مساء وأبكار (قال الراوى) فهذا ماكان من الامير عبد الوهاب (وأما ماكان) من البطال فانه لما فرق الموج بينهم ليلة الغرق بقى على رجل المركب ينظر بطرفه الى السماء والكواكب والموجات تلعب به مثل الجبال الراسيات وهو يتضرع بالدعاء الى رب المشارق والمغارب ويبكى على الأهل والأقارب والأولاد والحبايب حتى طلع عليه الصباح وتضحى النهار ومدعينه واذا بالبر أمامه وهو فى شدة شديدة فطلب البر بكل همته ومروته والماء يلعب بخشته حتى ألقاه على ساحل البر وهى جزيرة كبيرة واسعة الأقطار كثيرة الازهار والأشجار فطلع اليها البطال بردان جيعان وهو من الضعف والتعب فى أسوإ حال الا أنه فرحان بخلاصه من تلك الاهوال ولم يزل على الساحل مطروح حتى وجد القوم ورجعت اليه الروح فقام يمشى بين تلك الأشجار وهو كثير الافتكار فى الأمير عبد الوهاب وهو يقول ياليت شعرى ماجرى على الامير الاجل والكهف الاطل وماذا عملت به المقادير والاسباب ليت لو كنا جميع فى هذه الجزيرة والبحار حتى تستأنس ببعضنا بعض عن الاهل والديار فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن مايقدر الانسان أن يدفع الاقتدار ولم يرد ما حكم به العزيز الجبار (ياساده) ولم يزل سائر حتى تنصف النهار وهو مستوحش بين تلك الأشجار واذ بين يديه أنين فيم يطلبه وهو يقول يارب الأرباب ومعتق الرقاب لعل يكون هذا الامير عبد الوهاب ولم يزل سائر حتى وصل اليه وصار قريبا من الأنين الذى سمعه ومد عينه اليه واذا هو بشخص نائم على سرير وعيناه الى السماء شاخصة وهو يهمهم بلغة عربية من لغة

الجزائر فلما رآه البطال سلم فرد عليه السلام وقد حول وجهه اليه وقال ياشيخ من أين أقبلت فقال له البطال ياولدى أنا غريق وقد أرمانى البحر الى هاهنا وسماع أنينك هو الذى أهدانى اليك وايش تعمل أنت فى هذه الارض وكيف طابت لك الوحدة فقال الصبى أنا رجل مقعد وقد خلقنى الله تعالى لايدين ولارجلين بل جعل فى كل موضع عضو شىء يسير على قدر الرجلين وهى عروق مسداه منشقه مثل الأصابع الا أنها لاتحملنى أقف عليها ولا أقدر أن ابطش بها وأما قعادى ها هنا فما هو سدى على ان أبى ملك هيمور وهى منا مسيرة يومين وهو ملك جبار يطيعه سائر جزائر البحار وتحمل اليه الأموال من سائر الأقطار ولم يرزق غيرى وما أنا أصلح الملك ولا أنا له أهل فأنف منى وخاف أن يبلغ خبرى الى الملوك فتنقص منزلته عندهم ويعايرونه بى فأظهر أنه رزق ولد ذكر ومات وعول على قتلى ظلما وعدوان فلم تمكنه أمى منى وقالت له أنت ما عليك منه انتذه الى موضع لايطلع له منه خبر ولا يطلع عليه أحد من البشر وأكون كلما اشتهيت أن أنظر اليه أمضى اليه وأنظره وأرجع اليك لكوننا ما رزقنا الله غيره فقال لها افعلى ما بدا لكى فأنقذتنى الى هذا المكان وأوصت على الغلمان وصاروا يأتونى كل عشرة أيام بما يكفينى الى عشرة أخرى من غير علم أبى وأمى تأتى الى كل شهر مرة واحدة تنظرنى وتعود مقهورة وأنا قاعد ها هنا على هذه الحاله وحيد فريد وقربة ماء معلقة الى جانبى كما ترى وما عبر بى أحد غريب ولا قريب فى هذه المدة غيرك وما رأيت أناثا من هذا الطريق الا أنت ياسيدى (قال الراوى) فلما سمع البطال كلام الولد وشكواه رق لحاله وحزن عليه وقال والله ماعيشك وعيشتك طيبة ولكن القضاء والقدر لايرد ثم أنه جلس معه على السرير وقد أنس به وقال له أقيم اليوم والليلة ها هنا حتى ترجع الى نفسى وآكل شيئا من الزاد وأسير الى الجزيرة ثم أنه مد يده وأكل من زاد الغلام وقام يسأله عن الجزيرة وأهلها فقال الغلام ياعم ان قلت لك على حاجة تقضيها لى ولا تكسر قلبى ولا خاطرى فقال له البطال أى والله ياولدى وكيف لا أقضى حاجتك وقد أكلت من زادك وطعامك فقول لى ما الذى تريد فقال له الغلام أخاف ما تفعل فقال البطال أنا أحلف لك أننى أقضى حاجتك اذا قلت عنها وكنت قادر عليها فقل ما تشتهى فقال أريد أن تحملنى على عاتقك وتمشى بى فى هذه الجزيرة وتفرجنى فيها حتى آخذ بيدى من هذه الفواكه آكل فاننى أكثر حسراتى أن أنتقل من موضع الى موضع أتنزه فيه فقال البطال اركب على عاتقى وافعل ما بدا لك فأركبه وسار به الى أماكن الجزيره وفرجه يمينا وشمالا

وأطعمه مما أراد وأراد الرجوع فزجره وضربه بسيقانه ضرب أشد من ضرب السياط (قال الراوى) ولم يزل البطال حامله يدور به حتى مضى من الليل النصف وبقى ما يقدر على الحركة من شدة التعب والنصب فلما تعب البطال قعد الى الارض واستند الى بعض الشجر وقال ياغلام انزل حتى ننام وأنا احلف لك اننى أعود اليك قبل الصباح فقال لا ياشيخ وأنت عاقل وعارف حيلى كيف آمن عليك وأنزل من على كتفك هذا ما يكون أبدا وان كان ولابد لك من النوم فنام كما أنت ساعة وأنا راكب مكانى لأنى انا ما انام الا فى كل شهر ليلة واحدة وباقى الشهر أسهر ومن أيام نمت والى تمام الشهر فرج فقال البطال لاشك ان هذا من الجن قد اعترضنى فى هذه الجزيرة يلعب بى ويضحك على والا فما هذه صفة الآدميين ثم استند الى شجرة من بعض حتى صار وقت السحر والغلام يهمهم على أكتافه ويغنى وقد دلف سيقانه على أكتافه مثل الأوطار ولم يبق له الى الخلاص سبيل ان أنه ان حس به يتحرك من تحته قال للبطال قوم ياشيخ ماشبعت نوم واسترحت والى كم تنام وأنا سهران عليك فقال له البطال نعم أنا نمت طيب جزاك الله كل خير فقال قم الساعة حتى تنفرج على بهجة الصباح ونأكل من هذه الفواكه الملاح وأنت فلا بد ما أقول لغلمانى اذا أتوا الى يجعلوا لك الجراية والكسوه وتكون عبدى ها هنا فقال له البطال أحسن الله جزاك ثم قام به وصار يدور ويقول ماخلق الله هذا النحس فى هذه الصوره الا وهو ساخط عليه ولاساقنى اليه الا وهو ساخط على (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح جعل البطال يدير عينيه فى الجزيره لعله يرى حشيشة يعرفها أو شيء يطعمه اياه ينومه أو يقتله بها فلم يرى شيئا يعرفه فلما أعياه فيه الحيل قال يا غلام ايش قولك فيمن يرد عليك يديك ورجليك فقال وكيف تقدر على هذه الحالة فقال له ياولدى أنا رجل حكيم وعرفت الساعة ها هنا شجرة كنت أرى الحكماء تجلبها الى بلادنا وتطعمها للمقعد ففى تلك الساعة يجدد الله له الحيل والقوى فقال له ياحكيم افعل ماتشاء فأنا من على أكتافك ما أنزل ولا أبرح حتى أنظر رجلين أمشى بهما مثل رجليك ويدين مثل يديك فلما سمع البطال ذلك زاد به الغيظ وجعل يدور على شجرة العنب يقطف منه المستوى حتى جمع منه حمل حمار وعصر الكل فى حجر منقور صوان وخلاه فى ذلك اليوم والثانى فقصرته الشمس وحر النهار وصار يغلى كغليان القدر والبطال يتردد اليه والغلام بين كتفيه يأكل من فواكه الجزيرة ويبول ويتغوط عليه والبال صابر ويقول ليتنى كنت غرقت فى البحر ولاجرى الذى جرى ولكن اذا كتب على جبينى

شىء ما أقدر أدفعه ولا أتعداه (قال الراوى) ولما كان ثالث يوم أتى الى الجرن فرأى العصير قد هدى من غليانه وقد استحال طعمه من الحلاوة فقال للغلام انزل ياولدى واشرب وانظر من هذا الدواء العجب واعلم أن لكل شىء سبب وأريد اذا رجعت اليك يديك ورجليك تشهد لى عند أبيك وأمك بما رأته عيناك وما فعلت فقال له الغلام ماتحتاج أنت توصيتى بشىء طاطى الى الجرن حتى أج مجة وأنا موضعى فقال البطال أنا أعلم أن هذا الأمر عظيم وهذا ابن الزانية ماينزل هكذا ثم أنه طاطى الى الجرن وترك الغلام فمه فيه وجعل ينهل حتى قامت عيناه ودار الخمر فى أعضاه وشال رأسه للراحة وقال والله ياحكيم ماذقت قط أطيب من هذا الشراب ومن اليوم ما بقيت أفارقه ولا أنت ياحكيم ومن منفعته ها أنا أحس به يجرى فى سائر عروقى والعصب وقد طاب عيشى وأخذنى الطرب فغنى لى حتى أعود أشرب وأبشر من أمى بالخلع والذهب (قال الراوى) فلما سمع منه البطال هذا الكلام علم أنه قد عمل فيه المدام فغنى له وصفق بيديه وعاد قربه من الجرن فشرب نهلة أخرى وكان آخر عهده بالدنيا فلما أحس البطال بذلك رماه من على كتفيه على سريره وهو لا يصدق بذلك من غيظه منه ومما جرى عليه عول على قتله ثم رده عقله وقال هذا على كل حال مايعرف الله وما سمعت منه الكفر وأخاف ان قتلته طولبت به وبدمه فى الآخرة هذا وقد سلمت من أهله فى الدنيا وما الا أطلب الجزيرة وأتركه على هذه الحالة فيكفاه داء وفيه (قال الراوى) ياساده وكان البطال قد سأل الغلام فى هذه الأيام عن طريق الجزيره وقال له من أين طريق الجزيره فأرى له نحو الجزيره فلما خلص منه ركب الطريق وسار حتى وصل آخر النهار الى آخر الأشجار وأشرف على سواقى وأنهار وبساتين وضياع ورستاق كبير وعالم كبير فلما نظر الى ذلك أنس بهم وعاشت روحه وبات فى آخر الضياع وسأل عن المدينة فقالوا له بقى بينك وبينها دون اليوم ففرح بذلك وصار متفكر فيما جرى عليه ومتفكر فى الامير عبد الوهاب ويقول ترى يكون فى قضاء رب العباد يجمع بيننا فى هذه البلاد بعد غرقنا فى البحر وتفرقنا (قال اراوى) ولم يزل كذلك حتى أصبح عليه الصباح وسار يطلب البلد وقد رفق قوم من أهل الرستاق وصار يحدثهم حديث بلاد العراق وهم يسمعون حديثه ويتعجبون ويطعموه مما يأكلون اذا ذكر لهم أنه كان أمير يضحكون ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على مدينة هيمور فرأى مدينة مثل الحمامة البيضاء وضجيج العالم الذى فيها قد ملأ الفضاء فدخل اليها وقد قارب المساء الا أنه منكس القلب لايدرى أين يمضى (ياساده) وهذا فعال الغرباء لأنها تذل السباع وتنكس

رأس البطل الشجاع الا ان البطال قصدالى بعض المساجد فدخل فيه وأقام فيه الى وقت صلاة المغرب واجتمع الناس خاص وعام وأتى الامام فصلى فرض الملك العلام فلما تفرق الناس وعول الامام على الانصراف رأى البطال فى زاوية المسجد قائما وعليه أطمار رثه من ثياب ان السواد وصورته غريبة وحليته من خلقته عجيبه فعلم الامام انه غريب بعيد الدار فخرج ساعة وعاد ومعه غلام يحمل شيئا من الزاد فتركه بين يديه وجلس وقال بسم الله ياهذا الشيخ تقدم للعشاء فتقدم الأمير أبو محمد البطال وجعل يأكل والإمام يستخبره عن حاله ويقول أنارجل غريب بعيد الدار كنت أصحب التجار وأسافر فى البحار الى ان كان فى هذه السنه غرقنا قريبامن هذه الجزيره. وسلمت أناعلى رجل المركب بعد مابنت الأهوال وأشرفت على العطب والوبال لكن كان قدبقى فى عمرى مدة طويله حتى أتمم ماقدبقى على جبينى من الشدة (قال الراوى) فلما سمع الإمام هذا الكلام ونظر الى طرافة بدنه علم أنه من تربية النعم فطيب قلبه وسلاه وحادثه حتى مضى من الليل قطعه وانصرف الامام الى منزله وقام البطال بعده. الى خدمة الملك العلام تحت غياهب الظلام وجعل يصلى ويبكى ويدعوا الى الله عزوجل ويشتكى الى ان فرغ من ورده وصلى ركعتين ونام الى الصباح واذا بالامام قد دخل عليه ومعه ثياب من ملابسه فناوله اياها وقال له ياشيخ أقم ههنا ضيف فى المسجد ولاتضيق صدرك من شىء فلك أسوة بى وبأهلى فشكره الطبال على ذلك وأقام فى المسجد لعله يسمع للامير عبد الوهاب خبر أو يقف له على أثر وكان الامام كلما صلى يتحدث معه فيجده حلو المنطق عذب الكلام غزير المعرفة بالاحكام فقال له فى بعض الايام لم لاتقعد فى جنب هذا المسجد تعلم الصبيان الخط والآدب لانه كان عندنا مؤدب ومات فاذا قعدت تربح الاجر والثواب ويأتى اليك الفضة والذهب وأنا أجيب الى عندك ابن كل محتشم فى هذا المحل ويكون لك منهم المنفعة الجيده فقال البطال افعل مابدالك فانى مطيع لافعالك فلماسمع الملك ذلك صبر حتى اجتمعوا الناس. للصلاة وأخبرهم بماجرى وقال ان هذا الرجل يعلم أولادكم الخط والقرآن والادب والحساب وهو رجل من أهل الدين وفقيه من فقهاء المسلمين ففرحوا أهل المحله بذلك ووعدوه بكل جميل ولما كان من الغد ثانى نهار قعد البطال فى جنب المسجد يعلم الاولاد وأتت اليه الصبيان من كل جانب ومن بعيد وقريب وصار يعلمهم القرآن والعلم والكتابة وأملا عليهم الرسائل وأبواب الحساب ومامضت عليه عشرة أيام حتى كثر عنده الجمع الكثير من الأولاد وسمعوا به بياض البلد ومحتشمته فنقلوا أولادهم اليه

وصاروا يهدون له الهدايا وينعمون عليه الا ان البطال نظر الى روحه بعد الامارة والنهى والأمر والمماليك والغلمان والدور والخيل والمواشى والانعام والاقطاع والبلاد وفزع الخلفاء والملوك من حيله وتعجب السلاطين من عمله وقدصار فقيه يعلم الصبيان القرآن فقال الحمد لله على كل حال وهذا أحسن من حملك هذا الشيطان خمسة أيام ويخرى عليك يابطال فعجب من تقلبات الزمان من حال الى حال فسبحان من هو كل يوم فى شان وقال هذا قدحكم به ربى على عند الكبر وجرى به القضاء والقدرثم صار يكتب الصبيان بأقلام مختلفه ويمثل لهم فى ألواحهم خطوط غيرمؤتلفة ويملى عليهم درر الكلام وغرائب العلوم ابن العالم يعلمه طرائق العلم والحديث وابن القاضى يعلمه علم القضاء والاداب بين الخصمين وابن الوزير يعلمه طرائق الوزارة وصار يقرى كل أحدغير القرآن ما يناسبه بحسن النظام حتى شاع ذكره فى البلدونظروا أهل الفضل الادب الى خطه فعلموا انه انسان كامل مسدد فقصدوا اليه الحكماء والكبراء مثل البحر الزاخر فما بقى فى المدينه من فيه حسن الاوأتى اليه وقرأ عليه وصار تلميذاً بين يديه ونقل من المسجد الى دار كبيرة وصارله حال وجاه ونعمة كثيره الاان قلبه الى الوطن والأولاد شوقه الى بلاد الثغور كل يوم يزداد وأصعب الاشياء عليه فقد الأمير عبد الوهاب وعدمه فى مثل هذا المكان والوحشة له والبعد عن بعضهم بعض (قال الراوى) ياساده وكان صاحب المدينه رجل كبير يقاله جرنوش وكان جبار ظالم لايجنب المظالم فأتى اليه بعض الايام كتاب من ملوك السودان وكانوا أصدقاء وبلادهم داخل بلاد الهند فأتى منهم كتب مراسله بلغات مختلفات فأعرضها الملك على الوزراء فلم يقرؤامنها حرفا واحدا فيها فاستدعى قاضى البلد وأحضر العلماء والحكماء والكتاب وأرباب الكتب أرما المراسله بين أيديهم فمافيهم من عرف يقرأ مافيها العلماء عجزوا فصعب ذلك على الملك جرنوش فقالت له أمراء البلد الذين عرفوا البطال يامولانا ههنا رجل معلم فهو يعرف هذه الخطوط المشكلات وان كانت مختلفات والمسائل الغامضات مايعرفه أحدا غيره فاحضره اليك أيها الملك فانه يقرأ هذه الكتب والافما فى الدنيا بعده من يعرفها ولامافيها أبدا (قال الراوى) ياساده فلما سمع الملك ذلك قال ائتونى بهذا الرجل الامام لعل يكون فيه من العلم مالايكون فيكم (قال) ياساده فعندها نزلوا العلماء من القصر الى البلد ساعة وعادوا والبطال معهم الا انه لما رأى المجلس محتفل بالناس والملك جالس منكس الرأس أطلق لسانه وسلم بلسان القوم ونثرونظم حتى حاروا الحاضرين مما به تكلم ورفع الملك رأسه عند سماعه كلامه وقد

عجب من اطلاق لسانه وثبات جنانه وقال له اجلس ياشيخ فقد علمنا انك تنطق عن علم كثير وما يخفى أنك كنت أميرا أو زيرا كبيرا اقرأ لناهذه الكتب وبين لنا معانيها فقد عجزوا عن ادراك ما فيها دولتى فعند ذلك أخذ البطال الكتب ونظر خطها وتبين شكلها وضبطها وحروفها ونقطها وميزها وحسبها وقرأها كأنه قد كتبها فلما سمع الملك ذلك فرح غاية الفرح ومال قلبه الى البطال وانشرح وقال مثل هذا الرجل ينبغى أن يكون وزير وأنتم لافرق بينكم وبين الحمير ثم أمر بالخلع فجعلت على البطال وسلمت اليه مفاتيح خزائن الأموال الذى للملك وجلس فى دست الوزراء والوزير الكبير صار من تحت يده وأطاعته أرباب الدولة والأمراء وأشار على الملك بالعدل فى الرعية فأجاب الى ذلك وقال له تولى أمرهم واقضى فى البلد بأحسن قضية وفتش فى المحابيس الذى عليهم الدم والدين واقضى بينهم بأحسن قضية فعندها وهب وتكرم بجميع ما كان جاء اليه وما أعطاه له الملك وحاسب على الديوان وخلص المال وسيب الناس من الحبوس وبطل غالب المكوس وجاد على الفقراء والمساكين وأنعم عليهم فدعوا له العوام وأحبه الخاص والعام ومضت أيام عكوسه وقطوعه وزالت وعادت نجوم سعده واستقامت وغلبت سعادته سعادة الملك جرنوش فمات بعد ما استوفى أيام أجله والساعات ولم يبق لأهل المدينة ملك الا البطال لأن الوزير فرح فى الملك الذى مات وقال يكون هذا الرجل الملك وأكون أنا وزيره لأنه يصلح للملك وأنا الوزير فخاطبه بالملك وكل أهل الدولة خاطبوه بالملك والإماره بعد الوزارة ورضو به عوام البلد وتجارها فأزال عنهم المكوس ورد عنهم المظالم وأخذ للمظلوم حقه من الظالم وبقى يأمر وينهى ويسامح بالخطا حتى شاع ذكره وعلا أمره وصار يركب فى موكب كبير وعسكر يشرف على البحر والتجار ويتنسم الأخبار من الديار الى أن كان فى بعض الأيام وهو على ساحل البحر واذا بمراكب قد أقبلت والى الساحل قدوصلت فقال البطال لبعض الغلمان اسأل هؤلاء القادمين من أين وصلوا والى أينهم قاصدين فغاب الغلام ساعة وعاد وهويقول يا مولانا هذه مراكب قد وصلت الى الهند مقلعة من بلاد البصرة وهم داعيين لك بطول البقاء ودوام النعم ورأيناهم أيضا يدعون لرجل قد ملك جزيرة كيش ويقولون انه قد طرح عنهم غالب المكوس ورفع عنهم وما يأخذ الا العشر والحقوق الشرعية كما فعلت وانى سألتهم عن اسمه فقالوا ما هومن هذه الديار وهو رجل غريب دين زاهد عابد يقال له الامير عبد الوهاب قد جمع فيه الشجاعة والدين والكرم وحسن الشيم فالله يمد فى عمره وينفذ فى البحر أمرك وأمره

(قال الراوى) ياساده فلما سمع البطال من الغلام هذا المقال كاد أن يغشى عليه وفاضت بالدموع أجفان عينيه من شدة فرحه بسماع ذكر أخبار الأمير عبد الوهاب واستحى من الأمراء الذين حوله والحجاب وعاد من وقته وساعته الى البلد ودخل الى دار المملكة التى كانت للملك وأصرف الناس ودخل اليها وخلى بنفسه وكتب من وقته كتاب الى الامير عبد الوهاب يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فهذا كتاب من الغريب المشتاق القلق القلب من شدة الفراق الى الأمير عبد الوهاب الزاهد العابد والأخ المجاهد الذى يقابل القضاء بالرضا ولا يعترض على المولى عند نزول البلاء أعلمك بأنى خامك البطال وقد سلمت من الغرق والأهوال وجرت لى عجائب وأمور من بعضها تذوب الصخور وكانت العاقبة بحمد الله خير والفرح والسرور وقد صرت صاحب مدينة هيمور الا أن قلبى من أجلك فى نار لظى وأنا أتقلب لفقدك على جمر اللظى لأنى ما رأيتك هالك فاسلوك ولا علمت أنك سالم فارجوك بل كان قلبى بين الخوف والرجاء وأجفانى مقرحة من البكاء أقاسى السهر والعناء وما زلت أتنسم الأخبار وأسأل التجار والسفار حتى سمعت بأنك ملكت جزيرة كيش وانتصرت على الكافرين فعلمت أن الانسان بسعده لا بأبوه وجده بل باقباله يعيش إلا أننى حمدت الله عز وجل على سلامتك والبقاء ورجوت من ربى قرب الاجتماع واللقاء وقد زاد طمعى فى لقاك الا ياس وأخذنى الى لقاك الوسواس وأنا أقول كما قال بعضهم حيث يقول :

شوقى يزيد على الصفات   مالا يؤلف باللغات
شوقى كشوق غزالة   لم تدر ما طعم الشتات

(قال ياساده) ولكن لا اعتراض على من علينا قضا بل نأخذه بالقبول والرضا وفراق الأمير كان قد أنسانى فراق الاخوان وأشغلنى عن ذكر الأوطان الذى نادى فينا وفيهم ريب الزمان وان كان الخليفة قد أبمونا وأقصانا والى هذه الديار أنفانا فان الله سبحانه وتعالى يرعانا كنا فى بلادنا مكرمين وبين أصحابنا معظمين وههنا نحن سلاطين ومعظمين وقد ملكنا الله بنياتنا هذه الممالك ولكن القلوب تطلب الأوطان والخلان والأولاد وكذلك فى القلوب أوفى مكان وما أقدر أشرح من الشوق أكثر ولا أقل إلا وأنت تعلمه ولا أذكر ما يقلبنى والا وقلبك يشهد لى بذلك ويفهمه وأريد جواب الكتاب بما أنت معول عليه والسلام عليك كلما هبت الرياح وما غرد القمرى وصاح ثم انه سلم الكتاب الى قاضى هيمور وأنزله فى حراقة سريعة السير وأقلعه من يومه وسار (قال الراوى) ولما سار القاضى عبا أبو محمد الخيام والسرادقات

التى كانت للملك وعبأ جميع ما كان فى الخزائن وما يحتاج اليه هذا ما كان من البطال (وأما القاضى) فانه سار ومعه الكتاب ولم يزل سائر الى أن وصل الى مدينة كيش وكان الأمير عبد الوهاب قد افتكر فيما جرى عليه وعلى صاحبه البطال فبكى وأن وأنشأ يقول :

أيا عين جودى بالدموع السواكب ... ولا تجزعى فالصبر أقصى المآرب
فياليتنا أن يجمع الله بيننا ... نعود كما كنا بحسن المراتب
سيبكى على البطال كل مهذب ... وكل كريم طيب من أطايب
تحكم فينا عقبة نجل مصعب ... لعين كفور كاذب فى الكواذب
وأفجع بى قلب العجوز التى لها ... مع الله ظن صادق غير كاذب
مجاهدة قد أنحل الصوم جسمها ... وفى كل يوم تبتلى بالمصائب
ولكن لعل الله يجمع بيننا ... ونبلغ من عقبه جميع المآرب

(قال الراوى) وما فرغ الأمير عبد الوهاب من شعره حتى لاحت له الحراقة وأبصرها بعينه وهى تشق البحر قاصدة اليه فقال لغلمانه ائتونى بخبر هذه الحراقة وأبصروها من أين قد وصلت فقالوا له السمع والطاعة ثم انهم ساروا الى جهة البحر ثم غابوا مقدار ساعة وعادوا الى الامير عبد الوهاب وهم يضحكون وقالوا له يامولانا ان هذه الحراقة فيها قاضى هيمور وهو رجل عالم زاهد قد أتى اليك رسول يقول ان رجل قد ملكه جديد ويزعم أنه صاحب عقل سديد وقد أنفد معه كتاب وهو يريد الجواب فلما سمع الامير عبد الوهاب هذا الخطاب رجف فؤاده وكثر به من ذكر البطال الوسواس ونادى يامن يجمع الشمل بعد الاياس ياربى ويارب الناس ترى يكون هذا الكتاب من البطال وهو طيب حتى يكون حديثا عجيب تتحدث به الناس سير ويتعجبون من القضاء والقدر ثم قال لبعض غلمانه ائتونى بالرسول على عجل حتى أسمع مايقول فلم تكن الا ساعه حتى حضر الرسول بين يدى الأمير عبد الوهاب وصقع له وسلم عليه فقال له الأمير عبد الوهاب ياشيخ من هو صاحبك ومن أين أرسلك وأين الكتاب الذى حملك أيها القاضى فقال القاضى يامولاى أما الذى أرسلنى فهو السيد المسعود الكريم الآباء والجدود الذى مثله فى هذا الزمان مفقود الامير الأجل حمود وهذا كتابه اليك ولا أمن عليه أحدا غيرى فتبينه أنت واعرفه واعرف خطابه اليك ثم ناول الكتاب الى الامير عبد الوهاب فلما رآه تبين عنوانه وقراه وعرف خط أبو محمد البطال وبان له الصدق من المحال وما زال يقبله ويضعه على عينيه والرسول

قد بهت اليه وقال صحيح أنه غلام صاحبنا لأنه لما عرف خطه وقع عليه البكاء من شدة فرحه بسلامة مولاه (قال الراوى) ولما فرغ الأمير من قراءة الكتاب خلع على قاضى هيمور وخلع على أصحابه الذين معه الخلع السنية وأضافهم الضيافة الحسنة ثمانية أيام وهم يحكوا له ويضحك وكتب لهم جواب الكتاب بعد أن أحسن اليهم يقول فى أول الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم) أما بعد فانى حمدت الله على سلامتك وفهمت ما ذكرته بالتصريح ونريد نطلع الى بلاد العراق على الخيول العتاق ونكافىء من اصطنع معنا هذا الجميل بمثله ونكون عند خروجنا من هذه البلد ملثمين الى أن تبلغ غرضنا من الخليفة ونؤمن الوزير بعد الخليفة وأريد أن لانترك شغلا الاونعمله وأنا فى رأس الشهر أقدم عليك بمراكبى وأصل اليك برجالى ولولا أن المراكب فرغت لما كتبت الاجواب الكتاب والسلام عليك ورحمة الله وبركاته (قال الراوى) وطوى الكتاب وسلمه الى رسول البطال وأمره بالارتحال وعاد الى حراقته هو ومن كان معه من جماعته ورفعوا القلاع وساروا طالبين قلعة جزيرة هيمور وهم من ذلك متعجبين من هذه الأمور وطاب لهم الريح فوصلوا من الغد وهم سالمين غانمين وحضروا قدام البطال وهم مسرورين فناوله الكتاب فزاد به الفرح والسرور لما سمع بعودة الامير الى الثغور وأحضر من يومه أجناد الجزيرة ثم عرض عليهم المسير معه فأجابوه منهم ثلاثة آلاف وخمسمائة وقالوا نحن لك وبين يديك خلد الله نعمه عليك وما نبخل بأرواحنا عليك فشكرهم على ذلك وكتبهم فى ديوانه وأعطاهم الأموال وأوعدهم بالاقطاع والنوال وشرع فى تحصيل المراكب بالشراء وبالكراء والعمارة وتقويتها بالأخشاب وأقام ينتظر الأمير عبدالوهاب ويستعد للاقامات والضيافات حتى انقضت الأيام التى قد بقيت فى ذلك الشهر وهل الهلال حتى مضى من الشهر ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أشرقت المراكب تلعب بها الامواج وهى تشق ذلك البحر العجاج وكان البطال على الساحل وعسكره وحوله بياض البلد ووجوه الامراء فلما نظروا إلى المراكب السلطانيه قد أقبلت أمر البوقات تضرب فضربت وصاح القراء بقراءة القرآن وكان يوما ماروئى مثله فى الزمان الماضى فى هيمور (قال الراوى) ولما سمعوا أصحاب الأمير عبدالوهاب تلك الأصوات الهائلات ورؤا عبيد أبو محمد على جنب البحر يلعبون ويرقصون ودقت العبيد المراكب بأكعابها وصاح الرئيس عليهم حتى تطلعوا والاغرقتوا كلكم فدقوا الدبادب ورقصوا حتى قربت المراكب من الساحل وطلعوا وهم خمسة آلاف أسود غير العسكر الذى جاء مع الامير عبد الوهاب وطلع الامير ومشى وسعى إلى

الأمير أبو محمد البطال ووقع كل واحدمنهم فى صدر صاحبه يبوسه وجعل كل واحد منهم يشكو ماعنده من الوحشه لفقد أوطانه وحبايبه وقدمت لهم الخيول والجنائب العربيه لان أبامحمد البطال سأل عن الخيل فدلوه على عرب هناك فى البرفبعث لهم واشترى منهم ألف حصان وألف حجره وبعد ماتشاكيا وتباكيا ساعة زمانيه ثم ركب الاميران ودارت بهم الفرسان من كل جانب ومكان وفرحت المقيمين بالقادمين وكل واحد من جماعة أبو محمد أخذو مشيت قدامهما الشجعان حتى وصلاالى البلد وخرجت الاقامات والطعامات الذى استعدهالهم أبو محمد البطال ونزل عسكر الامير عبدالوهاب ظاهر البلد ثلاثة أيام ونقل البطال الى المراكب مايكفى الرجال والعسكرين الى العراق. وخلف على البلد هيمور نائبه وكذلك كان فعل الامير عبد الوهاب وفى اليوم الرابع طلعت الرجال وقدصاروا ثمانية آلاف وخمسمائة كلهم رجال الحرب وليوث الطعن والضرب وقداستكثروا من العدد واقلعت المراكب بعدحل القلوع وشرعت الشروع وصاروا طالبين البصره على كف الرحمن أول يوم والثانى تاهوا فى سعة البحر (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء الاميرين (وأما ما كان) من أمير المؤمنين المعتصم فانه كتب إلى سائر البلدان وكذلك كتب الى بلادالترك والتركمان والى بلادخرسان واجتمعت عليه العساكر من كل مكان حتى صار فى العراق خمسمائة ألف من والترك الفقجق سوى أصحاب الديوان وكان هذا الأمر برأى اللعين عقبه لأنه أشار على الخليفه فكتب الى سائر البلدان ان بنى كلاب قدارتدوا على دين الاسلام وطلبوا ان يقلعوا دولة بنى العباس ويولوا الخلافة لأحدهم ويمنعون الحج الى بيت الله الحرام وقد أهلكت منهم من كان عليه الاعتماد وأريد ان أقلع أثر الباقين من البلاد فلما وصلت هذه الرساله الى بلاد خراسان وبلاد الاتراك فلما سمعوا ذلك خرجت هذه الطوائف المختلفة الاجناس من جوله الموكب المريع وكان المقدم على الاتراك آق سنقر والمقدم على الاعجام والديلم والخراسانيه المتولى على بلاد اصفهان (قال الراوى) هذا والمعتصم بهذه المملكة يكون فرحان وقد فتح الخزائن وأخرج الاموال وخلع على الامراء والابطال والمقدمين والامراء بعد ما يصنعوه فى كثرة هذه الخلائق وقالوا الذين يتنصبون لبنى كلاب واعراب والاميرين فلعت اطمعهما والله يجعلان أثر المجاهدين من اهل هذه البلاد والديار ويجعلها عقبلة للكفار ويلوه أن الاسلام الخبيث فيها بعد ما يرى القصاص ويقتلون الكبار والصغار (قال الراوى) فعزل لنا المعتصم بأنه يريد الى مدينة الطيبه الى الحجاز من جملته الف فارس ... ثلاثمائة ألف من بنى كلاب وعشرة آلاف من السودان الانجاب وهو على ثبتهم

إلى العراق يطلب ثار أبيه عبد الوهاب فلما سمع المعتصم ذلك أحضر القاضى عقبه واعلمه بالخبر الذى سمعه عن الامير ظالم فقال له عقبه يامولانا قدحسبت هذا الحساب والصواب أن ترسل من هـذه الاتراك بعض ملوكهم فى خمسين ألف ومن الاعجام والديالم مثلهم وتأمرهم أن يسيروا اليهم ويقطعون الكوفة وأرض النجف ويمسكون على هذا الشيطان راس الطريق الى أن يصل ويلتقوه هو ومن معه من الاعراب من بنى كلاب وان يسقون الكل بالنشاب شراب العطب والعذاب ويأتون بظالم أسير ومن قدروا عليه من ذلك الخلق الكثير حتى إذا سرت الى ملطيه كانوا كلهم مشهورين بين يديك فى الحبال والقيود والاغلال وتشرف بهم ذات الهمه فتقطع اياسها من الفرج ولا يبقى لها من ينجدها ولا يخلصها وتهلك بسوء عملها وفعلها وتعلم أنها لاقت ماقدمته يداها (ياساده) فلماسمع المعتصم هـذا المقال والكلام شكر عقبه وقال له ماقصرت فيما به أشرت ثم أنه من ساعته. أحضر آق سنقر ملك الترك وقال له قدكنت معولا بكم الى ملطية واهلك من فيها من الاعداء واتم الى بلاد الروم واملككم اياها واجعل مقامكم فيها والآن قدعاقنى عائق عن هذا الطريق فقال آق سنقر ياأمير المؤمنين ومن هو ذلك العائق الذى عاقك فقال له قد جاءنى الخبر بان ظالم قدسار الى الحجاز واستنجد على بالعرب وعاد يطلب العراق ليأخذ ثار أبيه منى الذى اهلكته من زمان لاجل النفاق فقال له آق سنقر ياأمير المؤمنين لاتشغل قلبك بهذا العائق فأنا أكفيك شره ولو أن معه كل من فى الأرض ثم ادعى باياس القفجق وضم اليه مائة ألف من الترك وقال له أريد أن تسير الى الكوفة واذا وصل اليك هذا العسكر فلا تبق على أحد منهم ولا تعود الا والكل معك أسارى فقال له سمعا وطاعة ولو أمرتنى أن أسير الى الحجاز آتيك بكل من فيه من العرب لفعلت ثم رحل من يومه يطلب الكوفة (قال الراوى) وقدذكرنا أن عذيبه بنت البطال وأخوتها مقيمين فى بغداد لأجل مايجرى من الأمور حتى يطالعون به الأميره ذات الهمة والأمير ظالم الا أن عذيبه لما نظرت الى هذا العسكر سائر الى ظالم أقبلت على أخوها مذبحون وقالت ياأخى أخاف على الأمير ظالم من هؤلاء الترك الذى قدسارت تلتقيهم وأنا فزعانة عليهم من سهام هذه الترك فقال مذبحون فما الذى نعمل قالت يمضى منكم واحد مع هذا العسكر فى زى الترك واذا قارب ظالم يتقدم اليه ويعلمه بسيرهم اليه حتى يأخذ أهبته للقائهم أو يوسع فى البر فقال لها مذبحون أنا أسير مع هذا العسكر واعلم ظالم لأن مابقى لنا من نرجوه غير الله عز وجل والأمير ظالم والأميره ذات الهمة (قال الراوى) هذا ما كان من

عذيبه ومذبحون (وأما ماكان) من ظالم فانه سار على طريق الحجاز لثار أبيه وعمه البطال لأنه كان يحبه كثير ومعه ثلاثين ألف من بنى كلاب وعشرة آلاف من السودان الانجاب وهو فرحان بمامعه من الفرسان يطلب أقرب الطرقات وقلبه قدطار لأجل أخذ الثار لايقرله قرار ولايهدى ليل ولانهار لأن أرض الحجاز مدهشه موحشه لافيها حس حسيس الازجر الجن أولاد ابليس فقطعها ظالم بتواتر السير والمراحل وطوى فيها المنازل حتى وقع فى أرض طيبه قدجرت عيونها وتمايلت غصونها وازهرت أزهارها وتجاوبت أطيارها بألحانها مناهلها متدفقة وروايحها فائحه (قال الراوى) فلما نظر الأمير ظالم الى ذلك المكان نزل فيه واستراح ورفق بالمسير والسيران وقال سبحان الله قدغضب على تلك الأرض واوحشها ورضى على هذه الأرض فآنسها وبالزهر نمنمها واثمرها (قال الراوى) وماتم كلامه حتى سمع صرخة عظيمه ارتجت لها الأرض بأقطارها وتراجعت الخيل بركابها وبهتت عيون الفرسان وارتاعت العبيد السودان فقال ظالم للخيل المتدفقه ويلكم ماالخبر فقالوا ياأمير قدظهر علينا عامر هذه الأرض وهو شيطان أسود أغبر يطير من لحاظه شرر النار وقد قبض بيديه أسد قسور وقد نحره بأسنانه كما تنحر البقر وهو ينهل من دمه ويهمهم وينهر ولما سمع حسنا قد صرخ وزجر وخيلنا قدعادت من هول صراخه تتقهقر الى وراء وهو لايسمع ولايرد جواب (قال الراوى) ولماسمع الأمير هذا الخبر تحير وسار فى اوائل الخيل يطلب هـذا بقلب أقوى الصخر الجلمد حتى أدرك الأسود وإذابه قابض على الأسد وصياح الاثنين قدعلا الاان الأسود قدمسك بصدغيه وهزها بقوته فشقها الى حد أذنيه فلما نظر ظالم الى ذلك قال ماهذه الفعال الافعال بطل من الابطال (قال) فتقدم اليه الامير ظالم وسلم عليه فوثب الأسود وقدطلع على شدقيه ضرايب الزبد وقال له أهلا وسهلا بالأمير الأجل انزل أيها الأمير أنت وصحبتك حتى أضيفكم وأسوق لكم سباع هذه الغابه الى بين أيديكم فقال له ظالم يافتى جزاك الله خيرا من أنت من سكان هذا المكان فقال يامولاى ما أنا من هذه الأرض ولا لى فى هذه الأرض أكثر من ثلاثة أيام ياسيدى أنا من أرض النيل وديار مصر السعيده باب مكة أتيت الى عبدان وجده وتوصلت الى مكة وأنا سائر الى العراق وطالب بلاد الثغور فى طلب أخ لى قدضاع منى من زمان يقال له اللملمان ابن دويب بن أبى الفراطيس وقدقاسيت الشدائد ووقعت بعدالشده فى هذه الأرض القليلة الماء والزاد والمقاصد لأنى لا آكل إلا من لحم السباع فيها بلا خبز ولا ملح (قال الراوى) فلما سمع الأمير ظالم هذا

الكلام ثم ترجل الى الأسود وضمه الى صدره وقال له يافتى طب نفسا وقر عينا فأخوك
عندنا فى صحبتنا وقد فارقناه وهو فى ملطيه فى غاية الاكرام والانعام فقال جعبر
يامولاى وأستاذه الامير عبد الوهاب ايش كان منه أنا سألت عنه فى مكة فقيل لى
ان الخليفة وعقبه قتلوه فقال ظالم كذا كان ومادخلت الى بلاد الحجاز ومكة وجمعت
هذه الجيوش الا حتى آخذ تاره ممـا قتله فقال جعبر يامولانا أتعبت نفسك ولو
وقعت عينى عليك قبل جمعك الرجال ما تركتك تعانى وكنت أنا وحدى سرت بين يديك
وأفنيت كل من فى أرض العراق ولو كانوا بعدد الأشجار والأوراق والآن فما بهذا
العبيد عندهم من باس فعندها أخذه الأمير ظالم وعاد أمر الناس بالنزول للراحة فى
تلك المروج الفائحة ليأخذوا حظهم من الراحة والى راحة الخيل فنزلوا بنى كلاب
ونزلت العبيد الأنجاب فى هذا المكان وهم متعجبين من جعبر أخو اللملمان (قال الراوى)
فلما نزل ظالم وحضر الطعام وقال جعبر أخو اللملمان بسم الله ياأخى دونك والطعام
فصقع وتأخر وقال يامولاى لاتعودنى على مالا اعتدت به لانى منذ خلقت ماأكلت
الا اللحم الأسود الكاسره لأجل انى كنت اتعانى العلاج وشيل الحجاره والعلاج
بالعمود والساعة لما تفايقت الفروسيه صرت أقاتل بهذا الدبوس الخفيف (قال الراوى)
وكان معه دبوس حديد وزنه ثلاثون رطل وفيه حلق غلاظ إذا هزه عند الجولان
ارتجف قلوب الفرسان وان ظالم لما سمع منه ذلك المقال علم أنه لايقاس بالابطال
فقدمه على جميع العبيد الذين معه وجابهم من بلاد بعيده بعد ماشاورهم فى ذلك
فرضيوا به لما نظروا من فروسيته وقوته عند الاسر (قال الراوى) وأقام ظالم بالناس
فى تلك الأرض بقية يومه وليلته ورحل عند الصباح فقطع البرارى والبطاح وجعبر
فى أوائل السودان راكب الجواد الجواد الذى أعطاه له الأمير ظالم كلما جاع نزل
وطرد الوحش واصطاد منها وشواها واكلها وكان يأكل بغير نار ولا نضاج لأنه لا يعرف
ولا فرق عنده بين أن أكل الاسد ولا يأكل لحم الدجاج وعنده كانهما سواء وبعد ذلك فضل لحم
الأسد على لحم الدجاج (قال الراوى) ولم يزل سائر بالجيش لا [illegible] بينه
[illegible] مسيرة يوم [illegible] ليلته فقال ظالم للناس من هذا المكان خذوا أهبتكم للحرب
والطعان [illegible] أن لا يكون [illegible] فلما وصلوا الى الجليه [illegible] عسكر [illegible]
[illegible] (قال الراوى) فلما سمعوا الناس
ذلك [illegible]
[illegible]

وأخبره بأن العساكر بين يديه مبرزة من الكوفة وقد مسكت عليكم الطريق بأمر الخليفة والقاضى عقبه وعذيبه أختى قد أرسلتنى من فزعها عليكم وعلى هذه الرجال لتدبر تدبير يعود نفعه عليك وعلى هذه الابطال (قال الراوى) فلما سمع الامير ظالم تم فى سيره حتى بقى بينه وبين القوم دون اليوم وأنزل أصحابه يأخذون الراحة حتى صار بعد العصر وزوال الشمس والاصفرار وقال لهم يابنى عمى اركبوا وتأهبوا وقد عولت ان أكبس فى هذه الليلة تحت الظلا ونكبسهم فى الخيام حتى يبطل حكم نشابهم وتبطل عنا حكم السهام ولايطلع علينا النهار بالصباح الا وقد بلغنا الآمال وقضينا الأشغال وغنمنا المال والخيام بعون الملك المتعال فقالوا مشايخ العرب هذا هو الصواب والرأى السديد ونحن نفعل ما تريد ثم ركبت العرب وأبطالها الصناديد وأيضا ركبت السادات والعبيد وركب جعبر أخو الململان قدام السودان كأنه فيل من الأفيال فى ذلك الزمان وساروا على هذا الترتيب حتى صار وقت السحر وأشرفوا على نيران عسكر الأتراك والقفجق وهى قد خمدت نارهم وعيونهم رقدت وهم آمنون من ريب المنون فلم يشعروا الا والصراخ قد ارتفع والفرسان عليهم قد انطبقت والسيوف معاهم فى الخيام قد لمعت فثارت الرجال وانزعجت وطارت قلوبها وانخلعت وصاح جعبر فى جانب العسكر بذلك الصوت المذعر وهز دبوسه حتى كاد يطير حلقه ودعس فى الأتراك وزاد حنقه فما ضرب فارس الا وكردسه ولا رأسا إلا وهرسه (قال) وكانت الاتراك (ياساده) خيولها فى البريه مقيده وقسيها مرخيه فما فيهم من عقل على نفسه الا وخصمه على رأسه يقتله فهنالك حارت العقول وعملت الصول وزل الفارس البهلول وتدمدت الابطال عرضا وطول وكان ليل مهول الى أن بدا الفجر بوجهه الضاحك وبربرت الاتراك وقد عملت فيهم سيوف المهالك وصاحت وماطلعت الشمس على البيداء إلا والارض ملآنة بالقتلى مخضبة بالدماء وظالم وصاحبه قد ملكوا الخيام والأسلاب ونزلوا باقى يومهم فى هذا المكان للراحة الى أن كان من الغدو رحلوا يطلبون الغزاة (قال الراوى) ياساده وأما المنهزمين فانهم وصلوا الى بغداد وهم لايصدقون بالنجاة وكان الخليفة قد برز الى تل عرقوب والعساكر دائرة به من كل جانب ومكان وقد ملأت المشارق والمغارب وهم فى انتظار اياس الجفجق والاتراك الذين معه أن يأتوا بالامير ظالم أسير وأصحابه حتى يشهرهم بين يديه على الجمال ويرحل بهم حتى يكونوا أهيب لاشرافه على الأميره ذات الهمه فلما أشرف عليه كبار المنهزمين

وركبت الفرسان وتباشرت الشجعان ودخلوا الخدام على الخليفة وأخبروه بخبر الغبار فقال لهم كنا فى الانتظار ثم ركب وقال قولوا للقاضى عقبه يخرج فى القراء والفقهاء ويستقبل أهل البغى والنفاق حتى نشهرهم قبل مسيرنا من العراق ليبلغ خبر فى سائر الآفاق فساروا الخدام الى عقبه وأخبروه بذلك فركب وركبت الفقهاء والعدول لأن قوله فيهم مسموع مقبول وقد نجح الطيلسان وهو بذلك الأمر فرحان وهو يقول انقطعت دوله بنى كلاب ولما صار قدام الخليفة خدم وترجم وقال يهنيك يا أمير المؤمنين بظفرك بالاعداء المنافقين وهذا كله ببركة دعائى فى هدؤ الليل الطويل وندائى وارتفاع شيبتى وبكائى (قال الراوى) ولم تكن الاساعه حتى انكشف الغبار وبانوا المنهزمين للنظار وإذا بهم الاتراك وهم لايكادون يعرفون هذا يده معلقه فى حلقه وهذا حامل سرجه على عنقه وهذا فردة مداسه على رأسه وهذا قد وقعت أسنانه وأضراسه وهذا قد تعبت فرسه وهذا قد انقطع من شده الجرى حزامه فلما رأى انهم عساكر الاتراك بقى كل ناظر اليهم باهت حائر وقدم منهم جماعة بين يدى آق سنقر ملك الاتراك فرآهم على شرف الهلاك فقال لهم ياويلكم ياويلكم كيف كان حالكم وأين حاجبى اياس فقالوا أيها الملك أما حالنا فانا كبسنا فى الليل وضربنا بمضارب الويل وما حسبنا بالعرب والعبيد الامعنا فى الخيام ونحن غارقين فى بحر المنام فالذى قاتل مناقتل فجأه والذى هرب فهو كما تراه وأما حاجبك اياس فعدمناه وطلبناه عند الصباح فما وجدناه (قال الراوى) وكان قتله جعبر أخو اللملمان فى ظلام الليل وما عرفه لأنه أدركه وقد خرج من السرادق وهو لايعى على نفسه فضربه ضربة بالدبوس أخلطه مع أضراسه (قال الراوى) ولما سمع ملك الأتراك ذلك كان من شدة الحنق أن يغشى عليه وقد انقلبت عينيه ومن شدة ما لحقه لم يعد الى الخيام ولم أخذ اذن الخليفة بل سار بنفسه يطلب ظالم والآثار والإقامات والقرب بالماء وأن عقبة خزى وقال للخليفة يامولانا هذا شىء لم يكن فى الحساب ومابقى فى الامر إلا أن تفرق العساكر وتدركهم قبل أن يغوصوا فى البر ويصعب عليك طلبهم فقال المعتصم هذا كان يجرى اذا كنت أنا عدمت من الدنيا ثم انه أنفذ كل فريق فى طريق وكان ظالم وأصحابه تركوا الثقل مع جماعة وقالوا ترفعوا فى هذا المكان الى ورائى حتى تعرفوا أمرنا مع هذه العساكر وإلا ارجعوا الى مكة وسارت العساكر طالبة ظالم من كل جانب ومكان وسار الخليفة فى باقى الناس وقد امتلأت الدنيا بالمواكب والكتائب (قال الراوى) وكان ظالم بعد الكثرة قد جد فى سيره حتى قطع الانبار وتعلق بأرض جيت وهو فزعان من

الطلب موقن بالعطب وهو يجد فى السير والهرب أربعة أيام وفى اليوم الخامس تارت عليهم الغبائر وظهرت العساكر مثل البحار الزواخر فاندهشوا من كثرة العدد ولمعان الزرد وبربرة الاتراك وصياح الافيال وازدحام الاعاجم وهمهمة الديالم (ياساده) ولما وقعت العين على العين لم يستريحوا ولم ينزلوا بل صاحوا من كل جانب وحملوا ونظر ظالم الى ذلك فأيقن أنه هالك وكشف رأسه ونادى بجعبر أخو اللملمان وقال يا أخى هذا يوم الاستشهاد والاشتهار وفيه نلحق الامير المجاهد الى دار القرار لأننا مطلوبين من هؤلاء الاشرار وقد اطلع على نياتنا الملك الجبار فاحمل بنا لعلنا نأخذ التار قبل الهلاك والبوار (قال الراوى) ولما سمع جعبر هز دبوسه وهدر وزمجر وحمل ظالم ورفقاه واشتغل كل انسان بماعناه وأشرف المعتصم فى باقى الناس من عسكر العراق فرأى الحرب قائمة على ساق وقدم والرجال تعلقت بالاطواق وكان عقبه الى جانب الخليفه فقال يامولانا أأمر باقى العسكر بالحملة عليهم والاطباق ولا يأخذك رحمة على أهل النفاق فقد أخرقوا حشمتك غاية الاخراق فعندها أمر الخليفة باقى العسكر فحملت على ظالم وزادت نار الحرب واشتعلت وتعلقت الأنفس وتململت (ياساده) فما قولكم فى أربعين ألف يطبق عليها أضعافها من ترك ومثلهم ففجق ومثلهم عساكر العراق ومثلهم عجم ومثلهم عرب وسائر العساكر وهى تطلب تلافها وهلاكها بفتنة القاضى عقبه وعقبه قد أفتاهم فى ذلك الامر وقال كل من قتل من هؤلاء المنافقين واحد نال الجنة يوم الهول والشدائد وان كان عليكم فى ذلك إثم فانه فى رقبتى والله على بذلك شاهد وكانوا كلما سمعوا ذلك من كلام عقبه رأوا قتلهم أفضل من قتل الكفار واندفقوا عليهم مثل البحار فضاعوا فى كثرتهم وقاتلوا على قدر قوتهم حتى تنصف النهار وقد بقى منهم عشرين ألف الا أنهم ماهلكوا حتى أهلكوا أضعافهم وأشرف الباقى على التلاف وترجلت اليهم الاتراك ورمتهم بسهام الهلاك فبطحت الخيل وصرعت ركابها وأيقنت النفوس بذهابها ولله در ظالم وجعبر فلقد فعلوا افعال منكرة لما تلقا من الصور وضربا فى المواكب حتى وقع فى أيديهما الخزل واخترقا جنبات العسكر والدم من أجسادهما قد انهمر فوقع جعبر فى مواكب الاتراك وقاتل حتى ما بقى فيه حراك ووقع جواده من كثرة السهام التى أصابته ومارجع حتى أهلك ثمانين غلام وقبض وقد أثخن بالجراح وتشتت لهواته من العطش والصياح ووقع ظالم فى موكب الديلم وضرب فيهم ضرب من أيقن بالعدم الى أن كل ومل وانقطع منه الطمع وضرب جواد بعامود حديد فوقع الى الارض وقاتل ظالم بعد ذلك حتى نصرع وأخذ وقد قتل من الديلم سبعين فارس صميدع ووقع

بعد ذلك الفناء فى العبيد وبنى كلاب واستوى القريب والبعيد ونهبت مهج العرب من بنى كلاب والعبيد من ضرب الصفاح وانصرعوا بسهام الاترك فى البطاح ولم يأتى آخر النهار حتى خلت من أصحاب ظالم الديار وكانوا بين اسير وقتيل وشريد وأسروا خمسة آلاف عبيد وعشرة آلاف من بنى كلاب وهلك خمسة عشر ألف وهرب عشرة آلاف بطل ثم أحضروا الاسارى قدام المعتصم وفى أوائلهم الامير ظالم وجعبر فقال لهم هكذا عاقبة البغى تعود على أربابها وتهلك أصحابها ثم أمر الخليفه أن يستوثقوا منهم بالحديد وجعلوا فى رقابهم الحبال حتى يعلموا الناس ان الله لايخذل دولة بنى العباس ففعلوا بهم غلمان الدار ذلك الأمر وتوكلت بهم الاتراك لأنه قتل منهم فى هذه الكره مائة ألف غير ما قتل من العساكر المجمعه وكل هذا فتنة عقبه قابله الله بما يستحقه وأقام المعتصم الى ان أصبح الله بالصاح ورحل يطاب المعشوق وقد أمر كل أمير له ثقل أو شغل فى بغداد يتجهز الى ملطيه ولما وصل الى المعشوق أقام أيام حتى تكاملت المواكب والكتائب والعساكر ووصلت الاثقال وقضوا الناس الاشغال ورحل الخليفه يطلب ملطيه وقد أشهر المأسورين على الجمال وتركهم بين يديه والاتراك دائرة بهم وكلما أشرفوا على بلد وخرجوا أهلها يتفرجوا على العساكر يتقدم عقبه بين يدى المأسورين ويفتح حلقه ويقرأ (رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا) فمن يتعصب لبنى كلاب والأمير عبد الوهاب ويراعى أيامهم يلعنه ويقول والله يا كافر مامرادك الا هلاك المسلمين يالعين ويبكون على الأمراء ومن كان يحب عقبه يدعوله ويستحل ذلك والمعتصم سائر حتى قطع نصيبين وقارب الى بلاد آمد ونزل بالناس عليها ليأخذ الراحه وإذا بالأمير عمرو بن عبيد الله قددخل عليه ومعه جاسوس وقد وصل من مدينة القسطنطينيه فقال ياأمير المؤمنين اسمع مايقول هذا الجاسوس من الخبر فقال الخليفه قل يامبارك ماعندك من الأخبار فقال ياأمير المؤمنين أخبرك ان الملك الفالوغص الذى كان للروم قدزالت دولته وانقرضت مملكته وقد تولى على الروم مالك جبار يقال له ميخائيل الميمونى لأنه من بيمند ابن ميمونه المجنونه وهو آفه من الآفات وبليه من البليات ما نشأ لمثله من عبدة الصلبان ولا يسمح بمثله الزمان لافى خديعته ولافى مكره وأمافى حومة الميدان فلايقاس بالفرسان على أنه صبى صغير السن ومن شدة قوته انه لايقاتل إلا بالرماح البولاد الخراسانى اجسامها واسنتها كلها قطعة واحده وقال انه مايقاتل بالرماح الخشب الاكل رخو السواعد قليل القوة وكل يوم يخرج هو وغلمانه إلى الميدان ثم يملواله أعدال من الرمل حتى يشيلها من

اليمين الى الشمال ومن الشمال إلى اليمين ويطلب الرمح البولاد ثم يجرى بالجواد فى الميدان ويطعن العدل الرمل بالرمح فيعلقه على رأس السنان والبطارقه تعوذه وتستجير من فعاله وقوته والفرسان تخافه ولا يزال كذالك الى ان يتعالى النهار ويصير وقت الظهر ويعود بعد ذلك الى مجلس الشراب ويتغذى بخنزير كبير ويتعشى بأسد مشوى وقد بقى مثل الجمل فى المنظر وقد أطاعه من الملوك والامم من لا أطاع الملوك المتقدمين ولا الهراقله المعظمين ومع ذلك فهو رجل مسعود أيش ما عمل من عمل ينجح وفى أى شىء توجه بوجهه يفلح يامولانا وقد جمع كل من أقاليم الروم وخرج إلى الغزو الى بلاد الاسلام وقد حلف انه ما يبقى من بنى سليم أحدو قال أما بنو كلاب فهم أعمامى لأجل الامير عبد الوهاب زوج ستى ميمونه وان السودان أخوالى لان ميمونه كانت منهم فما آسى عليهم أبداولهم الكرامات وأرضهم لا يعارضهم فيها معارض ولهم منى الاحسان فى كل عام الاأن يبدومنهم شىء يوجب سفك دماءهم فهنالك استعبد نساءهم وأبناءهم ولا أبقى على كبارهم ولا صغارهم أبدا يا مولانا وما أتيت اليكم الا والرجل قد رحل من بلده فى ألف ألف وثمانمائة ألف ويكون اليوم بالقياس فى قونيه وقابل عليها اليوم أوغد (قال الراوى) فلما سمع المعتصم ذلك الكلام عظم عليه وكبر لديه وأما القاضى عقبه فانه فرح الفرح العظيم باطنا وأظهر لهم الهم ظاهرا وقال يامولاى لا تضيق صدرك من هذا الامر فكم من ملك قبله قد قال مثل هذا المقال وأوقع الله به الوبال وكم من هرقل طلب هلاك الاسلام فجعل الله له الانتقام وما فى الامر إلا شىء واحد نخاف منه وهو أن الاميره ذات الهمه ربما يبلغها الخبر أن هذا الملعون يراعى جانب بنى كلاب والسودان الانجاب فتمتثل اليه وتخرج الى بلاد الاسلام بين يديه وتطلب تار ولدها عبد الوهاب وربما طال عليها المدا وتنصرت وخرج على الناس منها ما خرج من ميمونة الملعونة والرأى أن تبادرها وتبلغ منها المراد وتعود الى لقاء هذا الملعون والجهاد وان نحن صادفناه ونحن على ملطيه صالحه وطيب قلبه بأنك تزيل عن بلاد الروم الخراج الى أن تبلغ من ذات الهمه المراد والغرض ومن بنى كلاب وتعود توقع به وبعسا كره العذاب ولو كانوا بعدد التراب وأنت يا مولانا اليوم فى هذه العساكر الذى ما قادها أحد من الخلفاء الأكابر فالله يكفيها شر العين لاسيما هؤلاء الاتراك الذين يريدون أهل الارض فى طولها والعرض (قال الراوى) ولم يزل الملعون عقبه يشد قلب المعتصم حتى دخل يطلب بلاد الروم وقد اتكل على تدبيره وترك وزيره ومشيره (ياساده) وكان خروج هذا الملعون ميخائيل الميمونى

وحديثه فى مملكة القسطنطينيه حديث عجيب (قال الراوى) وذلك أن الامير عبد الوهاب لما أقام على مدينة القسطنطينية أخذ من الملك الفالوغص الاموال وجدد الجامع كما ذكرنا وأخذ أموال كل من فى البلد وأفقرهم حتى أرضى الامير عبد الوهاب والامير أبو محمد البطال ورحلهم من البلد وبقوا أهل القسطنطينيه منتظرون من يولونه عليهم ملك من غيظهم على الملك الفالوغص فما وجدوا أحدا إلا هذا الملعون ميخائيل فشدوا منه وأقروا له بالملك حتى قتل الملك الفالوغص وصار مكانه وأول ما ملك هدم الجامع الذى جدده الامير عبد الوهاب وقالوا لولا أنه الملك ماتركوا عنده جامع يذكر فيه الاسلام والتوحيد وانه فتح بيتا من بيوت التماثيل وأخذ المال الذى فيه وفرقه على الاقاليم حتى صار فى هذا العالم العظيم (قال الراوى) وهذه بيوت التماثيل التى فى القسطنطينيه مخزون فيها ذخائر الملوك لأن كل ملك يتولى المملكه يعمر بيت ويغرز فى وسطه رمحا ويجعل فى وسطه فرس وفارس من ذهب وفى يده رمح ثانى طوله عشرين ذراع من الفضه ويقلب المال الذى يحمل اليه من الاقاليم يصرف منه مايحتاج اليه الامر والذى يفضل يسكبه من منقب البيت الذى بناه حتى يساوى رمح الفارس الذى راكب على الفرس وان مات ولم يتمه فالملك الذى يتولى بعده يتمه وكان فى مدينة القسطنطونيه الى زمان ميخائيل هذا سبع بيوت ففتح أحدهم وجمع به العساكر وسمع بصلبان بنت الملك أرمويل صاحب الجزائر القصوى فانفذ وخطبها من أبيها وكانت أحسن أهل زمانها وأظرفهم وكانت وأمها وأبيها أعظم الملوك قدرا وأرفعهم ذكرا وأكثرهم مالا فلما خطب ميخائيل ابنته ردرسوله خائب وقال أنا ماأزوج بنتى الا لمن يحمى دين الصليب ويملك أقاليم المسلمين ولاأزفها عليه الا فى بلاد الموحدين كل ذلك حتى تفتخر على بنات الملوك أجمعين فلما سمع الملك ميخائيل ذلك التهب قلبه بالنار وجعل هذه الغزاة من أجل زواجه لأنه أرسل الى أرمويل يقول له قد أجبت لما تريد واعمل جهاز ابنتك وانفذها بلاد الاسلام فانى رائح أملكها وان شئت تسير معى وانظر ماأعمل فى هذه السنة فى بلاد المسلمين (قال الراوى) وان ميخائيل سار بالروم من شغفه بالزواج طالبا بلاد الاسلام (وأما ما كان) من الاميره ذات الهمه فانها كانت بملطيه ملازمة قبر عبد الوهاب على زعمها انه مات وهى لاتفيق من شدة همها وغمها وقد ضعف منها البصر من شدة بكاءها ودموعها الجارية وانحدب ظهرها وفنى صبرها واشتغلت عن أهل الارض بنفسها وبطلت الركوب والتزمت العباده وسلت قلبها بالامير قشعم وضيغم أولاد الامير عبد الوهاب (قال) وكانت قد سمعت

بخروج ملك الروم ميخائيل وعلمت أنه ماينزل إلا على ملطيه فقالت الحمد لله وبه المستعان ولعل الله تعالى يميتنى تحت حوافر خيل المجاهدين الاخيار ولايبلينى بقتال المسلمين عند انقضاء أجلى والأعمار وأخسر ماربحته طول حياتى وقد قربت وفاتى ولعل ظالم يقدم قبل عساكر الروم حتى يحضر الجهاد لأن أخباره قد انقطعت عنى وكذلك أخبار عذيبه وأخواتها (قال الراوى) فهى فى الكلام والحصين قد وصل الى ملطية ودخل على الأميره وقال لها يا أم المجاهدين اعتدى للحرب وتأهبى للطعن والضرب وإلا هلكتى فقد وصل الخليفة اليكى قاصد الى هلاككم وفى غد يقدم عليكم ومعه من الديالم والأتراك والعرب والعجم والتركمان خلق لاتحصى بعدد الرمل والحصى وقد عول أن يقطع آثار بنى كلاب ويترك منازلهم خراب وأختى عذيبه وأخى مذبحون وباقى غلماننا مع العسكر ورصدنا عقبه فرأيناه محترز على نفسه منا لا يبات إلا فى سرادق المعتصم وأختى عذيبه على مقالى النار من أجل ذلك فقالت الأميره ذات الهمه وقد صعب عليها ذلك ياحصين فالأمير ظالم ماسمعت له خبر فقال لها يامولاتى ان ظالم كونى آيسة منه قد أخذوه أسير هو وخمسة عشر فارس وباقى العسكر التى قد جمعها هلكت بسهام الأتراك وسقوا الكل شراب الهلاك ثم حدثها بالأمور التى جرت وقال لها ان الاتراك قتل منهم مائة ألف والديلم مائة ألف والكل شربوا كاس الفنا وظالم مع الأتراك فلما سمعت ذات الهمه هذا الكلام بقت ترعد كما السعفه فى الريح العاصف وقالت وا أسفاه بلغ عقبه ماتمناه ثم جمعت سائر الأمراء من بنى كلاب وأخبرتهم بماجرى فما فيهم إلا من أيقن بالبلاء وقالوا كلهم هذه السنة لاشك تكون هذه وقعة الفنا فقال اللملمان والله ياقوم مانموت الا كرام ولو أتانا كل من فى البلاد من الروم والاسلام فقال الحصين ياملمان وقد سمعنا أنه قد ظهر لك أخ يقال له جعبر وهو مع ظالم أسير لأنه وقع به فى بلاد الحجاز ولما أسر أخذ معه فقال اللملمان وا حرباه ووصل جعبر فى طلبى وأخذ أخى أسير والله ماأخذ الا وقد لقيهم عسكر عظيم لأنى اعرف قوته فى الحرب وفروسيته وهو يريد مثلى فى الحرب جماعة ووالله لو وصل وصار عندى فى ملطيه لألاقين به وهؤلاء السودان كل من فى الارض فى طولها والعرض فقال الحصين اذا كان الامر على ذلك فأنا عائد أكون مع أختى فان قدرنا على خلاصه خلصناه وان قدرنا على سرقة عقبه سرقناه فخذوا أنتم أهبتكم ودبروا أمركم ثم عاد يطلب عساكر المعتصم (قال الراوى) واستعدوا الناس فى ملطيه للقتال وتأهبت الأبال للنزال وأظهروا العدد وأشهروا ثياب الزرد وكان فيها من السودان وبنى كلاب

أربعون ألف مقاتل ومعهم عشرة آلاف من عرب الحجاز وباتوا يتفقدون سلاحهم ويشجعون أرواحهم حتى طلع عليهم النهار وتضاحى وأشرف الغبار من سائر الأقطار حتى سد الأمصار وتحيرت من كثرته الأفكار والأبصار ثم انه انكشف عن بيارق تخفق وأعلام وزرد تشرق ورماح ومواكب تزدحم وصياح منعقد وخيول تنطرد ولم تكن إلا ساعة حتى ضربت الخيام وركزت الأعلام وأقامت الجيوش تنزل حتى هب النهار كله وصار وقت الاصفرار وأقبل موكب الخليفة والقراء الذين يقرؤا القرآن والغلمان والوزراء وأصحاب الديوان والفقهاء وعقبه فى أوائلهم يتلو القرآن وقد جنح الطيلسان ومانزل المعتصم فى سرادقه حتى غسق الظلام وضربوا طوائل الخيل وباتوا الناس كلهم معولين الى الحرب وبنى كلاب فى ملطيه على الاصوار ينتظرون قدوم الصباح ليخرجوا الى الحرب والكفاح والاميره ذات الهمه تقول ماشاء الله كان والله ما كنت أشتهى قتال أهل الايمان ولا كان فى نيتى قلع ثياب الأحزان ولا اشتهر بعد ولدى فى ميدان ولكن ما يخلو الزمان من طوارق الحدثان ومن تصاريف الزمان وها نحن مقيمين على الاصوار ونمنع عن نفوسنا منع الاخيار الى أن يضيقوا علينا فى الحصار فنخرج الى ضرب البتار ونكون قد أقمنا عذرنا عند الملك الجبار خالق الليل والنهار وقلدناهم البغى والاستكبار وبعد ذلك يقضى الله بيننا بما يعلم من ضمائرنا ونياتنا (قال) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح عولت العساكر على الزحف الى ملطيه فمنعهم الخليفة من ذلك وقال خلوهم لعلهم يطمعون فى قتالنا والينا يخرجون وبعدذلك الامر ميلوا عليهم ميلة واحدة ثم املكوا عليهم الابواب واضربوا من خرج اليكم بالحسام القرضاب (قال الراوى) فلما سمعوا العساكر من الخليفة هذا الخطاب رأوه صواب وقالوا ونكون أيضا قدأخذنا الراحة من التعب ثم أقاموا ذلك اليوم والثانى والثالث ولم يروا أحدا خرج ولا عبر اليهم ولا طل عليهم فقال الخليفة ما لهؤلاء القوم نية فى الخروج ولا لهم نية فى القتال ولاهم من قليلين العقول أن يرموا أنفسهم فى هذا الامر المهول ازحفوا اليهم فى غداة وباكروهم بكرة بالقتال وازحفوا عليهم واشهروا اليهم المأسورين قدامهم على الجمال لعلهم يسلمون أنفسهم من غير قتال ولامطال فقال له العسكر سمعا وطاعه غدا يكون ان شاء الله تعالى الانفصال ولولا منعك لنا من القتال كنا اليوم قد بلغنا الآمال ثم أقاموا حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح تبادروا الى الحرب والكفاح وضرب الصفاح وأشهروا العدد وآلة السلاح وأقبلوا الارض من الصياح وتقدمت الاتراك والديلم بالسلاح وبالسهام المسقيات

بالسم وهذا بأمر القاضى عقبه بلاه الله بكل نكبه وصفوا الاسارى الاسلام على الجمال وهم فى القيود والاغلال وظالم بين أيديهم فى غاية الاذلال والى جانبه جعبر يهمهم مثل الاسد الريبال (ياساده يا كرام) ونظر اللملمان الى أخيه جعبر من فوق الاصوار وهو فى ذل الاسر والكتاف فصارت عيناه كأنها لظى الجمر وقال للأميره ذات الهمه ما بقى بعد هذا صبر ولا خير فى هذه الحياة بعد الاقرباء وفقد الاحباب فقالت الله يعلم أنى ما أشتهيه ولا لى بغية ان هذا يكون ولكن قد ابتلينا يا إلهى بقوم لا يستحيون ويفزعون من الله تعالى ولا يخافون ويطيعون هذا الكافر عقبه الملعون ولو أننا عبدنا الصلبان كان يتم علينا أوفى من هذه الامور بعضنا مأسور وبعضنا محصور وبعضنا مقتول وسادتنا فى القبور بغريق البحر فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ماشاء الله كان ولكن ما للعبد أن يعترض على المولى الكريم الاعلى ولا يقابل القضاء إلا بالرضا افتحوا الابواب حتى نخرج اليهم وندفع عن أنفسنا ولا نترك الاعداء خلف الاصوار ومالنا نشتى هذا لا يكون الا فى الروم حتى نموت شهداء فى طاعة الحى القيوم (قال الراوى) وما تمت الاميره ذات الهمة كلامها حتى اسودت الدنيا من نحو الدروب وأظلمت الاقطار وانحصر ضوء النهار وصار نوره من الشمس محجوب وارتفع الصياح حتى انزعجت القلوب وكادت الاكباد من شدة الضجيج تذوب فكان هذا الغبار قد أشرف قبل الظهر يعنى قبل نصف النهار فرمقوه النظار واشتغلوا به الناس عن الحصار حتى بان للابصار وظهرت تحته صلبان تهتف ورايات ترفرف وبيارق مرتفعه وطوارق لامعه وكتائب مندفقه وخيول سابقه وقد ضاقت بهم الارض الواسعه وتكدرت المياه النابعه (قال الراوى) ولما نظر الخليفه الى ذلك الامر قال لعقبه ياقاضى هذا الملك الذى حدثنا به الجاسوس وقال لنا انه جمع العساكر من الاقاليم وماخرج الا فى عسكر عظيم وما أخوفنى أن يشغلنى عن بلوغ الآمال والمراد ويطالبنا بالقتال والجهاد فقال له عقبه يامولانا انفذ اليه رسولا يطلب منه الصلح ونطمعه انك تخلى له الخراج حتى يأمن منك وتبلغ منه ماتريد وبعد ذلك تفرق الاموال على العساكر وتكبسهم ليلا فلا ينجو منهم هارب وتقع لك الهيبه فى قلب هذا الملك الجديد اذا انكسر ويصير كالذى كان من قبله وأحقر وانما ينبغى أن يكون الرسول يدرى مايقول فقال له المعتصم على هذا الحساب مالهذا الامر مثلك تسير اليه فقال عقبه السمع والطاعه يامولاى على انى لولا اعلم انى سائر فى مصلحة لاهل الاديان لما مضيت ولا سعيت ولا سمعت كلام من يشرك بالرحمن على انى ما أقدر على المسير الان كان غداة غداذا

تكاملت العساكر وضربت سرادقات الملك ونزل (قال الراوى) هذا وقد قامت المواكب متواصله والجيوش نازله بطول ذلك النهار اجمع والليل واليوم الثانى الى وقت الظهر وبعد ذلك اشرق الصليب الاكبر والعلم الاخضر وتحته الملك ميخائيل ومن حوله ملوك الاقاليم بشباك اللؤلؤ والاكليل ونزلوا فى السرادقات هذا وقد امتلأت وقد تأهب عقبه فى غلمانه وسار بعد ماأخذ الاذن من الخليفه واعلمه أنه سائر رسول كما قال له وليس معه غير غلمانه وكان ذلك من خبثه حتى لايطلع أحد على مايعمل من العمائل ولايعرف مايقول من الاقوال (قال الراوى) هذا ولماان سار الملعون عقبه مازال سائراليان قرب من عساكر الروم فالتقاه عند ذلك البترك الكبير ومعه عشرة من الرهبان وشومدرس الى جانبه فى زى مطران وهم بثياب الصوف من سائر الالوان ولماان رأوه ترجلوا بين يديه وقدسعوا مسرعين وأتوا اليه هذا وقد ترجل هو الاخر وقد سلم بعضهم على بعض وقد سأل عقبه عن حالهم فقالوا له نحن سائرين الى خليفه المسلمين نأمره نحن عن اذن الملك أن يرحل عن هذه البلاد ويخلى لنا الاقاليم وان لم يفعل ذلك يكون فى غداة غدلهم حرب يشيب لهوله الطفل الصغير فقال لهم عقبه ما هذا صواب ارجعوا معى حتى أريكم ما أشير به على الملك وكيف يكون التدبير فعندها عادوا الجميع الى سرادق الملك ميخائيل هذا وعقبه يقول لشومدرس يا راهب أين كنت فى هذه المده لأنى منذ كسرت عساكر الروم على قلعة السها ماعدت سمعت لك خبر فقال له أنا كنت فى دير الزيت وكنت آليت على نفسى لا أعود أقرب هذه الديار وفيها البطال وهؤلاء السودان الابطال لأنى قد ضجرت مما أخلص وأعود وأقع وأنا أخاف أقع ما أعود أخلص وما برحت من مكانى حتى أننى قد سمعت انك قد دبرت على البطال وأهلكته هو والامير عبد الوهاب وكنت قد بقيت أى مكان دخلت فيه يصير يقلع وكلما عملت حيلة على ترجع والآن فانى قد اطمأن قلبى وزاد فرحى فهذا الملك المسيحى لعله أن يمسح المسلمين فى هذا العام ويبلغنى منهم المرام لأنه أفرس أهل زمانه وأقدرهم على أقرانه فقال له عقبه اننى قد سمعت أنه من أختى ميمونه قدس المسيح ضريحها ما كان أطيبها هنيئا لها أنها تلك الساعة فى الجنان مع الحور والولدان ومادام أن هذا الملك قد عول على هلاك المسلمين فأنا أدبره كما دبرت الملوك قبله وسوف يرى ما أفعل (قال الراوى) ياساده يا كرام ولم يزالوا على ذلك الحال وهم سائرين إلى أن وصلوا الى سرادق الملك ودخلوا عليه فلما أن صار عقبه قدامه فرأى غيلان الشوك جالس بجانبه وقد صار قدر ما كان

مرتين وهو أقرب الناس إلى الملك لأجل شجاعته وبراعته هذا والملوك قدامه قيام على الأقدام وكان ذلك من هيبة ميخائيل فلما أن أقبل عقبه مالوا الكل اليه وجعلوا يقبلون يديه ورجليه هذا وقد سلم مارس ودارس عليه وكان الملك ميخائيل قد رفع شأنهم وعلا مقامهم على سائر الحجاب وهم عنده من خواص الأصحاب هذا ولما أن أرسله الملك وقد عادوا وما غابوا فقال لهم ما حالكم فقالوا له ماردنا أيها الملك إلا هذا الشيخ النجيح لأنه حجة السيد المسيح الراشد الى طريق الصلاح والرشاد المنزه عن طريق الفساد (قال الراوى) ثم أنهم قد حدثوه بحديثه ووصفوا له حاله مع ماقد سمع من أخباره وأنه رأى جميع الملوك والبطارقه الكبار وقد عظموه واستقبلوه ورفعوا قدره ومكانه فقام اليه الملك وأخذ بيده وأجلسه الى جانبه وقال لربنا الحمد الذى من على بحضورك عند خروجى الى الغزاه حتى انك تدبر دولتى بمعرفتك ورأيك الذى تراه. هذا وقد قام غيلان الشوك واستقبله واعتنقه وقال له مرحبا بالشيخ النجيح الطيار الذى قد أوحشنا لما أن غاب عن الديار وشد دين الصليب والزنار فلما أن سمع عقبة منهم ذلك المقال شكرهم على ذلك ومسح بيده على رأس الملك وقال الشكر للمسيح الذى فتح فى وجهى أبواب المقاصد بصدق منامى ولم أكذب أحلامى لأنى نمت ليلة من الليالى وأنا متفكر فيما حل بى من المسلمين وقد انتهت حياتى وقتلت أختى وبناتى. ولا بلغت غرضى ولا شفيت مرضى قبل مماتى إلا بما قتلت من المحمديين فى غزواتى. فرأيت أيها الملك أن المسيح قد أقبل على وهو فى الهيكل العظيم ومن حوله الحواريون والاخوان ورجال الغيب وبين يديه مريحنا المعمدان وهو يقول لى ياحجتى على عبادى لاتضيق صدرك فما أميتك حتى أنشر نصرتى عليك فقلت له ومتى يكون ذلك وقد فنيت مدتى وابيضت لحيتى فارحم شيبتى وأنت تعلم أنهم قد قتلوا بناتى وأختى وزوجتى وقد انفطرت مرارتى وما بلغت مرادى فقال لى أما من قتل لك نقلتهم الى وأسكنتهم فى جنات النعيم ينعمون ومع الحواريون كلهم يحشرون وأما إظهار قدرتى فاعلم أنه اذا ظهر لك البشر الميمون وبان الأمر اللاهوتى وهو الملك ميخائيل بن بيمند بن ميمونه فهو الذى يمهد البلاد ويذل رقاب العباد ويكون جلوسه وكرسى مملكته ببغداد. وتعود الكلمة والملة الذى ظهرت مرميه وترتفع المله النصرانيه كما كانت فى أول الزمان وترتفع الصلبان وتبطل جميع الأديان ثم أنه يابنى بعد ذلك لما فرغ من كلامه تقدم الى وضمنى الى صدره وقبلنى بين عينى وقال لى هذه أمارتى ورسالتى معك اليه وان رأيته واجتمعت عليه قبل بين عينيه وقل له انى راض عليه (قال الراوى) هذا يحكيه

عقبه والملك يسمع ويبكى وأنه قد فرح برسالته وقدرفع قدر عقبه وعظم منزلته وقال له يا أبونا أحسن المسيح جزاك ولا بد لى ما أهلك رقاب أعداك وانى ما كنت أنفذت البترك الى عند الخليفه إلا آمره أن يسلم الى بلاد الاسلام وان لم يفعل ذلك يا كرته بالقتال والجهاد فقال له عقبه تأنى على أمرك وأنظر بين يديك واعلم أن الملوك المتقدمين ما أهلكهم الا العجله بالزلل ومازال ملكهم الا بمخالفتهم لى ولكن ما دام قد عبرت أنا وشو مدرس بين يديك فقد نزلت الرحمة والبركة عليك وأنا قد عملت هذه الأعمال وقد أهلكت عبد الوهاب والبطال وأخرجت الخليفة من بغداد وأتيت به الى هذه الديار ليهلك هذه العجوز ومن معها من هذه الأعداء وبعد ذلك تكبس أنت عساكره وتبدد غبائره وتتسلم البلاد وتطيعك بعدفقده العباد ولا يبقى فيها معاند ولا مدافع والا ان أنت الساعه طلبت قتال المسلمين ورأى الخليفة أنه مغلوب صالح هذه العجوز والتجأ الى البلد وأطلق ظالم ومن معه من المأسورين ولا تبلغ منهم ماتريد من الآمال وانما الصواب أن تخدعه بالصلح حتى يطمئن اليك وتعاونه على هلاك هذه العجوز السوء التى بين يديك وبعد ذلك يهون الامر عليك وتكبسه أنت فى ظلام الليل وتضع فيهم الحسام وتأخذ الخليفة من الخيام وتأخذ أيضا منهم الأسارى اللئام وقد ملكت العراق والشام وتصل بخيلك الى زمزم والمقام ولا يبقى على وجه الارض من يذكر ملة الاسلام (قال الراوى) فلما أن سمع الملك بيمند من عقبه ذلك الكلام قال له أنا كان فى نيتى ان آخذهم قوة وقهرا بحد الحسام ولكن الساعه فما بقى يجب علينا أن نخالفك لأن الخديعة أيضا من الشجاعة عند أرباب الأحكام ثم انه أمر الغلمان أن يقدموا بين يديه الطعام وقال أنا الليلة أريد أن أخلو مع الشيخ النجيح على شرب المدام فقال له عقبه أيها الملك اعلم انى قدجئت فى رسالة ولا يمكننى المقام لانى قد أتيت على وجه الرسالة من خليفة الاسلام وان أبطأت وقع العتب على والملام فقال له قل له ان الملك قد حلف على وأضافنى وأكرمنى لاجل الامام فقال له عقبه ان كان الامر كذلك فاخلى لنا جهة من بعض هذه الخيام لانى أخاف من جاسوس المسلمين أن يكون عندنا وهو حاضر فى هذا المقام (قال الراوى) وبعد ذلك دخل الملك السرادق ولم يبق فيه الا خمسة من الملوك الخواص هذا وقد نقل اليهم الطعام والمدام واقام عقبه يأكل ويشرب ويلذ ويطرب وقد حدث الملك بكل عجب حتى مضى النهار بالابتسام وأقبل الليل ثم مضى بعضه فقال عقبه أيها الملك انى أريد أن أقوم فى هذه الساعه حتى

افيق على روحى وقت السحر ويذهب رائحة الخمر منى لان المسلمين يقولون أنه حرام وما يقولون ذلك الامن قلة عقولهم ثم ان الملعون حط رأسه فى جنب سرادق الملك ونام ومازال الى وقت السحر وانبهوه غلمانه الذين وصلوا معه فقام وقدعقل على نفسه ولبس قماشه وتطيلس وركب بغلته وسار طالب المعتصم (قال الراوى) فلما ان توسط الطريق وكان قدانحدر فى مكان وأصلى فبينما هو سائر وإذا بأشباح قد انقضت عليه وادركته من ورائه وهم مسرعين فلما ان رآهم وقف مكانه حتى يكشف احوالهم واذا بواحد منهم يقول لرفيقه ياقوم والله ان امرنا قدطال وعظم مع هذا الملعون وكم لنا فى طلبه ذائرين ولولا خروجه فى هذا الوقت ماقدرنا عليه (قال الراوى) فلما ان سمع عقبه ذلك المقال تعلق ماتبقى من خصاه فى حلقه وصاح على غلمانه وقال لهم ويلكم خذوا اهبتكم واعلموا ان هؤلاء المقبلين علينا من الاعداء وان صدق حذرى فيهم فهم غلمان البطال وأولاده وأناوحق المسيح منهم كنت فزعان بطول هذا الزمان ثم ان الملعون نادى وقال من انتم ياويلكم فقال له واحد منهم لاتخاف ياشيخ الضلال ياسقيع السبال فأناهو غلام أخوك بديع هـذا وقدنادى الثانى الى اين تأخذون وأنا ابن البطال مذبحون ونادى الثالث وانا الحصين ابن صديقك أبو محمد وقد جئتك بدلوين وقال له لعن الله هذه الشبيه وقد ناداه آخر ياقرنان وأنا عذيبه بالتارات البطال هذا وقد تصايحو الباقين من حواليه وقدجردوا فى أيديهم السيوف ولم تكن لاساعه حتى قتلوا من غلمانه اثنين وقد جرح عقبه جرحين هـذا وقد تعلق بذقنه الحصين وصاروا يلطموه الى ان اعموه وأخذوه على بغله وطلبوا ملطيه وهو يقول لقد كانت ايشم الرساله عليه (قال) ان كانت عذيبه واخواتها رصدوه هذه المده لعلهم يأخذوه هو وعلمانه أويخلصوا الامير ظالم أو بعض المأسورات فلم يجدوا الدلك من سبيل من كثرة ماعليهم من الحرس الشديد فلما أنقذه الخليفة فى الرسالة كما ذكرنا كانت عذيبه وأخوتها رصدوه لأنهم كانوا واقفين وقالوا ن سار الى الملك فنرصده وإذا به خرج بالرساله وكانوا ترتبوا له ذلك المكان فلما ان أتى اليهم أخذوه كما وصفنا وساروا به الى ملطيه وصاحوا على الحراس وأخبروهم بحالهم فمضوا الحراس وأعلموا الأمير بذكر عذيبه وأخوتها فأمرتهم بفتح الباب وقد سارت الاميره اليهم وتلقتهم وأخبروها بما فعلوا من قبض عقبه فقالت الحمد لله الذى وقع هذا الملعون فى أيدينا حتى اذا رأينا الغلبة قتلناه على قبر الامير ولانموت وفى قلبنا حسرة من هذا الكلب الغدار المنافق (قال الراوى) ثم أن الاميره وضعته فى قيد وجنزير وقد وكلت به من

يحفظه ولما أن أصبح الله بالصباح وصلوا غلمان عقبه الذين انهزموا الى عند المعتصم وأخبروه بما قد جرى على عقبه من أولاد البطال وغلمانه وماصنعوا فيه فلما أن سمع المعتصم ذلك صعب عليه وكبر لديه وقد اسودت الدنيا فى عينيه وقال لهم على أى حال قد انفصل الأمر مع ملك الروم فقالوا له يامولانا مازال سيدنا عقبه حتى بلغ من أعداه المراد ونال منهم مسرة الفؤاد وقال ان أنتم أقمتم على معاونتى عاونتكم وبعد ذلك آخذ الاذن من خليفتكم واعود الى بلادى بعد أن يقع بيننا الصلح فقال المعتصم لارباب دولته أيكون الساعه فى الارض أحسن من هـذا الامر الذى قد فعل أو أخير من توصل هـذا القاضى عقبه من الأشياء لأنه مازال بتدبيره حتى جعل الاعداء لنا أصدقاء وبعد هـذا قدأخذوه هؤلاء الظلمه يعاقبوه ويضربوه ويعذبوه وماأظن ان هؤلاء القوم يخافون من الله وان على هذا الحساب قتلهم أفضل من قتل الروم قدأجابوا الى ماتريدوا وهؤلاء لم يجيبوا (قال الراوى) ثم أنه أمر الناس بالركوب فركبوا وقددارت الترك بالبلد وأوترت قسيها ورجفت أهل البلد ونوت على الحصار ونصب السلالم والفرادات والمناجيق من سائر الجهات فما قولكم فى مائتين ألف يرمون عن قوس واحدفما تكون عنـد ذلك السهام الا شبه الجراد المنتشر أو الثلج إذا انحدر الاأن الاميره قد كانت أيست من أصحابها فألبستهم الدروع الداووديه والجوانيز القويه والبيض العاديه وأوقفتهم على الأبراج ولم تفعل ذلك الا أنها حتى لاتقاتل المسلمين فـكانوا أصحابها يطالبونها بالخروج إلى الحرب فلم تمـكنهم شفقة على المسلمين وقد أرادت أن تدفعهم عنها بالتى هى أحسن (قال) والنشاب لمـا طلع عليهم مثل الجراد المنتشر وأحجار المناجيق والفرادات فنزل عليهم وقد قتل منهم جماعة فى أقل من ساعة واحدة (قال الراوى) ولما أن اشتد عليهم الأمر وخرجت عليهم الصخور وقد استغاثوا إلى الملك الغفور وقد جرت الآدمية من النحور وخسفت الأحجار الصدور فـكان أشد ما يكون على الناس النشـاب لأنهم قد قاسوا من كثرته فنون العذاب وكان يقع السهم فى الانسان وفى أثره سهم آخر ولم يزالوا على ذلك الحال الى أن أمسى المساء وعادوا ولم يتأخروا أصحاب النشاب عنهم وقد قتـل منهم خلق كثير هذا وقد بان التقصير فى أصحاب الأميره والنقص لأجل قلتهم فلما أن رأواذلك الحال قال اللملمان ماكان الصواب الا الخروج وضرب الحسام والموت برا الأصوار ولا كنا سمينا على أنفسنا اسم الحصار ووقفنا ستاره للنشاب ولم لا نخرج وندفع عن أنفسنا هذا العذاب فقالت الأميره أنا ماعملت هذا الا شفقة على المسلمين وقد قلت

ان هذا البلد بلدى وهى حصينة وقلت إذا ضجروا عسى أنهم يرجعوا عنا ولا يقتل منهم أحد وما كان فى حسابى أن يصل الينا هـذا الأذى العظيم فقـال الملمان والسودان والله ياأميره ما كان هذا موضع الشفقه وقد طلبوا قتلنا فقالت لهم الأميره ان كان الأمر على هذا فأنا أبلغكم مرادكم وأخرج معكم وتتكل على الله تعالى لأننانحن ما تعدينا عليهم وما كفاهم هلاك ولدى والبطال حتى أنهم يريدوا هلا كنا فقالوا بنى كلاب والسودان الأنجاب والله ما نموت الا تحت العز ولا نموت تحت الحصار من داخل الأصوار هذا وقد باتوا تلك الليلة يصلحوا عددهم على أنهم فى غداة يخرجون اليهم (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من المعتصم فانه لما أن عاد الى الخيام قد أوعدته الأتراك بأنهم فى غداة غد يكشفوا له الصور ويأخذوا له البلد ففرح المعتصم بذلك لما أن سمع كلامهم فبينما هو على ذلك الحال واذا برسول الملك ميخائيل قد وصل اليه وقال له يامولاى ان الملك يقول لك دعنى فى غد أخرج الى القتال وترى ما أصنع بهؤلاء الأندال فشكره المعتصم على ذلك وقال للرسول قل له انى أريد أن أقاتلهم ثلاثه أيام وبعد ذلك قاتل أنت ثلاثة أيام ومن فتح البلد كان صاحب الفتح فعاد رسول الملك وأعلمه بما قال المعتصم فصبر الملك وبقى منتظر ما يرسل اليه عقبه من المقال وما كان عنده خبر أنه فى ملطيه أسير عند الأميره (قال الراوى) ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فدخلت الرجال فى الزرد ولبسوا السلاح وقد ركبت الاتراك والأعجام على ظهور الجرد القداح ولبسوا البيض الصفاح وزحفت الاتراك والأكراد والديلم هذا وقد ركب أيضا ملك الروم حتى أنه يتفرج على ما يجرى من الطائفتين فبينما القوم على ذلك الحال واذا هم بباب البلد قد فتح والرجال قد خرجت منه والسودان وبنى كلاب قد تزاعقت وأهرجت والأميره ذات الهمه فى أوائلهم وهى بأحزانها قد اشتهرت والجميع مثل الغربان من لبس السواد وخيولهم مهلبة وراياتهم مقلبة وبيارقهم مصيبه وهم مثل الأسود (قال الراوى) هذا ولما أن رأى الخليفة الى خروج الاميره وأصحابها على أن هذا من عظم مصابها قال والله ما فى الأرض أقوى قلب من هذه العجوز كيف قد خرجت الى العساكر وهى تظن لها فرج فى القتال أو الى النجاة من مخرج فقال له الامير عمرو بن عبيد الله يا أمير المؤمنين ماهذا منها شجاعة ولا براعه وانما خرجت حتى تظهر اليقظه لهذه الدولة وتعلمك أن لها قوة وصولة وما أخوفنى أنها تكون قد قتلت القاضى عقبة على قبر ولدها عبدالوهاب وقد خرجت تريد أن تهلك نفسها (قال الراوى) هذا كان يجرى والأميره

تصف عند ذلك العساكر وترتب الدساكر وتقول قد علم الله تعالى أن هذا ما أردناه ومادام أننا بلينا به فنحن نبذل المجهود فى طاعة الملك الموجود فقال لها الململمان أنا والله لابد لى اليوم من الخليفه وذلك الأعلام اما أن أقتله من تحتها واما أن آخذه أسير ونستريح من هذا التطويل واما شرب كاس الحمام ثم أخلص أخى جعبر و ظالم ومن معهما من الرجال الكرام هذا وقد مالت اليهم الكتائب وخرجت بخروجهم المواكب وقد حملوا عليهم من كل مكان وجانب حتى أنهم تلاصقوا بالمناكب وزادت المصائب ولما أن نظرت الأميره الى ذلك فحملت وكشفت رأسها ونادت (ياساده) عند ذلك يالتارات الأمير عبد الوهاب ياويلكم يابنى الاعمام اوصلوا اليهم الطعن بالسمر العوال حتى يبطل عنكم حكم النشاب فى القتال فأجابها قشعم وبعده الململمان وحملت السودان وبنى كلاب الشجعان وهزوا الصارم اليمان وقد بان الرابح من الخسران والزيادة من النقصان (قال الراوى) فعند ذلك لم تقدر الاتراك ترمى ولا سهم واحد بامكان واختلطت بهم العرب والسودان وقد بطل بينهم حكم النشاب وحكم بينهم الحسام اليمان وقد طلع على الجميع القيام وأسود المكان حتى صار ذلك النهار كانه نار ودخان هذا وقد تعلقت الصناديد عند ذلك بالسروج وكانوا مثل يأجوج ومأجوج وقد اندقت العساكر التى حملت مع عساكر المعتصم على الاعقاب بين ايدى السودان وبنى كلاب وقد فرشوهم على التراب وطحنوهم بسنابك الدواب هذا وقد نظر ملك الترك الى ذلك وهو الى جانب الخليفة فأرعد وازبد وكاد قلبه أن يتضعضع ويتصعد من الحرد وكان رجل عظيم الخلقة وهو جبار من الجبابره فخرج وقد صاح على باقى الاتراك فانحدر مثل السحاب وقد حملوا قدامه مثل البحر العجاج هذا وقد رمى بنفسه سهما مذهبا الى صوب بنى كلاب وهذا هو رسم الترك اذا تقدم ملكها وارمى سهم إلى العدو رموا الكل ارواحهم إلى الهلاك ولو كان قدامهم البحار الزواخر فحملوا مثل الشواهين وقد عادوا عليهم جميع المنهزمين فقالت الاميره لقشعم ياولدى الشجاعة تبطل إذا بطحة الخيل ولو كانت من حديد واذا وقعت الخيل حل بركابها الويل وهذه أعظم ساعه تكون فى القتال ولكن يترجل كل واحد قدام جواده يابنى وصفوا الاتراس وازحفوا الى هؤلاء الشياطين وأعلموا أن الله تعالى قد فرغ من الآجال والانفاس ولاينفع الحذر اذا وقع القضاء والقدر ومافى الأمر الاهذا (قال الراوى) ثم ان الاميره ترجلت وترجل من كان بالقرب منها هذا وقد نظروا باقى العساكر الى فعل الاميره فلم يبقى أحد الاوترجل وقد ضرب بهم المثل وقد نظرهم المعتصم فحار وخاف من ملك

الروم أن يرى عساكره بعين النقصان فتقدم فى أوائل الناس وقد هاجت الأمم لتقدمه ورمى سهما إلى عسكر الاميره تحريضا للاتراك وصاح فى الناس وقال ائتونى بهؤلاء الاسارى حتى أشتفى منهم وفى صياحه نظره اللملمان فقصده وجعله قصده هذا والاميره لما أن رأت الحال زائدا عليها والعساكر متدفقة اليها قالت لضيغم ياولدى افعل ما أقول لك وإلا تكون هذه الساعة آخر ساعاتنا من الدنيا وما بنا قتلنا إلا شماتة الأعداء فقال لها قولى ياسيدتى مابدا لكى فقالت له يابنى قاتل وتأخر الى وراءك حتى تصل الى الصور ثم يحمونا الذين فوقه على الابراج بالأحجار والسهام فان اشتد علينا الأمر دخلنا الى جانب البلد ففعلوا أصحابه كفعاله حتى أنهم التصقوا بالأصوار فطمعت فيهم الاتراك وقد رموهم بسهام الهلاك وبطل الرمح وحامله وقتل من فرغ أجله هذا وقد أشرفوا الناس على العطب وطلبوا الباب وقتل منهم خلق كثير وقل عددهم ووقع الزحام فى الأبواب هذا وقد قصدوهم الرماه بالنشاب فهلك منهم دون الألف رجل وجرح أكثر من ذلك وكانت ساعة من ساعات الفنا (قال الراوى) كل هذا يجرى وملك الروم ينظر ذلك وهو راكب تحت الصلبان وحوله خواص ملوك الروم والى جانبه غيلان الشوك فى جماعة السودان والملك ميخائيل يقول بحق المسيح ما هؤلاء القوم إلا مظلومين ولو لم يكونوا أفرس أهل الأرض ماثبتوا قدام هذا الجيش العظيم وحق الانجيل لو لا وصية الشيخ ما كنت الساعه الا أحمل على عساكر الخليفه وأفرق دساكره وأنهب أمواله لأنهم قد ظلموا هؤلاء الأمراء وأنا ما أحب الظلم فقال له غيلان دع عنك هذا الكلام فهذا كله خير لنا وأن المسيح يريد أن يهلكهم بعضهم ببعض حتى تنجلى لك البلاد وتملك رقاب العباد (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام والضجة قد وقعت فى عساكر الاسلام وماجوا مثل موج البحر العجاج المتلاطم بالأمواج ونادى المنادى ألا وان الخليفة قد قتل فلما أن سمعت العساكر ذلك الكلام اندقت الأتراك راجعة وهى صارخة زاهقة لما أن سمعوا بقتل الامام وقد عولوا بعد الهجوم على الانهزام وقد خف الطلب عن بنى كلاب ونادت الأميره ارجعوا فهذا وقت الانفصال فقالوا أيتها الأميره نخاف أن تكون حيلة منهم علينا حتى نخرج عن الاصوار ويعودون الينا فلا يبقى منا ديار (قال الراوى) وكان السبب فى انزعاج عساكر الخليفة وهو أن اللملمان لما أن وقعت عينه على الخليفة كما ذكرنا فرق الصفوف فى طلبه ونظرت الأبطال اليه فصاحوا عليه من كل جانب وسلوا فى وجهه

السيف القواضب وضربوه بالسهام وهو سائر الى قدام ولاخوف ولافزع من الحمام بل هجم فيهم هجمة الاسد الضرغام وكان قدوقع فيه أكثر من مائة سهم وكان عليه زردية من عمل الهند مايعمل فيها رؤس الابر وكان اللملمان لايعلم بما جرى ومازال فى هجومه حتى وصل الى المعتصم ولما ان صار عنده صاحت فيه الخدام فلم يلوى اليهم ولاعن عليهم هذا وقدطعن بطلا كان بجانبه وكان قدحال بين اللملمان وبين الامام فطعنه طلع السنان يلمع من ظهره ثم انه هجم على الغلمان هجمة الشجعان وصار يضرب فيهم يمين وشمال فتواقعت الرجال تحت رجليه ومن تبقى منهم اندقوا بين يديه وقرب من المعتصم وفزعايه وطعنه بالرمح فوصل رمحه اليه فجاءت الطعنه لما يريده الله من سلامة المعتصم فى قربوص سرجه فخرقته ووصلت الطعنه اليه فصاح عند ذلك المعتصم ووقع عن سرجه فأحدقت به العوالم وترجلت اليه أرباب الدوله وقد انطلقت الخيل على اللملمان فمانع عن نفسه وطعن وضرب الى أن كل ومل والتفت أنه يرى أحدا عنده من بنى كلاب يفرج عنه ذلك البلاء العظيم فلم يجد أحداً فانكسر قلبه ورجف لبه وعظم كربه (قال الراوى) هذا ولم يزل على ذلك الحال والقوم يضربون جواده بالنبال الى أن قتلوه وقدوقع اللملمان من على ظهره الى الأرض فانطبقوا عليه وأخذوه أسير وقادوه ذليل حقير وأوثقوه بالحديد وأتوا به الى المكان الذى فيه أخوه جعبر (قال) هذا ما كان من اللملمان (وأما ما كان) من العساكر الاسلامية وبنى كلاب والأميره ذات الهمه فانهم لما أن رأوا الى ذلك الحال زعق قشعم فى جواده وخرج يرمى نفسه على هؤلاء العساكر فلما أن رأت الأميره منه ذلك أقسمت عليه بتربة أبيه أن لايفعل فلم يقبل منها بل أنه قد حمل وقال والله ان وجدت فرصة من المعتصم لأقتلنه ويكون قتله عوضا عن قتل أبى وان لم أفعل ذلك والا ما أنا ولد الأمير عبد الوهاب ثم انه خرق المواكب والكتائب خلف الغلمان لأنه ماعلم بما جرى على اللملمان هذا وقد طلبته الفرسان وتكردست عليه الشجعان وهو يضرب فيهم ضرب ولهان وقد أفناهم بالسيف والسنان فلله در الأمير قشعم ما أضربه بالسيف وما أطعنه بالسنان لأنه ولد البطل الهمام وهو أهلا لذلك فتهاربوا منه الفرسان وهابته الأقران فقالوا ياويلكم اصنعوا به مثل ما صنعتم بجواد اللملمان عند ذلك ضربوه بالنشاب حتى تركوه مثل القنفذ وهو يجول ويمانع عن نفسه وينشد يقول :

ألا أيها النفس العزيزة إنما يكون لذيذ الموت عند الاكارم
أخوض هياج النقع فى حومة الوغا اذا عملت أسيافهم فى الجماجم

وحق إله العرش والخمسة الذى همو صفوة الجبار من آل هاشم
لأقتحمن الحرب فى حومة اللقا بضرب يقدالروس عندالتصادم
وأهلك من عادى أبى ويريد لى هلاكاسأروىمنهماليوم صارمى
وأطعن بالخطى أعظم رتبة بطعن يحاكى لسعات الأراقم
ولو كنتمو مثل البحار لفيتمو بقوة قلبى كى أقوى عزائمى
وأنى لا أصفوا الى طيب عيشة ولا بد من حزن يكون ملازمى
ولوكانعندىاليوم ما كانقاصرا ولا سال دمى منسهام الأعاجم

(قال الراوى) هذا وقد طعن جواده فتقنطر الأمير قشعم ووقع من على ظهره فأخذ أسيراً فلما ان نظرت الأميره الى ذلك علمت أن الحزن قد حمل قشعم حتى أنه أرمى نفسه الى تلك الأهوال وقد ظنت أنه قد شرب كاس الوبال فصاحت الأميره ذات الهمه وهى تقول دخول الجحيم ولا الصبر على الغبن العظيم ولا بقى إلا هتك الحريم ثم أنها حملت تروم خلاصه ان كان سالم هذا وقد حملت من خلفها الابطال والاقيال من كل جانب ومكان وانتخت الشجعان وقد أرموا أنفسهم الى الهلاك والخسران هذا وقد كان الخليفة من طعنة اللململمان فى غمرات الموت هذا والأخ لا يعقل على أخيه ولا الولد على أبيه هذا وقدعصبوا فخذ الخليفة وأسقوه الشراب الى أن أفاق وقدأشاروا عليه بالركوب حتى تنظره العساكر ولا تنهزم الجيوش ويطمع ملكالروم فيهم فيركب وقدعلم المعتصم أناللململمان هو الذى جرحه فقال وحق آبائى وأجدادى ان قتلتهم الا جميعا مع ذات الهمه وأصحابها كما فعلت بولدها والبطال وأذيقهم النكال فكم جهد ما أحمل منهم فوالله لقد أتعبونى هؤلاء القوم المنافقين (قال الراوى) ثم ان المعتصم صاح على العساكر وقال لهم ياويلكم احملوا علىذات الهمه وأصحابها فمابقى لها جناح تطير به ومن أخذها أعطيته وزنها ذهبا فلما أن سمعوا كلام الامام حملوا عليها العساكر وتبادرت اليها الدساكر هذا والأميره قد كشفت رأسها فبان شمطها الأبيض وقالت والله ما بقى على بعد ذلك ملام وان روحى بعد هذهالساعة علىحرام لأن الدنيا ما تطيب الا بأهلها وسوف أبذل مجهودى حتى أخلص أصحابى الفرسان وجعبر واللململمان وظالم وقشعم والسودان وان قدرت أن أترك بلاد هؤلاء القوم وأرحل الى بلاد الآباء والأجداد وإلا فالملتقى عند المولى ثم انها قالت عند ذلك لأصحابها ان ضربتم بسيوفكم فلا تضربوا بها الا بالعرض واذا طعنتم بالرمح فيكون بلا سنان لأنهم مسلمين وأنا ما مرادى إلا خلاص أولادى من عندهم لأنى أخاف

أن يحملوا الخليفة على قتلهم كما حملوه على قتل ولدى والبطال ثم أنها حملت وهى تطلب ما عليه قدعزمت (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وماجرى لهم (وأماما كان) من ملك الروم الملك ميخائيل فانه لما أن عاين ذلك الحال تعجب من شجاعة الأميره ذات الهمه وقوة قلبها وكيف قد حملت وأرمت روحها على تلك الخلائق فالتفت الى البطارقه الذين من حوله والملوك والى غيلان الشوك وقال لهم ماترون من الرأى فقالوا له فى أى شىء أيها الملك فقال لهم فى شىء لعباد المسيح فيه راحة عظيمة وهو أن ملطيه لم يبقى فيها أحد والأميره ذات الهمه قد حملت وخاضت العجاج وقد خطر لى أنا الآخر أن أحمل حملة واحدة الى صوب البلد وتتقدم الثقابة وينقبوا من حول الباب ويرموه فى أقل من طرفة عين وقد ملكنا البلد فقالت له ملوك الروم الرأى كما تراه أيها الملك (قال الراوى) فأمرهم بذلك فحملوا صوب البلد وما زالوا فى حملتهم الى أن قاربوا البلد وبقوا تحت الأصوار فاستتروا بالاتراس من رمى الأحجار فتقدمت الصفوف بالقسى والنبال فانكشف برج الباب من الرجال فصاح الملك ياويلكم اكسروا الأبواب واهجموا البلدهذا وقد علا الصياح وانعقدت وسمعت الاميره ذلك الصياح فعادت بقلب ملهوف وجعلت تخرق الصفوف وبنى كلاب والسودان قد عادوا ولحقوها وحملوا مثل حملتها وهم ينادون الحريم الحريم والصبر على البلاء العظيم ينجى غدامن نار الجحيم ياقوم أما تسمعوا صياح النسوان وضجيج الأطفال من خلف الأصوار دونكم وخلاصهم من قبل أن يبقوا للروم جوار ولاتموتوا الا تحت سيوف الكفار (قال الراوى) هذا ولم تزل الأبطال بالابطال والاقيال والرجال تنصدم والرماح تنحطم والفرسان تتهشم والدماء تنسجم حتى صارت الاميره بقرب الباب وهى تنادى يال كلاب (قال الراوى) فلما أن نظر الملك الى ذلك خرج من تحت الأعلام وقد عول على الحملة فلم يمكنه غيلان وقال له أيها الملك بعد ماتحمل ايش نعمل نحن أليس أرواحنا لك الفدا ثم أن الملعون حمل فى السودان المنتصر من عباد الصليب وقد ذكرنا فى غيلان الشوك من القوة والشجاعة هذا وقد صدم الاميره عند خروجها من الحرب وتعبها من الطعن والضرب حتى كلت منها السواعد فعندها لقاها الملعون بالرجال المستريحه فبطح عند ذلك رجالها ونكس أبطالها وقتل جماعة من فرسانها وهدر الملعون وزمجر وصلب على وجهه وكفر وانقض على الأميره انقضاض السهلب وقدكانت الاميره على غاية من التعب فالتقته بقلب صافى النية صادق الطويه وهى توحد رب البريه مشتاقة الى الجنان العليه وكان الملعون غيلان قد صوب الى

صدرها القنطاريه فأمهلته حتى علمت أن الطعنة قد قاربتها وضربت قنطاريته بالسيف برتها وخرج عند ذلك حصانها مثل السحاب واحتك الركاب بالركاب وكانت الأميره قد أخرجت رجلها من الركاب ورفصت جواد غيلان الشوك على أضلاعه كبكبته ونكست غيلان من على ظهره فنزل على دماغه ووقع على أم رأسه فأوهنت أساسه (قال الراوى) فلما أن رأت سودانه أن أميرهم قد تنكس من على جواده وصار تحت رجليه عند ذلك أدركته سودانه لمنتصره وخافوا عليه وأدركته وازدحمت من حواليه هذا وقد تلاطمت المؤمنين والكفرة وجرى للأبطال فى هذه الساعة أشد ماجرى فى القتال هذا وقد أظهر الشجاع ماعنده ومد الخصم الى خصمه باعه وسطا اليه زراعه وقد قاتل كل واحد منهم على قدر الاستطاعة فكان ذلك النهار مثل قيام الساعة هذا وقد سمع ملك ما جرى على غلان فخرج من تحت الأعلام والصلبان ولعب برمحه الحديد وهو مثل البرج المشيد وقد صار الملك يطعن الفارس ويشيله على رمحه فيرفعه بما عليه من الزرد وينفضه فيقع وكلما فى جوفه يتبدد هذا والبطارقه يعوذوه عند ذلك بالانجيل وكان كيف ما مال يميل (قال الراوى) فكان عند حملته فرج لأهل البلد لان البلد قد قل عنهم فصاروا تحت الأصوار وكبروا ونادوا باسم الملك الجبار وارموا المسلمين من فوق الأصوار على الكفر بالاحجار فقتلوا خلق كثير من أهل الصليب والزنار ممن كان مع الملك من القوم الاشرار وكان كل من قرب الصور هلك وصار الى الارتحال الى جهنم وبئس القرار وكان ذلك الوقت قد صار الغياب وماصدقوا المسلمين أن يروا آخر النهار فدخلوا من الباب بعد دق طبل الانفصال وقد كلوا وملوا مما قاتلوا وقد هلك منهم خلق كثير وشىء جريح هذا ولم تزل الأبواب مفتوحه على حالها حتى مابقى انسان والاميره تفتقد الابطال الى أن مابقى منهم انسان وبعد ذلك دخلت الاميره ومن معها من الابطال وعادوا الروم الى الخيام وقد انتشرت جيوش الظلام وقد نزل الملك فى سرادقه وقد كاد الغيظ أن يخنقه حيث لم يبلغ غرضه من أهل البلد ولا نال مقصوده وكان غيلان قد حملوه من تحت ارجل الخيل وهو على آخر نفس فادعى له الملك بالحكماء وأمرهم أن يداووه وقد حمل الى خيمته وهو لايعقل على نفسه هذا وقد اشتغل الملك والروم بغيلان وهو الذى أوصل الأميرة وأصحابها الى البلد والا ما كان وصل منهم أحد (قال الراوى) وكان الخليفة قد ركب فى موكبه وابصر ماقد جرى للمسلمين مع الكفار فقال مالهذه العجوز وبنى كلاب فى الحرب ثانى ولو لا شجاعتهم وجسارتهم ماكان سلم منهم أحد فقال عمرو بن عبيدالله

والله ياأمير المؤمنين ان سلموا اليوم ماسلموا غدا ولابد ما يؤخذون لأنهم مما قاسوا فى هذا اليوم مابقوا يخرجون وفى غداة غديفتح الباب الملك ميخائيل ويأخذ البلدلأن البرج عرقبوه ولولاشغلهم اليوم بغيلان كانوافتحوه والصواب أننافىغداة غدنزحف معهم الى البلد ويقوى الحصار وتنقلب الأصوار حتىيكون الفتح لنا منسوب وعدونا بعد ذلك فى أيدينا مسحوب فقال المعتصم هـذا هو الصواب والامر الذى لايعاب فتأهبوا للقتال (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الاميرة ذات الهمه فانها لماأن دخلت الى ملطيه افتقدت أبطالها فوجدتهم فى غاية الضر والعيش المرواكثرهم مجروحين فقالت لهم ياقوم مابقينا نخرج من خلف الأصوار حتى تهدأ المؤمنين الابرار بل انناتحامى عن البلدوعن انفسنا على قدر جهدنا من على الأصوار ونبصر ما يكون من هذه الأحوال ثم ننتظر الفرج من الملك الستار (قال الراوى) ثم أنهم باتوا طول الليل فى نقـل الاحجار الى الابراج والأصوار ويطلبون النفط والنار ولماان كان عند الصباح قامت الرجال من مراقدها هـذا وقدركبت الـكتائب والمواكب وزحفت الى البلد من كل جانب ونادى المنادى من قبل الملك يامعاشر البطارقه من يبين اليوم فروسيته اعطيته المال واخلعت عليه ومن قصر طيرت رأسه من بين كتفيه فلما ان سمعوا الروم من الملك ذلك المقال فزحفوا بقلوب قريحه وخيول مستريحه وقدركبت عساكرالخليفه فى ثمانمائة ألف بعد ماأرسل المعتصم الى الملك الذى للروم واخبروه بذلك فقال له افعل ماتريد وكانالك عبيد وكان هذا الجواب برأى الملعون شومدرس حتى انهم يملكوا البلد (قال الراوى) فعنـد ذلك قدنصبت المناجيق والفرادات وتزلزلت الأرض من ركض الخيـل العربيات وكثر الأنزعاج وقربت السلالم من الابراج فلما ان نظرت الاميره الى ذلك فهانت عليها المهالك وقدقالت لضيغم ابن الأمير عبدالوهاب ياولدى خذنصف الناس وقف فى صدر الروم وانا آخذ النصف الآخر وأقف فى مقابلة المعتصم وعساكره فقال لها افعلى مابدالـكى وافعلى ماتريدين واعلمى أننا كلنا اشتقنا الى لقاء الله تعالى وصاح فى السودان وقدصاحت الامير فى بنى كلاب واختلط عند ذلك الخطأ والصواب ورموا من الطلاقات الأحجار وضربوا السلالم بالنفط والنار فاحرقت الاخشاب ودقت فى الاجساد وكذلك الاتراك أهلكوا جماعة من بنى كلاب والسودان الانجاب بالنشاب هذاوقد زادوا فى الأمر حتى ترجل ملك الترك وأرمى شربوشه من على رأسه وزحف بنفسه الى الصور وفعلت الفقجق مثل فعاله وتقدمت الخراسانية قدامهم تسترهم من البلاء والآفات هذا وقدتمكنوا عند

ذلك النقابين من الصور ورموا فى الحال صناديق الصخور إلا أنه ما افتتح له ذلك النقب إلا وقت المساء وكانوا المجاهدين قد بذلوا المجهود وقاتلوا قتال يشيب الاطفال فى المهود حتى اختلط الظلام وولت عساكر الابتسام وعادت العساكر الى الخيام وقد تباشروا أنهم فى غداة غد يفتحون البلد (قال الراوى) هـذا وقد كانت الروم أيضا قد تقدمت ونقبت من الجانب الآخر نقب عظيم وبقوا أهل البلد وقد أيقنوا بالسبي والهلاك هذا والاميره ذات الهمة تقول يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ولابد ما نقاتل الاعداء فى النقوب ونتكل علام الغيوب وأى من أسرناه ريحناه على قبر الامير عبد الوهاب (قال الراوى) هـذا وان عذيبه لما ان نظرت إلى ذلك الحال والأمر الصعب والقوم يودعون بعضهم بعض أخذت أختها وغلمان أبيها معها ونزلت من البلد بعد ان قالت للاميره ذات الهمه ان مقامنا عندكم ما يفيدكم فدعونا نكون من برا البلد عسى نقدر لكم على شيء ثم أنها سارت وطلبت عساكر الروم واختلطت بهم هذا وقد باتت الاميره عند قبر ولدها تندب عليه وتبكى الى الصباح ولما أضاء النهار وانكشف الضوء طارت العساكر تطلب الحرب والكفاح فبينما هم كذلك وإذا قد أقبل من ناحية العراق غبار ونار إلى ان سد الاقطار فمدوا اليه العساكر الابصار ساعة من النهار فقالوا أهل البلد عسى يكون لنا فيه فرج عند الملك الجبار وقد انكشف الغبار وبان عن أعلام وصناجق فعند ذلك أنفذ المعتصم بعض الحجاب يكشف له الاخبار وقد بطل القتال هذا ولما ان نظر ملك الروم الى ذلك فأمسك عن القتال وأنقذ جاسوس الى عسكر الاسلام يأتى بالاخبار حتى ينظر مايكون هؤلاء القادمين ومن أى الامصار (قال الراوى) ان كان هذا الغبار عسكر الخليفة الذى كان فى العراق ولم تكن الا ساعة حتى عاد الحاجب الى المعتصم وأخبره ان صاحب البصرة قد قدم هارب لأن البلاد قد ملكت والعباد قد هلكت وما وصل صاحب البصره الا وهو مجروح فلما ان سمع المعتصم الى ذلك اصفر لونه وارتعب كونه وصعب عليه وكبر لديه وبعد ساعة وصل صاحب البصرة وهو مجروح كما قال الحاجب ودخل على المعتصم ووقف بين يديه وقبل الأرض وأشار ينشد ويقول :

الى ياابن المفاخر والمعالى أجرنى واستمع منى مقالى
فقد طرق العراق جيوش قوم من السودان بالبيض الصقالى
لهم ملك يرد الخيل قهرا بطعن من اسنات العوالى
اذا سدت معالى كل باب فتحها بالخديعة والمحال

وكل مدينة قد زينوها بقاضى تحت حكمهمو ووالى
وانى قد أتيت اليك أشكو بدائع ماترى من سوء حالى
ومعهم صاحب يختال حتى يريك الشمس تطلع كالهلالى
أبادونا الزنوج وأخرجونا وأفنوا عند حملتهم رجالى
فبادرنا واحمينا سريعا والا يوثقونا بالحبالى

(قال الراوى) ولما ان فرغ من شعره قام المعتصم وقعدما سمع وقال له ياويلك دعنى من ذلك الشعر والنظام وقل لى ما الخبر فقال له يامولاى قدخرجت علينا سودان زنج وهنود فى مراكب وقدملكوا عبادان وأخذوالهم منها خيول وساروا الى البصره وفى أوائلهم ملك لهم أسمر اللون يقال له عبود لقيته فى مائة ألف من عساكر العراق وكان هوفى عشرة آلاف فارس فكسرونى ثلاث مرات وملكوا البصره وقدالتم عليهم كل من كان طالب المكسب من طاعة العرب وقدساروا الى بغداد وملكوها وقد انهزم ولدك الواثق الى بلاد العجم وانهزمت انامع من انهزم وهم خلفى سائرين يملكون هذه الأرض والى هذه الديار طالبين وقدسمعت ان خلفهم عسكر عظيم وأنهم يريدون الارض فى الطول والعرض وأنهم قدقالوا يعيدون الدوله للسودان ويقلعون البيضان من سائر البلدان وهم فى عزمة عظيمه مثل نارسقر لاتبقى ولاتذر وأكثر البلاد أخذوها بالحيل لأن وزير هذا الملك عبود يقال له حمود الخداع يفتح بتدبيره القلاع ويكسر الجيوش ولو كانت بعدد رمل البقاع (قال الراوى) فلما أن سمع المعتصم هذا الكلام داخله الفزع وكاد قلبه أن يتصدع وقال اخفوا هذا الكلام ولاتبدوه لأحد من الانام حتى تنجز أمر ملطيه ويرحل عنها الملك وسائر الروم ويسير الى بلاد النصرانيه ونعود نحن الى هذا الخارجى باهتمام ونخلص منه سائر ماملكه من البلاد وما احتوى عليه من سائر الامصار بالحسام إلا ان علم ملك الروم بحالنا جمع علينا وطمع فينا وزاد البلاء علينا ولايبقى لنا حال من الاحوال (قال الراوى) فهذا ما كان من المعتصم (وأما ما كان) من ملك الروم فانه لما أنفذ جواسيسه يكشفون له خبر الغبار فغابوا قليل وعادوا اليه وأخبروه بالأحوال على جليتها ففرح بذلك وجمع ملوك الروم واعلمهم بماجرى على الخليفة ورواح بلاده وهلاك عساكره واجناده وعبد الوهاب والرجال وهذا كله بعناية المسيح الذى قدأهلكهم وهذه المرأة ومن معها قدأشرفوا على الأخذ والاسر وقدرأيت من الرأى أننا نكبسهم الليلة إذا أقبل الظلام ونحل بهم لويل والوبال فقالوا الملوك شاوروا الشيخ النجيح فى هذا الامر ان كان قدطلع له

اخبر لأنه بهذه الأمور منا أبصر فقال لهم الملك ياقوم اعلموا ان الجواسيس قدذكروا لى أنهم مارأوه فى عسكر الخليفه وماأظنه الاقد حصل فى البلد مع هؤلاء المجاهدين (قال الراوى) ثم ان الملك بعدذلك أمر النقباء ان تدور فى العساكر ويوصوهم ان يكونوا على أهبة الكبسة على المسلمين فساروا مقدمين العساكر وأعلموا جميع الروم وقدتأهبوا واستعدوا للكبسه وأقاموا على ذلك الحال الى ان أظلم الليل والمعتصم ماعنده من هذا خبر بل أنه أحضر النقباء واخلع عليهم وقال لهم وتربة الرشيدان فتحتم البلد غدا أعطيكم ماشئتم من الخلع والاموال لانى من أمرى على عجل فقالوا له ياأمير المؤمنين ان فتحناها غداوالا يكون بعد غد (قال الراوى) هذاوقدبات المعتصم متيقن بفتح البلد وهو مشتغل الخاطر بالخارجى الذى ملك البلاد ولما أن تنصف الليل كبسته عساكر الروم وانطبقت على عساكره فى ألف ألف ومائة الف يتبعها مثلها هذا وقدارتفع عند ذلك الصياح حتى قيل ان السماء قدانطبقت على الارض وخيل للمعتصم ان جبال الدنيا قدقلعت والبحار قد تلاطمت فوثب قائم بلاعقل وقال هذا ما كان فى الحساب والله لقد غدر ملك الروم فى وقت صعب هذا وقد قام القاعد واستيقظ الراقدوعملت السيوف فى الليل الداج وسالت الدماء من الاوداج مثل البحار وعمل صارم الهلاك وقد أرموا بالسهام فى الظلام فأصابت المقاتل الرجال من شاب وغلام وعجل الحسام وفلق الهام وهشمت العظام وقل الكلام ودار ملك الموت عليهم بكاس الحمام وانقلبت الارض بوقوع الحوافر فى تلك الظلام واختلطت العساكر بالعساكر فكانت كالبحار الزواخر ولم يعرف الأكابر من الأصاغر وبان الرابح من الخاسر وقد همهم البطل وزمجر وجرت على القوم العبر وحكم عليهم القضاء والقدر وجرت سواقى النجيع وشاب من هول تلك الليلة الطفل الرضيع هذا وقدهجموا الروم الى الخيام التى فيها المعتصم وقد قتلوا السادات والعبيد وطرحوا الأجساد على الصعيد (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر القتال وما جرى من الحرب والنزال (وأما ما كان) من الأمير ظالم وجعبر واللملمان ومن كان معهم من العرب فانهم لما وقعت الوقعة فى هدوء الليل هربوا الموكلين بهم وقد تركوهم فثاروا مثل الجمال لما أن رأوا كثرة الأهوال وقد فك كل واحد حديده وانطلق من قيوده وقد ركب بعضهم على الخيول الغائرة وبعضهم صارا راجلا فرحا بالخلاص وقدقصدوا املطيه هذا وقد علمت الاميره ذات الهمه بذلك فقالت والله غدر ملك الروم فقال الأمير ضيغم والله لاخرجنا اليهم ولا كنا لهم ولا عليهم فقالت الاميره لا والله بل نخرج اليهم لأجل أخيك ظالم والامير اللملمان وجعبر ومن معهم من السودان

والعرب والفرسان ثم انها أمرت بنى كلاب أن يفتحوا الباب واذاهم بظالم واللملمان ومعهما طائفة من السودان وأكثر الناس قريب من الأصوار يتفقدون باقى أصحابهم ففرحت الأميرة بهم وهنأتهم بالسلامة ونظرت الأميره الى البر واذا بالأرض قد انقلبت من التخوم والعالم بعدد الحصى والنجوم والسيف يعمل والرجال تقتل والدم ينزل ونار الحرب تشعل الى وقت السحر (قال الراوى) وقد اندقت عساكر المعتصم منهزمة وقد أخذت الروم المال والخيام والمضارب هذا وقد أنفذ ملك الروم عند الصباح الى الاميره رسول يقول لها أيتها الاميره أنتى عملتى ماعملتى مع المعتصم من كل جميل وفى الآخر قتل ولدك وأتى يحاصرك فى بلدك وأنا أريد مثلك بينى وبينه وأناوحق المسيح أصافيك وأجعلك من بعض الأصدقاء والأصحاب وأنتى أيضا تعلمى أن بيننا نسب لأن ستى ميمونه كانت منكم وأنتم أقرب الى من الروم ولكن قدربيت بينهم وعلى دينهم ولا بد اذا افتحت البلاد أعطيكم اقطاع من بعض الأقاليم ويكون بينى وبينكم الهدنه بطول السنين ولا أخاف ماتقولون (قال الراوى) ولما أن وصلت الرسالة الى الاميره ذات الهمه فأنفذت تقول له أنا ما أدخل بينكم وأما الصلح بينى وبينك فان هذا لا يكون أبدا لأن ليس لكم عهد ولا ميثاق ولا تحبوا الا النفاق وتكرهوا المسلمين وتخلفوا وتغدروا وليس لكم اتفاق فعاد الرسول واعلم الملك بما قالت الأميره من المقال (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من المعتصم فانه لما أن جرى ما جرى وانهزم فانه طلب آمد وما عبر من الغداة حتى هلك من عسكره خلق كثير وقد تبعه ملك الروم يوم وليلة حتى أدركه فى خرت برت ووقع السيف فى الناس فهلك أكثر بنى سليم ومن الاكراد وعسكر العراق وقد عدم منهم عالم عظيم هذا وقد داروا الاتراك والمقدمين من العساكر بالخليفة وقد صاروا هاربين والروم خلفهم سائرين ولهم طالبين حتى أشرفوا على آمد هذا وقد حل بهم من الهزيمة أعظم مما حل بهم من الكسره هذا وقد هلك تحت المعتصم خمس جنائب من الجياد حتى وصل الى آمد وما وصل اليها حتى ما بقى معه إلا نفر قليل هذا وقد تبعه ملك الروم فى ذلك الخلق العظيم ونزل على البلد وقد تلاحقت به الكتائب والمواكب وكانت الاميره لما ان أخذ ملك الروم متاع المعتصم وتبعه فى حال انهزامه لما أن أنفذ اليها الرسول فما كان لها شغل إلا أنها هجمت بالرجال على ثقل ملك الروم ميخائيل ووضعت السيف فى بطارقته وقد تركت الدماء منهم تسيل من ضرب السيف الصقيل وقد أهلكت خلق كثير من عبدة الانجيل وقد حازت جميع مافى الخيام بقدرة الملك

العلام وصارت تصيح يا آل كلاب يا آل يالتارات الامير عبد الوهاب فان كان غاب في اللحود فان أمه تنوب عنه فى قتال أهل الكفر والجحود وصارت تنادى الله أكبر الله أكبر وأصحابها تنادى من ورائها كندائها وقدرأت الاميره هناك أو فى من عشرة آلاف منهم من هومقيدومنهم من هوحديده مجرد ومنهم من يده صارم مهند وهو يصلى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم فقالت لهم الاميره ياويلكم من تكونوا فلما أن رؤها عرفوها وعرفتهم فقالت لهم واين ظالم فقالوا لها انه قدخلص فى هذه النوبه وخلص اللملمان وجعبر وسائر المأسورين وقدأعطى بعضنا السيوف وترك بعضناها هنا وقوف وقال لنا انني أريد أن أبادر الى المعتصم لعله يقع يدى فاضربه ضربة أشفى بها غليل صدرى فقال جعبر لاوالله ماأدعك أن تضربه قبلى ومايضربه فى الأول إلاأنا وأنت اضربه بعدى وقد رأيناهم الاثنين وقد سارا خلف العسكرين (قال الراوى) فلما أن سمعت الاميره منهم ذلك المقال قالت ماشاء الله كان فبينماهى فى ذلك الأقوال واذا به قدأقبل وجعبر الى جانبه ففرحت بهم الاميره لماان رأتهم عادوا سالمين وقالت لهم يا أولادى أين كانت غيبتكما فقالوا لها انا قد سرنا خلف المعتصم لنقتله فلم نقدر على ذلك من كثرة العساكر هذا وقد كانت الاميره ذات الهمه قد ملكت الثقل واحتوت عليه واغتنوا الناس غنا لافقر بعده وقد فرحوا بذلك ونجاهم الله من المهالك (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من ملك الروم ميخائيل فانه مازال بعساكره خلف المعتصم الى أن وصل الى آمد ونزل بعساكره عليها وكانت عساكره عدد النجوم وكان معهم السلالم والأبراج وآلة الحصار التى كانت مع المعتصم على ملطيه هذا وقد انفرشت العساكر الى ناحية نصيبين وقد نهبت الفلا والرساتيق وأقام المعتصم فى آمد محصور ضيق الصدر باكى على من عدم من أصحابه هـــذا وقد وصلت الأخبار الى سائر البلاد بكسر المعتصم وعساكره وبحصره فى آمد وأن ملك الروم واخد ماله ونواله وجميع ثقله ورحاله وكان قد دخل معه عشرين ألف ترك وهربوا الباقين وبعضهم قتل وبعضهم طرد وبعضهم شرد (قال الراوى) فلما أن رأى المعتصم الى ذلك الحال وان النوبة صعبة أقبل على الوزير الفتح بن خاقان وجعفر بن عبد العزيز وأبا يوسف وأرباب الدولة وعمرو بن عبيد الله وكان قد دخل معه خمسة آلاف من بنى سليم والباقى تشتتوا فى البر والقفار وقد هلك أكثرهم وطلبوا الباقين النجاة الا أن المعتصم أقبل عليهم وقال لهم كيف ترون هذه النوبة المشكلة الذى هلك فيها العالم وقد

تفرقوا المسلمين وضعف الدين وأحاطوا بنا عساكر المشركين وان اشتد علينا القتال أخذونا كلنا فى الجبال وسرنا معهم الى بلد القسطنطونية محمولين على الجمال ووالله ما كانت سعادتى إلا بوجود عبد الوهاب وما زلت أسمع من كلام الحساد حتى سقيته كاس الذهاب وتحملت ذنوبه يوم الحساب وكل هذا الذى قد جرى لى بما فعلت معه وما حسبت الحساب (قال الراوى) هذا وقد دام على المسلمين الحصار من الروم الكفار حتى قل عنهم الزاد وأكلوا خيولهم لأن آمد ما كان فيها شيء من الغلة هذا وقد أشرفوا المسلمين على الهلاك من قلة الأكل وقد طمع فيهم الملك ميخائيل وفى البلد وقد قالوا له الملوك إذا أخذت المعتصم ملكت الدنيا بما فيها هذا وقد ضاقت على المعتصم الأرض بما رحبت وأيقن بالهلاك وقال لعن الله من كان السبب فى ذلك وانى ما قبلت قط من رأى عقبه وأصبت ولا فلحت بطول الزمان لأنه رجل غير موفق (قال الراوى) وفى ذلك اليوم وصلت الكتب على أجنحة الطيور تخبر بأن الموصل قد ملكوها السودان وهم سائرين إلى باقى البلدان فقال المعتصم دعهم يملكون الى الصعيد الأعلى لأنهم أحق من الروم وأما أنا اليوم من الهالكين لا من المالكين وأنا أعلم أن هذا كله بما فعلت فى حق الأمير عبدالوهاب وأبو محمد البطال ومن أجلهم جرى على وعلى المسلمين هذا الوبال فوا أسفاه على من يرد الأميره ذات الهمة إلى طاعتى حتى كنت والله أشاركها فى نعمتى ومملكتى وأوليها أمر خلافتى لعلها أن تجعلنا فى حل من دم ولدها وتبذل فى خلاصى من هؤلاء الاعداء المجهود فقال رجل من بنى سليم ياأمير المؤمنين وماعسى أن تعمل ذات الهمه فى هذه العساكر التى قدسدت الفضا وملأت المستوى (قال الراوى) فلما ان سمع المعتصم منه ذلك المقال صاح فيه وقال له ياكلب بنى سليم بمثل هذا المقال يتم علينا هذا المصاب منك ومن ابن عمك عقبه ومن أمثالكم تنزل علينا النوائب فلعن الله من كان السبب فى ذلك فقال الوزير والله يامولانا مايذم الاميره ذات الهمه وأولادها ومن يلوذبها الامن يكره دولتك فقال له المعتصم صدقت وحق آبائى وأجدادى كل من عاديذكرهم لى بسوء ضربت رقبته ثم أنه قال للوزير أيش يقول فى مكاتبة ذات الهمه وردها الينا فقالوا أرباب الدوله والله مانظنها تعطيك أبدا لأنك أحرقت قلبها على ولدها فقال له الوزيرا كتب يامولانا اليها كتاب وأنا أسير به اليها لأنها امرأة تغير على دين الاسلام وتحامى عن المسلمين وهى طيبة الأصل والفرع مجتهدة فى دين صاحب الشرع فان أجابت فهو المراد وان أبت كانت عند ذلك معذورة فقال المعتصم هذا هو الصواب (قال الراوى) ياسادة

فعند ذلك كتب المعتصم لها كتاب بيده وكتب فى أوله شفاء الصدور بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فان الحلم من شيم الكرام وما كتبت هذا الكتاب إلا وأنا أعلم أنى مطالب بولدك الأمير عبد الوهاب وأنى خائف من رب الأرباب أن لاتحالليني بحسن نيتك وان لم ترعى حق لأجل ما سمعت فى حق ولدك من كلام اللئام فارعى قرابتى من محمد سيد الآنام عليه أفضل الصلاة والسلام وقد كان الذى كان والغائب سابق يعود ياأميره واعلمى أن بلاد العراق قد ملكتها السودان وقدحاصرونى الروم فى هذا المكان وأنا خائف أن تزول دولتى وتنقطع بنى العباس ويشمتوا بنا أهل الكفر والطغيان الأنجاس فبادرى بحميتكى وحسن رأيك ومروتك لعل أن يكون للمسلمين فرج ونحامى عن قوم قد أيسوا من الخلاص وأيقنوا بسبى الأولاد والعيال وهتك النسوان المخدرات وارحمى يرحمك الله ولا تؤاخذينى بما قدر الله وحامى عن من طول ليلهم ونهارهم يقرؤن القرآن وان لم يكن لكى قدرة بملاقاة عسكر الصلبان فابصرى كيف تحتالى على خلاصنا من هذا المكان والسلام عليكى ورحمة الله وبركاته ثم أنشد يقول :

أذ لهمة ندمت على فعالى ... على من كان سيف المسلمينا
سمعنا فيه أقوال الأعادى ... وأصبحنا عليه نادمينا
وكان هلاكه حتما عليه ... وكان قضاء رب العالمينا
ظلمناه فكوفينا سريعا ... وسرنا عبرة للناظرينا
أبادتنا سيوف الكفر حتى ... بقينا فى الفلاة مطرحينا
وكم من سيد أمسى قتيلا ... على آثارنا يبدى الأنينا
ينادى آه من كاس المنايا ... إلهى أنت مجزى الظالمينا
حكمت بما تريد فلا اعتراض ... وأيتمت البنات مع البنينا
فعوضنا جنان الخلد حتى ... نكون بما صبرنا فائزينا
ولو نظرت عيونك للسبايا ... تريهم فى الحبال مكتفنا
ينادوا أين من يحمى حمانا ... حقيقا من سيوف الكافرينا
ومن ينجى لنا من كل خطب ... وأين الراكعين الساجدينا
لقد غدر الزمان بهم فولوا ... بلا شك أسارى مارقينا
وقد ملك العراق وصار فيه ... من السودان قوما مفسدينا
فراعينى ولا تبدى جفاء ... بحق رسول رب العالمينا

محمد خير هذا الخلق طرا　وسيد الانبيا والمرسلينا
فكونى ارحمى قوما حيارى　وليس بقى لهم أحدا معينا
وهذا من خليفتكم اليكم　فكونى اسعفيا واحمينا

(قال الراوى) ولما أن فرغ الخليفة من كتابة الجواب أعطاه الى الوزير وقال له تجهز للمسير فقال السمع والطاعه وقد صبر الوزير الى الليل وفتح باب الجبل لان ما عليه للأعداء منزل هذا وقد سار الوزير وجد فى سيره ومازال سائر الليل والنهار الى أن وصل إلى ملطية فوجد الاميره ذات الهمه نازلة على نهر قباقب وقد خرجت فى عساكرها من البلد وأمرت الناس بعمارة ما انهدم من الأصوار وكانت الاميره معوله فى هذه الأيام أن تحمل الملعون عقبه وتسير به الى القسطنطونيه وتصلبه على بابها وهى خالية من العساكر لانها قد علمت أن عسكر الروم ملكها فى اليتال وأن تشتهى قبل مسيرها أن تعلم ماجرى للمعتصم وهى خائفة أن يظفر به ملك الروم ويضعف المسلمين (قال الراوى) فبينما هى على ذلك الحال وإذا بالوزير قد أقبل عليها وحصل بين يديها فلما أن رأته قامت اليه وبجلته ورفعت محله وعظمته وقدبكت فى وجهه على ولدها وشكت اليه قتل ولدها وفقده وقلة صبرها عليه وجلدها ثم قالت له أيها الوزير وكيف طاب عليك أن تغرق فى الدجلة مثل هذا البطل الهمام الذى كان يحامى ويقاطع للاسلام فهم الوزير أن يعلم الاميره بأمر ولدها نخاف ثم أنه عاد إلى عقله وقال ربما يتشوس قلبها ويردد طمعها وربما أصيب عقلها فسكت عن ذلك الكلام ولزم الناموس وقال لها يا أميره ما كان بخاطرى لأن المعتصم كان قد وكل بى جماعة من الخدام فما قدرت أن أخالف الإمام وكانت قد جرت عليه هذه الأحكام ونفذ فيه حكم الملك العلام وأنتى تعلمين أن كاس الموت دائر على الأنام لابد لكل أحد من شرب الحمام ان كان قتيلا أو غريق أو على فراشه وقد قال تعالى (لكل أجل كتاب) ومع ذلك فان الله يعوضك عن ولدك بالأجر والثواب ويخفف عنكى ثقل يوم الحساب وسوف يندم قاتله بين يدى رب الارباب يوم تظل الابصار طائره والنفوس حائره والجبال سائره والسماء مائره والكواكب منتشره والعقول مشتهره والشمس مظلمه وجهنم معتمه والانفس نادمه على ما كانت مقدمه هنالك يفرح عبد الوهاب على ماترى عيناه ويندم الخليفه على ماقدمت يداه مما عمل فى حقه وسواه (قال الراوى) هذا وقد كانت الاميره ذات الهمه كلما سمعت أهوال يوم الحساب قد جرت دموعها بانسكاب ثم قالت له بعد ذلك أيها الوزير وبعد ذلك فيما أتيت

الينا وتعنيت فقال لها اعلمى يا أم المجاهدين ان الله الذى أنطق الألسن وشق الأعين قال فى كتابه العزيز (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله) واعلمى يا أم المجاهدين إن الروم قد ملكت البلاد وأهلكت العباد والسودان فى العراق قد أظهرت الفساد وان دام هذا الخلق بينكم شمتوا بنا الحساد ونما الفساد وزاد وهذا كتاب الخليفة اليكى بالاعتذار فاعذريه ودعيه وربه يجازيه فلما سمعت الاميره من الوزير هذا الخطاب وقرأت ما فى الكتاب جرت عند ذلك دموعها مثل السحاب على ما أصابها وأصاب المسلمين من هذا العذاب وعلى من قتل منهم من الشيوخ والشباب وقالت اللهم صبرنا على بلاك واجعل خيار أيامنا يوم لقاك ثم أنها قالت اللهم ارزقنى الصبر على ولدى وبرد عليه نار كبدى لأن ما مات إلا وقد صار شيخ كبير وكان للاسلام نعم النصير ونحن لاشك به لاحقون فلا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله وإنا اليه راجعون (قال الراوى) ثم إنها أجابت الوزير الى المسير وقد رتبت فى ملطيه من يحفظها وهو الامير قشعم بن الامير عبد الوهاب وقد وكلت بالقاضى عقبه أربعة من غلمانها يحفظوه ولما كان من الغد عولت على الرحيل وقد شاورت فى ذلك الأمير ظالم وضيغم فأجابوها الى ذلك خوفا على قلبها وقد رحلوا معها وصارت تقطع الأرض فى الطول والعرض وكلما نظرت قتلى المسلمين وهم مطروحين فى ذلك الفلاء والوحوش عليهم عاكفه فاض دمعها وتصدع قلبها وتقول كان هذا فى الكتاب مسطورا والله ان ذنبكم فى رقبة من كان السبب فى قتلكم ويتم أولادكم (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من ملك الروم فانه داوم الحصار على آمد والقتال ليل ونهار وقد أبصر قوة البلد والأصوار فقدم اليها الأحجار وزحف بالبطارقة والأعلاج وكانت هيبة الملك قوية فى قلوب الملوك فنصحوا معه فى القتال وقد قتلوا خلق كثير من داخل البلد هذا وقد زاد على القوم الحصار والقتال والفساد وقل من عندهم العلف والزاد هذا وقد أيس المعتصم من نفسه لما أن رأى هذا الأمر المنكر وأيقن ملك الروم بالنصر والظفر (قال الراوى) ولم يزل القتال عمال خمسة عشر يوم ولما أن كان فى اليوم السادس عشر فلجوا أهل آمد الى ربهم بالدعاء بعد ما أيقنوا بالفناء وقد وقع بعضهم على بعض ونحلت منهم الأجسام من قلة أكل الطعام هذا وقد نظر الخليفة الى ماحل بجميع الناس فوقع به من ملكه الاياس وقد ضاقت من شدة ماهو فيه الأنفاس (قال الراوى) فبينما المعتصم فى ذلك الوسواس وإذا

بغبار قد لاح وقد تكدر منه ضوء الصباح وقد رمقوه بالأبصار الصحاح وبعد ساعة من النهار قد بان للابصار وبان من تحته عساكر المجاهدين الأبرار وفى أوائلهم الأميره المجاهده مثل الليث الهدار والى جانبها الامير ظالم وضيغم وبين يديها اللملمان وجعبر ومن خلفها السودان ولها تهليل وتكبير قد أزعج الجبال وسائر المكان (قال الراوى) فلما أن نظرت أهل آمد إلى ذلك أيقنوا بالفرج وقد أجابوها بالصياح من كثرة الافراح هذا وقد تأخر ملك الروم عن الاسوار وتمحضت عساكره تمحض البحار واستغاثوا بعيسى بن مريم وهو ليس لهم من الانصار وماجت الارض من كثرة الامم هذا وقد وكل ملك الروم بالبلد ملك الارمن وملك الدوقس وعاد فى باقى عساكره يلتقى الجيش الذى قد ورد وشومدرس يقول أيها الملك لاتترك القوم يستريحون فقد حسبت لك هذا الحساب وقلت لك سيكون وان الخليفة مجبور أن يكتب لذات الهمه وبنى كلاب فيأتون اليه لأنهم يرون طاعته فرض لأنه خليفة الارض فى طولها والعرض فقال الملك ميخائيل ياشيخ وما الذى يقدرون أن ينزلون وحق المسيح لابد من أخذ الجميع وأفنى المسلمين أجمعين ولا أترك لهم معين (قال الراوى) فلما أن قربت الأميره من القوم تأهبت هى وجميع من معها للقتال ثم قالت لهم هذا يوم يضاعف فيه الاجر والثواب من الملك الوهاب ثم أنها نادت الله أكبر الله أكبر وقد حملت فى أوائل العسكر هذا وقد كبر عن يمينها الامير ظالم وأخوه الامير قشعم والامير اللملمان وجعبر عن يسارها هذا وقدتتابعت الابطال المجاهدين وأقيال الموحدين فيالها من ساعة كشف الموت فيها قناعه وبلى الانسان بما لا يطيق دفاعه هذا وقد اختلطوا أهل العصيان بأهل الطاعه وقد قاتل كل واحد منهم على قدر الاستطاعة وكان ذلك اليوم مثل يوم الساعه وعمل الصارم الضروب حتى زادت الكروب وقد جرى عليهم القضاء المكتوب وكانوا بين ضارب ومضروب وناهب ومنهوب وطالب ومطلوب وتعلقوا باللحاء والاكتاف والجيوب وكادت الاكباد أن تذوب هذا وقد ذابت المهج واختلط الدم وامتزج وضاقت الانفاس الواسعه وكلت الصفات القاطعه وتقطعت الدروع المانعه وطلعت شمس المنون وما زالت طالعه وكان يومهم مثل يوم القارعه هذا وقد كانت الاميره تقاتل الروم وهى تنادى فى السودان وبنى كلاب يا ويلكم اتبعونى ثم اجعلوا قصدكم البلد والباب لعلنا نسير من الجانب الآخر عند المسلمين ونكشف عنهم أليم العذاب (قال الراوى) وكان المعتصم لما أن رأى الاميره ذات الهمه قد أقبلت وكبرت وحملت وأبصر طوائف

الروم عليها قد تبادرت وأسرعت وما بقى على باب البلد منهم أحد صاح فى الاتراك والأعاجم ومن كان سلم معه من العرب والديالم وقال لهم ياويلكم اخرجوا الى معونة من قد أتى يطلب لكم الفرج وأعينوها على هذا البحر المتلاطم (قال الراوى) فعند ذلك فتحوا الأبواب ورفعوا منها الأقفال وقد علا الصياح والزعاق وخرجت الاتراك وعساكر العراق والخليفة فى أوائلهم غائص فى الزرد وهو متوشح ببردة النبي صلى الله عليه وسلم هذا ولما أن صاروا خارج البلد حملوا وعلى الله توكلوا فالتقتهم طائفة الدوقس والأرمن وقد اشتدت الفتن وكثرت المحن فلما أن نظر ملك الروم ميخائيل إلى المعتصم وقد خرج من البلد فزاد غيظا وحردا وقال ما بقى غير القتال ثم انه ترك مكانه حاجب الحجاب الخاص وعاد فى طائفة من أهل الجزائر يزيدون عن مائة ألف وقد حمل بهم وهو يطلب الخليفة حتى لحق بالأرمن وصار معهم ونادى يا ويلكم احملوا على هؤلاء الذين خرجوا من الأبواب وانظروا منى ومنهم العجب العجاب ثم انه حمل يطلب الأعلام السود وقد أيقن أن المعتصم تحتها وكان يطعن الفارس والفرس بذلك الرمح الموصوف فيرفعه من الأرض ويرميه الى ورائه ويخرج مصارينه وأمعائه ويتركه عبرة لمن يراه وخواصه من حواليه يعوذونه بالانجيل ويرقوه الى أن وصل الى الأعلام فنكسها وصاح على حاملها وأقلبها وقد قتل من الأشراف جماعة وقد طلب المعتصم فلم يراه فغاص فى المعمعة فرآه وقد علم أنه قد اصطلا نار الحرب بنفسه وكان المعتصم قد قاتل قتال من يطلب الفناء وكره الحياه وكسر هو والأتراك جماعة من الدوقس والأرمن وقد جارت عليهم صروف الزمن وأشرفوا من نبال الأتراك على الأخذ والهلاك فأبصرهم الملك كما ذكرنا فأدركهم فى أهل الجزائر وقاتلهم وأهلك أكثرهم وقد عاد عسكر المعتصم بعد الربح إلى خسران وقويت قلوب الأرمن لما أن رأت ملكها قد حمل فقويت مضاربها وقد أفرشت حتى ملأت الأقطار ومنعت المعتصم من القرب إلى عند الأصوار وصاروا فى وسط الأعداء وقد داروا كلهم بالمعتصم وهم يحموه من الردا فعلم الملك أنه الخليفة لما أن رأى المسلمين حواليه فحمل يطلبه وقد صاح فى مواكبه وأقاموا فى القتال هذا والامير عمرو بن عبيدالله يصيح قدام الخليفه ياعباد الله لاتتخلوا عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فى ذلك اليوم أبذل المجهود وقاتل حتى أرض الملك المعبود وجرح فى ثلاث مواضع وسالت دماءه وكان الملك شق المواكب فى طلبه حتى قرب منه ففرق

الرجال من حواليه ومابقى الا يهجم عليه وإذا بالصياح قد علا فزعزع البيداء ومالت الاعلام من عساكر الروم وظهر من وسطها رجال مثل الاسد يكبرون الملك المعبود ويصلون على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الآمر بالركوع والسجود وفى أوائلهم فاطمة بنت مظلوم الطالبة لدار الخلود ووراءها زجال وأبطال بيض وسود وقدبذلوا فى سبيل الله المجهود وفيهم اللـلمان وجعبر أخيه وفى يدكل واحد عامود ولهم أصوات مثل الرعود ولم يزالوا حتى وصلوا عهد الخليفة وقاربوا الاعلام السود وجرى حوله قتال يشيب المولود ونظر ملك الروم الى ذلك فخاف على نفسه من الاميره فعادعن المعتصم وهو يمانع عن روحه ورجع إلى خلفه وهو يرجف من شدة الغيظ ودارت به البطارقة وطلب عساكره والرجال تقع وتقوم وصارت الـكتائب مثـل قطع الغيوم وهم بين عادم ومعدوم وصادم ومصدوم ولم تزل السيوف بارقة والارض بالدماء غارقة حتى أقبـل الظلام ومدعلى الاقطار سرادقه ونزل كل عسكر فى خيامه وكان الخليفه أمرهم بضرب الخيام على أبواب آمد ونزل وهـو لا يصدق أنه سالم مماقاسا من كثرة العوالم ولولا قدوم الاميره ذات الهمه وفعالها وقتالها وردت الـكفرة الفجره عنه وعن البلد وفعلها ذلك الفعال وقتالها للملوك لأنها قتلت ملك واللملمان قتل حامل العلم وظالم قتل ملك وجعبر قتل أيضا حامل علم فالتهت الروم بذلك عن المسلمين وفرقت الاميره ومن معها من بنى كلاب عساكر الروم وكذلك الامير ظالم فرق ومن معه من السودان وجعبر فى أوائلهم حتى وصلوا إلى عند المعتصم وفتح الوزير وخرج الاقامات والعلوفات ففرح المعتصم ودعا للوزير ولولا وصول الاميره ذات الهمه وبنى كلاب والسودان الانجاب ذلك اليوم لكان حل بعساكر العراق الوبال والفناء وان الاميره افتقدت أصحابها ففقدت منهم سبعة آلاف بطل من المجاهدين فبكت الاميره ذات الهمه رضى الله عنها وقالت الامرلله رب العالمين إنالله وأنااليه راجعون ماأهلك الناس الالبناء البلد وحملتناحتى نلنا المقصود ولـكن هـذا بقضاء الله الفرد الصمد ثم أنها سارت ومعها ظالم وجعبر واللملمان والامير ضيغم وتمام العشرة من الامراء الـكرام وأخذت معها كفنها تحت أبطها وسارت ماشيه تطلب عسكر الخليفة لتسلم عليه فى سرادقه ومافى الامراء من يعارضها لأنهم عرفوا انكسار قلبها بعد فقد ولدها الامير عبد الوهاب فساروا كلهم معها بأدب وحشمه فلما ان قربت من السرادق وكان المعتصم فى تلك الساعه منشرح بتدبير الوزير فى خزانته وماله الذى أرسله الى آمد والميره والعليق والاقامات لانه كان أوصى الغلمان كل من جاب شىء يجىء الى آمدفجاء كل شىء آمد فى ذلك اليوم الذى

فيه الاميره وأخبر الوزير الى المعتصم بخزانته أنها سالمة وأنه أرسلها الى آمد فهذا كان فرحه ولما سمع بمجيء الاميره ذات الهمه اليه قام ماشى الى لقاها وهو على أثر التعب والجراح الذى به والتقاها وعانقها وبكى فى وجهها واعتذر اليها وعاد الى السرادق والاميره ذات الهمه وراءه ماشيه وقدأسيلت دموعها على خدودها من فؤاد مجروح وأطلقت لسانها بالسلام عليه ونادت السلام عليك ياأمير المؤمنين وخليفة رب العالمين ياوارث البردة والقضيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أدام الله ظلك على الخافقين وأخرجك من الدنيا بلانكد ولارين لانك خليفة الارض القائم بالسنة والفرض سامحك الله بما فعلت وبما أمرت يوم العرض ياأمير المؤمنين ارحم عجوز قد بليت بفقد ولدها وقل صبرها وجلدها وضعف حيلها وبصرها فان دموعها لفقده غزار وتنفسها شرار النار وقد أظلمت فى أعينها الاقطار واستوحشت الديار وانى كثيرة الانتحاب على سهم رمانى فأصاب وابلانى بفراق الامير عبد الوهاب وقد زادنى هم المسلمين ما كنت فيه من البكاء والانين فالله يلقى من كان السبب لهلاك هذا العالم فعلمت ان الدين بعد ولدى عبد الوهاب قد ذل وهدت أركانه واضمحل وفى هذه الايام أكون به لاحقه وللدنيا مفارقه ويدى لرحمة الله عالقة ثم بكت بعبرات متسابقه ودموع منحدر فبكى المعتصم لبكاءها وكل من حضر وما منهم إلا من تحسر على الامير عبدالوهاب هذا والمعتصم مطاطى الرأس وقد اعترف بالخطأ فقالت له الاميره ذات الهمه ياأمير المؤمنين ارفع رأسك فأنت فى حل من قبلى ولا آخذك الله بما فعلت فى ولدى وبما أحرقت به كبدى فقال المعتصم والله ياميره ما أقول انى أجوز عقبة الصراط بما فعلت معك وقد جرى ما جرى وبعد ذلك فقد كرهت الحياة فى هذه الدنيا واشتقت الى دار البقاء وحق ابن عمى محمد المصطفى لابد لى أن أبرز غدا إلى الاعداء لعل الله تعالى أن يسامحنى من الخطأ فقالت له الاميره يامولانا أناقد حاللتك عما قد جرى وأنا أسألك بمن تفرد بالبقاء وقهر العباد بالفناء لاتقاتل حتى ترانى من جملة الاسراء اوالقتلاء لان العمر قد بلغ المنتهى وأنا أريد منك أن تقبل سؤالى وتدعنى التى الاعداء لعل ان الحق بولدى ويستريح كبدى وأنال المنى واجتمع به اجتماعا ما بعده فرقة أبدا (قال الراوى) ولم يزل الاميره ذات الهمه عند المعتصم الى نصف اليل وعادت الى خيامها والى رحالها هذا والامراء من حولها (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من ملك الروم ميخائيل فانه عاد الى خيامه بعد انفضاض القتال وقد جمع ملوك النصرانيه واحضرهم الى بين يديه ولما أن صاروا بين يديه قال لهم وحق المسيح لابد ما أضرب منكم الليلة مائة

رقبه ياويلكم أنتم كنتم فى هذه الالوف المؤلفة وما كان فيكم قوه أن تمنعوا هذه العجوز الخرفه من الوصول الى البلد وكنت أنا أخذت الخليفة وانتجز الامر من هذه الطائفة اليسيره (قال الراوى) ثم هم أن يسل حسامه ويقوم اليهم ويضرب رقابهم فقال له شومدرس والبترك الكبير امهل فى أمرك ياملك وتأنى ثم أنهم كشفوا رؤسهم وكذلك سائر الرهبان والقسوس وجعلوا يتلون الانجيل ويخوفونه من عاقبة البغى وقد سألوه فى حقن دماء أمة عيسى فعاد إلى مكانه وقرقراره وبعدذلك قالوا له الملوك والبطارقة ياملك وحق المسيح والانجيل ومافيه من التحريم والتحليل لقد اجتهدنا حق الاجتهاد ومافنيامن قصر وقدأهلكنا أكثرهم وفى غداة غدنهلك الباقين فى حملة واحده ونترك الدنيا منهم خامده فقال لهم الملك أناما أريد هذا ولكن يقاتل كل واحد منكم يوم برجاله فقالوا له السمع والطاعه وقداتفقوا على ذلك ولماان كان من الغد فوقع القتال وزاد النزال وقتلت الرجال هذا وقدفتكت فيهم الاميره وهى ورجالها والامراء جميعها ومازالوا إلى آخر النهار وقد ردو الكفار خاسرين وعلى من قتل منهم باكين وحكم فيهم قضارب العالمين (قال الراوى) ولم يزالوا الروم كل يوم طائفة تقاتل هذا والاميره قدفتكت فى سائر الطوائف والبطارقة ورمتهم بكل بائقة فقال الملك وحق المسيح لابدماأخرج إلى الميدان وآخذ هذه العجوز السوء وأريح الروم من شرها وقدباتوا تلك الليله وعند الصباح خرج ميخائيل الى الميدان وجال وصال وطلب الحرب والجلاد فخرج اليه فارس وحمل عليه فما أمهله الملعون أن يجول حتى طعنه برأس السنان جندله وخرج اليه ثانى قتله وثالث أباده ورابع وخامس ومازال كل من خرج اليه أهلكه إلى أن قتل عشرة فوارس (قال الراوى) فبينما هويجول وإذا بفارس قدحمل وهوفى عدة كامله وتحته جواد وكان هذا الفارس عمرو بن عبيد الله وكان نزوله إلى حومة الميدان حسدامنه للاميره لأنه رأى قتالها ومافعلت فى الابطال فأراد أن يفعل كفعالها ولمارآها تهيأت الى الميدان فسبقها وطلب القتال حتى ينال الذكر الجميل هذا وقدكانت الاميره لمارأته سبقها توقفت عن الخروج وقدعلمت أنه حسدها فأراد الملك أن يخرج اليه فسبقه غيلان الشوك ولما ان ساواه ناداه دونك ياكلب العربان الضرب والطعان فى محل الحرب والجولان حتى ترى ماقلت من الهزيان (قال الراوى) فلمارآه عمرو بن عبيدالله شكر الحصان وخاف منه وقال فى نفسه ماهو مليح ياليت هذا ما كان ثم أنه قال ان رجعت عنه بقيت معيره بين سائر العربان وان قاتلته ما أنا قياسه فى الجولان ولكن مالى إلا أن أطاوله إلى آخر

النهار وأعود من الميدان ثم أنه أظهر الجلد وأخفى الكمد وصاح بغيلان وقال له ياكلب السودان وياعابد الصلبان دونك والقتال يامطرود عن باب الرحمن (قال الروى) ثم أنهما تلاحما وتصادما وتلازما فصدمه عند ذلك غيلان الشوك صدمة الجبابره وقد صرخ فى وجهه فأذهله وحيره وخبله وبلبله ومد يده اليه وقبض عليه ونشله من سرجه أخذه أسير وسلمه الى بعض غلمانه وبعد ذلك طلب البراز وسأل الانجاز وساق الى أن قرب من عسكر الايمان فأراد الأمير ظالم أن يخرج اليه فقالت له سته قف ياولدى ولاتخرج اليه وتأنى على نفسك ولا تعدمنى النظر اليك فوالله لاخرج اليه غيرى ثم انها دفعت الحصان وصارت معه فى الميدان ونادت به ثم قالت له ياندل السودان (قال الراوى) فلما رآها غيلان وسمع كلامها طار الشرار من عينيه وفاضت الدماء من منخريه وكاد من الغيظ أن يغشى عليه ثم حمل عليها وهو ينادى هذا على بركة المسيح والشيخ الفجيج ثم أنه صدم الاميره صدمة الجبارين فتلقته الاميره بقلب قوى وجنان جرى وقد تلاطما وتصادما (قال) فبينماهم على ذلك الحال واذا هم بضجة عظيمة من الروم وقد ترجلت ملوك الروم والبطارقه هذا وقدنظرت الطوائف والمواكب الى ذلك فاندهشت ووقفت الاميره ذات الهمه وغيلان بعد ما كانت نار الحرب بينهما قداشتعلت وما فى الناس إلا من أحدق بالنظر وطلب أن يستصح الخبر واذا هم بالملك ميخائيل قد ظهر وطلب الميدان وموقف الضرب والطعان وكان هذا كله من حنقه على الأميره وقد خرج وهو على جواد أصفر يسبق مراسى البصر ويفوت الطرف اذا نظر لا يأخذه فى الجولان ملل ولاضجر اذامشى فى الميدان حير وأصهل وكان مثل الرعد اذا زجر والأسد اذا هدر والملك ميخائيل فى سرجه كأنه قد نحت من الحجر وفى كفه صارم مهند صارم ذكر ورمح أسمر وعليه كاز غندار احمر وعصابة من الجوهر وعلى صدره صليب من الذهب الأحمر ولما صار قريب من الأميره ذات الهمه ورد كل من معه الى ورائه وقال لغيلان الشوك إرجع وانظر ما يجرى بينى وبين هذه العجوز التى ماتفزع من الموت ولا تخشى الفوت (قال الراوى) فعند ذلك انعزل غيلان الشوك عن الميدان ووقف فى جانب المكان يطلب خصما غير الأميره يلاقيه فى محل الجولان فبينما هو واقف واذا قد خرج اليه فارس أسود عبوس فى قدر الجاموس وفى يده دبوس وهو يصيح صياح منكر وينادى دونك يا ملعون أنا جعبر ثم انه جال وصال فى الميدان حتى حير الفرسان وحمل على غيلان الشوك وانطبق عليه وقد تلقاه الآخر (قال الراوى) هذا وقد كانت الأميره لما

أن رأت الملك ميخائيل وقد برز اليها ورد غيلان علمت أن فؤاده منهافيه لهب النار فصاحت به وقالت له دونك واختبرني ان كنت قد طمعت في كبرى فمال الملك اليها وحمل عليها هذا وقد طلع الغبار على الأربعة وانعكفت عليهم الزوبعة والصيحات عليهم مرتفعة والصوارم في أيديهم لامعه وعيون الناظرين اليهم شاخصه والطيور عليهم فى الجو حائمة وهى راقصه هذا والأرض من تحت حوافر خيلهم راجفه وقلوب العسكرين خايفه هذا والخليفة قد بسط كفيه إلى السماء وهو يدعو إلى الله تعالى ويقول له يامن خضعت له رقاب الجبابره وذلت لهيبته الأكاسره يامن تفرد بالبقاء والدوام وقهر العباد بالموت والفناء ونظر الى الصخر الأصم فانفجر منه ينابيع الماء وأمر النور فنور حنايس الظلماء أن تنصرنا على الأعداء ولا تمكن أهل النفاق والريا من أهل الايمان والأولياء فقد وعدت نبيك بدوام شريعتك الى يوم الدين وأنت الذى لاتخلف الميعاد دعوتك كما أمرتنا فاستجب منا كما وعدتنا لأن وعدك وقولك الصدق (قال الراوى) هذا والقتال يعمل بين هؤلاء الأربعة وكانت أيضا الرهبان يدعون لهم والقسوس يقسسون وشومدرس فى أوساطهم وعلى أياديهم الاناجيل وهم يكفرون بالملك الجليل ويدعون بالنصر للملك ميخائيل هذا والاعناق إلى الميدان ممتده والاحداق نحوهم محتده والدنيا من شدة الغبار مسوده والاميره مع خصمها وهى لضربه معتده وصابره وقد رأت منه جبار من الجبابره فقالت هذا اليوم لاشك رحيلى الى الآخره (قال الراوى) هذا وقد دام الامر بينهما حتى تصرم النهار وقوى عساكر الكفار وقربت إلى أن صارت قريب من الابرار وسمع الملك صياح أزعج الاقطار فعلم أن ذلك طول الانتظار فزاد غيظه حتى طار من عينه الشرار فعند ذلك أخرج حربته من تحت فخذه وهزها حتى التقت طرفيها وزجها الى الاميره وقد أراد بذلك اتلافها وكانت الضربه تحتانيه فوقعت فى صدر الحصان مرقت من مؤخره فهزت الاميره من على ظهره صارت على وجه الارض قائمة على قدميها وقد طلبت جوادالملك ميخائيل مع ثقل الحديد الذى كان عليها ورفعت يدها بالسيف لتضربه فى صدره كان الملعون قد علم مرادها فستر جواده برمحه البولادى الذى ذكرناه فوقع سيف الاميره على الرمح فطار السيف قطعتين وبقيت الاميره واقفة لاتمنع ولاتدفع فرجع الملعون عليها وطعنها فى كتفها ألقاها على وجه الارض وأخذها أسيره فدق المعتصم يد على يد وقال معاشر المسلمين دونكم وخلاص أم المجاهدين وها أنا معكم أقاتل فى طاعة رب العالمين فعندها حمل الامير ظالم ونادوا واسيدتاه واقلة ناصراه وقد حملت السودان

وفى أوائلهم اللملمان وحمل الامير ضيغم وبنى كلاب مثل العقبان وفى تلك الساعه كان جعبر قد ضرب بالدبوس جواد غيلان أرماه من على ظهره وقد عول جعبر أن يأخذه فحملت عليه عساكر الروم فزعا من ملكها وقد أظلمت الاقطار من سواد الغبار وعمل الصارم البتار (قال الراوى) هذا والملك قد سلم الاميره الى البطارقه وعاد يكر على الابطال وكان يهيج هياج الاسود هذا وقد ضاعت المسلمين فى كثرة المشركين وقد فنى أكثرهم بسيوف الكافرين وماصدقوا أن يروا أصوار البلد حتى أنهم التجأوا اليها وقد كان ذلك الوقت آخر النهار وقد أحموهم أهل البلد من على الاصوار بالأحجار وما نجى من ذلك البحر الزخار إلا من أراد سلامته الملك الجبار وعاد الخليفة وقد أشفى ذلك اليوم الغليل وأرضى الملك الجليل لأنه يقاتل فى أوائل الناس وهو مكشوف الرأس وهو ينادى اللهم أنصر بنى العباس وعدك يامن لاتخلف الميعاد يارب لاتشمت بنا الأعداء والحساد يا الله ياحنان يامنان ياجواد (قال الراوى) ولما أن أمسى المساء وانفصلوا من القتال أشاروا عليه أهل دولته أن يدخل البلد فقال والله لا كان ذلك أبدا ولا اخترت روحى عن المسلمين ولى أسوة بهم ولابد فى غد ما أبذل المجهود فى طاعة الملك المعبود وان قتلت أو أسرت فلى أسوة بالأميره المجاهده لأنها بذلت نفسها فى طاعة الله تعالى وان هذه الدنيا مادامت لأحد ولابد لى فى غد من براز هذا الملعون ثم انهم باتوا إلى الصباح وركبت الرجال الجرد القداح وتقلدوا بالبيض الصفاح واعتقلوا بالرماح ووقفوا يطلبون الحرب والكفاح فكان أول من فتح باب الحرب كان الملك ميخائيل فأراد الامير ظالم أن يخرج اليه فصاح فيه المعتصم وقال ياظالم إننى قد حلفت أن لايفتح باب الحرب إلا أنا ثم انه قفز بجواده الى الميدان وطلب من خصمه الضرب والطعان فحمل الملعون ميخائيل عليه ولم يزالا فى كر وفر وأخذ ورد وهزل وجد وقرب وبعد ومصارعة وملازمة (قال الراوى) وقد وصفنا ما فى المعتصم من الشجاعة والقوة والبراعة هذا والمسلمين يدعون الى الامام ويتضرعون الى الواحد المنان الذى لايشغله شان عن شان كذلك الروم قد حملوا على أيديهم الأناجيل والصلبان وقد أقبلو ذلك المكان فبينما هم على ذلك الحال وإذا بالصياح قد علا من تحت الغبار فتطاولوا اليه بالابصار وإذا بالمعتصم ينتادمعه أسير والملعون ميخائيل يقوده ذليل حقير وهو يبعبع كأنه البعير والمعتصم معه لايبدى ولايعيد (قال) ياساده وكان هذا الملعون جبار من الجبابره وكان المعتصم لما أن خرج اليه جاء له وطلب منه غفلة ليضربه بسهم من سهامه فلم قدر على ذلك ولم يزل معه

فى القتال الى آخر النهار أوتر قوسه ووضع فيه سهما من سهامه ثم جذبه الى أن استوفى قوسه عند ذلك انكسر فانكب عليه الملعون فى دهشته أخذه أسير وكان قصد المتعصم أن ينفذ سهمه بما عليه من الحديد فخانه القضاء والقدر عند ذلك تصايحوا الروم وقد أيقنوا المسلمين بالويل وكان الملعون بعد أخذ المعتصم حمل فى عساكره على عسكر المسلمين ودام الضرب والبعد والاقتراب إلى أن مضى النهار وأتى وقت الغياب وقد افترق الجمعان وظالم مايصدق أن ينفلت من يد الملك (قال الراوى) ولما أن انفصل القتال وعاد ظالم فعاد اليه الملك ميخائيل وضربه بحربة فى قفاه بعد ما زعق عليه وقد سمع زعقته فاستتر بدرقته فخرقت الدرقة ومرقت منها ووصلت الى الدرع فمزقته ووصل سنانها الى بدنه فكاد أن يعجل عطبه وعن مركبه أقلبه وانكب عليه فى غشيه أخذه أسير وعاد به إلى عسكره وهو ذليل حقير فهمت العساكر بعد الانفصال بالحملة فرأت الليل قد أقبل والنهار قد ولى وارتحل وقد عاد الملك الى سرادقه منشرحا والقساقسه يتلو حوله الانجيل وتعظمه غاية التعظيم والملوك كلهم قد أقبلوا عليه وهنوه بالسلامة والنصر على أعداه ثم أن الملك أمر بظالم إلى عند الاميره فأخذوه ومضوا به الى عندها (قال الراوى) وكانت الأميره لما أن أسرت حملت هم المعتصم ولما أتوها بالمعتصم ورأته لما أن دخلوا به عليها وهو مجروح أسير لا يقدر على الكلام أيقنت بهلاك الاسلام وقالت ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ولما أتوها بظالم فراد جواها وعظم بلاها وقد قامت الدموع من عيناها وقالت سبحان من حكم علينا بهذا ولكن والله مافى قلبى حسرة إلا بقاء عقبه من بعدنا ويشمت بنا وأنا أرجو من الله تعالى أن يقتله قشعم فى ملطيه ولا يرجع يخلص من يده فقال لها ظالم والله ما كان مجيئنا إلى هذا البحر الزاخر بصواب ولكن ماقدرنا نخالفك فقالت له الاميره ياولدى أنا ماجئت إلا أفرج عن المسلمين كربة ونحمى خليفة الموحدين وقد علم نيتى رب العالمين وهو القادر على خلاصنا أجمعين من يد المشركين هذا كله يجرى والخليفة غائب عن الصواب لا يقدر يرد جواب من الجرح الذى فيه لأنه قد أشرف منه على الهلاك وهو يئن بصوت خافى ويقول والله ماأظن جرى على هذا العذاب إلا بما عملت فى حق الأمير عبدالوهاب (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ماكان) من الملعون ميخائيل فانه قد فرح الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد بأسر الاميره والمتعصم وظالم وقد أيقن أنه يهلك هؤلاء البلاد ويملك العباد وقد باتوا تلك الليلة الروم فى فرح زائد وأما المسلمين فانهم قد باتوا على غاية من الضرر والعيش المر وقد أرادوا أن يدخلوا الى البلد فلم يمكنهم الأمير ضيغم من ذلك بل قال لهم والله

لادخلنا البلد حتى نبذل المجهود ونهلك أرواحنا فى طاعة الملك الواحد المعبود والذى هو فى كل مكان موجود ولنا أسوة بأصحابنا الذين أسروا الليلة فى القيود (قال الراوى) ثم انهم أقاموا الى أن برق ضياء الفجر وركبت عساكر الروم وكانوا بعد قطر الغيوم وقد أمرهم الملك بالقتال والجلاد وركبت أيضا المسلمين واصطفوا للحرب فحملت عليهم الروم فالتقوهم المسلمين بقلوب مافيها غير رب العالمين ودام القتال والعناد حتى أقبل الليل بثياب حداد وقد انطرحت تحت أرجل الخيل الأجساد وكانوا الروم قد لزوا المسلمين إلى الأبواب ودخلوا إلى البلد وقد قتل فى الزحمة جماعة كثيرة وطلعوا على الاصوار وباتوا يدبرون أمر الحصار وقد رجع الملك وحوله البطارقه وهو فرحان وقد أيقن بأخذ البلد وعند الصباح أمر أن يقدموا الأبراج فقدموها وزحفت الأرمن والدوقس ورموهم عند ذلك بالنبال وشدوا عليهم فى القتال (قال الراوى) ولم يزل القتال والحصار بينهم تسعة أيام ولما كان فى اليوم العاشر أشرفت البلد على الأخذ وقد بلوا المسلمين بما لاطاقة لهم به من الاعلاج هذا وقد نصبت الأبراج وزاد الانزعاج وزاد فيهم اللجاج وعلا منهم وكان على المسلمين يوم كأنه يوم العجاج (قال الراوى) فبينماهم على ذلك المنهاج وقد أيقنوا بالهلاك والتشتت والهجاج وإذا قد أشرف عليهم من ناحية ماردين غبار وعجاج وقد سد الفضاء وأظلمت منه الأقطار وقد صار النهار مثل الليل الداج فلما أن رأت الروم الى ذلك العجاج بطلوا الحصار وتأخروا عن القتال ووقفوا ينظروا ما تحت ذلك الغبار هذا وقد ضجوا المسلمين الأصوار وقالوا ياربآه لاتخلى أمة نبيك من الانتصار وأن تتعطف برحمتك على هؤلاء الرجال والنسوان والأطفال الصغار ولاتمكن منهم الكفار ولم يزالوا حتى قرب منهم الغبار وبان ماتحته للنظار وقد ظهر من تحت الغبار بيارق وأعلام وفرسان سود كأنهم قطع الظلام وهم ينادون عن لسان واحد يا آل حام يا آل حام هذا ورماحهم كانت مشتبكة كأنها آجام القصب وبريق سيوفهم تلمع مثل المصباح وفى أوائلهم فارس مضيق اللثام وعن يمينه رجل ربع من من الرجال طلق الكلام كثير الخديعة والمحال وهو يرتب الجيش فى المسير والجماعة تشير اليه بالتعظيم والتوقير وبين أيديهم فارس أسود عريض طويل مثل الفيل وهو ينادى ويقول ابشروا يا أهل هذه البلدة بالفرج والاتساع بعد الضيق والحرج فقد أتاكم الملك المطاع والغرم المناع وهو الملك عبود الشجاع ووزيره حمود الخداع (قال الراوى) فلما أن سمعت أهل البلد ذلك النداء زال عنهم بعض الخوف والارتياع وخف عنهم بعض ما كانوا فيه من الانزعاج وأما ملك الروم والبطارقه والأعلاج

لما أن رأوا ما بان من تحت العجاج وسمعوا منهم ذلك القول واللجاج قالوا من أين أتونا هؤلاء المقطوعين النخاع لابد أن نقطع منهم الأوداج ونطرحهم فى ذلك العجاج (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك العسكر وقدومه أن الامير عبدالوهاب لما أن خرج هو والامير أبو محمد البطال من بلاد الهند فى المراكب ومعهم السودان الذين قد ذكرناهم والأبطال الذين وصفناهم وكان أول وصولهم وإشرافهم على عبدان وفيها أقام الامير وأخرج الاموال التى وصلت معهم من الجزائر وأنفقها على أصحابه وقد اشترى لهم الخيل والعدد والسلاح بعد أن باعوا المراكب التى أتوا فيها ثم ساروا الى البصرة وملكوها بعد أن قاتلوا عساكرها وكسروا أهلها وساروا على ذلك الحال يملكون البلاد الى أن وصلوا بغداد وهى خالية من الأجناد والعساكر وسمعوا أن الخليفة قد سار الى لقاء الكفار فقال البطال هذا الذى كنت أريده حتى نأتى نحن من خلفه وملك الروم يكون من قدامه فلعله أن يقع فى أيدينا حتى نذيقه نحن الآخرين الذل مثل ما أذاقنا فقال له الامير عبد الوهاب أنا ضيق الصدر على والدتى الاميره ذات الهمة وأنا أعلم ماجرى لها لأنها ما تقعد عن نصرة الخليفة والمسلمين وإذا سمعت أنهم فى شدة تأخذها حمية الدين وأنا خائف عليها من الملعون عقبه أن يهلكها فقال له أبو محمد ما يكون إلا ما يريده رب العالمين فهو الذى يفعل ما يشاء فى خلقه ويريد (قال الراوى) وكانوا الامراء لما نزلوا على بغداد وأخرج اليهم الواثق القضاة وأرباب الدوله وسألوهم عن حالهم وكان البطال قد جعل له نائبا عنه وعن الأمير عبد الوهاب من السودان ليتكلم عنهم حتى لا يعرفونهم وكان الذى نيبوه منهم فى الكلام عاقل لبيب وقد لقبه البطال بحسام الملك وكانت إذا أتت اليه رسالة مع رسول يقول له ان هذا ما يريد أحدا لطاعه ولا لخدم وإنما يريد أن يملك الأرض فى طولها والعرض ويعيد الدولة للسودان ثم يقطعها من البيضان ويعمل على كل أبيض شيء معلوم حتى أنه يقاتل عنهم أعداءهم (قال الراوى) فلما ان أتاهم رسول الواثق أعادوه بهذه الرساله فعاد الرسول الى الواثق بذلك الجواب فقال الواثق ياقوم اننا مانقدر نشاققهم ومافى الامر إلا اننا نداريهم بشيء من ذلك المال حتى نبصر ايش يكون من الحال ثم أنه حمل اليهم ماعنده من الأموال والضيافات والعلوفات والاقامات والعدد من السيوف والزرد وقال للرسول خذ هذا وامض به اليهم وادفعهم بالتى هى أحسن وقل لهم ان البلاد بلادكم ونحن من تحت أيديكم وحكمكم واعلموا اننا نكون ههنا نوابكم وإذا ملكتم البلاد فعودوا واجعلوا سرير ملككم فى بغداد فعاد الرسول اليهم ثانيا بما معه وقد أوصل ما معه لحسام الملك نائب البطال

وقدسلم اليه الاموال وبلغه ماحمل من المقال فقال هذا الذى نريد وخلع على الرسول وعلى أصحابه وقال لهم أنتم رعيتنا ونريد أن نغمركم باحساننا وكان هذا الكلام من حسام الملك بأمر أبو محمد البطال وكانت الخلع من الثياب الخام وهى مختلفة الألوان من ملابس السودان ثم ان حسام الملك أخرج ثوب كبير واسع الاكام أحمر اللون وعمامة سوداء وقال خذوا هذا لصاحبكم حتى يعلم اننا قدرضينا عنه فقال له الرسول جزاك الله عنا خيرا والله ان هذا كرم زائد ومايلبس خليفتنا أحسن من هذه البدله (قال الراوى) ثم ان الرسول عادهو وأصحابه وعليهم تلك العمائم الحمر والخضر والثياب الصفر والحمر وهم فى غاية من غايات الخبال فلما ان رآهم الواثق ضحك عليهم وقال لهم والله انكم بقيتم أعجوبة الانام ثم أنهم قدموا له الخلعة التى برسمه فقال دعوها فى الخزانة حتى يأتى المعتصم لأننى أنانائبه وهو يلبسها ولاأقدر أنهجم على خدمته فقالت عند ذلك أرباب الدوله يامولانا والله ان مالهؤلاء عقل إذا كانت هذه الثياب لهاعندهم قدر وقيمه فكيف لورأوا أثواب الروم وذلك الملك كانوا يرموا أرواحهم على الهلاك (قال الراوى) ثم أنهم رحلوا من على بغداد وصاروا يقطعون الارض وكانوا كل مدينة أقبلوا عليها يخرجون اليهم أهلها بالاقامات والضيافات والأموال ويحلفوا له أنهم عبيده ونوابه فى بلاده وهو سائر والعرب تسمع به وتأتى اليه طمعا فى الكسب وحسام الملك يتولى أمرهم ويخلع عليهم ويوعدهم بكل جميل حتى أشرفوا على آمد كما ذكرنا وهم فى أربعين ألف كما وصفنا ونظر الامير عبدالوهاب الى عساكر الكفار فقال واشوقاه الى الضرب بالبتار ثم أنه التفت الى البطال وقال له مانزول هؤلاء على آمد الاوقد ملكوا ملطيه وأهلكوا العجوز الزكية وأسروا الخليفه والامراء وإلا ماكانوا الناس محصورين وما أخوفنى إلاأن يكونوا أولادى هلكوا أويكونوا أسارى فقال له البطال لابدما أعرف حقيقة الحال وأتنسم خبر عقبه شيخ الضلال ومافعل بعد غيبتنامن الفعال هذا والسودان قدنظروا الى عساكر الروم وقدأعجبتهم أثوابهم فقالوا ياأمير مرنابالحملة عليهم حتى تنهب أموالهم وندوس فى بطونهم (قال الراوى) هذا وقدكان ملك الروم لما انكشف له الغبار وبان العسكر للابصار وقدبطل القتال والحصار وقال ان هذه نجدة لهم وقد أقبلت دونكم وأيها تحملت الروم من جانب وقد تكدست الموكب فعندها حمل الامير عبد الوهاب فى السودان والهنود وقال لهم أنا ما أخرجتكم من بلادكم وأتيت بكم الى هذه الديار إلا لمثل هذا اليوم المشهور ثم ضيق لثامه وقد حمل مثل العقاب فلما ان نظروا السودان الى

أفعاله حملوا من خلفه وقد فعلوا مثـل فعاله وحمل حسام الملك وكان اسمه مقدام، (قال) هذا وقدأختلطت الروم بالعرب ورمت السودان بالحراب ولم تزل السيوف، تقطع والصياح لايسمع والرجال لاتقشع والابطال تقوم وتقع الى آخر النهار عند ذلك وقع الامير بملك الملاقطه فقتله وقدوقع حسام الملك بصاحب العلم فجندله فلمارأت الروم إلى ذلك وماقدحل بهم من هـذا الانتقام فولت من قدامهم طالبين الانهزام وهم لايصدقون بالنجاة من الحمام هذا وقد غنموا المسلمين مع السوادن جميع الاسلاب وقدعادوا إلى المضارب والاطناب وقدسر بفعالهم الامير عبد الوهاب وبات وقلبه فزعان على أولاده ووالدته (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملك ميخائيل فانه بات تلك الليله فى أضيق مايكون وقال هذه العساكر من هوالذى مقدمهم ومن أى البـلاد يكونوا وبقى حائر من ذلك الامر ضيق الصدر لايدرى مايفعل فبينما هومحتار وإذا بالبطارقه قددخلوا عليه وقالواله أيها الملك يهنيك قدوم شومدرس والشيخ النجيح عقبه وهو فى عشرة من البطارقه فقال الملك على بهم حتى أبصر ماجرى فى ملطيه فلم تكن الاساعه حتى دخلا اليه وسلما عليه وقالا له ابشر أيها الملك بفتح ملطيه وعودتها الى ملك القسطنطونيه وقدأسرناقشعم ولد الاميرعبد الوهاب وقدأهلكنا من كان معه من السودان وبنى كلاب وقد أخرجناهم من فى القبرين وأحرقناهم بالنار وهم أجساد الاميرين عبد الوهاب وأبو محمد البطال(قال الراوى) إن كان السبب فى ذلك الملعون شومدرس وهو أنه قد أخذ غيلان الشوك والعرب المتنصره والسودان المتنصره وألبسهم كلهم فى زى أهل الايمـان وسار بهم الى ملطيه وقد سير قدامه خمسة آلاف من البطارقه فى زى المنهزمين وقال لهم كونوا قدامنا وهانحن فى أعقابكم فساروا الروم وشومدرس ومن معه خلفهم ومازالوا الى أن أشرفوا على ملطيه فلما أن رآهم قشعم قال لاشك أن الروم قد كسروهم المسلمن وقد أقبلوا منهزمين من بين يدى الاميره ذات الهمه وكان شومدرس قد قال لغيلان كبر أنت والسودان ففعلوا ذلك وقد كبروا فأدوت من تـكبيرهم تلك الأماكن فلما أن سمعهم الامير قشعم وسمع تـكبيرهم خرج من البلد هو ومن معه فى الملطيه يريدون النهب لطائفة النصرانيه وقدتموا الروم بين أيديهم هاربين وقشعم وأصحابه لهم طالبين وقد علم غيلان الشوك أن أهل ملطيه قد أبعدوا عن البلد فقصد هو وأصحابه الابواب وقد ملـكوها وقد دخل أكثرهم الى البلد ووضعوا السيف فيمن تخلف حتى لم يبق من المسلمين أحد غير النسوان والاطفال ولما أن علموا الروم المنهزمين أن أصحابهم

قد ملكوا البلد رجعوا على قشعم وأصحابه وكان قد أصعد خلفهم فى الطلب ثقة منه بمن خلفه لانه يظن أنهم من سودانهم وأصحابهم وأولاد عمهم . (قال الراوى) ولما أن رجعت الروم عليه التفت فلم يرى خلفه أحدا بل أنه سمع الصياح فى ملطية بعيسى ومريم والصليب وبريق السيوف على الاصوار مثل شعل النار فعلم أن البلد قد ملكوها الكفار وأنها كانت حيلة فأراد أن يطلب النجاة فالتقاه عند عودته غيلان ومن تخلف معه من السودان هذا وقد حصل قشعم بين خلق كثير فلم تكن إلا ساعة حتى أخذ أسير بعد قتال شديد ودخلوا إلى ملطية وقد خلص شومدرس القاضى عقبة وقال له احسب لى عندك هذه واشكرنى على هذه المنصبه فقال له عقبة جزاك المسيح خيرا أما تعلم أننى أنا وأنت جناح الملة المسيحية ومع ذلك ياراهب أريد أن أشفى قلبى بعذاب البطال وعبد الوهاب (قال الراوى) فلما أن سمع شومدرس كلام عقبة قال له ياويلك وأين عبد الوهاب والبطال فأنا قد سمعت أنك قد أهلكتهم وفى الدجلة غرقتهم فقال له عقبة نعم ولكن قد أتوا بأجسادهم إلى ههنا ودفنوها وأنا أريد أن أنبش قبورهم وأحرقهم بنار الدنيا قبل نار الآخرة فقال له شومدرس افعل ما تريد ثم انهما مضيا إلى القبرين اللذين كانت ذات الهمة تبكى عندهما ونبشاهما الملعونين وأحرقوا ما كان فى القبرين لأن أجسادهم قد بليوا وما بقى غير العظام فجمعهم عقبة وألقى فيهم النار وقال بعد ذلك وابردها على كبدى مابقيت أريد إلا ذات الهمة أفعل بها هكذا وما أبالى بعدها متى قضى على بموت بعد ما عشت بعدها وقد كذب منامهم (قال الراوى) وباتا تلك الليلة وهما فرحان بما جرى ولما ان كان من الغد أوصى عقبة لغيلان الشوك على البلد وقال له أقم ههنا واحفظ البلد حتى أمضى انا وشومدرس الى عند الملك وندبر له على فتح البلد وان احتاج الملك اليك فهو ينفذ خلفك ثم سار عقبه وشومدرس وهو يحثه على المسير ومازالا إلى ان وصلا الى عسكر الروم ودخلا على الملك كما ذكرنا وبشراه بأخذ ملطية كما وصفنا ففرح الملك ميخائيل بذلك وقد بشرهما الآخر بأخذ المعتصم وظالم وذات الهمة وقال لهم وما كنا بعد اخذهم الا قد اشرفنا على اخذ البلد لولا قدوم هذا الجيش الذى قد ورد وهم أكثرهم سودان ولهم مقدم قد حير الشجعان وقد أباد عبدة الصلبان وقد قتل ملك الملاقطه فى حومة الميدان ولو كنت أنا عرفت اننا نلتقى منهم هذا الملتقى ماكان يلقاهم غيرى فقال له عقبه فمن ابن اتوا هؤلاء الشياطين وكيف قد وصلوا الى خليفة المسلمين فقال لهم الملك ما قال له الجاسوس انهم ما اتوا ينجدون الخليفة بل قال لهم اول ما ملكوا

بلاده وان لهم ملك يقال له عبود الشجاع وله وزير يقال له بطلون الخداع وانه يريد ان يملك سائر البلاد والبقاع ويعيد الدولة للســـودان ويعملوا الجزيه على سائر البيضان من أهل الكفر وأهل الطغيان وأهل الايمان وقد قيل لى أن لهذا الملك وزير يقال له حمود الخداع يملك بحيلته سائر القلاع فقال له عقبه دع عنك هذا الصداع أيها الملك فأنا أعرف قلة عقل هؤلاء السودان واعلم أنهم بأدنى شىء ينخدعوا لاسيما هؤلاء الغشم وأنا أسير اليهم فى زى رسول وآخذ معى الراهب شومدرس وندبر على هلاكهم لأن هؤلاء قد خرجوا جياع يقتل الواحد منهم أخوه على دينار فايش حال لما يروا كثرة الأموال (قال الراوى) فلما ان سمع الملك كلامه وما أبداه من نظامه خف عنه ما كان به من الهم والغم ولما أن كان عند الصبح تأهب القاضى عقبه وشومدرس وقد لبسوا على أجسادهم الصوف الرفيع والبرانس وأخذوا فى أيديهم العكاكيز وقد تجملوا بالزنانير والصلبان وقد أخذوا معهم عشرة من الرهبان بالثياب الصوف المختلفة الألوان هذا وقد ساروا الجميع وعقبه فى أوائلهم كأنه شيطان وهو يقول لشومدرس البارحة بت تعبان وما كان لى قدرة على عقاب ذات الهمه وظالم بن الشيطان وها أنا سرت وما شفيت نفسى ولا انى مطمئن عليهم لأن ليس هنا البطال وأى وقت أردت إذا عدت غذبتهم لأنهم ما بقى لهم من يعمل على خلاصهم بعد هلاك البطال وهلاك أولاده الانذال لاننى قد سمعت ان عذيبه واخوتها قتلوا فى ليلة الكبسه على ملطيه (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين حتى قاربوا عسكر الامير عبد الوهاب وكان الامير عبد الوهاب عند الصباح قد ركب هو والبطال وسائر السودان ثم أنهم وقفوا ينظروا عساكر الروم أن يركبوا ويطلبون منهم القتال فرأى البطال إلى جماعة قد انفصلوا من عساكر الروم ومنه قد خرجوا والى عندهم قد أقبلوا فقال البطال للامير عبدالوها هاقد أتتك رسل من عند ملك الروم وأظن ان فيهم عقبه المذموم وشومدرس الملعون عسى أن يكون الامر كما قلت حتى ننال منهم المراد ونشفى منهم غليل الفؤاد ثم أننا نستوفى من أقفيتهم كلما لقينا فى البحر من الاهوال ولكن حتى نسمع ما أتوا فيه من الاخبار (قال الراوى) ولما ان قربوا تأملهم البطال فرأى عقبه وشودرس فقال الامير عبد الوهاب نقبض عليهما ونحمل على الروم فقال البطال ماهذا صواب بل ارجع بنا إلى الخيام حتى ننال منهما المراد فعادوا إلى الخيام وقالوا لحسام الملك اذا أقبل أحد اليك وقال أنا رسول أدخل به الينا من غير دستور ولا استئذان على طول الزمان وتحدث بحديث السودان لأن فيهم الذى يعمل على هلاك أهل الايمان وهو الذى كان السبب فى دخولنا إلى

بلادكم وبحاركم ومن أجله هدينا الى أوطانكم فقال حسام الملك يامولاى إذا كان الامر على ذلك فأنا الساعه إذا وصلوا أضربه ضربة بالحسام سقيته كأس الحمام ولاأدعه يتم كلامه فقال البطال لايا أخى لاتفعل وأعلم ان لنا معه خطاب وحساب وعتاب واننا نريد من قبل قتله نجرعه غصص العذاب فقال لهم افعلوا ما بدا لكم وما تريدون ودبروا ما تشتهون ثم ان الامراء عادوا إلى السرادق وجلس الامير عبد الوهاب والبطال ودارت من حولهما الرجال وما استقر بهما القرار حتى وصل عقبه وشومدرس مشايخ الجهال ومن حولهم الرهبان والقسوس يهمهمون فدارت بهم السودان وساقوهم الى بين يدى حسام الملك فقال فى ماذا أتيتم فقال عقبه ياولدى اننا جئنا نسعى فى حقن الدماء لاننا مشايخ ما نسعى الا فى الخيرات فأين هو الملك المعبود فصاحت فيه السودان وقالوا له ياكلب الروم لاتقول معبود بل قول صاحب الأرض فى الطول والعرض فقال عقبه وقد طار عقله ياأخى ادخل بنا الى عند صاحبك حتى أكلمه على قدر مرتبته (قال الراوى) فلما ان سمع حسام الملك منه ذلك قام اليه وقبض على كتفيه كاد أن يخلعها وقال له تعالى معى أدخل بك عليه فسار عقبه معه وقد انذهل وساووا بهم السودان وقد أخذوا من حلوقهم الصلبان وداروا بهم من كل جانب ومكان هذا وشومدرس يعدو قدامهم مثل الخنزير وقد أيقن بالبلاء والتدمير وصار يقول لعقبه بالروميه ياشيخ السوء لاأخذلك المسيح بيدو ولا كفاك ما تحذره لأنك كلما خلصت من مصيبه أليقت نفسك فى أيشم منها وايش كان لنا فى المجىء الى هذا الوجه الميشوم من الفائده وحق المسيح لوكان الملك الاكبر جاء معنا لا بد ما يلطمونا حتى أننا نعمى (قال الراوى) ومازالوا سائرين بهم السودان وشومدرس يوبخ عقبه الى ان وصلوا الى السرادق فدخل مع كل واحد منهم واحد من السودان وهو قابض على قفاه ولما ان صاروا قدام البطال والامير عبدالوهاب فبكى عقبه من فؤاد موجوع وأرخى الدموع وصار يئن كأنه مفجوع ويتذلل بقلب مصدوع وقد بكى حيلة منه ومكر وخضوع يظن ان مكره عليهم يحوز بذلك الهموع وما يعلم من وقف بين يديه من دون الجموع وقال بعد ذلك ياملك الزمان ما من عادة مرسل ان يخرق بهم غاية الاخراق ويساقون الى قدام الملك بهذا السياق بل يجب على كل حال أن يكرم الرسول ويسمع منه ما يقول فان اعجب الملك الخطاب كان وان لم يعجبه رد الى صاحبه بغير جواب فقال له البطال ما نحن الا نكرمك ونسمع جوابك ولابد ان نخلع عليك ونحسن اليك ولكن قل ما حملت من الرساله وتكلم بما شئت من المقال (قال الرارى) فلما ان سمع عقبه من البطال ذلك المقال قبل الارض وقال

يا مولانا أنا قد أتيتكم من الحرب وأبلغتكم ماتريدون من غير طعن ولا ضرب وأن مالك الروم قد علم أنكم أقوام غرباء من غير هذه الديار وأنه يريد أن يجعلكم عدة له عند شدته فى هذه الأقطار ويعود إلى بلاده بعد ما ينال مراده لانه ما خرج من بلاد الروم إلا من أجل إعداله فى هذه البلاد ولولا قدومكم كان قد بلغ مراده وترك هذه البلاد لأن بلاد المسلمين لاتصلح إلا للمسلمين وهو يقول لك اطلب ما تريد وعرفه مقصودك فهو يبلغك إياه ويجعلك من جملة أصدقائه ويوصل تحفه اليك وهاياه فقال له البطال ياشيخ ماخرجنا من بلادنا وهى بلاد الهند إلا فى طلب أعدائنا فان كان الملك يقدر عليهم يسلمهم الينا وقدعدنا من حيث أتينا وان كان مايفعل ولا يسلمهم الينا فاننا نحاربه ولانبرح حتى يقعوا فى أيدينا وبعد ذلك نلقى فى بلاد الروم والمسلمين السيف ونحرم أحد منهم ينام فيها شتاء أو صيف فقال له عقبه لا ياملك ما نحوجك أن تفعل هذه الفعال بل نبغك من أعداءك الآمال فقل من هم أعداءك حتى نعود اليه ونعرفه بهم وندعه يبلغك منهم آمالك ومناك فقال له البطال نحن أعداءنا رجلين قد فعلوا بنا مايعجز عنه الانسان أحدهما يقال له عقبه القرنان والآخر يقال له شومدرس الشيطان وهما على دين الصلبان (قال الراوى) فلما أن سمع عقبه من البطال ذلك قال له ايش هذا الكلام فايش بينك وبين هؤلاء الأقوام وما بينك وبينهم ومن أين تعرفهم أيها الملك الهمام هذ وقد رجفت أعضاءه وزاد بلاءه وقد فتح عينه الصحيحه وزاد اهتمامه فقال له شومدرس أنا ماقات لك يامنجوس بين الآنام ها نحن أعداهم قد جئنا لعندهم نسعى على الأقدام وسعينا برجلينا الى شرب كاس الحمام والليلة يصفع فى رقابنا الى أن تنقطع أسبابنا ويقل منا الكلام (قال الراوى) هذا وقد كان البطال لما أن قال لهم ما قال من الكلام فتأملهم واذا قد ورآهم تغيرت أحوالهم وزادت بهم الآلام فقال لهم مابالكم ماتردوا علينا كلام فقال عقبه يامولاى وايش أوصل خبر هؤلاء اليكم وأنتم من يقال لكم بين الانام واعلموا أنه قد اشتبه على هذا الكلام وأنا الساعه شبهتك برجل كان عندنا وضاع وأنت قد قلوا أن اسمك حمود الخداع (قال الراوى) ثم ان البطال كشف عن وجهه اللثام فنظر اليه عقبه فعرفه وقد بقى ناظر الى صورته وصورة عبد الوهاب وهو يقول يامسيح قوينا على هذا العمل فانه غير مليح فان لنا زما ماتصبحنا بوجوه هؤلاء الكلاب ثم ان الملعون التفت الى شومدرس وقال له ماترى فى هذا التقدير هل رأيت أعظم من هذا ساقنا القضاء والقدر إلى أعدائنا وبعد هذا إذا كان الماء يجرى من فوقهم ما يغرقهم والنار ماتحرقهم وكل

المخلوقات تنصرهم ايش نعمل نحن معهم وهذا يدل على أن المسيح ماخلقهم لأنه لوكان خلقهم كان قادر عليهم ثم زاد به الحنق وقال يا أبا محمد بحق دينك اصلبنى وريحنى من هذه الحياة لأن موت الأنسان خير له من الحياة التى لا يبلغ فيها مناه فقال له البطال لا والله ياملعون لان القتل لك راحه ولابدما أعذبكما عذاب الهداهد فقال شومدرس إلا أنا يامولاى لا تعذبنى الا هذا النحس فعذبه بالله عليك عذاب قوى فلا فرج المسيح عنه لأنه كلب وابن ألف كلب وهو فضولى أحمق وفى رأسه خلط مايهدى والا بالصفع والا ايش كان لنا بالمجيء الى حضرتكم لولا الفضول من هذا الكلب القرنان الذى يعادى من لا يقدر عليه المسيح فضحك أبو محمد البطال من كلامه وقد أمر عند ذلك بالنبض على الجميع ومافيهم إلا من صفع قبل القبض حتى وقع الى الارض مغشى عليه (قال الراوى) ولما ان أفاق عقبة جعل ينظر الى الامير عبد الوهاب وهو بعد ذلك مشكك فى أمره وقال ياأبا محمد بحق دينك حل نقاب هذا الاسود الذى هو بجانبك فوحق المسيح ان هذا عبد الوهاب فانكم على الدين الصواب فعندها كشف لثام الامير فأبصره عقبة فوقع فى التحيير وقال افعلوا الآن ماشئتم فأنتم الاثنين حواريين الزمان وان دين الروم كله باطل ومحال وهو هذيان فقال له الامير والله ياملعون لابدما أشفى فؤادى منك فقال عقبه وحق المسيح ماتقدر على ذلك ياأسود لان عندنا خليفتكم وعندنا أمك ذات الهمه وولدك الامير ظالم وسائر أمرائكم فى قبضة هذا الملك الأوحد ميخائيل وهو الذى أظهر دين المسيح والانجيل ومتى ماسال منى قطرة دم ضرب الملك رقابهم لأنه شديد فى دينه وهو يرى فينا مايرى فى المسيح (قال الراوى) فلما ان سمع الأمير عبد الوهاب بذكر أمه تحادرت عبراته من شدة اشتياقه اليها وقال والله يا أبا محمد ماكنت الاقد أيست منها وقد ذكر لى هذا الملعون أنها مأسوره هى وولدى ظالم والمعتصم والامراء وأنا أريد ان أدبر فى اجتماعى بها قبل الموت ولولا هى مأسوره كنت أشفيت فؤادى من هذا الملعون فعند ذلك أقبل أبو محمد على عقبة وقال كيف ياملعون أطاعت الاميره ذات الهمه المعتصم أم كيف أتت تقاتل معه وانها وقعت فى الاسر فقال له عقبة أنه كان المعتصم قد حصر فى آمد وقد ضيق عليه ملك الروم فكتب الى ذات الهمه كتاب وتخضع وتذلل اليها واستعطف قلبها بلين الكلام فأتت الى نجدته وحامت عنه حتى أنها أخذت أسيره وقد حدثه بالذى جرى وكيف أسر المعتصم أيضا فقال البطال ياويلك فما أراك تذكر أولادى فقال له وحق المسيح

ماعندى منهم خبر غير أنهم أخذونى ودخلوا بى الى ملطيه وأنا عائد برسالة من عند الملك الى المعتصم لأن المعتصم قدأرسلنى رسولا الى الملك ولماان أخذونى سلمونى الى ذات الهمه فتركتنى فى ملطيه وسارت الى نصرة المعتصم وقدخلصت وملكت البلد فقال له البطال والبلد الآن مع الروم فقال عقبه نعم لان هذا الشيخ قد احتال عليها وأخذها وخلصنى منها ثم أشار الى شومدرس أحسنت ياقرنال تفدى بى عن روحك فلا كفاك المسيح البلاء ولا عفى عنى كما خلصتك على أننى ما نبشت عظام الموتى من قبورها وأحرقتها وأخربت قبورهم فقال له عقبه صدقت ياقرنان انى نبشت القبور وهؤلاء قدبعثوا من قبل النشور وهاأنت الذى كنت السبب فى ذلك ولولاك لما كنت قدرت على شىء من هذا وأنت رفيق فى كل الأمور (قال الراوى) فلما ان سمع البطال مشاجرة الاثنين ضحك وقال ما يقدر يكشف هذا الامر أحد غيرى ولا يعرف مثلى ولابدلى ما أطلع على جلية الحال ولكن بعدما أشفى فؤادى منكما بالضرب لأن لى زمان ماضربتكما ولانظرتكما تعذبان ثم ان البطال جعل يمدواحد بعد واحد ويضربه الى ان ينثر لحمه ويشده الى السودان الى ان أتى الى آخر الرهبان وأقام على ذلك الحال إلى أن غلق الظلام وقد ودع الامير عبد الوهاب وسار يريد عساكر الروم (قال الراوى) فهذا ما كان هؤلاء (وأما ما كان) من الملك ميخائيل فانه لماأن سار عقبه من عنده وشومدرس أقام ينتظر عودتهم الى المساء فمارأى لهم خبرولم يزل ينتظرهم حتى أظلم الظلام واعتكر فجلس على سرير ملكه وقددارت الملوك من حوله والبطارقه والقسوس والشمامسه بين يديه وقد أيس من عقبه وشومدرس وقال ياقوم قد بطلنا اليوم القتال وقلنا أن عقبه وشومدرس يدبر ان شيأ يكون فيه اصلاح لحالنا فما أرى أحدا منهما عاد ولاخبر أتانا من عندهم بما كان من هؤلاء السودان الذين قدطرقوا هذه الديار فقالوا له البطارقة قديكون قبض عليهم والالو كانوا فى خير كانوا قدعادوا من يومهم فقال ميخائيل وحق المسيح ان كان وصل اليهم أذيه تركت قتال البلد فى غداة غد واحمل عليهم أنا وسائر عساكرى ولا أبقى منهم أحد (قال الراوى) ولم يزل يتحدث مع أصحابه ويحسب حساب عقبه وشومدرس حتى مضى من الليل الثلث الاول وهم أن يقوم الى مرقده واذا دخل عليه جماعة من البطارقه الذى كان وكلهم بالمعتصم وبالامراء المأسورين ومعهم رجل قدقبضوا عليه وهوفى زى راهب فلما أن رآهم الملك قال لهم ماحالكم وايش هذا الراهب الذى هو معكم فقالوا له أيها الملك أعلم أننا كنا الليله افتقدنا قيود المأسورين فى أول الليل وخرجنا بعد ذلك ندورمن حول خيمتهم

خوفا عليهم فدرنا حولها من كل جانب وجلسنا نتحدث الى وقتنا هذا فسمعنا بكاء عند المسلمين من داخل الخيمة فقمنا ودخلنا فوجدنا هـذا الراهب عندهم وهم به متعلقين وهو يعذبهم العذاب الاليم فقبضنا عليه وأتينا به اليك لتكشف خبره وتعلم حاله وتبين صدقه ومحاله وتعرف من هو من الرهبان (قال الراوى) فلماأن سمع منهم ذلك المقال أقبل على ذلك الراهب وقال له ياويلك أنت من تكون من الرهبان وكيف دخلت الى هؤلاء المأسورين من غير استئذان عند ذلك بكى الراهب بدموع تسيل وقد تلا فصلا من الانجيل بخشوع وحسن عباده وطيب نغمه حتى ترك الملك ومن عنده من الملوك والبطارقه يبكون وصار خاضعا وذليل ولما أن كان هذا الحال على هذا المنوال قام الملك وسائر الملوك وقد تراموا على يديه ورجليه هذا ولما أن فرغوا من تقبيل أياديه قال له الملك ياأبونا أنت من أين أرسلك المسيح الينا فقال له الراهب أعلم أيها الملك انى أنا راهب ديرقنا الذى لى فيه خمسين سنه استوحش من الحسيس والانيس وقد حرمت على نفسى كل شىء نفيس ولا آكل شىء فيه روح ولاما يخرج من الروح بل آكل البقول وألبس المسوح ولم أزل حتى عبرلى المسيح ورأيته فى المنام وهو يقول لى ياصاصينا قدأجهدت بفسك فى عبادتى طمعافى رحمتى وأناقدمددت لك فى العمر حتى ترانى قدظهرت فى الدنيا بعد غيبتى واعود كما كنت فى أمتى واجازى كل من جاهد فى عبادتى واريك بعدهذه العباده أن تسير الى الملك ميخائيل الميمونى الذى قدأظهرت فيه معجزتى وانى قد أعطيتك من القوة مالا أعطيته أحد من أمتى وأريد منك إذاوصلت اليه تمسح بيدك عليه حتى تناله بركتك ثم بركتى لأنى أريده أن يفتح البلاد قبل ظهورى ولايترك أحدا إلامن يكون من أمتى وأنى لماأن رأيت أيهاالملك عند المسيح منزلتى ومنزلتك وأنه قد جعلك آيته سرت اليك وتركت عبادتى واتيت وحدى لايعلم أحد بحالتى وقصتى ولما أن وصلت الى عسكرك المنصور سمعت أن فيه الخليفه مأسور فجعلت أسيرحتى دخلت الى الوطاق وقدجعلت أن أجعل أول قدومى عليك الجهاد ولاأدخل عليك حتى أعلم أنك على حال الوحدة والانفراد واقص عليك المنام ولايدرى أحدمن الأنام فقبضونى هؤلاء البطارقة الموكلين بالمأسورين وأتوابى الى عندك وأنابعدما أشتفيت من عذاب الموحدين وقد أخرجونى ان أخبرك بأمرى حتى لاتاس على فيطالبك المسيح بذنبى وأنت لاتعلم بى (قال الراوى) فلماسمع الملك مخياتيل من الراهب هذا الكلام أمر الملك بضرب رقاب البطارقه الذين قبضوا عليه من الخيام فقبلوا الارض بين يديه وقالوا للراهب ياأبونا ارحمنا واغفرلنا وانقذنا

من هذه الآلام فقال لهم الراهب قد غفرت لكم ورحمتكم ولكل من يقول بقولكم من سائر الآنام وقد شفع فيهم وأجارهم من ضرب الحسام هذا وقد صاروا القسوس والرهبان يترامون على يديه يقبلونها مع الأقدام ثم انهم قالوا ياملك اننا كنا نطلب من المسيح أن يطول أعمارنا حتى نزور دير قنا وكنا نريد نسمع كلام هذا الراهب صلصينا ونرى صورته فلا نقدر وكنا لما أن نسير اليه نقيم تحت صومعته يوم وعشره حتى أنه يطل علينا من طاق الصومعه ونرى وجهه ويقول لنا إننى قد سألت المسيح فيكم وقد غفرت لكم فأمضوه واتركونى فى حالى (قال الراوى) فلما أن سمع الملك من الرهبان والقسوس ذلك الكلام عظم الراهب فى عينه وقال له وقد أخذ بيده وأجلسه الى جانبه وقد مسح الراهب بيده على رأسه وتلا شيئا من الانجيل بنغمة حسنه فبكوا الملوك وسائر الرهبان وقالوا هذه التلاوة الصادقة تعمل فى القلوب وتكون لها خارقة فويل لرهبان دير قنا بعد هذا الراهب القريب العهد من السيد المسيح فلقد حلت بركته علينا (قال الراوى) إن كان السبب فى مجىء هذا الى عسكر الروم ومن أين هو ومن يكون بين الأنام وكان هذا أبو محمد البطال وأنه خرج من عساكره يكشف خبر المسلمين كما قدمنا وسار إلى أن دخل عسكر الروم تزيا بزى هذا الراهب لأنه كان يعرفه من زمن الرشيد وكان له عند النصارى قدر عظيم وكانوا يحملون اليه النذور من سائر الأقاليم فلأجل هذا سمى نفسه باسمه ودخل على المأسورين قبضوه البطارقة وكان سبب قبض البطال مع البطارقة رقة قلبه لأنه لما وصل الى السرادق الذى فيه الخليفة مع البطارقة المأسورين فرصد الموكلين بهم حتى انهم ناموا ودخل عليهم وهم يتلون القرآن ويسبحون الرحمن فلما أن رءوه قالوا له من أنت ومن تكون أيها الراهب فقال لهم أنا أبو محمد البطال وقد جئت أسعى فى خلاصكم من هذا الوبال فكان فى الجماعة من عرف نغمته وفيهم من عرف صوته وقد تصايحوا من فرحتهم وأما الأميرة ذات الهمة فانها أرادت أن تقول يا أبا محمد ولدى فى الحياة فلم تقدر وقد غشى عليها وخيل لها أن اسرافيل قد نفخ فى الصور وقاموا الناس من القبور (قال الراوى) فلما أن رأى البطال منهم ذلك الصياح والضجيج ندم على تعريفهم بنفسه ورآهم يصيحون فخاف على نفسه وقد علم أن الموكلين يسمعون حسهم ويأتوا على صياحهم فأظهر أنه يعاقبهم وقد صار يشتمهم بالرومى ويضربهم بعكاز كان فى يده من الأبنوس وقد سمعوا الحراس الصياح فدخلوا عليه فى الخيمة فرأوا البطال فقبضوا عليه وأتوا به الى عند الملك وأعلموه بما جرى وقد تخلص بحسن تدبيره وما قد ذكرنا وأجلسه

الملك الى جانبه وقد تحدث معه وقال له الملك انى أريد يا أبونا أن يكون مقامك عندنا حتى أسمع مشورتك وتحل بركتك فى عسكرى وجندى وإذا أتانا شومدرس وعقبه يصيرون تحت يدك فقال له البطال وأين هم وقد سأله سؤال تجهل العارف فقال يا أبونا انهم ساروا إلى هؤلاء السودان على سبيل الرسالة من أمس وإلى الآن ما عادوا فقال له البطال وحق المسيح لو علمت أنهم مضوا اليهم وجرى عليهم أمر من الأمور كنت خلصتهم ونفخت على أعدائهم حرقتهم كلهم ثم أن البطال أقام عند الملك فى أعز مكان يدبر فى خلاص المأسورين (قال الراوى) فهذا ما كان من البطال (وأما ما كان) من الخليفة والأميره ذات الهمه والمأسورين فانهم لما أن أفاقوا من غشوتهم على أرواحهم صاروا يقولون هذا ما كان إلا فى المنام لا فى اليقظة فقال الأمير عمرو بن عبيد الله أنا رأيته بعينى وهو البطال بصورته وحالته وقد كلمنى وكلمته وهو فى زى راهب وقد جاء يخلصنا من النوائب فقالت الأميره ذات الهمه صدقت هو ما فيه محال وأنا أردت أن أسأله عن ولدى عبد الوهاب فقال ما أظن أن البطال قد عاش وانما هذا من هوس القيود الثقال والأغلال وقد باتوا تلك الليلة فى ذلك الحديث (قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركب الملك وسائر عساكره وأراد أن يحمل بعسكره على عسكر الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وإذا بغبار قد ثار وسد الأقطار وكان هذا الغبار من ناحية بلاد الروم وهو إليهم قاصد فقال الملك ميخائيل انظروا ما هذا الغبار فتجاروا البطارقة وقد غابوا ساعة وعادوا يبشروا وقالوا له أيها الملك ان زوجتك صلبان قد أقبلت ومعها ملك لا يحده لسان ففرح بذلك الملك فرحاً شديداً وقال ان هذا اليوم يوم سعيد ثم انه سار إليها والتقاها ولما أن قرب منها فرآها فى عمارية بأربعة أركان ودائرها صلبان مرصعة بأنواع الجواهر وبين يديها مائة جليب وهم كلهم بحلل الإبريسم بجنبهم صبيان مرد من أولاد الروم كأنهم اللؤلؤ المنظوم ومن ورائها مائة أخرى أيضا بغرائب المراكب وعلى المراكب جوار حسان مثل حور الجنان ومن حول الجارية خمسة آلاف عنان مجففة وبين أيديهم أربعين راهب لابسين المسوح السود (قال الراوى) فلما أن نظر الملك ميخائيل إلى ذلك صغر الملك بعينه ثم انه قال لنفسه يحق لها أن تكون فى مثل هذه النعمة لأن أبوها ارمويل وهو ملك عظيم وله الجزائر العامرة وهو من أولاد الاسكندر اليونانى والحمد للمسيح الذى أهانى وارتضانى وأعطانى هذه الجارية وجعلها لى كفؤاً وما هذه إلا ببركة هذا الراهب الذى قدم علينا صلصينا ثم نزل عن مركبه وتقدم إليها وصار

يتخضع بين يديها هذا وقد ضربوا لها سرادق من الأطلس الأحمر ونزلت من المحفة إلى السرادق وقد بهتت إليها الخلائق هذا والملك قد تقدم وأراد أن ينظر إليها فلم يرى إلا الشبكة اللؤلؤ ارتخت على باب السرادق فحالت بينه وبينها إلا أن إشراق وجهها لائح من داخلها وهى تخطر فى أثوابها (قال الراوى) فلما أن رآها الملك ميخائيل وهى على هذه الحالة طار عقله وذهل لبه وعاد إلى سرادقه وأمر بنقل الضيافات والاقامات إليها فنقلوا البطارقة الضيافات والاقامات إليها وما انقضى النهار وأتى الليل بالاعتكار وفى عين الملك قطره هذا ولما أن أتاه الليل قام الملك ميخائيل وسار إليها فى عشرة من الرهبان وأبو محمد فى جملتهم وما زالوا سائرين إلى أن وقفوا على باب سرادقها واستأذنوا الغلمان الملكه فأذنت لهم بذلك فدخل الملك عليها ولما أن صار بين يديها رآها جالسة على سرير من الفضة البيضاء قوائمه من الذهب الأحمر وعليها بدلة مكللة بالياقوت والجوهر وهى كأنها البدر إذا بدر وقد سترت وجهها ببنان مخضب إذا رآه الإنسان التهب (قال الراوى) فلما أن صار الملك ميخائيل عندها ورأى ما هى فيه فصتح لها وزاد فى تعظيمها هذا وقد قرأ أبو محمد فصل من الإنجيل وقال فى تلاوته ان المسيح قد أمر بالجهاد فى الموحدين ونحن قط ما رأينا فى بلادنا مسلمين فقالت الجارية صلبان وأنا أيضاً قد أوصانى أبي بوصية وما أقدر أن أخالفه وحق المسيح فقال لها الملك ميخائيل وما الذى أوصاك به فقالت له اعلم أنه قد قال لى يا بنية لا تخلى الملك ميخائيل يدخل عليكى حتى تصلى الى القمامة وتغتسلى من عين سلوان وتقتلين من المسلمين من له قدر وشأن حتى تفتخرين بذلك على بنات الملوك فى ذلك الزمان فقال الملك يا حبيبة القلب فها قد وعدنى المسيح بذلك لأننا قد أشرفنا على أخذ المسلمين وقد أخذنا أبطالهم الكرام وأسرنا خليفتهم الذى هو لهم امام وكلهم له خدام وكذلك أميرة المسلمين التى يقال لها ذات الهمة وأولاد ولدها والجميع فى أسرى وتحت قهرى فقالت صلبان اننى أريد أنظر اليهم ان كان لهم قدر وشأن فهو يبان (قال الراوى) فلما أن سمع الملك هذا المقال من الملكة صلبان فأمر باحضارهم فحملوا فى عاجل الحال الى بين يديها فلما أن رأتهم صلبان قالت وأين الذى قلتم انه خليفتهم فعرفوها بالمعتصم وقد وضعوا بين يديها الأميرة ذات الهمة وقد قالوا لها ان هذه هى التى فتحت البلاد وقتلت العباد وأرملت النساء وأيتمت الأولاد وهذا ظالم ولد ولدها وهو أشر منها فلما أن سمعت صلبان ذلك المقال لطمت ذات الهمة على وجهها وقالت لها انتى التى تأخذى البلاد وتقتلى العباد وتذلى دين الصليب والزنار

وتقتلى كل همام ثم انها قالت وحق المسيح والإنجيل الصحيح لا بد ما أرمى رقابكم أنتم الجميع ونرسل رءوسكم الى بلادى ثم انها قامت على حيلها وسلت فى يدها الحسام وقالت قدموهم الى حتى أرمى رءوسهم أجمعين فى هذا الوقت والحين فقال لها الراهب صلصينا لا تقتلى يا ملكة هؤلاء المسلمين قبل أن تملكوا بلادهم فقال الملك يا أبونا كيف أخالف الملكة صلبان وقد وقعت من أجلها فى النيران ولكن اسألها أنت فيهم (قال الراوى) هذا كله يجرى والأميرة ذات الهمة تميز فيهم وتنظر الى أبو محمد البطال ولما أن حققته عزفته وقالت لظالم انى أريد أن أسأله على أبيك الأمير عبد الوهاب من قبل ما تضرب منا الرقاب فقال لها المعتصم اياكى أن تكلميه فتهتكى ستره اذا أنت خاطبتيه ولكن دعيه حتى انه يتسبب فى خلاصنا بكل سبب ما دام هو عندهم فى هذه المنزلة هذا وقد تقدم البطال الى عند الملكة صلبان وقال لها أيتها الملكة تمهلى فى أمرك واقضى حاجتك واتركى قتلهم الى يوم عرسك واعلمى أن الملك ما فتح من البلاد غير فرد بلد وانه ما يملك البلاد إلا بهذا الرجل لأنه خايفة المسلمين وبه تنالين ما تطلبين ولاتستعجلاين تندمين (قال الراوى) فلما ان سمعت الملكة صلبان ما قال لها البطال قالت له يا ابونا اعلم أن أبى ما أرسلنى الى الملك ميخائيل الا على انه يملك البلاد الى بغداد واذا كان الأمر على ذلك فاتركوا المأسورين عندى حتى ينفصل الحال فقال لها البطال هم لكى وبين يديكى فاحبسيهم عندكى واحتفظى بهم فقالت له يا أبونا مانحتاج أن توصينا بهم ثم انها استلمتهم والى غلمانها سلمتهم وقد أوصتهم بهم وخرج الملك من عندها وقد افتتن بحسنها وجمالها وقدها واعتدالها وخرج البطال بين يديه والرهبان وساروا الى سرادق الملك (قال الراوى) ولما أن اختلت الملكه صلبان بنفسها أحضرت الأسارى إلى عندها فى ظلام الليل فرأتهم يبكون والى بعضهم البعض يشكون وكان أتمهم وأعظمهم شكوى الأميره ذات الهمه فقالت لها الملكه صلبان هكذا تبكى من تمارس الرجال فقالت لها والله ياملكه مابكائى إلا على ولد كان لى وفقدته وقد أفجعنى فيه الزمان وقد رأيت الساعة الذى كان معه وعرفته وأنى قدعولت على قتلنا وأنى خائفة أن أموت ومارأيته (قال الراوى) فلما أن سمعت الملكه صلبان من الأميره ذلك المقال جرت دموعها وكذلك سائر غلمانها وقالت لها يا أم المجاهدين لاتخافى ولاتجزعى فأنا جاريتك عذيبه ثم أنها أرمت روحها عليهاوجعلت تقبل رأسها ويديها فتقول لها ذات الهمه لا يا ملكه فقالت لها بل أنا لى فى ذلك أوفى نصيب لأن الذى كان معولدك ودلك عذيب هوولداى وان كنتى تنكرى هذا الحال فأنا جاريتك

عذيبه بنت البطال هذا وقد صاح واحد من الغلمان وقال وأنا مذبحون المحتال وهذا أخي الحصين المشتاق إلى الأوطان وقال الآخر وأنا بديع أبو الأهوال وقد صاحوا الباقين وقالوا نحن كانا غلمان البطال فقالت الأميره ذات الهمه وقد طار قلبها من الفرح وزاد تعجبها من هذا الإختيال ياعذيبه ومن أين لكى هذا المال والغلمان والجوار والملك الجزيل وكيف قد صرتى الملكه صلبان بنت الملك أرمويل فقالت لها عذيبه اعلمى أنى قد سرت الى عند عمى يانس المتعزب من حين كبس الملك ميخائيل على ماطيه وقدأقمنا عنده نتنسم الأخبار حتى أننا سمعنا أنكم فى أسر الكفار ومازلنامقيمين إلى أن عبرت علينا الملكه صلبان بنت الملك أرمويل وهى فى هذا التجميل العظيم فخرجت اليها برجال وأى رجال لايخافون فى الله لومة لائم وهجمت عليها وقد أخذتها من العماريه وأمرت يانس يكبس على عسكرها فكبسهم وقتل الجميع وقد جلست أنا مكانها وأتيت من شفقتى عليكم ومعى رجال يانس المتعزب وقد ألبستهم بزى رجال أهل الجزائر حتى لاينكر عليهم أحد وقد أخذت منه مائة جارية وقد تجهزت فى ذلك الزى كما ترون والليلة أخلصكم وآتيكم بالملك حتى تقبضون عليه وتدبروا ماترون فقالت الأميره ذات الهمه وانى إلى الآن ما عرفتى أباكى فقالت لها وهو أين أبى ومن يكون أبى فقالت لها الأميره أبوكى البطال فقالت لها عذيبه يامولاتى أحقا ماتقولين أومزاح فقالت لها لا وحق من نسم الرياح وفلق الأصباح ان أبوكى البطال مع الملك ميخائيل وهو الذى كان قدامه يتلو الإنجيل ويدله على التحريم والتحليل وهو الذى شنع فينا وقد حدثك بذلك الكلام المذوق (قال الراوى) فلما أن سمعت عذيبه من الأميره ذلك المقال وكادت أن تنفطر مرائرهم بالفرحة بالأمير أبو محمد البطال وقالت عذيبه وحق من أرسى الجبال وعلم كم وزنها من مثقال لقد كنت كلماتلا الانجيل أشك فى تلاوته وأبكى كلما سمعت نغمته ولكن ما جعلت نظرى الى صورته ولا قلت انه يرجع يعيش من القبر وان اخوتى كانوا منكسين الرأس فزعا لا يعرفون وإلا ما كان يخفى عليهم لو نظروه عن حقيقة وان كان هذا الأمر صحيح فان الأمير عبد الوهاب معه وقد سلموا من القضاء والقدر وما سلموا إلا ولهم حديث يسطر والساعه أنفذ الى الملك وأقول له أنفذ لى الراهب الازرق العينين الأشقر وإذا أتى وصار عندنا صح الخبر ويكون هـــذا الحديث عبرة لمن اعتبر (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام وإذا بالراهب صلصينا عليهم داخل وكان الليل بسواده قد اعتكر ولما أن صار عندهم رأى ابنته وهى مكشوفة الرأس فعرفها فترامى عليها وصار يقبلها وقد فاض دمعه

وانحدر هذا وقد تواقعوا أولاده عليه وما فيهم إلا من عانقه وقبل صدره ويديه هذا والأميره ذات الهمه تنادى يا أبا محمد حدثنى ما كان من حديث ولدى ان كان عندك منه خبر فقال لها يا أميره ابشرى فان ولدك فى هذا العسكر وقد جرى لى وله فى بلاد الهند ما لا يجرى من سائر البشر ثم ان البطال جعل يحدثهم من حديث أمر الخليفه وما كان من تفريقهم وكيف سيرهم الوزير فى مركب وكيف غرقت بهم المركب وتفرقوا فى البحر وكيف احتوى هو والأمير على السودان وما جرى للبطال مع المقعد (قال) هذا كله يجرى والخليفه يسمع ويرى ويتعجب ويقول سبحان من فسح لكم فى الآجال حتى سلمتم ووصلتم الينا ونحن فى هذا الحال والله لابد أن أرفع هذا الوزير ان سلمت من هذا الخطر ولأجعلنه نائبى ان غبت أو حضرت لأن مثل هذا يستاهل على ذلك الأجر (قال الراوى) ولما أن فرغ الأمير أبو محمد من حديثه قالت له ذات الهمه يا أبا محمد انى أريد من فضلك أن تبصر بينى وبين ولدى كيف تجمع فقد فنى منى صبرى وخاننى جلدى فقال لها الليلة أوصلك ان شاء الله تعالى اليه وأتركك تشتفى من تقبيل عارضيه هذا وعذيبه وأخواتها قد غشى عليهم من حيث أنهم عرفوا أباهم وما أفاقوا حتى فرغ من حديثه وقال لعذيبه يابنيه مع هذا كله كيف صرتى ملكة ومن أين لكى هذه الأموال والفرسان فقبلت صدره وحدثته ثم قالت له اعلم أن كل من معى من الأبطال هم أصحاب يانس المتعزب والأموال أموال الملكة صلبان ثم حدثته كيف جرى وكيف كان وكيف قعدت مكانها وتركت أخواتها فى زى غلمانها ففرح البطال بهذا السماع وشكر الله على هذا الاجتماع وقال الساعة ما بقى غير التدبير على كسر هذا العسكر وقد نلنا ما نريد فقالت عذيبه ما نكسر الروم حتى نقبض على الملك ميخائيل وننفذ بعضنا إلى الأمير عبد الوهاب نعلمه بهذه الأحوال حتى يكون على يقظة من أمره وأنه إذا سمع الصياح من عندنا يحمل هو ومن معه من السودان ونحن فى هذه الخمسة آلاف فارس من أصحاب يانس والأمير ظالم وسته الأميرة ذات الهمه والخليفه والأمير عمرو بن عبيد الله نكبر فى وسط العساكر ونبصر كيف تضرب البطارقة بالسودان البواتر ونطلب النصر من العزيز الخالق الحكيم القادر (قال الراوى) فعند ذلك قال البطال أما الملك فأنا أسوقه اليكم تقبضون عليه لأنى ما جئت إلى عندكم يا بنيه إلا فى رساله لأن الملعون قد أحبك حبا شديدا وصار لا يأخذه عن حبك قرار وأنه قد أنفذنى حتى انى أسألك أن تتركيه يبات عندك الليلة وقال لى قل لها انى ما آتى لها إلا وحدى حتى لا يدرى بى أحد

وأعود أخرج من عندها وقت السحر ولا أعود أقربها حتى تعود من زيارتها فقالت له عذيبه مكنا الساعة من قفاه وسوقه إلى عندنا والسلام فقالت الأميره يا أبا محمد احتال قبل كل شيء فى خروجى معك إلى ولدى حتى أعلمه بما أنتم عليه معولين فقال المعتصم وأنا والله معكم وأكون عندكم فى الخيام لأنى ما أقدر على القتال ولا على القيام حتى يهدى روعى فقال له أبو محمد قم يا أمير المؤمنين حتى أننى أطلب النجاه (قال الراوى) فعند ذلك قام الخليفه وركب هو والأميره على جوادين من خيل عذيبه وقد سار بهم البطال حتى خرجوا من عسكر الكفار وإذا بالحارس قد عارضهم وقد قال لهم من أنتم فتقدم البطال اليه وقال له أنا الراهب صلصينا وان هؤلاء من العرب المنتصره قد أنفذنى وأنفذهم معى الملك إلى عسكر المسلمين حتى يختلطوا بهم فى هذه الليلة ويكشفوا له خبر الشيخ النجيح فلما سمعوا منه ذلك المقال تفرقوا عنه وساروا وهم متعجبين من فعال البطال وقد طلبوا عسكر الاسلام وعاد أبو محمد يدبر الأمر الذى قد ذكرنا ولم تكن إلا ساعة حتى قربت الاميره عسكر ولدها الامير عبد الوهاب وكان فى تلك الساعة على الحرس وهو مشتغل القلب على أبو محمد وعينه طائره عليه وقد زاد به الاشتياق إلى والدته (قال الراوى) فبينما هو على ذلك الحال وإذا هو بأشباح تلوح فى ظلام الليل وقد سمع سنابك الخيل فى ظلام الليل فركض بالجواد وصاح لما أن قرب من الأشباح وقال من الطارق فى الليل الغاسق فسمعت الأميره ذات الهمه الصوت فعرفته فترجلت نحوه وهى تقول مرحبا يا بنى مرحبا بهذه الشمائل والأعطاف الحمد لله على ما أولانا من حسن الالطاف ياولدى أعادك الله وأحياك الله حياة جديدة فرحقه ما أقدر أقوم بواجب حقه ولاشكره سبحان من رحم بك كسرى ومن بك على سمعى وبصرى وردك الله على ردا جميلا قبل المهات (قال الراوى) فلما أن سمع الامير صوت والدته ورآها عرفها فأرمى روحه عليها وهو طائر الفؤاد ثم انه اعتنقها ساعة زمانية هذا والخليفة ينظر الى ذلك ويبكى ويقول لا آخذنى الله بما قد فعلت مع هؤلاء القوم هذا ولم تزل الاميرة تقبل عوارض الامير عبد الوهاب الى أن أفاق من غشوته فجعلت تحدثه بما عملته عذيبة بنت البطال وكيف أتت الى الملك ميخائيل فى زى الملكه صلبان واختها معها فى زى الغلمان وكيف سمى روحه البطال وقال لهم لمثل هذه الساعة قد ادخرناكم وبها قد وعدناكم وفى هذه الليلة يكون غناكم فعند ذلك تاروا كلهم لما أن سمعوا ذلك الصياح وقد كانوا تأهبوا من قبل فحملوا وطلبوا عسكر الروم وفى أوائلهم الامير عبد الوهاب والله ما البطال وأشياعه

إلا أركان المسلمين فالله تعالى يطيل فى أعمارهم حتى يكونوا نقمة على الكافرين هذا وان الامير لما فرغ من السلام على أمه أقبل عليه الخليفة مسلما وتمثل بين يديه وقال له العفو يا أمير المؤمنين ثم دنا منه وقبل يديه وقبل عذره ولا آخذه بما فعله (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وماجرى لهم (وأماما كان) من البطال فانه لماان فارقهم عاد يطلب سرادق الملك ومازال الى أن وصل اليه ودخل عليه فوجده فى لهيب النار من أجل الاستنظار فلماان أقبل البطال اليه قال له وحق المسيح ياملك لقدجرى لى مع الملكه صلبان شىء ماأقدر اصفه بلسان حتى اجابت الى ماتريد ولولا خوفهامن المسيح ونقمته وقلت لها ان طاعة زوجك مثل طاعة المسيح والا ما كانت اطاعت إلى ذلك فقم الساعه ايها الملك الى ذلك الحال وتمتع بذلك الحسن والجمال واشكر المسيح الذى بلغك الآمال فقام الملك وهو لايصدق بالنظر الى وجهها وخلع ثياب الملك من عليه وقد لبس البطارقه حتى لايعرفه أحد اذارآه وسار والبطال بين يديه سائر وقلبه من الفرح طائر (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى سرادق ابنته عذيبه والملك ميخائيل معه وقددخل قدامه فوجدوا الاميرظالم وعمرو بن عبيدالله ومذبحون والحصين ولؤلؤ وبديع وباقى الغلمان كانهم العقبان ولماأن دخل الملك وصار فى السرادق تواثبوا عليه وألقوه فى الأرض وقد كتفوا يديه ورجليه هذا وقد أنفذت عذيبه إلى عند أصحاب يانس المتغزب مع اخوتها وقدأعلموهم بالحال وقالوا لهم ان الملك قدوقع فى أيدينا وقد أعتقلناه وكانوا قدفرحوا بسلامة البطال عند ذلك جددوا كلهم السيوف الصقال وركبوا الخيل فى ظلام الليل وقد صاحوا صوتا واحدا الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وتفرقوا فى جنبات العسكر (قال الراوى) فلما أن سمعت عساكر الكفار ذلك التكبير والصياح انزعجت بطارقة الروم ثم ثاروا من المقام وخرجوا من المضارب والخيام هذا وقدعجل الحسام فى الخاص والعام وقدزاد القتام والظلام اعتكار من الغبار والقتام فسمعت الاميره ذات الهمه الصياح فقالت لولدها الامير عبدالوهاب احمل يابنى الساعه على عساكر الكفار فهذا الامر الذى نحن له فى الانتظار (قال الراوى) وكان الامير عبد الوهاب قدوصل الى عسكره وايقظ رجاله واعلمهم بماقدجرى وما دبر البطال من الاحتيال وأمه ذات الهمه (قال الراوى) فلم تكن الاساعة حتى أنهم صاروا مع الأعداء فى المضارب ووضعوا فى البطارقه السيوف والقواضب فسمع لحمل هو وباقى الرجال ووضعوا الكل فيهم السيوف الصقال وتقدموا الأمراء إلى المعتصم وهنوه بالسلامة بعد ماولت الروم الأدبار وركنوا الى الفرار وتقدم الأمير

أبو محمد البطال واخبره بما فعل الملعون عقبه وكيف دبر عليهم وعلى الامراء والمعتصم وما رأته الاميره ذات الهمه فى المنام وقال له ياأمير المؤمنين وحق قرابتك من رسول الله سيدنا محمد سيد المرسلين وما كان سبب قدوم ملك الروم ميخائيل إلا هو الذى دله واخبره بهذا الأمر الذى جرى علينا فعند ذلك قال الخليفة للامراء إذا كان ولابد مايؤذيكم عندى الاعقبه فافعلوا به ماتريدون واين ماوقعتم به فاسقوه كاس المنون ودعه ان يكون مسلم أونصرانى فأنا اعلم ان فى هلاكه اصلاح للمسلمين (قال الراوى) فلما ان سمعت الاميره ذات الهمه من الخليفة ذلك المقال قالت لولدها يابنى ما بقى على أمير المؤمنين ملام وهذا عقبه عندنا فى ملطيه فسيروا بنا حتى نحمله الى مدينة القسطنطونيه ونصلبه مادام الملك ميخائيل فى ايدينا والروم قد انكسرت والخليفة قدا باحنادمه فضحك الأمير عبد الوهاب والبطال من مقالها وقالوا لها عند من تركتيه فى ملطيه فقالت لهم عند قشعم فقال لها البطال ياأميره هذا عقبه عندنا فى الخيام هو وشورمدس شيخ الضلال ثم ان البطال حدثها بفتح ملطيه وأسر قشعم وحريق القبور الذى كان فيها جثث القتلى وماحصل من القصه من أولها الى آخرها فلما ان سمعت الأميره ذلك المقال من الامير ابو محمد البطال فتعجبت من هذه الامور والاحوال وقالت لعن الله عقبه لأنه بالغ فى العداوه وقد كنت والله فزعانه منه على قشعم فقال الخليفة ياقوم فاحضروه مادام هو عندكم حتى اننا نسمع كلامه وأنا والله أسير معكم الى بلاد الروم وأحضر صلبه وصلب هذا الراهب الذى معه (قال الراوى) فعند ذلك قال الامير عبد الوهاب لابو محمد البطال ياأبو محمد احضرلنا هؤلاء الملعونين فما نريد أحسن من هذا الوقت ولاأطيب من هذه الساعه فقال له البطال انه فى الخيمه التى لحسام الملك أحضرهم فامر غلمانه باحضارهم فقالوا لهم والله أنهم قد هربو فقال حسام الملك وكيف هربوا فقالوا والله اننا لما ان سمعنا صياحكم فى عسكر الروم طلبناكم وقد اشتغلنا عن أهل الدنيا فقال أبو محمد فقولوا أنهم هربوا والله قد نقذوا الملعونين ثم ان البطال مضى الى الخيمه وعاد ومامعه أحد فقال له الامير عبد الوهاب ايش الخبر فقال له والله مالهم فى الخيام أثر وقد علمت أنهم قد هربوا وماسرت الاحتى لايبق لكم حجه فقال الخليفه ماتحتاجون الى هذا كله فاذا وقع فى أيديكم اكتبوا إلى بالحال والذى تعملوا من الاعمال حتى انى أوافقكم عليه وعذبوه وبعد عذابه اصلبوه (قال الراوى) وقد باتوا تلك الليلة ومن الغد نادى الأمير فى العساكر بالرحيل الى ملطيه وقال سيروا بنا حتى نخلص أوطاننا وأولادنا من أيد الكفار ثم دخل على الخليفه وأعلمه بذلك فقال له لولا البلاد

كما علمت قداختبطت لأجل فقدى وخروجكم أنتم من البحار ومجيئكم خلف عساكر الروم لما كنت أسيرا الا معكم ولكن أنتم أخبر بالحال لأن خبرى فى هذه النوبه قدسار الى سائر الأقطار وسمعوا الناس بفقدى وخراب الديار فقال له الامير مانحتاج أيها المولى الى تعبك ونحن ننوب عنك فشكر الامير على ذلك وأمره بالرحيل فرحل الامير بالعسكر وسار طالب ملطيه وبلاد الثغور وهو فرحان مسرور وكذلك السودان الذين خرجوا معه من بلاد الهند فرحوا أيضا بماوصلوا اليهم من الغنائم والاسلاب وبماقد عاينوا من علو مرتبة الامير عبد الوهاب وقداختلطوا بسودان الاميره وبنى كلاب وصار حسام الملك عند الأميره ذات الهمه من خواص الاصحاب هذا والبطال سائر بين أيديهم وأولاده قدفرحوا بسلامته وغلمانه وعذيبه أفرج الخلق به وقدصار فى موكب كله لصوص هذا وقد كان الامير عبد الوهاب لماان رأى الى جعبر أخو الملمان قربه اليه وأدناه لماان سمع صفاته من الفرسان فجعله مقدم على طائفة السودان (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الخليفه فانه لما رحل الامير بعسكره على آمد رحل الاخر بمن كان معه وسار طالب العراق بعدما وطىء رقبة ميخائيل وأوصى الامير عبد الوهاب أن لا يطلقه حتى يحلفه على الجزيه فى كل عام وأنه يعاونهم على طلب عقبه أين ما كان (قال الراوى) وكان السبب فى هروب عقبه اللعين وشومدرس الخنزير وذلك أنه لماركبت العساكر الذى للامير عبد الوهاب وكبست عساكر الروم تركوهم فى الخيام وطلبوا كلهم القتال من أجل نهب الأموال لانهم عرب بجمعه وسودان قد خرجوا من بلاد الهنود طمعا فى المكسب وما التفت اليه أحدا جهلا منهم به ولما ان نظر عقبه الى خلو المكان قال لشومدرس ويلك ياقرنان ان لم نخلص فى هذه الساعه وهم فى تلك الغفله والا مابقينا نخلص أبدا فقال شومدرس وكيف يكون الخلاص ونحن فى ضيق الاقفاص فقال له سوف ترى مايكون منى ثم ان الملعون أخرج يده المقطوعه من الكتاف وقدحل نفسه من القيد الذى كان فى رجليه وفعل بشومدرس كذلك وخرجوا من الخيمة فى ظلام الليل والناس مشتغله بماهم فيه من القتال وقدركبوا جوادين وساروا يطلبون طريق ملطيه وهم يرون بريق الصفاح ويسمعون كثرة الصياح (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين وهم يركضون الى ان وصلوا الى ملطيه قبل وصول العسكر المكسور ليلته ولماان صاروا قريب البلد دخلوا على غيلان الشوك فلما أن رآهم سألهم عن حالهم فأخبروه بماجرى وكيف عادعبدالوهاب

والبطال وظهروا بعد التفريق والحريق وقد أتوا فى سودان مثل الغيلان وقد كبسوا الروم تحت الظلام ونزلوا عليهم مثل السيل اذا سال وقد أنزلوا بهم الهم والغم والويل وقد هربنا نحن ونجينا بأنفسنا وبعد ذلك ما ندرى ما جرى ولكن أنا اعلم ان الروم ما يفلحون ولابد ما ينكسروا لأننى قدسمعت صياح المسلمين قد علاوهم يقولون كلمة الاخلاص فقال له غيلان ويلك يا شيخ أما نحن قد نبشنا قبورهم وأحرقنا عظامهم بالنيران فكيف رجعوا وعاشوا وخرجوا من بلاد السودان هم من الجن الغواصه أم العفاريت الطياره فقال له عقبه وحق المسيح لقد حرت فى أمرى وفنى صبرى وجلدى وما أظن هؤلاء مثل الآدميين الذين هم فى هذه الدنيا وأنا ما أقول فى عقلى إلا أن أرواحهم تتنقل فى الأجساد اذا خرجت من جسد تدخل فى جسد غيره وباتوا تلك الليلة فى هوس واختباط (قال الراوى) ولما ان كان من الغد صبيحة ذلك النهار طلع عليهم غبار عساكر الروم الكفار وقد طلبت الهرب والفرار من ضرب سيوف عساكر الأبرار فقال عقبه جاء العمل هذا وحق المسيح عساكر الملك ميخائيل قد أتت منهزمه والساعه نرى عساكر المسلمين من خلفها قادمين والينا واصلين قم بنا حتى نبصر لنا مكان نلتجىء فيه مما يقع على البلاد من الحصار والا أخذنا من هذه الديار ويصلبونا على الأسوار (قال الراوى) ولما أن رأى غيلان الشوك الى ذلك الغبار ركبت عساكره وسودانه وخرج من البلد والتقى بأوائل المنهزمين وقد سألهم عن الخبر فقالوا له أيها السيد لا نسأل عما جرى من الأخبار واعلم أن ما بقيت عساكر النصرانيه تفلح ولو انها بعدد ورق الشجر وقد أسر الملك ميخائيل وقتل كل ملك جليل وما بقى من البطارقة غير القليل والباقون بين أسير وقتيل وفى هذه السنه تملك بلاد النصرانية وتصير ملكا إلى الملة الحنيفية ولا يبقى من عباد المسيح باقيه فقال غيلان الشوك وقدطار فؤاده ياويلكم وكيف أسر الملك فقالوا لهماندرى الا أتت الينا ابنة البطال فى صفة الملكه وفى صحبتها من الملك مايحير الافكار والأبصار وهى التى عملت الحيلة حتى أخذوا الملك أسير وقد تم علينا وعليه هذ التعتير (قال الراوى) فلما أن سمع غيلان منهم ذلك الكلام تحسر وقال لهم صدقتم وحق المسيح لأنها عبرت على وقالت لى هذا المقال وأخرجت اليها الاقامات والضيافات والأموال احتراما لها واكراما للملك ميخائيل وماعلمت أنها ابنة البطال ثم أنه سار يلتقى المنهزمين ويدخل بهم إلى البلد ويقول لهم كيف ترحلون وتتركون الملك فى أيدى المسلمين وحق المسيح انهذا عارعظيم هذا وقدأشرف الأمير عبد الوهاب فى العساكر

التي كأنها البحر الزخار هذا وقد نظرت الروم الى السودان كأنهم الجواميس فقالوا والله إن هؤلاء يلتقوا أهل الأرض جميعا وما عمل معنا غيلان خير الذى مسكنا عن المسير وما كان الصواب إلا مسيرنا إلى بلادنا قبل قدومنا (قال الراوى) هذا وغيلان قد طلب عقبه ليشاوره فيما يعمل فما وجده فعلم أنه قد هرب هو وشومدرش فقال ما هذا عقبه وحق المسيح إلا شيطان يوقع الفتن بين الروم والمسلمين وإذا رأى الغلبة خلاهم وهرب (قال الراوى) هذا وقد كانت أول ما أشرفت عساكر المسلمين وقاربت الأصوار ورأت إلى الأوطان فانتخت فرسانها على خلاص أولادها ونسوانها هذا وقد داروا ملطيه من كل جانب وكبروا باسم الطالب الغالب ونادوا السودان تخلى نسواننا وأولادنا فى أيدى الكفار دونكم وهؤلاء الفجار وخراب الأصوار حتى ندخل إلى بيوتنا قبل ذهاب النهار (قال الراوى) ثم أنهم تقدموا بالمناقب والمعاول وطلبوا الأبراج وقد لمعت وجوهم مثل الليل الداج وقد تبعهم الأمير عبد الوهاب فى عشرين ألف من الأكراد عند ذلك هجموا الجميع فلما أن رأى غيلان الشوك إلى ذلك الحال فقال وحق المسيح إن توانينا على أرواحنا هلكنا ولكن ائتونى بالأسارى من الأمراء والسودان والصغار على الأصوار حتى تمنعوهم من رمى السهام والاحجار فى عاجل الحال أتو بالأسارى وهم حيارى وألقوهم على الاصوار وقد هتف للنبال فلما أن صاروا الاسارى على الاصوار صاحوا صيحة واحدة وبكوا بدمع غزار فسمعوهم السودان وبنى كلاب فما كنت ترى منهم إلا كل قلب مصدوع وأنف مجدوع (قال الراوى) فلما أن رأى الامير عبد الوهاب إلى ذلك المصاب فمنع الناس من القتال وقال ما أظن بقى للبلد خلاص إلا بميخائيل وإلا ما اليها وصول ولا إلى أهلنا سبيل فعند ذلك أرسل غيلان الشوك يقول له ياملعون ايش ذنب النسوان والأطفال حتى تفعل بهم هذا الفعال فلما أن سمع غيلان هذه الرسالة رد الجواب يقول كيف نخرج إلى القتال وأنتم مثلنا أضعاف أو كيف نرمى أرواحنا الى التلاف ولكن أقسم بالكنائس الآربع وما أوقع فيها وتشعشع وسجد للشرق فيها وركع لئن لم ينعم أميركم بخلاص ملكنا ويحلف هو وذات الهمه أنهم يخلوا سبيلنا وإلا أرميتهم برءوس كل من عندنا وقاتلناهم حتى نهلك كلنا عن آخرنا لاننا قوم مستقلين وليس عندنا من العساكر ماتقلنا ودع بعد ذلك يجرى ما يكون (قال الراوى) فلما أن عادت الرسالة ووصلت الى الامير عبدالوهاب خاف على الاطفال والعيال وقد أجاب الى الصلح مع الملك ميخائيل بعد ماحلفه بالانجيل وسألهم عن عقبه وشومدرس فحلفوا أن ماعندهم منهم خبر هذا ولما أن

اتفقوا وصفت النية أخرجوا الروم وغيلان الشوك من ملطيه ولم يأخذوا منها مايساوى درهم بالكلية هذا وقد دخلوا المسلمين وفرحوا الجميع بلم شملهم بأهاليهم واجتمع الامير عبد الوهاب بنسائه وكذلك أبو محمد البطال قد اجتمع بنورى وبل شوقه منها وقد استقروا فى الاوطان كأنه شيء ما كان هذا وقد أحسن الامير عبد الوهاب الى النسوان الغرباء وفضلهم على سودانه وأنزلهم فى الدور المليحة وقد أقاموا على ذلك الحال برهة من الزمان (قال الراوى) فبينما الامير عبد الوهاب فى يوم من بعض الايام وهو جالس فى طارمة له تشرف على الطريق والآكام وعنده البطال يتفرج على الغادى والبادى من الانام واذا هو بزعقات عالية وصرخات نامية فقال له الامير أبو محمد ما سبب هذا الصياح فأخرج أبو محمد رأسه من الشباك ثم عاد برأسه وهو يضحك ضحكا عاليا حتى استلقى على قفاه فقال له الامير عبد الوها والله يا أبو محمد لقد عجبت من ضحكك من غير سبب فقال له الامير أبو محمد أيها الامير أشرف وانظر العجب الذى قد أضحكنى فطل الامير عبد الوهاب من الشباك فنظر الى ماقال عليه الآمير أبو محمد البطال واذا بالناس يهرعون من كل جانب والصياح قد علا والصراخ قد نما وهم محدقين بشيخين أعورين أحدهما فى رقبته حبل والاخر يسحبه وهو يقول له قل أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله (قال الراوى) هذا والمسحوب يقول أيها الناس أنظروا الى هذه الالطاف العظيمة والقدرة الجسيمة شيخ له من العمر ثمانين سنة وهو فى الضلاله والطغيان وعبادة الصلبان وما قضى الله إلا أن يكون هدايته على يد هذا العبد الصالح الذى لربه ناصح فتأملهما الأمير عبد الوهاب وقد عجب من فعالهما غاية العجب وإذا بالواحد منهما ملعون وقد أبعده الله تعالى من رحمته وأبلاه بالخزى والمقت القاضى عقبه بن مصعب السلمى والاخر اللعين شومدرس فقال الأمير لما ان رآهما عليكما لعنة الله فلقد حار فكرى فيكما وفى محالكما ثم أنه قال لابو محمد البطال ياترى قد أسلم شومدرس تحقيق فقال له أبو محمد والله لا كان ذلك منه أبدا وإنما يريدان الملعونان أن يعملان حيلة على المسلمين وسوف أطلعك عليها ان شاء الله تعالى وقد كان الذى نطق به البطال حقا صدقا مما يعلم من خبثهما (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أنه لما ان كسروا المسلمين عساكر الكفار وأيد الله عصابة أهل الدين القويم وأبادوا الموحدين طائفة الكفار الفجار ونظر عقبه وشومدرس الى ذلك وانهزما وخرجا من البلد سار شومدرس وقد ترك عقبه ينظر مايجرى وتبعه فما زال سائر الى رأس جبل وجلس هناك ينتظر رفيقه وهو باهت فيما جرى لأهل ماء المعموديه فبينما

هو كذلك وإذا باللعين عقبه قدوصل وهناه بالسلامه وقدشكى اليه مايجده من الحزن على الروم فقال له شومدرس خلى عنك الحزن والعناء وخذ هنا فيم ينفعنا فقال عقبه وحق الانجيل انى خائف من الملك أن يطالبنا أينما كنا ويسلمنا اليهم ويفدى بنا عن نفسه وعن مدينته ونصلب نحن ونمضى مجانا فقال شومدرس فما الرأى عندك أيها القاضى ومانيتك أن تعمل فقال له الرأى عندى أن اقوم أنا واسير وأنت خلفى ونقرب من البلد ونكمن فى مكان وننظر مايكون قدجرى للملك من المسلمين ان كانوا اصطلحوا فأنا أعمل حيله وندخل بهاعليهم وان كان يقع القتال فننظر كيف يتم الحال وندبر على قدر ماترى لنافيه المصلحة (قال الراوى) فعند ذلك ساروا الملعونين الى قرب ملطيه وكمنوا هناك وقد سمعوا بكل ماجرى وبصلح الملك مع المسلمين وسار الملك بما كان قدتبقى من عساكره إلى القسطنطونيه فصبروا الى ان مضت مدة من الايام وقال عقبه لشومدرس قم بنا الان وسير بنا إلى ملطيه فقال له يا ملعون نحن هاربين منهم والا نسير لهم برجلينا فقال له عقبة قم بنا وانظر العجب فيما أفعل فقال له شومدرس وما تفعل ياقرنان فقال نسير وأعمل رقبتك فى حبل وأدخل بك الى ملطيه وأدخل على الأمير عمرو بن عبيدالله وألعب بعقله وأسعى بأن يبنى لك صومعه تكون فيها وأنت كاتم سرك وتزعم أنك قد أسلمت وتظهر العباده والورع ونتعاون أنا وأنت على الحيل وتأتى بالمصائب التى نوقعها على المسلمين فقال له شومدرس هذا هو الصواب إن صحت لنا هذه الأسباب فيكون أمر لايعاب ثم انهم ساروا فى طلب ماقد ذكرنا وقد عمل عقبة لما ان قرب من البلد فى رقبة شومدرس حبل وتهارعت إليهما الناس وصار يقول له اسلم وهو يقول كما ذكرنا (قال الراوى) فهذا ماكان السبب فى ذلك وعدنا إلى ما كنا عليه من سياقة الحديث وذلك ان اللعين عقبة وشومدرس دخلا إلى دار الأمير عمرو بن عبيد الله وسلما عليه فرحب بهما واستقبل عقبة ثم قال له ياقاضى اين كانت هذه الغيبة وها انا أرى معك رأس الحكمة شومدرس فقال له يامولاى اعلم ان هذا الشيخ قد نصب على وأخذنى وسار بى الى بلد القسطنطونية وقد جرى لى معه أمور عجائب الاأنه أسلم لما أن بان له منى البرهان وعاد الى الله من قريب فقال له الامير عمرو وأسلم ياقاضى هذا الرجل من بعد فعاله بالمسلمين تلك الفعال والكفر بالملك المتعال فقال عقبه اماعلمت أيها الامير انى أنا من أئمة هذا الدين وقد جادلت هذا الشيخ ثم أقمت له الدلائل وقد أفاضت منا المجادله الى أدله تعجز الخلق من اعمالها

واجماعها الا انى ماتركت شيئا من علمى الاوشرحته له ولاتركت مذهب الا وأوضحته
بين يديه فلما أن سمع شيء حيره فما ساعه الا الدخول فى دينى والعقيدة فى يقينى وقال
انى رضيت بما رضيته أنت لنفسك وأنا أيها القاضى قائل بمقالتك ومطيع لما تريد
من ارادتك فعند ذلك سألته فى المسير الى حضرتك وها نحن بين يديك (قال الراوى)
ولما أن تم عقبه ما معه من المقال أقام الدلائل والأخبار ووعظ وحذر وخوف
وشوق الى الجنه ونعيمها وخوف من النار وجحيمها فأوجل القلوب وذرفت العيون
ولم يبق طرف إلا ودمع ولا قلب إلا وخضع ولم يزل على ذلك الحال الى أن انقضى
ذلك النهار وبات تلك الليلة الى أن اصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وإذا باللعين
عقبه قد دخل على الأمير عمرو وقال له اعلم أيها الأمير أن هذا الرجل الذى هو الآن
قد أسلم كان فى زمانه الذى مضى راهب واليوم قد من الله عليه بالإسلام وأطاع الملك
العلام وأنه قد ألف الوحدة والانفراد وقد سألنى أن أسألك أن تبنى له صومعة عاليه
حسنة البنيان رفيعة الأركان بيضاء كأنها حمامة تلوح على حد البصر وكل من نظر اليها
يتحير (قال الراوى) فلما أن سمع عمرو من عقبه ذلك أمر ببنيان صومعه برا ملطية
فما كانت الا أيام قلائل حتى عمرت وكان عقبه مهندسها ولما أن فرغت بيضوها
بالاسبيداج حتى صارت تراها الناس من بعيد كأنها قلع مركب ولما أن تمت أتى
شومدرس وقعد فيها وقد انقطع عن الناس واجتهد فى العباده والديانه والورع حتى
صار يورى الناس أنه ماينام الليل بل انه قائم على الأقدام حتى وصل حديثه الى سائر
الناس (قال الراوى) هذا وقد سمع الخليفة بأخبار شومدرس وإسلامه وإخلاص
نيته فى الاجتهاد فأنفذ الخليفة خلفه حتى يسمع كلامه ويرى أثر العباده والاجتهاد
وما نقلوه عنه السفار وقد كتب كتاب الى الأمير عمرو بن عبيد الله وقد أنفذه على
جناح الطائر فما أمسى المساء الاوقد دخل به البراج على الأمير فأخذه منه وفضه وقرأه
وفهم رموزه ومعناه فاجتهد الأمير عمرو فى انفاذه وقد سمع بذلك الأمير عبد الوهاب
فعظم عليه وكبر لربه وقال والله ان هذا أمر عجيب أن يكون هذا الملعون عقبه الثانى
يرفع على أكتافنا عند الخليفة ويكون يعمل على ضرب رقابنا وبالله لئن تم ذلك لابد
ماأقبض على الاثنين وادخل بهم الى بلاد الروم واصلب الاثنين ودع الخليفة ينغاظ
أو يرضى وادخل الى بلاد الحجاز واستريح من هذا كله الى أن ينفذ الله سبحانه وتعالى
بأمره فينا ويحكم بما يريد (قال) هذا وقد أخذ الملعون عقبه شومدرس وسار به الى
العراق وقال له ما ترى فيما قد دبرنا من هذه الأمور فقال له شومدرس أحسنت

يا فريد العصر والاوان ثم انهما ما زالا سائرين الى أن وصلا الى بغداد وقد أمر الخليفة وزرائه وأرباب دولته وأكابر مملكته أن يخرجوا ويتلقوهما فخرجت العساكر بالزينه والهيبه والخدام الى لقاء شومدرس وعقبه وقد خرجت العوام والنساء والبنات (قال الراوى) وكان الملعون عقبه قد اصطنع كيس وقد عبا فيه كبود مشويه مطحونه كان قد جففها وطحنها وتركها لوقتها عند طلب حاجته وأخفاها معه هذا ولما التقاه الموكب ساروا به وشومدرس وما زالوا الى أن دخلوا الى دار الخليفة ودخلوا عليه ولما أن صاروا قدام أمير المؤمنين سلم عقبه وقبل الأرض بين يديه وقال ياأمير المؤمنين عليك أن تترحب بهذا العبد الصالح العابد الناصح صاحب الكرامات الظاهره والدلالات الباهرة (قال الراوى) ان كان الأمير عمرو بن عبيد الله لما أن أنفذ الخليفة يطلب شومدرس وعقبه أنفذ له كتاب على جناح الطائر يترضاه على عقبه وان جميع ماقالوه عنه الأعداد عنه محال وانه كان مأسور عند الكفار فلما أن وقف المعتصم على ذلك الكتاب فقبل منه ذلك المقال ولما أن وصل عقبه اليه لم يفتش عليه شيء مما كان معه بل ان المعتصم لما أن سمع من عقبه ذلك المقال فى حق شومدرس قال له أيها القاضى وماالذى بلغ من كرامة هذا الرجل فقال عقبه ياأمير المؤمنين هذا الرجل يبقى على عبادته عشرين يوم بلياليها لا يذوق الطعام ولا يطلب ماء الوضوء الا فى كل يوم طريق لانه يصلى الخمسة أوقات بوضوء واحد ويصلى صلاته تامه فلما أن سمع المعتصم ذلك القول من عقبه تعجب غاية العجب وقال أيها القاضى ان كان هذا حتما فقد فاق على العابدين والزاهدين وصار من جملة المقربين فقال عقبه يا مولاى اعزله فى بيت للعبادة ولا تمكنه من الطعام أربعين يوما على التمام فقبل المعتصم كلام عقبه وأعزله فى بيت وأتى شومدرس وأدخله فيه وبقى أربعين يوما لا يطلب منهم طعاما وما كان يأكل إلا الكبود المشويه التى قد صنعها الملعون عقبه فى ملطيه (قال الراوى) فلما ان كانت الاربعين يوم وهو لم يتغير عليه شيء من قوته عظم فى عين المعتصم وقال ان هذا منه عجب عجيب ثم انه قال يا قاضى انى أريد أن تسأله فى المقام عندنا فى بغداد حتى تعود بركته علينا هذا وقد شفق المعتصم به وزادت منزلته عنده وقال هذا من جملة أوتاد الارض فقال عقبه يامولانا انه لايقدر على المقام هاهنا لانه قد ألف هذه الصومعة التى بملطيه لاجل الوحده والخلوه فيها والبعد عن من يلهيه عن عبادته وقال انه يريد ان يكون قريب من الكفار حتى انه يكبر عليهم بالغدو والاسحار ويدعو عليهم آناء الليل وأطراف النهار وتعم بركته أينما كان على الكبار والصغار (قال الراوى) فلما أن

سمع المعتصم من عقبه ذلك المقال فامرله بألف دينار حتى أنه يستعين بها على زمانه.
فقال الملعون شومدرس ياأمير المؤمنين والله انى لاأرضى لغلامك فكيف أرضاها!
لنفسى والله تعالى قد محى عنى شهوات الدنيا وأحوالها وقد فارقتها فراقا لارجوع،
بعده لأنها ان صفت يوما تكون كدر وانها لم تكن لاحد من قبلنا وهى زائلة بكل،
مافيها وانها دار فناء لاهى دار خلود نعيمها ليس له بقاء ولافيها غير التعب فى الوجود.
والمسؤل من الصدقات العوده الى محل كنت فيه ثم أنه سأل المعتصم فى الرجوع إلى،
ملطيه فأذن له بذلك فعادالى صومعته وقدأظهر للناس العباده والزهد والورع وصارت،
الناس تهرع اليه من سائر الاماكن ويتبركون به (قال الراوى) وكان المعتصم قدصار.
يذكر شومدرس بالزهد والعباده وكان الواثق ابن الخليفة اجتمع بشومدرس وصار.
لايفارقه بطول اقامته فى بغداد فألف له ألفا شديدا حتى انه صار لايقدر يفارقه ساعة.
واحده فلما سار شومدرس الى ماطيه اشتاق الواثق اليه وعيل صبره وحار فى أمره.
وقال لوالده المعتصم أعلم يامولاى انى قد زادنى الشوق الى الشيخ الصالح الذى هولربه.
شاكر فقال له المعتصم خذمعك من أردت وسير الى زيارته واسأل الله السلامة فقال،
والله لاسرت اليه الاوحدى خفيف حتى لايعلم بى أحد حتى يكون اعظم للثواب فقال،
له المعتصم دونك وماتريد فسار الواثق ولم يزل سائر الى ان وصل الى ماطيه وقت،
غروب الشمس فقصد الى دار عقبه فلما ان علم به عقبه غاب رشده وخرج حافيا الى،
لقائه وقال له يامولانا ماسبب هذا الانزعاج فقال ياقضى ان سبب قدومى شوقا الى،
العبد الصالح الذى هو فى عبادة ربه ناصح فقال له عقبه وقد اسبل دمعته والله مامثله.
فى جميع الاقطار والامصار لأنه صار من القوم الابرار وقدبات الواثق عند عقبه.
فى داره (قال الراوى) ولماان صبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح قام الواثق وأراد.
المسير الى شومدرس فقال له عقبة يامولاى ماتركب وتسير الى زيارة العبد الصالح،
والرجل الناصح فقال له الواثق والله لاسرت اليه الاراجلا ولاأعلم أحدا بما عزمت.
عليه ليكون أعظم للثواب فقال له عقبه يا مولانا شأنك وما تريد وافعل ما قد عزمت.
عليه ثم ان الواثق سار ومعه عقبة لاغير حتى أتى الى باب الصومعه واستأذن على.
شومدرس ودخل الواثق باب الصومعه وصعدالى عند الملعون شومدرس وسلم عليه وقبله.
وعانقه وجلس عنده يتحدث معه ساعة من الزمان (قال الراوى) وقال هنيئا للعباد.
المنفردين عن العباد لهم الاجر من الله وعلو الشأن فبينما الواثق مع شومدرس فى هزيان
واذا قدوثب عليه عشرة من الارمن وفى أيديهم السيوف وقالوا له وحق المسيح.

لئن تكلمت ياواثق مع شومدرس أوصحت لقطعناك قطعا بهذه السيوف ثم أنهم أداروا كتافه وقد وقعوا فى فمه الاكراه وأتى اليهم شومدرس عاجلا يرقص فى وجه الواثق ويقول له ويلك ياواثق لئن طول المسيح فى عمرى لابد ما أظهر الارض من الكلمة الاسلاميه وأجعل الدنيا كلها مسيحيه ومريميه فما كانت الاساعة وإذا بالقاضى عقبة قد أقبل عليهم وقال لهم ماهذا الحال فأمر شومدرس الارمن بالقبض على عقبه حيلة منه وخبث وقدأحضر عنده صندوقين وجعل عقبه فى صندوق والواثق فى صندوق وقفل الصندوقين وأمر شومدرس بالمسير الى القسطنطونيه وقدأوصاهم شومدرس اذا بعدوا عن الصومعة بقدر ميل يطلقوا القاضى عقبه وكان الملعون عقبة قد كتب قبل ذلك الامر كتاب وأعطاه لهم وأمرهم ان يسلموه الى ملك الروم ويعلمه فيه بماصنع (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من المعتصم فانه لما ابطأ عليه خبر ولده الواثق كتب كتاب وأنفذه الى ملطيه على جناح الطير يطلبه فلما دخل صاحب الخبر على الأمراء قرأوه فأنكروا ذلك الامر وقالوا والله مارأيناه فى ملطيه ثم أنهم كتبوا الى المعتصم كتاب وهو رد الجواب يقولون فيه والله ما رأيناه اتى الى ملطيه ولامعنا من ذلك علم فلما وصل رد الجواب الى المعتصم بذلك الخبر ضاقت عليه الأرض بما رحبت ولم يأخذه قرار ولاهدو ولا اصطبار وقال للوزير ماالذى ترى فى هـذه النوبه فقال الوزير ياأمير المؤمنين هل لك ان تنفذ الى الامير أبو محمد البطال تعلمه بذلك وتحرضه على كشف أخبار ولدك فمايفعل هذه النوبه غيرالبطال (قال الراوى) فعند ذلك كتب المعتصم كتاب إلى الأمير عبد الوهاب يقول له دع البطال يكشف خبر ولدى الواثق أينما كان فلما ان وصل اليه الكتاب أنفذ خلف البطال ولما ان عرفه بكتاب الخليفه وخبر الواثق فسار البطال الى ان وصل الى بغداد واستأذن فى الدخول على الخليفه فأذن له فدخل عليه وقبل الارض بين يديه هذا ولما ان رآه المعتصم وثب له قائما على قدميه وقدمزق ثيابه وصاح فى وجهه وقال أناأقسم بمن أنار القمرين وخلق الأشياء وقدرها بحكمته ماأعرف خبر ولدى الواثق الامنك ومالهذا الامر غيرك يابطال فقال له أبو محمد أعد على يامولاى حديث ولدك وماجرى له وما كان سبب عدمه فعند ذلك أخبره المعتصم بماجرى وأنه لما سار الى الشيخ الصالح شومدرس فقال له البطال إذا كان يا أمير المؤمنين الامر على ماذكرت فما أخذ ولدك إلاهو والله العظيم وقدمكربه هذا اللعين شومدرس وعقبه وقد أخذوه الاثنين فعليهم لعنة الله فقال المعتصم الآن مالى الا ان يكون أمرى يضيع بين عقبه وشومدرس فما يكون عملى فى مهجة قلبى

وحشاشة كبدى وأنا اقسم بالله قسما صادقا ان تم هذا الأمر فما أترك أحدا من بنى سليم ولا بنى كلاب ولا لعقبة ولا لشومدرس وأمحق الجميع فقال له البطال يامولانا فما عملوا الا هؤلاء حتى يستحقوا ذلك وانما فعل هذا شومدرس وعقبه وسوف ترى ذلك عيانا بيان فقال المعتصم مايكشف خبر ولدى أحدا سواك فقال له أبو محمد ياأمير المؤمنين تمهل على نفسك قليل ولعل ان تظفر بولدك ويرجع اليك ان شاء الله تعالى وتعلم من كان السبب فى ذلك (قال الراوى) ثم ان الامير أبو محمد قال ياأمير المؤمنين والله العظيم انا أعلم واتحقق ان ماأخذ ولدك وغربه الا شومدرس وعقبه وماهم موضع الابلاد الروم ومادخل انا بسبب ولدك وخلاصه ويكون عقبه مطلق ألا ويعمل على ضرب رقبتى فان كان لك نيه فى خلاص ولدك فاكتب الى الامير عمرو بن عبيد الله وامره ان يقبض على عقبه ويقبض عليه فى مجلسه ولا ينفس له طرفة عين (قال الراوى) فلما ان سمع الامام من البطال ذلك مكلام امره ان يكتب كما يختار فكتب فى عاجل الحال كتاب يقول فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) امابعد ياأمير عمرو فساعة وصول هذا الكتاب اليك تقبض على القاضى عقبه وتهدده بالوعد والوعيد وانفذ الكتاب الى مليطه على جناح الطائر الى الامير عمرو بن عبيد الله فلما ان وصل اليه الكتاب عظم عليه وكبر لديه وارسل خلف عقبه ولما ان حضر قبض عليه وضيق فى ترسيمه فلما ان رأى الملعون الى ذلك فقال لهم ماهذا فقال له الامير عمرو والامراء اعلم ان يد الخلافة لاتطاولها يد وهذا خط أمير المؤمنين المعتصم يامرنا بالقبض عليك ثم أنهم سحبوه وسجنوه وضيقوا عليه فقال الملعون فى نفسه هذا الذى كنت أحسبه فى غيبتى وماأتيت الى بغيتى ولو أقمت فى بلاد الروم كان سبب قتلى بما ان الملعون لما ان سار مع الواثق الى القسطنطونيه مع الارمن حسب هذا الحساب وقال سوف يطلب فما يروه فيتهمنى فيه البطال أنا وشومدرس فاذا كنت حاضر حاججت عن نفسى وعن أبو الشر شومدرس ثم أنه عاد ولم يدخل البلد وأتى إلى ملطية وما أقام غير أيام قلائل حتى جرى ذلك الأمر وقبض عليه وحبس وضيق عليه (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الأمير أبو محمد البطال فانه سار من بغداد بعد أن ودع الخليفة وأوعده باجتماعه مع ولده وما زال سائر إلى أن دخل إلى ملطيه فالتقاه الامير عبد الوهاب وقال له ياأبامحمد طب نفسا وقر عينا وأعلم اننا قد قبضنا على اللعين عقبة فقال له البطال أيها الأمير والله مايطيب قلبى ان أدخل الى بلد الروم الا ان يكون الملعون تحت قبضتك فعند ذلك ساروا الاثنين الى عند الامير عمرو بن عبيد الله واعلموه بهذا

المعنى فقال أنا والله لاأخي عقبه عنكم وانى أسلمه الى الأمير عبدالوهاب ثم أنه أمر بأحضاره فأحضروه من الحبس وسلمه الى الامير عبد الوهاب هذا ولماان رأى عقبه الى ذلك الحال أيقن بالعطب والهلاك وقال ماهو كثير ان يقوم لهذا الشيطان يكشف حالنا المستور ويهتك سترنا المجبور هذا ولما ان تسلمه الأمير عبد الوهاب أمر بحبسه فى داره فأخذوه وحبسوه ودركوا عليه جماعة من بنى كلاب (قال الراوى) ثم ان البطال بعد ذلك الحال عول على الدخول الى ملك الروم والمسير ليكشف خبر الواثق فقالت له الاميره لماان رأته وهو سائر الى اين متوجه ياأبامحمد فقال لها أدورالاقطار والقفار ولاأرجع ان شاءالله الابخبر الواثق وأخلصه وأعود ان شاء الله تعالى فقالت له الاميره والله ما يطيب قلبى ان أفارقك بل أننى أسير معك فقال لها بسم الله عولى على المسير ثم أنه أمرها ان تأخذ معه أربعة آلاف فارس وتكون مقيمة بالساحل عندعلى بن يحيى الاموى ثم أن البطال ادعى بغلمانه وقال لهم سيروا بنا الى القسطنطونية فساروا ومازالوا سائرين الى أن وصلوا الى حصن يانس المتعزب وأعلموه بما جرى وساروا من عنده الى أن دخلوا القسطنطونيه وساروا الى دار مارس ودارس وطرقوا عليهم الباب فخرج اليهم أحد الغلمان وقال لهم من أنتم فقال له أبو محمد اعلم البطريق مارس أنه جاء اليك صديقا لك ليسلم عليك وما أتى إلا لزيارتك وهو اليك قاصد وكانت هذه علامة بين مارس ودارس وأبو محمد البطال فعند ذلك دخل الغلام وأعلم دارس بذلك فخرج اليه بنفسه وأدخله هو وغلمانه وقد خلا بهم واعتنقهم وسلم عليهم وقال للبطال ما سبب قدومكم وانزعاجكم هذا الانزعاج أيها الامير المفضال وأنتم بينكم وبين الملك الهدنة مقيمه فأعلمه أبو محمد بالقصة وقد ذكر له السبب الذى دخل فيه فقال له مارس اعلم أيها الأمير انمن مدة دخل على الملك غلام عقبه ومعه صندوقين والملك جالس وماعرفنا مافيهما وقدناول الملك كتاب وقال له اقرأه سرا تعلم مافيه فلما ان قرأ الملك الكتاب فرح لكن مانعلم مافيه وان الملك ادعى بعشرة من البطارقه وأحضرلهم مركب وشال الصندوقين الى المركب وما نعلم بعد ذلك ماكان منهم وأمرهم بالمسير فى البحر وماأقول إلاأنه ابن الخليفه الواثق (قال الراوى) ان كان السبب فى ذلك وهو ان الكتاب الذى كتبه عقبه وأنفذه كان يقول فيه أعلم أيها الملك انى قدقبضت على ابن الخليفه وأنفذته اليك فاياك ان يظهر خبره وأول مايصل اليك انفذه الى موضع لايطلع له منه خبر أبدا فانه رهن على ضرب رقابنا فاياك ثم أياك ان يظهر ففعل ماأمره به وسوف نذكره فى موضعه ان شاء الله إذا وصلنا اليه (قال الراوى) فبينما البطال

ومارس فى ذلك الحديث وإذاهم بمارية جارية الملك ميخائيل قد وصلت الى دار مارس وهى كانها البدر المنير أوالقمر المستدير وكانت هذه الجاريه تهوى لمارس وتحبه وكان مارس قداهدها للملك تقربا الى قلبه فشغف بها واشتغل بها عن جميع سراريه ومحاضيه وقد أحبها محبة زائده وكانت فى كل اسبوع تأتى الى دار مارس وتنظرما فى قلبهلها من المحبه فلما ان أتت فى ذلك الوقت كان البطال حاضر ولماان رآهاأبو محمد قال الله أكبر فانحن مقيمين عندك فدونك واسأل الجاريه عن ابن الخليفه فانها لاتخفى عليك شىء فعند ذلك أحضرها مارس الى بين يديه وهو يتذلل عليها ثم أنه لعب معها وبعد ساعة قال لها انى أريد أسألك عن شىء وتفيدينى به فقالت له ماهو ياسيدى ومالك رقى فقال لها هل عندك خبر من ابن الخليفه الذى للمسلمين له وحق المسيح ماعندى منه خبر ولكن ماتريد منه فقال لها انى أشتهى انظر واعرف ماجرى لهفقالت له انكان هذا غرضك ويفرح به قلبك فسوف أسأل الملك عن هذا واعلمك به ومازالت عنده الى المساء وودعته وسارت الى دار الملك ولما ان كان تلك الليله دخل الملك عليها ولماان تمكن من الجلوس أمر باحضار الطعام فأحضر فأكلوا الى ان اكتفوا وبعد ذلك أحضروا الشراب فشربوا فعندها أمر باحضار الجاريه ماريه فحضرت فلما رآها أخذها واقعدها على ركبتيه لأنه كان يحبها حبا شديدا فلما ان رأته وقد تمكنت من قلبه قالت له المسيح يزيدك علوا ورفعه ويمكنك من اعدائك المسلمين وخليفتهم لكن أسألك أيها الملك ماذا صنعت بابن الخليفه الذى للمسلمين وماكان منه (قال الراوى) فلما ان سمع منها الكلام تغير لونه ووجهه ركبته الغيظ ونار الغضب عليه ولطمها على وجهها ونفضها من ركبتيه فوقعت وقد انهشم وجهها فجلست تبكى فلما ان رآها على تلك الحاله غلب عليه السكر فنام فى موضعه الى ان أصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فقام الملك من منامه وقال على بالجاريه ماريه فلما ان دخلت عليهورآها منكسرة القلب ووجهها منهشم قال لها ياويلك من فعل بك هذه الفعال فقالت لهأنت أيها الملك فقال لها ولم ذلك فقالت له وحق المسيح لم يكن لى ذنب الا انى قلت لك مافعلت بابن الخليفه المسلم فجرى على منك ماجرى فقال لها وكيف تسألينى عن شىء ليس لكى فيه فائده فقالت له هو ذلك أيها الملك إلاأنه خطر ببالى فقال لها اعلمى يامالكة القلب انى انفذته الى موضع لايكون له ابدا منه خلاص لأن الشيخ النجيح قدوصانى بذلك وأنه ان ظهر ضربت رقبته ورقبتة الراهب شومدرس وانى قدبعثته الى قلعة نجم الابحر التى فيها الذخائر التى للملوك كلهم وودائعهم وأمرتهم ان لايخرجوه من

القلعه الابخاتمي هذا الذى فى يدى وهو علامة بيني وبينهم (قال الراوى) فلما ان سمعت الجاريه كلام الملك قالت له أيها الملك بقاك المسيح مادام ان هـذا الحديث هكذا مايجب لى أن اسألك عن شيء ليس لى فيه فائده بعد ماجرى لى منك البارحه الذى جرى ثم أنها باسته وعانقته ولاعبته وبعد ذلك قام الملك من عندها ودخل الى قصره ومحل مملكته هذا وان الجاريه لما ان خرج الملك من عندها خرجت خفية وسارت الى دار مارس واعلمته بماسمعت من الملك فى حق الواثق فأعاد مارس على البطال ماسمعه من الجارية (قال الراوى) فلما ان سمع البطال من مارس ذلك الكلام قال له أريد منك ان تقول للجاريه ان تسرق لنا الخاتم وقد نلنا مانريد وشفينا غليل الفؤاد هذا ولما اتت ثانى مره الجاريه الى عند مارس اعلمها بذلك فقالت له ويحك وحق المسيح ان عبدى الخاتم اسهل من طبق الجفن فعند ذلك التفت اليه أبو محمد وقال له يامارس مامثل هذه الصوره يجب ان تبعد وتهجر ولقد كان الواجب عليك حيث أنها قدمشت فى قضاء حاجتك ان تجعل لك عندها يدفقال مارس وحق المسيح مابقيت من اليوم ارجع افارقها ولابد ان اسرقها واخبيها فى دارى فقال له أبو محمد والله انه صدق من قال ماجزاء من يحب الا ان يحب وقال بعضهم من السعادة ان تحب * وان يحبك من تحب ومن الشقاوة ان تحب * ولايحبك من تحب (قال) فلما ان سمعت الجاريه ذلك المقال من البطال خرجت من عقلها ومضت الى قصرها ولما ان كانت الليله الثانيه عادت اليهم ومعها الخاتم وسلمته الى مارس ومارس سلمه الى ابو محمد البطال وقد فرح به غاية الفرح وقال الحمد لله على ما اولانا من النعم هـذا ولما ان احتوى البطال على الخاتم امر مارس ان يقتل الجاريه فسلمها الى غلمانه فقتلوها وقد اخفى أمرها مخافة ان يظهر أحد على ذلك الامر ثم ان أبو محمد بعد ذلك قال لابنته عذيبه نعول الان على المسير الى هـذه القلعه فقالت له أفعل ما تريد ثم أنه أرسل بعض غلمانه الى عند الاميره ذات الهمه وقال له قل لها وأعلمها بما قدجرى ودعها تجيء وحدها ودع العسكر مقيم على الساحل فمضى الغلام وماغاب غير قليل من الأيام وأتى والأميره معه ولما ان حضرت اعلمها البطال بما كان وجرى ثم ان البطال بعد حضور الاميره قال لمارس جهز الآن مركب لطيف فجهز له مركب لوقته وساعته وقد وضع لهم فيه كلما يحتاجون اليه من زاد وماء (قال الراوى) ثم ان البطال زيا الأمير بزى خادم صقلى فلما أن البسها ذلك الملبوس فبقت كأنها خادم الملك من ألف سنة ثم انهم نزلوا فى المركب فقالت لهم الأميره على ماذا عولت عليه وما تريد ان تفعل فقال لها

أيتها الأميره اعلمى أن هـذا الموضع الذى نحن سائرين اليه هو موضع حصين والبحر محدق به من أربع جوانبه ليس لأحد عليه سبيل ولا اليه وصول وهو شاهق فى الهوى والعرض والطول وان فى هذا الحصن اربعين بطريق وأزيد ثم أعطيكى هذا السيف يكون معكى وأكون أنا وغلمانى فى زى البطارقه ثم انـكى تتقدمى الى باب الحصن وتوريهم الخاتم وتقوابين لهم هذا خاتم الملك علامة منه اليكم حتى تسلموا لنا ابن الخليفه فقد اعتاز الأمر الى حضوره بين يدى الملك ميخائيل ورأيه فيه أعلا وهو الذى أرسلنا اليكم بهذا الخاتم لأننا أعز الناس اليه وأحصاهم لديه فانهم ان أجابوا الى ذلك وأخرجوا الواثق فالحمد لله على ذلك وان امتنعوا من ذلك فلا يكون جوابك الا أن تقولين اننا قد أتينا اليكم فى هذه الحاجة وتسليمها الينا حتى نرجع الى الملك وان منعتونا من ذلك فاتركونا حتى ندخل عندكم ونستريح وننفذ بعد ذلك أحدا منا الى الملك ونعلمه بذلك حتى لا يكون علينا حجة واذا أتى دخلتى الى هذا الحصن وقت المساء لا يكون لك دأب إلا رءوسهم والسيف واعلمى أنهم أربعين لا غير والله العظيم يطيب قلبى ان أطلقك عليهم ولو كانوا أربعين ألف لأنـكى بقتالهم وفية فقالت له الأميره على ان شاء الله كلما تريد أيها الأمير (قال الراوى) ثم انهم ساروا فى ذلك البحر أيام متواصلة ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى قلعة مجمع البحرين فرأوهم البطارقة من أعلى القلعة فنزلوا اليهم وقالوا لهم من أين أتيتم وأقبلتم وما تريدون وما تطلبون فعند ذلك ابتدأ أبو محمد وسلم عليهم بالرومى وأحسن وترجم فأبلغ فى الكلام وتكلم ثم قال لهم بكلام عذب يترشفه القلب اعلموا أن الملك ميخائيل قد أرسل هـذا الخادم وهو أعز من عنده وهو المراد وما أتى إلا من أجل الحاجه التى هى عندكم وقد احتاج الملك اليها (قال الراوى) فلما أن سمعت البطارقة من البطال ذلك المقال عادوا وصعدوا الى القلعه المسماة بقلعة مجمع البحرين وأعلموا البطريق المقدم عليهم وهو الآمر الناهى فى القلعة وكان اسمه رسطالين بن منكلى وقد أعادوا عليه ما قد قالوا ذلك القوم الواردين فلما أن سمع كلامهم نزل الى باب المينا وخرج الى المركب الواصل ومد عينه فنظر أبو محمد البطال وغلمانه وأولاده والأميره ذات الهمه وهى فى زى خادم صقلبى فهنالك قبل الأرض وتقدم الى عند الأميره وقبل يدها وأقبل على الأمير أبو محمد البطال وقال له فيما أقبل البطريق الأجل الرفيع المحـل فعندها بربرت الأميره فقالت له يا ويلك وحق المسيح والانجيل وما فيه من التحريم والتحليل لولا أخاف أن يغضب الملك على علوتك بسيفى هذا حيث أنك أطلت وقوفنا على هذا الباب فكأننا لك من بعض

العبيد وأناما أتيت الى ملك قط الا ورفع قدرى وعظم أمرى وخاف من شرى فقال لها أيها البطريق الأجل أما تعلم أننى ماأقدر أترك أحدا يدخل الى هذا الحصن الذى ما للطير عليه من سبيل ولا لأحد اليه وصول وكل هـذا احتراز من عيار المسلمين وذباح البنات والبنين أبو محمد البطال واللص المحتال ولأجل هذا قد وقفت أنا حتى نعرف من أنتم (قال الراوى) فعند ذلك أرمت اليه الأميره الخاتم وقالت له هـذه العلامة التى بينك وبين الملك ميخائيل من أجل ابن خليفة المسلمين أن لا يتسلمه الا من يوصل إليك ومعه هذا الخاتم وقد أنفذنا إليك الملك وأمرك أن تسلمه الينا حتى نأخذه ونرجع به الى الملك وأنت مكانك مبجل (قال الراوى) فلما أن رأى البطريق الخاتم قبله ووضعه على رأسه ومسح به عينه وقال حبا وكرامه وان هذه أماره صحيحه وحجة رجيحة وقال السمع والطاعه وما يكون الا احضاره الساعه ثم أمر الغلمان والبطارقه باحضار الواثق فما غابوا غيرقليل وعادوا ومعهم الواثق بالله فسلموه اليهم ثم تقدم البطريق رسطاليس الى عند الأميره ذات الهمه وقال لها أيها المقدم الأجل أنت تقيم لنا العذر وتقبل منا لأن علينا إيمان وعهود بأن لايصعد عندنا أحدا أبدا والآن فقد فعلت معكم كل جميل وكان بعض واجب حقكم لأنكم لو لم تكونوا عند الملك بالمنزلة العظيمة الرفيعة لما كان أطلعكم على سره وبين لكم مكتوم أمره هـذا والأميره لم تصدق بالواثق وخلاصه وقالت فى نفسها يا لها من فرحة ما أعظمها ثم انها قالت لأرسطاليس سوف أفعل ذلك وأقول للملك ما يحفظ هذا الحصن أحدا غير هـذا البطريق وانك لا تلام فيما فعلت معنا ونحن من أجل ذلك مانؤاخذك فى الاحتفاظ لأن الذى قلته حقا وكلما نطقت به صدقاً والمسيح يعيذنا من هذا العيار لص المسلمين فانه يدخل الى سائر الصور وينطلى محاله على كل البشر ثم أن الأميره قالت انى أريد من إنعامك أيها البطريق أن تتركنى أدخل أصلى فى الكنيسة التى فى القلعة ولا تقول ما أقدر فونعمة الملك وحق المسيح لا بد ما أصعد الى أعلى القلعة (قال الراوى) فلما أن سمع البطريق حلفان الأميرة استحى منها ولم يكن للبطريق بد من صعودها فصعدت الى القلعة من غير اختياره فما هى الا أن صارت الأميره من داخل القلعة وتمكنت منها حتى هللت وكبرت وسحبت حسامها وبذلته فيهم فكان أول مابدت فى البطريق المقدم ذكره ودارت على الباقين وكانوا آمنين ليس معهم سلاح محولاهم ترزين فقتلت الجميع ولا تركت منهم ولا بطريق ودخلوا أصحابها اليها ثم انهم فتحوا الخزائن التى لها سنين وأيام مافتحت ونقلوا ما قدروا عليه من الأموال

ثم أن الأميرة قد أقبلت على البطال وقالت له أيها الأمير سيربنا على عجل حتى نمضى عند الخليفة (قال الراوى) هذا كله يجرى ولم يكن الواثق له علم بما قد صنعت الأميرة فى القلعة ثم انهم بعد ذلك نزلوا فى المركب وساروا وقد جدوا فى المسير هذا والواثق قد أيقن بالتلاف وقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذا ولما أن توسطوا لجة البحار وأمن أبو محمد على نفسه أتى إلى عند الواثق بالله وكشف وجهه له وقال له ماحال مولانا الواثق فلما أن سمع كلامه بهت فيه وعرفه الواثق بالله فقال يا أبو محمد قال له نعم فقال عن صحيح أنت البطال فقال نعم أنا أبو محمد البطال وهذه الأميرة ذات الهمة وهؤلاء أولادى وغلمانى (قال الراوى) فلما أن سمع الواثق ذلك من البطال فرح فرحاً شديداً وقد بكى من شدة الفرح مما جرى عليه من السرور الذى دخل عليه وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا مدينة القسطنطونية هذا وقدكان البطريق مارس فى كل يوم ينظرهم على المينا وهو من أجلهم على مقالى النار وهوكأنه الحبة على المقلى ولما أن كان ذلك اليوم كان واقف على المينا على عادته وإذا بمركبهم قد أقبلت من لجج البحار فلما أن رآهم قد أقبلوا فحمد الله على هذه النعمة وأنزلهم من المركب وقد استقبلهم وسلم عليهم وما كان أكثر من ساعة حتى حولوا جميع مافيه من المال الذى أخذوه من القلعة وربطوا المركب بجانب المينا وأدخلهم الى داره وأجلسهم ولما أن استقر قرارهم سألهم عن ماجرى لهم فحدثه البطال بماصنع ومادبر فى عاجل الحال وأحضر لهم الطعام وأكلوا وبعد ذلك قال لهم اعزموا على الرحيل من قبل التعطيل ثم أنه صنع لهم الزاد وأحضر لهم الدواب وأركبهم وودعهم وقال لهم استودعتكم الله (قال الراوى) ثم أنهم بعد ذلك ساروا على عجل وما زالوا مجدين الى أن وصلوا الى البساتين فقال الأمير أبو محمد البطال للاميرة ذات الهمة اعلمى أن مالنا الاانا ننفذ الى الأمير عبدالوهاب حتى أنه يخرج إلى لقاءنا لما أن نعلمه بقدومنا فقالت له الأميره هذا هو الصواب فقال الواثق لاتفعل يا أبو محمد فربما يسمع الملعون شومدرس بمجيئنا فيهرب وأنا قصدى لايعلم بنا أحد الاونحن عنده فى الصومعه فقال أبو محمد يامولانا وحق من فلق الحبة وبرأ النسمة أن الملعون عقبة أيشم من شومدرس وما دبر هذا التدبير غيره ويعلمه جميع ما جرى فقال له الواثق سوف ترى ما أفعله وأصنع إذا وصلت فوحق من ضر ونفع وشتت وجمع ومن كلم موسى فأسمع وبعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذى أظهر الدين وشرع مالدولة بنى العباس مثلكم ناصح أبدا (قال الراوى) فعندها أنفذ البطال ولده مذبحون الى العساكر الذين هم بساحل

السويديه عنـد الأمير على بن يحيي الأرموى وقال له سير على بركة الله تعالى وعونه وأمرهم بالمسير الى لقاءنا على طريق ملطيه هذا وقد أنفذ غلامه لؤلؤ الى ملطيه وقال له سير وإياك أن تعبر على صومعة الراهب شومدس واياك أن يراك أحد واذا أنت دخلت الى ملطيه فاقصد الى دار الأمير عبد الوهاب سرا ولا يعلم بك أحـد من بنى سليم ولا من بنى كلاب وتأمره أن يركب القاضى عقبه على بغلة من خيار بغاله ويخرجه معه ويأتى به الى لقاءنا حتى أنه يرى مافتح الله به علينا وماسهله فقال لؤلؤ سمعا وطاعة ثم انه سار الى أن وصل الى ملطيه عند العشاء (قال الراوى) فبينما الامير عبدالوهاب فرغ من صلاته واذا هو بلؤلؤ قال له السلام عليك يا مولاى فلما أن نظره الأمير عبد الوهاب فرد عليه السلام ثم قال له لؤلؤ قال نعم أيها الأمير فقال له ماذا جرى لأستاذك هل قضيت حاجته أم لا فقال له قضيت بسعادتك فقال له حدثنى بما جرى لمولاك وللأميره ذات الهمه هل وصلوا الى خلاص الواثق بالله تعالى فقال له لؤلؤ والله يامولاى لقد جرى لهم حديث عجيب لو كتب بالابر على آماق البصر لكان قليل فقال له الأمير وماالذى جرى فأعاد عليه الحديث من أوله الى آخره فلما أن سمع الأمير عبد الوهاب من لؤلؤ هذا الكلام سجد لله شكرا على خلاص الواثق بن الامام فقال له لؤلؤ يا مولاى ماتحتاج أن أوصيك بالكتمان عن بنى سليم وأن تأخذ معك القاضى عقبه صحبتك فقال له سمعا وطاعه ثم ان الأمير عبد الوهاب أنفذ خلف الأمير عمرو ابن عبيد الله فلما أن حضر قال له اعلم أنى قد عزمت غدا على الصيد والقنص فهل لك أن توافقنى فقال له الأمير عمرو أيها الأمير إنى مشتاق الى ذلك فقال شد عليك فى غداة فقال بسم الله (قال الراوى) فلما أن كان من الغد لما أصبح الصباح ركب الأمير عبد الوهاب وقد وركب معه الأمير عمرو بن عبيد الله ومعه ألف فارس من بنى سليم ومع الأمير عبد الوهاب ألف فارس من بنى كلاب هذا وان الأمير أخرج القاضى عقبه وقد أركبه البغلة ففرح وكانت البغلة بمركب حسن فلما أن رأى الأمير عمرو الى عقبه وهو راكب ذلك البغلة ففرح بذلك واستبشر وقد أعجبه ذلك المنظر فقال أيها الأمير الحمد لله الذى قد صفت القلوب وزالت العداوة والبغضاء ورد الأصل الطيب وذهبت الأحقاد هذا واللعين أفرح الناس بالخلاص ولم يكن يعلم بما جرى من الأمور بل أنه قال فى نفسه ما هم إلا رأوا معجزة نزلت عليهم من السيد المسيح حتى أنهم قد خلصونى من هذا الأمر القبيح ثم أنهم ساروا مجدين وبنى سليم ضاحكين فرحين وهم مسرورين (قال الراوى) ولما أن وصلوا الى الدروب قال الأمير عمر

والأمير عبدالوهاب أيها الأمير الى أين أنت سائر والى أين معول من ههنا وقد تركت مواضع الصيد والقنص وأنت سائر بنا من هذا الطريق فقال له الأمير عبد الوهاب هل تريد صيد أحسن من خلاص الواثق بالله ابن الامام فقال له الأمير عمرو وأين هو الواثق فقال هاهو واصل مع الأميره ذات الهمه والأمير أبو محمد البطال وهو سالم غانم (قال الراوى) فلما أن سمع القاضى عقبه بخلاص الواثق اصفر لونه وتغير كونه وقال فى نفسه جاء العمل وقدجاءت بوادر السنه المشومة عليه لأن اليوم المبارك يبان والمثل يقول الليلة النيره من العصر باينه ثم أنهم مازالوا سائرين جميعهم فما هم إلا أن توسطوا الدروب وإذاهم بغبرة طلعت عليهم وعجاجة قد ارتفعت وبعد ساعة انجلى ذلك الغبار وبان من تحته للنظار واذاهم بالأميرة ذات الهمه قد أشرقت والى جانبها الأمير أبو محمد البطال والواثق بالله بينهما فلما أن رأوه ووقعت العين على العين ترجلوا كلهم عن بكرة أبيهم وكذلك القاضى عقبه ترجل وقدابتدأ يقرأ القرآن ويذكر الرحمن هذا ولما أن قرب الواثق منهم سلم عليهم وترحب بهم واعتنق الأمير عمرو وعانق الأمير عبد الوهاب وأمراء بنى كلاب وأمراء بنى سليم الا القاضى عقبه فان الواثق ما التفت اليه ولاعنى به ولافرح بلقائه كما فرح بسائر الأصحاب هذا وقد جعل الملعون عقبه يقول فى نفسه ان القرنان شومدرس يقول لى لاتكفر بالمسيح وأنا أعلم أنها أيشم الأيام عليه (قال الراوى) ياساده يا كرام ولم يزالوا سائرين فجاءت طريقهم على صومعة الراهب شومدرس فلما أن صار الواثق بالله بازاء الصومعه رد رأس جواده ووقف فقال له الأمير عبدالوهاب ماشأنك قد وقفت يامولانا فقال له دونك وهذا الكلب شومدرس فاقبضوا عليه واوضعوه وضعاجيدا واعملوا له خشبه واصلبوه على رأس الصومعة لأنى قد رأيته يرفصنى برجله ويبصق فى وجهى ويسبنى ويكفر فقال له البطال يا مولانا هذا والله رفيق عقبه فقال الواثق يا أبا محمد اعلم اننى ما سمعت من عقبه مثل ما سمعت من هذا الكلب (قال الراوى) فعندها أيقن عقبه اللعين بالبلاء وقد علم انه ان تكلم فيه بكلمة واحدة لايقبل منه شىء فى حقه ويقولون انك مثله فعند ذلك ترجل الأمير أبو محمد البطال من شدة الفرح وغلمانه أيضا ترجلوا وكذلك الملعون عقبه ترجل وشمر عن أكمامه وقال قرب الوعد الحق كل شىء حسبناه ياملعون الا انك تعمل على ابن الخليفة وولى عهد العالمين ما حسبناه ولم يكن بأسرع مانجزت الخشبه ونصبت بأعلا الصومعة وقدقبضوا على الملعون شومدرس وقد صفعوه الصفع الشديد الى أن أغمى عليه من شدة الصفع وما أفاق الا والخشبة قد تمت ونصبت على أعلا

الصومعه (قال الراوى) وما أحس الملعون شومدرس الا وقد رفع على الخشبه وعمل الحبل فى رقبته وسحبه القاضى عقبه وطلع به الى أعلا الخشبه بعد ان اجتمعت كل من فى ملطيه من الكبار والصغار من النساء والرجال فلما أن أفاق شومدرس من غشوته وصحى على روحه فرأى أنه قدجاء الجد فقال فى نفسه كيف أمضى أنا وأترك عقبه بعدى فى الحياه ثم انه التفت الى عقبه وقال له بالرومى ياقاضى لاتحسب انى اغفل عنك ولا أسكت وسوف أعلم القوم بما أنت عليه وانك على دين الصليب وشدالزنار وانك نصرانى فقال له عقبه وحق المسيح ما أمكن أحدا من صلبك وانما أنا أهول عليك وسوف أتولى أنا مسكك وأطلقك فلما أن سمع كلامه اطمأن قلبه بذلك بعد أن أراد أن يقر على عقبه هذا وقد صاح الأمير أبو محمد البطال وقال أيها القاضى لاعدمنا هذه الهمه وانما هذا على التجربه وتصديق القول من رؤيا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فعندها قال عقبه فى نفسه وحق المسيح مايقول أبو محمد البطال الاعنى وهكذا يصلبونى ثم ان عقبه كفر بالمسيح وقال بالله عليك الا تركتنى حتى أطلع الى هذا الراهب وأسأله عن حاجة عرضت لى فظن الأمير أبو محمد انه يسأله عن أمر مضمور أوشىء من الأمور فقال له البطال شأنك وماتريد فعندها صعد عقبه الى عند شومدرس حتى أنه يسأله فأتى اليه وساره فى أذنه وقال له طب قلبك وأعلم أن المسيح ماكان يحرمك هذه النوبه ولايخيب دعاءك ثم ان الملعون عقبه رفصه فنزل من على الخشبه وصار يلبص فقال البطال أحسنت ياشيخ الضلال من أمرك ان تفعل هذه الفعال فقال عقبة يا أبا محمد ماهذا الانتظار فى هذا الملعون لأن مابقى بعد هذا الاهلاكه ونستريح من شباكه (قال الراوى) ثم أنهم ساروا ودخلوا ملطيه وقدكتبوا الى أمير المؤمنين كتاب بسلامة ولده الواثق وأنفذوا الكتاب على جناح الطائر فما بات الخبر إلا عند الامام فلما ان علم بذلك فرح الفرح الشديد وقدأمر عساكره وأرباب دولته ووزراءه وسائر نيابه ان يركبوا ويسيروا الى لقاء الواثق هذا وقدكان الواثق متجهز للسفر فعند ذلك تجهزوا عساكر الخليفة وساروا الى لقاء الواثق وقدكان الواثق بعد صلب شومدرس ماأقام فى ملطيه غير أيام قلائل ورحل منها وسار يطلب بغداد وقد سار معه الامير عبد الوهاب والبطال ومازالوا سائرين إلى ان وصلوا الى نصيبين فالتقوهم عساكر بغداد وسلموا المقيمين على القادمين وباتوا تلك الليله ولما أن كان من الغد ركبوا وسارت العساكر الى أن قربوا من بغداد فخرج الخليفه الى لقاء ولده فيمن تبقى عنده من العساكر ولقى ولده بالبعد عن بغداد فلما ان رآه فرح ودخلوا الى بغداد وكان له نهار

لايعد من الاعمار وقد زينوا البلد لقدوم الواثق وقد حدث المعتصم بما جرى عليه
وكيف خلصه البطال والأميره ذات الهمة وماجرى لهم (قال الراوى) هذا وقد أقام
الأمير عبد الوهاب فى بغداد الى أن كان أوان الحج فاستأذن الخليفة فى المسير إلى
الحجاز فقال وانا أكون الآخر معك احج وأزور بيت الله الحرام وزمزم والمقام
فتجهز المعتصم وسار وقدأخذ الواثق معه وساروا ومازلوا سائرين الى ان وصلوا مكة
وحجوا (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) ملك الروم فانه لماجرى
ماجرى من الواثق لماأخذه عقبه أسير بتدبير شومدرس وأرسله الى بلد القسطنطونيه
أنفذه الملك القلعة وحبسه فيها وأتى البطال وخلصه منها وعاد فبلغه الخبر بان القلعة
خربت والرجال التى فيها قتلت وخلص الواثق ونهبت الأموال التى فيها فصعب عليه
وكبر لديه وكان الملعون عقبه قد كتب الى الملك ميخائيل كتاب يقول فيه ايش قاعد
تعمل ما هذه الغفله عن الجهاد وقد أخذوا من قلعتك هذه السنه مال عظيم وهو الذى
جمعوه الملوك بطول الزمان وقد صلبوا الراهب شومدرس فان كانت عساكر الروم
مجتمعة فان بلاد الثغور خالية والخليفه والأمراء غائبين فى بلاد الحجاز وهم غير حضور
لعلك أن تأخذ عوض مالك الثغور وان كان ما تيسر شغلك ولا اجتمعت عساكرك
فاجهد على عجل وانفذ غيلان الشوك والعرب المتنصره قبلك وأن يكون يوم وصولهم
اليوم الفلانى لانه يكون عيد المسلمين فيكبسوهم وهم فى صلاتهم قاعدين ويذبحوا
النساء والبنين وتعود الرجال ويهجموا ملطيه ثم انهم يملكوها بأصلها (قال الراوى)
ولما أن فرغ عقبة من كتابة الكتاب سلمه الى ولده حصيصه وقال له يا ولدى خذ
هذا الكتاب وسير به الى القسطنطونيه وسلمه الى الملك ميخائيل وعود بالعجل فأخذه
حصيصه وسار ومازال حتى وصل الى القسطنطونيه ودخل على الملك وسلمه الكتاب
فأخذه منه وقرأه وفهم معناه ومضمونه ولما أن فرغ من قراءته قال لا عدمت الشيخ
النجيح عقبه لانه لا يسعى للروم الا فى المصالح ويأخذ لأمة عيسى بالثار من المسلمين
الأشرار هذا وقد كان الملك ميخائيل مقهور بسبب خلاص الواثق بالله من يده لأنه
ما افتقد الخاتم الا بعد ما سمع اطلاق الواثق وأخذ المال وقتل الرجال وقد علم ان
الحيلة قد تمت عليه من الجاريه ماريه فعند ذلك جهز غيلان الشوك بعد طلبه الجاريه
فما وجدها ولاوقع لها على خبر فعندها أرسل البطارقة الى القلعه مع غيلان فلما ساروا
الى القلعه فوجدوها مفتوحة ولا أحد فيها ورأوا المسلمين قد أخذوا المال وقتلوا
الرهبان وكل الرجال ورجعوا سالمين الى ملطيه (قال الراوى) فلما رأى غيلان الى

ذلك رجع بالخيبة وأعلم الملك بذلك فقامت عليه القيامة وقدلزم السواد من شدة حنقه ولم يزل كذلك الى أن وصل اليه كتاب الملعون عقبه ففرح به وقدجهز ليث بن حازم ومعه عسكر السودان والملعون غيلان وكلهم فى زى أهل الايمان وقد صاروا يجدون فى المسير الى أن وصلوا الى ملطيه يوم عيدهم وهو عيد المسلمين ثم ساروا يقطعون المنازل والمراحل إلى أن قربوا من بلاد الاسلام وقربوا الى ملطيه وما زالوا سائرين حتى بقى بينهم وبين ملطيه ليلة واحدة وهى ليلة العيد فأكمنوا فى المكان وتفرقوا فى المواضع الى أن أصبح الله بالصباح وخرجوا الناس الى الصلاة ولم يبق لاشيخ ولاغلام إلا وخرج يسعى يطلب من الله الثواب وخوجوا أيضا بنى سليم والأمير عمرو بن عبيد الله فصلوا الناش عيدهم واجتمعوا حول الخطيب واذا بالعرب المتنصره وهم الفرقة الأولى خرجوا على الناس كأنهم السباع وزعقوا بكلمة الكفر ووقعوا على الناس وضربوهم بالرضاب وقطعوا الأكف وأذاقوا الناس العذاب وجالوا على من فى الصلاة جولان النمر الوثاب وساقوا الحريم سوق الذئاب وأذاقوا الناس العذاب وكان بعض الناس ساجد وبعضهم يدعو الله فهنالك عظم المصاب وكثر الانتحاب وسالت الدماء مثل سيل السحاب ودام الضرب وارتفع الغبار وعظم الصياح من البنات والبنين ووقع البلاء فى مليطه ولم يرحموا لاصبى ولاصبيه ولما سمع عقبه ذلك فرح بهذه البلية ونادى يامسيح هذا وقت الحمية (قال) وقد قتل أكثر الناس فى الصلاة ومن سلم طلب لنفسه النجاة وكان الأمير عمرو بن عبيد الله قد ركب فى بنى سليم ونادى يابنى عمى هذا يوم نريد فيه كشف الغمة عن المسلمين والضيم وقد فنيت الأعمار فاطلبوا العز والافتخار ثم أنه ألقى نفسه الى وسط العجاج ورمى نفسه فى بحر عجاج وكم هام فلقه وكم صدر خرقه وكم رأس انشق ورأوا بنى سليم والجيش عليهم أطبق فأرموا عند ذلك أرواحهم على بحر الغرق وصاح الشجاع وزعق ومات الجبان وانخنق وفاض الدم وانهرق القلب بنار الحرب قد احترق ونفذ السهام وخرق الشطر الثانى عن خمسة آلاف أيلق منغمسين فى الحلق لايبان منهم غير تداوير الحرق فنثروا فرسان بنى سليم نثر الورق وتضخمت الرجال وعكفت الأبطال وتأخرت الأندال واندقت الرماح الطوال وأشرف جيش المسلمين على الوبال وعلى التلاف (قال الراوى) وإذا بمنادى ينادى أنا أم الأسود المبيدة لأهل الضلال الناصرة لدين محمد عليه الصلاة والسلام أنا مفرقة جيش الروم أنا مشيدة دين الحى القيوم أنا فاطمة بنت مظلوم (قال الراوى)

وكانت الأميرة منعكفة فى قلعة المنجنيق على العباده وكانت فى تلك الساعه تصلى صلاة العيد والخبر قد وصل اليها أن الروم قد كبست ملطيه فى نهار العيد وقد قتلوا من بنى سليم خلق كثير وهلكوا الاسلام فلما سمعت ذلك ركبت جوادها وركبوا معها أولادها ولدها ضيغم وظالم والأمير على الأرموى وركبت السودان وبنى كلاب وكان أكثر العساكر مع الأمير عبدالوهاب وقد انحدروا معه الى العراق وكان بعض منهم رجع الى برية الحجاز وبعضهم أقام فى بغداد ينظروه الى أن يرجع من الحجاز (قال الراوى) وسارت الأميره وقد علمت أنها مكيده فلما أشرفت على القتال والجال فلله درها لقد عملت عمائل المجاهدين وبذلت روحها فى طاعة الله رب العالمين وفتكت فى الكفرة والمنافقين وأورتهم من حسامها العذاب المهين وسمع لسيفها على البيض طنين وما مالت على كتيبة إلا وحطمتها وصارت تضرب فى الأعداء وتنادى ياويلكم (قال الراوى) ياساده يا كرام وأشرفت عساكر العرب المتنصره على الانكسار وعولوا أن يولوا الأدبار واذا بمركب غيلان الشوك قد طلع وكمينه قد اندفع وهو ينادى فى أوائلهم أنا غيلان الشوك ناصر ملة الصلبان كاره ملة الايمان وأنه حمل فى السودان وداروا بالأميره من كل جانب ومكان فصدمها الملعون صدمة غضبان وكانت قد تعبت من الجولان وجاءها هذا الجبار كأنها شعلة نار رمعه سودانه مائة ألف فارس والكل فى ركابه يريدون أهل ملطيه وفيهم من هو فيه الكفاية لما وصفنا من شجاعته (قال الراوى) فلما رأت الأميره ذلك علمت أنها مأخوذة لأنها غرقت فى عساكر الروم وأتى لها هذا الأسود الهجوم ولم تزل تظهر الجلد وتضرب بقوة جلادها حتى عرقبوا السودان جوادها وحمل عليها غيلان الشوك أخذها من تحت أرجل الخيل وصاح بعد ذلك فى السودان والناس قد وقع بهم الوسواس وتراجعت بعد ذلك المتنصره على بنى سليم وأخذوا منهم خلق كثير وأرموهم الى صور البلد وعادوا الى معونة غيلان الشوك وفتكوا فى أهل الايمان وأخذوا ماقدروا عليه من النساء والصبيان وصاح الملعون غيلان الشوك ارجعوا حتى نطلب القسطنطونيه فما نقدر نحاصر ملطيه وقد أخذوا الأسارى تساق بين يديه وباقى جيش الاسلام تشتت فى الآفاق وبنى سليم يندبوا على من لهم قد فقد من الأحباب وبنى كلاب قد فجعوا فى الأميره ذات الهمه وعقبه يظهر البكاء فى ملطيه والانتحاب وهو يقول سبحان من حكم على المسلمين بالكفار (قال الراوى) ولم يزل غيلان الشوك الى أن وصل الى القسطنطونيه وخرج الملك ميخائيل الى لقاه وفرح بما رأى معه

الأسارى عند ملتقاه وقال أنت سيف المسيح وحامى الدين العتيق فشكره غيلان على ذلك وقدم الأميره ذات الهمه بين يديه فزاد الملك فرحا لما رآها وقال بهذه الأميره آخذ كلما أخذوا من المال وان لم يردوا ذلك وإلا صليتها ورشقتها بالنشاب ثم أنه عاد الى القسطنطونيه وهى بين يديه وجلس على سريره وقدم الأميره وقال لها ياملعونه وحق المسيح انلم تنفذى الى ولدك فيرد ما أخذ من المال من قلعتى وإلا عذبتك أشد العذاب فقالت الأميره على كلما تريد أمهلنى حتى يعود ولدى من عند الخليفة وأنا أكتب اليه أن يرد عليك كلما أخذ من قلعتك من المال (ياساده يا كرام) وكان مرادها أن يبقيها حتى يكف عنها العذاب حتى يسمع بخبرها الأمير عبدالوهاب ويدخل الى خلاصها فى سائر بنى كلاب وعساكر العراق فلما سمع الملك بذلك طمع فى رد المال وقال انى أدع هذه الشيطانة وأحتفظ بها حتى لايدخل فى طلبها البطال ويخلصها من الأغلال فقال له وزيره أيها الملك مالها إلا جزائر السواحل تنفذها الى الملك الاقريطش وقد أمنت عليها كل من فى الدنيا لم يجدوا لها خبر ولو كنت هناك مطلوقه ماتقدر على الخروج ولا يصل اليها عساكرها ولو كانوا بعدد النجوم وما يقدر عليها الجن الذين تحت النجوم واذا طابت منك أخذت من المسلمين كلما تريد وبعد هذا فانك معول على الخروج الى الغزاة وماندرى مايقضى المسيح عليك فاذا كانت هذه عندك وأنت محتفظ بها أمنت على نفسك وعلى كل من معك (قال الراوى) فلما سمع الملك كلام الوزير ومشورته استدعى بريس المراكب وسلم اليه الأميره وقال له توصل هذه الجاريه الى جزيرة السواحل قال سمعا وطاعه فعندها كتب كتاب وأعطاه لبعض الحجاب وفيه يعلم الملك الاقريطس أن هذه المرأة أم أمير المسلمين الأمير عبد الوهاب فاحتفظ عليها فساروا بها والأميره تبكى على فراق ولدها (قال الراوى) هذا ماجرى من حال الأميره (وأما أهل ملطيه) فانهم كتبوا الى بغداد والى بلد الحجاز أنهم يعلمون الخليفة بماجرى عليهم وكذلك ظالم كتب الى أبيه يخبره بأمر سته ذات الهمه وسبى المسلمين وماجرى عليهم من الكفرة وكانت قد كتبت بنى سليم الى الخليفة الرضى والامام الهاشمى لو عاينت ديارنا ودماء سادتنا قد سفكت على الثرى والسبب فى ذلك أننا قد دهينا فى يوم العيد ونحن فى الصلاة والخطيب على المنبر فكسرونا الروم والسودان المتنصره وكانوا مثل البحر اذا ذخر وفى أوائلهم غيلان الشوك مثل الأسد القسور ومعه كل من طغى وخالف وتنصر فخطمونا وأهلكونا فى يوم العيد الأكبر وساقوا أحبابنا حفاة يقاسون الموت الأحمر فان كنت تطلب الثواب فى الآخرة فلا تتخلى عنا

يا ابن عم النبي المختار فقد صارت منازلنا قفار وأهلكنا فى أيدى الكفار ولا بقى لنا معين غيرك والأمير عبد الوهاب أنصار وإلا فقد صعبت علينا الأمور وإن توانيتم عنا فقد ملكت الثغور لأن الملك ميخائيل معول على الخروج وقد جمع جيوش فى عدد يأجوج ومأجوج وها نحن يا امام منتظرين الجواب بما يكون فيه الصواب وفى آخر الكتاب ضمنه الأمير عمرو بن عبيد الله بهذه الأبيات

دهينا يا إمام فى يوم عيد وكنا فى الصلاة وفى الركوعا
أتتنا الخيل تلعب بالأعادى ونادونا وقادونا جميعا
وقد أسروا الأميرة فى دعاها وقادوها العدا قودا شنيعا
ولما أن أتوا كانوا جميعا بزى المسلمين أتو جميعا
فجروا للسيوف وبادرونا وأسقوا أرضنا كاسا نجيعا
فبادر أيها المولى الينا وإلا كلنا نأتى سريعا

(قال الراوى) ثم سلموا الكتب الى النجابين فساروا يقطعون الأقطار حتى وصلوا الى العراق ونحو الكوفه ودخلوا برية الحجاز وكان الخليفة قد حج واعتمر وهو فرحان بالأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وقد عول على الرحيل الى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام إلا والكتب قد وصلت اليه وقدمت عليه فبكى الخليفة لما جرى عليهم وجرت دموعه على شيبته وأخذ الأمير عبد الوهاب الكتاب الذى جاءه من ولده ظالم فبكى وقرأه فزاد فى البكاء والانتحاب وقال سبحان من قضى بهذه الأسباب واحرباه لفقد الأميره وما تريد تقاسى العجوزة الكبيره وماجرى على الأميره من التأسف فبكى وبكى كل من كان حوله وقال الأمير أبو محمد البطال لعن الله عقبه وجود عليه اللعنة فهذا والله كله من دهائه ومناصبه فقال الأمير عبد الوهاب بالله يا أبو محمد دعنا من ذكر عقبه وابكى على ما أصاب المسلمين من هذه الرزيه والنكبه لأنهم أصبحوا مهججين فى بلاد الأعداء فيالها من رزيه ما أعظمها وللظهور ما أقصمها ولم يزل الأمير عبد الوهاب فى البكاء والعويل حتى رق قلب المعتصم وأوعده بكل جميل وقال والله يا أمير لابد لى ما أسير معك ولو أنها فى السد الأقصى ولا أزل حتى أخلص والدتك من يد الأعداء لأنها كانت تبذل نفسها بسببنا وتخوض الأهوال من أجلنا فشكره الأمير عبد الوهاب على ذلك وقال يا إمام ما أكلفك هذا الأمر بل نسير ولو وطئنا على الجمر ثم رحلوا من وقتهم وساعتهم وساروا حتى أشرفوا على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وتقدم الأمير عبد الوهاب الى الحجرة الشريفه ونادى السلام عليك يا سيد تهامه يا شفيع الخلق فى يوم القيامه

أنت الطريق الواضح والعلم اللايح والميزان الراجح والذى يؤمن برسالتك فهو الرابح يا رسول الله صلى الله عليك وسلم بحق من اصطفاك ونباك أن تسأل الله فى جمع شملنا فما نتوسل الى الله إلا بك ومن توسل بك الى الله فدعاه مقبول راجح ثم ان الأمير عبد الوهاب جعل يبكى ويتضرع الى الله ويستشفع بالرسول صلى الله عليه وسلم ثم نادى السلام عليك يا صفوة الله الملك الجبار السلام عليك يا من اختاره الله السلام عليك يارسول الله نحن الذى سعينا على المنابر بترس حضرتك نحن الذين نرمى أرواحنا فى الهلاك لإظهار شريعتك وقد منيت الأعمار فى الانتظار ثم ان الأمير عبد الوهاب دنا الى الأمير أبو محمد البطال وقال ادعو أنت الآخر فقال اللهم عجل لنا صلب اللعين عقبه الغدار واشفينا منه قبل أن نشرب كأس البوار فقد غرقنا من أجله فى البحار وشتتنا فى الأقطار وذقنا من أجله عذاب الكفار ونحن لانيأس مما وعدتنا به يارسول الملك الجبار لأننا نعلم أنك فيما قلته صادق ولا يشك فيما قلته الا منافق فبحق منزلتك من الملك الجبار الا قربت علينا البعيد وهونت علينا كل صعب شديد ونسأل الله ان يعجل لنا بصلب عقبه ويكف شره عن أذية المسلمين أهل التوحيد فقال الأمير عبد الوهاب ويحك يا أبا محمد خلى عقبه وادعى بهذا المكان المبارك لك وللمسلمين بالمغفرة يوم قيام الساعه واطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم الشفاعه فقال أبو محمد ما أطلب سوى طلب عقبه ليكف عن المسلمين شره وعن أهل التوحيد مكره وان الأمير عبدالوهاب وقف فى العباده إلى وقت السحر فغلب عليه النوم فنام ساعه وانتبه فزعا مرعوبا مندهش ولهان فقال له البطال ما بالك أيها الأمير فقال يا أبا محمد ابشر بالخير والانعام واسأل الله فى التمام باحسان فقد نظر الله الى المسلمين وهتك ستر عقبه فى هذا العام وقد قرب أوان صلبه والانتقام فقال أبو محمد وكيف ذلك يا أمير فقال الساعه رأيت البشير النذير لأنى ولعت فى الافتكار فرأيت حائط الحجرة قد انشق وقد خرج الى سيد البشر وأنواره أبهى من الشمس وعن يمينه الصديق الموقر وعن يساره الثانى الامام عمر وهو يقول ياترس قبرى لاتبكى على فقد أملك وابشر بتفريج همك واعلم أن الأمور لها أسباب وهى مقدره بأمر مقدرها ومسطرها فى الكتاب لانه علام الغيوب ولا بد للانسان ما يلقى ما كتب على جبينه فقلت يا رسول الله كلما نحن فيه من فرعون أمتك والمكذب بشريعتك فمتى ينجز الله فيه وعده ويريح الاسلام من حله وعقده فقال أتى أمر الله فلاتستعجلوه فقلت يارسول الله خلق الانسان عجولا فقال صلى الله عليه وسلم فى هذا العام ينهتك ويظهر للناس مكتوم سره ويستوفى ما بقى

من أيامه وعمره ويصلب وأنتم كلكم بالحياة ويعتبر به كل من يراه فلا تيأسوا من روح الله ولا تفرحوا له بالحياة فانما هى ذنوبه وأوزاره فى دنياه ولا بد للزبانية ما تخطفه بكلاليب النار ويحشر فى جملة الطغاة ويجعله الله عز وجل فى الدرك الأسفل من النار ويحشره فى جملة من يأكل الزقوم والمهل غدا وكلما نضج جلده جدد الله له جلدا سواه ويسمع غليان رأسه كل من فى الموقف من الطائعين والعصاه وينادى عليه هذا فرعون الاسلام الذى كذب برسالة محمد فىدنياه ثم قال الأمير عبدالوهاب وبعد ذلك احتجب الرسول عنى وانتبهت من نومى مرعوبا ما أدرى ماأقول (قال الراوى) فلما سمع الأمير أبومحمد البطال منام الأمير عبدالوهاب أخذه البكاء والانتحاب فقال بالله لاتطلع الخليفة على هذا الحال وجد بنا عند الصباح على الارتحال فقد بلغنا غاية الآمال وازددنا يقينا بالله وبكلام رسوله الصادق صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) ولم يزالوا فى بكاء ونحيب ودعاء للملك المجيب حتى أصبح الله بالصباح دخل الأمير عبد الوهاب على الامام المعتصم وقبل الأرض بين يديه وطلب منه الرحيل فقال له ارفق بالناس أنت ياأمير المؤمنين فنحن نريد العجل ونشتهى نسير فمايرضى اللهتعالى ويرضيك وان كان قدامنا أمر لا تقوم به فنحن نستنجد بك على نيل المطلوب فقال أمير المؤمنين الأمر مردود اليك والعساكر والبلاد بين يديك فقبل الارض ثانيا وخرج الى أصحابه والامراء والاجناد وأمرهم بالرحيل وسار يقطع البرارى والقفار ويوصل سير الليل بسير النهار وقد قال لأبومحمد البطال خذ بنا واتبع أقرب الطرقات وأطيبها ولعل أن تعدل بنا عن برية الحجاز فان الوحش فيها يمرح وما زالوا سائرين حتى أشرفوا على أرض بيضاء كافوريه أطيارها قد غردت وأزهارها قد ابتهجت والماء فى جنباتها يسرح ولما أن رأى الامير عبد الوهاب إلى هذه الارض فتعجب منها ونزل فيها لاجل الراحه وإذا هو بقصر مشيد الاركان عالى البنيان حيطانه من الرخام وهو صعب المرام من كان فيه لا يضام فلما نظر الامير عبد الوهاب تعجب منه فقال له الامير أبو محمد هذا القصر خالى من الناس وهو قصر مليح كبير داخله أحسن من ظاهره فلما سمعوا السودان قالوا نحن نريد ننزل ونتفرج فيه ثم ان جماعة منهم نحو عشرين قصدوا القصر ليتفرجوا فيه وإذا تحته عين ماء فواره ترمى الماء من ينابيع جواره فتأملوا الى تلك العين وإذا بغلام أسود كأنه من الجلمد برأس مثل القسوره وعينين متكدره وأعضاءه هائله وبيده عامود كأنه صارى مركب ولما رآهم صاح فيهم وهدر مثل هدير الجمال وحمل عليهم وزعق وجعل يخطفهم خطف الأسود

ويقبضهم اثنين اثنين ويدوسهم برجليه وقدأوثق الكل كتاف ولمفزع منهم ولاخاف (قال الراوى) وانهم لما أبطأوا على الأمير رجف قلبه ولم يعلم ماحل بهم أنفذخلفهم اللملمان فمشى نحوهم وإذا بالأسود صاح وطلبه وزعق فيه وقاربه فضحك اللملمان وتعجب منه ثم صاح عليه من تكون من العبيد فعندها صاح ويلك أنا المعروف بالدينارى الرواس فلما سمع اللملمان داخله الغضب وصاح به صيحته المعروفه وأطبق عليه فضربه الديناوى أرماه الى الأرض ولطمه وأدار كتافه وإذا بجعبر قدأقبل ومعه جماعة من السودان قد أقبلوا فى طلب أصحابهم فلما رآهم الديناوى هجم عليهم ونادى يا كلاب ثم ضرب جعبر فوقع على التراب فوق قرافد فأخذ الاثنين وشدهم كتاف ثم خرج من بين الشجر ونظر إلى خيام العسكر والمسلمين فساءت منه الأخلاق وتنافرت السودان قدامه مثل الأغنام فنظره الأمير عبدالوهاب فقال لهم ماهذا فأخبروه بالخبر فقام الأمير عبد الوهاب وأخذ معه سيف وقصد العبد وصاح فيه وحمل عليه وقال يا أخس العبيد تمد يدك على المجاهدين فهجم على الأمير عبد الوهاب وهم أن يضربه وإذا ببعض السودان قد اعترضه وضربه على يده أرمى العامود من يده فبقى حائر خائف من سيف الأمير فقال له الأمير لاتخف وخذ عامودك فقال له الدينارى لا وحق من أكسانى حلة السواد وأهلك ثمود وعاد إنى لازم ركابك وأكون معدود من جملة أصحابك لأنك قد بان لى أنك سيد القوم والمقدم عليهم ثم أنه تقدم اليه صغير حقير وقبل يده ففرح به الأمير المجاهد عبدالوهاب وخلع عليه خلعة سيفه وعادبه الى الخيام وقال له مافعلت بأصحابنا السودان فقال أصحابكم مكتفين عند الغدير وأنا ماجئت إلى ههنا إلا بسبب لأنى سمعت بالأمير عبدالوهاب ابن ذات الهمه وأتتنا أخباره وقصدته لأكون من خدامه وقد فقدت أخوتى فقال له ما اسم أخوتك فقال له أحدهم يقال له اللملمان والآخر يقال له جعبر وأنا الصغير وقد خرجت فى طلبهم فبالله عليك تدلنى عليهم وتقر عينى بهم فقال له الأميران السودان الذين أسرتهم فيهم أخوتك وها هم تحت قبضتك فقال الأســـود بحق من ألف بين الألوان أصحيح هذا الأمر فقال نعم وحق سيد البشر وأنا الأمير عبدالوهاب صاحب الثغور فابشر بالفرج والسرور ثم ان الأمير عبد الوهاب ارسل أتى بهم وحل كتافهم وأراهم له فعرفهم وسلم عليهم وعانقوه وعانقهم وفرح بهم وفرحوا به ثم ان الأمير أقام بالناس يوم وليلة وساروا طالبين ملطيه وقد سار الدينارى واللملمان وجعبر مقدمين على جميع السودان حتى قاربوا ملطيه عند قلعة المضيق فسمع بقدومهم الأمير عمرو بن عبيدالله فخرج لملاقاتهم

ومعه جماعة من أصحابه وعقبة معهم ولما وقعت العين على العين سلموا على بعضهم وتعانقوا جميعا وبكى عتبه وقبل أقدام الأمير عبد الوهاب وقال له لو كنت عندنا ماجرى على المسلمين هذه الأمور لأنهم كبسوهم الكفار وهم ساجدين وذبحوهم وأخبره عن ماجرى فى غيبته لحصل عنده غم شديد ثم أنه أراد المسير الى بلاد الروم لأجل خلاص الأميره من يد ميخائيل فقال الأمير أبو محمد البطال اركب وسير بنا الى جزيرة الساحل فان أمك هناك فى قبضة الملك الأقريطش وقد أتانى فى هذه الساعة مكتوب من مارس ودارس يخبر فيه بهذا الخبر فقال له الأمير عبد الوهاب ومن يوصلنا الى هذه الجزيرة فقال له سمعان المطالبى هو الذى يعرف الطريق يوصلنا فقال له وأين هو فقال أنا آتيك به ثم أن أبو محمد خرج من وقته وساعته ولبس صفة راهب وخرج فى طلبه وكان سمعان المطالبى شيخ كبير طاعن فى السن وكان فى صغره مولعا بالمطالب والكنوز وكان يعرف بجميع الألسن وكان أبو محمد صحبه أيام وتعلم منه بعض الألسن وأنه لم يعرفه وكان فى دير الرخام وعنده ثلثمائة راهب يخدموه ويقرأوا عليه علم الانجيل وكان البطال يعرف هذا الدير ويعلم أنه مقيم فيه فسار هو وأولاده وغلمانه حتى أشرفوا على المكان ونزلوا على بابه وهو عند ذلك بالزى والهيبة والناموس والملبوس فلما رؤوهم الرهبان خرجوا اليهم مثل الغربان وسلموا عليهم وسألوهم عن حالهم فقال البطال نحن رسل من الملك ميخائيل ومعنا رسالة إلى الراهب سمعان نقولها فى سر وكتمان فقولوا له يظهر الى هذا المكان فقالوا سمعاً وطاعه ثم غابوا ساعة وعادوا والراهب معهم وهو يتوكأ على عكاز فقام له أبو محمد عند إشرافه وصافحه وسلم عليه وجلس بين يديه وقال له يا أبونا الملك ميخائيل يسلم عليك ويقول لك إحضر الى القسطنطونيه فان البترك الكبير قد مات ويريد أن يتركك موضعه لأنه قد استشار القسوس والرهبان وأخذ رأى المطران فيمن يكون بترك لأهل الصلبان فقال أيها الملك إعلم أن ما بقى هذا الزمان أعلم من الراهب سمعان لأنه يحفظ الانجيل والقرآن والتوراه فانفذ اليه الى دير الرخام وسلم اليه أمر ملة عيسى عليه السلام وقد أنفذنى اليك أيها البترك وأمرنى أن أقبل يديك وصدرك وأصير خادما لك (قال الراوى) فلما سمع الراهب كلام البطال تبسم وقال السمع والطاعة للرسول ومن أرسله أقم أنت وأصحابك وخذوا الراحة الى غداة غد ونعول على المسير ثم أمر الرهبان فقدموا لهم الجفان من العسل والعدس والبقل وغير ذلك من طعامهم وقد فرحوا كيف يصير مقدمهم بترك القسطنطونيه ولما كان من الغد قال سمعان للأمير أبو محمد البطال عول

بنا على الارتحال حتى لانكون قدتوانينا فى خدمة الملك المفضال فرحل أبو محمدالبطال والراهب وقدهموا الرهبان بأن يسيروا فى خدمته فمنعهم سمعان من ذلك وسارالأمير أبو محمد طالب مدينة القسطنطونيه حتى مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وعرج يطلب الدروب فقال الراهب أيها البطريق أراك قد غرجت عن الطريق فقال البطال ياأبونا أنا أعرف من رأس الدروب طريق غير هذه تكون أقرب علينا الى القسطنطونيه فقال الراهب ويلك يابطل كيف تخلط على فى المقال وتظن أننى ينطلى على المحال وحق من أرسلك إلى ودلك على لقد عرفتك من حين أقبلت على أنت وأصحابك ولكننى كنت منتظر حتى يبان لى صحة الخبر فبحق نبيك محمد ما أنفذك الى الأمير عبد الوهاب إلى هذا الجناب وقد عول أن يسير الى جزيرة السواحل وماقد أتيت أنت تحتال على عسى أن أدلكم على الطريق وأرشدكم على التوفيق لتخلصوا الأميره المجاهده ذات الهمه من قبضة الملك الأقريطش فقال البطال وقد انذهل بالى وحق محمد فمن الذى أعلمك بذلك فقال أعلمنى الذى أمرنى أن لا إله إلا الله محمد رسول الله (قال الراوى) فخار البطال ومن معه من هذا المقال وقالوا للراهب وحق من هداك الا أخبرتنا بسبب إسلامك وكيف خالفت هواك فقال الراهب يا أبو محمد اعلم أننى نمت ليلة من الليالى وأنا متفكر فى الجنة والنار والوقوف بين يدى الملك الجبار وكيف يحاسب العبد على الدقائق ويعرف المؤمن من المنافق فقلت لروحى ترى انا من المحاسبين بعد هذه العباده وألا يدخلنى المسيح الجنة ثم غفلت عينى فرأيت المسيح فى النوم وهو يقول ياشيخ كلما عملته معنا ضائع وأنت تظن أنك عندنا طائع ولكن وحد خالقك فهو ينجيك واجعلنى له عبد ولا تجعلنى له شريك واعلم أنى أول من يقف للحساب ويخشى من العقاب وقد ختم الله لك بخاتمه خير عند انتهاء مدتك وبفضل خالقى اليك أيقظك من رقدتك فكن فى هذه الأيام على حذر يقدم عليك رجل من أهل ملة الاسلام يقال له أبو محمد البطال فارحل معه إذا أمرك بالارتحال لتخلصوا الأميره ذات الهمه من جزيرة السواحل وتفكوها من العذاب فقد خرق دعاها بين ألف حجاب وهى تسأل الله تعالى أن يجمع بينها وبين ولدها عبد الوهاب وخلوصها من أيدى الكفار فهى سبب نجاتك من عذاب النار فلما انتبهت يا أبو محمد من المنام كتمت حالى عن الرهبان وأخفيت ما رأيت فى الأحلام وبقيت أعد الأيام حتى أتيتم أنتم وبان لى صحة دين الاسلام وقد جددت الآن إسلامى بين يديك وقصصت قصتى عليك وأنت تعلم ما أنا عليه من القدم وكيف كنت تقرأ على فنون الحكم (قال الراوى) فلما سمع

البطال منه هذا المقال قال سبحان مغير الانسان من حال الى حال والله ماينبغى لأحد أن يغتر بعلمه بل يسأل الله خاتمة خير منتهى أجله ثم ساروا حتى قدموا على الأمير عبد الوهاب وأدخل البطال الراهب عليه وحدثه بهذه الأسباب فقال الأمير يا أبو محمد هذه العناية قد جاءت بالكفاية فسبحان من فتح عين بصيرته للهداية وقفل عين عقبه للغواية حتى انه لم يأتيه من الحق عناية (قال الراوى) فلما كان عندالصباح إدعى الأمير بالدينار أخو اللملمان وسلم اليه قلعة المنجنيق وأعطاه جماعة من السودان وقال له يا أمير إحفظ هذا المكان ولا تمكن من الدخول اليه انسان ولو أنه خليفة الزمان لأن فيه أموال المجاهدين وجميع مالنا الذى جمعناه من سنين فقد رأيت فيك من الشجاعة والعقل والحمية ما يرد جميع المفسدين ثم رحل الأمير عبد الوهاب بعد ذلك فى سائر عسكرة وكتائبه وأولاده والراهب سمعان معه يقطع الأرض ويجوب طولها والعرض ويقول يامولانا علينا عجلة فى هذه الأيام التى بقيت فى هذا الشهر لان فيه تكشف القنطره التى على الخليج وتعبر عليها العساكر والقوافل ولا ترجع تبان الى عام قابل فجدوا بنا فى السير لعل الله يسهل علينا العسير (قال) فلما سمع الامير عبد الوهاب منه ذلك المقال أوصل المراحل وقطع المنازل بالليل والنهار حتى وصل إلى مكان يسمى الكنائس وهى أديرة خراب وصوامع قفار وقرى خالية من الأهل والأصحاب لا يعبر بها عابر ولا يمر فيها سائر الا أن يكون عساكر كثيرة مما عليها من الوحشة فعند ذلك قال الراهب لعبد الوهاب ارفق بالناس أيها الامير ولا تتعبهم فى المسير فقد بقى بينهم وبين الخليج يومين ولظهور القنطرة خمسة أيام ففرح الامير عبدالوهاب بهذا الخطاب ورفق على الاصحاب وكان قد أضر بهم حيث الركاب ولم يزل حتى أشرف على الخليج وقد بقى معه يومين فنزل بالناس وضرب الخيام واستراحوا حتى كملت الايام وفى تلك الليلة التى بان فيها هلال الشهر الجديد نقص الماء بقدرة الملك المجيد وظهر لهم عند الصباح قنطرة عرضها عشرون ذراع وطولها مد البصر وكانت قد صنعتها الحكماء على قواعد من الرصاص وهى تبان مثل الفضة البيضاء فلما أن رأوها الامراء تعجبوا غاية العجب وعبروا السودان والعرب وباتوا فى الجانب الآخر إلى وقت السحر وإذا بالماء قد بربر وهدر وتصافقت أمواجه وغطا القنطرة فى عاجل الحال فقال الامير سبحان من بيده تدبير الاحكام والاهوال ويزجر المياه التى كأنها الجبال ثم رحل بالناس من الجانب الآخر وصار يقطع البرارى والقفار حتى وصل إلى الأرض المعطشه والبرارى الموحشه فرأوا أرضا كأنها قطعة من جهنم مافيها

إلا غيلان مرتاعه تغيب ساعه وتظهر ساعه قد ضرب فيها بوق الويل فى ممر النهار والليل فبقوا الناس سائرين فيها سبعة أيام لا يذوقوا منام ولا يشبعوا بطعام ونفذ ما كان معهم من المـاء وشكوا من العطش والظمأ ونشفت منهم القرب وقد أشرفوا على العطب وتقطعت السودان والعرب وأبصر الأمير داعى الموت قد اقترب فطلب الأمير عبد الوهاب الراهب سمعان وشكى إليه ما فيه الناس من الخذلان وسأل عن المـاء فقال يا أمير ما نراه إلا فى غد أضحى النهار فسير بالعسكر ولا تهتدى الى قرار وسلم الامر إلى صاحب الاستار مدبر الليل والنهار فساروا الخيل حتى تقطعت منهم الاوصال والرجال قد تروعت ولولا قدوم الليل واقباله لـكان وصل اليهم الهلاك (قال الراوى) هذا والراهب قدامهم سائر الى أن طلع عليهم النهار واشتد الهجير وقد هلك من خيولهم شيئا كثير وإذا قد بان لهم قبة على أربعة أركان وهى عالية البنيان وعلى رأسها طائر رخام فى قد الانسان فنادى سمعان ابشروا بالفرج يا أهـل الايمان ان الماء قداجتمع فى هذا المكان فقال الأمير أين الماء ايها الراهب قال سيروا وحدثوا بهذه العجائب فساروا ساعه حتى أدركوا تلك القبه ونزلوا من حولها من كل جانب ونظر الأمير الى داخلها وإذا فيها ثور من الرخام الأحمر وعلى ظهره راكب يدور بحركات ولوالب فقال للراهب إيش هذا التمثال ياسمعان فقال يامولاى من ههنا ننتظر المـاء يفيض حتى يكفى أهل الأرض ثم صعد من أعلا القبه وأدار الطائر الذى على رأسها دورات معدوده بقدر ما يعرف الراهب وإذا بالمـاء قد نزل من فم الثور مثل القناه فأقبلوا الناس اليه من كل جانب ووقعوا عليه مثل السلاهب وشربوا وملؤوا القرب بعد ما كانوا أيقنوا بالعطب فقال الأمير ياسمعان لولا هذا التمثال فى هذا المكان ما عبر من ههنا إنسان وما أظن أحدا يعرف معرفة هذا المكان ولا يعبر ولا يقدر يقرب هذه الطلسمات ولا يقرب هذه المواضع الموحشات فقال الراهب لا والله يامولاى ما كان يعرف هذا إلا رجل شيخ ومات (قال الراوى) ولم يزالوا نزول فى هذا المكان الى الصباح وساروا بعد أن بطل الراهب سمعان نزول الماء وهم سائرين إلى أن وصلوا إلى وادى الفرج فرءوا جبلين قد التقت رءوسهما وبينهما لا يكاد يبين قراره ولا ينشق من اشتباك الأشجار وفيه نغمة أطيب ما يكون من النغمات ووافقتها أصوات البلابل والأطيار مثل أنين المشتاق إذا بلى بمحبوبه بالفراق وقد ارتفع ومن قعر تلك الوادى أصوات مشفقات ونغمات متجاوبات إذا سمعتها الحجارة رقصت أو أولى الألباب اندهشت وان الراهب لمـا وصل الى ذاك المكان أوقف العرب والسودان وردهم الى

ورائهم لأنه رأى الخيل قد قامت بأذيالها ولعبت الركاب من فوقها وطاشت عقولها وطربت ففزع وخاف عليهم أن يهلكون وردهم الى ورائهم وهم لا يعلمون فقال البطال وعبد الوهاب يا سمعان ما هذه الأصوات التى تعيب الانسان وتسلب العقول والأذهان فقال يامولاى هذا وادى الفرج اسمه فى بلاد الروم قد شاع ولايقربه أحد إلا ويرمى روحه اليه مما يحل به من الوجد والسماع ويهلك نفسه ولا يفزع ولا يرتاع فامسك الجيش فى ذلك المكان ولا تمكن أحدا يقربه لا من العرب ولامن السودان حتى أعود اليك ان شاء الله تعالى بعد ثلاثة ساعات وبعد ذلك أدعكم تعبرون من بعد ان أبطل الحركات (قال الراوى) فهما مع بعضهما فى ذلك الكلام واذا ببعض السودان كان قليل العقل خالف المثال وغدا الى ذلك الوادى فما مشى غير قليل من الخطا واذا به كان من أخذه وصعد به الى أعلا الجبل وشق ثيابه ولطم على رأسه ورمى روحه وهو ينادى يا أحبابى فؤادى فؤادى ومن بعده لعب جواده بقوائمه ورمى روحه ورأى صاحبه فتبعه فحل به ماحل بصاحبه فلما رأى الأمير الى ذلك ترجل عن جواده وتأخر وعادت الناس الى ورائهم عن ذلك المكان وبعد ذلك طلع الراهب سمعان على الجبل وقال البطال هذا شر ماسمع بمثله فى سائر الأزمان وما أظن فى الدنيا أعجب من هذا المكان فسبحان من جمع الحكمة فى الرهبان وألهمهم فى الدنيا الدوران وترحموا على نجد بن هشام الذى جمع سائر الفنون فى ذلك الديوان (ونرجع الى ما كنا فيه من الأمر والشأن) وما جرى للمؤمنين على وادى الفرج وتلك الوديان وقال الامير عبد الوهاب والله لولا تسهيل الله علينا بهذا الراهب سمعان ما كان يسلم منا من هذا الوادى ولا إنسان فقال البطال ولولا ذلك ما قدرنا نسلك هذه الأسباب ولا نقرب هذه العجائب فليتنا كنا أحضرنا معنا عقبه لعنه الله كان يشرف على ذلك الوادى ويرمى روحه اليه حتى كان يخرج مخه من أذنيه ونتفرج نحن وأصحابنا عليه (قال الراوى) وكان الراهب طلع الى الجبل والشمس أول من أبسطت فما أتى وقت الظهر حتى نزل وقال للناس ارحلوا بارك الله فيكم ورحل الأمير فى المقدمه والبطال الى جانبه ونزلوا الناس الى الوادى وتوسطوه فرؤا فيه تماثيل وأشباح من الرخام فى قدر الآدميه وفى أيديهم ملاهى من الجنك والعيدان يذهل منه عقل الانسان وفيهم أصنام وفى أفمامهم النايات والكل باللوالب والحركات وقوم بالصنوج وقوم بالدبادب يدقون نوبات وهم بكل نوع مختلفات وبين أيديهم نسوان يرقصون وفى أيديهم الصاجات الا أن الكل بطالات لأن الراهب لما طلع الى الجبل قطع عنهم الماء فبطلت منهم الحركات

ووقفت اللوالب التى كانت تدور (قال الراوى) وكانت هذه الصور كلها من رأس الجبل الى صحن الوادى مشرفات فتعجبوا الناس من هذه الحركات وذهلت عقول السادات وقال الأمير يا أخى يا سمعان كيف بطلت هذه الآلات قال أيها الأمير بطلت عنهم الماء النازل غير أن الحكمة فى الصعود الى الجبل لأنه لا يقدر أحدا يصعد اليه الا من يعرفه والا أهلكته عجائبه ويتمطع من كثرة مهالكه (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين ذلك اليوم وتلك الليلة الى أن أصبح الله بالصباح فخرجوا من الوادى ودخلوا فى رستاق جزيرة السواحل وبانت الضياع والأديرة والقلاع وكانوا قد أشرفوا على التلف من قلة الزاد والعلف فنهبوا كلما رأوه بين أيديهم وقتلوا من عصى عليهم وتجافلت الروم من بين أيديهم وهجوا عسكر الأمير فى الآفاق وشاس لما وقعوا فى الرستاق ولما كان عند المساء نزلوا فى مرج يقال له مرج البهار منقوش من سائر الأزهار وبان من الجداول والأنهار فأخذوا فيه الراحه حتى ذهب الليل بالاعتكار وتشعشت أنوار النهار وهموا بالانصراف وإذا قد بان لهم شراريف قلعه تلوح من بين أيديهم فتبينوها واذا هى شاهقة فى الهواء يتبين للناظر أنها مفارقة للأرض قريبة من السماء فقال الأمير للراهب يا أخى هذه قلعة السواحل أو من أعمالها فقال نعم هذه القلعه روح الملك اقريطش لأنها كما تراها لا يقدر عليها أحدا من الأنام والرأى عندنا أنكم تعبروها ولا تشتغلوا بها وتدهموا الملك فى جزيرته على غفلة منه من قبل أن يستيقظ بكم ويجمع عليكم العساكر والجنود وربما استعان عليكم بملك اليهود ويفوتكم المقصود فقال الأمير وعندهم فى تلك الأرض ذلك الملك قال نعم كانت هذه البلاد من قديم الزمان لليهود إلى أن ظهرت ملة النصرانية وقويت على بنى اسرائيل وأخذوا منهم ذلك المكان وبقى من طائفة اليهود الملك يهودا ابن قادار وله أكثر هذه الديار والملك الاقريطش متولى من قبله وكان يحمل اليه المال فى كل عام حتى ملك ميخائيل القسطنطينيه فأنفذ الى جزائر الروم فضيق على هذا الملك يهودا وبطل الاقريطش حمل المال والملك يهودا والاقريطش الآن يد واحدة وعساكرهم متوارده والملك يهودا وحده يركب فى أربعين ألف من بنى اسرائيل كلهم فرسان الخيل وخواضين الليل (قال الراوى) فلما سمع الأمير من سمعان الراهب قال نحن نستعين بالملك المعبود وينصرنا على النصارى واليهود ولا بد لنا من العبور على تلك القلعه ونبصر ان كان لنا فيها مطمع والا عبرناها (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام وإذا بعشرة من الفرسان أقبلوا من نحو القلعه وهم طوال من الرجال على خيول عوال وفى أيديهم الرماح الطوال

متقلدين بالسيوف الصقال وقدامهم كهل من الرجال قد نزل الشيب فى عوارضه والقفال ولما رأوهم السودان تبادروا اليهم وقالوا لهم من أنتم وما تريدون فقال المقدم عليهم أيكم أميركم والمقدم عليكم وقائد جيوشكم حتى أحدثه بحديث فيه خلاص أمه الأميرة ذات الهمة ويكون أنا لى فيه غاية التوفيق والخير فأتوا به السودان إلى بين يدى الأمير ومن حوله دائرين ولما تقدم وسلم وأطلق لسانه بكلام عربى فصيح ولفظ مليح فرحب به الامير وقد تعجب من فصاحته وقال ياهذا من فى هذه الأرض البعيدة بين الروم من أين لك هذا الكلام المفهوم فقال يامولاى ما أنا والله من هذه البلاد وأنا من بنى كلاب وأنت ابن عمى الأمير عبد لوهاب فقال الأمير من أين أنت من بنى كلاب حياك الله فقال يامولاى أنا فضالة ابن بشر الكلابى وانى أخذت أسيرمن الغزاة سنة ملك الروم كوشانوش الخارجى وملك بلاد المسلمين وأنتم أسراه فى قلعة الشيطان ولى عشرين سنة عند الملك الاقريطش أسير وفى قلبى النار على بلاد الاسلام ولا أقدر على المسير لأجل مابين يدى من المهالك والمفاوز التى لايجوزها لاعابر ولاسالك وأنا مقيم أتسلى عن أهلى وبلدى وأقول إن الله ما أمرنى أن أرمى روحى فى المهالك على أننى أحظى الناس عند الملك وأقربهم لديه ومن محبته لى سلم إلى هذه القلعة التى هى روحه التى بين جنبيه وفى هذه السنة مضيت الى عنده زائر فرأيت الأميره ذات الهمه والدتك قد وصلت من القسطنطينيه ومعها حاجب من حجاب الملك ميخائيل يحفظها فأخذها منه وتركها فى المطموره التى عنده فى جزيرة السواحل ولما عاد حاجب الملك من عنده صار فى كل يوم يخرجها ويعاقبها ويعذبها بأنواع العذاب وأنا كل ما أراها يتقطع كبدى وأتذكر أوطانى وبلدى وأقول هذه قضيت منيتها هنا مثل ماقضيت منيتى ومالى إلا أن أحرص على أخذها معى فى قلعتى حتى أخلصها مما هى فيه ونقطع أنا وإياها باقى العمر ونقضيه وإنى سألت الملك فى ذلك فقال لى يافضاله أنا ماصدقت أن تقع فى يدى هذه المسلمة أتقرب بعذابها حتى تموت وأرميها للكلاب وإذا بعث الى الملك ميخائيل وطلبها أقول له ماتت فى المطموره فلما سمعت كلامه رجعت الى قلعتى بعيش مر ولا أقدر لها على نفع ولاضر ويعلم الله مامر بى يوم إلا وأنا أبكى عليها وأتمنى لها الفرج الى أن رأيت اليوم راياتك قد ظهرت وعليها كلمة التوحيد قد اشتهرت فطاش عقلى من شدة الفرح وذهب عنى الهم والترح وقلت والله هذه رايات بنى كلاب ولاشك مقدمهم الأمير عبد الوهاب وقد دخل فى خلاص والدته ولما تحققت ذلك نزلت اليكم وأكون بين يديكم وندبر على خلاص الأميره ليهون الأمر عليكم وإنى

أريد آخذ منكم ألف فارس فى زى أصحابى وأدخل بهم على الملك يقتلوه ويملكون الجزيره ويخلصون الأميره ذات الهمه المجاهده وأعود معكم الى بلاد الاسلام وأبل شوقى من الديار والأوطان (قال الراوى) ولما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك الكلام بان له الصحيح وعرف فضاله الأمير أبو محمد البطال وجماعة من الأمراء والأبطال وقالوا سبحان من يهون العسير ويسهل للعبد خلاف ما يوسوس فى الضمير لأن هذه القلعة أردنا أن نجوزها ولانتعرض لها فسهل لنا أمرها رب العالمين فقال الأمير جزاك الله خيرا يا فضاله فقال يا أمير والله إن كل من فى قلعتى مسلمين لرب العالمين لأننا نستر أحوالنا عن الروم ونعبد الحى القيوم ولى عشرة سنين وأنا على هذا الحال حتى صفا لى هؤلاء الرجال واعترفوا كلهم بدين الملك العلام ذو الجلال والاكرام فقال الأمير يافضاله انك هنا فى عبادة واجتهاد فالحمد لله الذى سهل أمرنا الملك الجواد بك وبهذا الراهب سمعان والآن سيروا بنا حتى ننزل تحت القلعة ونبصر كيف نخلص الأميره ونرجع سريع لأن الثغور خالية من المجاهدين والفرسان وصاحب القسطنطونيه قد خليناه معولا على الخروج وقد جمع كل من فى البلاد من عبدة الصلبان فقال فضاله ارحل يامولاى واطلع تسلم القلعه ولاتعرف خلاص الأميره إلا منى فرحل الأمير بالناس ونزل تحت قلعة فضاله ونظر اليها واذا بها خارجة على سن جبل خارج من جبل ولاعليها منزل إلا من موضع واحد الذى أتى منه الأمير والله ما يكون مثل هذه القلعه ومن يكون فيها يكون على نفسه آمنا لأنه يخرج من يريد ويوصل من يريد من الباب ولايبالى بمن يحاصره ولو أنزل عليه طول الزمان ثم أخذ معه مائة فارس من أمراء بنى كلاب ومن مقدمين السودان وطلع مع فضاله الى الحصن فرآه من داخل أحسن من الخارج والماء ينبع من جوانبه وفيه من الذهب والقناديل والصور والتماثيل والأموال غير قليل ففرح الأمير بذلك وسبح الملك الجليل ولم يزل بهم فضاله حتى صار بهم فى قصر الاماره ووصلوا الى مجلس كبير يسع ناس كثير فجلسوا فيه ونادى فضاله بالغلمان ويلكم قدموا الطعام وانزلوا إلى هؤلاء القوم الكرام الذين هم أركان الاسلام فعندها تبادروا الغلمان ونقلوا الطعام وبنى كلاب والسودان يأكلون ويدعون لفضاله ويشكروه على ذلك الاكرام وهو واقف فى باب المجلس مشدود الوسط يظهر لهم الخدمه فهم كذلك وإذا بالأرض تحتهم تتقلقل وأركان المجلس بهم تتململ فتواثبوا وظنوا أنها زلزله وهموا بالخروج وإذا بهم يدورون مثل دوران الرحى وأرض المجلس ترقص بهم حتى بقيوا مثل السكارى ساعة وإذا بهم قد صاروا

تحت الأرض وعاد المجلس الى حالته ووقع عليهم الصياح وقد أيقنوا بذهاب الأرواح وقال البطال تمت علينا الحيلة ونفذ فينا قضاء الرحمن على أنه والله لولا معرفتنا به ما كان أحدا منا أمن اليه ثم انهم نظروا وإذا هم فى وقت مقتم مظلم فقالوا ليته الشيطان أخرجنا من هذا المكان ودع يسلمنا الى الروم (قال) وكان هذا المجلس صنعة حكيم يقال له الاقطينس بن قادريبس قد عمله لصاحب هذه القلعه حتى اذا أراد ان يقبض على عدو له دعاه إليه ثم يأمر الرجال الذين له أن ينزلوا تحت الأرض ويديروا اللولب المصنوع تدخل فى الحيطان وينخسف المكان الذى يصير مافوقه تحته بعد شدة الدوران ويعود المجلس الى حالته مثل ما كان (قال) فلما أن وقعوا الأمراء فى ذلك المكان ضاقت أنفسهم وتمنوا القتل وفتح عليهم باب صغير ضيق مشقوق فى الحائط وطلع عليهم فضاله وهو يقول يا كلاب أتظنوا أنى باق على دين الإسلام ابشروا بالعذاب والانتقام وحق الانجيل لأسلمنكم الى الملك الاقريطش ينحركم نحر الغنم وتلك العجوز العاهرة حتى أكون كافئت من ربانى وأنعم على وأعطانى (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك أيقن بالمهالك وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ليتك كنت يا أبو محمد ما وقعت معنا حتى كنت تعمل على خلاصنا لكن هذا قضاء الله وحكمه هذا وفضاله واقف والرجال بالسيوف على باب المكان وقال للامراء اصعدوا يا شياطين والا ألقينا عليكم النار وأذقناكم حرارة الشرار فعندها صعدوا الأمراء وهم لايصدقون بذلك وصار كل من طلع شدوه كتاف حتى شدوا الجميع وأقام فضاله حتى جن الظلام وأخرجوهم الى ظاهر القلعه وقد شدوهم على الخيول عرضا ونزل بهم من الجبل من غير الناحية التى فيها المسلمين نازلين وسار هو وبطارقته وترك القلعة ما فيها أحد وساروا قاصدين قلعة السواحل الى أن مضى أكثر الليل ووصلوا الى جبلين متلاصقين وبينهما طريق مضيق لا يعبر منها غير واحد فبينما هم منها سائرين واذا قد طلع عليهم رجل أسود ومعه جماعة من السودان وهم ينادون الى أين بالأمراء يا لئام وضربوهم بالحسام وقل الكلام وزادت الآلام فلم تكن الا ساعه حتى قتلوا الجميع وأسروا فضاله وخلصوا الأمراء (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك مذبحون بن البطال وذلك أنه لما أبطأ عليه خبر الأمراء وأصحابهم فزع عليهم وقال والله ما تم عليهم خير ولو كان ذلك ما كانوا قعدوا عنا بل كانوا قد أنفذوا إلينا الاقامات والعلوفات وما أظن الا أنهم أخذوا أسارى (قال الراوى) ثم ان مذبحون بعد ذلك الكلام قام وتزيا بزى راهب من بعض الرهبان وعلق على صدره الصلبان وصعد

إلى القلعة واختلط بمن فيها من الرجال فسمع واحد من الروم يقول ويتحدث بما فعل فضالة مع الأمراء وانه يأخذهم بعد العشاء وينزل بهم من القلعة ويوصلهم الى الملك ويأتى بالعساكر ويكبس المسلمين على غفلة منهم فقال مذبحون تمت الحيلة ثم رجع سريعا وأخذ معه من السودان اللملمان وأخوه جعبر وتمام ألف اسود من كل بطل أمجد بصدور الزرد ومسك عليهم فم المضيق كما ذكرنا وقتل الروم وأسر فضالة وخلص الأمراء كما وصفنا فقال الأمير أبو محمد البطال عودوا بنا على أثرنا الى القلعة على الطريق الذى كنا فيها حتى لا يحسوا بنا إلا ونحن معهم ومع ذلك ما فى القلعة من نخشاه ففعلوا ذلك وعادوا راجعين على أعقابهم وكانوا عندهم قريب الصباح وهجموا عليها وضربوا من كان فيها بالحسام وسقوهم كاس الحمام لأن ما كان فيها إلا شيخ كبير أو طفل صغير فتركوهم صرعى ودماؤهم تسيل واحتووا على ما فيها من الأموال وعادوا إلى عساكرهم فوقعوا بقدومهم الأفراح وزال عن المسلمين الأتراح وقدم الأمير عبد الوهاب فضالة بين يديه وقال له ياملعون طفح الكفر على قلبك وزين لك الضلال حتى فعلت بنا هذه الفعال فقال فضالة العفو يامولاى وهاأنا أجدد إسلامى على يديك وأخلص أمك الأميرة وأقدم بها عليك فهم فى الكلام وجعبر قد ثار كأنه من بعض العمار وضربه بالعامود على رأسه نثر أضراسه وقال أيها الأمير أيش فى عتاب هذا من فائدة بعد أن فعل بنا ما فعل وعلمنا أنه كذاب وسلمنا ربنا من ضرب الرقاب (قال الواوى) ثم ان الأمير عبد الوهاب أقام باقى يومه وارتحل عند الصباح طالب جزيرة السواحل والراهب سمعان بين يديه يدل بهم الطريق (قال) ولم يزالوا سائرين ذلك اليوم وبعد ذلك أشرفوا على جزيرة السواحل وعلى ظاهرها عساكر كثيرة قدر الأرض طولا وعرض (قال) وكان سبب جمع العساكر أن الملك (الاقريطش) كان قد سمع من المنهزمين من أهل الرستاق والفلاحين وأهل الضياع أن عساكر الاسلام دخلوا اليهم وهم من تلك المهالك سالمين فتعجب الملك من ذاك وكيف عبروا المهالك وخاضوا تلك المسالك فجمع عساكره من سائر الجهات وعباد ساكره ومواكبه وقال لهم سيروا بنا إلى ذاك العسكر نلقاه يكون أهيب لنا فى قلوبهم ويكون الملتقى عند قلعة فضالة لأنهم لابد لهم ما ينزلوا عليها وربما يشتغلوا بها فنبادرهم ونفتك فيهم بصوارمنا ونترك دماءهم تجرى وعول الملك على المسير وعند الصباح وصلت اليه الأخبار بأنهم قد أتوا اليه من ناحية القلعة وإذا بجماعة منهزمين وصلوا اليه وأعادوا عليه ما نزل عليهم فلما

سمع حار وقال كيف قدروا هؤلاء على تلك القلعة التى كانت تحسدنى الناس عليها مدى الأزمان من ملوك وأرباب أقلام فقالوا أيها الملك وحق دين المسيح لقد رأينا معهم قوم سودان يطيرون عقل الإنسان على صفة دواب البحر ثم أعادوا عليه كل ماجرى وكيف ان فضالة عمل الحيلة على الأمراء وعادوا وخلصوا من يده وأسره وقتلوه وملكوا تلك القلعة . فقال الملك وفى كم يكونوا هؤلاء القوم فقالوا ياملك لايحصى لهم عدد وأكثرهم فى لون الزبيب الاسود وكانوا هؤلاء القوم لايروا فى بلادهم أسود قط فتحدثوا وزادوا فى الحديث مما قد وقع فى قلوبهم من الفزع وقال وحق المسيح ماقطعوا هذه البرارى والقفار وسلموا من أهل تلك المهالك والأخطار ووصلوا الى هذه الديار إلا وهم قوم لايقع عليهم عبار ولا تخمد لهم نار ومالى إلا أن أقيم ههنا قريب من جزيرتى وأنفذ الى ملك اليهود يأتى الى معاونتى وأدبر أمرى وألقى القوم وأنال منهم غرضى ولو كان بفاضل يوم وأرسل الى الملك يهودا أقول له : انجدنا بعساكرك لأن قد دخلت إلينا المسلمين الى هذه الديارفى خلق كثير ما يقع لهم على عيار فسير الينا حتى تساعدنا على لقاءهم وإلا وصل إلى واليك أذاهم وأنا أقاتلهم اذا وصلوا الى أن تأتى بعساكرك (قال الراوى) وبعد مضى الرسول بثلاثة أيام أقبلت على الملك عساكر الاسلام وقد ارتفع ضجيجهم الى عنان السماء وهم يوحدون الملك العلام ويصلوا على سيد الأنام وعول الأمير أن ينزل فلم ترضى السودان دون أن كبت رؤوسها فى قرابيص سروجها وحملت وارتفعت الضجة وعلت الرنة ونادى الملك الاقريطش فيمن حوله من البطارقه وقال ويلكم دونكم وهذه العصابة الحقيرة حتى تنالوا السعود وتجاهدوا فى طاعة المولود ولا تحوجونا إلى نصرة اليهود وها أنا فى أوائلكم حتى لايبقى على عتب ولا لوم ثم حمل فيمن تبقى معه من البطارقه وأطبقوا على السودان من كل جانب ومكان وأخذوا عليهم جميع المذاهب (قال الراوى) فنظر الامير عبد الوهاب الى ذلك فكشف رأسه وخفف لباسه وحمل على ما به من التعب وتبعته باقى السودان والعرب واشتد بهم الويل والحرب وعمل الصارم الغضب واختلفت البيارق ولمعت الطوارق وحققت الحقائق وبان الكاذب من الصادق وعمل السيف الماحق ونادى الامير : واشوقاه الى الوالده المجاهده العابده الزاهده ثم انه جعل يلوح القحوف ويجزع الانوف وهو قاصد الى أصحاب الاعلام ويهبر الأعداء بحد الحسام والجو قد اسود من كثرة القتام والجماجم تتناثر على قامات الاجسام والرهبان تضج فى خيام الروم بقراءة الانجيل والمسلمون يسبحون الملك

الجليل بقراءة القرآن والفرسان من على السروج تميل والدماء من قوائم السيوف تسيل والناس بين أسير وقتيل والأرض بهم تهتز والأبدان من السيوف بالدماء تفز والأقران بالأقران عالقه والرماح بالصمور خارقه والجبان قد هرب وفر والصارم للرقاب جزز وخر والصياح منعقد والخيول تطرد حتى أقبل الليل بالظلام وعادوا الى الخيام وكان الرابح عسكر الاسلام والخاسر عسكر الروم اللئام لأنهم من السودان اندهشوا وطارت عقولهم وتخبلوا وباتوا يشكوا الى الملك مالاقوا من الحرب والكفاح وأكثرهم أسخن بالجراح فقال الملك يحق لكم أن تكشوا من هؤلاء المسلمين ويحق لهم أن يكونوا للأرض مالكين لأنهم ماوصلوا ههنا وهم فى هذا الثغر القليل إلا وهم ما لهم فى الدنيا عديل وأنا سمعت أن ملكنا صاحب القسطنطونيه ميخائيل يحمل اليهم فى كل عام المال الجزيل حتى انه يكتفى شرهم ويصير لهم صديق وخليل ولولا فزعه منهم ما كان أرسل هذه المسلمة إلينا وترك هؤلاء دخلوا إلينا وقد قيل لى إن هذه المرأة مأسورة عندنا تلقى فى الحرب ألف فارس رومى وحق المسيح ما لقيت منهم إلا كل شجاع وبطل مناع وما كنت أقتل واحد حتى أشرف منه على التلاف مع ماتعرفون من شجاعتى وقوتى وبراعتى وقد عولت فى غداة غدا أخرج إلى البراز لأن أخبار الملك يهودا أبطأت علينا ولعلى أن آخذ الأبطال الذين هم مقدمينهم فى البراز ويهون علينا العسير (قال الراوى) هذا ما جرى لهؤلاء الروم (وأما ما كان) من أمر الأمير عبد الوهاب فانه بات وهو مسرور فرحان ويشكر فرسان بنى كلاب والسودان الأنجاب ويقول البطال والله لولا تعبنا اليوم وإلا كنا هزمنا عساكر الروم من بين أيدينا ولكن فى غداة غدا إن شاء الله تعالى يكون الانفصال ونبلغ من الأعداء سائر الآمال ونخلص الاميرة المجاهدة من الاعتقال (قال الراوى) وباتوا الجمعان يتحارسان حتى برق ضوء الصباح ومضى الليل بأجنحة الغربان فركبت الفرسان طائفة أهل الايمان وتبادروا الى الحرب العرب والسودان وصاح فيهم الأمير عبد الوهاب : هاها يامعاشر الاخوان انجزوا هذا الأمر حتى تعودوا إلى الأوطان فقد تركنا أولادنا وأموالنا والنسوان وهم فى بلاد الثغور بلا حماة ولانأمن عليهم من العداة لأن ماعندهم إلا بنى سليم وهم لا يكشفون عن أنفسهم شدة ولاضيم فدونكم والقتال حتى لايطول علينا المطال فعند ذلك انتخت الرجال بعد سماعها هذا المقال وتقدمت الروم تطلب البراز والنزال بنيات متفقة وقلوب صادقة وركبت أيضا واشتملت بعدتها وقداتكلت على كلام ملكها لأنه بالبراز

قد أوعدها لكن أكثر فزعهم من السودان لأنهم خافوا من خلقتهم والألوان (قال الرواى) وقد عول عسكر الإسلام أن يحمل على الكفار وكذلك الاقريطش قد عول على ضرب البتار وإذا قد ظهر عليهم غبار حتى سد الأقطار وحجب سواده شمس النهار من كثرة الغبار ساعة من الزمان وقد انكشف وبان للنظار والعسكرين وقوف يصححوا الأخبار وإذا قد ظهر من تحته رايات سود وبيارق وبنود وكتائب وجنود وخيول عليها رجال مثل الأسود وهم طوال الأجسام كأنهم من قوم عاد أو ثمود فتبينوهم الطائفتين وإذا هم طائفة اليهود وملكهم يهودا كأنه النمرود وقدامه أكثر من عشرة آلاف خزان وقرناس وجوقار وكوهار ومشتبكه على رءوسهم البنود والتوراة والاسفار قدام على رأس جوقار وهم فى أمر ونهى يشيب منه المولود وانتشروا حتى ملؤوا الأرض فى طولها والعرض فتلقتهم الرهبان والقسوس بقراءة الإنجيل ودق الناقوس حتى خيل للناظر أن الأرض قد تزلزت والجبال قد اهتزت ونزلت بنى إسرائيل وضربت خيامها وأركزت أعلامها وعليها مكتوب باسمك اللهم علة العلل مخاطب موسى على الجبل (قال الراوى) ونزل الملك يهودا وضرب له سرادق من الحرير واسع كبير يسع خلق كثير ووضع فى وسطه سرير من الفضة البيضاء قوائمه من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر فجلس عليه وأجاس الملك الاقريطش إلى جانبه لانه كان قد عاد إلى لفائه فى خواص بطارقه ولما استقر بهم الجلوس شرع الجوقار بقراءة التوراة وفتح المذمور التشعى أوله ولهى نعوداد وناى الهينوا علينوا ومسعه يدثينوا لوابهيوشت مسير عيلون بصل شديتلديرا وصولاودى الهدير أبطح بوكى هوا بصلح منفخ بفونس مدبرهوت (قال الراوى) وهذا تفسيره بالعربى يا رب تلطف علينا وعز عبيدك وعزنا فى الغدوات فى رحمتك نسبح ونسر جميع الايام حياتنا وأفرحنا عوض الايام الذى أقصيتنا والسنين التى رأينا فيها الرزايا وانظر الى عبادك وسهل علينا مذمور النشعى الساكن فى ستر العلى محمد فى ظلال إله السماء يقول الرب ملجاى وناصرى إلهى عليك توكلت (قال الراوى) ولقد قرءوا اليهود كلام عبرانى وشىء غير عبرانى ولكن اقتصرت واختصرت وبعد قراءتهم وتلاوتهم قال الملك يهودا إلى الاقريطش ولأجل هذه العصابة اليسيرة أنفذت خلفى وأزعجتنى من أرضى وحق العشر كلمات ما قات إلا أن خليفة المسلمين قدم علينا والا ما كنت أتيت لأن هذا عار عظيم أن أسير إلى فرسان بنى كلاب بعسكر بنى إسرائيل فقال الملك الاقريطش أيها الملك الفخير الشأن أمس رأينا من حربهم النار وأفنوا خلق كثير ورأينا منهم ما يذهل التحرير فقال يهودا بسك تصفهم وحق العشر كلمات وما أتى به

من الاسفار والآيات ما تركت غدا منهم من يخبر بخبر ولو أنهم بعدد ورق الشجر وسوف ترى ذلك وتبصر ففرح الملك الاقريطش وأنفذ إلى جزيرته فأتوا إليه بالاقامات والعلوفات وأحمال الخمر والاغنام (قال الراوى) وكانوا المسلمين قدانذهلوا وفتروا عن الحملة وقال الامير عبد الوهاب ياأبا محمد ما يكونوا هؤلاء القادمين فانهم منعونا عن المقصود فقال له البطال والله اعلم ياأمير أن هذا الذى قد قدم بجيشه ملك اليهود ويقال له الملك يهودا وأنه جبار وقد أتى نجدة إلى الملك الاقريطش والرأى عندى أن ترسل اليهم كتاب بخلاص الاميره وتطلبها منهم حتى نرى ما عندهم من الجواب ونفهم لذة الخطاب فان أطلقوا الينا الاميره كان الذى كان وإن لم يفعلوا ذلك أريك ما أفعل بهم إن شاء الله الرحمن (قال الراوى) فعند ذلك كتب الامير عبد الوهاب كتاب يطلب الاميره ذات الهمه من الملك الاقريطش وأرسله معرسول من عنده فسار به الرسول إلى أن وصل إلى عند الملك الاقريطش وتقدم إلى بين يديه وأخبره وقدم الكتاب اليه فأخذه منه وقرأه وأخبر الملك يهودا بأسر الاميره ذات الهمه وأعطاه الكتاب ولما أن قرأه الملك يهودا مسح بيده على وجهه وقال بلا شك أن هؤلاء القوم ما لهم من العقل شيء حتى انهم نظروا إلى جيشين ولم يعتبروا وقد أرسلوا أن يطلبون خلاص هذه المرأة فلا شك أن ما لهم عقول فقال له الملك الاقريطش نعم أيها الملك إن مع هؤلاء القوم رجل يقال له أبو محمد البطال وقد سمعت أنه عيار محتال يعرف إنجيلنا وتوراتكم مثل مايحفظ قراءتهم وهو الذى يدبرهم ويعظم شأنهم فعند ذلك قال الملك يهودا للقرناص أكتب الكتاب واعلمهم أننى ما أخذل جارى ولا أترك هذه المرأة تخرج من ديارنا فكتب القرناص على لسان الملك كتاب يقول فى أوله بسم الله القديم الجبار الذى أنزل على نبينا موسى الاسفار أما بعد هذا يا هؤلاء أنتم تعلمون أن أرزل الناس من يغزا فى دياره ويؤخذ ما عنده بغير اختياره وأنتم تعلمون أن صاحب الشمول قتل ولده ولم يسلم صاحبه وكذلك أريد أفعل مع الملك الاقريطش لانه جارى وشريكى فى ديارى لا يكون الشمول أكرم منى ولا أشد سلطنة ولا أحشم (قال الراوى) ولما أن فرغ القرناص من كتابة الكتاب سلمه للملك فالتفت الملك يهودا إلى الرسول وقال اعلم أن هذا الذى أردتم فهو شيء ما يحصل لكم وان أردتم التردد إلى دياركم فان الملك من عدله ما يتبع آثاركم وان تفعلوا ما قلتم وتبذلوا المجهود فى خلاص صاحبتكم من عندنا من القيود بالسيف وضرب الجنوب فهذا الشيء عندنا موجود وما نحن نخشى لمثلكم وهم اليهود وحق

بيت مشهور وكل سفر يحمل على رأسه الجالوت والسبعين الذى أماتهم الله وأحياهم وإلا قطع رزقى وعلق رأس العجل فى عنقى وعصبت رأسى بعصائب صافور وأكلت السمك فى الصوم الكبير والا أحج مع المسلمين الى مكة وأقبل الأركان وأطفيت قناديل كنيسة قيون ويغضب على موسى وهارون ان تركت أحدا منكم يصل الى دياره وأبقيت منكم من يبلغ أخباركم ودع يفعلون المسلمين ما أرادوا بكنائسنا التى هى فى ديارهم ويقلعون كل من كان هناك من اليهود ويمحوا آثارهم ثم ان الملك أعطى الكتاب للرسول وقال له خذ هذا الجواب فأخذه وعاد به الرسول الى الأمير عبدالوهاب وأعطاه الكتاب فقرأه وعرف أبو محمد معناه فلما أن فرغوا من قراءة الكتاب فقال الامير عبدالوهاب ايش ترى من الرأى يا أبا محمد فقال البطال ايش بقى ما تريد من الخبر وما هناك إلا أن أفعل ما أريد (قال الراوى) ثم ان البطال أنفذ خلف أولاده وكان الليل قد أقبل فلما أن حضروا لبس الكل ملابس الروم إلا هو وولده مذبحون فانهم ألبسوا ملابس أهل جزائر اليهود وقد تعمم ببقايا أسباب كانت معه حتى صار فى زى الجوقات وقد أرخوا لهم عدبات طوال وقال لهم تفرقوا ياأولادى ويكون الملتقى عند سراق الملك يهودا واعلموا أن الرسول قد قال لى ان الملكين فيه يشيرون ويبدون ويعيدون والنصارى واليهود مختلطين فعند ذلك تفرقوا الأولاد والغلمان وقد ساروا على هذا التدبير وكانوا خمسة عذيبه وأخوها الحصين وبديع ومذبحون وأبو محمد البطال فكانوا كلهم لصوص وكان فى نية أبو محمد أن يسرق الملكين ويترك السيف يعمل بين الطائفتين (قال الراوى) هذا ولما أن صاروا وقربوا من عساكر المسلمين مازالوا سائرين وهم متفرقين وقد دخل كل واحد من قطر من أقطار عساكر النصارى واليهود وقد اختلطوا بهم فرأوهم عساكر مثل الجراد وكان الليل عند الاعتكار وما وصل البطال الى مرادق الملك واجتمع بالأولاد حتى مضى من الليل ثلثه فوجدوا الناس فى جلبيه عظيمة وقد اختبطوا من شدة السكر وأصوات الأغانى والأخ لا يعقل على أخيه فلما رأى البطال الى ذلك قال هذا وقت غرضى وهم أن يدخل الى وسط المجلس فمنعته ابنته عذيبه وقالت بحياتى عليك قف أنت مكانك واكتفى بالنظر وانظر منى العجب ثم أنها دخلت فى جملة سقاة من اليهود والروم وصاحت فيهم وبربرت بالرومية وقالت ايش هذه قلة الأدب والخدمة التى لا تصلح إلا للعبيد من العرب ويلكم ما هؤلاء ملوك الأرض وقد أخذهم السهر واجتمعت الخلق حولهم ما تفرق منهم أحدوهم صحاة املؤا الطاسات وديروا الفنانى وقد مضى أكثر الليل وتعبدوا المغانى ثم أخذت بيدها طاس وكاس ودارت تسقى الناس وتفتن بحسنها كل قسيس وشماس وكل خزان وقرناس وشال الملك يهودا رأسه فنظرها فى حلة سوداء

وجبينها يلمع بالأنوار وهي مثل البدر في غياهب الاعتكار بخد أحمر. وطرف فاتر يسحر وشعر منسدل غير معفر وأرداف ترتج مثل البحر إذا ذخر وخصر قد لمه الزنار فاختصر وهي تفتن كل من اليها نظر (قال الراوى) وكان الملك قد سكر فلما سمع صوتها واليها قد نظر فصحا من سكره وانبهر وقال ماهذه النصرانية صورة بشر وحق الشيم لقد صدق نبي المسلمين وماقصر إذ يقول إن الحسن في الروم فان فاتني هذا الشباب في هذه الليلة ما أنا إلا محروم ثم صاح بعذيبه فأتت إلى بين يديه ونقلت خطاها وهزت أعضاها حتى وصلت وتمخطرت وقالت ماتريد أيها الملك الكريم فقال مااسمك ياولدى قالت مقشيلس فقال الملك ما أنت إلا فتنة للناس ياولدى هاهو صاحبك قد نام موضعه من شدة السكر وأنا كنت كذلك نائم بين الجماعه الى أن دخلت أنت في هذه الساعه ياحبيبي اسقيني هذا الكاس الكبير الذى في يدك وديره على كل من في المجلس وكل من لايشرب ادفعه بأكتافه واخرة ولاتراعى أحدا لامن القيام ولامن التعود ولامن النصارى ولامن اليهود حتى يخلوا لى ولك هذا المكان وأوهبك شيئا تفتخر به على الغلمان وان كان يمكنك النيام فابشر بما هويت فقالت عذيبه وقصغت الى كلامه أنا يامولاى ماأبات عندك إلا على شرط لاتترك هاهنا أحداً وتخرجني وقت السحر حتى لايعلم بأمرى أحد فيكون سبب انقضاء عمرى فقال الملك لاوحياتك ما أترك أحداً يبات في السرادق إلا أنا وأنت نتباوس ونتعانق اسق أنت الناس حتى يغفلوا وأنا أصيح في الباقى يخرجوا وأول ما أخرج ملككم وصاحبكم ثم صاح في غلمانه وقال قدموا بغلتى الخاص واحملوا الملك إلى خيمته فدارت به بطارقته وأرباب دولته فأراد البطال أن يتبعهم نخاف على ابنته ووقف يبصر الملك يهودا وعلى أى شيء تنفصل نوبته وأما عذيبه فانها دارت على الناس وأسقتهم بذلك الكاس وقد وضعت فيه من ذوائبها الذى إذا شربه إنسان نام ثلاثه أيام فما كانت إلا ساعة حتى تقلعوا الجماعة ومافيهم إلا من قام وهو محمول وهو لايدرى مايقول وأكثرهم نقلوا على أكتاف الغلمان وهم لايدرون ماصنع بهم الزمان وكانت عذيبه كلما خرج واحد وأخذه غلامه تقول لأبيها انفذ ياأبتاه خلفه من يذبحه من قفاه ففعلوه بسائر مشايخ اليهود ولم يبق في السرادق غير الملك يهودا والجوقار فأتت عذيبه الى الملك وقالت أيها الملك بحياتى عليك اشرب هذا الكاس ونام فقد قتلك النعاس فأخذ الملك القدح وقبله وقد امتلأ قلبه بالفرح ولما شربه تثاوب والى الأرض انقلب وأيضا فعلت بالجوقار وجعلوا الاثنين يخطون كأنهم التيران ولما رأت عذيبه الى ذلك خرجت من باب السرادق وقد صفرت وكانت هذه علامة بينها فأتى أبوها وأخواتها. وقال أبوها ماعملتى يابنيه قالت عملت مايجب علىّ وهذا الملك قد تبنج ومعه ذلك التيس الآخر

الجوقار صاحب العمامة الذى قد نام نومة الى يوم القيامة فان كان لك تدبير فى حملهم فافعلوا وان ذبحتهم فاذبحهم فقال أبوها لا يا بنيه لقد ذبحنا الليلة ما فيه الكفايه أنا وأخوتك جزارين اليهود ونريد نحمل الكل الى بين يدى الأمير عبدالوهاب ونرى عند الصباح كيف يكون التدبير ثم حمل البطال الملك وحمل مذبحون الجوقار ولف كل واحد خصمه فى دراج بعد ما كتفه وخرجت عذيبه من ورائهما كأنها البدر الوهاج ورؤوهم الحراس صاحوا عليهم من تكونوا وما معكم يا مقلياس قالت عذيبه هذا ما أوهبنى الملك اياه لأجل خدمتى له الليلة الى هذا الوقت وهؤلاء غلمان يحملون معى وقد أحالنى بذهب فى غداة غد يعطينى إياه ولكم فيه القسم الأوفر فقالوا اليهود وحق التوراة نستاهل أن نأخذ الأنفس لأنك كنت الليله جمال المجلس فشكرتهم عذيبه وسارت خلف أبوها حتى خرجوا من العسكر فالتقوا بالحصين وبديع وساروا الجميع حتى وصلوا الى عسكر الأمير وهم يتناوبون على حمل من معهم ولما قربوا من حرس المسلمين عرفوهم وقالوا للبطال ما معك أيها الأمير قال معى حويجة للأمير عبدالوهاب ووصلوا الى خيمة الأمير فوجدوه فى الانتظار له ولأولاده وقد اشتغل بهم فؤاده فلما رآهم انشرح وزال ما بقلبه من الترح وقال يا أبا محمد ما معكم فى هذين الكاريتين فقال أعجب ما تراه من البطال وأولاده افتح وابصر ما تقر به العين ففتح الأمير الكاره الواحد فرأى الملك يهودا مثل المقتول وفتح الآخرى فرأى الشيخ الجوقار وقد تقايا على صدره وهو محمول فضحك الأمير وتعجب وقال من هؤلاء يكونوا مشايخ اليهود وكيف صنعت حتى وقعوا فى يدك هؤلاء القرود فقال البطال أما هذا فهو الملك الكبير وأما هذا فهو الذى يشيروا اليه بنو اسرائيل بالتعظيم والتوقير وأريد الليلة أصنع بهم صنيع يذكر ما بقى الشمس والقمر وأخلص بهما الأميره ذات الهمه بعد أن لا يبقى من عسكر النصرانيه باقيه فقال الأمير كيف تفعل قال يا حبيبى اصبر ترى العجب ثم أرسل خلف طمطم وطماطم وقرقود وباغض رأسه وآكل مداسه وملاكم الريح وأبو سطنح وتمام الخمسين فارس من السودان ولما حضروا قال لهم خلقوا ثيابكم واكشفوا رؤوسكم قالوا لماذا ذلك قال لهم سرقت ملك اليهود وأريد الليلة أطير عقله بكم حتى يكون غدا خلاص الأميره ثم خلع بعضهم ثيابه حتى عاد مثل ما ولدته أمه أو بعضهم جعل فردة سراويله فى كتفه وبعضهم أرخاهم فى رجليه بعد أن خلع ما عليه وبعضهم طراطير بأجراس وبعضهم بفروة مقلوبة ولما فرغ من تصنيعهم أعطاهم السندروس ودقائق الشمع وقال لهم اجعلوا هذا فى أشداقكم إذا رأيتم الملك يهودا قد أفاق ومعه هذا الشيخ الآخر شيخ النفاق فتقدموا بين أيديهما وانفخوا فى وجوههم السندروس والطموهم بأياديكم اللطاف على الرؤوس ودكوا الدبادب وحركوا

الأجراس وأظهروا لهم الجنون والوسواس وتراقصوا بهذه الطراطير وانهقوا مثل ما تنهق الحمير وطيروا فى هذه الليلة عقل الاثنين وعضوا آذان الملك كلما نعدم وأظهروا من جنونكم كلما تقدرون عليه فقالوا سمعاً وطاعة هات أنت وابصر من أصناف الجنون ما يخرج من قلبهم دين اليهود ولو أنهم صحبوا موسى وهارون فضحك البطال وأخذ الخل الحادق والسيرج وجعله فى مناخيرهم والماء البارد على وجوههم فانقلبوا وتقايو البنج وفتحوا أعينهم إلا أن السكر فى رؤوسهم ونظروا إلى السودان حولهم بتلك الحالة فطارت منهم العقول وجعل الملك ينظر يمين وشمال ولسانه لا يطاوعه على الكلام ولا يدرى ما يقول هذا والسودان يتراقصون مثل العفاريف ونفخوا النار بدقاق الشمع والكبريت ودقوا بالدباب وحركوا الأجراس وصاحوا صياح منكر حتى أزعجوا الناس فانقلبت عيونهم وثار جنونهم وساروا يسحبون الملك ويلطموه ويعودوا إلى الجوقار ويصفعوه وهم يجتمعون من شدة الفزع ويتململون وينظروا إلى الخيمة وهى كلها نار تشعل وطارت دونهم الألباب وخيل لهم أنها ليلة الحساب والعقاب وصاروا السودان كل واحد يحمل الملك ويلحقه الآخر ويلعبوا بهم لعب الأكره حتى خمدت منهم الحواس وبردت الأنفاس ولا بقى فيهما من يقدر يصيح بل عينه مفتحه وهو لا يتكلم فلما علم البطال أنهم أخذوا حاجتهم وبطلت حركتهم أتى إلى عند الملك وفى يده قدح وصاح فيه وقال له اشرب أيها الملك حتى تستريح من هذا التعب وذلك العذاب فما هو الا أن شرب القدح ورجع انطرح وفعل بالآخر كذلك بالدراجين الذى أتوا بهما وكتب كتاباً وحطه إلى جانب الجوقار وحمل واحد ومذبحون واحد إلى أن وصلوا إلى العسكر وقد صار وقت السحر وهم كلهم خمود وركود من شدة السكر والسهر ودخل إلى السرادق وولده من ورائه ونزلوا الاثنين على السرير وهما مثل القتلا وعادوا على أعقابهم (قال الراوى) ولما أن انقضى الليل وأصبح الصباح وانتبهوا اليهود إلى الخزانين للسلام فوجدوهم كلهم مذبوحين فى الخيام فصاحوا وبكوا وانتحبوا وقالوا وحق موسى الكليم ما فعل بعلمائنا إلا النصرانية لأنهم قتلوا مشايخ ديننا وعلماء ملتنا ثم انهم ساروا الى سرادق الملك ودخلوا اليه فوجدوه على على تلك الحالة فنبهوه فلم ينتبه وكلموه فلم يتكلم وكذلك الشيخ الجوقار ولا يحسوا بأحد ولا يدروا من قام ولا من قعد فقالوا وحق الشيم لقد تم علينا ما تم على أحد ولا بشر وقد ذبحوا مشايخنا ذبح البقر وملكنا لا يوقر وهذا الشيخ الآخر وما فى الأمر إلا أننا نقيم حتى نصحح الخبر فان كان هذا من فعال الروم صبحناهم صباح ميشوم ثم انهم أقاموا الى أن تضاحا النهار وإذا بالملك

انقلب على جنبه وتقايا البنج وفتح عينه إلا أنه عليل مما جرى عليه فأقعدوه غلمانه والحجاب وسندوه وهو مثل المجنون المصاب فقال له موسم الكليم وهارون من حواليك، فحدثنا أيها الملك بما جرى عليك وتقدموا العقلاء من قومه قدامه فقال رأيت البارحه منام وأنا نائم سكران وما قات أنى أصبح منه سالم فقالوا أيها الملك ألقيه الينا حتى نحدثك نحن بما جرى علينا فقال رأيت كأنى فى خيمة من نار ومعى قوم سودان وكأنهم الزبانيه الذين ذكرهم موسى فى التوراة والأسفار وقال انهم مشوهين الخلقه عرايا وكان فى أيديهم عمد من حديد ولهم صياح مذعر شديد وفى حلوتهم الأجراس وعلى رؤوسهم الطراطير وهم يتشاهقون مثل الحمير وكلما انقلبت على جنبي يلطموني حتى أنهم أهلكوني ولما زاد بى العذاب أتانى واحد منهم بقدح من الشراب وقال لى اشرب هذا حتى تخلص من العذاب فشربت القدح فكان آخر شربى وما حسيت عن روحى الا وأنتم من حوالىّ وما أقول انى من جملة الأحياء وقالوا أيها الملك وحق السبوت ما هذا منام وانما جرى عليك هذا الأمر الا وأنت فى خيمتك لأن رقاب الخزانين قد أصبحت مذبحه وأول ما ذبح الخزان عزارو الفرناس حزقيل وأصبحت دماءهم تسيل وحل بهم ما حل بأهل الفيل (قال الراوى) فكاد أن يغشى عليه لما سمع ذلك الخبر وطاش عقله وتحير وقال من أين يكون فى خيمتى سودان وكيف قد جرى هذا وأنا يقظان والجوقار كان شريكى فى المنام نبهوه حتى نبصر هذه الأحكام فأتوا إلى الشيخ الجوقار وحركوه ولم يزالوا به حتى نبهوه فرأو فى ثيابه خراه فقالوا كلهم أفوه أفوه وأقعدوه وهو متلوث فى ثيابه وأرادوا أن يسألوه فرأوا إلى جانبه الكتاب الذى كتبه البطال فناولوه للملك وإذا فيه أيها الملك أبصر قدر ما عملت معك من سلامة نفسك من الحمام وكيف رددتك إلى الخيام بعد ما حصلت عندنا فى وسط عسكر الاسلام وما فعلت معك ذلك الجميل إلا حتى تخلص صاحبتنا التى عند الملك الاقريطش فى هذه الجزيرة من العقال وإن لم تفعل ذلك ففى هذه النوبة أسرتك ورجعتك إلى قومك والخدم فالنوبة الآتيه أسقيك شراب الانتقام وإن لم تكون عما أنت عازم عليه ترجع وإلا كل الروم تعلم أنى أبو محمد الصميدى تسمع بذكرى الملوك وتفزع وكل بلاد دخلت اليها جعلتها بلقع وإن كنت ما تسمع بى فاسمع ومهما أردت فاصنع وها أنا منتظر منك باقى النهار فان رأيت منك خلاص النية وإلا عدت اليك عشيه ما أبقى منكم بقيه ولا رقبة مستويه وأول ما أبدأ بك يا كلب اليهوديه فلما سمع الملك ما فى الكتاب زاد عليه المصاب فقال يا قوم وكان الذى جرى فى اليقظه وحتى من خاطب موسى على الجبل ما أقول إلا أنه فى منام فقال الجوقار أيها الملك كيف يكون

منام وأنا فى رأسى صفع يكفانى عشرة أيام وأن هذا كله قليل من حيل البطال العيار المحتال ولو كان أرادها كان يصبح منا إنسان لأنى سمعت بهذا الشيطان وما يفعل فى بلاد الروم مع أهل الصلبان والصواب أننا نجيب الرجل إلى ما قال ونخلص المسلمة من الاعتقال وإن أبى الملك خذها منه غصباً واحمل على بطارقته بدرها شرقا وغرباً وتصير أنت ملك هذه الديار وتحتوى عليها لأن المسلمين بعد خلاص أميرتهم ما يلتقون اليك بل يعاونوك على على حرب الروم ولا تعادى هؤلاء الأقوام الذى فيهم مثل هذا الشيطان وتعود تبصر وجوه السودان ويكفينا ما لقينا على أنه فى هذه النوبه ما يبقى علينا فقال الملك أيها الشيخ ماسمعت ولا رأيت أن إنسان يسرق إنسان إلا إن كان فى ذلك الزمان من ذلك الشيطان ومن يكون هذه الفعال فعاله يجب أن يسمع مقاله (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام واذا بملك الروم قد أقبل عليهم ودخل على يهودا وسلم عليه ومعه جماعه من خواصه ومن حوله الفرسان والخدام فوجد الملك يهودا جالس وحوله أرباب دولته فقاما الى الاقريطش على الأقدام وأجلسه وعاد عليه ماجرى وأخبره بالذى رأى وقال ما بقى فى الأمر الا أن تسلم هذه المرأة التى عندك مأسوره والا خربوا هؤلاء الشياطين بلادنا وملكوا الجزيرة منا فضحك الملك الاقريطش من كلام يهودا وأصحابه اليهود وقال وحق المسيح ما هذا الاعقل مفسود وحق الصليب لو أنى فى عشرة من الفرسان ما سلمت هذه المرأة التى عندى وديعة بأى وجه أرجع انظر الى الملك ميخائيل فقال يهودا وما أتركك تحفظ وديعة ميخائيل ويقع الفنا فى بنى اسرائيل وأصبح أنا فى سرادقى قتيل وحق موسى ابن عمران ما ترجع تخرج من هذا المكان الا بالمرأة أميرة المسلمين والا أفنيت أنا واياهم عبدة الصلبان فلما سمع الملك الأقريطش ذلك الكلام صاح فى بطارقته الذين معه وقال دونكم وهؤلاء اليهود الذين عليهم الذلة والمسكنه قطعوهم بالصوارم قطعاً فلو علمنا أنهم ما ينصرونا والا أرسلنا الى جزائر الروم القريبه وأفنينا هؤلاء المسلمين فتبادروا البطارقه بالسيوف البارقه وزعق يهودا فى أبطاله ونادى فى حجابه وتقابض هو والملك الأقريطش باليدين وتعاركوا بالزندين ووقع بينهم السيف وخافوا على بعضهم كل الخيف وانعقد الصباح وعملت الصفاح وسمعت الروم فهجمت بعد أن ركبت خيلها اليهود والتقوا الروم واليهود وصارت الدماء تسيل والمنايا عليهم تميل والرقاب تضرب والدماء تنسكب والجموع اختلطت والرجال قد فطرت والمنايا من الطائفتين قد انبسطت (قال الراوى) ونظر الأمير عبد الوهاب الى ذلك المصاب فركب فى السودان وبنى كلاب وعول أن يحمل على الجميع فمنعه البطال وقال اتركهم

حتى يشربوا من بعضهم شراب الفنا ويبذلوا فى بعضهم السيف والقنا ويتمددوا على وجه الأرض والسرى وميلوا أنتم على الروم وقد قضينا الأمر المعلوم وخلصتم فاطمة بنت مظلوم فقيل للامير ذلك المقال ودام بين الطائفتين القتال حتى عبر نصف النهار وقد قتل من الطائفتين خلق ما يقع عليه عيار وعولت الروم على الفرار لأنها سمعت الصياح من ناحية سرادق الملك يهودا قد علا واليهود ينادوا يا ويلكم يا معاشر النصرانيه عن من تقاتلون وهذا الملك قطعناه وبضعناه ورأسه على الرماح رفعناه وكل من كان أتى معه هبرناه وكان السبب فى ذلك أن الملكين لما تقابضا فى وسط السرادق وصاح كل واحد منهما على رجاله وطلب منهما الاعانة وقبض على خصمه وشابكه وعاركه وكان يهودا جباراً لا سيما وهو فى سرادقه وبين أبطاله وأصحابه وصاح فى الاقريطش وجذبه اليه وسل من وسطه سكين صغير مثل البرق وضربه فى فؤاده أعدمه رشاده ومالوا على من من كان معه من البطارقه ورفعوا رأس الملك على رمح وركب الملك يهودا ونادى المنادى من قوله على الروم بما تقدم ونظروا الى رأس ملكهم فعلموا أن ركنهم انهدم فتمطعت ظهورهم وحاروا فى أموالهم وعولوا أن يطلبوا الى الجزيرة فصاح الأمير أبو محمد البطال فى عساكر الاسلام وقال للأمير عبدالوهاب احمل أيها الأمير فى هذه الساعه بالناس وكبروا للملك المعبود وابذلوا السيف فى النصارى واليهود واحرصوا أن تكونوا من الجانب الذى يلى الجزيره وتملكوا عليهم الطريق الى جزيرتهم ولا تتركوا يعبر عليكم أحد ولا تبقوا الا على من يتشهد ويقر برسالة محمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يضيع تعبكم وادخلوا الى تلك الديار وتبلغوا منا كم من الكفار فعند ذلك حملت الفرسان وأبطال الايمان وضجوا بتوحيد الملك الديان الذى لا يشغله شان عن شان وصلوا على سيدنا محمد سيد ولد عدنان وقد حملوا عليهم وقد خذلت من الكفار المناكب وكلوا من المضارب فبذلوا فيهم المؤمنين القواضب وهمهمت السودان مثل السلاهب وحملت فرسان العرب من كل جانب وقويت فرسان المسلمين بعد ضعفها ولم تنظر الرجال من بين يديها ولا خلفها ولم تكن الا ساعة حتى ملكوا عليهم طريق جزيرتهم ومسكوا عليهم طريق رأس المضيق وحملوهم من البلاء ما لا يطيق والقتلى طرحوها على وجه الأرض ومددوهم طولا وعرض وأذاقوهم السودان كؤوس العطب وتناخت سادات العرب ولم يبق من الروم الا القليل ورأوا أرواحهم ما لهم الى الخلاص من سبيل والسودان قد بذلوا فيهم السيوف والكبير قد أذهلهم وذكر الله قد أزعجهم فما كان

لهم إلا أن قالوا الأمان الأمان ورموا من أيديهم السيوف والصلبان ومالوا الى جند الرحمن وهم يكبرون الملك الديان وقد نظر الله اليهم وفتح عن قلوبهم أقفال الطغيان وهدى منهم من أراد الله أن يجعل له شان ولم يأتى آخر النهار حتى خمد حس اليهود ووقع الأمير بملكهم فصدمه صدمة الأسد الأدرع فتلقاه يهودا كأنه النمر الصمبدع فلله در الامير ما أنجبه فما طال بينهما المقال حتى عن جواده كركبه . وبعد ذلك زاد الفناء فى بنى اسرائيل وعمل الصارم فى ظلام الليل وقل القوى والحيل وأهلك الله خلق كثير ولم يسلم منهم إلا اليسير وما أصبح على المسلمين الصباح إلا وهم فى غاية السرور والأفراح وقد نهبوا من الأموال والرجال وأبادوا الابطال والاقيال وبلغوا غاية الآمال ولم يترك الأمير أحدا ينزل حتى عبر الى الجزيرة وكله من شوقه الى الاميرة ولما صار فى البلد دخل الى القصر والروم الذين أسلموا بين يديه بعد مارفعوها من بعض المطامير وهى فى غاية الذل والتعتير ولما رأت وجه ولدها الامير عبد الوهاب ونادت سبحان الجواد الخبير الذى يسر بمجيئكم من غير تأخير ثم انها انكبت عليه تبوسه وتقول ياولدى الحمد لله الذى جمع بينى وبينك قبل الممات وردك علىّ رداً جميل ياولدى كيف سبب الله ذلك الاسباب وأوصلك الى هذه المواضع المنقطعة الخراب فأعاد عليها الحديث ودموعه تجرى مثل السحاب وأخبرها بما قاسى وما جرى عليه وعلى أصحابه وما بقى من الامراء أحداً إلا واعتنق الاميرة وفاضت الدموع من عينه (قال الراوى) وبعد ذلك قدم الملك يهودا الى بين يدى الامير وأعرض عليه الاسلام وقال له تكون صاحب هذه البلاد والحاكم عليها وعلى من فيها من العباد وأنا أكون على من خالفك من الاعداء والحساد ومالى عليك غير الاقرار برسالة محمد صفوة الجواد وإن أبيت ذلك سقيتك شراب الحمام ياساده ياكرام فقال يهودا ياأمير أناأشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وإن تركتنى فى هذه الارض فما أكون إلا مثل بعض الغلمان بين يديك وكلمااجتمع شىء من الاموال حملته اليك فقال لاوالله بل تكون أنت صاحب هذه البلاد ولك مالها والاطلال ونحن مانريد غير الاسلام ثم خلع عليه وسلم أمر الجزيرة اليه وأقاموا الذين أسلموا عنده من جملة الرجال بين يديه وكان مقامهم فى بلادهم لاجل نسائهم والاولاد وأقام الامير بعد ذلك ثلاثة أيام وعول على الرحيل بعد ما أخذ من القصر هدايا وأموال تعجزعن حملها الجمال والبغال ورحل يطلب بلاد الاسلام وقلبه طائر الى بلاد الثغور ومايدرى ماقد جرى بعد من الامور إلا انه فرحان بخلاص أمه الاميرة ذات الهمة غاية الفرح والسرور (قال

الراوى) هذا ما كان من الامير (وأما ما كان) من ملطيه وبلاد الثغور فان القاضى عقبه بعد مضى الامير كتب الى القسطنطونيه لميخائيل كتاب يقول فيه أيها الملك الى متى هذا التقصير عن الغزو الى بلاد المسلمين لأنها بقيت بلامدافع ولاممانع حتى أسلمها اليك لان عبدالوهاب فى سائر السودان وبنى كلاب يطلب خلاص أمه وما أدرى كيف عرف مكانها على أن الأمر جاءنا على مانريد لأن الثغور خلت والفرسان منها ارتحلت فأسرع فى السير لعل المسيح أن يسهل أخذها (قال الراوى) ولما وصل ذلك الكتاب الى ملك الروم وقرأه وكانت عساكره اجتمعت كما ذكرنا من سائر الاقاليم فنادى فيهم بالرحيل وقال وحق المسيح مادام ان عبد الوهاب غائب عن الثغور وعسكره معه لاأرجع حتى أطأ الرقاب برجلى وأدوس الأعناق وان ملكت البلاد جعلت سرير ملكى فى بغداد آخذ الأهبة بعد ثلاثة أيام وقد دقت النواقيس وتجاوبوا بقراءة الانجيل كل راهب وقسيس وقصدوا الى ملطيه وقد اهتزت الأرض بكثرتهم وكانت جريدتهم لخمسمائة ألف لأن الملك رحل على عجل وكتب الى باقى الملوك أن تجتمع وتلحقه الى ملطيه ويكون الاجتماع على الثغور هنالك يكون التدبير لأنكم ماتصلون الىّ حتى أفتح الثغور وبعد ذلك أدخل بكم الى بلاد العراق وكذلك كتب مارس الحاجب الى عمرو بن عبيد الله بمسير الملك ميخائيل ويقول له اكتب الى خلفائك واجمع بنى عمك وقومك وابصر كيف نحمى الثغور (قال الراوى) ولما وصل الامير عمرو الكتاب جمع بنى سليم من حواليه وأرسل الى العرب من الحجاز فأتت اليه فرسان بنى سليم الكاشفين الضيم وما لحق ملك الروم أن يصل الى بلاد الاسلام حتى تكامل فى ملطيه مائة ألف عنان ففرح عمرو فرحاً شديدا وشاورهم فى مكاتبة الخليفة فقالوا مانحتاج الى ذلك ففينا الكفاية لملك الروم ولو أنى فى عساكر بعدد النجوم فشكرهم على ذلك وأنفذ الامير عمرو الى قلعة المنجنيق الى الدينارى أن ينزل اليه هو والسودان الذين عنده فأرسل الدينارى يقول أنا ماأقدر أنزل من القلعه الذى سلمها الىّ الامير عبدالوهاب بل أحميها جهدى وطاقتى ولا أسلمها حتى تدهمنى منيتى ولما وصل الجواب الى الامير عمرو قال أذل الله بنى كلاب وأبعد السودان ولا أبقى الله منهم على وجه الارض إنسان ولما كان من الغد ركب الامير عمرو الى الميدان وهم أن يعرض العساكر واذا بالسماء قد أظلمت جنباتها ونصب الغبار خيام العجاج على أبواب سماواتها وهربت الوحوش من وكراتها وأقبلت الجيوش كأنها الثلج المنحدر والجراد المنتشر وبانت الفرسان وظهرت الصلبان ووقعت أهل الكفر على أهل الإيمان كأنها البرد وبان الكتمان وظهر عسكر الروم فخيل للناس أنه قد نفخ فى الصور

وخرجت أهل القبور ووصلت الافرنج فى الكتائب والمواكب وطبقت الارض بالمضارب وذلك العسكر وبعدها بان الصليب الأكبر وهو من الذهب الأحمر وعلى رأسه رمانه من الجوهر وأشرف الملك ميخائيل وعلى رأسه التاج والاكليل وقدامه ألف غلام جرد وألف فرس أبلق عليها جلالات ابريسم والبترك الى جانبه وبين يديه القساقسه والمطران والجاثليق والرهبان وأبصرت بنى سليم الى شر ما كان لها فى حساب وتأسفوا على الأمير عبد الوهاب وأيضاً على السودان الانجاب وقالوا الصواب أننا ندخل الى ملطيه ونغلق الأبواب ونكاتب الخليفة بأن يلحق البلد من قبل أن يملك وأيضاً نحن نهلك فقال الأمير عمرو ما هذا صواب ندخل البلد من غير قتال ولا ضراب وكان عقبه الى جانبه يقرأ القرآن ويمجد الرحمن وكلما رأى الصلبان طار قلبه من الفرح والهيمان ويقول فى سره يا مسيح مد فى عمرى مدة من الزمان ولما رأى الى فزع بنى سليم قال يا قوم لا تفزعوا وتولوا الأدبار فتحرموا من دار القرار وتغضبوا محمد المختار فثبتهم الملعون للقاء وبغضهم فى البقاء وكان قصده بذلك أن لا يسلم منهم أحداً (قال الراوى) فبينما هم كذلك وملك الافرنج حمل عليهم فى أربعين ألف قنطاريه وتبعه ملك البرغل فى ثلاثين ألف وبعدهم حمل ملك الانجار فى خمسين ألف وانطبقوا على بنى سليم كأنهم البحر الزاخر ليس له أول ولا آخر وارتفع على الطائفتين القسطل ولاح لبنى سليم الأجل وبطل منهم الأمل والعمل وعملت السيوف فى أعلى القلل ووقع بالجبان الخبل وقد طارت من الخيالة جماجمها ووقعت من الخيل قوائمها وانحلت عزائمها وبطل من الرجال عزائمها ودار ملك الموت بالمنية يسقى كاسها لمن نفذت فيه رزاياتها ولبست الأرض حلة أرجوان وصارت مصبوغة من دماء الفرسان فياله من يوم عبوس عثرت فيه الخيل بالرؤوس وقطعت ثمور النفوس وتفطرت فيه المراير وبلغت الأرواح الى الحناجر وخرست الألسن وشخصت الأعين وأسروا جماعة من المسلمين ولما صار وقت المسا زاد على المسلمين الأسى وكثر الوطيس وتزعزع جيش بنى سليم واستقبل الى الثغو رصدورهم وعملت السيوف فى ظهورهم حتى صاروا من تحت الأصوار وأحموهم النساء من البلد بالأحجار وعقبه ينادى يا معاشر المؤمنين لا تولوا الأدبار ولا تشمتوا بنا الأعداء الأشرار (قال الراوى) وعند المساء فى تلك الليلة كتب الأمير عمرو الى الخليفة يعلمه بالقصة ويقول له يا أمير المؤمنين الثغور أصبحت محصوره وما كتبت إليك إلا وجيوشنا مكسوره فبادر الينا بعسكر الآفاق وإلا ملكوا ماطية وساروا إلى العراق ومن الغد

أنفذ الكتاب على جناح الطائر وصف الكتائب قريب من الصور وقال يا بنى عمى ما بقى فى الأمر إلا الآن نطاولهم بالبراز فان بارزونا بارزناهم وإن قاتلونا قاتلناهم وان رأينا الغلبة ندخل إلى البلد وثارت عساكر الروم وقدملأت الاقطار وأرادوا الروم أن تحمل فأرسل ملك التكفور يعلم ملك الافرنج وهو يقول له أيها الملك اترك هذا البلد على اسمى واقطعنى إياه حتى أفتحه اليوم أو غدا أنا ورجالى وأبطالى لان معى فارس لايطاق علقم مر المذاق يقال له سراوند لايرى مثله فى سائر الآفاق فقال الملك ميخائيل افعل ما بدالك ولكن ما أعطيك منها سوى الحجاره والاطلار وآخذ أنا السبي والاموال فقال رضيت ثم زحف فى فرسانه وتقدم فى أقرانه واصطفت القنطاريات واستتروا بالطوارق ورفعوا الاعلام والبيارق وانعزلوا عن عسكر الروم وعولوا على الحملة وأسنتهم تلمع مثل النجوم وتحاوطوا بملكهم الميشوم وقال لسراوند اخرج الآن واطلب القتال والبوار والنزال ومن خرج اليك جندله على الرمال تقتل أبطالهم وتلتقط فرسانهم (قال الراوى) فلما سمع سراوند ذلك الكلام خرج الى وسط الميدان وطلب البراز والنزال وهو بعدة كاملة وآلة شامله ولما صار فى وسط الطائفتين واشتهر بين الفريقين برز اليه فارس من ميمنة العسكر على جواد أشقر عالى مضمر جيد المخبر شريف الخطوه يسبق لمح البصر وفى يده رمح أسمر من عمل سمهر وهو متقلد بسيف أبتر كثير الجوهر فجال معه ساعة وطعنه سراوند فى أضلاعه وجال عليه بسنانه والجواد وأخرج من صدره صليب وقبله ونادى يامعاشر المسلمين ابرزوا حتى تشربوا من هذا الكأس أوفى نصيب فبرز اليه أخو المقتول لما رآه على أخاه يصول وصاح عليه من فؤاد مصدوع وعيناه تفيض بالدموع فأمهله الملعون حتى وصل اليه ورمى رمحه واخترط السيف وضرب المسلم على رأسه نزل الحسام إلى حد أضراسه وطلب البراز وقد وقع له هيبة فى قلوب الفرسان وصار كل من خرج اليه ألحقه بالآخر حتى قتل خمسة عشر فارس من الشجعان وهو قائم فى الميدان فضجت عساكر أهل الإيمان فقال الامير عمرو بن عبيد الله أنا أنزل اليه وأتوكل على الله ثم انه عول على الخروج اليه والناس يتباكون بين يديه وإذا بفارس قد خرج من عسكر العرب المنتصره عليه أطمار رثة وعمامة خلقه وفى يده رمح مشدود بالعصب مائل وفى عنقه سيف خلق الحمائل إلا أن تحته حصان من حصل فى ظهره كان فى أمان وان الفارس لما قفز إلى الميدان وساوى سراوند فى مقام الجولان وصاح ارجع يا كلب النصرانية والصلبان فقد أخذت وحدك طابق الجولان ولا تدع غيرك يباشر حرب

ولا ضراب (قال الراوى) فلما سمع سراوند من البدوى هذا الكلام زعق عليه وطار الشرر من عينيه ونقط الدم من منخريه ونادى بالبدوى دونك والطعان والضرب بالسيوف اليمان يا نذل العربان ثم انه انطبق عليه انطباق الغمام من غير جواب ولا كلام ولعب بالسيف حتى حير الفريقان وغابا الاثنين تحت الغبار والقتام وأخذوا المسلمين فى الدعاء للبدوى من غير معرفة وقالوا عسى أن يريحنا من ذلك الشيطان وكذلك قسوس الافرنج جعلوا يدعون لفارسهم هذا يجرى والفارسين لا يسمع منهم إلا الصياح والجؤار ولم يزالا على ذلك ساعة من النهار وإذا بزعقة عظيمة من تحت الغبار فرمقوا الفريقين لها بالأبصار وإذا بالبدوى قد صاح بالافرنجى وهاجمه مهاجمة الأسد الريبال للأبطال الصناديد ورأى ماعليه من كثرة اللباس والزرد النضيد فأخرج من تحت فخذه عامود حديد بعد مارد السيف إلى غلافه وعلم أنه ما يقطع ولازق خصمه وضربه قسم خرزة ظهره وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار ولما وقع كبرت المؤمنين الأبرار ووقعت الخذله على القوم الكفار وحمل البدوى على طائفة الافرنج ودعس فيهم كأنه الأسد الأدرع وجعل ينثرهم من على ظهور الخيل نثر الورق وهجم على الكتائب فمزقها فتجافلوا منه وخبلها وصاروا يتجنبوه ولا يقربوه ونظر الامير عمرو الى ذلك فصاح وقال يا بنى عمى انصروا من نصركم وأعينوه كما فرج عنكم هنالك حملت المسلمين وجردت سيوفها وشرعت رماحها وعمل السيف أوفى عمل ومن غيظ ملك الروم ماحمل ولا مكن أحد من الحملة لأنه لما رأى ذلك خرج من العرب المتنصرة وعمل ماعمل نخاف الملك أن يكون فى عسكره من يخامر عليه فوقف عن الحملة وقال لعن الله العرب ومن يبغى قربهم أو يشتهى يبصرهم لأنهم ما يميلون إلا لجنسهم لأن الواحد لو أقام عندنا ما كان قلبه يميل إلينا (قال الراوى) هذا والسيف يعمل إلى الظلام وأشرفت الافرنج على الانخذال وعادوا بنو سليم إلى حول ملطيه وعاشت أرواحهم بعد الممات بما فعل ذلك البدوى فى هواهم وبذل روحه فى رضاهم وقالوا نريد نغمره بالعطايا ونجعله من خلفائنا فداروا يفتشوا عليه فما وجدوه ولا نظروه فقلقوا على قلة معرفته واشتهوا أن يعرفوا قصته وأما عقبه انفطرت مرارته وزادت حسرته ووقع به الخذلان وزادت به الأحزان وقال وحق المسيح ماهذا البدوى إلا شيطان ولولاه مابقى من بنى سليم ديار (قال الراوى) وأما ملك الروم فانه لما نزل فى سرادقه قال ائتونى بأمير العرب المتنصره واسألوه عن هذا الرجل الذى فعل اليوم هذه الفعال وفتك فى طائفة الافرنج وأوقع بهم الخبال فأحضروا

أمراء العرب المتنصرة وسألوهم عنه فقالوا وحق المسيح مافينا من عرفه ولا رأينا
هذه الصفة بيننا إلا ان كان هذا اليوم فضاقت أخلاق الملك وندم على من قتل من
الافرنج وقال غدا أفتح باب الحرب بنفسى وباتوا الناس يتحارسان بعضهم من بعض
حتى أصبح الصباح وتبادرت الرجال الى خيولها واعتقلت برماحها واشتهرت نصولها
وضاقت الارض بما رحبت وأدوت الطبول لما ضربت وأيقنت النفوس أنها عطبت
واصطفت صفوف المشركين وتزينت بالتوحيد كتائب المؤمنين ورفعت الروم الصليب
الأحمر على العلم الأخضر والأصفر وله مائة حبل من الابريسم الأحمر والأصفر وكل
حبل فى يد فارس غضنفر وهمت الفرسان أن تنطبق على بعضهم وإذا بالبدوى خرج
من عساكر العرب المتنصرة وهو بتلك الزى والهيبة والصولة والركبه وصال وطال
وجال وطلب النزال فقال الملك من أين أتانا هذا الشيطان وحق المسيح لاتحملوا عليهم
حتى تأخذوه وإن كان من أصحابنا فاعرفوه لاتكون العرب المتنصرة خامروا علينا
ويكون هلاكنا من أيدينا اخرجوا اليه فارس لفارس لعل أحداً يظفر به ونبصر هذه
القصة كيف هى (قال الراوى) وكذلك عمرو بن عبد الله قال لأصحابه : أتبين
من هذا الخبر حتى أدفع عليه عدة مانعة غير هذه العدة وأستميل قلبه لعله أن يكون
معنا ويساعدنا على هذه الشدة فمضى فارس من عنده الى ذلك البدوى وقال يا أخا
العرب احضر الى عند الامير عمرو حتى يخلع عليك فقال البدوى أنا ما أريد من أحد
خلعة ولامال ولا أطيع إلا صاحبى الذى منّ علىّ بالافضال فماد الرسول الى عمرو
وأخبره بذلك المقال فلم يجد له صبرعن معرفته فقفز اليه بنفسه وقال له يافتى من أنت
من أبطال المسلمين ولم لا تميل الينا وتكون مع جملة الموحدين ونكون جميعا على
الأعداء نستعين فقال البدوى بصوت ذعر خشن غليظ أيها الأمير أما قولك اختلط
بنا فما لى قدرة على ذلك لأنى موصيا بوصية لا أقدر أخالف صاحبها ولا أنقض عهده
وأما معاونتكم فسوف أبذل فيها المجهود وأعمل ما أقدر عليه طاعة للملك المعبود وان
كان ولابدلك من معرفتى وحقيقة صفتى فأنا يقال لى الدينارى وأنت تعلم أن الأمير
عبد الوهاب قد أوصانى بقلعة المنجنيق وقال لى احفظها ولاتنزل منها وأنا قد خالفته
وطلبت وصرت أنزل كل يوم فى وقت السحر وأختلط بالعرب المتنصرة وأعينكم عليهم
فى القتال فى النهار وأرجع الى القلعه عند اختلاط الظلام وان فارقتها أخاف أن يتم عليها
أمر من الامور وأبقى فى عين النقص عند مولاى الامير عبد الوهاب (قال) فلما سمع
الامير عمرو بن عبيد الله فرح وعاد عنه وهو فى مقام القتال وكان أول من التقى به عقبة

اللعين لما فى قلبه من النار على ذلك الفارس الذى أباد الكفار وقال له ياابن العم من يكون ذلك الفارس الصنديد الذى نصر الله به دينه فقال له هذا الديناري غلام الامير عبدالوهاب الذى سلم اليه قلعة المجنيق وأوصاه بحفظها فقال الحمد لله الذى خرج منه هذا المخرج والله انه كان سبب الفرج ثم قال ياربا انصره ولا تخذله واكتب لمولاه السلامة والينا أوصله قال ثم بعد ذلك رجعوا الى الموكب ووقفوا ينتظرون الدينارى ويدعون له بالنصر من العزيز البارى وبعد ذلك تناخت بطارقة الروم وصارت تخرج اليه من فارس وفارسين ويدخلون معه تحت القتام ولا يطول لأحد معه مقام بل يطرحهم الى الأرض بالسيف والهندام (قال الراوى) فقتل ثلاثين بطريق بضربات أشد من الحريق وكان عقبة كلما قتل واحد من الروم أحس أنه انقطع عرق من مفاصله ومن شدة غيظه دمعت عينه الصحيحة وكل من رآه يقول ياأخوانى العين تبكى من الفرح مثل ماتبكى من الترح (قال الراوى) وملك الروم كاد أن يغشى عليه وقال وحق المسيح أشتهى أن أعرف هذا الفارس من يكون من العرب المنتصرة حتى كنت أشاركه فى ملكى وأقاسمه فى نعمتى وإن خرج اليه أحدا وأراحنى منه زوّجته ابنتى وجعلته يتصرف فى ملكى (قال الراوى) فما تم الملك كلامه حتى تقدم اليه بطريق كأنه الفنيق يقال له عربون وكان فاجر ملعون له عيون صغار بخلاف عيون الروم وهى تلعب فى رأسه كأنها عيون مجنون والى جنب جواده أسد فى قدر الجاموس قصير الرقبة كبير القرطوس يطير الشرر من عينه وهو أذعر أغبر بذراع أبتر مدملج مدور كلما زمجر وهدر أرعب القلوب وطربت الخيل منه وبعدت عنه وهى متأخرة الى ورائها وأن ذلك الفارس الرومى لما تقدم الى الملك قال أنا أخرج اليه وآخذ منه المعاطس وإن أردت قدمته اليك بيدى وتعطينى توقيعا ببلدى فقال ومن أين أنت ومن تكون بلدك فقال جزيرة الدوارك والقلعة السوداء واسمى عربون ولقبى متغرب الرجال لأنى مذ ملكت عقلى أدور على السباع وأصطادها بيدى ولا أبيت إلا فى داخل الاجمات وانما هذا الاسد تربى معى أخذته من صدر أمه وأعجبنى خلقته فربيته مع مهرى هذا وما أخرج قط إلا وهو معى وهو أعز من أخى وقد تعود يشرب دم القتلى وأكل لحومهم وتعود النوم معى وتحت رجلى وهو الذى يحرسنى بالليل ومن هيبتى عليه مايثب على شىء إلا حتى أشير عليه أو أومى اليه وقد عولت اليوم أن أشبعه من لحم هذا الفارس وان أردت تركته يحمله إلى بين يديك بفمه فقال الملك وقد تعجب من كلام البطريق : لا يا أخى ائتينى به أسير وأنا أكتب لك منشور بما طلبت فعندها ساق البطريق وجاء الى الميدان والأسد يجرى فى عراض الحصان فى الجولان

وكان الدينارى قد غير جواده وعاد يطلب الجولان كما قد ذكرنا ولما نظر إلى الفارس والأسد فى جانبه تقهقر من تحته الجواد إلى ورائه فدق بكعبيه إلى جنبي الحصان فلم يتحرك وصاح فيه فلم ينقل قوائمه بل تأخر الى ورائه من شدة هيبة الأسد فعلم الدينارى حاله فنزل من على ظهره وتقرب من خصمه وهو أخف من الوحش فى الميدان وصاح فى وجه الأسد والفارس الاثنان فأخرج البطريق عامود وهو كأنه صارى مركب فأراد عربون أن يطعنه فضرب القنطاريه طيرها أربع قطع وبقى مقبضها فى يده لايضر ولا ينفع فضرب الدينارى جواد البطريق بالعامود الحديد فى جنبه فوقع الجواد والبطريق من فوقه انصرع فداس الدينارى برجله على بطنه وإذا به قد انفقع ودار بعد ذلك إلى الأسد وهوقد زمجر وهمهم وضرب بذنبيه الى جنبيه وقد صارت كالجمر اما فى عينيه والدينارى طلبه وصاح عليه وهجم وقد أرمى العامود من يديه والناس قد ضجوا وجعلوا ينظرون اليه والمسلمون يدعون له ويصلون على محمد صلى الله عليه وسلم وعقبه قد انفتحت عينه الصحيحة وخرجت روحه من بين جنبيه ويقول يا مسيح فى سره مكن الأسد من هذا الشيطان ولا تستر عليه والدينارى وثب مثل الأسد إلى شدقيه بيديه وزعق فى وجهه وتمطى بقوته وحيله فشقها إلى أذنيه وأرماه فى الميدان وعاد الى ظهر الحصان وضجت من فعاله الطائفتان وهالهم أعماله الجيشان وقبلوا الروم الصلبان قال الملك واذل النصرانيه من هذا الشيطان الذى قد فتك فى عبدة الصلبان ثم صاح الملك ميخائيل فى البطارقه فصارت تخرج اليه وهو يقبض أرواحها ويرمى على التراب أشباحها إلى أن أقبل الظلام وعاد كل قوم الى مقامهم والخيام ورجع الدينارى مع عسكر الإسلام لأجل أن العساكر لما انفصلت فما قدر يمضى الى القلعه وماصدق عقبه أن نزل فى خيمته حتى كتب كتاب إلى ملك الروم يقول فيه اعلم أيها الملك ما علمت بذلك الفارس الا ان كان فى هذا اليوم لأنه فارس أسود يقال له الدينارى وهو أخو اللملمان وأنه وصل مع الأمير عبد الوهاب الى هذه الديار فى هذه الأيام وقد سلم اليه قلعة المنجنيق وأوصاه بها وهو فى كل ليلة ينزل منها فى الليل ويفعل هذه الفعال ويرجع اليها ويختلط بالعرب المتنصره ويعبر بينهم وهم لايعلمون واليوم فما قدر يعود الى القلعه لأجل اختلاط العساكر ولاقدر يسير لأن العيون بترصده وهاهو فى سرادق الأمير عمرو بن عبيد الله ينتظر الليل حتى يعتكر ويختلط بكم ويعبر فساعة وصول هذا الكتاب اليك ترتب له ألف فارس يكونوا مكمنين من وراء العرب المتنصرة فى طريق القلعه فاذا رأوه وقد انفرد وطلبها يخرجون عليه وهو غافل ويأخذوه فاذا وقع فى يدك اعرض عليه التنصر لأنه أسود على كل حال وأرغبه فى

الأموال لعله أن يميل إلى دين النصرانيه ويكون سيفا للأمة المسيحيه وان أبى اضرب عنقه وازحف بعد ذلك واملك البلد لئلا تطول الأيام ويأتى خليفه الاسلام لأنهم كتبوا اليه من يوم نزلت عليهم وكأنك به وقد أقبل عليكم (قال الراوى) وأعطى الكتاب لولده وأمره بالمسير وقال له يا بنى شاركنى فى الثواب وأوصل إلى الملك ذلك الكتاب فأخلاه حصيصه وسار والليل قد أقبل وأسبل أزيال الاعتكار وكان الملك من أول ما نزل فى سراقه لم يتجاسر أحد أن يدخل عليه من الملوك بما جرى عليه وعلى قلبه من الغيظ وهو قابض على حسامه وهو قلقان على معرفة الدينارى وحصيصه وصل اليه والحجاب والخدام بين يديه ولما وصل اليه سلم وناوله الكتاب ففتحه وقرأه وعرف حقيقة معناه فانفرج عن قلبه ما كان اعتراه وقال لا أعدمنا الشيخ النجيح ولا أخلانا من لقاه ثم أمر بألف بطريق وخمسمائة من متنصرة السودان وضم الكل الى غيلان بعد ما حدثه بما جرى وكان عقبه قد عين لهم المكان الذى يكمنوا فيه ففرح بذلك غيلان وسار ومعه عبدة الصلبان حتى صار تحت قلعه المنجنيق وأكمن بالفرسان فى جانب الطريق (قال الراوى) فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من الدينارى فانه حضر العشاء عند الأمير عمرو بن عبد الله وأقام يتحدث عنده حتى غسق ظلام الليل وركب جواده بعدما غاص فى عدة جلاده وعول على المسير والأمير عمرو يقول بالله عليك بات عندنا حتى نبصر كيف ينفصل الحال فقال يا أمير ما أقدر أبات لأن القلعة لا نأمن عليها ولا فيها من يخلفنى ويقوم مقامى فقال الأمير عمرو فى دعة الله فسار الدينارى فى أطراف عساكر الاسلام وخرج من أزيال العرب المتنصرة وهو مستيقظ لنفسه حتى قرب من القلعه وقد أمن على روحه واذا بألف فارس قد انطبقت عليه من كل جانب وداروا به مثل السلاهب فاستلب العامود وجعل يدعس فيهم دعس الأسود وكبر باسم الواحد المعبود فزاد من حوله الصياح ومدوا اليه عوالى الرماح فما كانت غير ساعه حتى جاءت طعنة فى جواده فوقع من تحته فدارت به الرجال من كل جانب ومكان وناداهم غيلان يا ويلكم ارموا عليه الطوارق وإذا لم يسلم نفسه قطعوه بالصفاح ففعلوا ذلك وصدموه بالأتراس وهو يقاتل ويناضل حتى كلت منه السواعد ووقع من شدة الكل الزائد فأخذوه أسيرا وقادوه ذليل حقير ولما احتوى عليه غيلان أرسل قدامه بشير وكان الملك على مقالى النار من أجل الاستنظار حتى وصل الرسول اليه وقبل الأرض بين يديه وشال رأسه وبشره بأخذ الدينارى ففرح وخلع عليه وبعد ساعة دخل غيلان الشوك ووضع الدينارى بين يديه فلما نظره الملك صلب على وجهه

وهم أن يقتله فتذكر ما قال الشيخ النجيح فى الكتاب الموصى عليه بالتنصر فعاد عما كان عازم علية وقال له كم لك على الامير عبدالوهاب من الاقطاع فقال الدينارى وقد علم مافى مراده أيها الملك ماعين لى شيئامعين بل قال لى أوصيك على هذا المكان وأواسيك بنفسى إذاعدت من جزيرة السواحل وانه الى الآن مارجع ولاأدرى ما كان منه فضحك الملك وقال أماعبدالوهاب فآيس منه فانه قدهلك هو وكل من دخل معه الى الجزيرة وقدأتانى الخبر قبل رحيلى من القسطنطونيه ولولا ذلك لماخرجت الى بلاد الاسلام وأنت تعلم أن ذلك العسكر التى بين أيدينا هولك ولواشتغالنا بك كنا أنجزنا أمره وملنا على بلاد الاسلام لأن مافيهامانع ولادافع وأناوحق المسيح قدأعجبتنى شجاعتك وأحب أن أبقى عليك فادخل معنا فى ديننا وقاتل بين يدى حتى أقطعك ملوربه فى بلادالروم والموصل فى بلادالأسلام وتكون مقدما على كل أسود من أولادحام وأنت ترى مانحن فيه من الانعام وانظر الى هؤلاء السودان أبناء جنسك ماهم فيه من السعادة والنعم ولورأيتهم فى القسطنطينيه ما أفرقت بينهم وبين أولاد الملوك (قال لراوى) فلماسمع الدينارى هذا الكلام أيقن بالخلاص وقال أيها الملك وحق دينى مافعلت ذلك الفعال إلاحتى ترغب فى وتعرف قدرى وتعطينى اقطاعا ترضينى لأن الاميرعبدالوهاب لارفع لى رأس ولاغير لى لباس (قال الراوى) فلما أن سمع الملك كلامه ورأى قوته واهتمامه فرح به غاية الفرح وسر بكلامه وخلع عليه من ملابسه وقدم له تاج وعصابة من الجوهر وبدنة تسوى وزنهاذهبا أحمر وقدم له جواده الخاص بموكب وقال له وحق المسيح ان رأيت منك مايطيب قلبى قاسمتك فى نعمتى وزوجتك ابنتى (قال الراوى) هذا والدينارى قدأظهر الفرح وقال يامولاى وحق نعمتك لاتركنك تبيت ليلة غدا إلافى ملطيه ولورأيت أنك تثق بقولى سلمت اليك قلعة المنجنيق قبل أن يعلموا أصحابى ما أريد أفعله فقال الملك وكيف ذلك قال تنفذ معى ألف فارس حتى أمضى بهم الى قلعة المنجنيق وأقول لأصحابى هؤلاء أنفذهم الأمير عمرو يكونوا عندكم وأرجع أقاتل الروم إلى أن يفرج الله بوصول نجده ثم أنى لا أطلع ولا أدخل الباب حتى يصيروا أصحابك كلهم من داخل الباب ويعلموا أنى صادق غير كاذب وعند الصباح اطلع أنت اليها وانظر ما فى هذه القلعة من الخزائن والأموال والتحف لأن من خوف الأمير عبدالوهاب عليها وعلى مافيها أوصانى أن لاأنزل منها ومن عهد أن سلمنى هذه الجزائر ماتدعنى نفسى أن أفتح شىء لأن الاماره هى الصيانه ولم يزل الدينارى يرقله الكلام حتى لعب بعقل الملك وانتخب له من الروم ألف فارس من خواص البطارقة أكثرهم أصحاب قلوع وحصون وضياع وبلاد وقال لهم سيروا مع هذا الرجال وأطيعوه فى كل مايأمركم به افعلوه فقد صح

لى أنه صادق وكلامه غير منافق وعند الصباح ينزله فى ماء المعموديه ويطهره من اعتقاد الملة الحنفية فقالوا الروم السمع والطاعه (قال الراوى) وقدقام الدينارى وقال ائتونى بالعدة التى كانت معى حتى ألبسها لئلا ينفرون أصحابى منى وأخاف من الانكار وهذه الأموال تكون وديعة عندكم حتى ترى صحة قولى أيها الملك لأنى بعد تسليم هذه القلعة مايبقى لى الى المسلمين رجعه فشكره الملك وأوعده بكل جميل وقال وحق المسيح لأتركنك تطأ رقاب الملوك وتحكم على كل غنى وصعلوك فخرج الدينارى وهو لا يصدق بالنجاه وسارت البطارقه من ورائه الى أن قاربوا إلى القلعه وأمرهم بالوقوف وتم سائر إلى بابها فرأى أصحابه فى انتظاره فأخبرهم بالحال وقال لهم ترتبوا بالسيوف الصقال وكل من دخل اليكم من هؤلاء اقبضوا عليه والى أعلى القلعة ارفعوه ومن صاح منهم اقتلوه واضربوا رأسه طيروه ثم رجع إلى الروم وقال لهم إذا صدق الانسان فى قول أتاه الأمر على مايريد فقالوا له كيف ذلك قال كان فى القلعة ثلاثمائة أسود ومائتين من العرب وكنت أنزل من عندهم كل يوم عند السحر وأعواليهم أول قدوم الليل فبطئت الليلة عنهم فهرب أكثرهم الى قلعة المتشار من فزعهم على نفوسهم والساعة وصلت وجدت الباقى معولين على الهرب لولا قدومى وإنى قلت لهم قد أتى معى ألف فارس من بنى سليم يحفظون هذا المكان وقد فرحوا فرحاً عظيما اطلعوا الساعه بأمان واملكوا هذا المكان (قال الراوى) فلما سمعوا الروم ذلك هموا الى القلعة طلعوا وصاروا يدخلون جماعه بعد جماعة والدينارى والدينارى يقول أنا ما أدخل إلا فى الآخر كما جرى الشرط قدام الملك حتى تشهدوا لى بصدق كلامى (قال الراوى) وصارت الرجال تدخل والسودان قيام وكلما صار عشره أو عشرين يسيروا قدامهم الى داخل الحصن فاذا أبعدوا عن الباب قبضوا عليهم إلى أن دخلت الألاف فارس من البطارقه وبعد ذلك دخل الدينارى فرأى الكل شدوهم كتاف ففرح بذلك وقال هؤلاء عند الصباح نهدى الى ملك الروم رؤوسهم ثم جعل يقدم عشرة ويضرب رقابهم ويصف رؤوسهم على أعلى الابراج حتى زين القلعة بألف رأس وقال ياقوم ان الملك خلع على خلعة وأريد أن أزين له هذه القلعة ثم صبر إلى وقت السحر ونزل راجلا فى صفة الروم حتى عبر إلى الخيام الذى للعرب المتنصره وحاذاهم وقصد عسكر المسلمين (قال الراوى) هذا ماجرى من أمره (وأما ما كان) من ملك الروم فانه بقى منتظر الصباح يصبح حتى يأتيه خبر الدينارى وما يفعل ولما أن أشرقت الشمس ولا أتى قال ياقوم ما أخوفنى أن يكون ذلك الأسود مكر بنا

وأهلك أصحابنا فركب بنفسه وركبت العساكر وأشرف على القلعة فرأى أبراجها مزينة بالرءوس وهى تلوح مثل العروس وتشرق بالزرد واللبوس فقال الملك هلكوا وحق المسيح البطارقه من ذلك الشيطان وهذه القلعة مالنا فيها مطمع وإلا كنت اليوم أهلكت كل من فيها من هؤلاء الأنذال ولكن ارجعوا بنا الى ملطيه ودعوا هذا المطال ثم عادوا الروم والملك مهموم مغموم وأداروا وجوه الخيل إلى ملطيه وصفوا صفوفهم ورتبوا ألوفهم وكذلك عساكر الإسلام قد ترتبت وللقاء تأهبت وخرج منهم فارس أسود على جواد أجرد وهو غائص فى الزرد وهو يهمهم همهمة الأسد وهو ينادى يا آل محمد معاشر النصرانيه أنا الدينارى الذى أردتم البارحه أن تنصرونى وأوعدتمونى أن تنزلونى فى جرن ماء المعمودية فابشروا بخراب بيوتكم بالكليه وابرزوا إلىّ حتى أريكم ضرب الرقاب بهذا العامود الذى يقربكم إلى مقابر اليهود (قال الراوى) وكان الدينارى وصل الى عساكر الإسلام عند انشقاق الفجر وطلب سرادق الامير عمرو ابن عبيدالله ولما دخل اليه أعلمه بالقصه وما عمل وكيف أسر وكيف احتال على البطارقة حتى أوقعهم فى القفص وجرعهم الغصص وطلب جواد ولامة حرب وجلاد فأعطاه الأمير عمرو وقد فرح بسلامته وعجب من كلامه وحيلته وسمع عقبه بهذا الكلام الذى نزل على قلبه مثل حريق النار فانشقت مرارته وانقطع كبده بحسرته إلا أنه أظهر الجلد وأخفى الكمد وقال لعمرو يا ابن العم من صدق الله فى معاملته حفظه (قال الراوى) وكان هذا نفاقا من الملعون من غيظه وحنقه ولما خرج الدينارى إلى الميدان وجال وصال وقال ماقال صلب الملك على وجهه وقال وحق المسيح ماهذا الأسود إلا شيطان فى صورة إنسان نحن قلنا أن عبدالوهاب غائب ومن بعده نترك بلاد الاسلام خراب رجع المسيح رزقنا بهذا النحس الكذاب وصب علنا صوت العذاب اخرجوا اليه لعل المسيح يوقعه فى أيدينا ويرجع عنا شره فجعلت البطارقه تخرج اليه وهى لا ترجع وتهجم عليه وهى لاترجع وتهجم عليه وهو لرءوسها يقطع والأرض من دمائهم تكرع حتى صار وقت العصر ودام على ذلك إلى المساء ورجع المسلمين والأرض ملآنه من القتلى وثياب الدينارى مخضبة بالدماء ولما رجع تلقاه الأمير عمرو ورجعوا بنى سليم والقاضى عقبه إلى جانبه وهو يتلو القرآن ويقول سبحان من شد بك أركان الاسلام وجعلك نقمة على القوم اللئام وهذه عوائد الحق سبحانه وتعالى لأنه ما يخلى ملة نبيه من أنصار ثم تقدم اليه وقبل ما بين عينيه وقال يا ولدى اجعل مبيتك ههنا حتى لا يرجع يتم عليك سبب من الأسباب من هؤلاء القوم الكلاب لأنهم ما يخلو أن

يكون لهم ههنا جاسوس أو يكون عندنا من يعامل على المؤمنين ويستحق لعنة رب العالمين فأقم أنت ههنا حتى نأمن من كيد الحاسدين وتكون خلفا وعوضا عن مولاك المهاب والسيف القرضاب الأمير عبد الوهاب وأرجو من الله أن يفرج بقدومه عن هؤلاء القوم المساكين (قال) فلما سمع الديناري كلام عقبه ورقته وبكاه وخشيته فزادت فيه رغبته وقال لا شك أن هذا من عباد الله الصالحين (قال الراوى) وقد ذكرنا أن الديناري غريب من هذه الأرض وكان ما اطلع على أحوال عقبه إلا من حين تركه الأمير فى قلعة المنجنيق ما نزل منها إلا أن كان فى هذه الأيام طلب للجهاد وأنه لما أشار عليه عقبه بالمقام عند الاسلام ظن أن كلامه شفقة عليه فقال السمع والطاعه ما بقيت أبرح من ههنا حتى تنظر بأى شيء ينفصل الحال ببركة دعاك المبارك يا شيخ (قال الراوى) هذا وعقبه قد زادت حسرته وعظمت مصيبته بالديناري وقد أضمر له أن يوقعه فى شباك حيلته وصار يتفكر فى خبثه ولعنته مايفعل معه حتى انفتح له باب من أبواب مكيدته وصبر عقبه إلى أن أظلم الظلام بعد ما دبر أمره فى خيمته وجلس عند الأمير عمرو فى سرادقه وهو يذكر فضل الجهاد فى عبدة الصلبان حتى بكى الديناري من وعظه وهو لا يعلم بخبثه ولما هم أن يقوم الديناري قام عقبه معه وقال يا ولدى اجعل مبيتك عندى حتى أسمعك شيئا من القرآن العظيم لتعود بركاته عليك وعلى جميع أعضاك ويجدد الله فى حياتك وقواك فقال الديناري جزاك الله خيرا يا قاضى ثم انه سار معه إلى خيمته ثم جلس فيها واستمر به الجلوس حتى صاح عقبه على غلامه وقال ويلك الأمير تعبان قدم له شيء من الحلوى حتى يتولع بها قبل أن ينام لأجل ما أقرأ له شيئا من القرآن فأتاه الغلام بصحنين من الحلوى المعقودة بدهن اللوز والسكر فقال عقبه لعنه الله كل ياأمير فمد الديناري يده وما أكل منها غير القليل حتى حط رأسه على المخده ونام فما هو إلا نام حتى هجم عليه خمس رجال وفى أيديهم السيوف الصقال وقالوا إيش عملت يا قاضى قال تم لى ماأريد فانى قد بنجت هذا الشيطان المريد خذوه وسيروا به إلى الملك مادام مستيقظ وقولوا له وصيتك لا تقتله حتى آتى اليه وأشتفى منه بالعذاب وقولوا للملك إلى متى هذا التوانى ازحف إلى البلد ودع عنك البراز فانى ماأعرف فيك هذه الفتره ولا أعرفك إلا أشد الملوك قوة وبطشا (قال الراوى) فدنوا النوم من الديناري وشدوه كتاف وجعلوا فى فمه أكره وحملوه على بغل وغطوه بكساء وساروا فى زى مكارية الاسلام وكان كله من تدبير الملعون عقبه (قال الراوى) وبعد مضيهم من عنده قال لغلامه يا ويلك قم شد يدى إلى

رجلى واعمل فى فمى أكره واخرج من عندى ولا تعود إلىّ حتى أطلبك لأنى أخشى من الانكار علىّ وأن يقول الأمير عمرو ايش أوصل الدينارى إلى عند الروم فاذاهم رأونى مشدود على تلك الحالة أنا أعرف كيف أجاوب على روحى ففعل غلامه ما أمره به وخرج وتركه فى جانب الخيمه وقد أطفى من عنده الضوء ولما كان عند الصباح تبادرت الخيل واعتدت الابطال ورأى عمر ومقدمين العساكر الذين للروم يصفقون ويرقصون وقد دقوا النواقيس ولعلع كل راهب وقسيس وركبوا الجنائب وتقدمت المواكب ورفعوا الأعلام وكثر منهم الفرح والكلام فقال عمرو ياقوم تأهبوا ولابد للروم أن يحملوا ويعيدوا بياض النهار الى سواد فدونكم ياأحباب الله والجهاد لأنى أراهم قد أصبحوا فراحا وما أدرى ماسبب أفراحهم ثم قال لهم توجهوا الى القاضى وائتونى بالدينارى فساروا الى خيمة عقبه فرأوه على تلك الحالة التى وصفناها وهو يئن من شدة الكتاف ورأوه وهو مشرف على التلاف فصاحوا وقالوا لولا نلحق القاضى وإلا كان فارق الدنيا ثم حلوه من الكتاف وشالوه على الأكتاف وهو يتغاشى ويتماوت من شدة نفاقه وهو يقول ما أنفذكم إلى إلا الله وهم يقولون يا قاضى نحن أنفذنا الأمير عمرو ونأخذ الدينارى من عندك فوجدناك على هذه الحالة فقل لنا يافقيه من فعل بك هذه الفعال فقال ما أدرى ولكن المؤمن ملقى والكافر موقى اعلموا يا أولادى لما أتيت أنا وإياه فجاس على السرير وأنا أقرأ عند رأسه القرآن الى أن نام ونمت أنا الآخر فما أفقت من النوم إلا وعلى رأسى خمس رجال من متنصرة العربان وهم يقولون ياشيخ وحق المسيح إن تكلمت قطعناك قطع فقلت لهم سألتكم بربكم من تكونوا فقالوا نحن رسلنا الملك ميخائيل الى ذلك الرجل لما فى قلبه منه ونحن هنا من أول الليل ونحن فى خيام الاسلام حتى ظفرنا به ثم شدونى كتاف وأخذوا الرجل وأنا نالنى عليه أعظم منال أكثر مانالنى على روحى (قاو الراوى) ولم يزالوا سائرين به الى عند الأمير عمرو وعقبه يقول طول الطريق أنا علمت أنه ينهدم ركن الايمان ولما أن أحضروه قدام عمرو كاد أن يغشى عليه مما ناله وقال لأجل هذا أصبحوا فرحانين . وكان الدينارى لما أوصلوه الى الملك ميخائيل لأن القوم الذين أخذوه من مضارب ملطية كان قد رتبهم عقبة ولما حضر واقدام الملك قال اضربوا عنقه حتى نشتفى منه فقال القوم الذين أوصلوه أيها الملك لاتقتله لأن الشيخ أصبح يقول احتفظ به حتى يحضر ويشتفى منه بالعذاب لأن فى قلبه منه البلاء فقال الملك ارفعوه من بين يدى وأوثقوه بالكتاف حتى يأتى عقبه يفعل به ما يريد فرفعوه وهو كأنه قتيل وتركوه فى بعض الخيام وعليه التوكيل وأصبح الصباح كما

ذكرنا ونادت العساكر كما قدمنا وادعى الملك ميخائيل بالملوك وقال وحق المسيح من لم ينصح اليوم فى القتال انتقمت منه فقاتلوا بنصيحة حتى تشفى قلوبنا القريحة فقالوا أيها الملك لا تلومنا فما لنا ذنب لأنك أنت اشتهيت البراز وإلا لو تركتنا نحمل عليهم بأجمعنا من الاول كنا أخذنا البلد فقال أنا ما كان غرضى إلا أخذ هذا الاسود والساعه فقد وقع فدونكم والقتال فعادوا الملوك الى سائر الطوائف وصاحوا صيحة واحدة والتقت سائر الأمم فتلقوهم بنى سليم ودفعوا فى وجوه الروم وكان يومهم يوم مذموم وتصادمت الخيل والجنائب وطلع الغبار حتى حجب الراكب والراجل وبلغ العرق الى الأذقان والشوارب وكان العدد على بنى سليم كثير فتعثروا فى أذيال المقادير وتقنطر الجواد بالأمير عمرو فأخذوه أسير وقادوه فى الذل والتعتير وعلموا الناس بأسره فقل منهم الصبر ولم يجدوا لهم من سيوف البطارقة نصير وعمل السيف فى الكبير والصغير ونجع الدماء من الاوداج خرير وعادوا يطلبون الأبواب وقد تقطعت بهم الأسباب وتمنوا نظر وجه الأمير عبد الوهاب وقتل فى زحمة الأبواب أكثر من عشرة آلاف ولم يدخل الباب إلا القايل وطلعوا فوق الأسوار وقد مانعوا عن الحريم والأطفال وبكت النسوان لما رأوا ضيق الحصار ونظر ملك الروم الى ذلك فتقدم وخرج من تحت الأعلام وأمر البطارقة فنصبوا الفرادات وصاحوا صيحة واحدة وتلوا الانجيل فخيل للمسلمين أن الأبراج تموج ووقع فيها البكاء والعويل وزادت الأهوال واشتد القتال وتقدمت الكباس الى الأصوار الى أن تضاحى النهار وقد ضربوها فى الاصوار فوقعت منها الأربعة أبراج والأربع بدنات والتجأت الرجال الى النسوان وهاجمهم فى البلد عباد الاصنام فتكاثروا عليهم حتى فتحوا الباب ودخلت البطارقه مثل البحر الزخار وفتحت ملطيه بالسيف قهرا وقتلوا الكفار الأمم وفلقوا القمم وصبروا المسلمين لما قضى الله به وحكم وبقى عقبة ينادى والمصحف فى يده مفتوح وهو يبكى وينوح واذل المسلمين بعد عبد الوهاب ابن عينه الساعه ينظر هذه المصائب بالله عليكم يامعاشر المسلمين من سلم منكم ووقع قدام الخليفة أمير المؤمنين يبلغه سلامى لأننى أدرى اننى فى هذه النوبة مقتول وما أسلم هذا المصحف من يدى الى الكفار حتى تعمل سيوفهم فى جسدى وكان كل من سمعه يقول هذا الكلام وثيابه مخضبة بالدماء بعض الأنامل ندماً ويقول مسكين القاضى عقبة الساعه يقتلوه الكفار ويخلوا الأرض من الصالحين الأبرار (قال الراوى) ولم يأتى آخر النهار إلا والمسلمين والبلد فى أيدى الكفار وقد سبيت البنات وضرب بوق الشتات وتمنوا أن يشربوا كاس الممات ولا كانت قد جرت هذه النائبات . وفى ثانى يوم أمر الملكان

يخرجوا سبي ملطيه خارج الأصوار وقد انقلبت الدنيا من بكاء الأطفال الصغار وكان أكثر من سبي بنى كلاب وحريم السودان الأنجاب هذا وعقبه مشدود فى جملة الأسارى وكان هذا من تدبير عقبه لعنه الله لأنه قال لميخائيل اخرج السبي وأنا معهم وارسلهم الى القسطنطونيه واتركنى أنا عندك وأوهم أنك تريد تعذيبى حتى اذا رأيت الدنيا خالية من الذى يعرفنى دبرت لك على أخذ البلاد وملكتك بغداد ففعل الملك ذلك وأخرج السبي وكل من فى ملطيه وسلمهم الى الملك الدوقس وضم اليه خمسة آلاف بطريق وقال له سر بهؤلاء الى القسطنطونيه وأرسل باقى العساكر وأعلمهم اننى فى انتظارهم حتى أدخل بهم الى بلاد المسلمين فقال السمع والطاعه وها أنا سائر من هذه الساعه ثم انه ركب وركبت البطارقه وقدموا السبي بين أيديهم فلما هموا بالمسير أرسل الملك خمسة من الروم فأتوا بعقبه من عند المسلمين وزعقوا عليه وساقوه سوقا عنيفاً والملعون يبكى ويقول الحمدلله مرحباً بقضاء الله بالله عليكم يامعاشر المسلمين ادعوا لى بالخلاص واذا سمعتم بهلاكى فقولوا ان القاضى عقبه كان ناصح فى الدين لأن هذه الملاعين قد أخذونى من بينكم وما يريدون إلا اعذابى ويقولون هذا عالم المسلمين وعذابه نتقرب به للمسيح (قال الراوى) فلما وصل الى الملك ميخائيل فقام له قائما على قدميه وقال له مرحباً بالشيخ النجيح وحجة السيد المسيح ياشيخ لاتؤاخذنا بما فعلنا معك اليوم من القبيح فقال عقبه لا ياملك هذا كله فى طاعة المسيح ولولا هذه الأسباب ماتم لى أن أترك بلاد الاسلام خراب ونسوانهم تساق الى بلاد الروم سوق الدواب فدعا له الملك بطول العمر وخلع عليه وأمر الغلمان يقدموا له الطعام وزوقوا المدام وأكل عقبه من لحم الخنزير وجعل يشرب الخمر مع الملك ويقول له وحق المسيح لقد أخطأنا اليوم الذى تركنا الدينارى يسير مع الأسارى ومااشتفيت منه ولكن هذا مايفوتنا إذا فتحنا البلاد جمعناهم كلهم وضربنا رقابهم فى يوم واحد وأيضا نهدم الجوامع والمشاهد ويصدق منامى فيك بأنك لاتبقى على وجه الأرض مسلم (قال الراوى) وأقام الملك عشرة أيام يشرب على أنهار ملطيه وينتظر عساكر النصرانيه وقد عدم صوت الأذان وعلت على المنابر الصلبان وبكت الأوطان على القطان والمنازل على المفارق والأطلال على الرجال والأبطال ولما كان الحادى عشر أشرف من نحو آمد غبار حتى سد الأقطار وغشى الأبصار وأظلمت الدنيا والديار وركب ميخائيل فى عساكر الروم لمعرفة الأخبار ووقعت الضجة فى عساكر الكفار ورأى عقبه ذلك فقال : أيها الملك بعد أن ملكت هذا الاقليم لاتفزع من هذه العسكر القادمة فانه خليفة المسلمين وقد أتى فى جمع العراق والآفاق لأنى كنت فى ملطيه وقد كتبوا له أن يلحقهم بمن

يكشف الشدة عنهم فأراد المسيح أن يملك الارض قبل ذلك ويعكس عليهم أمورهم والساعة يشرفوا على البلد فيروه وقد أخذ فتنقطع ظهورهم (قال الراوى) وكان الغبار غبار الخليفة كما قد حسب الملعون عقبه لأننا قد ذكرنا أن عمرو بن عبيد الله كان قد كتب الى الخليفه يعلمه أن الثغر محصور وأخبروه بهذه الأمور فجمع الخليفه كل من كان فى العراق وسارت العساكر تتلاحق به من سائر الآفاق وهو يجد فى السير وهو يقول والله لاقعدت عن حريم الأمير عبدالوهاب ولانسيت مافعل معى من الجميل هو وبنى كلاب ولم يزل كذلك الى أن وصل الى آمد ومنها قد سمع ماقد جرى على ملطيه وكيف قد أخذها ملك الروم وما جرى على المسلمين من الأمر المذموم فقال والله لقد جرى على المسلمين أمر عظيم وما كان إلا ماأراداالملك القديم لكن وحق البشيرالنذير لابد لى ماأصطلى نارالحرب بنفسى فى سبيل الله وأبذل المجهود لعلى أخلص نفوس المسلمين وسباياهم من أيدى الكفار المنافقين ثم رحل من آمد وسار وكانت العساكر قد تلاحقت به من سائر الأقطار ولم يقر له قرار حتى أشرفَ على ملطيه وبانت راياته العباسيه وابتهجت تلك الأرض لما سمعت تكبير رب البريه وركبت العساكر الروميه لما سمعت تكبير الأمة المحمديه ولمعت الطوارق الشعشانيه فقال عقبه لملك الروم قل للعساكر أن تحمل على عساكر الخليفه حتى يقع لك فى قلوبهم الهيبة وتهلكهم على آثار التعب ولا تتركهم يستريحوا من التعب واجتهد اليوم فى القتال لأن مالهم جهة يلتجون اليها ولامع الخليفة من يعول عليه (قال الراوى) فلماسمع الملك كلامه رآه صواب وأمر النقباء فصاحوا على العساكر وأمروهم بالحملة والطعن والضراب فحملوا مثل البحر العجاج وانحدروا على عساكر المسلمين مثل انحدار السحاب ورأى المعتصم حملتهم فصاح فى العساكر والاجناد ونادى يامعاشر المسلمين لاتطلبوا الراحة إلا فى الآخرة واطلبوا الجنة وابذلوا المجهود وبيضوا اليوم الصحايف السود وبلغوا الأنفس بجنات الخلود فكل قطرة تقطر الساعة من النحور تتلقاها ملائكة الحور وكل ضربة لأهل الصلبان فى أجساد أهل الايمان هى لحور الجنان مهور فمن بذل هذه النفس الخبيثة نال بها أعلى القصور وسكن مع قوم أخلصوا النيات فى طاعة رب العباد (قال الراوى) ياساده فضجت المسلمون من كلام المعتصم وهانت عليهم الدنيا دار الغرور والتقوا جملة الكفار بقلوب مثل الصخور ونار فوق الجميع العجاج وخيل للناس أنه ينفخ فى الصور واختلفوا المواكب حتى لم يعلم المسلم من الكافر . وما تنصف النهار حتى صارت الأرض غدران من أدمية الفرسان وهى تفور وتكردست القتلى وحامت

من فوقهم النسور وزاد تعب المسلمين ووقع بهم الملل وتزايد عليهم العدد وقاتل الخليفة حتى ضعف من الخليفة الجلد وقد أتت باقى عساكر العراق وسارت تقاتل وتتأخر والأتراك ترمى بالسهام ومن عظم ما جرى عليهم تقهقروا وكلما رأوا الخليفة تحت الغبار صبروا على ضرب البتار (قال الراوى) ولم يزالوا كذلك حتى أشرفوا على البوار وعولوا على الهرب والفرار وإذا بغبار ثار من نحو الدروب وتحته صياح وزعقات تزعزع القلوب وهو سائر على عجل والبر له قد تزلزل والوحوش قد جفلت فقال ملك الروم ياويلكم ابصروا ما الخبر لا يكون هذا العسكر الذى كنا لها فى الانتظار وقد لحقوا بنا فى هذه الديار ثم انهم بطلوا الحرب والقتال وانتظروا الى الصباح وكذلك المسلمين وبهتوا بالأبصار وكان عقبه مع الروم فوق صور ملطيه وإذا هم بتكبير الرجال الكرام وضجيج عساكر الاسلام وصراخ السودان من تحت القتام مثل الرعود والدينارى فى أوائلهم يزعق ويهز العامود والململان وأخوه حضور وكل واحد كبر وصاح بذلك الصوت الجوهرى والاميره ذات الهمه والأمير عبد الوهاب فى أوائل العسكر وأبو محمد وأولاده وغلمانه لؤلؤ وجوهر وهم يصيحون يا ربنا أوقع فى أيدينا ذلك الشيخ الأعور فلما نظر عقبه الى ذلك الأمر المنكر وصح عنده الخبر خرا على نفسه وتلوث فى أوساخه وقال جاء والله الموت الأحمر وفى هذا المكان أموت وأقبر ولما أن تحققوا الروم ذلك فقالوا هذا يوم أغبر وحق المسيح ما يسلم منا من يخبر بخبر ولا يرجع منا الى القسطنطونيه بشر (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك حديث عجيب وأمر مطرب غريب وذلك أنه لما سار ملك الدوقس من ملطيه ومعه السبي والرجال من بنى سليم وعمرو بن عبيد الله والدينارى ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على أعمال بلاد الروم وهم يطلبوا القسطنطونيه وهم آمنين على أنفسهم وصار ملك الدوقس يقطع المراحل وينزل على المناهل والعيون حتى أشرف على أرض البهار فوجد فيها عساكر المسلمين الأبرار وكان قد نزل فيها الأمير عبد الوهاب للراحة فى ذلك المكان وقد ذكرنا أن الأمير خلص أمه من جزيرة السواحل وعاد طالب الأطلال والمنازل وكان بالاتفاق والعجب لأجل أمر يريده الله من نصر الاسلام كان يوم نزولهم فى هذا المكان فى يوم أشرف السبي فى ذلك المكان والامير نازل وقد أحدقت به السودان والعرب ومقيم بهم فى ذلك المكان لأجل أخذ الراحة من التعب واذا أشرف عليهم ملك الدوقس فى خمسة آلاف بطريق وقد خرج عليهم من فم المضيق والسبي بين يديه ولهم صياح وزعاق فلما رأى الامير ذلك وثب راكبا وركبت لركوبه العربان من بنى كلاب والسودان وقد وقع بهم الانبهار والدنيا قد انزعجت من عويل

النسوان والأميره أم الأمير عمر وفى أوائلهم وهى تقول واذل بنى سليم بين العرب أين من يرعى الحسب فما استتمت كلامها حتى كان الأمير عبد الوهاب قدامها وهو يصيح ويقول مهلا ياسيدة العرب يزول الكرب عنك ها أنا الأمير عبد الوهاب وأسود بنى كلاب (قال الراوى) وأقبل الدينارى وهو يساق سوق العبيد فأبصره اللمان وجعبر فهزوا فى أيديهم الدبابيس وتصايحت بنى كلاب وتقدمت السودان الانجاب وخيل للروم أن الدنيا قد انقلبت وما كان فيهم من يمد يده إلى حسام ولا إلى قنطاريه بل إنهم استسلموا للقضيه ووقع فيهم الذل والرزيه من رب البريه لأنهم خمسة آلاف والتقى بهم جيش الاسلام وجماعة من المسلمين فلم تكن إلا ساعة حتى قتلوا منهم ثلاثة آلاف وأشرفوا الباقين على التلاف فعند ذلك نادوا الأمان الأمان وساقوهم العرب والسودان فى حبال الذل والهوان وخلصوا رجال بنى سليم والفرسان والأولاد والنسوان وخلصوا الدينارى من العذاب وأحضروه بين يدى الأمير عبد الوهاب فسأله الأمير عبد الوهاب كيف كانت عليه هذه الأسباب فأعلمه بما جرى وأنه قد بات فى خيمة القاضى عقبه فدبروا عليه هذا التدبير وأخذونى أسير فضاق صدر الأمير لأجل ملطيه وقال والله لقد حسبت هذا الحساب وعملت أن عقبه ينال هذه الأسباب ثم أنه أمر الامير عمرو بن عبد الله وبنى سليم أن يركبوا من خيول البطارقه وساروا حتى أشرفوا على ملطيه كما ذكرنا وكان اشرافهم سبباً لكشف الكربة عن عسكر الخليفه فلماصح الخبر وعلموا أن الذى أقبل الأمير عبد الوهاب وقد سمعوا صياح السودان وتكبير بنى كلاب فعادوا عن عسكر الخليفه الى البلد يطلبون الابواب فوجدوا الامير قد سبقهم اليه ووكل بنى سليم والتقاهم بأبطال المجاهدين وفرسان الموحدين وارتفعت الاصوات بذكر رب العالمين وكان أول من حمل الاميره ذات الهمه وتبعها ولدها عبد الوهاب وحمل الدينارى وإخوته وتبعتهم الكتائب والمواكب وأنزلوا فى الروم المصائب وعادت عساكر الخليفة وقد قويت منهم الهمم الضعيفه وقد وقعت الروم بين العسكرين وعملت فيهم سيوف الطائفتين وأقبل الليل وهم على ذلك الحال والمسلمون فرحون بالنصر وبالظفر ولم يزل السيف يعملى والدم ينزل إلى وقت السحر وقد نزل البلا على من كفر وطارت الرؤوس مثل الاكر ونزل عليهم القضاء والقدر وكان الملك ميخائيل أول الليل قد التجأ إلى غيلان الشوك وقال له انج بنا فى طائفة من السودان تحت الظلام فأنا أعلم أن عسكرنا ما يقبل عليها النهار وقد بقى منا ديار ولا نافخ نار لان مجيء عبدالوهاب ما كان لى فى حساب ولا قلنا أنه يأتى من ورائنا فى هذا البر العباب

فقال غيلان هذا هو الصواب ثم خرج بسودانه حول الملك وخواصه وأخذ فى الهرب، فدار عسكر المسلمين وصار من ورائه وأطلقوا أعنة الخيل وطلبوا بلاد الروم (قال الروى) ودار القتال حتى أصبح الله بالصباح وقد بقى من عساكر الكفار القليل والباقى بين أسير وقتيل وأنهم نظروا إلى ملكهم فما أبصروه فظنوا أن المسلمين أسروه ومدوا أعينهم إلى ملطيه فرأوا على أصوارها طائفة الابرار وهم يكبرون الملك الجبار (قال الراوى) وكان للسبب فى ذلك عقبه الملعون لانه لما رأى عساكر الروم قد أشرفت على وأبصر الامير عبدالوهاب قد أتى من ورائهم وبين أيديهم عساكر الخليفه والاتراك خاف الملعون أن ستره ينتهك وأبصر أيضا نبى سليم موكلين بأبواب ملطيه ومعهم خلق كثير من العرب فقال مالى فى هذه النوبه سبيل إلى الهرب وما فى الامر إلا أننى أعمل على تسليم البلد للأمير عمرو وأنال بذلك الشكر ويذهب عنى اسم النفاق والربا وإلا فأنا أعلم أن عسكر الروم يهلك وأن البلد يؤخذ وما أدرى العاقبة كيف تكون ثم انه أقبل على من بقى عنده من البطارقه وكان الليل انسدل فقال لهم اعلموا أن هذه النوبه ما تم على النصرانيه مثلها ولا ايشم منها وحق المسيح ما يصبح الصباح إلا هوت من عساكركم المضاجع والارواح فاقبلوا منى حتى أخرج إلى هؤلاء الذين مسكوا عليكم الابواب واطلب منهم الامان وتنجوا أنتم بأنفسكم دون أحد وتسلموا هذه البلد قبل أن يزحفوا عليكم السودان عند الصباح وينهبوكم على رؤوس الرماح (قال الراوى) فلما أن سمعت البطارقه هذا الخطاب علموا أنه صواب وقالوا افعل يا شيخ ما بدا لك وابصر كيف تخلصنا من هؤلاء فعندها نزل عقبه إلى باب ملطيه وفتحه وخرج إلى الامير عمرو بن عبيدالله فلما رآه فقال له وعرفوه بنى سليم فقال يا قاضى وأنت سالم وان قلوبنا عندك من وقت أخذ تك الروم وعادوا بك إلى الملك ميخائيل فقال عقبه والله ما أخذونى إلا على أنهم يعذبونى ولكن عرف الله نياتهم وقابلهم الله على أفعالهم وأتى خليفة المسلمين فى عسكر المجاهدين وبذل نفسه فى طاعة رب العالمين وخرجوا الى قتال الروم الملاعين وتركنى الملك ميخائيل مع هؤلاء المتخلفين وأتيتم أنتم من ورائهم وبلاهم الله بما أبلاهم وعلى كفرهم جازاهم وفى هذه الساعه أرادوا هؤلاء الملاعين يقتلونى وبالهلاك يهددنى وقالوا نحن قوم مخوفين ونريد نتقرب إلى المسيح بدمك لانك من علماء المسلمين فقلت يا قوم لا تفعلوا وأطلقونى حتى آخذ لكم من المسلمين الامان وأخرجكم من هذا المكان فقالوا ما نصدقك حتى تحلف لنا بكتابكم الذين تسموه القرآن وتقسم لنا بنبيكم صاحب البرهان أنك لا تمكن أحداً من بنى كلاب ولا من السودان الانجاب حتى نطلقك

نخرجك سالما وإلا أذقناك الموت وجرعناك غصص الفوت وانى ياابن العم لما رأيت الجد حلفت لهم على ما أرادوا حتى أخرجونى من عندهم وقد أتيت اليك ليكون فتح الباب على يديك فأنعم لهم بالأمان وانفذ لهم من يحلف لهم ونخرجهم من هذا المكان مادام الناس مشتغلون بالضرب والطعان لأن عبدالوهاب وأبا محمد لو علموا بهذا الحال ما يمكنونا أن نفعل هذه الفعال ولا كانوا ينفذوا ذماما لأهل الضلال لأجل ما بيننا من الرحال وكانوا يكسرون أغراضنا ولا يتركونا نبلغ الآمالى (قال الراوى) فلما سمع عمرو من عقبة هذا المقال أراد يكون له الاسم دون الأميره ذات الهمه فانفذ من بنى عمه خمس رجال فحلفوا الروم وأخرجوهم وعن عسكر الاسلام أبعدوهم وفى تلك الساعة كان ملك الروم قد خرج من الحرب ومعه غيلان والسودان والمتنصرة والتقى بهؤلاء فساروا فى جملتهم يطلبون ديارهم ودخلوا بنى سليم الى ملطيه وطلعوا فوق الأصوار وكبروا عند الصباح باسم الواحد الفتاح وكان قد أصبح من الروم القليل فما تضاحى النهار حتى وقع فيهم الفناء والبوار ولم يسلم منهم ديار والتقى عبد الوهاب بالخليفة المعتصم فقبل فخذه فى الركاب بعد ماترجل بين يديه وكذلك فعلت الأميرة ذات الهمه فى بنى كلاب كفعال الأمير عبد الوهاب والسودان الأنجاب فشكرهم المعتصم على فعالهم وهنأهم بالسلامة وقال ما فعل القاضى عقبه فقال أبو محمد البطال والله يامولاى ما رأيناه فى السبى فقال المعتصم ماشاء الله كان وماهو إلا قد قتل فى المعمعه فهم فى الكلام واذا بالزعقات قد ارتفعت والضجات قد علت فقال الخليفة ما الخبر فقالوا يامولانا إن عقبه رمى روحه من على الصور من ملطيه وفى رجليه قيد ثقيل وزنه عشرة أرطال بالشامى فقال الخليفه علىّ به فأحضروه بين يديه فأخذته الرحمة عليه وذرفت بالدموع عينيه وقال الأمير عمرو ابن عبيد الله يامولانا لاتسأل ماقد جرى عليه وعقبه كاد أن يغشى عليه (قال الراوى) فعندها قال الدينارى هذا الأعور هو والله الذى أطعمنى الحلاوه فغمزه الأمير عبد الوهاب إكراما للخليفه حتى لايضيق صدره ثم ان المعتصم قال دعوا من هذا الأمر فليس به حاجه ياعبدالوهاب فوالله لابد من اتباع الروم فى عقيب هذه الكسره ونترك ملك الروم يزن لنا الجزية فقال الأمير عبد الوهاب هذا هو الصواب (قال الراوى) فعندها أدخلوا السبى الى ملطيه ورحل المعتصم فى عساكر الحنيفيه إلى أن وصل الى موضع المعمعه الذى قاتل فيها الأمير عبد الوهاب وخلص السبى من ملك الدوقس ونظر المعتصم الى القتلى مطروحين شمال ويمين فقال أيها الأمير حقيق أنك

ترس قبر البشير النذير فشكره الأمير على ذلك وهم سائرين (قال الراوى) ولم يزالوا فى الكد والجد بكرة وعشية حتى نزلوا على باب القسطنطونيه وقد قطعوا الروم الجسور والمعابر وغلقت الأبواب ووقع فى البلد البكاء والانتحاب (قال الراوى) وأن الملك ميخائيل جمع اليه خواصه وقال لهم اعلموا أننى قد غضب على المسيح لأننى حلفت وكذبت ولقد أخرجنى الشيخ النجيح إلى هذا الأمر القبيح هذا وقد وقع الصباح أن عسكر المسلمين قد أقبلت فضجت الروم جميعها وولولت وبعث الملك الى الخليفه البطرك رسولا يقول له أيها السيد فى أى شيء دخلتم إلى بلادنا وما الذى أوجب ذلك وكان الرسول البطرك وكان لما ركب أحاطت به القسوس والرهبان وخرج الى عسكر المسلمين وحضر بين يدى الامام وقبل الأرض وقال ياملك الاسلام ماالذى أقدمك علينا بعد ماأفنيت عساكرنا فقال أتينا نحاصر القسطنطونيه ونأخذها ونهلك أهلها لأنكم مالكم قول ولادين ولاتثبتوا إذا عاهدتم أوحلفتم على يمين فقال البترك يامولانا هذا ما كان لايؤخذ فى سنة ولا عشرة وشرحه يطول فقال أبو محمد تكذب ياملعون وأنا آخذه فى يومين أوثلاثة باذن من يقول للشيء كن فيكون وأذبح كل من فيها وأصلبك أنت على بابها فقال البطرك لابحق دينك ياأبامحمد فأنا أعلم أنك قادر على ماتقول ولكن حصل عندى خمسة آلاف دينار حق الصلح ونحمل المال كما جرت به العادة فعندها التفت أبو محمد الى الخليفه وقال والله يامولانا ماالقسطنطونيه إلابلد عظيم وصلحك مع الروم أصلح فضحك الخليفه والأمير عبد الوهاب وقال ماأحرج البرطبل إلا حكيم فقال الخليفه السمع والطاعه ياأبا محمد فعندها التفت أبو محمد الى البطرك وقال له اعلم أيها الشيخ ان مولانا أجاب الى صلحكم ولكن بشرط أن تحملون المال كما جرت به العادة وتبنوا الجامع الذى أخربه ميخائيل وتدعوه كما بناه الفالوغص فأجابه البطرك ورجع الى القسطنطونيه وأعاد على ميخائيل ماجرى من الحديث فحمل المال أضعاف ماتقرر بينهم ووقع عليه الاتفاق وبنى الجامع كما كان وعقدوا الهدنة بينهم وأرسلوا الى أبو محمد المال ورجع المعتصم الى ماطيه وقد بلغ الأمنيه (قال الراوى) ونصب المسلمون خيامهم على نهر قباقب والبدنون وأكثرهم من خيام الروم ونصب الخليفه سرادق ملك الروم وكان من الأطلس الأحمر وأحباله من الابريسم الأصفر وفيه من التماثيل والصور وفيه صورة مريم القدسيه وهى تهز النخلة والرطب يتساقط عليها وجبريل قد بسط أجنحته تحت أقدام عيسى والمسيح يومى اليهم بأصبعه (قال الراوى) وكان هذا السرادق له حلق من الفضة وفى كل موضع صليب من الذهب الأحمر وكانت الصور التى فى السرادق كانها ناطقة وبها كانت

تضل الكفار ويعبدون الصليب والزنار وهو سبب دخولهم النار وكان فى وسط هذا السرادق بيوت الطعام والشراب الصيف والشتاء وهو كأنه مدينة مبنية بماء استدار وله أربعة عشر عامود ومقمعه مدهونة من سائر الألوان لونه يأخذ بالأبصار وله باب رفيع وعن يمينه باب من الذهب الاحمر وكذلك على الشمال فاذا دخل السلطان وداس على العتبة المعمولة للسرادق وكان على يمينه وشماله مرابزان فاذا دخل الرجل صقعت البازان له وفتحت أفمامها وألقت مافى أجوافها من المسك المفتوت والعنبر الأشهب فيعبق السرادق من تلك الرائحة الزكية وفيه أسرة من العرعر المرصعة بالدر والجوهر ومساميرها وصفايحها من الذهب الاحمر هذا وقد حار المعتصم من ذلك السرادق وسجد شكراً للعزيز الخالق رب المشارق والمغارب وكان المعتصم قد جلس على السرير ونصب له أسرة بين يديه من العاج والابنوس مسمرة بمسامير من الذهب والفضة عليها مفارش والمعتصم بالنصر والظفر فرحان والغلمان والحشم والخدام فأتت العلماء والفقهاء والوزراء وفى أوائلهم الوزير أحمد وكانوا هؤلاء كلهم موكب واحد لايفارقون قط المعتصم وكان معهم أيضا أولاد المعتصم هارون الواثق بالله وجعفر المتوكل ومحمد ابن عبد الملك ودخلت العالم وقد أعطاهم الاذن فى الدخول على سبيل المعتاد وأتت الامراء والملوك وكل من يلوذ بالخليفه ودخلت بنوكلاب يقدمهم الامير عبدالوهاب فأكرمه الخليفه وأجلسه بقربه واحترمه وقال مرحباً بالامير الهمام والسيد الضرغام وترس قبر النبي عليه السلام وكان الى جانبه الاميرة ذات الهمة وقد سلمت بأحسن سلام وتكلمت بألطف كلام ودخل الامير أبومحمد البطال وقبل الارض بين يدى الامام ودعا للخليفه وأنشد يقول :

نفسى فداك إذا رأيتك سالما ... فى نعمة الله الذى آتاكها
فأتمها وأدامها وأطالها ... هناك معتصم بما أعطاكها
وكفاك من ضخم الزمان وريبه ... ومن المكارء ربنا وقاكها
طهرت أرضا كان فيها عصبة ... كفروا فسيفك قادها وهلاكها
وتركت قسطنطين فى جثمانه ... رهن الثرى ماأن يصيب فكاكها
أنت الذى تسطو بسيفك فى العدا ... قسما بمن رفع السما وسماكها
فعليك من بعد السلام تحته ... وكرامة من كل ماحباكها
إنى كسوتك من دعائى حلة ... تبقى على مر الزمان فكاكها

(قال الراوى) فتعجب المعتصم من هذا النظم والنثر الذى أورده البطال وقال أحسنت ياأبا محمد لله درك تستاهل من يملأ فيك جوهر ويكون فى حقك مقصر ثم

خلع عليه وعلى الأمراء وأمرهم بالجلوس وقد طابت منهم النفوس وكان آخر من دخل الأمير عمرو بن عبيدالله وبنو سليم وعقبه بين يديه وقد كبر عمامته وأرخى أودانه وجنحة طيلسانه فلما رآه الخليفه تزعزع له وبجل قدره وعظم أمره وكذلك فعل الأمير هذا وعقبه قد قام فى ذلك المجلس وأشار إلى الأرض لاثما وقال اعلم يا مولانا أن كل كلام لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أجذم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين. وعلى آله وصحبه أجمعين فانى أخص بالسلام سيدنا ومولانا الإمام الصوام القوام المعتصم بالله أمير المؤمنين إمام الأئمه ووارث العلوم والحكمه فأقرن الله تعالى دولتك بالدوام وحكم على أعدائك بالانتقام كما وعدنا نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام لما قال للعباس ياعم والاك الله والاك وأخذل من خذلك وبارك فيك وعليك لأن من ظهرك سلالة الخلفاء الراشدين وبذلك أن جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وعليه حلة سوداء كأنها الليل الدامش كانت بصاصة السواد فانزعج النبى صلى الله عليه وسلم من الرجفان ولهذا لبس مولانا هذا اللون لما نفر قلبه من هذا اللون وقال ياجبريل ما الذى حدث فى السماء حتى لبست هذه الحلة السوداء فقال جبريل عليه السلام ليس الأمر كذلك يا محمد هذا لبس الخلفاء الذين يكونون من ذرية عمك العباس فعندها سكن قلب النبى صلى الله عليه وسلم من الرجفان ولهذا لبس مولانا هذا اللون من دون سائر الالوان لانه قد مدحه ولقد أوصلتم الخلافة إلى كريم ومن إمام إلى إمام إلى أن وصلت إلى أوفى براعه وأشدها شجاعه وأجملها صورة وقد أزالت عنا البؤس والضروره وهو مولانا المعتصم بالله المجاهد فى سبيل الله فبوصفه نطق الجماد وكرمه قد شاع فى البلاد فما فرغ عقبه من كلامه حتى تلألأ وجه الخليفه بالفرح وشكره على ذلك وأمر له بالقسم الأوفر من الغنيمه وقد عجب من عقله كل من حضر (قال الراوى) فلما رأى أبو محمد البطال ذلك صعب عليه وكبر لديه وتشوش لما رأى من عقبه ومن الخليفه هذا الحال وطأطأ عبدالوهاب رأسه وافتكر وقال لعنك الله يا أعور ومن هو بالخالق قد كفر وسوف تصل الى سقر هذا والأميرة ذات الهمه من حنقها عليه تتحسر وفرح عمرو وقال يا مولانا من يقول هذا القول فى حق النس والجاتليق والبترك الكبير من الصفع والهوان يقال عنه أنه نصرانى وصدره صندوق القرآن قال الخليفه اسكت أيها الأمير فلو ثبت عندى أحداً يقول أن عقبه نصرانى جدعت أنفه ولوحت قحفه فقام عقبه وقبل الأرض وقال يا مولانا ما يقول هذا إلا الأندال الذين لا يراقبون الله فى الغدو والآصال ثم أحضرت الأموال وقسمت على المجاهدين وكانت شيئا

كثيراً هذا وأبو محمد البطال يقول اللهم اهتك ستره وبين للناس مكتوم أمره وعدك يامن لايخلف الميعاد وعقبه يقول اعلم أن الله عز وجل منّ على المسلمين بالامير المجاهد عبدالوهاب والأميره المجاهده التى أقامت الدين ونصرت المسلمين وكذلك أبو محمد البطال الذى ماله مثال وأنتم أفصح الخلق لهذه الدولة العباسية أدام الله أيامها (قال الراوى) فعند ذلك استحى الامير عبد الوهاب وشكره على ذلك وقلبه حنق عليه وأما الأمير عمرو فانه قال يامولانا لورأيت هذا الشيخ معنا وهو مجاهد فى سبيل الله حين أخذت ملطيه وأسر من أسر وكان ملك الروم قدسمع بدينه وهو قاضى المسلمين فغضب عليه من دون الجميع وأراد الله أن يكون فتح ملطيه على يديه وأطنب عمرو فى وصف عقبه ومدحه فقال المعتصم ياعمرو من أطاع الله عز وجل أطاعه كل شىء (قال الراوى) فعند ذلك خرجت الأمراء وفى فؤادهم النيران ونزلوا فى الخيام ورجع البطال الى داره وأولاده باقى غلمانه وهو فى غاية الغم فأتكا على ظهره وأخذ المصحف بيده وأبصر ميطلع فى حق عقبه لأن النبى صلى الله عليه وسلم يقول تفاصلوا ولاتطايروا فأنا قدجعلت أمره إلى الله تعالى ثم أسبغ الوضوء وصلى العشاء الاخيره وأخذ المصحف الشريف وفتحه ونظر فيه فطلع له قوله تعالى (واقترب الوعد الحق) فعندها حمدالله وفتح أبو محمد ثانيا فطلع له قوله تعالى (الحمدلله الذى صدقنا وعده) فقال البطال اللهم لك الحمد هذه والله آيتان مباركتان وقد بقى الثانية ثم أنه فتح ثالثة فطلع قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) فقال أبو محمد الله أكبر هذه أقوال مباركه فى هتك ستر هذا الملعون وعدك وعدك يامن لايخلف الميعاد اللهم بحق محمد بن عبدالله يسر علينا أمره وأهتك لنا ستره (قال الراوى) فبينما البطال كذلك واذا بالباب يدق دقا خفيفا فقال البطال من بالباب فقال حبيب من الأحباب فقام البطال الى الباب وفتحه وإذا به الوليد بن عقبه وهو يرعد مثل السعفه وكان أكبر أولاده وكان يخفى إيمانه مقيم عليه يصوم رمضان ويصلى على سيد ولد عدنان وكان عقبه مايأنس اليه ولايدنيه فلمارأى البطال الوليد وهو قدأتى اليه فى تلك الساعة فترحب به وأكرمه ورفع قدره وعظمه وقال له أهلا وسهلا ومرحبا بالمؤمن الموحد ثم أنه دخل به الدار (قال الراوى) ثم قال له فيما أتيت ياولدى وماحاجتك وما السبب الذى قطعك عنا فقال يا أبو محمد دعنى الساعه فقد هتك الله ستر الملعون عقبه واعلم أنه قدنزل هو واخوتى البيعة التى فى الدار وقد بلغنى الله ما أريد وأختار لأنى دخلت الى زيارته فسألت عنه من الجارية ماريه وهى تحبنى محبة عظيمة فقالت لى مضى الى عند الخليفة لأنه قدأتاه الخادم ببغلة وأخذه والى الآن ما عاد فقلت لها اعطينى مفتاح الحمام حتى نستحمه فقالت لى

ما أقدر فزعا من أبوك لما تعرف من مكره فقلت لها والله إنى لابد لى من الحموم وأن أنظر إلى الحمام وما برحت أدخل عليها وهى تحبنى وقد ضممتها إلى صدرى فتخبل عقلها ولقد هممت بها فنهيت نفسى عن ذلك خوفا من الله تعالى وحلفت للجارية انى ما أعلم أحداً بذلك وأخذت المفاتيح منها وفتحت باب الحمام وقلت لها حطى بالك من مولاى لا يجىء وأنا فى الحمام أو يأتى على غفلة أكون على أهبة منه فقالت السمع والطاعه ثم تركتها ومضيت نحو الباب وجعلت يا أبو محمد أمشى فى الحمام على البلاط وأنظر إلى ذلك الرخام والبلاط فنظرت إلى بلاطه مربعه فمسكتها فتحركت فقلعتها فبان لى أربع درج من الرخام فنزلت فيها فاذا أنا بقنديل بلور يوقد فقلت فى نفسى هذا دهليز البيعه وإذا أنا ببيت مرخم مذمك بالذهب وهو إلى قبلة المسلمين فقلت لعل أبى يكون رجع إلى ملة الاسلام وقد بنى هذا المسجد تحت الأرض يعبد الله فيه فربيت ساحته عندى وقلت كم كنت أتهمه وأعتقه غاية العقوق فجعلت أبكى وأستغفر الله تعالى ثم إنى تقدمت الى المحراب فوجدت سجادة فيها أربع محاريب مكتوبة بالسواد وعليها آية الكرسى وسورة الاخلاص فوقفت أصلى عند المحراب وقد بنى على أربعة أعمدة من الرخام المنقط بالأبيض والعامودين الأولين ظاهرين والآخرين مدفونين فى حائط القبلة ما يبان منهم إلا القليل فتأملت أحدهم فوجدت فيه مصراع كأنه قد خلق منه بصنعة مليحه فتقدمت اليه وجعلت أعافره فلم ينفتح فجعلت أدير طرفى فى المكان فرأيت على رأسه الأيمن عصفورة من الحديد ففركته واذا به قد انفتح فيه طاقة أسرع من البرق فهويت عينى فرأيت نور كثير وستر مسبول ومن خلفه هيكل فيه أربع قناديل من البلور وبينهم قنديل أحمر من الذهب الوهاج ورأيت أعمدة مصفوفه وعليهم صور الحواريين والأول منهم عليه صورة عيسى وبين يديه الشيخ النجيح وهو كأنه يراسله إلى البلاد والعباد بالكفر والطغيان ورأيته فى الناحيه الأخرى صورة مريحنا المعمدان وقد تذللت الأسود بين يديه وهى تقبل قدميه وعلى الثالث صورة مريم والمسيح فى صدرها والزنار فى خصرها وجبريل قد فرش أجنحته وهو يخاطبها ويبشرها وفى الحائط الشرقى صفة المذبح وماء المعمودية وجماعه من اليهود مصلوبين ورأيت شيئا كثير من أنوار الذهب والفضه والمباخر فيها العود والند وقد عبق ذلك المكان وارتفع دخانه الى العنان وأيضا أربع أناجيل على أربع كراسى من الحديد ورأيت صليب من الذهب الاحمر فى صدره مرآة من الجوهر وعلى رأسها درة كبيرة كأنها بيضة تأخذ بالبصر ورأيت فيها أربع قسوس يقرأون الانجيل فخفت أن يرانى منهم أحد فرجعت الى ورائى وقد أرخيت الستر ووقفت من خلفه وإذا بهم

قد سكتوا عن القراية وقال أحدهم الليلة يزورنا الشيخ النجيح وينام عندنا فالمسيح يطول لنا عمره أبو محمد سمعت ذلك ورأيت البيعه وصورة أبى عقبه بين يدى المسيح قلت لأجل هذا يسموه الشيخ النجيح ثم انى علمت أنه ما صنع المسجد إلا خبثا منه ولعنه حتى إذا اطلع عليه أحد يرى المسجد فلا ينكر عليه ورأيت فى المسجد فسقيه وهى الى جانب المكان فقلت فى نفسى الفسقيه ما تكون الا فى وسط المكان فكيف هذه فى الجنب ومما جرى على من الانذهال خفت أن يأتى الشيخ النحس عقبه الملعون ويرانى يقتلنى ويرمينى فى بعض السراديب فرجعت من السرادب وطلعت فى الدرج بعدمارديت العصفور إلى حالها الأول وأنا مذعور مما رأيت وقد انفرج ما بقلبى من الهم والغم ثم انى خرجت من الحمام بعد ما رديت الرخامه على حالها كما كانت ثم أتيت الى الجارية فوجدتها قد نامت فأيقظتها وأعطيتها المفتاح وأوصيتها بكتمان سرى وسألتها عن أبى فقالت االليلة يجىء ويبات فى الحمام وما يخرج إلا غداة غد فعلمت أنه يريد أن يدخل الكنيسه يشرب الخمر ويكفر بمن له النهى والامر فقلت انى أريد أقوم الى الأمراء وأعلمهم بما قد جرى حتى يدخلوا معى الى الخليفه ويعلموه بالقصه وقد انهتك ستره وأعلمك يا أبو محمد أن أبى عقبه قد اجتمعت فيه عشرة خصال وقد انفرد بها دون العالم أحدها أنه أحيل الناس والثانيه أكفر الناس بالله عزوجل الثالثه أنه أبغض الخلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرابعه أن قلبه أقسى من الحجر الخامسه أنه أجرأهم على الله بالمعصية وأنه لا يصدهم فى كلام السادسه أنه أشد الناس حذر السابعه أنه أكثر الناس بكاء وهو على غير حقيقه الثامنه أنه أبغض الناس اليه من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم التاسعه أنه أكثر الناس نفاقا العاشره أنه أكثر الناس بهتانا وكذبا وافتراء على الله وهذه الخصال ما جمعت إلا فى ابليس يفرح بغواية الخلق وكثرتهم وهذا الملعون ما يفرح إلا بسفك دماء المسلمين فعليه لعنة الله إلى يوم الدين فلما سمع أبو محمد ذلك المقال قال الله أكبر الله أكبر بلغ الكتاب أجله وفى كل عامل عمله فقال الوليد قم بنا حتى ندخل على الامير عبد الوهاب والاميره ذات الهمه حتى يسارعوا الى هذه التحفه النفيسه ويكبسوا الشيخ عقبه فى وسط الكنيسه (قال الراوى) فوثب أبو محمد البطال والوليد يطلبون الامير عبدالوهاب بعد ما أوعد الوليد بصلاح الحال وقد وصلوا الى دار الامير عبد الوهاب ودخلوا عليه فوجده منتصب فى المحراب وهو يبكى والأميرة عنده وقد سلم من صلاته والاميره ذات الهمه تقول له يابنى قد بلغ الامر

منتهاه وعدم العصب قوة قواه وقد كلت سواعدنا من الضرب والطعان ومابقى إلا خدمة الملك الديان وهذا الملعون عقبه قد زاد شره وكثر غدره والناس قد مقتونا من كثرة ما نتحدث فى حقه ويظنون أننا نتسبب فى قطع رزقه والامر كله لله عزوجل وقد يكون لهذا الملعون عقبه فى ديوان الظلمه حساب طويل . ولقد أحسن الشاعر حيث يقول :

لاتفرحن لذى ظلم بمظلمة فسوف يعلم عقب الظلم من ظلما

(قال الراوى) ثم قالت الاميره والله ياولدى مالنا إلا الانقطاع فى طاعة الله تعالى وندع الجهاد لغيرنا لأننا أخذنا منه الحظ الاوفر (قال) فلما سمع الامير كلامها قال لها يا أماه أما ماذكرتى من العباده فأنا أؤمل من الله تعالى أن يجيرنا من النار وأن العباده سبب السعاده وأما ما ذكرتى من أمر عقبه فانه أهون علينا من شرب الماء والموفق إله السماء ومالنا إلا أن نتسبب فى أخذه بعزمة قويه وندخل به الى البريه ونجمع العربان كلها من كل مكان ونبذل المجهود فى الاموال ونفرق العدد على الرجال ونسير فى عساكر تسد الفضاء وآخذ معى الخشبه التى ذكرها المصطفى صلى الله عليه وسلم ونقصد القسطنطونيه ونبلغ من صلبه الأمنيه فقد طال العمر وقربت المنيه ويزول عنا بصلبه الهم والشقاء (قال الراوى) ثم قالت الاميره ذات الهمه أما قولك عن عقبه ياولدى انك تسير به الى باب الذهب لتصلبه فأنت قادر على ذلك باذن الله تعالى ولكن ياولدى نلعن من الخلق ونهدم مابنيناه من الجهاد ويقال عنا انهم قتلوا قاضى من قضاة الاسلام ولم يعلموا بأنه كافر بالملك الديان ومافى الامر إلا اننا نصبر حتى حتى يهتك الله ستره ويكشف حاله ويبان عند الخليفة أمره (قال الراوى) فبينما هم فى الحديث وإذا هم بأبو محمد قد دخل عليهم والوليد معه وقال أبو محمد دعونا الساعه من الوعد والوعيد فقد هتك الله ستر عقبه المريد على يد الولد السعيد المسمى بالوليد (قال) ياساده فلما سمعوا مايقول وعولوا على بلوغ المقصود فقال عبد الوهاب ياأخى حدثنا بما معك فقال لا والله إلا قدام الخليفه (قال الراوى) فقام الامير والاميره وأبو محمد والوليد ابن عقبه وهم يقولون بلغنا المقصود باذن من يقول للشىء كن فيكون ولم يزالوا سائرين حتى وقفوا على باب سرادق المعتصم فوثبوا اليه الخدام وسألوهم عن سبب حضورهم فى ظلام الليل فقال البطال للخادم الخاص استأذن لنا على مولانا الامام فان الامر عظيم وإذا هم قد سمعوا المعتصم وهو يناجى ربه ويقول : يامن لا يموت ارحم من يموت ياصاحب العز والدوام ارحم من تبلى منه العظام واذا بالخادم قد

تقدم وصقع وقال يامولانا قد حضر عبد الوهاب ومعه جماعة وعلى وجوههم أثر الاستبشار ومعهم الوليد بن عقبه فقال المعتصم أمرهم بالدخول فدخلوا فوجدوه جالسا وبين يديه شمعة ومصحف وهو يقرأ القرآن فقبلوا الارض بين يديه فقال خير ياأمراء الاسلام ماالذى أتى بكم فى هذا الوقت فقال أبو محمد ياأمير المؤمنين جئنا فى قصة إبليس وقته وفرعون دهره ودجال زمانه المطرود عن باب رحمته شيخ الضلالة ومعدن الجهالة فسبحان الحليم الذى لايعجل الجواد الذى لايبخل الويل كل الويل لشيخ مضت مدته وابيضت لحيته وعظمت بلينه واسودت صحيفته فسبحان الذى يغير ولا يتغير ثم تلا قوله تعالى « إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم » يامولانا القدرة عجيبة أعز الله أهل الكهف بطاعتهم وسمعوا شكواه وعرفوا بلواه تبعبم كلبهم فاتصف بوصفهم وحملوه إلى كهفهم ونزلت خلفه التأييد من الملك المجيد ونطق به الوعد والوعيد فقال تعالى « وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » هذا من عزالله طاعته وأما من أذله الله بمعصيته فانه كان مأنوساً فصار إبليساً وكان مخصوصا بالوصال فصار مطروداً بسيف الجهر والانفصال وأمره الحق بالسجود لآدم فأبى واستكبر وتهاون وما فكر فوقع عليه ورقة علامة الطرد والعبر وتم على يديه القضاء والقدر وأجابته دعاوى الشقاوة والبطر إلا إبليس أبى واستكبر فرفع الخليفة رأسه وقال عن من تعنى بهذا الكلام قال يامولاى أعنى به صاحب كل نوبة صعبه الشيخ عقبه الذى يدخل البيت بالناموس ليستبيح كل النفوس وقد جئنا الى الحضرة العلية ببينة عادلة مرضية قال فلما سمع المعتصم كلامه عظم عليه وكبر لديه وقال لهم وأنتم جئتم لأجل عقبه وأوضحتم العبارة وإن لم تقيموا عليه البينة وإلا حل بكم البلية وأنا أقسم بآبائى الطاهرين ائن لم تترجم ياأبا محمد عن نفسك فيما قلت عنه لأقتلنك شر قتله وأمثل بك أقبح مثله أما سمعت قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الآية وأنت الآن قد اعترفت بين يدى أن عقبه نصرانى وأنا كل نوبة أعفو عنك والآن أريد منك البينة وإلا وحق آبائى الطاهرين علوتك بسيفى هذا فقد طال صداعك فقال أبو محمد الآن قد رضيت بقولك وحكمك فايش تقول يامولانا فى ولد عقبه الوليد فقال المعتصم ما أقبل منه كلام لأن الله عز وجل قال الولد عدو فقال البطال يامولانا فان رأيت عقبه بعينك وهو يكفر بالرحمن ويسجد للصلبان والصور التى فى الحيطان فهل تحتاز معه إلى بينة فقال المعتصم لا والله يا أبا محمد فعند ذلك التفت البطال الى الوليد ابن عقبه وقال ياولدى حدث أمير المؤمنين ببعض الحديث دقوموا بنا قبل الفوات نطلع على هذه الحالات فتقدم الوليد ابن عقبة وقال

له يا أمير المؤمنين وحق من أجرى الأقلام وأبرم الأحكام وخلاق الضياء والظلام وعرفنا طريق الحلال من الحرام على لسان بدر التمام ومصباح الظلام والشفيع فى الانام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام أن عقبه الليلة فى أسفل الحمام ثم ابتدأ وحدث المعتصم بما جرى وأن أبوه الليلة فى أسفل الكنيسة وقد كفرت نفسه الخبيثة فلما سمع الخليفة ذلك الكلام قال يا أبو محمد ها أنا سائر معكم بنفسى على شرط أنى أقسم بالذى ضر ونفع وشتت وجمع ووصل وقطع الذى كل جبار لهيبته خضع وكلم موسى فأسمع ان كان عقبه كما ذكرت ورأيته كما وصفت فأنا أترك دخولى إلى بغداد وأرحل معكم إلى مدينة القسطنطونيه فى أثر هذه الكسره ولا أبرح معكم حتى أصلبه على باب الذهب وان كان قولك محال صلبتك عوضه فى الحال فقال البطال يا مولانا الله على ما تقول وكيل فقال نعم ثم ان الخليفه أرسل خلف عمرو بن عبيدالله وولده الجراح والوزير أحمد والفضل بن مروان وأحمد بن أبان وداود وتمام العشره من أرباب الدوله وعشره من أخر حجابه وأخذ الأمراء ووثب من وقته وساعته وقال هذا الأمر لا يجب إهماله ربما يكون الأمر صحيح وساروا القوم والوليد أمامهم وهم يسألون الله تعالى أن يتم لهم الأمر (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين إلى أن أتى بهم البطال إلى دار القاضى عقبه وتقدم إلى حائط جاره وتسلق إلى سطح الدار وسار على مهله فكلمه صاحب الدار وقال له من أنت الذى قد هجمت دارى فى هذا الوقت فقال البطال لا بأس عليك انزل وافتح الباب لمولانا أمير المؤمنين فسوف ينهتك ستر عقبه اللعين وكان هذا جار عقبه مذبول الكبد منه لأنه كان قد تغلب على كسر داره وقد تجبر وضجر منه ولم يقدر أن يكلمه من خوفه منه فلم يصدق أن يسمع ذاك فى حق عقبه فنزل من وقته وفتح الباب وخدم المعتصم وقد أصعدهم إلى سطح الدار ثم انهم طلعوا إلى سطح القاضى عقبه وقال لهم البطال يا مولانا ما فيكم من يتكلم بكلمة واحده فانى أخاف أن يفطن بنا. فقال الخليفة وحق محمد من تنحنح ضربت رقبته فلم يجسر أحد أن يتكلم ثم نزل البطال إلى جدار بيت عقبه ونصب السلم وتقدم الوليد بين أيديهم إلى باب الحمام الذى داخل الدار وطرقه طرقا خفيفا فأجابته الجاريه المذكوره وقالت من بالباب فقال لها أنا الوليد وقد أتيت إلى زيارتك (قال الراوى) فلما سمعت ذلك فتحت له الباب هنالك وثبت إليها الأميره ذات الهمه وأوثقتها كتاف وحطت فى فمها الأكرة وفتشوها وأخرجت المفاتيح من على وسطها وهى قد حارت وخافت من فعالهم ثم انهم أرسلوها إلى الخيام بعد أن أمروا بحفظها وأما أبو محمد فانه أخذ المفاتيح وقال للوليد اورينى الحمام فقال دونك فها هو بين يديك

ثم أتى الى الباب وفتحه ودخل الى بيت الحمام وكانوا يفعلون ذلك وهم فى الظلمة والخليفة يقول ما كأننا إلا لصوص فلما دخلوا الى بيت الجار والخليفة معه قد حار فقلع الوليد الرخامة ونزل بهم فى السرداب هذا والخليفة من خوفه على نفسه قد أشهر الحسام هذا وعمرو بن عبيد الله لا يقدر أن يتكلم وقلبه من أجل عقبه يتألم الوليد نزل فى السرداب والامراء محدقين بالخليفة وأبو محمد يقول يامولانا ستعلم صدق كلامنا وصحة حديثنا. هذا والوليد قد أوقفهم على المحراب وأوراهم السجادة الصوف وهى معلقة خلف الباب وقال يامولانا هذه من عمله من خوفه على نفسه ثم إنه أتى بهم الى عند المصاريع التى فى المحراب وهى مركبة فى العامود وفتحها وقال يامولانا وان فيها حكمة عظيمة إذا أغلقت الى جوا لم يكن للناظر اليها سبيل ولا إلى نحو الكنيسة من طريق ولأن عقبة من احترازه على نفسه قد أدار عصافيرها بشىء يعرفه فصارت كأنها طاقة فى المحراب وقد وضع فى كل طاقة مصحف كل ذلك من خوفه على نفسه فحار الوليد من ذلك وجعل يرجف وقال ياأبا محمد إنى اطلعت على هذا المكان فما أرى الذى نظرته فقال أبو محمد لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم هلكنا ورب الكعبة فقال الوليد ياأبا محمد كان هنا نورين من ذهب وفيهم شمعتين فما رأيت لهم أثر فقال البطال اصبر ياولدى ثم أخرج قداحه وقدح وأشعل النار فرأى المسجد وذلك الترخيم ولم يرى نقب ولا حس فقال البطال ياولدى انظر ما الذى تغير عليك فقال الوليد ياأبو محمد قد تغير على ثلاثة أشياء أولها هذين الطاقتين والآخر رواح الشمعتين والأخرى كانت بركة تحت هذه الصفة فما رآها قد سارت وسط هذه الساحة وماأقول إن عينى سحرت بهذا كله عندها وقف البطال باهت وصار ينظر الى الوليد وقد تحير فقال الخليفة مامن أمرك ياأبا محمد فقال يامولاى اعلم أن الرجل خبيث ملعون وهو أخبث أهل زمانه وقد حرت فى هذه النوبة فقال المعتصم يا كلب العرب وياقليل الادب حجة قد ظهرت عليك ولابد ماأخرج روحك من بين جنبيك وهذا يدل على صحة براءته ببنيان هذا المسجد تحت الارض حتى يصلى ورده تحت الارض فى الليل وهذا كله خوفا منك لا تسرقه تحت الليل فقال البطال يامولانا ارفق على فان الله حليم لا يعجل ثم إن البطال أخذ الشمعة فى يده وجعل يدور على جوانب البركه ويتميز محاريبها فنظر الى بلاطة مربعة وهى فى جانب البركه فأخرج البطال قطعة كانت معه على هيئة المنجل ومازال يعالج البلاطه حتى قلعها من مكانها واذا قد ظهر شىء من تحتها على هيئة الدولاب فقلعه البطال من مكانه فتركت البركه وهى ملآنة بالماء وهى فرد قطعة مصنوعة من النحاس. وأما الفصوص والقطع الرخام كان فوقها سنارة لها

ومازال البطال يدور الدولاب والكيلجه حتى التصقت البركة تحت الصفم فقال الوليد الله أكبر هكذا كانت والله فى الأول هذا والخليفة حار مما رأى وبقى متفكر فيما جرى وقال والله هذه أعجوبة الزمان وقد ذهب الشك وبان البرهان فبينماهم كذلك إذ ظهرت لهم بلاطه أخرى درة وحلقة فجذبها البطال اليه واذا قدبان لهم سرداب ضيق وهو معقود فتقدم أبو محمد البطال وداس أرضها واذا قدوثب عليه أربعة أشخاص وبأيديهم السيوف المجدبه فهم الخليفة بالنزول فصاح البطال لا يامولانا وانظر الى هذه الحيل والمكر وهذه الطلاسم والأشخاص الذين فى أيديهم السيوف كل ذلك من احترازالملعون على نفسه فقال المعتصم ياأبا محمد كيف الحيلة وإزالة هذه الأشخاص وقد اتضح هذا الامر وبان الصدق من المحال فقال البطال ياسيدى ترى العجب ثم انه حفر بذلك المنجل الذى معه الى أن ظهرت له بلاطة مربعة فقلعها من مكانها وإذا قد ظهر من تحتها نقالات رصاص وسلاسل حديد فجذبها البطالى وأصحابه الى الى أن قلعوها من مكانها فعند ذلك وقعت الأشخاص الذين كانت فى أيديهم السيوف وتقدم البطال قدامهم ينظران كان بقى قدامهم شىء أم لا فلم يرى شىء فقال يامولانا بحق اتصالك من حمزه وعقيل ومحمد سيد الكونين صلى الله عليه وسلم لافيكم من يتكلم فما بقى ارتياب وهذا دهليز قدبان وعليه ستر مسبول وأنا أعلم أن الله تعالى قد هتك ستره فقال المعتصم قدفعلنا ذلك ثم أنه نزل فى الأزج المعقود وقدخلصوا عندالستر فمدالمعتصم عينه فرأى الشمع والقناديل والعود والمسك والعنبر والماورد ثم أنه سمع أصوات الشمامسم والقساقسه يتلون الانجيل ويكفرون بالملك العظيم صاحب التنزيل فصاح المعتصم الله أكبر الله أكبر فان الحق قد ظهر وانكشف أمره واشتهر وهذه والله البيعه المشهوره الموصوفة المذكورة فقال البطال لاتعجل يامولانا فان الشرط أبلغ فقال له صدقت يا أبا محمد فقال له قف قليلا حتى تسمع عقبه كيف يقرأ الانجيل فسكت المعتصم وهو ينظر من وراء الستر وفى قلبه من عقبه أمر عظيم فبينماهم كذلك وإذاهم بالقاضى عقبه لعنه الله قد خرج من باب صغير وفى يده شمعه كافوريه وفى الاخرى مبخره من الذهب وهى فى يده المقطوعه وفيها العود القمارى وعليه ماشوحة سوداء وفى وسطه زنار من الحرير الاخضر وهو منظوم بالدر والجوهر وعلى صدره صليب من الزمرد الاخضر وولده حميصه بين يديه وفى يده الانجيل رفاته من الذهب الاحمر وهو يقرأ الانجيل فلما رأته القسوس وهو يقرأ الانجيل بصوت يشفى العليل فعند ذلك قامت القسوس على الاقدام وقالوا يا أبونا بارك

لنا واقرأ علينا الانجيل بصوتك الندى فقال سمعا وطاعه ثم أنه رفع صوته بلحن شجى وقرأ فصلا من الانجيل وهو يقول سماح المرايا كلاه الاب برسوما ببراش بجدونا وهو الاب مرسوما ببراس بترى وعود الاب برسوما ببراس بترى والدار سبوغا الاب برسوما يسمى بالنكوى بأسماء الاب برسوما ببواش آمين آمين ثم سكت عقبه من القراءه وقد قال لولده ويلك كنت أشتهى الساعة أبو محمد البطال أن يرانى فى هذا المكان على هذه الصفه حتى يعلم بحالى الخليفه وأنا أقسم بالمسيح والانجيل الصحيح والمذبح والذبيح أننى أنا حجة السيد المسيح وتلميذ مزمارى السليح ولو اطلع على الخليفه لعبت بعقله كما لعبت بعقل الرشيد والأمين والمأمون فلا رضى المسيح عنهم فطال ما تلهيت وأكلت لحم الخنزير وشربت الخمر العصير وكذلك جرى مع الرشيد ولم يبلغ منى ما يريد فقتلت المأمون بيدى ولا بد لى من قتل المعتصم ولا بد فى هذا العام من قتل الخاص والعام وأيتم الأطفال وأفتت الأكباد وأخرب المساجد وأهدم القواعد وأقتل المعتصم وأهلك الأمم عند ذلك ينقام ظهرى بعد ما انحنى وهذا كله ببركة المسيح الذى سخر لى خليفة المسلمين حتى أضحك على قمته ولا بد لى مما أضرب رقبته (قال الراوى) فلما سمع الخليفه كلامه أخذه الزمع وكاد من الغيظ أن يقع وهم أن يدخل ويقبض عليه فقال له البطال اصبر يا مولانا ولا تعجل وتفرج على هذا العمل هذا وعقبه قد أقبل على ولده حصيصه وقد سمع الحس وراء الستر يلعب لحس قلبه بالبليه فقال يا ولدى كأننى أسمع كلام خفى وراء الستر وكنت أشتهى على المسيح أن يكون الخليفه واقف يسمع كلامى ويفهم نظامى لعله يعجل حمامى فقد طال بين الأعداء مقامى وأنا أقرأ القرآن وأسجد للرحمن وألعب بالأديان فى السر والاعلان وأبكى عند الخليفه زور وبهتان (قال الراوى) فلما سمع المعتصم ذلك لم يستطع الوقوف بل هجم وهجمت الأمراء معه وأصحابه وينادى يا ملعون أكفر بعد إيمان وشك بعد إيقان هاقد هتك سترك واندحض عذرك وأين ذلك التذلل والخضوع وقراءة القرآن والخشوع وتلك النياحه على المنازل والربوع واظهار الأسف واجراء الدموع ويلك كيف طاب قلبك أن تجحد ربك وكيف ترجو أن يسعدك شيبك وكيف لك لسان أوجنان تقول بما قالت عباد الصلبان ولقد صدق البطال فيما قال فيك فعندذلك خجل الملعون ثم التفت الخليفه إلى عمرو بن عبيد الله وقال له انظر الى ابن عمك الذى كنت تذب عنه ولا شك أنك على دينه فقال عمرو معاذ الله يا مولانا وأنا أقسم بالله تعالى اننى ما اطلعت عليه بشىء من ذلك إلا فى ساعتى هذه وهو ملازم الصلاة والقيام ولقد احتملنا العار فى سائر الأقطار ثم انه طأطأ

رأسه من الخجل وقد أخذه الخوف والوجل هذا وعقبه قد انطرح بين يدى الخليفه وجعل يقبل الأرض ويقول يا مولانا عجل بقتلى وأخرجنى من الدنيا بالكلية وارحمنى من هذه الأعمال الردية فهو الذى كنت أرجوه من بلوغ الأمنيه فقال المعتصم يا مطرود عن باب الملك المعبود وهيهات هيهات لقد حل بك الوجل وأحبط الله منك العمل ووقعت فى بحار الذل ثم عزم على ضربه بالحسام فوثب اليه الأمير عبد الوهاب وقبل الأرض بين يديه وقال يا مولاى أريد صلبه على باب الذهب كما أمرنى النبى المنتخب وأريد أيضاً عذابه بين أصدقاه وأصحابه لأنه قتل المسلمين وعمل على إبطال هذا الدين وكم سبا من البنات والبنين وهتك المحصنات وأخرب المساجد ولم يخف من الملك الماجد فقال له الخليفه تسلمه وسوف أسألك عليه (قال الراوى) فلما سمع عقبه كلام الخليفه وهو يقول للأمير تسلمه فسوف أسير معك وأحضر صلبه على باب الذهب عند ذلك وثب الملعون قائماً على قدميه كأنه الذئب الأمعط أو الثعبان الأرقط وهجم على الخليفه وكان فى كمه سكين وهى بالسم مسقيه قد جرت فيها المنيه وهم أن يضرب بها المعتصم فصاح البطال إياك يا مولانا يضربك الملعون بالسكين عند ذلك تأخر المعتصم إلى ورائه ووثب البطال إلى عقبه وثبة الاسد الضارى وقبض على يديه وجلد به الارض فرض عظامه رض وطارت السكين من يده وقال يهنيك يا مولانا السلامه فقال المعتصم اضربوا رقاب القساقسه فضربت الاميره رقابهم وتقدم الامير عبد الوهاب إلى حمصيصه ولد عقبه وضربه بالسيف أطاح رأسه عن جسده فقال عقبه يا ولدى الآن قد ظهر الحق وانكشف الغطا وقال الملعون هو برىء من دين محمد المصطفى فأراد المعتصم أن يقطع لسانه فقال البطال يا مولانا وايش جهد ما يقول وهل تبال السماء بنبيح الكلاب فالحمد لله الذى اتضح أمره وانهتك ستره بين يديك وظهر صدقنا ولولا كنا عارفين بمكره وكفره لما كان يجوز لنا أن نتكلم إلا بما علمنا فقال الخليفه ياعمرو خذه عندك واحفظ ابن عمك لقد كنت تشدمنه وان هرب ضربت رقبتك ورقاب سائر بنى سليم ففزع عمرو على نفسه والتفت الى ولده الجراح وضم اليه عشرين فارس وقال لهم يابنى عمى ما للمصائب الا أهلها لان هذا الملعون كسانا العار الذى لا يمحى أبداً وأنا أعلم أننا ما نلتقى فى هذه النوبه من الخليفه خير أبداً إلا إن شاء الله سبحانه وتعالى ثم ان الامير عمرو أتى الى أبو محمد وقال له يا أبو محمد هذا ولدى وبنى عمى يحفظونه معك ووكل عمرو بالمكان عشر رجال أخر من فزعه من الخليفه ثم انهم خرجوا الى الخيام ومما جرى عليه من اللعين عقبه ما أخذه منام فلما أصبح

الصباح أمر النقباء أن تنادى فى الطوائف والعساكر بأخذ الاهبة للرحيل الى بلد الروم وسمع الامير عبد الوهاب والاميره ذات الهمه بذلك ففرحا بهذه الكرة فلما تضاحى النهار واذ قد أقبل البطال وهو ينادى فى الفرسان ياقوم تفرقوا فى كل مكان وعمرو أيضا ينادى وهو ولهان خائف من الذل والهوان وهو يقول هرب الملعون عقبه وماندرى هروبه كيف صنع ولا كيف كان فركب الامير عبدالوهاب والسادات وتفرقوا فى سائر الجهات (قال الراوى) وبلغ المعتصم الخبر فكاد أن يغشى عليه من شدة ماجرى عليه وأمر البطال فحضر بين يديه وقال له ويلك كيف هرب الملعون لا يكونوا بنى سليم أخفود فقال البطال وحق نعمتك ماندرى كيف هرب لأنى انا وأولاى وعشرة من بنى سليم كنا على باب السرداب نحفظ المكان طول الليل فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح نزلنا نطلبه لنطعمه شيء بسدبه رمقه فمارأينا له خبر (قال الراوى) وكان السبب فى هروب الملعون من البيعة أنها كان فيها سردا يخرج الى ظاهر البلد الى نهر سليمان يدخل منه الماء أيام الزياده فلما علم أن البطال يحرسه مع الرجال دخل الملعون فى السرداب وخرج من ظاهر البلد ولم يعلم به أحد فلما تحقق المعتصم من ذلك صاح فى غلمان الدار دونكم وهؤلاء الكفرة بنى سليم فمابقى لى عين تنظر إلى سليمى أبدا اقتلوا رجالهم وابدأوا بعمر وأميرهم فقامت الأميره ذات الهمه وقبلت الأرض وكذلك الأمير عبد الوهاب وقال يا أمير المؤمنين لاتفعل بهم فهم على كل حال مسلمين مؤمنين فلا تحرقهم بنار هذا الملعون فقال المعتصم بالله لابد لى ماأشفى قلبي منهم ثم قبض على مائة أمير من أمراهم وضرب رقاب خمسين وصلب خمسين وقال للبطال ويلك أنت طول عمرك تلقى الشدائد وتقاسى على رأس هذا الملعون الأوابد فلا انهتك ستره فان توانيت عنه وحق آبائى الطاهرين لئن لم تجد فى طلبه صلبتك موضعه فقال البطال ماهو كثير أن أصلب أنا ويسلم عقبه ثم قال يامولاى وحق سيد الأنام مابقينا نشبع من منام حتى نبرم هذه الأحكام وأجتهد أنا وأولادى حتى أشفى من عقبه فؤادى أنا أسأل مولانا أن يكتب لى خطه وعلامته إلى أى بلد أدخله ويكون فى يدى الى الولات والنواب بأن يكونوا الى أعوان لأنى أخاف أن يكون فى مكان قد احتوى على قلوب أهله باظهار زهده وناموسه فيقتلونى ويخلصوه من يدى فامتنع منه ومن أخذه فلما سمع المعتصم ذلك كتب له بخط يده إلى جميع النواب والنواحى والبلاد من عرب وعجم وديلم وهو يقول ساعة يصل هذا الامير الناصح للدين أبو محمد البطال وأى من رأى عقبه يساعده على أخذه من جميع النواحى وسائر الأقطار ويسير معه رجال تحفظه من المفسدين فقد شهد بكفره خليفة المسلمين بأنه

مشرك برب العالمين كافر بيوم الدين عابد الصلبان جاحد الواحد المنان فلا يمنعه أحد من المسلمين إلا ويعلم أن خصمه أمير المؤمنين ثم طوى الكتاب وناوله للأمير أبو محمد البطال فأخذه وعاد وهو فرحان إلى الأمير عبدالوهاب وأعرض عليه خبر الخليفة وخطه بيده وقال يا أمير مابقيت أنام أنا وأولاى ولا أبرح حتى أعمل على تحصلة أو أموت دون ذلك فقال الأمير إن الله فى تأخير أجله إردة لا يعلمها إلا هو وإلا كان هذا الوقت أحسن الأوقات مادام إن الخليفة عندنا فى الثغور وقد انهتك ستره وتمت لنا الامور على أنى قد نفرت الخيل خلفه إلى كل مكان عرب وسودان فقد أمرتهم أن يقصدوا الاديرة التى تأويه وصوامع الرهبان والضياع وعباد الصلبان وما أقول انهم يعودوا ان شاء الله إلا به (قال الراوى) هذا والخليفه قدعول على الرحيل إلى بغداد وقلبه ملآن من الغيظ على بن سليم ولما كان وقت العصر وقعت الصرخة فى جانب العسكر وماجوا كما يموج البحر الزخار وعلا الصياح والافراح فاندهش الامير عبد الوهاب لذلك وركب وسأل عن الخبر فقالوا يا مولانا وقع عقبه وقد أتى به أبو سكران وهو مع السودان فلما سمع الامير ذلك حار فؤاده ورمح إلى نحو الصياح وركب أيضا أبو محمد وهو لا يصدق من شدة فرحه ووصل الخبر إلى المعتصم فركب فى أرباب دولته وهو يقول سبحان من سهل الامر قبل رحيلى إلى العراق (قال الراوى) ولم تكن إلا ساعة حتى وصل أبو سكران وعقبه ينقاد معه فى الذل والخبال والهوان وفى رقبته حبل وعليه فروه مقلوبه وقلنسوه كبيره وقد شد وسطه بزنار وتحزم بحبل صوف وفى عنقه حبلين قرع وهو فى زى مشايخ الارض والسودان حواليه بالدبادب والبوقات والقرون وهم من حوله يتراقصون وكلما ضربوا رأسه يرقصون ويضحكون

﴿ تم الجزء التاسع والستون ويليه الجزء السبعون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء السبعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بسكة المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وآله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياساده يا كرام فلما رأى الأمير عبد الوهاب عقبه بصق على وجهه وقال لأبى سكران أين وقعت بهذا القرنان فقال ياسيدى تحت قرية الأرمن وهو طالع من عقبتها وماعرفته حتى كلمته وقلت له رأيت لنا شيخ صفته كذا وكذا اسمه عقبة فقال ياولدى أنا ما أعرف أحداً ولا أنزل فى هذه القرية إلا أن يكون لى فيها شغل وإلا زياره لأنى رجل كبير مالى عقل أعرف به أحداً وكان يكلمنى ورأسه فى الأرض وما عرفته إلا بنغمته فبادرت اليه وقلت باشيخ ها أنت المطلوب فلما سمع الأمير عبدالوهاب هذا الكلام ساقه قدام الخليفه وهو على تلك الحالة فشكر الله تعالى على وقوعه وقال للأمير عمرو تسلم ابن عمك الى غد فتدخل به الى بلاد الروم وتصلبه على باب الذهب فقال يا أمير المؤمنين أكون أنا وحدى وبنى كلاب لابد منهم أحد معى فقال البطال وأنا أكون مباشرهم فعندذلك برزت العساكر وسارت تقطع الأرض طولا وعرضا وكان القاضى عقبه على جمل وعلى جسده فروة مقلوبة وعلى رأسه طرطور من جلد الثعالب فهم فى سيرهم وإذا قدقامت عليهم ريح شديدة إلى أن عميت أبصارهم فطلبوا عقبه فلم يجدوه على الجمل فبقى أبو محمد باهت متحير هو وأولاده ثم أنه دخل على الأمير عبد الوهاب وأخبره بذلك فدق يد على يد وقال والله لقد تعبنا وتعب الخليفة فكيف كان سبب ضياعه من بين هذه العساكر والجموع فقال مازال على الجمل ونحن دائرين من حواليه فى وسط الثقل حتى هبت تلك الرياح وثارت فى وجوهنا الرمال وقد تفرقت الناس يمين وشمال وجفلت الجمال والدواب وهذا آخر عهدى به فقال الامير عبد الوهاب والله ماهذا إلا أمر عجيب وله سبب من الأسباب

وكان السبب فى هروب عقبه أنه لما جرت على الناس تلك الشده وهو سائر على الجمل وهو حائر فى أمره وقد أيقن بالهلاك لأجل شىء يريده الله تعالى تارت تلك الرياح فانقطع مقودالجمل بتاع عقبه وهج به بين الأشجار وقد تعلق بيده الصحيحة فخرج الجمل يهيم على وجهه وطلبه البطال فلم يجده وأعلم به الامير عبد الوهاب فقال هذا شىء مانخفيه عن أمير المؤمنين فعندها أعلموا الخليفة بهذه القصة فجرا عليه ما لا يجرى على قلب بشر وقال والله العظيم ان رجوعنا الى ملطيه شماتة للأعداء ثم أنه بعث الخيل تدور عليه مدة ثلاثة أيام وكان عقبه لما أصبح عليه الصباح وهو فى ذلك الموضع ورأى الخيل تدور فى طلبه فاختفى فى الشجرة فزعا على نفسه فبينما هو كذلك واذا بثلاثة رهبان قد أتوا الى ذلك المكان بسبب جمع الحطب فلما رآهم الملعون صاح بهم فأتوا اليه فعرفهم بنفسه فسلموا عليه وحملوه الى عندهم ثم أنهم سألوه عن سبب دخول العسكر فأخبرهم أنهم مادخلوا إلا أنهم يصلبوه على باب الذهب ثم اشتكى اليهم حاله وخوفه فألبسوه من الثياب التى عليهم وأخذوه معهم الى ديرهم وكان ديرهم على رأس جبل وهو لطيف صغير فلما حصل عقبة فيه أخذه القلق وقال للرهبان ما أقدر أقيم فى هذا المكان لأنى أخاف أن يلحقنى أبو محمد البطال ثم أنه ودعهم وأخذ فى يده عكاز وركبوه وشد وسطه وسار يطلب بيت المقدس وقمامة وقد ضاق صدره وضاقت عليه الدنيا وكان أكثر سيره فى الليل فهذا جرى ههنا (وأماماجرى) من الامير عبدالوهاب وعساكر الاسلام فانهم لما أيسوا من عقبه عادوا وفى قلوبهم النار طالبين الثغور وكان أكثرهم أسف أبو محمد البطال لأنه قد بقى يومين لا يأكل ولايشرب مما جرى عليه ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا الى ملطيه ونزلوا على ظاهرها هذا والخليفة قد عول على الرحيل الى العراق وهو يقول لعبد الوهاب والله لولا الشتاء وقد هجم البرد ما كنت رجعت حتى نزلت على باب القسطنطينيه وأعملها غزوه أذكر بها الى الأبد لأنى أعلم أن ملك الروم إذا سمع أننا دخلنا الى بلاده ورجعنا الى بلادنا يستعجزنا ثم أقام على ملطيه يومين ورحل طالب العراق وهو يوصى البطال بالكشف عن أخبار عقبه فقال السمع والطاعة وأوصاه متى قبض عليه يرسل ويعرفه حتى يسير الى بلاد الروم لاجل صلبه والجهاد ثم سار يطلب بغداد هذا والبطال قد جمع أولاده وقال لهم أريد أسير الى بلاد السواحل وأكشف الاخبار من التجار فقال له ولده مذبحون مالنا إلا بلاد الروم ولانكشف خبره الامن هناك فقال البطال ياولدى مايقدر يدخل الى هناك لأنى أعلم أنه مايقيم فى تلك البلاد وأنا الذى لا أقعد

عنه ولو أنه فى آخر الدنيا وأريد منكم المعونة والصبر على السفر ولا يلحقكم ضير لعلنا نبلغ الظفر وأن أشفى قلبي من عقبه قبل الممات وأقبر فقالوا له أولاده وغلمانه لو أمرتنا أن نخوض البحار لخضناها سر بنا أين شئت وارسلنا فى أى مكان هويت فما هنا من يخالفك فلما سمع البطال كلامهم فرح فرحا شديد وقال مالنا إلا بلاد السواحل ونكشف الاخبار من التجار وأهل البلاد ثم أنهم باتوا على أهبة السفر ولما كان عند الصباح أخذوا معهم خيل وبغال واستكثروا من الماء والزاد وودعوا الأمير عبد الوهاب وأمه ذات الهمه وسار يطلب السواحل وبنته عذيبه فى زى أولاد التجار وهى فى أحسن شيء يكون وحمل الامير عبد الوهاب على قلبه من مسير أبو محمد البطال أمر عظيم وخاف عليه أن يهلك فى بعض البلاد ومايبلغ مراد ومن ضيق صدره صار يركب كل يوم الى الميدان ويتشاغل مع الفرسان فبينما هو بعض الأيام ظاهر البلد وإذا هو بنجاب قد أقبل اليه وسلم عليه وناوله كتاب ففضه وقرأه وإذا هو من سوار ابن جرهم صاحب دمشق الشام يقول فيه اعلم أيها الأمير أن مصر قد ملكتها السودان واحتوى عليها ملك زنعنع الحبشى وهو جبار من الجبابره وقد سير الى بلاد السواحل وقد زادت أذيته ونحن خائفين من أذيته وشره فكاتب أمير المؤمنين لعله أن يسير الينا من يعيننا على قتاله وإلا أهلك العباد وملك البلاد لانه فى خلق كثير لاتحصى من العبيد ومجمعة السودان وهم قوم لايعرف لهم دين بل يرمون أرواحهم الى الحرب مثل الدواب فالعجل العجل قبل أن تقوى شوكته وهو قد جعل بركة الحبش موطنه وهو نازل عليها فى مصر والسلام فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك قال هذا أمر ما كان لنا فيه حساب ثم أنه أعرض الكتاب على الامير عمرو وأمر صاحب الكتاب أن ينقلوه فى خمس نسخ ويعلقها على أجنحة الطيور الى بغداد فما بات الخبر إلا عند الخليفة فصعب عليه وقال لكبراء دولته كيف ترون فى هذا الأمر أراحت مصر من أيدينا فمن نرسله اليه فقالوا يامولانا ما له غير الامير عبد الوهاب يقتله فقال المعتصم ما هذا صواب أن نخلى الثغور من الأمير عبد الوهاب فربما يخرج علينا ملك الروم وما فى الأمر الا أننى أرسل بنى سليم فان أفلحوا بيضوا وجوههم وان هلكوا فيكون ذلك ببركة قاضيهم ثم انه أمر أن يكتبوا الى عمرو ويقول له أشتهى أن تسير الى مصر وتكفينا شر هذا الخارجى وتخلص البلاد من يده حتى أعفو عنك بماقد مضى ولا تحوجنى أجمع لك العساكر وأطلب الجهاد ثم أمر الوزير أن يرسل الكتاب الى ملطيه فلما وصل الكتاب الى عند الامير عمرو وقرأه وسمع مافيه من الخطاب جمع بنى

سليم وأعرضه عليهم وقال لهم اعلموا أن الخليفة ما هو طيب القلب علينا وكل هذا بسبب الملعون عقبه الذى كنا نشهد فيه بالصلاح حتى ظهر منه ما ظهر ويد الخلافه لا تطاولها يد ونحن فى بلاده واقطاعه وقد ندبنا الى هذا الامر وأنا أريد منكم أن تسيروا معى بنية صحيحة وتبذلوا أرواحكم لعلنا نهلك هذا الخارجى ويعود قلب الخليفه يتعطف علينا فما ننال المنزله الا بالصبر على النوازل فقالوا بنى سليم يا أمير ان هلاكنا أحب إلينا من الحياة وان الهلاك مع العز خير من الحياة فى النار كما قيل :

فعيشك تحت ظل العز يوما ولا تحت المذلة ألف عام

فشكرهم عمرو على ذلك ونادى فيهم بأخذ الأهبة وأعرضهم فكانوا سبعين ألف ففرح بذلك وطلعت الخيام والطبول ثم انه رحل وخرج الأمير والأميره لوداعه وأوصاهم عمرو أن يكشفوا أخبار عقبه فهذا ما جرى (وأما ما كان) من عقبه فانه سار الى انطاكيه ودخل الى عامل له وكان عنده مال كثير فأخذ المال منه واشترى ثلاث غلمان وبغله وجوادين وخيمه وعول على أنه يدخل الى بلاد الغرب فسمع أن زنعنع الحبشى قد ملك ديار مصر فقال وحق المسيح لابد لى أن أسير اليه وأطلب منه الزمام وأقيم فى بلاد المسلمين ثم ان الملعون عقبه سار الى صور وأقلع منها الى ديار مصر فرآها منقلبة بكثره العالم والعساكر ووصل الى الملك وعارضه وهو تحت مصر وقد عمل له طيلسان ونادى ياملك خذ بيدى فأنا مظلوم وقد وصلت الى جنابك من قوم ظلمونى وما راقبوا فى وقد قطعوا أطرافى وأرادوا اتلافى فهربت منهم وجئت اليك ولم يزل عقبه حتى احتوى على قلب الملك بحسن النظام ولين الكلام فقال له يا شيخ قد قضيت حاجتك وتم معه وهو يحدثه بما قد جرى عليه فى الثغور وما قد تم عليه من الخليفة لأجل الدين وكان عقبه الملعون قد سأل عن دين الملك فقالوا له يعبد الشمس اذا طلعت بالأنوار ثم قال للملك وما أصابنى هذا الا بعلمى وخبرتى بصحة عبادة النار فلما سمع الملك ذلك تعجب فقال عقبه وحق ما فى الشمس من الحراره والنجوم السياره لقد أخفيت دينى وقد جاهدت فى الأعداء حتى اننى قد أهلكت منهم بعدد الرمل والحصى ولم يزالوا حتى اطلعوا على حالى وفعلوا بى هذه الفعال وما خلصت منهم الا بما قدمت يدى من العباده والجهاد فى المسلمين وأخبرك أيضا من ليالى رأيت أن النجم الثاقب قد خلا بى وقال لى يا شيخ لا تضيق صدرك ففى هذا العام وهذه الأيام يظهر رجل من بنى حام يتفضل على جميع الانام فاطلب أرض مصر وكن مع عبدى زنعنع فلما سمع الملك من عقبه ذلك الكلام طاب قلبه وانشرح صدره وقال له ياشيخ

فأنت مخصوص لهذا الدين فمن أى الأراضى أتيت الى هؤلاء الشياطين فقال يا ولدى أنا أصلى من بلاد الحجاز وقومى بنى سليم وكنت قرأت الكتب والمذاهب حتى وقفت على الصواب فلما سمع الملك زنعنع ذلك قال يا شيخ فأنت ابن عمى لان أبى أيضا كان من بنى سليم يقال له عقبه بن مصعب السلمى وكان عند خليفة المسلمين بمنزلة عظيمة فلما سمع عقبه كلامه بكا من فرحته وقال له يا ملك أنا عقبه وأنت ولدى وقد جمع الزمان بينى وبينك وقد شد ظهرى بك عند منتهى العمر لتأخذ لى بالثار من هؤلاء الأشرار فقال زنعنع ياشيخ وأنت دخلت الى بلاد الحبشه فقال له نعم فقال عند من نزلت فقال عند ميكائيل وأعطانى جارية سوداء فتزوجت بها وتركتها حامل فقال صدقت هى أمى وقد أوصتنى قبل موتها وأعطتنى هذه السكين وقد قالت لى أبوك عقبه بن مصعب قاضى المسلمين ثم ان زنعنع أخرج سكين وكان نصابها من الذهب مقمع بالفضة وعلى النصاب مكتوب عليها الشيخ الناصح عقبه وفى اصبعه خاتم على فصه أربع لؤلؤآت وعليه مكتوب الدين الصحيح دين السيد المسيح فلما رآهم عقبه اتضح له البرهان وكان السبب فى ذلك أن عقبه دخل فى زمان المأمون الى بلاد الحبشة الى دار ميكائيل فأكرمه وأنزله فى دار حسنة وأعطاه جارية تسرى بها مدة أيام فلما سمع أن المأمون رجع الى ملكه رجع عقبه الى أرض العراق فقالت له الجارية أريد تعرفنى من تكون وأريد منك علائم حتى أعطيها لولدى فأعطاها السكين والخاتم وقد عرفها أين مكانه ومن أى العرب هو ومقامه الثغور ودامت الجارية فى دار مولاها الى أن وضعت وما كان للملك ولد فأخذه ورباه وكبر وتجبر وكان يلقى بين الصبيان الشر والفتن الى أن بلغ مبلغ الرجال فانضافت اليه أصحاب وأعوان فصار يقطع الطريق وقد انضافت اليه الاشرار من السودان وهو يعطيهم وينعم عليهم حتى قوى واشتد ونظر الى نفسه بعز العظمة وقد كبرت نفسه عنده فتحالف هو والسودان على قتل الذى رباه وكان هذا من طمع أباه لعنه الله هو وأباه فما كان أكفره وأعداه فلما أن كان فى بعض الايام دخل على مولاه وذبحه من اذنه الى أذنه وملك مكانه وبذل الانعام فأطاعته السودان وصار حاكم على البلد واجتمع عليه أكالين الحرام فحدثته نفسه أنه يملك أرض مصر ووسوس له الشيطان فخرج فى خلق كثير ونزل على أرض مصر وحاصرها فأنفذ المتولى وأعلم الخليفة وأنفذ بنى سليم ولاقاه عقبة الآخر وجرى منه ما جرى مع زنعنع وأصحابه وعرف أنه أباه فقال ياأبتاه ان أمى قد حدثتنى أنك نصرانى فقال له صدقت يا ولدى وأنا ما قلت لك عن عبادة النار الا حتى أتقرب اليك والا فلا دين الا دين

المسيح بن مريم الذى تكلم فى المهد قبل أن يظهر وأحيي الموتى من قبل النشور (قال) فشد يا ولدى وسطك بالزنار ودع عنك عبادة النار والشرار لأن ليس لها قرار هذا وان الملعون لم يزل يشرح له دين النصرانيه ويزخرف له فى الملة المسيحية حتى تنصر وفرح عقبه وأقام عنده وصار اذا ركب دارت به السودان من كل جانب وكلما رأى ذلك يقول فى نفسه ان عبد الوهاب يرانى وأنا قد صرت ملك وولدى ملك الحبشه وأولاد حام (قال الراوى) ولما أن كان فى بعض الأيام وصلت الاخبار الى زنعنع ابن عقبه نسل الحرام بأن بنى سليم قد وصلوا وهم يريدون قتاله وعن قريب يكونوا عنده باهتمام فاستشار أبوه عقبه فى المسير إليهم فقال له يا ولدى ارسل اليهم جاويش حتى تنظر منهم وتحقق أخبارهم فان كانوا بنى سليم أو عساكر العراق فما نبالى بهم وان كانوا بنى كلاب وعبدالوهاب فأقف مكانك فما للمسيح غيرك ولا له عدوا غيرهم وان كسرتهم أنت فاخرج وسير فانك بعدهم تملك البلاد وكان مع زنعنع عشرين ألف من العرب فأنفذ منهم خمسة آلاف يكشفون الاخبار عن العساكر القادمة فساروا العرب وما غابوا أكثر من ثلاثة أيام وعادوا يخبروا بأنهم بنى سليم وأنهم فى غد أو بعد غد يكونوا فى العريش وقد تبعتهم من عرب السواحل خلق كثير فلما سمع زنعنع بذلك قال يا أبتاه كيف نقاتل ابن عمنا فقال له عقبه يا ولدى نسب الدين أمر من نسب القرابة وأفضل ثم انه نادى فى العسكر بأخذ الأهبه ففعلوا وتسلحوا بالسلاح الكامل فلما أن كان من الغد ركب زنعنع وركبت عساكره فثارت غبرتهم الى أن طلعت للعنان فكانوا السودان اذا غدوا على أرجلهم يسبقون الخيل العربيه وبأيديهم الحراب الحبشيه وأكثرهم عرايا حمر الاحداق وهم الجميع على صفة الدواب فلما نظر عقبه الى ذلك اشتد فرحه وقال لولده زنعنع يا ولدى كفاك المسيح شر العين والحسد أنا أعلم أن بنى سليم ما تقيم بين يديك يوم واحد والصواب أن تأمر هؤلاء العرب أن تسير وتقطع هذه الطريق ولا يزالوا فى سيرهم حتى يخرجون من ورائهم ويصيروا خلفهم فتكون أنت من بين أيديهم وهم من خلفهم وتطبقوا عليهم بالعرب وسائر العبيد وتطحنوهم طحن الحصيد وتكبسوهم كبس المريد لانهم يكونوا آمنين من ناحية بلادهم فاذا انكسروا هؤلاء العرب وعادوا منهزمين الى ديارهم دبرت لك على أخذ البلاد والاراضى والامصار (قال الراوى) فلما أن سمع زنعنع كلامه أحضر العرب وخلع على كبرائهم وسادتهم وقد أعلمهم بما أشار أبوه فرأوه صواب فقالوا السمع والطاعه نحن نفعل ذلك أيها الملك ثم انهم جمعوا بنى عمهم وساروا فى ذلك البر طالبين

فأنت مخصوص لهذا الدين فمن أى الأراضى أتيت الى هؤلاء الشياطين فقال يا ولدى أنا أصلى من بلاد الحجاز وقومى بنى سليم وكنت قرأت الكتب والمذاهب حتى وقفت على الصواب فلما سمع الملك زنعنع ذلك قال يا شيخ فأنت ابن عمى لان أبى أيضا كان من بنى سليم يقال له عقبه بن مصعب السلمى وكان عندخليفة المسلمين بمنزلة عظيمة فلما سمع عقبه كلامه بكا من فرحته وقال له يا ملك أنا عقبه وأنت ولدى وقد جمع الزمان بينى وبينك وقد شد ظهرى بك عند منتهى العمر لتأخذ لى بالثار من هؤلاء الاشرار فقال زنعنع ياشيخ وأنت دخلت الى بلاد الحبشه فقال له نعم فقال عند من نزلت فقال عند ميكائيل وأعطانى جارية سوداء فتزوجت بها وتركتها حامل فقال صدقت هى أمى وقد أوصتنى قبل موتها وأعطتنى هذه السكين وقد قالت لى أبوك عقبه بن مصعب قاضى المسلمين ثم ان زنعنع أخرج سكين وكان نصابها من الذهب مقمع بالفضة وعلى النصاب مكتوب عليها الشيخ الناصح عقبه وفى اصبعه خاتم على فصه أربع لؤلؤآت وعليه مكتوب الدين الصحيح دين السيد المسيح فلما رآهم عقبه اتضح له البرهان وكان السبب فى ذلك أن عقبه دخل فى زمان المأمون الى بلاد الحبشة الى دار ميكائيل فأكرمه وأنزله فى دار حسنة وأعطاه جارية تسرى بها مدة أيام فلما سمع أن المأمون رجع الى ملكه رجع عقبه الى أرض العراق فقالت له الجارية أريد تعرفنى من تكون وأريد منك علائم حتى أعطيها لولدى فأعطاها السكين والخاتم وقد عرفها أين مكانه ومن أى العرب هو ومقامه الثغور ودامت الجارية فى دار مولاها الى آن وضعت وما كان للملك ولد فأخذه ورباه وكبر وتجبر وكان يلتقى بين الصبيان الشر والفتن الى أن بلغ مبلغ الرجال فانضافت اليه أصحاب وأعوان فصار يقطع الطريق وقد انضافت اليه الاشرار من السودان وهو يعطيهم وينعم عليهم حتى قوى واشتد ونظر الى نفسه بعز العظمة وقد كبرت نفسه عنده فتحالف هو والسودان على قتل الذى رباه وكان هذا من طمع أباه لعنه الله هو وأباه فما كان أكثره وأعداه فلما أن كان فى بعض الايام دخل على مولاه وذبحه من اذنه الى أذنه وملك مكانه وبذل الانعام فأطاعته السودان وصار حاكم على البلد واجتمع عليه أكالين الحرام فحدثته نفسه أنه يملك أرض مصر ووسوس له الشيطان فخرج فى خلق كثير ونزل على أرض مصر وحاصرها فأنفذ المتولى وأعلم الخليفة وأنفذ بنى سليم ولاقاه عقبة الآخر وجرى منه ما جرى مع زنعنع وأصحابه وعرف أنه أباه فقال ياأبتاه ان أمى قد حدثتنى أنك نصرانى فقال له صدقت يا ولدى وأنا ما قلت لك عن عبادة النار الا حتى أتقرب اليك والا فلا دين الا دين

المسيح بن مريم الذى تكلم فى المهد قبل أن يظهر وأحيى الموتى من قبل النشور (قال) فشد يا ولدى وسطك بالزنار ودع عنك عبادة النار والشرار لأن ليس لها قرار هذا وان الملعون لم يزل يشرح له دين النصرانيه ويزخرف له فى الملة المسيحية حتى تنصر وفرح عقبه وأقام عنده وصار اذا ركب دارت به السودان من كل جانب وكلما رأى ذلك يقول فى نفسه ان عبد الوهاب يرانى وأنا قد صرت ملك وولدى ملك الحبشه وأولاد حام (قال الراوى) ولما أن كان فى بعض الأيام وصلت الاخبار الى زنعنع ابن عقبه نسل الحرام بأن بنى سليم قد وصلوا وهم يريدون قتاله وعن قريب يكونوا عنده باهتمام فاستشار أبوه عقبه فى المسير إليهم فقال له يا ولدى ارسل اليهم جاويش حتى تنظر منهم وتحقق أخبارهم فان كانوا بنى سليم أو عساكر العراق فما نبالى بهم وان كانوا بنى كلاب وعبدالوهاب فأقف مكانك فما للمسيح غيرك ولا له عدوا غيرهم وان كسرتهم أنت فاخرج وسير فانك بعدهم تملك البلاد وكان مع زنعنع عشرين ألف من العرب فأنفذ منهم خمسة آلاف يكشفون الاخبار عن العساكر القادمة فساروا العرب وما غابوا أكثر من ثلاثة أيام وعادوا يخبروا بأنهم بنى سليم وأنهم فى غد أو بعد غد يكونوا فى العريش وقد تبعتهم من عرب السواحل خلق كثير فلما سمع زنعنع بذلك قال يا أبتاه كيف نقاتل ابن عمنا فقال له عقبه يا ولدى نسب الدين أمر من نسب القرابة وأفضل ثم انه نادى فى العسكر بأخذ الأهبه ففعلوا وتسلحوا بالسلاح الكامل فلما أن كان من الغد ركب زنعنع وركبت عساكره فثارت غبرتهم الى أن طلعت للعنان فكانوا السودان اذا غدوا على أرجلهم يسبقون الخيل العربيه وبأيديهم الحراب الحبشيه وأكثرهم عرايا حمر الاحداق وهم الجميع على صفة الدواب فلما نظر عقبه الى ذلك اشتد فرحه وقال لولده زنعنع يا ولدى كفاك المسيح شر العين والحسد أنا أعلم أن بنى سليم ما تقيم بين يديك يوم واحد والصواب أن تأمر هؤلاء العرب أن تسير وتقطع هذه الطريق ولا يزالوا فى سيرهم حتى يخرجون من ورائهم ويصيروا خلفهم فتكون أنت من بين أيديهم وهم من خلفهم وتطبقوا عليهم بالعرب وسائر العبيد وتطحنوهم طحن الحصيد وتكبسوهم كبس المريد لانهم يكونوا آمنين من ناحية بلادهم فاذا انكسروا هؤلاء العرب وعادوا منهزمين الى ديارهم دبرت لك على أخذ البلاد والاراضى والامصار (قال الراوى) فلما أن سمع زنعنع كلامه أحضر العرب وخلع على كبرائهم وسادتهم وقد أعلمهم بما أشار أبوه فرأوه صواب فقالوا السمع والطاعه نحن نفعل ذلك أيها الملك ثم انهم جمعوا بنى عمهم وساروا فى ذلك البر طالبين

انجاز الأمر وقد سار زنعنع من بركة الجيش وما زالوا سائرين حتى وقعت العين على العين وتقابلت العسكرين فنظرت السودان الى بنى سليم والى لبسهم فعند ذلك طمعت فيهم لاجل الاموال وأرادوا أن يشرعوا فى أمر القتال فعند ذلك أمر عقبه الى ولده زنعنع أن يردهم ففعل ذلك وقد أمر النقباء أن تردهم عن القتال (قال الراوى) ثم ان عقبه كتب الى عمرو بن عبيدالله كتاب يقول فيه الذى أعرفك به أنى أنا ابن عمك عقبه الذى تخليتم عنى لاجل ما رأيتمونى خالفت المذهب وسلكت الدين الأصوب فلما علم المسيح ذلك خلصنى منكم بظهور هذا الولد المنتخب والرأى أن تنظر فى طاعته حتى يعطيكم البلاد ويرفعكم لأجل النسب على سائر الأجناد والا أطلق عليكم السودان فلا يبقوا منكم انسان ثم انه أرسل الكتاب الى الامير عمرو فلما قرأه قال لبنى عمه ألا ترون الى هذا الملعون كيف يريد أن نتنصر ونلعن فى سائر الاقطار ثم انه سأل الرسول كيف جاءه من الولد فأخبره بحديث زنعنع وقصته فتعجب غاية العجب وكتب اليه جواب الكتاب يقول له ياملعون ان الذى تدعونا إليه لانفعله قط وإنما نحن جئنا فى طلبك حتى نحملك الى الخليفة يصلبك ونبيض وجوهنا بأخذك ولو ظهر لك ألف ولد مثل هذا الولد لابد لنا من صلبك ونحن طليعة لمن خلفنا من العسكر وفى غداة غد يشرف الخليفة فى عساكره مثل البحر الزاخر ويتقدمهم الامير عبد الوهاب وبنى كلاب وسودانه وترى كيف ينتقم الله منك وتبقى فى حال الذل والهوان ثم أعطى الكتاب للرسول فعاد ولما أعطاه لعقبه وسمعه لولده زنعنع كشف رأسه وخفف لباسه وحمل حملة منكره وحملت سودانه وقوموا الرماح وصرخوا صرخة واحدة وطلبوا قبض الارواح فما كنت ترى إلا رؤوس طائره ودماء فائره وأيادى تقطع وحضرت الآجال وقطعت الأوصال وزنعنع يصيح فى المجال ويرمى برمحه الأبطال ويضرب بسيفه الرجال وعقبه فرح بذلك ودعا له بطاول الآمال وما زالوا كذلك حتى ولى النهار وأقبل الليل وعادت السودان ومعها خيل وغنائم كثيرة من بنى سليم . وأما الامير عمرو فانه لما رجع نزل واجتمعت الأمراء وقالوا له ما عملت معنا خيرا وانك أردت هلاكنا لأننا فى قلة وهم فى كثرة فقال عمرو يابنى عمى هذا أراده الله تعالى فقال محمد ابن أبان لانه كان من شياطين بنى سليم ولعقبه من المتعصبين ياابن العم ما أنفذنا الخليفه إلا يريد موتنا أجمعين ولو كان وقع لغيرنا هذا الامر كان شد الزنار وكفر بالرحمن ولكن غدا نبصر الى آخر النهار وإن طال علينا المطال طلبنا الفرار (قال) وأما زنعنع فانه دخل على أبيه فقبله مابين عينيه ودعا له وقال ياولدى شد قلبك وطمن

نفسك فانى أدبر لك تدبير عظيم وآخذ هدايا وتحف من عندك إلى ملك الروم واعلمه بفعالك وأزوجك ابنته وأخرجك الى الثغور وتملك أنت الحكم والملك وتعود الدنيا كلها تحت حكمك ففرح بذلك زنعنع (قال الراوى) ولما اصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت السودان بقلب قوى وحملت حملة منكره . ولما رآهم محمد بن ابان قال هذا ما أخبرتكم به فارجعوا الى ورائكم وإلا أفنوكم عن آخركم فانكسرت قلوبهم ولحقهم الخوف وداخلهم الفزع فولوا الادبار وركنوا الى الفرار ففرح زنعنع ومن معه من السودان ونهبوا الاموال والخيام والاثقال وقد رجعوا وهم بالنصر فرحين حامدين الى مصر (قال الراوى) وأما عقبه فانه أخذ من ولده زنعنع هدية سنية وسار يطلب مدينة القسطنطونيه وفى نيته يخطب لولده زنعنع ابنة الملك ملك الروم ميخائيل كما أوعده بها (قال الراوى) فسار الملعون ولم يزل سائر الى أن أشرف على أرض اسكندريه وكان اللعين قد نكر روحه وقال من ههنا تقلع الى بلاد الروم ثم ضرب خيمته برا البلد وجلس فى الخيمة وقال للسودان ابصروا إن كان على البحر مركب تقلع فيه الى قبرص ويكون خاليا من التجار وأرغبوا صاحبه بالمال حتى لا يركب معنا آخر فقالوا السمع والطاعة . ثم انهم مضوا الى ساحل البحر وعادوا عند المساء فقال لهم ما الذى فعلتم فقالوا قد وجدنا على الساحل مركب وقد أكريناه رخيص فقال لهم انقلوا أسبابنا فنقلوا جميع أثقالهم الى المركب ولما أن كان الثلث الأول من الليل جهزوا أحوالهم وسار عقبه والعبيد بين يديه حتى وصل الى المركب وصعد وقد اطمأن فؤاده وعلم أنه قد بلغ مراده هذا وعقبه فرحان وقد أمن على روحه وأوقد بين يديه شمعة ونظر الى الملاحين وهم على جانب المركب وسألهم الى أين هم ذاهبين فقالوا انا قاصدين الى مدينة القسطنطونيه ففرح الملعون بذلك ولم تحدثه نفسه أن البطال يحمل مراكبى (قال الراوى) ثم أقلعوا من على مدينة اسكندريه وساروا الى نصف الليل فأحضر المدام وقعد الملعون يسكر الى أن تمكنت الخمرة من رأسه وطاب له الوقت فقال وحق المسيح لابد فى ذلك ما أخرب البلاد وأهلك العباد وأكثر فى بلاد الاسلام من الفساد ومادام أن المسيح قوى ظهرى وشد أزرى بولدى زنعنع فلابد ما أعمل على خراب ملكه وأنزل بكل مافيها البؤس وأجلب الى هناك الرهبان والقسوس وأدق هناك الناقوس (كذب الملعون لعنه الله) ثم قال اين عينين البطال يرانى فى ذلك الدست وحق المسيح والإنجيل انه جاء على بجرعة الشكلا وهو الآن دائر يدور على يريد منى فرصة أو خلسة فقالوا له غلمانه ياسيدنا بحق المسيح لاتذكر

لنا ذلك الشيطان فانه متى ذكر حضر فقال لهم ألا تخافوا يا ولادى وحق المسيح ان البطال يفزع منى أكثر مما أفزع منه (قال الراوى) فما استتم عقبه ذلك الكلام حتى وثب اليه الأمير أبو محمد البطال من طارمة المركب وقال له ياشيخ أما هو قبيح عليك تغتاب الناس فى غيابهم . فلماسمع عقبه ذلك الكلام اصفر لونه واضطرب كونه وتلوث فى ثيابه وقال له من أنت لابارك المسيح فيك فقال أنا صديقك بالتصريح ابشر أيها الشيخ النجيح بالصفع المليح فأنا البطال بلا تلويح . ثم انه تقدم اليه وشد يديه ورجليه وكذلك أخذت أولاده الغلامين الذين له وضربوا رقابهم وأرموهم الى البحر وأن البطال أحضر الأموال التى كان رايح بها عقبه الى ميخائيل يخطب ابنته الى ولده زنعنع فوجدها أموال كثيرة فقال عقبه يابطال لا تظن أن تلك الأموال طابت اليك فدونها موت أحمر وبلاء مصور لأنها لولدى (زنعنع) الذى ملك مصر وسوف انه يملك البلاد ويهلك العباد ويجعل سرير ملكه بغداد (قال الراوى) فلما سمع البطال من عقبه ذلك الكلام قال له : ويلك يا كلب النصرانيه وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية . أما قولك عن ولدك زنعنع فما بينه وبين حياته إلا بمقدارمايصل عبدالوهاب سيد بنى كلاب بأبطال بنى عامرأهل الثنا والمفاخر الأسود الكواسر فسوف إن شاء الله على باب القاهرة نصلبه ثم انه ضربه ضرباً أليما ماعليه من مزيد وكشف رأسه وربطه فى صارى المركب ثم انهم لجوا فى البحار (قال الراوى) وقد ذكرنا أن الأمير أبو محمد كان رئيس مراكب درك فجعل يدير المركب بمعرفته وحسن خبرته إلى أن أشرفوا على السويدية فطلبوا اليها وأرسل غلامه لؤلؤ إلى حاكم البلد يبشره بقدومه فطلع اليه حاكم البلد وفرح به فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وزينت البلدالىقدومه وكان لقدوم البطال يوم يعد من الأعياد وأخذت عقبة الأكف من كل جانب ومكان (قال الراوى) ثم ان البطال أمر بعقبة الى المطمورة وأقام عليه التوكيل وأقام يطلب الراحة ثلاثة أيام بعد ماباع المركب واشترى بحقها دواب وأخذ عقبة وسار يطلب ملطيه ولم يزل سائر الى أن أشرف عليها فوجد الأمير عبد الوهاب قد برز بوطاقه وقد ضربه على نهر قباقب والبدنون وهو متجهز الى الغزو (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الأمير عمرو بن عبيد الله لما ارتد مكسور ووصل الى ملطيه وأخبر بذلك الأمير عبد الوهاب فصعب عليه وكبر لديه على ماجرى للمسلمين ثم نادى فى أبطال بنى عامر وكلاب والسودان الأنجاب بالغزو على ذلك الخارجى (زنعنع) فقال له عمرو ياأمير قد بلغنى ممن أثق به أن هذا زنعنع

ولد القاضى عقبة وما كسرنا إلا هو بتدبيره . فقال الأمير سوف إن شاء الله ألقاه واعجل فناه فان الله قد وعدنا النصر . وقد قال رب العالمين وكان حقاً علينا نصر المؤمنين (قال الراوى) ثم انه ضرب وطاقه على نهر قباقب كما ذكرنا وقال والله قلبى على الأمير أبو محمد البطال فقد طالت غيبته وانقطعت عنا أخباره وانى أخاف عليه أن يسمع بعقبة أنه فى عساكر السودان فيمضى اليه فيعرفه فيعمل على هلاكه . فقالت الأميرة (ذات الهمة) يابنى لله الأمر من قبل ومن بعد (قال الراوى) وفى تلك الأيام أشرف عليهم الأمير أبو محمد البطال ومعه عقبة وأرسل ولده مذبحون يبشر بقدومه ففرح الأمير عبد الوهاب وكذلك الأميرة ذات الهمة وأمراء بنى كلاب والسودان الأنجاب . ثم انهم ركبوا الى لقاه وزينت البلدة لقدومه وأخذ عقبة اللطم من كل جانب ومكان الى أن أنزل الماء الأصفر من عينيه فقال لهم ويلكم يا شياطين إن مرادكم تصلبونى أبقونى فانى وحق المسيح مشرف على الهلاك (قال الراوى) ثم إن البطال أخذه وحبسه فى المطمورة التى عنده فى داره . ثم انهم أنفذوا بطاقة الى الخليفة المعتصم يخبروه بذلك الأمر وأن الأمير عبد الوهاب متوجه الى قتال زنعنع فجاء الخبر أنكم تحترزوا عليه غاية الاحتراز (قال الراوى) ورحلت العساكر ويتقدمها الأميرة المجاهدة ذات الهمة وولدها الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وقد وكل غلمانه بالدار التى فيها عقبة وترك عندهم الحصين وأخذ ابنته عذيبه وولده مذبحون وسار من فزعه على الامير مع جملة العساكر وبلغت الأخبار الى سائر البلاد بأن الامير عبد الوهاب طالب دار مصر فأتوا الطاعه طالبين المكسب واجتمع عليه كل قاطع طريق وكل لص فى الشام طمعا فى النهب والحطام ولما وصل الى دمشق صار فى مائة ألف عنان ولما نزل على ظاهر الغوطه خرجت اليه الإقامات والعلوفات من صاحب دمشق الامير سوار وصار الامير بعد ذلك طالب بلاد الساحل وهو لايأخذه قرار لاجل مافى قلبه من زنعنع بن عقبه من النار قال وان زنعنع قد وصلت اليه الاخبار وقالوا له الجواسيس ياملك شد عزمك فى هذه النوبه فقد سارت اليك عساكر بنى كلاب ومعها سودان مثل الذئاب يقدمهم الامير عبد الوهاب وأمه ذات الهمه بنت مظلوم التى قد خربت بلاد الروم ومحت منها الرسوم وما أتى حتى ضمن للخليفة أنه يقودك اليه ويحضرك بين يديه فلما سمع زنعنع ذلك الكلام ضحك وقال وحياة شيبة أبى الشيخ النجيح الذى عرفنى عبادة المسيح لاورينكم عند إشراف هؤلاء القوم قتال يذكر يوم بعد يوم ثم أنه أمر عساكره بأخذ الأهبه واستعداد العدة

وقالوا نحن مانخرج من بلاد مصر حتى نكسر هذه العسكر ونملك البلاد كما أمرنى أبى على أنه لابد ما يعود مع ملك الروم الى بلاد الثغور ونخرب تلك البلاد (قال الراوى) ثم أن الملعون زنعنع أمر العساكر بأخذ الأهبه للحرب والقتال والاستعداد وللطعن والضرب (قال الراوى) ثم أنه التقى بعساكر المسلمين وابطال الموحدين وكان الملتقى بينهم بمرج يعرف بمرج أبى عاص فلما وقعت العين على العين ونظرت بعضها البعض فرسان الطائفتين فلم تمهل عساكر السودان أن تصف صفوفها حتى أنهم حملوا على القوم من غير ترتيب ومازجت فيهم السودان بالحرب والمزاريق وفعلوا بقوم زنعنع فعال الأبطال وخاضوا فى المجال واشتد الحرب وطال واشتعل القتال وجرى الدم وسال ووقع للجبان الانذهال (قال الراوى) هذا ولما نظر الأمير عبد الوهاب الى سودان زنعنع فى ذلك اليوم ومافعلوا بالرماح والحراب فقال إنالله وإنا إليه راجعون والله ما رأيت مثل هؤلاء القوم لأنهم على طبع الدواب يرمون أرواحهم مثل مايرمى الانسان نفسه الى بارد الشراب ثم شكى ذلك الى الاميره ذات الهمه وقال والله يا أماه ما نال منهم غرض حتى يهلك منا خلق كثير ولاسيما هذا الكلب ابن الكلب زنعنع الملعون فقالت الاميره ما حاله يا ولدى فقال انى لقيته فرأيته فى طبقة عظيمة من الفروسيه ورأيت منه شيطان لا يندفع فقالت الاميره أنا رأيته أول النهار وهو يجول وما كان لى إليه وصول ورأيت قتاله كله خساره بلا خبره ولو كان الله أوقعنى به لما كنت فارقته إلا بالانفصال على أننى يا ولدى اليوم ما أحضر الحرب الاطالبة الشهادة لان الكبر قد استولى على ولا بقينا مما يقاوم الفرسان الا بالصبر والجلد وفى غداة غد نقاتل حتى تهدى نار الحرب ونخرج نطلب البراز لعل هذا الشيطان يخرج ويظفر به واحد منا وقد نفرت هذه العساكر من بين أيدينا لانهم أقوام مجمعه وكلهم به وما هو الا أن يعدم وقد تفرقوا فى أقطار الارض فقال الدينارى وقد قامت عيناه فى أم رأسه ياأمير طيب قلبك فأنا غدا أخرج الى الميدان وأهلك هذا الكلب ومن معه من السودان فسكن قلب الامير عبد الوهاب بذلك وطلب الامير أبو محمد البطال فما رأى له خبر فدق صدره لاجله وقال والله ما هو الا مضى الى عسكر هؤلاء الشياطين يحتال عليهم كما وعدنى وما أخوفنى عليه منهم لانهم بخلاف الروم ثم انه بات ضيق الصدر لاجل هذا الأمر (قال الراوى) وكان الامير أبو محمد البطال قدشاهد القتال وقت العصر فرأى أن عسكر زنعنع قوى وأنه لاينكسر فى يوم ولا اثنين وخشى على عسكر الامير أن يفنى منهم جماعة من الموحدين فقال لولده مذبحون ولابنته عذيبة إعلمى أن هذا

القتال يطول وأنا قلبي على عقبه أن يهرب من ملطيه ويرجع سرى يتعب فى حضوره وربما مضى الى بلد ما أقدر آخذه منها والأمير قد قتل من عسكره جماعه وكل واحد منهم يسوى عشرين قبيله من هؤلاء الملاعين والصواب أننا ندبر فى أخذ الملك فى هذه الليلة لعل العسكر تنكسر بين أيدينا ونرجع الى ما هو أهم من ذلك وهو صلب عقبه. فقالت عذيبه ان كانوا هؤلاء القوم ما أبقاهم الا هذا الشيطان فسيروا معى حتى أريكم ما أفعل به وأوقعه فى شرا كى وان كنتم تخافوا ولا تدخلوا معى الى عسكره فأقفوا ظاهره حتى أدخل الى الملك وأخدعه بعبادة النار وأسوقه إليكم فوق الحمار فضحك البطال من كلامها وفرح بهذا الكلام وعاد الى خيمته وأخذ كلما يحتاج إليه وكلما قالت له عليه عذيبه فعله يستعين به على مايفعله وخرجوا عنداختلاط الظلام وساروا حتى وصلوا أطراف الخيام ولبست عذيبه تنور ذهب أحمر وتقنعت بقناع شعر أسود. وأخذت بيدها عكاز ودخلت نحو العسكر وهى طالبة سرادق الملك وقدأوصت أباها وأخاها بالمقام هنالك ولم تزل تخرق المضارب والخيام حتى وصلت اليه وكان زنعنع قد وصل واستراح وأمر باحضار الطعام وعنده خواص بنى حام وما هو الا أن قدمت له الموائد وقد شرعوا فى أكل الطعام فما هو إلا أن سمع صوت رقيق ندى يتلو شيئا من كلام المجوس وذكر الذمزمة الذين يذكرونها عند الأكل وهى اشواها يالملوهى هندناياهورهماتاريتااستاناياشعياناادشعوباياهاقلناهايالوع بنار شعشيم وقطن يانافتونا واغطينا منسلينا سيارسينا أن سبنا فغمسنا عند سينا أفعطينا (قال الراوى) وهذا هو دين قديم أظهره فى الخلق رجل حكيم يقال له روالست وأمر بعبادة النار. وأظهر كلاما وشيجا وتقديسا بلغة المجوسية وأمر أمته أن يقولوه عند حضور الطعام. واذا ارتفع وعند اشراق الشمس اذا طلعت وعند ايقاد وقت وقودها وعند قدوم. الظلام وتصفيق الكواكب والقمر السائر الا أن زنعنع لما سمع الزمزمه من عذيبه بذلك الصوت الرقيق الحنون وذكر عبادة النار عاد قلبه إليها ووقعت اللقمة من فمه ودمعت عيناه وكذلك أصحابه وقال لغلمانه على بهذا الرجل العابد فما أظنه إلا رسول من النجم الثاقب وهو عتبان على نخرجوا الغلمان وعادوا وعذيبه معهم بذلك الزى والوقار وهى مثل البدر اذا بدر فلما رآها الملك تقلقل قلبه وطار لبه وقام هو وجميع من حضر إجلالا لقدومها وما فيهم الا من قبل يديها وأجلسها الملك الى جانبه وقال لها من أين قدمت علينا أيها العبد الصالح ومن تكون وكم لك فى الأرض سائح فقالت عذيبه أما سؤالك من أنا فأنا ابن الملك النبراس صاحب كانون الذهب

وتنور النار ذات اللهب الذى صفا فى العباده وتجوهر وأما قولك فيما أتيت فى أمر أقصه عليك وأريد أن يكون سرا لا يطلع عليه أحد الا أنا وأنت والاله المعبود فانه أمر برد قلبك فلما سمع الملك هذا الكلام ولع قلبه وهام وأصرف جميع من كان حوله وأمر أن يرخوا عليه أبواب السرادق ففعلوا ذلك وما فى الحضار الا من خرج وقلبه فرحان لأنهم كانوا قد بغضوا الملك من حيث استقل الى عبادة الصلبان فخرجوا وهم يقولون لاشك أن النار غضبت على ملكنا وقد أرسل اليه النجم الثاقب رسول يرده إلى الصواب لأن صورة هذا الرسول لم تكن من صورة الآدميين ولا رقة بشرته ولطافته وملاحته وهذا دليل على أنه من الملوك العلويين (قال الراوى) هذا والملك قد خلا بعذيبه وقال لها أيها السيد قص على مامعك من الأخبار فقد أضرمت فى قلبي النار فقالت عذيبه : اعلم أيها الملك انى خرجت من بلد من بيوت النار أتعبد فى بيوتها ورؤوس الجبال ليلا ونهارا حتى وصلت الى هذه الدنيا وقلت انى أمضى الى عين سلوان وأزور بيت هارون . فبينما أنا البارحة نائم عند اهرام مصر واذا قد تجلى النجم الثاقب الذى نعبد النار لأجل تقربنا اليه وقال لى ياعبدى قد قبلت عبادتك وبكاك وأريد أن أتحفك بالثواب وأرسلك رسول الى هذا الملك الذى تبرأ منى واشتغل بعبادة المسيح عنى ودخل عليه المحال من رجل محتال شيخ غدار لعب بعقله حتى بلغ منه الآمال وأزاله عن عبادة النار فامضى اليه وأعلمه انى غضبان عليه وان لم يستقيل من عثرته ويرجع يعظم معبوده وإلا جعلته عبرة بين عبيدى وأنزلت عليه الذل والمسكنة عند محاربته وأحرمته لقائى وأسكنته فى دار بلائى وان هو عاد عن ما ابتدع وقد رجع عن هذه البدع وعاد الى الدنيا كما كان وشيد بيوت النيران . ثم عادت عذيبه الى قراءة المجوس وذكرت أهوال يوم القيامة حتى بكى الملك من شدة ما ناله وكشف رأسه وقال أيها العبد الصالح دلنى كيف أصنع ؟ فقد دخل على قلبي الشك والبدع رأيت اليوم الرخاوة فى بدنى عند الحرب وأظن هذا من غضب الرب . فقالت عذيبه : أيها الملك استدرك الأمر قبل الفوات ولا تتكبر وارمى عن نفسك رداء الإعجاب وقم معى الى جبل طور العتاب واخرج معى الساعة الى ظاهر عسكرك حافى مكشوف الرأس متنصل من دنياك حتى أبسط لك رماد وأقف الى جانبك وأعلمك ما تقول وأدعو الرب الكبير وتصلى ركعات حتى يغفر لك مامضى ويقابلك بالعفو والرضا . لأن ذل العبد بين يدى المولى عز الى الأبد وما خاب من وقف تحت الظلام وتعبد . فلما سمع الملك ذلك طاش عقله وحار

وقام حافيا من سرادقه يطلب البر والقفار ولم يطلع على حالتـه أحد لا من الجيش ولا من غـيره . هـذا وعذيبه سائرة بين يديه حتى انفردت عن الخيام تحت غسق الظلام واستقبلت به الشوق وبسطت يديها وبسطت سقط كان معها فى مخلاة وجعلت تلقنه ما يقول من الدعاء وتبكى فى وجهه حتى بكا وصلى حتى غسق الظلام وهدى وقالت له عذيبه اتكى الساعة على جنبك فاتكى وقامت عذيبه تبكى عند رأسه وبعد ساعة قالت له عذيبة قد غفر لك ربك ومحيت خطاياك وذنبك فقعد زنعنع وهو قد انتبه كأنه كان فى منام وقال أيها العبد الصالح أريد ربى أن يخاطبنى وأسمع منه كلام فقالت عذيبه ما تقدر على ذلك إلا أن تترك القيد فى رجلك وهذا الغل فى عنقك وفى يديك وسلم أمرك اليه ثم أخرجت له قيد وسلسلة طويلة وهو مثل الحيران ثم انها غلت يديه الى عنقه وقالت له هذا بلوغ الصالحين للآمال وأخرجت سوطا من جلد منقوع وجعلت تضربه على أجنابه وتقول هذا عقوبة فعالك الفاسد وتحولك عن الدين الصحيح الى عبادة المسيح ولم تزل تضربه على أجنابه حتى أدمت وصاحت بأبيها البطال وأخوها مذبحون فتبادروا اليها ورأوها على تلك الحاله فتعجبوا من فعالها ثم أنهم جعلوا الأكره فى ثمه وشدوا عليه وحملوه وساروا يطلبون عسكر الامير عبد الوهاب وقد أوسعوا فى الأرض حتى عبروا الحرس فكانوا عند السحر فى عسكر المسلمين وقصد الامير أبو محمد الى خيمة الامير عبد الوهاب وكان قد عاد من الحرس هو وأمه ذات الهمه لأن الليل كان قد انقضى وما هم الا قد نزلا حتى دخل عليهم البطال وأولاده فقال الأمير عبد الوهاب مرحبا يا أبو محمد أين كانت غيبتك والله ان قلوبنا بك معلقة فقال أبو محمد ما كان الاخير بحمد الله تعالى ثم ترك زنعنع بين يديه وأخبره بالحال وبما صنعت عذيبه من الحيلة فتعجب الامير وشكر الله تعالى وأثنى عليه وقال سبحان مسهل الأمور والله يا أبو محمد ما بت الليلة إلا وأنا حامل هم هذا الملعون وهم عساكره ثم نظر اليه وهو فى القيد والغل فزاد عجبه وقال والله ان فيه مشابهة من أبيه لولا سواده وهذا اذا كسرنا عساكره صلبناه على باب الذهب حتى لا يرجع يطمع أحد فى أموال المسلمين ولا يخرج خارجيا على بنى العباس ثم أنه وكل به جماعة من بنى كلاب وأقاموا حتى أصبح الصباح وثاروا الى الحرب والقتال بنيات صحاح وركبوا متون الخيل القداح وكثر فيهم الصياح وركب أيضا عسكر زنعنع وسودانه وانتظروا زنعنع أن يخرج فما خرج فسألوا عنه خواصه الذين كانوا عنده فقالوا رأيناه وقد أتاه شخص مثل القمر عليه ثياب حمر ورأيناه وهو يعاقبه على تركه عبادة النار ودخوله فى دين أصحاب الزنار وبعد

ذلك طلب الخلوه معه وخرجنا من عنده وتركناه وهذا آخر العهد به فان كان قد تم على الملك أمر فهذا علامة الادبار (قال الراوى) وقد شاع هذا الحديث بينهم حتى سمعوه العرب الذين كانوا قد صاروا مع زنعنع من أرض مصر فصعب ذلك عليهم وقالوا لبعضهم هذا هوالهلاك بعينه لنا ولأولادنا وسبب هجاجنا من أوطاننا وبلادنا لأننا قد خامرنا على أصحابنا وقاتلنا مع هـذا الخارجى وها قد تم عليه ما تم وما بقى فى الأمر الا أننا نسير اليوم ونكون بمعزل عن القتال فان طلع للملك خبر بقينا على حالنا وان كان هلك حملنا على هؤلاء السودان والا سبونا وتركونا مثلا فى هذا الزمان (قال الراوى) ثم انهم ترتبوا واصطفوا للحرب وتأهبوا للطعن والضرب وقالت الحبشه نحن نعلم أن ملكنا ما عدم الاوهو عند هؤلاء القوم وقداحتالوا عليه وأخذوه ولا بد ما نرمى أرواحنا الى الهلاك حتى اننا نخلصه ثم انهم صاحوا وعولوا على الحملة فقال الأمير أبو محمد البطال للأمير عبدالوهاب اقبل منى ماأقول واخرج هذا الملعون إلى بين الصفين واضرب رقبته واصلبـه حتى ينقطع آمال السودان منه والا لاقيت اليوم منهم قتال مارأيته قط لأجل طمعهم فى خلاص ملكهم فقال الأمير عبدالوهاب افعل ما بدالك فأنا ما كان فى نيتى إلا صلبه مع أبيه والساعه فرأيك أصوب ثم انهم نصبوا لزنعنع خشبة بين الصفين وما كانت الاساعه حتى حمل إليها بقيده وغله ورفعوه الى أعلاها وقد أخذته الحراب والسهام من السودان والعوام ورأت عساكره ذلك فتعلقت عزائمها وانقطعت ظهورها وقد عولوا على الحمـلة فصاحت عرب مصر أمير المؤمنين يا منصور ثم انها مالت على عساكر السودان ونظر الأمير عبد الوهاب الى ذلك فحمل فى بنى كلاب وكذلك الدينارى والسودان الأنجاب ووقع فى عسكر زنعنع الذل والهوان وأخذهم الصياح من كل جانب ومكان وعمل فيهم الصارم اليمان فيا لها من ساعه ما كان أعظمها وعلى أهل الكفر ما كان أيشمها (قال) فعنـد ذلك ولوا الأدبار وركنوا الى الفرار وعمل فى أقيفتهم السيف اليمان وفى ظهورهم الخطار ولم تزل العساكر وراءهم الى آخر النهار وردالأمير عبدالوهاب والأميره ذات الهمه وبنى كلاب والسودان الأنجاب والكل يثنوا على الأمير أبو محمد البطال وعلى ولده مذبحون وابنته عذيبه ويسبحون الله ويقدسونه (قال الراوى) ولما كان من الغد ارتحلت عساكر الاسلام والأمير عبد الوهاب أقبل إلى أرض مصر ينظر ان كانت السودان فيها والا رحلوا عنها قال لا بد أن أخلص مصر من هؤلاء الأنذال وكان المصاف بينه وبين مصر خمسة عشر فرسخ لأن مصر مفضلة فى سائر الأقاليم لأن الله تعالى ذكرها

الذين قد أضعفوا أهل بلاد الرومية وهم يحملون كل عام إلى المحمديين أموال النصرانية (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا والبطارقة قد انخرقوا الذين هم قيام على رأسه وما فيهم إلا من طار الدم من وجهه فزعا من سطوته وباسه ورأى عقبة ذلك فقال فى نفسه هؤلاء وحق المسيح هم الملوك والسلاطين الذين يملكون الأرض فى طولها والعرض ثم فتح فمه وقرأ فصلا من الانجيل وترنم فيه حتى رأى نوع للملك يسهل عقله وبعد ذلك تكلم فى زهد المسيح وانذر بما وصى به على الجهاد وذكر الملعون عقبة من عنده أخبار ماأنزل الله بها من سلطان وهى هذيان وفشار حتى رغب الملك فى دخوله إلى بلاد الاسلام ولم يزل على مثل ذلك حتى ملا قلب الملك من الغيظ الذى فيه وتعجب الملك الشمخولص من علمه وحديثه وأقبل عليه وقال له من أنت من عباد المسيح وكيف أتيت إلى تلك الديار فقال عقبة أيها الملك أنا الذى طول عمرى فى الاقطار غريب أنا المجاهد فى دين المسيح القريب أنا الذى لا أزال مقيما فى بلاد الاسلام وأجلب لهم البكاء والنحيب وماأتيت إلى هذه الديار الالما أعيتنى الحيل وقل منى العمل ومابقى لى ساعة ورأيت الاسلام كل يوم ينمو ويزيد فدبرت على أمراء هؤلاء المسلمين وحصلت فرسان أعداء هذا الدين وقصدت إليك وأنا مسافر وأردت ان أعبر عليك فى صفة زائر وأهدى أعدائى إليك وأتقرب بهم بين يديك وأسألك أن تخرج وتعيننى على الباقين وتقطع من الأرض آثار المحمديين لما بلغنى من كرم صفاتك وشدتك وسطوتك وكيف أن الشيخ يدعاك من دون العباد وماقد ملكت من الجزائر والبلاد وانى لما وصلت الى قلعة السها جرى على فيها ماجرى وماقدروا على الأعداء بسوء تدبير هذا المقتول الظالم لنفسة لأنه بقلة تدبيره افنى البطارقه والروم وأمرته أن يكتب اليك كتاب يعلمك بتلك الأسباب فمافعل إلا برأيه المنحوس والآن فقد بلغ الأمر إلى المنتهى والمسلمين قد ملكوا قلعة السهى التى مالها مثيل فى الدنيا وبناتى واختى معهم سبايا ومابقى لى معول الا عليك ولا ملجأ الا اليك ثم ان الملعون بكا وناح وعدد على النصرانيه حتى زاد على الملك وحلف وفى الايمان شدد أنه مايرجع حتى يملك الدنيا ويقطع أثر المسلمين من سائر الأرض ويشهر دين الصليب طول وعرض ثم قال وأنت ياشيخ من يقول لك من عباد المسيح لأنى ماسمعت بهذه الصفة التى ذكرتها إلا أن يكون الشيخ النجيح وراهب آخر فى بلاد القسطنطينية يقال له شومدرس وهم الذين ينزلون بالمسلمين المصائب وجاهدوا فى بلادهم واظهروا العجائب من أجل هذين الاثنين كنت خارج حتى أكون لهم عون على بلوغ المطالب وافتح لهم البلاد اتعلم منهم حقيقة الجهاد فقال عقبة أيها الملك فأنا أحد الشخصين الصالحين أنا هو الشيخ

النجيح الذى شاب رأسى وجوارحى وعظمت على المحمدين مصائبى بما اجاهد فيهم وأقاسى، وقطعت أصابعى وقلعت عينى واضراسى (قال الراوى) فلما سمع شمخولص من عقبه هذا الكلام قربه إليه وادناه ورفع قدره وعلاه وقال ابشر أيها الشيخ النجيح فما قدمت إلينا إلا وأنت هدية من عند المسيح حتى تزيدونا فى ديننا يقين وتخرج معنا إلى بلاد المسلمين وفى هذه الايام اجمع العساكر وأسر قلبك بما أؤمل فقال عقبه أيها الملك أخاف أن هؤلاء الشياطين يرجعون ويخرجون من تلك الأرض وهم سالمين فكانت مرارتى تنفطر لأن فيهم العجوز التى أهلكت من أمة عيسى بعدد ورق الشجر وفيهم أيضا واحد أشقر الذى هو فى سائر البلاد مصور ومعه أولاده الذين هم أعير منه وأمكر وأوفى وأشطر فقال الملك ياشيخ لاتخاف من عودتهم فى البر فانه بعيد ونحن نلحقهم ولو إلى مصر والصعيد فأقم عندنا حتى نفرجك على أرضنا ونريك ملكنا ونجمع عساكرنا ونسير فى كرة واحدة تملك البلاد ومن أبى ولم يدخل تحت طاعتى ولا فى ديننا ضربناه بالسيوف الحداد فقال عقبه ياملك مايهدى لى قرار ولا أريد أتفرج على هذه الديار الاعلى صلب أعدائى الذين قد ألهبوا قلبى بالنار وانهم عادوا سالمين من هذه الديار قطعت من وسطى الزنار وكفرت بالصليب وعدت إلى التوحيد ودخلت النار (قال الراوى) هذا وقد صاح الملك على حجابه ان يجمع العساكر الذين فى جزيرة الحائط وينادون بأخذ الاهبة وأنفذ خلف أهل القلاع القريبه منه وأمرهم أن يجتمعوا إلى قلعة السها وكتب لهم فى الكتب أن يسيروا فى البحر ونكون نحن قد قطعنا هذه المسافة التى قدامنا فى البر ونشرف كلنا على الاعداء فى يوم واحد وأنا أعلم أننا نأخذهم فى ساعة ما نراهم ونقيم هناك إلى ان تجمع العساكر ونسير إلى بلاد العرب وأخذ معه من أولاده ثلاثة وسيرهم فى التقدمه ومعهم عشرة آلاف فارس وراح هو والقاضى عقبه فى خمسين ألف فارس وقال لباقى أولاده بجمع العساكر ويتبعوهم إلى قلعة السها وسار يقطع الارض فى طولها والعرض حتى أشرف على الامراء وكانوا أصحاب القلاع قد اجتمعوا وساروا بعده بسبعة أيام فالحقوهم فى ذلك الوقت فى البحر كما ذكرنا وكان وصول هؤلاء وهؤلاء فى يوم واحد والامراء قد أخرجوا الاموال والرحال وعولوا على الارتحال فرأوا الدنيا قد انقلبت عليهم وهى تضج ضجيج نقضا ورفقا وحوافر الخيل فى الآذان وقعا وكادت الجبال تقلع وعاين كثرة ركض الجنائب وضجيج المواكب وهم كلهم بالعدد والحرب والخيول العربيه والسيوف الافرنجيه وتروسهم من جلود دواب البحر المعموله المدهونه وعلى أجسادهم ثياب الحرير البهيه وفوق صدورهم الصلبان الجوهريه وفى أوساطهم الزنانير الابريسميه (وأما الاميره) لما نظرت إلى تلك العسكر والقضية قالت لاصحابها ياأهل دين الحنيفية يامعاشر الامة المحمدية

هذه الواقعة المرضيه فى طاعة رب البرية فقال البطال وماالذى تريدى ان نفعل أيتها الاميره العامريه قالت أريد أن أحمل على هذه الطليعه واترك لنا اليوم وقعة مسموعة يترضون بها عنا أهل الشريعه فقال البطال دعينا حتى نعود إلى القلعة ونشغل أهل المراكب وتلتجى اليها عندشدة المطالبة وتكون القلعة لناعدة حتى يأتينا الفرج من هذه الشدة فما هذا العسكر يقدرون لقاه وكان معهم من المرافقين أربعة آلاف أسود وعربان فقتل منهم فيما تقدم ثلثمائة والباقى ثلاثة آلاف ومائتين وان الاميره لما سمعت قول البطال علمت أنه صواب فأعطته مائتين من السودان ومائة من بنى كلاب وقالت لهم ردوا الاموال والرحال وبقيت الاميره فى باقى الرجال وقالت يابنى عمى نريد نقصد إلى الطليعة التى للروم وننصر دين الحى القيوم ولانعود إلى القلعه الا عن غلبه حتى لانكون قد ولينا الادبار عند وصول الكفار فقالوا لها افعلى ماتريدى اليوم نقصد الطليعه بتاع الروم وننصر دين الحى القيوم ولانعود إلى القلعة فقالوا لها افعلى مابدالكى فما نحن تابعين أفعالك وقد علمنا أننا كلنا فى هذه الديار نفنى ولايسلم منا أحد ولافينا إلا من قطع آماله من الدنيا وايقن أن أولاده قد صاروا يتامى ثم من بعدذلك جردوا السيوف الثقال وندبوا المنازل والاطلال وحملوا يطلبون الطلائع ويكبرون وقد قطعوا من الحياة الآمال والظنون وكانت مقدمة الروم الاعلاج وتأهبت بطارقتها بعد الانزعاج من حيث رأوا عصابة الاسلام قليله وحملوا يطلبوهم فاختلط الجمع وطاب العطاء والمنع واختلط الصياح وبرقت الصفاح وخرجت الارواح من الانام وهبت الرياح وتقصفت الرماح ورفعت الروم أصواتها ومقالها بكمة كفرها وصلاها ومدت قنطارياتها بأسنة قضبانها وبانت أحداقها بعد ماعملت صوارم أهل الجهاد فى أكبادها واجسادها واسودت المعمعة بعدالبياض من كثرة الدم الفياض وطارت الجماجم فى الاعتراض وارتجت الأرض من تصادم الرعاد ونظروا من السودان غاية الامراض ونفذ السنان فى الحشى وخاض ودام القتال والانقراض ونظروا من السودان مالم يكن لهم فى الحساب ووقع فيهم الفناء والذهاب وأخذتهم الدهشه من التكبير ووقع بهم الفزع عند ذلك اللطيف الخبير لأنهم قد سمعوا الكل مالم يعهدوه وشاهدوا مالاشاهدوه فقالوا إلى أن تعالى النهار وولوا الادبار (قال الراوى) وكانوا المسلمين ثلاثة آلاف مامنهم الامن قتل الواحد والاثنين وفيهم من قتل خصمه وقتل وكانوا قتلى المجاهدين دون المائة رجل وقتل من الكفار ستة آلاف وانكسروا ورجعوا الباقين على أعقابهم والمسلمين من ورائهم فى الطلب وما هم إلا أن أبعدوا عن القلعة بشوط جواد حتى طلع الملك الاكبر وبانت أعلامه وقد بقيت عساكره من ورائه وقدامه وكان لما رحل من جزيرة الحائط رحل فى خمسين ألف فارس فتلاحقت به الروم من الرساتيق إلى أن

أشرف على قلعة السها وهو فى ماة ألف وجيوش له من ورائه متلاحقه والمواكب مثل البحار المتدفقه وما هو إلا أن طلع واستقبل الطليعة وهى منهزمة وفرسان عصابة الاسلام من ورائها فلما رأت عصابة الاسلام تلك المواكب المختلفة استغاثوا إلى عالم الخفيات وذكروا الربوع والاطلال والاولاد والعيال ففاضت الدموع وتلهفوا على الرجوع وزاد القياس وكثرت البطارقة والارجاس وقلت الشجاعة عند كثرة العدد وضعف القوى والجلد وصاروا يطلبون الخلاص فلم يجدون إليه سبيل فأيقن كل واحد منهم أنه قتيل هذا وعقبه يصيح ياعبدة الانجيل اشفوا بقتل الاعداء نار الغليل وكلما وصل موكب يقول لهم دونكم والحرب والجلاد قبل أن يفنونا المسلمين (قال الراوى)يا ساده يا كرام ودام القتال على هذا الوصف والعمل حتى وقع بالمسلمين الملل وقتل منهم دون الالف بطل وعادوا يطلبون القلعه واذا بالباب عليهم قدملك وعنده عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى والملك قد سبقهم إليه وحول خواص جزيرة الحائط والمواكب معتركه والاعلام مشتبكه وتاروا الامراء طالبين الباب فصاحوا عليهم من كل جانب وحمل عليهم خلق بعدد التراب فلما رأوا ذلك انقطعت بالمجاهدين الاسباب وسدت فى وجوههم الابواب ونادى أبوسكران ياويلكم قاتلوا عن نفوسكم واطلبوا الجسر الذى عبرنا منه إلى هذه الارض لعلنا نعبر عليه ونقطعه ونترك هذا العسكر برا الخليج ونبصر مانفعل والا مايبقى منا مخبر فلما سمعوا السودان ذلك الكلام رأوه صواب وجعلوا يدافعون ويتأخرون وبنى كلاب لهم تسع والاميره تصيح عليهم ولا فيهم من يرجع ولايسمع لأن ملك الموت فى وجوههم قد تطلع وسل صارم القضاء فلمع وطارت القلوب من الفزع وجرعت النفوس كاس الحمام جرع ولماوصلوا إلى الجسروجدوه مقطوع والعبور عليه ممنوع (قال الراوى) ياساده وكان السبب فى ذلك الملعون عقبه لأنه رأى المسلمين قد عولوا على الهرب خاف أن يسلم منهم أحد من العطب أو يلتجوا الى القلعه ويحمون أنفسهم بالحصن والمنعة فأمر الملك أن يملك عليهم طريق الباب وصاح فى المراكب من على الساحل وأمر الركاب أن يدوروا حول القلعه وأن يقطعون الجسر ويزيلون الاخشاب حتى لا يكون للمسلمين سبب من الاسباب ففعلوا أهل المراكب ذلك ووصلوا المجاهدون فوجدوا الخبر على ذلك الحال فأيسوا من الحياة وايقنوا بالوفاة وعمل فيهم السيف وهم حيارى وتمنوا أن يأخذوا الكل أسارى فعندها نادت الاميره ياقوم والله ان العمر الطويل والقصير واحد إذا كان منغص اللذات والعاقل الذى لايندم على مفارقته هذه الاجساد والبشريات الذى يحضر أجله فى مثل هذة الوقعات ويرزق خاتمة الخير والسعاده عند نفاذ الانفاس المعدودات ويقابل القضاء بالصبر والرضا على النائبات ولا يعترض على عالم الخفيات فهو أشفق على

أولادكم منكم وارحم بالبنين والبنات فجاهدوا واغتنموا هذه الساعات وبيعوا النفوس لمن من بها عليكم وعاد يشتريها منكم بافضل الهبات والعطيات وتخدمكم الولدان والحوريات فشمروا عن ساق الاجتهاد مادام المولى مطلع عليكم ويراكم ويسمع نداكم ويرحم شكواكم (قال) ولم تزل الاميره فى وعظ الرجال حتى هانت عليهم الآجال وقطعوا المطامع والآمال وعادوا وهم يطلبون الحرب والقتال وقدوجدوا الراحة بهذا الكلام وهى فى أوائلهم تقول ياقوم اتبعونى واحموا ظهرى حتى التقى عنكم الرماح بصدرى ولم يكن قصدكم الا القلعه لعلنا نصير فيها ويقل غنا هذا البلاء والاهلكنا من الخلائق التى ملات الفلا ثم عادت تبرى بسيفها الرماح وتلعب بمهج الارواح وقد رمت البيضه عن رأسها ونزل شمطها الابيض على اكتافها وأبا سكران إلى جانبها وظالم قدامها يضرب بالسيف كل ما كلت مضاربها وقتالها وباقى الرجال تتبع والضجيج عليهم قدارتفع وحبل الحياة قد انقطع والصائح يصيح ولايسمع وجيش الكفر كلما جاء فى زيادة مثل الماء اذا نبع الا أن عودة المسلمين فى هذه الكره عودة من أيقن أنه اذاحمل لايرجع والاميره كلما سمعت أصواتهم قداشتد قلبها واتسع صدرها وضربت فى الروم وحمتهم من شفقتها عليهم مثل ماتحمى اللبوة أشبالها الرضع وهى مع ذلك تنشد وتقول .

أيارب لاشك بهذا الموت وارد ... وقعنا فكن للمسلمين مساعد
فقد قطعوا الآمال من كل لذة ... ومنك يرجى يا إلهى الفوائد
وباعوك أرواح عليهم عزيزة ... وقد أخلصوا النيات فيك وجاهدوا
وقد هجروا أوطانهم وتغيروا ... وأنت لما قد أظهروا اليوم شاهد
وأطفالهم قد أصبحوا من ورائهم ... ينادوا بذل مالنا اليوم والد
وهم بين قوم يشركوا فى مقالهم ... وما فيهم الا كفور وجاحد
وعقبه يغويهم بها ويحثهم ... علينا وقد خابت لدينا المقاصد
ومابى قتلى غير أن جوارحى ... تحن الى من شخصه متباعد
سيبلغه انى قلت غريبة ... فيغما ومن أجلى يلقى الشدائد

(قال الراوى) ولما قربوا من باب القلعه طمعوا فى الحياة وثبتوا آجالهم بأحبال النجاة وكان قد قتل منهم فى هذه النوبة ألف ومائتين فارس من المجاهدين وقد وقاتلوا حتى قتلوا وقد قتلوا مثل أضعافهم من المشركين وأما الباقين فانهم قاتلوا إلى وقت الاصفرار وقدوصلوا إلى باب القلعه ونظر الملك اليهم وقد قربوا منه فحمل الملك بنفسه فى الموكب الخاص وقاتلوا إلى العشاء وطلبوا المجاهدين إلى باب القلعه وقد رجعوا عنهم الكفار وصاحوا على البطال ومن معه من الابطال فما أجاب من القلعه ولا من الابراج انسان لامن العرب ولا من السودان

فقالت الأميرة إنا لله وإنا إليه راجعون ياقوم لايكون البطال قد تم عليه أمر من الأمور من جانب المواكب فهى فى الكلام والباب قد انفتح وخرج منه البطال وولده مذبحون وغلامه لؤلؤ وهم ينادون الحقونا ياسيوف الإيمان ادركونا يا أهل الاحسان فقد تم علينا أمر فى هذا المكان (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك لما رجع البطال إلى القلعة يحفظها ومن معه من الرجال المائتين وبقيت الأميرة ومن معها مع عبدة الصلبان ولما صاروا فى الحصن واغلقوا الباب رأى البطال مراكب الروم قد داروا بالمكان من كل جانب وأقبلت من باب المينا تطلب الدخول فقال لأصحابه لافيكم من يطلب القتال حتى أوريكم ما أفعل من الاحتيال ثم أخذ أصحابه ونزل إلى وسط الحصن وقال لهم كونوا اشهروا سيوفكم وكونوا مستيقظين ومن رأيتموه قد دخل إليكم من هؤلاء الملاعين فدونكم وإياه بلا جلبه ولا صياح حتى تكونوا مثل الأميرة فى جهاد الأعداء ورضا رب العباد ولبس هو وولده وغلمانه فى زى الرهبان وتظاهروا فى زى زهاد الصلبان وتقدم بهم إلى البحر وفتح باب المينا ونادوا بمراكب الروم إلينا ياعبدة المسيح فنحن رهبان دير القدرة وقد كنا فى أسر المسلمين والساعة قد خرجوا عنا إلى عسكر الروم فدونكم أنتم والحصن واحتووا على القلعة عندنا والا يطول على الملك أخذها ونرجع نحن نقع فى أيديهم فلما سمعوا البطارقة ذلك تراموا إلى الباب وكان أول من دخل مقدم الروم وهو يسمى الدومران على المراكب وصعدت خلفه البطارقة من كل جانب وما هم إلا ان صاروا داخل الأصوار حتى تواثبت عليهم السودان وبنى كلاب وضربوا فيهم بكل حسام قرضاب وهم داخلون يزدحمون حتى صاروا وقت الغياب وكلت أيدى المجاهدين من القرصاب وتكاثروا عليهم الروم وصاحوا بأصوات منكرة لما علموا أنها حيلة من البطال وفتك الدومران فى السودان وأباد بسيفه عبدة الرحمن وكان مذكور فى ملة أهل الصلبان موصوف بالفروسية فى كل مكان شديد الكفر والطغيان متجريا على الواحد المنان (قال الراوى) وتم بينهم ضرب البتار حتى انسدلت غياهب الاعتكار ورأى البطال أن أصحابه قد ملوا وتعبوا وقتل منهم أوفى من سبعين فارس سودان وعربان فندم البطال على هذه الفعال ونظر إلى الحصن قد امتلأ من أهل الضلال فطلب الباب هو وغلامه وولده كما ذكرنا فوجدوا الأميرة هى وأصحابها قيام فى الانتظار وقد علاهم الاصفرار فنادى أيتها الأميرة ادخلى الحصن أنت والرجال وانظرى ماتم علينا من الأحوال ثم حدثها بما جرى له من الحيلة وكيف انقلبت عليه فعندها دخلوا الرجال وقفل البطال الباب فعندها صاحت الأميرة وكبرت ونادى ظالم تابعا لها واشهرت سيفها وقالت ياويلكم أيملك الحصن مناولم يبق لنا مكان نلتجىء إليه ولاموضع نعول عليه هذا ولما نظروا أصحاب

البطال عاشت منهم الأرواح وطمعوا فى الروم لما رأوا أصحابهم الأبطال وحمل أبا سكران على الدومران وهو يهدر مثل المجنون وضربه بصارمه البتار وإذا برأسه قد طار وبعده وقع البلاء على الكفار ونشرت رؤسهم بسيوف الأبرار وغضب على المشركين الملك الجبار فعادوا يطلبون باب المينا وقع فيهم الفناء ولم يسلم منهم إلا من رمى روحه إلى البحر وتعلق ببعض المراكب والباقون تساقطوا فى الماء والذين تساقطت رؤسهم عن المناكب وأمرت الأميرة بغلق الباب وأوقدت الشموع والمشاعل وافتقدوا من قتل من المجاهدين فى القلعة فرؤهم أوفى من ثمانين قتيل من سودان وعربان فصعب ذلك على الأميرة وقالت ياأبا محمد قد خاطرت بنا وبالقلعة الذى أدخلت هذا الخلق الكثير وأنت فى مائتين فارس وبالله لولا أدركناهم لملكوا القلعة وكنا نحن بقينا طعاما لسيوف العدا عبدة الصلبان وان واحد من المسلمين أحب إلينا من طائفة من الروم فقال البطال ياأميرة ماحسبت هذا الحساب والا ماكنت فعلت هذه الفعال وإنما أنا قلت الساعه يدخل منهم طائفة قليلة وتغلق الأبواب عليهم ونبذل السيوف فيهم وكان الأمر بخلاف ذلك وغلبنا من غلق الباب حتى جرى هذا الحال الذى كان لابد منه والساعه فما بقى فى الأمر اننا نقطع رؤس هؤلاء الملاعين ونرمى بها عند الصباح إلى القوم الكافرين حتى نضعف قلوبهم ونحل عزائمهم فقالت الأميره والله ياأبا محمد لقد لقينا نحن اليوم مالقيناه طول أعمارنا ومارأينا القلعه حتى هلك أكثرنا من كثرة هذه الخلائق ولولا قدم الليل بالاعتكار ماكان سلم مناديار وان لم يسهل الله لنا شيأ يكون فيه خلاصنا والافنحن نهلك عن آخرنا ومالنا من يوصل إلى بلاد الإسلام خبرنا (قال الراوى) وكان الملك ثم خواص قد نزل إلى الخيام وهو ضيق الصدر كيف لم ينال من المجاهدين غرض والبطارقة يعتذرون ويقولون قد منعنا عنهم الليل بسواده وإلا كنا أهلكناهم عن آخرهم وفى غداة غد ننجز أمرهم (قال الراوى) وما أصبح الصباح إلا والدنيا قد ملئت بالجيوش من كل جانب وقد قدموا فى الليل حتى ملكوا المشارق والمغارب وركب الملك وهو فرحان بكثرة الخلائق وبزيادة المدد وعقبه يقول أيها الملك لوكان الساعة معك نقابين ينقبوا هذه المدينه لاخذت المسلمين سرعه لأنى أعلم أنهم مابقوا ينزلون ولايخرجون إذ قد رأوا هذه العساكر العظيمة فقال الملك طب نفسا وقرعينا أيها الشيخ النجيح فمعنا خمسة عشر نقاب وهم فى المراكب واجهزتهم من الجزيرة وقدمت عليهم الدومران مقدم بطارقة البحر الساعة أنفذ اليهم وآمرهم أن يطلعوا الينا (قال الراوى) فهم فى الكلام والرؤس قد تناثرت عليهم من الابراج كانها رؤس الشياطين ووقع رأس الدومران المقدم على بطارقة البحر إلى بين يدى الملك فلما رأى

الملك ذلك الحال قامت عليه القيامه وأمر أصحابه أن يقدموا باقى الرؤس فقدموها وتبينها فعرفها وكانت أربعمائة رأس من المراكب فعظمت على الملك المصائب واشتدت فى وجهه المذاهب ورجف قلب عقبه على أخته وبنته وقد عظم قتل البطارقة عليه وبقى متطلع إلى القلعة

(قال الراوى) ونظر البطال إلى فطرة الروم والخنده التى وقعت عليهم فقال ائتونى برأس أخت عقبه وبنته عقبيه حتى أرميها إلى الشيخ النجيح ويفرح بهما فؤاده ونعلمه أننا قد أخذنا بثار بنات طوق وبثار العلويه فأتوه غلمانه بشمط رأس عقبيه فرمى بها إلى صدر أبيها فوقعوا بين يدين عقبه مثل الاكره وبصرها الملعون فعرفها وكان راكب فترجل ولطم على وجهه وعينه حتى غشى عليه ولما أفاق وقعت رأس أخته عاقبه عليه فزاد حزنه وقطع سائر ذقنه وعارضيه وأخذ الرأسين فى يديه وجعل يدق بهما على فؤاده وينادى بالمسيح ماهذا مليح وأنا الشيخ النجيح تمكن الأعداء من هذه العجوز الصالحه الكالحه وهذا الوجه الاغبر الذى من تصبح به لم يرى خيرا فى عمره أبدا وتترك فؤادى بفقدهما قريح ثم قال ياعاقبه إلى جنات النعيم حشرك المسيح مع أخيكى الشيخ النجيح وحجة ابليس فى الأرض فلقد كنتى ركنا من أركان ابن مريم فهدموه الاعداء وسقوك النقم ثم زاد به الامر فعدد كما تعدد النسوان ثم عاد عقبه إلى الملك وقد اشتد غضبه وزاد التهابه وقال أيها الملك مابقى لى على هذا الامر صبر ولا احتمال حتى أشفى فؤادى اليوم والامت فى الحال وخرجت روحى من فعال هؤلاء الانذال الذين قد افجعونى فى أهلى وشتتوا شملى وقتلوا الصالحه أختى عجوزة الخير ومحملة كل بيعه ودير وأنهم تحصنوا بالقلعة ولا يخرجون فقل لسائر الروم يترجلون ويزحفون ويعرقبون الابراج وينقبون ويضربون هؤلاء الكلاب بقوارير النفط والنار لعلهم يحترقون وتبرد نار قلبى وقلبك إذا أخذت نار أصحابك فقال الملك مانحتاج إلى هذه الفعال اصبروا انظر حسن خبرتى بالقتال ثم قال للنقباء اؤمروا الجيوش أن تركب الجنائب وقولوا لهم أن يقربوا من القلعة ويركضوا بالخيل ركضا وخببا حتى أورى هذا الشيخ النجيح ما أفعل فتفرقت الجاويشيه والنقباء وداروا على عساكر النصرانية ولم تكن إلا ساعة من النهار حتى تجهزت عساكر الكفار وزحفت مثل البحار وداروا بالحصن من كل جانب وأخذوا فى الخب والركض حتى تزلزلت الارض وماجت فى طولها والعرض وخيل لمن فى القلعة ان القيامة قد قامت والزلازل قد دامت من شدة الرجفات ساعة من النهار حتى تهدمت الاصوار وأيقنوا المسلمين بالبوار وطارت الشراريف من رؤس الابراج وأشرف الحصن على الوقوع وماجت أطلاله والربوع

(قال الراوى) وكان جانب القلعة البرى على الارض الرمله لانها على ساحل البحر فما هو إلا أن دام عليه الرجنان ساعة من النهار حتى تهدمت الاصوار وايقنوا المسلمين بالدمار وكثر

عليهم صياح الكفار ووقع يعقبه العجب والانبهار وقال وحق المسيح هذا شيء ما رأيته قبل اليوم وما هذا الاملاك شديد الرأى والساعة وحق المسيح نهلك الاعداء وتبرد نار قلبى وتهدى (قال الراوى) هذا والاميره قد أبصرت ماهالها ورأت القلعه وقد أشرفت على الانقلاب من شدة زلزالها فقالت يا أبى محمد كيف ترى هذه المصائب الوارده هلكنا هذا البطريق مرة واحده والساعة ينقلب الحصن بنا ويبلغ عقبه منا غاية المنى فقال البطال دعى عنكى هذا المقال فهذا شيء ما يهمنا ولو أن القلاع تقع من ركض الخيل وصاح ركابها لما بقيت قط قلعة لأصحابها فقالت هذا صحيح ولكن من أين يتفق لهذه الأرض هذا الاتفاق ان تجتمع مثل هذه الخلائق على مثل هذه القلعة الضعيفة التى بلا أساس وهى على ساحل رمل وتركض طوله مثل هذه المواكب وتدور بها من كل جانب وما أرى من الرأى غير النزول والخروج إلى الجهاد والموت فى كتائب أهل الكفر وعبدة الصلبان ولا نموت كذا موت الغبينة وتنقلب تجارتنا فى الحشر خاسرة مغبونة ثم صاحت ونزلت طالبة الباب وتبعوها السودان وبنى كلاب وهم موقنون بالهلاك والذهاب وبقى البطال وغلمانه وأبا سكران وجماعة من السودان خوفا على المكان من جهة المراكب وكان الذى اتبع الأمير ألف فارس مع الأمير ظالم وبقى فى الحصن مائتان وقلب البطال عليهم فزعان لأجل ما أبصر من كثرة الروم وعاين من ذلك الخلق العظيم (قال الراوى) ياسادة يا كرام وما هو إلا أن خرجت الأميره ذات الهمة من الباب وصارت ظاهرة هى وبنى كلاب والسودان الأنجاب حتى صاح شمخولص فى البطارقة والحجاب دونكم وإياهم الساعة فقد حسبت هذا الحساب وما قد خرجوا إلا من شرة الزلزال وخوفا على القلعة من الانقلاب فقودوهم إلى بين يدى حتى أشفى فؤادى وأقر عينى فعندها هاج إلى المسلمين التغير وأطلقت نحوهم الخيل وطلبوهم مثل الدبابير وارتفع الصياح نحوهم حتى خيل للناظرين أن الجبال بهم تسير وعلا من المجاهدين التكبير ورفعوا قصتهم إلى اللطيف الخبير وتباشرت بنعيم الجنان ومصاحبة البشير النذير وحملوا بما نعون عن أنفسهم وقد رأوا العدد عليهم كثير فهناك جرت الأحكام والمقادير وعمى عمل البصير ووقع بالسماع التحيير وسمع للروم فى الأوداج جرير وطلع الغبار فى الأجفان والمناخير وأرسل ملك الموت إلى الأرواح بشير ولم يزل الأمر على مثل هذا الحال حتى عبر وقت العصر وطلبت الشمس الزوال وكانت الألف من أهل الايمان قد ضاعت فى مواكب أهل الصلبان وقتل منهم فى ذلك الوقت ثلثمائة فارس كرار وعادوا الباقين يطلبون القلعة فى آخر النهار يرجون الخلاص من الكفار وقد صار وقت الاصفرار والارواح خائفة فى الابدان وعلا الصياح من كل جانب ومكان (قال) وكانت الاميرة من وقت ماخرجت جعلت قصدها إلى موكب الملك ترجو بذلك

ان تصل إليه تقتله وتكون قد أخذت لنفسها بالثار قبل هلاكها والبوار ولم تزل على مثل ذلك تشق المواكب والكفار قد تقهقروا قدامها حتى صار آخر النهار والكفار تلطمها من كل جانب ومكان كما يلطم الهواء موجات البحار فعز بها الاصطبار والتفتت إلى ورائها فلم ترى أحدا من أصحابها الأبرار ترجو منه الانتصار فعلمت أن عندهم ما أشغلهم عنها فأيست عن نفسها ولم تزل تمانع وتقاتل حتى خذلت منها المناكب وأتى الظلام بالغياهب وبين القلعة وبينها مواكب بعدد الكواكب وهى تضرب الأبطال وتنكسهم عن المراكب حتى تثلم حسامها من شدة المضارب وتطاير قطع ولم يبقى به فى يدها غير القائم وحلت منها العزائم وزاد عليها الأمر حتى قتل جوادها من تحتها ووقعت إلى الأرض وهى تمانع عن نفسها والطوارق تصدها والبطارقة تقاحمها حتى وقعت إلى الأرض على وجهها من شدة التعب وثقل الحديد فأخذت أسيره من على وجه الأرض والصعيد وقد بلغنى أن ماوصل إلى باب القلعة سوى خمسمائة فارس مع الأمير ظالم وبقيوا قيام فى انتظار الأميرة وسمعوا حس الصياح عليها وصعب عليهم الوصول إليها فدخلوا إلى القلعة وهم حيارى ومن الحرب سكارى وأكثر ظنهم ان الأميرة قد قتلت ولما صاروا فى الحصن سأل الأميرة ظالم أبى محمد البطال وأبا سكران عما جرى لهم مع أهل المراكب فقالوا نحن فى راحة لأن جانب القلعة البحرى على جبل كما ترى مانبالى بالاعداء ولا لأحد عليه سبيل الامن الهوى فقال ظالم والله لقد لقينا نحن اليوم البلاء مما جرى علينا وهلك أوفامن نصفنا لأننا خرجنا إلى عالم كثير مثل البحر إذا طما لايحد له عدد ولا يحصى له مدد ثم انه بعد شرح حاله زاد بكاه وذكر فقدسته ذات الهمة فعظم جواه ونادى واغربتاه واشماتة الأعداء واساه كيف تهلك فى هذه الأرض ولا يعلم بنا أحد ولا لنا من يوصل أخبارنا إلى بلاد الحجاز ويسمع الأمير عبدالوهاب ولكن هذا كله بحكم العلى الاعلى وزاد به البكا وذكر أباه فأقلقه الحزن ولم يزل الامير ظالم يندب بمثل هذا المقال حتى أبكى الرجال بالدموع الهطال وقد تقلقل لشواه قلب أبى محمد البطال وسمع أن الاميرة قد وقعت مع الأعداء ففزع عليها من عقبه الملعون شيخ الضلال فقال وهو يقول ان شاء الله تعالى آتيكم بخبر الأميره ان كانت قتيله أو أسيره ثم غير زيه وزى ولده وأخذ معه مخلاة حيلته وكلما يحتاج اليه من عمله وخرج يطلب عسكر الروم وقد تلاطمت فى قلبه أمواج الهموم لأجل الأميره ذات الهمه فاطمه بنت مظلوم (قال الراوى) فهذا جرى ههنا (وأما ما كان) من بطارقه الروم فانهم لما احتووا على الأميره حملوها إلى عند الملك شمخواص وقد انسدل الظلام وعادت عبدة الصلبان إلى الخيام ونزل الملك فى سرادقه والغيظ كاد يخنقه كيف خلصوا المسلمين من يديه فما هو إلا أن جلس حتى دخلوا عليه بالأميره وقالوا أيها الملك شيطانة المسلمين التى

لولاها كنا اليوم قد أهلكنا أصحابها أجمعين نخذ منها بثار أصحاب المراكب وأمرنا حتى تنهب جسدها بشفار القواضب فقال لاوحق المسيح لاعجلت عليها بالقتل قبل العذاب لأن القتل لها راحة وان لم أشعل عظامها بالنار مايبرد قلبي ولا يقر لى قرار فهو فى الكلام وعقبه الغدار قد دخل عليه مثل الشيطان ورأى ذات الهمه فلم يسلم على الملك بل انكمش عليها مما فى قلبه منها وعضها فاخذ فى فمه من لحمها قطعة ولطم وجهها حتى جرت الدماء من خديها وجعل يرقص قدامها ويقول ماكان المسيح بالذى يغفل عن تلك العجوز الكالحه وقد كانت طول حياتها فى العباده غادية ورائحة ثم قال أيها الملك ايش تنتظر بهذه العجوز السوء التى هى شمطة على عبدة الصلبان وآفة على الروم فى كل مكان أقرض لحمها بالمقاريض حتى آكله وأشرب دمها وانها لها كما قد أحرقت فؤادى بهلاك أختى وأولادى فقال الملك لأيها الشيخ فما قتلها الليله بصواب وانما الصواب عذابها حتى نأخذ باقى أصحابها وتكون قلوبنا قد اشتفت منها لأن القتل له فرد غصه والعذاب له غصص كثيره وكروب وحريق هؤلاء القوم وصلبهم وبعضهم يرى فيه شقاء للكروب فقال الملعون عقبه وهذا وحق المسيح هو الصواب وماأريد منك إلا أن تنعم على وتولينى عذاب هذه الشيطانه إلى الصباح لأنك قد علمت ايش فى قلبى منها وأخاف ان بقيت عندك تكلمك بكل كلمة صعبة تقتلها وكانت تبقى فى قلبى حسرة فقال الملك صدقت وحق المسيح خذها عندك أنت واشفى فؤادك منها ولا تقتلها حتى أريك ماأفعل بها وبقومها عند الصباح فعندها سحب الملعون عقبه شمط الأميره وقال لها قومى ياملعونه فالليله آخر ليالیکی من الدنيا فقامت الأميره وهى مكتوفه شديدة الكتاف وقد أيقنت بالتلاف فقالت لعقبه ويلك ياملعون افعل ماشئت فما منا إلا من أيقن فى هذه الديار بالتلاف لاجل قتلنا أختك وابنتك وكل أصحاب الملك ورميناهم برؤسهم على أنك تعلم ياملعون ان أهون ماعلينا الموت وما يفزع من الموت إلا أنت لانك حطب جهنم ونحن فما هو عندنا إلا مثل خلع القميص وليس غيره لان أرواحنا إذا فارقت هذا الجسد وصلت إلى الواحد الاحد وهو عنها راض غير غضبان لاجل مابذلنا نفوسنا فى اعزازدينه فقال عقبه وحق المسيح ياصبية مرزوق لاذيقنك فى هذه الليله أنواع العذاب ثم سار بها ومعه عشرة من البطارقه بتوع جزيرة الحائط يسوقوها إلى خيمته ولما حصلوا فى الخيمة قال للبطارقه خذوا حقكم منها وانصرفوا إلى أشغالكم ودعونى أعذبها إلى الصباح فعندها تقدموا الملاعين ومافيهم الامن لطم الاميره على وجهها وضربها وعقبه يفرح بذلك ويقول جزاكم المسيح خيرا وأثابكم على ماتفعلون ثم تقدم بعدهم بطريق قصير ضعيف مريض وجعل يضرب الاميره على وجهها بسوط كان معه (ياساده) فلما رآه عقبه أخذته البهتة اليه وقال له من أنت أيها البطريق من أصحاب الملك

فقال أنا معدكوس بن معقبان جلاد الملك وصاحب سيف عظمته والساعه دخلت عليه فقال لى كن الليله عند الشيخ النجيح احفظه من هذه المسلمه وأعنه على عذابها فقال عقبه المسيح يحفظ الملك كما انه يهتم بمشايخ الدين وينظر فى أحوال الصالحين افعل أيها السيد ما بدا لك واشفى فؤادك بطرف من أفعالك فعندها تقدم البطريق إلى الاميره وجعل يلطم وجهها ويبصق عليها ويضربها بسوط كان معه حتى كاد يقضى عليها وعقبه يتلذذ بذلك ويقول وحق المسيح ان عذابها أفضل من قتلها وما أتى هذا البطريق الاسخطة عليها هذا والبطريق قد فتح مزودا لطبق وأخرج منه حبل قطن رقيق وفيه كلاليب من الحديد وقد أضاءت وبروس أحد من الشوك فجعل يرتبها وينظر إلى ذات الهمه ويشتمها بالروميه ويقول لعقبه ياشيخ انظر الليله العجب من عذاب هذه المسلمه واكتبه عندك فى كتاب الملحمه ثم أخرج سلسلة طويلة وتركها فى رقبة الاميره وأدارها على أكتافها وهى تبكى وتقول اللهم انى أسألك ياملك ياقدوس يامنزه عن القيام والجلوس يامن حكم بالفناء على النفوس نجنى من العذاب والبؤس واكفينى شر هذا الوجه العبوس واصرف عنى كيد هـــذا البطريق المنحوس (قال الراوى) وكانت الاميره كلما دعت يضحك الملعون عقبه ويقول ياملعونه إلى من تصيحى بالدعاء والمسيح قد سلط عليكى هذا البلاء وبعث إليكى من يذيقكى غصص الموت قبل القتل (قال الراوى) والبطريق قد مكن السلسلة من رقبة الاميره ومد الحبل إلى نحو القاضى عقبة وقال له أيها الشيخ قم حتى أشركك فى الثواب وأريك صفة بلادنا كيف أشفى فؤادى من هذا الذى قد أتيت به إليك ثم قام عقبه وشد طرف الحبل إلى رقبته وأقامه على يديه ورجليه وأخرج الحبلين من بين فخذيه وترك القراصات والكلاليب على أكتافه وأضلاعه وجنبيه وقال له امشى معى الساعة أيها الشيخ النجيح إلى قدام وانظر مايحل بهذه المسلمه من الانتقام وتعلم شيأ تذكرنى به فى كل عام فتعجب عقبه من ذلك وقال ايش تنظرى وترى ياذات الهمه فى هذه الصنعه التى ما كانت لكى فى حساب هكذا وحق المسيح افعل بكل من وقع فى يدى من أصحابك وأول ما أبدأ بعدك بالبطال النذل الكذاب وان عشت ووقعت بولدك عبدالوهاب سقيته من هذا الشراب وعذبته مثل هذا العذاب ثم مشى يسحب الاميره فطنبت الحبال وضاقت على عنقه ووريديه وصارت رأسه بين يديه وقد حس أنه قد خرجت مقل عينيه ولذعت رؤس الكلاليب أكتافه فأيقن بتلافه وصاح بصوت رقيق إلى البطريق يامعدكوس ايش هذا التعذيب المنحوس ما أرى فى العذاب الا أنا لان هذا الحديد قد أكل لحمى وخرق أضلاعى ورأسى قد صار عند كراعى وما بقى من موتى الا نزاعى فقال له البطال بالعربيه ويلك لا بأس عليك تعلم هذه الصنعه الغريبه وقد آن وقوعك فى هذه المصيبه واعرفنى يانسل الكلاب الاندال ولا ترجع تعادى البطال

فلما حقق عقبه الحال أيقن بالوبال وقال ياديوث كل شيء حسبته إلا أنك تصير جلاد الملك ونبت على وجهك هذا الشعر فى ليلة أو ليلتين ماحسبته وأما هذه الاحبال والقراصات فهى صفة جديده فلا كتب المسيح عليك سلامه ياألف قرنان ثم هم أن يصيح لجذب الحبال مرة أخرى فصارت ذقن الملعون عقبه عندشقه ودخلت يداه حتى صارت عند رجليه وغشى عليه من شدة الجذب عليه وصفر البطال بشفتيه واذا ببطريقين قددخلاعليه وهما مثل العقابين وكان أحدهما مذبحون والثانى الحصين فقال لهما لفوا هذا القرنان فى هذا الدراج واحملوه حتى نطلع القلعه ولقمه الاكره ودنا البطال من الاميره وحل أكتافها وهى قداندهلت مما رأت وقالت ياأبو محمد سبحان من ساقك الى فى هذا الصوره وان هذه اللحيه وتلك الحيله تؤرخ وتكون مسطوره وما أريد الا أن تعرفنى كيف صنعت بوجهك حتى نبت عليه هذا الشعر فانى أريد أعمل على خدودى من هذا الدواء ويصير لى لحية أدخل بها إلى عساكر الاعداء. فقال لها دعينا الساعة من هذا المقال وسيرى بناالساعة مادام قد حصل لنا هذا الشيخ الضال فلو أردتى ألف ذقن أنبت لكى فى الحال فضحكوا من ذلك أولاده وخرجوا الجميع ومعهم الشيخ الرقيع وسارا حتى قربوا من القلعة وذات الهمه تقول يا أبو محمد ايش يفيد قدومنا ودخولنا اليهم انفذ عقبه مع ولديك وعدبنا إلى عسكر الروم لعلنا نقرب من الملك وندبر فى قتله أو سرقته والا مالنا من هذا البلاء خلاص فقال البطال هذا هو الرأى لأن حولنا خلق كثير ومالدخولنا إلى القلعه تأثير ثم قال لولديه سيروا أنتما إلى ظالم وأوصيه يامذبحون أن يحفظ على عقبه ويحذر من ابنته عقبيه فان قلبي خائف منها وان خرجنا غدا إلى القتال فقل له لايبعد عن الباب واعلمه اننا فى عسكر الروم لعل يكون لناخلاص من أهل الكفر والجحود ثم عاد هو والاميره يطلبان عساكر الكفار وهى تقول ياأبو محمد لو كنا فى زى البطارقه لكان أسترلنا وأتم لاشغالنا قال لها سيرى واتكلى على الله تعالى فأنا أحصل لكى فى الطريق كلما تريدى فعندها سارت الاميره متكلة على رب العباد (قال الراوى) هذا ماجرى ههنا (وما ماكان) من مذبحون والحصين فانهما وصلا إلى القلعه تحت الاستار والاعتكار وكان ظالم وأصحابه ما فيهم تلك الليله من نام ولا قر له قرار وكلهم على الابراج والاصوار خوفامن عساكر الكفار وهم للبطال وأصحابه فى الانتظار ولما قربوا وصاروا تحت البرج نادوا بأسماء بنى كلاب وعرفوهم بأنفسهم فنزلوا لهم والامير ظالم فى أوائلهم وفتح الباب وسلموا عقبه اليه وحدثوه بالاميره وعودتها مع البطال إلى عسكر أهل الكفر والضلال ففرح ظالم بذلك وسر فؤاده بخلاصها وقال الحمدلله ماوقعنا حتى وقع هذا الملعون فى أيدينا حتى نشتفى منه قبل الموت ثم قدمه إلى بين يديه ليعاقبه ودارت بنى كلاب وأخذه اللطم

من كل جانب واذا بابنته عقبيه قد دخلت عليه وتقدمت اليه ومسكت ذقنه وصارت تلطم فيه وتبصق عليه وتقول ياملعون من بين الكفار وياشيبة أهل النار وحق الواحد القهار الذى أدار الفلك وخلقنا لنعبده ونحمده لايتولى عذابك غيرى وان سمحوا لى بقتالك لاذبحنك من قفاك لانك لعبت بعقلى حتى مضى نصف عمرى فى الكفر والاشراك والساعة فقدمن على بالهداية والاسلام وأريدا جعل أول جهادى فيك لانى أخبر بقساوة قلبك من كل الانام وأنا أعلم أنى إذا عذبتك تمحى عنى الذنوب والآثام (قال الراوى) ولما سمع عقبة كلام ابنته ورآها قد توالت عذابه وعقوبته تضاعفت حسرته وفاضت عبرته وكادت تنفطر مرارته وقال ويلك يابنتى لعب الشيطان بعقلك ايش هذا الكلام ومن الذى غرك حتى اتبعتى دين الاسلام ويلك يابنتى لعب الشيطان بعقلك ليتك قد قتلتى مع أختك وعمتك عاقبه ولا كنت سمعت منك هذه المخاطبة وليتنى أنا كنت من قبل هذه المجاوبة ويلك يابنتى ما الذى بان لكى حتى تنزهى الرب القديم وتوحدى يابنتى بحق مافى قلبى عليك من الحنة ارجعى إلى دين المسيح وأنت الذى كنت أعتمد عليكى من دون أولادى فلا تغضبى المسيح والصلبان ويجور عليكى يوشع ويوحنا المعمدان وأباكى ومتابعة الدين المحدث ثم قال يابنتى اسقينى شربة من الماء ولوانها ملؤ كفك فقد ألهبتى كبدى باسلامك فقالت لاوحق من رفع السماء وأغسق الظلماء لاأذقتك قطرة من الماء ولو رأيت بعينى كبدك على جمر اللظى يتلهب لان الجهاد فيك أعظم جهاد ولا يحل اشراكك بالملك الجواد ياويلك أليس الساعة دخلت دين الاسلام وقلت عنهم انهم مختلفين فى المذاهب والاحكام ويلك ياشيخ النار ان كانوا اختلفوا فى الفروع فقد ثبت لنا الاصول والكل دلونا على تدبير الذى لايحول ملكه ولا يزول

(قال الراوى) ولم تزل عقبيه مع أبيها فى جدال وعتاب وضرب وعذاب حتى وقت السحر وقال ظالم للرجال قوموا بنا حتى نتأهب لامورنا ونحن ندافع عن نفوسنا واتركوا هذا اللعين عند ابنته عقبيه حتى نبصر كيف يكون أمرنا فقالت عقبيه لاوحق محمد بن عبد الله فما أتوكل أنا بهذا الملعون ولا أريد النظر فى وجهه إلا وهو مصلوب لانى أخاف انه إذا خلانى يلعب بعقلى ويبغض إلى دينى الذى قدمن الله على به فتعجبوا الناس من حسن عودتها وصفاء نيتها وتقربت من قلب ظالم بمقالها (قال الراوى) وكانت قد انفردت بنفسها فى برج من أبراج القلعة تتعبد فيه يقال له برج السلاح وهو مشرف على البحر ومرحوما تأتى كل ليلة إلى زيارتها وقد أخذت الاسلام أيضا بقبول وفتح الله فى وجهها باب الرضى والسول

(قال الراوى) ولما أصبح الصباح خرج الامير ظالم إلى برا الباب فى خمسمائة فارس وبقى أبو سكران فى مائتين من الفرسان هذا وعساكر الكفار قد ثارت فى سائر الاقطار

وماجت كموجات البحار وركب الملك شمخو لص وأولاده ودارت به خواصه وأجناده ومن قبل أن يأمر العساكر بالقتال قال ابصروا ماجرى للشيخ النجيح مع المسلمة وقولوا له يحضر حتى يرى ماأفعل بأعدائه فمضوا الغلمان وعادوا يخبروا أنه قد سرق وخلصت المأسورة التى كانت عنده وما نقول ماأخذه غيرها لأنه خلى بها وحده وقدقام يعاقبها فقطعت كتافها وأخذته ورجعت إلى أصحابها والا يكون قد نزل لص المسلمين إليها وسرقها وأخذه معها فتغير لون الملك وقال ويلكم كيف يكون إنسان يسرق إنسان واحد فقال له رجل كان قدسكن القسطنطونية بلى ياملك معهم واحد يقال له أبو محمد البطال يقال عنه أنه يسرق القلعة بما فيها من الآدميين وغيرهم ويطيرها فى الهواء وهو واحد الأرض وشيطان الزمان وعدوا لملة الصلبان وشيطان فى صورة إنسان (قال الراوى) ياسادة فلما سمع ذلك الملك تعجب وقال ابصرو اليوم كيف تنجزوا أمر هؤلاء القوم وتكفونا شرهم أنتم وأهل المراكب الذين لنا لأنهم ماعملوا شيء ولا قتلوا من هؤلاء المسلمين رجل إلا من يوم تمت عليهم الحيلة على مقدمهم داخلهم الفزع وأقاموا فى البحر متكلين عليكم وأنتم أدبر منهم وأقل بركة (قال الراوى) ياسادة فهم فى الكلام والغلمان تقدموا إليه وقالوا يامولانا قدوصل إلينا عشرة رهبان من القسطنطينية قاصدين إليك ولهم مقدم يقال له شومدرس ويريد الحضور بين يديك فقال الملك ائتونى به وبأصحابه فانى قدسمعت عن هذا الراهب وحدثت عنه العجائب وهو قرين الشيخ النجيح ويجاهد مثله فى طاعة المسيح (قال الراوى) ياسادة ولم تكن إلا ساعة حتى حضر الراهب شومدرس حكيم ملة الصلبان والكل بالمسوح السود والبرانيس والعكاكيز فلما رآهم الملك ترحب بهم ورفع شأنهم ومنازلهم وقرب شومدرس وأدناه وسأله عن أمور دينه ودنياه فقال أيها الملك ماجئت الا أحسك على الجهاد وأخرجك تطلب البلاد وتملكها لانها خالية من الانصار والمسيح قد فرق شمل الموحدين وأخلى منهم الثغور وبلاد الاسلام والملك صاحب القسطنطونية غافل عن الجهاد مشتغل عن الآخرة بالاكل والشرب والفساد وقد قلت عزيمته وانحلت طوائف الروم عن طاعته وبغضت أنا المقام عنده لاجل غفلته وسرت من غير علمه إليك لاقضى باقى عمرى بين يديك لأننى سمعت انك أكرم الملوك وأشرفهم وقيل ان فى أرضك نزلت قدرة المسيح وفى هذه الأيام سمعت انك خرجت من بلادك تجاهد فى أعدائك وأنك قدظفرت فى أرضك بطائفة من المسلمين واهلكت أكثرهم وقيل انهم هم الذين خرجوا من أرضهم وخربوا بلاد الروم وقتلوا ملوك سائر الاقاليم وسمعت أن الذى كان سبب دخولهم إلى اقليمك الشيخ النجيح وحجة المسيح قرينى الصالح وأخى الناصح الذى قد قتلتنى اليه الأشواق وها انا قد

أتيت اليه زائراوفى حضرتك مجاهدا واخبرنى الآن من بقى من الاعداء وقص علينا ماجرى لان قلبى من هؤلاء قريح وفيه أعظم مما فى قلب الشيخ النجيح لانهم قتلوا ولدى وزوجتى وتركونى أموت بحسرتى فرق له قلب الملك وطيب قلبه ووعده بفتح البلاد والخروج إلى هلاك العباد وقبول الرأى فى الجهاد ثم حدثه بما جرى وكيف فتحوا المسلمين قلعة السها وكيف وصلوا إلى جزيرة الحائط ثم قال وقدقتلنا ياشيخ أكثرهم والباقين مشرفين على التلاف والهلاك ومامنعنا منهم إلا هذه القلعة والبارحة كانت أميرتهم أسيره فى أيدينا فأردنا هلاكها ولكن منعنا الشيخ النجيح منعنا وأخذها اليه ليشتفى بعذابها لان أصحابه قتلوا بناته وأخته وأراد هوأن يأخذ بثاره من هذه المسلمسه فنزل معهم لص المسلمين يقال له أبا محمد البطال سرقها وسرق الشيخ النجيح معها ونحن فى حيرة من ذلك لان هذا شىء ماعهدناه فى بلادنا أن يسرق انسان انسان مثله فلما سمع شومدرس من الملك ذلك ضحك وقال أيها السيد لاتعجب من هذا الذى يفعل هذه الفعال فانه موصوف بهذه الاعمال ومامات أحد من أمة عيسى الا وفى قلبه منه شىء لاتحمله الجبال (قال الراوى) وكان البطال وذات الهمه فى تلك الساعه حضروا فى موكب الملك وهم فى زى بطارقته لان البطال لما أنفذ ولديه مع عقبه وعاد يطلب عسكر الروم والاميره تقول له اسرق لنا من ملابس أصحاب الملك ودعنا نركب فى موكبه ونعمل على عطبه لعل العساكر تختبط وننجوا نحن من هذه الارض فقال البطال هذا هو الرأى الصواب وكان قد صار وقت السحر فخاض البطال بين الخيام وصار كلما وجد من مضارب البطارقة فرصه يدعس ويأخذ مايحتاج حتى سرق وحصل له وللاميره مايحتاجون اليه فلما كان عند الصباح ركبا فى موكب الملك مع جملة الفرسان ووقفا تحت الصلبان يشاوران ويدبران إلى أن قدم شومدرس الفرنان الشيطان وجرى له ماذكرنا مع الملك فنظره البطال فقال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم انظرى ياأميره هذا العجب كلما قلنا ظفرنا بنحس جاءنا نحس آخر وهذاشىء مايكون فى الحساب (قال الراوى) ورجعنا إلى حديثنا الاول وان الملك لماسمع مايعمل البطال من الصفات نادى فى رجاله بالزحفه إلى القتال ثم قال ابصروا من يتقدم إلى المراكب أيضاويزحفوا من جانب البحر فقال شومدرس مايحتاج أيها الملك تبصر أحدا قدمنى أنا على المراكب وولينى أمر من فيها راكب وانظر من العجائب وان كنت ماسمعت ذلك منى فاسأل الشيخ النجيح عن أبو الشر شومدرس فلما سمع الملك بذلك قال وحق المسيح لقد سمعت بصفاتك من سائر الناس وبلغنى أن أعمالك مايقع عليها قياس ثم أنفذ مع غلمانه إلى المراكب وقال قولوا لاهلها يكونوا تحت حكمه ثم عول بعد ذلك أن يزحف إلى طائفة أهل الايمان واذا بفارس قدقفز بين الصفين وجال على حصان حتى حير أولى الالباب ونادى يطلب البراز من عبدة الصلبان

فقفز اليه عشر فوارس فى مرة واحده لان الخلق كثير فصاحوا وطلبوه مثل الدبابير فهنالك صلى الفارس على البشير النذير والتقاهم بلقب مافيه غير اللطيف الخبير (قال الراوى) وكان هذا الفارس الامير ظالم ابن الامير عبد الوهاب وقد خرج يفدى أصحابه ولما رأى العشرة بطارقه قد تبادروا اليه حمل عليهم وجال فيهم حتى ارتفع الغبار ومضى ساعه من النهار وانكشف القتار عن الابصار واذا بالعشره حول ظالم ممددين على الرمال ومطرحين يمين وشمال وهو يجول عليهم بالجواد ويذكر رب العباد وينادى دونكم والجلاد

(قال الراوى) ونظر الملك شمخوليص إلى هذا الحال فزادت نيرانه اشتعال وأمر النقباء ان ترد العساكر إلى القتال وقال وحق المسيح ودير النذور وكل راهب مات من المسلمين مقتول والا لاغفر لى القس الكبير فرتمولا ولارضى عنى الحوارى نقولا ان رجع أحد منكم حمل أو قاتل وطلب الطعان لأضربن رقبته إلا أن تبرزوا إلى هذا المسلم فارس لفارس ياويلكم ماهذا عليكم أكبر عار أن يخرج منكم عشرة لفارس واحد ولا تنالوا منه مقصود ابصروا من يبرز إليه ويأتينى به أسير والا حلقت لحية كل ملك منكم وأمير على أننى أقول ان هذا الفارس هو المسلمة التى كانت عندنا البارحة أسيره وقد خلصت من أسرها وقد خرجت إلينا اليوم تطرح شرها عليكم دونكم واياها حتى لايقال عنى أن مافى عساكرى من يلقاها فلما سمعوا البطارقة ذلك صاروا يخرجوا واحد بعد واحدا شاكين فى سلاحهم وظالم يقبض أرواحهم حتى صار قريب الظهر وانقطع عنه البراز من البطارقة وهابته الروم والعمالقة وقد قتل منهم أزيد من مائة وعشرين بطريق وبقوا إليه ناظرين وهموا ان يأخذوه بالمكاثرة وهيبة الملك تمنعهم من المبادرة هذا وظالم قد غير جواده وعاد يجول هذا والملك حيران وقلبه يحترق وهو على أسر ظالم قلق وقد هم ان يأمر بعض أولاده بالخروج إليه وإذا بفارس من أعراض العسكر قد حمل عليه وهو على جواد أصفر يأكل الارض مليح الطول والعرض يرى الجولان عليه فرض وعلى راكبه صدريه زرد كأنها عيون الجرد وفى يد الفارس سيف للأعمار ماضى قاضى (قال الراوى) وكان هذا الفارس الاميرة ذات الهمة لانها لما رأت فعال ظالم بالرجال وصنعته بالابطال قالت للبطال ياأبا محمد أريد اليوم أحتال وأرمى روحى إلى الاهوال فقال لها بماذا اخبرينى ما الذى تريدى تفعلى قالت أنا أعلم الساعة مافى قلب الملك من ظالم واعلم أن الذى يخرج إليه ويأخذه يصير فى المنزلة العالية وأنا أريد افعل هذا العمل لعل الملك يقربنى ويرفع منزلتى إذا ظهرت له طرف من فروسيتى وأتوصل أنا بعد ذلك إلى أخذه فيكون ذلك سببا لخلاصنا وفداء أرواحنا لاننا ماكنا نطلقه حتى يحلف

لنا انه يخلى سبيلنا ونمضى إلى بلادنا سالمين فقال البطال ان هذا نعم الرأى وتكون الاشياء بخواتيمها إذا أتى أخذنى ظالم وحضرتى بين يديه وسألكى عن حالكى ايش تقولى له فقالت ما أدرى يا أبا محمد فقال قولى أنا شعشعونا ابن شيعون الهرقلى وقد أتيت أنا وغلامى فى طلب الغزاة بين يديك لانى ياأميرة قد سمعت الروم يتحدثون بهذا الفارس وانه شجاع من هرقل (قال الراوى) فما تم كلامه حتى خرجت الاميرة إلى ظالم وحملت عليه وصاحت فيه فالتقاها بقلب قوى وقد هانت البطارقة فى عينه إلا أنه لما جال معها رآها بخلاف من تقدم فأخذ حذره منها وصار يطاولها وهو لا يعرفها فجرى بينهما ماحير المسلمين والروم وصار الغبار عليهم مثل الغيوم وتطاول الملك فى سرجه لما رأى ثبات ذات الهمة مع ظالم وقال وحق المسيح ان قتل صاحبنا هذا المسلم لانعمن عليه ولاجعلنه أنيسى وان أخذه أسيرا وتنصر المسلم جعلت الاثنين اخصائى وأصحاب أسرارى (قال الراوى) فما تم كلامه حتى سمع ضجة عظيمة وجلبة جسيمة فمد بصره وإذا بالاميرة قد حملت على ظالم وصاحت فيه روعته ومدت كفها إليه واقتلعته من سرجه وصار معها أسير فأتت به إلى بين يدى الملك حقير ذليل ففرح به الملك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وقال له من أين أنت أيها السيد الهمام ومن أين قدمت إلى هذا المقام فقالت له أنا شعشعونا ابن شيعون بن شعونا الهرقلى خرجت خلفك فى طلب الجهاد ومعى غلمان وبطارقة وثقل وكل ركبى غدا يصل وأنا سبقت وغلامى هذا لأجل القتال ثم أشارت بيدها إلى البطال (قال الراوى) فلما سمع الملك هذا المقال قال وحق المسيح ياشعشعونا مايرجعون الأحباب يفترقون ولا بقيت أخليك تبرح من عندنا حتى نعود من عدونا المسلمين فصعقت له الأميرة ونظرت العساكر كلها على المجاهدين بعد أسر الأمير ظالم وقويت له العزائم والصياح قد انعقد من كل جانب حتى ملأت المشارق والمغارب فعادت الاميرة تطلب الحرب بعد ماسلمت ظالم إلى البطال وأوصته به وطلبت القتال وقلبها على من بقى من المسلمين حيران فصارت تطلب الغبار الشديد والقتام فتطعن فى صدور البطارقة وتحامى عن المسلمين لان العدو كثير وجيوش الكفار تندق مثل البحار وهم يجاهدون حتى قل منهم الاصطبار وعدم الانتصار وظهورهم ملتصقة إلى صورة القلعة وهم يكبرون الواحد القهار (قال الراوى) وبلغ الخبر إلى الحصن أن ظالم أسر فقامت القيامة على أبا سكران ورأى المسلمين فى نقصان فترك فى الحصن جماعة من السودان لانه رأى الحصن من جانب البحر فى أمان والمراكب تدور به من كل جانب ومكان ولا تقدر على أذيته ولا إليه سبيل ولا وصول فخرج مع السودان وغاص فى عساكر الكفار وتناخت الفرسان وقاتل أبا سكران قتالا يحير العيان وقد طلعت الغبار إلى العنان وغابت الشمس

ولم تدرك الانسان هذا والملك قد أمر أن تنصب إلى شعشعونا خيمة إلى جانب سرادقه وقال سلموها إلى غلام شعشعونا وانقلوا اليه كلما يحتاج إليه ففعلوا ذلك وتسلمها البطال وربط ظالم فيها وهو لا يعرفه بل منكس الرأس كثير البكاء على نفسه وعلى المسلمين (قال الراوى) ودام القتال يعمل إلى أن أمسى المساء واختلط الظلام وقد وقع الفناء فى طائفة الاسلام ولم يدخل الحصن منهم إلا القليل والباقين بين جريح وقتيل هذا والروم قد عادت عن القتال وجلس الملك فى سرادقه وقال ائتونى بالبطريق الهرقلى فأحضروا الاميرة فقبلت الارض وهى تقول هذا لله عز وجل ولما رآها الملك ودرعها قد غرق فى دماء الكفار والمشركين ففرح بذلك وأيقن أنها قد قتلت فى المسلمين فخلع عليها واجلسها إلى جانبه واحضرت الغلمان الطعام فتقدم الملك وأولاده وخواص أصحابه واجناده يأكلون وكلهم إلى الأميرة ينظرون وقد وقعت هيبتها فى القلوب (قال) وكان البطال واقف فى جملة الغلمان فقال الملك شيلوا الغلام شعشعونا وقولوا له يطعم الأسير ولا يمنعه من الزاد إلى ان نقتله فان السيده مريم تقول لا تقتلوا أعداء ملة الصلبان وهم جياع (قال الراوى) ياساده وكان البطال قد ترك ظالم فى الخيمه وأتى إلى حضرة الملك خوفا على الأميره لا تسألها عن شىء يكون له حجة وانه لما رأى منزلتها عند الملك فرح بذلك وأخذ الزاد وعاد يطلب الخيمه وهو يقول ان كفيت الليله شرشومدرس اللعين فما نكون الاسالمين (قال الراوى) ياساده وكان الملك قد أنفذ من يشرف عليه وعلى المراكب ويبصر ماجرى له ويأتيه بشومدرس فرجع الجواب يقول أنا ماأعود حتى أدبر بذلك (ياساده) وعاد البطال إلى الخيمة فوجد ظالم يبكى على المسلمين وهو مطاطى الرأس حزين لأجل أسره لانه مايدرى بما جرى على المسلمين بعده ولاسيما فقد الاميره فقال له البطال مالى أراك مهموم حزين باكى لا ترقأ لك دمعة كل هذا الأجل أسرك اشرح صدرك ياظالم فما أسرك فارس دون ولا كنت فى قتالك مغبون ولا هو غريب منك وقد أسر من هو أجل منك قدرا وهو أبيك وان كنت ماتصدق بالعيان فانا البطال والذى أسرك الاميره ذات الهمه جدتك فدع عنك الرقاعه وكل الطعام فى هذه الساعه حتى أسير وأشرف على الاميره لعل نأخذ الليله الملك فلما سمع ظالم ذلك احمرت عيناه وطار الدم من وجنتاه وقال كأن العجوزه الخرفانه هى التى خرجت وفعلت هذه الفعال وهتكت سترى بين الابطال وذمة العرب لابد من قتلها ان نحن سلمنا وخلصنا فقال البطال لا يصعب عليك هذا الأمر ياولدى فما فعلت الاعين الصواب لأننا فى هذه الشده الشديده والبلاد بعيده وما نخلص إلا بالتدبير وما هذا وقت المباهاة (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان بعد تقريب الأميره وأكل الطعام قد قدم المدام وشرب فرحا بها ولما أن وصل القدح اليها أخذته بكفيها وباسته وعاودته

إلى الملك والساقى وقالت له بحق المسيح لا تنقض عهدى أيها الملك ولا تغير غيبتى فانى قد عاهدت المسيح من وقت خرجت من هرقله انى مابقيت أشرب من هذا القربان إلا ان أموجه من عين سلوان بعد الحج إلى بيت المقدس والجهاد والغزو الى بلاد المسلمين وهلاك أعداء الدين فقال الملك هذا وحق المسيح رجل نيته سليمة للجهاد باشعشونا لو كان ربع عسكرى على هذه النيه فتحنا سائر البلاد الحنيفيه وشيأ قد تركته لوجه المسيح ماأغصبك عليه ثم جعل الملك يشرب مع خواصه وحجابه وبطارقته والأميره قاعده خائفة فعندها شرب الملك القدح وانطرح والسقاء والغلمان من شدة التعب والسهر نامت ولم يبق إلا البطارقة الذين بر السرادق بتوع الملك أصحاب النوبه ومن يعز على الملك إلا ان الكل سكارى متكئين على شعشعونا فلما رأى البطال ذلك انطرح عند رجلين الملك وخرجت الأميره والسيف فى يمينها مشهور ودارت حول السرادق حتى خمدت نيران العسكر ووقع النوم على الجميع وسكتت الحركات بأمر الجبار وعادت الأميره ودخلت إلى السرادق وقالت ياأبا محمد دبر حالك فما بقى من تخشاه فعندها وثب أبا محمد إلى شمخولص وشديديه وكذلك الأميره شدت رجليه وحمله البطال وخرج والأميره خلفه بالسيف حتى صارا عند ظالم وفكوا قيده وكتافه فقام وهو يقول ياأبا محمد من الذى معكم فقال البطال سير ولا تتكلم بما لا يعنيك فهذا ملك الروم وهذه ستك فاطمه بنت مظلوم فاقيموا على ماأنتم عليه حتى ادخل وأعود اليكم بما تركبون ثم عاد إلى سرادق الملك فتسلم من الجنائب الخاص ستة جنائب وأتى بها إلى الأمراء فركب ظالم وذات الهمة وشدوا الملك على بعضها وركب البطال وساروا حتى خرجوا من الخيام وكانت القلعة بين أيديهم لأن سرادق الملك كان محازى باب الحصن (قال الراوى) ياساده ولما خرجوا من الخيام أمنوا على نفوسهم وتموا يطلبون الخليج وظالم يقول ياأبا محمد أنا ماأدخل معكم حتى أبارز هذه العجوز الهرمة التى قد خرجت إلى وأسرتنى على غرتى وأنا تعبان وقد قتلت من الكفار نحو المايه والعشرين من الفرسان ولولا ذلك كانت أحقر بان تمديدها إلى فقالت الأميره ويلك ياظالم أعجبتك نفسك حتى صرت تتجرأ على مثلى بمثل هذا الكلام وتحدد من شىء قد فعلته بابيك مره ماحد دولا جرى عليه ماجرى عليك فانت فرخ فرخى فلما سمع ظالم ذلك قال ذاك ولدك من احشاكى تفعلين به وأنا على أى شىء تذلينى حتى تفعلى بى هذا الفعال وتهتكى سترى بين الأبطال فقال البطال بالله عليك ياظالم دعنا الساعه من هذا العقبان وخلص نيتك حتى تخلص من هذا البلاء الذى نحن فيه (قال الراوى) ياساده فهم فى الكلام وإذا بثمانين فارس قد اعترضهم من بطارقة الروم مع مقدم من حجاب الملك يقال له شومطيش وكانت تلك الليلة نوبته فى درك القلعه والدوران حولها فلما رآهم باداهم ياويلكم من أنتم والا كذلك

طالبين القلعة التى فيها الاعداء فقال البطال وقد تقدم إليه يا أخى ماحالك أنا كورين من سقاة الملك وقد أتيت فى طلب أحصله لصاحبى قبل أن تخوض الخيل فيه وأعد فلما سمع القوم ضحك وقال وحق المسيح ما أنتم إلا مسلمين والاسقاة الملك كيف يكون منكم معه جنايب من الخيل الخاص فقال البطال يا أخى لاتفعل ودع عنك هذا المقال وان كنت أنكرتنا لأجل هـذه الخيل فهذه جنائب الملك والسياس قد أعطونى اياه وقالوا لى يا كورين خذهـا معك واترك غلمانك يخوضوها فى الخليج لأنهـا البارحـة ما أكلت عليقها فقال البطريق تكذب ياشيطان وحق المسيح ما أنت الا الذى سرقت الشيخ النجيح والا فقل انك برىء من دين محمد وخصمك القرآن وأنيسك فى لحد الصلبان فعندها التفت البطال إلى الاميره وقال لها كلمى هذا الشيطان فانا قد اشتكلت على قصته فعندها دنت الاميره منه وقالت له لو تبينت وجوهنا لعرفتنا ثم سلت حسامها مثل البرق وضربته اطاحت رأسه عن بدنه وقال أنا ما أحب أخاطب إلا كذلك ثم صاحت الاميره بظالم وحملت معه على باقى الفرسان وبقى البطال موكل ورأت البطارقة سيدها قتيل فسلت السيوف وحملوا على الامراء وكان ذلك المكان بعيد عن العسكر قدام بين هؤلاء الامراء والقتال تحت الظلام وعمل الحسام وقل الكلام ولعب ظالم وسته بارواح المشركين اللئام حتى طلع الصباح وخاف الفزعان من الافتضاح وولت البطارقة هاربة وقد قتل منهم أوفى من خمسين بطريق ورأوا ضربا أحر من نار الحريق وعادت الاميره وظالم إلى البطال وهو فى انتظارهما بالبعد قائم ولم يشتغلوا بالقيام لأنهم طالبين النجاة بكل الوجوه ولم يزالوا حتى وصلوا إلى القلعة وصاحوا ففتح لهم البواب ودخلوا ثم نزلوا من على الخيل والاميره تقول أين الامير أبا سكران ان بشروه بخلاصنا من عبدة الصلبان وأخذنا لهذا الملك الذى نريد نطلب منه لأنفسنا الامان والخلاص (قال الراوى) ياساده فهى تقول هذا المقال واذا كبس عليها الرجال وأرموا أرواحهم عليهم مثل الجبال وهم ينادون عيسى ومريم وعقبة فى أوائلهم ينادى خذوا هؤلاء الانذال واتركوا فى اعناقهم الاغلال حتى أبلغ بصلبهم الآمال أنا وهذا الشيخ شومدرس المحتال ولم تـكن إلا ساعة حتى أخذوا ظالم والاميره والبطال وكتفوا الثلاثة بالحبال وتولاهم عقبه وشومدرس شيخ الضلال وظهرت عقيبه بنت عقبه وهى تضحك وتلطم وجوههم وتبصق عليهم وتقول ياشياطين كيف ترون هذه الفعال التى تعجز عنها الرجال ابشروا بالصلب وقطع الآجال (قال الروى) ياساده وكان لذلك سبب عجيب وهو أن الراهب شومدرس لما نزل إلى المراكب وتقدم على أهلها وأراد أن يظهر صنعته وحكمته وصار يصيح على أصحاب المراكب ويزحف بهم طالب الاصوار وأباسكران ومن معه من السودان يرموهم بالحجاره والصخور الكبار لما تنصف

النهار وحملت عساكر الكفار واسرت الاميره وظالم كما ذكرنا واشرفوا المسلمين على الهلاك وسمع أبا سكران بذلك فنزل ومن معه من الرجال وقلبه آمن من القلعة من صوب البحر لأنه رأى المكان أمين شاهق فى الهوى حصين ودام القتال مع عسكر الكفار ورأى شومدرس المكان قد خلا من الرجال فعلم أن الكل فى القتال وأن القلعة خالية من الأبطال فمال بمركبه إلى تحت برج السلاح وكان قد نظر فيه شباك حديد على طاقة واسعه فقال من هاهنا أنال المقصود ثم أخرج الكلاليب وربط فيها الحبال وصار يقول للبطارقة علقوها فى هذا الشباك حتى تتعلق وتتمكن وتصعدوا وقد تملكتم المكان وأنه قد بقى خالى من العرب السودان (قال الراوى) ففعلوا ذلك البطاقة وصاروا يرمون الكلاليب بقوتهم وهى لا تصل ولا تتعلق لأن المكان مرتفع فبقى شومدوس حائر لا يدرى ما يفعل ولما ضجروا عولوا على الانصراف وإذا بكف قد خرق من عيون الشباك أنقى من البلور وابيض من الكافور ومنادى ينادى لا تنصرف ياراهب فأنا أبلغك ما أنت له طالب واقصد إلى باب البحر وانا افتحه لك وادخل كل من معك إلى المراكب (قال الراوى) فلما سمع شومدرس هذا المقال انفرج عن قلبه ذلك البلاء العظيم وعلم أنه كلام امرأة فناداها من أنتى يا بنتى من عباد المسيح اخبرينى حتى يخف ما بى واستريح فقالت أنا عقبيه بنت الشيخ النجيح كيف أنت ياعماه وحق الصليب لقد أتيت فى وقت الحاجه وأنا رأيتك اول ما نزلت فى المراكب وما امكننى أن أكلمك لأن الحصين كان من المسلمين ملآن وأنا كنت خدعتهم واظهرت انى قد دخلت معهم فى دينهم وجرى لى معهم عجائب ماهذا وقت شرحها اقصد الساعة إلى الباب حتى أفتحه لكم وتملكون المكان قبل أن تعود السودان ثم نزلت الملعونه والمفاتيح معها تطلب باب البحر وشومدرس قد طار قلبه من الفرح وميل بالمراكب إلى نحو الباب وما كانت إلا ساعة حتى فتحت الملعونة الباب وأدخلت البطارقة وطلع شومدرس واعتنق عقبيه وقبلها بين عينيها وقال لها يا بنتى جزاكى المسيح خيرا لأنك لولم تفعلين هذه الفعال لما كنت تسمى بابنة هذا الشيخ المفضال ومع ذلك أين هو فما أرى له خبر وأنا قتلنى الشوق إلى طلعته حتى أشبع منه بالنظر فقالت هاهو فى برج الزاوية مأسور وأولاد البطال به متوكلين فدعه الساعة على ماهو عليه فخلاصه مايفوت ورتب قبل كل شيء البطارقة خلف باب البرحتى يقبضون على من يعود من المسلمين والساعة ترى الكل وقد عادوا منهزمين تعابا مجروحين وكان كل من دخل من المسلمين يتمهلوا البطارقة عليه حتى يتوسط الحصن بتدبير شومدرس اللعين ثم يقبضون عليه ومن مانع عن نفسه قتلوه والباقين هلكوا برا الحصن وداخله وكان الليل قد مضى منه بعضه وبعد ذلك أخذ شومدرس جماعة من البطارقة وقصدوا إلى باب الدار التى فيها عقبة فقبض على مذحون والحصين أولاد

البطال وقعد عند رأس القاضى وهو فى غمرات الموت من شدة الضرب والعذاب وفى قلبه من كلام ابنته النار التى لا تطفا فقال له شومدرس افتح عينك أيها الشيخ النجيح وانظرنى فأنا أخيك أبو الشرشومدرس قد أتيت أبل شوقى منك (قال الراوى) فلما سمع عقبة هذا الكلام رجعت روحه إليه ورجف قلبه من الفرح وفتح عينه وهى تدمع وقال ياترى هذا الأمر صحيح وقد جمع بيننا السيد المسيح كيف كنت وطاب قلبك أن تنسانى فى هذه المدة ولا تسأل عنى وقد كنت لى عمدة ياراهب فكم جرى على بعدك من المصائب وما قاسيت بعدك من النوائب وبعد هذا قتلت أختى عاقبة وابنتى عقيبة وأسلمت ابنتى عقيبه واسمعتنى غليظ الكلام ووحدت الرب الكبير وأريد تنتقم منها غاية الانتقام وتأخذ لى بثارى من هؤلاء وقد أتيتنى فى هذا الوقت وخلصتنى من الأمراء وهذه الفعلة ما أنساها لك أبدا وعلم المسيح ما كان بقلبى من الشوق إليك فلما سمع شومدرس ذلك من عقبة ضحك وأخبره أن ابنته عقيبة على دينها ثم حدثه بما فعلت وكيف فتحت القلعة وان الذى عملته كان كله خديعة ومكر ومحال حتى تم لها هذا المقال ثم حل كتافه وهو لا يصدق بذلك وإذا بابنته عقيبة قد دخلت عليه وقبلت رأسه ولحيته وقالت ياأبتى لا تؤاخذنى بذلك المقال وما فعلت بك من الفعال فانى ماقابلتك إلا الحيلة منى على هؤلاء الكلاب الأندال فقم أبصر كيف فتحت هذه القلعة كما فتحها أبى محمد البطال وأهلكت فرسان المسلمين والأبطال وباقيهم فى الأسر والحبال فعندها بكى عقبة الملعون من الفرح وقال ياابنتى لو لم تفعليها ما كنتى من ظهرى فالمسيح يرضى عنك ولا يؤاخذك والقسس ترحمك والحواريين تزورك فأنتى قد بقيتى العمدة ثم خرج هو وشومدرس قدامه وأولاد البطال معه فى الكتاف ولما صاروا فى وسط الحصن ورأى عقبة قتلا المسلمين زاد فرحه ثم افتقد المأسورين فما رأى البطال ولا ذات الهمة فقال مالى لا أرى الشيطان الرجيس وتلميذ ابليس أبى محمد البطال وكذلك العاهرة أم الأسود الزنيم فقال له شومدرس وحق المسيح مالى منهم علم وما أنا الا سألت المأسورين فقالوا لى انهم نزلوا إلى قتال الملك وما ندرى ماجرى فقال عقبة وحق المسيح لابد مما يعملون بائقة ويصدقون وان صدقنى حذرى فما يعودوا الا بالملك ولا بد لهم فى هذه الليلة ما يعودون إلى القلعة وأنا أدرى كيف آخذهم ثم استدعى بمائتين بطريق ودلهم على مكان يكمنوا فيه وقال لا تمكنوا أرواحكم من النوم وما كانت الاساعة من الليل حتى أقبلوا الثلاثة ومعهم الملك فثارت إليهم البطارقة وملكوهم كما ذكرنا وطلعوا بهم إلى القلعة وخلصوا الملك من أيديهم وتقدم عقبة إلى الأميرة وبصق فى وجهها وقال لها ياعاهرة قد أمكن المسيح منكى ولطم البطال على وجهه وكذلك ظالم وقال للملك كيف أخذوك أيها الملك فحدثه بحديث الأميرة وأنها أتت إليه فى زى البطريق شعشعونا فقال أيها الملك

هاقد ظفرت بهم وأريد منك أن تصلبهم على أبواب القلعة وأصوارها حتى تشتفى منهم أمة عيسى وأنفذ إلى العسكر وأعلمهم بخلاصك وأمرهم ان يتقدموا إلى القلعة ويتفرجوا على صلبهم فلما سمع الملك كلام عقبة امتثله وأنفذ رسول إلى العسكر وأعلمهم بخلاصه وصلب المأسورين ففرحوا بذلك وضربوا الديادى والبوقات ونشروا الأعلام والريات وداروا بالقلعة من كل جانب يتفرجون على ماىحل بالمسلمين من المصائب وعقبة قد صاح بالبطارقة وأمرهم فسحبوا المأسورين وهم فى الحبال مقرونين والأميرة والبطال وظالم وأبا مسكران فى أوائلهم وعقبة يقول اعبروا بهم فى وسط الحصن حتى يروا باقى أصحابهم كيف هم مطروحين مثل الضحايا وقد حلت بهم الرزايا فقالت الأميرة ياويلك لاتغتر بما ترى من أشباحهم وربهم قد أنعم على أرواحهم وإن كنت أنت ترى هذافسادهم فهو صلاحهم لأنك أنت تنظر بعين البشريه فترى حالهم قد زال وما تعلم انهم قد انتقلوا إلى دار مافيها زوال فقال لها عقبة صدقتى فى هذا الوعد كما صدقتى فى صلبى ثم سار بهم وهم يرون أصحابهم مطروحين فى وسط الحصن والأرض ملآنه من دمهم فبكوا الاسارى على المنازل وتيتم الأولاد وبكوا على الأطفال والأطلال والبلاد وعددت الاميره وفاضت دموعها وساروا على هذه الحاله حتى وصلوا إلى الابراج وفرقوا كل أمير ببرج وكل رجلين بيدنه (قال الراوى) ودقت الروم النواقيس ورفعوا الصلبان والقساقسه وكشفوا الرؤس وارتفع الضجيج إلى العنان (قال الراوى) وعلى الحقيقة أشرفوا المسلمين على الهلاك لولا أن البطال قال للملك شمخولص يا ملك لاتفعل بنا هذه الفعال وتسمع كلام أعدائنا الجهال ونحن حماية الثغور وسيوف بنى العباس وأمراء العرب وسادات الناس خلينا عندك إلى ان تخرج إلى بلاد الاسلام كما قد زعمت وخذنا معك نسلم إليك البلاد ونملكك رقاب العباد ونفدى أرواحنا بأموال إذا رأيتها تبهرك وتحير بصرك وأن أسرلك من يعز عليك كان الواحد منا لفداه ورجوعه اليك ولا تظن أن بلاد الإسلام هينه ولا عساكرها قليله فان فيها كل فارس همام وكل جيش مقدام ونحن دخلنا إلى هذه البلاد فى أربعة آلاف وهذه أعمالنا وشاهدت بعض أفعالنا ونحن سادات الناس والذى ترى عند خروجك أعظم أجرا واوفى باسا (قال الراوى) فلما سمع الملك هذا الكلام انتبه كانه كان فى منام وقال لبطارقته وحجابه القيام لقد صدق هذا الشيطان أحملهم معى إلى الجزيره واترك الامراء عندى فى القلعة والباقين أفرقهم على رهبان السواحل يتقربون بدمائهم فى الاديرة وأريد أيضا أنفذ منهم إلى دير الندورلان الراهب مرقولا قد أوصانا بهذا وقال لى ياملك أنت ماضى إلى قتال الموحدين وأريد ان وقع أحد منهم فى يدك أسير تتركه فى هذا الدير

قربان وكذلك زوجتى عاميل قد اشتهت أن تنظر كيف يكونوا المسلمين وهذا الامر لابد منه اجمعوا الاسارى حتى تأخذهم ونقسمهم ونأخذ معنا ونرسل باقيهم فى المراكب فعندها صاحت البطارقة بعضهم ببعض وجمعوا جميع المجاهدين سالمين مافرط فى واحد منهم فرط إلا الحصين ابن البطال فان عقبه قور عينه الشمال وكان عول أن يقور الاخرى لما فى قلبه منه فأتوا غلمان الملك وأخذوه من بين يديه واعلموه بما قد عول الملك عليه فلم يقدر عقبة على الملاججه بل نزل مع جملة الروم ونزل الملك من القلعة وولى عليها بطريق من أصحابه يقال له اكتفبيل النورانى وقال لشومدرس ياأبو ناخذ بعض الاسارى وعود فى المراكب واسبقونا إلى جزيرة الحائط حتى نسير نحن فى البر كما قد أتينا ويكون الاجتماع هاهنا بعد أربعين يوم ثم نادى فى العساكر وأوصاهم بذلك واخذوا فى أمر الرحيل هذا وقد أخذ شومدرس معه الاميره ذات الهمه والبطال وأنزلهم فى المراكب وكان برأى عقبة لأنه قال للملك ان أخذنا البطال معنا مانأمن من غوائله وكذلك ذات الهمه مانأمن شرها وفى المراكب احفظ لهم فأخذهم شومدرس وأفردلهم مركب كبير وأنزل الكل فيها مكتفين وأقلع بسائر المراكب وكانت ستمائة مركب فى كل مركب طائفة من النصارى فشرعوا الشراعات ورفعوا القلوع وساروا طالبين جزيرة الحائط ورحل الملك من الغد ومعه باقى السودان والعرب ومعه من الأمراء أبو سكران وظالم ومذبحون والحصين وأم بكار الذى قلع عقبة عينها وقد تولى عقبة عذابهم (قال الراوى) ياساده فهذا جرى ههنا (وأماما كان) من شومدرس فانه سار بالمراكب تلك الليله وذلك اليوم وفى الليلة الثانية تغير عليهم البحر وقام الهوى عند غروب الشمس فحطوا القلوع وساروا بالمقاديف إلى الليل وإذا بالارياح قد زادت ولعب البحر وتلاطمت أمواجه وتمخض وأزبد وعاد بعد ذلك أسود وأخذه القلق والحرد وكثر اعتكاره وطلع رمل قراره وسبحت دوابه والتطم عبابه وزجرته الملائكة الموكلة به وبسواحله وزادت أهواله وزلازله وأظهر الخالق لعبيده حق توحيده وتبددت المراكب ولعبت بوارق المصائب واسودت الجوانب واشتغل كل واحد عن صاحبه وبكى على أهله وأقاربه وسبح مركب المسلمين ووحدا رب العالمين ونظر البطال الهلاك بعينه قد حضر فوجد الذى أمر البحر فزخر وتأمل إلى جانبه وإذا بالمركب الذى هو فيه قد انفتح وانخرق والماء منه قد نبع وأشرفوا على الغرق فنادى شومدرس ويلك ياراهب مركبنا قدغاب والماء قدطلع الينا وهؤلاء الملاحين الذين عندى قليلين الخبرة بعمل البحر قل لهم يحلونا حتى نصلح المركب قبل الغرق ونحن نرجع نمكنهم من كتافنا لان مامعنا عدد ولا نطمع ان ندفع هذه المراكب كلها ان كان غرضكم سلامتنا وسلامتكم وان لم يكن ذلك فكلنا أشرفنا على الهلاك فلما سمع شومدرس

كلام البطال علم انه صادق فى المقال وانه خبير بهذه الأعمال فقال لمن معه حلوا هؤلاء المسلمين من الكتاف ودعوا هذا الشيطان يدبر المراكب فهو أخبر منكم بها فعندها تبادروا البطارقة وقد طلبوا الهناء لأنفسهم والخلاص وهم يرجون من المسلمين الخلاص فحلوا كتافهم وقام البطال إلى المراكب ودبره إلى الصباح وطلع شومدرس إلى أعلى المراكب واذا هى كلها امبدده فى أقطار البحر من كل جانب والموج بها لاعب فأراد يأمر أصحابه برمى المراسى واذا قد طلع من فوق رأسهم غمامة سوداء وغيام مغنم مظلم مكدر والتحم وامتدوصفقته الرياح وطارت منها الالواح والسالم منها غطته المياه وغاصت تطلب القرار فى ذلك البحر العجاج المتلاطم بالامواج ولم ينجوا من القوم ناجى وبقيت الاخشاب على وجه الماء تلعب وقد شرب من كان فيها شراب العطب وحكم الله عليهم بهذا الامر المقدور وكان لهم آجال قد تقاربت ولم يبق منهم بشر ولا نفر (قال الراوى) ياساده فهذا جرى لهؤلاء (واما ماكان) من الملك شمخواص فانه سار ومعه عقبه الغدار والمأسورين حتى وصلوا إلى الجزيرة المقدم ذكرها وسأل عن المراكب فقال المتخلف مكانه وحق المسيح أيها الملك ماوصل الينا ولامركب واحد ولارأينا فى البحر لاقائم ولاقاعد فلما سمع الملك ذلك رجف قلبه على أصحابه وقال واندماه واشتغل عن من خرج إلى لقاه وقال لعقبه ياشيخ ايش تقول جرى عليهم لايكون غرقوا الآن لأن فى هذه الأيام بان لى فى البركان الهواء قدتغير الجومنه تكدر وأنافزعان على المراكب فقال عقبه اذا كان الامر على ذلك فانفذ بعض الحراقات يكشف لك الخبر ان كان البحر هادى سليم من الخطر فعندها قبل الملك منه هذا الرأى وفرق المأسورين فى الابراج وسير مركب لطيف فيه عشر من الاعلاج وقال لهم لاتعودوا الا بالخبر اليقين ولو وصلتم إلى قلعة السها ونزل عقبه فى الكنيسة وقد فرح فى الباطن بهلاك الاميره ذات الهمه والبطال وقال فى نفسه ان كانت المراكب قد غرقت فما أهلكها الا المسيح بمخالفة هذا الملك لأنى أمرته بهلاك المسلمين وصلبهم فما فعل وماغمنى الاهلاك الراهب شومدرس والالوهلك كل من فى هذه الجزيره وكان البطال معهم لا كنت غير خاسر (قال الراوى) ياساده وكان الملعون لما نزل فى الكنيسة قد أخذ العلويه أم بكار وطلب بذلك عذابها لأنه قال للملك مايطيب عيشى الا أن أداوم العباده على جهاد وأريد هذه العلويه تكون عندى أجاهد فيها بالعذاب حتى يفرح قلبى وقلبك أيها الملك وأشفى غليلى من باقى الاسارى (قال الراوى) وكان الملك قد اشتغل قلبه بغيبة المراكب لأن فيها خواص بطاقته وكبراء أهل قلعته وكان قدترك الامراء فى برج عالى مشرف على البحر وهم ظالم وأبو سكران ومذبحون والحصين والشريف بكار العلوى (قال) ولما جن الليل تحدثوا الامراء فيما قد أصابهم وبكى

مذبحون على أبيه البطال وكذلك أخيه الحصين وبكى ظالم على ستـه وقال واحسرتاه على الاميره ليتها كانت معنا أسيره ولا غرقت فى هـذه البحار وشمت بها الملعون راس الفجار فقال الشريف بكار والله ياظالم وكلنا هذا المصاب مصابنا وفى غداة غدا إلى الآخرة أصحابنا ومافى قلبى حسرة الامن عجوزى الكبيره التى قدتولاها هذا الملعون ليعذبها ثم أقاموا كذلك إلى أن مضى من الليل ربعه وقال مذبحون لأخيه الحصين ويلك يا أخى أقرض كتافى حتى تبصر ان كان لنا فرج قبل الصباح والامايغفل عناعقبه حتى يسقينا كاس الردا فتقدم الحصين اليه وقرض كتافه بانيابه وأطلقه فى الحال وأطلق يديه وعاد هو حل باقى الامراء فصاروا الكل مطلوقين إلا أنهم فى ذلك البرج الذى وصفناه مالهم إلى الخلاص منه سبيل فقال ظالم ايش كان الفائدة فى اطلاقنا يامذبحون ونحن فى هذا المكان فقال مذبحون أما أنا فلى فى هذا أكبر الفوائدلأنى أقدر الساعه اصعـد وانجو بروحى واقدرأقيم فى الجزيره سنة ولايعرفنى أحد حتى يسهل الله التوصل إلى بلاد الاسلام باى وجه كان ولو كنتم أنتم مثلى تقدرون على الصعود من هذا المكان لـكنا كلنا ندبر فى الخلاص ولايشتفى منا عقبه القرنان فقال الحصين ويلك ياأخى ويطيب قلبك تخاص وتخلينى يتحكموا بى الاعداء فقال لاأنا أصعد وأدلى لك الحبال وألتقيك فقال أبا سكران لا وذمه العرب لانترك أحدا منكم يصعد حتى تحلفوا لنا انكم تأخذونا معكم والاتخلصون أنتم ونبقى نحن تطلع الحرارة كلها فى رؤسنا فقال الحصين أى قرن يقدر يستقيك أنت بحبل وأنت فى قدر الجمل فقال خونى أنا إلى الآخر حتى تطلعون كلكم وابصروا كيف تعملون معى وماأريد منكم إلاأن تستوثقون إلى الحبال وأناأصعدبروحى فقال مذبحون ان كان على ذلك فاصبروا على ثم التصق زاوية البرج وخلى رأسه إلى أسفل ورجليه إلى فوق وتسلق كما جرت له العاده (قال الراوى) ياساده وكان على البرج حارس وفى يده ناقوس وهو يغنى بالروميه فما أحس إلا برجلين مذبحون طالعه من بين أفخاذه فبطل دق الناقوس وأخذته إليه بهتة وقال وحق المسيح ماهـذا إلا جنى قد نزل إلى هؤلاء المسلمين رسول وقد عاد صعد من عندهم لأن الروم قالوا الـكل سودان خلاف خلق الآدميين ثم جف لسانه وقام من ذلك المكان وبقى باهت حتى بقيت رجلين مذبحون كلها فوق وهمز بنفسه صار قائم وبادر الحارس وقد أراد أن يصيح فلكمه أرماه إلى أسفل البرج فقال أبا سكران صح الله بدنك يامذبحون ليت أنا كنت أحسن هذه الصنعة وما أريد فروسيه ثم قال لظالم أن يرجع إلينا فهو مليح فقال الحصين طيب قلبك فأنا أعرف صفة أخرى أطلع بها فى هذا البرج وأصيح به وأعود فقال ظالم لاوحق محمد بن عبد الله مابقينا نخليك تبرح من ههنا حتى نبصر مايـكون (قال الراوى) ياسادة وما لبثوا أكثر من ساعة حتى أطلع

عليهم مذبحون فقال يا أبا سكران هاأنا قد وقعت لكم بحبل تشتهون تفعلان أو تصعدون
فقال ظالم ويلك يامذبحون دلى الجبل ودع الجنون فأبن قرنان يشتهى يرى هذا المكان فضحك
مذبحون ودلا لهم الحبل فصعد أول الكل الحصين ولما صار عنده قال سير بنا ياأخى ودع
هؤلاء لأنهم إذا صعدوا وكثروا أنكروا علينا إذا تفرقنا فى الجزيرة فقال الحصين إلى أين
تمضى قال ننزل فى هذه المركب الذى تراه تحت البرج ونقلع متابعة الهوى ويفعل الله بنا
مايشاء وأين ماوقعنا كان أصلح لنا فى المقام مع الأعداء فسمعه ظالم فقال لا بالله يا مذبحون
خذنا معك فضحك ثم دلى لهم الحبل واستقا الشريف بكار وبعده ظالم ولما صاروا الكل
فوق تعاونوا على أبا سكران حتى رفعوه وقد لاقوا منه مشقة عظيمة (قال الراوى) ياسادة
ولم تكن إلا ساعة حتى ساروا الكل على الساحل وتقدموا إلى المركب الذى ذكرنا وإذا
هى مركب الملك الخاص وهو ملان بالزاد والعدد والمقاديف ولما حصلوا فيه تولى مذبحون
أمره لأنه خبير بعمل البحر جيد المعرفة (قال الراوى) ياسادة وساروا حتى أصبح الصباح
واتسع البحر فى أعينهم وقد ابعدوا عن البر وهم سايرين لايرون إلا ألواح المركب التى
غرقت وأخشابهم تلعب بها الأمواج فبكوا على أصحابهم وكان أشدهم بكاء ظالم على سته الاميرة
ذات الهمة وعلى وطنه وبلده وبرية الحجاز مولده وتذكر أباه فبكى وكذلك انتخب مذبحون
والحصين على أبيهما أبو محمد البطال (قال الراوى) ياسادة وساروا الامراء وهم فى نوح
وبكاء واتكلوا على الله تعالى ذلك اليوم وتلك الليلة إلى أن أصبح الصباح بالضياء ولمعت
الشمس على الماء وقطعوا من البحر شيأ لايقع عليه احصاء وقد لاح لهم سواد بين أيديهم
لايكاد من تعاظم الامواج أن يرى فقال ظالم لمذبحون ميل بنا ياابن العم إلى هذا السواد
لعل أن يكون لنا فرج ولعلها تكون حديقة نطلع إليها ونستريح من هذه الامواج فميل
إلى السواد وادار القلع واتكل على رب العباد وسار حتى تنصف النهار وبان السواد للابصار
وتأمله وإذا بها مركب تجار وهى ستة مشرعة القلوع تسير وتدور لاتقدر على الطلوع فلما
رأى مذبحون ذلك حط القلوع وأرسى وخاف على نفسه وعلى مركبه ان يقع مع مراكب
القوم فى ذلك البلاء هذا وأهل المراكب قد صاحوا بأصوات مرتفعات وقالوا إلينا ياعباد
المسيح لعل يكون لنا على أيديكم فرج فقال لهم مذبحون بالرومية ماحالكم فقالوا نحن
قوم تجار خرجنا من بحر المجليه نطلب الجزيرة والحائط والبحر الاخضر وحصن القمر
وكنا ستة عشر مركب فوضعنا فى هذا الموضع وهو سيما بحر الصفا ودوار الرحى قد ارمانا
الريح إليها فى خمسة عشر يوم وقد بقينا بحكمه وحكم الماء ان حطينا القلوع غرقت المراكب
لاجل اختلاف الهوى وان أقلعنا كانت حالتنا كما ترى تدور الابراج من هذا الزقاق والصفا

وقد غرق من أصحابنا عشر مراكب وقد بقينا نحن ستة نقاسى البلاء وفى هذا اليوم نهلك أو غدا فان سلمنا من الغرق قتلنا الجوع والعطش لان زادنا والماء الحلو قد فرغ من عندنا (قال الراوى) ياساده فلما سمع مذبحون قال لمن معه ابشروا بالفرج أنا أخلص هذه المراكب وأينما أقلعت أقلعنا وتوصلنا إلى بلادنا إن شاء الله تعالى ثم نادى التجار بلغتهم وقال كم تجعلوا لنا على كل سفينة حتى أدخل إليكم وأخلصكم فقالوا كلما تريد فرج عنا وخذ أموالنا (قال الراوى) ياسادة وكان فى المراكب أموال كلها حبوب وجواهر لانهم كانوا أقلعوا من الحلبة وهم فى خلق كثير يزيدون على خمسمائة رجل فقال مذبحون أريد على كل سفينة أخرجها ألف دينار وإن أردتم بعد ذلك أقلعت بكم قالوا رضينا بذلك ونحن نعطيك هذا الذى قدضمنا لك ونوصل إليك هدايا أوفا من هذا القدر فعند ذلك ميل بمركبه إليهم وكان مركب لطيف حربى فخط الدوار معهم (قال الراوى) وكان مذبحون أخبر أهل زمانه بتدبير المراكب لانه تربية الجزائر وخرج كما ذكرنا فصار ينزل إلى السفينة ويقول لملاحينها كنبوا القلوع فاذا طنبوا سف جانبه الواحد وأخذ فى الجانب الآخر ثم يميلها من الدوار أسرع من البرق على جانبها ولم يزل كذلك حتى أخرج الجميع وعاد إلى الامير ظالم وأصحابه فاخرج مركبهم وصاروا فى لجج البحار وقد فرحوا بخلاصهم وصار مذبحون عندهم اعز من أرواحهم فقالوا له ياحكيم ان اردت ماضمناه لك سلمناه اليك ههنا وان اردت ان تسير معنا إلى بلادنا فافعل فنحن مابقى لنا إلا العوده إلى جزائرنا لان الريح علينا وقدامنا هذا البحر الاخضر وهو كثير المهالك والخطر وقد رأينا أنفسنا تبقى أحب الينا من الدينار والدرهم فانتم أين قصدكم فقال مذبحون نحن اقلعنا من قلعة السها نطلب جزيز الحائط وحصن القمر فتغير علينا الهوى فما قدرنا نقاومه وإلا الساعة نحن بحكمه فقالوا له الروم إذا كان الامر على ما ذكر فسيروا معنا إلى ملتقى البحرين والفيض الاكبر وعدى فى الخليج إلى حصن القمر فانه صفر واقل خطر فقال مذبحون نحن مركبنا لطيف ماأقول انه يقوى على موج البحرين فقالوا الروم نحن إذا وصلنا إلى هناك رفعناكم الينا وجربنا مركبكم حتى تجوزا الفيض الاكبر وبعد ذلك نعطيك المال الذى ضمناه لك وتعود فى دعة المسيح فقال مذبحون أقلعوا وافعلوا مابدالكم ثم صار معهم ذلك اليوم وتلك الليله حتى اصبح الصباح وقد قربوا من ملتقى البحرين فرفعوا مذبحون والامراء إلى بعض السفن وشالوا مافى مركبهم من العده والإلاله الذين عندهم وجنبوه ثم ساروا إلى ان تضاحى النهار وأشرفوا على الفيض الاكبر وإذا بين أيديهم مركب صغير لطيف وعلى ظهره أربعة رجال اثنين معهم قيام واثنين مطروحين على جنوبهم فالقيام منهم يصيحون الينا لعالكم تفرجون عنا فمالت المراكب اليهم

ورفعوهم إلى عندهم وقالوا ماحالكم وكيف أقلعتم فى المركب وانتم أربعة قالوا وحق المسيح ما كنا أربعة وما كنا الا أربعين مركب والكل هلكوا وهؤلاء الاثنين على شروف الموت من الجوع فقالوا لهم فمن أين أقلعتم إلى هاهنا قالوا نحن من أصحاب الملك شمخولص أقلعنا ستمائة مركب من قلعة السها طالبين جزيرة الحائط ومعنا قوم مسلمين فهبت علينا ريح سوداء فى الليل ودامت إلى الضحى وما سكنت حتى غرقت سائر المراكب فى البحار وماسلم منهم ديار ونحن أرمتنا الريح إلى هاهنا وهذا أمر السيد المسيح فصار الموج والفيض من قدامنا والريح من خلفنا ومركبنا غائب مهدم الجوانب مانقدر نستقبل به الامواج ولا لنا ريح نعود به ونحن مقيمين فى هذا المكان وصار كل يوم يموت منا أربعة وخمسة من قلة الزاد حتى فنينا وما بقى الا نحن كما ترون (قال الراوى) فلما سمعوا الروم ذلك أتوهم ببقية شىء من زادهم واطعموهم واسقوهم حتى عادت القوة اليهم هذا والامراء قد سمعوا بغرق البطال وقال ظالم اسألهم يامذبحون ان كان عندهم من أصحابنا خبر فقال مذبحون نخاف أنهم ينكرونا وعندهؤلاء شغل مايشغلهم عن غيرهم فعندها أقبل مذبحون على الاربعة وقد اطمأنوا نفوسهم وقويت همتهم وقال لهم بالرومى يا بنى عمى كيف كانت قضيتكم ومن سلم منكم ومن المسلمين الذين كانوا معكم فقالوا والله ان قلنا ان أحد منا كان يعلم بصاحبه فقد كذبنا لأن المسيح ما اظهر فينا قدرته واشتد علينا البلاء وكان معنا رجل جليل القدر يقال له شومدرس فجعل يقرأ الانجيل ويدعو للمسيح ويرجو بذلك الخلاص وابصر رؤساء بطرقتنا منه ذلك مالوا كلهم اليه وطلعوا إلى مركبه وقالوا ما كان يسلم منا احد فما يسلم إلا من يكون فى هذا المركب يا أخى وحق الصليب أول من غرق كان ذلك المركب كان يريد المسيح بعد ذلك اشتغل كل واحد منا بروحه عن صاحبه ثم ميزه الذى يحدث بهذا الحديث إلى وجه ظالم وأبا سكران وصاح كريالسون كريالسون هؤلاء من أين صحبوكم يامعاشر أمة المسيح فقالوا من بالدوار والفيض الاصغروهم أصحابكم من قلعة السها ثم حدثوهم بما فعل مذبحون وكيف خلصهم من ذلك المكان وكيف قالوا نحن من أصحاب الملك شمخولص فقال البطريق يكذبن وحق المسيح نحن نعرف كل من كان فى قلعة السها وعلينا جرىء من المصائب ومع ملكنا ساروا فى البر ولا شك أنهم قتلوه وهربوا من بين يديه وهذا الأسود الآخر الذى جانبه لايصطلى أحداً بناره ولا يدرك فى بحر قراره وتجيب كيف سلمتم أنتم من أيديكم وكيف ماأملكوكم جردوا ياقوم سيوفكم واقبضوا عليكم قبل أن يتوروا إلى عددكم فقاموا إليهم وقاموا الامراء أيضا ليدافعوا عن أنفسهم فصاح مذبحون ياقوم ايش هذا من فعالكم بعد إحساننا لكم تسمعوا فينا كلام هذه الكلاب التى قد خفت رؤسهم من الجوع وقلة

الزاد وما بقى فيهم من يدرى هو فى أرض أم سماء ان كانوا قد شبهونا بالمسلمين فدع يسألونا عن علم التحليل والتحريم وربما كانوا هم المسلمين وقد خافوا أن نعرفهم وقد بدؤنا بالشر والافأنا وإياهم نتناظر فى دين النصرانيه والذى يكون اقل من صاحبه معرفة فى الدين هو الذى يكون من المسلمين (قال الراوى) فلما سمعوا أهل المراكب هذا الكلام حاروا ووقفوا وعادوا وانعطفوا وابصروا البطارقة أنهم هالكين وأن الحجة عليهم فقال واحد منهم ياقوم لا يبهتكم هذا الشيطان ويحوجكم أن تقتلوا حملة الصلبان ونحن شيء يفصل بيننا فى هذه المعانى ويبين لكم المسلم من النصرانى ثم أن الملعون أخرج ثلاث ورقات وقالوا هذا من إنجيل المسلمين لأن أبونا شومدرس لما أشرفنا على الغرق أخذه من بعض المسلمين وفرقه علينا وقال لنا ان أردتم أن تنجوا من هذه الشدة والأمور الصعبة اكفروا على هذه السطور فهى كلام رب محمد نبى المسلمين ومن وقت مافعلنا ذلك ماافلحنا ولا أنجحنا والساعة فيها قد سلم معنا من الورق هذه الثلاثة فقالوا لهم يبصقوا عليها ويدوسوها بأرجلهم دوساحتى نعلم أنهم من أمة عيسى فقالوا الروم هذا هو الصواب ثم أخذوا ورق المصحف منهم وأتوا بهم إلى مذبحون وقالوا له ابصق على انجيل المسلمين ان كنت نصرانى فأخذ مذبحون ذلك الورق من أيديهم وباسه وتركه على رأسه وقال ماأمرنا المسيح بهذا وبيننا وبينكم علماء الانجيل ثم التفت إلى ظالم وقال له أنت ياعبد المسيح ايش تقول امروك القسوس قط بهذا فقال ظالم أنا ماأمرونى القسوس إلا بتطهير الرؤس وتبطيل دق الناقوس وقتل النصارى والمجوس وتوحيد الملك القدوس ثم وثب مثل السلهب وهز سيفه حتى التهب وضرب الخنزير الذى كان عرفهم على عاتقه طير رأسه إلى البحر وكبرت أهل السماء والأرض والسمك والبحر وطار أبو سكران وكشف عن وجهه مثل الغول أو أكثر وأكبر ووثب وثبة الأسد الغضبان وكشر عن أنيابه فطير عقل عبدة الصلبان وسل صارمه وانتضى وادرك أحدهم مثل القضى وضربه على صدره أخرج السيف يلمع من ظهره فتصايحت المراكب الكبار وعاد الامراء إلى الاشتهار وقام مذبحون وأخيه الحصين والشريف بكار وما فيهم الا من صلى على النبى المختار وحامى عن دين الملك الجبار ولم تكن إلا ساعة من النهار حتى ملكوا المسلمين المراكب الذين كانوا فيها وارموا أصحابهم إلى لجج البحار ورأت باقى المراكب إلى ذلك فداروا بهم من كل جانب وارموا الخاطيف فى مركبهم ومروا إليهم الاسقالات ومشوا نحوهم وتجمعوا عليهم وكثر على الأمراء العدد وتزايد المدد إلا أن ظالم قد أحمى جانب المركب الواحد واحمى أبوسكران الجانب الآخر ومذبحون وأخيه كانا فى المؤخره والشريف بكار فى المقدمة إلا أنه قاتل هذا اليوم قتال حير العقول والأذهان إلا الأمير أبو سكران لأنه منع مركب فيها أكثر من خمسمائة روح ولم يقدروا يقربوا الى جانبه وكانوا كلمـــا مروا اليه الاسقالات

وطلبوه وارموا على نفوسهم طير إلى البحر رؤسهم ونثر أجسادهم واشبع السمك ومنعهم بلوغ مرادهم (قال الراوى) ودام القتال حتى خزلت من المسلمين المناكب والقيت الكلاليب فى المراكب من كل جانب وجاءتهم الكفار مثل قبض السحاب ونادوا يامعشر المسلمين سلموا أنفسكم وإلا وحق المسيح مابقى بينكم وبين الغرق الا مقدار مايسحب الكلاليب التى هى عالقة بمركبكم وقد هلكتم عن آخركم ثم جذبوا الحبال فمال المركب وجرف من الماء فرأى مذبحون ذلك فعلم أنهم قد أشرفوا على المهالك وأنهم ان لم يسلموا أنفسهم غرقوا فقام مذبحون الى ظالم ومسك السيف من يده وقال له يا أخى بحياتى عليك لا تلزم القتال موضع الغلبة فانه من سوء التدبير ودعنا حتى نبصر الأخرى إلى أى شىء تنتهى ثم عدل إلى أبو سكران وأخذ سيفه أيضا ونادى الامان فأمسكوا عنهم الروم ومشوا إليهم وشدوهم كلهم كتاف وعولوا على المسير فوقع الخلف بينهم فقالوا قوم منهم نريد نحملهم إلى الملك شمخولص الذى خاصوا من عنده لعله ان يعطينا من أموالنا التى هلكت مناوأرميناها فى البحر لما أشرفنا على الغرق وقوم قالوا مانفعل ولا نريد مال نحن نريد أخذهم معنا إلى بلادنا ونفرقهم على الاديرة والكنائس ونجعلهم لرهباننا قربان ونشكر المسيح الذى خلصنا أحب الينا من الاموال (قال الراوى) وزاد الامر بينهم حتى انهم سلوا السيوف واذا صاح بهم شيخ منهم أزرق العينين قصير أشقر أنمش الوجه صغير اللحيه طويل السبال يقال له خيلوص الجوهرى (قال الراوى) وكان هذا الشيخ من رهبان جزيرة هرقله وكان شيطان فى علم الاديان فيلسوف الزمان قد قرأ سائر كتب اليونان وهو آفة من الآفات وكان قد بقى زمان راهب وقرأ على قسوس علم النصرانيه والانجيل وهو عندهم فى غاية من التعظيم والتبجيل وكان سبب تركه الرهبانيه أنه دخل عليه ملك الجزيرة يوما إلى المذبح فوجد عنده زوجته تمرح فقال له ياراهب ويلك ايش هذا الفعال فقال يا ملك هذا فعال الرهبان الذين ساحوا فى طاعة المسيح كل السياحة وعرفوا الحكم الا بارحه وهذه زوجتك قد خلوت بها لأن منزلتك عظيمة حتى أجوهرها واتركها مثل الجوهر الشفاف وان شاءت الماء سارت وان شاءت السماء طارت فلما سمع الملك منه منعه وعلم أنه محال مكار مفترى وسماه خيلوص الجوهرى وهتكه بهذا الاسم بين الرهبان فاراد خيلوص ان ينفى هذا الاسم عنه بين الرهبان بهذا المعنى فسار يسافر بالجوهر من مكان إلى مكان ويقصد الاقاليم والبلدان حتى اتفق فى هذه النوبه انه كان فى المراكب وأخذوا الأمراء جند الرحمن وجرى لهم من الامر ماجرى وأشرفوا الروم على القتال فنادى خيلوص لا تتقاتلوا وتثيروا الفتنة وبيعونى هؤلاء المسلمين كل واحد بألف دينار وأنا أسير بهم إلى أى موضع أختار وأخاطر بهم فى لجج البحر وان شئت أبيعهم أو أهديهم أو أحرقهم بالنار (قال الراوى) فلما سمعوا الروم ماقاله صفت منهم الضمائر وأخذوا

منه أثمان الامراء ذهبا وجواهر واقتسموا ماأصاب المراكب وصار كل مركب إلى اقليمه طالب وتسلم خيلوص الامراء وقال لغلمانه اقلعوا بنا إلى ساحل الديوره ناخذ أضعاف ماقد ذهب منا فى هؤلاء المسلمين فقالوا الغلمان وكيف ذلك فقال انى أعلم ان هناك رهبان ماراوا قط مسلم وماسمعوا به وما عبرت بهم قط وقالوا ياخيلوص بحق المسيح ان أنت وقعت فى سفرك باحد من الموحدين الحقنا به ونحن نغنيك غناء لافقر بعده ونتقرب بدمه فى كل دير ومعبد وأريد أسير بهؤلاء الشياطين اليهم وأقدم بهم عليهم فاذا أخذت منهم أضعاف ماراح منى من ذهب ومتاع أمرتهم ان يصلبوهم على صوامعهم حتى يصير لاديرتهم عيد يسمى خيلوص ويزار فى كل سنة ثم أقلعوا سائرين والامراء قد سمعوا هذا الحديث وبقيوا من الخلاص آيسين وقال ظالم والله يامذبحون ماعملت معنا خير الذى منعتنا من القتال وتركتنا نسلم أنفسنا إلى من يفعل بنا هذا الفعال فقال أبو سكران عيدوا على الحديث بالعربية فاخبروه بالحال وكيف قد عولوا أن يصلبوهم على الصوامع صلب الكراع فقال يكون رجلاه أعلى ورأسه أسفل وهو معلق على الصومعه فقال أبو سكران ياغربتاه كيف يكون ارتفاعها يامذبحون فقال أقل مايكون خمسين قائمه إلى فوق فقال أبو سكران يامصيبتاه واطول غربتاه فقال أى والله واعيناه من هذا اللعين خيلوص الذى ما بقيت أقدر منه على التخليص فقال الشريف بكار أنا والله ماأبكى على نفسى ولكن أبكى على عجوزى الكبيره التى قد وقعت فى يد ذلك الظالم ويعذبها الليل والنهار (قال الراوى) وسار بهم خيلوص وهم يبكون ويندبون على أنفسهم تمام ذلك اليوم وتلك الليله وماانشق لهم الفجر الاوهم قد أشرفوا على ساحل البحر وقد بانت القناديل من أديرة الرهبان مثل النجوم وسمعوا أصوات النواقيس قد أقلبت تلك الارض مع ضجيج الرهبان فأقبلت اليه من كل جانب ومكان وهم بالمسوح السود مثل الغربان فلما رأوه عرفوه وعظموا قدره وبجلوه وعن سبب قدومه سألوه فقال قد أنعمتكم بما كنتم تطلبوه وجئتكم بالغرض الذى كنتم ترجوه وهؤلاء الذين معى موحدين أعداء الدين والحواريين وأريد تبصروا لى حق تعبى وتخلفوا على ماخسرت من ذهبى وتغتنموا الثواب والجهاد وتجعلوا الاديرتكم عيد يدار فى كل البلاد (قال الراوى) ياساده فلما سمعوا الرهبان ذلك تباشروا وضحكوا وقالوا ابشر ياخيلوص بكل ماتريد فما أتيتنا إلا فى وقت الحاجه وفى وقت سعيد ثم تبادروا إلى وجوه الامراء وصاروا يلطموهم ويتصايحون وهم مثل الكلاب يتنابحون وزاد الامر عليهم حتى أخذوهم بأسنة العكاكيز فى أجنابهم فسالوا دماهم ورأى خيلوص إلى اسراه أن يهلكوا وشىء ماوقع فى يده فصاح على الرهبان وأبعدهم عنهم وقال ماأقل أدبكم كيف

تحكمون على مالا تملكون هاتوا المال وافعلوا بهم ماتشتهون فقالوا الرهبان ياهذا ابشر بما يسرك الساعه يأتى أبونا ومقدمناد هيلوس راهب الرهبان وقس القسوس ويجمع سائر الرهبان ويعطيك مال مالا تحمله البغال لانه يتولى هذه الديوره وهو يحمل صلبانها ونذورها وهو عالمها وخبيرها لانه أقبل على دين المسيح بن مريم بكليته وقد بانت عندنا آيته وكرامته وقد بشرنا ان فى هذا الزمان يريد المسيح يزورنا وهو يشتهى ان يرى مسلما من المسلمين حتى يقربه ليلة نزول المسيح فى هيكل الحواريين وقد وصلت اليوم ههنا بنية (قال الراوى) فلما سمع خيلوص ذلك فرح وقال قد أتيتكم بخيار أمة محمد العربى وأنا أرجو من المسيح أن لايضيع تعبى (قال الراوى) فعندها مضوا الرهبان ودخلوا إلى دير قريب منهم وأتوا بشيخ قصير بذقن بيضه كبيره طويله وعلى رأسه برنس مربع الجوانب وله صليب من كل جانب وعليه ثوب أخضر من الصوف الرفيع وفوق أكتافه ماشوحه سوداء وفى يده عكاز طويل وفوق رأسه صليب بلور وهو يمشى بين الرهبان ويتبختر وقد رفعوا أصواتهم بقراءة الانجيل إلى ان وصلوا إلى ساحل البحر وخيلوص خار من جلالة قدره فقام اليه وباس يده ثم أمر خيلوص الغلمان أن يقدموا المسلمين إلى بين يديه وهم فى أسو إحال من ضرب الرهبان وماقد قاسوا من الذل والهوان (قال) فلما رآهم الراهب دهيلوس تقدم وميز اليهم طويلا وتكلم بكلمات من الانجيل وقال لخيلوص من أين هؤلاء ومن أين وقعوا فى أيديكم وهم بهذا الجفاء وعظم الأجسام ومن أتى بهؤلاء الشياطين إلى هذه البلاد قال خيلوص يابونا هؤلاء أمرهم غريب ثم حدثه بجميع ماجرى للروم معهم فى المراكب وماأظهروا من القتال والعجائب وكيف اشتراهم بالمال وأتى بهم يطلب الفائدة من الرهبان (قال الراوى) فلما سمع الراهب دهيلوس كلام الراهب خيلوص احمرت عيناه وصاح فى الرهبان ويلكم اقبضوا على هذا الشيطان وقدموه إلى حتى أحكم فيه بحكم المسيح وأمر مريحنا المعمدان وأبين لكم فى دينكم الصحيح (قال الراوى) ثم انه قال من جاب هدية إلى الرهبان وطلب المال وربح منهم فقد كفر فى شرع المعمدان وهذا كفره فبادروا الرهبان إلى خيلوص الجوهرى ولطموه على رأسه واكتافه حتى أشرف على الهلاك والهوان وشدوا يداه إلى ورائه كتاف وهو يقول هذا بقى رأس المال وايش كان لى فى هذا الفضول والهذيان ياخيلوص يازربون ايش كان لك إلى هذا المكان من حاجة وصار يسب فى روحه ويقول يامسيح اصرف عنى شر هذا الراهب دهيلوس الشيطان هذا والرهبان قد شدوا خيلوص وأصحابه كتاف وأحضروا الكل قدام الراهب دهيلوس وقالوا ماالذى تأمرنا فى هذا الخنزير قال اعلموا يامعاشر الرهبان ان الملعون خيلوص قد مرق من عبادة الصلبان لأجل انه أتى فى كسب المال وغشته الدنيا الغادره عن الدار الآخره

حتى انقلبت تجارته خاسره وأنا سمعت عن مرفارى عن مركوكيس سمعت من ماريحنا الذى سن ضرب النواقيس من سمعون الصفا صاحب التقديس انه قال المسيح من أتى إلى دير من الاديرة وطلب جعلا أو برطيل فقد مرق من دين الانجيل وهو مخالف للمسيح والانجيل والساعة قد خالف وكذب على دن المصلوب على العود والصواب ان يضرب إلى ان يعود (قال) فبادروا إلى خيلوص ولم يزالوا يضربوه إلى ان سال دماه وارادوا أن يحلوه فصاح فيهم الراهب دهيلوس وقال لهم من اتانى من ذقنه بشعرة ضمنت له من دار الآخرة حجرة (قال) فلما سمعوا الرهبان كلام دهيلوس بادروا إلى دقن خيلوص الجوهرى حتى تركوا ذقنه مثل خد الفرس أو خد العروس وقلعوا أسباله وشواربه وبعد ذلك نادى الراهب دهيلوس اسحبوا هؤلاء المحمديون إلى داخل الدير حتى أتركهم إلى ليلة نزول المسيح ونقربهم اليه ففعلوا الرهبان ذلك بعدما اشتفى من خيلوص فقالوا سبحان من سلط عليه من هو أظلم منه وبعد ساعة فاق خيلوص وجعل يقول قتلتنى يادهيلوس ياألف قرنان ولم تجاوبنى الابروايات وأخبار فلعنك المسيح يادهيلوس فضحك منه دهيلوس ثم قال أستغفر الله من هذا الضحك لانه قال من ضحك من غير سبب وعجب أتانى يوم القيامة وهو أعمى أصم فقالوا الرهبان واحرباه إذا كان يطالب العبد إذا تبسم فمن ذا يخلص من عذاب جهنم ثم قال اضربوا هذا الشيطان عشر عصى أخر فقد أمرنى المسيح بذلك حتى يرجع إلى حقيقة الدين فعندها رجعوا الرهبان إلى خيلوص وضربوه حتى كادوا أن يعطبوه وهو يقول جود ياألف قرنان لاتضربنى الابروايات وأخبار ماأكذبك عليه فقالوا غلمانه ياشيخ اصبر على حكم المسيح وليتك تراوس على الراهب الرئيس لأنه رجل عالم (قال الراوى) ولما فرغوا الرهبان من ضرب خيلوص الجوهرى قال لهم الراهب دهيلوس امضوا الآن إلى الديوره ونفروا أهلها حتى تقطع الليالى بالفرح والسرور (قال) وكان على الساحل تسع ديوره قريبة من بعضها وفيها خلق من الرهبان قال فما أمسى المساء إلا والكل حضروا نزول المسيح وقد ارتفع لهم ضجة عظيمة وكان خيلوص قد أفاق من ألم الضرب فرأى ذلك الخلق الكثير فانذهل وقال لأصحابه ياقوم انى لاأعجب من هذا المحالى الذى أمر الرهبان بنتف سبالى وقد أظهر الزهد والناموس وقد جمع هذه الرهبان والقسوس وقد أغراهم وقال ان المسيح ينزل عليه وهذا شىء لايقدر عليه ولا سمعناه فى الانجيل ولا فى مزمار حزقيل وما اخوفنى لا نكون هذه حيلة منه على أهل الديوره من هذا المنحوس دهيلوس ويقطع الليله رؤوسهم مثل روس التيوس فقالوا الغلمان والرهبان وحق المسيح كلما فعله فيك تستاهل يامنحوس لأنك مكذب بقدرة المسيح وبتكذيبك ونيتك اصابنا هذا المصاب وان سمع أبونا دهيلوس هذا المقال أنزل بنا العذاب والوبال فقال خيلوص

أنا ماسكت والساعة تبصرون مايجرى فى هذا المكان ويحل بناوبهؤلاء الرهبان من هذا القرنان الديال وان صدقنى حذرى فانهم قرائب لهؤلاء الذين كانوا معنا مأسورين من المسلمين هذا والرهبان قد أوهجوا البر وملؤا السواحل التى للبحر وفتحوا الدنان وتجاوبوا بالالحان وقالوا للراهب دهيلوس نريد الليله تحضر معنا حتى يتم سرورنا فقال ماأقدرعلى ذلك إلى وقت السحر لانى أنظر من السيد المسيح خبر والليل أخبر فى أى ليلة يظهر ولابدما آتيكم من عنده بقربان مخزونة لكم فى خمر هذه الدنان حتى تنكشف عن ابصاركم أوساخ هذه وترون ربكم عيان فاذا نزل فى ذلك الجمال والبها والكمال فلا تسكرون من الشراب واتركوا فيكم بقية للمكاشفة والحجاب وأذيقوا خيلوص ومن معه من العذاب لان لكم فى ذلك الأجر والثواب ثم انه تركهم وعاد إلى الدير وغلق خلفه الباب وقد اتى إلى عند المأسورين المجاهدين فوجدهم يندبون بالاشعار على المنازل والأحباب ويبكون على من فقدمنهم من القرائب والأصحاب حتى فاضت الدموع من عيون دهيلوس مثل السحاب وتقدم إلى بين أيديهم وقال يا معاشر المسلمين مالكم تبكون لايكون لكم من تشتاقون اليه وتذكروه وقد خفتم ان تهلكون وتبعدون

(قال الراوى) فلما سمع ظالم وأصحابه كلام الراهب بالعربيه فرحوا بذلك وقال ظالم أى والله ياراهب لنا قوم نشتاق اليهم ويجب ان نبكى عليهم وهم أسارى كانوا لنا سادات ودخلنا معهم إلى هذه الديار فضرب فيها بوق الشتات ومنهم أمير كان يقال له أبو محمد البطال وامرأة مجاهده عن ديننا تحامى وتنتقى الابطال من دوننا (قال الراوى) ياساده فما تم ظالم كلامه حتى صاح مذبحون بس ياظالم من هذا الكلام فقد صح لى ولاح لى لائح الفرج من الملك العلام وحق الملك القدوس هو أبى البطال هذا الراهب دهيلوس (ياساده) ثم انه هم ان يقوم اليه فمنعه الشد الذى فى رجليه هذا والراهب الذى ذكرناه قدترامى عليهم وصار يقبل عيناهم ويقول صدقت ياولدى فى هذا المقال وان أبيك أبى محمد البطال

(قال الراوى) ياساده لقد عجبت من هذا الاتفاق لما وصلت إلى هذا المكان وقلت سبحان الله الملك الخلاق الذى كان يسهل لهؤلاء القوم ويأتيهم بالفرج بعد الشدة وضيق الخناق هذا والبطال قد فك أطراف الأسارى من شدة الوثاق وبكوا الجميع من شدة الفراق فقال ظالم ياأبى محمد وماعندك من ستى ذات الهمة خبر فقال والله لقد كان أسرنا عبرة لمن اعتبر ومامعى لها خبر وانى مرتجى لها خبر وان الليله التى غرقنا فيها كانت سخط من الله تعالى وغضب وماقلت إلا ان البحر بنا قد انقلب ولما انكسر بنا المركب ماابصر منا احد صاحبه من شدة الغمام الذى غشينا فاما أنا تعلقت على لوح من الواح المركب وصار الموج يلعب بى حتى أشرفت على العطب وكنت كلما أيست من الحياه وأقول ان أخلى الخشبة من يدى تعود النفس تتعلق باذيال الطمع

ويعز على فبقيت سائر على كف الرحمن أسير فى يدى برهة من الزمان يومين وليله بعد ذلك أرمانى البحر إلى هذا الساحل وخذلت منى المناكب والمفاصل ولما ركبت البر أملت الحياه وتعلقت يدى باذيال النجاه ومن الخلاص رميت روحى إلى الأرض مثل القتيل وأنا من روائح البحر عليل وبقيت كذلك حتى عبرنى بعض الرهبان وقعد عند رأسى وسألنى عن حالى فقلت له أنا دهيلوش راهب جزيرة الصنم ثم وصفت لهم وصائف المسيح لحملنى إلى هذا الدير وألقى على ميشومه وثوب شعر ولما أفقت فسرت ما أعطيت من علم الانجيل وبينت للقوم شىء من التحريم والتحليل ورأيتهم قليلون المعرفة بالعباده فاظهرت لهم المعرفة والناموس حتى صرت عندهم بهذه المنزلة العظيمه والكلمة المستقيمة وكنت فى هذه الأيام عولت ان أخدعهم وأسير من عندهم وأبصر من هلك منكم ومن سلم فانتم قد سهل الله خلاصكم على يدى والساعه فانا شاكر بى الذى جمع على ولدى فقال ظالم ياأبى محمد ولو أن الأميره سلمت كانت تكون الفرحة الكبرى ولكن لله فى هذا رضى ثم حدثوه كيف هربوا من جزيرة الحائط وكيف ألقتهم المراكب فى البحر ومافعل مذبحون واخبره ظالم بمن بقى من المسلمين مع عقبه اللعين فقال البطال (ياساده) هذا وولد العلويه الشريف بكار يبكى ويقول والله ماسرنى خلاص نفسى مادامت أمى مع اللعين عقبه فقال البطال ان لحقناها سالمه خلصناها ان شاء الله تعالى لأننا هاهنا نسير إلى حصن القمر وجزيرة الحائط وننظر كيف يكون التدبير ونتوكل فى أمورنا على اللطيف الخبير الذى هو نعم المولى ونعم النصير ولى هذه الأيام فى هذا المكان ماكان لى شغل إلا استخبار الرهبان عن طريق البر والبحر والجزائر والقلاع فقال مذبحون ونحن أيضا قد عرفنا طرقات البحر كلها ومابقينا نطلب إلا التوفيق من الله والخلاص من هذا الضيق فقال ظالم ماهذا ضيق ان شاء الله ومابقى إلا السعد والتوفيق هات لنا سيوف ودرق حتى نخرج من هؤلاء الملاعين ولو أنهم عدد أوراق الشجر فقال أبو محمد البطال السيوف عندى والعدد ولكن اصبروا على حتى نتقن هذا التدبير لأن هذه الأرض لها قرى وسواد وفيها أمم وعباد وخلائق كثيره ونخاف ان خرجنا إلى هؤلاء الجزائر ألقوا علينا النفير ولا ننال منهم مراد ولا نخلص من هذه البلاد ومافى الأمر إلا الحيله عليهم قبل الخروج اليهم ثم انه أخذ الأمراء معه إلى جانب الدير واخفاهم فى مكان لايفطن بهم أحد وسلم اليهم العدد وقال لهم اصبروا إلى حين رجوعى ثم انه خرج وفتح الباب الذى للدير ونظر (ياساده) إلى الرهبان الكبار منهم والصغار وإذا هم يتجاوبون بالحان وقد انتشطوا من خمر الدنان وهم يشربون ويفرحون ويلعبون ويمرحون فلما رأوا باب الدير قد فتح وخرج منه اليهم الراهب دهيلوس تواثبوا اليه قياما بعد ماكانوا جلوس وقالوا ياأبونا نحن

فى انتظارك وفى انتساب أخبارك واخبار المسيح (قال الروى) ثم قالوا ونريد منك المباشرة والرحمة والمكاشفة وكشف الحجاب بيننا وبين المسيح عيسى ابن مريم فقال لهم أبى محمد ابشروا فقد قرب الأوان وأتى وقت الجزاء على عباد الصلبان إلا أن يحـل عن الاشتهـار ولايجب أن يطلع عليه الاخبار ثم انه اختار من الرهبان شيخا من علمائهم وأدخله إلى الدير واغلق عليه الباب دون الباقين وقال للذى دخل معه اعلم أن كل صاحب حق يختار منه عقال قومه من يثق بهم ويثقوا اليه حتى يحفظون ما يسمعون وان يقتفون الحقيقة ولاجل هـذا موسى بن عمران ﷺ وأفضل الصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ اختار من قومه سبعين رجلا وترك الباقين ضالين وسيدنا المسيح اختار اثنى عشر رجلا من الحواريين فقال يا راهب هذا أوان ليالى نزول المسيح فى هذا الهيكل العظيم وهانحن نريد نجمع عبيده من سائر الاقاليم والليلة قرب جيرانه فى سائر الاقطار وفرقنا نحن وأمر بالنزول إلى كل الامصار حتى يختص بهديته رهبانه الاخيار لأنه لما طعنوه بنى اسرائيل وصلبوه دخل الريح فيه فتلقى دمه بيده وترك فى الأرض قربان وفرقه فى سائر الاديرة والبلدان بعدان ضاف اليه قليل من ماء العنب حتى لايدخل عليه شىء يغيره من فصول الزمان ولايدخل عليه النقصان واراد بذلك حتى لاتخلو الأرض من بركته إلى أن يعود اليهم كما كان ويهـدى الخلق إلى البيان وانت يا راهب من المخصوصين بالهدايا والقربان فاختار من قومك أربعين ويكونوا من عقلاء هؤلاء الرهبان اقصدوا إلى بيت المذبح ففى صدره حجر كبير من الصخر الاصم فيه ثلاث قطرات من الدم الممزوج بماء العنب فخذوه واخلطوه فى خمردنانكم حتى تصفوا من كدر الدنيا أبدانكم فاذا نقيتم من الاوساخ والذنوب رايتم ماخلف الحجاب محجوب ثم قال البطال وأنا اخترتك من دون من حضر وما بقى إن شاء الله الاصحة الخبر فعند ذلك خرج الراهب من الدير واختار من قومه أربعين راهبا وقص عليهم حديث دهيلوس واتى بهم إلى الدير فلما سمعوا هذا المقال سجدوا كلهم إلى الأرض وصلبوا على وجوههم وقالوا الحمد للمسيح يادهيلوس الذى اختارنا من دون هؤلاء الرهبان والقسوس ثم أخذوا فى أيديهم المعاول والفوس وقصدوا إلى بيت المذبح والبطال بين أيديهم حتى أتى بهم إلى صدر الحائط وقال اضربوا هاهنا ضربا وثيقا لايتبدد شىء من القربان فعند ذلك تقدم منهم اثنين وقالا باسم المسيح والمـذبح الذبيح ثم ضرب الحجر وإذا به قد انفتح وخرج منه شراب أحمر له لمعان يأخذ بالابصار ورائحته أزكى من العنبر فما بقى من الرهبان الا من انبهر وطاش عقله وتحير وجعلوا يلتقونه بالقصع ويقولون هذا ينفع من المرض والاوجاع وكل هذا من بركة الراهب دهيلوس الذى عرفنا العباده ولقننا لرؤس ولما ملؤا آنيتهم فقال لهم البطال احتفظوا به ولا تقربوا منـه إلا

لاعز الناس عليكم فهذا فيه ثلاث قطرات من دم المسيح ابن مريم ومن شرب منه أمن من الهرم وكفى كل بائقة وسلم ومايموت الاان يشاءهو ويطيب الانتقال إلى جنات النعيم فعندها خرج البطال والرهبان ومافيهم الامن هو فرحان يقول لصاحبه يا أخى الحمد للمسيح الذى ماأماتنا حتى اوضح لنا البرهان وخصنا بالقربان وفضلنا على سائر الاديان هذا والبطال قد عاد الى عند اولاده واصحابه فوجدهم حاماين العدد قيام فقال لهم ابشروا بهلاك الاعداء وبلوغ المنى فقال ظالم وما الذى فعلت يا أبا محمد قال قد ناولهم ما يكفى لهم باقى الزمان والساعة ترون هذه الحركات قد سكنت والضجات قد قلت (قال الراوى) وكان هذا الخبر الذى دلهم عليه البطال من عمله وصنعته لأنه كان من خبرته بالاديرة والكنائس وكثرة مخالطة الرهبان قدعرف اين يكون مخابىء الذهب والصلبان واين يخبوا الرهبان الماء بتاع الديوره ولما دخل هذا الدير دخل بنفسه فى بيت المذبح ففتشه وقال مايخلوا هذا المكان من مال ابلغ به من خلاص الآمال ولم يزل حتى وقع بهذه الصخره ورآها مثل الصندوق من داخلها وفى جنبها طاقة لاتسع أكثر من يد الانسان فقال فى هذا المكان كان يخبى مال الدير من قديم الزمان فما أقول ان أحدا يعرف هذه الصخرة من هؤلاء الرهبان واريد عمل مكيده فى هذه الصخرة واجعلها زخيرة ليوم من الزمان

﴿ تم الجزء السابع والستون ويليه الجزء الثامن والستون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف
على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثامن والستون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

المطبعة المنيرية بالازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ثم طاف أبو محمد على الدير فوجد فى لحف الجبل حشيشة كان يعرفها تنبت فى أرض القسطنطونية أحد من البنج وأخذ منها حاجته وملا تلك الصخرة من خمر الدير العتيق وطيبه وخمره بتلك الخميرة وفى هذه الأيام كان قد عول أن يبنج الرهبان ويمضى من شوقه إلى أولاده فقدموا الأمراء كما ذكرنا وجرى لهم من القصة ماجرى ولما سألوه عن حاله حدثهم بهذه القصة وقال لهم اصبروا على قليل وقد هان عليكم الخطب الجليل

(قال الراوى) وأعجب مافى هذه القصة أن خيلوص الجوهرى كان حله بعض الرهبان من وثاقه وحل أصحابه واعرض عليهم شيأ من الخمر فقالوا وحق المسيح عندنا شغل من الفرح وفى أضلاعنا ضرب يكفينا بقية أعمارنا ولم يزالوا كذلك يتفرجوا على الرهبان حتى خرج الأربعين من الدير بالقربان وفرقوه على الأصحاب والاخوان وما فيهم من شرب أكثر من قدح حتى مال وانبطح وقل ذلك الصياح والفرح ولم يبق منهم إلا من لم يصل إلى القربان لأن الخلق كثير ولما رأى خيلوص ذلك قال لأصحابه وحق المسيح ماأمر هؤلاء صحيح لأنهم قد انطرحوا الكل فى ساعة واحدة وان صدقنى حذرى إلا أنهم تبنجوا والساعة تروا المسلمين إليهم قد خرجوا ويلكم خذوا سيوفكم وقدموا بنا إلى الدير حتى نبصر مافعل دهيلوس إن كان قد تولى عذاب المسلمين نقول قد أتينا نتوب على يديك ونرجع إلى حقيقة الدين وان كان الأمر بخلاف ذلك هربنا ونجينا فقاموا أصحابه وأخذوا عدة الرهبان وساروا معه وهم

يلوموه ويقولون مانزل بنا هذا كله إلا بظنك السوء وتكذيبك ولا تبرح ترجع ترمينا فى المهالك والمعاصى ولم يزالوا سائرين إلى أن دخلوا إلى الدير فوجدوا الأمراء بعددهم خارجين مثل الشواهين وظالم فى أوائلهم مثل الأسد العرين (قال الراوى) ياسادة ولما رأى خيلوص ذلك قال لهم خيلوص علمتم الساعة ان هؤلاء كلهم لصوصا اهربوا والا طبخونا مصوصا وعاد اشتفى منا هذا الراهب المنحوسا دهيلوسا وعادوا القوم وهم هاربين يعترون بالنيام وهم مثل القتلى وخيلوص فى أوائلهم يرى ذلك البلاء ويقول ماقصر المسيح مع الرهبان الذى أنفذهم على يد دهيلوس هذا القرنان ثم طلب الصوامع وباقى الأديرة ينفر من بقى فيها

(قال الراوى) ياسادة هذا وقدخرجوا المسلمين ووقعوا فى القوم الذين بقيوا مستيقظين فضربوهم بالسيوف وسقوهم كاسات الحتوف ولم يصبح الصباح حتى نهبوا منهم الأرواح وداروا على الذين كانوا منطرحين فرأوهم على حالات نحسه هذا وقد تقايا على لحيته وهذا على صدره وهذا قد هب عليه الهوى كشف عورته وهو ملقى على قفاه وهذا قد اختلط بوله وخراه وهذا عبرة لمن يراه وهذا قد نام وقدحه فى يده وهذا قد احترقت ثيابه من شدة اللهب الذى يحبس فى كبده فقال ظالم ويلك ياأبو محمد خذ معك من هذه الحشيشة ولاترجع تتعب فى عمل البنج فقد تركت هؤلاء المناجيس مثل رفعة الشطرنج فقال البطال أنا أخذت منها مايكفينى عشرة أعوام وقد بقيت وجوه هؤلاء الشياطين عبرة ثم دار على الرهبان وسلخ منهم عشرين لحية مختلفات الالوان بعد ماذبحوا أكثرهم فقال البطال اركبوا الساعة فى هذه المركب الذى أتيتم فيه واقلعوا اقبل ماياتينا النفير ونرجع نقع فى أيدى هؤلاء الخنازير لان خيلوص قدعدم وما هو إلا قدعرف حالنا ومضى ينفرعلينا من بقى فى الاديره فاسرعو أنتم واركبوا فى نحو الجزيرة وهى جزيرة الحائط ففعلوا ماأشار به عليهم وساروا إلى المركب وأخذوا من الزاد والماء الحلو وطلع الامير أبو محمد البطال وأقلعوا صوب الناحية التى جاؤا منها (قال الراوى) وفى تلك الساعة وصلوا أصحاب الاديرة بالسكاكين والعكاكيز والسيوف وقد ألتى خيلوص النفير فوجدوا الدنيا عبرة والدماء طريه على وجه الارض والرهبان مطروحين طولا وعرض فحارت أبصارهم وارتعت أبدانهم وقالوا ياويلكم هذه أفعال خمسة أنفس كما قال لنا خيلوص وحق الصليب مافعل هذا إلا دون الالوف فالحمد للمسيح الذى مالحقناهم فقال واحد منهم ويلكم عودوا بنا سالمين قبل أن يسمعوا بنا هؤلاء الشياطين لانى أرى الذبائح طرية والساعة قد ذبحوا هؤلاء المناجيس وان نحن وقعنا حل بنا ماحل بهم ارجعوا بنا فلا بد لخيلوص ما يقع بهم ويأخذ منهم تاره لانه سبقهم إلى جزيرة هرقله ينفر عليهم الملك قاشورش ويطلعه على حالهم حتى يخرج إليهم فى مراكبه وبطارقته

(قال الراوى) ثم عادوا هؤلاء وهم لايصدقون بالنجاة وبقى الساحل والدير عبرة لمن يراه فهذا جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من البطال فانه سار بأصحابه ذلك اليوم من ضحى النهار حتى أمسى المساء وأرسى وقال بحر كثير الاخطار ونحب لانسير به إلا بالنهار لاننا قليلين الخبرة بهذه الجهات فقال ظالم هذا هو الصواب ثم انهم قاموا وقد حطوا القلوع حتى انفجر الصباح فأقلعوا وأشرفوا وقت الظهر على مدينة هرقله فقال البطال هذه جزيرة والرأى أننا نجتنبها لاننا لانأمن من الملعون خيلوص انه قدسبقنا إليها وخبر بخبرنا لاهلها وان كان إلا كذلك فالساعة تروهم وقد طلعوا علينا (قال لراوى) ثم عول أنه يحول القلع ويلج فى البحر وإذا بين يديه أكثر من خمسين مركب ممدودة على وجه البحر وقد خرجت فى طلبهم وميلوا إليهم بالمراكب يطلبوهم من كل جانب وخيلوص فى أوائلهم ينادى أين تأخذون ياشياطين اللصوص وقد التقاكم الراهب خيلوص وحق المسيح لابد آخذ بثار نتف لحيتى وسبالى من الراهب دهيلوس المحالى (قال الراوى) وكان الملعون لما هرب من الامراء وقد علم بحالهم وسار إلى آخر الديورة ونفر أهلها إليهم وثب الى الخليج وعبر الى جزيرة هرقله وكانت المسافة بينهم قريبه فما أمسى المساء عليه الا وهو فيها فتم على حاله ودخل الى الملك قاشورش وصار يلطم على وجهه ويبكى بين يديه ويقول أيها الملك أنت غافل عن ماجرى بأرضك أنت نائم عن أعداء المسيح وأعدائك انهض بأصحابك وجاهد وانصر دين المسيح فالديوره والسواحل قد خربت وهدمت الاديرة والكنائس قال الملك ويلك من فعل هذا الفعال وعمل هذه الاعمال فقال يامولاى قوم مسلمون أكثرهم سودان مثل الشياطين فقال قاشورش ومن أين أتوا إلى تلك الارض مسلمين وقد دخلوا الى هنا الموحدين المحمديين من غير علمى فحدثه خيلوص الحديث الذى جرى له فى المراكب وكيف حمل الأمراء إلى الساحل واخبره أيضا بما فعل بهم دهيلوس وماجرى على الرهبان والقسوس ولم يزل كذلك حتى قال وخليتهم بعدى مقلعين وعلى خلاصهم إلى بلادهم معولين وفى غداة غداة ربما يعبروا على جزيرتك وربما يميلوا عن بلدك فاستعد لهم بالمراكب وخذ عليهم طرقات البحر من كل جانب (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك داخله الحنق واشتد به القلق وكان شيطان احمق لايفزع من الموت فقال ياراهب وحق المسيح لقد اشغلت قلبى لانى فى هذين اليومين كنت معول على الاقلاع إلى جزيرة الحائط لان الملك الأكبر شمخولص كان قد كتب إلى يأمرنى بالمسير اليه لاصحبه فى خروجه إلى بلاد المسلمين وذكر فى الكتاب ان عساكره قد اجتمعت ومابقى يعيقه إلا أنا والملك هرقل صاحب قلعة الشعاع وإذا كان هؤلاء فى أرضى فلا بدلى مما احرص على أخذهم واسيرهم إلى الملك شمخولص

يفعل مايشاء مع المسلمين الذى عنده فقال خيلوص انا وحق المسيح أسير معك لأننى قد سمعت انه قد وصل إلى الملك الأكبر شمخولص القس الذى يقال له الشيخ النجيح وحجة المسيح وسمعت انه أعلم أهل الأرض وأخبرهم بدين عيسى وأريد أسير معك إلى زيارته فقال الملك افعل مابدالك ثم أمر بطارقته انهم ينزلون إلى المراكب من ليلتهم ويتفرقون فى البحر ففعلوا ذلك ونزل خيلوص معهم من شدة فرحه وحرصه على هلاك الأمراء ولما صاروا على وجه الماء افترقوا كما ذكرنا إلى ان كان من الغد وأشرف مركب المسلمين وهم لنجاة أنفسهم طالبين ودارت بهم المراكب شمال ويمين وعلا منهم الصياح وأشهر ظالم سيفه وتقدم إلى وسط المركب مثل الاسد الغضبان وثار إلى مؤخر المركب أبو سكران ورأى الشريف بكار وأولاد البطال إلى ذلك الفعال فلزمهم المحاماة عن أنفسهم والقتال وأراد البطال أن يمنع ظالم من القتال فلم يسمع منه مقال بل قال دعنى يا أبو محمد أشفى صدرى من الكفار فقد كرهت الحياة ومللت من ركوب البحار وأريد ألقى ربى من بطون السمك والحيتان وأموت موتة ستى ذات الهمه والا أكون جبان مهان ثم التقى بصدره رجال المراكب وأظهر فيهم العجائب وتكاثروا عليهم البطارقة من كل جانب وتضاربوا بالسيوف الماحقه وتطاعنوا بالقنطاريات الخارقة وأيقنت النفوس بالغرق وهاج البحر واصطفق ولمع الصارم وبرق وكانت المراكب تلذمركب المسلمين وتضيق عليهم وهم يقاتلون ويدفعون حتى أسندوا إلى الساحل ووقع الصياح فى الجزيرة فخرج كل من كان فيها ونزل الملك قاشورش فى طائفة اخرى وكثر على المجاهدين الاحجار وأخذهم الصياح من كل مكان فوقع بهم الانبهار وأصاب الامير ظالم حجرين فى أكتافه فأشرف منها على تلافه ووقع صدر المركب وطعن أيضا أبو سكران طعنة أشرف منهما على العطب وطلعت البطارقة اليهم وقد طمعوا فيهم فأخذوا البطال وأولاده وسائر الرجال وطلعوا بالكل إلى بين يدى الملك وخيلوص يلطم وجوههم وينتف ذقونهم وأكثر ما كان ينزل على البطال ويقول له يا شيطان كيف كنت فى الدير تروى الاخبار وتضربنى وأنا أستغيث وأصيح وأنت تقول للرهبان والقسوس انتفوا ذقنه وسباله وانهبوا رحله وأمواله اليوم آخذ منك بالحق وأشبع رفص ودق ثم قال للملك اشفى قلبى بصلب بعضهم وخلى باقيهم نسير بهم إلى الملك الاكبر فقال قاشورش ما هذا صواب إلا أننا نحمل الكل ونحضرهم بين يديه فى حال المهانة والذل ونحن فى غداة غدا مقلعين وإلى جزيرة الحائط طالبين لأن مراكبنا قد أنجزناها وهذه الفرصة قد انتهزناها فاتركوا هؤلاء فى هذه البيعه الصغيره التى على ساحل البحر ولاتتركوا لكم شيأ إلى الصباح فقال خيلوص ياملك إذا كان الامر على ذلك فاتركنى أنا أتوكل بهم وأبات عندهم إلى

الصباح لأننى أريد اوافقهم على مافعلوا فى حقى من الأمور القباح لاسيما هذا دهيلوس الشيطان الذى قد شاع ذكره فى سائر البلدان ولا يتوكل بهم الليلة غيرى فلو وكلت بهم المسيح خلاه وطار هذا وسرق الكنيسة معه وسار (قال الراوى) ياساده فلما سمع الملك ذلك حار وأخذه الانبهار وقال ويلك ايش هذا الجنون ياشيخ يامفتون إلا سمعت ان أحدا يسرق الكنائس بالحيطان وينقلها من مكان إلى مكان فقال خيلوص أيها الملك المسيح يكفيك البلاء المقدر ويصرف عنك القضاء المسطر ولا يسلط عليك هذا الازرق العينين الأشقر وأنا قد سمعت عنه مالا يسمعه أحد ورأيت فعاله مايشيب الأطفال الرضع فعندها قال الملك ياشيخ ان كنت تعرف منه هذه الفعال بأنه عيار محتال فكن عنده إلى غداة غدا ثم أضاف اليه خمسة من البطارقه وأمرهم بطاعته فساقوا الأمراء بين يديه إلى الكنيسه وكانت هذه الكنيسه على ساحل البحر فيها عشرة من الرهبان منقطعين عن العمران وعليهم الرواتب والجراية وهم مقيمين على العباده ولا يدخلون الجزيره إلا فى كل يوم واحد (قال الراوى) ولما حصلوا الأمراء فيها اغلق خيلوص عليهم الباب وانزل هو والبطارقة على الأمراء العذاب هذا وعساكر الجزيرة ينقلون إلى المراكب العدد والمتاع ويأهبون القلاع حتى مضى من الليل الثلث الأول وانقطع الحس والطارق وعسعس الليل الغاسق ونامت العيون وتبدلت الحركات بالسكون وكان خيلوص أيضا وأصحابه فى ذلك قد شبعوا من عذاب الأمراء وناموا وقد غلب عليهم الكرى وكذلك الرهبان وأصحاب البيعة قبلوا وانطرحوا على الثرى وبقيوا الأمراء مستيقظين وعلى أنفسهم معددون والبطال يقول أنا مابقى على قلبى هم لأجل اجتماعى باولادى وان أنا خلصت فقد بلغت مرادى فقال ظالم والله ان على قلبى هم وأى هم من فقد ستى الأميرة ذات الهمة ووالدى وشوقى إلى الحجاز الذى نشأ فيه جسدى فقال الشريف بكار والله ماهمى وغمى إلا خلاص أمى والا فالموت أهون لى لاسيما إذا كان من يد الأعداء فبينما هم كذلك وقد أخلوا مع بعض فى الظلام وتجلى الملك العلام وإذا براهب قد قام من جملة الرهبان النيام ودنى إلى البطارقة وسل حسام منهم وأول ماتقدم إلى الرهبان خيلوص وذبحه وثنى بالبطارقة اللئام ووقع بعدهم على الرهبان النيام وقوع الملك الذى فى يده أرواح الأنام وماكانت إلا ساعة حتى فرغ من الجماعة ودنا من الأمراء وقد حارت منهم الأبصار وطارت القلوب وكثرت الأفكار لحل كتافهم وعاد يقبل رؤسهم والبطال يقول ياراهب دع عنك البوس والتقبيل وقل لنا من بعثك المولى الجليل فقال الراهب بكلام له هيبة يا أبا محمد ان كنت ماتعرفنى فسبح خالقك ومولاك الذى نجانى ونجاك وجمعنا فى هذا المكان وإياك انا الاميرة ذات الهمة فاطمة بنت مظلوم أمة الحى القيوم سابنى من البحر الذى أمره بين الكاف والنون بعد ما أهلك من جحد وكفر ونجى

من شاء وقدر (قال الراوى) فما فى القوم إلا من سمع كلامها إلا وهو فى دنيا أخرى من هول قدرة الله تعالى فلما أفاقوا قال لها أبو محمد البطال بالله يا أميرة كيف كانت سلامتك حدثينى حتى أحدثك أنا الآخر على ماقاسيت من الشدائد والاهوال فقالت الاميرة ذات الهمة ما أنا قد استلمت عدل قطن وركبت عليه ورمتنى الامواج بعد يوم وليلة إلى ههنا فى هذا الساحل ورؤنى هؤلاء الرهبان فأخذونى إليهم وكان على زى الروم الذى فارقتك عليه كما عرفته ثم سألونى عن حالى فقلت أنا من رهبان دير الزيت الذين فى أعمال قلعة السها كنت طالب جزيرة الحائط مع قوم منها فانكسر بنا المركب وسلمت أنا كما ترونى ثم أقمت أظهر العبادة والانفراد وبالليل أخلو بنفسى وأقوم إلى خدمة ربى وأدعو رب العباد ان يرينى منكم ولو شخص واحد حتى رأيتكم وقد وصلتم اليوم وجرى عليكم ماجرى من قتال العدا فصرت وحالى مكتوم وعلمت أنكم تفعلون فأردت أن أكون سببا لخلاصكم وهكذا كان والحمد لله الواحد المنان الذى نجانا وجمع بيننا فى هذا المكان فأنت ما كان خلاصك ونجاتك يا أبا محمد فأعاد عليها ما قد ذكرناه وكيف كان فى أديرة السواحل وصار مقدما عليهم حتى وصل ظالم وأولادى وجرى لهم ماقدمنا فعجبت الاميرة من ذلك وقالت يا أبا محمد أنت إذا وقعت فى أرض الروم تحسن أن تتكلم وتعيش بما أعطاك الله من علوم دينهم والحجج القوية فى مذاهبهم ونحن بخلاف ذلك وأنا لو أننى كنت قد صحبتك هذا الزمان الطويل وحفظت شيأ منك من علم الانجيل لكنت فى هذه النوبة من الهالكين فقال البطال دعينا الساعة من هذا المقال واخرجوا بنا حتى ندبر فى خلاصنا فما يكون فى الدنيا أسعد منا لاننا فى وسط الهلاك فقال مذبحون مالنا إلا نركب فى بعض هذه المراكب ونطلب البلد الذى كنا طالبينه لان المراكب الليلة كلها قد باتت ملآنة بالعدد والزاد والقنطاريات والسيوف الحداد وهى مستعدة للاقلاع عند الصباح فقال البطال ياولدى ان سرنا فى البحر لحقونا هؤلاء الملاعين وما كان فى هذه النوبة يبقوا علينا لاننا بكام يوم نقدر نسبقهم أو بأى شىء وقدامنا قلاعهم وجزائرهم وربما كتب هذا الكلب قاشورش كتاب إلى قلعة الشعشاع التى بين أيدينا على أجنحة الطير فيقتلونا ويقبضوا علينا فقال مذبحون والا كيف نريد نعمل فقال قوموا بنا حتى أقول لكم ما أفعل فعندها خرجوا من الكنيسة وقد أخذوا معهم عدد البطارقة الذين هم كانوا موكلين بهم ولما صاروا على الساحل وإذا بالمراكب تلعب على مراسيها مثل الخيول على مداودها وفيها كل ما يحتاج إليه وعلى كل مركب بطريق برسم حراستها فقال البطال مروا بنا إلى أول المراكب لانه يكون أكبرها وهو الذى يكون برسم الملك فقالت الاميرة ياأبو محمد فأنت قلت ما نريد نسير فى البحر وايش تعمل بأكبرها أو بأصغرها فقال وكأننى أريد أقلع

فيه قالت وإلا ايش تريد تعمل به قال ارفع قلعه وأزوده بالمقاديف والمدارى حتى يحصل فى اللجج ويملك هواه ويسير فى البحر ونسير نحن فى البر وأنا أعلم أن الروم اذا عدمونا وعدموا المركب يظنون أننا سرنا فيه وتتفرق المراكب فى طلبنا ونمضى نحن فى البر آمنين مطمئنين واتكالى بعد ذلك على رب العالمين فقال ظالم والله ياعماه ان هذا نعم الرأى فلا أعدمنا الله طلعتك ثم تموا إلى المركب الأول فقصدوا اليه وذبحوا البطريق الذى كان موكل به ورفع البطال قلعه وطنبه وعادوا ونزلوا منه وقد زودوه بالمدارى حتى خرج من الساحل ولعب الهوى فيه فسار مثل الطير والمركب سائر وساروا هؤلاء على ساحل البحر وقد زيا البطال الكل بزى الرهبان وترك فى أعناقهم الصلبان وتقدم فى أوائلهم هو واولاده وهم من ورائه (قال الراوى) وما كان فى الكل أحسن من الأمير ظالم لأنه كان أسمر بطرف أكحل أحور وقد لبس لحية قصيره سوداء وهو بذلك الهيكل العظيم يسبى النساء والرجال والبطال كلما رآه يقول ارجو أن تقع معك بعض بنات الملوك والجوار المتعبدات حتى تساعدنا على خلاصنا من هذه الديار القاصيات (قال الراوى) وقد أصبح الله عليهم بالصباح وقطعوا من الأرض مسافة وهم لا يفارقون ساحل البحر بل كلما عبروا على دير وقريه وقد دخلوا اصحابها وهم يتلون عليهم الانجيل ويتزودوا من عندهم وساروا هكذا يومين وليلتين واشرفوا على قلعة الشماع فرؤها على ضرس جبل نابتا فى البحر وهى عالية شاهقة كانها شعاع الشمس لاحقه وحولها جزيرة كبيره وفيها خلق كثير وصوامع مرتفعه وبيع مشيده فعجبوا من علو القلعة وارتفاعها وكبر الجزيره واتساعها فقال ظالم الله تعالى يدفع عناشر أهلها وكيد من فيها الان قلبى خائف لا يكون قد سبق فينا كتاب من الملك قاشورش إلى هذا المكان فقال البطال هذا شىء لا تفزع منه فانى قد حسبته من قبل الآن وحسبت هذا الحساب ولأجل ذلك قد فعلت بالمركب مافعلت واوهمتهم لأن الكتاب إذا وصل مايكون فيه إلا أننا قبضنا على قوم مسلمين وهربوا فى البحر فى بعض المراكب ونحن قد وصلنا فى البر فسيروا وتوكلوا على الله تعالى لأنه إذا أراد سلامتنا هو قادر بفضله يعمى أعينهم عنا ثم انهم قربوا الجزيرة وترنموا بالانجيل ودخلوا اليها والبطال فى أوائلهم يقرأ الانجيل وأولاده يجيبوه بتلك الأصوات والعالم خلفهم يدلونهم على الكنيسة وقد حاروا من قراءتهم وسكروا من طيب تلاوتهم وخرجوا اليهم والتقوهم وعادوا وهم بين أيديهم ومافيهم الامن صافح البطال وباس يده لاجل هيبته التى وقعت فى قلوبهم (قال الراوى) ولما حصلوا فى الكنيسة سألوهم الرهبان والقسوس عن حالهم ومن أين أقبلوا فقال البطال نحن من جزيرة الحضرا التى هى آخر جزائر بحر الحلبه وقد خرجنا فى زيارة بيت المقدس ثم تكلم بشىء من فضائل المسيح وذكر زهده

وعبادنه ورجع يتحدث فى الناسوت واللاهوت وهو أهل مذهب النصرانيه فحارت القسوس من ذلك وقالوا يا أبونا هذا شيء ما يعرفه أحد من أهل ملة الناقوس وما أنت عند المسيح الا بالمنزله الرفيعة والا ما كان اودعك علمه (قال الراوى) وشاع ذكرهم فى الجزيرة فما بقى شيخ ولاشاب ولاصبى ولاامرأة الاوأتوا يتفرجون على حسن تلاوتهم واجتهادهم فى عبادتهم الا ان البنات كلهم افتتن بظالم وما فيهن إلامن قالت وحق المسيح ان هذا الراهب الاسمر العريض الاكتاف شيء مليح وحق المسيح والصليب لو أقام عندنا هو وأصحابه كنا نصير مع الراهب ونتزل عندهم إلى الكنيسة ونتفرج ونتفرب عندهم هذا وقد سمع الملك بصفات البطال وأصحابه وقصد الكنيسة وأول ما دخل وسمع ضجيجهم وطيب نغمتهم وحلاوة تلاوتهم كشف رأسه وتقدم اليهم فمسح عليه البطال وبشره برضاء المسيح عليه وعتقه من النار وقرأ حتى أبكاه (قال) وبعدما تقرب الملك قال للراهب ماهذا الراهب الا عالم عظيم لاراهبنا رأس الحكمة ولاغيره ومع ذلك لاأراه حاضر فقالوا له قسوس البيعه ياملك خرج إلى ظاهر الجزيرة يتمشى بين البساتين ويغتسل من المياه النابعه ويأتى بجاس بنفسه ولايرجع يخرج من هذا المكان والساعة يكون ههنا (قال الراوى) والرهبان مع الملك فى الكلام وإذا براهب القوم رأس الحكمه قد دخل يتمشى على عجل وهو لهفان كانه شيطان فلما رؤه الرهبان تبادروا اليه من كل جانب ومكان وقالوا للبطال تخرج معنا إلى لقاء راهبنا فهو جليل القدر عند المسيح وعند الملك ولابد مما يمسكك فى ضيافته يوم وعشرة ويتوسط لك عند الملك حتى يعطيكم ويسيركم إلى المكان الذى تريدوه (قال الراوى) فلما سمع البطال ذلك خرج فى أوائل القوم وقد رفع صوته هو وأولاده بالتلاوة وبالغوا فى أصواتهم باللذاذه والحلاوة؛ إلى ان وقعت أعينهم فى عين الراهب وتأملوه وإذا به أبو الشر شومدرس اللعين المنحوس الغدار فلما رآه البطال هو وأصحابه خفيت منهم الأصوات وهديت منهم الحركات وقد حاروا فى أمرهم وتفكروا فى تدبير القضاء والقدر ورأى بعضهم إلى بعض فرأوا العجب وكيف تصادف المقادير وهذا كله بارادة اللطيف الخبير وصنع رب العباد وأين المهرب؛ من القضاء والقدر والمسطر لابد منه أن يكون وأيقنوا بحلول العطب هذا والراهب الملعون يضحك ويقول بالرومية زاه بازماة أحسنت يافلك الدوار فقال له الملك ايش مالك ياأبونا قال ايش يكون حالى وقد دبر المسيح أشغالى فى هذا الفلك الدوار ما بقى الليل والنهار وهؤلاء ياملك كانوا معى فى المركب وغرقوا لما غرقت أنا ولاشك أنهم سلموا كما سلمت واجتمعوا بهؤلاء الآخرين من أصحابهم اتفاق عجيب والكل مسلمين

شياطين أعداء لهذا الدين والكتب التى وصلت من الملك قاشورش إلى هؤلاء ولاجلهم فصيح الآن فى جزيرتك وبادر فى بطارقتك واقبض عليهم وإلا اقلعوا عينك وفرقوا بين رأسك وبدنك (قال الراوى) فلما سمع الملك هذا الحديث قامت عينه وبدأ جنونه والتفت إلى الأمراء فرأى أن ألوانهم قد تغيرت وتلاوتهم قد فترت لما رأوا الراهب شومدرس فأنكر أمرهم وصاح فى بطارقته الذين حواليه وأنفذ غلمانه ينفذون أجناد القلعة وأهل الجزيرة الذين حواليه وجذبت السيوف من كل مكان وتصايحوا القسوس والرهبان ونادت الأميرة بظالم وأبو سكران ويلكم ايش هذا الوقوف موتوا كرام ولا تموتوا لئام ثم جردت حسامها ومافيهم إلا من كان معه تحت ثيابه حسام ماضى فجرده وحمل فى الروم وذكر خالقه الملك الحى القيوم وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وطلعت على أشداق أبو سكران ضرايب الزبد وفاح صنانه وانعقد هذا وقد انقلبت البيعة بالصياح وعاد الاكتتام إلى الافتضاح وضجت الجزيرة وارتجت من سائر جنباتها وقد انقلبت البطارقة تحامى عن نسوانها وهجم على الناس اعتكار الظلام ووقع فى أبواب البيعة الزحام ووقعت السيوف على الخطأ والصواب وكانت ساعة تشيب الشباب مما ضرب فيها من الرقاب وكان هذا الامر قد صعب على النسوان لاجل افتتانهم بظالم وما أعجبهم تجمع العالم على الامراء ورؤا الامر قد زاد فساد يتصايحن ويقولوا ياقوم وحق المسيح لاتفعلوا هذه الفعال فما يستاهلوا مثل هؤلاء القوم أن يقتلوا

(قال الراوى) وفى الاخير سمعوا الناس جاريه تنادى من على سطح البيعه يامعاشر أهل الجزيره وحق الصليب ان قتالكم لهؤلاء الرهبان الغرباء ليس بواجب وسمعتم فيهم قول رأس الحكمة وهو شيخ قليل العقل كاذب وكانوا هؤلاء يقربونا وهم أحب الينا من ذلك المحلوق الذقن والشوارب الاعور العين الانمش الوجه (قال الراوى) هذا كله يجرى من النساء والبنات والاخ لايعقل على أخيه والولد لا يعرف أبيه وما زالوا فى قتال ونزال إلى أن صار وقت السحر وقد وقع بالامراء الملل والضجر وقد كثرت عليهم رمى الاحجار وقد نزل كل من فى القلعة وتقدم الملك هرقل بين يدى جميع البطارقة وفى يده سيف وطارقه وقد دار أذياله فى دور المنطقة وزعق على المسلمين لينخى البطارقة وقد كان له صوت مثل الرعد وفى وفى يمينه سيف كأنه صاعقة فصدم لأبو سكران وكان قد ملت من الضرب مناكبه فضربه بالسيف صفحا فأقلبه وارمت البطارقة على الوبال لما أن رأت الملك قد فعل ذلك الفعال وقد أرموا على الامير ظالم وذات الهمة الاتراس والدرق وجرحوهم بالسيوف البوارق وما أصبح الصباح حتى أخذوا الكل أسرى وملكوهم قهرا هذا وقد رأى الملك إلى أرض الكنيسة وقد امتلات من جثة البطارقة المطرحه والرقاب المذبحه فزاد على المسلمين حنقه وقال للبطارقة اصلبوا

الجميع على شراريف أبيعة وخلطوا الحيطان بدمائهم فقال له شومدرس لا تفعل أيها الملك واعلم أن هؤلاء فى اسر الملك الكبير كانوا ومن تحت قبضته هربوا وهو الساعة عليهم بجرعة الثكلا والصواب أن تحملهم اليه وتشتفى بهم بين يديه ويكون لك بذلك المنه عليه وكان مقصود شومدرس بذلك حتى يحضر عقبه قتلهم ويشتفى هو واياه منهم فقال له الملك اذا كان الامر على ذلك فاحبسوهم حتى نحملهم معنا جميعا فى وقت مسيرنا فما بقى يعقينا الا هذه المراكب ونزولها فى الماء (قال الراوى) وكان الملك قد صنع له عشرون مركب خفاف جرية حربيه وقد عول أن يسير فيها وفى مراكب الجزيرة إلى الملك شمخولص صاحب جزيرة الحائط وحصن القمر هذا ولما أن أمر بحبسهم أنزلوهم إلى مطمورة فى وسط داره ينزل إليها بسلالم درج وما للمحبوس فيها من فرج وهى كثيرة الطراوه من ماء البحر والوخم فيها والبرد والبلاء والسقم ولما أن أخذوهم البطارقة من قدام الملك ساروا بهم وانزلوهم فى تلك المطمورة ولما أن حصلوا فيها قام الراهب شومدرس عندهم يتولى عذابهم وهم مشغولين عنه بما هم فيه من التعب والجراح وقد خفقت منهم الارواح وهو يلطمهم ويقول لهم ياويلكم ياشياطين بعد أن غرقتم فى التيار ونجوتم من تلك البحار فما بقى للموت فيكم طمع بحق دينكم من خلصكم من تلاطم الامواج وازدحام ذلك البحر العجاج فقال له البطال ياملعون خلصنا الذى خلصك فقال لهم انا خلصنى المسيح الذى خلق من غير ذكر وتركوا آية لمن اعتبر وموعظة لسائر البشر الا من أراد الله بضلالته واستحق العذاب ونار سقر فقال له البطال وقد خلصنا رب المسيح فقال شومدرس أبدا تطلبون نجاتكم بالوعد والوعيد بنبيكم والتوحيد ونحن قد ثبت عندنا أن العبد لاينجو من الهلاك إلا بما فى صحيفته من الاشراك والدليل على ذلك أنكم تنجون من الشدائد بما يكون قد بقى من الأجل ثم تقعون فى أيدينا فنعذبكم العذاب الاليم الذى لايحتمل لأجله جحدانكم لعيسى ومريم المغذاه من النخيل الشاربه من عين السلسبيل الذى نزل على ولدها الانجيل (قال الراوى) ولم يزل الملعون معهم فى مثل ذلك حتى مضى النهار الضاحك واقبل الليل الحالك وعاد إلى داره التى أخلاها الملك برسمه وبقوا الأمراء فى ذلك المكان يقرؤن القرآن وقد أيسوا من الخلاص وقد علموا أن مابقى لهم من الهلاك مناص وظالم يقول والله ماجرى علينا فى طول أعمارنا مثل ماجرى علينا فى هذه السفره فكم نخلص ونقع ليت ان الله يريحنا بموت أو فرج قريب ننجو به من التعذيب فقالت له الامير ياولدى لاتعترض واعلم ان هذه الامور كلها لله وما للعبد فى نفسه حيله ولا يجب عليه ان يشكو اليه ماهو منه بعيد بل هو اقرب اليه من حبل الوريد فيجب ان لايعترض على من هو بفعله شهيد (قال الراوى) ولم يزالوا على مثل ذلك حتى نامت العيون وتبدلت الحركات بالسكون وقد هموا انهم يرقدون وإذا بباب المطموره قد فتح عليهم

وشخص قد نزل اليهم وقال لهم ابشروا قد جاءكم الفرج على يدى وأريد أن يكون فرجى على أيديكم دوروا إلى حتى أحل كتافكم وأخلصكم من تلك الشده والابرام (قال الراوى) فلما ان سمعوا الامراء ذلك الكلام حاروا فى نفوسهم وقد تأملوا ذلك الشخص فرؤه احسن من البدر التمام وقالوا له يافتى من أنت الذى قد من الله علينا بك ونحن فى هذا المقام وما حالك حتى تطلب منا الفرج فما عليك من الاحكام فقال لهم ذلك الشخص ما انا ذكر انا ست البيع انا ابنه الملك هرقل وان لى من البارحه إلى هذا الوقت وانا فى البكاء والسهر إلى الآن ماهدى فؤادى من الفكر لاجل صاحبكم هذا الراهب الاسمر صاحب الشعر الأجعد والطرف الاحور فانى أريد منكم ان تزوجونى به كيف اردتم وانا أكون معكم وطوع يديكم كيف اخترتم وأنا اعطيتكم من مالى ومال ابى كلما تريدون واعتقد كما تعتقدون واسير معكم إلى أى موضع تطلبون وان كان هذا الراهب رأس الحكمه عدوكم تريدوه سلمته اليكم

(قال الراوى) فلما أن سمعوا الامراء ذلك منها انكبوا على الارض وقبلوا التراب تعظيما لله الواحد المنان وقال سبحان مسبب الاسباب والله ان هذا أحسن ماسطر فى الكتاب واظرف ماسمع من الاحاديث والعجائب ثم قالت الاميره للجارية والمكان قد اضاء واشرق من نور وجهها يابنيه ابشرى بما يسرك ويسر فؤادك واعلمى أنك قد نلت مرادك وهذه يدى لكى بكل ماتريدين فقال البطال هذه الساعة اتركى ظالم يتقدم إليها ويعاهدها حتى يطمأن قلبها وتعلم أنه قد حصل لها فلما أن سمع ظالم من البطال ذلك القول ضحك وقال أحسنت يابطال ماأخبرك بهذه الاحوال ثم تقدم إلى ست البيع وقال لها أنا أكون لك قرين كما ترتدين ان كنتى تقرين بتوحيد رب العالمين وتنزهيه عن البنات والوزير والبنين والشريك والمعين والقرين فقالت وقد سلب عقلها بكلامه ياسيدى وماتريد أن أقول فقال لها تقولى أشهد أن لا إله الا الله واشهد أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقرت بالشهادة وكتبت من أهل السعاده وقد قالت بعد ذلك ماتريدون فقالوا لها تجيبى لنا عدد وتدبرى فى خلاصنا حتى نسير من هاهنا إلى جزيرة الحائط لأن لنا فيها أصحاب ولابد لنا من خلاصهم فقالت لهم والله ان عندى كل ما تريدون ثم أنها حلت كتافهم وصعدت من عندهم ماغابت الا ساعة وعادت ومعها كل مايشتهون (قال الراوى) فلما أن كملت عدتهم طلعوا من المطموره وهم مثل الصقوره وطلبوا ساحل البحر وست البيع معهم ومعها مفاتيح القصر فقال لها البطال بالله عليك قبل ماتفتحى سيرى بنا إلى شومدرس اللعين وأورينا أين داره حتى نأخذه منها فقالت الجارية السمع والطاعة سيروا بنا واتم خلفى ثم انها مشت بين أيديهم إلى حجرة عالية الحيطان وثيقة الباب مالاحد عليها سبب من الاسباب فقالت صاحبكم هاهنا ولكن كيف السبيل اليه فقال البطال لنا اليه أف سبيل

أن شاء الملك الجليل تقدمى ودق على الباب فاذا هو كلمكى فقولى له أنا جارية ست البيع فقد تفضلت عليك بقليل من السمك الطرى وهو مقلى فى هذه الساعة بسيرج أتاها من عند أبيها وما طاب لها الأكل حتى أنفذت لك منه شىء قليل بحسب البركة (قال الراوى) فلما سمعت الجارية ذلك المقال عجبت من هذا الخطاب وتقدمت إلى الباب وطرقته كما تعرف وإذا بشومدرس يقول من الطارق فى هذا الليل الغاسق فقالت ست البيع ماعلمها البطال وقد شرحت له ذلك المقال فلما أن سمع الراهب شومدرس ذلك القول قام على حيله وأتى إلى الباب والبطال واقف يسمع مايقول هذا وقد صار الملعون يقول حفظ المسيح ستك ست البيع بنت الملك ثم إنه أتى إلى الباب وهو يقول حفظ المسيح ذلك الخد المورود والجبين المشعشع على أنها لو أتت إلى رأس الحكمة لكان أجود وأبرك ثم إنه أتى إلى الباب فقال البطال والله لاطيرن هذه الحكمة الليلة من رأسك وأقطع من الضرب أنفاسك ثم إنه صبر عليه حتى فتح الباب وخرج ومد رقبته وفتح عينه وقال هاتى يا بنتى مامعكى فعند ذلك زوده البطال بلكمه على قفاه فقال الملعون آه ما أرى إلا سمك كله بلطى لأجل المسيح كله بركة فهو يقول هذا المقال وظالم لكمه أرماه وقد غيبه عن دنياه ونزل عليه كتف يديه على رجليه وحملوه وساروا وابنة الملك تقول ماتقفوا حتى آتيكم بشىء من المال الذى لأبى فقال ظالم مابقينا نريد مال سيرى بنا من قبل الانكار علينا ثم انهم ساروا إلى باب القصر وفتحوه وقد طلبوا الساحل فوجدوا فيه عشر مراكب غير الذى هى على الشط جانحة وهى الجدد التى ذكرناها (قال الراوى) ولما أن صاروا على الساحل وهموا أن يطلقوا فى بعض المراكب ويقلعوا فقال البطال لولديه الحصين ومذبحون سيروا بنا أنتما ياولدى فى البر ولا تفارقا ساحل البحر ودعونا نقلع فى هذه المراكب ويكون الميعاد بيننا وبينكم جزيره الحائط حتى إذا وقع بعضنا سلم البعض ولا نقع كلنا فى مرة واحدة وأهل هذه البلاد مايعرفونا وأخاف أننا فى بعض الكرات نهلك فقالت الأميرة لله درك يابطال فهذا هو الصواب حتى لانرجع نفرط فى أنفسنا ثم إنهم صعدوا إلى بعض المراكب بعد ماودعوا أولاد البطال وأقلعوا وقد ساروا على كف الرحمن لا يدرون مايقضى الله عليهم من نوائب الزمان وما يجرى عليهم من الأحكام (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الأحكام (وأما ماكان) من الملك شمخولص الذين هم طالبين جزيرته فى هذه الأيام يؤملون خلاص باقى أصحابهم من قبضته والسلام فانه لما أن غرقت مراكبه وهلكت بطارقته عظمت عليه مصائبه وكان قد أنفذ مراكبه برسم كشف خبر المراكب كما ذكرنا ويبصر من سلم منهم ومن عطب فبقت المراكب ثلاثة

أيام وعادوا يخبروا أنه ما سلم من الستمائة مركب ولا لوح واحد فلما سمع الملك بذلك زادت أحزانه والتهب نيرانه وقال لهم يا ويلكم وإلى أين وصلتم فى سيركم فقالوا له إلى قلعة السها وما عدنا حتى إننا شارفناها فما رأينا سوى الأخشاب على وجه الماء تسبح والأمواج تلطمها فقال الملك وحق المسيح بطارقتى التى كنت معول بهم على الخروج إلى بلاد الاسلام ثم انه قص ذقنه وشعره ولبس السواد ولازم الأحزان أربعين يوما حتى قدمت عليه ملوك الجزائر وكثرت عنده العساكر فدخل عقبة عليه مع سائر الملوك وسألوه أن يخلع السواد وأيضا سلوه عن من مضى وما زالوا به حتى أركبوه ورجع اليه لبسه وجلس فى حصن القمر وأعرضت عليه العساكر فطاب قلبه وقال فى هذه الأيام أسير واطلب الغزاه ولكن ما أسير حتى أقتل كل من عندى من المسلمين حتى لا يبقى فى أرضى منهم أحد ثم انه أنفذ عشرة من البطارقة يجمعون السودان والعرب الذين كانوا وصلوا معه فى البر ويقولون للروم سيروا حتى تشاهدون قتلهم وتودعون الملك قبل رحيله لأنه قد عول أنه لا يرحل إلا على سفك دماء حتى تكون طريقه محمودة العاقبة

(قال الراوى) وكانوا الرهبان والقسوس وأصحاب الأديرة والصوامع الذى فرق عليهم الأسارى يوم وصوله قد عولوا على قتلهم حتى يتقربون بدمائهم إلى المسيح فبينماهم يريدون أن يفعلوا ذلك وإذا هم قد سمعوا أن الملك قد حزن ولبس السواد على من عدم له من البطارقة والأجناد فقالوا ما نقتل نحن هؤلاء إلا حتى يطيب قلب الملك مع أننا نفرح لفرحه ونحزن لحزنه فتركوا هذه الأيام وقد انتقموا منهم غاية الانتقام هذا وعقبة سمع بذلك فأراد أن يكون هلاكهم على يديه وكان الملعون قد انفرد هو وابنته عقيبة فى مكان يعذبان الشريفة العلوية أم بكار الذى قطع أنفها وقلع عينها وكان قد استوهبها من الملك وهى معه فى الدار الذى نزل فيها وما فيها ليلة إلا ويضربها ويسبها ويكفر لعنه الله (قال الراوى) ولم يزل يضربها إلى أن يغلبه النوم فاذا هى رأته قد نام تقوم تحت جنح الظلام وتعبد الملك العلام وهى لا تعرف كيف تستقبل القبلة إلى بيت الله الحرام بل تصلى إلى أى جهة توجهت وتطلب الفرج من الله تعالى وتقول إلهى وسيدى ومولاى اجمع بينى وبين ولدى فقد تقطعت عليه أحشائى وكبدى اللهم إن كنت قضيت بعدم عيناى الذى كنت بهما أهتدى وسلطت على هذا الظالم المعتدى يؤذينى بضربه جسدى وبعد هذا يا مولاى أنا منتظرة الفرج من عندك إما بلقاك أو بكشف بلاك (قال) وفى هذه الايام سمع عقبة بجمع الأسرى وكان مؤملا أنه يخرج العلوية ويشهرها بين الأنام مع طوائف الروم اللئام ثم أنه يقتلها بيده وهو فرحان بخروج الملك إلى بلاد الإسلام إلا أنه ترك العلوية يومين ما عاقبها وفى

يوم الثالث دخل عليها فرآهامستقبلة القبلة ولهاعينان مثل الجوهرتان وأنف وشفتان وهى تتلو القرآن بصوت مجهر وما على قلبها فزع ولاجزع ولا كأنها فى مقام الهلع فبهت عقبةإليها وقد تحير ووقع به الزمع وانبهر وقال لها من رد عليكى عيناك فقالت له الذى يرد العين الفقعاء واليد الجدعاء جدى المرتضى وقد وعدنى أن يأتينى الفرج من الله تعالى واخاص من هذا البلاء وأكون آية لأهل الولاء (قال الراوى) فلما أن سمع عقبة منها ذلك المقال قال هذا مالا ينطلى على ولا أترك أنا الشيطان يلعب بعقلى وانى أريدأن أرجع أقور منكى عينك واقطع أنفك وشفتيك وابصر كيف بعد ذلك يردها ربك عليك ثم سحب الملعون سكينة وقال لابنته ويلك يا عقبية أمسكيها حتى أرجع أجفعها فى عينها ونواظرها والا انهتك بها دين النصرانية ويعود أكثرها إلى دين الحنيفية هذا والعلوية تنادى يامولاى لاتترك هذا الملعون يرد برهانك ويمنع عطاءك وأنعامك سيدى أنت قادر أنك تمنعه عن أوليائك مولاى اصرف عنى بلاك ياعادل فى علاك (قال الراوى) فما استتم دعاها ونداها إلا والفرج قد أتاها من الله الذى ابتلاها وهوسيدها ومولاها وأتاها من يخلصها من أعداها وفتح باب الدار أسرع من طبق الأجفان ودخل خمس رجال فى زى الرهبان وهم يقولون خلى عنها ياقرنان عن أمة الرحمن وقد هز كل واحد منهم صارم يمان ونادى خلى ياملعون يا كلب ياشيطان قد دنا أجلك فى ذلك المكان ثم تبادروا إليه وإلى ابنته مثل العقبان وهو قد حار ووقع به الخذلان وقد تأمل هؤلاء وعجب كيف دخلوا عليها بلا استئذان وتبينهم وإذا بهم ظالم وأبو سكران وذات الهمة والشريف بكار بن العلوية التى نحن فى حديثها وخامسهم البطال وهم هؤلاء الشجعان الاقران (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أننا قد ذكرنا ماجرى لهم وخلاصهم من قلعة الشعاع على يد ست البيع وساروا فى المركب طالبين هذه الجزيرة وكان كل من لقيهم فى البحر وسأل عن حالهم يقول البطال هذه ست البيع بنت الملك هرقل سائرة إلى جزيرة الحائط تزور عمتها عاميل زوجة الملك الكبير شمخولص والذى معها خادمها ارمانوس يعنى عن الأميرة ذات الهمة لانه قد تركها فى زى خادم وكانت الروم كل من سمع هذه المقالة انصرف وتركهم وهم سائرين حتى وصلوا إلى آخر بحر الحبله والجزيرة المعروفة بالحائط وكان وصولهم إليها عند غروب الشمس فربطوا مركبهم فى موضع مختفى وتركوا فيه ست البيع والراهب شومدرس ونزلوا من المركب وظالم يقول استروا حالكم وسيروا خلفى فأنا أعرف دار عقبة وعنده خليت أم بكار واننا نريد أن نعمل على خلاصها ان كانت تعد فى الحياة ونأخذ الملعون عقبة ونطلب أرضنا وأنا أعلم أن مابقى فى أصحابنا فى هذه الديار أحد وان الملك قد فرقهم يوم وصولهم على الاديرة والصوامع والكنائس ولم يزل سائر بهم

إلى أن أوصلهم إلى الدار وأدخلهم على عقبةوهو يعاقب العلوية لما أن رأى عينها قد ردهما الله عليها فصاحوا عليه نح عنها ياملعونوصاح البطال وقال لهم خذوه فوصل إليه ظالموقد لطم عقيبة على وجهها غيب صوابها وادار كتافهاوتقدم أبو سكران إلى عقبة ودق فىخناقه ورفعه على يديه ولطم به الارض رض عظامه فى بعضها لبعض وقد نزل عليه بركب مثل الصوان وادار يديه كتاف ففتح الملعون فاه وأراد أن يصرخ فحشا فى فمه خرقة هذا وبكار قد وقع فى صدر أمهوغاب عن الدنيا لما أن رأى عينها قد عادت وهى تقول يابنى لاتعجب فان الذى أخذ هو الذى رد واعطى وهو المعطى الوهاب الذى إذا دعى أجاب

(قال الراوى) فتعجبت الأميرة وأبو محمد البطالمن هذه الأسباب وقد فاضتدموعهم من قدرة الله تعالى ذو الجلال والاكرام وقالوا والله ان هذه قصتها مثل قصة حجاف رحمة الله تعالى عليه فقال البطال اخرجوا بنا الساعة نطلب المركب لايلعب شومدرس بعقلست البيع ويطلب لنفسه الهرب وربما يصيح علينا ويجلب (قال الراوى) فعندها حملوا عقبة وبنته عقيبة وعولوا علىالخروج وإذا بألفبطريق قدهجموا عليهم بالسيفوالطوارقوهم يقولون خذوا هؤلاء العيارينالمكارين واللصوص المسلمين (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملك هرقل أبو ست البيع لما أصبح عليه الصباح طلب شومدرس يشاوره فى أمر المسلمين فما رآه فقال انه لاشك عند المسلمين يعاقبهم ثم أرسل خلفه فما رأى له خبر ولا للأمراء أثر فقلقلذلك وتحير وفىتلك الساعة أرسلتإليه زوجتهتسأله عنستالبيع وتقول له البارحة خرجت من عندى من أول الليل إلى مقصورتها تنام واليوم طلبتها فما وجدتها

(قال الراوى) فلما أن سمع الملك ذلك قامت عليه القيامة وقال وحق المسيح قد لعب بعقل ابنتى حتى خلصت المسلمين المأسورين وقد تخلصوا وسرقوها وساروا ثم انه افتقد المراكب ففقد أكبرها فقال الملك قد اقلعوا فيه ومالهم قصد إلاجزيرةالحائط وحصن القمر ليخلصوا أصحابهم كما حدثنى رأس الحكمه والملك زوج أختى عاميل قد عول على الغزو إلى بلاد الاسلام وقد أرسل يأمرنى بأخذ الأهبة وأنا أريد أن أرسل اليه كتاب أعلمه بما قد تم على ثم إنه كتب كتاب وكتب فيه شرح ما جرى وأرسله على جناح الطائر إلى حصن القمر وكتب له فى آخره يقول خذ حذرك فان شياطين المسلمين اليك قاصدين وعليك واردين وابنتى معهم فابصر كيف تأخذهم أجمعين فلما أن وصل اليه الكتاب اغتاظ غيظا شديدا ثم إنه منوقته وساعته أوصىغلمانه ونوابه باليقظة والاحتراز فلما أن وصل مركب المسلمين واختفوا علموا بهم فسيروا بطارقة كثيرة وقد خرج خلفهم خلق كثير فلما أن وصلوا إلى المركب كانوا الأمراء قد دخلوا فى طلب عقبة فوجدوا ابنة الملك فى المركب

والراهب شومدرس فامرهم بالقبض على ست البيع ثم أعلمهم شومدرس باسلامها فقبضوها وطلبوا الجميع إلى عند الملك واعلموه بالحال ففرح بذلك واستبشر حتى كأنه قد قدم عليه بعض الحواريين (قال الراوى) ولما أن صار شومدرس قدام الملك قال أيها الملك ادرك الشيخ النجيح بالبطارقة والابطال وإلا هلك لأنهم صعدوا من عندى فى طلبه فعندها وثب الملك بنفسه فى الف فارس مدرعة بالسيوف المجذبة والدرق المكوكبة وما زالوا إلى أن وصلوا إلى دار عقبة وابنته وعولوا على الدخول وكانوا الأمراء قد عولوا على الخروج فما أحسوا إلا وهؤلاء قد هجموا عليهم وصاحوا فيهم هذا ولما أن رأت الأميرة إلى ذلك الحال علمت أنهم قد فطنوا بهم وقصدتهم الرجال فصاحت وطلبت القتال وحملت على البطارقه بسيف يلمع مثل لمع الآل هذا وقد فعل ظالم مثل فعالها وكذلك أبو سكران والشريف بكار وأبو محمد البطال وما ولى النهار عنهم وراح حتى تركوا الأرض من القتلا مثل المسطاح هذا وقد قصدتهم أهل البلد عند إقبال الظلام وكذلك البطارقة الذين قد أتوا قصدوهم بكل حسام مهند وما مضى من الليل هجعة حتى ملكوا الروم المسلمين الجميع وخلصوا عقبة وابنته من قبضتهم وأخذوهم إلى دار الملك هذا وعقبة قد فرح بخلاصه وهو متعجب من سلامتهم بعد الغرق وقد فرح أيضا بشومدرس وقال إن هذا وقت سعيد موفق رشيد حدثنى ياراهب كيف كانت قصتك وما جرى لك فى سفرتك فأخبره شومدرس بكلما جرى له من أوله إلى آخره فقال عقبة أما ظالم ومذبحون وهذا الاسود وبكار والحصين من هاهنا خلصوا وكان فى قلبى منهم البلاء فقال شومدرس أما مذبحون ما أدرى أين يمضى وكذلك أخوه الحصين وما هما إلا غرقا (قال الراوى) هذا وان الملك قد نصب له سرير من الفضة البيضاء قوائمه من الذهب الأحمر فى ميدان الجزيرة وجلس عليه واقعد عقبة وشومدرس إلى جانبه الآخر والأمراء المأسورين بين يديه فقال عقبة أيها الملك تريد أن يغفر لك المسيح ماقد تقدم من ذنبك وما تأخر فقال له الملك نعم فقال له عقبة إن أردت ذلك فعجل لهؤلاء القوم بالحريق فقال له الملك اعلم إن أمرهم مسلم اليك فافعل بهم ماتريد من الأعمال (قال الراوى) هذا وقد كانت ست البيع قد أضافوها إلى مرحوما أخت صاحب قلعة السها الذى أسلمت على يد أبو محمد البطال وهما حضور مع جملة الاسرى فقال عقبه إن هذين الجاريتين أيها الملك يفسدان بنات الملوك ويميلوهم عن عبادة المسيح وأنا أريد الحرق للجميع فقال له الملك لا ياشيخ هذه ست البيع عمتها عاميل زوجتى وأنا أعلم أن هؤلاء الشياطين قد لعبوا بعقلها وما يطيب قلبى بقتلها فاخلو بها لعلك تردها إلى دين النصرانية فقال له عقبة لا تفعل أيها الملك ذلك واعلم انه لو كان فيها خير ماسلمت نفسها إلى

المسلمين وربما تكون قد حملت من بعضهم ودخل فيها الدين المحمدى وما بقى فى ابقائها فائدة ثم وثب الملعون وفى يده صوت منقوع باللبن الحليب والخل والزيت وصار يضرب واحدا بعد واحد إلى آن يشرف على الموت ويدور على الآخر ومازال كذلك حتى وصل إلى الأميرة ذات الهمة وضربها على وجهها عشرين صوت وهى صابرة على القضاء فلما أن رأى الأمير ظالم إلى ذلك بكى عليها وعلى نفسه وأشار يقول :

أيا ست صبر فالنصير بغيتى ... لك الفوز فى العقبا بفعلة عقبة
لنا فى عند الإله كرامة ... بما يفعل الملعون من قبح فعلة
وما هى إلا موتة ثم نلتقى ... برب كريم فى مقامة رحمتى
يعز على أن أراك طريحة ... بذلة أسر فى قيود مذلة
وعقبة قد أهوى اليك بسوطه ... فلا زال فى خزى وفى سوء لعنة
فياليته أعفاك من شوم ضربه ... وعذبنى حتى ألاقى منيتى

(قال الراوى) ياساده فضحك شومدرس من شعر ظالم حتى بدت أنيابه مثل أنياب الكلاب وقال ويلك ياظالم تشفق عليها من الضرب والقتل فكم من قتيل وجريح من النصارى وعباد المسيح وان اراد أن يعفو عنها الشيخ النجيح فذلك إليه (ياساده) هـــذا وقد كان شومدرس يحكى هذا الكلام تحريضا لعقبه على هلاك الامراء فقال لاعنى المسيح عنى إن عفوت عن مسلم لاسيما هؤلاء الذين قد حصلوا معى فى آخر الدنيا وأنا أترك الملك يحرقهم أو يصلبهم على أبراج هذه المدينه وأخرج معه أسلم اليه بلاد الاسلام ولا أترك غير هذه الجزيرة لى مقام فقد أعجبنى هذا حصن القمر ودير النذور وبحر الخلية وشجر الكافور وهذه الاراضى التى قد رضى عنها المسيح وانى أريد فى هذه الساعة ان أقطع أنف ذات الهمه وشفيتها قبل هلاكها ثم ان الملعون تقدم اليها وقام شومدرس أيضا وهو يصيح بالتارات شوما ودهر شوم الليله آخذها من ظالم ومن هذا الزربون الميشوم فعندها صاح أبو محمد البطال على عقبه وقال له ويلك ياملعون ويا كاب النصرانيه وأخس من غمس فى جرن ماء المعموديه ارجع عن الاميره ولا تصنع معها مكروه وان قتلتها سوف ترى مايحل بك من الضرر والبؤس فان فعلت معها ما فعلت فما هى الا قتلة واحد وتروح الجنة وتشاهد رب العزة والمنه فى مقام الدوام ودار السلام وان افسدت عليها دنياها فما تقدر تفسد عليها عقباها لأنها ماتفزع من المنيه ولا تخشاها بل تفرح بها وتتمناها وسوف تجمعك القيامة أنت واياها وقد سمعت ياملعون الآيات التى تقرأها (كانهم يوم يرونها لم يلبسوا إلا عشية أو ضحاها) وأنت تعرف ذلك كله وتعلمه وتحققه لكن تنكره ثم انه أنشد :

دع مهجتى تزداد فى خفقانها ليس التفرق فى الوغى من شانها
ان كان صرف الدهر غير قصده وبذل ذلهمة بدار هوانها
فلكم أبات فى الحروب غضنفرا وسطت يفوتها على فرسانها
ولكم تطايرت الرؤس بسيفها بالرغم فى الهجاء عن أبدانها
ولكم لها من غزوة وسرية سحرا وقد طالت على أقرانها
ولكم بأرض الروم ساقت جحفلا حتى رأيت الخيل فى بلدانها
ولكم أعزت كلمة التوحيد فى بلد العدا بالجهر فى اعلانها
وأذلت الكفار حتى انها وضعت قيود الذل فى صلبانها
ولكم لها فى قلعة مفتوحة صبحا وقد طلعت فى أركانها
ولطال ما طالت على ملاكها واستنزلتهم من رفيع مكانها
ولكم تعفرت الجباه مخافة منها وتم الذل فى تيجانها
فالموت أشهى عندها من كل ما فى الأرض فاعلم لا انالك شأنها
بالقتل تبلغ ما تريد وفوزها فى جنة الفردوس مع ولدانها
ولها الرضا من ربها فى قربها من ساحة الرضوان مع رضوانها
عجل بقتلى قبلها وبقتلها فالقتل أسهل من تهتك شانها

(قال الراوى) ياساده يا كرام وكان الامير أبو محمد البطال كلما أنشد بكت الاميره حتى قال فى آخره عجل بقتلى قبلها وبقتلها فقال عقبه السمع والطاعة يا أبو محمد ثم انه عاد إلى الملك وقال له اعلم أن الساعات تغتنم فيها فرحه من يسعى اليها على قدم وأعلمك انى أريد أن آخذ من هؤلاء القوم بثار أمة عيسى ابن مريم فقال له الملك افعل مابدالك فما نرجع نرد مقالك فعند ذلك تقدم عقبه لعنه الله وجزاه وجعل النار متقلبه ومثواه إلى الاميره ذات الهمه وشومدرس إلى ظالم (قال الراوى) فبينماهم معولين على ما يريدون ان يفعلون بالامراء من القبائح وإذا قد وثب من بين الحضار غلام أشقر أعطر طويل الشعر أحور يقدح من أجفانه الشرر وتقدم إلى بين يدى الملك شمخولص الأكبر صاحب جزيرة الحائط والبحر الاخضر وقال له ياملك ماقتل هؤلاء الشياطين فى هذه الساعة بصواب فقال عقبه وقد اغتاظ من كلامه ولم لايكون ياويلك صواب وفيه للملك أفضل الاجر والثواب فقال له ذلك البطريق وقد صرخ فيه فأبهت الحاضرين وظلوا اليه الجميع ناظرين اعلم أيها الشيخ أن أهل هذه المدينه ما فيهم الامن فى قلبه من هؤلاء المسلمين حسرة لاسيما أهل الاديرة والصوامع وسكان هذه البلاد وأهل السواد الذى فرق عليهم الملك المأسورين وعاد أنفذ طلبهم منهم وجمعهم وهاهم قدوصلوا وقدوصل معهم خلق كثير

فى طلب الجهاد والفرجة عليهم وهم منتظرين الصباح حتى يشفون قلوبهم من هؤلاء الشياطين ومافى الممكن ان تأخذ أنت نارك وتستريح وتترك ألف قلب قريح لا كان هذا ابدا وحق المسيح واول الناس أنا وان قلبى مقروح ودمع عينى مسفوح وقد أتيت آخذ تار أبى واشرب من دماؤهم حتى ارتوى (قال الراوى) ياساده فلما ان سمع عقبة مقاله بهت وقال له ومن هو أنت ومن هو أبوك فقال له أنا قرد نكلى بن نكلان صاحب جزيرة الحيوان وان هؤلاء قد قتلوا أبى وهو عائد من أديرة السواحل وصوامع الرهبان وقد أتيت أرتجى ازاحة تارى وأطفى لهيب نارى وما أريد أن يكون ذلك إلا بمشاهدة جميع الناس حتى يشهد لى كل قس وشماس فقال عقبة وحق المسيح لقد وفقت فى هذا الكلام ياغلام وأتيت بالصواب ونحن نتمثل على هؤلاء حتى تنجلى غياهب الظلام ثم انه شاور الملك فى ذلك الابرام فرآه الملك صواب وقال إذا كان فى غداة غدا نادينا فى البلد وجمعنا سائر الأنام والخلق الذين قد وردوا ولا نترك صغير ولا كبير إلا ونخرجه إلى الميدان ونفرجه على قتل هؤلاء العرب والسودان ويشاهدوا تلك البنات والصبيان ويكون هذا أشد فى العقوبة والهوان (قال الراوى) ثم ان الملك ادعى بقرد نكلى فتقدم إلى بين يديه فأخلع الملك عليه وقال له جزيرة الحيوان التى كانت لأبيك فهى لك بعده ثم انه أحضر الطعام والشراب وجمع الملوك وخواصه والحجاب وقد أنفذ إلى العساكر القادمة عليه فساروا الكل وأتوا إلى بين يديه هذا وعقبة وشومدرس إلى جانبه وقد جلس الجميع وأخذوا فى أكل الطعام وشرب المدام والراح هذا وقد دارت عليهم الأقداح وضجت الجزيرة بأصوات الأغانى ودخلوا فى اللهو لبلوغ الأمانى وكان قرد نكلى هو الساقى فى تلك الليلة ومرتب مجلس الملك هذا وقد أعجب الملك وأعجب عقبة شيخ الضلال وشومدرس راس الجهال ولم يعلموا أنه الحصين بن البطال الذى أخلف أباه فى التدبير والأشغال (قال الراوى) ولم يزل يسقيهم حتى خمدت منهم الحواس والحركات والأعمال ومزج لهم من تلك الحشيشة المباركة الذى جلبها أبوه من الأديرة وادار عليهم الأقداح فانبطح كل من فى المجلس عند الملك وكان أول من انخمد القاضى عقبة وشومدرس وقد صاح الحصين فى باقى الناس وناول الملك من يده ذلك الكاس وخرج من عنده وقد خمدت منه الحواس وصاحت من حول سرادقه الحراس ولم يزل سائر إلى أن وصل إلى عند الأمراء وكانوا فى خيمة منفرده وكانوا الموكلين بهم قد شربوا فى سرادق الملك وأتوا فانقلبوا فدخل الحصين وهو مطمئن القلب فقبل رأس أبيه وقال لهم قوموا واعلموا أنى قد مكنتكم من قفاء عدوكم وقد سقيتهم من تلك الحشيشة المباركة التى جبناها من الأديرة وقد خلعت عنهم ثياب النعمة ثم انه حل كتافهم وهم على غاية من الفرح هذا والبطال يقول

.ا. ابى وأين أخوك مذبحون فقال له انه قد مضى فى شغل آخر وأنا أرجوا تمامه سيروا
حتى اننا نطلب النجاة لانفسنا فقال البطال ياولدى انى أريد ان تعلمنى أين عقبة وشومدرس
والملك حتى ننظر مايكون منهم فقال الحصين أما عقبة وشومدرس فهاهم حاضرين فى الخيمة
التى بالقرب منكم وهم لايعلمان أحسن الدهر إليهم أم أساء وأما الملك فلا تتعرضون له فانه
خطر عظيم فقال له البطال وكيف ذلك ياولدى اما شرب مثل ماشربوا هؤلاء البطارقة فقال
٦ له يا أبتاه لانى ماأعطيته غير فرد قدح وخليته وخرجت فما أدرى ان كان شربه أم لا وان
الحرس من حوله شديد فاتركونا من معارضته فلما سمع البطال من ولده ذلك الخطاب رآه
صواب وقد ساروا طالبين خيمة عقبة هذا والبطال يقول لو كنت مع هذا كله حصلت لنا
شىء نركبه كان أروج لنا فقال له الحصين سير وأنت ساكت فانى قد حصلت لكم خمس
بغال وعشر رؤس من الخيل العوال بعدتها لانها من جنائب الملك لانى قد دخلت إلى سياسها
وهم يشربون الخمر فى أول الليل ففعلت بهم كما فعلت بعقبة وشومدرس والخيل والبغال
الساعة حاضره وهذه خيمة السلاح بين أيديكم فخذوا منها ماتريدون وركبوا ست البيع ومرحوما
على البغال وسيروا على بركة الملك المتعال (قال الراوى) فلما أن سمعوا من الحصين ذلك
المقال فما فى الجماعة إلا من عجب من حسن عمله وجودة توصله فقالت الاميرة يابنى من
أشبه أباه ماظلم سبحان من جعل له فيك وفى أخيك البركة ثم دخل ظالم وأبو سكران وحملوا
عقبة وشومدرس وعادوا إلى خيمة السلاح فأتوا منها ماأرادوا والناس فى أحلى ساعة من
السكر والكرا ولما ان تكامل عددهم ركبوا الخيل وقال ظالم دعهم الساعة يلحقونا ودع
يكونوا بعدد ورق الشجر وقطر المطر ثم انهم ركبوا العلوية أم بكار ومرحوما وست البيع
على البغال وجعلوا عقبة وشومدرس فى صندوقين كانا فى المطبخ قد أخذوهم وتركوهم على
بعض البغال وجعلوا عقبة وشومدرس على بعض البغال وساروا يقطعون الارض إلى أن
صار وقت السحر فبينما هم سائرين وإذا قد بان لهم من بين أيديهم أكثر من مائة وخمسين
فارس والجميع بالسيوف والدرق وقدسدوا جميع الطرق فقال البطال لاحول ولاقوة إلا بالله
العلى العظيم سبحان من يخلصنا من البوائق فقال الحصين لاتخاف ياأبتاه واعلم ان هذا أخى
مذبحون قد خلص المأسورين لانى أنا وإياه لما أن وصلنا إلى هذه الديار أقمنـــا ننتظركم
إلى أن تأتوا ورأيناكم قد وقعتم وقبضوا عليكم فافترقنا كل واحد منا فى شغل وكان الملك
قد جمع أصحابنا من الرستاق ليكون قتلكم جميع فأنفذت اليهم وأوعدته إلى هذا المكان
يكون الاجتماع وقد جئت أنا اليكم وخاصتكم من الاعتقال (قال الراوى) فبينماهم فى هذا
المكان وهم يتحدثون فى ذلك الكلام وإذا بمذبحون قد ناداهم من بين أيديهم إيش حالكم

يا كرام تقدموا ولا تفزعوا فنحن لكم فى الانتظار أيها الأقوام فلما أن سمعوا حس مذبحون عرفوا منه الصوت وقد فهموا الكلام فعند ذلك صاحوا وتبادروا اليه وتباشروا واختلطوا ببعضهم البعض وفسيح الآكام وقالوا الساعة لو تبعنا كل من فى هذه الأرض مانبالى بهم فى هذه الأيام ثم انهم ساروا وقد أصبح عليهم الصباح عند قرية من القرى وقد هيؤا ما احتاجوا اليه من الزاد والعلوفة وأخذوا الخيل الجياد جنائب وساروا مجدين إلى وقت الظهر فبيناهم سائرين وإذا بالغبار من خلفهم قد طار إلى أن سد الاقطار وقد علا وزاد ونما حتى سد أفق السما ساعة وانكشف عن صليب يبرق ومن تحته مائة ألف فارس وقد ظهرت غبرة أخرى من على أيمانهم وغبرة أخرى من على شمالهم وقد أخذهم الصياح من كل جانب وكثر الصراخ من البطارقة وامتلأت الدنيا بالمواكب المتلاحقة هذا ولما أن نظرت الأميرة إلى ذلك قالت لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملك شمخواص لما أن أصبح الصباح عليه وطلعت الشمس وهو فى سرادقه لم يخرج ولا رأى أحدا من البطارقة أن يدخل اليه إلا أولاده فانهم قد أنكروا ذلك فدخلوا الى السرادق فرأوه وهو يتقلب ولا يقدر أن يتور ولا تحمله رأسه ولا يعى على من يكلمه فلما رأوا ذلك قالوا وحق المسيح مصيبة بأبينا قد نزلت ثم أتوه بالماء البارد وقلعوه أثوابه وأقلبوا الماء عليه فصحا وبعد ساعة عقل على نفسه وقال لهم ويلكم إيش هذا السكر وهذا الخمار وحق المسيح ماهذا إلا من الساقى قردنكلى لانه قد سقانا من الخمر العتيق بلا ماء وهذا من قلة خبرته ياويلكم اطلبوه فى خيمة الشيخ النجيح والراهب شومدرس الميشوم رأس الحكمة فعندها خرجت البطارقة إلى خيمة عقبة فما وجدوا فيها أحدا فعادوا بالخيبة وأعلموا الملك بذلك فقال لهم ياويلكم وأين قرد نكلى فقالوا وحق المسيح مارأينا فى الخيمة أحد وقد سمعنا أن كل أسير كان فى العسكر البارحة هرب والموكلين بهم قد أصبحوا مذبحين (قال الراوى) فلما أن سمع الملك بهذا الخبر اندهش وتحير وخرج إلى سائر السرادق وركب ودار فى العسكر ليكشف الخبر فرأى الامر صحيح فتنمرد الملعون وكفر وطغى وتجبر وقال وحق المسيح ماتم عليا هذا الامر إلا من هذا الشيطان الذى قال أنا قردنكلى وحق المسيح لقد سلمت ان اسرق من على سريرى أو أخنق وقد عدموا الاسارى وشومدرس وعقبة اللعين وفى تلك الساعة وصل الملك هرقل وتقدم بين يدى الملك شمخولص وأخبره بما جرى عليه من فقد ابنته فزاده ذلك حنق وقال ماهؤلاء المسلمين إلا شياطين ثم إنه أمر بالمناداه من ساعته فى العسكر بالرحيل ورحل وهو لايعقل على أحد فلا زال سائر بالعساكر وقد فرقهم مع أولاده

رسا واحد مع جماعة والآخر مع جماعة ولحق الامراء كما ذكرنا وكان معه من أولاده سبعة والملك هرقل أيضا من حرقته على ابنته ومعه مائة ألف فارس من رجاله

(قال الراوى) فعندها نبهت الاميرة أصحابها وقالت لهم اعلموا أن هذه الموتة ما كانت لنا على بال فقالوا لها والله لاسلمنا أنفسنا إلا بعد ضرب بهد وطعن يقد هذا وقد أحاطت بهم الكفار ورفعوا شومدرس وعقبة والعجوز العلويه أم بكار ومرحوما وست البيع إلى رأس شقيف عالى من شقوف الجبل وعولوا على النزول إلى القتال فقالت ست البيع والله لابد لى من النزول معكم إلى القتال فقالت لها الاميرة مايحتاج الى ذلك فقالت إن هذا لا يمكن بل إننى أكون معكم وتلاقوا ما أنتم قادمين عليه هذا وقد أخرجت الاميره عقبة اللعين وشومدرس من الصناديق وقد وكلت بهم أربعة من بنى كلاب وقالت لهم إذا رأيتمونا قد هلكنا اضربوا رقاب هؤلاء الشياطين (قال ياسادة) هذا وعقبة قد فتح عينه ونظر الى كثرة العساكر ففرح وقال لشومدرس ياويلك أنا نايم أم يقظان فقال شومدرس ما أنت إلا مستنبه يا قرنان هذا وقد قالت لهم الاميرة ويلكما لاتفرحان بمجىء عساكر أهل ملة الصلبان وتطلبان الخلاص بهما من الذل والهوان فها أنا قد وكلت بكما أربعة من حزب الرحمن وقد أوصيتهم أن يقتلوكما إذا رأونا قد شربنا كاس الحمام حتى لا يبقى من بعدنا من يشتفى بالاسلام فقال عقبة وحق المسيح ياعجوز السوء اننى بعد ماأرى جسدك نهبا للصفاح ماأبالى مما كان منى على أننى أعلم على أن هؤلاء الذين قد وكلتيهم بنا أحقر من أن يمد أحدا يده منهم الينا إذا رأى أمة الصليب يطلب جنده ولابد لى بعدكم من الحياة وأخرج مع هذا الملك الذى قد حفظه المسيح وكلاه وان أسلم إليه بلاد الثغور وأرض العراق وأتركه ملك الآفاق قريب وبعيد وأطلب ولدك عبد الوهاب فى أرض الحجاز وأشتفى منه كما اشتفيت منكم

(قال الراوى) فلما سمعت الأميرة من الملعون عقبة هذا المقال اشتعلت عيناها شرار النار وزاغت فى أم رأسها وصارت مثل الجمر وقالت ياملعون إذا كان هذا بغيتك أنا وحق محمد سيد البشر فخر ربيعة ومضر لابد مما أثر فيك أيشم أثر من قبل أن أحمل على هذا العسكر ثم انها جذبت حسامها من غمده ورفعت يدها وقد ضربته ضربة الحنق فلما ان رأى عقبة الضربة نازلة عليه فالتقاها بيده اليمين فنزلت الضربة على زنده طيرت يده من حد المرفق فصاح الملعون ثم وقع وبقيت يده تنزف دما وهو لايدرى ان كان فى أرض هو أم فى سما ولما ان رأى ظالم إلى ذلك اشتفى فؤاده وكذلك بنى كلاب وقالوا احملوا بنا الساعة بنيات خالصة فما بقى فى قلوبنا حسرة فما هذا الملعون من يسلم فى هذه الكرة فبكت الأميرة وقالت والله ماأردت إلا أن يكون ولدى حاضر وإليه ناظر حتى كان يحمله إلى بلد القسطنطونية ويصلبه

على باب الذهب وتشتفى منه قلوب السادات من ذوى الرتب ولكن هذا الذى قد حكم به الملك الخلاق وكان قد سبق فى علمه أننا نبلى عند الكبر بالبعد والفراق ثم إنها حملت على عساكر أهل النفاق وقلبها قد زاد به الاشتياق إلى ولدها أمير الآفاق وهى تنشد :

واحربا من حر نار الفراق　　لقد دهانى منه مالا يطاق
ياولدى جاروا علينا العدا　　وحرفوا القول وبان النفاق
ياولدى قد طار عنى الكرى　　فالعين لاتقوى على الانطباق
فابكى على أمك إذا أصبحت　　مقطوعة الظهر بسيف الفراق
أقسمت بالخالق سبحانه　　ورافع السبع الشداد الطباق
لأروين السمر والبيض من　　دمائهم بعد الحراب الرشاق
واضرب الأبطال رغما على　　رؤسهم بالمرهفات الرفاق
واشرب الكاس الذى شربها　　كريهة المطعم عند المذاق

(قال الراوى) ولما نظر ظالم إلى سته وقد فعلت ذلك الفعال فحمل من وراها وقد بكى مثل بكاها وأن واشتكى أعظم من شكواها ثم ارتجز وجعل يقول هذه الأبيات :

لست غريبا ماملكت صارما　　جعلت أوطانى قوى العزائما
لست أخاف فى الورى العوالما　　ولم أزل أشوش العمائما
من أجل هذا قد دعيت ظالما　　وكم قتلت عرب مع أعاجما
ياليت شعرى هل أعود سالما　　وأنظر الاطلال والمعالما
فاسأل الله ذوى العظائما　　ينصرنا على الطغاة عالما

(قال الراوى) فعند ذلك حملت من بعدهم المائة وخمسين فارس من بنى كلاب فغاصوا تحت الغبار والضباب وقد باعوا نفوسهم لرب الأرباب وقطعوا الآمال من الاطلال والأحباب وقد اشتد الطعان والضراب وانطبقت عليهم عند ذلك المواكب من كل جانب انطباق البحر العباب هذا والملك هرقل أبو ست البيع قد ترك الناس فى القتال وطلع إلى الجبل يطلب خلاص ابنته فى ألف من الأبطال وهو يظنها عند عقبة لأنه قد رآهم أول ما أشرفوا ورآهم وهم طالعين إلى رأس الجبل فطلع وقلبه عليها ملآن

(قال الراوى) فلما أن صار فوق الجبل مارأى إلا شومدرس يبكى وعقبة بين يديه يئن ويشتكى ويده مقطوعة وهى إلى جانبه فلما أن نظر الملك هرقل إلى ذلك صعب عليه وسأل شومدرس عن ست البيع فقال له يامولاى إنها قد ركبت ونزلت تقاتل مع المسلمين وما هاهنا إلا أنا وهذا الشيخ عقبة المسكين فعندها أمر أن يحمل عقبة وشومدرس اللعين

وقبض على الأربعة الذين كانوا موكلين بهم وأخذوا العلوية ومرحوما وقال ارجعوا بنا حتى نحضر هؤلاء قدام الملك الكبير ولعلى أن ألحق ابنتى وآخذها من قبل أن تهلك ثم أخذهم وعاد بهم يشق المواكب ويخوض الكتائب ويطلب أعلام الملك شمخولص فما وصل إليه حتى خمدت نار الحرب وبطل الطعن والضرب وقتل من المسلمين مائة فارس وأخذ الباقين أسرى مع جملة الامراء وقد أحضروا الجميع بين يدى الملك ووصل الملك هرقل إليه ومعه عقبة هذا ولما رآه على تلك الحالة حار ووقع به الانبهار وقال لابو ست البيع ويلك من فعل بالشيخ النجيح هذا الفعل فقال له يامولاى هؤلاء المسلمين الانذال الذى قد لعبوا بعقل ابنتى وهتكونى فى جزيرتى هذا وقد كانت ابنته قاتلت فى ذلك اليوم حتى بيضت صحيفتها السوداء وقد قتلت مع جملة الشهداء إلا أن الملك لما أن سمع مافعلوا بعقبة قال للبطارقة اكووا يده فوحق المسيح لاضربن رقبة كل من بقى من المسلمين بين يديه وأدعه يشتفى منهم كيف شاء (قال الراوى) هذا وقد سمعت ابنته عقبية لذلك فجاءت إليه وقد رأت أباها فى تلك الحالة فبكت ولطمت على وجهها ورأسها ومزقت ما كان عليها من لباسها ونادت واحزناه لفقدك ياأبتاه هدمت لفقدك أركان البيع ومال الصليب بعدك ووقع وبكت عليك صور الكنايس بأعين تدمع وقد تهنوا بعدك المسلمين بصلاة الجمع فرضى عنك المسيح ويوشع ورهبان ديرمربع والراهب الكبير مقلع ومن فى الكنيسة من البنات قد ركع ثم انها أنشدت تقول

قطعوا يمينك ياأبى واحسرتى ... واعظم لهفاتى وشوم مصيبتى
لولم تكن أنت المسيح بعينه ... ما كنت ترجالى لكل بليتى
قد اوحشت منك الكنايس بعدما ... كانت بصورتك الكريمة شمعتى
ان أنت مت غدا الصليب منكسا ... وبكاك كل مقرب فى البيعتى
ان كان قد قصوا جناحك عامدا ... فقد تطير به فى قصور الجنتى
فاليوم أوفى غدا تفنى العدا ... وننال ما نختاره بكرامتى

(قال الراوى) ثم ان البطارقة كواو يد عقبة وهو غائب عن الدنيا وحمل بعد ذلك إلى خيمة ابنته وقد أمر الملك لحكماء الروم أن يكونوا عنده ويداووه ففعلوا به ذلك وقد لطخوا هاله بالمراهم فلما ان كان الغد عند الصباح فتح عينيه وقال أين أنا فقالت له أنت عند الملك الاكبر صاحب جزيرة الحائط وعدوك قد هلك وباقيتهم فى الاسر إلى أن تقوم وتفعل بهم ماتشاء (قال الراوى) فلما سمع الملعون ذلك فرح وقويت همته وصحا على نفسه ثم انه قال وأين ذات الهمه والبطال فقالت له اعلم ان الجميع فى القيود والاغلال فاطمأن قلبه وقد

أقام على ذلك الحال ثلاثة أيام والملك يأتى اليه يزوره فى كل يوم مرتين وفى اليوم الرابع نادى الملك بالرحيل ورحل وشال عقبه فى محفه وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى قلعة السها ونزل بها فقال عقبة لما ان أشرف على الصلاح أيها الملك وحق المسيح ما أرحل معك من هاهنا حتى تمكننى من أعدائى فقال له الملك هم مسلمين اليك افعل بهم مابدالك هذا وقد سلمهم اليه فقال له عقبة انى أريد أقطع أيديهم وأرجلهم ثم أصلبهم بعد ذلك على أبراج هذه القلعة وأذيقهم كاس التلاف حتى يبرد مافى قلبى من الارجاف. (قال الراوى) وان الملعون أخذ الأمراء وصعد بهم إلى الابراج وصفهم قدامه ثم انه سل سكين أمضى من القضاء وألمع من البرق إذا أضاء وقال لابنته عقيبه قدمى لى هذه العجوز العاهرة ذات الهمة التى قد قطعت يدى حتى اقطع اربعتها واقلع عينها واقطع ثديها وشفتيها وبعد ذلك اصلبها حتى يطول بلاها هذا والملك قد ركب وحوله اولاده وسائر خواصه واجناده وقد اصطفوا الجميع من حول القلعة يتفرجون على عقبة وما يفعل بالمسلمين (قال الراوى) هذا وقد قدموا الأميره ذات الهمة إلى عند الملعون عقبة ومدوها البطارقة بين يديه بالعذاب هذا ولما ان رأى ظالم إلى ذلك صار يبكى وبنى كلاب والبطال يقول لظالم والله ما كان قطع يد هذا الملعون بصواب فى مثل هذه الاوقات ولكن هذا الذى جرى وكان (قال الراوى) ومن الاتفاق العجيب والأمر المطرب الغريب ان عقبة اللعين أمر البطارقة ان يمدوا له ذات الهمة يفعل إبها ماهو ناوى عليه من التعذيب والأمراء يبكون عليها وإذا هم بجانب العسكر ارتج واضطرب وماج وانقلب فقال الملك ايش الخبر فقالوا له يا ملك ماندرى ولكن نرى كل راهب فى دير الزيت قد أقبلوا وهم يصيحون ويولولون وهم عراة حفاة فبينما هم مع الملك فى الكلام والرهبان قد شقوا المواكب ووصلوا إلى بين يدى الملك قد حصلوا وهم كلهم يتصايحون فقال الملك يا ويلكم أى مصاب أصابكم ومن عراكم ثيابكم فقالوا أيها الملك اعلم أن عسكر قد طرق دير الحمام كلهم سودان أسود من الظلام لايفقهون لهم وجوه ومناخر تنفطر عند النظر اليهم المرائر فبادرهم قبل أن يبادروك وسيروا اليهم من قبل أن يسيروا اليك ويفاجوك (قال الراوى) فلما أن سمع الملك ذلك المقال انذهل وحار واختبل وقال من يجسر من أهل الأرض يقصد إلى هذه الديار وذكرى فى الخافقين قد سار ائتونى بالشيخ النجيح حتى أننى أساله عن هذا الحال وقولوا له لايفرط فى واحد من هؤلاء الرجال حتى انظر من طرق ديارنا وخاض اقليمنا وأتى امصارنا (ياساده) فطلعت البطارقه إلى عقبة وهو قد مد يده إلى الاميره ووضع السكين عل مفصلها وهى صابرة لقضاء الله تعالى فصاحوا عليه وخلصوها من يده وقالوا له أجب الملك قبل هذا ياشيخ قد أمرنا باحضارك فلما أن سمع عقبة منهم ذلك المقال اغتاظ ونزل

مع البطارقة إلى بين يدى الملك وقال ما الذى يريد الملك فقـال له الملك شمخولص ياشيخ اعلم انه قد جاءنى خبران أرضنا قد طرقها عسكر وقد وصل إلى رهبان دير الزيت واخبرونا بان الذين أتوا إلى دير الزيت أخربه وسبى كل من فيه ونهبه وأنا أريد أن تترك اشتغالك بهؤلاء القوم المأسورين وتسير مع أصحابى وتكتشف لى خبر هؤلاء القادمين لانك أنت أخبر بملوك الامصار وبعساكر جميع الاقطار وتعرف سائر الاشار

(قال الراوى) فلما أن سمع عقبة من الملك تلك الاخبار انتقض وضوءه وتلوثت سراويله وأحدث على نفسه وظهر على وجهه الاصفرار وقال له ياملك ماتحتاج إلى من يكشف لك الأخبار وأنا أعرف الناس بهذا العسكر الجرار فهو عسكر الابرار وقد جاء فى خلاص هؤلاء الشياطين وقد دخلوا هذه الأرض على كثرة منهم وقطعوا المهامه والقفار وما هذا منهم إلا قلة يقين بما فى هذه الديار والصواب انك تنجز صلب أصحابهم وترحل بعد ذلك إلى طعانهم وضرابهم من غير توانى ولا تحمل هم منهم على قلبك فما هم من تخشاه وحق المسيح واعلم أن ماساقهم إليك إلا دنو آجالهم والمسيح قد أرادك ولولا ذلك ماساقهم إليك حتى يجعل على يديك هلاكهم فقال الملك إذا كان الامر على ذلك فالصواب ترك هذه الطائفة التى فى أيدينا حتى نملك رقاب من قدم علينا ويكون هلاكهم الكل فى يوم واحد ولا يبقى لنا عدو ولا معاند فقال له عقبه يامولاى إذا عزمت على ذلك وأردتنى أن أسير معك فسلم هذه القلعة إلى بنتى عقبية حتى تحفظها وتحفظ المأسورين حتى نسير ونبصر مايكون من أمر هؤلاء القادمين فقبل الملك رأيه وقال له اعلم أن القلعة بحكمك وحكم ابنتك لانها هى التى ملكتها بالحيلة وهى التى تحفظها من كل مصيبة (قال الراوى) ثم ان الملك بعد ذلك سلمها إليه وأنزل منها نائبه وترك فيها ألف بطريق وقد حكم عقبية فيهم ففرح الملعون بذلك وأوصى ابنته عقبية بالمأسورين ثم أن عقبة قال للملك نادى فى عساكرك بالرحيل وبادر إلى هؤلاء الشياطين حتى يكون أهيب لك وأجود فعندذلك نادى الملك بالرحيل فى الكتائب والمواكب فتزعزعت المشارق والمغارب ونشرت الرايات والبيارق ورفعت الصلبان على رؤس القنطاريات الخوارق وتتابعت العساكر مثل البحار الزواخر (قال الراوى) وكان المقدم على هذا العسكر الذى طرق هذه الارض الامير عبد الوهاب ومعه مائة ألف من السودان ومن بنى كلاب وكان السبب فى ذلك لما أبطأ عليه خبر ولده ظالم لما أرسله من الحجاز وقد سمع أن أمه قد اختلفت عليها السودان وتنصر أكثرهم مع غيلان الشوك وأنفذ ولده ظالم يكشف له الخبر لجرت عليه هذه العبر ولما انقطعت عنه أخبار الجميع وقع به الحزن والاكتئاب وصار كل من أرض العراق يسأل عنهم فيسمع أخبار مختلفة فما زال على ذلك حتى طال عليه

الامر وأقلقته القناصة ببكائها على ولدها ظالم لانها كانت تجتمع بنورى زوجة البطال وما فيهم إلا من تبكى وإلى رفيقتها تشكى لان نورى قد فقدت ولديها مذبحون وأخيه الحصين فما كانت تجف لها دمعة وكان الله تعالى رزقها بنت وسمتها عذيبة فكانت تتسلى بها عن الغياب لانها كانت رزقتها من البطال وما رآها فاشتغلت بتربيتها فى بلاد الحجاز فى هذه المدة الطويلة وكانت لما ان كبرت وانتشت تسألها عن أبوها فتقول لها انه من حملك ما أتانى ولا رأيته ثم أنها تحدثها بما يفعل أبوها من الحيل وكيف يغير صورته ويسرق الرهبان وقد علمتها شيء من الحيل وشيء من الإنجيل وبعض ألسنة الروم وقد نظرتها حاذقة عارفة فتعجبت منها ومن فطانتها فصارت تعلمها لغات الروم المختلفات وفصول الانجيل المشكلات وهى تحفظ كلما سمعته وكانت نورى خبيره بكل هذه الاشياء لاننا قد ذكرنا أنها من الحصون وانها ابنة ملك من الملوك الذين للروم لاسيما من يوم اتصلت بالبطال (قال الراوى) ولما انتشت عذيبة وكبرت تعلمت هذه الاشياء وصارت تجمع البنات بالليل وتلعب معهم والجميع كانهم الشموس والاقمار وقد عملت لها من أذناب الخيل دقون ملونات ومن الفنا صلبان مذهبات هذا والنساء والرجال يتعجبون منها وكان الامير عبد الوهاب يحبها حبا شديدا وكان فى أكثر الليالى يحضرها إلى عنده ويترحم على أبيها إذا نظرها ويبكى ويقول سبحان من خلق فى زماننا فرعون ثانى وسلطه علينا يفرقنا فى الاقطار وهو هذا الملعون عقبة الذى طول عمرنا فى مصائبه ونوائبه (قال الراوى) ولما أن زاد شغف نورى بعذيبة صارت تركب فى كل يوم معها إلى البرية وتعلمها ركض الخيل والفروسية وما زالت كذلك حتى اكتسبت الشجاعة من أمها اكتساب زائد وقد ورثت الحيل من ابيها وراثة صحيحة ولم تزل على ذلك الحال إلى أن زاد شوق الامير عبد الوهاب وكثر قلقه على الغياب فرحل فى بنى كلاب والسودان الانجاب وقد قدم عليهم اللملمان وأخذ معه سائر النسوان وسار معولا أن يملك بسيفه بعض أقاليم الكفار ويقيم هو وأمه وأصحابه فيها باقى الاعمار (قال الراوى) ولم يزل يجد السير حتى وصل إلى الكوفة فخاف من معارضة الخليفة له فسار إلى الانبار وكان صاحب الانبار أمير يقال له صالح بن عمر وكان من أصدقاء الامير عبد الوهاب فلما أن سمع بقدومه أخرج له الاقامات والضيافات والعلوفات ونزل إليه فاجتمع عليه وقد سلم على صاحبه وشكى له سدة اشتياقه إليه هذا ولما أن اجتمع به صالح سأله عن حاله فقال انى خرجت من الحجاز لا أعلم إلى أين أمضى فتوجع له الامير صالح وجلس عنده فسأله عن ذلك الامير عبد الوهاب وعن أخبار ظالم ولده وأمه ذات الهمة فقال له الامير صالح والله يا أمـــير ان ولدك قد عبر على فى السنة الماضية فى أربعة آلاف فارس وسألته عن حاله فقال أنا ماضى فى خلاص ستى من قبضة عقبه

من أرض شيخان وما بات أكثر من ليلة واحده ورحل بعدذلك ماسمعت لهخبر إلا من بعد مدة ثلاثة شهور قدسمعت انهم دخلوا إلى بحر الروم وقد وصلوا إلى قلعة يقال لها قلعةالسها وأنهم قد هلكوا فيها ثم رجعت سمعت أنهم سالمين وما صح عندى إلى الآن منهم خبر عن يقين وهذا ماعندى من التبيين (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب بن الاميرصالح هذا الخطاب بكى بكاء شديدا وقال مضى والله ولدى وامى واشتفى عقبة الملعون منى وبلغ الارب ثم انه بات تلك الليلة ولما أن أصبح زاد به الاكتئاب فرحل وسار يقطع البلاد والامصار حتى وصل إلى أرض شيخان واخذت به الجواسيس على الطريق اليسار حتى أشرف على بحرالروم وبانت له الاعلام والرسوم وسمع من الرهبان بعض اخبار فسار إلى أن وصل إلى دير الزيت كما ذكرنا وبلغ خبره إلى الملك شمخواص كما وصفنا (ورجعنا إلى الحديث الأول) بعد الصلاة على سيدنا محمد المفضل سيد البشر وفخر ربيعه ومضر ومن أنزل على قلبه الكتاب المطهر فجلا به عن قلوب أمته الفكر ولها من الرجس طهر (قال الراوى) وكان الأمير عبد الوهاب قد سمع بخروج هذا الملك من اقليمه وبلغه أن معه عساكر عظيمة فأقام بأصحابه فى طلب الراحة ذلك اليوم وقد فعلوا الرهبان بدير الزيت ما فعلوا حتى أصبح الصباح وعولوا على الرحيل واذاهم بغبار قد ثار وعلا وزاد إلى أن سد الاقطار ساعة من النهار وقد أشرفت الاعلام والصلبان قد اختلفت والرايات والبيارق رفرفت والارض من دوى الخيل قدرجفت وبروق الصوارم قد خطفت والدنيا قد انقلبت هذا ولما أن رأى الأمير عبدالوهاب ذلك كبر وصاح فى بنى كلاب فثارت وركبت خيولها بصفاء نياتها وحسن يقينها هذا وقد صاح اللملمان أيضا فى سودانه فتواسبت شجعانها بنخوتها وقد تقلبت عيونها وضربت بوقاب قرونها وقدزحفت العسكران إلى الحرب والطعان واصطدموا صدمه زلزلت الأرض وماجت طولا وعرضا وصار عقبه يحرض الروم وينادى يا عباد الصليب فهذه أنوار سعادتكم قد تشعشعت وشموس نصركم قد طلعت وارواحكم بلقاء المسيح قد تباشرت فأبيدوا أعداء الدين واطلبوا النصر من عيسى بن مريم والحواريين (قال الراوى) وأن الروم لما سمعت النداء من عقبه فأرمت أرواحها إلى البلاء والدماء تجرى والسيوف للرقاب تفرى والابطال تجرى وصارت الأرض حمراء والخيل سكرى ولما أن رأى الامير عبدالوهاب كثرة جيوش الكفار خاف على عسكره من الانكسار فكشف رأسه وخفف عن لباسه وقد بان بياض شعره وصاح فى بنى كلاب وقال يا بنى عمى حاموا عن شريعة نبيكم وانصروا دينه واعلموا أن الله سبحانه وتعالى اذا نظر إلى صبر العبد بعينه وما بينكم وبين الجنة إلا مسافه قريبة فاصبروا على كرب الجهاد حتى تقطعوها بلا زاد وتشكروا هذا المقام

اذا وصلتم إلى دار السلام (قال الراوى) ثم انه جعل يحرضهم بمثل هذا الكلام ويحمل فى أوائلهم ويخترق القتام والرؤس تطايرت عن الاجسام والدماء ينهرق على الاقدام إلى أن مضى النهار بالابتسام واقبل الليل بجيوش الظلام فانفصلوا لما ان خفيت عنهم مواقع الاقدام وكان ذلك اليوم كما قال فيه الشاعر

لقد عظم الويل بين المسرات ... بضرب الحسام وطعن القناة
فهذا طريح وهــذا جريح ... وهـــذا ذبيح على الراسيات
وهـذا يصول وهـذا يجـول ... وهـذا مهول من النائبـات
وهـــذا تراه بلا ناصر ... وقـد سلب الموت منه الحياة
وهـذا ذليلا بوسط الوغا ... وقد كسروا القوم بالمرهفات
وهـذا تراه جـديل قتيل ... ممـدد بالعرض وسط الغـلاة
وقـد ارعب الله جيش اللئام ... وهابوه أيضا خيوش السراة
فيارب انصر واحمى حمـا ... جميع الجيوش التقاة السراة

(قال الراوى) ولما أن افترقوا عن القتال نزلوا فى الخيام هذا ولما أقر بالناس القرار أكلوا شيأ من الطعام وقد دار الامير عبد الوهاب على بنى كلاب الكرام ورأى أكثرهم جرحا مخدشين من رؤس القنطاريات وضرب الحسام وهم تعابا مما لاقوا من الامور الهائلات العظام فقال اللملمان يا أمير اعلم أن الروم فى خلق كثير وعسكر كبير ومع كثرتهم فانهم يقاتلون بلا معرفة ولا لنا فى قلوبهم هيبة لأنهم مالقيونا غير هـذه النوبة وما سمعوا بفعـالنا ومافى الامر إلا أننا نتركهم حتى تهتـدى نار الحرب ونطلب منهم البراز فانهم اذا روا فرساننا فى الميدان وقع لنا الهيبه فى قلوبهم عند القتال فاذا رايت هذا الامر صواب فأنا أبرز فى غداة غد إلى الطعان والضراب وأوريهم شىء يشيب الشباب وأقودهم إلى بين يديك قود الكلاب فضحك الامير عبد الوهاب وقد فرح بهذا الخطاب (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ماكان) من الروم الكلاب فان الملك لما ان عاد إلى سرادقه أمر الملوك ان يفتقدوا طوائفهم فافتقدوهم فوجدوا أكثرهم قد هلكوا فأعلموا الملك بذلك فزاد غيظا وحنقا وقال وحق المسيح ماقلت ان اليوم يمضى علينا بلا انفصال ولكن مايجب على الانسان انه يحتقر بالرجال فقالوا البطارقة أيها الملك وحق المسيح ماقدر يفنينا الاهؤلاء السودان الذين كانوا يدعسوا فينا مثل البغال وويبعبعوا مثل ما تبعبع الجمال فقال الملك انى قد رأيتهم وأنا تحت الاعلام وكلما هم فيه فرأيتهم فى شجاعة ولكن بلافروسيه ولا معهم من أبواب الحرب صناعة وهذا يدل على ان أحدهم إذا برز إلى الميدان كان طعاما لسيف خصمه إذا كان ثابت الجنان لانهم يرمون انفسهم رميا للحرب وما لهم صناعة فى الطعن والضرب (قال الراوى) وكان عقبه حاضر

فلما سمع من الملك ذلك المقال فضحك وكشر عن أنيابه فقال الملك ما حالك أيها الشيخ تضحك فقال له عقبه أيها الملك من أجل قولك هذا لانك ما تعرف هؤلاء القوم فوحق مريحنا ان هؤلاء السودان إذا برز واحد منهم إلى الميدان يريد ألف من عباد الصلبان فاقبل مني وداوم القتال مثل ما فعلت في هذا اليوم والا تنتصف من هؤلاء القوم بالمبارزه أبدا فغضب الملك من مقاله وقال له أنت ياشيخ تقول هذا من أجل فزعك ولكن سوف ترى ماتصنع أصحابي بهم في البراز وماهم [مثل غيرهم من الروم وحق المسيح ماتركتهم يقاتلون في غداة غد إلا فارس لفارس فقال له عقبه افعل مابدا لك وسوف ترى أفعالك

(قال الراوى) ولم يزالوا على ذلك الرواح إلى ان أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وقد ضجت المواكب بالصياح وركبوا الجرد القداح وقد جردوا الصفاح وكان الملك قدامه أكابر عساكره وقد أمرهم ان تمهل أصحابه بالحمله لما في قلبه من كلام عقبه هذا ولما ان اعتدلت الصفوف وترتبت الالوف خرج من عساكر الامير عبد الوهاب فارس طويل من الرجال عريض المناكب كانه نحت من جبال وصور من الجمال بساعدين طوال وكفين عراض وهم ثقال وفي يده سيف صقيل ورمح طويل ودرع نبيل سابغ طويل وتحته جواد عالى يسبق الشمال فجال عند ذلك في الميدان وطلب البراز والطعان وكان هذا الفارس اللملمان فقارب عسكر عبدة الصلبان بقلب غير فزعان وضرب بعاموده في عساكر الروم عيان فقتل من أصحاب الملك شمخولص اثنان وجعل ينشد ويقول هذه الأبيات

أبذل نفسي في الحروب بالرضا ... لا أرهب البوس ولا أخشى القضا
أرجو من الخالق أسباب الرضى ... ولا أكون في المعاد معرضا
والتقى القوم بقلب صادق ... وأعلم أن الله هو لى معرضا
لا أرهب الأبطال في هيجانها ... يوما ولو كانوا كاعداد الفضا
ان كان لوني أسود وقد غضى ... فانه يوم الميعاد أبيضا
إنى أحب الله جل اسمه ... والمصطفى ثم على المرتضا

(قال الراوى) ولما فرغ اللملمان من شعره وحمل على أحد المواكب فزعزعها وفرق جمعها وقتل من القوم أربعة وعاد إلى بين الصفين وطلب البراز هذا والملك ينظر إليه وقد بدا الغضب يلعب بين عينيه وإذا بفارس قد خرج من طائفة المجوس بشعر أشقر مرخى وراءه مثل العروس وعليه درع من الذهب مغموس وفي يده قنطارية بسنان ظمآن مشتاق إلى دم النفوس وتحته جواد مثل الطاووس وهو يتوقد فوق الجواد وله برق وارعاد ومازال يركض إلى أن صار مع اللملمان وجال معه في الميدان ولم يأخذه صبر حتى صمم عليه بطعنة

وطلب بها فؤاده فأمهله اللملمان حتى وصلت إليه وسحبها على طارقته فعامت قنطاريته وقرب خصمه منه فمد اللملمان إليه يده وتعلق بمراق بطنه ومنكبيه وجذبه اقتلعه من سرجه وضرب به الأرض وتركه مطروح لايعرف طول من عرض وقد خرجت منه الروح وارتض فى بعضه البعض (قال الراوى) فلما نظر عقبة إلى ذلك صاح اعمل معهم مثل هذا العمل صح المسيح بدنك فهذا الرأى الذى أراده الملك فعندذلك خرج إلى اللملمان فارس ثانى فقتله إلى أن صار وقت الظهر له وقد قتل خمسين بطريق من جبابرة البطارقة (قال الراوى) فعندها وقفت عنه الفرسان فحمل على بعض الأعلام وكان علم عالى غليظ كانه صارى مركب فوق رأسه صليب ذهب مكوكب وكان تحته ولد الملك الأكبر فما زال اللملمان ينثر من الروم الرؤس حتى قرب منه وصاح بمن دونه فتكفكفوا لما نظروا إلى صولته وقد رجفوا من زعقته فانطبق على ابن الملك لما أن رآه وأراد أن يدافع عن نفسه بكل سبب وخرج من تحت العلم إلا واللملمان قد أدركه وطعنه فى صدره أهلكه وقد خرج السنان يلمع من خرزة ظهره فمال عند قتله العلم وتشوش الموكب وانهزم وعاد اللملمان إلى ورائه والصياح من كل قد أتاه فلما ان صار وسط الصفين أدركه فارس بجواد أبلق مليح الحدق وهو مثل الموج إذا اندفق ولما أن قارب اللملمان زعق وأرمى روحه عليه من شدة الحنق وكان هذا الفارس ابن الملك الثانى !وقد عارض اللملمان وعليه انطبق يريد أن يأخذ بتار أخيه الذى درس وانمحق وما هو إلا أن أبعد عن مواكب أبيه وصاح حتى عاود عليه اللملمان وتطاعنا ساعة من النهار وقد ثار عليهم الغبار ونبا عليهم القتار وقد خرج اللملمان من تحت الغبار وقد خلف خصمه معفرا فى القفار وجسده ملقى وروحه تساق إلى النار فلما أن علم الملك بهلاك أولاده فكاد أن يقع من على الجواد من شدة ما جرى عليه من الكياد (قال الراوى) فعند ذلك سل حسامه وأراد أن يحمل على اللملمان فتبادرت إليه المواكب والفرسان من كل جانب وقالوا له أيها الملك لاتفعل هذه الفعال فها نحن بين يديك الساعة نحمل عليه ونقوده إليك قود الكلاب فقال عقبة ان هذا مرادى من أول الزمان وإنما الملك أبى رأيى وقد فعل برأيه وماأصاب فعندها صاح الملك على عقبة وقد امتلأ غيظا عليه وقال لسائر الملوك لاتركت أحدا يحمل حتى أبلغ أنا من هذا الأسود مرادى وآخذ منه بتار أولادى واشفى بقتله فؤادى (قال الراوى) فبينما الملك فى ذلك المقال وإذا بالصياح قد ارتفع فنظر الملك إلى ذلك الصياح وإذا هو بخمس فوارس قد انطبقوا على اللملمان وقد انقضوا عليه انقضاض العقاب هذا والقسوس قد صاحت من خلفهم والرهبان ودقت النواقيس من كل جانب ومكان وكانوا هؤلاء بقية أولاد الملك وقد تسابقوا بأخذ تار

أخواتهم (قال الراوى) فلما نظر إلى ذلك الأمير عبد الوهاب خاف على اللملمان وقدعول أن يحمل بنفسه وإذا قد نظر إلى اللملمان وقد ترجل من على الحصان وخطف عامود كان تحت فخذه والتقى أولاد الملك وصاح فى وجوههم وبربر وقد طلع الزبد على أشداقه وظهر وصار كلما وصل إليه قنطارية ضربها طيرها ثم يدرك صاحبها ويضربه بالعامود يخلط لحمه فى عظمه هذا وعقبه يرى ذلك ويقول لاتفعل أيها الملك بل أؤمر العساكر بالحملة فقدهلكوا أولادك على يد هذا العبد الأسود الذى لاقيمة له وأنا أخبر الناس به أنه يريد وحده هذا العسكر كله (قال الراوى) فلما سمع الملك كلامه اسودت الدنيا فى عينه وصاح فى غلمانه اقبضوا على هذا الشيخ السوء الذى فتت بكثرة قوله فؤادى ولولاطلعته الميشومة ماهلكوا أولادى ولا دخلوا هؤلاء الشياطين إلى بلادى فعندها تبادرت الغلمان إلى عقبة وقبضوا عليه ولطموه ونزلوا عليه إلى أن احمر قفاه وماتت أذنيه هذا وقد مد الملك عينيه ونظر إلى ما كان من أولاده فرآهم مطروحين يمينا وشمال واللملمان قد عاد إلى جواده وهو يهدر كانه الجمل الهائج هذا ولما أن رأى الملك إلى ذلك حار وأخذه الانبهار وبقى مايدرى ماالذى يعمل بل أنه التفت إلى غلمانه وقال لهم قدموا إلى هذا الشيخ الخرفان حتى أبرد قلبى بضرب رقبته فعند ذلك قدموا عقبة إليه ولما أن صار قدامه سل الملك فى عاجل الحال حسامه فلما أن رأى عقبة إلى ذلك خرجت روحه من بين جنبيه وقال مافى الدنيا أكثر منى فضول لأنى أنصح واشفق على من لايبالى بشفقتى عليه هذا وخواص الملك ينظرون إليه ولا يقدر أحد منهم على سؤاله فيه والملك زاغت مقل عينيه فى أم رأسه (قال الراوى) فبينما الملك على ذلك وإذا بشومدرس قد أقبل إليه وقبل الأرض بين يديه وقال له لاتفعل أيها الملك هذه الفعال فترجع تندم عليه فيما بعد أن يجرى ما يجرى عليه واعلم أن هذا الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح إذا قتلته طارت البركة من أمة عيسى وحرمت النظر إلى وجه المسيح واعلم أن أولادك الذين قتلوا فقد نقلوا إلى دار الرضوان وفى غداة غد يلتقون مع الحواريين ومريحنا المعمدان وأنت ترتع معهم فى رياض الجنان فلا تكدر عليك آخرتك بما تريد أن تفعل بهذا الشيخ فى دنياك ولاتحمل دمه فان عمله يلقاك (قال الراوى) ولم يزل شومدرس بالملك يخاطبه حتى لان جانبه وقال له ياراهب قد قبلت سؤالك فيه إلا أننى بعد أن حصل قدامى لابد أن أقطع منه شىء وحق المسيح مايهدى روعى ولاغضبى فقال شومدرس له أيها الملك ان الرجل لم يبقى فيه شىء صحيح عينه مقلوعة ويده مقطوعة وآذانه مجزوعة وأضراسه منزوعة وأصابعه مخلوعة ومابقى له غير رجليه فان قطعت أحدهما تعديت عليه وان ولا بد لك من ذلك فاخصيه فقد فنى عمره وكبر سنه وما بقى يحتاج إلا الخصى ولا بقى له شىء إلى مجامعة النساء فقال عند ذلك الملك لغلمانه

اخصوه وافعلوا ماقال لكم الشيخ المصان شيخ القساقسة والرهبان وعمدة دين النصارى عباد الصلبان لأنه ماهو مثل غيره كثير الفضول والبهتان (قال الراوى) هذا كله يجرى وعقبة ينظر إلى شومدرس ويسمع ما يقول ذلك الهذيان فقال لامساك المسيح بخير ياألف قرنان ياأظرط الشمامسة والرهبان ايش هذه الواسطة الميشومة يانحس الرهبان ترى ياشيخ النحس أنت رأيتنى مع زوجتك شوما فى أضيق مكان حتى أشرت بهذا الرأى المذموم فقال له شومدرس اسكت يامنحوس فقال له عقبه فما كان يكون الاهذا ياديوس يانعسان فقال له شومدرس لولا ان الملك قد حلف ياخرفان ما كان جرى عليك هذا الامر والشان وأنا الااقدر أحنث الملك فى الايمان لأنه صادق فيما يقول من البيان فقال له عقبة حرضه يا كاب الرهبان لالقاك المسيح خير ياشيطان (قال الراوى) وقد دنوا من عقبه الغلمان وبطحوه على ظهره ومسكوه وسلوا منه الخصيان وقد كووا له موضع القطع على الجرح بالنيران وقد أخرجوه من السرادق إلى خيمته وتركوه فيها وهو غائب عن الدنيا هذا وقد باتت العساكر تلك الليلة وهم فى غاية الادبار مافيهم من اوقد نار هذا والملك لم يأخذه قرار بل انه يقول عند الصباح اخرج إلى حرب هؤلاء الفجار وآخذ لروحى بالتار (قال الراوى) هذا وقد نزلت عساكر المسلمين فى مضاربهم والامير عبدالوهاب فرحان بفعال اللملمان ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح عول الامير عبد الوهاب أن يركب فى بنى كلاب والسودان الانجاب واذاهم بعساكر الروم خامدة جامدة عن القتال وقد ضجت القسوس الذين هم والرهبان من حول سرادق الملك وكان دوارنهم انهم يعزوا الملك فى أولاده وفيما أصابه وما كانوا بطلوا ذلك اليوم الحرب إلا للراحة والعزاء فلما أن نظر الامير عبدالوهاب إلى ذلك قال لولا خوفنا من كثرة الرجال والعدد لكنا كبسناهم فى الخيام لأننى ما بقى لى صبر على المقاله ولا على الصدام ثم انهم أقاموا ذلك اليوم فى طلب الراحة هذا وعسكر الروم يموجون مثل موجات البحر الزخار إلى أن مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد أضرموا المسلمين النار وقد أخذوا فى التقديس للملك الديان (قال الراوى) وأعجب مافى هذا السير العجيبة أن عذيبة بنت الامير أبو محمد البطال قد قالت لأمها الملكة نورى فى تلك الليله والله ياأماه ماأنا فى الدنيا وقد قتلنى الشوق إلى أبى واخوتى وقد عولت ألبس زى لبس الروم واختلط بهم وآخذ منهم الاخبار وابصر كيف أخلصهم وان لم تسمحى لى بذلك والاتركك حتى تنامى وأنسرق أنا منكى وأفعل ماأختار (قال الراوى) فلما أن سمعت أمها كلامها اندهلت وعلمت انها تفعل ماقالت عليه وان لم تأذن لها فى ذلك فقالت لها يابنيه اننى أخاف عليكى ان تهلكى لأنكى مالكى خبرة بهذه الاشياء ولا لكى بها عاده وأن كان ولا بد من ذلك فما أخليكى تسيرى الا فى جماعة ثم انها استدعت بعشرة

رجال ممن كانوا يراعو عهد أبو محمد البطال وقد أطلعتهم على هذا الحال فقالوا لها نعم نفعل
هذا الفعال والله كلما تأمرينا به فعلناه لاجل ما للامير أبو محمد علينا من الحقوق والافعال
الملاح والافضال ثم انهم لبسوا زى الروم وأرادت الملكة نورى أن تعلم الامير عبدالوهاب
هذا الامر فلم تمكنها عذيبة بنت البطال من ذلك وقالت لها ياأماه أخاف أنه مايطاوعنا على
هذا الامر ولا يمكننا من المسير فى هذه الامور ولكن اكتميه عنه ثم ان عذيبه ركبت على
وجهها لحية سوداء مدوره ولبست زى الروم من لبس القتلى وعلقت فى حلقها صليب وركبت
على فرس من خيل الروم بسرج أفرنجى وأخذت فى يدها قنطارية وسارت والرجال العشرة
حولها وهى زى البطارقة (قال الراوى) ياسادة ولما أن نظرت نورى إلى فعل ابنتها عذيبه
احتاجت ان تتبع رأيها وتطاوعها على فعلها فرحا عليها فركبت وسارت معها وقد خرجوا
من العسكر وهو عسكر الاسلام هذا وقد أبعدت بهم عذيبه فى البر وقد رأوا انهم يأتوا من
أطراف خيام الروم حتى لا يفطن بهم أحد من الناس (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء
(وأما ما كان) من الملك شمخولص فانه فى تلك الليلة قد أوصى سائر البطارقة بأخذ الاهبه
للحرب والقتال هذا وعقبه مطروح فى مضربه وقد أيقن بعطبه وهو يئن من شدة الالم هذا
وقد سمعت ابنته عقبيه بخبره وماقد جرى له فنزلت من القلعة وأتت إليه ولما أن نظرت الى
حاله جعلت تبكى بين يديه وقد أخذته فى حضنها وجعلت تقبله بين عينيه وتلطم عند رأسه
وعند رجليه على ماجرى عليه (قال الراوى) هذا وقد سمع الملك بنزول عقبيه بنت عقبه من
القلعة وأتت إلى عند أبيها وقد سمع بما فعلت وما جرى لها من الحزن وما نزل عليها فندم
على مافعل به وقام فى جماعة من خواصه ودخل على عقبه وجعل يعتذر إليه ويقول يا أبونا
اجعلنى فى حل مما فعلت معك واسأل المسيح ان لا يؤاخذنى لأنى عند غيظى ما أرجع أبصر
ما بين يدى ولا ما قدامى أبدا ولا أبصر شىء ولا يبقى لى عقل فقالت له عقبيه وحق المسيح
لالقيت خير ولا تشفع فيك راهب كنيسة ولا دير لأنك قد بعت آخرتك بدنياك واتبعت فى
هذا الشيخ نفسك وهواك واليوم لو كنت انا حاضرة هذا الامر لقد دبرت على هلاك المسلمين
ولو أن أبى واختى ماهو راضى عليك لكان هذا فى هذه الليلة يكون كسر هذه العساكر كلها
(قال الراوى) فما تمت كلامها حتى فتح عقبة عينه الصحيحة وقال لها يابنيه أنا أسألك بحق
المسيح وبحق شيبتى عليكى ان أنا مت فما عليكى وصية إلا أذية المسلمين والمجاهدة فيهم بكاملها
تقدرين عليه وأما هذا الملك فقد غفرت له ما كان لأنه من خيار عباد الصلبان ولو قطع من لحمى
كل يوم قطعة وهبت له ذنبه وكلما كان منه وأما المسلمين فلو أنهم فعلوا معى من الجميل ما فعلوا
ما أرحم أحدا لا أبيض ولا اسود ولا غفرت لهم ولو قبلوا أسافل رجلى والساعة يا ابنتى بحياتى

عليكى ان كنتى تقدرى على ضررهم فافعلى وطيبى قلبى بذلك من قبل أن أشرب كاس المهالك وان قدرتى على البطال لاتبقى عليه أبدا وكذلك ذات الهمة فقالت له عقبية سوف ترى ياأبتاه ماأفعل بهم واعلم أن بك يتم لى عليهم العمل ثم قامت الملعونة من وقتها وساعتها شدت على بعض بغال الملك وشالت أبوها عليه وقد لبست فى زى مكارية الروم وأمرت الملك أن يرسل معها ألف فارس من خيار بطارقته وقالت له اعلم أيها الملك ان وقع فى يدى الليلة أحد من المسلمين حملته إلى قلعة السها ويكونوا عندى أسارى حتى يهدى أبى من مرضه ويفعل بهم مايريد وانى أريد منكم أن تكونوا على أهبة وان توصى مقدمين العساكر انهم لاينامو وإذا أتاك الخبر منى فاكبس عساكر المسلمين فانى أكون فى ذلك الوقت أخذت أمراءهم مثل ماأخذت الأميرة ذات الهمة وأمراءهم وملكت ساداتهم فتكبسهم انت على أثر ذلك فما أصبح الصباح ويبقى منهم ديار ولا نافخ نار فقال لها الملك وان قدرتى انت على هذا الرجل الأسود الذى قتل أولادى فاتينى به حتى أشفى منه فؤادى فقالت له السمع والطاعة أول ما آتيك به أسير (قال الراوى) ثم انها بعد ذلك سارت تطلب عسكر الأمير عبد الوهاب وقصدت إلى سرادقه وقد استدلت عليه بالنار بعد ماانفذت البطارقة إلى مكان تعرفه وأمرتهم أن يكونوا بعيدا من العسكرين وسارت الكافرة الملعونة مثل الشيطان والشيطانة بنت ابليس وكان الأمير عبد الوهاب فى تلك الليلة جالس فى مضربه والدلمان عنده فى جماعة من الفرسان وهم حواليه وهو يقول لهم والله انى مشتاق إلى أخبار أمى وولدى ظالم وكنت أشتهى أن أسمع ماجرى لهم (قال الراوى) فبينما هم مع بعضهم فى الكلام وعقبية قد وصلت إليهم وعلى الأمير دخلت وسلمت عليه ووضعت أبوها بين يديه وقد بهتوا منها عصابة الاسلام وقالت للأمير عبد الوهاب يامولاى تسلم هذا الشيخ الكافر الكذاب نسل الحرام ثم عاونى على خلاص الأحباب فقال الأمير عبد الوهاب فمن أنتى من الأنام فقالت أنا عقبية وهذا والدى عقبة واعلم أنه جرى لنا أمور عجيبة ياابن الكرام (قال الراوى) فلما أن سمع الأمير منها ذلك الكلام تعجب غاية العجب وقال لها أطلعينى على هذا الحال وجميع الأمور وفسرى على هذا الكلام فقالت له اعلم يامولاى أن ولدك الأمير ظالم دخل خلف الأميرة ذات الهمة إلى هذه الديار وكانت أمك فى قبضة هذا الشيخ الغدار فالتجأ بها إلى هذه القلعة وان ولدك الأمير ظالم أقام عليها وحاصرها وكان فيها قليل من الروم والملك قليل الرأى والتدبير ولم يزل الأمير ظالم حتى أخذ القلعة وخلص ستة الاميرة ذات الهمة ووقعنا نحن فى يده أسارى أنا وأختى وعمتى وهرب أبى وصاحب القلعة من باب البحر وكان أبى عذب والدتك عذابا شديدا فأخرجوا غبتهم فينا ثم انهم قدموا عمتى عاقبة وذبحوها بعد أن أعرضوا عليها الاسلا

تأبت ذلك وكذلك أختى عقيبة فلما أن قدمونى أنا فتح الله لى باب الهدى وقد آمنت بالعلى الاعلى وكان سبب ذلك ولدك ظالم لانى نظرته نظرة صابت فؤادى وقد منعتنى رقادى. فأسلمت حتى انى أتزوج به وأمك الاميرة هى التى أوعدتنى بذلك يامولاى وما أقاموا الامراء بعد هروب والدى غير عشرة أيام فى القلعة بقدر ماأخذوا لهم راحة واخرجوا من القلعة الاموال والرحال وقد عولوا على الرحيل إلى بلاد الاسلام (قال الراوى) فبينما هم معولين على الارتحال وإذا بالبحر قد استد بالمراكب وهى موسوقة بالرجال والبر قد امتلأ بالمواكب وخلق لاتحصى بعدد الرمل والحصى وكان سبب ذلك أبى لانه دخل إلى الجزائر ونفر مافيها من العساكر وقد حث هذا الملك على الغزو إلى بلاد الاسلام وخرج فى هذه الخلائق العظيمة التى لاتحصى فوجدا أبى قد ملك عليهم باب القلعة فى خلق كثير من البطارقة والعلوج المارقة فلما أن نظروا الامراء إلى هذا العسكر الكثير فبذلوا المجهود وقاتلوا قتالا يشيب منه المولود وقد سلموا أمورهم للملك المعبود وهو الحى القيوم الموجود وأما الاميرة ذات الهمة والدتك فانها أدركت لابى هذا الكافر وقد اشتد منها عليه الحنق والغضب وضربته بسيفها طيرت يده من حد المرفق وهربوا الباقين الذين هم حجزوا بيننا وبين القلعة ودخلنا نحن إليها ولما أن حصلنا فى القلعة دام علينا الحصى وقد ضربوا الروم القلعة بالمنجنيقات ليلا ونهار وما زالوا على ذلك الحال حتى وقعت منها الابراج كلها والابدان وملكونا عبدة الصلبان وأخذ أبى بتاره من السودان الانجاب ووقعت أنا فى يده وكان علم باسلامى فواضب على بالعذاب. حتى اننى أشرفت على الهلاك والذهاب فمن شدة ماجرى على تلافيت قلبه وضحكت على لحيته وقلت له ياأبتاه لاتؤاخذنى بما كان منى واعلم أن المسلمين قد لعبوا بعقلى حتى خرجت من دينى وها أنا الآن بين يديك تائبة إلى المسيح مما كان منى إليك فلما أن سمع أبى منى هذا المقال فرح وما أخذ منى مقالى على بال ثم انه قال لى كلى لحم الخنزير وكان معه شومدرس اللعين فما فيهم إلا من سل سكينه على وهددونى بالقتل فأكلت منه وقد فعلت ماأمرنى به أبى. وقلت فى قلبى قد علم الله نيتى والاعمال كلها بالنية وانى مافعلت هذا الامر إلا من غير اختيارى أيها الامير وانى لما فعلت ذلك عاد قلب أبى صفالى وقد كنت أنا وإياه فى دار مفرده وكان فى كل ليلة يعذب أصحابكم ويشرب الخمر حتى يقع من السكر مثل القتيل وأنا فؤادى يتقطع مما أرى ومايمضى ليلة إلا وأهم أن أذبحه وما زلت على ذلك الحال حتى وصلتم فى هذه الايام. وسمعت بكم فلما ان علمت ذلك وأيقنت ببلوغ الآمال وقلت اننى أهرب وأسير إلى عند اخوتى المسلمين وأقيم عندهم إلى أن ينكسروا هؤلاء العساكر الذين للكافرين وينالون المسلمين من الله الظفر والنصر إلا أننى قد خفت منكم انكم ماتصدقونى فى إسلامى لاجل مافى.

قلوبكم من الحرارات ثم ان ابى قد شرب فى هذه الليلة حتى سكر فقمت إليه من حنق عليه ثم مسكته من ذقنه وخنقته حتى حسيت بنفسه يتردد ورأيت الخمر وقد طلع من حلقه فقلت لنفسى مالى إلا أن أحمله إلى الامير عبد الوهاب وأعرفه بما جرى من الامور والاسباب فخفت أنه يفيق فى الطريق ويلق على النفير فسليت هذا البغل وفتحت الباب وخرجت فى هذا الليل وقدمت على هذه الاهوال إلى أن وصلت إليك وحصلت بين يديك فدبر شيء يعود نفعه عليك واعلم يامولاى أن لو كان معى جسارة كنت خلصت جميع الاسارى من القلعة ولكن خفت أن يفطن بى أحد فأهلك والآن فباب القلعة مفتوح وهو مردود فليقوم الآن بعضكم وقد خلصوا الأسارى من القيود (قال الراوى) فلما أن سمع الأمير عبد الوهاب من عقبية هذا الخطاب ورأى عقبة وهو فى تلك الأحوال فقال لمن حوله هذا والله شيء لم يكن لنا فى حساب الذى فتح الله عن قلب هذه الجارية قفل الشرك وهداها للاسلام والساعة مابقى فى الأمر الا أننا نسير معها إلى القلعة ونخلص أصحابنا مادام أن باب القلعة مفتوح ونعود إن شاء الله تعالى قبل الصباح ثم ان بنت عقبة وثبت وأيضا وثب الأمير عبد الوهاب هو والملمان وولده ضيغم وتمام العشرة من الفرسان وشدوا عليهم السلاح وعزموا على الرواح فقالت عقبية يامولاى لاتسيروا إلا رجالة فى زى مكاريه الروم وأنا آخذكم من الطريق الذى جئت منها حتى يكون ذلك أخفى لكم ولأموركم ونكتم سركم فقبلوا رأيها وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا هذا وعقبية بين أيديهم سائرة حتى خرجت بهم من العسكر وطلبت بهم الوادى الذى فيه الروم مكمنين وكانوا هناك الكمنا قاطنين وقد مضى عند ذلك أكثر الليل وهم سائرين وما أحسوا بنفوسهم إلا وهم فى وسط الأعداء كلهم واقعين فصاحت عقبية فى البطارقة وقالت لهم خذوهم فتبادروا عند ذلك إلى المسلمين من كل جانب ومكان وقد جردوا عليهم القواضب هذا ولما أن رأت الأمراء إلى ذلك فردوا أيديهم إلى قوائم السيوف فما لحقوا أن يسلوها حتى وقعوا عليهم البطارقة والعلوج المارقة وصاحوا على الأمير عبد الوهاب وعلى من معه من الاصحاب وتزاعقوا وقبضوهم قبضا باليد وقد وقعت بهم الدهشة وجرح بعضهم (قال الراوى) ولما أن تمكنت عقبية منهم صاحت عليهم وقالت لهم كيف رأيتم هذه الحيلة والمكيدة التى فعلتها بكم ياشياطين الارض وحق المسيح ابن مريم لاصلبنكم كلكم الا مع أصحابكم ثم انها أخذتهم وشدتهم على ظهور الخيل وسارت بهم عرضا وقد أخذت معها من البطارقة عشرة وأرسلت الباقين إلى الملك ثم انها قالت لهم عرفوا الملك بما قد جرى وقولوا له ان يكبس المسلمين الليلة والدنيا خامدة فما عندهم من يخشاه واخبروه بأن أبى مطروح فى سرادق الامير عبد الوهاب فلا يكون لكم قصد الا خلاص الشيخ

النجيح وها أنا ماضية بهؤلاء الاسارى إلى القلعة وأحبسهم فيها إلى أن تنفصلوا من هذا القتال ويخلص أبى ويتعافا من هذا الامر ثم نفعل ماتريد كما جرى الشرط بيننا ثم سارت الملعونة وهى تضحك طالبة إلى القلعة من خلف عسكر الروم والافرنج والامراء حائرين من فعالها وقد خافوا على عسكر المسلمين هذا والامير عبد الوهاب يقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ويقولون والله ماسبق هذه الملعونة أحدا فى فعالها هذا وقد غلبت أبوها عقبة فى أفعالها (قال الراوى) هذا ماكان منها (وأما ما كان) من البطارقة الذين هم كانوا مكمنين لما أن فارقوها ساروا إلى الملك وأخبروه بما تم لهم من الاحوال وكيف قبضوا على الامير عبد الوهاب وذلك العبد الاسود الذى قتل أولاده المسمى باللملمان ومافعلت بنت الشيخ النجيح عقبه من الفعال وكيف قبضت على الاميرعبد الوهاب واللملمان فطار عقل الملك من الفرح وقد زال عن قلبه الترح وقال وحق الصليب ودير المحمه والقليب ماهذه الجاريه وابوها الارحمة فى الأرض من قبل المسيح وقد جعلهم لامته مساعدين ثم أنه أمر النقباء أن يدوروا على الملوك وان يأمروا ما تحت أيديهم من عساكر الروم كلها أن يركبوا ويكبسوا عساكر المسلمين وسارت النقباء وقد داروا على الملوك ومقدمين العساكر وامروهم بما قال الملك شمخولص من المقال فلما أن سمعوا العسكر بأمر الكبسة على عساكر المسلمين فركبوا الخيل فى ظلام الليل وقد ماجت عساكر الروم شرقا وغربا فلما سمعوا عساكر المسلمين الضجة فنادوا إلى بعضهم البعض لأن الامير عبدالوهاب كان قدأوصاهم قبل رواحه مع عقبيه أن يكونوا على أهبة منهم (قال الراوى) فلماأن سمعوا تلك الضجة قالوا لبعضهم البعض ياقوم تأهبوا الحرب ولاشك أن الروم يريدوا أن يكبسونا فى ظلام الليل وماأخوفنا أن هذه الفعلة التى قد فعلتها بنت عقبه تكون حيلة منها وقد تمت حيلتها على الأمير عبدالوهاب ومن معه من الاصحاب فصاح فيهم الامير على بن مبارك وكان أفرس بنى كلاب واكثرهم دين وخوف من رب العالمين وقال لهم يابنى الاعمام حاموا عن دينكم واحموا نفوسكم وقاتلوا فى طاعة ربكم واعلموا أنكم غربا فى هذه الديار ومالكم أنصار ولامعين سوى الملك الجبار الواحد القهار فهو الذى ينصركم على عصبة الكفار فلا تحدثوا أنفسكم بالهرب والفرار فتهلكوا كلكم ويقضى عليكم الملك الجبار فاثبتوا ولاتبيعوا الجنة باطباق النار واعلموا أن مالكم من الهرب والذهاب من سبيل ولا كل من هرب منكم يجد له من حياض الموت مقيل ولا ينفعه الفرار ولايسلم اذا طلب الديار لأن الديار بعيدة ولا أحدا معه علف ولازاد فالله فى الجهاد خالص مخلص (قال الراوى) ولم يزل الامير على الكلابى يوعظهم بهذا الوعظ حتى تواثبوا إلى ظهور الخيل بنيات صادقة

وقلوب إلى الجهاد شائقة وماهم الا أن ركبوا وخرجوا من الخيام حتى دهمتهم مواكب اللئام وانطبق عليهم من كل جانب ومكان وتدفقت عساكر الكفار مثل موجات البحر الذخار وطلع الغبار حتى زاد الليل سواد واعتكار وأخذوا الروم عليهم سائر الطرقات وارتفعت الضجات وعملت المرهفات وعظمت البليات وتباشرت المجاهدين بالجنات هذا وقد زادت الغبائر من شدة الظلمات المرتفعات وطال على الناس الليل وكثر البكاء والويل فكانوا كما قال فيهم بعض واصفيهم هذه الابيات

ليل يشيب من هوله الشباب وشجاعه لايهتدى لضرابه
وترى رؤس رجاله قد نثرت فوق الثرى. ودماءهم كسحاب
والسيف يعمل والرماح سوارع والخيل تشكو شدة وعذاب
هذا وقد ضرب الغبار عليهم من فوق رؤس الكل مثل ضباب
هذا يئن من الجراح ويشتكى بعد الديار وفرقة الاحباب
ورفيقه يبكى على أولاده ودماؤه سالت على الاثواب
ولهم صياح قد علا وتنافرت من عظم صرختهم اسود الغاب
والمسلمون نفوسهم مسرورة قد نالوا الحسنات بغير حساب
يدعون عند الحرب يال محمد كى تعرف الاصحاب للاصحاب
والمشركون قسوسهم فى غفلة تتلو من الانجيل غير صواب
يدعون مريم والمسيح ويكثروا اشراكهم بالواحد الوهاب
والكل ينتظروا الصياح وبينهم طعنا يشيب رأس كل شباب
والله ينصر من يشاء بفضله من عصبة المختار والتواب

(قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى مضى الليل الحالك وأقبل الصبح الضاحك وقد حققت الحقائق وبانت العوائق من الطوارق فما أصبح الصبح إلا والمسلمين فى نزع لاجل مالاقوا من شدة الفزع وقد تقهقر البطل الشجاع لما انخذل منه الساعد والذراع وصارت الارواح فى سوق الهوان تباع وكان السيف شارى والرمح يباع فصار هذا للضراب وهذا للاندفاع وتكركبت فى ذلك البقاع وقتل كل بطل وضاع وكثر الجراح فى الشجاع ولا بقى به انتفاع هذا وقدموا الروم إلى المسلمين وارموهم إلى الخيام وقد قلت منهم الحركات وأيقنوا بالشتات وضاقت فى أعينهم الفوات ولاقوا الويل من الثبات وقد أرادوا الانفلات (قال الراوى) فبينما المسلمين فى أضيق الحالات واذا هم بأصوات من خاف عساكر الروم مختلفات

ومرتفعات وفرسان قد أقبلت مثل السباع الضاريات وكانوا لما أن وصلوا إلى موكب الملك شمخولص كبروا وحملوا وأشهروا السيوف ونزلوا بها على الكفار والوقوف وقد طعنوا برماحهم فى القلوب والصدور وقد طعن واحد منهم صاحب العلم الكبير فاقلبه وصاح آخر فى الملك شمخولص فأرعبه وقد فرقوا البطارقة من حول موكبه وضربه بلت حديد كان معه فكركبه عن موكبه وقد وقعت عند ذلك الدهشة فى الروم وانفرجت الغمة عن حزب الحى القيوم لان البطارقة قد لذوا المسلمين إلى الخيام ولما أن سمعوا الزعقات عادوا على الاعقاب وعاشت منهم الارواح الذى هم بنى كلاب والسودان الانجاب لما أن عادوا الروم عنهم وهم على مثل ذلك الحال وقد تبعوا الروم بضرب يقد وطعن يهد الاصلاب ذلك اليوم ويشيب من هوله الشباب وقد صاروا يضربون الروم ويصنتون للأصوات التى قدخرجت على الروم وزاحت عنهم هذه البليات وإذا بها مرتفعات بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وفى جملتها الامير عبد الوهاب سيدبنى كلاب وفى جملة الاصوات صوت الاميرة ذات الهمة والامير ظالم وأخوه ضيغم وأبوا محمد البطال ومن معهم من الاصحاب وقد نكسوا الاعلام والصلبان وشرعوا فى قتل طوائف الطغيان الكافرين بالرحمن (قال الراوى) ياسادة وكان السبب فى ذلك الامر والشان وهوأن الاميرعبدالوهاب لما أن تم عليه وعلى أصحابه ماتم من حيلة عقبية بنت عقبة وأخذتهم وسارت طالبة القلعة بعد ما أرسلت إلى الملك شمخولص تعلمه أن يكبس المسلمين وسارت لما أن أشرفت على القلعة فرأت بين يديها أشباح وحس خيل سائرين فأسرعت عقبية إليهم وقد سألتهم عن حالهم بعد أن وصلت إليهم وقربت منهم فقال لها واحد منهم نحن أرسلنا الملك ندور من حول القلعة احترازا على من فيها من المسلمين لايهربوا لانه قدعرف أشغالهم وعاين أعمالهم فقالت له عقبية دع الملك يفرغ قلبه من هذا الوجه فقد وقعوا المسلمين مع من لايرحمهم ولايتوانا عنهم وها أنا قد أتيت بباقى أمراءهم وساداتهم فقال لها المتكلم ومن أنتى فقالت له أنا عقبية بنت عقبة وقد احتلت على أمراء المسلمين وهم عبد الوهاب وولده وعشرة من باقى أصحابه فاقصدوا معى إلى القلعة حتى ترون الليلة مايحل بهم من العذاب (قال الراوى) فلما سمعوا الفوارس منها ذلك الكلام تفرقوا ثلاث فرق وما فيهم من صاح ولا نطق بل طعن كل واحد منهم بطريق من الروم فارداه هذا والمقدم عليهم قد طعن عقبية فى صدرها أخرج السنان يلمع من ظهرها ولما أن هلكوا البطارقة تقدموا إلى الأمراء وحلوهم من الحديد والكتاف (قال الراوى) وكان الذى فعل هذا الفعال كله بنت الامير أبو محمد البطال

ومعها تمام العشرة أبطال كما ذكرنا وكانت لما أن خرجت من عساكر المسلمين أتت بهم حتى تتسبب فى خلاص أبيها فاتفق لها هذا الاتفاق وجرى لها ماجرى وحلت الامراء من الوثاق هذا كله يجرى والامير عبد الوهاب حائر من هذه الاسباب حتى دنت الملكة نورى من الامير وعرفته بالحال وقد أخبرته بفعال عذيبة بنت البطال فعند ذلك شكر الملك المتعال على هذه الاحوال وقال من يكون أبوه البطال وأمه نورى بنت عين المسيح مايخيب فيهما يفعله من الاشغال ثم ان الامير عبد الوهاب عول أن يعود إلى عسكر الروم حتى ينظر مايكون منهم لايكونوا قدعولوا على كبس المسلمين فقالت لاوحق محمد بن عبد الله لانعود حتى نطلع إلى القلعة ونخلص أبى الامير أبو محمد البطال ومن معه من الرجال فقال لها الامير عبد الوهاب وكيف تقدرين على هذا الحال وكيف تصعدين إلى هذه القلعة فقالت له سوف ترى العجب منى أيها الامير (قال الراوى) ياسادة ثم ان عذيبه أخذتهم وسارت بعد أن ألبستهم الثياب الذى كانوا على البطارقة ولبست هى الثياب التى كانت على عقبية ثم انها بعد ذلك سارت وخلفها عشرين فارس من أهل الايمان والجميع فى زى الروم وعليهم لبس ملة أهل دين الصلبان وقلوبهم ملآنه إيمان (قال الراوى) وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى القلعة ولما ان صاروا عند الباب نادت عذيبه بالحراس والبوابين وقد قالت لهم بالرومية ويلكم أمروا البوابين أن يفتحوا الباب فأنا عقبية بنت عقبة الشيخ النجيح ثم وقفت ساعة وإذا بالباب قدفتح وخرجوا أهل القلعة إلى استقبالهم فدخلت عذيبه وأدخلت الامراء من خلفها ولما أن صاروا من داخل الباب جذبت عذيبه عنان فرسها وقالت للروم ائتونى بهؤلاء المسلمين الذين هم عندكم محبوسين لأن الملك قد عول فى هذه الليلة على ضرب رقابهم وعند الصباح نرمى برؤسهم إلى أصحابهم وكل هذا برأى عقبة أبى حتى يهد ركن الموحدين أعداء الدين (قال) فلما أن سمعوا البطارقة ماقالت عذيبه فرحوا الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد وقد تبادروا إلى المطمورة من وقتهم وساعتهم وأخرجوا الامراء منها وقد ساقوا من تبقى من العرب والسودان وأتوا الجميع قدام عذيبة هذا والمشاعل تقد فنظروا الاحباب إلى الاحباب وقد تحرك ما فى القلوب من الاشتياق والاكتئاب فعند ذلك قامت عذيبة إلى أبيها البطال وجعلت تفرك أذنه وتقول له بالروميه ويلك ياقرد المسلمين كم تقدم إلى ضرب الرقبه والصلب وتخلص ويؤخر المسيح فى أجلك هاقددنا غورانك وخراب ديارك هذه الذى كنت فيها وعند الصباح تنقطع آثارك وترمى رأسك مع جملة الرؤس إلى هذا العسكر الذى قد دخل يريد خلاصكم ثم انها لطمت رأسه فاغتاظ البطال من فعالها وقال لها والله ياخائنة يافضلة الرهبان وبنت ألف قرنان لئن أخر الله فى أجلى لاريكى ماأفعل بكى وكيف يكون العذاب فلما سمع الامير عبد الوهاب

من البطال هذا الخطاب ضحك من هذه الامور والاسباب وماجرى فى هـذا المكان ثم ان عذيبة قد صاحت عند ذلك فى البطارقة الذين فى القلعة وقالت لهم ياويلكم علقوا سيوفكم فى رقاب هؤلاء المسلمين ثم سوقوهم قدامكم بالعصى والحراب حتى يشتفى منهم عند الصباح قلب الملك شمخواص وهم فى العذاب ففعلوا البطارقة ماقالت لهم عذيبة عليه وقد شالوا السيوف من رقابهم ووضعوها فى رقاب المسلمين وقادوا بها المأسورين فعندها نادت عذيبة فى الامراء وقالت لهم دونكم وهؤلاء الملاعين الكفار وطيروا رؤسهم بالسيف البتار فعند ذلك تواثبوا الامراء كأنهم الاسود ووقعوا فى أهل الكفر والجحود وقد كبروا وذكروا اسم الملك المعبود الذى ليس له ولد ولا مولود خالق الخلق ومدبر الوجود الذى أنبع الماء من الحجر الجلمود (قال الراوى) هذا وعذيبة قد صارت تحل كتافات المأسورين واحد بعد واحد وتقول لمن تخلصه جرد سيفك الذى أنت مقلده فى رقبتك ودونك والروم الكفار ولم تزل تطلق المأسورين حتى أتت إلى آخرهم وكانت الاميرة ذات الهمه والامير ظالم وأبو سكران والعرب كلهم والسودان وأبوها الامير أبو محمد البطال واخوتها مذبحون والحصين وقد اجتمعت نورى بزوجها البطال وقد تشاكيا من ألم الفراق هـذا والامراء فى القتال كلهم إلا البطال ما قاتل لأنه صار مع نورى فى الكلام وما زالوا كذلك إلا ان كان وقت السحر فهديت حركات أهل الحصن وظهرت السخطه على روح من كفر بالله ولما أن فرغوا من هـذه الامور عادوا الامراء والمسلمين جميعهم مستبشرين بالنصر والظفر على من كفر هذا والاميره ذات الهمه تقبل ولدها عبد الوهاب وتقول له سبحان من جمعنا بعد طول البعاد وقد جرى علينا فى هذه النوبه مايشيب رؤس الشباب ثم انها عرفته بما جرى عليهم وعلى من قتل من بنى كلاب والسودان (قال) وما كان من الكل افرح من الامير أبو محمد البطال بابنته عذيبة فجعل يقبلها ويقول لها متى تعلمتى هذا الاحتيال ومن علمك بفرك آذان أبوكى البطال هذا ونورى تضحك من هذا الكلام وهو يقول انتى وأمك تغلبى البطال هذا ونورى تحدثه بما كانت عذيبة ابنته تفعله فى بلاد الحجاز (قال الراوى) ولما أن تمت لهم هذه الأفراح قال لهم الامير عبد الوهاب سيروا بنا من قبل أن يحدث حادث على أصحابنا من الكفار لأنهم قد بقوا كالغنم بلا راعى ثم انهم ركبوا وركبت السودان والاميره ذات الهمه والامير ظالم وباقى العربان ونزلوا من القلعة على الخيول مثل العقبان وقد ساروا بقلوب قد امتلأت بالفرح وكان إشرافهم على العسكر وقت بداة غرة الصباح فرؤا مواكب الروم قد لزوا بنى كلاب إلى الخيام والاطناب والسيف يعمل فيمن دنا أجله ويعمل فيهم وهم يستغيثون إلى رب الارباب ومعتق الرقاب (قال الراوى) ولما أن نظر الامير عبدالوهاب ذلك كشف رأسه

ونادى الله أكبر وهللوا وراء المجاهدين وقالوا هلكوا والله المجاهدين وتحكموا فيهم الكافرين قدونكم أتم وموا كب الملك نقتله ونكشف عن أصحابنا هذه الغمة ثم حمل الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة وحملوا كل المجاهدين فى طاعة رب العالمين وقتلوا الملك شمخو لص واهلكوا صاحب العلم وانهزموا ولما أن نظرت الروم إلى ذلك خرجوا من الخيام وقد انفرجت الكربه وتبعوهم المسلمين إلى الخيام بالضرب هذا وقد أخذت الروم الدهشة وغلت ايديهم وانكسروا من كل جانب ومكان واعان الله أهل الايمان على الكفره أهل الطغيان (قال الراوى) وكان للملك شمخولص أخ يقال له فدعيلص وانه لما أن رأى إلى هزيمة العسكر خاف على مملكته من بعض الملوك ان يسبق ويملك عليه الجزيرة التى هى أعز هـــذا الاقليم فسار فى نصف العسكر يطلب حصن القمر وترك الخيام والمال والرجال والاثقال وكلما كان لأخيه وايضا خيامه وسار وترك السيف يعمل فيمن بقى من الروم ولم يزل القتال بعد هزيمة أخو الملك عمال إلى وقت الظلام هـــذا وقد ملكوا المسلمين الخيام والسرادقات كلها وقد خلت الأرض من الكفرة اللئام هذا وقلب الأمير عبد الوهاب على القاضى عقبة ملآن ولا يدرى ما كان منه وقد ذكرنا أنه كان فى خيمة الأمير عبد الوهاب وهو ملقى على ظهره وهو يئن من قطع خصاه فلما ان رأى ذلك الحال شد روحه وقام على حيله وحمل نفسه وعزم على الرواح والهرب خوفا على نفسه من العطب فرأى عساكر الروم قد هلكت ولا أحدا يعقل على أحد وقد طلب كل واحد هواه ولما أن رأى عقبة إلى ذلك قال فى نفسه أين تروح ان هربت ماأقدر على الهروب وربما يصدمنى بعض الخيل فيقتلنى ومالى قوة ان ادفع عن نفسى ومافى الأمر إلا أن أعود إلى المكان الذى كنت فيه واقعد موضعى فى المغرب وأقيم فيه حتى يملكون المسلمين هذه الأرض وأعود أتخلص بعد القتال على أعقاب النهار كما أحب وأختار ثم انه عاد إلى المضرب الذى كان فيه وقعد والناس مشتغلين عنه بالقتال والحرب والنزال ولما أن انصرفت العساكر وتم الحال عاد الأمير عبد الوهاب إلى المضرب فوجد القاضى عقبة قاعد مكانه وهو خائف من العطب ففرح وقال والله لقد حرت فى قصة هذا الملعون وان قتلناه فهذا مالا يكون وها نحن بلغنا المنى فقالت له الأميرة يا ولدى ولم لا تسير إلى بلد القسطنطونية فى طلب الجهاد ونبلغ من صلب هذا الملعون المراد فقال لهم أبو محمد البطال هذا هو المراد وهو رأى صواب ونصلبه ونعود إلى أرض الحجاز ونقيم حتى تفنى منا الأعمار ويدركنا الموت الذى حكم به الملك الجبار ويفعل الله مايشاء ويختار (قال الراوى) فلما أن سمع الامير عبد الوهاب من البطال ذلك المقال أمر العساكر بأخذ الاهبة للرحيل بعد ثلاثة أيام ولما ان لموا الاسلاب والعدد المبددة ولموا الخيل المشاردة وقد واروا القتلا الممددة

الراقدة وبعد انقضاء المدة أمر الامير بالرحيل وسارت وسار الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة وبنى كلاب والسودان الانجاب بعد أن حملوا جميع من كان هناك هذا وأبو محمد قد شد الملعون عقبة على بعض الخيل وقد تعاهده بالمأكول والمشروب ووطى تحته من اللبابيد حرصا عليه منهم ان يبلغوا منه المطلوب وتذهب عنهم البؤس والمضره والكروب .

(قال الراوى) ولم يزل الامير عبد الوهاب يقطع المراحل ويطوى المنازل إلى أن بقى بينه وبين القسطنطونية يومين أو ثلاثة فجعلوا أهل الرساتيق والبلاد يجفلون من هذه العساكر القادمة عليهم إلى أن وصلوا إلى الملك الفالوغص وأخبروه بالخبر وقالوا له ان الامير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وعساكر الاسلام علينا قد ظهروا من أقليم قلعة السها وقد سمعنا ان الشيخ النجيح معهم مقطوع اليد والخصا وقد أتوا به إلى ههنا ليصلبوه على باب الذهب

(قال الراوى) فلما أن سمع منهم الملك الفالوغص قامت عليه القيامة على ماحل بعقبة شيخ الضلالة وقال وحق المسيح قتل الشيخ النجيح فى هذه الايام ثم نادى فى جميع الروم بجميع العساكر فاجتمعوا وخرجوا فى عالم عظيم وقد ركبت سائر ملوك الاقاليم وركب غيلان الشوك المنحوس فى سودانه الذين تنصروا معه وقد تنعموا وكذلك غيلان الشوك قد سمن وغلظ إلى أن بقى فى قدره الاول ثلاثة أمثال وصار كانه فيل أسود قدر ثلاثة من السودان الكبار وعرضت أكتافه وقويت أطرافه بمداومته على أكل لحم الخنزير وشرب الخمر العصير هذا وقد اجتمعت جميع الملوك والعساكر فى ذلك اليوم من القاع القريبة ومن السودان ومتنصرة العربان (قال الراوى) ولما أن كان من الغد ضحى النهار أشرفت عساكر الامير عبد الوهاب وما فيهم الامن فتح فاه وكبر وقال الله أكبر واجل واعظم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وقد رفعوا أصواتهم بالصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد البشر صلى الله عليه وسلم هذا ولما أن نظروا الكفار من الروم إلى ذلك العساكر القادمة فطلبوا النصر من المسيح فكادت الارض فى تلك الساعة من كثرة الضجيج أن تميل وتتمهد من ضجيج الطائفتين وركض الخيل والجبال كادت أن تنقلب من الصياح ومن صراخ العسكرين هذا والمسلمين قد وصلوا إلى قريب البلد ونزلوا وضربوا الخيام ولما أن رأى الملك الفالوغص إلى هذا الحال ورأى نزولهم عليه قال هذا جيد لنا دع يأخذون القتال حتى تأتى عساكرنا والابطال وتأتى إلينا النجدة من كل مكان هذا وقد قامت عساكر الاسلام فى الخيام ذلك اليوم حتى أنهم نالوا الراحة من التعب واستراحت الخيل من النصب ولما أن كان من الغد تارت الابطال للحرب وقد اشتاقت إلى القتال وحنت الخيل للمجال هذا وقد رجف قلب الجبان الخائف لما أن اصطفت الفرسان ورفعت الاعلام وجالت الخيل فى الميدان وقد ارتفع

القتام وقد حرضهم الامير عبد الوهاب على القتال وأحماهم بالكلام وجعل يقول هاها يابنى الاعمام جولوا فى هذه النوبة لله وجودوا الصدام فى سبيل الحى الذى لاينالم لعلكم تبلغوا من صلب عقبة المرام ويصدق فيه قول سيد الانام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام هنالك حملوا بنى كلاب بنيات صادقة صحاح القلوب وتوكلوا على علام الغيوب وأكثروا فى تلك الساعة التكبير والصياح ونادى البترك أيضا فى طوائف الروم وقال لهم بارك المسيح فيكم احملوا وخلصوا الشيخ النجيح وحاموا عنه وعن دينكم فقد طال ما كشف عنكم الشدائد ونصر الولد والوالد وان مكنتم المسلمين من صلب عقبة على باب الذهب يكون قد صدق عبد الوهاب فى منامه الذى قاله فان المسيح عليكم يغضب ويحشركم يوم القيامة مع المسلمين والعرب

(قال الراوى) فلما سمعت الروم كلام البترك حملت الطائفتين واختلطت المواكب بالمواكب وقد تمايلت الأبطال فى السروج وصار العرق بالدماء ممزوج وعز على الجبان الخروج وقد خيل للناظرين أن الدنيا ترتج من كثرة المواكب ولمعت الأسنة فى الغبار وحكم الصارم البتار واستوت فى تلك الساعة العبيد الأحرار ولم بقت تعرف المسلمين من الكفار إلا بالصلاة والسلام على المختار (قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل حتى صار آخر النهار وتضعضع جيش الكفار ولولا غيلان الشوك وسودانه لكانوا قد ولوا وهربوا إلى البلد إلا أن غيلان اللعين قد فتك فى المجاهدين الأخيار وسطا على أمة محمد المختار فبينما هو كذلك وهو يلعب بمهج الرجال والابطال ويمدد الرجال على الرمال إذ التقت به الاميرة ذات الهمة وهو يقاتل فى المسلمين وقد أعجبته نفسه فأشار ينشد ويقول :

أنا غيلان الشوك زاد سعدى ... وقد علا بين الانام مجدى
لا أرهب الابطال يوم حرب ... والناس تعرف ساعدى وزندى
أضرب بالسيف لكل مسلم ... ولا أبقى على من هد مجدى
وعبدت المسيح أنا وجندى ... من أولاد حام كرام الجدى

(قال الراوى) ولما أن سمعت الاميرة من غيلان هذا الشعر والنظام قالت له لعنك الله وقد رأته منكس الابطال ويضربهم بالحسام فعند ذلك صدمته وجعلت تقول :

تقضت مدتى وابيض رأسى ... وزالت قوتى وقل ضربى
ودب الضعف فى جسدى ولكن ... أجود بمهجتى فى كل صعب
لعل الله يرحمنى إذا ما ... هدت يوم الحروب ولقيت ربى
ومت شهيدة فى يوم حرب ... أو ألاقيه وأنا أبكى لذنبى
فدونك ترى منى عجوزا ... تجاهد فى العداة بغير عجب

(قال الراوى) ولما ان فرغت الاميره من شعرها حملت عليه وهاجته وألهته عن الفرسان وصدمته فلما ان رأى غيلان منها تلك الحملة المنكرة المريعة مافزع منها ولا خاف بل حمل عليها ومال بكليته إليها وكان الوقت قد ضاق على الابطال وأقبل المساء فصدمته الاميرة بقوتها وقوة جوادها صدمة جبار وألقته هلى ظهره فى عرصات الميدان وذلك القفار هذا وقد أدركه أبو سكران بطل السودان ونزل إليه وكتفه وأخذه أسير وهو ذليل حقير غائب الصواب من شدة الوقعة هذا وقد وقع على الروم بعد أسره التعتير لما أن رؤا غيلان الشوك أخذ أسير وعمل السيف فى الكبير والصغير وقد سمع للأوداج طنين ومن الادمية خرير واندقوا الروم هاربين وطلبوا الابواب مكسورين هذا والسودان فى أعقابهم وبنو كلاب يطعنوا فى الروم وصار الدم منهم يفور وضربوا سودان غيلان الشوك بالسيوف وقد أفنوا منهم ألوف وهلك أكثرهم وولوا مع الروم هاربين هذا والاخ لايعى على أخيه ولا الولد على أبيه وما زالوا يضربوا فيهم إلى وقت العصر وكان الملك الفالوغص قد عاد منهم يطلب أبواب القسطنطونية لما ان رأى ماحل به وبعساكر النصرانية فأدركه الامير عبد الوهاب وهو حائر لايقدر على الدخول من شدة الزحام وكان الامير اللملمان قد طعن صاحب العلم جندله فصاح الامير عبد الوهاب عند ذلك فى الملك الفالوغص فأذهله وطعن جواده فقتله فوقع الملك من على ظهره إلى الارض فأدركه اللملمان مقدم السودان فأخذه أسير وبعده عمل السيف فى الروم وقد فرحوا المسلمين بالنصر والظفر وعادوا وقد ملكوا المضارب والخيام (قال الراوى) فلما ان سمع عقبة بذلك الحال فأيقن بشرب كاس الحمام هذا وقد كان له ثلاثة أيام ماأكل فيها طعام ولاشراب وقد بقى مثل الخلال وكان له صبر على الجوع إذا وقع مع عصبة الاسلام هذا وقد كان البطال يتردد عليه ويتلطف به ويسقيه السكر والشراب من خوفه أن يموت من قبل صلبه وتبقى حسرة فى قلوب المسلمين إلى الابد وكان البطال كلما سقاه شيأ تقاياه إلى أن كان فى هذه الليلة وقد دخل عليه البطال فرآه يتقلب ويتكرب فأيقن البطال بهلاكه وقال له ماحالك أيها الشيخ ومالك تتلوى وقد خفت حسك وضعف جسدك وبرد نفسك وقد قرب صلبك فابشر واعلم أن مابقى من عمرك غير هذه الساعة لان الملك الفالوغص قد أسرناه وغيلان الشوك قد ملكناه وقد هلك فى هذه الليلة من الروم بعدد النجوم وها أنا فى هذه الساعه أنصب لك الخشبه فما تصبح إلا معلق فقال له عقبه بصوت ضعيف لايكاد أن يسمع ويلك يا بطال هذا تقوله لى حتى تغيظنى به وأنا ماأغتاظ من هذا لانى أعلم ان مدتى قد قربت وأيامى قد فنيت وأنت تعلم ان الانسان إذا قتل خصمه وقتل من بعده مايكون مغبون وأنا فقد قتلت من المسلمين ومن غيرهم من الامم مالا يعلمه إلا الله تعالى يا بطال وتدرت

الاقاليم وفتحت الامصار وقد تركت لى فى كل مكان آثار وأخربت بلاد العراق ألف مره وألقيتكم فى الاسر والعذاب كم كره وقد تركت لى ولكم حديث يتعجبون منه الناس من بعدى إذا سمعه من فى رأسه حكمه فيتأسفوا على بعد فقدى ولا يعتقدوا انى أميل إلى النصارى وأشد منهم ومن دينهم بل انى كنت ألعب بالدول آكل أموالهم حتى صرت مثل والآن فقد صح عندى ان الاديان نواعيس وأنا فقد أخذت لذة عمرى فى الأمر والنهى وقضيت فى المسره دهرى والساعه فعينى قد قلعت وأصابعى ويدى قد قطعت وأذانى قد جزعت وأضراسى قد وقعت وقد بليت فى آخر عمرى بهذا الملعون الذى أخصانى عند الكبر وقد صار لى من بعد هذا كله الموت راحة فكيف ماأردتم الآن افعلوا بى لان الروم ما يمكنوكم من ذلك وان فعلتم ذلك فان الروم تطلب تارى فلا يبقون منكم أحد ولا يقر لكم قرار لأجل ما يكون فى قلوبهم من النار وكذلك المعتصم وسائر المسلمين ومن أجل هذا كنت أظهر لهم الناموس والدين والشرع حتى تلعنكم جميع المسلمين وتكون الفتن بعد مماتى بينكم وبين المعتصم وسائر المسلمين وبين الروم وتمتلى وجه الأرض عليكم من الروم والمسلمين (قال الراوى) ان كان هذا الكلام كله يجرى من عقبه والبطال يسمعه ويتجسر ولا يقدر أن يلطمه لطمه واحده خوفا أن يهلك فخرج من عنده حتى يدبر فى أمر الخشبه الذى يصلب عليها عقبه وكيف يضعها وينصبها على باب الذهب ومافى المسلمين تلك الليله من نام من شدة الفرح الا باتوا سهاره وهم فى تسبيح وتقديس وتهليل وصلاة وسلام على البشير النذير إلى ان أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فطلع البطال على البرج الذى عمله قدام باب الذهب وترك الخشبة فى أعلاه وتقدمت الرماه وتواثبت الكماه وارتجت الفلاه وركب الامير عبدالوهاب وهو فرحان ببلوغ الآمال وتصديق المنام وكانت الروم فى ذلك اليوم على الاصوار وهم لا يقدرون أن يظهروا من ضرب النشاب لانه كان يأتيهم مثل المطر هذا والبطال فوق البرج والخشبة معه وقد قدموا الحبال وقال لغلمانه والسودان ائتونى بشيخ الضلال فاتوا السودان إلى مكانه ليأخذوه وكان ذلك الوقت وقت الغلس فما رأوه ورأوا المكان خالى مافيه انسان فعادوا وعليهم الانكسار وقد أعلموا الامير بهذه الاخبار فما منهم الا من التهب فؤاده بشعلة نار وتفرقوا فى سائر الاقطار وتفرقت بنى كلاب والسودان الانجاب وهى راكبة الخيل وقد داروا عليه البر والقفار وصاروا يطلبوا عقبه شيخ الفجار فما وقعوا له على آثار ولا سمعوا له أخبار

(قال الراوى) هذا وقد نزل البطال من على البرج وهو خجلان وقال الامير عبدالوهاب لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أقسم بالله لاصلبت مكانه إلا الملك الفالوغص وغيلان الشوك ثم ان الامير أمر باحضارهم فى عاجل الحال أحضروهم فلما ان رأى الفالوغص إلى

هذه الاحوال وقع على قدمى البطال وجعل يستجير به ويوعده بالاموال ويسأله أن يسأل فيه الامير عبد الوهاب لعله يقبل فيه سؤاله فقال له البطال على شرط انك تحلف لنا بالانجيل الطاهر وما فيه من التحريم والتحليل نناميى وقعنا بعقبه واتينا به تمكنا من صلبه على باب الذهب ولا تقاتل ولا تمانع لا أنت ولا سائر جيوشك ولا حواشيك ولا جيوش النصرانيه فقال الملك الفالوغص نعم أنا أحلف على ذلك (قال الراوى) فعند ذلك تقدم البطال إلى عند الامير عبد الوهاب بلطف وأشار اليه بأخذ المال وقال له إذا أحضرت الملك الفالوغص إلى بين يديك وسألتك فى الصلح فقول أنت ما أفعل إلا ان كان يبنى الجامع الذى بناه الامير مسلمه على أيام جدى الصحصاح لانى ياأمير كلما دخلت القسطنطونيه فأراه يتهدم منه ركن وقد انهدم وما بقى إلا الآثار وقد اندثر وما بقى إلا معالمه وقصدى أن أجدد الجامع واعيده مثل ما كان حتى لا ينقطع ذكر الامير الصحصاح ويكون لنا نحن فى تجديده تذكار فقال الامير عبد الوهاب وامه الاميره ذات الهمة هذا هو نعم الرأى الصواب ثم انهم اتفقوا على ذلك المقال فعند ذلك أحضروا الملك الفالوغص ولما أن حضر وقع ماذكرنا واعلموه بتلك الحاله فقال سمعا وطاعة وقد انتهى الامر فقال البطال ما بقى الساعة إلا أن تخرجوا لنا الرهبان حتى يأتونا بالرهاين لاجل ما نطلق الملك وغيلان ونقيم إلى أن نعمر الجامع وتقوم لنا بالمونه والعلوفات فعندها أنفذ الملك واحد من غلمانه مع جماعه من قسوسه ورهبانه إلى القسطنطونيه فأتوا منها بأربع آلاف صبى من أولاد الملوك ووجوه البطارقة وخواص أهل البلد كلهم بالمناطق الذهب والقراطق وهم مثل البدور الطوالع والشموس اللوامع هذا ولما أن حضروا وحصلوا تحت قبضة البطال حلف الملك يمين ثانى على ذلك الحال ووزن المال وانه لا يخون ولا يغدر بهم بعد هذه النوبه وأيضا حلفوا البترك وحلفوا غيلان الشوك الآخر ودخلوا بعد ذلك إلى القسطنطونية وجمعوا جميع المعلمين والصناع وأخرج الملك الاموال وأمر الصناع بالاستعجال (قال الراوى) هذا وقد دارت العماره وكان أول من عمل فى الجامع الملك بنفسه يومين كاملين والبترك استحرض الروم على العمل هذا وقد قامت عساكر الامير عبد الوهاب على باب القسطنطونيه شهرا كاملا والاقامات والعلوفات تخرج إليه حتى تعمر الجامع والمكان الذى حواليه وارتفع وقد عمل فيه منارة للآذان وأحضر الملك مالا عظيما له قدر وقيمة وفرقه على الصناع والمعلمين ولما انتجز الشغل وتم دخل البطال واشرف على الجامع والمحراب فرآه قد تعمر من بعدما كان خراب وقد أعجبه فأراد البطال أن يخرج مع الملك فقال له اعلم أن هـذه العماره ما تصلح لنا فقال الملك ايش مالها وما حالها وحق المسيح يا أبا محمد انها عمارة مليحة ما عمر مثلها فقال له البطال اعلم ان كان الجامع مبنى بالفضة والحجر

والقبله مبنيه بالذهب وان هذا ما هو الشرط الذى كان بيننا وما اتفقنا إلا أن نجعله بالفضة والذهب فقال له الملك وحق المسيح يا أبا محمد ان هذا القول كله جنان وان هذا القول عمرنا ماسمعناه ولو أرادوا ذلك وجمعوا كل فضة فى ارض القسطنطونية ماتكفى ربع هذا الجامع ونحن مانعرف الجوامع والاديره والبيع يعمروا إلا بالحجارة والتراب فقال له أبو محمد صدقت ولكن نحن ماشارطناكم الا أن يكون مبنى بالفضة وأن تكون القبلة ذهب واعلم أننا مانطلق أحدا من عندنا إلا بهذا الشرط وإلا ضربنا رقاب الرهبان وافجعنا كم فى الصبيان وتركنا تندب عليكم الآباء والامهات فقال له الملك لا بحق المسيح اضرب رقابنا ورقابهم الجميع ودعنا كلنا من هذا الامر نستريح ومن هذه العماره لأن مالنا بها من طاقة ولا غيرنا من سائر الملوك (قال الراوى) فبلغ الخبر إلى الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة وأمراء بنى كلاب فضحكوا من حديث البطال هذا وقد سمعوا أهل الصبيان الرهاين وآباءهم وامهاتهم ذلك فصلبوا على وجوههم وحملوا من الاموال على قدر اجتهادهم واقتدارهم واتوا به إلى عند البطال وقالوا له هذا ماملكت يدينا نخذه ثم أطلق لنا أولادنا فقال لهم البطال سوف أفعل ذلك ان شاء الله تعالى هذا وقد اتفقوا على أن الجامع يبقى على ماهو عليه إلا أن القبلة تهد وتبنى غير ذلك البناء وتتزخرف بالذهب ففعل الملك ذلك وقد جمع الملك السباكين والصياغ وعملوا القبلة كما أراد البطال ودخل الامير عبد الوهاب والاميره وسائر الامراء من بنى كلاب والسودان الانجاب إلى البلد وجميعهم لابسين الحديد من تحت أثوابهم خوفا من غدر الكفار وصلوا فيه يوم الجمعة وأذنوا المؤذنون وكبروا المكبرون هذا والرهبان والروم على وجوههم يصلبون والمسلمون بقراءة القرآن يضجون إلى أن صار وقت العصر وخرجوا الامراء والناس فى الخيام واطلقوا أولاد الملوك والبطارقة فقدموا لهم من الاموال وحلفوهم أنهم لا يتعرضوا للجامع بعد رحيلهم واقاموا حتى أصبح الله بالصباح ثم بعد ذلك رحلوا يطلبوا بلاد الاسلام هذا والامير عبدالوهاب يقول لامه والله ياأماه مابقى جسرة فى قلبى الاصلب ألملعون عقبة وماأظن انفلاته فى هذه النوبة إلا لأمر يريد الله اتمامه فقالت الأميرة والله يا بنى مادام له فى الدنيا حياة فما يقدر أحد على وجه الأرض يؤذيه إلا أن الله تعالى فلا تكن يا بنى من أهل الاعتراض واصبر على مايقضى الله تعالى ماهو قاض وأنا أقول أن عقبه ماخلص وفيه مايحمل إلا أن يكون فى بعض الاديره التى للرهبان ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى الواحد المنان ثم انهم ساروا إلى أن أمسى المساء عليهم ونزلوا فى آخر مرج العيون وضربوا الخيام وهم معولين على الراحة والمنام وقد علقوا على خيلهم وأكلوا شيأ من الطعام وأقاموا إلى خدمة الملك العلام حتى قضوا ماعليهم من الصلوات ومافيهم إلا من وجد الراحة وانضجع حتى برق ضياء الفجر ولمع

وصلت الأميرة ذات الهمه صلاة الصبح فلما انشق الفجر وتنفس قام الأمير عبد الوهاب ودخل على والدته ذات الهمه يستأذنها فى أمر الرحيل فرآها قد قضت فرضها وهى مستقبلة القبله وهى جاثية على ركبتيها وقد شخصت نحو السماء بعينيها وبسطت يديها ودموعها منحدره على خديها وهى تتضرع إلى الله عز وجل وتبتهل بالدعاء وهى تؤمل من دعاء إلى أن أحست بالأمير عبد الوهاب معها فى الخيمة فعندها أوجزت فى الدعاء وختمت دعاءها والتفتت إلى ولدها عبد الوهاب وجعلت تقبل رأسه وشيبته وعارضيه وتقول له ياولدى كل يوم لا أراك فيه لم يهنأ لى فيه حياة ولا أعد من الأحياء فقال لها ياأماه وكيف خطر بقلبك هذا المقال فقالت يا بنى لأجل منام رأيته وأنا منه فزعانه وأحشائى قد أصبحت رجفانه فقال الأمير وقد بكى فما الذى رأيتى فى المنام فقالت يا بنى لما نمت البارحه وأنا مشغولة القلب من قولك لى فى قلبى حسرة من عقبة وكيف يبقى بعدنا فى هذه البلاد وينال من المسلمين المراد فرأيت الملعون كانه قاعد لنا على رأس الطريق وقد ملك علينا فم المضيق وهو يضرم بين يديه لنا نار وقد طلع لها لهيب وشرار فصحت من شدة اللهب والشرار وكانك أنت يا بنى والبطال قد أتيتم وألقيتم أرواحكم فيها وأنا قد صحت من شدة ماجرى على وأكلت من حذرى عليك لحم ثديى واردت ان ألقى روحى خلفك فى النار وإذا بصوت يكلمنى فالتفت وإذا به النبى ﷺ وهو يقول لى اصبرى ياأم المجاهدين على بلاك ولا تلقى روحك فى الهلاك فعلينا حفظ ولدك فى رواحه ومغداه وبهذا يصل إلى ماوعدناه ويشتفى بصلب أعداه وقد قرب الوقت والميعاد وفى هذه الأيام ينهتك ستره بين العباد كما هتك ستره فى الملا الاعلى وينجز فيه أمر من له المشيئة والمراد فعليك بالصبر وهو من سنن الأنبياء والاولياء والعلماء وبه تصلين إلا مقام الاصفياء فقلت يارسول الله كيف أجد الصبر وولدى فى هذه النار يذوق حرارتها والشرار فقال هذا عذاب يزول ويبلغ به فى الجنة غاية السول وأنا رسول الله المطهر انظريه فسوف يخلص من هذا اللهيب ويعود على أعدائه التعذيب فمددت ياولدى عينى إلى النار وإذا بك قد خرجت بوجه مثل البدر إذا استنار ثم بسطت يدى وشرعت فى الدعاء ثم طرت بين الجو والهوى إلى علو السماء فاستيقظت أنا وفى أجفانى أثر البكاء وزادنى الاشتكاء حتى دخلت على ورأيتك بعينى وأنا من بعد هذا المنام فزعانه وبوعد رسول الله ﷺ فرحانة فقال لها الأمير عبد الوهاب ياأماه الامر والحكم لله لا مرد لقضائه ولا مفر ولا دافع لامره ثم انه أنفذ خلف البطال وحدثه بهذا الحال فقال لهم البطال أما اضرام النار من عقبة فانه مازال يشعل الفتن ويلقينا فى المحن واما وقوعنا فيها وعلينا الحرص أننا نحذر غاية الحذران لم يكن سبق القضاء والأمر لله تعالى يدبر فى خلقه مايشاء واما قول النبى ﷺ أن عقبه قد قرب تلافه فهو الصادق الأمين فى أوصافه

وأعماله والدليل على ذلك عذاب عقبة وقطع أطرافه وبعد هذا فسلموا الامر إلى الله تعالى وارحلوا بنا نطلب المنازل والديار لعلنا نخلص من عذاب هذه النارفقال الاميرعبدالوهاب هـذا هو الصواب ثم انه ركب وصاح فى بنى كلاب والسودان الانجاب بالرحيل وركبت الاميره وفؤادها ملآن خوفا على ولدها من هذا المنام وساروا ذلك اليوم حتى تقارب المساء ونزلوا وقد زاد بالاميرة المرض وحمى بدنها وتغير لونها وحالها وباتت تلك الليله وولدها عندها والبطال عند رأسها يحدثها ويسليها بامور الدنيا حتى أصبح الصباح ورحلوا ولم يزالوا يقطعون الارض والقفار ليلا ونهارا حتى وصلوا إلى أرض الدروب والاميره قد ضعفت عن الركوب وصارت تركب فى محفه وامرت ولدها أن يقصر المراحل والمنازل حتى خرجوا من دروب بلاد الروم وصاروا فى أوائل بلاد الإسلام وإذا براكب قد أقبل على ملطيه عظيمة الهيكل وجعل يشق المواكب حتى صار تحت أعلام المسلمين ووقف بين يدى الأمير عبد الوهاب وسلمه وناوله كتاب فتبينه الأمير وإذا به عامر النجاب الذى كان نجاب الخليفة فقال له الأمير من أين هذا الكتاب ياعامر فقال له يامولاى اقرأه وقد وقفت على معناه ففتحه الأمير عبد الوهاب بعد مااستدعى أبامحمد البطال وأيضاجماعة من الأمراء والاقيال وقرأ الكتاب وإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد أيها الأمير الأجل والكهف الأطل سيف المجاهدين وعمدة الإسلام والمسلمين حامى حوزة الدين ترس قبر النبى الأواب المسمى بالأمير عبد الوهاب اعلم أن أبا اسحق المعتصم بالله قد توفى إلى رحمة الله تعالى وانتقل من دار الفناء إلى دار البقاء وكان وما كان مرضه أكثر من ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع شرب كاس الحمام وقد جلس فى الخلافة ولده هارون الواثق بالله وقد تعصب لأخيه جعفر جماعة من الكتاب والعمال وأصحاب الديوان والحساب وقالوا ما نريد إلا جعفر المتوكل على الله وقد اختلطت الدنيا واختبطت بلاد العراق وقامت الدنيا على قدم وساق وانفصل الأمر على أن هارون الواثق يقيم فى الخلافة على وجه النيابة إلى أن تقدم أنت وتقدم من شئت وتشهد بما كنت تسمع من المعتصم رحمة الله عليه ومن هو ولى عهده من بعده ونريد ساعة وقوفك على هذه الأحرف لاتتوقف فى المسير ولو أنك تطير حتى تهتدى الفتن بعد ايقادها وتعود الولاة إلى بلادها فلما سمع الأمـــير عبد الوهاب مافى الكتاب بقى متحير ومتفكر وتبين الخط وإذا به خط ابن خاقان الوزير فقال البطال ايش ترى يا أمير فى هذا الكتاب وهذه النوبة فقال البطال والله هذه النار الذى كان يشعلها عقبة تفسرت وهى من بعض مناصبه ولا شك أنه سبقنا إلى عند الخليفة وقال له قد قتلوا أختى وأولادى وقطعوا يدى وعولوا على صلبى ولا شك أنه قد دبر علينا غير أننى متحير فى هذا الامر وحذرى أنه من تدبير عقبة لاجل القبض علينا ومتحير أيضا كيف

يتجاسر عقبة على مثل ذلك وعلى كتب هذا الكتاب وفيه موت الخليفة مع علمه أنه يقع فى أيدينا وهذه قصة قد عميت على أن الخط خط الوزير ابن خاقان وما أقول أن عقبة بعد أن قطعت يده اليمنى مابقى يقدر يزور على خط أحد فقال الامير عبد الوهاب والساعة كيف يكون الحال فقال مايكون فى الامر إلا أننا نسير إلى ملطيه ونبصر كيف يكون الحال ان كان الامير عمرو بن عبيد الله قد انحدر إلى بغداد فالامر صحيح فاذا كان الامر كذلك تركنا والدتك هنالك وسرنا أنا وأنت فى ألف فارس ونصبنا الخلافة لامير المؤمنين هارون الواثق بالله لانه أدين أهل الارض واتقاهم واعقلهم وبه أوصانا المعتصم ألف مرة وهو ممن يبغض عقبة ولا يشتهى أن يراه فلعل صلبه يكون فى أيامه إن شاء الله تعالى ويسقيه كاس حمامه ويهتك الله ستره فى هذه الايام وتقف الناس على كذبه ومحاله فقال الامير عبد الوهاب هذا هو الصواب ثم انهم ساروا على هذا الترتيب وهم متفكرين فى هذا الامر العجيب حتى أشرفوا على بلاد الثغور وأرض ملطيه وسبق البشير إلى البلد (قال الراوى) فعندها ركبوا الامراء الذين لبنى سليم وكذلك الاصحاب وخرجوا إلى لقاء الامير عبد الوهاب ولما وقعت أعينهم عليه ترجوا بين يديه ونعوا الخليفة إليه فقال ومتى وصلت إليكم الاخبار فقالوا من أيام قلائل وعلينا عبر النجاب عامر وهو سائر إليك بالكتاب وأميرنا عمرو يكون اليوم قارب بغداد فانه من يوم وصلت إليه هذه الاخبار تجهز وسار فلما سمع البطال والامير عبد الوهاب هذا المقال صح عندهم الحال والمقال ونزلوا الناس فى المقام وضربوا الخيام على ظهر البلد بجانب النهر وعملوا الأعلام وأقاموا حتى أصبح الله بالصباح ودخل الأمير عبد الوهاب على أمه فودعها واعلمها أنه سائر إلى أرض العراق ينصب الواثق خليفة وتأمن الناس بعد الخيفة فقالت له أمه يابنى افعل مابدا لك ولا تطيل الغيبة فما لى عنك صبر ولولا هذا المرض والا كنت سرت معك حتى لايغيب شخصك عنى وودعت له وقالت له أنت فى حفظ الله الحى القيوم الذى لاينام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فباس الأمير رأسها وودعها وانتخب معه ألف فارس من بنى كلاب وسودان أنجاب وركب هو والبطال يقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم كان قائد يقودنى إلى القضاء والقدر وتركوا الأميرة فى ملطيه وعندها باقى الأبطال من بنى كلاب والسودان الأنجاب وساروا يقطعون الأرض والبلاد ويستصحوا موت الخليفة وكلما قرب من أرض العراق ينكشف له الحال ويظهر حتى وصل إلى الموصل ونزل الأمير على بابها وسار منها إلى تكريت وعبر إلى الجانب الآخر ولاحت له المشاهد المباركة فأقام فيها يومين وسار حتى وصل إلى تل قومه وكان الأمير قد أخذ معه التحف والهدايا والخيل والظرف وشىء كثير من الذهب والفضة

والمناطق والجواهر والثياب الديباج ومن الأطالس الرومى وكل شىء حسن مليح وغير ذلك مما كان أخذه من بلاد الروم وانه لم يزل سائر حتى وصل إلى وأنا وعكبر وإذا هو بأرباب الدولة والوزراء والأمراء والاشراف قد التقوا به فلما وقعت العين على العين وترجل بعضهم لبعض وتعانقوا وتوادوا فقال عبد الوهاب وقد بكى وقال من هو الخليفة اليوم فقالوا الخليفة الواثق فى الظاهر الا أنه على وجه النيابة حتى تقدم أنت يا أمير وتنصب من تريد فقال الامير عبد الوهاب والله يا قوم ماولى العهد الا الواثق بالله وبهذا كان يوصينا المعتصم فى حياته ثم سار الامير فى موكب الخليفة حتى وصل إلى بغداد وتم فى سيره إلى الدار المعروفة العزيزة وأبو محمد البطال إلى جانبه يقول والله ما كان نيتى أدخل معك إلى بغداد لان قلبى خائف من منصب عقبة إلى أن صح لى الخبر وصح لى موت المعتصم واشتهر (قال الراوى) فلما صاروا الامراء على باب الخليفة دخلت الخدام على الواثق يطلبون الاذن فى الدخول فقال امهلوا بهم حتى أجلس لهم ثم وثب وجلس فى دست الخلافة وأقام الحجاب والوزراء والكتاب وأرباب الدولة فى خدمته وقال للخدم خلوهم يدخلوا فخرجوا الغلمان والخدام وقالوا بسم الله أجيبوا أمير المؤمنين فدخلوا الامراء وساروا إلى أن وصلوا المجلس الذى فيه الواثق فلما وقعت عين الامير عبد الوهاب على الواثق فعند ذلك تقدم الامير وقبل الارض وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين أدام الله لك العز والتمكين وحشرك مع ابن عمك خاتم النبيين وأسعد جدك وأعلا مجدك وقصم ضدك وأطال عمرك ونشر فى الخافقين ذكرك وهنيت بالخلافة ووقيت من كل آفة ويعز الله علينا ماجرى على قلبك من فقد مولانا أمير المؤمنين أبا اسحاق المعتصم بالله فوالله مايعود الزمان يسمع بمثله ولا يخلف مثله فانا لله وانا إليه ارجعوا (قال الراوى) وتقدم من بعده الامير أبو محمد البطال وخدم وعول أن يعزى الواثق ويهنيه بالخلافة وإذا قد ارتفع ستر دار الحرم وظهر شخص من ورائه وقد خرج معه أكثر من خمسمائة مملوك فتأمل البطال الشخص وإذا به المعتصم أمير المؤمنين فطار عقل الامير ووقع به التحيير وعلم أنها حيلة وقد تمت عليهم فقال الامير عبد الوهاب يا أبا محمد وقعنا ومانفعنا الحذر وهذا منام الأميرة قد تفسر فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هذا والمعتصم قد صاح بهم وقال يا كلاب العرب وقعتم بأعمالكم أتظنون أنى لم أعلم بما فعلتم بالقاضى عقبة من قطع يده وقتل أخته وبناته وتعذيبه وتهديده بالصلب فى بلاد الروم وقلتم ان الله يمهلكم بعد ماحل قتلكم باجماع سائر الفقهاء ولا بقى لكم نجاة ولا ملتجأ غير ضرب الرقاب وفقد الاحباب وصاح بالغلمان خذوهم فمالوا عليهم وقبضوهم وشدوا أيديهم وأرجلهم وقام الواثق وجلس المعتصم وقدموا الامراء بين يديه فقال لهم

المعتصم إلى كم تخرقون حرمتى ولا تراعون فى هذا الشيخ ذمتى ان كانت دولتى ما تقوم إلا بكم فما أريد دولة ثم قال للسياف اضرب رقابهم وأفجع فيهم أحبابهم وجميع أصحابهم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك القاضى عقبه وهذا التدبير هو الذى دبره وعمل هذا العمل لانهم ليلة عولوا على صلبه وأبصر الجد ورأى أن الروم قد كسرت حمل روحه لما أن رأى البطال قد خرج من عنده وهو معول على صلبه وقام إلى بغلة كانت للامير عبد الوهاب وكانت هنية السير فركبها الملعون بعد ما برطل سائسها بألف دينار ووعده من الخليفة بمثلها فساعده على هروبه وسار هو وعقبة يكمنان النهار ويسيران الليل إلى أن وصلا إلى العراق وعقبة يلقن السائس طول الطريق مايقول للخليفة ولما دخل عقبه إلى بغداد وصل إلى الخليفه خبره فقال المعتصم على به فقالوا ياأمير المؤمنين أنه مريض مايقدر على النهوض وماصدق أنه يصل اليك ويامن على نفسة لأنه وصل مقطوع اليد مجبوب حزين على قتل أخته وبناته فلما سمع المعتصم هذا الكلام قال أنا أسير اليه لأنه يجب السعى إلى مثله لاجل دينه وعلمه ولاجل هذا البلاء الذى قد حكم به عليه رب السماء ثم ان الخليفة ركب وسار إلى دار عقبه فلما سمع به الملعون تغاشا وتماوت فقعد المعتصم عند رأسه فرآه مقطوع اليد فبكى وقال له ياقاضى من فعل بك هذه الفعال فبكى وقال ياأمير المؤمنين أنا ما أشهد ولا أتكلم فى حق روحى ولكن اسأل هذا الرجل الصالح فانه يحدثك بما جرى على لانه من عبيد ذات الهمة وهو أدينهم وأزهدهم وإلا ما كان تسبب فى خلاصى (قال الراوى) وكان عقبة قد علم العبد مايقول كما ذكرنا وان عقبة لما قال للمعتصم اسأل العبد التفت المعتصم إلى العبد وقد عظم عليه ماقد جرى عليه وقال له يامبارك من فعل بهذا الشيخ هذه الفعال فقال العبد يا أمير المؤمنين أقسم لقد رأيت لهذا الشيخ كرامات وصبر على البلاء مالا يصفه أحد وانا كنت اعتقد فى ستى ذات الهمة انها من الصالحات بما كنت أرى منها من العباده والجهاد حتى انكشف لى ذلك وبان انه ريا ونفاق حتى يشيع ذلك عنها فى الآفاق وأنا يامولاى كنت معها لما كانت فى العراق هى والبطال واتى ظالم من الحجاز ودبروا على هذا الشيخ واخذوه من داره واخذوا اخته وبناته معهم وساروا إلى حصن يانس وارسلت مولاتى ذات الهمة خلف ولدها عبد الوهاب تقول له انى قد أخذت عقبة واخته وبناته وكل من يلوذ به فسر إلى حتى ندخل إلى القسطنطونية ونشتفى منه ونعود إلى بلادنا وان الرساله لما وصلت اليه سار اليها هو وسائر بنى كلاب والسودان الانجاب وأول يوم وصل الامير عبد الوهاب إلى حصن يانس قتلت الاميره أخت عقبة وبناته فرحا بقدوم ولدها عبد الوهاب ثم أخذوا هذا الشيخ المسكين ودخلوا طالبين القسطنطينيه وخرج ملك الروم إلى قتالهم فنصروا عليه وكسروه وباتوا تلك الليلة فرحا بالنصر والظفر يقولون هذه الليلة

تنال من عقبه مانريد وفى هـذه الأيام يـكون صلبه ولـكن قدموه حتى نعذبه قبل صلبه ثم قدموه وقطعوا ايده كما ترى واخصوه وهوصابر على البلاء وجعل يتوسل اليهم وهم يضحكون عليه ويضربوه ويقولوا لى عذبه فأول من ضربه أنا ياأمير المؤمنين وما علمت كيف القصة بل كنت أسمعه يقول لمولاتى ذات الهمه وهى تعاقبه بحرمة مولانا المعتصم لا تفعلى بى أكثر من هـذه الفعال فقد أعدمتينى اليمين وبقى الشمال وان كنتى تريد قتلى فى كرة واحدة فأنا وحق المصطفى أجعلك فى حل من دمى قبل موتى حتى لا يـكون لمسلم منى أذية فى الدنيا ولا فى الآخرة فكانت ياأمير المؤمنين إذا سمعت منه هذا القول تقول له تـكذب ياملعون ماأنت إلا نصرانى وكان يدخـل فى عقولنـا ذلك إلى أن سلمته لى فى تلك الليـلة وهو مقطوع اليـد

﴿ تم الجزء الثامن والستون ويليه الجزء التاسع والستون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

﴿ أكبر تاريخ للعرب ﴾

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء السبعون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
شارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وآله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياساده يا كرام فلما رأى الأمير عبد الوهاب عقبه بصق على وجهه وقال لأبى سكران أين وقعت بهذا القرنان فقال ياسيدى تحت قرية الأرمن وهو طالع من عقبتها وماعرفته حتى كلمته وقلت له رأيت لنا شيخ صفته كذا وكذا اسمه عقبة فقال ياولدى أنا ما أعرف أحداً ولا أنزل فى هذه القرية إلا أن يكون لى فيها شغل وإلا زياره لأنى رجل كبير مالى عقل أعرف به أحداً وكان يكلمنى ورأسه فى الأرض وما عرفته إلا بنغمته فبادرت اليه وقلت ياشيخ ها أنت المطلوب فلما سمع الأمير عبدالوهاب هذا الكلام ساقه قدام الخليفه وهو على تلك الحالة فشكر الله تعالى على وقوعه وقال للأمير عمرو تسلم ابن عمك الى غد فتدخل به الى بلاد الروم وتصلبه على باب الذهب فقال يا أمير المؤمنين أكون أنا وحدى وبنى كلاب لابد منهم أحد معى فقال البطال وأنا أكون مباشرهم فعندذلك برزت العساكر وسارت تقطع الأرض طولا وعرضا وكان القاضى عقبه على جمل وعلى جسده فروة مقلوبة وعلى رأسه طرطور من جلد الثعالب فهم فى سيرهم وإذا قدقامت عليهم ريح شديدة إلى أن عميت أبصارهم فطلبوا عقبه فلم يجدوه على الجمل فبقى أبو محمد باهت متحير هو وأولاده ثم أنه دخل على الأمير عبد الوهاب وأخبره بذلك فدق يد على يد وقال والله لقد تعبنا وتعب الخليفة فكيف كان سبب ضياعه من بين هذه العساكر والجموع فقال مازال على الجمل ونحن دائرين من حواليه فى وسط الثقل حتى هبت تلك الرياح وثارت فى وجوهنا الرمال وقد تفرقت الناس يمين وشمال وجفلت الجمال والدواب وهذا آخر عهدى به فقال الامير عبد الوهاب والله ماهذا إلا أمر عجيب وله سبب من الأسباب

وكان السبب فى هروب عقبه أنه لما جرت على الناس تلك الشده وهو سائر على الجمل وهو حائر فى أمره وقد أيقن بالهلاك لأجل شىء يريده الله تعالى تارت تلك الرياح فانقطع مقود الجمل بتاع عقبه وهج به بين الأشجار وقد تعلق بيده الصحيحة فخرج الجمل يهيم على وجهه وطلبه البطال فلم يجده وأعلم به الامير عبد الوهاب فقال هذا شىء مانخفيه عن أمير المؤمنين فعندها أعلموا الخليفة بهذه القصة فجرا عليه ما لا يجرى على قلب بشر وقال والله العظيم ان رجوعنا الى ملطيه شماتة للأعداء ثم أنه بعث الخيل تدور عليه مدة ثلاثة أيام وكان عقبه لما أصبح عليه الصباح وهو فى ذلك الموضع ورأى الخيل تدور فى طابه فاختفى فى الشجرة فزعا على نفسه فبينما هو كذلك واذا بثلاثة رهبان قد أتوا الى ذلك المكان بسبب جمع الحطب فلما رآهم الملعون صاح بهم فأتوا اليه فعرفهم بنفسه فسلموا عليه وحملوه الى عندهم ثم أنهم سألوه عن سبب دخول العسكر فأخبرهم أنهم مادخلوا إلا أنهم يصلبوه على باب الذهب ثم اشتكى اليهم حاله وخوفه فألبسوه من الثياب التى عليهم وأخذوه معهم الى ديرهم وكان ديرهم على رأس جبل وهو لطيف صغير فلما حصل عقبة فيه أخذه القلق وقال للرهبان ما أقدر أقيم فى هذا المكان لأنى أخاف أن يلحقنى أبو محمد البطال ثم أنه ودعهم وأخذ فى يده عكاز وركبوه وشد وسطه وسار يطلب بيت المقدس وقمامة وقد ضاق صدره وضاقت عليه الدنيا وكان أكثر سيره فى الليل فهذا جرى ههنا (وأماماجرى) من الامير عبدالوهاب وعساكر الاسلام فانهم لما أيسوا من عقبه عادوا وفى قلوبهم النار طالبين الثغور وكان أكثرهم أسف أبو محمد البطال لأنه قد بقى يومين لا يأكل ولايشرب مما جرى عليه ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا الى ملطيه ونزلوا على ظاهرها هذا والخليفة قد عول على الرحيل الى العراق وهو يقول لعبد الوهاب والله لولا الشتاء وقد هجم البرد ما كنت رجعت حتى نزلت على باب القسطنطونيه وأعملها غزوه أذكر بها الى الأبد لأنى أعلم أن ملك الروم إذا سمع أننا دخلنا الى بلاده ورجعنا الى بلادنا يستعجزنا ثم أقام على ملطيه يومين ورحل طالب العراق وهو يوصى البطال بالكشف عن أخبار عقبه فقال السمع والطاعة وأوصاه متى قبض عليه يرسل ويعرفه حتى يسير الى بلاد الروم لاجل صلبه والجهاد ثم سار يطلب بغداد هذا والبطال قد جمع أولاده وقال لهم أريد أسير الى بلاد السواحل وأكشف الاخبار من التجار فقال له ولده مذبحون مالنا إلا بلاد الروم ولانكشف خبره الأمن هناك فقال البطال ياولدى مايقدر يدخل الى هناك لأنى أعلم أنه مايقيم فى تلك البلاد وأنا الذى لا أقعد

عنه ولو أنه فى آخر الدنيا وأريد منكم المعونة والصبر على السفر ولا يلحقكم ضير اعلينا نبلغ الظفر وأن أشفى قلبى من عقبه قبل المهات وأقبر فقالوا له أولاده وغلمانه لو أمرتنا أن نخوض البحار لخضناها سير بنا أين شئت وارسلنا فى أى مكان هويت فما هنا من يخالفك فلما سمع البطال كلامهم فرح فرحا شديد وقال مالنا إلا بلاد السواحل ونكشف الاخبار من التجار وأهل البلاد ثم أنهم باتوا على أهبة السفر ولما كان عند الصباح أخذوا معهم خيل وبغال واستكثروا من الماء والزاد وودعوا الأمير عبد الوهاب وأمه ذات الهمه وسار يطلب السواحل وبنته عذيبه فى زى أولاد التجار وهى فى أحسن شيء يكون وحمل الامير عبد الوهاب على قلبه من مسير أبو محمد البطال أمر عظيم وخاف عليه أن يهلك فى بعض البلاد ومايبلغ مراد ومن ضيق صدره صار يركب كل يوم الى الميدان ويتشاغل مع الفرسان فبينما هو بعض الأيام ظاهر البلد وإذا هو بنجاب قد أقبل اليه وسلم عليه وناوله كتاب ففضه وقرأه وإذا هو من سوار ابن جرهم صاحب دمشق الشام يقول فيه اعلم أيها الأمير أن مصر قد ملكتها السودان واحتوى عليها ملك زنعنع الحبشى وهو جبار من الجبابره وقد سير الى بلاد السواحل وقد زادت أذيته ونحن خائفين من أذيته وشره فكاتب أمير المؤمنين لعله أن يسير الينا من يعيننا على قتاله وإلا أهلك العباد وملك البــلاد لانه فى خلق كثير لاتحصى من العبيد ومجمعة السودان وهم قوم لايعرف لهم دين بل يرمون أرواحهم الى الحرب مثل الدواب فالعجل العجل قبل أن تقوى شوكته وهو قد عمل بركة الحبش موطنه وهو نازل عليها فى مصر والسلام فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك قال هذا أمر ما كان لنا فيه حساب ثم أنه أعرض الكتاب على الامير عمرو وأمر صاحب الكتاب أن ينقلوه فى خمس نسخ ويعلقها على أجنحة الطيور الى بغداد فما بات الخبر إلا عند الخليفة فصعب عليه وقال لكبراء دولته كيف ترون فى هذا الأمر أراحت مصر من أيدينا فمن نرسله اليه فقالوا يامولانا ماله غير الامير عبد الوهاب يقتله فقال المعتصم ما هذا صواب أن نخلى الثغور من الأمير عبد الوهاب فربما يخرج علينا ملك الروم وما فى الأمر الا أننى أرسل بنى سليم فان أفلحوا بيضوا وجوههم وان هلكوا فيكون ذلك ببركة قاضيهم ثم انه أمر أن يكتبوا الى عمرو ويقول له أشتهى أن تسير الى مصر وتكفينا شر هذا الخارجى وتخلص البلاد من يده حتى أعفو عنك بما قد مضى ولا تحوجنى أجمع لك العساكر وأطلب الجهاد ثم أمر الوزير أن يرسل الكتاب الى ملطيه فلما وصل الكتاب الى عند الامير عمرو وقرأه وسمع مافيه من الخطاب جمع بنى

سليم وأعرضه عليهم وقال لهم اعلموا أن الخليفة ما هو طيب القلب علينا وكل هذا بسبب الملعون عقبه الذى كنا نشهد فيه بالصلاح حتى ظهر منه ما ظهر ويد الخلافه لا تطاولها يد ونحن فى بلاده واقطاعه وقد ندبنا الى هذا الامر وأنا أريد منكم أن تسيروا معى بنية صحيحة وتبذلوا أرواحكم لعلنا نهلك هذا الخارجى ويعود قلب الخليفه يتعطف علينا فما ننال المنزله الا بالصبر على النوازل فقالوا بنى سليم يا أمير ان هلاكنا أحب إلينا من الحياة وان الهلاك مع العز خير من الحياة فى النار كما قيل :

فعيشك تحت ظل العز يوما ... ولا تحت المـــذلة ألف عام

فشكرهم عمرو على ذلك ونادى فيهم بأخذ الأهبة وأعرضهم فكانوا سبعين ألف ففرح بذلك وطلعت الخيام والطبول ثم انه رحل وخرج الأمير والأميره لوداعه وأوصاهم عمرو أن يكشفوا أخبار عقبه فهذا ما جرى (وأما ما كان) من عقبه فانه سار الى انطاكيه ودخل الى عامل له وكان عنده مال كثير فأخذ المال منه واشترى ثلاث غلمان وبغله وجوادين وخيمه وعول على أنه يدخل الى بلاد الغرب فسمع أن زنعنع الحبشى قد ملك ديار مصر فقال وحق المسيح لابد لى أن أسير اليه وأطلب منه الزمام وأقيم فى بلاد المسلمين ثم ان الملعون عقبه سار الى صور وأقلع منها الى ديار مصر فرآها منقلبة بكثره العالم والعساكر ووصل الى الملك وعارضه وهو تحت مصر وقد عمل له طيلسان ونادى يا ملك خذ بيدى فأنا مظلوم وقد وصلت الى جنابك من قوم ظلمونى وما راقبوا فى وقد قطعوا أطرافى وأرادوا اتلافى فهربت منهم وجئت اليك ولم يزل عقبه حتى احتوى على قلب الملك بحسن النظام ولين الكلام فقال له يا شيخ قد قضيت حاجتك وتم معه وهو يحدثه بما قد جرى عليه فى الثغور وما قد تم عليه من الخليفة لأجل الدين وكان عقبه الملعون قد سأل عن دين الملك فقالوا له يعبد الشمس اذا طلعت بالأنوار ثم قال للملك وما أصابنى هذا الا بعلمى وخبرتى بصحة عبادة النار فلما سمع الملك ذلك تعجب فقال عقبه وحق ما فى الشمس من الحراره والنجوم السياره لقد أخفيت دينى وقد جاهدت فى الأعداء حتى اننى قد أهلكت منهم بعدد الرمل والحصى ولم يزالوا حتى اطلعوا على حالى وفعلوا بى هذه الفعال وما خلصت منهم الا بما قدمت يدى من العباده والجهاد فى المسلمين وأخبرك أيضا من ليالى رأيت أن النجم الثاقب قد خلا بى وقال لى يا شيخ لا تضيق صدرك ففى هذا العام وهذه الأيام يظهر رجل من بنى حام يتفضل على جميع الانام فاطلب أرض مصر وكن مع عبدى زنعنع فلما سمع الملك من عقبه ذلك الكلام طاب قلبه وانشرح صدره وقال له يا شيخ

فأنت مخصوص لهذا الدين فمن أى الأراضى أتيت الى هؤلاء الشياطين فقال يا ولدى
أنا أصلى من بلاد الحجاز وقومى بنى سليم وكنت قرأت الكتب والمذاهب حتى وقفت
على الصواب فلما سمع الملك زنعنع ذلك قال يا شيخ فأنت ابن عمى لان أبى أيضا كان
من بنى سليم يقال له عقبه بن مصعب السلمى وكان عند خليفة المسلمين بمنزلة عظيمة فلما
سمع عقبه كلامه بكا من فرحته وقال له يا ملك أنا عقبه وأنت ولدى وقد جمع الزمان
بينى وبينك وقد شد ظهرى بك عند منتهى العمر لتأخذ لى بالثار من هؤلاء الأشرار
فقال زنعنع ياشيخ وأنت دخلت الى بلاد الحبشه فقال له نعم فقال عند من نزلت فقال
عند ميكائيل وأعطانى جارية سوداء فتزوجت بها وتركتها حامل فقال صدقت هى أمى
وقد أوصتنى قبل موتها وأعطتني هذه السكين وقد قالت لى أبوك عقبه بن مصعب
قاضى المسلمين ثم ان زنعنع أخرج سكين وكان نصابها من الذهب مقمع بالفضة وعلى
النصاب مكتوب عليها الشيخ الناصح عقبه وفى اصبعه خاتم على فصه أربع لؤلؤآت
وعليه مكتوب الدين الصحيح دين السيد المسيح فلما رآهم عقبه اتضح له البرهان وكان
السبب فى ذلك أن عقبه دخل فى زمان المأمون الى بلاد الحبشة الى دار ميكائيل
فأكرمه وأنزله فى دار حسنة وأعطاه جارية تسرى بها مدة أيام فلما سمع أن المأمون
رجع الى ملكه رجع عقبه الى أرض العراق فقالت له الجارية أريد تعرفنى من تكون
وأريد منك علائم حتى أعطيها لولدى فأعطاها السكين والخاتم وقد عرفها أين مكانه
ومن أى العرب هو ومقامه الثغور ودامت الجارية فى دار مولاها الى أن وضعت
وما كان للملك ولد فأخذه ورباه وكبر وتجبر وكان يلتقى بين الصبيان الشر والفتن الى
أن بلغ مبلغ الرجال فانضافت اليه أصحاب وأعوان فصار يقطع الطريق وقد انضافت
اليه الاشرار من السودان وهو يعطيهم وينعم عليهم حتى قوى واشتد ونظر الى نفسه
بعز العظمة وقد كبرت نفسه عنده فتحالف هو والسودان على قتل الذى رباه وكان
هذا من طمع أباه لعنه الله هو وأباه فما كان أكفره وأعداه فلما أن كان فى بعض الايام
دخل على مولاه وذبحه من اذنه الى أذنه وملك مكانه وبذل الانعام فأطاعته السودان
وصار حاكم على البلد واجتمع عليه أكالين الحرام فحدثته نفسه أنه يملك أرض مصر
ووسوس له الشيطان فخرج فى خلق كثير ونزل على أرض مصر وحاصرها فأنفذ
المتولى وأعلم الخليفة وأنفذ بنى سليم ولاقاه عقبة الآخر وجرى منه ما جرى مع زنعنع
وأصحابه وعرف أنه أباه فقال ياأبتاه ان أمى قد حدثتنى أنك نصرانى فقال له صدقت
يا ولدى وأنا ما قلت لك عن عبادة النار الا حتى أتقرب اليك والا فلا دين الا دين

المسيح بن مريم الذى تكلم فى المهد قبل أن يظهر وأحيي الموتى من قبل النشور (قال) فشد يا ولدى وسطك بالزنار ودع عنك عبادة النار والشرار لأن ليس لها قرار هذا وان الملعون لم يزل يشرح له دين النصرانيه ويزخرف له فى الملة المسيحية حتى تنصر وفرح عقبه وأقام عنده وصار اذا ركب دارت به السودان من كل جانب وكلما رأى ذلك يقول فى نفسه ان عبد الوهاب يرانى وأنا قد صرت ملك وولدى ملك الحبشه وأولاد حام (قال الراوى) ولما أن كان فى بعض الأيام وصلت الاخبار الى زنعنع ابن عقبه نسل الحرام بأن بنى سليم قد وصلوا وهم يريدون قتاله وعن قريب يكونوا عنده باهتمام فاستشار أبوه عقبه فى المسير إليهم فقال له يا ولدى ارسل اليهم جاويش حتى تنظر منهم وتحقق أخبارهم فان كانوا بنى سليم أو عساكر العراق فما نبالى بهم وان كانوا بنى كلاب وعبدالوهاب فأقف مكانك فما للمسيح غيرك ولا له عدوا غيرهم وان كسرتهم أنت فاخرج وسير فانك بعدهم تملك البلاد وكان مع زنعنع عشرين ألف من العرب فأنفذ منهم خمسة آلاف يكشفون الاخبار عن العساكر القادمة فساروا العرب وما غابوا أكثر من ثلاثة أيام وعادوا يخبروا بأنهم بنى سليم وأنهم فى غد أو بعد غد يكونوا فى العريش وقد تبعتهم من عرب السواحل خلق كثير فلما سمع زنعنع بذلك قال يا أبتاه كيف نقاتل ابن عمنا فقال له عقبه يا ولدى نسب الدين أمر من نسب القرابة وأفضل ثم انه نادى فى العسكر بأخذ الأهبه ففعلوا وتسلحوا بالسلاح الكامل فلما أن كان من الغد ركب زنعنع وركبت عساكره فثارت غبرتهم الى أن طلعت للعنان فكانوا السودان اذا غدوا على أرجلهم يسبقون الخيل العربيه وبأيديهم الحراب الحبشيه وأكثرهم عرايا حمر الاحداق وهم الجميع على صفة الدواب فلما نظر عقبه الى ذلك اشتد فرحه وقال لولده زنعنع يا ولدى كفاك المسيح شر العين والحسد أنا أعلم أن بنى سليم ما تقيم بين يديك يوم واحد والصواب أن تأمر هؤلاء العرب أن تسير وتقطع هذه الطريق ولا يزالوا فى سيرهم حتى يخرجون من ورائهم ويصيروا خلفهم فتكون أنت من بين أيديهم وهم من خلفهم وتطبقوا عليهم بالعرب وسائر العبيد وتطحنوهم طحن الحصيد وتكبسوهم كبس المريد لانهم يكونوا آمنين من ناحية بلادهم فاذا انكسروا هؤلاء العرب وعادوا منهزمين الى ديارهم دبرت لك على أخذ البلاد والاراضى والامصار (قال الراوى) فلما أن سمع زنعنع كلامه أحضر العرب وخلع على كبرائهم وسادتهم وقد أعلمهم بما أشار أبوه فرأوه صواب فقالوا السمع والطاعه نحن نفعل ذلك أيها الملك ثم انهم جمعوا بنى عمهم وساروا فى ذلك البر طالبين

انجاز الأمر وقد سار زنعنع من بركة الجيش وما زالوا سائرين حتى وقعت العين على العين وتقابلت العسكرين فنظرت السودان الى بنى سليم والى لبسهم فعند ذلك طمعت فيهم لاجل الاموال وأرادوا أن يشرعوا فى أمر القتال فعند ذلك أمر عقبه الى ولده زنعنع أن يردهم ففعل ذلك وقد أمر النقباء أن تردهم عن القتال (قال الراوى) ثم ان عقبه كتب الى عمرو بن عبيدالله كتاب يقول فيه الذى أعرفك به أنى أنا ابن عمك عقبه الذى تخليتم عنى لاجل ما رأيتمونى خالفت المذهب وسلكت الدين الأصوب فلما علم المسيح ذلك خلصنى منكم بظهور هذا الولد المنتخب والرأى أن تنظر فى طاعته حتى يعطيكم البلاد ويرفعكم لأجل النسب على سائر الأجناد والا أطلق عليكم السودان فلا يبقوا منكم انسان ثم انه أرسل الكتاب الى الامير عمرو فلما قرأه قال لبنى عمه ألا ترون الى هذا الملعون كيف يريد أن نتنصر ونلعن فى سائر الاقطار ثم انه سأل الرسول كيف جاءه من الولد فأخبره بحديث زنعنع وقصته فتعجب غاية العجب وكتب اليه جواب الكتاب يقول له ياملعون ان الذى تدعونا إليه لانفعله قط وإنما نحن جئنا فى طلبك حتى نحملك الى الخليفة يصلبك ونبيض وجوهنا بأخذك ولو ظهر لك ألف ولد مثل هذا الولد لابد لنا من صلبك ونحن طليعة لمن خلفنا من العسكر وفى غداة غد يشرف الخليفة فى عساكره مثل البحر الزاخر ويتقدمهم الامير عبد الوهاب وبنى كلاب وسودانه وترى كيف ينتقم الله منك وتبقى فى حال الذل والهوان ثم أعطى الكتاب للرسول فعاد ولما أعطاه لعقبه وسمعه لولده زنعنع كشف رأسه وخفف لباسه وحمل حملة منكره وحملت سودانه وقوموا الرماح وصرخوا صرخة واحدة وطلبوا قبض الارواح فما كنت ترى إلا رؤوس طائره ودماء فائره وأيادى تقطع وحضرت الآجال وقطعت الأوصال وزنعنع يصيح فى المجال ويرمى برمحه الأبطال ويضرب بسيفه الرجال وعقبه فرح بذلك ودعا له بطول الآمال وما زالوا كذلك حتى ولى النهار وأقبل الليل وعادت السودان ومعها خيل وغنائم كثيرة من بنى سليم. وأما الامير عمرو فانه لما رجع نزل واجتمعت الأمراء وقالوا له ما عملت معنا خيرا وانك أردت هلاكنا لأننا فى قلة وهم فى كثرة فقال عمرو يابنى عمى هذا أراده الله تعالى فقال محمد ابن أبان لانه كان من شياطين بنى سليم ولعقبه من المتعصبين ياابن العم ما أنفذنا الخليفه إلا يريد موتنا أجمعين ولو كان وقع لغيرنا هذا الامر كان شد الزنار وكفر بالرحمن ولكن غدا ننصر الى آخر النهار وإن طال علينا المطال طلبنا الفرار (قال) وأما زنعنع فانه دخل على أبيه فقبله مابين عينيه ودعا له وقال ياولدى شد قلبك وطمن

نفسك فانى أدبر لك تدبيرعظيم وآخذ هدايا وتحف من عندك إلى ملك الروم واعلمه بفعالك وأزوجك ابنته وأخرجك الى الثغور وتملك أنت الحكم والملك وتعود الدنيا كلها تحت حكمك ففرح بذلك زنغنغ (قال الراوى) ولما اصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت السودان بقلب قوى وحملت حملة منكره . ولما رآهم محمد بن ابان قال هذا ما أخبرتكم به فارجعوا الى ورائكم وإلا أفنوكم عن آخركم فانكسرت قلوبهم ولحقهم الخوف وداخلهم الفزع فولوا الادبار وركنوا الى الفرار ففرح زنغنغ ومن معه من السودان ونهبوا الاموال والخيام والاثقال وقد رجعوا وهم بالنصر فرحين حامدين الى مصر (قال الراوى) وأما عقبه فانه أخذ من ولده زنغنغ هدية سنية وسار يطلب مدينة القسطنطونيه وفى نيته يخطب لولده زنغنغ ابنة الملك ملك الروم ميخائيل كما أوعده بها (قال الراوى) فسار الملعون ولم يزل سائر الى أن أشرف على أرض اسكندريه وكان اللعين قد نكر روحه وقال من ههنا تقلع الى بلاد الروم ثم ضرب خيمته برا البلد وجلس فى الخيمة وقال للسودان ابصروا إن كان على البحر مركب تقلع فيه الى قبرص ويكون خاليا من التجار وأرغبوا صاحبه بالمال حتى لايركب معنا آخر فقالوا السمع والطاعة . ثم انهم مضوا الى ساحل البحر وعادوا عند المساء فقال لهم ما الذى فعلتم فقالوا قد وجدنا على الساحل مركب وقد أكريناه رخيص فقال لهم انقلوا أسبابنا فنقلوا جميع أثقالهم الى المركب ولما أن كان الثلث الأول من الليل جهزوا أحوالهم وسارعقبه والعبيد بين يديه حتى وصل الى المركب وصعد وقد اطمأن فؤاده وعلم أنه قد بلغ مراده هذا وعقبه فرحان وقد أمن على روحه وأوقد بين يديه شمعة ونظر الى الملاحين وهم على جانب المركب وسألهم الى أين هم ذاهبين فقالوا انا قاصدين الى مدينة القسطنطونيه ففرح الملعون بذلك ولم تحدثه نفسه أن البطال يحمل مراكبى (قال الراوى) ثم أقلعوا من على مدينة اسكندريه وساروا الى نصف الليل فأحضرالمدام وقعد الملعون يسكرالى أن تمكنت الخمرة من رأسه وطاب له الوقت فقال وحق المسيح لابد فى ذلك ما أخرب البلاد وأهلك العباد وأكثر فى بلاد الاسلام من الفساد ومادام أن المسيح قوى ظهرى وشد أزرى بولدى زنغنغ فلابد ما أعمل على خراب ملكه وأنزل بكل مافيها البؤس وأجلب الى هناك الرهبان والقسوس وأدق هناك الناقوس (كذب الملعون لعنه الله) ثم قال اين عينين البطال يرانى فى ذلك الدست وحق المسيح والإنجيل انه جاء على بجرعة الثكلا وهو الآن دائر يدور على يريد منى فرصة أو خلسة فقالوا له غلمانه يامولانا بحق المسيح لاتذكر

لنا ذلك الشيطان فانه متى ذكر حضر فقال لهم ألا تخافوا يا ولادى وحق المسيح ان البطال يفزع منى أكثر مما أفزع منه (قال الراوى) فما استتم عقبه ذلك الكلام حتى وثب اليه الأمير أبو محمد البطال من طارمة المركب وقال له ياشيخ أما هو قبيح عليك تغتاب الناس فى غيابهم . فلما سمع عقبه ذلك الكلام اصفر لونه واضطرب كونه وتلوث فى ثيابه وقال له من أنت لابارك المسيح فيك فقال أنا صديقك بالتصريح ابشر أيها الشيخ النجيح بالصفع المليح فأنا البطال بلا تلويح . ثم انه تقدم اليه وشد يديه ورجليه وكذلك أخذت أولاده الغلامين الذين له وضربوا رقابهم وأرموهم الى البحر وأن البطال أحضر الأموال التى كان رايح بها عقبه الى ميخائيل يخطب ابنته الى ولده زنعنع فوجدها أموال كثيرة فقال عقبه يابطال لا تظن أن تلك الأموال طابت اليك فدونها موت أحمر وبلاء مصور لأنها لولدى (زنعنع) الذى ملك مصر وسوف انه يملك البلاد ويهلك العباد ويجعل سرير ملكه بغداد (قال الراوى) فلما سمع البطال من عقبه ذلك الكلام قال له : ويلك يا كلب النصرانيه وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية . أما قولك عن ولدك زنعنع فما بينه وبين حياته إلا بمقدار مايصل عبدالوهاب سيد بنى كلاب بأبطال بنى عامر أهل الثنا والمفاخر الأسود الكواسر فسوف إن شاء الله على باب القاهرة نصلبه ثم انه ضربه ضرباً أليما ماعليه من مزيد وكشف رأسه وربطه فى صارى المركب ثم انهم لجوا فى البحار (قال الراوى) وقد ذكرنا أن الأمير أبو محمد كان رئيس مراكب درك فجعل يدير المركب بمعرفته وحسن خبرته إلى أن أشرفوا على السويدية فطلبوا اليها وأرسل غلامه لؤلؤ إلى حاكم البلد يبشره بقدومه فطلع اليه حاكم البلد وفرح به فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وزينت البلد الى قدومه وكان لقدوم البطال يوم يعد من الأعياد وأخذت عقبة الأكف من كل جانب ومكان (قال الراوى) ثم ان البطال أمر بعقبة الى المطمورة وأقام عليه التوكيل وأقام يطلب الراحة ثلاثة أيام بعد ماباع المركب واشترى بحقها دواب وأخذ عقبة وسار يطلب ملطيه ولم يزل سائر الى أن أشرف عليها فوجد الأمير عبد الوهاب قد برز بوطاقه وقد ضربه على نهر قباقب والبدنون وهو متجهز الى الغزو (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الأمير عمرو بن عبيد الله لما ارتد مكسور ووصل الى ملطيه وأخبر بذلك الأمير عبد الوهاب فصعب عليه وكبر لديه على ماجرى للمسلمين ثم نادى فى أبطال بنى عامر وكلاب والسودان الأنجاب بالغزو على ذلك الخارجى (زنعنع) فقال له عمرو ياأمير قد بلغنى ممن أثق به أن هذا زنعنع

ولد القاضى عقبة وماكسرنا إلا هو بتدبيره . فقال الأمير سوف إن شاء الله ألقاه واعجل فناه فان الله قد وعدنا النصر . وقد قال رب العالمين وكان حقاً علينا نصر المؤمنين (قال الراوى) ثم انه ضرب وطاقه على نهر قباقب كما ذكرنا وقال والله قلبى على الأمير أبو محمد البطال فقد طالت غيبته وانقطعت عنا أخباره وانى أخاف عليه أن يسمع بعقبة أنه فى عساكر السودان فيمضى اليه فيعرفه فيعمل على هلاكه . فقالت الأميرة (ذات الهمة) يابنى لله الأمر من قبل ومن بعد (قال الراوى) وفى تلك الأيام أشرف عليهم الأمير أبو محمد البطال ومعه عقبة وأرسل ولده مذبحون يبشر بقدومه ففرح الأمير عبد الوهاب وكذلك الأميرة ذات الهمة وأمراء بنى كلاب والسودان الأنجاب . ثم انهم ركبوا الى لقاه وزينت البلدة لقدومه وأخذ عقبة اللطم من كل جانب ومكان الى أن أنزل الماء الأصفر من عينيه فقال لهم ويلكم يا شياطين إن مرادكم تصلبونى أبقونى فانى وحق المسيح مشرف على الهلاك (قال الراوى) ثم إن البطال أخذه وحبسه فى المطمورة التى عنده فى داره . ثم انهم أنفذوا بطاقة الى الخليفة المعتصم يخبروه بذلك الأمر وأن الأمير عبد الوهاب متوجه الى قتال زنعنع فجاء الخبر أنكم تحترزوا عليه غاية الاحتراز (قال الراوى) ورحلت العساكر ويتقدمها الأميرة المجاهدة ذات الهمة وولدها الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وقد وكل غلمانه بالدار التى فيها عقبة وترك عندهم الحصين وأخذ ابنته عذيبه وولده مذبحون وسار من فزعه على الامير مع جملة العساكر وبلغت الأخبار الى سائر البلاد بأن الامير عبد الوهاب طالب دار مصر فأتوا الطماعه طالبين المكسب واجتمع عليه كل قاطع طريق وكل لص فى الشام طمعا فى النهب والحطام ولما وصل الى دمشق صار فى مائة ألف عنان ولما نزل على ظاهر الغوطه خرجت اليه الإقامات والعلوفات من صاحب دمشق الامير سوار وصار الامير بعد ذلك طالب بلاد الساحل وهو لا يأخذه قرار لاجل مافى قلبه من زنعنع بن عقبه من النار قال وان زنعنع قد وصلت اليه الاخبار وقالوا له الجواسيس ياملك شد عزمك فى هذه النوبه فقد سارت اليك عساكر بنى كلاب ومعها سودان مثل الذئاب يقدمهم الامير عبد الوهاب وأمه ذات الهمه بنت مظلوم التى قد خربت بلاد الروم ومحت منها الرسوم وما أتى حتى ضمن للخليفة أنه يقودك اليه ويحضرك بين يديه فلما سمع زنعنع ذلك الكلام ضحك وقال وحياة شيبة أبى الشيخ النجيح الذى عرفنى عبادة المسيح لأورينكم عند إشراف هؤلاء القوم قتال يذكر يوم بعد يوم ثم أنه أمر عساكره بأخذ الأهبه واستعداد العدة

وقالوا نحن مانخرج من بلاد مصر حتى نكسر هذه العسكر ونملك البلاد كما أمرنى أبى على أنه لابد ما يعود مع ملك الروم الى بلاد الثغور ونخرب تلك البلاد (قال الراوى) ثم أن الملعون زنعنع أمر العساكر بأخذ الأهبه للحرب والقتال والاستعداد وللطعن والضرب (قال الراوى) ثم أنه التقى بعساكر المسلمين وابطال الموحدين وكان الملتقى بينهم بمرج يعرف بمرج أبى عاص فلما وقعت العين على العين ونظرت بعضها البعض فرسان الطائفتين فلم تمهل عساكر السودان أن تصف صفوفها حتى أنهم حملوا على القوم من غير ترتيب ومازجت فيهم السودان بالحرب والمزاريق وفعلوا بقوم زنعنع فعال الأبطال وخاضوا فى المجال واشتد الحرب وطال واشتعل الفصال وجرى الدم وسال ووقع للجبان الانذهال (قال الراوى) هذا ولما نظر الأمير عبد الوهاب الى سودان زنعنع فى ذلك اليوم ومافعلوا بالرماح والحراب فقال إنا لله وإنا إليه راجعون والله ما رأيت مثل هؤلاء القوم لأنهم على طبع الدواب يرمون أرواحهم مثل مايرمى الانسان نفسه الى بارد الشراب ثم شكى ذلك الى الاميره ذات الهمه وقال والله يا أماه ما ننال منهم غرض حتى يهلك منا خلق كثير ولاسيما هذا الكلب ابن الكلب زنعنع الملعون فقالت الاميره ما حاله يا ولدى فقال انى لقيته فرأيته فى طبقة عظيمة من الفروسيه ورأيت منه شيطان لا يندفع فقالت الاميره أنا رأيته أول النهار وهو يجول وما كان لى إليه وصول ورأيت قتاله كله خساره بلا خبره ولو كان الله أوقعنى به لما كنت فارقته إلا بالانفصال على أننى يا ولدى اليوم ما أحضر الحرب الاطالبة الشهادة لان الكبر قد استولى على ولا بقينا مما يقاوم الفرسان الا بالصبر والجلد وفى غداة غد نقاتل حتى تهدى نار الحرب ونخرج نطلب البراز لعل هذا الشيطان يخرج ويظفر به واحد منا وقد نفرت هذه العساكر من بين أيدينا لانهم أقوام بجمعه وكلهم به وما هو الا أن يعدم وقد تفرقوا فى أقطار الارض فقال الدينارى وقد قامت عيناه فى أم رأسه ياأمير طيب قلبك فأنا غدا أخرج الى الميدان وأهلك هذا الكلب ومن معه من السودان فسكن قلب الامير عبد الوهاب بذلك وطلب الامير أبو محمد البطال فما رأى له خبر فدق صدره لاجله وقال والله ما هو الا مضى الى عسكر هؤلاء الشياطين يحتال عليهم كما وعدنى وما أخوفنى عليه منهم لانهم بخلاف الروم ثم انه بات ضيق الصدر لاجل هذا الأمر (قال الراوى) وكان الامير أبو محمد البطال قد شاهد القتال وقت العصر فرأى أن عسكر زنعنع قوى وأنه لاينكسر فى يوم ولا اثنين وخشى على عسكر الامير أن يفنى منهم جماعة من الموحدين فقال لولده مذبحون ولابنته عذيبة إعلمى أن هذا

القتال يطول وأنا قلبي على عقبه أن يهرب من ملطيه ويرجع سرى يتعب فى حضوره وربما مضى الى بلد ما أقدر آخذه منها والأمير قد قتل من عسكره جماعه وكل واحد منهم يسوى عشرين قبيله من هؤلاء الملاعين والصواب أننا ندبر فى أخذ الملك فى هذه الليلة لعل العسكر تنكسر بين أيدينا ونرجع الى ما هو أهم من ذلك وهو صلب عقبه فقالت عذيبه ان كانوا هؤلاء القوم ما أبقاهم الا هذا الشيطان فسيروا معى حتى أريكم ما أفعل به وأوقعه فى شراكى وان كنتم تخافوا ولا تدخلوا معى الى عسكره فأقفوا ظاهره حتى أدخل الى الملك وأخدعه بعبادة النار وأسوقه إليكم فوق الحمار فضحك البطال من كلامها وفرح بهذا الكلام وعاد الى خيمته وأخذ كلما يحتاج إليه وكلما قالت له عليه عذيبه فعله يستعين به على مايفعله وخرجوا عنداختلاط الظلام وساروا حتى وصلوا أطراف الخيام ولبست عذيبه تنور ذهب أحمر وتقنعت بقناع شعر أسود وأخذت بيدها عكاز ودخلت نحو العسكر وهى طالبة سرادق الملك وقدأوصت أباها وأخاها بالمقام هنالك ولم تزل تخرق المضارب والخيام حتى وصلت اليه وكان زنعنع قد وصل واستراح وأمر باحضار الطعام وعنده خواص بنى حام وما هو الا أن قدمت له الموائد وقد شرعوا فى أكل الطعام فما هو إلا أن سمع صوت رقيق ندى يتلو شيئا من كلام المجوس وذكر الذمزمة الذين يذكرونها عند الأكل وهى اشواها يالملوهى هندنا ياهورهماتاريتااستانا ياشعيانا ادشعوبا ياهاقلناهايالوع بنار شعشيم وقطن يانافتونا واغطينا من سلميناسيارسينا أن سبنا فغمسنا عند سينا أفعطينا (قال الراوى) وهذا هو دين قديم أظهره فى الخلق رجل حكيم يقال له روالست وأمر بعبادة النار وأظهر كلاما وشيجا وتقديسا بلغة المجوسية وأمر أمته أن يقولوه عند حضور الطعام واذا ارتفع وعند اشراق الشمس اذا طلعت وعند ايقاد وقت وقودها وعند قدوم الظلام وتصفيق الكواكب والقمر السائر الا أن زنعنع لما سمع الزمزمه من عذيبه بذلك الصوت الرقيق الحنون وذكر عبادة النار عاد قلبه إليها ووقعت اللقمة من فمه ودمعت عيناه وكذلك أصحابه وقال لغلمانه على بهذا الرجل العابد فما أظنه إلا رسول من النجم الثاقب وهو عتبان على فخرجوا الغلمان وعادوا وعذيبه معهم بذلك الزى والوقار وهى مثل البدر اذا بدر فلما رآها الملك تقلقل قلبه وطار لبه وقام هو وجميع من حضر إجلالا لقدومها وما فيهم الا من قبل يديها وأجلسها الملك الى جانبه وقال لها من أين قدمت علينا أيها العبد الصالح ومن تكون وكم لك فى الأرض سائح فقالت عذيبه أما سؤالك من أنا فأنا ابن الملك النبراس صاحب كانون الذهب

وتنور النار ذات اللهب الذى صفا فى العباده وتجوهر وأما قولك فيما أتيت ففى أمر أقصه عليك وأريد أن يكون سرا لا يطلع عليه أحد الا أنا وأنت والاله المعبود فانه أمر برد قلبك فلما سمع الملك هذا الكلام ولع قلبه وهام وأصرف جميع من كان حوله وأمر أن يرخوا عليه أبواب السرادق ففعلوا ذلك وما فى الحضار الا من خرج وقلبه فرحان لأنهم كانوا قد بغضوا الملك من حيث استقل الى عبادة الصلبان فخرجوا وهم يقولون لاشك أن النار غضبت على ملكنا وقد أرسل اليه النجم الثاقب رسول يرده إلى الصواب لأن صورة هذا الرسول لم تكن من صورة الآدميين ولا رقة بشرته ولطافته وملاحته وهذا دليل على أنه من الملوك العلويين (قال الراوى) هذا والملك قد خلا بعذيبه وقال لها أيها السيد قص على مامعك من الأخبار فقد أضرمت فى قلبي النار فقالت عذيبه : اعلم أيها الملك انى خرجت من بلد من بيوت النار أتعبد فى بيوتها ورؤوس الجبال ليلا ونهارا حتى وصلت الى هذه الدنيا وقلت انى أمضى الى عين سلوان وأزور بيت هارون . فبينما أنا البارحة نائم عند اهرام مصر واذا قد تجلى النجم الثاقب الذى نعبد النار لأجل تقربنا اليه وقال لى ياعبدى قد قبلت عبادتك وبكاك وأريد أن أتحفك بالثواب وأرسلك رسول الى هذا الملك الذى تبرأ منى واشتغل بعبادة المسيح عنى ودخل عليه المحال من رجل محتال شيخ غدار لعب بعقله حتى بلغ منه الآمال وأزاله عن عبادة النار فامضى اليه وأعلمه انى غضبان عليه وان لم يستقيل من عثرته ويرجع يعظم معبوده وإلا جعلته عبرة بين عبيدى وأنزلت عليه الذل والمسكنة عند محاربته وأحرمته لقائى وأسكنته فى دار بلائى وان هو عاد عن ما ابتدع وقد رجع عن هذه البدع وعاد الى الدنيا كما كان وشيد بيوت النيران . ثم عادت عذيبه الى قراءة المجوس وذكرت أهوال يوم القيامة حتى بكى الملك من شدة ما ناله وكشف رأسه وقال أيها العبد الصالح دلنى كيف أصنع ؟ فقد دخل على قلبي الشك والبدع رأيت اليوم الرخاوة فى بدنى عند الحرب وأظن هذا من غضب الرب . فقالت عذيبه : أيها الملك استدرك الأمر قبل الفوات ولا تتكبر وارمى عن نفسك رداء الإعجاب وقم معى الى جبل طور العتاب واخرج معى الساعة الى ظاهر عسكرك حافى مكشوف الرأس متنصل من دنياك حتى أبسط لك رماد وأقف الى جانبك وأعلمك ما تقول وأدعو الرب الكبير وتصلى ركعات حتى يغفر لك مامضى ويقابلك بالعفو والرضا . لأن ذل العبد بين يدى المولى عز الى الأبد وما خاب من وقف تحت الظلام وتعبد . فلما سمع الملك ذلك طاش عقله وحار

وقام حافيا من سرادقه يطلب البر والقفار ولم يطلع على حالته أحد لا من الجيش ولا من غيره . هذا وعذيبه سائرة بين يديه حتى انفردت عن الخيام تحت غسق الظلام واستقبلت به الشوق وبسطت يديها وبسطت سقط كان معها فى مخلاة وجعلت تلقنه ما يقول من الدعاء وتبكى فى وجهه حتى بكا وصلى حتى غسق الظلام وهدى وقالت له عذيبه ابكى الساعة على جنبك فابكى وقامت عذيبه تبكى عند رأسه وبعد ساعة قالت له عذيبة قد غفر لك ربك ومحيت خطاياك وذنبك فقعد زنعنع وهو قد انتبه كأنه كان فى منام وقال أيها العبد الصالح أريد ربى أن يخاطبنى وأسمع منه كلام فقالت عذيبه ما تقدر على ذلك إلا أن تترك القيد فى رجلك وهذا الغل فى عنقك وفى يديك وسلم أمرك اليه ثم أخرجت له قيد وسلسلة طويلة وهو مثل الجيران ثم انها غلت يديه الى عنقه وقالت له هذا بلوغ الصالحين للآمال وأخرجت سوطا من جلد منقوع وجعلت تضربه على أجنابه وتقول هذا عقوبة فعالك الفاسد وتحولك عن الدين الصحيح الى عبادة المسيح ولم تزل تضربه على أجنابه حتى أدمت وصاحت بأبيها البطال وأخوها مذبحون فتبادروا اليها ورأوها على تلك الحالة فتعجبوا من فعالها ثم أنهم جعلوا الأكره فى فمه وشدوا عليه وحملوه وساروا يطلبون عسكر الامير عبد الوهاب وقد أوسعوا فى الأرض حتى عبروا الحرس فكانوا عند السحر فى عسكر المسلمين وقصد الامير أبو محمد الى خيمة الامير عبد الوهاب وكان قد عاد من الحرس هو وأمه ذات الهمه لأن الليل كان قد انقضى وما هم الا قد نزلا حتى دخل عليهم البطال وأولاده فقال الأمير عبد الوهاب مرحبا يا أبو محمد أين كانت غيبتك والله ان قلوبنا بك معلقة فقال أبو محمد ما كان الاخير بحمد الله تعالى ثم ترك زنعنع بين يديه وأخبره بالحال وبما صنعت عذيبه من الحيلة فتعجب الامير وشكر الله تعالى وأثنى عليه وقال سبحان مسهل الأمور والله يا أبو محمد ما بت الليلة إلا وأنا حامل هم هذا الملعون وهم عساكره ثم نظر اليه وهو فى القيد والغل فزاد عجبه وقال والله ان فيه مشابهة من أبيه لولا سواده وهذا اذا كسرنا عساكره صلبناه على باب الذهب حتى لا يرجع يطمع أحد فى أموال المسلمين ولا يخرج خارجيا على بنى العباس ثم أنه وكل به جماعة من بنى كلاب وأقاموا حتى أصبح الصباح وثاروا الى الحرب والقتال بنيات صحاح وركبوا متون الخيل القداح وكثر فيهم الصياح وركب أيضا عسكر زنعنع وسودانه وانتظروا زنعنع أن يخرج فما خرج فسألوا عنه خواصه الذين كانوا عنده فقالوا رأيناه وقد أتاه شخص مثل القمر عليه ثياب حمر ورأيناه وهو يعاقبه على تركه عبادة النار ودخوله فى دين أصحاب الزنار وبعد

ذلك طلب الخلوه معه وخرجنا من عنده وتركناه وهذا آخر العهد به فان كان قد تم على الملك أمر فهذا علامة الادبار (قال الراوى) وقد شاع هذا الحديث بينهم حتى سمعوه العرب الذين كانوا قد صاروا مع زنعنع من أرض مصر فصعب ذلك عليهم وقالوا لبعضهم هذا هوالهلاك بعينه لنا ولأولادنا وسبب هجاجنا من أوطاننا وبلادنا لاننا قد خامرنا على أصحابنا وقاتلنا مع هـذا الخارجى وها قد تم عليه ما تم وما بقى فى الأمر الا أننا نسير اليوم ونـكون بمعزل عن القتال فان طلع للملك خبر بقينا على حالنا وان كان هلك حملنا على هؤلاء السودان والا سبونا وتركونا مثلا فى هذا الزمان (قال الراوى) ثم انهم ترتبوا واصطفوا للحرب وتأهبوا للطعن والضرب وقالت الحبشه نحن نعلم أن ملكنا ما عدم الاوهو عند هؤلاء القوم وقداحتالوا عليه وأخذوه ولا بد ما نرمى أرواحنا الى الهلاك حتى اننا نخلصه ثم انهم صاحوا وعولوا على الحملة فقال الأمير أبو محمد البطال للأمير عبدالوهاب اقبل منى ماأقول واخرج هذا الملعون إلى بين الصفين واضرب رقبته واصلبـه حتى ينقطع آمال السودان منه والا لاقيت اليوم منهم قتال مارأيته قط لأجل طمعهم فى خلاص ملـكهم فقال الأمير عبدالوهاب افعل ما بدالك فأنا ما كان فى نيتى إلا صلبه مع أبيه والساعه فرأيك أصوب ثم انهم نصبوا لزنعنع خشبة بين الصفين وما كانت الاساعه حتى حمل إليها بقيده وغله ورفعوه الى أعلاها وقد أخذته الحراب والسهام من السودان والعوام ورأت عساكره ذلك فتملقت عزائمها وانقطعت ظهورها وقد عولوا على الحمـلة فصاحت عرب مصر أمير المؤمنين يا منصور ثم انها مالت على عساكر السودان ونظر الأمير عبد الوهاب الى ذلك فحمل فى بنى كلاب وكذلك الدينارى والسودان الأنجاب ووقع فى عسكر زنعنع الذل والهوان وأخذهم الصياح من كل جانب ومكان وعمل فيهم الصارم اليمان فيا لها من ساعه ما كان أعظمها وعلى أهل الـكفر ما كان أيشمها (قال) فعنـد ذلك ولوا الأدبار وركنوا الى الفرار وعمل فى أقيفتهم السيف اليمانى وفى ظهورهم الخطار ولم تزل العساكر وراءهم الى آخر النهار وردالأمير عبدالوهاب والأميره ذات الهمه وبنى كلاب والسودان الأنجاب والكل يثنوا على الأمير أبو محمد البطال وعلى ولده مذبحون وابنته عذيبه ويسبحون الله ويقدسونه (قال الراوى) ولمـا كان من الغد ارتحلت عساكر الاسلام والأمير عبد الوهاب أقبل إلى أرض مصر ينظر ان كانت السودان فيها والا رحلوا عنها قال لا بد أن أخلص مصر من هؤلاء الأندال وكان المصاف بينه وبين مصر خمسة عشر فرسخ لأن مصر مفضلة فى سائر الأقاليم لأن الله تعالى ذكره

فى كتابه العزيز ومن جملة ذلك قوله تعالى (وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) ثم انهم ساروا الى أن أشرفوا على مدينة مصر فوجدوهم قد انهزموا وكذلك العرب المتجمعه ولوا فعند ذلك دخل الأمير مصر وأوكب فيها (قال الراوى) وكان لدخوله يوم عظيم وفرحت به سائر الخلائق والأمم وهم يدعون إليه وقدأخذه الدعاء من كل جانب ومكان وأقام بمصر ثلاثة أيام كل يوم يركب ويزور قبور الصالحين ويتفرج على آثار المتقدمين وفى اليوم الرابع رحل يطلب البلاد وأبو محمد يحثه على المسير شوقا منه الى عقبه الخنزير وعبد الوهاب يقول له يا أبا محمد لا بد ما أجعل طريقى على بيت المقدس وأصلى فيه وأربح الثواب فقد انتهى العمر ومالى عمل ألقى به ربى ولا أنا طامع إلا فى المغفرة والرحمة وهذا بيت المقدس مكان شريف صلى فيه سائر الأنبياء صلى فيه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم جعلوا يقطعون البلاد حتى وصلوا إلى عسقلان والدعاء يأخذهم من كل مكان وأقاموا فى عسقلان للراحه ذلك اليوم ومن الغد هموا بالرحيل وإذا بمذبحون قد دخل على أبيه البطال وقال ياأبتاه قد وصل أخى الحصين وغلامك لؤلؤ من ملطيه وأخبروا أن عقبه هرب فلما سمع أبو محمد منه ذلك كادت روحه أن تزهق من شدة ما جرى عليه ثم أحضر الحصين ولؤلؤ بين يديه وقال ويلكما حدثانى بهذه القصة فقال الحصين ياأبتاه ان محمد بن أبان السلمى كسر علينا الدار فى الليل ونزل هو وعشرة من بنى سليم وذبحوا من غلمانك اثنين وأخذ عقبه من المطموره وسار من ملطيه وكنا نحن تلك الليلة برا فلما أصبحنا دخلنا نفتقد عقبه فما رأيناه ووجدنا قد تم هذا الأمر وما كان لنا من نشتكى اليه إلا الأمير عمرو بن عبيد الله فلما أعلمناه بذلك أركب الخيل فى طلبه فلم يعلم له خبر فاعتذر إلينا وضاق صدره لذلك فأقسم أنه ان وقع بمحمد ابن أبان صلبه وصلب كل من معه ولما أيسنا نحن من عقبه سرنا إليك ثم قال الحصين وقد سمعنا أن عقبه ومحمد بن أبان وثلاثين رجلا من بنى سليم قد أقلعو إلى قبرص وهم طالبين بلاد الغرب (قال الراوى) وكان هذا الشيطان محمد بن أبان كما ذكرنا قليل الدين شديد اللجاج محب لعقبة وانه لما رجع مع الأمير من الكسرة التى كسرهم زنعنع ورأى من قد هلك من بنى عمه وكان فى قلبه أيضا من فعال الخليفة أمر عظيم لما صلب منهم عند هتك ستر عقبه من ذكرنا ونفسه تحدثه أنه يدخل الى بلاد الروم وينتصر من شدة لجاجه ولم يزل كذلك حتى رأى البطال قد أتى بعقبه وحبسه فى المطمورة وسار مع الأمير الى قتال زنعنع كما ذكرنا . ورأى محمد بن أبان ذلك فقال

مالى إلا أن اغتنم الفرصة عند خلو ملطيه من بنى كلاب وأخلص ابن عمى عقبه ولا يشمت بنا عبد الوهاب وأسير معه الى أين أراد الى القسطنطونيه أو إلى ولده زنعنع ونكون نحن معه ندور على فتح البلاد وهلاك أعداءنا والحساد ولا أصبر على الضيم كما صبروا بنى سليم ثم حالف الثلاثين رجل كلهم مثله فى قلة الدين . ولما أراد أن يأخذ عقبة من الدار ترك منهم عشرين ظاهرُ البلد ونزل هو وعشرة الى حجرة البطال فذبح غلمانه وخلص عقبة ونزل هو وأصحابه من أسوار ملطيه وكانوا قد حصلوا لهم الخيل والعدد مع أصحابهم فركبوها وقالوا لعقبة فما يكون عندك من الرأى والتدبير والى أى قول تشير والى أى طريق نسير فقال لهم اقصدوا بنا ديار مصر لننظر ايش فعل المسيح بولدى زنعنع وما كان منه فقالوا له افعل مابدا لك وهانحن سامعين الى مقالك (قال الراوى) ثم انهم ساروا وهم يسيرون بالليل ويكمنوا فى النهار وقد تكرز بهم وكذلك تنكر الآخر فبينما هم سائرون واذا بالخبر وصلهم بما جرى على ولده زنعنع وكيف أن الأمير عبد الوهاب ضرب رقبته وهو على الخشبة بين الصفوف وكسر عساكره (قال الراوى) فلما أن سمع اللعين بذلك شخر ونخر وطغى وتجبر وكفر وقلع مداسه ولطم به على رأسه ومزق ثيابه ولطم على قمته ونتف ما بقى من لحيته وقال فما المسيح إلا مسلم ولابد أن عقبة يدخل الى بلاد اليهود ويعتقد ما يعتقدون ويعبد مايعبدون ولو يعبدوا الحجر وقد زاد به الفكر وأتاه الهم والضرر وكادت مرارته من الغيظ تنفطر وقال لمحمد بن أبان انقطع يا ابن العم أملى من هذا الوجه وخاب رجائى وقدحصلنا الساعة فى هذه البلاد ومابقى لنا نجاة ولا مكان نعيش فيه سالمين إلا بلاد المغرب ونقيم تحت ظل خليفة بنى أمية وأنا أتوسل اليه وأتركم عنده بالمنزلة الرفيعة ويكون حالنا مكتوما فقال محمد بن أبان افعل مابدا لك فموتنا فى بلاد الغرب أهون علينا من شماتة الأعداء ثم طلعوا فى بعض المراكب وأقلعوا طالبين جزيرة الأندلس وعقبة يشرح لهم دين النصرانية ليلا ونهارا حتى نصر الجميع وبراهم من دين الاسلام (قال الراوى) وكان الحصين ولؤلؤ قد اقتفوا آثار عقبة ومن معه إلى صور كما ذكرنا ودخلوا على البطال وشرحوا له القصة كما وصفنا (قال الراوى) ولما علم البطال حقيقة ذلك ضاقت عليه المسالك وقال للأمير عبد الوهاب أنا من هنا ما أتبعك ولا بد لى مما أدخل الى جزيرة قبرص وأقتفى آثاره ولا أعود إلا به إن شاء الله تعالى أو أهلك دونه ثم اكترى بعض المراكب له ولأولاده مذبحون والحصين وغلامه لؤلؤ وأرادت عذيبه أن تسيرمعهم

فلم يمكنها من ذلك بل سيرها مع الأميرة ذات الهمة بعد أن طلبت الأميرة المسير معهم فلم يطاوعها وقال لها أيتها الأميرة نحن نركب هذا البحر والله يعلم ما يكون وانى مقامك فى الثغور فى وجه العدو أوفق ثم انه أقلع بريح طيبة وكتب الله لهم السلامة بعد ما قعدوا فى البحر أيام الى أن وصلوا الى قرطبة ونزلوا من المركب وسكنوا فى بعض أماكنها وأقاموا فيها ثلاثة أيام وهم يدوروا على عقبة فما وقعوا له على خبر فقالوا له أولاده يا أبتاه فما يكون عندك من الرأى فى وقوع هذا الشيطان ونحن لانعلم هم فى أى مكان فقال البطال يا أولادى وحق البشير النذير إن قلبى يحدثنى أن الكلب عقبة ما قصد إلا بلاد الغرب لأنه يقول ان دخلت الى بلاد الروم لابد أن البطال يسير خلفى ولا يكون لى قرار فى تلك الأمصار وأما الغرب فما يعلم بى ان كنت هناك أم لا وما يعلم الملعون أن إبليس يتعلم منى الطريق والصواب أن نقصد الى تلك الأماكن وننظر ان كان هناك أم لا فقالوا له أولاده افعل ما بدا لك فكلنا سامعين مقالك فعند ذلك ساروا الى مدينة اسكندريه ومن هناك الى بلاد الغرب (قال الراوى) فهذا ماكان من أمر البطال . وأما ما كان من عقبة الشيطان ومحمد ابن أبان فانهم ساروا يطلبون الغرب كما ذكرنا وقد ضاقت عليهم الأرض ولم يزالوا سائرين حتى انهم أشرفوا على مدينة الغرب وهى المدينة الكبرى وكان بها الملك الذى من بنى أمية وهو هشام المؤيد الذى جرى له مع البطال وظالم ما قد جرى لما كان نفاهم الخليفة هارون الرشيد بالله الى بلاد الغرب وعدوا قدام عبد الودود بن اسماعيل ودخلوا بعد قتل ازور ملك البربر وأتوا الوبال الى تلك المدينة (قال ياساده) وبعد ذلك دخلوا من خشخانه الى تلك المدينة وأرسلهم ذلك الملك هشام المؤيد الى بلاد الافرنج وجرى ماجرى وانتصروا على العدو ورحلوا بعد ذلك الى بلادهم (قال) ياساده وتداولت الأيام والشهور والأعوام الى أن دخل عقبة الى هذه المدينة (قال الراوى) وكان ذلك الخليفة من بنى أمية كما ذكرنا وكان السبب فى قدومهم الى هذه الأرض أنه لما جرى لمروان مع أبو مسلم الخراسانى وعبد الله والمنصور والسفاح وماجرى من قتل مروان فانهزمت بنى أمية وأتوا الى هذه المدينة فساروا خلفه ومن جملتهم هشام المؤيد هذا وكان صاحب عدل وانصاف ويكره الجور والإسراف (قال) ولما أشرف عقبة على هذه المدينة وجد ملك عظيم أعظم من ملك بنى العباس (قال) فلبس الملعون بدلة عظيمة وجنح الطيلسان وأرخى أردانه والتقى بموكب الخليفة وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين وحامى حوزة الدين خذ

بيـد المظلوم وارحم المساكين يرحمك رب العالمين ثم ان الملعون حط يده على أذنه وقال « ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » وكان الملعون له صوت حنون وقال ياخليفة الله إنى قد جئت اليك من الداخلين عليك وانى أبشرك بكل خير ولك العز والبقاء وتظهر العدل فى هذا الزمان يا أمير المؤمنين أنا قاضى قضـاة العراق والحاكم بين الناس ومدير دولة بنى العباس وقد قصـدت الى حرمك العظيم لأعيش تحت ظلك لأننى فى محبتـك قطعت أطرافى ولأجل خلافتك سلمت من تلافى فأجرنى من الردى ولا تشمت بى العدا وامتحنى فى أى شىء أردت ليتبين لك ذلك لفهمى وعلمى ثم بكى الملعون بخشوع وفيضات دموع فقال له هشـام ماسمعنا أن القاضى بالعراق إلا عقبـة بن مصعب وبلغنا أنه نصرانى ولم نصدق هذه المعانى فقال عقبة أناذلك المظلوم المتهوم فحاش لله الحى القيوم وانمـا أنا أتولى دولتك وكل وقت يشاورنى المعتصم بأنه ينفذ اليك يقتلك وأنا أنهاه عن ذلك ولم أزل كذلك الى هذا الوقت فعادونى فى المشورة فنهيتـه فغضب المعتصم على وقال والله ياقاضى ماقصدك إلا دولة بنى أمية ثم قبض على وفعل بى هذه الفعال ونكل بى أشد نـكال وأراد أن يصلبنى فسألوه أرباب الدولة فى حتى تركنى وعدت الى الثغور ولمـا برئت أطرافى وشـكوت حالى الى بنى عمى فتبعنى منهم هؤلاء الثلاثين وأتيت اليك قاصد فلما سمع هشام منه ذلك تعجب وقال ياقاضى أبشرفقد ذهب عنك الشـقاء والتعب ونلت ما أنت له طالب وأنا أحكمك فى دولتى وأتركك مدبر مملكتى ثم أعاده الى مركوبه وخلع عليه وعلى أصحابه وولاه قضاء الأندلس وبعد أيام وصل أبو محمد البطال وأولاده وقد اقتفوا آثاره حتى وصلوا الى تلك الديار وقال البطال ياأولادى هذه المدينة أعظم مدائن الأندلس وهى كرسى مملـكة خليفة المغرب فليدخل أحـدكم اليها ويتنسم أخبار عقبة إن كان ههنا أم لا ويعلمنى بمـا جرى فقال الحصين أنا لهـذا ثم سار الى البلد وقد ترك أباه فى بعض البساتين وهم أن يدخل البلد واذا بعقبة خرج ومعه جماعة من الأصحاب فلما رأى الحصين عرفه فأمر بقبضـه وعاد إلى هشام المؤيد وقبل الأرض وقال يامولانا وقعت ببعض أعداك وهو من جواسيس المعتصم فاصلبـه فهو الذى ضمن له قتلك فقال له افعل ما بدا لك ولا تعود نتوانا فى الركوب وفزع المؤيد على نفسه هذا وعقبة قد عاد وأمر أن يصلب الحصـين على خشبة عالية مقابل الباب وعقبـة ينظر اليـه كيف يشنقوه ويشتفى منه إلى أن فارقت

روحه جسده وسار الى أشبيله وقد حذر على نفسه (قال الراوى) فهذا جرى وأما البطال وولده مذبحون ولؤلؤ فانهم لما أبطأ عليهم الحصين دخلوا وراءه الى أن وصلوا الى الباب فرأوا الحصين مصلوب وقد مال على رأسه وكل من دخل وخرج يتفرج عليه فلما رآه البطال لطم على رأسه واعتنقه وهو على الجزع وكذلك لؤلؤ ومذبحون وتصايحوا واجتمعت الناس عليهم وقالوا لاشك إن هؤلاء باقى الجواسيس وبلغ الخبر إلى هشام المؤيد فقال لبعض حجابه انزل وائتينى بهؤلاء القوم حتى انظر هذه النصة كيف هى (قال) فنزل الحاجب وأتى بالبطال ومن معه من الرجال فقال لهم ويلكم من جسركم على هذه الفعال فقال أبو محمد يا أمير المؤمنين لاتقول هذا فتأثم إن كنت أمرت بقتل ولدى فلى معك وقعة بين يدى الله تعالى فقال له من أنت ومن هو ولدك فقال أنا أبو محمد البطال حامى ثغور الاسلام وسبب دخولنا الى هذه الديار عقبة الكافر الغدار المطرود من باب رب العالمين وقد ثبت عند كل أحد كفره وهذا خط المعتصم بكفره وقصته والذى قد صلبته هوولدى وقطعة من كبدى ثم أعاد عليه ماجرى وأوراه خط المعتصم فلما قرأه أطرق الى الأرض رأسه ثم رفع رأسه وقال أما صلب ولدك فمارأيته وأما عقبة فقال لى كيت وكيت فصدقته والآن فما أقول انه كافر برب العالمين فاصطلحوا واقعدوا عندى ودعوا عنكم هذا الكياد فقال أبو محمد يامولانا ما أقدر على الاقامة ولا لى الى صلحه سبيل لأنى رأيته يسجد للصور والتماثيل فان سلمته الى فأنا أهبك دم ولدى وإلا عدت بالخيبة الى بلدى ثم قبل الأرض وسأل الإذن فى الانصراف واذا بخادم من خدام هشام عليه زى أهل الصلاح قد قبل الأرض وقال يامولانا أنت تعلم أنك قد أنعمت على بجالية النصارى لأنها حلال وفى هذا اليوم احتجت الى شىء من الدراهم فمضيت الى البيعة لآخذ من بعض النصارى ما وجب لى عليهم فرأيت عندهم عيد عظيم وهم مجتمعين وقد مسحوا وجوه الصور وحلوا القناديل وهم يقرءون الانجيل واذا بشيخ قد خرج من المذبح وعليه ماشوحة وعلى صدره صليب ذهب وحوله ثلاثين رجل على صدورهم الصلبان وهو يقربهم فتأملته وإذا هو القاضى عقبة والذى حوله أصحابه قال فلماسمع المؤيد ذلك صح عنده كفر عقبه وقال أريد أن أطلع على هذا ثم صبر إلى الليل وأخذ أبا محمد البطال وعشرة من الخدام والخادم الذى أخبر بذلك وساروا حتى وصلوا إلى البيعه فقال الخادم ان دقينا عليهم حتى يطلعوا علينا هربوا ولاننال منهم مقصود فتسلق مذبحون وفتح الباب وقال ادخلوا على اسم الملك الوهاب

قال فدخل الخليفة وجماعة الأصحاب وقد أشهروا السيوف فلما حصلوا فى وسط البيعه سمعوا ضجة الرهبان وصوت عقبه يبدأ بهم ويضع لهم الألحان فقال الخليفة هذا والله صوت عقبه ثم دخل الهيكل فرآه على جرن ماء المعمودية وهو يغمس بنى سليم فما أحس عقبه إلا والمؤيد على رأسه وقال يا شيخ الضلال ايش هذه الفعال فشال عقبه رأسه وقد ضربت أضراسه وقال يا مولانا العفو أنا أجدد الاسلام بين يديك وأحلف أنى لا أعود الى مثلها أبدا فقال الخليفة ويلك فلا عفى الله عمن يعفو عنك ثم قبض عليه وعلى بنى سليم وسلم عقبه الى البطال وقال خلوا الباقين حتى نأخذ منهم حق الله وسلم إلى البطال عقبه وقد انفطرت مرارته وقال له يا شيطان خلق خلقى فقال له يا ملعون أقدر أخليك حتى أصلبك بكفى سيما وقد أثرت فينا أثر فصلبت ولدى الحصين وتركتنى عليه باكى العين (قال الراوى) هذا وهشام المؤيد قد أمر بالقبض على القسوس الذين فى البيعه وقال لهم ان أنتم أيضا قد خامرتم على لاطلاعكم على هذا الأمر وكتمانكم على ثم أقام باقى ليلته فى الكنيسة وغلمانه تنهب الأموال ولما كان عند الصباح أمر بصلب بنى سليم وصلب القسوس على شراريف البيعه وخلع على البطال وأقام عنده عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر استأذن أبو محمد فى الرواح وأعلمه أن له من ينتظره فأذن له فى ذلك وادعى برجل يقال له حسن بن عبدالله وهو ريس البحر المقدم على المراكب فسلم أبو محمد إليه وقال له أريد تسير هذا إلى أى بلد يريد من بلاد الساحل وتوصى عليه ولا تتوانا فى حقه فقال يا مولانا ما ههنا الساعه مراكب عازمه على الاقلاع إلا ثلاثة من ديار مصر واسكندرية فان اشتهى سيرته معهم فقال البطال أنا أسير إلى مصر ثم نقل رحله وتولى أمره ريس البحر وأنزلهم فى بعض المراكب ومن الغد أقلع المركب وسار وقد رزق بريح طيبة وما كانت إلا أيام قلائل حتى أشرفوا على اسكندريه وأقلع منها إلى ديار مصر ولما حصل فى مصر طلع عليه أحمد بن طالون وقد فرح بوقوع عقبه وأمر للبطال بدار حصينه وقال له أقم ههنا حتى تستريح من وخم البحر فقال له البطال أخاف على هذا الملعون أن يهرب أو يكون له ههنا من يخلصه لأن له فى كل بلد متعصبين وأصدقاء ومحبين وأصحاب من النصارى ومسلمين وربما أن أنكبس فى الدار ويؤخذ منى فأتركه عندك فى النصر واحتفظ عليه (قال الراوى) فسلمه أحمد ابن طالون وقيده بقيد ثقيل وتركه فى حجرة وأقام عليه التوكيل وبقى البطال خمسة أيام وفى اليوم السادس طلب المسير وطلبه أحمد حتى يسلمه إليه فما رأى له خبر ولا وقع له على أثر ولا للموكلين به أثر فتحير من ذلك وأخذه الفكر وأتى البطال فكادت مرارته

تنفطر وجرى عليه ما لايجرى على قلب بشر وقال ضاع والله تعبنا وضاع السفر فقال له مذبحون يا أبتاه لا يكون قد تعصب له أحمد بن طالون وأطلقه فقال البطال لا والله يا ولدى لأنه يعلم أنه كافر وطول الزمان يعاونا عليه (قال الراوى) وكان السبب فى هروب عقبه أنهم لما تركوه فى الدار وتركوا عنده الموكلين فرآهم كثيرين السكر وشرب العقار ونشيد الأشعار والبكاء بالليل والنهار فسألهم عقبه عن أمرهم فقالوا ياشيخ نحن عشاق ومغلوبين قليلين الديوان مهجورين فلما سمع عقبه هذا الكلام طمع فى الخلاص وقال لهم يا قوم ما قولكم فى ثلاثة آلاف دينار تعيشوا بها مع من تحبوا طول الزمان وتستغنوا عن خدمة السلطان فقالوا والله ما هذا إلا رأى جيد ان حصل فقال عقبه هو حاصل لكم ان دبرتم فى خلاصى ولاتسرعوا فى هذا الحال حتى تقبضوا الأموال فقال واحد منهم أنا لو وقع فى يدى ألف دينار اشتريت منها محبوبتى بمائة دينار وأكلت الباقى معها وقال الثانى كذلك وقال الثالث وأنا كنت أرجع إلى أهلى فقالوا وكيف يكون حالنا مع السلطان فقال عقبه للمتكلم أنت قد ذكرت أنك ترجع إلى أهلك فاذا قبضتم المال انقبوا الدار وخلصونى حتى يبقى لهؤلاء حجة يقولوا رفيقنا أسكرنا وهرب بالشيخ عقبه فقالوا هذا هو الصواب ثم كتب لهم الملعون رقعة بيده اليسار إلى رجل نصرانى فلماقرأها أجاب بالسمع والطاعه وأخرج له ثلاثة آلاف دينار فأخذها وسار إلى أصحابه فلما رأوا أصحابه المال حارت منهم الأفكار وقاموا إلى عقبه وفكوا قيده وأخرجوه وقالوا له انج بنفسك من الحمام فنحن ما لنا مقام فقال امضوا فى دعة الله ثم أنفذ إلى النصرانى قوما فأخذ منهم نفقة وسار إلى النوبه وأشعل فى قلب البطال لأجله النار وقال والله لأدورن عليه الأمصار وأخوض البحار وأنا أعلم أن خبرنا سوف يكتب فى الأوراق والأسفار ويقرأوه فى سائر الأقطار ويتعجب كل من الحضار ويبقى حديثنا بعدنا حكايات وأسمار ثم ودع صاحب مصر وسافر إلى الصعيد وعبر إلى عيداب وقال لولده اقصد بنا إلى بلاد السودان فأنا أعلم أن عقبه يطلب البعد فى الأقطار لتنقطع أخباره عن هذه الديار ثم سار يقطع القفار ويتنسم الأخبار حتى دخل إلى بلد النوبه ونزل فى خان فبينما هو يسير بعض الأيام فى المدينه ويسأل وإذا بجنازة عابرة وبين يديها أعمى يقرأ فتأملها البطال وإذا به عقبه قال أحسنت يا نحس صرت أعمى ألا لعنة الله عليك وأراد أن يعرف قوله عندهم فقال لبعض تجار البلد والله ما هذا إلا مقرىء طيب فقال له نعم وهو أزهد المخلوقين وأكثرهم خوفا ودين وقد ظهرت له كرامات الصالحين ومقامات تدل على أنه عند الله من المخلصين فلما سمع البطال ذلك

علم أنه ما ينال منه مقصود إلا بالحيلة فعاد إلى الخان وأغلى له بعض من النمل والتبن حتى كبر بطنه واستقبل القبلة وقال لمذبحون وغلمانه غطونى وشقوا ثيابكم وابكوا على حتى يأتى عقبه يغسلنى ففعلوا ذلك وسمعوا أهل البلد فاجتمعوا الى البطال والخانى يقول لا تضيقوا صدوركم ولا تعترضواً على ربكم فان موت الغريب شهادة ونحن نعاونك عليه ونأتيه بمن يغسله ويقرأ بين يديه ثم ان الخانى خرج وعاد ومعه عقبه وهو يقرأ (رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق) ولم يزل به حتى أدخله عند البطال وكشف عنه الغطاء وهو يقول اللهم اغفر له وسامحه واعف عنهم يا رب العالمين ثم فتح عينه الصحيحه فعرفه فقال يا مسيح طيب مليح هذا البطال وما مات إلا مكر ومحال ثم عول على الخروج فقال مذبحون يا سيدى لم لا تقضى حقنا وتغسل ميتنا وتنجز أمره وتأخذ حقك فقال عقبه أنا على غير وضوء وما أقدر أترك يدى عليه الا على طهارة وها أنا خارج أجدد وضوئى وأعود إليه فقال مذبحون ما يبالى إذا كان قلبك طاهر طهرت أعضاءك فقال لؤلؤ أنا ما أخليك تخرج لأن ما يقع لنا مثلك فقال عقبه أنا ماأغسله ولاأقربه وأهل الخان يحلفون عليه وإذا بالميت قد وثب وتعلق بلحيته ولطم قفاه وشاله على يديه وجلد به الأرض وقعد على صدره والناس قد تعجبوا من أمره وقالوا وحق محمد قد قام الميت يضرب الغاسل كيف ماغسله ماهذه إلا قدرة قادر وعقبه يصيح أنا بالله وبالمسلمين والبطال يعطى قفاه حتى اشتفى منه ورأى العوام قد مالوا إليه فصاح بعلو صوته ويلكم يا كلاب ما تمضون أو أصلبكم أنا أبو محمد البطال صاحب المعتصم وهذا عقبه الكافر بالله ورسوله وقد أنفذنى الخليفة خلفه وهذا خطه بأنه نصرانى على دين الضلال فروحوا وإلا صلبناكم بالحبال فلما سمعوا الناس كلام البطال أمسكوا عقبه وجرى الشرط أن يطلعوا إلى صاحب البلد ليرى فيهم رأيه فطلعوا إلى الأمير وحضروا كلهم بين يديه وقرأ كتاب المعتصم عليه وأوراه علامته فقام وباس الأرض وقال هذا طاعة لله ولخليفته ثم خلع على أبو محمد البطال وقال طاعة المعتصم فرض على وعلى كل الأنام وان عارضك أحد صلبته فأخذه البطال ولما كان من الغد قال لولده مذبحون الرأى عندى أن نرجع الى عيداب ونقصد البيت الحرام ونحج ونرجع مع الحجاج إلى مدينة الاسلام ونكون فى ذمام الله تعالى وحماه حتى نصل الى بغداد فقال افعل ما بدالك فساروا من يومهم وجدوا فى مسيرهم الى أن وصلوا الى عيداب وركبوا فى بعض المراكب وعبروا الى بر الحجاز وقد اطمأن أبو محمد وسار الى وقت السحر وترجل فلما وصل اليها تبينها واذا بها بيوت

قوم من العرب فقصد البطال الى أكبرها بيت وكان لأمير الحلة وهو رجل يقال له عمرو بن محارب فلما استقر بهم الجلوس حتى نملت اليهم الجفان واجتمعت حولهم المشايخ وخرج الأمير عمرو بن محارب وشرعوا فى أكل الطعام ورأى عقبه ذلك وكان مكتوف اليدين مشدود الرجلين فقرأ بطيب صوته حتى أبكى كل من سمعه فسألوا أبو محمد عنه فقال لهم وقد اطمأن بقرب الخليفة يا قوم هذا أكبر عدو للمسلمين الأبرار هذا عقبه الذى يعبد الصليب ويشد الزنار وكان الخليفة قد عول على صلبه فهرب منه وقد أتيت فى طلبه حتى حصلته فقالوا له أنت البطال بن الحصين السلمى وهذا عقبه بن مصعب السلمى التى قد شاعت عداوتكم فى الأقطار وتحدثوا بها التجار والسفار ونحن لنا زمان نسمع بهذا وان بينكما عداوة من أيام الصبا وأنت تتهمه بالتنصر وهذا بعيد أن يكون من هذا الشيخ فقال البطال والله ما قلت عنه الا الصحيح ومع ذلك فان الله إذا حكم على العبد بسوء حسن له كل قبيح وما هذا بأعقل من ابليس الذى تعبد فوق السبع الشداد وبعد ذلك خرج له التوقيع من رب العباد بالطرد والابعاد فقال عمرو والله يا أبو محمد مايشك فى مقالك أحد ولكن نريد منك أن تقبل منا فيه السؤال وتحل يديه ورجليه من هذه الحبال فان هذا قبيح بين العباد أن نكون نحن مجتمعين على الزاد وهو فى هذا الشد الوثيق وعلى كل حال فهو مقيت جواد فاذا أكل افعل به ماتختار ولا تخاف وترتاع فنحن من حولك مثل السباع فنام وتهنى بالكرا وإذا انتبهت افعل به ماتشاء فلما سمع البطال هذا المقال استحى من الرجال وقام الى عقبه فحل يديه ورجليه من الحبال وقال له قم ياملعون الى أكل الزاد فقد قربنا من البلاد ومابقى من أجلك إلا القليل وتشرب كاس الوبال فقام عقبه وهو يقول الحمد لله الذى يفعل مايشاء ثم تقدم إلى إناء فيه ماء فجدد منه وضوءه وقال والله لا أكلت طعام حتى أقضى ماعلى من فرائض الاسلام لأن حق الخالق أفضل من حق الخلائق ثم فتح صوته واستقبل القبلة وقرأ وطول حتى أبكى أهل الحله من طيب صوته وخرجت اليه النساء وجعلن ينظرن الى خشوعه والبكاء ولما فرغ من صلاته طلبن منه الدعاء وقام له عمرو وأجلسه إلى جانبه فجعل عقبه يأكل معهم ويحادثهم حتى لعب بعقولهم بما أورد من أخبار الصالحين ومواعظ المؤمنين ولما مضى من الليل أقله تفرقوا أهل الحلة وقال عمرو لأبى محمد افعل أنت الآن بخصمك ماتريد فسبحان من أضله وهذا الفهم فهمه والعلم علمه عندها قام البطال اليه وشد كتافه وأوثق أطرافه وقال له يا ألف قرنان ظننت أن نفاقك ينطلى على كل إنسان ثم باتوا إلى الصباح وعولوا على الرواح فطلب

البطال لعقبه فما وجده ولا عرف له خبر ولا أثر ففاض دمعه وانحدر وعض كفيه وتحير وكان السبب فى خلاصه عمرو بن محارب لأنه لما قام إلى المنام بقى متفكر فيما سمع من عقبه من الكلام وكيف اتهموه بترك دين الاسلام فقال هذا مايقبله عقل ولا يمكن أن يكون مثل هذا الشيخ جاهل ثم أمر عبيده أن يرقبوه وقال إن وجدتم منهم فرصه فاطلقوه وأركبوه بعض الخيل وسيروه إلى حيث أراد تحت الظلام وإذا أمركم بالعودة فقولوا له لاتخلينا من الدعاء ففعلوا عبيده هذا وجعلوا يرصدوا البطال وأصحابه حتى أحاط بهم الكرا من التعب والعنا فأتوا إلى عقبه وحملوه الى ظاهر الأحيا وحلوه من الشد والبلاء وأتوه من الخيل الجياد وأعطوه شيئا من الزاد وقالوا له اتسع فى البلاد ولاتخلى مولانا عمرو من الدعاء عند صلاتك والاجتهاد لأنه هو الذى أمرنا بهذه الفعال ففرح عقبه بها المقال وماصدق بالنجاه والعبيد معه ترعاه حتى أصبح الصباح وعادوا عنه وتم هو يقطع البطاح طالب بلاد اليمن فلما انتبه البطال طلبه ماوجده فعظم عليه وكبر لديه وقال والله ما أضيع تعبى ولأدورن عليه أقطار الدنيا وأنا أعلم أن أهل هذا الحى خلصوه منا ولكن ما يمكن الكلام وأنا وحيد فى أرض الحجاز وأرجع بالخيبة ولو هلكت وأريد أدويد أدور بلاد اليمن كلها فان عقبه ما تعداها ثم أقلع من الحلة وسار يقطع الأرض بلا قرار وهو يتفكر فيما جرى عليه من المحن حتى وصل بلاد اليمن ودخل يوم الخميس عدن وقال غدا إن شاء الله تعالى نصلى فى الجامع صلاة الجمعه ونبحث عن الأخبار فان رأينا لعقبة آثار وإلا سرنا لغير هذا المكان وطفنا سائر البلاد (قال الراوى) ولما كان من الغد خرج أبو محمد يتمشى فى البلد وإذا بالأسواق مغلقة والناس يطلبون الجامع أفراد وأزواج فقال البطال لبعض العوام يا أخى مابال هذا البلد بهذا الانزعاج فقال ياشيخ وصل الينا واعظ يجلس كل جمعة فى الجامع ويذكر من المواعظ شيئا يصدع القلب ويجرى الدمعة وقد صاروا أهل البلد تلاميذه وأكثرنا تاب على يديه واليوم قد نزل الامير عاصم بن الفيهار صاحب البلد الى مجلسه ويكون له يوم عظيم مايوجد مثله فى الأقاليم فقال أبو محمد فى نفسه الواعظ عقبه ورب الكعبه واذا به منغص بالناس وفيه بكاء ونحيب وهو منقلب من كثرة الوجيب وأكثر الناس مشققين الثياب مكشوفين الرؤس يطلبون التوبة من العلام وصاحب البلد يبكى وأرباب الدوله حواليه والواعظ يدق الكرسى برجليه وقد خرق كل ماعليه وهو ينادى يا أهل الذنوب هذا وقت التوبة والتضرع لعلام الغيوب فاحذروا يوما يرجع فيه البصر مقلوب وأنا عبد عاصى وكلنا اليه نتوب وأنا شيخ كبير كثير العيوب وفوق ظهرى ما اثقله من الخطايا

والذنوب ثم حانت منه التفاتة فرأى البطال وولده مذبحون وغلامه لؤلؤ فى أواخر الناس قيام متخفيين بين العوام فلما عرفهم تلجلج لسانه وقل كلامه وتغيرت احواله فثبت جنانه وأرمى طيلسانه وقال با لله العجب يامعاشر المسلمين ورد فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى وأنا رأيت فى بلادكم منكر ويجب على ان ابينه ولا اخفيه فقالوا المشايخ وما هو أيها العبد الصالح إعلمنا به حتى نزيله فقال عقبه إعلموا رحمكم الله ان عندكم امانة لله وهى المساجد والجوامع ويجب على كل مسلم ان يحرسها من النجس ويحفظها من الدنس لأنها بيوت الله وأمر ماعلينا ان يدوسها يهودى أو نصرانى لأن قلوبهم بالغل والاشراز نجسه وضمائرهم بالظن الفاسد والكفر دنسه وقد وقعت فى مجلسنا على قوم يهود وقد اختلطوا بكم يهزؤا بما أنتم فيه من سماع كلام الملك المعبود وما ينبغى ليهودى أو نصرانى أن يدخل المسجد حتى يستأذن المسلمين ثم لايقيم بل يقضى حاجته ويعود وهؤلاء قد رأيتهم من أول المجلس وكلما وعظتكم تلعب وجوههم وأناأعرض عنهم وأوعظ فى بحار أصول الأديان وأشرح كلام الواحد المنان وأقول لعلهم يعودون وهم فى ضلالهم لا يرجون والساعة قد ايست من فلاحهم وأيقنت بفساد صلاحهم فاخرجوهم من الجامع فانه يؤذيه مايؤذى العين فلماسمعوا الناس كلامه تواثبوا الى قدامه وقالوا أرنا اعداء الله حتى نريك مانفعل بهم هذا والبطال يسمع هذا المقال وقد أيقن بالوبال وقال له مذبحون يا أبتى عنايعنى الساعه ويشير الينا فتميل العوام علينا يهلكونا لأن العامه عمى ولايسمعوا منا ويشتفى عقبه وينال منا مايتمناه وما بقى لنا إلا الحيلة وإلا كانت قصينا طويلة وأى حيلة تنجيا فقال البطال معهما رأيتنى أفعل افعل مثلى واتبعنى فان قلت شىء فقل مثلى ثم صاح أبو محمد من آخر الناس بصوت مزعج فأذعر الأمم وشوش ولطم وكذلك فعل لؤلؤ ومذبحون وخاضوا فى العالم وهم يبكون وشق أبو محمد ثيابه وجعل ينادى معاشر المسلمين نحن الطائفة الذليلة التى غلت أيدينا إلى الأعناق وضربت علينا الذلة فى سائر الآفاق وما دخلنا الجامع إلا لأجل هذا العبد الصالح وندخل فى دين الاسلام ونعبد الملك العلام لتمحى عنا الآثام ثم جعل يتخطى رقاب العالم والمجلس منغص بالقاعد والقائم وعقبه يقول ألم أقل لكم إننى شممت روائح الخلاف وقد اتضح الأمر بالحق بأمر صاحب العدل والانصاف ثم جعل الملعون ينادى إلى يا أولاى إلى فان الله مطلع عليكم وعلى وقد فتح لكم باب القبول ونلتم من الله السؤال فاتبعوا سنة الرسول واسمعوا منى ما أقول ثم نزل ثلاث درجات واستقبل البطال وقال مرحبا بالعيار

فلك كنت فى الانتظار هذا وأبو محمد قد عمل فى حلقه فوطه ولفها وأعطاها لعقبه وقال له ياشيخ نادى على فى هذا الموقف حتى يعلمون الخلق وسائر الناس انى مخطئ معترف ويشهدوا على فى الدنيا ويكونوا شهداء لنا فى العقبى (قال الراوى) هذا والناس قد غابت عقولهم من وجدهم وسماعهم واغتنم البطال الفرصة فعض فخذ عقبة بحنقه فملا منه فمه وطلع مذبحون وجعل يلطمه ولؤلؤ يلكمه وهو يصيح والقراء يقرأون والناس فى البكاء لا يعلمون ولم يبق فيهم من له محصول ولا يدرى مايقول وعقبة كلما أعياه الأمر وآلمه الضرب وشد عليه البطال بالضرب والعض يصيح ويلك قطعت لحمى ياقرنان نفس عنى من هذه العقوبة لا قبل المسيح لكم توبة هذا والملك يقول لحجابه الشيخ قد لحقه السماع وقد تسابق اليه الدموع من أجفانه أكثر من هذه الجموع لأجل هؤلاء اليهود (قال الراوى) ولم يزل عقبه يصيح والبطال يكرمه ولؤلؤ يلطمه ومذبحون يزوده حتى غشى عليه ووقع من على الكرسى الى أسفل فوقعوا عليه وفرقعوا أصابعه وداسوا أطرافه فى اختلاعه فرأوا الناس حالهم فقاموا من وقتهم وساعتهم وتطابقوا عليهم وانقلب الجامع بضجيجهم فقال الملك لحجابه ويلكم اضربوا العوام والا قتلوا الشيخ الإمام وداسوا هؤلاء القوم اللئام الذين قد رجعوا الى دين الاسلام وطلبوا رحمة الملك العلام (قال الراوى) ففعلوا غلمان الملك ذلك ورشوا على وجه عقبة الماء وهو غائب عن الدنيا مما تم عليه رجرى فحمل هو والبطال الى عند مقصورة خالية وغلق الباب عليهم وتفرق أكثر الناس عنهم وقام أمير البلد وجلسائه ينتظرون الصلاة وبعدساعة زمانية أفاق عقبه وفتح عينه الصحيحه وقال للبطال خلفى ياابن الحصين فلا رضى المسيح عنك ياسوذى لامسلم ولا يهودى ثم هم أن يصيح فرفصه البطال ولكمه وجعل يلطم خواصره ويقول له ياقرنان ياعدو الرحمن تهرب منى من مكان الى مكان ثم هم أن يكتفه فصاح : وا إسلاماه وا دين محمداه ثم إنه قال الحقونى يامسلمين فقد قتلنى هذا اللعين عدو الدين ولم يزل كذلك حتى سمعوه غلمان الأمير وفتحوا عليه الباب وسمع أبو محمد الباب يفتح فألقى نفسه وتغاشى وتماوت فقالوا لعقبه ياشيخ ما بالك تصيح فقال ياقوم قتلنى هذا اليهودى القرنان وهو عدوى وعدو الرحمن وأريد أنكم تقولوا للأمير يعجل انتقامه فانالله تبارك وتعالى ماقبل إسلامه فقالوا ياعقبه لاتفعل ولا تقل هذا المقال أما ترى الرجل مثل الخشبة مخبل من كثرة الوجد والشوق والهيام لدين الاسلام أنت لاشك ياواعظ قد لحقك عارض من قراءتك الكتب والوعظ واعتراك اختلال

فارجع الآن الى حقيقة الدين ولا تدخل فى دم هذه القوم المساكين ثم عادوا وخرجوا من عندهم وردوا الباب عليهم فقام البطال الى عادته وصار يرفصه برجليه ويلطمه بيديه حتى كاد أن يغشى عليه وهو يصيح : إلى يامعاشر المسلمين وياحماة الدين خلصونى والحقونى قبل أن لاتلحقونى فعاد الملك وسمع الصياح فقال لغلمانه احضروا الكل الى بين يدى (قال الراوى) ففعلوا ذلك ولما صاروا الكل قدامه قال لأنى محمد أنتم من يهود أى البلاد فقال البطال أيها الأمير من هم اليهود نحن عبيد الملك المعبود الذى ليس له ولد ولا مولود وحماة الثغور الأعلام المجاهدين فى طاعة الملك العلام وأنا أبو محمد البطال وهذا ولدى وهذا غلامى وإنما فعلنا هذه الفعال حتى ننال المقصود من هذا الكافر الجحود ولولا فعلنا هذه الفعال لكنا هلكنا مع هؤلاء الرجال وهذا خط الخليفة بمكتوم أمره واباحة دمه بعد ما اطلع على كفره وقد صار يهججنا فى الأقطار وهو يهزأ بالأديان ويظهر الناموس للعالمين وينافق على المسلمين وأنا المهجج فى طلبه حتى ظفرنى الله به بعد أمور جرت على ومصائب ثم حدث الأمير بما جرى له من العجائب وأوراه خط الخليفه فقام قائم وأخذ الكتاب باسه ووضعه على رأسه وصحت عنده الأمور واعتذر للبطال بالتقصير فى حقه لأجل قلة المعرفة به وقال والله يا أبا محمد لقد لعب هذا الملعون بعقول أهل البلد ثم التفت الى عقبه ولطم وجهه وهو لايعيد جواب ولايبدى خطاب وقال للبطال تسلم خصمك وأقم الليلة عندنا حتى نفوز بخدمتكم ثم أمر له بمكان أنزله فيه ونقل اليه كلما يحتاج اليه ومن الغد خلع عليه خلعة سنية وأجزل له العطيه وأمر له بدواب ونفقة وخيل تسير معهم الى حيث يأمنون على أنفسهم وسمع بحديث عقبه أهل البلد فأخذهم الغيظ والحرد كيف يلعب بالأديان وقالوا لو وقع فى أيدينا هذا القرنان قتلناه تقربا الى قلب البطال (قال الراوى) وما أمسى المساء إلا والبطال على الطريق ومعه عقبه الزنديق وهو يحدث القوم الذين معه بمساوىء عقبه وهم يلعنوه وكل مكان ينزلوا فيه يلطموه والعرب تحمل اليهم الاقامات والضيافات حتى خرجوا من أميا اليمن إلى أن وصلوا الى أطراف أرض الحجاز وأمن البطال مما يخاف فودع المسيرين وأمرهم بالانصراف وسار ذلك اليوم فى القنار من الغد الى أن تضاحا النهار واذا قد طلع عليهم عشرة فرسان كأنهم العقبان غائصين فى الحديد والزرد النضيد يقدمهم فارس كأنه البرج المشيد عليه صدرة زرد وهو متقلد بسيفه مهند معتقل برمح مسدد وكان هذا الفارس يقال له صدقه ويلقب بشيطان الحجاز وكانت الجن تفزع من مصائبه والعرب تتحدث فى المضارب بمضاربه لأنه قد أكل العقارات وأذل الفرسان والسادات وكان قد نظر جارية علوية من بنى هاشم فأحبها والتهب فؤاده

بها وما رأى له سبيل اليها فخطبها من أبيها ومعه مشايخ قبيلته وسادات عشيرته وضمن له المال الجزيل والعطاء النبيل ولما عرف أبو الجارية بمنزلته خاف من سطوته وماقدر يرده عن طلبته فبالغ فى الطلب وتعنت فى المهر والذهب وهو يقول على كلما تريد لأن أموال العرب كلها لى قريب وبعيد ثم عاد من عنده وقد أيقن أن الجارية زوجته ولم يأخذه قرار حتى أخذهذه العشرة فوارس وسار يطلب الغارات فلقى البطال وعقبه بالانفاق وكان له غائب عن قومه عشرين يوم وماوقع فى يده شىء فلمارأى هؤلاء مال اليهم وقبض عليهم وبالشد أوثقهم ولا فيهم من دافع عن نفسه ولا مانع لأنهم ما هم رجال الحرب فلما استوثق منهم عاد يطلب أهله والبطال يقول ويلك تهجم علينا ونحن حماة الثغور وسيوف بنى العباس من يجيرك بعد هذه الفعلة ومن يحميك من الناس اذا طلبتك عساكر الخليفة وأبطال بنى كلاب وذات الهمه وعبد الوهاب فقال صدقه وقد صعب عليه هذا المقال ومن أنت من الرجال حتى يطلبوك هؤلاء الأبطال فقال أنا أبو محمد البطال وهذا الذى معى الملعون عقبه شيخ الضلال الكافر بالملك المتعال وأنا سائر به الى بغداد لأنه كلفنى لهذا العناد والآن فقد تهجمت على ما عجزوا عنه كل العباد وفعلت فعل الأوغاد وسوف تندم اذا قصدتك الرجال الأجواد وبلغ خبرك الى المعتصم خليفة بغداد (قال الراوى) فضحك صدقه من كلامه وقال له ويلك يا كلب لو كان الخليفة فى مكانك لما عددناه فى هذا البر من الناس واذا كنت أنت البطال فبك أبلغ الآمال وبك آخذ ما قد قطع على من المال وكذلك هذا شيخ الضلال وما يخرج من عندنا الا بما أريد والا عذبته العذاب الأليم لأننا قد سمعنا عنه العجائب وان له فى كل بلد مضارب ثم جد فى سيره وعقبه بذلك فرحان لأنه يطلب الخلاص بأى وجه كان ولم يزل سائر حتى وصل الى بنى الريان وكانوا وراء مكة بثلاثة أيام وهم قومه وعشيرته ونزل فى بيته وشد أبو محمد وان أصحابه على باب المضرب وفرحت له بهذا سائر العرب وقالوا لقد نال صدقه ما لا ناله أحد وبحقه الذى تسميه العرب شيطان الحجاز هذا وأمه أفرح الخلق بقدومه وما كان له سؤال عند نزوله إلا عن الجارية ابنة حاميد العلوية فقالت له يا ابنى أمس كنت عند القوم وقد سمعت من أمها شيئا غمنى والرأى عندى أن تقصر عن هذه الجارية وتطلب غيرها من بنات عمك فما للقوم فيك رغبة فقال صدقه وقد انقلبت عيناه فى أم رأسه وماالذى سمعتى منهم ياويلك فقالت ياولدى مضيت أمس اليهم على سبيل الزيارة والمودة وحدثتهم بأن قلبى منكسر لأجل غيبتك عنى وعن الأطلال والديار

فقالت أمها الكاملة أما والله يا أم صدقه ما بقى لنا فى ولدك من سبيل لأن ابن عم الجويرية صالح بن هارون العلوى قد أتى اليها وساق علينا وخطبها وبذل لنا كل ما نريد ولما حدثنا أننا قد زوجناها لولدك غضب وقال أنا ما أخلى ابنة عمى علوية يعلوها من ليس له حسب ولا نسب وان رددتمونى مضيت الى حاكم العرب وأخذتكم بالشرع والحق وجمعت عليكم سائر الخلق ونحن الآن قد زوجناها بابن عمها وما بقى لنا الى ولدك من سبيل (قال الراوى) فلما سمع صدقه هذا الكلام كاد أن يغشى عليه من شدة الغيظ والحنق والغرام وكثرة الهيام وقال والله لأتركن بنى هاشم موعظة للعرب ولأهججنهم فى أقطار الأرض ذات الطول والعرض ولآخذن الجارية بغير سنة ولا فرض (قال الراوى) وكان هذا الغلام الذى قد خطبها يسمى صالح بن هارون العلوى وهو الذى قتل أباه كرفناس على مدينة آمد وشق عقبة جوفه وأكل من كبده لما قال له ما مناكم إلا موتى ياهارون وفى قراءتكم تقولون إنكم أحياء عند ربكم ترزقون فصاح هارون فى وجهه وكلمه بالكلام الذى ذكرناه وهذا الكلام قد تقدم إلا انه لما قتل هارون خلف هذا الولد صغير وما كان لأبيه غيره فدخلت أمه على الأمير عبد الوهاب وهى لابسة السواد وطلبت منه الإذن فى الرحيل الى أرض الحجاز عند قومها وقالت له أنا ما كنت ههنا إلا ببعلى والساعة فما بقى لى أحد وقومى أولى الناس بى أربى هذا الطفل الصغير عندهم وأعيش تحت أكنافهم فضمن لهم الأمير عبد الوهاب كل شىء وحرص أن تقيم فى ماطيه فلم تفعل ولا طاوعته على ذلك بل رحلت ودخلت أرض الحجاز وتوصلت الى قومها وربت هذا الولد بينهم يتيم فخرج فارس لا يطاق وأضربهم بالسيوف الرقاق وأصنع العرب فى طعن الرماح الدقاق وأشدهم حمية وأقواهم عزيمة وكان عبد الوهاب كل قليل يفتقدهم بشىء من المال وينفذ اليهم من كل غزاة يغزوها قسم أبيهم هارون لأنه كان يكرههم لأجل علوى زوجته لأنها كانت عمة صالحة وكان صالح قد سمع بقتل أبيه فى الغزاة وكيف كانت منزلته عند عبد الوهاب فعول على الرحيل إلى بلاد الثغور وطاوعته أمه على ذلك وما أعاقهم إلا نظره الى هذه الجارية التى ذكرنا أنه نظرها فوقعت فى قلبه وشكى حاله الى أمه فمضت الى أمها وخطبتها وقالت هذه ابنة عمنا ولا يقدر على أخذها غيرنا وجرى من القصة ما جرى وكانت أم الجارية مائلة الى صالح لأجل علو نسبه (قال الراوى) وأن صدقة لما سمع ذلك بات بأعظم ليلة يكون ولم يصدق أن يصبح الصباح حتى ركب جواده واعتد بعدة جلاده وسار طالب بنى هاشم وهو مثل الجمل المكبل بالحديد

وكان بالاتفاق أن ابن هارون حاضر ذلك اليوم فى بنى هاشم زائر وقد شغف بالجويرية وشغفت به لأنه كان مليح الصورة حسن الثياب وقد أتى للقوم بهدية حسنة وهو جالس فى البيت يتحدث مع أم الجارية فى أمر العرس وهو يحدثها فى ذلك واذا بفارس قد أقبل والى جانبهم قد عدل وهو يقول من الذى يحول بينى وبين زوجتى من كل الأنام حتى أجرعه كأس الحمام وان افتخر على بالنسب فأنا شيطان العرب فقامت الكاملة اليه وقالت والله ياوجه العرب ما كنا إلا من الراغبين ولكن أتانا من لم يكن فى الحساب وطلبها ابن عمها وهو أحق الناس بها لأجل حسبه ونسبه فدع عنك الطمع ولا تتكلم فيما لايسمع (قال ياساده) هذا وصالح قد أخذته النخوة الهاشمية وعزة النفس العلوية وقام الى جواده فركبه وأخذ الرمح واستله وتقلد بحسامه ونادى: ياويلك أنت الذى تفتخر على أولاد على وبنى هاشم أصحاب الفضل والمكارم دونك والميدان فنحن أصحاب الطعان وبأجدادنا عرف الحق والبرهان والصدق والإيمان وبأنسابنا افتخرت عدنان وإن كنت تعرف بأنك شيطان الحجاز فأنا اليوم أجرعك كاسات الحمام عند البراز فلما سمع صدقة منه هذا الكلام مابقى ينظر مابين يديه بل احمرت أماق عينيه وقفز الى البر بجواده ونادى ياصالح دونك والمجال حتى أريك الساعة من بعد من الرجال فعندها قفز صالح اليه وحمل عايه وما فيهما إلا من يريد قتل صاحبه حتى يظهر شجاعته عند حبائبه وغابا عن الأبصار وركبت رجال الحى ودارت حولهما فى كل مكان واصطفت فى أزيال البيوت البنات والنسوان والآماء والصبيان ونظرت الأعين اليهما شاخصة وعقبان الآجال على رؤوسهما راقصة ونياتهما فى الحرب خالصة وقد زاد بهما الغيظ وهما فى كر وفر وخداع وقوى عليهما الحر وهما فى حنق وشر حتى كلا وملا ورزق صالح من الناس محبة عظيمة فجعلوا يدعوا له بالنصر وقلوبهم تحترق عليه وكذلك الجارية لما رأت محبه الناس له زاد فى قلبها أضعاف ما كان ونادت يا رباه بحرمة أمنا فاطمة وأبونا على انصر ابن عمى صالح بن هارون العلوى (قال الواوى) وما استتمت كلامها ودعاها الى مولاها حتى سمعوا الناس ضجة عظيمة من تحت الغبار ومنادى ينادى يا آل على يا آل على فمدوا الناس أعينهم الى جهة الصياح واذا به صالح بن هارون العلوى وقد طعن شيطان الحجاز بعقب الرمح فى صدره ألقاه على ظهره عن الجواد وترجل مثل البرق وحصل على صدره وسل سكينا وعول على ذبحه فقال له صدقة لاتفعل ياغلام ودعنى ولا تسقينى كاس منيتى ولاتقطع ناصيتى وبيعنى نفسى بأسير أسلمه اليك تأخذ منه مهرابنة

عمك لأنه فى هـذه الأيام وقد وقع فى يدى وهم أربع رجال يقال لأحدهم أبو محمد البطال وولده وغلامه المعروفين فى الآفاق وعقبه الذى كان قاضى العراق فان أردت أخذهم فاتركنى سالم وأنا أعلم أن بغيي عليك يظفرك بى وإلا فـاأنت والله من رجالى فلما سمع كلامه وما تحدث به من مرامه أمسك عنه وقال ما أفعـل شيء حتى أشاور والدتى وفرح بما سمع منه لأن والدته كانت تخبره بأخبار الأمير عبدالوهاب وأبو محمد البطال وما تم لهم معهم من العجائب وكان قصده كما ذكرنا أن يسير الى الأميرعبد الوهاب وكان افتقاد الأمير كل سنة يصلهم (قال) فمـا هو إلا أن سمع هذا الحديث حتى شد أكتافه وقاده بين يديه والعرب يتعجبون منه ومن فعـاله فلما سار بين يديه قص عليه « صدقه » ما ذكر من أمر البطال وولده وغلامه وعقبه وأعاد على أمه الحديث جميعه فقالت يابنى ان كان الحديث صحيح فقد نلت غاية الآمال لأن البطال عديل الأمير عبد الوهاب ولهذا البطال على أبوك فضل عظيم لأنه خلصه من الأسر مراراً عديدة ولقد سمعت عنه أن له ثلاث سنين يدور على عقبة الـكافر اللعين الذى يظهر الناموس ويحب الناقوس وان كان خلاص البطال على يديك نلت منه غاية الآمال ومن الأمير عبد الوهاب كل ماتريد وعشت فيها باقى عمرك سعيد وأيضا ياولدى فانهم والله ماقطعوا عنا الافتقاد فى بلاد الثغور بعد قتـــل أبيك ولا يمضى عنا عام إلا ويفتقدونا بالفضة والـكسوة الى الآن فلما سمع صالح هذا الـكلام قال لصدقه : يافتى قد أجبتك الى ماتريد انفذ وأتينى بالبطال وأنا أطلقك من الاعتقال هـذا والعرب قد نزلت عن خيولها والسودان قد عولوا الى منازلهم وما للـكل حديث إلا ماجرى بين الاثنين فى ذلك . وأما صدقه فانه عند ذلك أرسل بعض العرب الى قومه بنى الريان وأخبرهم بمـا جرى عليه وانه ضمن على نفسه اطلاق الأسارى فقالوا بنى الريان لا وحق ذمة العرب لا افتديناه إلا بالنصول ولاأجيناه إلا على أعناق الخيل ولاتعيرنا العرب بهذه الأمور ويقولون بنى الريان افتدزا حاميتهم بالأموال ثم ركبوا وكانوا خلق كثير يزيدون على ثلاثة آلاف فارس مامنهم إلا كل مدرع ولابس وضج الحى من جنباته وركبوا هذا وأم صدقه قد فزع قلبها من ذلك وكانت أرادت أن تفدى ولدها بالأسارى من خوفها عليـه فما طاوعوها قومها بل أخذ كل أمير منهم واحد وتركه فى خيمته وساروا يتبادرون مثل الشياطين وما أحسوا بهم بنى جعفر وهاشم إلا وقد طلعوا عليهم (قال الراوى) وهذه الثلاثة قبائل على ماء واحد ولكن

أكثرها عدد وأزيدها مدد . هؤلاء القوم بنى الريان الذين قد أسر صاحبهم صدقه وأن بنى جعفر قاموا لما رأوا نواصى الخيل قد طلعت عليهم فركبوا خيولهم وفى أوائلهم صالح بن هارون العلوى وعليهم الحديد والزرد النضيد ووقعت الضجة فى بنى هاشم فركبت تعين صالح أيضا وتحمى عن ابنة عمه لأنها بين أظهرهم فما تأهبوا هؤلاء وخرجوا من البيوت حتى كبسوهم بنى الريان وصاحت الفرسان واشتد الطعان ودارت طاحون الحرب العوان وطلع الغبار الى العنان وجرى بينهم ساعة عظيمة حتى بقيت الأجسام بالدماء خصيبه والمضارب للأعناق معيبه والضجات مختلفة غير مجيبه . ولما كان بعد الظهر انهزمت فرسان بنى هاشم طالعة البيوت وبقى صالح بعدهم فى بنى جعفر يقاتل ويتأخر والخيل التى معه الى ورائها تتقهقر وقد عموهم بنى الريان بجمعهم الأكثر وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ووقعت فيهم الهزيمة وصاحت نسوان القبيلتين على الرجال لترجع الى مؤنة صالح وهى لاترجع وقدداخلها الخوف والفزع ورأوا من بنى الريان فيهم الطمع وقاتل صالح قتال منكر وجعل يلتقى الرجال بصدره وحسامه مشهر وصياحه قد علا وجسده قد خضب بالدما وهوقد أيقن بالفنا ولكن رأى القتل عليه أهون من الهزيمة والقضا وأمه مثل الحبة على المقلا تصيح الى الله تعالى بالدعاء وتنادى ياقوم لاتتركوا ولدى نهبا لسيوف العدا فقد طال صابر وروحه لأرواحكم فدا فارحموا وحدتنا وانظروا الى حال غربتنا (قال الراوى) فبينما صالح فى غاية النكال وهو فى وسط المعركة بنفسه فريداً وهو يقاتل وعلى الله متوكل واذا هو بغبار قد علا وتقسطل فى الهواء حتى قرب ودنا وبان منه حديد يلمع وخيول تدفع وقنا تشرع وسودان مثل الجواميس الربع وفى أوائلهم فارس أدرع بالحديد قد تدرع وهو مائل نحو الغبار يلوح بالبتار ويطلب كشف الأخبار وقد أنكر هذه المعمعة والقتال (قال الراوى ياساده) وكان هذا الفارس الأمير ظالم بن الأمير عبد الوهاب ومن ورائه ألف فارس من السودان وبنى كلاب وسته ذات الهمة وأبوه عبد الوهاب وكان سبب دخولهم الى بلد الحجاز أن الأميرة ذات الهمة رأت أن عمرها قدانتهى وهى تقضيه فى العبادة وقيام الليل وصيام النهار وكذلك ولدها الأمير عبدالوهاب إلاأن قلوبهم من يوم غاب البطال فى طلب عقبه وهم مشغتلين لأجل غيبته وكل وقت فى حديثه ولما طال الأمر عليهم قالت الأميرة لولدها يابنى قلبى قدأيقن أن البطال قد هلك وماأقول اننا نرجع نجتمع عليه وهذا العمرقدفنى وأريد أن توافقنى وتحج معى حجة الوداع لعل الله يختم لنا بخير لأننا لو حملنا فى الطريق منقطع عطشان لكان لنا فى ذلك الثواب

الجزيل ومع ذلك نودع بيت الله الحرام وقبر المصطفى عليه الصلاة والسلام (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما سمع الأمير من والدته ذلك الكلام بادر الى ما أرادت به طلبا لاغتنام الثواب وأخذ كلما يحتاج اليه واستصحب معه أموال كثيره وفى ثلاثة أيام برز الى ظاهر ملطيه ونادى فيها بالحج فصحبه ألف فارس من أصحابه سودان وعربان وأخذ أهبته فى تمام العشرة أيام ورحل بهم طالب بيت الله الحرام ولم يزل سائر حتى وصل إلى العراق ودخل الى بغداد وقد اجتمع فيها حاج خراسان من كل مكان ففرح الأمير بذلك ودخل هو ووالدته على الخليفة وأعلماه بما قد عولا عليه ففرح بذلك وأعطاهم ذهبا كثيرا وقال لعبد الوهاب يا أمير تصدق بهذا عنى فى بيت الله الحرام ولا تخلونى من الدعاء عند زمزم والمقام واجعلونى فى حل وكذلك آبائى واخوتى بما جرى منا عليكم فى سالف الأعوام فقال الأمير يا مولاى السمع والطاعة فقال المعتصم يا أمير فهل سمعت فى هذا الزمان الطويل لعقبه اللعين خبر فوالله ان قلبى متعلق بعقبه والبطال فقال الأمير يا مولاى والله ما خوفى الا على البطال وأما عقبه فلا بد ما تجره الينا المقادير بأمر اللطيف الخبير ويصدق فيه قول البشير النذير ثم عاد من حضرة الخليفة ومن الغد دخل بالحاج والناس أفرح الخلق به وقد حج فى تلك السنة كل ضعيف ثقة منهم بمداراة الأمير عبد الوهاب (قال) يا ساده وسار الأمير حتى وصل الى الكوفه وأرض الخلف ودخل برية الحجاز وكل منزل ينزل فيه يأمر بالمناديه تنادى يا معاشر الحاج من كان جائعا أو عطشانا أو منقطعا فليقصد خيام الأمير عبد الوهاب ومن تخلف فلا يلومن إلا نفسه (قال الراوى) ولم يروا الناس أطيب من تلك السنة حتى وصلوا إلى بيت الله الحرام وبقى الأمير هنالك الى موقف الناس بعرفه ورأى الناس عائدين إلى مكة فقال لأمه يا أماه قد قضينا فرض الله تعالى وقد وصلنا الى هـذه الأرض وأريد أن أزور قوم هارون العلوى وبنى هاشم وقد سمعت أنه قدنشأ له ولد اسمه صالح وهو مثل أبيه فارس نجيب فنبصره ونجدد به عهد ولعل الله يسهل قلبه ونأخذه معنا الى الثغور ليكون ذخيرة للاسلام ونترحم به على والده كلما رأيناه فقالت الأميره افعل ما بدالك فعنـدها انفرد الأمير بعسكره وسار ذلك اليوم والثانى والثالث أشرفوا على القوم ورءوا الغبار ثائر والحرب دائر وصالح وبنى جعفر فى وجوه بنى الريان وقد أشرفوا على الهلاك كما ذكرنا وأمه تدعو بذلك الدعاء ولما رأى الأمير عبد الوهاب ذلك قال لولده ظالم اسبقنا الى الغبار يا بنى واكشف لنا الأخبار فعدل ظالم وهو يلوح بالحسام حتى وصل الى أطراف المعمعة

(وعدنا الى سياقة الحديث) ولما رأى النسوان على ذلك الحال سأل عن سبب الحرب والقتال فبدت اليه أم صالح وتبينته فعرفته وانفرج ما بقلبها وقصت عليه ما جرى وحدثته بحديث ولدها وحديث البطال وأنه فى الاعتقال ولأجله قدوقع ولدى فى هذا القتال فلماسمع ظالم كلامها عادالى أبيه وأخبره بماسمع فكادقلب الأمير من شدة الفرح أن يطير ثم حرك الجواد هو وأمه فى أول الجيش وسمعت السودان ذلك فرأت الحرب فتجارت وصرخوا فى جنباتهم فبددوهم فى القيعان والتقطوهم بالطعن مثل ما يلتقط الحب الغربان وماوصل الأمير عبد الوهاب حتى مددوا السودان أكثرهم على التراب وانفرجت الكربة والغمه عن صالح وأمه هذا والأمير عبد الوهاب قد تعلق قلبه بسماع الحديث فى خبر البطال وهو لا يصدق بلقاه وكان قد أيس منه فلم يطلب بنى الريان فى أثر هزيمتهم بعد ما ادعى بصالح بن هارون العلوى وقبله بين عينيه وتذكر أيام أبيه فبكى وصالح يقبل الأرض بين يديه وركابه وكذلك فعل بالأميرة ذات الهمه ولما وصلوا الى بنى الريان عولت السودان أن تهجم الى البيوت واذا بالنسوان والبنات ينادون قدامهم الأمان الأمان يا سيد أهل الثغور وفارس الايمان والاسلام (قال الراوى) وكانوا المنهزمين وصلوا إلى الحى وهم لا يصدقون بالنجاة وأخبروهم بالقصة فركبوا مشايخ الحى الى ملاقاة الأمير معتذرين من فعالهم وقبائح أعمالهم فقال أريد صاحبى البطال ومن معه من الرجال فقالوا السمع والطاعه ثم عادوا وجمعوهم من البيوت التى لأمراء العرب وطلبوا عقبه فما وجدوا له أثر وأخرجوا أبو محمد البطال وولده مذبحون وغلامه لؤلؤ إلى بين يدى الأمير وقالوا يا أمير الشيخ الذى كان معهم قد فقدناه وحق ذمة العرب ما منه خبر فلما سمع الأمير ذلك تأسف على انفلات عقبه وترجل للبطال وقلبه مشغول من أجله وحل كتافه وكذلك فعلت الأميرة وباقى الأمراء وترجلوا للبطال وهنوه بالسلامة وكذلك فعلوا بلؤلؤ ومذبحون وركبوا وعادوا يطلبون بنى جعفر وأبو محمد يحدث الأمير بماجرى له مع عقبه فى بلاد المغرب وكيف صلب ولده الحصين وكم مرة يقع فى يده ويخلص والأمير عبدالوهاب يقول سبحان من له فى تأخير أجله أمر لا يطلع عليه أحد غيره والله لقدفنيت الأعمار ونحن لهلاكه فى الانتظار (قال الراوى) ولما وصلوا إلى ديار بنى جعفر دخل الأمير عبد الوهاب فى قصة صالح وتولى نوبته فزوجه بالجارية من ليلته وكانت أم صالح قد أعلمت الأمير عبد الوهاب بقصة صدقه المعروف شيطان الحجاز وما جرى له مع ولدها فاصطنعه وأطلقه بعد ما كان الأمير أبو محمد قد هم بقتله لأجل خلاص

ذلك الملعون من يده (قال الراوى) ولما دخل صالح بزوجته وقرت عيناه بها جعل الأمير عبد الوهاب يتلاقاه ويوعده بكل جميل حتى أنعم بالمسير معه الى ملطيه وقد وعده أنه يعطيه أقطاع أبيه وأن يعمل له فى ملطيه عرس تانى بقدره ومكنه ورحلوا القوم بعد عشرة أيام بعد ماودعوا أهلهم وأقاربهم وساروا يقطعون الأرض طالبين العراق والأمير أبو محمد فى قلبه النار لأجل انفلات عقبه وهو كثير الافتكار ليل ونهار والأمير عبد الوهاب يسليه عن ذلك ويقول يا أبا محمد لاتندم على مافات فلولم يكن لله فى هذا رضا لماوقعنا بهذا القضا ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى الكوفة وقدوصلت النجابه وسبقت الى بغداد وأخبرت الخليفة بقدوم الأمير عبد الوهاب من الحجاز فأخرج أرباب دولته الى لقاهم ودخلوا الى العراق فى يوم مشهود وقد خرجوا أهل بغداد اليهم بالخلوف والزعفران والطعامات وغير ذلك وفى يومهم دخلوا على الخليفة بغبار مكة وبرية الحجاز فلقيهم وأكرمهم وتقدم البطال وقبل يد المعتصم وشكى اليه حاله ومالقى من عقبه فصعب ذلك عليه واشتد أسفه وقال واللهيا أبا محمد ما كنت إلا فى انتظارك وفى أكثر الأوقات تخطر على بالى وكنت أقول ما نعود إلا بعقبه ونسير به الى بلاد الروم ونصلبه على باب القسطنطونيه ونجعلها غزاه نذكر بها الى الممات فاعتذر أبو محمد وقال والله يامولانا لى ثلاث سنين ما أظن نمت على فرشى ليلة بهناء إلا أدور الأقطار وأخوض الأهوال والبحار وفى الآخرة ما كان الاما أراد اللهتعال من فضله على أننى والله ما أقر ولا أهدى ولا أتبع عبد الوهاب من ههنا ولا بد لى ما أسير فى طلبه أو أهلك بسببه ثم عادوا من عند الخليفة الى الخيام وقد سبقتهم الاقامات والعلوفات والاكرام الزائد وأمرهم الخليفة أن يقيموا عنده عشرة أيام حتى يشبع من الامير والاميره (قال الراوى) ياساده يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملعون عقبه فانه لما انفلت من بنى الريان عند اشتغالهم بالقتال سار الملعون على وجهه فى بلد الحجاز وهو لايصدق بالنجاه وجعل يتنقل من حلل العرب حتى التجأ الى ظعن سائرين الى وادى القرع فسار معهم وقد رأوه شيخ كبير فخلوه ورحموه وجعل يقرأ لهم القرآن ويظهر الناموس والدين حتى وصلوا الى أرضهم وبات عندهم تلك الليلة ومن الغد تحدث مع بعض العرب وضمن له خمسين دينار وقال أريدك أن تحملنى الى بغداد وكان الملعون قد افتكر وضاقت الدنيا فى عينيه وقال ان مضيت الى بلاد الروم فأنا أعلم أن خبرى يظهر الى الثغور لأن المسلمين لهم هناك عيون وبلاد اليمن فقد انتهك سترى فيها وبلاد الغرب فقد جرى فيها ماجرى وأريد أقيم فى

تحت حنك الخليفة وأترك البطال يدور الأقطار ولا ينال منى المراد ولايخطر بقلبه أننى مقيم فى بغداد ثم سار الملعون مع البدوى وقصد دار الروم وهى كنيسةمذ كورة عند النصرانيه بين الرصافه وبين مشهد عبيد الله فدخل على راهبها وكان له به صداقة ومعرفة فلما رآه قام واعتنقه وجعل يقبله ويقول يامولاى بحق المسيح لقد فرحت بسلامتك لأننى سمعت ماجرى من انتهاك ستر الخليفه وهجاجك فى البلادوشاع الخبر فى بغداد وسمعت أنك أيضا وقعت فى أيديهم ودخلوا بك ليصلبوك وخلصك المسيح ولم يبلغهم مناهم منك فبكى عقبه وجعل يحدث الراهب بما قد تم عليه ويقول هذا كله فى طاعة المسيح فقال الراهب أيها الشيخ النجينح اعلم أن هؤلاء القوم الذين هم أعداك ما يقاومهم مقاوم ولايردهم عنك أحد وأنا أعلم أن بلاد الروم تضيق عليك وأينما دخلت فيها اتبعك ذلك الشيطان أبو محمد البطال لأنه مثل الديب الأمعط وهذه الكنيسه بحكمك فاقعدفيها باقى عمرك فقال عقبه على هذا عولت ولأجله قدمت فأفرد له الراهب حجرة حسنة ونقل اليه جميع مايحتاج وأقام عقبه فيها وقد أمن على نفسه وقال ما علمت أن رأسى شابت على بدنى إلا فى هذه الساعة ثم لزم العبادة ولم يظهر من الحجرة خوفا من سوء العاقبة (قال الراوى) ولما وصل الامير عبد الوهاب الى بغداد أعلم الراهب عقبه بذلك وأخبره أن البطال وصل معه فزاد قلقه وحزنه وكان كل ساعه يحسب لنفسه ألف حساب (قال الراوى) ولما انقضت الأيام التى عينها الخليفة للأمير وعول على الرحيل الى ملطيه اجتمع به أبو محمد البطال وقال له والله ما اتبعك فى هذا الطريق لأن نومى قد طال من كثرة الافتكار فى تحصل الملعون عقبه وقلبى يحدثنى أنه معنا فى بغداد وقد انحدر الى البصرة ولابدلى من الانحدار الى البصره فى طلبه وإلا طال المطال وشمتوا بى الأعداء والحساد فقال الامير عبد الوهاب يا أبا محمد لاترجع تعدمنا طلعتك فانى أخاف أن ترجع تسير فى طلبه فيظفر بك فيهلكك لأنه كثير الناموس والنفاق وأين ماعرفك دبر على هلاكك وطاوعوه الناس فيما يقول لأنه يحتوى على قلوبهم بعلمه ودينه فقال الأمير أبو محمد والله ان هلاكى ومماتى خير من حياتى لأن ما بقى لى نوم ولاقرار فى ليل ولانهار فسر أنت الى ملطيه واتركنى هاهنا أدبر ما أرى ولعل أن أطلع على خبره ولو كان فى جناح الغراب أوتحت التراب دبرت على تحصيله فقال الامير عبد الوهاب يا أبا محمد بالله لا تقطع عنا أخبارك وابصر كيف تكون فى طلبه فقال الامير أبو محمد لاتضيق صدرك ولاتقسم فكرك ولا يكون إلا مايريد الله تعالى أنت متى عولت على الرحيل فقال ليلة غد عشيه فعاد

البطال الى خيمته وخلا بنفسه هو وولده مذبحون وغلامه لؤلؤ وفتح عليه حيله وأخرج منها قميص قصير واسع الأكمام وكاوته كبيرة فلبس القميص ووضع الكاوه على رأسه وتعمم عليها بمئزر من صوف أبيض ثم أخذ نومه وأحماها فى وسط قطنه وضربها جبهته حتى انتفخت ومسحها بيده حتى اسود مكانها وصارت مثل وسم العباده وأخذ سجاده للصلاة ثم كحل عينه بكحل كان يعمله لنفسه حتى صارت رزقتها سواد مليحة السواد معتدلة وأخذ بيده عكاز أبنوس وفى يده الأخرى ركوه أدم وفعل مذبحون ولؤلؤ كذلك ولما كان عند الصباح قال اخرجوا بنا حتى ندور فى عسكر بنى كلاب الذى قد ربينا بينهم ونبصر ان كان فيهم أحد يعرفنا ثم خرج يهمهم وهم من ورائه وجعل يدور بين الخيام ويسلم على مشايخ بين كلاب والسودان وهم يقومون اليه ويصافحوه ولا فيهم أحد يعرفه بل كل من نظره يقول هذا من بعض الزهاد المنقطعين عن البلاد وهؤلاء تلاميذه وكلما سمع ذلك الامير أبو محمد يفرح ويقرأ القرآن ومذبحون يعاونه فى التلاوة حتى وصلوا الى خيمة الامير عبد الوهاب ولما رأوهم الغلمان فدخلوا عليه وقالوا أيها الامير قد قصد اليك عبد صالح من عباد الله الصالحين وهو يريد زيارتك (قال الراوى) وكان الامير اذا انحدر الى العراق تزوره الصوفيه والفقراء وأهل الدين لأجل الجهاد وكان هو يحب هذه الطائفة ويطلب منهم الدعاء بالاخلاص فى النية ولما سمع من غلمانه ذاك خرج حافيا الى لقاه وكان قصد البطال بذلك ليطيب قلب الامير عبد الوهاب وقال فى نفسه اذا لم يعرفنى عبد الوهاب فما يعرفنى أحد فى الأرض هذا وأن الامير عبد الوهاب لما خرج اليه ونظر الى حسن لباسه ونظافة زيه وأثر الركوع والسجود فى جبهته فبكى وقال والله هذه صفة الصالحين والعباد المقبولين ثم دنا منه وأخذ بيده وقبلها ففرح بذلك البطال وعلم أن أمره قد خفى على الامير عبد الوهاب ودخل معه الى الخيمة وجلس الى جانبه وهو يقول أيها العبد الصالح لا تخلينا من الدعاء نظفر بالأعداء فقال الامير أبو محمد وقد رقق حلقه وأخفى صوته وتكلم بلغة أهل خراسان وقال أيها الامير أنا والله داعيا لك ليلى ونهارى فى سرى وإجهارى لأجل ما سمعت بجهادك وشفقتك على المسلمين وما قصدت اليك الا حتى أزداد بك معرفة واستقضيك حاجة فقال الامير عبد الوهاب وقد فاضت عيناه بالدموع قل لى يا أخى ما تريد فانى مبادر الى قضاء حاجتك مسارع ولقولك سامع لأنى وقفت نفسى على خدمة الصالحين فقال أبو محمد ماهى حاجة صعبة ولكن كان لى بعض الاخوان وقد غدر بعهد الله وخان وأريد تبلغنى منه مرادى ويشفى غليل فؤادى وتصلبه مع عدوك على باب الذهب حتى يكون صلب

الاثنين عجب لأنه قد كفر بعد الايمان وجحد بربوبية الرحمن فقال الامير عبدالوهاب من يقال له هـذا الشيطان الذى قد عاقبه الله بهذا الحرمان فانى أرى قصتك مثل قصتى وأريد أنولك البلوغ لمأمولك لعل ببركتك أظفر بعدوى وأصلبه مع عدوك فقل أنت ماهو عدوك من الرجال فقال أبو محمد أما عدوى فعقبه شيخ الضـلال وأما أنا أبومحمد البطال فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك المقال وقع به الانذهال وجعل يكرر النظر اليه ويميز فى وجهه وعينيه حتى قرب منه وعرفه وتعجب من تلك الصفة وقال لله درك ياأبامحمد فان مثلك فى الأرض لايوجد والساعة على ماذا عولت وعزمت فقال أسيرفى ذلك الزى المكنون وأرجو من الله الإعانة فيما يكون ثم أوصاه ان رجع الى الثغور لايخليه من الدعاء وتسهيل الأمور وأقام عنده الى قبيل الظهر ورحل الأمير عبد الوهاب وأمه ذات الهمة وبنى كلاب والسودان الانجاب وسار البطال لوداعهم حتى قرب المساء وعاد الى بغداد وهو يقول لولده مذبحون : ويلك ياولدى قلبي يحدثنى أن عقبة معنا فى بغداد وما أريد أترك الحزم وراء ظهرى ولاأخلى فى قلبي حسرة اقصد بنا دارالروم لأنى أعرف أن راهبها صديقه وأريد أبصر هذه الوسوسة التى فى قلبي ايش آخرها مر بنا كما قد خطر ببالى (قال الراوى) ثم ساروا يطلبون الكنيسة المقـدم ذكرها (ياسادة) وما نظر أبومحمد إلا موضع النظر ولا حسب الاحساب مثله ولكن يحدث من بعدالامورأمور وذلك أن عقبة االعين لمادخل الى هذه البيعة وعول على المقام فيها كما ذكرنا فأقام حتى قدم الامير عبد الوهاب من مكة وسمع أن البطال معه فأخذه قلق عظيم وخاف على نفسه التلاف وكان الراهب كلما رأى خوفه يسليه فقال له عقبه : أيها الراهب وحق المسيح ما بقى لى صبر والبطال معى فى البلد وأريد أن أسير من هذا المكان وأعمل على هلاك أهل الإيمان لعل أن أظفر بالبطال فى بعض المواضع وأهلكه ولعل المسيح يغفر لى وعلى الدنيا بعده السلام ولا بالغت بعده فى عداوة الأسلام فقال له الراهب : والى أين قد عولت تسير فقال الى البصرة وافتح فيها دكان باقلانى واتسبب فى سائر المعانى وأغير اسمى وأظهر العبادة والنفاق والعب بعقول أهل العراق واشترى لى دار عالية وثيقة الباب واحفر فيها سرداب ومخابئ وكلما ظفرت بمسلم قتلته وجعلته فيها واطلب بذلك الثواب لانى لو قتلت كل عام عشرة من المسلمين قربت من المسيح والحواريين فقال الراهب : المسيح يشد أزرك (قال الراوى) فعندها قص عقبة من لحيته وخنزر حواجبه وطول شواربه وأحمى مرود فى النار وجعل يضرب به رأسه ووجهه ورءوس

خديه حتى صار كل من رآه يقول الجدرى أتلف عينيه ثم أخذ من مال الكنيسة خمسة آلاف دينار وقال هذه لدين المسيح على واكترى له شارة بأربع ملاحين ونزل فيها وساروا ووصلوا به الملاحين بالليل والنهار حتى أوصلوه الى البصرة وشالوا قماشه من الشط وجميع ما صحبه وساروا به الى محل فى جانب تربيعه ما فى البصرة أحسن منها وأهلها كلها ملوك ليس فيهم صعلوك والمحلة والتربيعه يقال لها درب القماقم فاكتروا له حجرة فى خان التجار ونزل فيه ثم قام الى أن انصرم النهار وأقبل الليل بالاعتكار فقال لبعض التجار ما الى جانب هذا الخان مسجد نصلى فيه قال نعم أيها السيد فى وسط هذه المحلة مسجد يصلوا فيه أهل الدرب وهم قوم فيهم ما قصدهم فقير إلا أغنوه ولاخائف إلا أمنوه لكثرة أموالهم وجاههم فلما سمع ذلك عقبه خرج من الخان بين العشاءين وقصد الى المسجد ودخل اليه وسلم على من كان فيه قال فردوا عليه السلام فنظر عقبه الى مسجد خشبه ساج وشبابيكه أبنوس وعاج وفيه أربع قناديل فضه بسلاسل من الذهب الأحمر وشمع معنبر ومكوفر وكل أرضه مفروشة بالحصر والأبسطه فجلس عقبه فى بعض زواياه وقد كادت روحه أن تخرج من بين جنبيه واغتاظ لما رأى حسن بنيانه هذا وقداجتمعت الناس يصلون جماعة وحضر الامام وكان مقرى جيد فجلس فى المسجد بعد ماصلى ركعتان وقعد يتحدث معالجلاس فقدم عقبه اليه وزحف الى بين يديه وقال ما اسمك أيها الصدرالأجل الامام المتولى هذاالمقام فقال له اسمى عبدالرحمن فقال له عقبه هل تحفظ القرآن فتبسم الأمام الى ذلك وقرأ فضحك عقبه وقال أيها الامام وبهذه القراءة تؤم بالناس فصعب هذا الكلام على الامام وقال له اقرأ أنت حتى أسمع فقرأ عقبة بطيب نغمته وحسن تلاوته ثم ذكر فضائل القرآن وعاد الى أشياء ماتعرفها الأئمة الكبار هذا والامام قد شخص اليه والجماعة حائرين من كلامه وهو يتردد بالمواعظ حتى أبكى كل من كان فى المسجد وطابت قلوبهم وقبل ما بين عينين عقبة ومابقى فى المصلين إلا من أرمى روحه عليه وقالوا هذا أوحد زمان فى كل مكان ولم يزالوا به حتى قدموه الى المحراب فصلى بهم وقرأ بذلك الصوت الندى حتى أرجف الأجساد وما فرغت الصلاة حتى أقبلوا على عقبة وقالوا أنت من أى البلاد أيها السيد الفاضل ذو العلم والفضائل فقال أنا الملقب بفصيح العرب ومقامى فى يثرب وإنما جرت بينى وبين أخى منافرة وأقسمت أننى لا أقيم بعدها فى البلد وقد انكسر قلبى حيث لم يعرفنى فيكم أحد فلما سمعوا ذلك من كلامه طيبوا قلبه وأعرضوا عليه أموالهم وقام من وسطهم رجل شيخ وهوشيخ

الاثنين عجب لأنه قد كفر بعد الايمان وجحد بربوبية الرحمن فقال الامير عبدالوهاب من يقال له هـذا الشيطان الذى قد عاقبه الله بهذا الحرمان فانى أرى قصتك مثل قصتى وأريد أنولك البلوغ لما أمولك لعل ببركتك أظفر بعدوى وأصلبه مع عدوك فقل أنت ماهو عدوك من الرجال فقال أبو محمد أما عدوى فعقبه شيخ الضـلال وأما أنا أبو محمد البطال فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك المقال وقع به الانذهال وجعل يكرر النظر اليه ويميز فى وجهه وعينيه حتى قرب منه وعرفه وتعجب من تلك الصفة وقال لله درك ياأبامحمد فان مثلك فى الأرض لايوجد والساعة على ماذا عولت وعزمت فقال أسيرفى ذلك الزى المكنون وأرجو من الله الإعانة فيما يكون ثم أوصاه ان رجع الى الثغور لايخليـه من الدعاء وتسهيل الأمور وأقام عنده الى قبيـل الظهر ورحل الأمير عبد الوهاب وأمه ذات الهمـة وبنى كلاب والسودان الانجاب وسار البطال لوداعهم حتى قرب المساء وعاد الى بغداد وهو يقول لولده منجون : ويلك ياولدى قلبي يحدثنى أن عقبة معنا فى بغداد وما أريد أترك الحزم وراء ظهرى ولاأخلى فى قلبي حسرة اقصد بنا دارالروم لأنى أعرف أن راهبها صديقه وأريد أبصر هذه الوسوسة التى فى قلبي ايش آخرها مر بنا كما قد خطر ببالى (قال الراوى) ثم ساروا يطلبون الـكنيسة المقـدم ذكرها (ياسادة) وما نظر أبو محمد إلا موضع النظر ولا حسب الاحساب مثله ولـكن يحدث من بعدالامورأمور وذلك أن عقبة االعين لمـادخل الى هذه البيعة وعول على المقام فيها كما ذكرنا فأقام حتى قدم الامير عبد الوهاب من مكة وسمع أن البطال معه فأخذه قلق عظيم وخاف على نفسه التلاف وكان الراهب كلما رأى خوفه يسليه فقال له عقبه : أيها الراهب وحق المسيح ما بقى لى صبر والبطال معى فى البلد وأريد أن أسير من هذا المكان وأعمل على هلاك أهل الإيمـان لعل أن أظفر بالبطال فى بعض المواضع وأهلـكه ولعـل المسيح يغفر لى وعلى الدنيا بعده السلام ولا بالغت بعده فى عداوة الاسلام فقال له الراهب : والى أين قد عولت تسير فقال الى البصرة وافتح فيها دكان باقلانى واتسبب فى سائر المعانى وأغير اسمى وأظهر العبـادة والنفاق والعب بعقول أهل العراق واشترى لى دار عاليـة وثيقة الباب واحفر فيها سرداب ومخابئ وكلمـا ظفرت بمسلم قتلته وجعلته فيها واطلب بذلك الثواب لانى لو قتلت كل عام عشرة من المسلمين قربت من المسيح والحواريين فقال الراهب : المسيح يشد أزرك (قال الراوى) فعندها قص عقبة من لحيته وخنزر حواجبه وطول شواربه وأحمى مرود فى النار وجعل يضرب به رأسه ووجهه ورءوس

خديه حتى صار كل من رآه يقول الجدرى أتلف عينيه ثم أخذ من مال الكنيسة خمسة آلاف دينار وقال هذه لدين المسيح على واكترى له شارة بأربع ملاحين ونزل فيها وساروا ووصلوا به الملاحين بالليل والنهار حتى أوصلوه الى البصرة وشالوا قماشه من الشط وجميع ما صحبه وساروا به الى محل فى جانب تربيعه ما فى البصرة أحسن منها وأهلها كلها ملوك ليس فيهم صعلوك والمحلة والتربيعه يقال لها درب القماقم فاكتروا له حجرة فى خان التجار ونزل فيه ثم قام الى أن انصرم النهار وأقبل الليل بالاعتكار فقال لبعض التجار ما الى جانب هذا الخان مسجد نصلى فيه قال نعم أيها السيد فى وسط هذه المحلة مسجد يصلوا فيه أهل الدرب وهم قوم فيهم ما قصدهم فقير إلا أغنوه ولا خائف إلا أمنوه لكثرة أموالهم وجاههم فلما سمع ذلك عقبه خرج من الخان بين العشاءين وقصد الى المسجد ودخل اليه وسلم على من كان فيه قال فردوا عليه السلام فنظر عقبه الى مسجد خشبه ساج وشبابيكه أبنوس وعاج وفيه أربع قناديل فضه بسلاسل من الذهب الأحمر وشمع معنبر ومكوفر وكل أرضه مفروشة بالحصر والأبسطه فجلس عقبه فى بعض زواياه وقد كادت روحه أن تخرج من بين جنبيه واغتاظ لما رأى حسن بنيانه هذا وقد اجتمعت الناس يصلون جماعة وحضر الامام وكان مقرى جيد فجلس فى المسجد بعد ماصلى ركعتان وقعد يتحدث مع الجلاس فقدم عقبه اليه وزحف الى بين يديه وقال ما اسمك أيها الصدر الأجل الامام المتولى هذا المقام فقال له اسمى عبدالرحمن فقال له عقبه هل تحفظ القرآن فتبسم الأمام الى ذلك وقرأ فضحك عقبه وقال أيها الامام وبهذه القراءة تؤم بالناس فصعب هذا الكلام على الامام وقال له اقرأ أنت حتى أسمع فقرأ عقبة بطيب نغمته وحسن تلاوته ثم ذكر فضائل القرآن وعاد الى أشياء ماتعرفها الأئمة الكبار هذا والامام قد شخص اليه والجماعة حائرين من كلامه وهو يتردد بالمواعظ حتى أبكى كل من كان فى المسجد وطابت قلوبهم وقبل ما بين عينين عقبة ومابقى فى المصلين إلا من أرمى روحه عليه وقالوا هذا أوحد زمان فى كل مكان ولم يزالوا به حتى قدموه الى المحراب فصلى بهم وقرأ بذلك الصوت الندى حتى أرجف الأجساد وما فرغت الصلاة حتى أقبلوا على عقبة وقالوا أنت من أى البلاد أيها السيد الفاضل ذو العلم والفضائل فقال أنا الملقب بفصيح العرب ومقامى فى يثرب وإنما جرت بينى وبين أخى منافرة وأقسمت أننى لا أقيم بعدها فى البلد وقد انكسر قلبى حيث لم يعرفنى فيكم أحد فلما سمعوا ذلك من كلامه طيبوا قلبه وأعرضوا عليه أموالهم وقام من وسطهم رجل شيخ وهوشيخ

المحلة وخرج من المسجد ساعة وعاد ومعه مفاتيح دار فرماها بين يدى عقبه وقال له يامولانا هذه الدار التى بجانب المسجد هى ملكى وقد اشتهيت أن تقبلها منى ولاتخيب فيك ظنى ثم قبل يده وسأله فى قبولها فقبلها منه وقام معه ودخل الدار فرآها طيبة القرار وفيها بركة من الماء وأنابيب وفصوص ذهب وكلما يحتاج اليه من فرش وطرح وآنية ففرح عقبه بذلك وقال فى نفسه هذه غرضى الذى يتم لى به ما أريد ثم مضوا أهل المسجد الى الخان فنقلوا رحله الى الدار وعند الصباح أهدوا له الجارية وهدايا وتقربوا الى قلبه بذلك وجعلوه إماما للمسجد وجعل كل مقرىء فى البلد يقصد اليه ويقرأ عليه وعرفهم أن اسمه عقيل بن نجم الحجازى ولما احتوى على أهل البلد بعلمه وناموسه قال لهم فى بعض الليالى يا معشر المسلمين اعلموا أنى ما أثقل على أحد ولا آكل الامن عرق جبينى وكد يمينى لأنه أحل وأبرأ وقد عولت أن أفتح لى دكان باقلانى ولا أبيع فيها إلا قدر ما يكفانى يوم بعد يوم وأقطع الأيام بالعباده والصوم قال فرقت له قلوب الناس وأعطوه دكان فى وسط السوق ونقلوا اليه كلما يحتاج اليه من الأوانى وأقاموا له بكلما يريد وصار يبكر الى الدكان من صلاة الفجر فرءوه الناس وقد قصدوا اليه يطلبون التبرك من يديه وهو فرحان (قال الراوى) فهذا ما كان من عقبه (وأما ماكان) من البطال فانه لما ودع الأمير عبد الوهاب عاد الى بغداد وطلب دار الروم وقد حسب ذلك الحساب ولم يزل حتى وصل اليها ونصب السلم على بعض أركانها وصعد هو وولده فى ظلام الليل وأشرف على أرض الكنيسه فرأى ذلك الراهب الذى كان عقبه عنده وهو نائم فى بعض المقاصير وقد تفرقت الرهبان والقنديل على رأسه يوقد وهو يشخر من ثقل نومه فنزل مذبحون من الهوى وما أحس به الا وهو على صدره وقد ترك الخنجر على نحره فاستيقظ وفتح عينيه ونظر الى مذبحون فكاد أن يغشى عليه وجف لسانه ولم يقدر يتكلم فقال له مذبحون ويلك تعرفنى قال يامولاى من أنت وإيش بينى وبينك حتى قد عولت على قتلى فقال ياقرنان أنا مذبحون ابن البطال وما بقيت تقدر تتخلص منى الا ان دليتنى على القاضى عقبه والا ذبحتك وحق ما أعتقده من دينى فقال الراهب يا مولاى لا تعجل على فلا ستر المسيح عليه وحق المسيح عندى كان ولم يعلم به أحد الا أنه لما سمع بكم أنكم فى بغداد نخاف منكم وانحدر فى شباريه يطلب لنفسه النجاة ورأيته يذكر ويعرض بواسط والبصرة فلا تدخل فى دمى فان نبيكم نهى عن قتل الرهبان فلما سمع مذبحون ذلك تحقق صدق الراهب وتأسف على انفلات عقبه الا أنه فرح بما سمع من الراهب ونزلوا من السلم

الابريسم وخرجوا الى الشط فاكتروا لهم شباره فى بقية ليلتهم ولم يصبحوا الا وقد قطعوا بعض الطريق وهم فراحا باظهار عقبه اللعين حتى وصلوا الى واسط وصعدوا الى البلد وطافوا فى المساجد والجوامع وهم فى ذلك الزى الذى ذكرناه وعليهم لبس صوفية خراسان فلم يعرفهم إنسان فبقيوا ثلاثة أيام فلم يقعوا لعقبه على أثر ولاأعطاهم أحد له خبر فمضى الى دير وردان وهو مسجد بالقرب من واسط فقصده أبو محمد وبقى فيه يومين أخر وما سمعوا لعقبه خبر فضاقت صدورهم وجعلوا يدعون الله أن يظفرهم به ومذبحون يقول والله يا أبتاه لقد تحيرنا مع هـذا الملعون الجاحد مما لقينا من شـدة التعب فبالله عليك دعنى ان ظفرت به أعجل له الحمام وأشفى قلبى منه وأقتله فقال أبو محمد يا بنى لا تخالفنى فلا بد من صلبه على باب الذهب ولعل أن يكون قد اقترب منه الأجل ثم انهم ركبوا فى بعض الزوارق ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى البصره فقال أبو محمد ان كان الله تعالى يريد تقريب سفرتنا من ههنا نأخذه وكان (ياساده) وكان عقبه قد سبقهم بأوفى من شهر الى البلد وقد احتوى على قلوب أهلها بقراءة القرآن ومواظبة الصلاة فى أوقاتها ومجالس العلماء وقد فتح له دكان باقلانى كما ذكرنا وهو فرحان بمجيء الناس اليه وقدقتل جماعة من الغرباء فىداره وقال فى نفسه انى ههنا فى جهاد ولى كل يوم بواب جديد هذا وقدنزل البطال يطلب له موضع ينزل فيه فساقه القضاء والقدر الى محله وبيعه الى درب قماقم فأخـذ له بيت فى الخان وكان البيت بيتالقاضى عقبه الذى نزل فيه لما قدم فأقاموا فيه بقية يومهم وقدنقلوا رحلهم اليه وقال أبو محمد غد ان شاء الله ندخل الى الحمام ونسأل عن القاضى عقبه فلما أمسى المساء سأل أبو محمد الخانية على مسجد بالقرب منا نصلى فيه قال له بلى يا خواجه الى جانبنا مسجد وله إمام ما رأينا أعلم منه ولا أقرأ ولا أفقه فى سائر العلوم وهو أكثر الناس عباده وقد افتتنوا به أهل البلد فقال أبو محمد وقد خفق فؤاده وكان المتكلم مع أبو محمد أنثى فقال لها أبو محمد ياأختى ومن يقال له فقالت يقال له عقيل بن نجم الحجازى وقد كان أبوه قاضى مدينة الرسول من زمان فلما سمع أبو محمد هذه الأسماء اشتكل عليه هذا الأمر قال ولعل يكون هـذا الحجازى من عباد الله الصالحين نصلى الليلة خلفه ونطلب بركات دعاءه ثم سار أبو محمد الى المسجد وإذا به منغص بالناس وما لأحد موضع يضع فيه قدميه فزاحم أبو محمد حتى وقف فى الصف الأخير وقد وقع للامام فى قلبه هيبة عظيمة لأجل ما رأى من قبول الناس عليـه وازدحامهم حوله (قال الراوى) فأقيمت الصـلاة واصطفت الناس ثمان صفوف من كثرتهم وشرع عقبه

بصوته وقرأ فلما سمع أبو محمد الصوت والنغمة أخذته الرجفه وتوسوس فى الصلاة وقال هذا عقبه ورب الكعبة وهذا صوته إلا انى أراه يفته القاف ويتكلم بلغة أهل الحجاز وهى لغة ثقيلة ثم بقى بين المصدق والمكذب وهو يقول لعله يشبه صوت عقبه ولم يزل كذلك حتى صلوا الناس وزاحم أبو محمد حتى يصل اليه فلم يقدر لأن الخلق كثير وقد داروا به حتى دخل باب داره وعاد البطال موسوس فقال لبعض الناس ياأخى أين يكون هذا الامام بالنهار وأين نقصده نطلب بركته ؟ فقال له يا أخى إن له دكان باقلانى يبيع فيه الباقلا ولا يأكل إلا من عرق جبينه حتى لا يكون له على المسلمين ثقله فتعجب أبو محمد من ذلك ثم مضى وهو يقول فى نفسه ياليت شعرى يصير عقبه باقلانى ولعله يريد بهذا كتمان سره ولابد فى غد ما أعبر عليه وأفتقده حتى لا يبقى فى قلبى حسرة ولم يزل كذلك حتى وصل الى الخان وحدث ولده وغلامه بما جرى وبات تلك الليلة موسوس لايصدق بالصباح لينظر ما خطر بباله (قال الراوى) ولما أصبح الصباح دخلوا الى الحمام ولبسوا زيهم وجددوا الكحل فى عيونهم وقصدوا الى المسجد فوجدوا عقبه قد صلى بالناس وقدتفرقوا فعاد البطال الى البيت وهو لايقر له قرار وبما التهب فؤاده أخذ خمسة أقراص وفتها فى صحن قزدير وصار يطلب دكان عقيل ولم يزل يستدل عليه حتى أشرف على الدكان فوجد الخلق مزدحمة من الفقهاء والمحتشمين يطلبون الباقلا لأجل البركة فزاحم الناس وهو متعجب من ذلك ولم يزل حتى انكشف له باب الدكان فرأى عقبه وعنده شيوخ من عبادان وقد أتوا يزورونه وهوجالس على دكه كبيره والناس قد أتوه وهم يتقربون اليه وله غلام يسقى الناس الثريد بماء الباقلا فلما رأى أبو محمد ذلك ذهب الشك باليقين وترك الصحن بين يدى غلام عقبه حتى يسقى الثريد بماء الباقلا وتقدم هو الى عقبه وقبل يده فرآه عقبه بذلك الزى فدعا له بلسان العجم وقال له أحسن الله جزاك ياخواجا لأنك قد أحسنت الظن برجل لاتعرف باطنه (قال الراوى) ولم يزل البطال حتى سقى له الغلام ثريده وعاد الى ولده وغلامه فقال لهما كيف تروا هذا النحس عقبه قد صار باقلانى ثم أعلمهم بمنزلته عندهم وقال ان قبضناه من السوق رجمونا العوام بالأحجار وان احتلت عليه وأتيت به الى الخان ما أقدر أنال منه غرض ولاأتمكن من قفاه والصواب أن أكترى دار فى مكان منقطع واحصله فيها . فقال مذبحون وكيف نقدر نسوقه الى الدار وأنت تعلم أنه أخبث أهل الأرض فقال أبو محمد دع عنك هذا الحديث وهذا أمر ما وصل اليك ثم خرج من عنده واكترى له دار فى

آخر الحاره منقطعة عن العمران وما بات تلك الليلة إلافيها ولما أصبح الصباح أنفذ مع غلامه لؤلؤ عشرين دينار وقال اشترى بها باقلا يابس فخرج لؤلؤ من ساعته واشترى ما طلبه مولاه أبو محمد البطال (قال) فنقا أبو محمد أكبر مافيها وقال للؤلؤ خذ هذا وامضى به الى دكان عقبه وسلم عليه وكلمه بلغات أهل خراسان وقل له إن والدى من أهل كبر وله فى البصرة زمان طويل وقد أتاه من فلاح له من هذا الباقلا مائة مكوك وهو يريد بيعه ويعمل بثمنه مسجد وكل الباقلا من هذه الصفة فان كان لك به حاجة فخذ الكل اليك على كيسك واعطيه ثمنه من كيسك الحلال وان قال لك أين هو والدك فقل له هاهو بالقرب من دكانك وهاته معك وقد قضيت الحاجة فقال لؤلؤ السمع والطاعه ثم أخذ الباقلا وخرج وهو فى ذلك الزى وأتى الى عند عقبه وحدثه فى أمر الباقلا فلما نظره عقبه وسمع كلامه قال له ياولدى فكم عندكم من هذا الباقلا فقال لؤلؤ مائة مكوك ووالدى قد عول أن يبنى بثمنه مسجد فى عبادان فقال عقبه كل شيخ فى عبادان صاحبى ولى اليهم زيارات كثيرة من قديم الزمان واليوم قد صاروا يزورونى ثم قام مع لؤلؤ وقال امشى فسار لؤلؤ وتبعه عقبه وهو يحرك شفتيه كأنه يقرأ القرآن والناس ينزلون من دكاكينهم يقبلون يديه وهو يقول أحسن الله اليكم وجزاكم خيرا لأنكم تظنون الخير فى رجل عاصى (قال الراوى) وكان البطال قد أعقب أمره بعد ما أنفذ مع لؤلؤ وقال لمذبحون ياولدى أنا أعلم أن عقبه إن سهل الله مجيئه مع لؤلؤ فما يصل الى الباب إلا ومعه خلق كثير يطلبون بركاته وأخاف ان دخل وتمت الحيلة يصيح ويسمعون الناس صياحه فيهجمون الدار علينا ويهلكونا ولا يسمعوا منا ما نقول لأن العامة عماهم السواد الأعظم فخذ هذا المنشور الذى هو بخط الخليفة واقصد قصر محمد بن سليمان الزينى واعرضه عليه واعلمه اننى جئت فى طلبه وخليه يدركنا وإلا هلكنا فأخذ مذبحون الكتاب وخرج من الدار وقصد قصر الأماره ووصل لؤلؤ وأدخل عقبه الى وسط الدار وقال له بسم الله أصعد على هذه الصفه واقعد حتى أصيح لابى فقال عقبه يا ولدى ما هذا مكانى ان مكانى على التراب لأنى منه خلقت وأريد أهين نفسى حتى لا تشمخ على ثم قعد عقبه فى وسط الدار وقال ائتينى بالباقلا وافصل ثمنه وان قدرت تستأذن لى على أبوك حتى أدخل أزوره فافعل فقال لؤلؤ السمع والطاعه ثم دخل على مولاه أبو محمد البطال فرآه عريان جراب فقال لؤلؤ ياسيدى قد أتيت بالشيخ الصالح أخرج اليه حتى تنال بركاته وتفصل ثمن الباقلا معه فقال أبو محمد قد سمعت الحديث

فاخرج وأقف فى وجهه وشاغله حتى أشتفى من أذيته بهذا الجراب فضحك لؤلؤ وعادالى عقبه ووقف فىوجهه وقال ياشيخ وحق محمد ما أظن فى البصرة ولافى عباد باقلا مثل باقلتنا ولابد ما تنال منه الخير إن شاء الله تعالى (قال الراوى) فهو معه فى هذا الكلام والحراب وقع فى آذان عقبه من المنكب الى المنكب فسف التراب وعاد قعد وقال : آه ما أرى الباقلا الا عباسى لاكتب الله عليك سلامه ثم شال رأسه يبصر من ضربه وإذا به البطال فقال له لا عافاك الله يا ألف قرنان لا تقتصر عنى ان صرت تاجر رجعت ريس مركب وان صرت مقرى تموت وتسوقنى أقرأ عليك وان صرت واعظ جئتنى فى زى يهودى تسلم عل يدى والساعه قد صرت باقلانى قل لى متى نبت لك باقلا وصرت مز رغ فالمسيح يأخذ لى منك بالحق ثم صاح بملو بطنه : انا بالله والمسلمين الحقونى يامعاشر الموحدين وخلصونى من هذا الكافر اللعين وكان قد تبعه خلق كثير وهم وقوف ينظروه حتى يخرج ويطلبوا منه الدعاء فلما سمعوا صوته قالوا عمل على الشيخ الحجازى ورب الكعبة ووقع وان غفلنا عنه هلك وخلت البصرة من الصالحين ثم هجموا الدار فرأوا عقبه يدور فى زواياها والبطال يسلق آذانه بالجراب وهو يستغيث فمالوا على أبومحمد وزعقوا عليه : ويلك ياعدو الله خلى ولى الله وإلا قتلناك وأسقينا الأرض من دماك . هذا والبطال قد علق بآذان عقبه وبأزياقه خوفا عليه أن يهرب وصاح فى الناس وجعل يدافع عن نفسه ولؤلؤ يعاونه وقد أشرفوا على الهلاك من كثرة الخلائق الذين ساروا اليهم فبينما هم كذلك واذا برجال قد دخلوا منالباب وضربوا الناس بالخشب وهم يقولون ياويلكم خلوا عن ترس قبر النبي المنتخب . فلما رأوا العوام ذلك عادوا يطلبون الباب مندفقين وخرجوا على وجوههم منهزمين وكان السبب فى ذلك مذبحون لأن أباه لما أنفذه بخط الخليفة الى محمد بن سليمان الزينى وسار الىالباب بالقصر واستأذن عليه فدخل وسلم عليه ورمى كتاب الخليفة اليه وحدثه بحديث أباه البطال وانه قد قدم فى طلب اللعين عقبه شيخ الضلال فأخذ الكتاب واذا هو بخط الخليفة يعاونه كل واقف على هذا الكتاب (قال الراوى) ياساده ياكرام : وكان محمد بن سليمان أيضا حنق على عقبه وقد أتاه كتاب من الخليفة يأمره عن أخباره والكشف عليه . فلما سمع كلام مذبحون ورأى خط الخليفه قام قائما وقبله ووضعه على رأسه وركب من وقته وساعته فى جميع أهل القصر والحجاب والغلمان والأصحاب وسار مذبحون قدامهم حتى وصلوا الى الدارالتى فيها أبومحمد البطال ودخل فىأوائل الناس والحجاب

وطرد الناس كما ذكرنا ولما خلت الدار دخل محمد ابن سليمان على أبو محمد البطال فرآه قد أوثق عقبه كتاف وهو فى زى صوفى وما كان يعرفه حتى عرفه البطال بنفسه وقابله وقام الى خدمته وأخبره بما جرى عليه فقال ياأبا محمد ماكنت تحتاج الى هذا كله كنت عبرت على حين وصلت وأخبرتنى أن عقبة معى فى البلد حتى كنت بادرت الى قضاء حاجتك وحاجة أمير المؤمنين لأنى أيضا فى قلبى النار من هذا اللعين فقال الأمير أبو محمد أنا أردت أخفف عنك ولا أزعجك وقلت انى آخذه بالحيلة ولا يعلم بى أحد فبلغ الأمر الى هذا كله والساعه فالحمد لله الذى لم يضيع تعبنا ولاخيب سفرنا وكل مانلناه ببركاتك أيها الأميرفشكره الأمير محمد بن سليمان على ذلك الكلام وخرجوا من الدار وقد أمروا بتقديم الجنائب للأمير أبو محمدالبطال ومذبحون ولؤلؤ ومشت الحجاب والغلمان كلها رجاله خوفا من أهل البصرة وساروا يطلبون القصر ومذبحون ينادى بأعلى صوته يا أهل البصرة ارجعوا الى بيعكم وشراكم واشتغلوا بما عنا كم ودعوا معارضة السلاطين والخلفاء فهو أليق لكم واعلموا أننا نحن حماة الثغور وما أتينا إلا فى طلب هـذا الشيخ الكفور الذى لعب بعقولكم بعلمه والناموس وهو نصرانى يعبد الصليب والناقوس فلا يغرنكم ما سمعتم منه من النفاق فانه عدو للملك الخلاق العامل على المسلمين بالهلاك المستهزئ بالدين عقبـه بن مصعب قاضى بغداد الذى قد انهتك ستره بين العباد فى سائر البلاد (قال الراوى) وكانوا أهل البصرة قد اجتمعوا خلق كثير وهم يموجون ويطلبون السير فلما سمعوا هـذا الكلام بهتوا ونادوا يا غلام من تكون من حماة الثغور بين لنا الخطاب وعرفنا خطأنا من الصواب فقال يا ويلكم أنا مذبحون وهذا أبى الأمير أبو محمد البطال والخليفه بعثنا فى طلب هـذا عقبه شيخ الضلال فعندها تفرقوا القوم بعد ما كانوا مجتمعين وهم مما سمعوا وعاينوا حائرين ولما وصلوا الى قصر البصره أمر الأمير محمد ابن سليمان لأبى محمد البطال بدار حسنه فأنزله فيها وقال له يا أبا محمد أقم عندنا حتى نشبع منك ونتشرف بخدمتك فنزل أبو محمد فى الدار وقد قيد عقبه بقيد ثقيل وتولى عقابه ليل ونهار (قال الراوى) وسمعوا مشايخ البصرة بقدوم البطال وما فعل من الأفعال فأتوا للسلام عليه وتقربوا له بالهدايا والتحف واعتذروا من التقصير وأقام أبو محمد ثلاثة أيام وطلب الانصراف فأذن له الأمير محمد بن سليمان وأنزله بشباره حفيفة وأنزل له هدايا وتحف للأمير عبد الوهاب وودعه وقد أنفذ معه عشرة من الغلمان كلهم بالعدد الكاملة والأهبة الشاملة وسار الأمير أبو محمد البطال وعقبه اللعين

معه مقيد مثل القرد فى جانب الشباره ولم يزالوا سائرين الى أن عبروا نهر الدير ومطارا وباتوا تلك الليلة الثالثة بالشرطه وكانوا كلما نزلوا على موضع نزل صاحبه اليهم بالعلوفات والاقامات ويخدمهم بالهدايا والتحف ويعرض نفسه عليهم بالخدمة والمسير معهم فيشكرهم الأمير أبو محمد البطال على ذلك ويقول ما نحتاج ان شاء الله الى من يغفرنا فى الطريق لأن معنا عشرة من خيار جند الأمير محمد بن سليمان ويكفينا اسمنا الشائع وخبرنا الذائع لأننا تفزع منا الأطفال فى المهود ومن هيبتنا تفزع الأسود ثم رحلوا من الشرطه والبطال كل يوم يمد عقبه ويضربه ويشتفى منه حتى أشرف على الموت وكل يوم يتغاشا ويظهر أنه قد مات ويقول يا أبا محمد ويلك قتلتنى وأنتم نبيكم قد وعدكم بصلبى على باب الذهب فقال البطال يا ملعون ولأجل هـذا قد جلبتك وإلا ما كنت ألقى هذه المصائب وأستبقيك فقال عقبه تكذب يا قرنان البلاد ويا من خلقه المسيح نقمه على العباد وسوف ترى كم يكون دون صلبى من الضرب بالسيوف الحداد وما أموت حتى أشفى منكم غليل الفؤاد فقال الأمير أبو محمد البطال لقد غطى كفرك على بصرك يا ملعون بقولك ان المسيح خلقنى وهو عبد مخلوق فمن أين تقدر تخلق صورة القبه لو قامت مستوية وقد حارت فى حركاتها العقول وتاه من تفكره فيها للعالم البهلول وهو بقدرة مكونة بالمشيئه غداها الحق بلطفه بالأحشاء وأنطقها كما يشاء حتى اذا بلغ الأمر المحتوم واستوفى رزقه المقسوم تحرك بقدره الله واضطرب وطلب الوجود بعد العدم والصحة بعد السقم ولما ظهر الى دار الدنيا وتنشق برد نسيم الهوى أمر الله العظام فقويت والمفاصل فاشتدت (قال الراوى) فبينما أبو محمد فى هـذا التوحيد للملك العلام وعقبه اللعين قطع عليه من ضرب الحسام فقال يا ابن الحصين هذا لا أسمعه ولا يقدر على هذه القدرة الا الذى أحي الميت من لحده قبل النشور وخلق من الطين طيور واليه ترجع هـذه الأمور فقال أبو محمد تكذب ياملعون بل هو صنعة من رفع فوقنا سبع شداد وجعل الأرض بساطا ومهاد وجعل الجبال أوتاد وأحصى المخلوقات أزواجا وأفرادا وقدر الأزمنة بين فصول أربع نقصان وازدياد وجعل لنا بعثا وميعاد وخلق ابن آدم وجعل له قلبا وفؤاد وهدانا إلى دين الاسلام توفيقا وإرشاد وهداية وسداد وما المسيح ابن مريم إلا عبدا له فضله على طائفة من العباد فلا يقدر على شيء الا باذنه ومراده وتوفيق ورشاد وأمر فى العباد بما أمر حتى بعث النبى المطهر مجد الطريق الواضح والنور اللائح صاحب المنام المحمود والحوض المورود واللواء المعقود الذى حن اليه الجذع وكلمه الضبع وكلمته السباع

وحذره الذراع وشهد بنبوته الشجر والمدر وخاطبه بفصيح الكلام القمر ووطىء بقدميه السموات السبع ويسمع من يصلى عليه ليلة الجمعة ومالت اليه النخلة والجذعة وحيته بالإكرام الغزالة والضبعه الذى دعا الخلائق الى توحيد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد جل عن الحساب والعدم وشرف نبيه محمد على كل من وطىء التراب ويعبد مقرن الخلائق طريق الحقائق ولا يقعد عن اتباعه إلا شقى مثلك منافق ولابد ماينفذ فيك يا ملعون أمره وكلامه ويصدق فى صلبك منامه (قال الراوى) هذا وعقبه لايزداد إلا كفرا ونفاق ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى موضع يقال له الهور الأزرق وهى بطحة مافى طريقهم وأصعب منها عرضها سبع فراسخ بين الشرطة وبين ساقية سليمان فدخلوا الهور وأبو محمد فرحان ببلوغ مناه وقد أمكنه الزمان منه وهم سائرين ومن عظم ذلك الهور مستعجبين ساعة من النهار وقد هبت عليهم العاصفة فماج البحر يمين وشمال وغلا غليان المرجل وعلا فيه الموج وارتفع وانتظم وقعقع وأزبد وأخذه المخاط وبربر فأيقنوا القوم بالغرق وكادت نفوسهم تزهق من الفزع والغرق وسار أبو محمد وولده وغلامه يدعون الله تعالى ويتطلعون الى عقبه الملعون فانه لما نظر الى اختلاط الأمواج وترادف العجاج فرح فرحا شديدا وقال وحق المسيح ان هذا شىء يسرنى أن نهلك كلنا فى هذا المكان ويخلصوا منا المسلمين وعبدة الصلبان هذا والبطال مشتغل عنه بتدبير الزورق ولم يزل حتى ألصقه الى سندان قصب مزجا من الهوى وكان قصب غلاظ طوال مثل الرماح فشد أبو محمد الزورق اليه وقام ينتظر سكون الريح وقد فرح كيف وقع لهم هذا السندان وهم كذلك وإذا قد لاح لهم من صدر البطحة سواد مقبل اليهم على وجه الماء فتطاولوا اليه بالأبصار وجعلوا يتأملوه وهو يقرب منهم حتى بان وظهر للعيان وتبينوه واذا به شبارتين كل واحدة بعشرة مقاديف وعشرين رمح مشدوده بعضها فى بعض والزورقين مرصوصة بالرجال ممتلئة بالسلاح والسيوف السقال (قال الراوى) فلما نظروا غلمان محمد بن سليمان الذين قد ساروا يغفرون البطال الى ذلك اصفرت وجوههم وتغيرت ألوانهم فقال لهم أبو محمد البطال وقد رآهم على تلك الحاله ما بالكم قد اعتراكم الاصفرار وداخلكم من قدوم هذين الزورقين الانبهار فقالوا أيها الأمير خيفة على أنفسنا وشفقة على أرواحنا فقال لهم ممن تخافون فقالوا من عبد أسود وقد عصى على سيدنا محمد بن سليمان وتمرد يقال له قاصم الحياه جبار من الجبابره وكان مولده عند مولانا

ولما كان فيه من الشجاعة فضله على سائر عساكره لأنه كان يلكم رأس الجاموس يخسفه ويلطم الجمل فيبعجه ويعمل على تلفه وهو عبد طويل القامة كبير الهامة مفتول الزندين غليظ الساعدين مكدو آماق العينين لاتفرقه من الجاموس إلا قرونه ومن الفيل إلا خرموطه وكان مولانا ما يغضب على أحد إلا ويسلمه واذا أمر بقتله وثب اليه ولكمه فى صدره أخرج يده من ظهره وكان عند سيدنا بمنزلة الولد وانه أفسد فى جواره وبلغ مولانا ذلك فعول على قتله فهرب وعصى عليه وتمرد وخرج عن رق الطاعه وطلب النصرة وعاب فى الرجال فقتل الاسود وهزم الجنود وتبعه خمسين عبد أخر طماعة فى أكل الحرام لأجل اسمه الشائع وخبره الذائع ولما صار فى خمسين عبد قويت يده واشتد جلده وقطع الطريق (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام واذا بالشباريتين أقبلوا عليهم ومقدمهم عبد أسود مثل الجاموس وهو يزعق ويقول لمن معه هذه غنيمة لنا فى هذا اليوم قال فلما سمع البطال ذاك المقال ومن معه من الرجال وغلمانه الأشبال أيقنوا بالبلاء وتقدم اليهم قاصم الحياة وهو مثل الأسد الغضبان وقال دونكم وهؤلاء الغنيمه فعند ذلك تقدموا اليه غلمانه محمد بن سليمان الذى أنفذهم مع البطال فقالوا له ويلك ياقاصم الحياة أبيت أن يبدأ منك إلا هذا لأنك رجعت إلى أجنسة أصلك وقبحت الى من أحسن اليك والآن فقد مضى مامضى فاذكر حق التربية والإحسان والجود والامتنان ولاتعرض لنا بسوء فنحن غلمان محمد بن سليمان ونريد أن نسير الى بغداد فى خدمة أمير المؤمنين وخدمة هذا الرجل الذى معنا فكف شرك عنا حتى نتحدث بحديثك عند مولانا وعند الخليفة أيضا وان أبيت إلا القتال فما نسلم اليك الزورق وفينا عين تطرف (قال الراوى ياساده) فلما سمع السيد كلامهم انقلبت عيناه فى أم رأسه وصرخ بعبده المقدم فى الزورق الآخر وكان يلقبه أسد الفلا فناداه ويلك دونك وهؤلاء القوم اخطف أرواحهم والق الى الماء أشباحهم فلما سمع أبو محمد ذلك علم أنهم مأخوذين لامحالة فنادى ويلك ياقاصم الحياة لاتتعرض بنا فيكون خصمك أمير المؤمنين والأمير عبد الوهاب مقدم ثغور المجاهدين فما تسلم من هاتين الجهتين ولا تنجو من سخط الاثنين لأنك لو لحقت بالنجوم وعضيت فى التخوم أتوك رجال الموت من مكان الى مكان وتصير مثلا فى الأزمان وربما اشتهرت فى البلدان حتى يعتبر من يتبعك من أهل الفساد والطغيان هذا والعبد معرض عن مقال البطال وهو يصيح فى أسد الفلا : ويلك دونك وهؤلاء الأبدال فعندها قدم العبد الزورق الى نحو أبو محمد البطال وميل نحوه ونادت غلمان محمد بن سليمان

وصاحت أيضا السودان وتراموا بالنبال وأشهروا السيوف الصقال وكثرت الأهوال وحمى القتال ودخل فى قلب عقبه الفرح والسرور وقال لو قتلت فى هذه النوبه كان قلبى طيب اذ لم يظفر بى عدوى ولا تمكن منى وهو فى هذه الساعة يهلك ويأكل لحمه السمك (قال الراوى) ولم تكن الا ساعه حتى هلكت رجال محمد بن سليمان وجرح مذبحون ولؤلؤ وظفر العبد بزورق البطال واحتوى على ما فيه من الأموال وشدوه وولده وغلامه كتاف وقدموا الزورق بين يدى قاصم الحياه فلما نظر الى ما فيه من المال العظيم والهدايا والظرف والتحف فرح بذلك فرحا عظيما ونظر الى البطال وعليه ثياب جميلة وكذلك على ولده وغلامه فقال ويلك من أين لك هذا ومن أين أنت ومن أين هـذه المعرفه بينك وبين محمد بن سليمان حتى أنفذ معك غلمانه وأمر لك بعطاه وغمرك باحسانه فقال يا فتى أنا من بعض غلمان أمير المؤمنين المعتصم وأنت قدمت على معاداته وهو صاحب الأرض فى طولها والعرض فلما سمع العبد ذلك تبسم عجبا وقال ويلك أتظننى أنى مثل من طلبه المعتصم ظفر به أنا وحق ذمة العرب أقدر على لقاء كل من فى العراق ثم أمر عبده أسد الفلا وقال ويلك اضرب رقابهم فايش فائده فى أخذ هؤلاء الأسارى الى الدحال أقتلهم حتى نحظى بالأموال فأيقن البطال بالارتحال وقال أيها المولى لا تفعل فعل الجهال واطلب منا مهما أردت من الأموال حتى نأتيك به بالمراد ومسرة الفؤاد ولا تقتلنا تندم وتطلب من كل الأمم فلما سمع العبد ذلك تبسم ضاحكا وقال ويلك تأتينى الأموال فى فديتك وفدية هؤلاء الرجال فقال أيها السيد أطلق غلامى هذا حتى أعطيه خطى بجميع ما يقطع على وأنفذه الى أهلى وتحلف لى أنك اذا قبضت المال تطلق سبيلى وابصر ما يأتيك من الهدايا والتحف فقال العبد وذمة العرب ان أنت أتيتنى بالمال أطلقك واعلم أن طباعى تأبى الكذب فقال وبكم تقنع من المال فقال أريد منك خمسين ألف دينار حتى أطلق عن صاحبك وعنك فلما سمع البطال ذلك تمنع وأشار الى مذبحون أن يتكلم حتى يتم له الخديعة فقال مذبحون يا أبتاه مالك قد نكست رأسك أما تعلم أن المال ما يدخر الا لمثل هذا الحال وقضاء حاجات الرجال وأعظم من الحاجه ما يكون وهـذه الأموال التى قد ادخرتها فى بغداد اذا لم تخرجها فى هـذا الوجه ففى أى وجه تخرجها اكتب مع غلامك كتاب ليأتى بهذا الفدا الذى طلبه هـذا السيد العميد فعندها أمر قاصم الحياه لعبيده أن يفرغ الزورق الذى كان فيه أبو محمد وقال لخمسة من عبيده انزلوا فيه وسيروا مع غلام هـذا الرجل الى بغداد واقبضوا المال الذى قال عليه وعودوا سريعا فانى منتظر قدومكم فقالوا العبيد

السمع والطاعه وعولوا على نزولهم فى الشباره وهموا باطلاق لؤلؤ واذا بعقبه قد صاح صيحة عظيمة كادت روحه أن تخرج منه وقال لقاصم الحياه أيها السيد لا تفعل ولا تأمن لهذا الشيطان ولا تجعل فدوا السودان أعينهم ينظرون من الصايح فرأوه شيخ منيد مكتوف فى جانب الزورق كأنه القرد فقال قاصم الحياه إيش هذا الشيخ وما الذى يقول ائتونى به لأنظر ما مراده لأنه أراه كأنه مسلوب العقل فعندها قدموا عقبه الى بين يديه فلما رآه أمر بحل كتافه وفك قيده من رجليه ففعلوا ذلك وأفرجوا عنه ومن فرحة الملعون بكا وانتشرت دموعه على شيبته ونادى أيها السيد الهمام والبطل الضرغام حياك الله بالانعام وكفاك حلول الانتقام وملكك رقاب الأنام وشربوا أعداءك كاس الحمام يا من قد تزعزعت من هيبته البلاد وذلت من عظيم سطوته العباد يا مولاى هل لهذا المسكين عندك زمام فتدجارت عليه الأيام وضعف من القوام وانقطع الكلام وارتعشت منه الأقدام من قوم لئام لا يرحمون انهمال عبرتى ولا يرقون لعبادتى ولا يحترمون شيبتى بل يطلبون قتلى ولا أجارنى منهم مجير الا قتلوه ولا حمانى أحد الا أذلوه ولا نصرانى عزيز الا أهانوه والآن فقد وصلت اليك وأريد أن تجيرنى من الأعداء ولا تدعهم ليسقونى كؤس الردى ثم زاد به البكاء فأنشأ وجعل يقول :

ألا أيها السيد المرتجى لقيت المسرة فى كل عام
وأنت الذى فنت أهل الزمان بطعن الرماح وضرب الحسام
وأنت الذى يشهدون العباد له بالشجاعة يوم الصدام
وأنت الذى لم تزل محسنا إلى كل من رام نيل المرام
وأنت الذى لم تكن سامعا كلام اللئيم ونسل اللئام
فشلى لا تهملوا أمره وقد نلتمو بى كل المرام

(قال الراوى) فلما سمع العبد كلام عقبه عظم فى عينه وكبر قدره وقال أيها الشيخ طب نفسا وقر عينا فانى قد أجرتك من كل الأنام وأنا أقسم برفقتى وأجنادى وعبيدى وأستاذى والملك العظيم ومن خاف بزمزم والحطيم ان مكنت منك العدا حتى أشرب شراب الردا ولا بد ما أملكك رقاب الأعداء وأبلغك أمانيك فاخبرنى من هم الذين يهينون شيبتك ويخرقوا حرمتك وهذا العلم علمك والفهم فهمك فقال أيها السيد الجلاحل والفيل المنازل أعلا سعلاك وبان مجدك وهلك ضدك اعلم انى رجل من قضاة المسلمين وانى أعلم أهل زمانى فى العلم والبراهين وقد أتعبت فى قراءة الكتب خاطرى وأشغلت بالأديان سرائرى حتى تحققت الدين الصحيح وعرفت بفضائل المسيح

فاتبعته بقلبي وملت اليه بمعرفتي وعقلي وهؤلاء أعدائي وأضدادي وقد بالغوا في معاداتي وكيادي من حيث عرفوا أنني قد تركت دينهم وانتزعت عن يقينهم وأنا الساعة بين يديك وأشتهي أن تمن علي بالاطلاق وتبصر ما يصل مني إليك (قال الراوي) فلما سمع العبد ذلك فكر في أمره وقال أيها السيد العالم أنت المسمى بعقبه الذي قد شاعت في الأرض أخبارك بقراءة العلوم وبخبرة الأديان وان كنت ذلك فانني والله من جملة من سمع خبرك وفكرت في نفسي وقلت هذا أعلم أهل زمانه ولولم يعلم أن دين المسيح هو الدين الصحيح لما طلبه وترك دين الاسلام وتجنبه ففرح الملعون عقبه عند سماع هذا الكلام وقد فرح كيف عرفه العبد وعلم أنه جاهل بالشرائع فقال له أيها السيد للمسيح بك عناية ورحمة كيف تطلق هذا الذئب الأمعط والثعبان الأرقط والبلاء المسلط أتعلم من هو هذا الأسير الذي وقع في يديك فقال لا والله فقال هذا الذي خدع الملوك وأباد بحيلته كل غني وصعلوك وكسر الجبابرة وتمت أعماله على الأكاسرة والقياصرة هذا أبو محمد البطال العيار المحتال مقرعة العرب ومخرب الأطلال ومردي أهل الرتب فلما سمع العبد ذلك كرر النظر في البطال وقال أيها الشيخ هذا رفيق أسود بني كلاب المسمى بعبد الوهاب فقال عقبه نعم فقال وحق ذمة العرب لقد سمعت بمكره وأعماله واحتياله على أنه لو أتاني بعبد الوهاب وسائر السودان وبني كلاب لما رفعت لهم راس ولا أهويت إلى أساس بل كنت أشبعهم ضربا وأجرعهم طعنا وحربا وأنا اليوم ما بقيت أعمل إلا برأيك وشورتك وأتخذك في منزلة الوالد فما الذي تشير به علي أصنع به وبأصحابه هل أضرب رقابهم وأرميهم في الماء فقال عقبه يا ولدي أنا أشير عليك بما فيه الصلاح والنجاح وذلك أنك تسوق هؤلاء الثلاثة معك أسراء وتسير الليل وتكمن النهار وأنا معك في هذا الزورق حتى تصل الى الدجلة التي بين جبلة والنعمانيه ونكمن هناك وأدخل أنا وبعض عبيدك إلى واسط مختفين فنشتري لك الخيل المسومة الاعوجيه وجميع ما نحتاج اليه في السفر ونسير في البريه في مواضع أعرفها أنا تخرج من أطراف بلاد العجم وتقطع أخبارنا عن هذه الأرض ونرجع على طريق القسطنطونيه اذا تركنا الأعداء خلفنا أدخلك على الملك ميخائيل وترى منزلتي عنده اذا قدمت عليه بهؤلاء الثلاثة وأنا أصف له شجاعتك حتى أتركك سيفه على أعدائه ومقدم على جيوشه ويعطيك إقليم مثل إقليم العراق ثم لا أقنع لك بذلك حتى أزوجك ابنته وأزوج عبيدك من بنات البطارقة ويلبسون الحرير والابريسم بعد لباس الخام ويأكلون من أطيب الطعام ويتنعمون بتلك الأقمار فلما سمعوا العبيد ذلك من عقبه

طابت قلوبهم لأنهم قد ربوا على أكل الحرام والجاهلية لاعقل لهم يمنع ولا دين يردع ففرحوا بذلك وأجابوا وقالوا العبد قاصم الحياة أنت تكون له سيف على العدا ضاربا وملازما ونحن نصير على مذهبك ونعود على ملتك ففرح عقبه بذلك وقال بهؤلاء أبلغ من عبد الوهاب وأمه وأولاده المراد وأشفى غليل الفؤاد هذا والبطال يسمع هذا الكلام وقد أيقن بشرب كاس الحمام وقال لعنك الله ياملعون فلقد تسببت الى الخلاص بكل الأسباب ثم عاد الى ربه رقوى جنانه وقال ولعل يأتى فى العرضيات ما لم يكن فى الحساب فهو كذلك والعبيد أتوا اليه وأوثقوه كتاف وكذلك ولده وغلامه وقام عقبه وأخذ فى يده سوط وجعل يضربهم ويقول هذه الكرة لكم آخر الكرات وهذا اليوم أذيقكم فيه العذاب والآفات وبعد ذلك تنظرون من يصلب على باب الذهب ويكون صلبه عجب ثم ضرب أبو محمد حتى غشى عليه وكذلك ولده وغلامه فعل بهم مثله وأقاموا بقية يومهم الى الليل وساروا تحت الظلام ولم يزالوا سائرين الليل ويكمنون النهار الى أن وصلوا الى الدجلة التى ذكرناها فأكمن العبد ومن معه من العبيد ومضى عقبه ومعه منهم خمسة ومعهم أكياس الذهب الذى كانوا مع البطال وقصدوا واسط واشتروا الخيل والعدد فى يومين وفى اليوم الثالث عادوا الى الدجلة ووصلوا الى قاصم ففرح بهم وبمن معهم فرحا زائدا وركبوا كلهم وساروا وعقبة معهم ذليل ولم يزالوا سائرين يقطعون الأرض حتى وصلوا الى بلد تورين وساروا الى أخلاط وتزودوا وتموا سائرين الى بلد الأرمن وساروا حتى قطعوا جبال السباسبه ودخلوا الى الهيلار وأبو محمد البطال وولده وغلامه مكتفين وقد أيقنوا بحلول الأجل وفوت الأمل ومذبحون يقول ياأباه هذا آخر ساعاتنا من الدنيا فليت انى قبل موتى تزودت بنظرة من زوجتى ابنة الملك كرفناس التى هى منيتى من دون الناس . هذا وعقبه لايصدق بوصولهم الى إقليم الروم حتى يأمن على روحه لأنه سائر وهو ميت فى جلده فزعان أن يلتقى بهم أحد من عساكر المسلمين وجيش الموحدين فيأخذهم (قال الراوى) ولما وصلوا الى قلعة الأرمن بمدينة هيلار وكان فيها بطريق اسمه جرجيس وهو جبار من الجبابرة وتحت يده ألفى فاوس من الأرمن رماة بالنبل شياطين فرسان الخيل إلا أن عقبة لما دخل على البطريق فرح بقدومه ووصوله اليه وقام قائما على قدميه وأكرمه وأجلسه بجانبه وأكرم قاصم وأمر لهم بالضيافات والعلوفات ثم قص عليه قصته وقبضه على البطال ففرح بذلك فرحاً شديداً ثم ان عقبة طلب منه جماعة يغفر وهم الى مدينة القسطنطونيه فقال جرجيس أنا أحق بذلك

والقرب بخاطر الملك بذلك فوافق مراد عقبة وساروا يجدون فى السير الى أن وصلوا مقابل الدروب وعقبة قد اطمأن قلبه وأمن على نفسه لأنه قد وصل الى أوائل بلاد القسطنطونيه وهو راكب على بغلة والبطال قد أيس من الحياة وعقبة يقول له أرأيت كيف أوقعك الله ياشيطان وأنت دائر خلفى تريد هلاكى وقد عملت أنا غاسل فعملت روحك ميت فعملت أنا واعظ عملت أنت يهودى وجئت تسلم على يدى فعملت أنا بقال عملت روحك تاجر وأنت دائر خلفى جميع البلاد حتى مكننى الله منك وخلصنى من يديكم وقد آن صلبك يابطال فى هذه المرة على باب الذهب ونستريح منك والبطال يقول له ياملعون أين أنت من ألطاف الله عز وجل وهو يقول له هيهات الندم على ما فات أن تخلص من يدى. هذا وقد تألم البطال من حبل الكتاف وهو يتألم لذلك وإذا هم بغبار قد علا وثار حتى سد منافس الأقطار وبان من تحته أسنة رماح ولمعان اللبوس والخوذ ورايات إسلاميه فلمارأى ذلك عقبه كادت مرارته أن تنفطر وتذوب (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن صالح بن هارون العلوى الحجازى لما وصل الى ملطيه بزوجته صحبة الأميرعبد الوهاب قال له يامولاى أريد أن أغزو الروم لعل يحصل لنا الثواب فصبره فلم يصبر وقال لابد لى من السفر اليهم لأربح الثواب فأمر الأمير عبد الوهاب ولده ظالم أن يسير معه ووصاه عليه وأعطاه معه طيرين حمام من حمام ملطيه وقال له إذاحصل لكم ضيق فارسلوا لنا البطارقة نحضر إليكم سريعا فقال له سمعاً وطاعه ثم ساروا الى أن وصلوا الى القسطنطونيه وبلغ ميخائيل خبرهم وانهم فى عشرة آلاف فما اكترث بهم وأرسل له بطريق فى ثلاثين ألف فكسروه ونهبوهم ورجعت المنهزمين الى القسطنطونيه فقال ظالم لصالح على مراده ورجعوا الى ان وصلوا الى الدروب ووقعت العين على العين عندها برزت العساكر واصطفت الصفوف فأمر جرجيس الى قومه بالحملة وحملت كل طائفة على الأخرى وجرى بينهم الحرب وقتل من الروم خلق كثير وما صدقوا بالنهارقد مضى حتى أشرفوا على الهلاك ولما انفصلت الطائفتين رجعو الى الخيام وتحارسوا طول الليل وأضرمت النيران فدخلت المسلمين على الأميرظالم والأمير صالح العلوى وقالوا له إنا نظرنا فى عسكر الروم قوم سودان تشبه قراقد وسودانه وتعجبنا منهم ومن حربهم ولا سيما المقدم عليهم فانه أباد عسكرنا وشوههم فقال له الأمير ظالم أنا رأيت هذا وأردت أن اصطاده فى الحرب لحجز بينى وبينه الرجال فى القتال لكن فى غداة غدا إن شاء الله تعالى أبرز اليه وآخذه أسير ولا يقف القوم بعده بين أيدينا ساعة واحدة

فدعوا له ثم انصرفوا فهذا جرى ههنا . وأما ما كان من قاصم الحياة فانه دخل الى خيمة جرجيس وعقبه جالس بجانبه فأكرموه وبجلوه وأجلسوه فرأى الأرمن وقوف بين يدى ملكهم وهم يشكوا اليه مالاقوا من عسكر المسلمين بظالم بن عبدالوهاب فقام قاصم الحياة وضمن للقوم قتله فى غداة غدا ويأخذه أسير وقال سوف تنظروا منى مايسركم فشكره جرجيس وعقبة على ذلك ولما أصبح الصباح وركبت العساكر برز قاصم الحياة واشتهر بين الصفين وطلب البراز وسرعة الإنجاز وأن لايبرز اليه إلا أمير الجيش عندها برز الأمير ظالم الى الميدان فسبقه الأمير صالح الحجازى وأقسم أن لايبرز اليه غيره فقال له ظالم إن كنت ولابد من برازك اليه نرمى القرعة فكل من خرج له السهم يخرج اليه ففعلا ذلك فطلع السهم لصالح ولما رأوا العبيد الذين مع قاصم أنه برز إلى أميرهم أمير المسلمين فبرزت ثلاثة عبيد منهم فبرز اليهم ثلاثة من المسلمين ولما رأى جرجيس الى ذلك نهر من تبعه ومنع أن يخرج منهم أحد غيره عندها تقدم الأمير صالح الى قاصم الحياة وتقدم الأمير ظالم الى جرجيس ملك الأرمن وتقدموا الثلاثة فرسان المسلمين الى الثلاثة عبيد الذين لقاصم الحياة والتحم كل واحد الى خصمه وتبادروا بالرماح حتى تقصفت ثم عمدوا الى السيوف ولم تكن إلا ساعة حتى هجم صالح على قاصم الحياة وضربه على جانبه الأيسر وضرب ظالم لجرجيس على عاتقه أطلع الحسام يلمع من علائقه وكذلك فعلوا المسلمين بالثلاثة عبيد وأن عقبة أبطأ عليه الخبر وظن أن النصر لهم فبقى يجئ يهرب فيرجع يقول اصبر حتى أنظر إن كان جرجيس ينتصر أو لا فاذا رأيته انكسر أقتل البطال وأهرب وبقى مقدم ومؤخر فى ذلك الأمر واذا بالغبار قد انكشف فوجد المسلمين سالمين وقومه قد هلكوا عن آخرهم ولما رأى ذلك طلب لنفسه النجاة (قال الراوى) وأن الأمير صالح لما تقاتل هو وقاصم الحياة سأله من قبل أن يقتله من أين هو فقال وأخبره بجميع ماجرى له مع البطال وأسره له برأى عقبة اللعين ولما التقى ظالم بصالح وحمل كل منهم على صاحبه فسأل ظالم خصمه فأخبره على كل ماجرى وتقاتلوا مع بعضهم فقتل ظالم ملك الأرض وكذلك صالح قتل قاصم الحياة وتقابل صالح مع ظالم وأخبره بما جرى وأن عقبه حاضر معهم فى هذه الوقعة فما كان لظالم عقل إلا أنه اخترق المعمعة وشتت الروم من بين يديه وهو يسابق إلى عقبه يأخذه ولما قاطع ظالم على المنهزمين وجد فى أوائلهم القاضى عقبه وهو هارب يطلب لنفسه النجاة فقبض ظالم عليه وأدار كتافه ولما تحقق عقبه ذلك انفطرت مرارته وغاب رشده وذهل عقله

وأحدث على نفسه وأيقن بالهلاك ثم عطف ظالم على بقية المنهزمين وأفناهم عن آخرهم وخلص أبو محمد البطال وولده مذبحون وهناهم بالسلامة ورجعوا الى الوطاق وناموا تلك الليلة ولما أصبحوا طلبوا الرحيل إلى ملطيه وإذا بغبار قد ثار حتى سد منافس الاقطار وبان من تحته بريق الزرد ولمعان الخود فتحققوهم القوم وإذا هم عسكر قد جهزهم الملك ميخائيل وذلك لما رجع اليه المنهزمين من الوقعه الأولى فكشف خبرهم الأمير ظالم وتحققهم وإذا بهم مائتين ألف فارس فلما شاهد القوم قلق على المسلمين قلق عظيم وكذلك الأمير صالح العلوى ثم أنهم فى الحال كتبوا كتاب وعلقوه على جناح طائر من طيور ملطيه ثم انهم شجعوا قلوب العسكر للجهاد ولما وقعت العين على العين زعق فيهم غيلان الشوك وكان المقدم على العسكر بالحملة ولم يمهلهم حتى يرتاحوا فتلقوهم المسلمين بسيوف حداد وسواعد شداد ودام بينهم الحرب إلى آخر النهار وكان غيلان من الجبابرة الثقال ففتك فى المسلمين وأرموا خيولهم بالنبال فما ولى النهار حتى صار أكثر الناس من المسلمين بلا خيل واتجهوا الى الجبل وبان منهم التقصير ولما رأت الروم ذلك من المسلمين فقويت قلوبهم واشتدت همتهم ولما أصبح الصباح ركب غيلان وقصد الى الجبل ونادى فى العسكرين يترجلوا ويطلعوا خلفهم وصارت المسلمين يرموهم بالحجارة الثقال والصخور الكبار ورأوا من الروم الغلبه فتضرعوا الى الله تعالى بأن يرحمهم ويكشف ما نزل بهم فما استتم كلامهم ودعاءهم الا وغبار ثار حتى سد الاقطار وانكشف الغبار وبان عن رايات اسلاميه وأمة محمديه وفى أوائل القوم الأمير عبد الوهاب ولما رأى المسلمين فى هذا الضيق العظيم أمر المسلمين بالحملة هو ووالدته الأميره ذات الهمه وفتكوا فى الروم ثم ان الأميرة رأت شخصاً قد أباد الأبطال وقتل الرجال فتحققته وإذا به غيلان المقدم على عسكر الروم فقصدته وضايقته فى الميدان وطعنته فى صدره أطلعت السنان يلمع من ظهره وفتكت فى الروم ولما رأت الروم الى أميرها قد قتل ولوا الأدبار وطلبوا الديار ونزل الأمير عبد الوهاب فى الخيام واجتمع بولده ظالم وبالأمير صالح وأبو محمد البطان وهنأهم بالسلامه والخلاص وبشروه بالقبض على عقبه ففرح بذلك وباتوا تلك الليلة ولما أصبح الصباح رحلوا طالبين ملطيه وقد أشهروا تورا قصوا من عظم ما فرحوا بالنصر والظفر وقد أشهر أبو محمد عقبه وألبسه طوطور وأركبه على جمل عرى وداروا حواليه السودان يضربونه ويلطمونه يمين وشمال ولما قربوا من ملطيه أرسلوا وأعلموا أهل البلد بقدومهم فوصل المبشر وأخبر بذلك وخرجوا كلهم للقائد وكان يوم عظيم

خلف البلد والبطال الى جانب الأمير وعقبه قدامهم الى أن دخلوا الى دار الأمير عبد الوهاب وسلم الأمير عبد الوهاب الى أبو محمد البطال عقبه فوضعه فى مطمورة وكتبوا للخليفة كتاب وأرسلوه اليه وذكروا فيه أنهم معولين على الدخول الى القسطنطونية يصلبوا عقبه على باب الذهب فان تيسر لمولانا أمير المؤمنين ذلك فليأتى سريعاً وان لم يتيسر له ذلك فيأذن للمماليك بالتوجه ولما وصل الكتاب الى الخليفة فرح بذلك غاية الفرح وأرسل الى جميع البلاد والقرى يأمرهم بالجهاد فى طاعة رب العباد والحضور سرعه ثم بدر خارج بغداد ونصب الوطاق فاجتمع اليه خلق كثير ثم انه رحل يجد ليلا ونهاراً إلى أن قرب من ملطيه فأرسل يخبر بذلك فخرج الى لقائه الأمير عبد الوهاب وعمرو بن عبيد الله وبنى سليم وبنى كلاب وجميع المجاهدين والتقوا بالخليفه وكان يوم مشهور ونزلوا فى الوطاق ودخل الأمير أبو محمد الى الخليفه وسلم عليه فرد عليه السلام وهنأه بالسلامة وطلب منه الملعون عقبه وقال وقال له أحضره بين يدى فخرج البطال مسرعاً ليحضر به للخليفة فأخرجه من المطمورة وأتى به إلى نصف الطريق فأراد الله تعالى اظهار قدرته وأمره فأرعدت وأمطرت وأظلمت الدنيا ونزل من السماء سيل فشتت الناس والخيام والجمال ووقع البطال فى حفيرة الى حلقه وكان وحده ومعه عقبه مكتف لا غير فصار البطال يصيح ويستغيث فلا يغاث ولا يسمع له أحد صياح وكل أحد من القوم اشتغل بنفسه ولما انكشف الغمام وزال المطر أدركوا البطال فوجدوه فى الحفيره فطلعوه من الحفيره التى وقع فيها فلم يجدوا لعقبه أثر ولا وقفوا على خبر فطاش عقله ودهش فكره واذا بالأمير عبد الوهاب قد أقبل يستعجل البطال ليحضر بعقبه للخليفة فأعاد عليه القصة من أولها الى آخرها فكادت مرارته تنفطر وتحير مما سمع فبينما هو معه واذا بقاصد آخر قد أتى من عند الخليفة بالاستعجال فسار الأمير عبد الوهاب ومعه البطال الى أن وصلوا الى عند الخليفة وتمثلوا بين يديه فسأل البطال عن السبب الذى أبطأه فأعاد عليه القصة من أولها الى آخرها فلما سمع الخليفة ذلك غاب رشده وطاش عقله وقام قائماً وزعق على السياف وأمره بضرب عنق البطال فعندها تقدم اليه الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وباس الأرض بين يديه وسأله فى البطال فقبل شفاعتهم بشرط أن يدور فى الأرض السابعه والجبال والبلاد ويحضر بعقبه ابن مصعب أين ما كان فخرج البطال وهو غائب عن الصواب لا يدرى أين يروح وتبعه الأمير عبد الوهاب وذات الهمة وأوصوه بالعجلة واليقظه وحلف الخليفه أنه لن يرحل عن ملطيه إلا

بعقبه ولو مكث بقية عمره فدخل البطل إلى داره وأخفى نفسه فى الدار حتى ظنوا الأمراء أنه سافر وأرسل البطال غلمانه إلى جميع البلاد وهو مقيم فى داره لا يبرح منها فغابوا غلمانه أربعين صباحاً ثم عادوا اليه وأخبروه أنه لم يقعوا له على خبر ولا أثر فقام البطال مسرعاً وخرج من داره الى ظاهر ملطيه وتمشى بجانب نهرقبا فلاقاه الأمير عبدالوهاب فى طريقه فسلم عليه وهناه بالسلامة وسأله عن حال سفرته وغيبته فقال له البطال والله يا أمير اننى لم أخرج من دارى مدة أربعين نهاراً وانما أرسلت غلمانى فطافوا البلاد وحضروا ولم يقعوا له على أثر فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك من البطال صعب عليه وغضب غضباً شديداً وتركه ومضى فواجه فى طريقه الأميرة ذات الهمة فوقف يحدثها بما أخبره البطال فعسر عليها ذلك غاية الإعسار وقالت هذا استهزاء بالخليفة والا بالذى خلصوه من ضرب العنق ثم انهم أضمروا له مكيدة فهذا جرى ههنا (وأما ما كان) من البطال فانه حار فى أمره وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فبينما هو فى حيرته واذا بشخص مرع اليه فتأمله البطال واذا به ياقوت عبده وكان ذلك العبد قد هرب من عندالبطال وله عدة سنوات (قال الراوى) وكان السبب فى هروب العبد أنه كان فى دار الأمير أبو محمد جارية وكان ذلك العبد قد شغف بها فاختلا بها يوم من بعض الأيام وطلب منها الفاحشة فأغلظت عليه فى الكلام وقالت له اعلم يا ياقوت انلم ترجع عنى والا علمت بك الامير فخاف ياقوت منها أن تعلم مولاها البطال فهرب ودار سائر بلاد المسلمين والروم وكل من عرف أنه عبد البطال يطرده عنه ويقول أرحنا من شرك وشر مولاك البطال فلماأضجرمن ذلك فقصد الى بغداد ودخل الى كنيستها وكتم أمره وجعل نفسه يوقد القناديل بتاع الكنيسة عند الشمس فبقى علىهذه الحال له مدة سنه كاملة ولم يعلم بخبره أحد ونرجع الى سياقة الحديث (قال الراوى) ثم ان ياقوت قبل يد مولاه البطال واعتذر اليه وقال له يا مولاى قد جئتك ببشارة استحق عليها أنك تسامحنى بما وقع منى فانها بشارة تسرك فقال البطال والله ان كانت بشارتك تسرنى أعتقتك ووهبتك الجارية فعندها قال له ياقوت اعلم يا مولاى أن عقبه فى كنيسة بغداد وله ثلاثون يوما وهوعندشماس فى الكنيسة مخبى وهو فزعان مرعوب منك فان كان لك غرض فى تحصيله فقم اليه الآن على غفلة فهو مقيم هناك (قال الراوى) فلما سمع الامير أبو محمد البطال ذلك الكلام كاد أن يغشى عليه من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال للغلام أنت حر لوجه الله تعالى وسوف أسلمك الجارية ثم جهزحاله وأخذ ولده مذبحون ولؤلؤ وسار

أبعد ن أخبر الامير عبد الوهاب بذلك سراً ولم يزل سائر إلى أن وصل بغداد ليلا وقصد إلى الكنيسة فوجدها عاليه فقال مذبحون أنا أطلع أفتح لكم الباب ولايدرى بنا أحد حتى نقبض على عقبه إن كان ههنا فاستصوب رأيه وفى الحال طلع مذبحون إلى أعلا الكنيسة فوجد الشماس وعقبه يتحدثون وهو قلق الفؤاد وكثير الانزعاج من البطال ولما مضى أكثر الليل وبقى أيسره قام عقبه الى المدبح وهو مرقده وقام الشماس إلى مرقده وغلقوا الابواب ثم انه جعل المفتاح على وجه الباب وقد أمنوا على أنفسهم فلما نزل مذبحون ورأى ذلك وسمع غطيطه فصبر عليه حتى سمع خطيطه فى النوم وتقدم إلى الباب وفتحه أسرع من البرق فوجد عقبة نائم لحط فى أنفه قشة ففطس وفتح فاه فألقى فيه الاكرة وشده كتاف وحمله بعد أن ذبح الشماس وفتح باب الكنيسه وخرج إلى البطال فقال له هاك عقبة وقد قتلت الشماس فامضى دام الليل وما أحس عقبة بروحه إلا وهو مكتوف ورأى مذبحون والبطال فأيقن بالهلاك وساروا ليلاونهاراً يجدون السير إلى أن وصلوا إلى ملطيه وتقدم لؤلؤ وأخبر بقدوم البطال وعقبه ففرح بذلك الخليفة والأمراء وكان يوم سرور ودخل البطال على أمير المؤمنين وعقبه معه فى أسوأ حال ثم قدمه بين يدى الخليفة فلما رآه بصق عليه وعلى وجهه ووبخه وأمر بضربه إلى أن اكتفى منه وأراد يرمى عنقه فأقسم عليه الأمير عبدالوهاب أن لا يفعل فصاح على البطال خذه اليك وإلا إن زادنى الامر قتلته ولا تنالون منه المراد وهو اليك وهو برأسك ولا أعرفه إلا منك على باب القسطنطونية وإن فقد صلبتك عوضه فأخذه البطال ولم يقدر يرد عليه جواب وقال ما هو قليل أن يهرب عقبه ويصلبنى الخليفة عوضه ثم رحل الخليفة فى سائر العساكر وتقدم الامير عبدالوهاب فى المقدمه وتبعته العساكر فى ستين ألف من بنى عامر وبنى كلاب وأربعين ألف من بنى سليم والبطال قد أركب عقبه على جمل عريان والطرطور على رأسه والاجراس فى حلقه وسخم وجهه بخداه وجعله عبره لمن يراه وتوكلت به السودان يحفظونه وبقى هذا يصفعه وهذا يلطمه وهذا يبصق فى وجهه وهم يرقصون حواليه ثم ان الامير جعل طريقه من على حصن يانس المتعزب لاجل أن الخشبة التى يصلب عليها عقبه فيه ولم ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على الحصن وخرج يانس المتعزب إلى لقاهم وفرح بهم وبقدومهم ونزل المعتصم بالعساكر حول الحصن وقد ملأوا الارض بالطول والعرض وسأل يانس الامير عبد الوهاب عن سبب حضورهم وسيرهم إلى بلاد الروم والهدنة مقيمة بينكم فقال إنما جئنا إلى صلب عقبه فقد نجز فيه وعد سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم وما عرجنا عن الطريق الا حتى نأخذ الخشبة التى عندك نصلب عليها الملعون فقال يانس والله لابد لى من المسير معكم لانظر هذه الغزاة وأشاهد عقبة لعنه الله مصلوب ثم نزل لوقته بالخشبة وسلمها الى السودان فزفوها بالفرون والبوقات وعقبة ينظر الى فعالهم وقد حار من أعمالهم ومن عظم مانزل بهم أحدث الملعون فى ثيابه ومن الغد عولوا على الرحيل فقال يانس للأمير عبد الوهاب يامولاى مايمكن انكم ترحلوا ولا يأكل أمير المؤمنين من طعامى ومتى أرجع أرى الخليفة يأتى الى حصنى مرة أخرى فقال له الأمير خفف عنك فان الخلق كثير والملأ غزير ومانقدر نقيم بهذه العساكر يوم واحد فقال يانس يامولاى الميرة عندى وجمعتها من يوم سمعت برحيل الخليفة من العراق (قال الراوى) فلما سمع الأمير مقاله عاد وأعلم الخليفة وقبل الأرض بين يديه وقال يامولاى الأمير يانس سألنى أن أسأل الحضرة الشريفة أن يقع فى هذه المنزلة ثلاثة أيام حتى يبالغ فى الخدمة جهده وطاقته ثم تقدم يانس وقبل الأرض فأنعم له بذلك وأقام كما ذكرنا ثلاثة أيام ولما كان اليوم الرابع أمر بالرحيل وطلب الأمير عبد الوهاب أبو محمد البطال فلم يجده فأنفذ خلفه ولده مذبحون فلم يجده أيضا فقال على بلؤلؤ فلم يجدوه أيضا فسأل عنه أكثر الناس فلم يعرف له أحد خبر فأحس قلبه بالبلاء وقال ابصروا عقبة إن كان موجودا فطافوا عليه الارض فلم يجدوا له خبر ولا أثر فقلق لذلك الأمير عبدالوهاب غاية القلق وفاض دمعه وجرى عليه مالايجرى على قلب بشر وأعلم الأميرة بذلك فعظم عليها وكبر لديها وحصل عندها غم لفقد البطال وفقد عقبة وقالت اكتم ياولدى هذا الأمر عن الخليفة وإلا قل عزمه وكثر همه ويقول ضاع تعبنا وما نلنا غرض. ثم قالت ومتى عاهدت البطال أنه فارقك فقال من أمس قبل الظهر مارأيته واشتغلت بخدمة أمير المؤمنين وضيافة يانس واختلاط الناس ولولا رحيلنا اليوم ماكنت افتقدته فقالت الأميرة إذا كان الأمر على ذلك فما هو إلا قصد القسطنطينيه لأن الطرقات خلفنا ملآنة بالخلائق والأقطار تعج بالمجاهدين وما اله الى بلاد الاسلام طريق ومافى الأمر الساعة إلا أن تكتب كتاب وتحتال فى وصوله الى مارس ودارس مع بعض الجواسيس وتخبرهما بماقد جرى وتسألها فى كشف الخبر لعل حديثهما يظهر ولايعلم أمير المؤمنين ولاينحل عزم المجاهدين فاستصوب الامير رأيها وكتب فى الحال الى مارس يعلمه بجميع ماجرى ويقول : نريد من همتك الشريفة أن تبحث لنا عن خبرهم وتكون لك هذه المنة على الاسلام إلى الابد وتنال الثواب من الواحد الاحد وتشاركنا فى تصديق منام النبى

صلى الله عليه وسلم ثم طلب الامير من يبعث معه الكتاب فما اتفق إلا لأحمد الشمشاطى فادعى به وأوصاه بما يقول وبما يفعل وكيف يخفى حاله فلبس ثياب الروم وسار طالب مدينة القسطنطونيه ورحل الأمير عبد الوهاب فى المقدمه وهو يوصى الأمراء بكتمان الامر وفى قلبه غاية الاشتغال (قال الراوى) فهذا ما جرى ههنا (وأما ما كان) من حديث أبو محمد البطال فانه من حين نزلوا على الحصن ورأى كثرة العساكر نخاف على عقبه أن يهرب فى كثرة الجمع فأخذه والتجأ به إلى دير المعبوديه من فزعه عليه وكان بالنهار يخلى ولده مذبحون وغلامه لؤلؤ يحرسوا عقبه وينزل البطال الى خدمة الخليفة ويعود الى الدير فى الليل (قال الراوى) وكان هذا الدير من أعمال الحصن وفيه عشر رهبان معروفين بالتقى والأمانه والصلاح ولاجل ترك عقبه عند هذا الدير وكانوا هؤلاء اطلعوا على إسلام يانس ورجاله وكتموا ذلك ولم يطالعوا به الملوك وبينهم وبين أبو محمد صداقه عظيمه وعرف منهم الصدق والامانه (قال) وكان إذا دخل بلد الروم واحتاج إلى أمر مهم وطلبهم فيه فيجدهم فوق ما يريد ولاجل ذلك التجأ اليهم بعقبه خوفا عليه من تلك الطوائف وكثرتهم وذلك أن عقبه من يوم دخل الى الدير اشتغل بقراءة الإنجيل وهو يبكى ليلا ونهارا ويستغيث بالمسيح حتى ان الرهبان رقوا لحاله وحن قلبهم عليه من كثرة بكائه ثم اجتمعوا على مقدمهم تمليخا بترك الدير وقالوا له يا أبونا وحق المسيح لقد آلمنا بكاء الشيخ النجيح وأنت تعلم ما قد فعل من الحسنات مع الروم وكم له من المجاهدات فى المسلمين والآن فقد التجأ الينا فى آخر عمره ونحن قادرين على خلاصه وكشف ضره وان لم نبادر ونغتنم الثواب وإلا طالبنا المسيح يوم العرض والحساب ونريدك تشير علينا بشىء نفعله فقال تمليخا يا قوم ان أمرتكم بأمر تفعلوه وتعملوا به وتقبلوه فقالوا كلهم أى وحق المسيح ولولا ذلك مااستشرناك فقال اتركوه يفعلوا به القوم ماأرادوا به ولاتدخلوا فى مالا يعنيكم تندموا لان هذا الشيخ قد أهلك الامم فى سائر الاقاليم وماقدر على خلاص نفسه من هذا الامر العظيم فقالوا الرهبان يا أبونا هذا الشيخ فى يد الاعداء وقد بلغ فى آخر عمره هذا المبلغ ولايقصر عن عبادة المسيح ونحن فى طاعة المسلمين وطاعة هذا المنافق يانس المتعزب هو وقومه وهذه فرصة قدوقعت لنا نغتنم بها الثواب من المسيح وان لم تطاوعنا على ذلك والافعلناه برغمك وقتلناك فعرف من نفسه أنهم يغلبوه فقال ياقوم وكيف تريدون تفعلون فقالوا نقبض على البطال وأصحابه ونخلص عقبه ونسير بهم الكل الى القسطنطونيه ونسلمهم الى الملك ميخائيل ليصير لنا عنده اليد البيضاء ثم نقيم فى بيعة

سوفيا عندقوم يعظمن الانجيل ولا نتم باقى عمرنا فى نفاق ونموت ولا لنا عمل نخلص به من يوم التلاف فقال لهم افعلوا ما أمركم به المسيح فانى تابع لكم فى كسب الثواب وبادروا إلى خلاص الشيخ النجيح من العذاب ثم بنوا أمرهم على ذلك وقبضوا على مذبحون وإن لو ولم يكن عندهم شىء من هذا الحساب ثم أطلقوا عقبه ففرح بالخلاص واستشاروا فيما يفعلون فقال انى كنت قد غضبت عليكم والآن قد رضيت عنكم فاصبروا حتى يرجع البطال واقبضوا عليه وسيروا من أول الليل وأنا أسلك بكم طريقا أعرفها وننزل من جبل هذا الدير حتى نقع فى غوطة القسطنطينية وتروا ما أفعل بكم فى الدنيا قبل الآخرة فشكروه الرهبان وأقاموا حتى أقبل البطال عند المساء ودخل الدير وهو آمن على نفسه فما أحس بنفسه حتى داروا حوله الرهبان وقبضوه قبضا باليد وظهر عقبه وقال شدوا كتافه حتى أصلبه على باب الذهب وأذيقه حرارة الصلب الذى أراد أن يذيقنى إياه ففعلوا ذلك وأبو محمد يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ويلكم لا تفعلوا واذكروا العهد الذى بيننا فقالوا يا ملكنا ندارى عليك وتدع الشيخ النجيح ثم خرجوا من الدير ليلا وعقبه بين أيديهم والبطال وأصحابه على البغال والاكرة فى أفواههم وهم مشدودين الكتاف وعقبه أفرح الخلق بهذا وضامر أن يصلب أبو محمد على باب الذهب وكان الملك قد سمع بأمر الخليفة قبل أن يصلى إلى ملطيه وعقبة معه وهو معول على صلبه وهم فى أمم لا تحصى فخاف على نفسه وكاتب سائر الروم وأعلمهم بما جرى على عقبة وحثهم على الجهاد والقدوم وهو منتظر العساكر وهو فزعان على البلاد وخرابها وقد قل عزمهم بقتل غيلان لما قدم عليهم المنهزمين ولما وصل الخليفة إلى حصن يانس وخلص عقبه وقبضوا الرهبان على البطال ونزلوا إلى مدينة القسطنطينية وأمنوا على أنفسهم ودخل عقبه على الملك ميخائيل ففرح به وقام له وهنأه بالسلامة فحدثه عقبة كيف كان خلاصه على أيدى الرهبان وكيف قبضوا على البطال بعد ما أيس من الحياة وقال للملك أريد أن لا تخالفنى أمر من الأمور ونصلب البطال على باب الذهب وتترك له يوم مشهود حتى ينقلب حزنى بسرور وصارت البطارقة تصيح من كل جانب ويلطموا رأس أبو محمد البطال وأصحابه وهم صابرين على النوائب (قال الراوى) فلما سمع الملك ميخائيل كلام عقبة اللعين طال افتكاره وقال أيها الشيخ النجيح أما صلب عدوك فامهل على حتى أنظر ما بين يدى لأنك تعلم ما قد جرى علينا من عساكر المسلمين وقد حدثنى الجاسوس ن الخليفة حضر هذه النوبة بأقوام مختلفة الاجناس لايقع عليهم عدو لا قياس واعلم أن قتل غيلان هد

ركنى وأريد إذا اجتمعت العساكر كلها عندى على باب الذهب أجرب روحى مع المسلمين فى الحرب يومين وانظر إن كنا رابحين فعلنا كلما تريد وإن كنا خاسرين فدينا أرواحنا بهذا الشيطان ونحن ما كنا خائفين إلا عليك أنت ومن حين سلمت أنت لم بقينا نبالى بأحد ثم أنزله فى الدار التى كانت معدة له وترك عنده أبو محمد البطال وولده مذبحون وغلامه لؤلؤ ووكل بهم عشرة من البطارقة وأقام الملك يدبر فى أمره وما فى الملوك إلا من استعجزه فى ترك البطال وقالوا لا نفلح أبدا ما دام هذا ملكنا (قال) فبلغه هذا الحديث فجمع القسوس والرهبان والبناركة وعلماء اليونان وكان ذلك وقت المساء خارج القسطنطينيه فى الوطاق ومارس ودارس حاضرين وأخذ فى المشورة وقال الملك ماجمعتكم وأحضرتكم فى هذا الوقت إلا لتزيلوا همى وغمى لان سائر الروم قد أكلوا لحمى لاجل ترك البطال سالم وأخاف إذا اتبعت عقبة فى رأيه يكون بتلاف روحى وخراب القسطنطينيه . فلما سمعوا القسوس ذلك الكلام ما فيهم من رد جواب ولا أمر بخطاب إلا مارس فانه قال أيها الملك دستور أتكلم ويقبل منى إذا رؤى الصلاح فقال الملك وحق المسيح إن رأيك أنت وأخوك دائماً صواب وأنتما أهل النصح والمشورة وما ثم أخبر منكما بهذه الامور فقال مارس : اعلم أيها الملك أن هؤلاء القوم كلما دار بيننا وبينهم وقعة فنكون أضعافهم فى العدد ويغلبونا ونعود منهم مكسورين ويملكوا منا الخيام والسلب والعدد والاموال والخيل ويأسروا كبارنا وصغارنا ولولا الاموال التى نفدى بها أنفسنا لما كان يبقوا منا أحد وكل ذلك من الغدر الذى يقع منا بعد عقد الهدنة . واعلم أيها الملك أن القوم قد جاء معهم خلق ماهم عددو إذا تملكوا القسطنطينيه ورأوا هؤلاء الملوك الغلبة طلبوا بلادهم وتركوك تصطلى الحرب بنفسك وكذلك هذا الشيخ النجبج الذى يدعى أنه مدير دولة الملوك فما رأيته قط فى عمرى دبر ملك وأفلح ولا كان فى غزاة نجح وإذا فعل شىء من ذلك لايريد إلا بلوغ مناه ويشتفى بذلك من أعداه وأقول لك قولا آخر وأقسم عليه بما صح عندى وحق الدين المكتوم وعيسى ابن مريم أن هذا الشيخ النجبج عقبة لايعتقد فى دين وما قصده إلا قتل البطال وعبد الوهاب ولو هلك من الروم والمسلمين بعدد التراب وماقلت هذا إلا وأنا مخاطر بروحى وأردت بذلك النصيحة لدولة النصرانية . وتمام الرأى عندى أن تبقى على البطال وتوصى عليه وتتركه هو وعقبة فى الاعتقال حتى تأتى عساكر المسلمين وتجتهدوا فى القتال فان بلغنا المراد فلا كلام وإن قهرت أفديت نفسك بالبطال والشيخ النجبج لانك تعلم أن الخليفة

ماحضر هذه النوبة بهذه العساكر إلا لخراب البلاد وقتل العباد وصلب عقبة وإذا غلبنا ما يكون رضاه إلا صلب هذا الشيخ النجيح وعند الغلبة يعذر الإنسان والرأى عندى الذى رأيته صواب ما قد ذكرته لك ورأيك أتم فى ذلك (قال الراوى) فلما أن سمع هذا المقال ابتهج به وقال وحق المسيح يا مارس ما أنت إلا نعم الصاحب والمشير وما تصلح إلا أن تكون بترك أو وزير لأن مانصحنى أحد سواك وأريد كما أنت المشير بهذا الرأى والمقال تتولى أمر عقبه والبطال ويكونوا الاثنين عندك فى الاعتقال حتى أرى كيف يكون الحال ثم أمر الغلمان أن يكونوا مع مارس ويسلموا اليه عقبه والبطال ومن معهم من الرجال فمضى مارس ودارس وغلمان الملك الى القسطنطونيه الى الدار التى بها عقبه وكان تلك الساعه أحضر البطال بين يديه وهو يعاقبه بما فعل فى حقه فى البلاد والأقاليم وعول أن يضربه ويشفى منه الغليل وإذا بالغلمان قد دخلوا عليه وأعطوه لكمة فى رأسه وداروه كتاف وقووا منه السواعد والأطراف وسلموه إلى مارس ودارس وحملوا البطال وأصحابه ومافيهم إلا من كتفوه وعادوا بهم إلى دار مارس ودارس ورجعوا أخبروا الملك وأعلموه بذلك وأغلق مارس داره وحل الأمير أبو محمد البطال وولده وغلامه من الكتاف وبشرهم بالسلامه ففرحوا بذلك وأخبرهم بالحال فقال البطال على ماذا عولت أيها الأمير فقال والله انى حائر ان أخرجتكم أخاف من الملك لا يطلبكم ولا تكون لى حجة وان تركتكم هنا إلى أن ينفصل القتال فيقلق الأمير عبد الوهاب لأنى أعلم ما فى قلبه عليكم وما فى الأمر إلا أننى أسير أنا وإياكم إلى الأمير بمالى وأهلى ورجالى وأقطع من هذه الأرض آمالى لأننى قد ضجرت من المقام فى بلاد الكفر والضلال وأشتهى أن أكون فى بلاد المسلمين وأحضر الجمعه والجماعه وأتزود ليوم الحساب وأزور البيت الحرام وأمضى لقبر سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فقال الامير أبو محمد البطال والله لقد أشرت بالصواب والأمر الذى لايعاب فان كان غرضك تجد فى أمرك وجهز شغلك الى أن يأتى الامير عبد الوهاب فقال مارس أنا بحمد الله خفيف الظهر وأمرى ميسر لأن خيامى وثقلى برا البلد وفى هذا اليوم أخرج الذى بقى لى من الرجال وقد عولت على الارتحال ثم باتوا يدبرون الأمر ويقطعون الليل بالتسبيح وقراءة القرآن وعقبه معهم فى الذل والهوان الى أن أصبح الصباح وفتح باب القسطنطينيه فعول مارس على الخروج فدخل عليه أحمد الشمشاطى بكتاب الأمير عبد الوهاب الذى أرسله وهو على حصن يانس المتعزب

ركنى وأريد إذا اجتمعت العساكر كلها عندى على باب الذهب أجرب روحى مع المسلمين فى الحرب يومين وانظر إن كنا رابحين فعلنا كلما تريد وإن كنا خاسرين فدينا أرواحنا بهذا الشيطان ونحن ماكنا خائفين إلا عليك أنت ومن حين سلمت أنت لم بقينا نبالى بأحد ثم أنزله فى الدار التى كانت معدة له وترك عنده أبو محمد البطال وولده مذبحون وغلامه لؤلؤ ووكل بهم عشرة من البطارقة وأقام الملك يدبر فى أمره ومافى الملوك إلا من استعجزه فى ترك البطال وقالوا لانفلح أبدا ما دام هذا ملكنا (قال) فبلغه هذا الحديث فجمع القسوس والرهبان والبناركة وعلماء اليونان وكان ذلك وقت المساء خارج القسطنطينيه فى الوطاق ومارس ودارس حاضرين وأخذ فى المشورة وقال الملك ماجمعتكم وأحضرتكم فى هذا الوقت إلا لتزيلوا همى وغمى لان سائر الروم قد أكلوا لحمى لاجل ترك البطال سالم وأخاف إذا اتبعت عقبة فى رأيه يكون بتلاف روحى وخراب القسطنطينيه . فلما سمعوا القسوس ذلك الكلام مافيهم من رد جواب ولا أمر بخطاب إلا مارس فانه قال أيها الملك دستور أتكلم ويقبل منى إذا رؤى الصلاح فقال الملك وحق المسيح إن رأيك أنت وأخوك دائماً صواب وأنتما أهل النصح والمشورة وما ثم أخبر منكما بهذه الامور فقال مارس : اعلم أيها الملك أن هؤلاء القوم كلما دار بيننا وبينهم وقعة فنكون أضعافهم فى العدد ويغلبونا ونعود منهم مكسورين ويملكوا منا الخيام والسلب والعدد والاموال والخيل ويأسروا كبارنا وصغارنا ولولا الاموال التى نفدى بها أنفسنا لما كان يبقوا منا أحد وكل ذلك من الغدر الذى يقع منا بعد عقد الهدنة . واعلم أيها الملك أن القوم قد جاء معهم خلق مالهم عدد وإذا تملكوا القسطنطينيه ورأوا هؤلاء الملوك الغلبة طلبوا بلادهم وتركوك تصطلى الحرب بنفسك وكذلك هذا الشيخ النجبح الذى يدعى أنه مدير دولة الملوك فما رأيته قط فى عمرى دبر ملك وأفلح ولا كان فى غزاة نجح وإذا فعل شىء من ذلك لايريد إلا بلوغ مناه ويشتفى بذلك من أعداه وأقول لك قولا آخر وأقسم عليه بما صح عندى وحق الدين المكتوم وعيسى ابن مريم أن هذا الشيخ النجيبح عقبة لايعتقد فى دين وما قصده إلا قتل البطال وعبد الوهاب ولو هلك من الروم والمسلمين بعدد التراب وماقلت هذا إلا وأنا مخاطر بروحى وأردت بذلك النصيحة لدولة النصرانية . وتمام الرأى عندى أن تبقى على البطال وتوصى عليه وتتركه هو وعقبة فى الاعتقال حتى تأتى عساكر المسلمين وتجتهدوا فى القتال فان بلغنا المراد فلا كلام وإن قهرت أفديت نفسك بالبطال والشيخ النجيبح لانك تعلم أن الخليفة

ماحضر هذه النوبة بهذه العساكر إلا لخراب البلاد وقتل العباد وصلب عقبة وإذا
غلبنا ما يكون رضاه إلا صلب هذا الشيخ النجيح وعند الغلبة يعذر الإنسان والرأى
عندى الذى رأيته صواب ها قد ذكرته لك ورأيك أتم فى ذلك (قال الراوى) فلما
أن سمع هـذا المقال ابتهج به وقال وحق المسيح يا مارس ما أنت إلا نعم الصاحب
والمشير وما تصلح إلا أن تكون بترك أو وزير لأن مانصحنى أحد سواك وأريد كما
أنت المشير بهذا الرأى والمقال تتولى أمر عقبه والبطال ويكونوا الاثنين عندك فى
الاعتقال حتى أرى كيف يكون الحال ثم أمر الغلمان أن يكونوا مع مارس ويسلموا
اليه عقبه والبطال ومن معهم من الرجال فمضى مارس ودارس وغلمان الملك الى
القسطنطونيه الى الدار التى بها عقبه وكان تلك الساعه أحضر البطال بين يديه وهو
يعاقبه بما فعل فى حقه فى البلاد والأقاليم وعول أن يضربه ويشفى منه الغليل وإذا
بالغلمان قد دخلوا عليه وأعطوه لكمة فى رأسه وداروه كتاف وقووا منه السواعد
والأطراف وسلموه إلى مارس ودارس وحملوا البطال وأصحابه ومافيهم إلامن كتفوه
وعادوا بهم إلى دار مارس ودارس ورجعوا أخبروا الملك وأعلموه بذلك وأغلق
مارس داره وحل الأمير أبو محمد البطال وولده وغلامه من الكتاف وبشرهم بالسلامه
ففرحوا بذلك وأخبرهم بالحال فقال البطال على ماذا عولت أيها الأمير فقال والله
اننى حائر ان أخرجتكم أخاف من الملك لا يطلبكم ولا تكون لى حجة وان تركتكم
هنا إلى أن ينفصل القتال فيقلق الأمير عبد الوهاب لأنى أعلم ما فى قلبه عليكم وما فى
الأمر إلا أننى أسير أنا وإياكم إلى الأمير بمالى وأهلى ورجالى وأقطع من هذه الأرض
آمالى لأنى قد ضجرت من المقام فى بلاد الكفر والضلال وأشتهى أن أكون فى بلاد
المسلمين وأحضر الجمعه والجماعه وأتزود ليوم الحساب وأزور البيت الحرام وأمضى
لقبر سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فقال الامير أبو محمد البطال والله لقد أشرت
بالصواب والأمر الذى لايعاب فان كان غرضك فجد فى أمرك وجهز شغلك الى أن يأتى
الامير عبد الوهاب فقال مارس أنا بحمد الله خفيف الظهر وأمرى ميسر لأن خيامى
وثقلى برا البلد وفى هذا اليوم أخرج الذى بقى لى من الرجال وقد عولت على الارتحال
ثم باتوا يدبرون الأمر ويقطعون الليل بالتسبيح وقراءة القرآن وعقبه معهم فى الذل
والهوان الى أن أصبح الصباح وفتح باب القسطنطينيه فعول مارس على الخروج فدخل
عليه أحمد الشمشاطى بكتاب الأمير عبد الوهاب الذى أرسله وهو على حصن يانس المتعزب

ليكشف الخبر عن أمر عقبه والامير أبى محمد البطال فلما نظر مارس عرفه وأحضره قدام الامير أبو محمد البطال وأخذ منه الكتاب وقرأه وعرف معناه وشكر الله تعالى على ماأولاه وسهل له هذا الامر العسير فقال مارس نحن عملنا بما فى الكتاب قبل أن يصل الينا ولكن أين فارقت الامير عبدالوهاب فقال يامولاى لابدأن يكون قدقارب القسطنطينيه فقال الامير أبو محمد البطال عدإليه وبشره بخلاصى ووقوع عقبه واعلمه أننا نلتقيه قبل أن يصل الى القسطنطينيه فعاد أحمد بالجواب وقد فرح بما رأى وعجب (وأما) الاميرمارس وأخيه دارس فماأمسى المساء وبقى لهم فى البلد علقه وكلماعز عليهم صارفى خيامهم ثم ركبوا هم وجميع غلمانهم والامير أبو محمد وولده وغلامه وخرجوامن البلد بآلة الحرب فى زى الروم وقدحطوا عقبه فى صندوق مع الغلمان وكان للأمير مارس وأخيه دارس أربعين مملوك مشترى مال وربوهم على دين الإسلام من حين كانوا أطفال صغار ولما نزلوا إلى الخيام أقاموا إلى أن انسدل الظلام وأظهر مارس للروم التى حوله أنه رائح فى حاجة للملك إلى عسكر المسلمين ثم انه ركب وسار لوقته هو وأخيه بعد أن شالوا الاموال وجميع الثقل على البغال وتركوا الخيام على حالها وكانت عساكر الروم واردة من كل مكان والعالم فى عدد التراب وهم مقبلين كتائب ومواكب والأخ لايعقل على أخيه ولم يزل مارس وأخيه دارس سائرين هما والامير أبو محمد البطال ومن يصحبهم من الغلمان والرجال إلى وقت الفجر ونزلوا للراحة حتى أصبح الصباح ورحلوا فبان لهم غبار ثم بان من تحت الغبار عسكر الإسلام وقدامتدت يميناوشمال فحركوا اليه قاصدين وأخرجوا عقبه اللعين وبانت لهم الفرسان المحمدية وقد ارتفع لهم تكبير يزعزع الارض وكان على المقدمه الامير عبدالوهاب والاميره ذات الهمه إلى جانبه مثل الاسد وبنى كلاب بين أيديهم فلما رأوا مارس ومن معه من البيارق والصلبان تجارت اليهم الاعراب والسودان وطلبوهم من كل مكان فتقدم الامير أبو محمد البطال وصار يلتقى الرجال والابطال ويردهم ويخبرهم بالحال وهم يرون عقبه قدامهم على بعض البغال مشدود الكتاف فى غاية الذل والهوان فلما رآهم الامير عبد الوهاب فرح بذلك فرحا شديد ودخل على قلبه المسرة (قال الراوى) ورأى أمير المؤمنين المعتصم ذلك وأخبروه بما جرى وكان فرح بخلاص أبو محمد البطال ومسك عقبه الكلب ندل الرجال ولم تكن إلا ساعة حتى حضر الامير عبد الوهاب بالامير مارس ودارس وأبى محمد البطال وعقبه شيخ الضلال الى بين يدى الخليفة فهناهم بالسلامة وشكر مارس ودارس على فعلهم الجميل ثم ان الامير عبد الوهاب قبل الارض

وقال يامولاى هذا مارس ودارس محبين للدولة العباسية وقد أتيا يطلبان المقام فى بلاد الاسلام وهما اللذان كانا يكاتبانى بأخبار الروم مدة الاعوام وعملا معنا من الجميل مالا يفعله خليل مع خليل وآخر فعلهما معنا هذه الفعلة لأنهما قد ردا علينا عقبة بعد الاياس وخلصوا لنا الابطال العزاز وهم أبو محمد البطال وولده مذبحون وغلامه من قبضة الارجاس ثم تقدم الأميران مارس ودارس وقبلا الأرض فتعجب الخليفة من حسن صورتهما ورأى نور الايمان على وجوههم شاهد بأنهما يعبدان الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ثم ان الأمير عبد الوهاب قال يامولاى أريد من انعامك أن يجعلهما أمراء عندك أو حجاب حتى لا يتم لهما ندما على ما كانا فيه من النعيم عند الروم فقالا لا والله ما أتينا ولنا فى بلاد الروم رغبة وقد تركنا الدنيا الساحرة ونريد عمل الآخرة فرسم لهم الخليفة بالوظائف فلم يقبلوا وامتنعوا من ذلك واختاروا لصحبه فشكرهما على ذلك وأخلع عليهما وأمرهما بالركوب وأن لا يفارقاه فى الركوب والجلوس ثم تقدم الأمير أبو محمد البطال وهو يقود عقبة قود الجمال وفى رقبته الحبال الى أن أحضروه قدام الامام المعتصم بالله خليفة الزمان وقال يامولانا مضى حديث هذا الملعون الذى قد فسد فى البلاد وعذبنى عذاب قوم عاد وأريد أن تسلمه الى غيرى يحفظه ويريحنى منه فما بقى لى قدرة على مقاساته صدقة عنك (قال) فضحك أمير المؤمنين من كلامه وقال له والله ما نقيلك من حفظه إلا ان كان نصلبه على باب الذهب لأن كل أحد منا يعجز عن مقاساة هذا الكلب الأكلب والذئب الأجرب فلما سمع البطال كلام الخليفة ما قد يرد عليه جواب ولا يبدى خطاب بل انه عاد ووضع الحبل فى رقبته وجعل يسحبه الى عسكر السودان وأوصاهم بحفظه فقالوا ما نحتاج وصية على هذا القرنان الذى يعبد الصلبان ثم تواثبوا إليه وصفعوه حتى ورمت رقبته وباتوا الى أن أصبح الله بالصباح وسارت العساكر تتلوا بعضها بعض حتى وقعت العين على العين وقدموا خشبة عقبة وهو على تلك الحالة فلما رأت الروم ذلك دقت النواقيس وضجت الشمامسة وقرأت انجيلها وصاحت الرهبان وصلبت على وجوهها وماجت الأرض بأهلها وضاق بالعالم وعرها وسهلها.

وأما الأمير عبد الوهاب فانه رمى درعه وكشف رأسه وفعلت السودان مثل فعاله وسائر الفرسان ورفعت الروم الصلبان ولمعت على رأس الملك وصاح ياويلكم دونكم وإياهم فعندها تبادرت الروم إلى الخيل فركبتها وإلى السيوف فامتشقتها وإلى الأعلام فنشرتها وإلى القنطاريات فقومتها واعتمدت الاقبال على عظيم عدتها

وسارت الأعراب وبنى كلاب بهمتها وصاحوا فى خيولهم فخرجت مثل الرياح فى جريان هبتها وأظلم الجو فى اشتباك الرماح وكثرتها وعدم الضوء لفرط ازدحام أسنتها وبربرت السودان وفى أواثامم اللملمان وصدموا عبدة الصلبان والأصنام وقصمت سيوفها رؤوس الأقران وعن أبصارها وأجسادها نثرتها وأهرقت الأدمية على عطاشى الأرض فأروتها وكشر قراقد على أنيابه وسال لعابه فمالقى علج إلا وقابله بما لم يكن فى حسابه ولا بطل إلا ولقاه وسقاه من الموت كاس شرابه هذا وقد زعق جعبر يا آل حام يا آل حام هاها يالون الظلام من لم ينصح اليوم وإلا فخبز الأمير عبد الوهاب عليه حرام فهناك كشفت السودان رؤوسها وألفت الى الحرب نفوسها ولم تترك جواد إلا عرقبته ولا إنسان إلا وصدعته ولا درع إلا وقطعته فلله در الأمير عبدالوهاب وقد كشف رأسه واشتد بأسه وعظم مراسه وأخذته نخوة العرب أصحاب الحسب والنسب هذا والأميرة ذات الهمة قد أخرجت يدها من جلباب درعها وهى تصيح أنا ابنة مظلوم أنا خادمة الحى القيوم ولله در أمير المؤمنين المعتصم بالله فلقد قاتل قتالا عظيما وهو مع ذلك ينادى أنا ابن الخلفاء أنا ابن عم محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ولقد قاتلت عساكر الكفار قتالا عظيما كل هذا والأمير أبو محمد البطال واقف وعقبة معه فى حبل والخشبة حولها السودان وجماعة من الفرسان ولم يزل السيف يعمل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وهى تغلى غليان المرجل إلى أن ولى النهار بضياه وأقبل الليل بظلماه وانفصل الجيشان وتحارسا العسكران فافتقد الامير أصحابه فوجد قد قتل من السودان ألف أسود ومن بنى كلاب وبنى عامر خمسة آلاف ومن بنى سليم عشرة آلاف ومن عساكر العراق ثلاثين ألف فكان جملة من قتل من عساكر الاسلام ستة وأربعون ألف فى هذا النهار وما قدروا ينصبوا الخشبة . وأما الروم فكان عدة من قتل منهم مائة وعشرون ألفا فقال لهم الملك ميخائيل : ياعبدة الصلبان لقد رضى عنكم المسيح إن ثبتم فى قتال المسلمين فقالوا وحق الانجيل الصحيح مايصلب الشيخ النجيح وفينا عين تطرف فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان من أمر أمير المؤمنين المعتصم بالله فانه لما رجع إلى سرادقه وحضروا الامراء عنده قال لهم : كيف رأيتم اليوم قتال هؤلاء الملاعين فقال الامير عبد الوهاب يامولانا أتظن أن عقبة عندهم هين وهو الشيخ النجيح فقال المعتصم وحق محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم لابد ما أبرزن فى غداة غد بروحى إلى الحرب ومقام الطعن والضرب ولا أزال أجاهد فى سبيل الله تعالى حق جهادى وولدى لواثق بالله

تعالى هو ولى عهدى والخليفة من بعدى وكذلك قال الامير عبد الوهاب والله يامولانا لتجرى لنا وقائع حتى نصلب هذا الملعون الفاجر تتحدث بها الناس من الأول للآخر هذا والأمير أبو محمد البطال قد وقف ووضع عقبة إلى جانبه وفى فمه أكره حتى لا يتكلم فلما نظر الخليفة تبسم من فعال البطال به وبصق فى وجهه وقال أبو محمد البطال والله يامولاى مابقيت أفارقه حتى أعلقه على الخشبة فقال الوزير والله يامولانا لقد قتل اليوم من الناس مالايعد ولا يحصى من أجل ذاك الملعون (قال الراوى) فلما أقيمت الخشبة ونظرت إليها الخيل تهوى بها الى الوقوع ولقد كان الاصول أن يعملوها على هيئة التخت أو السرير وتكون الخشبة فيه ويستريح العالم من هذا العذاب فقال المعتصم بالله على بأبو السعادات النجار وأصحابه فلم يكن بأسرع ماحضر وقبل الارض قدام الخليفة فقال له المعتصم أريدك تعمل لى برج على هيئة السرير وتأخذ الخشبة وتعملها فى وسطه وتعمل له بكر يمشى عليه وتعمل الخشبة ملعب موثق بصفائح الحديد فقال السمع والطاعة ولكن يامولانا تمهل على ثلاثة أيام فقال له شأنك وما تريد ونحن نباشر القتال إلى أن تنكسر هذه العساكر وإذا انكسرت تمكنا من صلبه (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما أتى الليل وانقضى وأضاء الصباح بنوره الوضاح كالكوكب ركب ملك الروم وسائر الطوائف من الأمم المختلفة الأجناس من الروم والسودان والدوقس والملاقطه والزغاوره والافرنج والبرغل والصقلب والروسيه والانجار والبنادقه والبنجاك والقمن والمغلبيط وأهل القسطنطونيه والملوك السبعة عشر وأشهرت السيوف وتزايد الحنوف وركب المعتصم وسائر من يلوذ به وركبت الاميرة ذات الهمة والأمير عبدالوهاب وأولاده الثلاثة : ظالم وقشعم وضيغم وركب الأمير صالح ابن هارون العلوى والأمير هياج الكردى وجعبر واللملمان وقراقد وقرقود والهدلموس وصاح يا آل حام يا آل حام هنالك نادت الأميرة أيضا يا آل كلاب هاها يامحامين عن دين الاسلام وحملت الرجال على الرجال والأبطال على الابطال وجاء الحق وزهق المحال ودنا من الروم الأهوال هذا وقد تقدم البطرك قدام الروم ونزل وكسر عكازه وقطع زناره وقال ان تم عليكم هذا فقد أوصل المسيح السخط عليكم فمالت الطوائف على بعضها البعض وارتجت من تحتهم الأرض ومادت بهم طولا وعرض والتحم القتال وكثر الزلزال وعظمت الأهوال وتصادمت الأبطال وكثر النبال والنبال فيالها من ساعة شابت فيها الذوائب وحلت فيها المصائب وتصادمت المواكب بالمواكب والكتائب بالكتائب فلم نر إلا رؤوس

طائره ودماء فائرة والألسن حائرة والغبار ثائر هذا وقد تقدم الأمير أبو محمد البطال وعقبه معه وفى عنقه الحبل وهو مكشوف الرأس والخشبه تحملها السودان وقد أحاطت بها أربعة آلاف أسود من كل بطل أمجد وهم بصدور الزرد وبأيديهم السيوف والعمد وهم يقولون بهذا أوعدنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد حمل الأمير عبد الوهاب والسودان الانجاب وقد أرموا الناس بمراود العما وعاد النهار مثل الليل وسالت الأدمية مثل السيل ومالت السودان على عبدة الصلبان كل الميل هذا كله يجرى وعقبه ينادى وهو مكشوف الرأس وعليه فروة مقلوبة وطرطورا وهو يقول يا ذل دين المسيح وشريعته من بعدى وواحسرة النصرانية لفقدى إذ قد تمكن منى ضدى وكان تارة ينادى بلسان الرومى وتارة بلسان الافرنج وتارة بلسان الملافطه وكل من سمعه يتحسر عليه ونظروه وقد صارت روحه فى الموت فرحموه الروم وطلبوه إلى أن كادوا يأخذوه ويأخذوا البطال معه فعندها زعق الأمير عبد الوهاب يا آل حام يا آل حام ها ها يا سودان يا أولاد الكرام هذا اليوم الذى كنا ننتظره من دون الأيام فعندها زعقت أربعة عشر ألفاً من السودان واق واق يعنون الله الله فخيل للعسكران أن الأرض انقلبت ثم حملوا حملة واحدة فكشفوا الروم عن باب الذهب وقدموا الخبة فصاح عند ذلك البترك ويلكم الساعه يخسف بكم المسيح الأرض دونكم وخلاص الشيخ النجيح وها أنا أول من يقاتل (قال الراوى) ولما سمعوا الروم كلام البترك وهو يحرضهم على القتال فعندها حملت الافرنج فكانت قنطاريتها تشبه الجراد المنتشر أو الثلج المنحدر ولم يزالوا كذلك والسيف يعمل والدم ينزل والروم تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار بضياه وأقبل الليل بظلماه هنالك انفصل الطائفتين وافترقت العسكرين وتحارست الفريقين وقد امتلأ قاع الصحصحان وبقوا مطروحين قتلا الروم وعربان وزغاوره ويونان وبغداديين وأعجام وأهل خراسان وكلابيين وسودان وسليميين رأيتهم صرعا على الأذقان ونزل المعتصم فى سرادقه وأحاطت به الأمراء وقد بقيت الاميره ذات الهمه كانها قطعة دم وقد جمد دم الكفار على سواعدها حتى بقى كأنه أكباد الابل وكذلك الأمير ظالم وهياج الكردى وصالح بن هارون العلوى واللملمان وجعير والدينارى وباقى الامراء ووقفوا فى خيمة أمير المؤمنين المعتصم بالله وأبو محمد البطال معه عقبه لعنه الله وادعى الخليفة بأبو السعادات مقدم النجارين وقال له إيش عملت فقال أمير المؤمنين قد فرغ البرج والملعب وعملت مثل ما أردت وما بقى أن يسلموا إلى الخشبة حتى ننقز لها

فى وسط البرج فقال له المعتصم امضى وأتى به واعمل الخشبة قدامى وقدام هذا الكلب الذى نريد أن نصلبه عليها فقال له سمعاً وطاعة (قال) ولم يكن بأعجل من أن أتى بالبرج والرجال كلما دفعته من خلفه تقدم وأبو السعادات النجار قد أخذ مقدار تدوير الخشبة وغرزها وأدارها بالبكر فى وسط البرج فبقت مثل الصارى فى وسط المركب وجذبت الرجال البرج فى الحال فسار أسرع من ريح الشمال فقال المعتصم الآن حصحص الحق وأريد أربعة آلاف أسود الذين كانوا حول الخشبة يكونوا حول البرج يمنعون من يطلبه ولا يكون على السرير إلا الكافر بالملك القادر فقالت الاميره ذات الهمه والله يا مولانا هذا هو الصواب ثم إن المعتصم قال لسائر الامم والامراء والمقدمين نحن لابد لنا ما نوصل الطعن والضرب إلى باب الذهب وهل هى إلا موتة واحدة وما أسعد من قتلوه الروم الكفار ويحشر فى دار القرار فى جوار الملك الغفار والنبى المختار (قال) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره الوضاح وطلعت الشمس على رءوس البطاح وسلمت على سيدنا محمد زين الملاح فحملت المسلمين الابرار على الكفار الاشرار ودارت طاحون الحرب تطحن الرجال وتبيد الابطال مع تشايع الايام والقتال لطال الشرح وكثر والجملة تغنى عن التفصيل (قال) ولما مضت تلك الايام ولم يقدروا المسلمين على صلب عقبه اللعين جمعهم أمير المؤمنين المعتصم عنده فى السرادق وقال لامراء بنى كلاب وأمراء السودان الانجاب والامير عبد الوهاب اعلموا يا قوم أن ما فى الممكن بأن نقيم هكذا من غير أن نصلب هذا الملعون ومع ذلك فان الروم قد قتل منهم خلق كثير ما لا يقع عليه إحصاء ولاتظنوا أن أحدا من أصحابنا قتل حتى قتل الروم من فارس وخمسه وأكثر وقد أحصى الوزير أحمد جميع من قتل فى هذه الايام الماضية وأعرض جريدتهم على فوجدتهم خمسة وسبعون ألف كلهم استشهدوا فى سبيل الله تعالى وما بقى لنا عسكر نرجو به النصر إلا بقوة القلوب وإن لم تنصحوا فى غداة غدا فى القتال ما نبلغ آمال لان هؤلاء الملاعين تتواصل إليهم العساكر من البر والبحر والصواب أن يأتون كل الامراء الذين عليهم العين والمعتمد وقت صلاة الفجر وأكون أنا فى أوائلكم ونوصل الطعن إلى حامل العلم والصليب الجوهر فاذا وقع على الارض ركنوا كلهم إلى الهرب ونفنيهم كلهم بالحسام ونبلغ من صلب عقبه المرام فقالت الاميرة لله درك يا أمير المؤمنين فلقد أحسنت هذا الرأى السديد ثم مضوا إلى الخيام وعقبه أمامهم والامير أبو محمد البطال والسودان الانجاب يسهرون خمسين وينامون خمسين كل ذلك احترازا منهم على عقبه اللعين

وأما الأمير أبو محمد البطال فانه طار النوم من عينه ولما مضى الليل ودنت غرة الصباح جلست الأميرة وهى تقول مرحباً بلقاء الله عز وجل والاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى إليها الأمير عبد الوهاب وقال لها يا أماه عولى بنا إلى المضى إلى عند أمير المؤمنين المعتصم حتى نفعل ما أوصانا به فقالت اجلس يا بنى حتى أقص عليك مناماً رأيته الليلة فقال خير إن شاء الله ما الذى رأيت يا أماه قالت رأيت كأن انفتح فى السماء باب كبير ونزل منه قبة كبيرة من اللؤلؤ المكنون وقد ملأ ضوؤها الخافقين وفيها جوار أبكار كأنهن الأقمار وضياء وجوههن أضوأ من النهار وفى تلك القبة من الفرش والاستبرق والسندس الأخضر شيء كثير والحوار يصحن ويقلن يا فاطمة أبشرى برضا الله تعالى عنك وسوف تبلغون من عدوكم المنى ويزول عن قلوبكم العنا وتصيرين عندنا عن قريب فى هذه القبه الرفيعه وتحشرين مع فاطمة الزهراء بنت النبى صلى الله عليه وسلم فانتبهت من منامى وأنا متنكرة يا بنى فى أمرى فى هذا المنام فقال الأمير وقد بكى يا أماه بهذا المنام وهو أن الله تعالى راضى عنك لأجل جهادك فى الأعداء ومحاماتك عن شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هذا وقد أقبلت الأمراء إلى الأمير عبد الوهاب وقد غاصوا فى العدد واشتملوا بالزرد وأقاموا ينتظرون ركوب الأمير عبد الوهاب وإذا قد أقبل رسول أمير المؤمنين المعتصم بالله إلى الأمير عبد الوهاب وقال له أجب أمير المؤمنين فعند ذلك ركب الأمير عبدالوهاب من بعد أن صلى صلاة الصبح وكذلك ركبت الأميرة ذات الهمة وأولاد الأمير عبد الوهاب وساروا إلى أن أتوا إلى سرادق المعتصم واستأذنوا فى الدخول وإذا هو يصيح عليهم بنفسه أدخلوا يا أركان الدين ويا تراس قبر محمد سيد المرسلين والنبيين فلما مثلوا بين يديه وإذا بدموعه تسيل على وجنتيه فقال لهم اجلسوا حتى ألبس عدتى وأقص عليكم قصتى وما رأيت الليلة فى المنام وقد أخذنى القلق والهيام فجلست الأمراء ووقفت الكبراء وقالوا يكون خيراً إن شاء الله يا أمير المؤمنين فقال لهم اعلموا لما مضيتم البارحه من عندى تفكرت فيمن قتل من المسلمين وقرأت ما تيسر من القرآن العظيم ونمت على سريرى هذا فرأيت كأن أنوار نزلت من السماء إلى أن أضاء سريرى من تلك الأنوار وإذا بشخص قد أقبل والضياء عليه يلمع والنور على وجهه يشعشع إلا أنه مليح الكون معتدل القامة بين كتفيه شامه وهى للنبوة علامه صلى الله عليه وسلم ورأيته ينظر من خلفه كما ينظر أمامه وهو بين أربع رجال كأنه البدر بين الكواكب فقلت له من أنت يا مولاى فقال أنا محمد المصطفى فعند ذلك

ذلك مددت يدى إليه وصافحته وقبلت يديه وقلت له يا سيدى يا رسول الله صلى الله عليك وسلم أما تدعو الله تعالى أن ينصرنا على هؤلاء الكفار فقال لى يا أبا إسحاق اعلم أن الوقت قد اقترب وهو الذى أوعدت به الأمير عبد الوهاب وفى غداة غد تنصروا على هؤلاء الكفار كما نصرنى الله تعالى يوم الأحزاب فقلت يا رسول الله فمن هؤلاء الذين معك فقال لى اعلم أن الذى عن شمالى فهو الحسن والحسين والذى عن يمينى فهو أبو بكر وعمر وغداً تصلبوا عقبه إذا صار وقت العصر وتنكسر الكفار وتنصر المسلمين الابرار وتصل روح عقبه إلى الدرك الاسفل من النار ويقتل من المشركين ثلاث مائة ألف من أجل عقبه اللعين وإنى رأيت الاميره ذات الهمه وقد أقبلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبلت يده فقال لها يا فاطمة أبشرى بالجنة العليا وتكونى فى جوار بنتى فاطمة الزهراء وهى الساعة فى انتظارك يا أم المجاهدين ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول من رآنى فقد رآنى حقاً لان الشيطان لا يتمثل بى فهذا الذى رأيت فى منامى وقد أخبرتكم به فعند ذلك بكى الامير عبد الوهاب من الفرح والسرور وكذلك الاميره ذات الهمه وجميع الذين كانوا هناك حضور ثم لبس كل واحد عدته ولامته وكذلك فعلت الامراء كلهم وقد قالوا لبعضهم اعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنا بالنصر فاخلصوا النيات فى طاعة رب البريات هذا وقد بلغ خبر منام الخليفة أمير المؤمنين الى سائر العسكر وعلموا أن النبى صلى الله عليه وسلم قد بشر بالنصر والظفر فزادهم اهتمام فى القتال وأمر الخليفة أن تنشر راياته ودقت كوساته ونفخت بوقاته وتبادرت حماته وخلصت كمانه (ياساده) فما قولكم فى هذه الجموع الذين قد اجتمعت من المسلمين الأبرار والكفار والفجار ويريدوا أن يحملوا على بعضهم البعض ويهلكوا فى يوم واحد (قال الراوى) فعندها رأيت الأعلام قد ارتفعت ونشرت والأمراء قد حملت والجنائب قد تقدمت والمواكب قد رجفت والأبطال قد زجت وتصادمت والفرسان قد تزاحمت والوحوش تنافرت والسيوف قد لمعت والخيل قد صهلت والسيوف قد حملت والأعلام قد انتشرت والبيض قد سطعت والكماة قد افتخرت والنفوس على الحياة قد تحسرت ومرائر الرجال قد انفطرت والرؤس قد تدحرجت والجماجم قد انتثرت والألوان قد تغيرت والبطون قد طعنت والأفئدة قد انخلعت والأرض من الحوافر قد تحفرت والجبال من الجولان قد تدكدكت والخيل قد وقفت والوجوه قد تعفرت والصوارم تثلمت والرماح قد تقصفت والأوداج من النجيع قد وكفت وسبل المنايا على البرايا قد أشرفت والغربان

بالشتات قد زعقت ومواعيد الآمال قد اختلفت والاحداق من السهام قد تقلعت والأكباد من العطش قد تلهفت (قال الراوى) هذا والأمير عبد الوهاب قد كشف رأسه ونادى يا آل كلاب يا آل كلاب وصاحت الاميره ذات الهمة فى السودان والأنجاب وقالت هذا اليوم الذى كنا نطلبه يامعاشر الأصحاب فعند ذلك صاحت الفرسان وتناخت الأبطال والشجعان ودام الضرب والطعان واختلفت المضارب وزحفت المواكب وحملت الرجال من كل جانب ومكان وعمت المصائب وعاد رأس الجبان شائب وقاتلت بنى كلاب فى تلك الساعة قتال عظيم يشيب لهوله الطفل الصغير وهب عليهم من رياح الموت نسيم وصارت الأجساد رميم وبان الفارس الكريم من الجبان اللئيم وكان السنان للبطن يخرق والسيف للرأس يفلق فما كنت ترى إلا غالب ومغلوب وناكب ومنكوب وسالم ومعطوب وناهب ومنهوب فيالها من وقعة قد فاقت جميع الوقائع ولم يبق لاناصر ولاشافع إلا عمل السيوف القواطع وقد ضاق على الناس الفضاء الواسع وتقطعت الضلوع والأصابع وتخرقت الدروع الموانع ولم ينفع بينهم شفاعة شافع وبقيت الدنيا من الجمعان بلاقع وبان الشجاع من الجازع واشتد الوقع وارتفع النقع وكلت السواعد وملت وضجرت الخيل واضمحلت فلله در السودان الانجاب وأبطال بنى كلاب فلقد صبروا صبر الكرام وأما الأمير عبد الوهاب فانه أفنى فى حملته الابطال وجندل الفرسان إلى أن التقى فى حومة الميدان بالملك ميخائيل فطعنه بعقب الرمح أرماه على ظهره فتبادرت إليه الملوك وشالوه من على وجه الأرض وأركبوه جواد سابق إلا أنه تتعتع من طعنة الأمير عبد الوهاب ولولا ما كان عليه من الزرد واللباس الكثير كان قضى عليه وحملت الأميرة ذات الهمة على صاحب العلم الأخضر والصليب الجوهر وطعنته فى فاه أطلعت السنان يلمع من قفاه وحمل المعتصم على ملك اليونان وضربه بالسيف على رأسه شقه إلى تحت أضراسه وحمل ظالم على ملك الأرمن وضربه بالسيف على قمته خرج من نصف قامته ومافيهم أمير إلا حمل على ملك من ملوكهم وقتله وما بقى من المسلمين فارس إلا وقتل من المشركين الفارس والاثنين والثلاثة والخمسة والعشرة وقتلت ملوكهم أجمعين ولم يسلم منهم إلا الملك ميخائيل لأنه هرب ودخل الى القسطنطونيه وطابت أكثر الارجاس هواها وقد ظنوا أن الملك ميخائيل قتل لما طعنه الأمير عبد الوهاب وأرماه عن جواده كما ذكرنا (قال الراوى) هذا وقد قرب العصر فنظر عقبة إلى ذلك فأيقن بأنه هالك وصاح أمير المؤمنين المعتصم بالرجال فسحبوا البرج بالحبال وصعد فوقه أبو محمد البطال

وهو يقود عقبة بالحبال ودفعت الرجال البرج حتى ألصقوه بباب الذهب وقد دارت السودان من حواليه وهم مثل السباع الكواسر والزبد على أشداقهم مثل ضرائب القطن المندوف وقد علا ضجيجهم وزعاقهم وترجل الأمير عبد الوهاب كرامة لهم وصار يحثهم حتى يحفظون البرج وبقيت الأمراء ركاب حول المعتصم . هذا وعقبة يصيح من فوق البرج ويقول ياالصليب والصلبوت والناست والمنسوت هاها ياعباد المسيح خلصوا الشيخ النجيح وإلا يغضب عليكم السيد المسيح ومزمار السبيح (قال الراوى) ولما سمعت الروم مقاله ورأوه وقد تغيرت أحواله صاح فيهم البطرك والمطران والقس والمعمدان وقالوا دونكم وخلاص الشيخ النجيح وإلا أخذتكم الزلازل وحل بكم العذاب النازل وخرق البطرك ثيابه وأبدا بكاءه وانتحابه وحرق ماشوحته وجرت على خديه عبرته . فلما رأت البطارقة فعاله أجابته الى ذلك وفتحوا باب الذهب وخرجوا كأنهم الكلاب وحملوا على السودان الأنجاب حتى أزاحوهم عن البرج مقدار شوط فرس ولم يبق إلا خلاص عقبة وأسر الأمير البطال فصاح الأمير عبد الوهاب أمير بنى كلاب يا آل حام يا آل حام الرجعة الرجعة (قال) فتراجعت السودان كأنها قطع الغمام وترجلت الأمراء عن بكرة أبيها وترجلت الاميرة ذات الهمة ونادت أنا فاطمة بنت مظلوم أنا خادمة الحى القيوم وصاحوا الأمراء وحملوا على القوم الكافرين فردوهم على أعقابهم خاسرين فدخلوا البلد وغلق باب الذهب وافتكر الملك فى أمر عقبة لما رآه فى البرج الخشب معلق يصيح كما ذكرنا فقال أليس الشيخ النجيح كان عندنا فى البلد والبطال معه أسير وسلمناه الى الحاجب مارس وأخيه دارس ثم قال على بهما فى عاجل الحال لاجل أن أسألهما عن حقيقة الحال والخبر فطلبوهما فلم وجدوا لهما خبر فقال الملك دخلت علينا الحيلة وحق المسيح حيلتهما وخلصا الابطال من أيدينا وأوصلا الى المسلمين الشيخ النجيح وقد كان يقول لى ان مارس ودارس مسلمين فما كنت أصدقه فيهما والساعة قد عرفت حقيقة الحال ولا بد لى مما أبذل المجهود فى خلاص الشيخ النجيح هذا وعقبة يصيح يا أمة عيسى المسيح أجيبوا دعواى وجاهدوا لاجل عيسى وخلصونى . فعند ذلك تناخت الروم وفتحت باب الذهب وعادت الروم وخرجت وعلى المسلمين حملت والملك ميخائيل فى أوائلهم وقد أرمى نفسه على الهلاك فردوا المسلمين الخيام وملكوا البرج ومن حوله من السودان وخرجت القسوس والرهبان وقرأوا الانجيل بطيبة الالحان وخرج معهم كل من كان من العوام وداروا حول البرج من كل جانب ومكان

الأمير أبو محمد البطال من أعلاه يقاتل ويكبر ويذكر فضائل الجهاد وقد تحير من ذلك الأمر لأنه قدأيقن بالعطب ثم انه تستر بخشبة من النبال وهى مثل صارى مركب فى ذلك البرج الخشب (قال) فعندها تقدمت الأتراك ورمت الروم بالنشاب والهلاك وحملت الأعاجم وتبعتها الأكراد والديالم وكشف الأمير عبدالوهاب رأسه وقد نزل شعره الأبيض على جبينه الأسود ونادى وقال يا آل محمد يا آل محمد ونظرت الأميره إلى ذلك ففعلت مثل فعاله وكشفت رأسها ونادت فى السودان يا آل حام يا آل حام هاها يا كرام (قال) فلما سمعوا السودان النداء ونظروا فعل الأمير والأميره فكشفوا عند ذلك الرءوس مثل رءوس الحداء وأرموا أرواحهم الى الهلاك والرداء وتقدمت بين أيديهم أمراءهم وهم جعبر واللملان والدينارى وأبو سكران ودلهم ودلهان وبقية أمراء السودان وحمل الأمير عبدالوهاب وأولاده ظالم وضيغم وقشعم وحملت الاميره ذات الهمه وكذلك أمير المؤمنين المعتصم حمل وخرج من تحت الأعلام وأوتر قوسه وصار يرمى بسهامه وينادى يا للاسلام يا للاسلام حاموا عن دين محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام فعندها تبادرت الرجال وحملت الأبطال فداسوا الروم بالخيل وأنزلوا بهم الذل والويل وشالوهم بنى كلاب على رءوس الرماح وتزلزلت بهم البطاح ودفعوهم إلى الأبواب وكسروهم قوة واقتدار ودخلوا إلى البلد وأغلقوا الابواب وصاح البطال بأعلاصوته ارفعوا البرج بالبكر حتى يلصق بباب الذهب وقدانكشف عنا البلاء والعطب فرفعوه الرجال إلى أن وصل إلى الباب وأرموا بالنبال على الاصوار وكانوا خمسين ألف رامى من المسلمين فما قدر أحدا من الروم يطل من الصور وصعد الامير أبو محمد البطال الى الخشبة فى أعلى البرج وإذا بسهم جاء من الهواء حتى وقع فى كتف البطال فأسال دماه فقال الملعون عقبه وافرحتاه يا بطال قدرأيتك قتيل قبل موتى وما أريد منكم يا بطال إلا أنك إذا عشت بعدى تدق عظامى وتكتب على قبرى هذا قبر الشيخ النجيح صلب فى رضا المسيح فلم يلتفت اليه الامير أبو محمد البطال بل انه رفعه إلى رأس الخشبة وعقبه يقول باسم المسيح الذى ارتفع والاناجيل الاربع يا مسيح هذا كله فى رضاك ومتابعه هواك وما هو إلا أن صار فوق الخشبه معلق حتى صاح به المعتصم وقال يا قاضى كيف ترى قول النبى صلى الله عليه وسلم للامير عبدالوهاب حيث وعده بصلبك هل صح قوله فى الرؤيا أم لا فقال عقبه يا عبدالله مر فى شغلك فانى ما بقى فى قلبى حسرات بعد ما رأيت الدم من الطائفتين يسيح فلا رحم المسيح الجميع وأنا ماقصدى إلا أدمية تسيح ورجال تذبح ولا على من هؤلاء

ولا من هؤلاء وبعد هذا كله فكم من مسلم قتلت وكم من مسجد أخربت وكم من كنيسة عمرت وكم صليت بالخلفاء بغير وضوء وكم قرأت القرآن عندهم نفاق وأنزلت بهم المحاق وعقبة كافر بالايمان عابد للصور والصلبان فاصنع ما شئت وبالغ فيما هويت (قال الراوى) فعندها قرأت القراء: (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) وقال أمير المؤمنين تقدمى يا أم المجاهدين وارميه بحربتك حتى تشتفى منه (قال الراوى) ثم نزل الأمير أبو محمد البطال من فوق البرج والخشبة بعد ماشد عقبة وأوثقه عليها ونظرت الروم الى ذلك من فوق الأصوار فعلا منهم البكاء والانتحاب . هذا وقد تقدم الأمير أبو محمد البطال بين يدى الخليفة المعتصم بالله وقال ياأمير المؤمنين اصبر على ساعة حتى اسمعك شيء يشرح الخاطر ويذهل النواظر فان خاطرى قد سمح بأبيات من الشعر يسمعها المسلمون وتنفطر مرارة عقبة الملعون فقال الخليفة هات ماعندك يافصيح الزمان ومن قد سمى بفصاحته الأذهان فعندها رفع الأمير أبو محمد البطال صوته وعقبة يسمع وجعل ينشد ويقول هذه الأبيات :

ألا بلغوا عنى جميع أقاربى ... بأنى بحمد الله قد نلت مآربى
وقد فزت بالملعون عقبه بعد ما ... تحملت منه مبدعات العجائبى
وكم قد أسرنى مرة وأسرته ... وعاقبته يوما وصار معاقبى
وكم قد رمانى فى البلاد بحيلة ... وكم قد رميناه بسهم النوائبى
وكم قد تركنى فى القيود مكبلا ... وكم مرة قيدته فى الغياهبى
وكم قال عنى الخليفة أننى ... منافق كذبا كى يحما مراتبى
وكم قلت عنـــه للخليفة أنه ... كفور ويقرن للنصارى الكواذب
وكم قد ضربنى بالسياط تعمداً ... وكم قد ضربناه بسوط المصائبى
وكم قد أخذناه بنصب وحيلة ... وأوثقته بالغد مثل الحقائبى
وكم قد نفانى فى بلاد بعيدة ... وكم قد نفيناه الى كل جانبى
وكم قد أخذنى مرة باحتياله ... وكم مرة قد سد عنى مذاهبى
وكم قد تصالحنا بعهد وموثق ... وذلك صلحا فاسدا غير صائبى
وكم قد تركنى فى الحبوس مقيدا ... وكم قد حبسناه ونلت مآربى
وكم مرة بطلت حيلة مكره ... وكم حل بى من حيلة مصائبى
وكم ليلة أملت أدخل داره ... لعلى أن أحظى بنيل مطالبى
فيعلم ذا منى ويأخـــذ حذره ... فأرجع عنه لابسا ثوب خائبى

وكم قد نصب لى حيلة بعد حيلة　　فأبطلتها عنى كحلبة حالبى
وفى قصة القنديل حين رأيته　　وقد قصدوه الروم نسل الكواذب
وسموه بالشيخ النجيح تبدلا　　وحجة أصحاب المسيح الحبائب
ولما تلاقتنا أنا وهو بكرة　　بوادى الظبا أعلمته يا صاحبى
وقلت له يا شيخ عقبه مرحبا　　وقلت له قول العدو المحاربى
تنصرت يامعلون ويحك قال لى　　كذبت على يا نسل كاذب
فقلت له إنى رأيتك ليلة　　وأنت على كرسى مليح الجوانب
وقد غطسوك القوم فى جرن ماءهم　　ودارت بك الرهبان من كل جانب
وقد أنزلوا قرعتك فى الجرن عامدا　　وعددت للغطسان سبعا تقارب
فلما علم حقا بأنى رأيته　　وأن مقالى صادقا غير كاذب
أراد ليخدعنى وأترك ملتى　　واتبعه فى دينه فها فعل خائب
فقلت خزاك الله ياأخس من مشا　　وألعن مصحوب وأخبث صاحب
ومسيرونه لما أتانا حديثها　　جواسيس صدق يخبروا بالعجائب
فسرنا اليها مسرعين كأننا　　أسود الفلا ما ترتدع من كتائب
فلما ملكناها أتتنا مواكب　　لجالوت يتحملوا ليل السحائب
هنالك أتتنا لبوة عربية　　كريمة أصل من أناس أطايب
ففرقت الكفار عنا بسيفها　　وشتت الأعداء فى كل جانب
وعقبة لما احتال فى ملطيه　　ودبر علينا مانظر فى العواقب
وأودعنا فى بطن صندوق عامدا　　حيارى سكارى فى حبال النوائب
فعادوا علينا الروم حلوا وثاقنا　　ونحن أسارى مع ليوث غوالب
وقصة لؤلؤ مع رفيقه إذ بدا　　بدار بلاط زائدات للعجائب
لحلوا كتافنا وأزالوا قيودنا　　وسرنا نروم البحر مثل السلاهب
علينا لباس الروم نتلوا كتابهم　　ونوريهم الألحان عند الغرائب
نروم خلاصا من يدى كل غادر　　كفور ظلوم فى القيامة خائب
فلما أتتنا ساحل وافتمت　　سعادتها الغيد ببعض المراكب
فسرنا ليالى بين ريح وظلمة　　وموج شديد كالجبال الرواسب
ورحنا نشق البحر والبحر قد طما　　وماندرى مافى الغيب تقويم حاسب
إذا نحن بالروم اللئام وقد أتوا　　حرامية يفدون من كل جانب

ودارُوا بنا في الحال دورة مرسل ... شبيه كلاب الغيد حول الأرانب
فلم تك إلا ساعة وتواثبوا ... إلينا وشدونا كشد العلاصب
وساروا بنا حتى أتينا جزيرة ... لدمروس الملعون نسل الكواذب
وأحضرنا مستخبرا عن أمورنا ... وأغويته منى بحسن مناصب
وقلت له إنى كبير قامة ... وراهبها المشهور أصدق راهب
وأتحفنا مالا كثيرا وجوهراً ... نذورا كثيرا لاتعد لحاسب
وجاء إلينا راهب القوم يرتجى ... ثوابا لدينا وينال المواهب
فلما رآنا صاح صوتا تفطرت ... لقوته جمع القلوب الرحايب
فقالوا له ماذا اعتراك وما الذى ... دهاك ومن وافاك منه بصائب
فقال وقد اصفر لونا أتعرفوا ... دواهى البرايا بين ماشى وراكب
همو هؤلاء القوم لاشك فيهمو ... يبيدوا الأعادى بالخنا والقواضب
فلما رأوا ما قال لوقا تحبزوا ... وقد كان فيهم صادق غير كاذب
وذا الأسود المقدام سيد كلابها ... وذا الأشقر المحتال رب المناصب
فكم جبروا من فارس فى مجاله ... وكم أخذلوا عند اللقا من محارب
وكم أيتموا مولودة فى مهادها ... وكم أرملوا من زوجة ذات صاحب
وكم خربوا حصنا منيعاً وشتتوا ... جموعاً وفازوا بالعطا والمواهب
ولما أمر رءوسهم بلقائنا ... فقويت مما حل بى بالعجائب
وأنزلنا فى جعوجب مرصص ... منيع على فرسانها والعقائب
ولاحت لنا فيه المنية عند ما ... بعدنا وعاينا نزول المصائب
وجاد علينا ربنا بخلاصنا ... بلطف وإحسان وتقدير غالب
على يد أشعونين بنت مليكهم ... بليل غواها نحونا فى صلحب
وكيف اختلسنا راهب القوم حيلة ... وتكتيفه من بعد نتف الشوارب
وقصتنا مشهورة فى خلاصنا ... وتدبيرنا منه تشيت الذوائب
إلى أن أتينا بعد طول مشقة ... سويدة الاسلام ذات الرحائب
وجاءت إليبا بنت مظلوم يالها ... من امرأة حازت جميع المناصب
فلما خلونا بعد ما قد جرى لنا ... وما قد سمعتم فى الليالى الغوارب
سألت عن الملعون فى الخلق عقبة ... وعما جناه فى سحور الغياهب
فقالوا لك البشرى هو اليوم عندنا ... أسير ذليل مثل كلب العرايب

ولم تك إلا ساعه وأتوا به　　ومن حوله السودان مثل السلاهب
ولم يمهلوه دون نتف سباله　　وتصفيعه فى رأسه بالأجارب
إلى أن أتى الليل البهيم وأسدلت　　غياهبة الدهناء من كل جانب
ولما رآينا الراهب الزاهد الذى　　يخبرنا من قوله بالعجائب
وفى الدير قاسينا أمورا عجيبة　　إلى أن فتحناه كلبة حالب
وعدنا لذى الملعون عقبة ما نرى　　له أثر ما بين ماش وراكب
وقصة أشمونين لما تمكنت　　مناصبه منا بأخذ المراكب
وكيف تخلصنا بقدرة قادر　　وحزنا نساء الروم مثل الكواكب
فتحنا القسطنطين قصر مليكها　　وتم لنا فيها أمورا غرائب
وفى الموصل الفيحاء قصة عازب　　وماقد جرى من عقبة عند عازب
وقصة هياج عند حصن أربل　　وماقد جرى منها أموراً عجائب
وحيلة كى يأخذ الحصن بغتة　　وأكمن هياج له فى الغياهب
فطير من فكيه أنابيب نجية　　وأربع أضراس كبار رواسب
ولما أتانا لخارجى وجنوده　　يقال له مياس من أرض غالب
ومعه من السودان والريح عصبة　　لهم بطلا ما مثله فى الكتائب
وصاح علينا أبو هزاهز أولا　　وثانيه الديال نسل الاعارب
وفى حربهم لما بلينا بطارق　　وخلصنا منه الرشيد المواثب
ولا تنس ماقد يكون من فعل طارق　　ومن عمه النعمان كلب الاعارب
وكيف أتينا بالرشيد مسلما　　وقد آيست منه جميع الاقارب
وجئنا إلى البيت العتيق نزوره　　لقينا لدا الملعون فيه مراقب
وظاهره بالعلم والدين والتقى　　وباطنه فى زى قس وراهب
وسرنا إلى قناصة الاسر عنوة　　وتمت أمور قد أتت وعجائب
وعدنا إلى أرض العراق بنعمة　　ولله منا الحمد والشكر واجب
ودبر على كل الامارة حيلة　　ببغداد دار الاكرمين الاطايب
فدبرت فيها حيلة بخلاصهم　　وألبسته طرطور جلد الثعالب
وسارت به الفرسان إلى حصن يانس　　وقد عذبته بالعصى فى المخالب
ولما أتى سيف الحنيفية الذى　　له حملة فى الروم تهوى الجوانب
فأفلت منا يالها من مصيبة　　وعاد الينا شبيه لبث مواثب

وكم قدرمانى فى الحصون بنكبة وخلفنى فى القيد خلف المصائب
وقصة كلب الروم شومدرس بقى وشوما لحاها الله أم المصائب
وقصة نورى حتى جاءت بحيلة ولم تخش فيها صافنات العواقب
ورحنا تماكنا الحصون بأسرها وأخذنا نورى مثل بدر الكواكب
وعدنا الى الأوطان عودة غانم فراحا بأصحاب لنا وحبايب
وفودى على نورى وقاتات طاقتى وعاذرنى فيها أمير مواثب
وأقبلت السودان نحوى كأنهم ليوث الوغى بين ماش وراكب
إلى آمد الفيحاء ثم ملكتها من الكرد حقاً هم ليوث السباسب
ولا تنسى حقاً ما مضى من فعالنا مع الروم والاسلام وقت الغياهب
وقد فعل الملعون عقبة نصبة أخذنى بها من عند تل العقارب
وقد قتل الأكراد لا كان فعله وأوثقنى شداً يروم معاطبى
وسلمنى للحرب لا كان اسمه ويدعى ابن شيبان لئيم وكاذب
وسلمنى كلب النصارى لشومة وشومدرس الملعون رأس الكاذب
وكان طعامى عندهم من نخالة ومن عكر الزيتون يسقى جوانبى
إلى أن أتانى لؤلؤ ثم يانس وصاروا بأعلى الدار مثل السلاهب
وأدركهم سبك وكنز وبعده بديع كمثل القسورى المراتب
وقد ذبحوا الغلمان فى مثل طرقة وساروا على الحيطان مثل العقارب
وأوقع مكوماً فى يدى مثل كلبة وشومدرس القرنان فى شر قالب
وسرنا بهم حتى ملكنا لعقبة وخالد حقاً فى قفار السباسب
فلم يدر بى حتى ملكت قياده لى الفوز إنى قد بلغت مآربى
وسرنا بهم حتى وصلنا لآمد وسدنا بأسر الفضل ابن الأطايب
وما زلت أبدى حيلة بعد حيلة وآخذ ملوك الروم نهباً لغالب
وحزت الأسارى والرشيد بحيلة ورتبت أملاكا طوالا غوالب
وصرت من العباد حتى ملكتهم وجاءوا الى غسلى ودفنى بواجب
وقصة الدمرياس والكلب عقبة وحرب ابن شيبان الطغاة الكواذب
وفعلة كندفرون لما تمكنت وكل أمور الخلق تقدير غالب
وسار اليه عقبة وأتى له أسير ورآه مثل بعض الثعالب

وقصة بطليموس لما أتى لهم … من البحر يرهبهم بتلك المراكب
وإسلام كندفرون من أهل بيته … له من أحاديث بكل الغرائب
وعودتنا نحو الديار كأننا … أسود الورى من بعد نسل الأطايب
وقصة نورى قد رحمت بأسرها … الى أرض روم يالها من عجائب
وذهمة قد رافقتنى تعيننى … وقد طلعت ياصاح فى زى راهب
وعدنا بنورى قاصدين ديارنا … وساروا ورانا الروم من كل جانب
أحاطوا بنا من كل شرق ومغرب … وداروا علينا بالقنا والقواضب
هنالك أدركنا الأمير وحوله … ليوث كلاب كالأسود الغوالب
فعدنا بأخذ الغارقيط وقومه … وعدنا بنورى غايتى ومطالبى
ولا تنس ما قد تم لى فى زواجها … مع السيد المفضال ابن الأطايب
ولما أتانا ظالم الندب خارجى … وكدر كل الأرض فعل المواثب
وللفل جيش الثغر ثم أباده … بأمر الرشيد الندب بين الكتائب
وسار اليه ذا الأمير وأمه … وكان لهم حرب يشيب الدوائب
وجئنا به نحو الثغور فعالنا … بها عقبة الملعون رأس الكواذب
نفانا وأقصانا الرشيد تعمدا … الى نحو أرض الغرب دارت مصائب
وصرت أنا مع ظالم نحو أزور … لعبد ودود فى قتال ملازب
وشتت ظالم شمل بربر كلها … بقتل ملكها الزور مر عاطب
وعدنا على العراق بجيشنا … مجمعة مثل الأسود الغوالب
وقصة كرنانوش لما أتى لنا … على بغتة نسل الطغاة الأغالب
تملك أكناف العراق جميعها … وأسبا نسانا مع بنات كواعب
فسار اليه فارس الثغر غاله … بضربة صدق صار فى الحال عاطب
وكم صرت فى زى كراهب بيعة … وحولى تلاميذى وكل مراقبى
وأتلو الانجيل حتى يطمئن بى … جميع النصارى راهب وابن راهب
وأملك عقول الروم حتى أميرهم … ولم يبق إلا ابن أنال مطالبى
فيأتى ذا الملعون ويفسد حيلتى … ويكشف حالى يالها من مصائب
وكم رتب الملعون الذى لى كل حيلة … يؤمل أن ينجو بها من مخالبى
فأتركه حتى يطعن باله … سليم أمين الخوف من كل جانب
فلم يدر بى حتى أدير كتافه … وأضربه بالسوط ضرب العقارب

وكم قد غرقنا فى البحار لأجله ... وتأخذنا الأمواج من كل جانب ١
ويشمت بنا الملعون ثم انه ... يدبر تدبير العقول الكواذب
ويعمل فى أخذ البلاد وهدمها ... ويخربها من جانب بعد جانب
ويأمن منى حيث شخصى بغيب ... ويفرح اذا لم يلق من مناسب
فلم يدر بى حتى أسخم وجهه ... وأخنقه خنق الدجاج الثعالب
وأصفعه بالنعل فى وسط رأسه ... وتخطفه للسودان خطفة غالب
ويبقى أسيرا فى يدى مكبلا ... ذليلا كمثل الكلب فى شر قالب
وكم قد ترك فى القلب منى بلية ... وكم حسرة تزداد شتى مصائبى
ورحت الى حرب ابن شيبان عنوة ... وأذبحت أبناء بحسن مناصبى
وكم قد دخلنا بيعة وكنيسة ... وقسيس فيها شبه قس وراهب
وكيف تحيلنا عليـــه بأنفس ... طبيب حكيم فى أجل مراتب
وعرفته نفس خائفة البـــلا ... وصار يوافينى على فرد جانب
وسرنا به فى مركب وهو حائر ... وفى البحر لا يدرى خطاب مخاطب
وقدمته نحو الأمير الذى له ... مكارم أخلاق جزيل المواهب
وقصة زنانير التى شاع ذكرها ... على دير تمليخا بدير التـلاهب
وساروا بنا فى البحر أربع أشهر ... إلى أن حصلنا فى قلاع الرواكب
وجاء الينا عقبة الآن قد سعى ... هدية عيسى وهو فى ذاك كاذب
وشعونة لما مضينا لحصنها ... وجاءت بجيش الكر مثل السلاهب
وقلت أنا رمانى المسيح ابن مريم ... يجتنى ملوك الروم من كل جانب
وصابر قد كان من حزب ربه ... واسلامه جازت اليه الكواكب
وإسلام عبدالله شعشعونا الذى ... أباد خيول الروم من كل جانب
وصار اليه فى حماة صفوفهم ... فأهزمهم سيفه بحد القواضب
ومهرب لؤلؤ من زنانير عامدا ... الى أرض فلسطين يبغى الكواكب
وكيف عطاها درة ليس مثلها ... وهل أمرما قد كان أعلم واجب
ولم أنسه لما مسكناه إذ أتى ... وأسبل شعراء من عريب الغرائب
إلى أن تزوجها وباتت أمينة ... ونال المنى منهـا بعزة جانب
وسل عن مليكة ماجرى فى نزالهم ... عجائب لا تحصى لقار وكاتب
وكم حل بى لما ملكنا ديارها ... وسرنا اليها بالقنا والقواضب

وأفلت منا الشيخ شومدس الذى … له حيل فاقت جميع المناصب
وسل عن أمور الخدلوس وخبثه … ترى عجباً يا ابن الكرام الأطايب
وشمراخ لما أن أتى بخديعة … وأرمى أميراً فى التراب بجانب
وصار أمير الثغر فى الحال واهناً … تدوس عليه الخيل من كل جانب
وغلب وما عدنا سمعنا حديثه … وجدنا عليه بالدموع السواكب
وسل عن حديث الدمدمان ترى له … عجائب مع ميمونة وغرائب
وميمونة بالأمس يا صاح فعلها … وقد عاينت الدمدمان المواثب
وفى حضنها لا تنس قتلة مالك … ويدعا ابن بتر أقطع اليد غالب
ومهرب ذا الملعون عقبة قاصداً … إلى الغرب واخاه ضعيف مغالب
وكيف تحيلنا عليه بأننى … طبيب حليم فى بلاد الغرائب
وأدخلته الحمام حتى خدمته … ودلكته تدليك منه مغالب
وعرفته روحى فأيقن بالبلا … وصار يراقبنى على فرد جانب
وملت على جنبه بكرلك عامداً … إلى أن رأيت الدم منه بساكب
وشلت زجاجاً قد خشنت دقه … وعركته تعريك ضد مضارب
وجانا قراقونا تملك أرضنا … وأسبى نسانا مع بنات كواكب
وأركب نسوان العراق تعمداً … إلى وسط بحر فيه العجائب
وهبنا له الملعون عقبة آخذ … إلى أهل ذا الهيجاء نسل الكواذب
وبقى حد النسوان من وسط أمه … وعذبهم بالعصى ثم المضارب
وقد صرت عيسى بن مريم عامداً … وأظهرت أبواباً تحير الأعارب
وأظهرت أحوالا تحير من يكن … له بحر علم ثم عقل مواظب
ولا زلت ألعب بالملوك وعقلها … إلى أن أخذت الكلب بن مصاعب
وقيدت رأس الشر شومدرس الغنى … وأوثقت ذا الملعون نسل الأعارب
وعند قراقونا وما قد جرى لنا … حديث له السمع فى أعلى المراتب
حديثاً حكى السحر الحلال سماعه … عجيب نشا فى شرقها والمغارب
وعند مجوسا كم لنا من مواقف … يشيب لها يا صاح سود الذوائب
وكم قد سعى بى للخليفة مرة … وأودعنى فى الحبس فى زى خائب
وكيف أخذنا المعتصم وأميرنا … إلى الأسر غصباً فى حبال النوائب
وكنا جميعاً نشتكى جور عقبة … ونحن بسجن أسود كالغياهب

أقمنا به سبعا سنينا كواملا ... بجوع وقمل ساعيا فى الجوانب
إلى أن أيسنا كلنا من نفوسنا ... زمانا ولم نسمع خطاب المخاطب
إلى أن ظهر بحروم فى الروم غازيا ... ومعه ابنى مذبحون المواتب
فحاز بلاد الروم جمعا بأسرها ... وقد صحبته الخلق من كل جانب
وحاز بلاد المسلمين جميعها ... وأخرب منها جانبا بعد جانب
ورد أمير المؤمنين وجيشه ... وشردهم فى مقعرات السباسب
فلما رأى أن البلاد قد أحاطهم ... وكلهم نادوا بعظم المصائب
فجاءوا إلينا خلصونا جميعنا ... وعمهم الخذلان من كل جانب
فنادوا رجال القوم من عظم مابهم ... دهتنا الأعادى والنساء نواديا
أتتنا جيوش الروم يا خير سيد ... ويا خير من يرجى لدفع النوائب
وقالوا لنا ما تجدون على الذى ... أتتنا خيول غازيات ضوارب
وكل الذى قدمتم من فعل عقبة ... لعنه إله العرش لعنة كاذب
وسرنا له نحو الثغور كأننا ... أسود الشر فى شرقها والمغارب
تفرقت الكفار فى كل قفرة ... ويجرون واى من يدى وهو هارب
ومرجالة لما هلكت لديرها ... وعادت عن الاشراك فعل الأطايب
ومن أسلمت مرجانة كان يومها ... على الروم أدهى من جميع المصائب
وقلنا يا ناقد ملكنا بعزمنا ... عموداً ولم نخش قتال المواكب
فجاء الينا عقبة ابن مصعب ... وشومدرس الملعون فى شرقالب
ليفسد ما قد كان أصلح ربنا ... وهيهات هذا قول ندل وكاذب
فلم يدر بى حتى صفعت دماغه ... وعدت إلى شومدرس كالمواتب
فنلت من الملعون شومدس الذى ... له حيل مذكورة بمناصب
وقصة أرمانوس فيما جرى له ... وميمونة بنت الطغاة الكواكب
وأعنى بها ميمونة بنت دمدم ... وصارت لأرمانوس نعم المصاحب
وكان لهذا الغدر فى الأصل عقبة ... خزاه إله العرش خزية كاذب
وكم قد أخذ هذا اللعين بن ضمرة ... وأفلت منه ثم هرول هارب
وغادينا فى مكة ليس مثلها ... بميمونة اللخناء بنت الكواذب
فخلصنى منهم همام وقسور ... وأعنى به هياج زين الكتائب
وعدت اليه صافعا لدماغه ... بنعلى إلى أن صار ملتما بجانبي

ولما أتى عبد العزيز بنجدة … يروم جهاد الروم بين الكتائب
وبارز إلى ميمونة بنت دمدم … وجاهدها بالسيف من كل جانب
وقاتلها حتى أصاب لعينها … وقد غاد سالم وهى تشكو النوائب
وقصة أنتونا وما قد جرى لهنا … وعيطورس القرنان فيها عجائب
وجانا شومدس وهو موقن … على أن نرى منه طريق المعاطب
بخليته فى القيد ملقى مكبلا … وأمل آمالا فكان بخائب
وفى الموصل الفيحاء لى معه وقعة … وكيف أخذ فى أخذ من هو غالب
وعاقبنى فى السجن حتى تلطخت … ذيولى وسال الدم من كل جانب
ومن على خالقى بسعيدة … وابنى بخلصنى وقد كنت عاطب
واصلح فيما بيننا من يكن لنا … خليفتنا فى شرقها والمغارب
ولما دهى عبد العزيز بأمة … ودبر عليها معظمات المصائب
سبى أمه جهراً على يد هرمس … ومعها بنات زاهدات كواعب
فحين علمنا أنها من فعاله … فصار علينا الموت ضربة لازب
أخذناه من أخلاط أخذة ضيغم … وحيلتنا أملت جميع الكتائب
وعاقبته حتى تيقنت أنه … يموت ولم يقض بحق وواجب
وسرت إلى دار اللعين بحيلة … أخذت بها مطرون بن الكواذب
عليه من الرحمن خزى ولعنة … كما يرمى الاسلام نحو المصائب
وشومدرس الملعون قد كان جالسا … له حيل معروفة ومناصب
وأجمعت بين القوم فى وسط موضع … إلى عبد جواد خليل وصاحب
ولما أتانا مانع بن ضابط … قريب العشا والليل مرخى الغياهب
فخلصنى من قبضتى ثم ساقنى … إلى مركب يبغون فيها معاطبى
وشومدرس الملعون يتتبع عقبة … ومطروق الملعون نسل الكواذب
يقولون نحمله إلى عند قومنا … نفرج عليه كل روم الكتائب
وسيرنى نحو العدو وقد حوى … على قلبه الاشراك من كل جانب
ولما أتتنا فاطمة ثم ابنها … وعاين منا كل ناء وخائب
ولما وصلنا هرمزا وغد قومه … لقينا من الأهوال كل العجائب
وعدنا إلى نحو الثغور بفرحة … بأموال تملأ الفلا والسباسب
وقصة سقراق اللعين وطيره … وما قد أتاهم من عجيب العجائب

وانى رأيت القوم جمعا يصدقوا … مقالة ذاك الشيخ لما يجاوب
والبنت لخوف الطير كشف حاله … فردونى الرهبان ردة خائب
وجئت بليل للكنيسة قاصدا … تسلقت أنا وابنى مثل الثعالب
فلما كشفناهم وبانت عيوبهم … علمنا بأن الطير حيلة ناسب
وقد أسلمت بنت المليك الذى لهم … وماتت بحمد الله نجح المطالب
وصارت لنا عونا على سفك دمهم … وقتل أهاليها وجمع الاقارب
وعلمها ابنى طريق فوائد … ينال بها المحتال كل المطالب
وجاء عقبه الملعون بالطير فارحا … وشومدس يصغى لشرح المذاهب
فأبدت لهم من داخل الطير حكمة … غرائب لفظ يا لها من عجائب
الى ان رأيت القوم من عدوبة لفظها … يملوا سكارى كل كهل وشائب
وحصلت للشيخين فى السرب حيلة … وقد نفذت فيهم صروف النوائب
وأطعمتهم فالوذج فى حلاوة … فصاروا حيارى من عظيم مصائبى
وقد قرقرت أجوافهم من تحيلى … فضاق عليهم شرقها والمغارب
ينادون هل من راحم اليوم عقبة … وشومدرس العالى على كل راهب
ودسناهمو بالضرب كى نشتفى بهم … نتفنا لحاهم مع جميع الشوارب
يصيحون منى والكفوف تنوشهم … إلى أن عموا باللطم من كل جانب
وبان لهم سقراق كالكلب غادر … لعين خبيث الاصل ملعون كاذب
وما زلت حتى بان للناس زيغه … وأخرجته عنهم بأنفح طالب
ومن بعد ذا سرنا أسارى بحبسه … وخلصنا طيبون بن الاطايب
ولا تنس أعلى الشقيف الذى جرى … ونحن بأعلاء بجرة لاهب
وجاءوا الينا الكافرون جميعهم … وداروا علينا من جميع الجوانب
وخلصنا منهم كرفناس مذ أتى … وبلغنا منهم ونلنا المآرب
وكيف بلى هذا الامير بسقيف … وكان اللعين مطرون لا كان راقب
وخلصه طيبون فى الحال عاجل … سقاه دواء من نقوع المشارب
وسرنا إلى نحو الحجاز نرومها … غضابا وخلينا الثغور كراهب
فجاء كرفناس الندل أفنى جميعهم … وشتتهم فى شرقها والمغارب
ولما أتانا صابر وهو باكيا … ينادى لنا يا آل قوم أطايب
شريفه قوم أصبحت عند كافر … يعذبها بالسوط فى كل جانب

بمعتصم نادته ثم خليفةً ... لرب السما يعطى جزيل المواهب
عمورية من بعدها وقتالها ... عليها جنوس للطغاة الكواذب
وبيناهمو صور ولما تيقنوا ... أخذناهمو أخذ الليوث الكواذب
شريفتهم لو أنها وسط بلدة ... لها ألف صور ما رجعت بخائب
ولما فتحناها بقوم أطايب ... رجال يرون الموت ضربة لازم
ولا تنس حجاف ووعظ سعيدة ... كلام لها فى السمع أعلى المراتب
وكيف مضت نحو العراق ووعظها ... فلا عجب من كل فاضل خائب
وكيف أخذها قبة من طريقها ... وغاص بها فى مقفرات السباسب
وسيرتها نحو الخبابر عنوة ... وضربا عليها جانب بعد جانب
إلى الطرف الأقصى تعادوا بحيلة ... محقرة فى ضدها فى الغياهب
وكيف مضى حجاف يبغى خلاصها ... وتابعه زحاف بحر النوائب
وأتبعه كيما أبلغه المنى ... أخلصنا من أسرها والمصائب
وكيف أتانا مرحبين بن مرحب ... على صفة الرهبان ليس براهب
وقصة حجاف ورؤية نبينا ... ورد له رجلاه فضلا بواجب
ورحنا إلى نحو القلال لأجل من ... ندور عليها فى الضيا والغياهب
ولما وصلنا دير واحد منهمو ... رأيناه يبكى بالدموع السواكب
وقال لنا يا أخوتى أنتم الذى ... تواروا أعظامى فى الثرى والترايب
بهذا فبشرنى الرسول وقال لى ... سيأتيك قوم من كرام أطايب
ولما دفناه أتينا بسرعة ... الى عند قوم من طغاة كواذب
وقد أطلعوا قسا لهم فوق منبر ... ليخطب لهم فى برعهمو افى المذاهب
إلى أن تلا فصلا ولم يأت تمه ... وأصمت عن قوله بهته بخائب
وقال قرأنا كل علم ومذهب ... وفى هذه سدت على مذاهبى
وأخبرهم أنى خبير بأحمد ... نبى الهدى المبعوث من آل غالب
وقال لهم أنى به وبربه ... مقر بآيات له وعجائب
فأسلم من قال أنت إمامنا ... حكيم وفى الانجيل أنت بصائب
وقاتل حجاف وزحاف بعده ... قتال ليوث الحرب عند التجارب
وجاء اليهم كلب كافر فاجر ... نصارى وروم من أقصى السباسب
أخذونا وقادونا أسارى بجمعنا ... إلى البحر راموا قتلنا بالقواضب

فهربها شيخ الرهبين شريحة … إلى ملك القانون أفضل صاحب
حمانا وأوانا وقال ترفقوا … أجاهد إخوانى وكل قرائبى
وجئنا إلى روبيس نبغى وصولنا … وجدنا الارمانوس نسل الكواذب
وميمون اللصص الذى شاع اسمه … وهو ابن ميمونة اللخناء بنت الكواذب
وقالوا كلاما زاد فيه تحيرى … وما فيه من عظم وعزم ساكب
وكيف تملكنا جميعا حواسرا … وشروث مضى مثل الهزير المرابب
وأما حديث الباهلاك وضده … وكيف حزى تلك البلاد الرحائب
وكيف طغى وكفر كفرعون وادعى … فصار بعون الله شرط الخالب
وفى عابدين النار كانت عجائبا … وعاصف لا تنساه إن كنت كاتب
وقالوا عض فى ملكه وحروبه … أتت أمة فرعون يحتوون شائب
أسرت أنا مع فاطمه ثم ضيغم … وابنى حصين يا لها من مصائب
وخلصنا مولى كريما بفضله … وما زال مولانا كثير المواهب
وملكنا من ذا اللعين قياده … وصبرته بالله فى قسر غالب
ومن خوفه فى الحال أرمى بنفسه … إلى الأرض خوفا من عظيم معاطى
وسمى بطيار وما كان صالحا … وما كان إلا هاربا كالثعالب
لقينا أمور مبطلات غوامض … يشيب لها يا صاح سود الذوائب
وقصته لما دخلنا لشامة … إلى قلعة تسمى السها والكواكب
جرى تحتها حرب يشيب لهوله … ويهرب منه كل طفل وشائب
ولما أتى سمخولص فى جيوشه … يحاكوا عداد القر ثم الكواكب
وكم وقعة فيها غرقنا وبعدما … غرقنا جميعا فى البحار الغوالب
وفى أم بكار الشريفة خيرة … ثواها أمور منفصلات الحبايب
حماها إلى شمخولص وهو قاصدا … يرمى سهام بين ماش وراكب
وجزت أنا والست فاطمة خلفها … وظالم ذاك القسورى المواهب
رأينا أمورا معضلات غوامض … لها وجلال الله شابت ذوائبى
وفى دير خيلوص جرت لى عجائب … وصرت عند الروم فى أعلى المراتب
وساروا يجونا فى جموع كتائب … عساكرهم تملأ الربا والسباسب
وشمخولص أحصاه بعد ما غدت … له عين قطع نصرها بتغاصب
وعدنا إلى نحو العراق نرومها … سبقنا اليها رأس كل المصائب

سبقنا إلى بغداد دبر حيلة ... علينا ولم يخشى حلول النوائب
وساعده طاحون لا كان اسمه ... وراح إلى ترضيع قد كان كاذب
ولما رجعنا والخليفة يبتغى ... رفعناه معنا ثم ابن مصايب
أخذنا نصيرا لم يزل متفضلا ... ومعنا جموع ملو بعض المراكب
وسرنا إلى هيمورمن كش بعدما ... لقيت غلاما هدمنى المناكب
واسكرته بالخمر ثم رميته ... وعدت إلى نحو المدينة هارب
وقد سرت فيها يا أخى متعلما ... وعدت وزير ثم شلت عصائبى
وصرت أراعى السيد الندب أرتجى ... لقاه وقد سدت على مذاهبى
فلم أدر حتى سار نحوى عاجلا ... ومعه رجال كالليوث السلاهب
فعدنا إلى نحو العراق وحولنا ... رجال وفرسان كلون الغياهب
تسمى بعبود وسميت بعده ... بحمود ولو ادعى هناك بكاذب
وتمت حروبا يالها ووقائعا ... وصالحنى المولى وقام بواجبى
وإسلام شومدرس الكلب الذى ... له حيل تعدادها الكواكب
ودبر ذاك الكلب فى أخذ واثق ... وأسكنه فى مجمع البحر راتب
وسار أمير الثغر طالب مكة ... ليرجو من المولى الكريم المواهب
وخلف فى الثغر الممتع أمه ... وقد كان حكم الله حقا بصائب
فدبر الملعون فى الحال حيلة ... عليها وساعدها الفضا بمواهب
وكان نهار عيد والناس ركع ... فجاءوا جيوش الروم مثل السلاهب
أراقوا دماء المسلمين تعمداً ... وشدوا أميرتنا كشد الحقائب
وساروا الى السواحل يالها ... أمور لذكرها تشيب الذوائب
وسرنا نروم الست نبغى خلاصها ... وسمعان معنا نعم حل وصاحب
وصلنا إلى التمثال أيضا وبعده ... بوادالفرج شاهدت كل العجائب
أجيب به يوما رجال أكارم ... وسمعان فيها وهو خير الدوالب
وجرنا إلى أرض اليهود وقدجرت ... علينا أمورا لاتعد بحاسب
وجاءت جيوش الروم تجرى لنحونا ... فسدوا رباها شرقها والمغارب
وقاتل مولاى الأمير لجمعهم ... وصارت علينا الموت ضربة لازب
الى الليل جاءت فى الجموع عذينة ... وبنجت الأشرار من كل جانب
وغالبهم قد قبحت مثل طرفة ... وقادت زعيم القوم نسل الأجانب

ودارت يدى حول الكبير أبيهم | وكنا بجوقار عظيم المراتب
وفى يد سودان الأمير رميتهم | سقوهم كؤسا لاتلذ لشارب
وديتهم فى الحال نحو خيامهم | وعدت للناس قبل حلبة حالب
وطالبتهم بالبنت فى طى رقعة | وتمت عليهم حيلتى ومناصبي
وأوقعت بين القوم شدة مقعة | وشتتهم فى شرقها والمغارب
وخلصنا الله الكريم بفضله | وعدنا وقد نلنا جميع المآرب
وجدنا مليك القوم قد ساق بيننا | وقد أسروا الدواس ليث محارب
وكان فعال الكل فى الأصل عقبة | عليه من الرحمن خزى مواظب
حملنا عليهم حملة فتشتتوا | وعاد مليك الروم عودة خائب
وكان أمير المؤمنين مساعدا | لنا وبه نلنا جميع المطالب
ولما اجتمعنا فانفر الكلب عقبة | كشبه هزيرا وكليث مواثب
ورصع فى المولى الامام مدائحا | تشيب لها والله أعلا المراتب
وقدفتت الأكباد من عظم مكرد | وسالت دموعى مثل سيل السحائب
وهد فؤادى واضمحلت جلادتى | وسدد فى وجهى جميع مذاهبي
وكم ذا لقينا شدة ومصيبة | وكان سببها اللعين المحارب
وقد حار ذهنى من أمور لقد جرت | بأكناف روم أو بأرض الأعارب
الى أن ألطاف الاله لنا جرت | أمور غريبات لطاف عجائب
وأهتكت ستر الكلب فى وسط دارد | ببيعته فى الأرض وهو كراهب
وجاء لنا ذا الأمر من اين عقبة | بأخبار فيها من أمور عجائب
وقال لنا كونوا معى لترونه | يجاوب بالألحان من كل اجنب
وقرعته مكشوفة وهو قائم | بانجيل عيسى والبخور بجانب
فقمنا ومعنا كل من كان حولنا | رجال كأمثال الليوث السلاهب
وجئنا إلى نحو الامام بجمعنا | قصصنا عليه ماجرى من غرائبي
فقام على أقدامه متحيرا | لتنظر عيناه لئيما وكاذبا
وجئنا إلى نحو الكنيسة سرعة | نزلنا إلى الملعون من كل جانب
فلما رآنا لم يكن قط جازعا | وأشهر سكينا بها السم ذائب
وهوى بها نحو الامام مبادرا | يؤمل أن يسقيه كاس المعاطب
فما كان إلا طرفة من مقلتى | أخذناه كمثل الكلب مخذول خائب

مسكناهمو جمعا شفينا بمسكهم   فولى وخلانا وهرول هارب
فجهز مولانا الامام لصلبه   عساكر تملا الخافقين الجوانب
فانفلت منا يالها من مصيبة   وسار عدو الله منا بغائب
وصار الى الأطلال يخرب عامدا   ويهرب مني جانب بعد جانب
وقد صار مقرى بالجناين كلها   ليعلو ثناه شرقنا والمغارب
فرحنا ودبرنا عليه مكيدة   وساقوه غلماني كسوق الأرانب
ولما مضى عنى وقد صار واعظا   فصرت يهوديا وذا من مناصبي
وقد أوقفوه فوق منبر وعظه   وضجت جميع الناس من كل جانب
ولما مضينا نحو نجد جميعنا   وعاينت ناراً أوقدت للأعارب
لقينا أمير القوم يدعى صديقه   فأفلته مني وصار محاربي
ولما أتينا حي صالح بكرة   ووالده هارون من نسل غالب
ولما وصلناهم تحدث معهم   حديث محال كله زور كاذب
ولما رجعنا طالبين بلادنا   وصالح مثل البدر بين الكواكب
ولما توسطنا الفلا من مسيرنا   طلبناه لم نلقاه بين الركائب
فراح الى بغداد وجا عند راهب   كنيسة دار الروم فيها عجائب
ولما درا أنا وصلنا جميعنا   فراح الى البصرى ببعض المراكب
وباع البقل يالها من مصيبة   وهذه حيل منها تشيب الذوائب
فوديت (باقلا) كثير أبيعه   لأجل بناء بيت مشيد الجوانب
فقام سريعاً ساعيا نحو منزلي   بعيد من العمران من كل جانب
فلما أتى جودت دفس دماغه   على قرعة مملوءة بالمصائب
ولما رحلنا نبتغي أرض قومنا   إلى الثغر وافتنا جميع الكتائب
من العبد لا كان اسمه وهو قاصم   حياة نفوس الناس بين المراكب
وأفته يا آل قومي وقد غدا   الى العبد يدعوني لدين الكواذب
وساروا بنا يبغون روما وأرضنا   فوافاهمو ليث شديد المضرب
إلى أن وصلنا الى الدروب وقد بدت   خيام بها أبطال سود غوالب
وظالم فيهم ثم صالح بعده   وكل هزبر في الهزيمة واثب
فرحنا به لما لقيناهمو ضحى   وزاد سروري فرحة بحبائبي
ولاحت لنا الصلبان والروم تحتها   وغيلان معهم لاسقى غيث ساكب

وقاتلنا حتى تيقن بعضنا ... يكون على الرمضا بأرض السباسب
وذلهمة قد بادرت هى وابنها ... بأيديهما سمر وبيض قواضب
فعاينها غيلان وزاد هلوعه ... وقد طيرت أضراسه كل جانب
فراح الى نار الجحيم مبادراً ... بضربتها يا آل قوم أطايب
ونوبة حران ووقت هروبه ... الى تل سمعان لئيم وكاذب
فكم درت فى شرق البلاد وغربها ... وقاسيت من معضلات النوائب
وجئنا به ياقوم من بعد هتكة ... ولم يبق إلا موته والنواحب
تجهز مولانا الامام لصلبه ... وقاد جيوشا كالحصاد الجنادب
وجاءت الينا الروم من كل جانب ... ليحموه منا بالقنا والقواضب
وما زالت الصلبان تهوى بأسرها ... إلى نحونا من كل صوب وجانب
صلبناه حقا كى نرى صدق أحمد ... نبى الهدى المبعوث من نسل غالب
فهذا وكم لى وقفة بعد وقفة ... مع الندل أعنى عقبة بن مصعب
لعنه إله العرش حياً وميتاً ... وأمطره جمراً هول المصائب
لقد كان شر الخلق فى الأرض جمعها ... على خلقه من كل ماش وراكب
فلا رحم الرحمن تربة قبره ... ولا زال يجزيه بكل النوائب
وهذا مقالى وشرح حالى وماجرى ... لنا قريض الشعر عالى المراتب
ومن بعد هذا فالصلاة فريضة ... على أحمد الهادى حبيب الحبائب
كذاك الرضا عن صحبه وصديقه ... أبو بكر حاوى شريف المناقب
كذا عمر الفاروق ثانى صحابه ... أقام منار الدين إذ هو واجب
وثالثهم عثمان زوج بناته ... وجامع للقرآن نسل الأطايب
كذا علىّ ابن عم محمد ... كريم العطا مفنى العدا بالغوارب
كذا عن الأصحاب كلهم الذين ... أقاموا حدود الدين من كل جانب
وأما أمير المؤمنين لها الهنى ... جمال الورى فى شرقها والمغارب
وقد سمحت أفكارنا بلطيفة ... أميرة ما قد تم لى من عجائب
فهنيتمو هذا الهناء بصلبه ... وأعدا كموا بين باك ونادب
فيا أمة المختار أحمد فابشروا ... بصلب قبيح الفعل نسل الكواذب
وأما محدثنا فيورى حديثنا ... فصاحته قد أذهلت كل كاتب
لسان له مثل الحسام إذا بدا ... ويطرب شجعان الطيور النوادب

وحملها النساخ لما تجملت — وقرأت أوراقا لها كل طالب
وقد صارت الحفاظ ترغب حفظا — يميلوا اليها راغب بعد راغب
فيا أيها القارى بحق محمد — ترحم على ناس مضوا فى الترايب
واستغفر الله العظيم وانه — غفور لمن تاب توبة تائب
وصلوا على المختار أحمد تسعدوا — نبى الهدى المبعوث من آل غالب
عليه سلام الله ما لاح بارق — وما بانت الجوزاء بين الكواكب
وما بان ضوء الشمس ترمى بجرمها — على الأرض من شرقها والمغارب
ويغفر لكم يا سامعين حديثنا — ويدخلكم الفردوس أعلا المراتب

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير أبو محمد البطال من شعره رقصت السودان عجبا ومالت العربان طربا وقال المعتصم أحسنت والله يافصيح اللسان ويا مجاهد عن دين سيد ولد عدنان لجزاك الله خيرا عن أهل الايمان ثم أن المعتصم أمر بشيل عقبه على رؤوس الأنام وأمر أن يرشقوه بالسهام فرشقوه حتى بقى مثل القنفد وضربه الأمير عبدالوهاب بحربة فى صدره فخرجت من ظهره وكذلك فعلت الأميره ذات الهمه فقال مطرون وكان الى جانب المعتصم راكب وحوله العلماء والفقهاء وقد نظر الى ماجرى الى اللعين عقبه وقهر غمه ذلك إلا أنه لم يجسر أن يتكلم وأما طيبون ومارس ودارس ويانس المتعزب فانهم فرحوا بصلب عقبه اللعين هذا ومطرون قد التفت الى المعتصم وقال ياأمير المؤمنين لقد كفى ماجرى لهذا الملعون من الصلب والعذاب وتزيدوه برمى النشاب فقال المعتصم ويلك يافاجر وكأننى تخفى أحوالك علىّ ولفظك ومقالك لاشك أنك مائل الى الكفر والنفاق ثم أنه قال لعبد الوهاب يا أمير الثغور خذا هذا الكافر الآخر وانكبه أيشم نكبه واصلبه الى جانب صاحبه عقبه عند ذلك رجلوه السودان من على بغلته وقد كشف الله سريرته ثم أنهم لطموه وفى الحال علقوه وتبادرت الأتراس فى يد الأتراك وبالسهام رشقوه (قال الراوى) فلما نظرت الروم الى ذلك خرجت كأنها الزنابير ولما نظرت المسلمين الى فعال الروم حملت الرجال على الرجال والأبطال على الأبطال ووقع القتال وتراشقوا النبال ولم يزل خيل الحرب قائمة على ساق وقدم وانصبغت الأرض بالدم والجبان قد انفطر قلبه من الندم وقتلت الأمم وكثرت الرمم وجار الشيف فى حكمه وظلم ورمت الأتراك النشاب ورشقت السودان بالحراب وحملت الأمراء الكرام وردوا الروم الى الأبواب ونزل العذاب واستدعا بالبترك بعد أن أمر بغلق الابواب وقال له ما الذى تشير به علىّ أن أفعل مع

عبد الوهاب وأميره المعتصم ابن عم النبي محمد عليه الصلاة والسلام وقد أوعدهم بصلب عقبه وكان ما كان من ذلك والقوم قد أوفوا رأيهم واعلم أن الشيخ النجيح له أسوة بمن هلك من عباد المسيح ومن الصواب عندى أنك تصالح المسلمين فى هذه السنه فان الروم قد فنيوا ومضى أكثرهم وما بقى فيهم لقتال المسلمين وان نحن قاتلناهم خسرنا معهم وأخربوا البلاد وأهلكوا العباد والصواب أن نصالحهم الى سنة أخرى فقال لما سمع كلامه وحق الانجيل مافى دولتى مثلك لانك بركة المسيح فى الارض والصواب أنك تخرج الى الامير عبد الوهاب وتضمن له فى هذا العام مايريد (قال الراوى) فعندها ركب البترك وسار إلى عند المسلمين فلما رأوه علموا أنه رسول فالتقوه واستأذنوا عليه الامير عبد الوهاب فأذن له فلما دخل قبل الارض بين يديه وخدم فقال له الامير عبدالوهاب فماذا أتيت فقال أيها الامير جئت أسعى فى الصلح والصواب أن تأخذوا من الملك الأموال وهى كل سنة مائتى ألف دينار وترحلوا عنه فى هذه السنة واعلم أن عساكره متواترة وعقبه قد صلبتوه وقد جاء الشتاء ونحن فمانبالى لاننا من داخل البلد وأنتم يطول عليكم المقام والصواب أن تصالحونا فقال الامير عبدالوهاب إعلم أيها البترك أن الامر فى هذا لمولانا أمير المؤمنين ثم قام الامير عبدالوهاب ودخل على الخليفة وأعلمه بذلك فقال له افعل ماترى فيه المصلحه لنا وللمسلمين واعلم أنى قد حسيت بالمرض الذى يعرض لى وهو القولنج ونحن نتوارثه من الآباء والاجداد وأنا خائف منه فلما سمع الامير عبدالوهاب كلامه عاد البترك وقال له أيها البترك قد أجبناكم إلى سؤالكم وماتريدون على أن تحملون المال كل سنة مادام الصلح واقع فقال السمع والطاعه وعاد البترك من وقته ولم يزل حتى دخل على الملك وأعلمه أنهم قد أجابوه الى ماذكر لهم من أمر الصلح على أن نحمل لهم كل سنة مائتى ألف دينار ويكون الصلح أربع سنين فلما سمع الملك ذلك فرح فرحا شديداً وقال له المسيح يجازيك على فعالك فى أهل ملته وعاد إلى عسكر المسلمين وحلفهم وحلف لهم على أن الصلح يكون أربع سنين بعد ما أعطاهم المال وودعهم وعاد إلى القسطنطونيه ونادت النقباء فى عسكر الخليفة بالرحيل بعد ثلاثة أيام فلما انقضت الايام رحلت العساكر وهى تتبع بعضها بعض وقد فتح الله عليهم وعلى أيديهم وأقر بالنصر أعينهم ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا مرج الديباج ونزل المعتصم والتفت الى الامير عبد الوهاب وقال يا أمير نادى فى الناس أن يسبقونا الى الطرق فما بقى علينا أمر يعوقنا فنادى المنادى ألا وان أمير المؤمنين قد أمركم بالارتحال فمن ارتحل فلا جناح عليه ومن أقام فهو المخير ذلك لان

الطريق قدامنا مضيق (قال الراوى) فارتحلت الناس ولم يبق إلا الامير عبدالوهاب ذلك اليوم ودخل على الخليفه وقال يا أمير المؤمنين قد أخفت الناس من المضيق ولم يبق غير غلمان الدار والفقهاء وجماعه من بنى كلاب وجماعة من بنى سليم فهل لك فى الرحيل فقال له يا أمير قد لحقنى مرض عظيم فدعنى ههنا حتى أسير بعد ثلاثة أيام فقال الامير سمعا وطاعه وأقامت (يا ساده) هناك المسلمين إحدى عشر يوما ثم نادى المنادى عن اذن أميرالمؤمنين بالرحيل الى الديار المسلمين ونشرت أعلام أميرالمؤمنين وقد أحدقت به المجاهدين إلى أن وصلوا الى مضيق الباطليق واذا قد ظهر من بين أيديهم غبار حتى سد الاقطار وحجب ضوء النهار وبان من تحته قنطاريات خلنجيه أنفسهم تسابق الى المنيه فلما نظرتهم العصابة الاسلاميه مالوا اليهم ولم يعلموا من أى الجهات هم غير أنهم رأوا الصلبان على الأعلام فأيقن المسلمين بالشهادة فزعقت المسلمين الله أكبر طاب الموت فى طاعة الله الملك الجبار بعد صلب الشيخ الغدار ثم حمل الأمير عبد الوهاب وحملت من ورائه أمراء بنى كلاب وقد طاب لهم الموت وعملت المصائب وأظلت القفار وهجمت الوحوش فى الأوعار (قال الراوى) وكان هذا الجيش القادم لملك من ملوك الجزائر يقال له هرمس وكان قد سمع بما جرى على الشيخ النجيح وان الملك ميخائيل قد استنجد به من جملة الملوك وهو على قتال المسلمين عازم وعلى حربهم ملازم فسار الى أن وصل إلى هذا المضيق والذى ذكره كان وصوله بعد عبور المسلمين بأربعة أيام فلما رأى آثار الجيش قد عبر زاد قهره وقال يصلب الشيخ النجيح وتخرج المسلمين سالمين ثم أخذ الأخبار من رهبان الديوره فقالوا يا ملك ان خليفة المسلمين ما عبر وهو نازل فى مرج الديباج فلما سمع الملك ذلك فرح فرحا عظيما وأنفذ من جهته رسولا الى الملك ميخائيل يقال له قسطور وقال له اسرع واعلم الملك أننى قد مسكت على المسلمين رأس المضيق فلا تغفل عن هذه النوبة بعد قتل الشيخ النجيح فقد كسينا العار فى جميع الأقطار فسار الرسول إلى أن دخل على الملك ميخائيل فلما حضر بين يديه (يا ساده) وكان ميخائيل متفكر فى تلك الساعه فى قصة المسلمين وما جرى منهم وما كان من مارس ودارس فلما مثل بين يديه رفع رأسه اليه وقال له من أنت ومن أرسلك فقال أيها الملك أنا رسول هرمس والذى أعلمك به أنه لما وصل كتابك اليه كان مريضا فلما عوفى سار الى خدمتك فى رجاله وأبطاله فلما وصل الى طريق الباطليق لقى عساكر المسلمين وخليفة الموحدين وقد حجزهم ومنعهم من العبور والرأى أن ترحل بعساكرك من ساعتك ولا تنسى قتلة الشيخ النجيخ فى هذه الأيام

ولا ترعى للمسلمين عهد ولا زمام وتكون أنت من خلفهم وهو من بين أيديهم فما يبقى لهم أثر ولا ينفلت منهم بشر (قال ياساده) فلما سمع الملك ميخائيل ذلك فرح فرحا شديدا وكانت بعض الملوك مقيمة لم ترحل وهم الذين أعطاهم بعد قتل آبائهم وأصحابهم فأمر أن ينادى من أراد أن يأخذ ثار الشيخ النجيح أن يبادر فلم يبق أحد إلا وتجهز إلى أن صار على وجه الأرض مائة ألف وعشرين ألف فارس كرار وساروا طالبين الدروب (قال الراوى) فهذا جرى ههنا يا ساده . وأما ما كان من الأمير عبد الوهاب فانه قاتل ذاك اليوم المقدم ذكره لهرمس ورجاله إلى أن أمسى المساء فلما كان من الغد ركبت المسلمين وأبطال الموحدين وركب أمير المؤمنين المعتصم والأتراك قد وطنت النفوس على الهلاك فلما نظروا الروم الى ذلك ركبوا خيولهم وحملوا لبلوغ آمالهم ووقع القتال ودام الالتحام وتطاعنوا بالرماح الطوال ودام الحرب وزاد الكرب واشتد الطعن والضرب وقاتلت بقية السودان قتال عظيم وأشرفت الروم على الهلاك وحل بهم الارتباك إلى المساء وداموا على ذلك سبعة أيام فلما كان فى اليوم الثامن والمسلمين قد بكوا وهم مستبشرين بالنصر موقنين وإذا بغبار قد ارتفع فلما نظر عبد الوهاب الى ذلك قال يامعاشر المسلمين هذا غبار قد طلع من نحو القسطنطونيه ولاشك أنه غبار عسكر الملك ميخائيل وقد غدر بنا ونقض الايمان والصواب تنقسموا قسمان وتكمنوا للقوم القادمين وتدهمون المشركين وتكونوا متوكلين على رب العالمين وتكونوا فى وجوههم وأنا أعلم أن هذه الوقعة تكون وقعة عظيمة وأظن والله قد تقاربت الآجال فموتوا كرام ولاتعيشوا لئام فقالت الأميرة يابنى لقد أشرت بالصواب وانا لهؤلاء القادمين ثم ان الأميرة انتخبت من العساكر عشرة آلاف فارس وبقى الأمير عبد الوهاب وأخذ من بقى من بنى كلاب والسودان الأنجاب والأتراك فى وجه هرمس فلم تكن إلا ساعة حتى أشرفت الروم فى خلق كثير والملك ميخائيل وعلى رأسها العلم الأزرق ووقعت العين على العين فقال البطرك أيها الملك أؤمر العساكر بالحملة ولاتستعمل فى ذلك مهلة وكل من تخلف أخرجته من الدين واعلم أن المسلمين قد تفرقوا قسمين وقد تقدمت الينا الناهره ذات الهمه والخليفه وولدها فى وجه هرمس فقال الملك وحق المسيح إن كانت ذات الهمة وقد انفردت لنا فهى نوبة عظيمة وما نرى منه أثقل منها (قال الراوى) وأن الأميرة لما نظرت إلى الملك ميخائيل وإلى جيوشه كشفت رأسها وخففت لباسها وقد بان شمطها وحملت على الروم وهى تنشد وتقول :

ولما جنى قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت الرجا منى لعفوك سلما
تعاظم ذنبي لما قرنته ... بعفوك ربى كان عفوك أعظما
ومازلت ذا عفوعن الذنب غافرا ... تجود وتعفو منة وتكرما

(قال الراوى) فلما فرغت الأميرة من شعرها حملت على الروم وألقت زمام أمرها الى الحى القيوم وحملت أيضا من ورائها الأبطال على ما بها من التعب والكلال وحملت أيضا الروم وبطل القيل والقال وعظم النزال وشكوا من جود الحرب وجندس الطعن والضرب وحل بهم الفشل وبطل العمل وضاق الأمر على المسلمين وتأخروا على المشركين وقد تعبت الأميرة فى ذلك اليوم واثخنت بالجراح هذا والأمير عبد الوهاب مشتعل بقتال الافرنج وملكهم هرمس وهو معهم فى طعان وضراب وقد تضاربوا بالسيوف والحراب والمزاريق والنشاب وتعبت الفرسان الذين مع عبد الوهاب ولم يبق فيهم قوة ولاحيل ومالت عليهم الروم أعظم ميل وأى ميل وسالت الدماء من الجراح مثل السيل هذا وكتائب الروم كلما لها تزداد وقد رجعت عساكر الأمير منهزمين الى الأمير عبد الوهاب وتبعهم الملك ميخائيل بذلك الجيش العباب فالتجأت المسلمين الى الجبل وقد أمسى المساء وتخندست الظلماء واجتمع الأمير عبد الوهاب بالمعتصم وقال له ياأمير المؤمنين هذا جيش ثقيل ونحن مابقى معنا كتائب والمسلمين كلهم قد سبقونا الى العراق وما علمنا نحن بهذه المصائب انها تجرى والصواب انك فى غداة غد تأخذ الأتراك بين يديك وتحمل حملة واحدة وتخرق الروم وتصير الى ذلك الجانب وتنجو بروحك لأنك عليك معول الناس وخليفة بنى العباس ومثلنا يوجد ومثلك لايوجد واعلم ياأمير المؤمنين أن هذا الوقت هو الذى كنا له منتظرين والحمد لله الذى بلغنا المراد من صلب عقبة اللعين وصدق الوعد الذى وعدنا به محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وان تكن الأخرى فعليك السلام إلى يوم الدين فوالله يامولانا لقد وقعنا فى أمر عظيم ولوكان لنا فى الارض متسع لطال عليهم أن يصلوا إلينا فالحمد لله على هذا الحال فعندها بكى أمير المؤمنين المعتصم وضجت المسلمين بالبكاء والنحيب . وأما الروم فانهم باتوا موقنين بالغلبة ولما أصبح الصباح أطبقت عليهم الروم من سائر النواح يطلبوا الحرب والكفاح وحملت المسلمين بنية صادقه وسيوف بارقه معلنين بقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله وغابوا فى كثرة الكفار فصاروا مع الروم تحت الصلبان (قال الراوى) فلما نظر المعتصم إلى ماقد أحاط بالمسلمين من أعداء الله الكافرين

أمر الأتراك أن ترشق رشقة واحدة وكان عدتهم أربعة آلاف فرشقت عن يد واحدة كما أمرهم المعتصم فانفتح له درب فسار وهو يطلب الخروج من ذلك المضيق فأطبق الروم عليهم فما تخلص الا بعد قتال شديد وخرج الخليفة وقد اجتمعت له غلمان الدار والمماليك وأحموه الى أن أخرجوه من المعمعه وقد خرج معه من الأربعة آلاف أربعمائه وأطبقت على المسلمين الروم اللئام بعد خروج الامام فسقوهم كؤوس الحمام ولا ينفلت منهم شيخ ولا غلام ومضى إلى رحمة رب الأنام فلما نظر الأمير إلى ذلك قال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله وإنا اليه راجعون ذهبت المسلمون وتفرقت الموحدون ثم نادى الله أكبر وخاض بحر العجاج وبان كل أمر خفى وتواثبت الأبطال مثل الفهود وتزاعقوا مثل الأسود وصار الغبار على الرؤوس والخدود وتخضعت الفامات والقدود ولم يزل القتال حتى مضى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه وانفصلوا من الحرب واستراحوا من الطعن والضرب وقد قتل ذلك اليوم من المسلمين خلق كثير وقتل من المشركين أضعاف ذلك غير أن الفلة لاتبان فيهم من كثرتهم . وأما بنى سليم فانهم لم يبق إلا نفر قليل لأنهم مارأوا الى الهرب سبيل فتقاتلوا وماقصروا وانتقلوا الى رحمة الله تعالى الملك الجليل وبات الأمير متفكر فيما يجرى على المسلمين وقال هذه آجال كانت موافقة بأجل عقبة اللعين فقالت الأميرة ياولدى هذه الموتة التى كتبت لنا وقد قال عزّ من قائل : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » وما بقى إلا الصدق فى القتال فقال الأمير أبو محمد البطال والله يا أميرة لقد كنت أحسب هذا الحساب وأقرأ هذا الكتاب فلا كان ولا استكان والله ياأميرة إننى أخشى فى هذه النوبة من الفرقة التى لا اجتماع بعدها إلا فى عرسات القيامة وأن هذه وقعة صعبة فنسأل الله أن يكفينا شرها ويصرف عنا أمرها فقال الأمير عبد الوهاب والأميرة والله ياأبو محمد ما نتأسف على الدنيا فانها دار فناء ولابد من الفراق وإنما أسفنا على المسلمين من بعدنا وباتوا على مثل ذلك إلى أن أصبح الصباح وتبادروا الى الحرب والكفاح بعد أن ركبوا صهوات الجرد القداح وأيقنت الروم بالنصر والنجاح واشتد بينهم النداح وحملت الرجال على الرجال وقاتلت المسلمين وقد أيقنت بالارتحال وكل منهم قد ودع صاحبه وأوصاه ان سلم من بعده أن يسلم على أهله وأقاربه ولم يزل القتال يعمل الى الليل وقد قتل من الطائفتين خلق كثير وقاتل يانس المتعزب إلى أن فنيت رجاله وقاتل هو قتال من قد أيس من الحياة وأيقن الوفاة وكان ذلك اليوم قد أصبح بردشديد وكان فصل

الشتاء قد دخل وقاست المسلمين منه مشقة عظيمه إلا أن همتهم جسيمه ونياتهم مع الله مستقيمه ولهم قلوب وافيه وأسرار صافيه وجنوب عن المضاجع متجافيه. وقد سرت قلوبهم بلقاء محبوبهم وهو الذى لا تخفى عليه خافيه وداموا أعداء الله على الحرب وأشرفوا الروم فى ذلك اليوم على العطب وفرحت المسلمين بالنصر والغلبه ونادى الأمير عبد الوهاب يا أهل الفلاح ابذلوا فيهم السيوف والرماح فقد طاب الموت الموت فى مقام الكفاح وكشفت السودان رؤوسها وزعقوا زعقة من اشتاق الى الدار الآخره وهانت عليها نفوسها وهجرت الدنيا الساحره وقاتلوا قتال عظيم وأبلوا الناس بأمر جسيم وكان ذلك اليوم على الروم يوم ميشوم وطالعهم طالع مذموم. ونثروهم السودان وسقوهم شراب الذل والهوان ولم يبق إلا أن ينجوا بأنفسهم من ذلك البلاء العظيم واذا بالجو قد أظلم والأفق قد اغتم وأشرفت عليهم عساكر سدت الفضاء وهم أكثر من مائة ألف فارس من كل بطل مداعس بالقنطاريات الطوال والسيوف الصقال والصلبان على رؤوسهم تبرق والأعلام تخفق وكان ذلك القادم ملك البنادقه لانه كان صهر الملك ميخائيل وكان فارس جبار وجبل مغوار وكان الملك قد كاتبه قبل خروجه القسطنطونيه ولم يكن حاضر فلما قدم أعرضوا عليه الكتاب فأجاب بالسمع والطاعه ثم سار فى هذا العسكر الثقيل حتى وصل الى القسطنطونيه وسأل عن الملك فأخبروه أنه فى قتال المسلمين وقد أشرفوا على كسرهم فرحل من وقته وساعته حتى أشرف عليهم وكان المسلمون قد أشرفوا على كسر الروم ولولا قدوم هؤلاء لكانوا قد خلصوا ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولا (قال الراوى) فلما نظر الملعون الى المسلمين وهم ظافرين بالروم أمر أصحابه بالحملة فحملوا حملة رجل واحد فانكسرت همم المسلمين وضعفت المجاهدين الا أنهم صاحوا صيحة واحدة لا إله إلا الله محمد رسول الله وأرموا أنفسهم الى تلك الكتائب وقد ضعفت خيلهم والجنائب فترجلوا عنها وأطبقت عليهم الروم من كل جانب فداسوهم بسنابك الخيل واستشهدوا عن آخرهم رحمة الله تعالى عليهم وعلى من مضى من أموات المسلمين يا رب العالمين فلقد عاشوا سعداء وماتوا شهداء ولم يسلم منهم إلا أربعين رجل كانوا قد التجأوا إلى الجبل وهم الأمراء المعروفين مثل الأمير عبد الوهاب والأميره ذات الهمه والدينارى وجعبر واللملمان وبرد بن الأزهر وصالح بن هارون العلوى وهياج الكردى وطارق الحجازى وقرافد ونورى زوجة البطال وعذيبه ومذبحون وكان قد قتل من بنات هياج ثلاثة وبقيت واحده فالتجت الى أبى محمد وقتل فى ذلك اليوم من المسلمين خمسة وثلاثين ألف عرب وسودان وأتراك وكانت وقعه لم تشاهد العيون مثلها ولا أعظم

منها وقتل بجملة من قتل ألف فقيه ومقرىء وسلم الأمير أبو محمد واثنين من غلمانه ويانس وظالم ابن الأمير عبد الوهاب وابنة هياج التى بقيت لأنهم ما دخلوا مع الأمير إلى المغار بل طلبوا طريق أخرى فى كهف الجبل لأنهم لما رأوا ذلك الجيش الوارد علم أبو محمد انها وقعة صعبة فأخذ الجماعه المذكورين وتعلغوا الى الجبل وتموا يطلبوا بلاد الاسلام وقد اشتغلت الروم عنهم بالأربعين أميراً المذكورين وجعلوا يقاتلوا ويتأخروا حتى دخلوا الى المغار والروم ينظرون اليهم وهم فى جانب الجبل وكانت دير فى قديم الزمان ونزلت الروم على بابها وحاصروهم ولم يجسر أحد أن يعبر إليهم وكان الأمير عبد الوهاب قد أدخل معه أربعة رؤوس من الخيل وحاصروهم الروم أربعين يوما فأكلوا تلك الخيول وبعد الاربعين يوم نزلت عليهم الأمطار وهطلت الثلوج فرحلت الروم ولا برح الثلج ينزل ستة وثلاثين يوما فتساوت بطون الأودية ورؤوس الجبال فاستد عليهم باب المغار واستشهدوا جميعهم فى ذلك الموضع فى سبيل الله تعالى رحمهم الله تعالى إلا أنهم عاشوا سعداء وماتوا شهداء على دين الاسلام وملة محمد عليه السلام (قال الروى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أمر الامير أبو محمد البطال والامير ظالم ومارس ودارس ويانس وابنة هياج وغلاميه فانهم خلصوا ومضوا الى بلاد الاسلام وأبو محمد البطال ينشد الاشعار ويوفى الدموع الغزار (قال الراوى) وساروا وهم مجدين حتى دخلوا الى ملطيه فوقع فيها الصوت على ما جرى على الامراء وبما وقع وحل المصاب وكشفوا رؤوسهم واستغاثوا الى قدوسهم فقال الامير أبو محمد البطال أين المعتصم اليوم فقالوا له انه رحل من هنا وهو مجروح ومعه أربعمائة مملوك وهو من ذلك الجرح مريض وقال امض الى بغداد وأجمع العساكر وأعود وان سلم الامير عبد الوهاب وقدم عليكم انفذوا الىّ وعرفونى حتى يطيب قلبى وقد انحدر الى العراق فلما سمع أبو محمد ذلك انحدر الى العراق أيضاً وهو مشقوق الثياب هو غلمانه وظالم وابنة هياج ولم يزالوا سائرين وكلما دخلوا الى بلد ينعون الامير عبد الوهاب والأمراء من بنى كلاب فيقع فيها البكاء والانتحاب حتى وصل الى سامرا وهو على ذلك فسمع أن المعتصم قد مات وقعد للخلافه ولده الواثق بالله والناس فى عزاء المعتصم فسار أبو محمد وأصحابه حتى وصلوا إليهم وقد شقوا الثياب وعلا بكاؤهم والانتحاب ونعوا الامراء والاصحاب فلما نظروا الناس الى أبو محمد البطال قامت عليهم القيامة ووقع البكاء والانتحاب وتجدد على الناس حزن المعتصم على حزن الامراء وقالوا والله لا أخلف الزمان مثلهم للاسلام ولا عادت بلاد الثغور مسكنا للروم ولابد لهم ما يخربون

المواذن والجوامع ويجعلوها بيع وصوامع ثم تقدم البطال بين يدى الواثق بالله وأخبره بما تم على الأمراء والمجاهدين السادات فبكى بدمع معين من قلب حزين فعندها أنشد أبو محمد البطال وهو يقول :

حلت بذلهمة المنيـة وابنهـا | وعاد حبل الصبر فيـه رميما
ياناصر الاسـلام فى يوم الوغا | أشمت قوما يبصرون اللوما
وأقمت مأذنة العـلا فـيما أتى | وجمعت فيك مكارما وعـلوما
ياسيدا يوم الوغا قد كنت فى | غمرانهـا للمؤمنين زعيما
قد عز عندى أن أراك قرينة | للنادبات وإن أبيت مليما
ولوأن أزور تراب قبرك لم أجد | إلا الوقوف عليـه والتسليما
ذهبت بهجتك المنون وغادرت | لجرايحى انى عليك سـقيما
فاذا قدمت ولم أساهمك الردا | فقـد ادعانا بالصديق وهيما
فعليك من مولاك ألف تحيـة | تهـدى لروحك نضرة ونعيما
وسقى ضريحك سحائبا من رحمة | قد كنت أبا لليتيم رحيما
وسقى الأميرة رحمـة منهلة | تروى ثراهـا والعطاش الهيما
قد أصبح الاسلام بعد ثلاثة | لايستفيق من البكا مغموما
بعـد الامام وبعـد ذلهمة التى | كانت ترد الـكفر وهو ملوما
وكذا الأمير إذا التقى فى جحفل | للروم رد لجيشهم مهزوما
ياواثقا بالله كن لى ناصرا | واطلب لثار الاكرمين وقوما

(قال الراوى) فلم يبق دمع إلا وانحـدر ولا قلب إلا وخشع وكانوا الناس اجتمعوا خلف البطال ولـما أنشد الأبيات ضجب الخلائق بالبكاء والعويل وقالوا يا أمير المؤمنين لا يراك الله قاعدا عن نصرة الاسلام وأخذ تار حماة قبر محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام وفقد هؤلاء الأمراء ركن الاسلام (ياساده ياكرام) فلما سمع الواثق بالله ذلك الـكلام فاضت عيناه بالدموع وقال وحق جدى العبـاس المبرأ من الأدناس لا بد لى من أخذ التار وكشف العار من الروم الطغاة الـكفار وأبيـدهم بالمرهف البتار ثم أمر النقباء أن تنادى فى جميع الغسكر بالغزو إلى بلاد الروم لأخـذ تار الأمراء وكتب الـكتب الى الشام والحجاز وجاءت الاعراب من طى وعامر وكلاب وبنى الوحيد وهم مخرقين الثياب وقد حلفوا أنهم لا يخيطوها حتى يأخذوا بثأر الامراء ولم يبق أحد إلا وسمع نقبـاء الأمراء وهلاكهم فرثتهم الشعراء وندبتهم الأغنياء والفقراء (قال الراوى) فلـا اجتمع العربان فـكانت عـدة جريدة العسكر

الذين قد اجتمعت مع الواثق بالله يومئذ ثمانمائة ألف عرب وعجم وترك وديلم
وأكراد ومن طلب الجهاد ووصلت العساكر من جربه إلى تكريت (ياساده)وكان
الامام الواثق قد رأى فى منامه أمر عجيب فلما أصبح الصباح ادعى بالفقهاء وأهل
العلم ومن لهم معوفة بتعبير الرؤيا وقال لهم يامعاشر المسلمين إنى رأيت الأمير
عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وهى تقول لى ياأمير المؤمنين إذا أردت الدخول
إلى بلاد الروم فادخل من طريق انكورية وخذ بتار المجاهدين لأنهم خدموا آباءك
وأجدادك الطاهرين الراشدين ثم قال من يعرف طريق نكورية ولكن أخبرهم
بالأرض الأمير أبو محمد البطال فقال الواثق بالله على بالبطال فعندها حضر فى الحال
بين يديه وقد كبر سنه وحطمته الهموم من حزنه على الأمير وأمه وعلى زوجته نورى
وعلى ابنته عذيبه وكانت قد لحقت بالزهاد والعباد وكانت مع ذلك حامل من الأمير
أبو محمد البطال وقد قرب أيام ولادتها فلما تكامل حملها ولدت فى المغارة ولد ذكر
كانه دائرة القمر ومات فى المغارة مع الأمراء (قال الراوى) فلما وقف البطال بين
يدى الواثق قال له يا أبا محمد قد رأيت فى منامى كذا وكذا فقال البطال ياأمير المؤمنين
إنى أعرف جميع الطرقات وأقربها غير أنى أعبر من تلك الطريق فلا يحسوا بك الروم
إلا وأنت عندهم ويعطى الله النطر لمن يشاء وإن كنت تريد منى حيلة فقد استدت فى
وجهى أبواب الحيل وجميع المذاهب وقد قل منى الحيل وأعيانى الويل فقال الواثق يا
أبا محمد لكل أجل كتاب ولكل نعمة حساب والله ماجرى على من فقدوالدى مثل ماجرى
على من فقد الأمراء واعلم أن الله تعالى نقلهم إلى جنات ونهر والله لآخذن بتارهم
ولا بد أن أبنى من رؤسهم موادن يؤذنون عليها المسلمون ولا جعلت هلاك الأمراء
على الروم ميشوم فشكره البطال على ذلك وقال ياأمير المؤمنين أدام الله علاك وخذل
أعداءك وبلغك منهم مناك ثم رحل بالناس إلى أن وصل إلى ملطيه وطلع من فيها
من بنى كلاب وهم خائفين وجلين بعد هلاك الأمراء وكان الجراح بن عمر قد كبر
فلما وصل الامام الواثق بالله خرج اليه والتقاه وكذلك بنى كلاب التقوه بالبكاء
والانتحاب فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم طيب قلوبهم وقال وحق
آبائى الطاهرين لابد ما أريكم همة وعزمة مارآها أحد من سائر الملوك ولا الخلفاء
ولآخذن بتار أمير المؤمنين ومن هلك من أمراء المسلمين ففرحت بنى سليم وبنى كلاب
وبنى الوحيد بذلك وكان الوقت أول دخول الربيع فرحل الواثق بالله وصحبته هذه الامم
المقدم ذكرها يقطع الأرض والعرض إلى أن وصل إلى مرج العيون فأمر الناس

بالنزول وضرب خيامه وركز أعلامه والتفت إلى أبو محمد البطال وقال له ما الذى تشير به علىّ أن أعمل هل ألتقى عسكر الملك ميخائيل ونحن فى هذا المرج أو نرحل الى القسطنطونيه فقال له الأمير أبو محمد البطال يا أمير المؤمنين الصواب أن تكتب حتى أسير أنا إلى عساكر الروم وأنظر اليهم وأعاين أمرهم وأنظر هل هذه العساكر فى قوة ومن المقدم عليهم من عساكرهم لأننى قد سمعت من الجواسيس أن عساكر هذا الملك فى جمع عظيم وأنه أقوى ممن تقدم من الملوك فان رأيته كما قيل عنه وأن مختبره يوافق بخبره فأنا أشير عليك أن تلتقيه ههنا ونكون أقرب إلى بلاد الإسلام وان جرى على المسلمين والعياذ بالله تعالى أمر فيكون لهم معقل يرجعون اليه وان لم أجده كما قيل عنه فنحن نرحل ونزل على باب القسطنطونيه ويكون لك بذلك هيبة فى قلوب الروم (يا ساده) ثم أن أبو محمد تزيا بزى الروم ولم يزل سائر حتى وصل إلى الروم فوجد عسكرهم وقد طبق الأرض حتى خيل له أن القيامه قد قامت وقد حشر الله العالم جميعهم فى ذلك الموضع فبقى حائر وهو يريد أن يدبر حيلة يصل بها إلى هلاك تلك العساكر فلم يقدر بل قال سبحان المتكفل بأرزاق الخلائق ورجع وقد افتكر الامير عبدالوهاب فجرت دموعه كالسحاب وأنشد :

لا عاش من عاش فى الأيام يقطعها　　　وحامى الأرض تحت الأرض فى الحصر

(قال الراوى) ثم انه رجع سائر حتى وصل إلى عسكر الواثق بالله فلما رآه فرح به وقال له يا أمير المؤمنين اننى أشرفت على عساكر الروم فرأيتها قد طبقت الأرض فى الطول والعرض ولقد هممت بأن أدبر حيلة أهلك بها تلك الجموع فاستدت فى وجهى أبواب الحيل فقال الواثق بالله والله يا أبا محمد لقد تغيرت أحوالك وما بقى لك بعد فقد الأمير قلب ومانحن متكلين إلا على نصرة رب العالمين (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عسكر الملك ميخائيل فانه لما أثلج الثلج على باب المغار ورجع من مضيق الباطليق ورحل إلى القسطنطونيه ومكان صلب عقبه بنى هناك بيعة وعمل فيها قبة من النحاس الأندلسى ثم طعمها بالذهب وجعل لها عيد فى كل سنة تزورها الروم من كل مكان وهى إلى يومنا هذا (قال الراوى) فبينما الملك ميخائيل على سرير ملكه والبطارقه من حوله والملوك جلوس بين يديه وكان فيه هيبة عظيمه وحرمة جسيمة لم تكن لأحد من الملوك إذ دخل عليه بعض الجواسيس وقال أيها الملك العظيم الشأن الرفيع الأركان اعلم أن ملك الإسلام عبر الدروب ومعه عساكر عظيمة لم يجتمع لاحد مثلها من خلفاء المسلمين من قبله فلما سمع الملك ذلك التفت إلى

من حوله من الملوك وقال ما عندكم من الرأى نرحل ونلتقى خليفة المسلمين أو نتركه حتى يصل بالقرب منا ونلتقيه فان نصرنا المسيح عليه يكون بعيدا من بلاده وتكون عساكره قد تعبت وكلت وان نحن انكسرنا ونصروا المسلمين علينا نكون فى وسط بلادنا فنكاتب بلاد الروم ونجمع الامم ولا شك أنه ما دخل إلا لاخذ تار الامير عبد الوهاب وأمه ذات الهمه وبنى كلاب (قال الراوى) فلما سمعوا الملوك كلام الملك ميخائيل قالوا يا أيها الملك لقد أشرت بالصواب فعندها كتب إلى سائر الملوك الذين للنصرانية الغريبة من القسطنطونيه فاجتمع على باب البلد خلق لا تحصى بعد الرمل والحصى (قال الراوى) هذا ما جرى لاهل الروم (وأما ما كان) من الواثق بالله فانه رحل بعساكر الإسلام وقد لبس بردة النبي عليه الصلاة والسلام وقد اجتمع حوله أربعة آلاف مقرى وكان الواثق بالله مليح الصوره حسن الهيبه لطيف الشباب وقد أحدقت حوله العساكر من كل جانب وبين يديه الامير ظالم بن الامير عبدالوهاب والرايات تخفق على رأسه والقراء تقرأ بين يديه وكان فى زينة لم يرى مثلها المعتصم ولا من تقدم الخلفاء (قال) فلما نظر ظالم إلى هذه الجيوش واجتماعها بين يدى الواثق بالله ورأى ذلك الجمال الظاهر والزى الباهر وكان الى جانبه الامير أبو محمد البطال وحوله غلاميه يانس وجوهر فافتكر ظالم أبوه عبدالوهاب فجرت دمعته وزادت لوعته وتحسر على من فقد من اخوته (قال) فلما سمع الواثق بالله بكاء ظالم بكى وبكوا الناس وقد سمعوا منه ذكر الامير عبدالوهاب وذكر الاميره ذات الهمه وذكر أيام المعتصم ولم يزالوا سائرين حتى قربوا من الخليج فنصب الواثق بالله خيامه وأركز أعلامه وعلا قبابه ومد أطنابه فلما نظر ظالم إلى عساكر الروم ذكر والده عبد الوهاب وجدته ذات الهمه فبكى وأن واشتكى وأنشد يقول :

يا عين جودى بدمع منك منسكب ... وابكى لفقد أمير العجم والعرب
الاسود الابيض الافعال وفضله ... شهدت بمضمونه الاهلين والقرب
ولم يزل دائما فى الروم صولته ... حتى أباد ذوى الطغيان بالقضب
ونال من عقبة ما كان أبصره ... فى النوم حتى رأيناه على الحطب
كم سار من أجله البطال فى تعب ... وكم غدا خوفه فى ملكه يخب
ان الامير ومن قد كان يتبعه ... راحوا لجنات عدن خير مرتحب

(قال الراوى) فلما فرغ ظالم من شعره والنظام لم يبق أحد الا وشكى وبكى وان الروم لما نظرت الى عسكر الواثق داخل قلوبهم الفزع والجزع وقالوا لملوكهم وحق المسيح ان ملوك الروم جميعها ما أبصرت مثل هذا العسكر ولا جمع خليفة مثله

وان الأمير عبد الوهاب قط ما دخل الينا فى مثل هذا العسكر (قال الراوى) فعندها دخل البترك على الملك فلما رآه الملك عظم مكانه وأعلا شأنه وقال له يا أبونا لما لا تنتظر عساكر المسلمين وكيف قد دخلت الينا فى هذه الكثره فقال البترك أيها الملك وحق المسيح إننى أخشى على النصرانيه من هذه العساكر وأن يكون صلب عقبه ميشوم على النصرانيه والصواب إنك تكتب إلى أمير المسلمين وخليفتهم كتاب وتبصر مايرد الينا من الجواب ولا شك أنه يطلب تار الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمه وسادات بنى كلاب وقد أطاعه من الخلق مالم يطيع لأبيه ولا لغيره من الخلفاء والصواب أننا نكاتبه ونبصر ماعنده وإن طلب منا المال لانباشر حرب ولا نزال ونريح الناس فى هذه السنه من القتال وإن هو لم يطلب المال ولا يرضى إلا بالقتال قلدناه البغى ويعطى الله النصر لمن يشاء (قال الراوى) فلما سمع الملك ميخائيل كلام البترك علم أنه قد تكلم بالصواب والأمر الذى لا يعاب وهو قد عول على ذلك وإذا قد دخل عليه ملك البنادقة وهرمس وكانا ملكين عظيمين وكان الملك ميخائيل يخاف من هذا الملك ويكاتبه ويهاديه ولا يقدر على مخالفته لأنه جبار عظيم سيفه قبل كلامه فلما دخل على الملك والبترك عنده وهو يشير عليه بذلك الرأى فلما سمع هيرمس بذلك قامت عيناه فى أم رأسه وقال أيها البترك وحق المسيح لقد أشرت بكلام مافيه إلا عار على جميع النصرانية ووهن على أهل ماء المعموديه وأى عار وشنار أعظم من هذا أنه يقال أن الملك ميخائيل ملك ملة المسيحية وزن دية أقوام قتلوا فى الحرب وعند اختلاف الطعن والضرب وحق المسيح أنا وحدى بعساكرى أقاتل عساكر الاسلام وأوقع بهم الخذلان والانتقام لأنهم مالهم ثبات فى القتال ولا جلادة على النزال لأنهم ما كان لهم فلاح إلا بعبد الوهاب وعساكر بنى كلاب وذات الهمة والسودان الانجاب والآن فان الذين كانوا يعتمدون عليهم وهم كانوا يكسروا عساكر النصرانيه قد قتلوا ومالهم أحد يقوم مقامهم ومن الصواب أيها الملك أن تلقاهم ويعطى الله النصر لمن يشاء ودع عنك كلام البترك فان هذا الرجل ماهمته لقتال ولا نزال بل همته إلى صلاح الدين وقراءة الانجيل (قال الراوى) فلما سمع البترك كلام هيرمس ورأى جميع الملوك عولوا على رأيه قام مغضبا وفوض الأمور اليهم فعندها ضربت طبولهم ونادت المنادية برحيله وعول على لقاء العساكر الاسلامية ونظرت أيضا عساكر الاسلام إلى ماقد عولوا عليه عساكر الروم اللئام فضربت كؤسها وطبولها وعلت الرجال على متون خيلها وجردت نصولها واصطفت الرجال بين يدى الواثق بالله وقالوا الصواب أيها

المولى أن تنفذ الى ملك الروم وتقول له ان بيننا وبينه الخليج فاما أن يتأخر وراءه حتى نعبر اليه ونصير فى أرض واحدة أو نتأخر نحن الى وراءنا وهم يعبروا الينا (قال الراوى) فقال الواثق بالله هذا هو الصواب (ياساده) وكان ظالم قد تزوج ابنة هياج الكردى لأنها سلمت كما ذكرنا وكان اسمها الفيضاء ولما طلع الواثق بالله الى بلاد الروم كان قد رزق ولد سماه عبد الوهاب (قال الراوى) وان الواثق بعث الى ملك الروم رجلا يقال له علوان بن عامر وكان جليل القدر عالى الذكر فلما وصل الى ملك الروم استأذن عليه فى الدخول فأذن له فى الدخول فلما دخل عليه وهو فى سرادقه أعاد عليه الرسالة التى من عند أمير المؤمنين والملوك حضور فلما سمع الملك كلام علوان قال للملوك ما الذى عندكم من الرأى فقالوا الرأى ماتراه فقال هرمس الصواب أننا نعبر اليهم ولا يطؤا أرضنا ويكون المصامره منصوبة على حالها فان نحن كسرناهم فلا يضرنا من نصبهم شىء وان هم كسروناكانت المسامرة منصوبة لنا ونعبر الى هذا الجانب ونصير فى أرضنا والى بلادنا فقال له نعم ماأشرت به ثم قال لعلوان امضى الى صاحبك وقل له يرحل خلفه فنحن نعبر اليكم فعاد علوان الى الواثق وأعلمه بذلك الجواب فرحل الى وراءه ربع أفراسخ فلما علموا الروم بذلك أمر بنصب الجسور فنصبت على الخليج المعابر والطرق وعبروا الى جانب المسلمين وصاروا معهم فى أرض واحدة ثم ركب فى رجاله وجميع أبطاله وبطارقته وعمالقته وملوك النصرانية وقد لبسوا الزرد وتقلدوا بالسيوف والعمد وتاروا وقد لاح غبارهم للمسلمين على بعد وقد ارتفع الظلام وعلا القتام وهم كالليل الدامس والظلام العانس (قال الراوى) فعندها ركب الامام الواثق وزعق النقباء فى الرجال والأبطال ولبست عليها الدروع الثقال واعتقلوا بالرماح العوال وتقابلت الفئتان ورفعت الروم الصلبان عندها تأخرت الاسلام ونادوا باسم الملك العلام ورفعوا أصواتهم بتلاوة القرآن وحملت الرجال على الرجال وجاهدت المسلمين فى الروم ونادت السادات الانجاب بالتارات الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة سيدة الأعراب والسودان الانجاب وطاب الطعان والضراب ووقع الضرب خطأ وصواب وعظم الحزن والاعتياب وزاد البكاء والانتحاب وقد طلع الغبار الى المناخر وبلغت القلوب الحناجر ولا تبقى مجير ولا جاثر وزعقت الأتراك فأجابها كل بطل فتاك والتقت الشجعان وتصادمت الفتيان وعدمت الأقران وتأخر كل جبان ولم تزل الحرب دائمة والخلائق قائمة وقد جرى النجيع فهذا قتيل وهذا صريع وهذا جريح وهذا طريح ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ذهب النهار بضيائه

وأقبل الليل بظلمائه وباتوا الناس سكارى ومن الحرب حيارى وكانوا المسلمين رابحين ذلك اليوم بثباتهم الى القتال للكفار وقتلهم للفجار وقتل من المسلمين أربعمائة ومن المشركين أربعين ألف فلما رأى ملك الروم إلى ماقد جرى على أبطاله وثبات المسلمين فى ذلك اليوم علم أن كلام البطرك كان صحيح وانه أشار عليه بالرأى السديد فجمع الملوك إليه وقال لهم مارأيتم ما جرى علينا من المسلمين وثباتهم بين أيدينا ونحن كنا نقول مايحفظ المسلمين إلا الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب والسودان الأنجاب وأن الروم كانوا يفزعون منهم وقد ذهبوا ومانرى المسلمين إلا كل مالهم فى زيادة وأنتم فى نقصان وقد قتل منكم اليوم أضعاف ماقتل منهم ولقد كان الرأى مع أبونا البترك (قال الراوى) فلما سمعت الملوك كلام الملك ميخائيل قالوا أيها الملك اعلم أن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك وفى غد نبارزهم ونلتقط فرسانهم لأن فيهم من هو فارس مذكور ولانبقى لهم بطل مشهور فطيب قلبك وقر عينك (قال الراوى) فهذا ماجرى لهؤلاء وأما ما كان من الامام الواثق بالله فانه قال : أيها الناس رحمكم الله اعلموا أنكم كنتم اليوم رابحين بحمدالله تعالى وأنتم تعلمون ماجرى على إخوانكم المسلمين من هؤلاء الملاعين وكيف قتلوا منكم أبطال والصواب أنكم تنصحون فى القتال فى غد وقد فزتم بأخذ الثار وكشف العار من الكفار فلما سمعوا المسلمين كلامه قالوا يا أمير المؤمنين وحق من عمك بالنعم وخصك بالجود والكرم لنقاتلن بين يديك فى رضا بارىء النسم فطب نفساً وقر عيناً فسوف ترى منا رجال أجواد معودين للضرب والجلاد ثم تقدم ظالم وقال ياأمير المؤمنين سوف أبرز فى غد الى مقام الحرب وأطلب البراز وأفنى أقيالهم وشجعانهم وأتركهم كأمس مضى ففرح الواثق بالله بكلام ظالم واستدعى بالأمير أبو محمد البطال فلم يجده فسأل عنه فقالوا من يوم نزلنا على القسطنطونيه ما رأيناه ولا غلمانه (قال الراوى) وكان السبب فى غياب البطال وغلمانه لما نزل الواثق على الخليج قال البطال لغلمانه أنا بعد الأمير عبدالوهاب استدت فى وجهى الحيل ولم أدرى كيف اعمل والواثق وظالم مايمكن أن نتخلى عنهم وبعد عقبة وشومدرس ماأحد يعرفنا وأنا عزمت أن أعمل حيلة عسى أن نقلل فيها جمعهم فقالوا افعل مابدا لك وهانحن بين يديك فعندها تزيا بزى البطرك الذى للبنادقه وغلمانه بزى القسوس ومضى الى وادى يقال له وادى المسيح فان الروم تقول إن المسيح بارك عليه وفيه بيعة خراب فوصل أبو محمد وغلمانه عليها وعمروها وقعد فيها وكان الى جانبها صهريج يجتمع فيه الماء من المطر . هذا ما كان من البطال . وأما ما كان من الأمير ظالم فانه دخل على الواثق بالله وهو حيران من فقد

البطال فلما نظره الواثق تذكر أيام أبوه وجدته فجرت على خدوده دمعته وبكى أيضا ظالم وتذكر أيام المعتصم وعبد الوهاب وما كانوا يفعلوا فى الروم فعندها قال الواثق بالله هنيئا لهم عاشوا سعداء وماتوا شهداء وأما أنت أيها الأمير فوحق محمد خاتم النبيين انك عندى فى منزلة أبوك وأعز وقد جعلتك ياظالم أمير الأمراء وأنت متقدم على سائر العرب شرق وغرب فعندها قام ظالم وقبل الأرض بين يدى الواثق وقال نحن عبيدكم من قبل ومن بعد أعاذك الله من الشيطان الرجيم ففرحت الناس بتقدمة الامير ظالم على سائر الأمراء والعرب وباتوا فى أحسن حال وبالهم عند البطال فهذا ما كان من هؤلاء. وأما ما كان من ملك الروم فانه بات بأبشم مبيت لأن ملوكهم قتلت وعساكرهم فنيت فالتمت الملوك الذين تبقوا ودخلوا على الملك ميخائيل يشاوروه فيما يفعلوا مع المسلمين وقد استدت فى وجوههم الحيل وحار الملك كيف يعمل فهم فى المشورة والكلام واذا قد دخل عليهم البطرك الكبير فلما أن رأوه قاموا له على الأقدام وأجلسه الملك إلى جانبه وقال له ياأبونا أين أنت غائب عنا ماتبصر ايش صار فينا من هؤلاء المسلمين فقال الأمر تيسر ياأولادى أحدثكم بعجب ولكم فيه الصلاح والمسيح نظر اليكم فقالوا له وما العجب فقال له البطرك وأنا جاى وإياكم عديت على وادى المسيح فرأيت فيه بيعة من أيام هرقل وهى دائرة خراب فلما عديت عليها اليوم فوجدتها عمار فتقدمت اليها فلقيت ثلاث قسوس حواليها فسلمت عليهم وقلت لهم من أحيا هذا المكان فقالوا ياأبونا شيخ كبير من المعمرين وله من العمر مائة وعشرين من السنين وهو من بلاد الهراقله وأمره المسيح ببناء هذا الموضع فأتى وبناه وسكن فيه بأمر المسيح ومراده يجدد ويحى أجداده الهراقله لأنه عالم لايطاق فلما سمعت فيه هذا الكلام دخلت عليه مع التلاميذ فرأيته كالخلال من كثرة عبادته فلما نظر الى فلم يقدر يتزحزح من موضعه فقعدت عند رأسه وسألته فى بعض علوم فرأيته بحر لايخاض ولم يكون فى زماننا هذا من يضاهيه فى علمه إلا ان كان الشيخ النجيح الذى راح الى عند المسيح وهو بركة مصبوبة والرأى عندى أيها الملك أن تبطلوا غد الحرب وتقوموا معى بجمعكم ونسير اليه وندخل عليه وتقبلوا يديه وتطلبوا منه الدعاء والمساعده على المسلمين وهو يدبرنا لأنه رسول المسيح الى هذه الأرض وماهو قليل وأنا رأيت عنده العلم الراجح والشور الصالح فقالت الملوك لقد أشرت بالصواب وقاموا معه الملوك والملك ميخائيل فى أوائلهم وهو فرحان وأصبحوا خامدين بلا قتال وأقاموا الاسلام للامام وقد فرحوا بأخذ الراحة فى ذلك النهار وعادوا الى الخيام وأعلموا أمير المؤمنين فقال ماالذى أعاق هؤلاء

الملاعين وكانت الراحة لهم فى ذلك اليوم فرج قريب وكان ميخائيل قد سار مع البترك هو والملوك حتى وصلوا إلى البيعه ووادى المسيح فلقوا تلك البيعه قد عمرت وعمال البطال يقرأ فى الإنجيل وذلك بحلاوة وترتيل وغلمانه ترد عليه فسمعت الملوك هذه الأصوات المطربات فزادت منهم العبرات فقال البترك هذا الذى مجتهد فى عبادة المسيح ليلا ونهار فعندها تقدمت الملوك اليه ونزلوا وترامو على يديه وكان البطال كشفهم ولم يعتن بهم بل إنهم عمال فى قراءته وغلمانه ترد عليه فعندها قالت الملوك يا أبونا هذا الملك ميخائيل ملك الملة النصرانيه قد أتى اليك وهو واقف بين يديك لأنه مع المسلمين فى قتال عظيم ويطلب منك أن تسعفه بدعاك وهو ما جاء إلا ليطلب رضاك لأنه مقبول عند السيد المسيح وقد تقدم ميخائيل اليه وارتمى على يديه وجعل يقبلها وقال له يا أبونا أنت متقرب عند السيد المسيح وأنا مع هؤلاء المسلمين تعبان ومرادى منك النصرة فعندها تكلم البطال بصوت نحيف وقال لهم تموا هذه الليلة عندى إلى أن يجىء الليل لأن دعاء الليل مقبول وأنا أنجد لك المسيح والحواريين بتمكين وأخليك فى غد تروح تكسر المسلمين (قال الراوى) هذا وانه بعد كلامه للملك التفت البطال الى غلامه جوهر وغمزه بالعين وقال له امض وأعلم الأمير ظالم وخليه يجىء بالليل يأخذهم كلهم من هذا المحل وقعد البطال بعد ذلك يناظر البترك بعلوم حتى أخذ عقولهم وعظم قدره عندهم وباتوا عنده فى مذاكره ومنادمه وهو يفسر لهم فى الانجيل من كلامهم حتى أخذ عقول الملوك كلهم (وأما جوهر فانه وصل إلى عسكر المسلمين يلتقى الأمير ظالم على الحرس وهو دائر حول عساكر المسلمين فلما نظر الى جوهر وهو مقبل اليه فنهض اليه وهو مقبل عليه فعرفه جوهر حسه فلما حضر بين يديه قبل يديه فلما عرفه الأمير ظالم فرح به وسأله عن أستاذه فحكى له جوهر عن أبى محمد البطال وما فعل فى وادى المسيح وكيف تمت الحيلة وعنده الملوك جميع والملك ميخائيل والبترك الكبير وبعثنى اليك تأخذ معك رجال ونجيب الكل فى الحال فلما سمع ظالم هذا الكلام قال ان الله لا يعدمنا طلعة أبو محمد البطال سبع الاسلام وبعدها أخذ جوهر وسار الى عند أمير المؤمنين وعنده العلماء والفقهاء وأرباب الدولة وهم فى ذكر البطال وغيابه فهم على ذلك من الحديث وظالم داخل عليهم ومعه جوهر غلام البطال فنظر الواثق بالله الى جوهر فعرفه فقال له جوهر قال نعم يا أمير المؤمنين أدام الله أيامك والسنين قال وأين أبو محمد وما الذى غيبه عنا فقال جوهر يا أمير المؤمنين أستاذى ما غاب إلا فى مصالح المسلمين وخدمة أمير المؤمنين ورضا رب العالمين وحكى له بما فعل فى وادى المسيح وكيف الملوك عنده وأنا جئت الى الأمير

ظالم يأخذ معه رجال ويروح معى يجيبهم كلهم فى الحبال وقد تيسر الأمر والحال فلما سمع الواثق بالله فرح وأمر الأمير ظالم أن يأخذ معه ألف فارس ويسير مع جوهر قدامه هذا ما كان (وأما أبو محمد البطال) بعد ما سار جوهر قال للملوك ادخلوا الى عندى حتى نفتح الانجيل وأقعد اليه أنا والبترك نقرأ وندعى وأنتم تؤمنوا على دعانا ويعلم المسيح تضرعنا وشكوانا فينصرنا على المسلمين فقال الملك قلت الصواب ثم دخلوا الى البيعه الذى بناها البطال وأوقدوا فيها أربع قناديل وقدموا الانجيل وقال البطال للغلمان هاتوا لنا نأكل من بركة المسيح فجابوا له قراقيش يابسه وقصعه فيها موية وحطوهم قدامه فمد يده للقراقيش وادخرهم عنده لمثل هذا الأمر وثرد فى القصعه وقعد على اسم أنه يأكل وقال يا ملوك السواح المنقطعين هذا الذى جابوه ملة الحواريين فطلبوا منه بفمهم فتقدم القصعة لهم فتواقعوا عليها كلهم حتى صارت فى بطونهم وتمت الحيلة عليهم سواء فعمل معهم الدواء المسمى فى أوقاته شفاء ثم قعد على اسم أنه يقرأ لهم فما كان إلا ساعه حتى ارتج بتركهم لانه أكل أكثر منهم وأخذ منهم كأنه قتيل فطلع أبو محمد الى برا ينظر الى جوهر حتى كان وقت السحر إلا والخيل أقبلت وفى أوائلهم الأمير ظالم فتلقاه البطال وضمه فى صدره وقال هذه ضمة الأمير عبد الوهاب رحمة الله عليه وأبقاك فقال ظالم ما الذى فعلت يا عم فقال ادخل يا ولدى الى هذا المكان الذى فيه القناديل ترى العجب فدخل الى المذبح يلاقى الملوك مطرحه مثل الغنم فحار ظالم وقال والله يا عمى ماكأنهم إلا ممتثلين أمرك والا من يقدر يفعل فى مثل هذه الملوك هذه الفعال فقال أبو محمد يا ولدى والله لولا فقد أبوك وجدتك هو الذى غير أحوالى وإلا ماكنت خليت هؤلاء الملاعين يقفوا قدامك يوم واحد ولكن يا ولدى خذ دوله وروح بهم الى عند الواثق بالله وأنا معول أن أسير الى عسكر الروم وأحوجهم أن يقطعوا الجسور التى على الخليج فاذا تم لى هذا الأمر كان الفرج الأكبر فعندها أخذ الأمير ظالم الملوك ورجع بهم طالب عسكر الاسلام وهو فرحان وأما الأمير محمد البطال لما سار ظالم بالملوك قصد البطال الى عسكر الروم ودخل عليهم وغلمانه قدامه بهذا الزى وهو عمال يقرأ الانجيل حتى صار فى وسط العسكر والناس يهرعون اليه ويقعوا عليه ويقبلوا يديه ولم يزل حتى وصل إلى سرادق الملك ميخائيل وكان الملك لما راح استخلف أخوه ميلاص موضعه فلما وصل ميلاص إلى أبو محمد البطال وحسن شيبته وطيب تلاوته فى الانجيل نهض له قائماً على الأقدام وصار يقبل يديه وكانوا أعلموه أنه راهب بلاد الملاقطه فقالو له يا أبونا وأين الملك والملوك

فقال أبو محمد إنى تركتهم فى بيت الدعاء يدعون على المسلمين وقد سألت المسيح أن يقبل دعاءهم أجمعين وقد جئت اليك أوصيك بكل ما أوصانى به المسيح من أخذ ثأر الشيخ النجيح (يا ساده) فقال ميلاص بماذا أوصاك يا أبونا فقال له اذا كان فى غد أأمر العساكر بالركوب وأقطع الجسر الذى للخليج حتى لا يحدث أحدا نفسه منهم بالهروب وقد نصرتم على المسلمين و بلغتم المطلوب (ياسادة ياكرام) فلما سمع ميلاص كلام أبو محمد البطال قال ياأبونا سمعاً وطاعه فيما تقوله من المقال ثم انه فى عاجل الحال أمر من حوله من الرجال أن يقطعوا الجسر الذى على الخليج قبل أن تشرع الناس فى القتال . هذا وقد أمر ميلاص النقباء أن تنادى فى العساكر بأخذ الأهبة للقتال من قدامهم من تلك الدساكر ويكون ذلك فى غداة غد فان الملوك والملك ميخائيل ومن معه من الخواص أجمعين كلهم فى دير الدعاء يدعوا على المسلمين (ياساده ياكرام) فعند سماع هذا الكلام أخذت الروم أهبتها للقتال واستعدوا للحرب والنزال هذا وقد أفرد ميلاص لأبو محمد البطال خيمة عظيمة ونقل إليها كل كل مايحتاج اليه ولما تم لأبو محمد البطال كل ماقد عزم عليه التفت إلى غلامه جوهر وقال له امضى الى عند الأمير ظالم وأعلمه بما صار من هذا الخبر وقل له اذا كان فى غداة غدا أأمر العساكر أن تبادر الى الحرب والقتال ويجردوا فى أيديهم النصال ويشهروا الملوك الى بين الصفين ويضربوا رقابهم بين الفريقين حتى انهم اذا عاينوا ملوكهم عند ضرب رقابهم تنحل عزائمهم وتنقطع أسبابهم وتنكسر قلوبهم ويبطل حرابهم وأنا قد أمرتهم بقطع الجسر الذى يعبروا عليه وقد يقعوا بين أمرين خطرين أى من وقف قتل وأى من هرب غرق وقد تخلصتم منهم كرة واحدة (ياسادة ياكرام) فمضى جوهر طالب عساكر الاسلام وقد ستر عليه الملك العلام وكان ظالم بعد مفارقته لأبو محمد البطال ومعه الملوك أهل الضلال فانه وصل الى عسكر الاسلام بالملوك وهم على ذلك الحال لايعقلوا على أنفسهم مما قد جرى عليهم فأحضرهم بين يدى أمير المؤمنين فلما نظراليهم قال من هؤلاء فقال ظالم هؤلاء ملوك الروم كلهم قد عمل عليهم الامير أبومحمد البطال وأوقعهم فى شبكة الاحتيال وأخذهم بها كلهم وأرسلهم معى فى الاحتيال (ياساده) فقال الواثق بالله وقد حار عقله وتحير فكره من هذه الاعمال وقال والله ان هذا ماهو إلا تأييد ربانى أيد الله به هذا الامير أبومحمد البطال ثم أمر أن يعمل فى أرجلهم القيود والأغلال وهم لا يعقلون على أنفسهم بحال من الأحوال (قال الراوى) فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وصل

اليهم جوهر وأعاد على الأمير ظالم جميع ماجرى من الخبر وقال ياأمير ان مولاى الأمير أبو محمد البطال يقول لك اذا أصبحتم أأمر العساكز أن تركب وتحطم الروم وتجد فى القتال فان ما بقى لهم عبور إلى نحو القسطنطونية بعدهذا الحال واحتفظ بالبترك ولا تفرط فيه وقت ذهابهم وأما الملوك فاضرب رقابهم عن آخرهم قدام أصحابهم (قال الراوى) فعندها أمر الأمير ظالم لجميع العساكر بالحملة على الروم وتستعينوا عليهم بالحى القيوم فركبت العساكر كلها عن بكرة أبيها ودقت الكؤسات ونعرت البوقات ونشرت الأعلام والرايات وتقدمت الرجال الكرام وتأخرت الأوباش اللئام وركبت فى ذلك الوقت عساكر الاروام وكان ظنها أن ملوكها فى الدير الذى فى وادى المسيح يدعوا على المسلمين فى ذلك المقام (ياسادة) هذا ما جرى من أمر العساكر وحملتهم (وأما ما كان) من أمر الملوك وقصتهم فانهم أفاقوا مما هم فيه من ذلك الامر المعهود ورأوا أنفسهم فى الاغلال والقيود فعلمو أن الحيلة قد تمت عليهم ووصلت الأذية اليهم وإن ما بقى لهم من أيدى المسلمين خلاص ولا مناص فلاموا البترك على ذلك وقالوا له لقد أشرت علينا برأى ميشوم نشرب به كأس المهالك والحموم ويكون فيه إتلافنا وفساد أحوالنا فقال البترك وحق المسيح ومريحنا ماعلمت أن هذا الشيطان أبو محمد البطال إلى الآن فى الحياة بل قلت إنه هلك مع من هلك وشرب كاس فناه وإلا ما كنت فرطت فى روحى وأرواحكم معى وحق المسيح ماهو إلا فى عسكر الروم يدبر عليهم حيلة أخرى (ياساده ياكرام) فبقت الملوك حائرة وعقولهم على العساكر طائرة وعلموا أنهم هالكين فى هذه النوبه لامحالة فعندها تقدم اليهم الأمير ظالم وقال لهم ياكلاب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية قد أهلكم الله تعالى بكفركم وأخذكم على غرة منكم والله لآخذن منكم فى هذا اليوم بتار الأمير عبد الوهاب وجدتى الأميرة ذات الهمه أميرة بنى كلاب وأيضا آخذ بتار من فقد معهم من الأصحاب ثم إنه (ياساده) أمر بهم أن يقدموا إلى بين الصفين وأن يشهروهم بين الفريقين وأمر أن ينادى عليهم يامعاشر الروم الملاعين انظروا إلى ملوككم كيف قد وقعوا فى أيدينا أجمعين وكيف نأخذ منهم بتار المسلمين ثم انه أمر بتقدمتهم واحد بعدواحد وصار يضرب رقابهم ويصيح هذا فى سبيل الله الملك الماجد ويقول بالتارات الأمير عبد الوهاب وذات الهمة أميرة بنى كلاب وكان آخر من ضربت رقبته الملك ميخائيل ولم يتأخر منهم لا كثير ولا قليل غير البترك الحقير الذليل وذلك امتثالا لأمر الأمير

أبو محمد البطال فانه مطيعا له فى المقال (ياساده) فلما نظرت الروم إلى ملوكهم وقد قتلوا عن آخرهم فصلبوا على وجوههم وحملوا على المسلمين حملة رجل واحد ووقع القتال وعظم الحرب والنزال واشتدت الأهوال وتراشقوا بالنبال وتضاربوا بالصقال وجرى الدم وسال وصاحت المسلمين بالتارات الأمير عبد الوهاب وأمراء بنى كلاب السادة الأنجاب ولم يزل الحرب والقتال قائم والطعن والضرب دائم هذا والمسلمين قد كشفت رؤوسها وذكرت اسم مليكها وقدوسها وجدت فى القتال والحرب والنزال وأعانها الله عز وجل على أهل الكفر والضلال ولم تزال الطائفتين على ذلك الحال وهم فى إدبار وإقبال إلى أن حان وقت الزوال فولت ذلك الوقت عساكر الروم وكان عليهم يوم ميشوم ووقت مذموم وطلبوا الفرار وولوا الأدبار وطلب كل واحد منهم هواه واشتغل بنفسه عن سواه وكل منهم التهى بما قد عناه وعمل السيف فيهم عمل الحريق وصار الضرب فى رؤسهم مثل حجارة المنجنيق ثم إنهم طلبوا إلى ناحية القسطنطونية والمسلمين يلتقطوهم بالطعن بالرماح السمهريه والسيوف المشرفية والحراب الخطيه ولم يزالوا فى أعقابهم إلى أن رموا أنفسهم الى الخليج وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وصاروا فى أمر مريج فكانوا بين أسير وحقير وقتيل وغريق ومحيق وجديل وبعد ذلك انحلت نار الحرب وبطل الطعن والضرب وكان جملة من قتل فى ذلك اليوم من الروم الملاعين ثلاثين ألف وأسر عشرة آلاف وداست الخيل عشرة آلاف وغرق فى الخليج خمسين ألف من غير خلاف فكان جملة من عدم من الروم فى ذلك اليوم العابس فكانوا مائة ألف فارس (قال الراوى) وبعد ذلك اجتمع الأمير ظالم هو ومن معه من خواص الرجال مع الأمير أبو محمد البطال وشكروه على تلك الأعمال ثم أنهم حضروا بين يدى أمير المؤمنين الامام الواثق بالله فتشكر له وقال له يا أبو محمد لاعدمتك فرسان الاسلام ولا أخلا الله من همتك الرجال الكرام ولا عدموا طلعتك وعزيمتك إلا بعد سنين وأعوام فإنك والله نعم الذخيرة بين الأنام فوحق تربة أبائى وأجدادى الكرام لقد أوحشتنى واذا حضرت يحل علينا الاكرام فلاكان يوم لا نراك فيه فوالله ما لنا عيش يطيب بلاك ولم يكن نشتهيه ولا نبتهج إلا بالنظر الى طلعتك وليس لنا غنى عن رؤيتك (ياساده) ففرح الأمير أبو محمد البطال بماسمعه من أمير المؤمنين من ذلك المقال ثم بعد ذلك قال الأمير ظالم للواثق بالله ياأمير المؤمنين ما الذى نصنع بهؤلاء الأسارى وما تفعل فى عذابهم فقال من الرأى والصواب أن نضرب رقابهم فضرب رقاب الجميع ولم يدع منهم لا رفيع ولا وضيع

وأمر أمير المؤمنين أن يبنوا من رؤسهم موادن فبنوا المسلمين منهم اثنا عشر مأذنة وأذنت فوقها المؤذنون وفرحت بذلك المؤمنين وذكرت الرواة فيما نقلوه من الدواوين أن هذه الواقعة تذكر إلى آخر الزمان مارأى أحدا مثلها فى ذلك الأوان (قال الراوى) لهذا الديوان على أن ما سلم من تلك الواقعة إلا الملك ميلاص ومعه جماعة قليلة من الخواص وعبر فى شختور ووصل إلى القسطنطينية بعد أن قتل كل من خرج منها وحلت بهم الرزية ولم يسلم منهم لا كثير ولا قليل ووقع فيها عند وصولهم البكاء والعويل (قال الراوى) وبعد انقضاء تلك الأحوال نزل أمير المؤمنين الواثق بالله وهو فرحان بما كان من هذه الأعمال وبالنصر الذى خصه الله به على أهل الكفر والضلال وقد لبس بردة رسول الله عليه الصلاة والسلام وتعمم بفاضل عمامته وقالت بين يديه القراء والفقهاء والعلماء وخواص الناس وأحضروا بعد ذلك البترك الخناس وقال له أمير المؤمنين الواثق بالله ويلك يا ملعون لأى شىء جسرت ملوك الروم على الغزو الينا ولم تأمرهم بالقعود عنا وحذرتهم جانبنا وخوفتهم من سطوتنا لكون انك مسموع القول والكلام عندهم فلم لا كنت عن ذلك الأمر تردهم وتنهاهم لأنك أنت الذى كنت السبب فى الصلح والهدنة وحلفت لنا على ذلك فلم لا أمرت الروم بوفاء العهود والمواثيق مع المسلمين وأنا وحرمت أبائى وأجدادى الطاهرين والأئمة الصالحين لو لا هذا الامير أبو محمد البطال قد أذم لك لكنت فى هذا الوقت ضربت رقبتك (ياساده) فقال البترك يا أمير المؤمنين لم تزل تعفوا عن المسيئين وهذا هو المعهود من آبائك الراشدين وما يكون المحسن محسن حتى يكون محسن لمن أساء اليه فقبل الواثق منه ذلك المقال وقبل فيه شفاعة أبو محمد البطال (ياساده) هذا جرى لهؤلاء من الأحوال (وأما ما كان) من الملك ميلاص وتخلفه على أهل الكفر والضلال فانه لما جلس على سرير ملكه واستقر به القرار ودارت من حوله عصابة الكفار فانه أقبل على من تبقى من خوص الدولة وأكابر المملكه وقال لهم ما تروا فى هذا الامر الذى جرى وهذا الحديث الذى قدره المسيح علينا وطرى فقالوا له من الرأى والصواب أن تكتب الى خليفة المسلمين كتابا وتحسن معه فيه الخطاب حتى أنه يرجع الى بلاده ونكتفى شره وشر أجناده وبعد ذلك ندبر أنفسنا بما نراه لانك تعلم أن ملوك الروم قد فنيوا وقتلوا وهذه كسرة قد جرت للروم لم يرى مثلها أحدا لا قبلها ولا بعدها لأن المسلمين كانوا فيما مضى اذا ظفروا بنا نفدى أرواحنا منهم بالاموال ولا يقتلوا منا أحد من الرجال والآن فقد أخذوا المسلمين تارهم وبلغوا من أهل ملة النصرانية مآربهم وقتلوا ملوكنا وعساكرنا وتقووا فى هذه الكرة علينا الا أنك تردهم بحسن التدبير الى أن تنفذ

إلى الأقاليم الذى قتلت ملوكها وتأمرهم كل من كان له ولد يجلس مكان أبيه ومن لم يكن له ولد ينصبوا امكانه من يترضوا عنه أهل اقليمه وأرضه وتطيعك الملوك وتتأيد مملكتك وبعد ذلك افعل ما تريد وما تقضيه مقدرتك وان لم تفعل ذلك كان علينا العار والذل والشنار وهلكنا كلنا عن آخرنا وهذا رأينا نحن وإن كان عند الملك رأى غير هذا فيقوله حتى اننا نمتثله ونعمل به (ياساده ياكرام) فلما سمع الملك ميلاص كلامهم وفهم ماقالوه من أحكامهم رآه صواب وأمر فى ذلك الوقت باحضار قاصد وأمر أن يكتب له كتاب وأن يحسن فيه كما ذكرنا الخطاب وكان ذلك تملقاً من النصارى وعدوان وما فعلوه إلا زور وبهتان (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء من الأحكام ومن الكلام الذى سار ومادبروا من الهذيان . وأما ما كان من عسكر أهل الايمان فانهم لما نصرهم الله العزيز الرحمن الكريم المنان على أهل الكفر والطغيان ورجعوا إلى بلادهم بالامان والاطمئنان وجلس الخليفة الواثق بالله على كرسى مملكته ودار عزه ومحل مرتبته وحضرت بين يديه الأمراء والوزراء والحجاب والنياب وانحفل المجلس بمن له عادة أوكلام أو بخطاب مثل الأمير أبو محمد البطال والأمير ظالم ابن عبد الوهاب ومثل الحكيم طيبون من كان له فى كل علم فنون ومثل مارس ودارس ومثل الأمير يانس المتعذب رحمة الله عليهم أجمعين ومن ينسب اليهم من المسلمين الموحدين (قال الراوى) فبينما هم على ماهم فيه من الكلام والخطاب وإذ أقبل عليهم قاصد الملك الذى ذكرناه بالكتاب فاستأذن لما رأى ذلك المحفل فأذن له أمير المؤمنين الواثق بالله فلما دخل قبل الأرض وتأمل فى ذلك المجلس طولا وعرض فرأى مجلس ما عاين مثله ولا سبق لمن قبله شكله وفى مثل ذلك أنشد بعضهم :

هى البكر لم تنكح بماء سحابة ... ولا عصرت يوماً برجل ولا يد
ولا عبث القسوس يوماً بكاسها ... ولا قربوا من دنها نفس ملحد
ولا نص فى تحريمها عند مالك ... ولا قتل عند الشافعى وأحمد
ولا أثبت النعمان تنجيس عينها ... فخذها بعقل بالكرامة واهتدى
وكفكف لهم بالفهم واسترح ... ولا تطرح يوم السرور الى غد

(قال الراوى) فلما دخل القاصد إلى أمير المؤمنين وحياه بتحية الملوك والسلاطين بعد أن قبل الأرض ومد يده بالكتاب فأخذه منه بعض الحجاب وناوله الى الوزير وكان ذو سياسة وتدبير ففضه وقرأه وتأمل معناه وإذا فيه يقول : يا أمير المؤمنين احقن الدماء بين الفريقين واتبع سنة آبائك الراشدين وقدر علينا فى كل سنة ما شئت

مثل الملوك الماضين وتكون الهدنة بيننا وبينكم أربع سنين (ياساده) فلما سمع ذلك أمير المؤمنين التفت الى من حوله من الحاضرين ممن ذكرناهم من أمراء المسلمين وقال لهم ماتقولوا فى هذا القول الذى قاله ملك الروم وماذا يحمل من الأموال فى كل عام وماهو القدر الذى يعجلوه فى هذه الأيام فأطرقوا جميعاً رؤوسهم الى الأرض ولم يتكلموا فقال لهم أمير المؤمنين يتكلم كل منكم بما عنده من الكلام ولا يخشى لوم ولا ملام فانى ما جمعتكم إلا لمثل هذه الأحكام فجعل كل منهم يتكلم على قدر ما يراه وماتصل اليه معرفته وذكاه ومنهم من قال أرسل اليه وقل له يزن الجزية والمال وإلا نسير اليه بعساكر ورجال وتكلم بعد ذلك كل منهم بخطاب وبما يليق به من ذوى الألباب فعندها قام الأمير أبو محمد البطال وقبل الأرض بين يدى الامام الواثق بالله وقال يا أمير المؤمنين أيدك الله بالنصر والتمكين ورحم آبائك وأجدادك الخلفاء الراشدين بجاه سيدنا محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين اعلم يا أمير المؤمنين أن مرجع هذا الأمر اليك ومعوله بعد الله عليك والى رأيك السعيد فاننا كنا نرى ذلك من الخليفة المعتصم بالله ومن أبيه الرشيد فليس منا من يصل الى عقلك وفهمك الصائب وهو شئ ورثته من آبائك وأجدادك والغرايب وهم كابر عن كابر فمنك الأمر ومنا السمع والطاعه (قال الراوى) فعندها قال الواثق بالله يا أبو محمد جزاك الله عن الاسلام كل خير ولكن لم يخلق الله عزوجل لا أعقل ولا أفضل ولا أجمل من سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنزل عليه فى محكم كتابه العزيز « وشاورهم فى الأمر» فاذا عزمت فتوكل على الله فان الذى ثبت عندى من الخبر والعيان انك يا أبو محمد نتيجة هذا العصر والزمان وفى رأيك الخير والبركه فانك موفق بحمد الله فى جميع ماتأتى به من الأمر والحركه وانك ماتزال مفرج الكرب عن الاسلام والمسلمين ولا سيما من أيام الأمراء رحمة الله عليهم وعلى أمير المؤمنين لما سعيت فى خلاصى مما فعلوه فى حق عقبة وشومدرس الملاعين فقل ماعندك فانى أعرف فضيلتك وان لك لسان كأنه سنان (قال) فعند ذلك قام أبو محمد وقبل الأرض مراراً وقال مدحك لى يا امام تفضلا منك وإنعام وتخلقا بالكتاب العزيز وبالنبى عليه الصلاة والسلام فان الله تعالى مدح عباده حيث قال: (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) وذلك تفضلا منك وإنعاماً وتبجلا وإكراما وحيث أذن لى أمير المؤمنين فى الكلام فأقول: اللهم ألهمنى الصواب ووفقنى فى القول والعمل مع ان رأى أمير المؤمنين أعلا

لأنه كما قال فيه بعض واصفيه هذه الأبيات : —

يغنيه ثاقب رأيه أن يقتدى بمقصر أو أن يكون منجما
فالرشد من عند الأئمة مرتجى وبهم نعاين رشدنا بعد العما
إن الامام له توقد خاطر قد قام فيه كل من تحت السما

ثم قال أبو محمد البطال : الذى عندى من الرأى ياأمير المؤمنين أن ترد هذا الرسول بعنف وتقصد بعد ذلك القسطنطونيه ونفتحها فان ما بقى فيها من يذكر بشجاعة ولا براعة ولا من يرتب حيلة نخافه وقد قطع الله من كان يؤذى المسلمين ويرتب الحيل التى لاتهتدى اليها العقول وهو عقبة الكافر اللعين ابن اللعين الداخل فى كل دين وتجعل يامولانا طريقك على المحل الذين استشهدوا فيه الأمراء رحمة الله تعالى وعلى من مضى من أموات المسلمين يارب العالمين وتأخذ جثثهم تدفنها وتجعل عليهم مزاراً وتحاصر أهل القسطنطونيه وإن نزلوا قاتلناهم وان لم ينزلوا عليك أنا أفتح القسطنطونيه بالحيلة ونجعلها إن شاء الله تعالى دار الاسلام ويكون نائبك فيها الأمير ظالم وتعمر الجامع الذى كان أنشاه الأمير مسلمة وتولى بعد ذلك أولاد الملوك مواضع آبائهم ونرتب عليهم أضعاف ما سألوا فيه وإلا ياأمير المؤمنين إن أجبتهم إلى ما سألوا فيه قويت شوكتهم واجتمعت كلمتهم وغدروا وربما أتاهم من يرتب لهم الحيل ونكون نحن آمنين من جانبهم لأننا نقول قد أذهب الله عن المسلمين عقبه ومطرون وشومدرس المفتون فتنفذ حيلة المحتال فان الدهر يبدى العجائب وأهل الشر أكثر من أهل الخير وربما يأتى من هو أشر ممن ذكرنا وهذا ماعندى والسلام (قال الراوى) فلما فرغ أبو محمد من هذا المقال تهلل وجه أمير المؤمنين بالفرح والسرور وقال لله درك ياأبا محمد لقد نطقت بما فى ضميرى ثم أمر باحضار القاصد وقال له ارجع الى من أرسلك وقل إن كنت تريد النجاة بنفسك فاذهب من القسطنطونيه بجميع عساكرك فانى سأجعلها إن شاء الله تعالى دار إسلام أو تسلم ونجعلك ملكها وأترك لك مالها فى هذا العام وإن أبيت ذلك فلا تعد إلا انك هالك ثم قال للرسول لولا غرضى إيصال الكلام لوشحتك بهذا الحسام (قال الراوى) فلما سمع القاصد هذا الخطاب والتوبيخ نهض قائما وهو يتعثر فى أذياله وركب جواده وذهب الى القسطنطونيه وهو ذاهل العقل مثل المجنون ودخل على الملك وقص عليه القصة من أولها الى آخرها فلما سمع ذلك غضب غضبا شديدا وكان فى حضرته البطرك فالتفت اليه وقال له ماتقول يا أبونا فقال ماالذى أقول رحمة المسيح على الشيخ النجيح

فقد كان فى مثل هذا له رأى وتدبير ولكن أيها الملك السعيد أرسل الكتب على أجنحة الطيور الى البلاد التى قتلت ملوكها وفى الكتب البدار البدار لأخذ التار فان خليفة المسلمين فى جمع قليل وأنا أكتب بخطى بعد ذلك من لم يحضر فى هذه الغزاة أخرجته من دين النصرانية (قال الراوى) فعند ذلك أمر الملك من وقته وساعته أن يكتبوا الكتب فكتبت وعلقت على أجنحة الطيور وأرسلت فلم يأتى المساء إلا وكل طائر نزل برجه فأخذه البراج وفك ما على جناحه وأتى به الى الملك واستأذن عليه فى الدخول فأذن له فدخل وسلم الكتاب الى وزير الملك ففرح وقال سمعا وطاعه لملك الملوك ولأبينا البطرك وكذا حصل لكل الملوك ونادى كل منهم فى عساكره بأخذ الأهبة للرحيل هذا جرى لهم . وأما ما كان من أمير المؤمنين الواثق بالله فانه أمر العساكر بالمسير الى الغار الذى دخلت الأمراء فيه على أن يبنى عليهم المزارات ويدفن جثثهم فيها ويحبس عليهم أقطاع فسارت العساكر تتلو بعضها بعضا وكان ظالم فى أوائل القوم فلما نظر الى الغار لم يتمالك أن يثبت على الفرس بل صرخ وسقط على الأرض مغشيا عليه فوقفت جميع العساكر عن المسير فلما أفاق بكى وانتحب فبكت الناس لبكائه ثم مزق ما كان عليه من لباسه وحث التراب على رأسه وأنشد وجعل يقول :

مصاب الناس بعد مصيبتى ... لفقد آبائى وصحبى وجدتى
كراماً إذا ما الضيف حلّ بأرضهم ... وشجعان يحموا الناس يوم كريهة
فلا كان يوما فيه صلبا لعقبة ... لقد كان ميشوما لكل الخليقة

(قال الراوى) فلما سمعت الناس من ظالم هذا النظام فلم يبق قلباً إلا أحرقه ولا فؤاد إلا مزقه ثم غشى عليه ساعة وأفاق وقد غير القافيه وأنشد وجعل يقول :

فوا أسفا كيف شط المزار ... وأحرمنا البين أن نلتق
فياليت يوم النوى لم يكن ... وليت التباعد لم يخلق
لقد أحرق الشوق منى الفؤاد ... وشيب يوم النوى مفرقى
فعيشى من بعدكم لا يطيب ... وقلبى لبعدكمو قد شقى

(قال الراوى) ثم ان أبو محمد البطال بكى حتى بل لحيته وبكى كل من كان حاضر وقد أنشد وجعل يقول :

ديار من الأحباب أصبحت قفرة ... فليس بها إلا الظبا والتنافر
وقد أقفرت بعد الأنيس وأوحشت ... منازلها من أهلها والمعاطر

يذكرنى دهرى زمان أحبتى ... فتجرى دموعى سرعة كالمواطر
وأبكى على فقد الأمير وأمه ... فأبكى وتبكى أهله والعشائر
لقد كان فى يوم الكريهة صابراً ... وعند اللقا فى نفعها المتواتر
فيقتل جميع المشركين بسيفه ... إذا اصطدمت يوما جميع العساكر
ألا يا أميراً كان يحمى جنوده ... إذا جالت الأعدا بحد البواتر
مضى وانقضى حتى كأن لم يكن لنا ... بحام ولم نعقد عليه خناصر
وتبكى عليه الخيل حرقا مع القنا ... فتبكيه حتماً بالدموع البوادر
ألا فاندبوا تلك الأميرة إنها ... يحق لها حزناً يشق المرائر
أذلهمة ما كنت أحسب أن ذا ... يكون ولا يجرى به حكم قادر
فمن بعدها يحمى الديار إذا أتت ... خيول الأعادى غيرة بالبواتر
ومن بعدها يحمى الحريم ويحتمى ... ومن بعدها يحمى النساء الحرائر
سلام من الوسمى كل سحابة ... ويروى ثراهم سائل الرزق ماطر

(قال الراوى) وأما الحكيم طيبون فانه أجرى الدموع من العيون وأنشد من فؤاد محزون وجعل يقول

لا تعتب الدهر يطول العتاب ... لأنه من طبعه الانقلاب
يفرق الشمل على غفلة ... ويترك الأربع قفار خراب
ويفجع القلب بأحبابه ... ودأبه بعد النعيم العذاب
يا منزل الأحباب أين الذى ... فيك الفنا من زمان الشباب
أين مضى جيراننا بعدنا ... أين خيام القوم أين القباب
كانو رجالا فى ملماتنا ... فانقطع اليوم رجانا وخاب
وهذه أملاكهم بعدهم ... خالية وهى خراب يباب
تبكى عليهم وإذا قصرت ... صبحها بالنوح صوت الغراب
وكل ما مر بها سائر ... يبكى على من كان فيها وغاب
فيا جميع الناس نوحوا معى ... وابكوا لعل الدمع يروى التراب
لأن من فارق أحبابه ... يبكى على آثارهم بانتحاب

(قال الراوى) وأما أمير المؤمنين الواثق بالله لما سمع هذا الانشاد من السادة الأجواد بكى بكاء شديداً وكفكفت عبرته وتباكت الناس وكان ذلك اليوم كأنه يوم القيامة أصاب الناس على الأمراء ونزل أمير المؤمنين فى ذلك الموضع وأشعلوا

الضوء وقد قال لهم أمير المؤمنين قدموا هذه الاتراك والاعراب وكفنوا الاموات فى هذه الاثواب وضعوهم فى هذه المخمات كل ذلك من خوفه على ظالم لانه لا يطيق النظر إلى جثثهم فساروا إلى الغار ودخلوا فيه وكان الغار يمشى فيه نحو فرسخ فمشوا الناس والأمراء فى أوائلهم الى آخره فلم يجدوا فيه شيئا فخرجوا ودخلوا على أمير المؤمنين وأعلموه بذلك (قال الراوى) فلما سمع أمير المؤمنين كلامهم فتشوش خاطره فبينما هو كذلك إذ دخل عليه الامير ظالم وهو باكى العينين حزين القلب فلما دخل تحرك له أمير المؤمنين وترحب به وقال ما الذى أتى بك أيها الامير وما حالك فانى أرى بك كآبة فقال له الامير ظالم أصلح الله أمير المؤمنين بينما أنا فى المنام إذ رأيت شخصاً يقول لى يا ظالم أبشر فقد آن الاجتماع بالاحباب وذلك مسطر فى الكتاب فاشكر على ذلك رب الارباب ومعتق الرقاب وقم من ساعتك هذه وادخل على أمير المؤمنين فبعزمه تنال المطلوب ثم استيقظت من منامى وأنا مرعوب فما أدرى هذا الاجتماع هل هو فى الآخرة وتفسيره أن يكون قد دنا أجلى أو الحياة ويكون قلبى خلى ثم خنقته العبرة حتى أبكى كل من كان حاضراً ثم رجع إلى طبع العرب فأنشد يقول هذه الابيات

رأيت مناما قد أهاج بلابلى ... فجدد أحزانى وقلبى باكيا
وقد قال لى أبشر بجمع محبة ... فكن شاكراً لله أيضاً وداعيا
وقم سرعة نحو الخليفة إنه ... بهمته تأتى الامور كما هيا
فلم أدر هذا الاجتماع يكون لى ... بفرقة هذه الدار أم فى حياتيا

(قال الراوى) فلما سمع ذلك أمير المؤمنين الواثق بالله بكا وكفكفت عبرته وقال الله تعالى يصبر قلبك أيها الامير والله لو كان من دون الوصول اليهم ذهاب الارواح والاموال لكنا أول الباذلين غير أن الذى حصل لك من اشتغال خاطرك وهل اننا نقوى عزمنا ما الذى نفعل لو كان سفرا بعيدا أو أمرا شديدا لهان علينا ولكن الاجتماع فى الآخرة يكون ثم قال علىّ بالبطال فلم تكن غير ساعة حتى حضر وقبل الارض وتأخر وقال خير يا أمير المؤمنين يكون إن شاء الله تعالى (قال) فأخبره أمير المؤمنين بما ذكر الامير ظالم وقص عليه المنام الذى رآه ظالم وكيف لم يجدوا فى الغار شيئا من جثث الامراء فقال يا مولاى لا يخلو الحال من أمور اما أن يكون بعد مضى العسكر انحل الثلج ودخلت الوحوش فأجمعت جثثهم ثم أكلتهم فى الغابات أو رجعت الروم وأخذوهم أحياء أو أموات فقال الامام الواثق بالله قد ضاق صدرى حتى لو رأيت من يخبرنى عنهم لأعطيته

أمنيته فقال الأمير أبو محمد البطال يا أمير المؤمنين علمت أنهم فى أقصى البلاد لسعيت اليهم ولو كان فيه هلاك روحى ولكن هنا الحكيم طيبون وهو عارف بعلم النجوم فاعرض عليه هذا الأمر فعسى يخبرك بما يعلمه من علمه فقال الواثق علىّ به (قال الراوى) ولم يكن شيئاً مما ظنه البطال لكن لهم حديث عجيب ونحب أن نذكره على الترتيب (قال الراوى) فلما حضر طيبون بين يدى الواثق بالله سلم وخدم فقربه الامام الواثق وقال له أخبرت أنك تعلم علم النجوم وقد دخل على قلبى من جهة فقد الأمراء ما الموت دونه فعسى أن يكون عندك ما يفرج ما بى فقال يا مولاى نحن من أمرنا على عجل وهذا الأمر الذى تريده فلا يمكن أن أحصله إلا فى أيام وذلك أن الأمير عبد الوهاب لما علم منى أنى أعلم علم النجوم فذكر لى وقت سقوط رأسه بالولاية وسألنى أن أنظر فى ذلك وما يدل العلم من القطوع فقلت ان شاء الله تعالى ولم يمكننى ذلك لكثرة انشغالى معكم بالأسفار والآن ذلك يستلزم أن أحسب جميع الكواكب وأقرانها حساباً معكوسا اليوم وما قبله إلى أن أصل ميلادهم ثم أرتب عليه الاحكام إلى وقت فقدهم ثم إلى وقتنا هذا وما بعده فقال الواثق بالله لا غنى لى عن ذلك ونحن نقيم هنا أسبوع وتجتهد أنت فى تحصيل ذلك بكل ما أمكنك فعندها قال الأمير أبو محمد البطال يا مولانا نخشى أن يكون ملك الروم قد كاتب أبناء الملوك على أجنحة الطيور فبينما يمضى الأسبوع ويخرج طيبون ويأتونا من البر والبحر وعساكر الاسلام قلقوا وضعف حالهم ولكن فى الأمر شىء واحد وهو أن مولانا يرسل لملك الروم قاصد يقول له إن أردت الصلح أخبرنا بما جرى على الأمراء (قال الراوى) فعند ذلك أمر بعض الأجناد أن يمضى إلى القسطنطونيه ويسأل الملك عن ذلك فسار القاصد إلى أن وصل إلى القسطنطونيه ووقف على باب البلد وقال رسول فثاروا عليه ففتح له الباب فلما وقف بين يدى الملك أدى الأمانة لحلف الملك أن ليس له علم بذلك فرجع الرسول وأخبر أمير المؤمنين بذلك فأرسل خلف طيبون وأمره أن يفعل ما سأله فيه ثم نادى فى العسكر بالاقامة سبعة أيام وخلى الحكيم طيبون بنفسه ووكل به من يخدمه وصار يحسب ويكتب الى آخر البيعه أيام أتى إلى أمير المؤمنين الواثق بالله وقال يا مولاى قد حسبت الى أن وصلت إلى مولدهم ورتبت عليه الأحكام فدل العلم والله أعلم أن هذا آخر القطوع ولكن خرج النجم من تحت الشعاع واقترن بسعد أعظم ثم نظرت فى لوح الحياة ولوح الممات فرأيتهم فى لوح الحياة وهذا ما عندى والسلام (قال) فوجد الامام الواثق بالله بعض راحة ثم أمر بالمسير الى القسطنطونيه وأمر العسكر بالزحف فلما قربوا منها وإذا هى

مزينة بالسلاح متأهبة للحرب والكفاح بالمنجنيقات والفرادات على الاصوار والجواشن بلمعانها تأخذ بالابصار والرايات خافقه والسيوف بارقه والتراس مذهبه والدرق مكوكبه والرجال عليهم الزرد وقد تظاهروا بأحسن العدد ولما أشرف عليهم الامام الواثق بالله أمير المؤمنين بعسكره رفعوا أصواتهم من كل جانب وأشهروا القواضب وضربوا البوقات والدبادب ونزل الامام الواثق بالله أمير المؤمنين وضرب خيامه وأركز أعلامه وأمر أصحابه أن يتأهبوا للقتال ففعلوا ولمقالته امتثلوا ونظر أمير المؤمنين الى البلد فاذا هى لا تعمل فيها المناقب ولا لاحد عليها طريق ولا تسليق والماء حولها يتدفق ويسيل وهى مانعة الجبال وثيقة الاصوار منيعة بالصخور الكبار (قال) فلما قربوا من القلعه رميت عليهم أحجار ونار فقتل منهم خلق كثير وصار نشاب المسلمين ونفطهم لا يصل اليهم لعلو الابراج فرجعوا وشكوا ذلك إلى الواثق بالله أمير المؤمنين فحصل عندهم غم من سماع ذلك فبينما هو معهم فى الكلام وإذا بالبر وقد اسود بغبار قد ثار حتى سد الاقطار واعتكر غاية الاعتكار وكان زائد الحدو القياس منزعج الحواس فلم يزالوا ينتظروا اليه حتى تقطعت أطنابه وزال ضبابه وبان من تحته رايات وأعلام ورماح مشتبكة كأنها قصب الآجام وسيوف تلمع كأنها الكواكب وخيول وجنائب ومواكب وكتائب وقنا وقواضب وبيض تلمع مثل الكواكب وعسكر يدل على أن ملكه وقائده عظيم الشان كثير الاعوان (يا ساده يا كرام) وكان سبب مجيء هذا العسكر الجرار الملك ميخائيل لما كتب الكتب إلى سائر الملوك وصل كتاب إلى هذا الملك وكان يسمى مرطويس وهو جبار من الجبابره وكان سبب سبقه عن الملوك أنه كان قتل والده وكان متخلفا فى بلاده فلما سمع بقتل والده قامت عليه القيامه وعض على كفيه ندامه وقال أرجو أن يعيننى المسيح وآخذ بثار والدى وأستريح وكان تخلف عنده عسكر عظيم وكانت جريدتهم مائة ألف فأمرهم أن يتأهبوا للسفر فتهيأوا وارادوا المسير وإذا بالبراج قد أتى بكتاب الملك الأكبر يدعو إلى الجهاد ومعه خط البترك الذى تقدم ذكره فلما سمع ذلك زاد نشاطه وقوى انبساطه وجد السير ليلا ونهار حتى قدم فى ذلك الوقت وكانت نفسه تحدثه أن يملك القسطنطونيه وكان هذا الذى نحن فى حديثه اسم أبوه عبد المسيح وكان يقول لابيه وهو حى لاى شيء تعطى الطاعه لملك القسطنطونيه (قال الراوى) ورجعنا الى سياقة الحديث فلما أقبلت تلك العساكر قال الامير أبو محمد البطال يا أمير المؤمنين هذا الحساب الذى كنت أحسبه ونحن فى بلاد العدو كأنى بأولاد الملوك وقد جمعوا العساكر وأتوا يتلوا

بعضهم بعضا برّا وبحرا فقال الواثق بالله أمير المؤمنين دعني من هذا يا أبو محمد وانظر ماذا نفعل مع هؤلاء القادمين فقال الامير ظالم الرأى عندى يا أمير المؤمنين أن نلقى هؤلاء القادمين قبل أن يستريحوا أو يأتيهم مدد وعسى الله أن يظفرنى بالمقدم عليهم فقال البطال نعم ما أشرت به أيها الامير كان الله لك معين ولكن اذا قصدت هؤلاء وصار ظهر العسكر الى القلعة فيخرجوا أهلها فتكون النار المحرقة ولكن يكون أمير المؤمنين بجانب من العسكر مقابل القسطنطونية فمن ظهر منها كان فى وجهه واذا انكسر هذا العسكر أنا أعلم أنهم يقصدون البلد فلا تقفوا بل اقصدوا بغداد وتنادى النفير العام وتجعلها غزاة ماسبقك بها أحد من الملوك وتبقى تذكر بها مدا الازمان والدهور وإلا أن طاولونا واجتمت عساكرهم ونحن فى هذا الجمع اليسير يكون والعياذ بالله الهلاك الكبير (قال الراوى) فعندها قال الواثق بالله أمير المؤمنين لله درك يا أبو محمد لقد سعد من اتبع رأيك السعيد ثم أمر العساكر بالركوب فركبت وتأخر أمير المؤمنين فى ثلث العسكر وقصد الامير ظالم بقية العسكر الذى للروم واشتبك القنا وضحوا العساكر من سائر الجهات وعلت منهم الضجات ومدوا الرماح وأشهروا الصفاح وعصفت أمواج بحر المنية وفرقت سهام الرزية وحكمت فيهم قضاء السيوف المشرفية فأطلقت الارواح من أقفاص الاشباح البشرية وطلع الغبار من تحت حوافر الخيول العربية فستر أنوار الشمس المضيه وطارت جماجم الابطال من على الاجساد على الارض المدحية ونفذت فى مقاتل الرجال سهام المنية وتغيرت ألوان الازهار الربيعية لما جاد عليها الغبار سحابة دمويه فكم من يطلب الغياث فلا يجاب ولا يغاث وكم من شجاع ولم يلتفت إلى أثاث ونزلت بهم البوائق وحقت منهم الحقائق وتضاربوا بالسيوف على العوانق فقطعت منهم العلائق وتطاعنوا بالارماح فكانت للدروع خوارق وتضاربوا بالسيوف فكانوا كالصواعق فلم ترى إلى رمح خارق أو سيف بارق أوفارس شاعق والخصم لخصمه معانق والشجاع فى دمه غارق والقتام قد مد على الفرسان سرادق فسبحان العظيم الخالق الحاكم بالفناء على سائر الخلائق (قال الراوى) ولم يزالوا كذلك حتى زاد بهم الحرق وكثر القلق وعظم الحنق وتراشقوا بالنبال فى الحدق وتناثرت الرؤس مثل أوراق الشجر (ياساده) وكان الامير ظالم قد مزق الكتائب المتطابقة بطعناته السابقة وقد حسامه كل درع وطارقه ونثر جماجم الابطال المتلاصقة وكلما اتسع عليه المجال أظهر الاحوال وخطف بحسامه مهج الابطال ونظرت العساكر منه الاهوال فبينما هم كذلك والامير ظالم يهمهم ويصول وعلى الاعداء يجول وقد

جندل الابطال عرضا وطول وإذا بباب البلد قد فتح وخرج كل من فى السطنطونية من العساكر الضلالية أهل الملة النصرانية فالتقاهم أمير المؤمنين الواثق بالله بمن معه واستقبلهم كما تستقبل الأرض العطشانه أوائل المطر وجرى بينهم قتال شديد ماعليه من مزيد يذوب من هوله الصخر والجلمود ويشيب منه الطفل الوليد وأهلك منهم الأبطال الصناديد ولا زال الدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى بضياه وأقبل الليل بظلماه ولولا فرق بينهم الليل بظلماء لكانوا الكفار ولو الأدبار وركنوا الى الفرار وانتصروا المسلمين الابرار (قال الراوى) وباتوا يتحارسان الفريقان ويوقدون النيران هذا وملك الروم ركب إلى أن لاصق القسطنطونيه ودخل على الملك ميلاص فقام له وأجلسه إلى جانبه وترحب به وشكره على فعاله فقال له أيها الملك كنت أقول إن هذا العسكر الذى للمسين مايثبتوا بين أيدينا ساعة واحدة والحال إن فيهم فرسان وأبطال معدودين للحرب والقتال ولولا ذلك الفارس الأسود ماثبت منهم أحد ولكن فى غداة غدا طلبه إلى الميدان لأجل البراز فعسى أن المسيح ينصرنى عليه فقال له الملك أنا أعرف الفارس الذى وصفته فهو ظالم الذى ذل بلاد الروم ولكن قد كاتبت سائر بلاد الروم وكأنك بهم وقد وصلوا فلم يثبتوا هؤلاء ولاساعه واحده (ياساده ياكرام) فلما سمع ذلك من الملك فجمع عسكره بعساكر الملك وباتوا يتحارسون إلى الصباح (قال) فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركبوا الجرد القداح وتقلدوا بالسلاح وبرزوا للحرب والكفاح وهموا بالحملة وإذا بفارس تقدم إلى الميدان ومقام الطعن والضراب وفى خدمته نحو من ألف ماشى وهو بزى عجيب يحير فى وصفه كل عاقل لبيب وبين يديه ترجمان فصيح وهو يصيح بالعربية وهو يقول هذا ملك الروم فلا يبرز إلا ظالم حامية لمسلمين (قال) فلم يمهله الأمير ظالم دون أن برز اليه وحمل بكليته عليه فتطاعنا طعنا أحر من الجمر وأمر من الصبر واختلفت بينهما طعنتان وكان السابق بالطعنة الأمير ظالم فدخلت فى فاه خرجت من قفاه فلما رأت الروم ملكها قتيل وعلى وجه الأرض جديل حملت بأجمعها وعلى القتال عولت وإذا بغبار وقد طبق الأقطار من سائر الجهات وكان ذلك (ياسادة) من بقية أولاد الملوك ولا زال ذلك الغبار يقرب حتى وصل وضربوا خيامهم وأركزوا أعلامهم وكانت جريدة عسكرهم مائتان ألف وتقلدوا بعد أن تقدموا وسلموا على الملك فلما استقروا وإذا بغبار آخر قد طلع وأسنة رماحه تلمع ثم انجلى الغبار وبان من تحته عساكر مثل الجراد المنتشر أو السيل المنحدر والخيول تتقاطر والمواكب تتبادر والرايات تخفق والبوقات تزعق

والأسنة تلمع ولمعانها يخطف البصر والاعلام تتقعقع والصلبان مرتفعة على الرماح وانتشر البحر بالمراكب واحتاطوا بالمسلمين كالخاتم بالاصبع أو السوار بالمعصم وصارت المسلمين فى وسطهم كالشامة "بيضاء فى الثور الأسود فقال أمير المؤمنين الواثق بالله كلمة لا يخجل قائلها وهى لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم قال مرحباً بلقاء الله فقال الأمير ظالم يا مولاى إن حملوا بأجمعهم قاتلت إلى أن أقتل فانى سئمت الحياة وان بارزونا وحق سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وحق رب العالمين خالق العباد أجمعين وجاعل الجبال أوتاد لابد من هلاك الجبابرة الكبار واجعلهم طعاما للوحوش فى القفار ودخول حواصل الأطيار وأقتل الصغار مع الكبار والعبيد والأحرار وأقيم الحرب على قدم وساق ولا أبقى على الفرسان ولا على الرفاق فلا يهولنكم أمرهم وأنا فى غد أطلب البراز (قال الراوى) ثم باتوا يتحارسون الى الصباح هذا ما كان من ظالم وأما ما كان من ملك الروم فانه شاور العسكر فى الحملة فقال بعض الملوك وكان مدلا بشجاعته أيها الملك أريد أن تأذن لى بالبراز فان أفنيت شجاعتهم وإلا فأنت مستدرك بالحملة فقال الملك دونك وما تريد فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وكان أول من برز الأمير ظالم وطلب البراز وسأل الانجاز فتمخض العسكر وبرز منهم بطل لا يبان منه إلا أماليق الحدق أو تداوير الأمق عليه صدرة زرد ضيقة العدد لا يعمل فيها الرمح المكعب ولا السيف المهند وعلى رأسه خودة عالية منورة مجلية لها لمعان كالشمعة المضيئة وتحته جواد أدهم مجتمع ململم كلون الغراب الأسحم تسمع له صوت رخيم أحجر وإذا صهل تقول انه يتكلم فهو غاية المغنم قد كمل من الوصف الغاية ووصل الى النهاية فالسعد معقود بعذاره ولجامه ظهره حصن عند الغبار ان سار وان جرى طار أعلاه جبل وأسفله جندل غرته كالقمر ورتبته كالأسد اذا زأر وصهيله جرس جبينه جبين سرحان ووطؤه وطؤ النمر الحدران وحوافره إذا مشى على الصخر يقدح منه النار والدخان واذا جرى ملك قطب الرهان ومدرك لأخذ الثار كأنه القبة المبنية أو العروسة المجلية كما قال فيه حسان بن ظهير حيث يقول :

وأدهم يحكى ظلام الدجى   محجل الأربع رابى الكفل
إذا ما تار هانت عليه القلا   وأجمع السهل ثم الجبل
وخلف البرق على أثره   وسياله ريح الظبا أين حل

(قال الراوى) وكان هذا الجواد من نسل الخيل الجياد فلما رأى ظالم هذا الجواد فعشقه كأنه من بعض الحرمات حتى كاد يخرج من عقله فما قولكم ياساده فى شاب كامل الشجاعة وفاق أهله وأصحابه وزاد عليه محبة هذا الجواد كيف يبقى قتاله

فقوم كل منهما السنان وأطلق العنان وأخذ فى الكر والفر والأخذ والرد وأخذ فى الطعان وقد طلب مقاتل الأقران وعملت فى قلوبهم الأحقاد مثل النار فى الزناد وثار على الاثنين الغبار حتى غابا عن الأبصار وتحدث فيهما كل إنسان بكل لسان وتعجب من حالهما جميع الفرسان مما قد جرى لهما وسط الميدان ولم يبق أحدا من الطائفتين إلا تأهب للقتال وكان الأمير ظالم يقع له على الفرس المضارب فيتوقاها من خوفه على الفرس وانقشع عنهما الغبار وإذا بظالم راكب فرس خصمه وقد أطلق فرسه فرجعت الى العسكر واذا بخصمه قتيل وعلى وجه الارض جديل وظالم على ظهر شلوه ينشد ويقول :

أين من يطلب الفخار ويدرى ... ان هـذا المقام مر المذاق
فلعـلى أطفى بحـد حسامى ... نار خوف شديدة الاحتراق
وأرد العـدا وأعتق قومى ... من أسود على خيول عتاق
أو ألاقى منيتى ببنان ... خارق ما للسعته ترياق

(قال الراوى) ياساده ياكرام فعند ذلك أراد الملك أن يأمر جميع الروم بالحملة واذا قد تقدم اليه أحد أبناء الملوك وكان يسمى زين النصرانية وقال أيها الملك أسألك أن تتأنى بالحملة حتى آخذ هذا المسلم فقال الملك لاتفعل فانى أعرف هذا ومابقى فى الاسلام مثله هذا ظالم ولد عبدالوهاب الذى أخرب بيوت النصرانية وهذا ثالث ثلاثة لارابع لهم العجوز الشمطا وولدها عبد الوهاب الذى أهلكهم المسيح وهذا فى طبقتهم وقد استقتل ولم يقف الآن أحد قدامه إلاأرداه لأنه أيقن بحمامه ولاسيما وقد ملك هذا الفرس المنسوب وهذه العدة التى ليس لها نظير (قال) فعند ذلك غضب زين ملوك النصرانيه وقال أيها الملك قد عظمت غير عظيم وأنا إن وجدته ظاهر على تأخرت وأشرت للعساكر بالحملة وان وصلت اليه فأكون أفتخر به وأنت أيها الملك قدرأيت حملاتى وكيف أعلم على أبطال عسكر النصرانيه فقال الملك إن كان ولابد لك من ذلك فخذ فرسى (ياساده ياكرام) وكانت هذه الفرس ليس لها نظيرفركبها وألبسه درع وزرد وكان أهدى له الملك هذا وظالم قد أنشد يقول :

إذا نحن ما لفنا شفار البواترى ... وسمر القنا فرق الجياد الغوامر
على حرب قوم كان فينا كفاية ... ولو أنهم مثل البحار الزواخر
وما العز فى جمع الجيوش وإنما ... فخار الفتى تفريق جمع العساكر
فان تبرزوا خلفت فى البر منكمو ... عظام ولحم للنسور الكواسر
أنا ظالم ابن الغريب وجدتى ... فذا الهمة من نسل قوم أكابر

(قال الراوى) ولما فرغ ظالم من شعره ونظامه ثار وتجبر وتشمر واحتزم وجرد عن ذراعيه وتلثم وأخذ رمحه وجعجع وزعق وبعبع وحمل على الصفوف واستعمل الرماح والسيوف ثم حمل فى إعراضهم وصاح فيهم وتقلب على ظهر الجواد وصارت ضرباته متواترة والرؤس تطير ومواكب الأقدار تسير والمواكب تتزاحم والغبار يتراكم وظالم للقوم يصادم وقد أبرى الجماجم وطير الاكف والمعاصم والدماء يفور من ينابيع النحور وطعناته تنفذ من الصدور الى الظهور وأنزل بالقوم المحذور وأعدمهم الفرح والسرور وقتل فى تلك الحمله ثلاثون فارسا بهلول من الفرسان المعدوده لملك الروم ورجع إلى حومة الميدان فبرز اليه زين ملوك النصرانية بذلك الزى الذى ذكرنا وجال معه ساعة من النهار ثم طعنه ظالم فى فاه أخرجها من نقرة قفاه وجال على شلوه وطلب البراز ولم يزل يبرز اليه فارس بعد فارس هو يقل ولا يأشر وكلما قتل بالبراز واحد يحمل على العسكر فيقتل الابطال ويجندل الاقيال حتى يخرج اليه واحد ومازال كذلك إلى أن ولى النهار بضياه وأقبل الليل بظلماه وعاد الامير ظالم مؤيد منصور وهو بحالة العز والسرور وعليه حلة من الدماء وهى تجرى كجريان الماء المدفوق وهو مسرور فرحان وقد أعانه ذلك اليوم بعد الله السيف والحصان فاستقبله أمير المؤمنين الواثق بالله وقام له قائم على الأقدام وقال له لله درك ياأمير ظالم لقد أشفيت الغليل وارضيت الملك الجليل فقال له الأمير ظالم هذا كله ببركة أنفاسك ياأمير المؤمنين وابن عم خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته الطيبين الطاهرين. وأرجو من الله الكريم الحليم يا أمير المؤمنين أن يبارزونا دائما على هذا المنوال فهو يكون علامه النصر من الله الحنان المنان وان حملو بأجمعهم قاتلنا إلى أن يحصل لنا الشهادة ونحن على كل حال رابحين دنيا وأخرى فى الدنيا النصر على الأعداء وفى الآخرة إن شاء الله جنة المأوى هذا ماكان من ظالم وأمير المؤمنين (وأما عساكر النصرانية) فان أبناء الملوك اجتمعوا بالملك ميلاص وجلسوا للمشورة وشكوا له مافعل ظالم بأبطالهم ولم يعرفوا له اسما بل قالوا عجبنا من هذا الفارس كيف قتل هؤلاء الفرسان الابطال الشجعان وهم قوام دين النصرانية فقال الملك هذا ظالم ابن الأمير عبد الوهاب فلو برزتوا اليه واحد بعد واحد لأفناكم عن آخركم ولا يخلى منكم قائم ولا قاعد وهؤلاء الذين بين أيديكم هم الاسلام كله والرأى عندى نطبق عليهم من سائر الجهات وقد انفصل الأمر (ياساده) وباتوا على هذه النية فلما أصبح الصباح ثار ظالم وحفت به أصحابه وأحبابه وترتبت العساكر وبرز ظالم بتلك

الفرس والعده وطلب البراز وسأل الانجاز فتوقفت الفرسان فخاض المعمعة وهاج ونزل الدم بحسامه من الأوداج وجرى من سنانه النجيع مثل المطر العجاج وارمى الفرسان أفراد وأزواج وأوقع فى قلوب الأعداء الانزعاج فهو فى حملته وإذ بالعسكر الذى للكفار قد تحرك من الأربع جهات فلما رأى الواثق بالله أمير المؤمنين ذلك قال من هنا نحشر ياعصابة الاسلام ثم قال للعسكر الاسلام انقسموا أربع فرق وجعل فى مقدم كل فرقة أبطالها وحماتها وقال لظالم اقرن عنانى بعنانك وسنانى بسنانك واقصد بنا هذه الفرقه التى بجانب الجبل فعسى أن نجعله خلف ظهورنا يحمينا ويصير قتالنا من ناحية واحده ولكن تذهب خيامنا ولا يصير لنا وصولا الى الماء والأمر لله تعالى (قال الراوى) فلم يتم الكلام حتى انطبقت عليهم الكفار انطباق الجفن على الجفن من العين وزعق عليهم غراب البين وقتل من الفريقين خلق كثير فلله در الواثق بالله فلقدكان فى حملته صادق وكان ساعيا فى رضا الخالق وكان رمحه للاعضاء خارق وسيفه عاملا فى المفارق وكان لدماء القوم دافق وكل من فى عسكره له موافق وأما الأمير ظالم فكان سيفه يرمى العلاصم والأكف والمعاصم ولم يكن للكفار راحم وكلاهما للكفار قاصد وصار لهم عند الروم علائم وهم يقولوا من وقف قدام هؤلاء القوم كان عادم وعفرت الخيل بالجماجم وكانوا كما قيل فى الجاهلية الأولى :

رؤس تطير ودم يفور ... وخال تكر ونقع يمور
وهذا قتيل وهذا أسير ... وهذا جديل وهذا يخور
وهذا يكر على خصمه ... وهذا جبان ملول ضجور
وهذا يئن لوقع الصفاح ... وذاك قد راح عنها نفور
وهذا يوصى على أهله ... وقد عاين الموت حقا يزور

(قال الراوى) وكان كل فارس فى محنة وأنفاسها فى تراق وحامت عليهم الطيور (قال الراوى) وصاروا يطعنون فى صدور القوم طعنات نافذات ويضربون وجوه الخيل فترد بركابها ففتحوا لهم زقاق فساقوا الخيل هم وجميع العساكر وتركوا أثقالهم وخيامهم وماؤهم وزادهم وقتل فى تلك الحمله من الكفار والمسلمين مالا يعد ولا يحصى وأسندوا المسلمين ظهورهم للجبل وقاتلوا باقى النهار إلى الليل فرجعت الكفار إلى خيامهم وأوقدوا نيراتهم واستراحوا وملكوا أموال المسلمين وزادهم وفرحوا بالظفر وأما المسلمين فلم

يجدوا ما يأكلوا ولا ما يشربوا ولا ما يأويهم ولا مايرقدوا عليه ولا مايوقدوه عليه وليس فيهم أحد إلا ملآن جراح فبينما هم كذلك وإذا هم بأشخاص منحدره من الجبل فارتاعوا لذلك وثاروا وإذاهم ثلاث نفر لا غير وإذا بقائل يقول لاتخافوا ولاتحزنوا أنا أبو محمد البطال وهؤلاء غلمانى فتأملوهم وإذا بأحدهم حامل قربة ماء والآخر عكة سمن والآخر عدل بقسماط فقال الامام الواثق بالله كيف وصلت إلى هؤلاء فقول يا أمير إنى حسبت حساب حملة العدو عليكم وان أحسن مالكم أنكم تتركون الخيام وتنجو بأنفسكم نحو الجبل فتصيروا محتاجين إلى الماء والزاد فتسلقت أنا ولؤلؤ وصافى وحملنا والمال والماء والزاد معنا الذى ترونه (قال) ففرحوا بذلك وشربوا بالزاد والسمن فأكلوا وعاشت أرواحهم وأما الخيل فلم يأكلوا واستمروا يحرسوا أنفسهم إلى الصباح فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح قالت الروم معلوم إن مايبقى اليوم من المسلمين بقية لأن لولا وصولهم للجبل كانت ساعتهم انقضت ولكن ما بقى لهم معنا مناص وقد حلنا بينهم وبين الماء والزاد وعلف الدواب فقال الملك وقد تبسم ماتعلموا منهم ما أعلم سيما وفيهم أبو محمد البطال وحق المسيح انى أخاف على نفسى منه فانه يأتى للانسان فى صورة ولده ووالده وأقرب من عنده وان لم تفعلوا ما آمركم به والا يطول عليكم وأخذهم ويفنوا رجالكم وأبطالكم فقالوا أيها الملك وبماذا تأمرنا به قال الجبل يمنعهم من الفرار وأنتم طابقين عليهم من سائر الجهات فامروا ألف منكم يسيروا الى آخر الجبل واصعدوا واجمعوا الصخور والأحجار وألقوا عليهم ذلك عندما يطلع الصباح ويتصل الحرب والطعان بيننا وبينهم فيهلكون عن آخرهم وقد كفينا شرهم فامتثلوا ما أمرهم به الملك بالسمع والطاعة وساروا فى ألف فارس من تلك الساعة الى أن وصلوا الى وراء الجبل وصعدوا الى أعلاه واستعدوا لجمع الأحجار والصخور الكبار وتموا على ذلك الحال حتى أصبح الصباح فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أهل الايمان فانهم باتوا يتضرعون الى الحنان المنان الى أن أصبح الله بالصباح فركبوا الى الحرب والكفاح وأيضا الروم ماجوا كما يموج البحر الزاخر فى خلق وأمم مالهم أول من آخر ونظر الامير ظالم اليهم فعلم قصدهم وأنهم يريدوا الحملة فعندها صاح فى رجاله ونبه أبطاله وقال يا أمة محمد سيد الاكوان ابشروا بالجنان وبالحور والولدان تحت لواء سيد ولد عدنان والزقوا ظهوركم الى هذا الجبل واستقبلوا القوم اللئام وجاهدوا فى الله حق جهاده وموتوا كرام فعندها استحسن الواثق كلام الأمير ظالم وألزق جواده الى جواد الأمير ظالم ومالوا إلى ناحية الجبل وجعلوه خلف ظهورهم واستقبلوا الحرب والقتال بصدورهم وتبعتهم الرجال والأبطال وفعلوا كما قال الأمير ظالم وخلوا لهم الخيام فعندها طمعت فيهم

الروم وحملت عليهم حملة رجل واحد وانقام الحرب على قدم وساق وازدحمت الروم على بعضها البعض بالسلاح وتبعتهم الغلمان بالأحجار فحصل للمسلمين ضيق شديد فبينما هم على تلك الحالات إلا وغبار ثار على الروم نازل من أعلى الجبل حتى أعتم منه النهار وتساقطت على الروم مشاثب من نار وأحجار وأقبل على الروم غضب الملك الجبار فنظرت الخلق والأمم الى هذه الأحكام وإذا برايات وأعلام وشيء على صفات القرود وشيء على صفات الدياب وزاد الدخان حتى مابقى الشخص من الروم يرى رفيقه الذى بجانبه وسمعوا صرخات من الجو هائلات فتبددوا الروم فى الفلوات فصارت الركاب من الروم تتساقط مثل ورق الشجر فى يوم ريح عاصف فقتل منهم فى ساعة واحدة نحو مائة ألف والباقى أصحاب الخيول السوابق ساقوا والأخ لايعقل على أخيه ولا الولد على أبيه حتى تفرقت ركاب الخيل فى البحر فتفرقوا وأما أهل القسطنطونيه فلم يبق من عسكرهم بقية إلافوارس قليل مع الملك ميلاص وكان سبق الى باب القسطنطونيه ففتح له الباب هو ومن معه من الأصحاب وقفل بعد ذلك الباب وخلت الديار من الكفار ورجعت المسلمين الأبرار الى خيامهم وأموالهم وهم فرحين مستبشرين بالنصر والفتح المبين وغنموا أموال الكفار بعد أن كانوا غنيمة وصاروا متعجبين من هذه الأمور المطربة الغريبة وهم يقولوا وعند التناهى يكون الفرج وقرأ القارىء «وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزا» وأمير المؤمنين الواثق بالله يقول: ما نصرنا إلا بالملائكة المقربين أو بالجن المؤمنين (قال الراوى) وكان السبب فى هذا ياساده ياكرام حديث عجيب وأمر مطرب غريب يجب أن يسطر بماء الفضة والذهب ويساق على الترتيب بعد ألف صلاة وألف سلام ترضى الحبيب وهو أن الأميره ذات الهمه وولدها الأميره عبد الوهاب والدينارى وجعبر واللملان والأمير برد ابن الأزهر والأمير صالح بن الأمير هارون العلوى والأمير هياج الكردى والأمير طارق الحجازى والأمير قراقد ونورى زوجة الأمير أبو محمد البطال وولدها مذبحون وأخته عذيبه وابنة الأمير هياج الكردى وتمام الأربعين أمير لما دخلوا المغار وحاصرتهم الكفار فكانوا يذبحون الخيل ويتغذوا بلحمها ويمصوا مافيها من الأبوال ونزل الثلج على باب المغار كما ذكرنا وسد باب المغار فصاروا يكسروا من الثلج ويمصوا حتى نفذ ما عندهم من لحم الخيل ولم يبق عندهم ما يأكلون ومايشربون حتى أشرفوا على الهلاك وإذا بموضع الدم قد انهال قدر قامة وبان لهم سرداب ضيق صغير لايدخله الشخص إلا على بطنه فقالوا لبعضهم هلموا بنا ندخل الى هذا السرداب لعل

الله يأتينا بالفرج أو تموتوا كرام (قال) فدخلوا الأمراء كلهم بأجمعهم وكلما اذا والسرداب يتسع حتى أفضى بهم ذلك السرداب وهو على صفة قاعة نقر فى الجبل عالى السقف وإذا من داخله سراج موقود لاتصل اليه الأيادى فنظر بعضهم واذا فى القاعة لوانين وفى صدر اللوانين سرير من أعجب العجب وعليه شخص ميت مصبر فتقدم اليه الامير عبد الوهاب ترس قبر النبي الأواب عليه الصلاة والسلام وتأمل واذا بجانب السرير دن مغطى فكشف غطاه واذا فيه شئ يابس فأراد الأمير عبد الوهاب أن يذوق بفمه ذلك فمسكت الأميره يده وقالت له ياولدى لاتفعل فانه ربما يكون سماً قاتلا فقال دعيه ياأميره يكون سما قاتلا فانى قد اشتهيت الوفاة ثم ان الأمير أكل منه شئ قليل وإذا هو حلو دسم فأخبر الأمراء بذلك فوقعوا عليه فعاشت أرواحهم من ذلك الطعام المفتخر الذى سببه الله اليهم بعد الهلاك من الجوع والظمأ (قال الراوى) ولم يجدوا فى ذلك المكان غير السرير والميت الذى عليه والدن الذى فيه الطعام الذى أكلوه ولم يكن فيه مال لا فضة ولا ذهب فعندها قال الأمير عبد الوهاب كل مافى هذا المكان عجب عجيب فان مايفعل عند موته مثل هذا المكان إلا إذا كان ملكا من ملوك الزمان الكبار ويدخر فيه ماله ونواله وماملكت يداه وهذا الميت ليس عليه شيء من ذلك ولم يكن عليه آثار الملوك ولا السلاطين ولاهنا عنده ما يساوى حبة والذى أعجب من هذا كله هذا الطعام الذى أكلناه كأنه لم يعمل إلافى هذا الوقت والحين لأجل حياة أرواحنا ولم يتغير لطول المكث وهذا السراج الذى يقد من غير يد فهذا شيء عجيب فقالت الاميره ذات الهمه يابنى يحتمل أن يكون نقل ماعنده من المال وأما الطعام فيكون مصنوعا بالحكمة فهو لايتغير أو يأتى به بعض الاعوان وأما السراج فيكون موكلا به عوناً من الاعوان يزيد له من الزيت كلما ينقص (قال الراوى) وكان هذا الطعام مصنوعا بالحكمة كما قالت الاميره ذات الهمه وإذا أكل منه الانسان مكث شهرا لايجوع ولا يعطش ولا يبول ولا يتغوط (قال الراوى) ولما حققت الامراء هذا الامر أرادوا الرجوع بعد أكل الطعام واذا بالمحل وقد نزل فيه قطعة من الجبل فسدته عليهم فقالوا كلهم كلمة لايخجل قائلها وهى لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله وإنا اليه راجعون . هذا تمام الامر ياساده وقد أيسوا من الحياة لما نظروا الى ذلك ثم جلسوا يذكرون الله تعالى ويسبحونه ويهللونه ويقدسونه ويصلون على سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ويصلوا الفرائض بلامعرفة وقت على حسب الحال لايعرفون النهار من الليل ولا الليل من النهار وهم

لايجوعون ولايعطشون لمدة شهر كامل وهم يقولون لبعضهم البعض ما كنا نقول اننا نموت هذه الموتة (ياساده) وبعد هذه المدة أحسوا بالجوع والعطش فجاعوا وعطشت أكبادهم وهتفت أرواحهم فصبروا قدر ثلاثة أيام فجاعوا أشد الجوع فقالوا هذه أشد الموتات ليتنا خرجنا وقاتلنا وقتلنا ولا هذا العذاب وصار بعضهم يقول : أيها العون الموكل بهذا السراج ائتنا ياهذا بما تتقوت به فلم يأتيهم شيئا والاميره ذات الهمه فصبرهم وتتمثل بقول القائل ٭ فعندالتناهي يكون الفرج ٭ فقال مذبحون أظن أن مابقى لنا فرج من هذا الموضع حتى تقوم القيامه فقالت الأميره ذات الهمه كل منكم يدعو الله تعالى وينذر نذرا ان كان له من هذا الصديق فرجا فعند ذلك نذروا النذور فقال بعضهم أصوم الدهر وبعضهم قال أحج فى كل عام وبعضهم قال كل مايدخل يدى شيء أتصدق به بعد أن أتقوت مَنه وبعضهم قال أجاهد فى الكفار (قال) فنظرت ذات الهمه الى سقف المكان فى ضوء السراج فوجدت طاقة لطيفة تسع اليد لاغير ينزل منها هواء لطيف فقالت لولا هذا الهواء لضاقت أنفسنا ومتنا ولو وصلنا الى هذا المحل لعل يكون فوقه وسع وكنا نكسره ببراشق سيوفنا ونوسعه ونتسلق منه فقالوا لو افتكرنا هذا قبل أن تهفت أرواحنا من الجوع والعطش كنا ركزنا لبعضنا البعض الى أن نصل اليه والآن فما فينا من يقدر يقف على حيله خلاف أن يحمل غيره فقالت الأميره ذات الهمه قدبدا لى شيئا أفعله وهو انكم تنقلون هذا الميت من على هذا السرير ونفك قوائم السرير ونربط بعضه فى بعض ونحفر لها فى الأرض حتى تمكث ونصعد عليها فقالوا الأمراء هذا رأى جيد ثم انهم حملوا الميت (ياساده يا كرام) ووضعوه على الأرض فوجدوا السرير مفكك من بعضه بأغربة من حديد تدخل فى زرد ففكوها.وشالوا القوائم فوجدوا تحت أحد رجلين السرير حقاً ففتحوه وإذا فيه لوحا من ذهب منقوش عليه أسماء وطلاسم لم أحدا يعرفها (قال) فوكز أحدهم لمذبحون وطلع على أكتافه حتى وصل الى وضوء السراج وقرأ مافيه واذا هو مكتوب فيه يقول ياعابر هذا المكان اعلم أنى أحكمت علم النجوم وأنا من تلاميذ بقراط وأنا مؤمن موحد بالله ومصدق برسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأنا معاشر الحكماء ماندخر شيئا من المال لامن الذهب ولا من الفضة ولا من معادن غيرالحكمة وإنى ادخرت حكمتى لك نفعاً لأن العلم دل على أن يدخل مكانى هذا جماعة مؤمنين مجاهدين فى سبيل الله رب العالمين وأن ذلك قطعا عليهم عظيما وهو آخر الشدائد فاتخذت لكم هذا الطعام بالحكمة فمن أكل منه قعد شهرا

لايشتهى الطعام ولاالشراب ولايبول ولا يتغوط وقد استخدمت الجن ووكلتهم بهذا للسراج وأمرتهم بطاعتكم فامعك اللوح يحضر لك خادمه وأمره بما تريد (قال الراوى) فعندها تناوله الأمير عبد الوهاب ومعكه وإذا هو بقائل يقول لبيك لبيك هاأنا بين يديك اطلب ماتريده فقال الأمير عبد الوهاب أريد أن تخبرنى بخبر عسكر المسلمين وما جرى عليهم من الأمور والاحكام فقال له الخادم فهم الآن فى غاية الحصار والضيق وإن لم تغيثهم وإلا هلكوا فى هذه الساعه (ياساده) وقص عليه العون قصة العساكر وماجرى لهم من الابتداء إلى الانتهاء مع الروم الملاعين وأن عساكر الروم أمرهم الملك أن يلطموا المسلمين بالدرق والأحجار فعند ذلك قال الأمير عبد الوهاب وأنت أيها الملعون خادم هذا اللوح وحدك قال له نعم ولكن لى قبيلة أحكم عليها وتطيعنى إذا أمرتهم بشىء فعلوه فقال أنا طالب منك أن تأمر قبيلتك أن يحملونا ويضعونا داخل القسطنطونيه ثم يمضون إلى عسكر الروم ويلقون عليهم النار والدخان والحجاره (قال الراوى) هذا ماجرى ههنا (باساده) من الأمراء والعون ففعل ما أمر به الامير وأصحابه فى الوقت والحين (ويرجع الحديث) الى الملك ميخائيل فانه لما سدت الثلوج باب المغار جلس على سرير ملكه ثم تنهد وتحسر على عقبه وقال مابقى الزمان يسمح بمثله فلو كان معنا لكان أخرج الأمراء بحيلة (ياساده) فتقدم رجل من عسكره الذين كانوا مقيمين بالبلد وقال أيها الملك أنا كنت صديق عقبه وكان يحكى لى مايفعل واستفدت منه شيئا كثيرا وأحفظ عنه فى مثل هذا أنه كان يأخذهم بالنار ولوكنت حاضرامع الملك لأخرجتهم كما كان يخرجهم فقال الملك إن هذا المغارطويل وإذا أوقدنا النار بعدوا عنا ولا يحصل لهم ضرر فقال أيها الملك تأخذ قرامى الزيتون وتطلق فيها النار وتلقيها بالعمد الحديد وتسير خلفها فان كانوا أحياء يسلموا أنفسهم وإن كانوا أموات احترقت عظامهم فقال الملك عند سماع هذا الكلام (ياساده يا كرام) قوموا بنا الآن فان فى قلبى النار ثم رحل ورحل العسكر وساروا إلى أن أتوا الى المغار وقطعوا قرامى الزيتون وشالوا الثلوج ووضعوها وأطلقوا فيها النيران حتى تأججت وأشهروا السيوف وقلبوا النار بالعمد الحديد ولا زالوا يفعلوا ذلك حتى وصلوا صدر المغار فلم يجدوا أحدا فرجعوا وأخبروا الملك بذلك فقال معلوم انهم ماخرجوا وربما انهم ماتوا وأكلت النار لحومهم ثم أطفوا النار واذا فيها عظام الجيل محروقة وكانت الأمراء فى ذلك الوقت داخل الكنز (ياساده يا كرام) ونرجع الى حديث الامير عبد الوهاب

ترس قبر النبي الأواب صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الوفاء والصفاء واليقين لما قال للعون خادم اللوح الذهب أنت وأعوانك وشتت شمل الكفار وألق عليهم الحجارة والنار وأمر بعده أرهاطك أن يطلعونا من داخل باب البلد وهي مدينة القسطنطونيه (قال) ففي الحال أمر الأرهاط أن تحملهم فحملوهم ووضعوهم في داخل باب القسطنطونيه وأمر أعوانه أن يشتتوا شمل الكفار ويلقوا عليهم الحجارة والنار ففعلوا ما أمرهم وحصل لهم ماذكرنا من الكسر والشتات ونصروا المسلمين على القوم الكافرين أهل الكفر والضلال ولما فتح للملك هو ومن معه الباب كانت الأمراء خلف الباب وهم الذين فتحوا الباب بعد ماقتلوا جميع الروم الموكلين بالباب فدخل الملك ومن معه فعند دخولهم وهم آمنين ولم يعلموا مادبره لهم رب العالمين فلم يحسوا بأنفسهم إلا وهم مشدودين وبالحبال مكتفين وساقوهم الأمراء إلى قصر الملك . هذا جرى ههنا لهؤلاء من الشد والوثاق فتيقنوا بالعذاب الأليم والوثاق واتلاف أرواحهم بما حصل لهم ولم يعلموا من أين جاءهم هذا الأمر المخيف ولا من أين نزلوا عليهم وبقوا متفكرين متحيرين في أمورهم ولم يدروا مايفعلون ولا مايدبرون وتحقق لهم أن هذا آخر أيامهم وارتحالهم من الدنيا من غير شك ولا توهم وخرسوا جميعاً عن الجواب ولم يكن لهم سؤال (قال الراوى) وأما أمير المؤمنين الواثق بالله فانه سارطالب القسطنطونيه فلما وصل اليها هووالعسكر وجد الباب مغلق ولم يروا على الأبراج شيئا فقال لاشك أن ما بقي في المدينة رجل إلا أن يكون شيخ كبير أو طفل صغير فبينما هم كذلك وإذا بالباب قد فتح فأرادوا أن يدخلوا فعندها تقدم الأمير أبومحمد البطال وقال مهلا ياقوم واحذروا أن تكون مكيدة وانظروا بين أيديكم (قال) فتقدم الامير ظالم وقال أنا لها ثم تقدم أمام القوم وكان الامير عبد الوهاب رأى العسكر من أعلى القصر فنزل هو وذات الهمه وترك في القصر باقي الامراء وفتح الباب فلما دخل الامير ظالم أمام الناس وكانت الاميره ذات الهمه دائما متنقبه فلما رأت ظالم والسيف في يده مشهور قالت هكذا ياظالم الأولاد يقاتلوا آباؤهم وكشفت اللثام (قال) فلما رآها الامير ظالم صرخ ووقع مغشيا عليه فتلقته ذات الهمه قبل أن يقع على الارض . وأما العسكر لما سمعوا صرخة الامير ظالم وقفوا عن الدخول حتى يعلموا سبب صرخة الامير ظالم فلما رأى أمير المؤمنين الواثق بالله وقوف العسكرسأل عنذلك الخبر فأخبروه بالخبر فتـم لم يعرف الخبر (ياساده) وكانظالم أفاق من غشيته وقام عانق جدته وعانق والده وهو يقول :

ما أظن الزمان يأتى بهـذا　　غير أنى رأيته فى المنـام

وركبوا ياسادة جميعا وظهروا من الباب فوقعت عين أمير المؤمنين الواثق بالله على عبد الوهاب وذات الهمة فصرخ وقال ياعبد الوهاب وحق الكعبة الغراء وبيت الله الحرام وأراد أن يترجل فسبقه الأمير عبد الوهاب وترجل وقبل فخذه فقبل أمير المؤمنين الواثق بالله رأس الأمير عبد الواهاب وتقدمت بعده الأميرة ذات الهمة وفعلت كفعله فقبل الواثق بالله رأسها وقال سبحان محي العظام وهى رميم ثم أمرهم بالركوب فركبا فى جانبه وصار يسألهم كيف كان سبب خلاصهم فأخذا يخبراه بما حصل وهو يتعجب ويخبر اللوح وخادمه وهو يقول سبحان من جعل المصائب مفاتيح الأرزاق وكانت نصرتنا على أيديكم وهذه ماهى أول بركتكم ثم قال الواثق بالله أمير المؤمنين للأمير عبد الوهاب أنا أعلم أن مايطيب على قلبك مفارقة هـذا اللوح ولا أحب أن يتشوش خاطرك فاحتفظ به فقال الأمير أبو محمد البطال للأمير عبد الوهاب اعلم أيها الأمير أنى كنت أخاف أن تجتمع النصارى ويطلبوا ملك القسطنطونية وتتعب المسلمين معهم والآن طاب قلبي فان كل من عصى عليك تأمر العون أن يحضر ذلك من فراشه ونوعده بالقتل فانه لما يرى ذلك يرجع عنك وتتمهد لك البلاد غير أنى أشير عليك برأى وهو فيه الصلاح والسداد وهو أن تبنى لك بيتا عاليا ارتبك فى بنيانه ويكون له سلما تصعد لمنامك تسحبه بسرياقات حرير فى بكر ويكون البناء ليس لأحد عليه تسليط بوجه من الوجوه ولا طرف لأنى أخاف عليك أن يسمع بعض الملوك ويرغب فى اللوح فيرسل اليك بعض الجواسيس ليسرقه منك فقال الإمام الواثق نعم ما أشار به الأمير أبو محمد البطال فمن وقتك هذا اجمع البنايين والمهندسين واشرع فى عمل ذلك (قال الراوى) ففى الوقت ياساده أرسل خلف البنايين والمهندسين وأمر الأمير أبو محمد أن يرتبهم فيما يفعلوا ثم سأل الواثق بالله أمير المؤمنين هل بقى فى البلد أحد من العسكر قال يا أمير المؤمنين ان الملك لما رجع مكسور وفتحنا له ومن معه الباب فدخل هو ومن معه فرجلناهم وكتفناهم وهم حاضرين ففرح الواثق بالله أمير المؤمنين بذلك ثم طلعوا القصر وتلاقت الأحباب بالأحباب واجتمع البطال بزوجته نورى وولده مذبحرن وابنته عذيبه ثم أحضروا الملك وقال له الواثق بالله أمير المؤمنين رأيت مافعل الله بك يا كافر فلم يتكلم وأخرس الله لسانه ولم يقدر ينطق بكلمة واحدة فقال أمير المؤمنين الواثق بالله مافى بقـاء هؤلاء من فائدة فعندها أمر السياف فضرب عنق الملك ثم

التفت إلا الأمراء وقال ما الذى تروه فى هؤلاء الملوك فتقدم البطال وقال معلوم ياأمير المؤمنين أنك إن قتلت هؤلاء ولوا فى مراتبهم غيرهم ولكن يشتروا أنفسهم وبعد ذلك يزنوا الجزية فى كل عام بما يرضى أمير المؤمنين فقال أمير المؤمنين الواثق بالله افعل ما بدا لك ياأمير أبو محمد فان قولك عندنا مقبول فقطع على كل واحد منهم خمسين ألف دينار وحلفهم أن لا يخونوا وأرسلوا من يأتى الهم بالمال وهم جلوس ثم التفت إلى عوام البلد وأعرض عليهم الإسلام فمن أسلم تركله ماله ومن أبى رتب عليه الجزيه وعفا عن الأطفال الذين هم دون البلوغ والرهبان والرجل الكبير العاجز وجلس أمير المؤمنين الواثق بالله على سرير الملك (قال الراوى) وكان لأمير المؤمنين الواثق بالله موكب عظيم وقرأت فيه القراء كلام الله القديم وقالوا (إنا فتحنا لك فتحنا مبينا ليغفر الله لك ما تقدم ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا) ثم التفت أمير المؤمنين الواثق بالله إلى الأمير عبد الوهاب وقال كان هجس فى خاطرى أن أفتح القسطنطونية وأجعلها دار إسلام إلى يوم القيامه وأعمر الجامع الذى أنشأه مسلمه وأجعل نائبى فيها الأمير ظالم وذلك عند يأسنا منك والآن فقد جاء الفتح من قبلك وعلى يديك وأنت أحق بها فقال الأمير عبد الوهاب يامولاى يا أمير المؤمنين أنجح الله مقاصدك اعلم أنى قد كبر سنى وولدى ظالم أحق بها منى فقال الأمير ظالم معاذ الله أن أكون أمير إلا من تحت أمر أبى فقال أمير المؤمنين الواثق بالله أنا اخترتكما ولا تخرجوا عن اختيارى فأجابوا بالسمع والطاعة فقال أمير المؤمنين الواثق بالله الحمد لله الذى حفنا بنعمته وشملنا بكرمه ومهد لنا البلاد وقاد إلى طاعتنا العباد إلا وأننا سالكون فى إمامة منازل العدل ومراتب الفضل وعمارة البلاد والرأفة بالعباد ورد ماتخرب من سائر الأقطار ولو كان له شهور وأعوام فليكن طائركم بالعدل والأمان فانا نبسط العدل على القوى والضعيف والدنى والشريف ونجعل العدل سنه محمودة وشريعة مفروضة وسترون من عدلنا ماتحمدونا عليه وبعد فقد خيرت الأمير الأجل عبد الوهاب أن يكون نائبى بهذا البلد فامتنع وأشار إلى الأمير ظالم وامتنع وقد رضيوا بما اختاره لهم وقد اخترت أن يكون الأمير ظالم نائبى بهذا البلد وأن يكون والده وزيرا ومشيرا وأن يجعلوا باقى الأمراء فى وظائف يختارونها وقد جعلت أمره كأمرى فمن أطاعه أطاعنى ومن خالفه خالفنى فلا يخرج أحد عن طاعته فهل أنتم راضون فقالوا جميعا رضينا

فأجلس ظالم معه فى الموكب على الكرسى ثم قال للامير عبد الوهاب اعلم أننى أعرضت عليك المملكه فتنزهت عنها وذلك من كمال عقلك وحسن نظرك وقد جعلتك وزيرا لولدك ظالم لأنك أدرى منه بالأحكام بل أنت صاحب الرأى الثاقب والتدبير الصائب واعلم أن الأحكام تصل إلى الوزير قبل الملك الكبير لأن الوزير هو مدبر المملكه والملك صوره على الكرسى والوزير هو لسان الملك وترجمان العسكر والمشار اليه فى جميع الأمور فأريد منك أيها الأمير أن تكون مسددا فى أمورك وتكون على ولدك شفوقا وله مطيعا ورفيقا والله تعالى خليفتى عليكما وهو لكما ناصرا وأمين ومساعدا ومعين فلا تتخلى عن ولدك فى سائر الأمور واستجلب العساكر اليه وكن له ولا تكن عليه ووصيتى جبر قلوب العالم وخلاص المظلوم من الظالم والعدل بين الأخصام فقد قال الله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والاحسان) (قال الراوى) وقام الأمير ظالم والأمير عبد الوهاب قائمين على الأقدام وقبلوا الارض بين يدى الامام ودعوا بدوام العز والسلطان وقال الأمير عبد الوهاب ياأمير المؤمنين اننا لما كنا فى المغار واستد علينا الباب فكل منا نذر شيأ وكان نذرى أنا والأميرة ذات الهمة الحج فى كل عام إلى بيت الله الحرام وقد علم الله صدق نيتى وأعطانى هذا الاستخدام فأكون فى شهر الحجه فى بيت الله الحرام أنا ووالدتى فقال أمير المؤمنين الواثق بالله ذلك لك وأشركنا فى دعاك وبعد ذلك جلس أمير المؤمنين الواثق بالله أياما حتى وصل المال فأخرج الخمس لبيت مال المسلمين وفرق باقى المال على العسكر على قدر طبقاتهم ثم طلب بعد ذلك المضى إلى بغداد وخرجت الأمراء والأمير ظالم إلى وداعه وسار معه هو والأمراء ثلاثة أيام فحلف عليهم الواثق بالله أمير المؤمنين أن يرجعوا وكان فى جملة من أسر من النساء ابنة الملك وكانت لما ضرب عنق أبيها وبلغها ذلك لبست السواد ثم انها جاءت فى قسم الامير ظالم وكانت مفردة فى حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وكانت من أحسن الناس شكلا وأكثرهم أدبا وعقلا عذبة الكلام حسنة الابتسام تخجل بدر التمام كما قال فيها بعض واصفيها :

بيضاء مثقولة الخدين ناعمة ... كأنها لؤلؤ فى الحسن مكنون
شكل جرى قلم البارى فأبدعه ... حسن يحار لمعناه الدواوين
فقدها ألف أضحى ومبسمها ... ميم وحاجبها فى شكله نون
وصدغها عطفة واو فليس له ... مثل وصرتها فى شعرها سين

وآنست لحظها نبلا لحاجبها قوس على أنه بالموت مقرون
ووجهها جنة أبدت لناظرها آس وورد وريحان ونسرين
فالغصن يعرف فى البستان مغرسه وهذه غصن فيها للبساتين

(قال الراوى) وكانت فاقت على أقرانها باللطف والظرف وتاهت عليهم باللين والهيف (قال الراوى) وكانت السبايا تقاسموهم الأمراء فوقع فى قسم هارون العلوى جارية جميلة فأعجبه حسنها وجمالها فقال لها يوما ما أظن وقع فى قسم أحد مثلكى فقالت له لو رأيت ابنة الملك فما أقول أن فى الدنيا مثلها فلما طلع للخدمة وجد الملك فى موكب عظيم وهو يرتب الناس فى الوظائف بحضرة الوزير عبد الوهاب وكان يحب الأمير صالح فجعله أمير مجلس فلما انقضى الموكب أمر الأمير صالح بالجلوس معه فجلسا يتذاكرا ما حصل لهما فقال ظالم ذقت الشدائد فما وجدت شدة أصعب من هذه ولا رأيت فرجا مثل هذا فقال الأمير صالح بن الامير هارون العلوى مثل شدتنا لم يكن وتفاوضا فى الحديث فتذكر صالح ما قالته الجارية من وصف حسن ابنة الملك وأن سبب ذلك أننى ذكرت ما أنعم الله علىّ ولم يقع لأحد فى قسمه مثل ما وقع من حسن الجوار فقالت عند ما سمعت كلامى أحسنهن من لم أجىء أنا نقطة فى حسنها ابنة الملك وقد وقعت فى قسم الملك ظالم فقال ظالم إنى لم أرى شيئا من ذلك غير أن جارية منهن سوداء وسائر الجوار يشيروا إليها بالتعظيم وهى مسودة بهباب مقطعة الأثواب زائدة البكاء والانتحاب فلما أنظر اليها على هذه الحاله أقفل بينى وبينها باب وأعد أن سماعها عذاب فقال الامير صالح أيها الملك ان أردت أن تسليها عن ما هى فيه ابعدها عن مجلسك أيام وانظر من كان لها من قهرماناتها ومن تكون كلمتها عندها مقبوله فاغمرها بالعطاء واسألها أن تهديها لك فانك بهذا تصل إليها ثم سلم وانصرف وامتثل ما أشار به الأمير صالح وقام من مجلس الحكم ودخل البيت وسأل عن ابنة الملك ومن رآها فأخبروه أن العجوز فلانة لا تخالفها فى قول ولا فى أمر من الأمور وهى التى ربتها فأرسل خلف العجوز وأفرغ عليها النعم وأوعدها بكل جميل وشكى لها مايجده من ابنة الملك وانها بهذا البكاء نغصت عليه عيشه وسألها أن تتلطف بها وتهديها له وكانت هذه العجوز ممعوطة الحواجب من أعجب العجائب لها أنف طويل ووجه عليل بخدود معجره وأسنان مكسره كثيرة الحكة والجرب متمكنة فى تقريب الأجانب كما قال فيها بعض واصفيها:

قوادة تفخر بالعار أقود من دليل على سار

جاهلة حيث ترى مسجدا　　عارفــة حانة بخمار
تـكاد من لطف أحاديها　　تجمع بين الثلج والنـار
والذئب والشاة توخيهما　　وتعطف القط على الفار

(قال الراوى) فلما سمعت كلام الملك قالت له سمعا وطاعه أنا أهديها لك فى ساعه ثم قامت من عنـد الملك وسارت إلى أن دخلت على ابنة الملك فنهضت إليها وبجلتها فأخذت يدها وقبلتها وعلى أعلى المراتب والفرش أجلستها وتحدثت معها وآنستها فدعت لها بعد أن عوذتها فأخذت من فاكهة عندها ولقمتها فقالت لها العجوز ما هذا البكاء ارحمى نفسكى لا تذهب عينيكى فقالت يا خالتى لا تسألى عن حالتى فقد والدى واخوتى فـكيف لا تزداد حسرتى فلا زالت تلين لها فى الـكلام وأمرتها بدخول الحمام إلى أن لان جانبها فأخلت لها حمام القصر ودخلت بها وأرسلت أعلمت الملك بما كان وماصار وانها فى حمام القصر فلما بلغ الملك ظالم ذلك قام فى الحال قائم على الأقدام ولم يصحب معه خادم ولا غلام وطلع على سطح الحمام وكشف جامة من الجام ونظر اليها وهى عارية من اللباس فرأى شيئا يورث الوسواس تقتل العشاق وتفتن المشتاق وتخجل الغصون فى الأوراق والشمس فى الإشراق كما قال فيها بعض الحذاق حيث يقول :

غزالة أخجلت شبهتها　　فلم تقايس بها وحاشاها
لو أعبد الناسكين قيل له　　تمن ما شئت ما تعداها

(قال الراوى) وكان لها وجه جميل وخدأسيل وطرف كحيل وردف ثقيل وخصر نحيل كما قال فيها الشاعر خليل حيث يقول :

لها كفل تعلق فى لطيفى　　وذاك الردف لى ولها ظلوم
يعذبنى إذا أفـكرت فيه　　ويعقدها إذا رامت تقوم

(قال الراوى) فلما استحلاها استحسنها وتصور فى كليته معناها فما زال يرعاها حتى خرجت من الحمام فأرسل خلف العجوز وسألهـا ماذا فعلت فقالت أزالت ما كان بها من السواد بالحمام وفى غد يكون الـكلام فزادها من الانعام وقال لها اجتهدى ولا تخفى عنى الـكلام فسارت إلى أن دخلت عليها وقبلت يديها وآنستها بالـكلام وهنتها بالحمام وصارت تدخل عليها من كلام إلى كلام حتى تهور الليل وطلبت المنام فعندها قالت يا سيدة الملوك ما يطيب قوام النساء إلا بالرجال وأنتى خلية من هذا الحال فقالت ما لى فى الرجال حاجه فدعى اللجاج ولـكن اخبرينى ما سبب هذ

الـكلام وإلا يصير لى عليك ملام فعندها قالت لها بلغنى أن الملك ظالم يريدكى لنفسه فلما سمعت هذا الـكلام قامت على الأقدام وامتشقت بيدها حسام وكادت تقتلها لولا ابتدرت الباب وأظهرت عداوتها بعد ما كانت من الأحباب (قال) فرجعت العجوز إلى الملك وهى عادمة الصواب. وقالت أيها الملك المهاب كدت أهلك بالسيف القرضاب وأحكت له على ما كان منها من الأحوال وما ذكرته من المقال فلزم الوساد ولم يأتيه تلك الليلة رقاد وأصبح لا يبدى كلام ولا يرد جواب فدخل عليه الأمير عبدالوهاب. وقال يا ولدى ما هذا الـكلام فأنشد يقول :

شبهتها فى النقاب للقمر ... تحت سحاب يلوح للنظر
وشعرها والجبين خلتهما ... صبحا وليلا فهمت من فكرى
وحاجبيها إذا نظرتهما ... أصاب من قسميها بلا وتر
جفونها فاترات ذو غنج ... تصد أسود العرين كالشعر
وخدها فيه روضـــة وبه ... خال من المسك فى شقيق طرى
وثغرها فيـه بهجة وبه ... عقو سمـا عقده على الدرر
وريقهـــا خمرة مذوبة ... يا طول لهفى لخمرها العطر
بصدرها قد رأيت من صدرت ... رمان نهدين غير منكسر
وخصرها ناحل ورقته ... كرقتى أو كرقة السمر
وردفها كالـكثيب ان نهضت ... يروم انفادها على الأثر
وساقها ساق لى السقام وقد ... قل اصطبارى وعز مصطبرى
أقدامها ان مشت على طرق ... أود لو أن طرقها بصرى
رشيقه القد كلمـا خطرت ... أبيت من حبها على خطر
فلا تلمنى إذا قتلت بها ... لا عـــذر فى حبها لمعتذر

(قال الراوى) فقال الأمير عبد الوهاب يا ولدى دعنا من الأشعار واذكر لى ما أنت فيه من الاخبار فقال له يا والدى كلما بى من الهيام من محبة سيدة الملوك بدر التمـام فقال يا ولدى ومن تـكون هـذه من الأنام فقص عليه القصة من أولها إلى آخرها وأنها أورثته فى القلب غصـة فقال هذا أمر يهون ممن أمره بين الـكاف والنون وهو شيئا بحكمك وتحت يدك وان خوفتها بالقتـل أجابت وللاجتماع بك طابت فقال ظالم لأبيه سمعت يا والدى أنها قالت ان أكرهت على ذلك قتلت نفسها وان فعلت ذلك قتلت نفسى وأخمـدت حسى فقال يا ولدى بنجها فى الطعام كما فعل

بجدتك لتنال منها مطلوبك وحكى له حكاية جدته ذات الهمه مع جده الحارث وكيف واقعها وحملت به ثم قال وإذا زالت عن البنت بكارتها زالت حدتها فسرى عنه بعض ما يجده وأدعا بطعام وحلو وجعل فيه البنج وأرسله اليها فردته وقالت لا تأكل ولا تشرب حتى تموت جوعا وعطشاً فلما سمع ذلك سقط مغشياً عليه وقال وأنا لا آكل ولا أشرب حتى تأكل وتشرب ورقد على الوساد ينشد الأشعار ويبكى بالدموع الغزار ليلا ونهار لا يأكل ولا يشرب ولا ينام مدة ثلاثة أيام (يا سادة يا كرام) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من حديث أبو محمد البطال فانه فى هذه المدة كمل على يديه البيت الذى أشار به على الأمير عبد الوهاب وجعل حيطانه عاليه لا يقدر عليها شخص بتسليق ولا لأحد عليه طريق ولا يشتبك فيها سلم بالكليه وجعل بابه عالى نحو مائة سلم وجعله يرتفع بسرياقات حرير فى بكر وقال للأمير عبد الوهاب تكلف يا أمير بنفسك ونام وحدك فان الذى ظفرت به لا يوجد مثله فى ذخائر الملوك وأنت تملك به نواصى الملوك ثم مضى إلى جزيرة يتنزه فيها فلما قدم أخبروه بخبر الملكة وأنهم أرادوا يبنجوها فامتنعت من الطعام والشراب وقد عجزوا وأن الملك ظالم صار رق الخلال (قال) فدخل أبو محمد على الملك وإذا هو فى أكثر مما ذكر عنه فقال له أبو محمد أيها الملك لا تعرف هذه إلا منى لأنى أقدر أبنجها وهى لا تأكل ولا تشرب (قال) وكان غيبة أبو محمد حتى أتى بحشائش إذا وضعت فى خرقه وعلقت فى مهب الريح كل من شم رائحتها يتبنج (قال الراوى) فلما سمع من أبو محمد ذلك الكلام قام قائما على الأقدام كأنه حل من عقال وقدم له الطعام فأكل وشرب وعاشت روحه بعدما كان من الهالكين من الحب والغرام (يا ساده يا كرام) وأما أبو محمد فانه أخذ تلك الحشائش وصرها فى خرقه شاش بعد استعمال الضد وسد مناخيره بقطن محكم وصبر إلى الليل ودخل فى الظلام وعلق تلك الصره فى مهب الريح فلم يلبث غير ساعه وإذا بها سقطت على الأرض فما قولكم (يا ساده) فيمن له ثلاثة أيام لم يذوق المنام وأتى له بنج كما قطع من أرضه فصارت فى حكم الأموات فأخبروا الملك بذلك فدخل عليها وأزال بكارتها وتركها غريقة فى دمها وأتى إلى أبيه فوجد هناك جدته ذات الهمه وأبو محمد البطال فقاموا اليه فأمرهم بالجلوس وقال أتى الفرج على يد أبو محمد فقالت الأميره ما زال مفرج الكرب فقال البطال يا أمير هذه بتلك الفعلة التى فعلتها معى ومع نورى (قال) وأمر نورى وعذيبه أن يدخلا عليها فقال لهم اعرفوا كيف تفعلوا فدخلوا عليها

وأعطوها ضد البنج فأفاقت بعدما شال البطال البنج وقد كان أمر الملك بسدمناخيره عند الدخول خوفا عليه (قال الراوى) فلما أفاقت وجدت نفسها على تلك الحالة وبجانبها نورى وعذيبه هذا وقد زالت عنها حدة البكاره وأخذت نورى تحكى لها أصل ما وقع لها مع الأمراء وأنها كانت ملكة وابنة ملك وما وقع بسببها للأمراء من الفتن وعذيبه تحدثها وتذكر لها الحكايات المضحكات ويرغبوها فى الاسلام إلى أن لان جانبها وأسلمت فأخبروا الملك بها فسر سروراً عظيما وأمر أن تعمل وليمة لها قدر وقيمه ويأكل منها الخاص والعام مدة ثلاثة أيام وأن ينظروا مكانا يصلح للمقام وكان أوان الربيع والأرض قد أزهرت زهرها البديع فساروا فى نواحى القسطنطونيه فوجدوا أرض كافوربه كأنها الفضة المجليه نقية مضيه ترفل فى أثوابها العسجدية وحللها السندسية مصورة بالحدائق ينزل فيها من الطيور الحمام والبواشق والقمارى والفواسق واليمام واللقلاق كل يوحد العزيز الخلاق والدراج والسمان على أغصان الجنان تحت ستائر أوراق الريحان وعيون النرجس مفتحة الاجفان والاغصان تتمايل كتمايل النشوان والارض قد رش طيبها وردوند وريحان وهى تزدرى بالفيروزج والزمرد والزبرجد والعقيان كسيت مطارف بيضاء وحمراء وخضراء وحسان وتوجت بألوان فاقت سائر الالوان وفى وسط تلك الارض نهرا يجرى ونواعير ترف وقصور مشيده ومنازل ممهده فنصبوا هنالك الخيام ودعوا الخاص والعام ونحروا النحائر وعلقت الغدور وكان يوما مشهورا وقدمت الموائد وكثر عليها القائم والقاعد وشالوا الزبادى وغسلت الايادى وقدمت الحلاوات والفواكه ما يعجز عن وصفها الواصف واعتكفت نصارى البلد على شرب الخمر وافقتهم أهل الفجور وكان ذلك النهار يعد من الاعمار (قال الراوى) وتقضى هذا النهار بالفرح والسرور والامن والحبور ورجع الملك إلى قصره وبات مع محبوبة قلبه ومن الصباح دخل الحمام وجلس بعد ذلك على كرسى المملكة لقضاء حوائج الناس الخاص والعام ولا زال يعظ الجنود ويكبت الحسود ويعلم الجنود ويكرم القبائل ويكسى الارامل ويسعف السائل ويوسع النائل ولا يرد السائل ولا يقطع الوسائل فمدحته المداح بألسنة فصاح وأزاح الظلم ونارت القسطنطونية بالامه المحمدية هذا جرى لظالم (وأما أمير المؤمنين الواثق بالله) فانه لما وصل إلى بغداد دار السلام زينت لقدومه جميع البلاد وأطلق ما فى الحبوس وأزال المكوس وأعطى فقراء البلد ما أغناهم وصنع وليمة لها قدر وقيمه دعا فيها الخاص

والعام إلى مدة سبعة أيام هذا لامير المؤمنين الواثق بالله وما فعله عند قدومه من الغزاه فشكرته جميع المخلوقات وأثنوا عليه الثناء الجميل الذى ما عليه من مزيد (وأما ما كان من الامير ظالم فانه أرسل أتى بأهله وماله من الثغور وكذلك فعل الامير عبد الوهاب ومن له من الاصحاب ولما مضت له سنة كاملة أرسل يطلب الجزية والحمل من أبناء الملوك الذين تولوا موضع آبائهم فكلهم أجاب بالسمع والطاعه وقالوا كلهم نحن ما كنا نطيقهم وهم فى الخلاء فكيف وقد صارت الجن تقاتل معهم فوصل المال بالزيادة لا بالنقصان فأراد أن يرسله الامير ظالم إلى أمير المؤمنين الواثق بالله وإذا بقاصد وصل من بغداد بكتاب من عند أمير المؤمنين الواثق بالله ففضه وقراه بعد أن قام على الاقدام وإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم السلام على حامى حوزة الدين وسيد المجاهدين الامير الاجل نائبنا بالقسطنطونيه الامير ظالم وعلى الامير الاجل عبدالوهاب وعلى الاميرة ذات الهمه وعلى الامير أبو محمد البطال وعلى بقية الامراء الاعيان وعلى جميع عساكر المسلمين المجاهدين الموحدين لله رب العالمين وبعد ذلك فانك ترسل لنا الامير أبو محمد البطال هو وأولاده مكرما معظما ويصحب غلمانه فاننا اشتقنا إلى رؤياه وأن المتحصل من مال الجزية نصرفه على عمارة الجامع الذى أنشأه الامير مسلمه وإذا انتهى الجامع تحبس عليه النفقات وكلما تحصل بعدهذه السنه تأخذ به عبيد وتكثر الجند (قال الراوى) فأرسل الامير ظالم إلى الجزائر مطالعات على أجنحة الطيور ورسم الشان المعظم والملك المكرم نائب أمير المؤمنين بالقسطنطونيه ومن حولها من الجزائر وهو الملك ظالم المجاهد ان كل من كان فى جزيرته صانع ماهر فى صناعته مهندس أو بنا أو مرخم أو نجار أوحداد أو دهان أو مبيض يرسله إلى حضرة الملك ظالم فلم يلبسوا إلا مسافة الطريق واجتمعوا وقام العمل مدة شهور الى أن انتهى الجامع على أحسن حال وزخرفه حتى صار نزهة للناظرين وأرسل على أجنحة الطيور أعلم أمير المؤمنين فأرسل أمير المؤمنين للامير ظالم إنى أريد أن أزورك وتزورنى سيما وقد حبيت انى أرى الجامع فأرسل إلى خادمك يحملنى (قال) فلما وصل الكتاب معك اللوح إذا بالخادم حضر وقال نعم أأمرنى بما تريد قال أريد أن تذهب إلى أمير المؤمنين الواثق بالله وتتلطف به وتحمله إلى عندى برفق (قال) فبينما أمير المؤمنين فى بعض مقاصيره إذ تشكل له الخادم فى صفة انسان وقبل الارض فلما رآه أمير المؤمنين من داخل المقصورة علم أنه ما يتجاسر أحد يدخل عليه بلا اذن فعلم أنه الخادم فقال إنى أريد أن أقيم أياماً لأنى أريد أن أنيب مكانى أحد فاتنى فى غد وفى مثل هذا الوقت فقال ياأمير المؤمنين إذا كان الوقت الذى تطلب المضى فيه أطلع

إلى سطح القصر وأى شيء وجدته أركبه ثم انصرف فلما أصبح الصباح قال أمير المؤمنين لأهل محله ومجلسه أريد أن أخلو بنفسى أياماً ولايدخل علىّ أحد ومن كانت له حاجة فعليه بالوزير (قال) ولما مضى ذلك اليوم وأظلم الظلام طلع إلى سطح القصر وإذا بطائر عظيم الخلقة فعلم الواثق أنه الخادم فركب على كتفيه وطوق يديه على رقبته فأرخى له جناحين وطار فكان الواثق يسمع الهواء كالرعد مقدار ساعة وحط به وإذا هو فى القسطنطونيه فوق سطح القصر الذى لظالم وكان ظالم فى الانتظار فلما سمع الدكدكة على سطح القصر علم أن الخادم قد أتى بأمير المؤمنين فبادر الى السطح وكان الخادم مضى وإذا بأمير المؤمنين قائم فقبل الأرض ظالم بين يديه فسلم عليه أمير المؤمنين وهناه وسأله كيف كان حاله فقال شرح يطول (ياساده) ودخل أمير المؤمنين القصر وظالم أخذ بيده حتى أجلسه على المرتبة التى للملكة (قال) فلما جلس أحكى له ظالم على ما جرى له مع الجارية بنت الملك وهو يتعجب فلما أصبح الصباح أوكب موكب عظيم وجلس أمير المؤمنين على السرير وقدم ظالم كرسياً فجلس عليه وأتت الأمراء وقبلوا الأرض بين يديه ثم ركب أمير المؤمنين وسار إلى الجامع ودخل وصلى فيه ركعتين وكان قد حمل كيس فيه ألف دينار فأمر بتفريقها على من حضر من المسلمين وتأمل زخرفة الجامع فاذا هو ليس له نظير فانشرح لذلك واستمر عند الأمير ظالم فى القصر ثلاثة أيام ووجد الناس منطبقين على محبة ظالم فقال لظالم : أحببت أن أكنيك بالعادل وأمر أن تضرب السكة باسم أمير المؤمنين الواثق بالله ثم ودعه وأراد الانصراف فأحضر الخادم ليلا وحمل أمير المؤمنين ودخل به الى قصره وأصبح ظهر للناس وبعد ذلك بمدة أتى البطال إلى حضرة أمير المؤمنين ودخل الى قصره وخرجت العساكر للقائه ودخل على الخليفة وقبل الأرض فتحرك له واستمر ينادمه ويسامره فهذا ما كان من أمره.

أما ألأمير عبد الوهاب فانه استأذن ولده فى الحج إلى بيت الله الحرام هو ووالدته ذات الهمه فأذن لهم وودعهم وحملهم العون الى مكة وكان أول شهر الحجة الحرام فحجا مع الناس وكانا قد صحبا معهما مالا عظيما واجتمعا بأقاربهما وأعطوهما ما أغناهم واستمروا مجاورين مكة ذلك العام فمرضت ذات الهمه أياماً وانتقلت بالوفاة إلى رحمة الله تعالى فكان لها مشهد عظيم ودفنت بباب المعلا وتصدق عليها ولدها بمال جزيل واستمر بعدها شهوراً وانتقل الى رحمة الله تعالى ووصل الخبر الى الملك العادل

المسمى بظالم فحزن حزنا عظيما وجلس للعزاء أياماً وتصدق عليهما بمال عظيم ووصل الخبر إلى أمير المؤمنين الواثق فحزن عليهما وصلى عليهما صلاة الغيبة وأما ظالم فانه انتشى له ولد من ابنة الملك وسماه عبد الوهاب على اسم أبيه وكان أحسن زمانه لأن أمه كانت أحسن زمانها وظالم كان مليحا واستمر الملك ظالم بقية عشرين عاما وكان كل عام يحج فى أوان الحج محمولا على الجان فلما كان فى العام الأخير وارتقى به الجنى وإذا بشهاب نار نزل على الجنى فاحترق ونزل ظالم يهوى على أم رأسه فاندق عنقه ومات وكان بقرب مكة فجاز به بعض أهل مكة فعرفه فحمله وأتى به إلى المتولى على مكة فكان له مشهد عظيم ودفن بجانب والده وجدته بباب المعلا وفقدا اللوح ولم يعلم له أحد خبر وبلغ ذلك أمير المؤمنين الواثق بالله فتشوش خاطره وقال ما منعنى من أخذ اللوح إلا الحياء من عبد الوهاب وإلا مثل هذا اللوح ما كان يكون إلا فى الذخائر ولأننا كنا فى هذه المدة مستريحين من القتال وقبل ذلك كنا مشتتين فى سائر البلاد ولكن كان ذلك فى الكتاب مسطورا وكان قد علم بولد ظالم عبد الوهاب فأرسل له خلعة التولية موضع أبيه وعزاه فى والده فلما وصلت الرسل بالخلعة وأخبروه بموت والده حزن حزنا عظيما وجلس للعزاء أيام وبعد ذلك جلس على كرسى المملكة وحكم بين الناس بالعدل وأزال الظلم حتى عجبت الناس من حكمه على صغر سنه وحاز ما كان فى أبيه من الشجاعة وما فى أمه من الملاحة وزاد عليهم فأحبته الناس أجمعين فهذا ما كان منه . وأما ما كان من أبو محمد البطال فان الواثق بالله كان لا يفارقه لا ليل ولا نهار بل هو سميره ونديمه مدة سنين ولما ترادفت أخبار الامراء عليه ركب قلبه الحزن حتى ما بقى ينتفع به ولزم بيته أياما ثم إنه فى بعض الأيام قال يا أمير المؤمنين إنه قد كبر سنى ودنى أجلى وأريد أختم عملى بالانقطاع إلى الله عزّ وجل بالخلوة والعزة فقال الواثق يا أبو محمد يعز على فراقك ولكن اختر لك بلداً تكون بها فقال يا أمير المؤمنين لى فى بلاد الروم انكورية وكان أمير المؤمنين المعتصم قدس الله روحه ونور ضريحه لما فتح عموريه فى يوم الخميس وفتح انكورية يوم الجمعة فطلبتها منه فأنعم لى بها وأريد أن أسكن فيها إلى أن يدركنى الموت فقال الواثق على بركة الله وعونه ثم جدد له منشورا فقال يا أمير المؤمنين إنى فقدت غلمانى ولم يبق منهم إلا جوهر ولؤلؤ وهم يطلبون من مولانا رحبة مالك وما يليها فيكونوا فيها إلى أن يدركهم الموت فأجابه الواثق إلى ذلك ودفع له عشرة آلاف دينار وخرج بنفسه لوداعه فهذا ما كان منه . وأما مارس ودارس فأحضرهما بين يديه قال اختاروا ما تريدوا حتى أبلغكما ذلك فقالوا أدام الله أمير المؤمنين والله ما جئنا

بلد الاسلام ولنا حاجة وإن لنا من الأموال ما تكفينا إلى الممات (قال الراوى) وأحضر يانس المتعزب وقال أيها العبد الصالح اشتهى على ما تريد فقال يا أمير المؤمنين أريد أن تبنى لى مسجداً أعبد الله سبحانه وتعالى فيه ويكون بالقرب منك فبنى له المسجد وأقام يعبد الله فيه وكف بصره وأخبر الواثق بذلك فأوقف عليه الوقوفات وهو إلى يومنا هذا يسمى مسجد يانس هذا ما كان منه . وأما أبو محمد البطال فانه سار إلى أنكوريه ففرحوا به وزينوا له المدينه وأقام يعبد الله إلى الممات وأما عبد الوهاب ابن ظالم فانه أقام فى المملكه وكثرت جنوده وكان يجمع فى كل سنه خزانة مال ويرسلها إلى الواثق بالله واستمر على ذلك إلى مدة سنوات وبعد ذلك أتى اليه خبر الواثق بالله أنه انتقل إلى رحمة الله وتولى بعده المتوكل على الله وخرجت الروم وملكت أنكوريه إلى ملطيه فأرسل الأمير عبدالوهاب إلى الخليفه يعلمه بنزول الروم على ملطيه ويأمره أن يسلك سير آبائه فلما وصل النجاب بالكتاب وقرأه فقال المتوكل « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت » (قال الراوى) وملكت الروم إلى ملطيه وكان كل يوم يغار على بلاد الاسلام وأبو محمد كلما سمع ذلك يبكى الليل والنهار على نصرة الإسلام حتى أدركه الموت كما ذكرنا ودفن فى المسجد فى انكوريه وكان أوصى أصحابه أن يخفوا قبره ففعلوا ذلك وعلمت الروم بذلك فأتوا إلى القلعه وأخربوها ولم يعلموا أين قبره ولم تزل الروم تنهب بلاد الاسلام حتى ظهرت الترك وظهر لهم ملك يقال له آق سنقر وكان فارساً لا يطاق وعلقم مر المذاق فقاتل الروم وكسرهم وملك ديارهم وهججهم ثم أنه أتى إلى أنكوريه وكان لها أرض حسنه وقرى كثيره وكانت الروم أخربوها فأمر بعمارتها (قال الراوى) وسأل عنها فأخبروه أنها كانت لأبو محمد البطال فأمر بحفرها وأظهر القبر لما يريده الله تعالى فبناه بناية مليحة وطلاه بالذهب وعمل عليه قبة عظيمه وأقام أياما قلائل إلى أن توفى وتولى بعده ولده

ولم يزل إلى أن قويت شوكة الاسلام وعملوا بشريعة سيدنا محمد عليه
الصلاة والسلام وتمهدت البلاد واطمأنت العباد ودانت
وعمرت الأقاليم واطمأنت الناس وهذا ما انتهى الينا
من سيرة المجاهدين وأبطال الموحدين رضوان
الله عليهم أجمعين ولقد قرأت فى كتب
الأولين والآخرين فما وجدت
ألذ من سماعها والحمد لله
رب العالمين